

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم وبحمدك توحدت في ذاتك فحسرت عن ادراكك انسان كل عارف وتفردت في صفاتك فقصر عن مدحك لسان كل واصف ظهرت في بدايع جودك فشهدت بوجوب وجودك حاجة كل قابل وبهرت بعز جلالك فالكل في نور جمالك مضمحل باطل احاط علمك فلم يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وتعددت الاؤك فتعددت انواعها حد التحديد والاحصاء خلقت الدنيا معبرا وابتعثت فيه خلقك السباق الى حضرة قدسك وايدتهم بالرسل ليسلكوا بهم افضل السبل الى بساط انسك ودبرت كلا لما خلق له فبعض لنعمائك مشكرون وعن عبادتك مستكبرون وبعض بضروب نعمائك معترفون وعلى باب كعبة جودك معتكفون سبحانك انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون سبحانك عما يقول الظالمون وتعاليت عما يصفون اسبحك بلسان الحال والمقال بالعشي والابكار واحمدك على كل حال اناء الليل واطراف النهار واشهد ان لا اله الا انت حادا كل ما سواك عن درجة الاعتبار مخلصا بجلال وجهك في طوري الاعلان والاسرار واشهد ان محمدا عبدك المختار وصفوة انبيائك الاطهار الذي بعثته بالانوار الساطعة وايدته بالبراهين والحجج القاطعة وجعلته للعالمين بشيرا ونذيرا وداعيا اليك باذنك سراجا منيرا اللهم فصل عليه صلوة دائمة ما بترد افقه كافيه ما تعاقبت الاوقات ودامت الارض والسموات وعلى اله الطاهرين المنتجبين ينابيع الحكمة واساطين الدين وعلى الصحابة الاكرمين وسلم عليهم اجمعين **اما بعد** فلما كان المقصود الاول من بعثة الانبياء والرسل بالكتب الالهية والنواميس الشرعية انما هو جذب الخلق الى الواحد الحق ومعالجة نفوسهم من داء الجهل وعشق هذه الدار والتفاتها الى حظائر القدس في منازل الابرار وحمايتها ان ترد موارد الهلاك اذ كانت من ذلك على خطر وتشويقها الى ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتنبيهها من مراقد الطبيعة ونوم الغافلين بتذكيرها ما اخذ عليها من العهد القديم الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ثم ما يلزم ذلك المقصود من تدبير احوال المعاش البدني وسائر اسباب البقاء النوعي وكان امامنا سيد الوصيين ذو الايات الباهرة والانوار الظاهرة علي بن ابي طالب عليه السلام في جميع ما ورد عنه من الكلام وصدر عنه من الافعال والاحكام قاصدا لجميع ما تضمنه الشرع الكريم من الاغراض والمقاصد باسطا لما اشتمل عليه القران الحكيم من القوانين والقواعد حتى لن توجد الحكمة في غير هذا السبيل كما سنبين ذلك عن قليل ونوضحه بالتفصيل فلا جرم كان كلامه الكلام الذي عليه مسحة من الكلام الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي ولم يزل كلامه عليه السلام مستندا في صدور الرواة منتشرا في ايدي المتهذبين والنساك تحاول اعداؤه ان يخفى مشهوره ويابى الله الا ان يتم نوره الى ان عضد الله الاسلام بوجود السيد

الامام الرضي محمد بن الحسين الموسوي قدس الله سره ونور ضريحه فانه جنى من كلام جده الثمرات وجمع منه ما كان في حيز الشتات وبالغ
في تدوين محاسنه بقدر الاستطاعة وسمى مجموعه نهج البلاغة فجاء الاسم وفق المسمى واللفظ طبق المعنى فجزاه الله عن العلماء خير الجزاء و
وحباه من وظائف الفضل الجم الحباء ثم اني لما كنت عبدا من عباد الله الذين رحموا من عنده وملكني توفيقه اسلك بها سبيل قصده و
كنت قد جعلت هذا الكتاب بعد كتاب الله وكلام رسوله مصباحا استضيء به في الظلمات وسلما اعرج به الى طباق السموات كنت في اثناء
وقوفي على شيء من اسراره واكتحالي بسواطع انواره اتأسف على من يعرض عنه جهالا واتلهف على جيل اهملوه اهمالا الى ان قضت صروف الزمن
بمفارقة الاهل والوطن واوجبت تقلبات الايام دخول دار السلام فوجدتها نزهة للناظر وابتهاج الحكيم القاصد بانتهاء احوال تدبيرها
والقاء مقاليد امورها الى من خصه الله تعالى باشرف الكمالات الانسانية وملكه ملكات الفضائل النفسانية فهو امرؤ مثلت طبيعته
من طينة الفضل حين يتشعب فالعلم والجود والشجاعة والعفة والعدل منه يكتسب ثم هو ممن اختاره الله لاستكفاء امور عباده وبلاده
وجعلهما مطمعا لانه قياده فاوامره النافذة تسري فيهما سريان الارواح في الاجسام وآراؤه الصائبة تجري فيهما مجرى الفجر بعد
الظلام الذي جاز اعلى المناصب فقاربا سنى المطالب سابقهما الثواقب فامتحن بحوائل العواقب الذي به درست آثار العلوم بدولته
السعيدة بعد الافول في غيابات الجهالة وسطع صبح الحق بطلعته الحميدة من افق الضلالة ومنع ذيول ظلام الظلم بعدله و
ازهرت رياض الرغائب بفيض سحائب فضله المشيد لاركان الاسلام بعد التداعي للانهدام المجدد من آثار الايمان ما محاه طوفان الطغيان
صاحب ديوان الممالك السالك الى الله اقرب المسالك علاء الحق والدين عطاملك بن الصاحب المعظم والمولى المكرم الفائز بالقرب من رب
العالمين ومجاورة الملائكة المقربين بهاء الدنيا والدين محمد الجويني ضاعف الله جلاله وخلد اقباله وحرس عزه وكماله وادام
فضله وافضاله ومنح في عمره وامده بتوفيقه وشد ازره باخ عز صنوه وشقيقه الذي فاق ملوك الآفاق بعلو القدر وكمال
العز والفخر وحصائر العلم والادب وذخائر العقل والحسب الذي ملأ الاسماع بجميل اوصافه وافاض بغية الاطماع بجزيل
الطافه ونسي بها طل وابل بذله ما قيل من قبله في الكرم وامله **شعر** هو البحر من اي النواحي اتيته فلجته المعروف والجود
ساحله تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه انامله ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله فهو
من جمع الله له بين الحكمة والسلطان وزاده بسطة في المرتبة وعلو الشان ذو النفس القدسية والخلائق الانسية والاعراق الزكية
والاخلاق الرضية والهمم الابية والمقاصد السنية مولى ملوك العرب والعجم صاحب ديوان ممالك العالم شمس الحق والدين غياث الاسلام
والمسلمين محمد بلغه الله اقصى مراتب الكمال وبلغه منتهى الامال في الحال والمآل فانهما لهذه الامة بدران مشرقان يستضاء بانوارهما
وبحران زاخران يغترف من تيارهما وطودان شامخان يستغنى باقطارهما وعمادان تقوم بهما في الوجود اركان الايمان وصارمان يصول
بهما الدين القيم على سائر الاديان فجزاهما الله عن الاسلام واهله افضل جزاء المحسنين وخصهما الله من وظائف فضله باكمل ما اعد
لعباده الصالحين وقرن سعادتهما بالدوام والاستمرار وعضد دولتهما بمطاوعة الاقضية والاقدار وصان دولتهما عن حوادث الايام
وآفاتها وجعل نتائج افعال اعدائهما ناقصة لاخس مقدماتها هذا ولما اتفق اتصالي بجنابه وانتهيت الى شرف حضرته احاطني من
انسه بحالات الهتني عن اشتهى مآربها ولمطرني من سحائب جوده بما نسيت به العصور الفائتة من ذاهبها فاجرى في بعض محاوراته
الكريمة من مدح هذا الكتاب وتعظيمه وتفضيله وتفخيمه ما علمت معه انه اهله الذي كنت اطلب والعالم بقدره ومحله من بين الكتب و
توسمت في تضاعيف ذلك تشوق خاطره المحروس الى كشف حقائقه والوقوف على اسراره ودقائقه فاحببت ان اجعل شكري لبعض نعمه السابقة
ومننه المتوالية المتلاحقة ان اخدم سامي مجلسه بتهذيب شرح مرتب على القواعد الحقيقية مشحون بالمباحث اليقينية ابنيه على
ما لاح لي من رموزه واكشف ما ظهر لي من دفائنه وكنوزه وقد سبقني الى شرح هذا الكتاب جماعة من اولي الالباب والناقد المسدد
للصواب يميز القشر من اللباب والشراب من السراب وشرعت في ذلك بعد ان عاهدت الله سبحانه اني لا اعتمد فيه مذهبا غير الحق ولا اركب
هوى لمراعاة احد من الخلق فان وافق الرأي الاعلى فذلك هو المقصد الاقصى والا فالعذر ملتمس مسؤول والعفو مرجو مأمول والرغبة
الى اهل الفضل في سد ما يجدونه من خلل وستر ما يقفون عليه من زلل فاني مع ضعف جناحي عن سلوك هذا المطار الذي هو
مسرح نفوس الاولياء الابرار ومجال انظار الحكماء الكبار معترف الافكار وراكب المطايا الاسفار وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم
الوكيل وقبل الخوض في المطلوب لا بد من تقديم مقدمة نستعين بها على ما عسى ان نذكره من المباحث في هذا الشرح ان شاء الله تعالى اما
المقدمة فاعلم ان كلامه عليه السلام يشتمل على مباحث عظيمة تتشعب عن علوم جليلة يحتاج المتصدي للخوض فيه وفهم ما يشرح منه
بعد جودة ذهنه وصفاء قريحته الى تقديم ابحاث تعينه على الوصول الى تلك المقاصد ولما ابرز عليه السلام مقاصده في الفاظ خطابية
اما منطوق بها او مكنى بها تعين ان نذكر من مباحث الالفاظ قدر ما تمس الحاجة اليه ثم نشير الى بيان معنى الخطابة وما يتعلق بها ليكون ذلك
معينا للناظر في كلامه عليه السلام على ملاحظة فوائده ومطالعة اسراره وحقائقه ثم نلحق ذلك بالاشارة الى ما يتعلق به عليه السلام من الفضائل

جرّ وقد رتبت هذه المقدمة على ثلث قواعد **القاعدة الأولى** في مباحث الألفاظ وهي مرتبة على قسمين **القسم الأول** في دلالة الألفاظ وأقسامها وأحكامها وفيه فصول **الفصل الأول** في دلالة اللفظ على المعنى وفيه أبحاث **البحث الأول** دلالة اللفظ إما على تمام مسماه أو على جزء مسماه من حيث هو جزءه أو على الأمر الخارج عن مسماه اللازم له في الذهن من حيث هو لازم له والدلالة الأولى هي دلالة المطابقة كدلالة لفظ الإنسان على الحيوان الناطق والثانية دلالة التضمن كدلالته على الحيوان وحده أو على الناطق وحده والثالثة دلالة الالتزام كدلالته على الضاحك واحترزنا في الدلالتين الأخيرتين بقولنا من حيث هو جزءه أو من حيث هو لازم عن دلالة اللفظ على جزء المسمى أو على لازمه بحسب الاشتراك اللفظي بينهما كما إذا جاز أن يوضع اللفظ الواحد للمعنى ولجزئه كلفظ الممكن مثلاً للممكن الخاص والعام وللمعنى ولازمه كلفظ الشمس على جرم الشمس والنور اللازم عنه فلولا قصرنا في تعريف دلالتي التضمن والالتزام على التعريفين المذكورين دون هذين القيدين لشمل تلك الدلالة المطابقة على تقدير وضع اللفظ لجزء المعنى أو لازمه كما هو موضوع له إذ كانت أيضاً دلالة اللفظ على جزء مسماه وعلى لازم مسماه **البحث الثاني** الدلالة الأولى هي التي بحسب الوضع الصرف وأما الباقيتان فزعم الإمام فخر الدين وجماعة من الفضلاء أنهما عقليتان وفيه نظر لأنهم إن أرادوا أنهما حاصلتان عن صرف العقل من دون مشاركة الوضع فهو باطل لأنه لولا ارتسام المعنى في الذهن عن اللفظ لما حصلت هاتان الدلالتان وأيضاً فإنهم صرحوا بأنهما من دلالات الألفاظ فلا يمكن مع ذلك دعوى حصولها عن مجرد العقل وإن أرادوا أن التفات الذهن عند تصور المعنى من لفظه ينتقل منه الى جزئه أو الى لازمه فهو حق وح تكون هاتان الدلالتان مركبة من الوضع والعقل ثم إنهما مستلزمتان للدلالة الوضعية من غير عكس لجواز خلو المهية عن التركيب وعن اللازم البين ولا يجب أن تلزم إحداهما الأخرى وهو ظاهر مما مر **البحث الثالث** ظهر مما ذكرنا أنه يعتبر في الدلالة التضمنية المعنى المدلول عليه بالمطابقة مركباً وأما في الالتزامية فالمعتبر فيه كونه ملزوماً في الذهن لأمر يلزمه الثبوت له إذ لولا اللزوم الذهني لم يفد إطلاق اللفظ في المعنى الخارج عن المهية لعدم الوضع بإزائه وعدم انتقال الذهن عن موضوعه إليه فلم يكن دالاً عليه إذ المراد بدلالة اللفظ على المعنى فهمه عند الإطلاق فدلالة بالنسبة الى من يعلم الوضع ولا يعتبر اللزوم الخارجي لجواز دلالة اللفظ على ما يلزم مسماه في الخارج إذ لزم من تصوره تصور مسماه كدلالة لفظ العدم الملكة عليها كلفظ العمى على البصر ثم اللزوم الذهني ليس موجباً لانتقال الذهن من الملزوم الى لازمه إذ ليس هو تمام ما يتوقف عليه الدلالة الالتزامية بل لا بد من تصور الملزوم أولاً وذلك متوقف على وضع اللفظ بإزائه والعلم به بالوضع وسماع اللفظ وحضوره بالبال فهو إذن أحد الشروط المعتبرة لتصور اللازم **البحث الرابع** دلالة الحقيقة هي الدلالة الوضعية الصرفة وأما الباقيتان فليستا حقيقيتين وهو ظاهر ولا مجازيتين أيضاً لأن من شرط المجاز استعمال اللفظ في غير ما وضع له استعمالاً مقصوداً بالذات وهاتان الدلالتان قد يحصلان من استعمال اللفظ في غير ما وضع مسماه حصولاً عرضياً لأن الذهن قد ينتقل عند إطلاق اللفظ لإرادة مسماه الى جزئه أو الى لازمه انتقالاً عرضياً وكذلك الى جزء جزئه أو الى لازم لازمه في مراتب كثيرة ومعلوم أن اللفظ أطلق لإرادة مسماه واستعمل فيه بالذات لا فيما انتقل الذهن إليه من الأجزاء واللوازم وإن كانت له سببية في ذلك الانتقال فلم تكن الدلالة بواسطة اللفظ محصورة في الحقيقة والمجاز نعم استعمال اللفظ الموضوع وإطلاقه بالذات لإرادة المعنى لا يخلو من أن يكون حقيقياً أو مجازياً **الفصل الثاني** في تقسيم الألفاظ وفيه أبحاث **البحث الأول** اللفظ إما أن لا يراد بالجزء منه دلالة أصلاً على شيء وهو المفرد أو يراد بالجزء منه دلالة على شيء وهو المركب لا يقال هذا منقوض بعبد الله وما يجري مجراه فإنه مفرد مع أن كل واحد من أجزائه دال لأنا نقول قد يراد بالجزء من عبد الله وأمثاله دلالة فلا نسلم أنه بذلك الاعتبار يكون مفرداً بل مركب وقد لا يراد به الدلالة فيكون مفرداً فإذا قلنا في رسمه إنه الذي لا يراد بالجزء منه دلالة أصلاً كان ذلك معياراً لكل لفظ ما بالنسبة الى مراد اللافظ به فكل لفظ لا يقصد بجزئه دلالة كان مفرداً وهذا هو الرسم القديم للمفرد والمركب وقد تبين أنه لا حاجة فيه الى القيد الذي زاده المتأخرون وهو قولهم من حيث هو جزءه فإن الرسمين متساويان **البحث الثاني** اللفظ المفرد إما أن يكون نفس تصور معناه مانعاً من وقوع الشركة فيه وهو الجزئي أو غير مانع وهو الكلي أما الجزئي فيقال بمعنيين أحدهما ما ذكرناه ويخص باسم الجزئي الحقيقي والثاني أنه كل أخص تحت أعم والفرق بينهما أن الأول غير مضاف ولا كلي والثاني مضاف الى ما فوقه وقد يكون كلياً وأما الكلي فإما أن يعني به نفس الحقيقة التي لا يمنع تصورها وقوع الشركة وتسمى كلياً طبيعياً أو النسبة التي تعقل لها بالقياس الى جزئياتها المعقولة وتسمى تلك النسبة كلياً منطقياً أو المجموع المعقول من الحقيقة والنسبة العارضة لها ويسمى كلياً عقلياً ثم للكلي اعتبارات ستة وذلك لأنه إما أن يكون ممتنع الوجود أو ممكنه والأول كشريك الإله والثاني إما أن لا يعرف وجوده أو يعرف فالأول كجبل من ياقوت وبحر من زيبق والثاني إما أن يمتنع أن يكون في الوجود منه أكثر من واحد أو يمكن والأول كالإله تعالى والثاني إما أن يكون في الوجود واحد منه فقط وإن جاز وجود مثله أو أكثر من واحد

والاول كالشمس عند من يجوّز وجود مثلها والثاني اما ان يكون الموجود منه اشخاصا كثيرة متناهية او غير متناهية والاول كالكواكب
والثاني كأشخاص الانسان **البحث الثالث** الكلي اما ان يدل على ماهية شيء او على ما يكون داخلا فيها او على ما يكون خارجا
عنها اما الدال على الماهية فاما على ماهية شيء واحد او على ماهية اشياء كثيرة والاول اما ان يكون كليا او جزئيا والثاني اما ان تكون
تلك الاشياء مختلفة الحقائق او متفقة الحقائق فهذه اقسام اربعة الاول هو المقول في جواب ما هو بحسب الخصوصية المطلقة كالجواب
بالحد والثالث هو المقول في جواب ما هو بحسب الشركة المطلقة والثاني والرابع هو المقول في جواب ما هو بحسب الشركة والخصوصية معا مثال الاول
قولنا في جواب من يسأل فيقول ما الانسان انه حيوان ناطق فخصوصية هذا الجواب ليست لغير الانسان اذ لا يشاركه في حده غيره والثاني
كقولنا في جواب من يسأل عن جماعة هم انسان وفرس وثور ما هم انها حيوانات اذ كان هذا الجواب كمال الجزء المشترك بينها فهو
مقول بالشركة المطلقة والثالث والرابع كقولنا في جواب من يسأل عن زيد وحده ما هو انه انسان او عن جماعة هم زيد وعمرو وخالد ما هم
انهم اناس فيكون الجواب في الموضعين واحدا وهو بحسب الخصوصية والشركة معا اذ كل ما لكل واحد منها من الاجزاء حاصل للآخر وكذا
خصوصية هذا الجواب ليست لغير المسؤول عنه واما الدال على جزء الماهية فاما ان يدل على كمال الجزء المشترك بينها وبين غيرها وهو الجنس
القريب او على كمال الجزء المميز لها وهو الفصل القريب او على ما يتركب منها وهو النوع او لا على واحد من هذه فيكون دالا على جزء الجزء
وهو اما جنس الجنس او جنس الفصل او فصل الجنس او فصل الفصل كما هو مذكور في مظانه واما الدال على الخارج عن الماهية فيختص
باسم العرضي واعتباره من وجهين احدهما انه اما ان يكون لازما او لا يكون والثاني هو المفارق والاول اما ان يكون لازما للماهية
او للوجود والاول اما ان يكون بينا للماهية كالفردية للثلاثة او غير بين كالتناهي للجسم والثاني كالسواد للغراب واما العارض فاما
سريع الزوال كالقيام والقعود او بطيئه كالشباب والوجه الثاني ان العرضي اما ان يختص بنوع واحد لا يوجد لغيره سواء عم افراده او لم
يعم ويسمى خاصة كالضاحك للانسان بالقوة والفعل او لا يختص به بل يعم وغيره ويسمى عرضا عاما كالماشي للانسان **البحث
الرابع** اللفظ والمعنى اما ان يتحدا او يتكثرا او يتكثر اللفظ ويتحد المعنى او بالعكس اما الاول فمعناه اما ان يكون كليا او جزئيا
فان كان الاول فاما ان يكون نسبته الى افراده المعقولة بالسوية وهو المتواطي كالانسان بالنسبة الى اشخاصه او لا بالسوية بل في بعضها
اول واولى واشد واضعف وهو المشكك كلفظ الوجود والثاني هو العلم كزيد والثاني الاسماء المتباينة سواء انفصلت معانيها
كالانسان والفرس او تواصلت على ان بعضها اسم للذات والآخر اسم للصفة كالسيف والصارم او على ان بعضها اسم للصفة
والآخر صفة الصفة كالناطق والفصيح والثالث الاسماء المترادفة سواء كانت من لغة واحدة كالليث والاسد او من لغتين كالماء
وآب واما الرابع فاما ان يكون قد وضع اللفظ اولا لاحد المعنيين ثم نقل منه الى الآخر او وضع لهما معا اما الاول فذلك النقل
ان كان لا لمناسبة بين المعنيين فهو مرتجل وان كان لمناسبة فاما ان يكون دلالة اللفظ على المنقول اليه بعد النقل اقوى من دلالته
على المنقول عنه او لا يكون فان كان الاول سمي اللفظ بالنسبة الى المنقول اليه منقولا فان كان الناقل هو الشارع سمي لفظا
شرعيا كالصلاة والزكاة او اهل العرف ويسمى عرفيا سواء كان العرف العام كالدابة للفرس بعد وضعها لكل ما يدب وكالغائط للفضلة
الخارجة من الانسان عن وضعها للمكان المطمئن او الخاص كالاصطلاحات الخاصة بطائفة طائفة من اهل العلم مثلا كالرفع والنصب
والجر عند النحاة وكالجمع والقلب والفرق عند الفقهاء وكالموضوع والمحمول والجنس والفصل عند المنطقيين وامثاله واما ان لم يكن دلالته
على الثاني اقوى فاما ان يتساوى بالنسبة اليهما عند الفهم او يكون في الاول اقوى فان كان الاول كان ذلك لفظا مشتركا وان
كان الثاني كان اللفظ بالنسبة الى الاول حقيقة والى الثاني مجازا واما الثاني اذا كان اللفظ موضوعا لهما معا فاما ان يتساوى
دلالته عليهما عند الفهم او ترجح في احدهما فان كان الاول سمي اللفظ بالنسبة اليهما مشتركا وبالنسبة الى كل واحد منهما مجملا لان كون اللفظ
موضوعا لكل واحد منهما هو الاشتراك وكونهما بحيث لا يدري عين المراد منهما هو الاجمال **تنبيه** ظهر من هذا التقسيم ان الا
الاقسام الثلاثة الاولى مشتركة في انها ليست بمشتركة فكانت نصوصا واما الرابع فله اعتبارات ثلاثة احدها اعتبار كونه افاد ترجح
في بعض مفهوماته وبذلك يسمى ظاهرا والثاني اعتبار كونه مرجوحا في المفهوم المقابل للراجح وبذلك يسمى مأولا والثالث كونها
متساويا بالنسبة الى المفهومين بحيث لا يدرك المراد منهما وبذلك يسمى مجملا فالرجحان اذن قدر مشترك بين الظاهر والنص وعدم
الرجحان قدر مشترك بين المجمل والمأول فيسمى المشترك الاول محكما والثاني متشابها **البحث الخامس** اللفظ المفرد اما ان لا
يستقل معناه بالمفهومية او يستقل والاول هو الحرف والثاني فاما ان يستلزم معناه الوقوع في احد الازمنة الثلاثة المعينة
وهو الفعل او لا يستلزم وهو الاسم وهو اما ان يدل على معنى هو نفس الزمان او على جزء الزمان كاليوم والغد او على معنى جزؤه
الزمان كالصبوح والغبوق او لا على واحد منها وهو اما ان يكون اسما لجزئي مخصوص فان كان مضمرا فهو المضمرات او مظهرا
فهو العلم كما مر وان كان اسما لكلي فاما ان يكون اسما لنفس الماهية كلفظ السواد وهو المسمى باسم الجنس في اصطلاح النحاة او لامر

ما له صفة كن او هو الاسم المشتق كلفظ الضارب فان مفهومه امر ما له المصدر الضرب البحث السادس اللفظ المركب اما ان يكون
قابلا للتصديق والتكذيب لذاته وهو الخبر او لا لذاته وهو اما ان يكون مفيدا لطلب شيء افادة اولية او لا والاول ان كان على
طريقة الاستعلاء فهو الامر وان كان على طريق التساوي فهو الالتماس وان كان على طريق الخشوع والتضرع فهو السؤال والثاني
هو التنبيه ويدخل فيه التمني والترجي والقسم والنداء البحث السابع اللفظ قد يكون مدلوله لفظا مفردا او مركبا وعلى
التقديرين فاما ان يدل على معنى او لا يدل فهذه اقسام اربعة الاول لفظ مفرد دال على معنى مفرد كلفظ الكلمة والاسم والفعل
والحرف والثاني لفظ مفرد دال على لفظ مركب دال على معنى مركب كلفظ الخبر والكلام والقول الدال على قولنا زيد كاتب
الدال على معانيه الثالث لفظ مفرد دال على لفظ مفرد غير دال على معنى كقولنا أ ب ت ث وسائر حروف المعجم الرابع لفظ مفرد دال
على لفظ مركب غير دال كلفظ الهذيان والهذر البحث الثامن اللفظ المفرد اذا دل بالالتزام على معنى فذلك المعنى اما
ان يكون شرطا للمدلول عليه بالمطابقة او تابعا له والاول يسمى دلالة الاقتضاء وتلك الشرطية اما عقلية كشرطية نصب السلم
لصعود السطح عند الامر به او شرعية كشرطية الوضوء للصلاة عند الامر بها واما التابع فكتعليق الحكم الذي يلحق حال تخصيصه
بذكره من غيره عند من يقول به فان معنى التخصيص مستلزم للنفي المذكور وكذا اللفظ المركب اذا استلزم تركيبه معنى فاما
ان يكون من متممات المعاني المذكورة بالمطابقة او من توابعها والاول كدلالة تحريم التافيف على تحريم الضرب واما الثاني
فكاستلزام قوله تعالى فالان باشروهن الى قوله حتى يتبين لكم الخيط الابيض لعدم فساد صوم من اصبح جنبا والا لحرم الوطي
في اخر جزء من الليل بحيث يتسع للغسل وبالله التوفيق الفصل الثالث في الاشتقاق وفيه ابحاث البحث الاول في حقيقة
الاشتقاق الاشتقاق اخذ احد اللفظين من الاخر لمشاركة بينهما في الاشتمال على المعنى والحروف الاصلية واركان الاشتقاق
اربعة الاول اسم موضوع لمعنى الثاني شيء اخر له نسبة الى ذلك المعنى الثالث مشاركة بين الاسمين في الحروف الاصلية الرابع
تغيير يلحق الاسم الثاني اما في حروف فقط او في حركة فقط او فيهما معا وكل واحد من هذه الاقسام فاما بالزيادة وحدها
او بالنقصان وحده او بهما وظن الامام ان الحاصل من هذه القسمة تسعة اقسام فقط وهو سهو لتحققه عند الاعتبار بان
الحاصل منها خمسة عشر قسما آ زيادة الحرف ب زيادة الحركة ج زيادتهما معا د نقصان الحرف ه نقصان الحركة
و نقصانهما معا ز زيادة الحرف مع نقصانه ح زيادة الحرف مع نقصان الحركة ط زيادة الحرف مع نقصانهما
ي زيادة الحركة مع نقصانها يا زيادة الحركة مع نقصان الحرف يب زيادة الحركة مع نقصانهما يج زيادتهما مع
نقصان الحرف يد زيادتهما معا مع نقصان الحركة يه زيادتهما معا مع نقصانهما معا فهذه هي الاقسام الممكنة وعلى
المتقدي طلب الامثلة البحث الثاني اختلف الناس في انه هل يجوز صدق المشتق منفكا عن صدق المشتق منه ام لا والحق انه
يجوز لنا ان الاشتقاق يكفي فيه ادنى ملابسة بين المشتق والمشتق منه فلا يشترط صدقه على ما يصدق عليه المشتق فان المهلك
والمميت والضار والقاتل مما يصدق على ذات الله تعالى مع ان الامور المشتق منها وهي الهلاك والموت والضرر والقتل غير صادقة
ولا جائزة عليه لا يقال المشتق مركب من المشتق منه ومن شيء اخر فيعني صدق المركب صدق كل واحد من اجزائه لانا نقول لا نسلم
ان المشتق منه من حيث هو مشتق منه جزء من المشتق بل الحاصل فيه شيء من اجزائه وهي الحروف الاصلية وبعض الحركات فانا بينا
ان المشتق لا بد وان يلحقه تغيير باحد الوجوه المذكورة واللفظ المتغير فيه لا يشاركه في كان معتبرا في حقيقة المشتق منه فبعد التغيير لم
تبق تلك الحقيقة فلم يلزم صدقها حال صدق المشتق البحث الثالث اختلفوا ايضا في انه هل يشترط في صدق المشتق بقاء
صدق المعنى المشتق منه ام لا والحق انه لا يشترط لوجوه احدها انا نعلم بالضرورة اطلاق اهل اللغة لفظ المشتق على الشيء حال ما
لا يكون وجه الاشتقاق كاطلاقهم لفظ القاتل في الحال على من فعل القتل فيما قبل الثاني ان الضارب مثلا هو من حصل منه
الضرب ولا شبهة فعليه وهو اعم من حصوله له في الحال او في الماضي لامكان تقسيمه اليهما ولا يلزم من نفي الخاص نفي
العام فلا يلزم من نفي الضرب في الحال نفي مطلق الضرب فلا يلزم من صدق المشتق بقاء وجه الاشتقاق الثالث المشتقات
من المصادر السيالة كالمتكلم والمخبر لا يمكن بقاء وجه الاشتقاق فيها فان الانسان حال ما يتكلم بالحرف الثاني فات الحرف الاول
فلا يمكن تحقق مهية الكلمة في الخارج فضلا ان يقال انها تبقى مع ان انها صادقة بالاتفاق لا يقال الضارب مثلا بعد انقضاء
الضرب يصدق عليه انه ليس بضارب في الحال وقولنا ليس بضارب جزء من قولنا ليس بضارب في الحال ومتى صدق المركب
صدق كل واحد من اجزائه فانه صدق عليه انه ليس بضارب فوجب ان لا يصدق عليه انه ضارب لتناقضهما في العرف لانا
نقول ان كانت القضيتان موقتتين منعنا التناقض في العرف والحقيقة لان الكذب لقولنا انه ليس بضارب في الحال قولنا
انه ضارب في الحال ونحن ما ادعينا صدق قولنا انه ضارب في الحال بل انه في الحال يصدق عليه انه ضارب ولا تناقض

لعدم اتحاد الوقت وان كانتا مطلقتين فدعوى التناقض اما حقيقة وهو خطأ ايضا لان المطلقتين لا تتناقضان او عرفا وهو
ايضا ممنوع وينتقض بتسليمه بمنع صدق قولنا هند لا نقضا القمر انه ليس بضارب لصدق قولنا في تلك الحال انه ضارب وتناقضهما
عرفا وبالله التوفيق البحث الرابع اختلفوا ايضا في ان المعنى القائم بالمحل هل يجب ان يشتق له منه اسم ام لا والحق ان يقال المعاني
ان لم يكن لها اسماء كانواع الروائح لم يجب ذلك فيها وان كان لها اسماء لم يجب ايضا ان يشتق لمحالها منها اسماء وهل يجوز ان
يشتق لغير محالها منها اسماء ام لا والحق جوازه في الموضعين خلافا لقوم من الاشعرية فانهم قالوا يجب الاشتقاق منها لمحالها ولا
يجوز لغيرها لنا ان الجواز متفق عليه واما الوجوب وتخصيصه بالمحل فلم يذكر الخصم فيه دليلا واما جواز الثاني فلان الا
الاشتقاق يكفي فيه ادنى ملابسة فان المشتق هو شيء ما ذو المشتق منه ولفظة ذو لا يقتضي الحلول ومن الامثلة المشهورة
اللابن والتامر فانهما مشتقان من اللبن والتمر وهما غير قائمين بذات المشتق له البحث الخامس مفهوم المشتق كالماشي مثلا
انه شيء ما ذو مشي واما ذات الشيء فغير داخل في مفهومه وان علم فانما يعلم بطريق الالتزام برهانه انك تقول الماشي حيوان فلو
كان مفهوم الماشي انه حيوان ذو مشي لكان ذلك بمنزلة قولك الحيوان ذو المشي حيوان وهو هذر بل انما يعلم كونه حيوانا بدليل
من خارج وبالله التوفيق الفصل الرابع في الترادف والتوكيد وفيه ابحاث البحث الاول في ماهيتهما اما الترادف فهو كون
لفظين مفردين او ما زاد عليهما بالوضع على معنى واحد باعتبار واحد بالافراد احترزنا عن الاسم والحد وباعتبار واحد عن اللفظين
الدالين على شيء واحد باعتبارين كالصارم والسيف او باعتبار الصفة وصفة الصفة كالناطق والفصيح فان تلك متباينة واما التاكيد
فهو تقوية ما يفهم من اللفظ بلفظ اخر وللامام فخر الدين ره تساهل في هذا المقام اذ حد التاكيد بانه اللفظ الموضوع لتقوية ما
يفهم من لفظ اخر ولم يفرق بين التوكيد وبين نفس المؤكد وهو خطأ البحث الثاني في اسباب الترادف انه يجوز وقوع الالفاظ
المترادفة من واضع واحد ويجوز وقوعها من واضعين ويشبه ان يكون الاول اقل وجودا وله سببان الاول التسهيل والاقدار
على الفصاحة لانه ربما يمتنع وزن البيت وقافيته مع بعض اسماء الشيء دون اسمه الاخر وربما حصلت رعاية السجع والمقلوب
والجنس وسائر اصناف البديع مع بعض اسماء الشيء ولا يحصل مع الاخر الثاني التمكن من تادية المقصود باحدى العبارتين
عند الغفلة عن الاخرى واما الثاني وهو السبب الاكثري فيجوز ان يصطلح الواحد فيتباين على اسم للشيء غير الاسم الذي
اصطلحت عليه القبيلة الاخرى ثم يشتهر الوضعان بعد ذلك البحث الثالث انه هل يصح اقامة كل واحد من المترادفين مقام
الاخر والاقرب الا الظاهر في بادي الراي ذلك لان المترادفين هما اللذان يفيد كل منهما عين فائدة الاخر فلما صح ان يضم المعنى المدلول
عليه باحد اللفظين الى معنى اخر فلا بد وان يصح ضمه الى ما يدل عليه باللفظ الثاني لان صحة الاقتران من عوارض المعاني وفيه
نظر لان صحة الاقتران كما يكون من عوارض المعاني يكون من عوارض الالفاظ فانك لو بدلت لفظة من بمرادفها من الفارسية لم يصح فكان هذا الامتناع من قبل
الالفاظ ايضا قال الامام فخر الدين واذا عقل ذلك في لغتين فلم لا يجوز مثله في لغة واحدة والحق انه يصح اقامة احد المترادفين
مقام الاخر بشرطين احدهما ان يكونا من لغة واحدة والثاني ان يتساويا في فهم المعنى منهما حال التخاطب بهما او تغيرا من التساوي
ترتيب اذا كان احد المترادفين اظهر في الاستعمال عند قوم كان الجلي بالنسبة الى الخفي شرحا له وربما انعكس الامر بالنسبة
الى قوم اخرين البحث الرابع في اقسام التوكيد المؤكد اما ان يكون متقدما على المؤكد او متاخرا عنه والاول كصيغة ان
وما في حكمها مما يدخل على الجمل واما الثاني فاما ان يؤكد الشيء بنفسه او بغيره والاول كقوله عليه السلام والله لاغزون قريشا
ثلثا والثاني اما ان يختص بالمفرد كلفظ النفس والعين او المثنى ككلا وكلتا او الجمع كاجمعون واكتعون ابتعون ابصعون و
كل في هذا الباب البحث الخامس في حسن استعماله والخلاف فيه مع الملحدة الطاعنين في الوحي والنزاع اما في الجواز وهو معلوم
بالضرورة لان شدة اهتمام القائل بالكلام يدعوه الى تاكيده واما في الوقوع وهو ايضا معلوم من اللغات بعد تصفحها وهو وان
كان حسنا الا انه اذا تعارض حمل الكلام على التاكيد او على فائدة زائدة وجب صرفه الى الفائدة الزائدة الفصل الخامس
في المشترك وفيه ابحاث البحث الاول في حقيقته وامكانه ووجوده اما حقيقته فهو اللفظ الواحد الموضوع لحقيقتين مختلفتين
او اكثر وضعا اولا من حيث هو كذلك وقولنا موضوع لحقيقتين مختلفتين احترز عن الاسماء المفردة وقولنا وضعا اولا احترز
عما يدل على الشيء بالحقيقة وعلى غيره بالمجاز وقوله من حيث هو كذلك احترز عن اللفظ المتواطي فانه يتناول الماهيات المختلفة لكن
لا من حيث هي مختلفة بل من حيث انها مشتركة في معنى واحد واما امكانه ووجوده فلان الوضع تابع لغرض المتكلم وقد يكون
للانسان غرض في تعريف غيره شيئا على التفصيل وقد يكون غرضه تعريفه على سبيل الاجمال بحيث يكون ذكره بالتفصيل سببا للمفسدة
الثاني انه ربما لا يكون المتكلم واثقا بصحة الشيء على التعيين الا انه يكون واثقا بصحة احد المعنيين لا محالة فحينئذ يطلق اللفظ المشترك
كيلا يعد بتصريحه باحد المعنيين كاذبا ويكون جاهلا الثالث انه يجوز ان يضع احد قبيلتين ذلك اللفظ لمعنى ثم تضعه قبيلة

انما ذلك يكون من عوارض المعنى

اخرى لمعنى اخر ثم يشتبه الوضعان ويخفى كونه موضوعا لهما واما وجوده فهو معلوم بالضرورة انه من خواص اللفظ المشترك انه اذا
اطلق لم يتبادر الذهن الى احد مفهوميه دون الاخر بل يبقى الذهن عند سماعه مترددا في تعيين المراد منه الى ظهور القرينة المعينة
له وذلك ظا الوجود كلفظ القرء للحيض والطهر وان كان ذلك قد يختلف بحسب كثرة الاستعمال في احد المعنيين وقلته الا
انه يكفينا في ذلك تردد بعض الاذهان فيه **البحث الثاني** في اقسامه مفهوما اللفظ المشترك اما ان يكونا متباينين او
متواصلين والاول كالطهر والحيض والثاني اما ان يكون احدهما جزءا من الاخر او لا يكون والاول كالممكن لغير الممتنع ولغير
الضروري والثاني اما ان يكون احدهما علة للاخر او صفة له والاول كلفظ الواجب للواجب بالذات والواجب بالغير والثاني
كلفظ الاسود لذي السواد المسمى اسود **تنبيهان** احدهما اذا ثبت ذا السواد المسمى اسود الحبشي يشاركه في لونه كان اطلاق
لفظ الاسود عليهما من تلك الجهة بالتشكيك وان اعتبر من جهة اسمه كان مقولا عليهما بالاشتراك الثاني قال فخر الدين رحمه الله
النقيضان لا يجوز ان يوضع لهما لفظ واحد لان المشترك لا يفيد الا التردد وهو بين النفي والاثبات امر حاصل معلوم لكل
احد وفيه نظر لان الاسباب التي ذكرنا انه يجوز ان يكون اسبابا لوضع اللفظ المشترك لا يفيد الا التردد وهو بين النفي والاثبات
امر حاصل معلوم لكل احد وفيه نظر لان الاسباب التي ذكرنا انه يجوز ان يكون اسبابا لوضع اللفظ المشترك عامة لا تخص بعض
المعاني دون البعض لانه اذا جاز وضع اللفظ الواحد للمعنى وضده الذي هو في قوة نقيضه كالقرء للحيض والطهر اذا كان المحل لا يخلو
عن احدهما والترديد بينهما معلوم لكل احد فلم لا يجوز مثله في النقيضين والله اعلم **البحث الثالث** في اسبابه اما اسباب
وجوده فيشبه ان يكون السبب الاكثري فيه هو ان يضعه كل واحدة من قبيلتين لمعنى ثم يشيع الوضعان ولا يتميزان واما
السبب الاقلي فان يضعه واحد لمعنيين لغرض التكلم بالمجمل وقد قرر ان التكلم باللفظ المجمل من مقاصد العقلاء واما السبب الذي
يعرف به وجوده فاما تصريح اهل اللغة بذلك او دليل تساوي المفهومين بالنسبة الى السامع عند اطلاق اللفظ وتردد ذهنه في انهما
المراد بعد العلم بالوضع لهما **البحث الرابع** في انه هل يجوز استعمال اللفظ المشترك في معانيه على الجمع ام لا يجوز ذلك الشافعي
وابو بكر الباقلاني وابو علي الجبائي والقاضي عبد الجبار وقد منع منه ابو هاشم وابو الحسين البصري والكرخي ثم منهم من منع منه
لامر يرجع الى القصد ومنهم من منع منه لامر يرجع الى الوضع وهو اختيار الامام فخر الدين رحمه الله حجة المجوزين من وجهين احدهما ان
الصلوة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ثم ان الله تعالى اراد بهذا اللفظ كلا معنييه في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي الثاني
قوله تعالى ويسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم الاية والسجود هاهنا مشترك بين الخشوع لانه هو المتصور
من الملائكة وبين وضع الجبهة على الارض في حق الناس وبين شهادة الحال بالحاجة الى الصانع لانه هو المتصور من الجمادات ثم ان الله
تعالى اراده بكل معانيه في هذه الاية حجة المانعين ان المجموع غير كل واحد فالواضع اذا وضع لفظا لمعنيين على الانفراد فاما ان يضعه
مع ذلك للمجموع ايضا او لا يضعه فان لم يضعه لكان استعماله فيه استعمالا للفظ في غير ما وضع له وانه غير جائز وان وضعه له فاذا
استعمله فيه فاما ان يستعمله فيه لافادته بانفراده فيكون ذلك استعمالا للفظ في احد مفهوماته لا في كلها وان استعمله لافادة مجموع
الافراد فهو محال لان استعماله لافادة المجموع يستلزم عدم الاكتفاء بكل واحد من الافراد واستعماله لافادة الافراد يستلزم الاكتفاء
بكل واحد من الافراد مع عدم الاكتفاء بكل واحد منها ثم لا يجتمعان واقول ان محل النزاع في هذا البحث غير ملخص فانه ان اريد
انه يجوز استعماله في مدلوليه على الجمع مطابقة فليس بحق لما يلزم المستعمل له من التناقض في القصد الى المجموع والى الافراد
وان اريد انه يجوز استعماله فيهما على الجمع لافادتهما كيفما اتفق فذلك جائز اذ يصح استعماله في المجموع مطابقة مع دلالتها على الافراد
تضمنا وقول المانع انه اذا لم يكن الواضع وضع اللفظ للمجموع كما وضعه للافراد امتنع استعماله فيه ان اراد به حقيقة فهو حق وان
اراد انه يمتنع استعماله فيه مجازا فهو ممنوع واما حجة المجوزين فضعيفة اما الاولى فلان ضمير الجمع في قوله تعالى
يصلون بمنزلة الضمائر المتعددة المقتضية للافعال المتعددة التي يراد بكل واحد منها معنى غير ما يراد بالاخر والتقدير ان الله يصلي
وملائكته تصلي واما الثانية فلان المعطوفات المتعددة تستدعي تقدير الافعال فتقديره ولله يسجد من في السموات
من في الارض اي ويسجد من في الارض وكذا الباقي والمراد بكل منها المعنى الذي تقتضيه القرينة ثم لو سلمنا انها استعملت في كل
مفهوماتها لكنه يكون مجازا والا لزم التناقض كما هو مذكور في حجة المانعين وبالله التوفيق **البحث الخامس** فيما يتعين به المراد
من الالفاظ باللفظ المشترك ان لم تقترن به قرينة تخصص احد معنييه بالمراد به بقي مجملا وان وجدت قرينة فاما
ان تقتضي الاعتبار او الالغاء وعلى التقديرين فاما لكل المسميات او لبعضها فهذه اقسام اربعة فالاول ان تفيد اعتبار كل واحد
فتلك المسميات اما ان تكون متنافية بحيث لا يمكن الجمع بينها فيبقى اللفظ مجملا الى ظهور المرجح وان لم تكن متنافية حمل اللفظ على
مجموعها مجازا الثاني ان تفيد الغاء كل واحد فيحمل اللفظ على مجازات تلك الحقائق الملغاة ثم اما ان يكون لبعض تلك

الحقائق راجح من بعض ولم يقم الدليل على عدم ارادتها ولا يكون فان كان الاول فمجازاتها اما ان يتساوى في القرب من الحقائق
فيتعين حمل اللفظ على مجاز الحقيقة الراجحة او يتفاوت المجازات فان كان الراجح منها هو مجاز الحقيقة الراجحة تعين الحمل عليه
او مجاز الحقيقة المرجوحة فيقع التعارض بينه وبين مجاز الحقيقة الراجحة لاختصاص كل منهما بنوع ترجيح الى ان يظهر مرجح اخر
واما ان تتساوى الحقائق وان اختلفت مجازاتها فالاقرب البعد منها حمل اللفظ على المجاز الاقرب وان لم يختلف بل تساوت
بين مجازات تلك الحقائق وتساوي حقائقها الى ان يظهر الترجيح الثالث ان تفيد الغاء البعض فان كانت اللفظة مشتركة
بين معنيين فقط تعين الحمل على الثاني وان كانت لاكثر من معنيين تفيد الغاء بعضها ان كان الباقي واحدا تعين الحمل عليه
او اكثر من واحد فيبقى اللفظ مجملا فيها الرابع ان تفيد اعتبار البعض فيتعين الحمل عليه سواء كانت اللفظة لمعنيين او اكثر

القسم الاول في كيفيات تلحق الالفاظ بالنسبة الى بعضها مع معانيها فتوجب لها الحسن والتزيين وتعدها تمام الاعداد
لاداء المعاني وتهيئ الذهن للقبول وهو مرتب على مقدمة وجملتين **اما المقدمة** ففيها بحثان **البحث الاول** في حد
البلاغة والفصاحة اما البلاغة فهي مصدر قولك بلغ الرجل بالضم اذا صار بليغا وهو ان يبلغ بعبارته اقصى مراده باللفظ
من غير ايجاز مخل ولا تطويل ممل واما الفصاحة فهو خلوص الكلام من التعقيد واصله من الفصيح وهو اللبن اذا اخذت
رغوته وذهب لباؤه وقد فصح وافصح اذا صار كذلك وافصحت الشاة فصح لبنها ثم قالوا افصح العجمي فصاحة فهو فصيح اذا تخلصت
لغته عن اللكنة واللحن ثم ان الفصاحة عند اربابها ليست باستعمال الشوارد لانها لا تفهم وانما هي باستعمال ما يقرب فهمه ويلذ
استماعه ويعجب ابتداعه وتدل مطالعه على مقاطعه وتنم مباديه على تواليه واكثر البلغاء لا يكادون يميزون بين البلاغة
والفصاحة بل يستعملونهما استعمال اللفظين المترادفين على معنى واحد ومنهم من يجعل البلاغة في المعاني والفصاحة في
الالفاظ والاقرب ان الفصاحة سبب للبلاغة والبلاغة اتم منها لانه قد يبلغ غير الفصيح بعبارته اقصى مراده ومساويه في
عرف العلماء وتلخيص مفهوميهما ان الفصاحة هي خلوص الكلام في دلالته على معناه من التعقيد الموجب لقرب فهمه ولذاذة
استماعه والبلاغة هي كون الكلام الفصيح موصلا للمتكلم الى اقصى مراده وبالله التوفيق **البحث الثاني** في موضوع علم الفصاحة
والبلاغة لما كان المقصود من الكلام هو افادة المعنى وكانت هذه الافادة كما علمت قد تكون وضعية صرفة وقد تكون بمشاركة
من الوضع والعقل فنقول موضوع علم الفصاحة هو الكلام الدال على معناه باحدى الدلالات الثلث من حيث هو على حالة
موجبة لقرب فهمه ولذاذة استماعه وموضوع البلاغة هو الكلام الفصيح وقال الامام ان الفصاحة والبلاغة انما يكون موضعهما
الكلام من جهة دلالته بالالتزام وذلك لان الافادة الوضعية يستحيل تطرق الزيادة والنقصان اليها فان السامع للفظ الموضوع
ان كان عالما بكونه موضوعا لمعناه فهمه منه تماما وان لم يكن عالما بالوضع لم يتصور منه شيئا مثاله انك اذا اردت تشبيه زيد
بالاسد في الشجاعة وقصدت التعبير عن هذا المعنى بالدلالة الوضعية فقلت زيد يشبه الاسد في شجاعته فالزيادة والنقصان
في هذه الافادة بما يعود الى مفردات هذه الالفاظ غير متصورين ولو اقمت مقام هذه الالفاظ ما يرادفها فالحال كذلك للدليل
المذكور فتبين من هذا ان الايجاز والاختصار والحذف والاضمار يستحيل تطرقها الى الدلالات الوضعية ولهذا كان اكثر ما
يستعمل في العلوم العقلية الدلالات الوضعية لعدم احتمالها الزيادة والنقصان الموجبين للغلط والشبهة واما الافادة الاخرى
فلاجل ان حاصلها يعود الى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ الى ما يلازمه ثم ان اللوازم كثيرة وهي تارة تكون قريبة وتارة تكون
بعيدة فلاجرم صح تادية المعنى الواحد بطرق كثيرة وصح في تلك الطرق ان يكون بعضها اكمل في افادة ذلك المعنى وبعضها انقص
فهذا ما يتعلق بالفصاحة من جهة المفردات واقول ان التحقيق يقتضي ان الزيادة والنقصان مما يتطرقان الى الافادة الوضعية
ايضا فان الامام سلم ان بعض الحروف اخف جرسا والذ سماعا كالعين وبعضها اسهل على اللسان كحروف الذلاقة وبعضها اثقل
ولا شك ان الكلام المركب من اسهل الحروف والذها سماعا اخف والذ سماعا عند النفس مما لا يكون كذلك وسلم ايضا ان الاخف
ادل على المعنى الى قبول النفس له مما لا يكون كذلك وليس يتوقف العلم بالوضع فاذا ثبت فيما ذكرناه لان الانسان قد يسبق علمه بوضع
اللفظ ثم يذهل عنه فعند سماعه يجد نفسه مسارعة الى قبول المعنى من الافصح دون غيره وملتذة بسماعه بسبب فصاحته ولا
معنى لزيادة الافادة ونقصانها الا ما يحصل للنفس من اللذة بالمعنى والمسارعة الى قبوله بما سمعه من اللفظ الاسهل والله اعلم واما
البلاغة العائدة الى النظم والتركيب فتحقيق القول فيها ان الكلام المنظوم لا محالة مركب من المفردات والمفردات يمكن تركيبها
على وجه لا يفيد المقصود وقد يمكن تركيبها على وجه يفيده ثم التركيب المفيد مراتب كثيرة ولها طرفان ووسط فالطرف الاعلى
هو ان يقع ذلك التركيب على وجه يمتنع ان يوجد ما هو اشد تناسبا واعتدالا منه في افادة ذلك المعنى والطرف الادنى
هو ان يقع على وجه لو صار اقل تناسبا منه لخرج عن كونه مفيدا لذلك المعنى وبين هذين الطرفين مراتب واختيار احسنها يقتضيه

الفصاحة في النظم وهذا معنى قول عبد القاهر الجرجاني ان النظم عبارة عن توخي معاني النحو فيما بين الكلم اذا ثبت هذا فنقول اما
الطرف الادنى فليس من البلاغة في شيء واما ساير المراتب فان كل واحد منها اذا اعتبرتها بالنسبة الى ما تحته يكون مستلزما
للبلاغة والفصاحة واما الطرف الاعلى وما يليه فهو المعجز فهذا هو التحقيق في البلاغة والفصاحة في المفردات والمركبات

الجملة الاولى في المفردات وفيها مقدمة وابواب **اما المقدمة** فاعلم ان للاشياء في الوجود اربع مراتب الاول و
جودها وتحققها في الاعيان الثاني وجودها في الذهن الثالث وجودها في اللفظ الدال على ما في الذهن الرابع وجودها
في الكتابة الدالة على ما في اللفظة وعزيز الكلام في الحسن تارة تكون بسبب الكتابة وتارة تكون بسبب اللفظ من حيث له الدلالة
الوضعية وتارة بحسبه من حيث له الدلالة الالتزامية ولما كانت المحاسن العائدة الى الكتابة لا تخلو عن تكلف ما وكان الكلام
الذي نحن بصدد شرحه بريئا عن التكلف خاليا عن جهات التعسف لاجرم كان ذكرنا لها قليل الجدوى فلذلك تركناه

الباب الاول في المحاسن العائدة الى اللفظ من حيث هو لفظ واعلم ان المحاسن العائدة الى اللفظ اما ان تعود الى افراد الحروف
او الى حال تركيبها او الى الكلمة الواحدة او الى الكلمات الكثيرة فلا جرم اشتمل هذا الباب على فصلين **الفصل الاول** فيما يتعلق بافراد
الحروف وتركيبها وحال الكلمة وفيه ابحاث **البحث الاول** في مخارج الحروف وهي ستة عشر ا اقصى الحلق وهو مخرج ثلثة حروف الهمزة
والالف والهاء ب وسط الحلق وهو مخرج الحرفين العين والحاء ج ادناه الى الفم وهو مخرج للغين والخاء د اقصى اللسان
فما فوقه من الحنك وهو مخرج القاف هـ اسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك وهو مخرج الكاف
و من وسط اللسان بينه وبين الحنك وهو مخرج الجيم والشين والياء ز اول حافة اللسان وما يليها من الاضراس وهو
مخرج الضاد ح حافة اللسان من ادناه الى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الاعلى فما فويق الضاحك والناب
والرباعية والثنية وهو مخرج اللام ط من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون ي مخرج الراء وهو عند انه
ادخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام وهو مخرج الراء يا فيما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الطاء والتاء و
الدال يب فيما بين طرف اللسان واطراف الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد يج فيما بين طرف اللسان والطرف الادنى
من الثنايا مخرج الظاء والثاء والذال يد من باطن الشفة واطراف الثنايا العليا مخرج الفاء يه ما بين الشفتين مخرج
الباء والميم والواو يو من الخياشيم مخرج النون الخفيفة قال الخليل الذلاقة في النطق انما هي بطرف اسلة اللسان وذلق اللسان
تحديد طرفه كذلق السنان فالذي ينطق بطرف سنان اللسان الاسلة اخرى وهي الراء واللام والنون فلذلك سمي هذه
حروف الذلاقة ويلحق بها الحروف الشفهية وهي ثلثة الفاء والباء والميم قال ولما ذلقت هذه الحروف وسهلت على اللسان في
المنطق كثرت في ابنية الكلام فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها فان وردت عليك كلمة خماسية او رباعية معراة عن حروف
الذلاقة او عن الحروف الشفهية فاعلم ان تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب وقال ايضا العين والقاف لا يدخلان
في بناء الا حسنتاه لانهما اطلق الحروف اما العين فانصع الحروف جرسا والذها سماعا واما القاف فامتن الحروف واصحها جرسا
فاذا كانتا او احديهما في بناء حسن البناء وكذلك السين والدال في البناء اذا كانت اسما لان الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها
وارتفعت عن خفوت التاء فصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك قال والهاء يحتمل في البناء لينها وهشاشتها
ولا بد من رعاية هذه الاعتبارات ليكون الكلام سلسا على اللسان وهي كالشرط للفصاحة والبلاغة **البحث الثاني**
في المحاسن بسبب افراد الحروف وشرط تركيبها اما الاول فمنها الحذف وهو ان يحترز عن حرف او حروف في الكلام اظهارا للمهارة
في تلك الصنعة كان واصل الثغ وكان يحترز عن الراء فجرت فيه انه كيف يعبر عن معنى قولنا اركب فرسك واطرح رمحك فقال الق
قناتك والحق واعل جوادك والحريري بلغ الغاية حيث ذكر اشعارا حذف عنها الحروف المنقوطة واشعارا حذف عنها غير المنقوطة
ومنها الاعنات وهو التزام حرف قبل حرف الروي والردف من غير ان يجب في ذلك السجع كقوله فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل
فلا تنهر وقول علي عليه السلام في مدح النبي بلغ عن ربه معذرا ونصح لامته منذرا واما الثاني فالشرط ان يكون التركيب معتدلا
فان من التركيب ما يكون متنافرا كقوله وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر وان يكون خفيفا فان منه ما
ما يكون ثقيلا وان كان دون الاول كقول ابي تمام كريم متى امدحه امدحه والورى جميعا ومهما لمته لمته وحدي
ومنها ما يكون فيه بعض الكلفة الا انه لا يبلغ ان يعاب والسبب في هذا التنافر اما تقارب مخارج الحروف فيحتاج فيها الى حبس
الصوت في زمانين متلاصقين فلا يظهر الحرف الاول واما وجوب العود الى ما منه الابتداء كقولهم الهعخع وهذه الاسباب ربما
كما تترتب في جانب الثقل فهي موجودة في جانب السلاسة حتى ان الكلمة تكون في غاية السلاسة **البحث الثالث** فيما يتعلق
بالكلمة الواحدة وهو من وجهين الاول ان تكون متوسطة في قلة الحروف وكثرتها فاما الحرف الواحد فلا يفيد وانما المركب عن

الحرفين فليس في غاية البعد ولا قريبا بالغ في ذلك الثلاثيات لاشتمالها على المبدأ والوسط والنهاية وعلى ذات الصوت من عوارض الحركة والحركة لابد لها من هذه الثلاثة فمتى ظهرت هذه الثلاثة فيها كان الكلام أسهل جريانا على اللسان فأما الرباعيات والخماسيات فلا يخفى ثقلها لزيادتها على الدرجات الثلاث التي يتعلق بها كمال الصوت الثاني الاعتدال في حركات الكلمة فإن توالي خمس حركات كان ذلك في غاية الخروج عن الوزن ولذلك لا يحتملها الشعر وأما أربع حركات فهي في غاية الثقل بل المعتدل توالي حركتين بينهما سكون وإن كان ولابد فإلى ثلاث حركات **الفصل الثاني** فيما يتعلق بالكلمات المركبة وفيه نوعان **النوع الأول** ما يكفي في تحققه اعتبار حال كلمتين وفيه أربعة أبحاث **البحث الأول** في التجنيس المتجانسان إن تركبا من مفردين فإن تساويا في نوع الحروف والحركات وعددها وهيئاتها فهو التجنيس التام كقولهم حديث حديث وكقولهم ولا ملاء الواحد من اسقوطها لواحد وإن اختلفا فأما في هيئة الحركة كقولهم جبة البرد جنة البرد أو في الحركة والسكون كقولهم البدعة شرك الشرك أو في التخفيف كقولهم الجاهل إما مفرط وإما مفرط ويسمى ذلك التجنيس الناقص أو في أعداد الحروف بأن تتساوى الكلمتان في نفس الحروف وهيئاتها ثم تزيد في إحداهما حرف ليس في الأخرى ويسمى المذيل فأما في أول الكلمة كقوله تعالى والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق أو في وسطها كقولهم كبد كبيدا أو في آخرها كقول بعضهم فلان سال من أحزانه سالم من زمانه وقول أبي تمام يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب وأما أن يختلفا في أنواع الحروف وتلك قد يكون بحرف واحد وقد يكون بحرفين ويسمى المضارع والمطرف وما به الاختلاف قد يكون في أول الكلمة كقولهم بيني وبينهم ليل دامس وطريق طامس أو في وسطها من حرفين متقاربين كقولهم ما خصصتني ولكن خسستني وفي آخرها كقول النبي ﷺ الخير معقود بنواصي الخيل وقد يكون الاختلاف بحرفين غير متقاربين وهو إما في أول الكلمة كقوله تعالى وإذا جاءهم أمر من الأمن أو في وسطها كقوله تعالى وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد أو في آخرها كقول الحريري لا أعطي زمامي من يخفر ذمامي ثم المتجانسان إما أن يكون بعضهما في مقابلة البعض حال التسجيع فهو ظاهر أو يضم بعضها إلى بعض في أواخر الأسجاع ويسمى مزدوجا ومكررا كقولهم النبيذ بغير نغم غم وبغير دسم سم وكقولهم من طلب وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج ومن التجنيس ما يكون بالإشارة دون التصريح كقولهم حلقت لحية موسى باسمه وبهرون إذا ما قلبا وقد يكون التجنيس بحيث يجاذبه احتمالان ويسمى المشوش كقولهم فلان مليح البلاغة كامل البراعة فلو اختلفت عينا الكلمتين كان مصحفا ولو اتفقت لاماهما كان مضارعا وأما إن كان المتجانسان مركبين فأما أن يكونا متشابهين خطا فقط دون اللفظ ويسمى المصحف كقول علي رضي الله عنه قصر ثيابك فإنه أبقى وأتقى وأنقى وكقولهم غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك تهدأ بهذا أو لفظا فقط ويسمى المركب كقوله كلكم قد أخذ الجام ولا جام لنا ما الذي ضر مدير الجام لو جاملنا أو خطا ولفظا ويسمى المفروق كقوله إذا لم يكن ملك ذا هبة فدعه فدولته ذاهبة **البحث الثاني** في الاشتقاق وأما الاشتقاق فهو أن تأتي بألفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة كقوله تعالى فأقم وجهك للدين القيم وقول النبي ﷺ الظلم ظلمات يوم القيامة وقول علي رضي الله عنه جاهل خابط جهالات عاش ركاب عشوات وأما ما يشبه المشتق كقوله تعالى وجنى الجنتين دان وقال إني لعملكم من القالين **البحث الثالث** في رد العجز على الصدر ورسمه أنه كل كلام وجد في نصفه الأخير لفظ يشبه لفظا موجودا في نصفه الأول وله عدة أقسام أ أن يتفق لفظا الصدر والعجز صورة ومعنى ويكونان طرفين الأول في أول الكلام والثاني في آخره كقولهم الحيلة ترك الحيلة وقولهم القتل أنفى للقتل وكقول القائل سكران سكر هوى وسكر مدامة أنى يفيق فتى به سكران ب أن يتفقا صورة لا معنى وهما طرفان كقوله ليت من يجنيها المنايا ويبقى من عطيتها البنات ج بالعكس ويكونان طرفين أيضا كقول عمر بن أبي ربيعة واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد د أن يتفقا في الاشتقاق لا في الصورة وهما طرفان أيضا كقول البحتري ضرائب أبدعتها في السماح فلسنا نرى لك فيها ضريبا هـ أن يتفقا صورة ومعنى ويكون أحدهما حشوا في صدر البيت والآخر طرفا في عجزه كقول أبي تمام ولم يحفظ مضاع المجد شيء من الأشياء كالمال المضاع و أن يتفقا كذلك ويتفقا صورة لا معنى كقول بعضهم لو كان أدنى أن يتيم صبا بأصيد أهلها فاصطاده أدنى نهار ز أن يتفقا كذلك ويتفقا معنى لا صورة كقول امرئ القيس إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان ح أن يتفقا طرفين في أجزاء الصدر والعجز ويتفقا صورة ومعنى كقول أبي تمام ومن كان بالبيض الكواعب مغرما فما زلت بالبيض القواضب مغرما ط أن يتفقا كذلك ويتفقا صورة لا معنى كقول الحريري فمشغوف بآيات المثاني ومفتون برنات المثاني ي أن يتفقا كذلك ويتفقا في الاشتقاق ويختلفا في الصورة كقول البحتري فعلت أن سألت لنا مطيع وقولك إن سألت لنا مطاع يا أن يتفقا في شبه الاشتقاق ويختلفا صورة ومعنى كقول الحريري ومضطلع بتلخيص المعاني ومطلع إلى تخليص عاني يب أن يقع أحدهما في أول العجز والثاني في آخره كقول الحماسي

ان لم يكن الا معرج ساعة قليلا فانني نافع لي قليلها ... ان ينفعا ويلتقيا في الاشتقاق دون الصورة كقول ابي تمام
فتى بالثرى من كان يحيى بر الورى ويغمره صرف الدهر نائله الغمر وبعد هذه الاقسام اقسام اخر لهذا النوع وفيما ذكرناه
كفاية **البحث الرابع** في القلب وهو اما في كلمة او كلمات والاول فاما ان يتقدم كل واحد من حروفها على ما كان متأخرا
منه ويسمى مقلوب الكل كالفتح والحتف وفي قوله حسامك فيه للاحباب فتح ورمحك فيه للاعداء حتف ثم ان وقع مثل
هاتين الكلمتين على طرفي البيت سمي مقلوبا مجنحا كقوله ساق هذا الشاعر الحسين الى من قلبه قاسي سار نحو القوم
فالهم علينا حبل رامي ويكون بعض حروفها كذلك فيسمى مقلوبا للبعض كقوله عليه السلام اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا
واما في الكلمات بحيث يكون قرائتها من اولها كقرائتها من اخرها فكقول الجريري اس ارملا اذا عرا وارع اذا المرء اسا **النوع
الثاني** ما يحتاج الى زيادة من كلمتين وفيه ابحاث **البحث الاول** في السجع وهو ثلثة اقسام **احدها** المتوازي
وهو ان تتساوى الكلمتان في عدد الحروف ونوع الحرف الاخير كقول علي ع كثرة الوفاق نفاق وكثرة الخلاف شقاق
وكقوله عليه السلام في اهل البصرة عهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق **وثانيها** المطرف وهو ان يختلفا
في العدد ويتفقا في الحرف الاخير كقوله لا هم صد عن انفراجها ولام بينها وبين ازواجها **وثالثها** المتوازن وهو ان يتفقا
في عدد الحروف ولا يتفقا في الحرف الاخير كقول علي عليه السلام الحمد لله غير مفقود الانعام ولا مكافؤ الافضال ويعرف
المتكلف من السجع بامرين احدهما ان يكون الحرف الاخير مما يحتاج اليه للتقفية لا للمعنى الثاني ان يترك معناه الاول لاجل
التقفية **البحث الثاني** في تضمين المزدوج وهو ان يجمع المتكلم بعد رعاية السجع في اثناء القراين بين لفظين متشابهين
في الوزن والروي كقوله تعالى وجئتك من سبا بنبا يقين وقوله صلى الله عليه واله المؤمنون هينون لينون وكقول
علي عليه السلام كثرة الوفاق نفاق **البحث الثالث** في الترصيع وهو ان يتساوى وزن الالفاظ ويتفق اعجازها كقوله
تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقول علي عليه السلام علا بحوله ودنا بطوله مانح كل غنيمة وفضل كاشف
كل عظيمة وازل وقوله في صفة الدنيا اولها عناء واخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب وقد يجيء مع التجنيس
كقوله عليه السلام في كتاب الله بيت لا تهدم اركانه وعز لا تهزم اعوانه **الباب الثاني** فيما يتعلق بالدلالة الوضعية اللفظية
اعلم ان البحث عن حسن الدلالة اللفظية يرجع الى اشتراط اربعة امور الاول ان تكون الكلمة عربية غير مولدة ولا اضافة عن خطا
العامة الثاني ان يكون اجرى على مقاييس العرب وقوانينها الثالث المحافظة على قوانين النحو الرابع الاحتراز عن الالفاظ الغريبة
الوحشية ولذلك كانت في الكتاب العزيز نادرة واما الكلام في الدلالة المعنوية فاعلم انه لما كانت الالفاظ المفردة لا تستعمل
لافادة مدلولاتها الا لتزامنه الا عند التركيب وكان الاصل في اصناف التراكيب هو الخبر وهو الذي يتصور بالصور الكثيرة
وتظهر فيه الاسرار العجيبة من علم المعاني والبيان راينا ان نشير الى قدر من مباحثه قبل الخوض في ساير الاقسام وقد رتبنا
هذا الباب على فصول **الفصل الاول** في احكام الخبر وفيه ابحاث **البحث الاول** في رسم الخبر وقد رسم بانه القول الذي
يقال لقائله انه صادق فيما قاله او كاذب واورد الامام فخر الدين عليه شكا فقال الصدق والكذب لا يمكن تعريفهما الا
بالخبر اذ يقال في الصدق انه الخبر المطابق وفي الكذب انه الخبر الغير المطابق وتعريف الخبر بهما دور واجاب افضل المتأخرين نصير
الدين الطوسي ابقاه الله عنه فقال الحق ان الصدق والكذب من الاعراض الذاتية للخبر فتعريفه بهما رسمي اورد تفسير الاسم
وتعيينا للمعنى من بين ساير المركبات ولا يكون ذلك دورا لان الشيء الواضح بحسب ماهيته ربما يكون ملتبسا في بعض
المواضع بغيره ويكون ما يشتمل عليه من اعراضه الذاتية لعينه عن التعريف او غيرها مما يجري مجراها عاريا عن الالتباس
فايراده في الاشارة الى تعيين ذلك الشيء انما يخصصه ويجرده عن الالتباس وانما يكون دورا لو كانت تلك الاعراض ايضا
مفتقرة الى البيان بذلك الشيء وههنا انما يحتاج الى تعيين صنف واحد من اصناف المركبات فيه اشتباه لا انه متعين
بعد ولبس في الصدق والكذب اشتباه فيمكننا ان نقول انا نعني بالخبر التركيب الذي يشتمل حد الصدق والكذب عليه
كما لو وقع اشتباه في معنى الحيوان فيمكننا ان نقول انا نعني به ما يقع في تعريف الانسان موقع الجنس ولا يكون دورا وقيل في
تعريفه ايضا انه القول المقتضي بصريحه اسناد امر الى امر بالنفي او الاثبات واما تسمية النحاة احد جزئي الخبر خبرا فمجاز **البحث
الثاني** انه ليس الغرض الاول من وضع الالفاظ المفردة افادتها لمسمياتها المفردة بيان ذلك ان افادتها لها موقوفة على العلم
بكونها موضوعة لها وهو مستلزم للعلم بها قبل الوضع فلو توقفت افادتها على الوضع لزم الدور وانه محال بل الغرض
الاول منها تمكن الانسان من تفهيم ما يتركب من تلك المسميات بواسطة تركيب تلك الالفاظ المفردة لا يقال ما ذكرتموه
قائم بعينه في المركبات لان اللفظ المركب لا يفيد مدلوله الا عند العلم بكون تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعاني فلو

استفدنا العلم بتلك المعاني من تلك الالفاظ لزم الدور لانا نقول لا نم ان الالفاظ المركبة لا تفيد مدلولها الا عند العلم
بكون الالفاظ المركبة موضوعة له بيان ذلك انا متى علمنا وضع كل واحد من تلك الالفاظ المفردة لكل واحد من تلك المعاني
المفردة فاذا توالت الالفاظ المفردة بحركاتها المخصوصة على السمع ارتسمت المعاني المفردة في الذهن مستلزما للعلم بنسبة بعضها
الى بعض استلزاما عقليا وذلك هو التركيب فظهر ان استفادة العلم بالمعاني المركبة لا يتوقف على كون الالفاظ المركبة موضوعة
لها وبالله التوفيق **البحث الثالث** في الفرق بين الاخبار بالاسم والاخبار بالفعل قد عرفت ان الفعل مشعر بالزمان المعين دون
الاسم فلذلك ظهر الفرق بين الاخبار به والاخبار بالاسم فانك اذا قصدت بالاخبار الاثبات المطلق غير المشعر بالزمان وجب
ان تخبر بالاسم كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه اذ ليس الغرض الا اثبات البسط لذراعي الكلب فاما تعريف زمان ذلك فغير مقصود
فاما ان قصدت الاشعار بزمان ذلك الثبوت فالصالح له هو الفعل كقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض
فان تمام المقصود انما يحصل بكونه معطيا في كل حين واوان لا بمجرد كونه معطيا **البحث الرابع** في حكم المبتدا والخبر
متى اجتمعت الذات والصفة فالذات اولى بالمبتدائية والصفة اولى بالخبرية ثم اما ان يكون الامر في اللفظ كذلك او بالعكس اما الاول
فاما ان لا يدخل لام التعريف في الخبر كقولك زيد منطلق وذلك يفيد ثبوت مطلق الانطلاق لزيد من غير ان يفيد دوام ذلك
الثبوت او انقطاعه او يدخله لام التعريف كقولك زيد المنطلق او زيد هو المنطلق فاللام في الخبر يفيد انحصار المخبر عنه في الخبر
ثم اما ان يكون لام العهد كما اذا اعتقدت وجود انطلاق معين ولكن لا تعلم ان المنطلق زيد او عمرو فاذا قلت زيد المنطلق يعني
ان صاحب ذلك الانطلاق هو زيد فقد انحصر ذلك الانطلاق في زيد واما لتعريف الطبيعة فيفهم منه صفة الحصر ثم هو الحصر
ان امكن ترك الكلام على حقيقته كقولك زيد هو الوفي اذا لم تظن باحد خيرا غيره والا حمل الكلام على المبالغة كقولك زيد هو
العالم وهو الشجاع لامتناع حصر الحقيقة فيه واما اذا عكس واخرت الذات عن الصفة كقولك المنطلق زيد فانك انما يقال اذا
اعتقد معتقد انك انطلقت ولكن لا يعلم تخصيصه فيقال له المنطلق زيد اي الذي تعتقد انطلاقه هو زيد ثم الضابط
ان الاخبار يجب ان يكون عما يعرف بما لا يعرف له

الفصل الثاني في الحقيقة والمجاز وفيه ابحاث

البحث الاول في معنى
الحقيقة والمجاز وحدهما الحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة من الحق وهو الثبات وسمي ما خالف المجاز حقيقة لانه مثبت معلوم الدلالة
والمجاز مفعل من جازه يجوزه اذا تعداه واذا عدل باللفظ عن وضعه اللغوي وصف بانه مجاز يعني ان الذهن انتقل من لفظه الى
المعنى غير معناه فصار موضع الانتقال والمجاوزة واما حد الحقيقة فاما في المفردات فهي كل كلمة افيد بها ما وضعت له في اصل الاصطلاح
الذي وقع التخاطب به ويدخل في ذلك الحقيقة اللغوية والعرفية والشرعية فاما في الجمل فكل جملة وضعتها على ان الحكم المفاد بها على ما هو
عليه في العقل وواقع موقعه فهي حقيقة كقولنا خلق الله العالم واما حد المجاز فاما في المفردات فهو ما افيد به معنى غير ما اصطلح
عليه في اصل المواضعة التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الاول ويدخل في ذلك المجاز اللغوي والعرفي والشرعي واما في الجمل
فكل جملة اخرج الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل بضرب من التاول فهو مجاز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها **البحث الثاني**
فيما به يتحقق المجاز لا بد من امرين احدهما ان يكون منقولا عن معنى وضع اللفظ بازائه والا لكان حقيقة الثاني ان يكون ذلك
النقل لمناسبة بينهما والا لكان في الثاني مرتجلا وبهذا يظهر الفرق بين المجاز والكذب والدعوى الباطلة وذلك لان
المبطل اذا اخرج الحكم عن موضعه واعطاه غير المستحق لم يعرف انه انما اعطاه لكونه فرعا للاصل بل يجزم بان ثبوت الحكم في ذلك الموضع ثبوت اصلي
وكذلك الكاذب يدعي ان الامر على ما وضعه وليس هو من التاويل في شيء والمجاز لم يكن مجازا الا لانه اثبات الحكم لما لا يستحقه لعلاقة
بينه وبين المستحق **البحث الثالث** في اقسام المجاز اما ان يقع في اللفظ المفرد فقط او في المركب فقط او فيهما معا مثال الاول اطلاق
لفظ الاسد على الرجل الشجاع والحمار على البليد واما الثاني فهو ان يستعمل كل واحد من الالفاظ المفردة في موضعه الاصلي لكن التركيب
لا يكون مطابقا لما في الوجود مثاله قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وقول الشاعر اشاب الصغير وافنى الكبير كر الغداة ومر العشي
وهذا المجاز عقلي لان نسبة الاخراج الى الارض والاشابة الى كر الغداة ومر العشي حكم عقلي عدل به عن الفاعل الحقيقي وهو الله
سبحانه الى غير من هو له وهو الارض والغداة والعشي مثال الثالث كقولك لمن تحبه احياني اكتحالي بطلعتك فان لفظي الاحياء
والاكتحال مفردان استعملا في غير موضوعهما الاصلي ثم نسبة الاحياء الى الاكتحال مع عدم المطابقة في نفس الامر وهذا التلخيص
لعبد القاهر النحوي **البحث الرابع** في اصناف المجاز والذي ذكره الامام فخر الدين منها اثنا عشر صنفا آ اطلاق اسم السبب
على المسبب والاسباب اربعة احدها القابلي كاطلاق اسم النظر الذي هو تقليب الحدقة نحو المرئي على الرؤية كقولك نظرته اي رايته
الثاني الغائي كتسميتهم العنب بالخمر الثالث الصوري كتسميتهم القدرة يدا الرابع الفاعلي كقولهم سال الوادي ب اطلاق
المسبب على السبب كتسميتهم المرض الشديد بالموت والاول اولى لاستلزام السبب المعين المسبب المعين من غير عكس واولى الاسباب

بذلك هو السبب الغائي لحصول علاقة العلية والمعلولية التي كل واحدة منها علة لحسن المجاز ومنه دون باقي الاسباب ج اطلاق
اسم الشيء على ما يشابهه كاطلاق لفظ الحمار على الرجل البليد وهو الاستعارة كما سيجيء بيانها د تسمية الشيء باسم ضده كتسمية
العقاب بسبب الجريمة بالجزاء المختص بمقابلة الاحسان بمثله هـ تسمية الجزء باسم الكل كاطلاق لفظ العام على الخاص و العكس
كاطلاق لفظ الاسود على الزنجي لسواد جلده والاول اولى لاستلزام الكل الجزء من غير عكس ز اطلاق ما بالفعل على ما بالقوة
كتسمية الخمر في الدن مسكرا وهو قريب من اطلاق السبب الغائي على المسبب ح اطلاق المشتق بعد زوال المشتق منه
كاطلاق لفظ ضارب على من فرغ من الضرب قد عرفت ان ذلك هل هو مجاز ام حقيقة ط اطلاق اسم المجاور على مجاوره كاطلاق
لفظ الراوية وهو الجمل الذي يحمل عليه الماء على المزادة ي اطلاق اسم الحقيقة العرفية كالدابة للفرس على الحمار وغيره مجازا
عرفيا يا المجاز بسبب النقصان والزيادة قال الامام وتحقيقه ان الكلمة كما انها توصف بالمجاز لنقلها عن معناها فقد توصف
بالمجاز لنقلها عن حكم كان لها الى حكم ليس هو بحقيقة فيه كقوله تعالى واسئل القرية والتقدير واسئل اهل القرية والذي
يستحقه في الاصل الجر والنصب فيها مجاز وعندي نظر لان الاعراب لا يراعى فيه صدق النسبة وكذبها والمطابقة وعدمها
فانك لو قلت لمست السماء وكان السماء مفعولا به للفعل المتقدم يستحق النصب حقيقة وكذا القرية ههنا تستحق النصب حقيقة
بالمفعولية اما ان النسبة في نفسها صادقة ام لا فذاك بحث اخر بل الحق انه مجاز في التركيب والنسبة فان نسبة السؤال
الى اهل القرية حقيقة فيكون اليها مجازا وان قطعنا النظر عن مباحث النحاة امكن ان يكون الحق ما قاله الامام واما
المجاز بسبب الزيادة فالحق ان الزيادة ان غيرت معنى الكلام الذي يتم بدونها ولا يحتاج فيه اليها كقوله تعالى ليس كمثله شيء
فالمجاز حاصل في النسبة اذ كانت نسبة النفي الى المثل لا الى مثل المثل وان لم تغير كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله لم يتصور المجاز ههنا يب
اطلاق اسم المتعلق على المتعلق كتسمية المقدور قدرة البحث الخامس في محل المجاز بالذات لا يدخل الا على اسماء الاجناس بيانه
اما الحرف فلان معناه في غيره فان ضم الى ما ينبغي ضمه اليه فهو حقيقة والا مجاز كان مجازا في التركيب فلم يدخله بالذات واما الفعل
فلان معناه مركب من المصدر وغيره فما لم يكن المصدر مجازا لم يكن الفعل كذلك فكان داخلا فيه بالعرض واما الاسم فاما علم ولا
يدخله المجاز لانه مشروط بالعلاقة بين الاصل والفرع وليست موجودة في الاعلام او مشتق ومعلوم انه لولا تطرق المجاز الى المشتق
منه لم يتطرق الى المشتق فلم يبق الا اسماء الاجناس البحث السادس في الداعي الى التكلم بالمجاز العدول الى المجاز اما لاجل اللفظ او
المعنى او لهما اما الاول فاما لاجل جوهر اللفظ او الاحوال العارضة له اما الاول فان يكون اللفظ الدال بالحقيقة ثقيلا على
اللسان اما لثقل اجزائه او لتنافر تركيبه او لثقل وزنه ويكون المجاز عذبا واما الثاني فان يكون المجاز صالحا للشعر والسجع
واصناف البديع دون الحقيقة واما الذي لاجل المعنى فقد يقصد المجاز لتعظيم ليس في الحقيقة كما يقال سلام على المجلس السامي
او لتحقير يكون فيها كما يعبر بالغائط عن قضاء الحاجة ولزيادة بيان اما تقوية لحال المذكور كرايت اسدا للانسان الشجاع فانه
اتم من قولك رايت انسانا يشبه الاسد في الشجاعة او تقوية لحال الذكر وهو المجاز الذي يذكر للتأكيد او لتلطيف الكلام
قال الامام وتقريره ان النفس اذا وقفت على كلام فلو وقفت على تمام المقصود لم يبق لها اليه شوق اصلا لان تحصيل الحاصل محال
وان لم يقف على شيء منه اصلا لم يحصل لها ايضا اليه شوق اما اذا وقفت عليه من بعض الوجوه دون البعض فان القدر المعلوم
يشوقها الى غير المعلوم فيحصل لها بسبب علمها بالقدر المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي الم فيحصل هناك تعاقب الالم و
اللذات واللذة اذا حصلت عقيب الالم كانت اقوى وشعور النفس بها اتم اذا عرفت ذلك فنقول اذا عبر عن الشيء باللفظ الدال
عليه على سبيل الحقيقة حصل تمام العلم به فلا يحصل اللذة القوية اما اذا عبر عنها بلوازمها الخارجية عرف لا على سبيل الكمال
فيحصل الحالة المذكورة التي هي كالدغدغة النفسانية مثاله فهذا انك اذا قلت رايت انسانا يشبه الاسد في الشجاعة فقد حصلت
المعاني بتمامها من الفاظها الموضوعة لها فلم يحصل من اللذة ما يحصل من قولك رايت اسدا في يده سيف فان الذهن
ههنا يتصور من لفظ الاسد معناه ولوازمه البينة كالشجاعة ثم ينتقل بسبب القرينة الى ملاحظة وجه الشبه في الانسان
الذي هو الشجاعة فعرفت ان الانتقال هو محل الدغدغة واللذة النفسانية البحث السابع فيما ينفصل به الحقيقة عن المجاز انه اما
ان يقع بالتنصيص او الاستدلال اما التنصيص فمن وجوه احدها ان يقول الواضع هذا حقيقة وذاك مجاز وثانيها ان يذكر واحد
منهما وثالثها ان يذكر خواصهما واما الاستدلال فالحقيقة تعرف من وجهين احدهما ان يسبق المعنى من ذلك اللفظ الى فهم بعض
السامعين من اهل تلك اللغة فيحكم بانه حقيقة فيه اذ لولا اضطراره الى فهم ذلك المعنى من قصد الواضعين لما فهمه دون غيره وثانيهما
ان اهل اللغة اذا ارادوا افهام غيرهم معنى اقتصروا على عبارات مخصوصة واذا قصدوا التعبير عن غيره لم يقتصروا عليها بل عبروا بعبارات
اخرى وقرنوا بها قرائن فيعلم ان الاول حقيقة اذ لولا انه استقر في قلوبهم استحقاق ذلك اللفظ لذلك المعنى لما اقتصروا عليه واما

المجاز فيعرف اما اولا فمن عكوس ما ذكرناه في تعريف الحقيقة واما ثانيا فلان الكلمة اذا علقت بما يستحيل تعليقها به علم انها في اصل
اللغة غير موضوعة له فيعلم انها مجاز فيه كقوله تعالى واسئل القرية واما ثالثا فان يعلم ان الواضع وضع لفظا لمعنى ثم استعمله
في بعض موارده ثم استعمله بعد ذلك في غيره كلفظ الدابة الذي وضع لكل ما يدب ثم اختص بالفرس فصار حقيقة
عرفية ثم استعمل بعد ذلك في الحمار فيعلم انه مجاز فيه الى ان يغلب الاستعمال عليه فيصير حقيقة عرفية ايضا

الفصل الثالث

في التشبيه وفيه اربعة اركان **الركن الاول** في المتشابهين انهما اما محسوسان او معقولان او المشبه به محسوس والمشبه
معقول او بالعكس اما الاول فكقول علي عليه السلام لاهل البصرة كاني بمسجدكم هذا كجؤجؤ سفينة وقوله عليه السلام
في وصف الاتراك كاني اراهم قوما كان وجوههم المجان المطرقة واما الثاني فكقوله عليه السلام اداريكم كما تدارى البكار العمدة
والثياب المتداعية فان المتشابهين ههنا هو مداراته ومداراة اهل البكار لها والمداراة معنى اضافي معقول وما
به المشابهة هو الصعوبة ههنا كالصعوبة هناك واما الثالث فكقوله عليه السلام في حق مروان اما ان له امرة كلعقة
الكلب انفه فان الامرة حالة معقولة شبهت بلعقة الكلب انفه في السرعة وهي امر محسوس وقوله عليه السلام اما بعد فان الامر ينزل
من السماء الى الارض كقطر المطر وكقوله كاني بك يا كوفة تمدين مد الاديم العكاظي واما الرابع فكقول الشاعر كان انتصاص
البدر من تحت غيمه نجاة من البأساء بعد وقوع وكقول الصاحب بن عباد وقد اهدى عطرا الى القاضي ابي الحسن اهدى
له اخلاقه وقد منع الامام فخر الدين من جواز هذا القسم من التشبيه اعتمادا منه على ان العلوم العقلية مستفادة من الحواس
فكان المحسوس اصلا للمعقول فتشبيهه به يقتضي جعل الاصل فرعا والفرع اصلا وهو محال وهذا سهو فان الحواس وان كانت
طرقا للعلم الا انها ليست كل الطرق له سلمناه لكن الممنوع انما هو جعل الفرع اصلا من جهة ما هو فرع لذلك الاصل لا مطلقا فههنا
ليس كذلك فان المعقول فرع للمحسوس من حيث ما هو مستفاد عنه فيمتنع ان يعود اصلا من تلك الجهة لكنه لا يمتنع ان يكون فرعا
له من تلك الجهة ومع ذلك يكون اصلا له في التشبيه والملاحظات الذهنية **الركن الثاني** فيما به التشبيه وفيه ابحاث **البحث الاول**
في اقسامه انه اما ان يكون صفة حقيقية واضافية والاول اما كيفية جسمانية او نفسانية والاول اما كيفية محسوسة احساسا اولا او
ثانيا والاول اما بحس البصر كتشبيه الخد بالورد في الحمرة وتشبيه الوجه بالنهار والشعر بالليل وبحس السمع كتشبيه اطيط الرحال باصوات
الفراريج وكتشبيه الصوت المنكر بصوت الحمار او بحس الذوق كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر او بحس الشم كتشبيه
بعض الرياحين بالمسك والكافور او بحس اللمس كتشبيه الجسم اللين الناعم بالخز والخشن بالمسح واما المحسوس ثانيا فهي الاشكال
والمقادير والحركات والاشكال اما مستقيمة او مستديرة مثال التشبيه في الاستقامة تشبيه الرجل المعتدل القامة بالرمح و
مثال التشبيه في الاستدارة المستوية بالكرة تارة وبالحلقة اخرى ومثال التشبيه في المقادير تشبيه عظيم الجثة بالجمل والفيل
ومثاله في الحركة تشبيه السريع بالسهم واما الاشتراك في كيفية جسمانية غير محسوسة فكما يقال فلان كالحمار اي في بلادته
شبقه وهو كالقرد اي في غضبه واما في الكيفية النفسانية فكالاشتراك في الغرائز والاخلاق كالكرم والحلم والشجاعة والذكاء
والفطنة والعلم والزهد كقولك هو كحاتم اي في جوده وكعمرو بن معدي كرب اي في شجاعته واما الاشتراك في الحالة الاضافية فكتشبيه
هذه الحجة كالشمس فالاشتراك ههنا في الجلاء بالنسبة الى البصر والفهم وهي حالة اضافية وقد يكون جلية كما ذكرنا وكقولهم الفاظ
فلان كالماء اي في السلاسة وكالنسيم اي في الرقة وذلك انها اذا لم يكن فيها فرح وقبول وخفت على اللسان ولم يكن غريبا وحشيا ارتاح
له القلب فلسهولة وصوله الى النفس صار كالماء الذي يسرع نفوذه الى الحلق والنسيم الذي يسري في البدن وقد يكون خفية كقول
من ذكر بني المهلب هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها اي لا يفهم المقصود من ذلك الا من كان له ذهن يرتفع عن درجة
العامة **البحث الثاني** في تقسيمه بوجه آخر انه قد يكون قريبا وقد يكون بعيدا والاول كما اذا خطر ببالك استدارة
الشمس واستنارتها فانه يخطر بقلبك المرآة المجلوة فتلاحظ الشبه بينهما وكما اذا نظرت الى الوشي المنشور لاح لك شبهه
بالروض الممطور المفتر عن ازهاره واما الغريب البعيد فهو الذي يحتاج في ادراكه الى فكر ونظر كتشبيه الشمس بالمرآة في كف
الاشل وتشبيه البرق باصبع السارق كقول كشاجم ارقت ام نمت لضوء بارق مؤتلقا مثل الفؤاد الخافق كانه اصبع كف السارق
ثم السبب في القرب والبعد امران احدهما ان الحس لا يعطي التمييز بين جهة الاشتراك والامتياز وانما يدرك المركب من حيث هو
شيء واحد واما التفصيل والتمييز فهو لحظ العقل وايضا شعور الحس بالاجمال اقدم من شعوره بالتفصيل فان المرئي في
اول النظر اليه لا يدرك البصر تفاصيله حتى يتكرر وكذلك المسموع فانك تقف في اعادة الصوت على ما لم تقف عليه بالسماع
الاول وبادراك التفاصيل يقع التفاضل بين سامع وسامع واذا كان ادراك الجملة قبل ادراك التفصيل وكان ادراك
التفصيل محتاجا الى الكد والطلب كان ادراك الجملة اسهل واقرب من ادراك التفصيل **البحث الثالث** في بيان ان التشبيه

بالوجه العقلي أعم من التشبيه بالوجه الحسي لأن تشبيه المحسوس بالمحسوس فيمكن أن يكون لأجل الاشتراك في وجه محسوس ويمكن أن يكون
لأجل الاشتراك في وجه معقول ويمكن لأجلهما جميعا مثال الأول تشبيه الخد بالورد ومثال الثاني قوله صلى الله عليه وسلم إياكم وخضراء
الدمن فالتشبيه مأخوذ للمرأة من النبات وهما محسوسان ولكن وجه المشابهة هو مفارقة الحسن الظاهر للقبح الباطن وهو أمر عقلي ومثال
الثالث تشبيه الشخص الرفيع القدر الحسن الوجه بالشمس لاشتراكهما في ارتفاع الشأن وهذا هو أمر عقلي وفي الضياء الذي هو أمر حسي وأما تشبيه
المعقول بالمعقول أو المعقول بالمحسوس والمحسوس بالمعقول فيمتنع أن يكون وجه المشابهة غير عقلي لأن وجه المشابهة مشترك بين الجانبين فلو
كان محسوسا لم يصح وصف المعقول به وأما العقلي فيصح لعقله أن يصيد مما لا يكون محسوسا أمر محسوس فثبت أن التشبيه بالوجه
المعقول أعم **البحث الرابع** التشبيه بالوصف المحسوس أتم من التشبيه بالوصف المعقول بيانه من وجهين أحدهما أن كل الغرض
من التشبيه التخييل الذي يقوم مقام التصديق في الترغيب والترهيب والخيال أقوى على ضبط الكيفيات المحسوسة منه على الأمور الاعتقادية
الثاني أن الاشتراك في نفس الصفة أشبه من الاشتراك في مقتضاها لأن الصفة في نفسها متقدمة في التصور على مقتضاها
فكانت الصفة المحسوسة أتم في التشبيه من الأمر المعقول **البحث الخامس** في تقسيم وجه المشابهة إلى المفرد والمركب المشابهة إما
أن تكون في أمر واحد أو في أمور كثيرة والأول إما أن لا يكون مقيدا بالنسبة إلى شيء أو يكون فالأول كتشبيه الكلام بالعسل
في أن كل واحد منهما يوجب للنفس لذة وحالة محمودة وأما الثاني فهو إما أن يكون الانتساب بنفسه أمورا وأما المفعول به فكقولهم أعط القوس
باريها لأن المقصود وقوع الأخذ في موضعه وصدوره من أهله وهذا لا يحصل من الأخذ المطلق ولكن من حيث الحكم الحاصل لوقوعه
من باري القوس عليه وأما إلى ما يجري مجرى المفعول به وهو الجار والمجرور كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد هو كالراقم على الماء فالتشبيه
ليس بممتنع من الرقم المطلق بل منه على الماء وأما إلى الحال كقولهم كالحادي وليس له بعير أي الحادي حال ما لا يكون له بعير وأما إلى
المفعول به والجار والمجرور معا كقولهم هو كمن يجمع السيفين في غمد وهو كمن ينثر الجوز على القبة فالجمع المعدى إلى السيفين لا يكفي
في التشبيه ما لم يشترط كونه جامعا لهما في الغمد ومنه قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا فإنه تضمن التشبيه من اليهود لا لأمر يرجع إلى
حقيقة الحمل المطلق بل لأمر آخر يرجع إلى أحدهما تعدية الحمل إلى الأسفار والأخرى اقتران الحمل بأنهما لأن الغرض توجيه الذم إلى من أتعب نفسه
بحمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لم ينتفع بها بجهله وهذا المقصود لا يحصل من الحمل المطلق بل منه مشروطا بالشرطين الآخرين ثم إذا كان ما به
المشابهة وصفا مقيدا فقد يمكن إفراد جزئيه بالذكر وقد لا يمكن أما الأول فكقوله فكأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على
بساط أزرق فإنك لو قلت كأن النجوم درر وكأن السماء بساط أزرق كان التشبيه مقبولا وإن تغير المعنى المراد للقائل لأن المقصود
من التشبيه ههنا ذكر الأمور العجيبة من طلوع النجوم مؤتلقة متفرقة في أديم السماء وهي زرقاء زرقتها الصافية والنجوم تتلألأ في تلك الزرقة
ومعلوم أن هذا المقصود لا يبقى إذا فرق التشبيه وأما الثاني فكقوله كأنما المريخ والمشتري قدامه في شامخ الرفعة منصرف بالليل
عن دعوة قد أسرجت قدامه الشمعة فلو قلت كأن المريخ منصرف عن دعوة وتركت حديث المشتري والشمعة كان خلفا من القول
لأن التشبيه للمريخ حيث الحالة الحاصلة من تقدم المشتري له فإنه لا يمكن إفراده بالذكر **البحث السادس** في التشبيهات المتعددة
المجتمعة إنما يكون الأمر كذلك إذا كان التشبيه من أمور كثيرة لا يتقيد بعضها بالبعض وح يكون التشبيهات منضموما بعضها إلى البعض كأنها
كثيرة كل واحد منها قائم بنفسه ولهذا النوع خاصيتان الأولى أنه لا يجب فيها الترتيب فإنك لو قلت زيد كالأسد بأسا والبحر جودا
والسيف مضاء والبدر بهاء لم يجب عليك أن تحفظ في هذه التشبيهات نظاما مخصوصا الثانية إذا سقط البعض فإنه لا يتغير حال
الباقي كقولهم هو يصفو ويكدر ويحلو ويمر ولو تركت ذكر الكدورة والمرارة لكان المعنى في تشبيهه بالماء في الصفاء والحلاوة
باقيا **البحث السابع** يجب رعاية وجه التشبيه ولا يجوز تعديها وإلا وقع الخطأ مثاله ما قيل النحو في الكلام كالملح في الطعام فإن وجه
التشبيه ههنا هو الإصلاح والمقصود أن الطعام كما لا يصلح إلا بالملح كذلك الكلام لا يصلح إلا بالنحو فأما ما ظنه بعضهم أن المقصود أن القليل
من النحو مغن والكثير مفسد كما أن القليل من الملح مغن والكثير مفسد فهو ظن فاسد لأن النحو علم بمجموع قوانين مضبوطة يمتنع تطرق الزيادة
والنقصان إليها في الكلام كقولك كان زيد قائما فإنه لا بد فيه من رفع الاسم ونصب الخبر فإن وجدا وجد النحو من غير زيادة
ولا نقصان وإن لم يحصلا عدم النحو فلا زيادة ولا نقصان أيضا **البحث الثامن** في اكتساب وجه المشابهة الطريق إليه تميزها بالمشابهة
عما به الاشتباه مثلا من أراد تشبيه شيء في هيئة الحركة وجب أن يطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة المجردة عن الجسم وسائر ما فيه من الأعراض
كما فعل ابن المعتز في قوله وكأن البرق مصحف قار فانطباقا مرة وانفتاحا فلم ينظر في جميع أوصاف البرق ومعانيه إلا إلى الهيئة التي
تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض ثم طلب بحث عن أوضاع الحركات لينظر أيها أشبه بها فأصاب ذلك فيما يفعله القارئ بأوراق
المصحف من فتحها مرة وطبقها أخرى ولم يكن حسن التشبيه لكونه جامعا بين مختلفين بل لحصول الاتفاق بينهما من ذلك الوجه ولأجل
اجتماع الأمرين أعني الاتفاق التام والاختلاف التام كان حسنا ومما يناسب ذلك كونه جامعا بين المختلفين محاولة الشاعر جعل الشيء سببا

بعينه كقوله سودا صنعت من الزنج فيها بروز اعلى كبد نظر عبد الله السوقيلي وما احسن سوقه الى احد **الركن الثالث** في غرض
التشبيه انه اما ان يكون عايدا الى المشبه او الى المشبه به اما الاول فقد يكون غرضه بيان الحكم المجهول وقد لا يكون اما الاول فاما ان يفيد
بيان امكانه عند ما لا يكون بينا يحتاج الى التشبيه لبيانه كقوله فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال فان مقصوده
ان يقول ان الممدوح فاق الانام حتى لم يبق بينهم وبينه مشابهة بل صار اصلا بنفسه ولما كان هذا في الظاهر كالممتنع او يبعد ان يتناهى
انسان في الفضايل الى ان يخرج من نوعه احتج لدعواه بان المسك وان كان بعض دم الغزال فاصله فقد خرج عن صفة الدم وحقيقته
حتى صار لا يعد دما واما ان يفيد بيان مقداره كقولك للشيء الاسود انه كحلك الغراب فان المقصود من هذا التشبيه بيان مقدار
السواد في الحلوكة لا امكان وجوده واما الثاني وهو ان لا يكون غرضه بيان حكم مجهول فقد يكون غرضه احد امرين احدهما نقل
النفس من الغريب الى القريب لان الف النفس مع العقليات ليس كثيرا من الفها مع العقلية عن الحسية فاذا ذكرت المعنى العقلي الجلي ثم عقبته
بالتمثيل الحسي فقد نقلت النفس من الغريب الى القريب الثاني ان يقصد المباعدة بين المتشابهين لان التشابيه يكون اغرب
فيكون اعجاب النفس بذلك التشبيه اكثر لان شغف النفس بالغريب الذي لم يعهد اكثر من المالوف المعتاد واما الاعراض العايدة الى
المشبه به فقد يقصد المادح على طريق التخييل ايهام ان الشيء القاصر عن نظيره انه زايد عليه وتشبيه الزايد به ان الناقص ويقصد
به اعلاء شان ذلك الناقص اي هو بالغ الى حيث صار اصلا للشيء الكامل في ذلك الامر كقوله وبدا الصباح كان غرته وجه الخليفة حين
يمتدح الا ترى انه جعل وجه الخليفة اعرف واتم واشهر في النور والضياء من الصباح حتى شبه الصباح به وقد يقصد الذم عكس ذلك
الركن الرابع في التشبيه نفسه وفيه ابحاث **البحث الاول** التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعاني وله حروف والفاظ
مخصوصة كالكاف وكان ونحو ومثل تدل عليه وضعا فاذا صرح بالالفاظ الدالة عليه كان حقيقة فاذا قلت زيد كالاسد لم
يكن نقلا للفظ عن موضوعه الاصلي فلا يكون مجازا **البحث الثاني** في التشبيه الذي يصح عكسه والذي لا يصح فقد يكون الغرض
من التشبيه الحاق الناقص بالزايد مبالغة في اثبات الحكم للناقص كما اذا شبهت شيئا اسود بحنك الغراب ووجها حسن البياض والصفاء
بالبدر والشمس ومثل هذا يمتنع العكس فيه لان تنزيل الزايد منزلة الناقص يضاد المبالغة الاولى وقد يكون المقصود الجمع بين
الشيئين في مطلق الصورة او الشكل واللون كتشبيه الصبح بغرة الفرس لا لاجل المبالغة في الضياء بل لاجل ظهور بياض في سواد
مع كون البياض قليلا بالاضافة الى السواد والعكس جايز كما لو شبهت غرة الفرس بالصبح **البحث الثالث** في التشبيه الواقع
في الهيئات انه قد يقع في الهيئات التي تقع عليها الحركات وقد يقع في الهيئات التي تقع عليها السكنات اما الاول فعلى وجهين احدهما
ان تقرن الحركة بغيرها من الاوصاف والشكل واللون كقول ابن المعتز والشمس كالمراة في كف الاشل اراد ان لها من الاستدارة والاشراق
الحركة التي تراها اذا امعنت التامل وذلك ان للشمس حركة دايمة متصلة ولنورها بسبب تلك تموج ولا يحصل هذا التشبيه الا ان تكون
المراة في كف الاشل لدوام حركته فيتموج بسببه نور المراة وذلك حال الشمس وثانيهما ان يكون التشبيه في هيئة الحركة مجردة من
كل وصف يقارنها مثاله قول الاعشى يصف السفينة ولعب الامواج بها تقص السفين بجانبيه كما ينزو الرباح خلاله الكرع
والرباح القرد في لغة اهل اليمن واصله مشدد الباء فخففه وقيل الرباح وهو الفصيل فاشبع فتحة الباء ... والكرع
ماء السماء يكرع فيه شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات القرد اذا نزا في الماء فانه يكون له حركات مختلفة في جهات
مختلفة ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب وهو اشبه شيء بحركات السفينة حين يتلاعبها الموج واما التشبيه الواقع
في الهيات التي تقع عليها السكنات فكقول الاخطل في صفة المصلوب كانه عاشق قد مد صفحته يوم الوداع الى توديع مرتحل
او قايم من نعاس فيه لوثته مواصل لتمطيه من الكسل فلطفه بسبب ما فيه من التفاصيل ولو قال كانه متمط من نعاس واقتصر عليه
لكان قريب التناول لان هذا القدر من التشبيه يحصل في نفس الرائي للمصلوب لكونه من باب الجملة واما على التفصيل الذي
فيه براسه اضرب الهيئة فلا يحصل الا مع التامل لطافته الذي ينظر الى احوال المتمطي من مد ظهره ويديه ويزيد على ذلك التمطي
الى السند امتد لذلك والى علته وهي ... اللوثة والكسل في القايم من النعاس هذا اصل فيما يراد به التفصيل وهو ان تثبت في
الوصف امرا زايدا على المعلوم المتعارف ثم يطلب علته **البحث الرابع** في مراتب التشبيه في الخفاء والظهور التشبيه قد يكون
بالتخييل الذي لا وجود له في الاعيان كتشبيه الشقائق باعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد وقد يكون بما له وجود في الاعيان
وح فالهيئة المعتبرة في ذلك اما ان توجد قليلا او كثيرا بيانه انك اذا قايست بين قوله وكان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن
على بساط ازرق وبين قول ذي الرمة كانها فضة قد مسها ذهب عرفت ان الاول اغرب من الثاني لان الهيئة الاولى وهي وجود
در منثور على بساط ازرق اقل وجودا من فضة اجري عليها الذهب ولما كان الشيء عن الوقوع ابعد كان اغرب فكان التشبيه
به اوقع واعجب **البحث الخامس** في التمثيل والمثل قد خص التشبيه المنتزع من اجتماع امور يتقيد بعضها بالبعض باسم التمثيل

...ن ذلك على وجه الاستعارة كقولك انى اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى تريد انك في ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر
اخرى وقد لا يكون كذا اذا برزت الفاظ التشبيه كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية الاية واما المثل فهو تشبيه سائر اى كثير استعماله
يعني ان الثاني بمنزلة الاول في الامثال كلها حكايات لا تغير لان ذكرها على تقدير ان يقال في الواقعة المعينة انها بمنزلة ما قيل
في هذا القول كقولك لمن لم يشبع رايك لا يطاع لقصير امر الا ترى انك تقول ذلك بالالفاظ التي قالها متمثل هذا المثل ولو
غيرت هذه الالفاظ لم يتم مثلا **الفصل الرابع** في الاستعارة وفيه ثلاثة اركان **الركن الاول** في حقيقتها واحكامها
وفيه مباحث **البحث الاول** اجود ما قيل في حد الاستعارة انها استعمال اللفظ في غير ما اصطلح عليه في اصل المواضعة
لتشبيه بها طلبا لاجل المبالغة وبالقيد الاول احترزنا عن الحقائق الثلاث اللغوية والعرفية والشرعية وبقولنا لاجل
المبالغة في التشبيه عن سائر وجوه المجاز واعلم ان المستعار وان كان صفة للفظ الا انه صفة للمعنى اولا فان المعنى اولا
يستعار ثم بواسطته يعار اللفظ بيانه من وجهين احدهما انه حيث لا يكون نقل الاسم تابعا لنقل المعنى تقديرا لم يكن ذلك
استعارة كالاعلام المنقولة فانك اذا سميت انسانا بيزيد او يشكر فانه لا يقال هذه الالفاظ مستعارة اذ لم يكن نقلها
لنقل معانيها الثاني ان العقلاء يجزمون بان الاستعارة ابلغ من الحقيقة فان لم يكن نقل الاسم تبعا لنقل المعنى
لم يكن فيه مبالغة اذ لا مبالغة في اطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه **البحث الثاني** الفرق بين الاستعارة والتشبيه حكم
... بين معنيين متصافين وليس الاستعارة كذلك فانك اذا قلت رايت اسدا لم تذكر شيئا الا يخص تشبيه الاسد فلم يكن
... تشبيها بل اعطيت المعنى لفظا ليس له لاجل المشابهة بينه وبين معناه الاصلي وما هو لاجل شيء اخر لا يكون نفس ذلك الشيء
... اعلم انه متى قويت المشابهة بين الشيئين كان التصريح بالتشبيه قبيحا وذلك لقرب الشبه من حقيقة المشبه به مثل اطلاق
لفظ النور على العلم والايمان والظلمة على الكفر والجهل فلا يحسن ههنا لقوة المشابهة ان يقول العلم كالنور وبالجملة فالاستعارة
انما تحسن حيث يكون التشبيه متقررا بين الناس ظاهرا فاما اذا خفي واحتاج الى كلفة فلا بد من التصريح فانك لو قلت في
قوله عليه السلام مثل المؤمن كمثل النخلة رايت نخلة واردت المؤمن كنت كما قال سيبويه ملغزا تاركا لكلام العرب **البحث
الثالث** في ترشيح الاستعارة وتجريدها اما ترشيح الاستعارة فان تراعي جانب المستعار وتوليه ما يستدعيه وتضم اليه
ما يناسبه كقول كثير رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر فاستعار الرمي للنظر وراعى ما يستدعيه فاتى فيه بلفظ السهم وقول
امرئ القيس فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازا وناء بكلكل لما جعل لليل صلبا قد تمطى به اردفه بما يناسبه من
الاعجاز والكلكل واما تجريدها فان يراعي جانب المستعار له كقوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وكقول زهير لدى
اسد شاكي السلاح مقذف لو نظر الى المستعار ههنا لقيل فكساهم لباس الجوع ولقال زهير لدى اسد وافي المخالب والبراثن
البحث الرابع في الاستعارة بالكناية وتنزيلها منزلة الحقيقة واما الاستعارة بالكناية فهو ان يذكر بعض لوازم المستعار
المشبه عليه دون التصريح بذكره كقول ابي ذؤيب واذا المنية انشبت اظفارها فكانه حاول استعارة السبع للمنية لكنه لم يصرح
بها بل ذكر بعض لوازمها تنبيها بها على المقصود واما تنزيلها منزلة الحقيقة فاعلم انهم قد يستعيرون الوصف للشيء المعقول ويجعلون
ذلك كالثابت له كما ان الشيء في الحقيقة وكان الحقيقة لم توجد وذلك كاستعارة العلو لزيادة الرجل على غيره في الفضل ثم
وضعهم الكلام وضع من يذكر علوا مكانيا كقول ابي تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء فقصدهم هنا ان ينسى
التشبيه ويرفعه راسا ويجعل الممدوح صاعدا في السماء صعودا مكانيا وهكذا اذا استعاروا اسم الشيء لغيره من نحو بدر واسد
فانهم يبلغون الى حيث يعتقد ان ليس هناك استعارة كقوله قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس فلولا انه ينسى
ههنا ان ههنا استعارة لما كان لهذا التعجب معنى ومدار اكثر هذا النوع على التعجب وقد يجيء على عكس مذهب التعجب كقوله لا
تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره على القمر فقد ذكر كما ترى شيئا هو من خاصة القمر فهو ينهاهم عن التعجب من بلى الكتان بسرعة
يقول انه قد زر على القمر ومن شان القمر ذلك هذا انما يتم بالجزم بكونه قمرا لا انه لو اعترف بانه ليس بقمر وانما يشبه القمر لبطل
كلامه **البحث الخامس** في شرط حسن الاستعارة واعلم ان الاستعارة انما تحسن بالمبالغة في التشبيه مع الايجاز
كقوله ... لا كقول ابي تمام لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت ماء بكائي فان قوله ماء
الملام ليس فيه لذاذة ولو اتى بالحقيقة فقال لا تلمني لكان انجز وقد تكون الاستعارة عامية كقولك رايت اسدا ووردت
بحرا وقد يكون خاصية كقوله وسالت باعناق المطي الاباطح شبه سيرها الحثيث وغاية سرعتها في لين وسلاسة
بسيل وقع في الاباطح تجري به **الركن الثاني** في اقسام الاستعارة وفيه ابحاث **البحث الاول** الاستعارة قد تعتمد نفس
التشبيه كما اذا اشترك شيئان في وصف وهو في احدهما ازيد فتعطي الناقص اسم الزائد كقولك رايت اسدا وتريد رجلا شجاعا

شجاعا

شجاعاً وعنت لنا ظبية وتريد امرأة وقد تقدم لوازم التشبيه وهو اذا كانت جهة الاشتراك انما تثبت كمالها في المستعار منه او اشهر
او اظهر فيثبت ذلك الامر للمستعار له مبالغة في اثبات المشترك كقوله اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فالشمال لم تصر بيد لعدها
على حكم طبيعتها كالحيوان المنقود الا ان تصرف الحيوان لما كان في اكثر الاحوال باليد كانت اليد كالآلة التي يكمل بها التصرف
ولما كان الغرض ههنا اثبات التصرف وهو لا يكمل الا بثبوت اليد لا جرم اثبت للريح يدا تحقيقا للغرض وكذلك قوله اذا هز
في عظم قرن تهللت نواجذ افواه المنايا الضواحك لما شبه المنايا عند هز السيف بالمسرور وكان الفرح انما يظهر بالضحك
الذي يتهلل فيه النواجذ اثبت الضحك مع تهلل النواجذ تحقيقا للوصف المقصود **البحث الثاني** واعلم ان القسم الاول
على اربعة اقسام احدها ان يستعار لفظ المحسوس للمحسوس فالاشتراك بينهما اما في الذات دون الصفات او بالعكس فالاول
كحقيقة تفاوتت احادها في الفضيلة والنقص في القوة والضعف فيستعار لفظ الاكمل في ذلك النوع للانقص كاستعارة الطيران
للعدو وسرعته فيقال للعدو السريع طيران اذ الطيران والعدو يشتركان في حقيقة وهي الحركة المكانية ويختلفان في القوة والضعف
واما الثاني فكقولهم رايت شمسا ويريد انسانا يتهلل وجهه فههنا الانسان مخالف للشمس في الحقيقة مشارك لها في الوصف
وكقول علي عليه السلام في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اختاره من شجرة الانبياء فان الشجرة واصل النبوة يختلفان بالحقيقة لكنهما يشتركان في ان كل واحد
منهما اصل يتفرع عليه فروع وثانيها استعارة لفظ المعقول للمعقول وهو ايضا انما يكون في امرين يشتركان في وصف احدهما به اولى
وهو فيه اكمل فينزل الناقص منزلة الكامل ثم ان المشتركين قد يكونان متعاندين اما تعاند النقيضين وهو كاستعارة المعدوم للموجود
عند ما لا يكون في ذلك الموجود فائدة فيشارك المعدوم في عدم الفائدة فيستعار لفظه له او كاستعارة الموجود للمعدوم عند
ما يكون للمعدوم آثار باقية يشاركه بها الموجود الا ان الموجود بمثلها اولى فيستعار لفظه له واما تعاند الضدين حقيقة كان او
ظاهرا وهو كتشبيه الجاهل بالميت لان الموت والحيوة للجاهل اشتركا في عدم الفائدة المطلوبة منه وهي الادراك والعقل الا ان الموت
بها اولى فيستعار لفظه لها ومنه قول علي عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقد لا يكونان متعاندين وهو كاشتراك موجودين
في وصف معقول الا ان احدهما اولى فينزل الناقص منزلة الزائد كقولهم فلان لقي الموت اذا لقي شيئا من الشدائد لاشتراك
الموت والشدائد في المكروهية لكن الموت اولى بها فينزل الشدائد منزلة الموت فيستعار لفظ الموت لها وثالثها استعارة لفظ
المحسوس للمعقول وهو كاستعارة لفظ النور المحسوس للحجة واستعارة لفظ القسطاس المحسوس للعدل ومنه قوله في مدح القرآن
وانه حبل الله المتين ومنه ربيع القلب وينابيع العلم فاستعار لفظ الحبل والربيع والينابيع لمعاني القرآن ورابعها استعارة لفظ المعقول
للمحسوس وهو ان يجعل المعقول اصلا في التشبيه فيبالغ في تشبيه المحسوس به كقوله فمنظرها شفاء من سقام ومخبرها حياة من حمام
فان الموضع المنظور اليه منها لما شارك الشفاء في اللذة الحاصلة عنهما وكان الشفاء اولى بذلك بالغ في تشبيه المنظر به فاعاره اسمه
وكذلك المخبر وهو محل الاختبار وهو اما اقوالها وافعالها المحسوسة او شيء اخر لما شارك الحيوة في اللذة الحاصلة عنهما وكانت الحيوة اولى بوجود الخبر
بالغ في تشبيه المخبر بها فاستعار له لفظها **البحث الخامس في الكناية** وفيه بحثان **البحث الاول** في حقيقتها اما حقيقتها فاعلم ان اللفظة اذا اطلقت
واريد بها غير معناها فاما ان يراد بها مع ذلك معناها او لا يراد والاول هو الكناية كقولك فلان طويل النجاد كثير رماد القدر فقولنا طويل
ليس الغرض الاصلي به معناه بل ما يلزمه من طول القامة وكذا المثال الاخر فان المقصود منه ما يلزمه من اطعام الخلق والتكرم عليهم فهذه هي
الكناية في المفرد واما في المركب فهي ان تريد اثبات معنى من المعاني لشيء فتترك التصريح باثباته له وتثبته لمتعلقه كقوله ان المروءة
والسماحة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج لما اراد اثبات هذه المعاني للممدوح لم يصرح بها بل عدل الى ما ترى من الكناية بجعلها في
قبة ضربت عليه ومنه قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه ومثاله في جانب الذم قول من يصف امرأة بالعفة تبيت بمنجاة من اللوم بيتها اذا ما بيوت
بالملامة حلت فتوصل الى نفي اللوم عنها بان نفاه عن بيتها **البحث الثاني** في الفرق بينها وبين المجاز الفرق بينهما ان الكناية عبارة
عن ان تذكر لفظة وتفيد بمعناها معنى ثانيا هو المقصود واذا ثبت هذا فلا تكون مجازا لان المقصود بمعنى اللفظ وجب ان يكون معناه معتبرا
فلم تكن قد نقلت اللفظة عن موضوعها فليست مجازا مثاله انك اذا قلت فلان كثير الرماد فانت تريد ان تجعل كثرة الرماد دليلا على جوده
فقد استعملت هذه الالفاظ في معانيها الاصلية وقصدت بكون كثرة الرماد معنى ثانيا يلزم الاول وهو الجود فلا يكون مجازا فان المجاز نقل
اللفظة عن معناها الاصلي وبالله التوفيق **الجملة الثانية في النظم** وفيها فصول **الفصل الاول** في حقيقته انه وضع الكلام على
النهج الذي يقتضيه علم النحو والعمل فيه بقوانينه واصوله بيانه انك تنظر في وجوه كل باب وفروقه فتنظر في الخبر مثلا الى الفرق بين ما اذا كان الخبر
المبتدأ او اسما مشتقا او صريحا او فعلا ماضيا او مستقبلا وبين ادخال الالف واللام عليه وعدمها والفصل بالضمير وعدمه وفي الشرط و
الجزاء الى الوجوه التي تختلف بحسب اختلاف كون الجملتين فعليتين او احديهما فعلية والاخرى اسمية وان كانتا فعليتين فتنظر الفرق بين
ما اذا كان الفعلان ماضيين او مستقبلين او احدهما ماضيا والاخر مستقبلا وفي الحال اذا كان اسما او فعلا وفي الحروف المشتركة في معنى ان

يكون وضعها النوع نحوان يجيئ بما في نفي الحال والماضي وبلا في نفي الاستقبال وبان فيما يتردد فيهما وباذا فيما علم انه كائن وان تعرف
مواضع الفصل والوصل ومواضع التعريف والتنكير والتقديم والتاخير والحذف والتكرار والاضمار والاظهار فتضع كل شيء مكانه
وتعلم انه ليس اذا حسن التنكير مثلا او التعريف واحد هذه الامور في موضع حسن في كل موضع بل انما يحسن بحسب الموضع الذي يقتضيه
وحاصل هذه التقريرات ان النظم انما يحصل في كلمات بعضها الى البعض وذلك النظم يتغير بتغير احوال المفردات واحوال انضمام بعضها
الى البعض فاما احوال المفردات فاما ان تعتبر حال دلالة الالفاظ او حال دلالة احوالها وحركاتها وسكناتها فهذه هي اقسام الاعتبار
والنظم الكامل انما يحصل اذا اختير من هذه الامور الثلثة في كل موضع ما هو الاليق به **الفصل الثاني** في اقسام النظم ان الجمل
الكثيرة اذا نظمت نظما واحدا فاما ان تتعلق بعضها بالبعض اولا فان كان الثاني لم يحتج ذلك النظم الى فكر في استخراجه ومثاله
قول علي ع لا مال اعود من العقل ولا ذل اوضع من الجهل ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى وان كان الثاني فكلما كانت اجزاء الكلام اشد
ارتباطا كان ادخل في الفصاحة وليس له قانون يحفظ الجميع على وجوه شتى ولنذكر بعض ما يعتبر منها وهو عشرون وجها **الوجه الاول**
المطابقة وهي الجمع بين المتضادين في الكلام مع مراعاة التقابل حتى لا يضم الاسم الى الفعل كقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقوله
سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وقوله تعالى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
وتعز من تشاء وتذل من تشاء **الوجه الثاني** المقابلة وهي ان تجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما ثم اذا شرطتهما بشرط
وجب ان تشترط ضديهما بضد ذلك الشرط كقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى
وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى فلما جعل التيسير مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين اضداد
تلك الامور وهي المنع والاستغناء والتكذيب **الثالث** المزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء كقول البحتري اذا ما نهى الناهي فلج بي
الهوى اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر **الرابع** الاعتراض وهو ان يدرج في الكلام ما يتم الغرض دونه كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم
وانه لقسم لو تعلمون عظيم وقول علي ع اما بعد فان الله خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم **الخامس** الالتفات وهو العدول
عن مساق الكلام الى مساق اخر غير مناف للاول في المعنى بل متمم له على جهة التلون وغيره كالعدول عن الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى مالك
يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقول علي ع وبنا انفجرتم عن السرار
وقر سمع لم يفقه الواعية **السادس** الاقتباس وهو ان تدرج كلمة من القران واية منه في الكلام تزيينا لنظامه كقول ابن شمعون في وعظه
اصبروا عن المحرمات وصابروا على المفترضات ورابطوا بالمراقبات واتقوا الله في الخلوات يرفع لكم الدرجات **السابع** التمليح وهو
ان يشار في فحوى الكلام الى مثل سائر او شعر نادر كقول علي ع في خطبته الشقشقية شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر
الثامن ارسال المثلين وهو الجمع بين المثلين كقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل **التاسع** اللف والنشر وهو
ان تلف شيئين وتورد تفسيرهما جملة ثقة بان السامع يميز ما لكل منهما كقوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه ولتبتغوا من فضله ويقرب منه ان تذكر لفظا يتوهم انه يحتاج الى بيان فتقصده مع تفسيره كقوله تعالى يوم يأت لا تكلم نفس
الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار الاية واما الذين سعدوا ففي الجنة الاية **العاشر** التعديد وهو ايقاع
الاعداد من الاسماء المفردة في النظم والنثر على سياق واحد فان روعي فيه ازدواج او تجنيس ومطابقة ومقابلة حسن جدا ومثاله من
النثر قولهم فلان اليه الحل والعقد والقبول والرد والامر والنهي والاثبات والنفي ومن النظم قول المتنبي الخيل والليل والبيداء
تعرفني والطعن والضرب والقرطاس والقلم **الحادي عشر** تنسيق الصفات كقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس
السلام الاية وقوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية وقوله ولا تطع كل حلاف مهين الاية والتنسيق في اول
الخطب كثير **الثاني عشر** الايهام وهو ان يكون للفظ ظاهر وغير ظاهر فيسبق الى فهم السامع الظاهر ان المراد هو الثاني كقوله تعالى
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه **الثالث عشر** مراعاة النظير وهو جمع الامور المتناسبة المتوازنة
كقول علي ع الحمد لله غير مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته ولا مأيوس من مغفرته **الرابع عشر** المدح الموجه وهو ان يمدح بشيء
يقتضي المدح بشيء اخر كقول المتنبي نهبت من الاعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بانك خالد فاوله مدح بالشجاعة واخره مدح بعلو
الدرجة **الخامس عشر** المحتمل للضدين وهو ان يكون الكلام محتملا للمدح والذم على السواء كمن قال لرجل اعور ليت عينيه
سواء **السادس عشر** تجاهل العارف كقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول المتنبي اريقك ام ماء الغمام ام خمر
السابع عشر السؤال والجواب كقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال ربكم ورب ابائكم الاولين **الثامن عشر**
الحذف وهو ان يتكلف حذف حرف من حروف المعجم كما حذف علي ع في خطبته المسماة بالمونقة **التاسع عشر** التعجب كقوله تعالى فما
تحمل المعتبر من التوبيخ في محمل العقبة ويا حسرة الظالمين اذا غابوا اهل السلامة **العشرون** الاغراق في الصفة كقول امرء القيس

من القاصرات

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا وقول المتنبي كفى بجسمي نحولا انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني **الحادي والعشرون** في حسن التعليل وهو ان يذكر وصفان احدهما علة للآخر والغرض منهما ذكرهما جميعا كقول ابي العلاء في ذم الدنيا اذا اثنت على دنيا فقد خلطت حلالها بحرامها وخيرها بشرها وكقوله فان غادر الغدران في صحن وجنتي فلا غرو منه لم يزل كان غادرا واعلم ان وجوه النظم كثيرة ولما كان كثير منها قلما يوجد في كلام المطبوعين من المتقدمين وانما هي صناعات تكلفها المحدثون لا جرم ذكرنا ما كان غالبا في القرآن الكريم والكلمات النبوية وكلام علي والمطبوعين على الكلام من سائر الفصحاء وما احدثه المتأخرون وان كان لا ينخرط في سلك الاولين الا انه يدل على ذكاء مبدعه وفطنة مخترعه وبالله التوفيق

الفصل الثالث في التقديم والتأخير وفيه ابحاث **البحث الاول** في فائدتهما اذا قدم اللفظ على غيره فاما ان يكون في النية مؤخرا كخبر المبتداء اذا قدم على المبتداء والمفعول اذا قدم على الفاعل واما ان لا يكون على نية التأخير ولكن على ان ينقل الشيء من حكم الى حكم آخر مثاله ان تذكر اسمين كل واحد منهما يصلح ان يكون مبتداء والآخر خبرا فتقدم هذا تارة وذاك اخرى كقولك زيد المنطلق وعكسه قال سيبويه عند ما يذكر الفاعل والمفعول كأنهم يقدمون الذي بيانه اهم وهم ببيانه اعنى وان كانا جميعا يهمانهم مثاله اذا ارادوا الاخبار عن قتل شخص خارجي لا من حيث هو شخص معين قالوا قتل الخارجي زيد واذا صدر عن بعض الفضلاء فتنة وارادوا الاخبار عن ذلك قدموا اسمه على فعله لان ذكره اولا انما يشبه الفعل البد وقع في النفوس من العكس فكان عند المخبر اهم بسند ذكر ما يهم تقديمه ومما الابهام في الاستفهام والخبر والنفي **البحث الثاني** في التقديم والتأخير في الاستفهام المذكور عقيب حرف الاستفهام اما الفعل او الاسم فان كان الاول كان هو المشكوك في وجوده والمسؤول عن معرفته مثاله قولك ابنى زيد داره فان السؤال واقع عن وجود البناء والشك في وجوده وان كان الثاني فالسؤال واقع عن تعيين الفاعل كقولك انت بنيت هذه الدار ثم الاستفهام قد يجيء للانكار تارة وللتقرير اخرى والحال فيهما ما ذكرناه اما الانكار فكقوله تعالى افاصفيكم ربكم بالبنين اصطفى البنات على البنين والانكار ههنا للفعل فاذا قدم الاسم كان الانكار للفاعل كقولك لمن انتحل شعرا انت قلت هذا الشعر واما التقرير فكقوله تعالى اخرقتها لتغرق اهلها اقتلت نفسا زكية بغير نفس فان المقصد تقرير الخرق والقتل عليه تمهيدا لتوجه اللوم اليه واما تقديم الاسم فكقولك انت الذي قتلت زيدا فانه سؤال على سبيل التقرير لتعيينه للقتل واعلم ان حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل فاذا قدمت المفعول توجه الانكار الى كونه بمثابة ان يوقع به مثل هذا الفعل ولذلك قدم في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا وقوله اغير الله تدعون وقوله ابشرا منا واحدا نتبعه **البحث الثالث** في التقديم والتأخير في حروف النفي اذا ادخلته على التأخير في حرف النفي الفعل كقولك ما ضربت زيدا كنت قد نفيت فعلا لم يثبت انه مفعول لان نفيك لضرب زيد عن نفسك لا يقتضي وقوع الضرب به ولا نفيه عنه لان نفي الخاص لا يدل على نفي العام ولا على ثبوته واذا ادخلته على الاسم كقولك ما انا ضربت زيدا فهم منه ان الضرب قد وقع بزيد وكان القصد نفي كونك انت الضارب والشاهد بصحة الفرق هو الذوق السليم **البحث الرابع** في التقديم والتأخير في الخبر المثبت والنفي هو كالتقديم والتأخير في الاستفهام فانك اذا قدمت الاسم فقلت زيد قد فعل اقتضى ان يكون القصد الى الفاعل اما لتخصيص الفعل به كقولك انا كتبت في معنى هذا الامر تريد انك خصصت بذلك دون غيرك واما لاجل ان تقديم ذكر المحدث عنه آكد لاثبات ذلك الفعل له كقولهم فلان يعطي الجزيل فلا يقصد الحصر بل ان يحقق عند السامع ان اعطاء الجزيل دابه وسببه ذلك انك لما ذكرت الاسم المحدث عنه والاسم لا يعرى عن العوامل الا لحديث قد نوى اسناده اليه فاذا قلت عبد الله فقد اشعرت بانك تريد الحديث عنه فيحصل شوق الى معرفته فاذا اورد ذلك قبله الذهن قبول العاشق لمعشوقه فيكون ذلك ابلغ في التحقيق ونفي الشبهة وان قدمت الفعل اقتضى ان يكون القصد الى ذكر الفعل كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه فان القصد ههنا ذكر القضاء ونسبته الى الله تعالى ويقرب من ذلك حكم النفي كقولك انت لا تحسن هذا الفعل ولا تحسن انت هذا الفعل ولا تحسن انت هذا الفعل **البحث الخامس** في تقديم حرف السلب على العموم وتأخيره عنه اما الاول فاذا قدمت حرف السلب على صيغة العموم فقلت ما افعل كل كذا كان سلبا للعموم وذلك لا يناقضه الاثبات الخاص حتى لو قلت وافعل بعضه لم يكن تناقضا اما اذا قدمت صيغة العموم على السلب فقلت كل كذا ما افعله فهم منه عموم السلب ويناقضه قولك افعل بعضه في العرف وعلى هذا يظهر الفرق بين الرفع والنصب في قول ابي النجم قد اصبحت ام الخيار تدعي علي ذنبا كله لم اصنع فان نصب كل يقتضي سلب العموم ورفعه يقتضي عموم السلب **البحث السادس** في استيفاء اقسام التقديم والتأخير واعلم انه قد يختلف حال الكلام في التقديم والتأخير اختلافا كثيرا وقد يبدو الفرق بين تقديم الكلمة وتأخيرها كقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فبتقديم شركاء يفهم انه ما كان ينبغي ان يكون له شريك لا من الجن ولا من غيرهم والذم انما توجه لهم لاثباتهم شركاء اما لو قدم الجن لم يفهم الا انهم عبدوا الجن ولما انكار للمعنى الثاني فغير مفهوم منه ويكون الذم انما توجه عليهم لعبادة الجن دون غيرهم فينبغي ان تعلم الفرق في تقديم بعض الكلام على بعض وتأخيره ونذكر مواضع حسن التقديم والتأخير اما التقديم ففي

مواضع عشرة الاول ان تكون الحاجة الى ذكره اتم والعلم به اهم كقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فان تقديم الشركاء اولى لاجل ان المقصود التوبيخ
على جعل مطلق الشريك بخلاف ما لو اخر الثاني ان يكون التاخير يخل باتصال الكلام كقوله تعالى وتغشى وجوههم النار فهذه
الباء بما قبله وبما بعده من تاخير المفعول الثالث ان يكون الاول اعرف من الثاني كتقديم المبتدا على الخبر والموصوف على
الصفة فينبغي ان تبتدئ في قولك زيد قائم بزيد ليتوصل النفس بذكر ما يعرف الى الاخبار عنه بما لا يعرف فتفتح الفائدة
ح على حدها وفي مرتبتها قال الامام ولا ينتقض هذا بتقديم الفعل لان الفعل لفظ دال على ثبوت معنى لموضوع غير معين في
زمان معين من الثلثة والاسناد كالجزء الذاتي لمفهوم الفعل والاسناد امر اضافي والعقل اذا حصل له الشعور بالاضافة فلو
توقف هناك ولم ينتقل الى ما اليه الاسناد كانت الاضافة مستقلة بالمفهومية وهو محال وان انتقل الى ما اسند اليه الفعل
فذلك الشيء هو الفاعل فاذن من ضرورة الاسناد فهم المسند اليه واذا وجب هذا الترتيب في الذهن وجب ايضا في الالفاظ لمطابقة
ما في الذهن لما في الخارج واقول نحو يستوي الفعل لما قدم في الاخبار كان لاجل ان ذكره اهم لان المقصود من ذكر الجملة الفعلية
لا ذات الفاعل بل ذكر الحدوث المخصوص في الزمان المعين ونسبته الى الفاعل واذا كان كذلك جاز ان يقال ان تقديم الاعرف يكون
واجبا واذا كانت الكلمتان مثلا وتساويتا في الاهتمام بذكرهما واما اذا كان ذكر احدهما اهم كان تقديمه اولى الرابع تقديم
الحروف التي لها صدر الكلام كحروف الاستفهام والنفي والنهي قال الامام لان حقيقة الاستفهام طلب فهم الشيء وهو حالة اضافية
اذا ادركها العقل انتقل منها الى معروضها واذا وجب ان ينتقل منها الى معروضها وجب ان يكون في اللفظ كذلك فيقدم ما يدل على
الاضافة ملحوقا بما يدل على معروضها واقول يمكن ايضا ان يكون تقديم هذه الحروف من باب ما كان اهم وذلك ان الاستفهام والنفي
والنهي معان معقولة وهي المطلوبة من الجملة الداخلة عليها بالذات فكانت اهم فكانت اولى بتقديم الذكر وكذلك الادوات الدالة على
احوال النسب بين اجزاء الكلام ككان واخواتها وكان واخواتها وعسى وبابها ونعم وبئس فانها تقدم لان معانيها هي المقصودة بالقصد
الاول من الجمل الداخلة عليها الخامس تقديم الكلي على جزئياته لان الكلي اعرف عند العقل فتقديم الاعرف اولى السادس
تقديم الدليل على المدلول السابع تقديم الناقص على تمامه كتقديم الموصول على الصلة والمضاف على المضاف اليه لان تمام الشيء
لا يتقدم عليه الثامن تقديم الاسماء المتبوعة على توابعها لان التابع لا يتقدم متبوعه التاسع تقديم المظهر على ضميره لان الحاجة
الى الضمير انما هو لحاق امر من الامور بذي الضمير وذلك يتاخر عن تحقق ذي الضمير في العقل فيجب كذلك في الوضع كقولك ضرب
زيد غلامه وقضى زيد حاجته العاشر تقديم الفاعل على المفعولات وما في حكمها لانها امور تلحق الفاعل بالنسبة الى فعله
فكانت متاخرة عنه واذا علمت ما يجب تقديمه علمت من ذلك ما يجب تاخيره

الفصل الرابع في الفصل والوصل

حاصل معرفة
الفصل والوصل يعود الى معرفة مواضع العطف والاستئناف والتهدي الى كيفية ايقاع حروف العطف مواضعها وهو باب عظيم
عند البلغاء ولذلك جعله بعضهم حد البلاغة فقال اذ سئل عن معناها انها معرفة الفصل والوصل وما ذاك الا لغموضه
وكون معرفته مؤدية الى المعاني كما هي وذلك هو المقصد من علم البلاغة وتحقيق الكلام فيه في بحثين البحث الاول فائدة العطف التشريك
في الحكم بين المعطوف والمعطوف عليه فمن ادواته ما لا يفيد الا هذه الفائدة كالواو ومنها ما يدل على زيادة عليه كالفاء وثم فانهما
يدلان على التعقيب ان كانت ثم تختص بالتراخي ومثل او فانها تدل على الترديد فلنبحث عن مطلق الاشتراك فنقول العطف اما ان
يكون في المفردات وهو يقتضي التشريك في الاعراب واما في الجمل وح فالجملة ان كانت في قوة المفرد كقولك مررت برجل خلقه حسن
وخلقه قبيح كانت التشركة في الاعراب ايضا حاصلة لكون الجملتين وصفين للنكرة وان لم يكن فاما ان يكون احدى الجملتين متعلقة
لذاتها بالاخرى او لا يكون فان لم يكن فاما ان يكون بينهما مناسبة او لا يكون فهذه اقسام ثلثة اما الاول فان يكون احدى الجملتين
تاكيدا للاخرى كقوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فقوله لا ريب تاكيد للاول ولا يجوز ادخال العاطف عليه لان التاكيد متعلق
بالمؤكد لذاته فيستغني عن لفظ يدل على التعلق الثاني ان لا يكون بينهما مناسبة اصلا وههنا ايضا يجب ترك العاطف لان
العطف يستلزم المناسبة فيلزم من عدمها عدمه الثالث ان يوجد المناسبة بينهما مع عدم التعلق الذاتي فههنا يجب ذكر العاطف
ثم اما ان يكون المخبر عنه في الجملتين شيئين او شيئا واحدا اما الاول فالمناسبة اما بين المخبرين فقط او بين المخبر عنهما فقط او بينهما
معا والاول والثاني يختل معهما النظم لانك اذا قلت زيد طويل والخليفة قصير مع عدم تعلق حديث زيد بحديث الخليفة اختل
وكذا لو قلت زيد طويل وعمرو شاعر اختل ايضا لعدم المناسبة بين طول القامة والشعر فتعين ان لا بد من حصول المناسبتين فاما
ان كان المخبر عنهما شيئا واحدا كقولك فلان يضر وينفع ويامر وينهى ونحوه تعين دخول العاطف لانك اذا قلت هو يضر وينفع
افاد العاطف انه هو الجامع لها بخلاف ما لو حذفته البحث الثاني في عطف الجمل على الجمل انه كما يجوز ان يعطف جملة على جملة
كذلك يجوز ان يعطف مجموع جمل على مجموع جمل اخر ويتاتى ذلك في صورة الشرط والجزاء فانه قد يجعل مجموع جملتين شرطا ومجموع جملتين

جزاء كقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم فاذا ظهر ذلك
في الشرط والجزاء فمثاله في العطف كقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا
انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين الاية فقوله وما كنت ثاويا عطف على قوله وما كنت من الشاهدين
مع ما يتعلق بها اذ لو عطفها على ما يليها لدخلت في حكم لكن فصار التقدير لكنك ما كنت ثاويا وهو باطل ولو عطفها على وما
كنت من الشاهدين وقرن ولكنا انشأنا لكان في ذلك تنافر لكن عن موضعها وهو غير جائز **الفصل الخامس** في الحذف والاثبات
وفيه بحثان **البحث الاول** في حذف المفعول والمبتدأ والخبر اما الاول فلان الفعل المتعدي قد يكون المقصود من ذكره
مجرد نسبته الى الفاعل فحينئذ يكون حاله كحال غير المتعدي في عدم الحاجة الى المفعول والتعرض له كقولك فلان يحل ويعقد ويأمر
وينهى ويضر وينفع وقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقد يلاحظ مع ذلك في ذكره التنبيه الى المفعول الا ان
المفعول يحذف لاحد غرضين احدهما ان يكون المقصود ذكره لكن لابهام التعظيم والتفخيم كقول البحتري شجو حساده وغيظ عداه
ان يرى مبصر ويسمع واع فان المرئي والمسموع مبهمان الا انه وان يكون شيئا معينا فحذف فاوهم بذلك ان كل ما يرى منه ويسمع
عظيم وانه فضيلة تشجو حساده وتغيظ عداه ومن ههنا تحصل البلاغة ولو ابرز ذلك المفعول المعين لما ذلك التعظيم لوهي
التخصيص لانه من التعظيم بالمفعول المذكور دون ما عداه وقد يكون ذكر المفعول اولى وابلغ وذلك اذا كان امرا عظيما بديعا كقوله
ولو شئت ان ابكي دما لبكيته لما كان بكاء الدم امرا عجيبا كان ذكره اولى الثاني ان يحذف للعلم به كقول علي عليه السلام ان اشنق لها خرم اي
انفها وان اسلس لها اي قيادها تقحم اي اهلكت الناقة الثالث ان يضمر على شريطة التفسير كقولك اكرمني واكرمت عبد الله واما المبتدأ
والخبر فقد ورد حذف كل واحد منهما اما المبتدأ فكقوله تعالى سورة انزلناها واما الخبر فقوله تعالى طاعة وقول معروف
وامثاله كثيرة وقد حكم بحسن ذلك البلغاء قال عبد القاهر ما من اسم حذف في الحال التي ينبغي ان يحذف فيها الا وجدته
احسن من ذكره وحسنها في المواضع التي يفهم عنها البلاغة **البحث الثاني** في الايجاز وحده التعبير عن الغرض باقل ما يمكن
من الحروف من غير اخلال مثاله قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقد كان المثل يضرب بقولهم القتل انفى للقتل الى ان ورد
هذه الاية والترجيح للاية من وجهين احدهما انه اوجز فان حروفها عشرة وحروف المثل اربعة عشر الثاني ان القتل قصاصا لا ينفي
القتل ظلما من حيث انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الجهة غير معتبرة في كلامهم ولها ترجيحات اخر لا نطول بذكرها ومن ذلك قول
علي عليه السلام قيمة كل امرئ ما يحسنه وقوله المرء عدو لما جهله وقوله الجزع اتعب من الصبر وقوله تخففوا تلحقوا **الفصل الثالث** في احكام
ان وانما وما في حكمها وفيه ابحاث **البحث الاول** في فوائد ان وهي اربع الاولى انها قد تربط احدى الجملتين بالاخرى فيحصل
النظم كقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله عليه السلام ايها الناس انه لا يستغني
الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته وقوله عباد الله ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فلو اسقطت ان في هذه المواضع
لزالت المناسبة التي كانت بين الجملتين معها واعلم انك متى اسقطت ان من الجملة الثانية فان كانت انما ذكرت لتعليل الحكم في الجملة
الاولى فلا بد ان يعوض عنها الفاء كقوله فزلزلة الساعة شيء عظيم الفائدة الثانية انك تجد لدخولها على ضمير الشان المعقب
بالجملة الشرطية وغيرها من الحسن والمزية ما لا تجده عند عدمها كقوله تعالى انه من يتق ويصبر وقول علي عليه السلام ايها الناس انه لا يستغني
الرجل كما ذكرناه الفائدة الثالثة انها تهيئ النكرة لان يحدث عنها كقوله عليه السلام ان من احب عباد الله الى الله عبدا كما مر ولو اسقطتها
لسقط الحسن والبلاغة وقد يسقط المعنى اصلا كما لو اسقطتها من قول الشاعر ان شواء ونشوة وخبب البازل الامون الفائدة
الرابعة اذا دخلت على الجملة فقد تغني عن الخبر كقولك ان مالا وان ولدا على تقدير ان لهم مالا وكقول الاعشى ان محلا وان مرتحلا وان
في السفر اذ مضوا مهلا والموقع انها للتاكيد للنسبة واذا كان الخبر ما ليس للمخاطب ظن او وهم في خلافه فلا حاجة الى ان هناك ولكن
تزداد حسنا اذا كان الخبر امرا يبعد مثله وقد يجمع مع اللام التاكيد في خبرها اذا كانت في جواب المنكر لشدة الحاجة هناك الى التاكيد
البحث الثاني في فائدة انما اتفق جمهور النحاة على انها للحصر وهو المفهوم منها مثاله قول علي عليه السلام وانما سميت الشبهة شبهة
لانها تشبه الحق وكقوله عليه السلام انا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن فهذا القرآن انما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان
وانما ينطق عنه الرجال ومراده بالحصر في هذه الصور ظاهر وقال بعضهم انها ليست للحصر محتجا بقوله تعالى انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبقوله انما المؤمنون اخوة مع ان الاجماع على ان من لم يوجل من ذكر الله قد يكون مؤمنا وان الاخوة غير
منحصرة في المؤمنين والجواب ان منشأ الشك هو الغفلة عن ضابط الحصر وضابطه ان الجزء الاخير من الكلام الوارد عقيب انما هو المخصوص
بحصر الحكم فيه سواء كان هو الموضوع كقولك انما قام زيد فان المقصود حصر القيام في زيد او كان هو المحمول كقوله تعالى انما انا بشر
مثلكم فان المقصود حصر النبي في البشرية ونفي كونه غير بشر واذا تبين ذلك ظهر انها في الصورتين المذكورتين تفيد الحصر الا انه في الاولى

فلانه يجوز ان يكون المقصر من الايمان منازل اقوى مراتبه وهو الاخلاص فيتبين ان المؤمنين مقصورون في الوجلين من ذكر الله وايمانا
في الثانية فلان المؤمنين مقصورون في صفة الاخوة في الدين كما هو المقصر من الاخوة هيهنا واعلم انه قد يستعمل في مفهومها عبارات
اخر بان احدها قولك جاءني زيد لا عمرو وهو اضعف منها لانه انما يفيد حصر المجيء في زيد بالنسبة الى من اخرجه حروف النفي التي
ما جاءني الا زيد ومفهومها انما في الحصر والتخصيص كقوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني به وفرق الامام بينهما وحرر الامام بينهما فقال
ان دلالة انما على نفي غير المذكور بالالتزام ودلالة ما والا على نفي الغير بالمطابقة فكانت اقوى في ذلك من دلالة انما ولذلك يصح ان
يقال انما زيد قائم لا قاعد ولا يصح ان يقال ما زيد الا قائم لا قاعد واقول ان صح ما ادعاه من عدم الصحة في الصورة الثانية كان
لمانع ان يمنع تعليل ذلك المنع بكون ما والا دالة على نفي الغير بالمطابقة ويصير ذلك القبح الى قرب الا المقتضية لنفي الغير الى الا
المقتضية للحصر وبعد ما عن انما فكان التاكيد عقيب انما حسنا لطول الزمان بينهما على انا لا نسلم عدم الصحة هيهنا بل قد يورد التاكيد
وان كان عقيب انما احسن وقد يقام غير مقام الا فيفيد الحصر وقد لا يكون كذلك كقولك ما جاءني غير زيد تريد نفي مجيء الغير
فقط دون اثبات زيد **البحث الثالث** ان ما والا اذا دخلت على الجملة كان المقصر بالحصر فيه هو ما يلي الا بعدها سواء كان مرفوعا
كقولك ما ضرب زيدا الا عمرو او منصوبا كقولك ما ضرب زيد الا عمرا او هكذا ان كان المنصوب حالا او ظرفا فان تاخر مثلا الفاعل
والمفعول معا عن الا فالمقصر هو ما يليها ايضا كقولك ما ضرب الا زيد عمرا وكذا لو قدمت المفعول على الفاعل فهو المقصر وهكذا حكم
المفعولين كقولك لم اكس الا زيدا جبة فالذي يلي الا هو المقصر بالتخصيص وهكذا المبتدا والخبر فانهما الذي يلي الا فهو المراد بالتخصيص
كقولك ما زيد الا قائم فالمراد تخصيص صفة القيام دون سائر الاحوال وما القائم الا زيد فهو تخصيص لزيد دون غيره واما التخصيص
ذلك في انما فاما في الفاعل والمفعول فايهما اخر عن صاحبه فهو المقصر ايضا كقولك انما ضرب عمرا زيد فالمقصر تخصيص زيد ومنه
قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولو قدم العلماء لكان المقصر تخصيص خشيتهم الله وكذا الحال في المبتدا اذا تركته على حاله فالاختصاص
للخبر كقوله تعالى انما السبيل على الذين يستأذنونك وان اخرته عن الخبر صار التخصيص له كقوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب
فان التخصيص في الاول للخبر وفي الثاني للمبتدا هذا بحسب المتبادر الى المفهوم من دون القرينة وبالله التوفيق **القاعدة الثامنة**
في الخطابة وفيه ابحاث وخاتمة **البحث الاول** في حقيقة الخطابة وفايدتها الخطابة صناعة تتكلف فيها الاقناع الممكن للجمهور
فيما يراد ان يصدقوا به وقولنا تتكلف فيها الاقناع اردنا انه يتعاطى فيها هذا الفعل المخصوص وان لم يبلغ قصد التام والاقناع الممكن هو الفعل الذي
يتكلف وقولنا به مما يمكن من الاقناع والخطابة في الاقناع انجح من غيرها وفايدتها في تقرير المصالح الجزئية وقد تفيد ايضا تقرير القوانين الكلية
لتلك المصالح كالعقايد الالهية والقوانين العملية وهي عظيمة النفع جدا لان الاحكام الصادقة مما هو عدل وحسن اتم نفعا واعود على
الناس فايدة واعم جدوى من اضدادها لان نوع الانسان انما هو مستبقى بالتشارك والتشارك يحوج الى التعامل والتحاور وهما يحوجان
الى احكام صادقة في الامور العملية ليبقى كل صاحبه وينتظم شمل المصلحة بينهم وباضداد الاحكام الصادقة تتشتت فيحتاج ان يكون هذه
الاحكام مقررة في النفوس متمكنة من التقاليد والخطابة هي المتكفلة بحمل الجمهور على التصديق بها فان البرهان والجدل وان قصد بهما
التصديق الا ان الجمهور قاصرون عن درجة البرهان والجدل وان كان صناعة ضعيفة بالقياس الى البرهان فهو ايضا يسير الفايدة للعامة
صعب بالقياس الى البرهان فهو ايضا يسير الفايدة للخاصة صعب بالقياس الى فطنهم وهم عاجزون عن فهمه والمخاطبة التي يجب ان يلقاها
العامي بها ينبغي ان تكون من الجنس الذي لا يرتفع عن مقاماتهم ارتفاعا بعيدا بل تكون بالفاظ عذبة غير ركيكة عامية ولا مبتذلة
ينبو فهمهم عن قبولها كما سنذكره انشاء الله تعالى وقد اشار التنزيل الالهي الى هذه الصناعة في قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي احسن فسبيل ربك هو الدين الحقيقة والحكمة هي البرهان وذلك لمن يحتمله والموعظة الحسنة هي الخطابة وهي لمن قصر
عن درجة البرهان وجادلهم بالتي هي احسن اي بالمشهورات المحمودة واخر الجدل عن الصناعتين لانهما مصروفتان الى الفايدة والمجادلة
مصروفة الى المفاوضة والغرض الاول من المخاطبة انما هو الافادة والغرض الثاني هو مجاهدة من ينتصب للمعاندة فاذن الخطابة صناعة
وافرة النفع في مصالح المدن وبها تدبر العامة وتنتظم احوالهم **البحث الثاني** في موضع الخطابة وراجع ابها وليس للخطابة نظر في موضوع
معين وذلك لان العامة لا يهتدون الى تمييز بعض الموضوعات عن بعض اذ كان تخصيص الكلام في موضوع معين مبني على مبادي
تليق بذلك الموضوع وحده لا يتمرن فيها العامي فنظر الخطابة بالذات في الجزئيات من اي مقولة اتفقت ولا يخص جزئيا دون اخر بل يقصد
بها الاقناع من اي جزئي اتفق على ان لها ان تنظر بالعرض في الامور الكلية من الالهيات والطبيعيات والخلقيات والسياسيات و
الخطابة لها اصل ومتممات تتممها وتعين عليها اما الاصل فهو القول الذي يظن انه لذاته يفيد اقناعا واما المتممات فجملتها ترجع
الى حرف واحد وهو انه لما كان الغرض من الخطابة ليس الا الاقناع كان كل مقنع ناسب الغرض منها فهو من متمماتها والامور المقنعة
اما قولية يراد بها تصحيح قول اخر كالقول الذي يقصد به الخطيب تقرير فضيلته عند السامعين او القول الذي يروم به اثبات

ان الشهادة

ان الشهادة مقنعة او كون المعجزة حجة واما شهادة واما حيلة اما الشهادة فاما قولية واما حالية اما القولية فكالاستشهاد بقول نبي او
امام او حكيم او شاعر وتسمى شهادة مأثورة او الاستشهاد باقوال القوم يحضرون فيصدقون قول القائل بان الامر كما بين او الاستشهاد بالحكام
الحكام او السامعين بان القول مقنع وتسمى شهادة محصورة واما الحالية فاما ان تدرك بالعقل او بالحس والاولى فضيلة القائل و
اشتهاره بالصدق والتمييز واما الحال التي تدرك بالحس فاما بواسطة القول او بدونه فاما الاول فكالاستشهاد بالمعجزة عقيب
التحدي على صدق قول المدعي وكشهادة حال الحالف عقيب يمينه على قبول قوله وكشهادة حال المتعاهدين على قبول قولهما بعد
وضع العهود التي هي اقوال مدونة مكتوبة واما الحال المدركة بالحس من غير القول فاما احوال تتبع انفعالات نفسانية كشهادة سحنة
وجه المخبر ببشارة على قبول قوله او شهادة سحنة المذعور الخائف المخبر عن نزول عذاب وحلول آفة على قبول قوله او تكون طارئة
من خارج كشهادة جراح القائل او غيره على تقدم القتال والحرب واما الحيلة فتفيد الاعداد والاعداد اما للقائل بحيث يكون مقبول
القول او للقول بحيث يصير انجح وانفع او للسامع بحيث يكون اقبل واما القائل فان يتكلف الاستشهاد على فضيلة نفسه والدلالة
عليها او يتهيأ بهيئته ويتزيا بصورة يجعل مثله مقبول القول واما القول فان يحسن فيه تصرفنا برفع الصوت تارة ويخفضه
تارة يثقله وتارة يلينه ويجهر به وتارة بالاصغاء في ذلك حال من يقصد استماعهم كما سيأتي في التزيينات واما السامعين فاما مخاطب المقصد
الاول واما حاكم يحكم بين المتخاطبين واما نظارة اما المخاطب فيحتاج ان يستعطف ويستمال ليجنح الى تصديق القائل وكذا الحاكم
واما النظارة فيكفي فيه ان يهيأ بالحيلة بهيئة مانعة عن مصادفة وان لم يفعله لتصديق وانما تأثير الحاصل للسامع اما انفعال كالرقة والرحمة
في الاستعطاف والقساوة والغضب في الاغراء واما ايهام خلق كايهام الشجاعة او السخاوة وغيرهما فقد ظهر ان الاقوال الخطابية التي
يقصد بها التصديق ثلاثة اصناف اصل ويسمى عمودا وهو القول الذي يراد به التصديق بنفسه والثاني النصرة وهي القول الذي يصير
به ما يقصد به التصديق كالشهادة والثالث الحيلة وهي قول يفاد به انفعال ما او ايهام الخلق وهما متممان للاصل فهذه اجزاؤها **البحث الثالث**
في مبادئ الخطابة اعلم ان مبادي الاقوال الخطابية ثلاثة احدها المشهورات المحمودة وهي اما حقيقية اتفق عليها الجمهور وطائفة
عينها الشرايع والسنن وهي التي اذا تعقبت بالنظر لم يزل حمدها وان اطلع على كذبها كحسن الصدق وقبح الكذب والظلم وغيرها واما
محمودة ظاهرة في بادي الرأي وهي التي تناقض الذهن فيحكم بصدقها قبل التفطن لها فاذا تعقبت زال حمدها لظهور كذبها وشنعتها
كقولك انصر اخاك ظالما او مظلوما وهذه اعم من التي قبلها اذ كل محمود حقيقي محمود في الظاهر ولا ينعكس واستعمال الخطابي للاولى لا من جهة
كونها حقيقية بل لكونها ظاهرة واما محمودة بحسب قوم او شخص ينتفع بها في مخاطبته ومثل هذه وان نفعت في الخطابة الا
انها لا تكون عمدة في صناعة الخطابة لكونها غير متناهية او غير مضبوطة فان كل شخص يرى ما يهوى وتختلف الاراء بحسب الاهواء وثانيها
المقبولات اما عن جماعة او عن نفر او عن نبي او عن امام كالشرايع والسنن وعن حكيم كالطب المنقول عن جالينوس وبقراط او عن شاعر كابيات
تورد شواهد وتكون مقبولة فقط من غير ان تنسب الى مقبول منه كالامثال المضروبة وثالثها المظنونات وهي الاحكام التي يتبع
الاذعان فيها غالب الظن من دون جزم العقل بها كقولك زيد يسار العدو ليلا فهو عدو وربما يكون مقابله مظنونا كقولك زيد
يسار العدو جهارا لخدعه فهو صديق واما المقبولات هذه فهي ما يظن منتجا وهو مقنع بحسب المواد والصورة معا وتستعمل القياس
والتمثيل والاستقراء وما يشبه الخلف بها اما القياس فيسمى ضميرا لحذف كبراه وتفكيرا لاشتماله على وسط يستخرج بالفكر وهو اما على
هيئة الشكل الاول كقولك علي محضوا قدماه على الطريق يقفوا وجثوا على الحجة فظفر وانا العقبى الدائمة والكرامة الباردة فان تقدير الكبرى
وكل من كان كذلك ظفر بالعقبى الدائمة ويسمى هذا دليلا واما على هيئة الشكل الثاني كقولك فلان له بيان في يقين فليس من الفساق
فان تقدير الكبرى ولا واحد من الفساق كذلك وعلى هيئة الشكل الثالث كقولك العارف شجاع جواد فالشجاع جواد لان تقدير
الكبرى العارف جواد ويسمى ما كان على هيئة هذين الشكلين علامة والقياس الظني قد لا يكون منتجا في نفس الامر اذ ليس من شرط
الخطابة ان تكون على هيئة منتجة كموجبتين في الشكل الثاني كقولك هذه منتفخة البطن فهي اذن حبلى وتقدير الكبرى والحبلى
منتفخة البطن ويسمى هذه رواسم لو سمها في الذهن ظنا ما واما التمثيل فيسمى اعتبارا لعبور الذهن من المشبه به الى المشبه وقد يسمى المنج
منه بيرغ برهانا واستعمال التمثيل والقياس يسمى تثبيتا والتمثيل اما ان يكون باصول متفق على القياس عليها سواء كانت امورا
موجودة او حوادث ماضية او امثالا مضروبة واسمارا واما ان لا يكون كذلك بل امور يخترعها الخطيب كمثل وحكاية اما ممكنة او غير
ممكنة والاول كالاستشهاد على من يفتخر باصحابه من الدنيا بالقرون الماضية واحوالهم واما الثاني فالممكن كما يقول المشير على
صديقه لا تعاشر الجهال فاني عاشرتهم فندمت وقد لا يكون عاشرهم واما غير الممكن فكالاستشهاد باقوال الحيوانات الموضوعة
في كتاب كليلة ودمنة وامثاله واما الاستقراء فينفع فيه بجزئيات كثيرة كقولك لمن يشير عليه حصل السيادة بتحصيل الفضيلة
لان فلانا فعل ذلك فساد وسمعت في كلام علي كثيرا واما ما يشبه الخلف فكتفضيله من يذم عثمان بقوله لو امرت به لكنت قاتلا

فاتدار ادبفهم عدم الامر بابطال لوازم الامر وهو كون فاعلها المستلزم لابطال الامر المستلزم لاثبات المطلوب وهو عدم الامر وكذلك التوبيخ كقوله تعالى
في توبيخ العلماء في اختلاف الفتيا افامرهم الله تعالى بالاختلاف فاطاعوه فاتدار ادبيان عدم صحة اختلافهم بابطال امر الله تعالى اياهم
المستلزم لابطال نقيض المطلوب هو صحة الاختلاف والمقدمة التي من شانها ان تصير جزء تثبيت شيء موضعا وحقها ان لا
تكون دقيقة علمية ولا واضحة تستغني عن ذكرها كالضروريات والقوانين التي تستنبط منها المواضع تسمى انواعا والبحث في الخطابة
عن الضروريات الاولى بل انما يبحث فيها في الاكثر عن الاكثريات والراي قضية كلية ينتفع بها في امور عملية فعلا او تجنبا نتائج
الاراء او ما مثلها الا انها غير مقنعة ما لم تقرن اليها العلة كقولك لصديقك مثلا لا تحرص في جمع المال فانه لا يقبل ما انظر
ذلك لانك تشقى بجمعه في الاخرة خصوصا اذا كان الراي شنيعا كقولك لا تحصل الفضائل فانه ما لم تقرن به العلة كقولك كيلا
تحسد لا يقبل ذلك والراي اما لا يحتاج الى كلام يقرن به لظهوره في نفسه او عند اهل العقل او عند المخاطب او يحتاج اليه اما
ما تقرن به ليؤدي الى المطلوب فح فالقرينة اما نتيجة الراي او ما نتيجته فان كانت نتيجة الراي او كان نتيجة فان كانت نتيجة الراي كقولنا
لاصدقائنا احب صديقك زيدا ناصح فالضمير المقنع هيهنا ليس الراي وحده بل مع نتيجته وهو جزء من الضمير وان كان ما ضم اليه
هو المنتج له كقولك لا تكتسب الفضائل فتحسد كان الراي هو الضمير المقرب فاتمه المقنع لذاته وبالله التوفيق **البحث الرابع** في اقسام
الخطابة بحسب اقسام اغراضها واعلم ان جميع المفاوضات الخطابية ثلثة مشاورة ومنافرة ومشاجرة ولكل واحدة من هذه الاقسام
غرض خاص اما المشورة فهي مخاطبة يراد بها الاقناع في ان الامر الفلاني ينبغي ان يفعل ليفعل او ان الامر الفلاني لا ينبغي ان يفعل ليترك
واما المنافرة فمخاطبة يراد بها الاقناع في مدح شيء بفضيلته او ذمه بنقيصته واما المشاجرة فمخاطبة يراد بها الاقناع في شكاية
ظلم او اعتذار بانه لا ظلم وربما لم يقع الاعتذار في وقوع الامر نفسه ولكن في كونه نافعا او ضارا او ظلما او غير ظلم كاعتذار الظالم
من بعضهم بان الذي فعله به ليس بظلم او باعتذار المذموم بان الذي فعله ليس بنقيصة وانه فضيلة اما المشورة فليس المشورة
انما هي مشورة بسبب اقناعها في امر هو نافع بالحقيقة فانه قد لا يكون نافعا بالحقيقة والمقصد المشير لكنه ان يبين انه نافع رام
الاقناع به فيكون المخاطبة في ذلك مشورة وقد لا يكون للمشورة بالنافع بل بالجميل الذي ربما كان في العاجل ضارا وله نفع من
جهة اخرى وكل المدح والذم لا بالحقيقة دائما النافع والضار حتى يكون المدح بالنافع والذم بالضار بل ربما كان المدح
ايضا كاقتحام الاذى والضرر وركوب الاهوال للذكر الجميل فانه يشار به ويمدح فاعله ويعظم كالذين يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون وكثيرا ما يجهد المتغافل بايثار الموت على الحيوة والامور المشورية عظيمة تبتني عليها الشرايع والسنن والسياسات
واقسام الامور المشورية العظيمة الفائدة النفع دون الجزئيات النافعة بحسب احوال الاشخاص خمسة العدة والحرب والسلم وحماية
المدينة ومراعاة امر الدخل والخرج وتفريع الشرايع ووضع المصالح والخطيب المشير في امر العدة ينبغي ان يكون بصيرا بجنس انتفاع
المدينة وكميته وكمية النفقات الجارية على القسط لنوائب الدخل والخرج ويشير بنفي البطالين عن حوزتهم وبنفع المدينة
بالحجر على المسرف وتوقيفه على حد العادل ويحفظ بجزئيات الاخبار والفوائد التجربية لانها تنال اكثر والمشاور على المشير
في امر الحرب ان يكون له بصيرة بانواع الحرب وسماع اخبار المتقدمين من المقاتلة في مدينته وما يليها ورسومهم و
مذاهبهم ان يحيط علما بخبر مدينته ومحاربيها وعدتهم وعددهم ودربتهم بالحرب وعادتهم ونقاء دخيلة قومهم وصفاتهم
او ضد ذلك ويوضح نظيره عليهم في كل وقت وتقلبهم الى مقاتلهم وان يعتبر الجزئيات لسائر الفرق في الامور واشباهها مخالفة
خذ واشكالها فانه تستنبط من هذه الاحوال مقدمات ينتفع بها في المشورة واما المشير في حفظ المدينة فينبغي ان يعلم انواع
الحفظ لانواع البلاد المختلفة سهليتها وجبليتها او بريتها وبحريتها وما يحيط بها ومواقع المسالح قربا وبعدا والمدارج المخوفة و
التي يرتادها المغتالون فيشير فيها بالارصاد فان ذلك قد يقف عليه من لم يشاهد المدينة وان يعلم عدد الحفظة والرصد
وبياناتهم ليبدل قليلهم ويبدل خائنهم بالناصح وان يعرف الحاصل من القوت وما يحتاج الى جلبه واعداده من خارج المدينة
فان القوت وما يجري مجراه اذا انحسمت مادته لم يمكن حفظ المدينة وتدبيرها فينبغي ان يكون المشير عارفا بمقدار حاجة كل الى كل
وباحوال اهل الفضائل والثروة منهم فيشير بما ينبغي ان يستغني برفده من اهل الفضائل وما ينبغي ان يستغني برفده باهل الثروة
فيما ينتظم به امر المصلحة واما الخامس فهو المشورة في امر السنن وهو من اعظم الابواب خطبا واحوجها الى فضل قوة الخطابة وعلى السائس
ان يحقق عدد انواع الاشتراكات المدينية وما يتولد من تركيبها وان يعلم ما يناسب كل امة من الاشتراك بحسب عاداتها والاسباب
الحافظة لذلك الاشتراك والمفسدة له وفساد المدينة التي الحكم تدبيرها يقع من احد امرين اما عنف المدبرين لهم في الحمل على
الواجبات او من اهمالهم ومسامحتهم فينبغي ان يكون المشير بصيرا باصناف السياسات وما يعرض لكل واحد منها من العوارض
وما يؤول اليه كل واحد منها فيوضع كل واحد منها في موضعه فلا يستعمل القهر والغلبة في موضع الرفق ومراعاة مصلحة

المرؤسين

المرؤسين لاكرامهم وتعظيمهم ولا بالعكس فلا يحصل هناك قانون ناظم فقد عرفت بما ذكرنا المواضع التي منها ينتزع المقدمات المشورية
في الامور العظام ومما يعين على وضع السنن وتقريرها تامل قصص الماضين واحوالهم واما الامور المتوزعة التي فقد يحسب احوال
شخص شخص فهي وان كانت غير مضبوطة الا ان جميعها يشترك في انها يقصد بها صلاح الحال كان بالحقيقة او بالظن ونعني بصلاح
الحال هو الفعل الممكن عن فضيلة النفس وامتداد العمر شفوعا ببهجة القلوب وتوافر الكرامة من الناس في رفاهية وطيب عيش و
وفايته وسعة ذات اليد في المال والعقد وتمكن من استدامة هذه الاحوال والاستزادة منها واما اجزاؤه فمنها ما ينسب الى الخير ومنها
ما ينسب الى الشر اما الخيرية فاما بدنية كزكاء الاصل وكثرة الاخوان والاولاد وصلاحهم والميسار والانعام والقوة والصحة والجمال
والفصاحة وجميل الاحدوثة والجاه والبخت واما نفسانية كالعلم والذكاء والزهد والشجاعة والعفة وحسن السيرة والاخلاق
المرضية وحصول التجارات والصناعات فعلى الخطيب ان يشير باعداد هذه الانواع وكذلك ما ينسب الى النافع وهو كل ما يوصل الى
شيء من الخيرات كالجد والطلب وتحصيل الاسباب والوسايل والنهاض الفرص ومواتاة الحظ واما الامور الشرية فهي ما يقابل
هذه وعلى المشير ان يشير باجتناب عللها وما يعوق عن الخيرات كايثار اللذة والكسل واللهو والبطالة وفوات الاسباب وفقد
الفرص وسوء التوفيق وكذلك قد يحتاج الخطيب الى اعداد مقدمات في ان هذا الخير افضل وان هذا النافع كالحكم بان افضل
الخيرات اعمها وادومها واكثرها نفعا واولاها بالقصد لنفسه واعزها واعظمها واشهرها واكثرها استلزاما للحاجة اليه و
اكثرها استلزاما لو غبة الجمهور والاكابر فيه وكذلك يحتاج الى مقدمات بعينها في ان هذا الشر اضر كالحكم بان اشر الشرور
اعمها وادومها واولاها بالهرب منه واكثرها استتباعا للشرور ويجب ان يستكثر من ضرب الامثال والمراد التذكير واقتصاص
احوال الماضين واما المنافرات وهو باب المدح والذم فعلى الخطيب تحصيل الانواع النافعة في المدح والذم المتعلقة بالفضيلة
والرذيلة واجزاء الفضيلة هي البر والشجاعة والعفة والمروة وكبر الهمة والسخاوة والحلم والثبات واللب والحكمة وقد يلزم بعض
هذه خيرات تتعدى الى غير الفاضل كالخير المتعدي من البر والشجاع والسخي الى غيرهم واجزاء الرذيلة اضداد ما ذكرنا كالجور والبخل
للبر والجبن للشجاعة والفجور للعفة والدناءة للسخاء والاستخفاف لكبر الهمة والنذالة للمروة والطيش للثبات والبلاهة للسفاهة
هي الفضايل والرذايل وما عدلها فاسبابها وعلاماتها علتها مثلا كايجاب الغيرة والخشية من الله تعالى والعلم وطلب الذكر
الجميل للعدل وايجاب الاحتياج والوثوق بان لا مقاوم له وعدم المبالاة بالعاقبة وامثالها للجور وكذلك سائر الاسباب
وكالانفعالات اللازمة للعادل عن لزوم العدل حتى يحتمل شدة العذاب مثلا في انتزاع ما في يده من الامانة ولا يسلمها
الى غير اهلها ومن الممادح ايضا مقاومة الاعداء والانتقام منهم والجزاء على الحسنة والسيئة ومن مادح الشجاع الغلبة والكرامة
وان يفعل فعلا لا يذكر وينتشر ويسهل تخليده او يبقى اثرها في الاعقاب ومن الممادح ايضا علامات تختص الاشراف بها كارسال
شعر العلوي وطرحه العالم فان ذلك من علامات شرفهم ومن المدح وحالات ايضا الاستغناء عن الناس في باب كان وقد
يذكر المدح على سبيل الترويج والمغالطة فيعبر عن الرذيلة بعبارة تنظمها في سلك الفضيلة اوكانا يحتمل حكمهما بينهما وهذا
لا يحتاج الخطيب الى مدح التاقصين فيجعل نفس المشترك بين الفضيلة والرذيلة مكان الفضيلة فيمدح الجريء بانه حسن
المشورة والفاسق بانه لطيف العشرة والغبي بانه حليم والغضوب بانه نبيل والابله الغافل عن اللذات بانه عفيف والمتهور بانه
شجاع والماجن بانه ظريف والمبذر في الشهوات بانه سخي وفي عكس ذلك اذا قصد ذم الفاضل يذكر الفضيلة في معرض
الرذيلة فيذم اللطيف العشرة بالفسق والحليم بالغباوة والنبيل بالغضوب والعفيف بالابله والشجاع بالمتهور والظريف بالماجن وكذلك
في سائرها واما الامور المشاجرية فعلى الخطيب عد انواع اسباب الجور والجور هو الاضرار الواقع بالقصد والمشية ولم ترخص الشريعة
فيه بوجه واما الاسباب المحركة اليه فكالكسل من الكسلان فانه عند ما يتخيل الدعة التي يهواها يكون سببا لجده لان ضده
وكالجبن الذي يكون سببا لاضاعة الحريم وهلاكهم وكايثار الراحة من التعب وحب البطالة واللهو المؤدي الى ترك اكتساب الفضايل
وكالغضب المؤدي الى العسف وعدم الظفر بالمطلوب عند الغلبة والافحام وكاستباحة التصرف في مال الغير وعرضه ودمه و
الاستهزاء بالخلق والحرص والوقاحة واسباب ابعد لعلها لعموما يقابل هذه الاسباب فهذه امور اذا علمها الخطيب اخذ منها مقدمات
في انه لما كان الجائر كذا اقدم على الجور والجور اسباب كثيرة مذكورة في الكتب المبسوطة **البحث الخامس** في انواع مشتركة للامور الخطابية
الثلثة وههنا انواع مشتركة للاصناف الخطابية يجب على الخطيب اعدادها لينتفع بها فمنها ما يعد لاستدراجات من سامعي
الانفعالات والاخلاق فمثلا ما يعد للغضب كالاستهانة والعنت والشتيمة وقطع العادة في الاحسان ومقابلة النعمة بالسيئة
او بالكفران والقعود عن جزاء الجميل بمثله او بعد لضده وهو فنون الغضب كالاعتذار وبعد معرفة من قصده بالاستهانة
او بعدم قصد الاهانة وكالاعتراف بالذنب والاستغفار بالتوبة والتذلل والتلقي بالبشاشة وكذلك هيبة المهيب والاستحياء

ونفع

لتعظيمهم

ومكانه تذكر … من الفضايل

من المشتهي عنه فان الغضب لا يجامعها او بعد الحزن كالانواع التي توجب تصور فوت المرغوب فيه او حصول المحذور
منه او عدم الانتفاع بالحيلة والتدبير او لضده وهو التسلية كالتي توجب الاقناع في ان هذا الامر يمكن ان يدفع او يرجى
التلافي في التدارك او باعتبار حال الغير فان المصيبة اذا عمت هانت او بالارشاد الى الحيل بتحصيل الامر التي لاجله
الحزن او بعد الخجل والاستحياء كالفرار من الزحف وخيانة الامانة وارتكاب المظالم ومعاشرة الفساق ومداخلتهم في
مواضع الريبة والحرص على المحقرات ومقارفة الدنايا كاكتساب السكين ونبش الكفن والتفيه مع النساء ومعاوضة اللئام بال
بالاستماحة وكاستشعار الشماتة من الاعداء او بعد لابطال الخجل وهو اضداد هذه الاسباب او للاهتمام بالغير والشفقة
عليه او الاسباب الباعثة على الاهتمام كالعذاب المهلك والاوجاع والجهد والكبر والسقم والخصاصة وسوء البخت وعدم
الانصار وعلامات الاهتمام كايثار المهتم له على النفس والاحسان اليه بغير منة وستر عيوبه وتصور في مغيبه والوفاء له او لضده
وهو الحسد كوصول خير الى غير من يرى الحاسد انه اولى به منه او الى من لا يحبه او للغيرة كتخيل مشاركة من لا حق له في الحق
من غير ان يدخله صاحبه فيه او للشكر للنعمة وهو ان يقول الخطيب ثم اعطى فلان لنفس النفع لا للجزاء بتوقعه او يقول
انه نفع في وقت الحاجة وفي وقت تعسر المعونة من الناس وانه انعم بما لم تسمح نفس غيره به او انه اولى من انعم فيحرك غيره للانعام
او انه لم يرد بالصنيعة ذكرا او انه يستر الصنيعة سترا او للكفران وبحجة النعمة كان يقول لم ترد بعطائك الا اعراضا وانك لم تتم النعمة
وانك قصرت عن الواجب عليك بمثله وانك لم تصطنع بقصد بل لصرفه او اتفاقا او لرغبة في مجازات فان ذلك كله مما يبطل
المنة او للشجاعة كان تقول المكروه عنك بعيد ولا وجود له عندك ولا محل عندك للاقران والمبارزين وكقوله انت كثير الانصار
قويهم وانك بريء عن الظلم قليل الاحتمال له او لضدها وهو الجبن كقوله انك في القلة وما تحصول المكاره وان خصمك غالب
القوة فلا طاقة لك به وان انصارك قليلون او ضعفاء وامثال ذلك وكذلك يجب على الخطيب ان يحصل انواعا تعين على كل خلق
خلق يختص بصنف صنف من الناس اما باعتبار الاسنان كان يقول للشاب الذي يغلب عليه اللذة ان هذا وقت التنزه والزمان
المساعد والشباب بعد فانه غير عائد وهذا الربيع قد اشرق نواره وتفتقت ازهاره وكمدح الماكل والمشارب والملابس والمراكب ونحو
يقول للشيخ الذي يغلب على طباعه طلب النفع والحرص على الدنيا ينبغي ان تقتصر على تحصيل ما ينفعك والله وغيرهم لا يوثق به وينبغي ان تقلل
لئلا تستضر عيالك وينبغي ان لا تنخدع لفلان ولا تغلط معه لانك جربت الخداع او باعتبار اخلاقهم في البلدان كان يقول للعربي الذي
طبعه الفصاحة انك لذو فضيلة عظيمة ولو لم يكن من فضل الفصاحة الا انها وجه اعجاز القرآن لكفى وامثاله وكان يقول للترك
من جهة ما هم غلاظ الطباع كثيرة الاطماع ان بني فلان اعداؤكم ولا ناصر لهم وهم قليلون ونعمهم كثيرة وان القفل الفلاني كثير النعمة
ولا حارس له فيغريهم بذلك وكما يحرك طباع الفرس الى حسن التدبير الذي هو عادتهم بما يناسبه او الى الملال الذي هو طباعهم بما
يناسبه او باعتبار المنسم كما يحرك ما في طباع الملوك من الكبر وعدم الالتفات الى الغير بما يناسبه وما في طباع الشاقين من الدناءة
بما يليق به ومن جملة الامور المشتركة ما تتعلق بالممكن من الامور وغير الممكن كان يقول الخطيب اذا اراد ان يقنع بان الامر الفلاني ممكن
فيقول هذا الامر مما يستطاع فهو ممكن او نقيضه ممكن فهو ممكن او شبهه ممكن فهو ممكن او الصعب منه ممكن فهو ممكن او اراد ان
يقنع بانه متوقع كونه فيقول الامر الفلاني مقدور عليه ومراد فلا بد ان يكون والنادر يكون فالاكثري يكون ويمكنك ان تعلم انواع
ما لا يكون وانواع ما لا يمكن من انواع ما يكون وانواع ما يمكن فهذه جملة من الامثلة تهدي الخطيب الى امثالها وليس يجب عليه
ان يضبط ما لا يتناهى من الامور بحسب ما يخص كل واحد من اموره الجزئية فان ذلك غير ممكن بل يضبط القوانين الكلية المتعلقة
بالاجناس الثلاثة للخطابة ويجتهد في ان يخصصها مهما امكن فانه كلما كان الحكم بالجزئي المتكلم فيه اخص كان انفع واقنع مثاله
اذا اردت ان تمدح زيدا فقلت هو شجاع لانه مستكمل الفضائل باسرها فهذا وان كان مقنعا الا انك لو خصصت فقلت لانه هزم
جيش العدو وقت كذا او قتل البطل الفلاني يوم كذا لكان ذلك اقنع والبق بالممدوح وقد تنفع في الخطابة القضايا المتقابلة ولطا
بها للاقناع فيستعمل الضدان في ايجاب كل واحد من النقيضين كقولك لا تتكلم في المحافل لانك ان صدقت ابغضك الناس وان
كذبت يبغضك الله ثم تقول تكلم في المحافل لانك ان صدقت احبك الله وان كذبت احبك الناس والمقابلة ههنا ان افاد
اقناعا كانت من صناعة الخطابة ثم امثالها اما من باب اشتراك الاسم كقولك الكلب يبصر الانسان لانه عين او من باب تركيب
المفصل كقولك فلان شاعر جيد فيوهم ذلك التركيب مدح الشعر بالجودة والتقدير فلان جيد او من باب وضع ما ليس بعلة
علة كما يقال فلان مبارك القدم لانه مع قدومه تيسر كذا او من باب المصادرة على المطلوب كما يقال زيد يشرب الخمر فهو
لان اخاه يشرب الخمر واما ان لم يوضع اقناعا كما يقال فلان لم يرتب باختياره لانه زنا وهو سكران لم يكن من صناعة الخطابة
وبالله التوفيق **النهج السادس** في تحسينات الخطابة الامور المحسنة للخطابة اما ان تتعلق بالالفاظ واما ان يتعلق

بالترتيب

بالترتيب واما ان تتعلق بهيئة الخطيب اما الاول فاعلم ان تحسين الالفاظ في الخطابة عظيم النفع فان جزالة اللفظ توهم جزالة المعنى وقد كان
اللفظ يذهب بقوة المعنى ومحسنات اللفظ امور الاول ان يكون اللفظ فصيحًا عذبًا غير ركيك حروف الفاظه ولا مستهجن يرتفع عن ان
يصلح لمخاطبة الجمهور لان الطباع العامية تنفر عن العبارة العلية ولا ملحونًا لان اللحن يهجن الكلام ويرذله وهذه الاعتبارات موجودة
في كلام علي ع كثيرًا الثاني ان يراعي تمام الرباطات وهي الحروف التي يقتضي ذكرها ان تكرر كقوله ع في صفة الملائكة منهم سجود لا
يركعون ومنهم ركوع لا ينتصبون وكذا باقي الاقسام فلو لم يحصل التكرار ههنا لنقص الكلام وكذلك قوله ع المرء المسلم البرئ من
الخيانة ينتظر احدى الحسنيين اما داعي الله فما عند الله خير له واما رزق الله فاذا هو ذو اهل ومال الى الآن يكون تكرارًا معلوما
كقوله ع في كثير من خطبه اما بعد فان هذا الجزء مسبوق باما قبل وان لم يذكر لوضوحه الثالث ان لا يباعد ما بين الرباطين بحشو
طويل ينسي الوصلة بينهما الرابع ان يراعي حقه من التقديم والتأخير فان تأخير الشرط عن المشروط وتقديمه لا ينافي الدعوى ويتبع بعض
هذه الاحكام قد يخص بعض اللغات الخامس ان يزين بالتشبيه والاستعارة ويكون تلك الالفاظ المستعملة فيه خاصة غير مشتركة و
مغلطة فقد يوجد اللفظ موهمًا للشئ وضده كقول المنجم اذا دخلت سنة كذا يجدد دولة الاسلام امر عظيم فذلك يحتمل الخير والشر ويوهم
لهما وفائدة التشبيه والاستعارة ههنا الاستعانة بالتخييل الحاصل منه على ترويق المعنى فانه يحصل له رونق لا يحصل بدونه والالفاظ
المستعارة والمخيلة وان كانت اصلا في الشعر فقد يستعملها الخطيب بالعرض فيكون في الخطابة كالابازير السادس ان يراعي لفظ الواحد
والتثنية والجمع ونحوها من التصاريف وكذلك التذكير والتأنيث ذي العلامة وغيره رفعًا للغلط السابع قد يزين اللفظ بالايجاز
اذا اعتمد على فهم السامع من تعقب الاقناع فيه الحدود والرسوم ههنا الى اللفظ المفرد وقد يزين بالبسط فيعكس ذلك وقد
يبدل اللفظ المفرد العلم لشناعته كما يقال عورة المرء ووطيها ودمها عوض اسمائها الصريحة واكثر ما يستعمل مثال هذا
في الافراطات في المدائح ويكره التصريح بالاسماء الصريحة احتشامًا وتنزيها للمجالس عن ذكرها وكذلك يستعمل في الاعتذار
كثيرًا وحيث يراد التهويل للتخويف في المشوريات الثامن ان يزين بالمفاصل اي يكون ذا مصاريع وتسجيع ووزن ما لا الوزن
الحقيقي وذلك كقول علي ع اما بعد فان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع وان الآخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع وقد
عرفت المتوازن فان ذلك قريب الى ثبات اللفظ في الخيال ثم تلك المفاصل ينبغي ان لا تطول لئلا ينسى الاول ولا تقصر جدا
فلا يحتفل به النفس فيحصل انقطاع عن استثبات المقول له ثم المفاصل قد تكون متشابهة وتسمى المقسم كما مر في المثال في صفة
الملائكة وقد يكون تلك الاقسام متقابلة كقوله ع اما الامرة البرة فيعمل فيها التقي واما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي ولكل
واحدة من الخطابة المسموعة والمكتوبة اساليب خاصة ولكل صنف منهما واما الثاني وهو الترتيب اعلم ان للاقاويل الخطابية
صدرًا ووسطًا وخاتمة فالصدر كالوسم الذي ينقش عليه ويعرف السامع منه الغرض اجمالًا واما الوسط فقد يكون اقتصاصًا
لامر واقع ليحكم بانه حسن او قبيح كما في المنافرة وعدل وجور كما في المشاجرة وقد يقدم على الصدر اقتصاص لامور تستلزم الشكر
والمدح من الفضائل ويهيئ السامع لذلك كما جرت العادة بتقديم اقتصاص صفات الله وحمده وصفات رسله عليهم السلام وقد
يكون الوسط غير اقتصاص بل دالا على مصالح وحث عليها كما في المشورة اذ ليس فيها ما يحكى ويشتكي ويحمد ويذم ويتبين فيها
منافعه ومواقعه والصدر فيها حسن ليكون المشار عليه قد وعى الغرض واستعد للقبول وهو في المشاجرة قبيح واما الخاتمة
فهي حسنة في المشورة ايضا والذي يليق بها ان يكون اجزاؤها مفصلة غير مخلوطة بما قبلها وخصوصا في المشوريات وهو ان يقول
المشير قد قلت ما عندي من النصيحة والرأي ما ترون وكما يقول الخطيب اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم انه هو
الغفور الرحيم ونحو ذلك واما الثالث وهو الامور التي تتعلق بهيئة الخطيب فيخيل محقا او يخيل اخلاقا واستعداد ذات
الافعال وانفعالات ويسمى ذلك نفاقا والاخذ بالوجوه وهي اما ان يتعلق بصوته كرفعه في موضع الرفع وخفضه في موضع
الخفض وبتركيبه نفسه او بكونه على زي وهيئة وسمت حسن يصيد به القلوب وهذا القسم مما يكثر الاقناع باستعماله مع ضعفاء
العقول اذ كانوا الى السند راجعات بالامور المحسوسة اطوع ولذلك يكثر في اعينهم من كان يرى النساك والمستكثرين من العبادة
والخشوع الظاهر وان كان جاهلا مراعيا ولما لم يكن غرضنا من التعرض بذكر الخطابة ههنا الا الاشارة الى اقسامها الكلية لتبيين
معنى الخطابة وما عسى ان نذكره من ان الخطابة التي نحن شارعون في بيانها من اي اقسام الخطابة هي وليتفطن المطالع على ما ذكرنا
ههنا لما نبينه من ذلك لا جرم اقتصرنا على هذا القدر من الابانة واما البسط ففي الكتب المطولة واعلم ان الغالب على كلام علي ع
هو المشوريات واما المنافرات والمشاجرات فيها اقل كما ستعرف ذلك عند تصفح اقواله ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق خاتمة لهذه القاعدة
واما الخاتمة ففي بيان غاية من الخطابة واعلم انه لما كان الغرض من وضع الشرائع والسنن انما هو نظام الخلق وجذبهم الى الجناب
المقدس عن دار الغرور وعن تكبرهم ليعبدوا الحق وتعليمهم كيفية السلوك للصراط المستقيم كما اومانا اليه وعلم من ذلك ان عليا ع كا

معتبرة للشريعة ومثبتاً لها وموضحاً للمقاصد سنن الرسول صلعم ومعرفاً الاحكام فهذا انه كان هو الممنوح بجوامع العلم والمطلع على الاسرار الالهية
لم يكن مقصوده من جميع الاقوال المنقولة عنه الا الغرض الاصلي من وضع الشرايع والسنن بيان ذلك انك قد علمت ان الاقوال الخطابية
تنقسم بحسب اغراضها ثلثة اقسام مشاورة ومنافرة ومشاجرة اما المشورة فانها الجزء الاكبر من كلامه ولنتكلم من تصفح كلامه ان كل
ما يشير به المقصد الاول فانما هو الاقبال على الله تعالى بترك الدنيا والاعراض عنها والاستكمال في الفضائل وترك الرذائل والمنقصات
الجاذبة الى الجنبة السافلة المانعة عن الوصول الى الله سبحانه فان عرض في كلامه امر بحرب او نهي عن امر جزئي لا يلوح للغافلين منه هذا
الغرض كمصالح الحرب والعدة والمدينة وغير ذلك فانه عند الاعتبار يرجع اليه لان كل ذلك يرجع الى عضوة الدين وتقويته ونظام امر
العالم وترتيب مصالحه واما المنافرة فقد عرفنا ان جميع ما ورد في كلامه من الذم انما هو للدنيا واتباع الهوى وارتكاب الرذائل الموبقة
ومن ارتكبها واشباه ذلك مما يبعد عن الله تعالى وما ورد فيه من المدح فانما هو لله سبحانه وملائكته ورسله والصالحين من عباده وما هم عليه
من الفضائل وترك الهوى والاعراض عن الدنيا وما ينبغي ان يكون الخلق عليه من ذلك ولا شك ان الاول جذب الخلق بتحقير ما يميل
طباعهم اليه من الامور الفانية وتصغيره ونقصه والتنفير عنه وذمهم على الانكباب عليه ليفهموا عنه الى ما وراءهم من النعيم الابدي والخير الذي لا يترك
ولينكروا معبودهم الحق سبحانه ولا يكونوا من المرتضين لها الراكنين والثاني ان يصحبهم بتعظيم ما ينبغي ان يلتفتوا اليه وتكبيره ومدحه
والترغيب فيه وفيما يكون وسيلة من الفضائل والاعراض عن الدنيا وغير ذلك واما الامور المشاجرية فما كان في كلامه منها فاما بيان
للظلم والجور واسبابهما وما يؤول اليه من سوء العاقبة وقبح الخاتمة عند الشرع او بيان للعدل واسبابه وما يؤول اليه من حسن العاقبة
وجميل المنقلب الى الله كما يشتمل عليه كثير من كتبه الى عماله ومحاربيه ولا شك ان كل ذلك جذب الى الله تعالى بالتصريح والاشارة واما تظلم
من ظالم خرج عن ربقة الدين واتبع هواه وشكاية عن افعاله الخارجة عن نظام الشريعة المؤدية الى ضد مقصد الشارع ولا يخفى ان مقصوده
مقاصد
من ذلك التظلم والشكاية اقناع الخلق بان فعل ذلك الظالم اخذ لما لا يستحقه ليثبتوا على الحق ويفيئوا اليه وينكسر وهم من عساه يتوهم ان
خصمه على الحق فربما كان بقاء ذلك الوهم سبباً للخوض فيه وذلك بالحقيقة تثبيت على الحق وجذب عن الباطل وهو في نفس الامر مقصود
الشارع وغايته واما اعتذاره مما ينسبه اليه الجاهلون في حقه ظلماً وجوراً كاعتذاره عما يخيله جماعة في حقه ظلماً من القعود عن نصرة
عثمن حتى نسبوه الى انه قاتله ونصله منه وذلك كله عن ذلك كاعتذاره فيما يخيله الخوارج ذنباً له من تحكيم الحكمين وغير ذلك فان الاعتذار
في هذه المواضع وامثالها جذب الى الحق وصرف عن الباطل لان الاعتذار منه طلباً لاقناع من تخيل فيه ظلماً بانه ليس كما خيل اليهم
وان ما صدر ليس بظلم ولا جور ليفيئوا الى طاعته والاقتداء به فيما هو عليه من اتباع الحق ونصرة الدين والذب عنه ومعلوم ان ذلك
كله جذب الى الله سبحانه والى اسباب ما يوصل اليه فقد علمت من هذا البيان ان غايته من جميع اقواله انما هو توجيه الخلق الى
جناب الله والعالم الحق بحضرة القدس وهذه هي الغاية التي اتفق عليها الانبياء والرسل وتطابقت عليها الشرايع والسنن
ومن تأمل ما قلناه وترك متابعة هواه وطبق ما اعتبرناه من القانون الكلي على كلامه علم صحة ما ادعيناه وبالله التوفيق **القاعدة**
الثانية في بيان ان علياً كان مستجمعاً للفضائل الانسانية وفيها اصول **الفصل الاول** في فضائله التي لا حظ لاحد من خارج ولنذكر
منها وجوهاً **ا** نسبه من رسول الله صلعم وهو ابو الحسن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي امه فاطمة بنت
اسد بن هاشم بن عبد مناف وهي اول هاشمية ولدت هاشمياً وكان علي ع اصغر اولادها وعقيل اسن منه بعشر سنين وطالب اسن
من عقيل بعشر سنين وهي اول امرأة بايعت رسول الله صلعم من النساء وكان صلى الله عليه وآله يكرمها ويدعوها امي واوصت اليه حين
حضرتها الوفاة فقبل وصيتها وصلى عليها ونزل في لحدها واضطجع معها بعد ان البسها قميصه فقال له اصحابه في تخصيصها بذلك
فقال انه لم يكن احد بعد ابي طالب ابر بي منها وانما البستها قميصي لتكسى من حلل الجنة وانما اضطجعت معها لتأمن من ضغطة القبر **ب**
سبقه الى الاسلام وفضيلته في ذلك ظاهرة **ج** مجاهدته اعداء الله ونصرته للدين وذبه عنه ومقاماته في ذلك مشهورة
متواترة تكاد لا تحصى كثرة **د** تخصيص الرسول صلعم تزويجه فاطمة دون من خطبها من اكابر المهاجرين والانصار **هـ** كون الحسن
والحسين اللذين هما سيدا شباب اهل الجنة ولديه وذلك فضل عظيم **و** قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون
قيل انها نزلت في علي ع حين جعل عليه السلام مثلاً له فضل عظيم ويؤيد ذلك قول النبي صلعم له لولا ان تقول فيك طوائف من امتي ما قالت
النصارى في عيسى لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمر بملاء منهم الا اخذوا التراب من تحت قدميك وهذا الكلام يقتضي
انه لو وصفه بشيء لما وصفه الا باوصاف عيسى التي لاجلها قالت النصارى فيه ما قالوا **ز** قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه
مسكيناً ويتيماً واسيراً انما نطعمكم لوجه الله الآية اتفق المفسرون على انها نزلت في علي ع واهل بيته وسبب نزولها مشهور في كتب
التفسير وغيرها وكفى بذلك شرفاً **ح** روي انه لما نزلت وتعيها اذن واعية قال النبي صلعم اللهم اجعلها اذن علي ع ولا شك ان الرسول
كان مجاب الدعوة ولذلك قال علي ع فما شككت في شيء سمعته بعد ذلك وذلك من اعظم الفضائل **ط** من طرق وفي الكلل قول النبي

في حقه اللهم

في حقه اللهم ادر الحق مع علي حيث دار ولا شك انه استجاب دعاءه ومن كان الحق معه في اقواله وافعاله فلا مزية على فضله يج من طرق
العامة قوله انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي والاستثناء هنا يشهد باثبات جميع المنازل التي كانت لهرون من موسى
الا النبوة ومعلوم انه من الاخوة فيبقى كونه وزيرا وناصرا وقائما بناموس الشريعة ومفرعا للاحكام منها الكلية وخليفة لما كان
هرون كذلك ومن هنا تمسكت الشيعة بهذا الخبر في استحقاقه للخلافة وكفى بهذه فضيلة يا من طريق الكل قوله من كنت مولاه فعلي
مولاه وسواء كان المراد بها هنا بالمولى الاولى بالتصرف او الناصر فان الفضل حاصل يب قوله في حقه اقضاكم علي ولا شك ان القضاء
محتاج الى انواع العلوم وكفى بشهادة الرسول له بذلك فضلا يج قوله اعطيت جوامع الكلم واعطي علي جوامع العلم وكفى بهذه الشهادة
فضلا يد من طرق الشيعة انه خوطب بامير المؤمنين في حيوة الرسول ص وانكره المحدثون من غيرهم وروى احمد في مسنده وفي كتاب
فضائل الصحابة وكذا ابو نعيم الحافظ الاصفهاني في حلية الاولياء ان رسول الله ص خاطبه بيعسوب المؤمنين واليعسوب امير النحل وفي
ذلك اشارة الى فضله يه تربيته رسول الله ص من اول عمره الى ان اعده لاعلى مراتب الكمالات النفسانية قال ع في تربية النبي ص واثبات
اثره في خطبته المسماة بالقاصعة وقد علمتم موضعي من رسول الله ص بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وانا وليد يضمني
الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد
قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله و
نهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لي في كل يوم علما من اخلاقه ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه
ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله ص وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة ولقد
سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ص فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد ايس من عبادته انك تسمع
ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلى خير الى اخر الكلام حتى صار بهذه التربية استاد العالمين
بعده صلى الله عليه وآله في جميع العلوم وبيان ذلك مجملا فلقول النبي ص انا مدينة العلم وعلي بابها ولا شك ان المقصود من المدينة
هو المنبع الذي تفيض عنه العلوم الاسلامية والاسرار الحكمية التي اشتمل عليها القرآن الحكيم والسنة الكريمة وهو مصدرها والمحيط
بها لان شان المدينة بما تحتوي عليه كذلك وان عليا ع هو المرجع لتلك الاسرار والمهتدي لتفاصيل جملها واحكامها الكلية بحسب
ما له من كمال الحدس وقوة الاستعداد بحيث تصير تلك الاسرار سهلة التناول قريبة المأخذ لسائر الخلق لان الباب هو الجهة
التي منها ينتفع الخلق من المدينة ويمكنهم تناول ما ارادوه منها واما تفصيلا فانا بحثنا العلوم باسرها فوجدنا اعظمها واهمها هو
العلم الالهي وقد ورد في خطبه ع من اسرار التوحيد والنبوات والقضاء والقدر واسرار المعاد كما ستقف عليه ما لم يأت في كلام احد من اكابر
العلماء واساطين الحكمة ثم وجدنا جميع فرق الاسلام تنتهي علومهم اليه اما المتكلمون فاما معتزلة وانتسابهم اليه ظ فان اكثر اصولهم
ماخوذة من ظواهر كلامه في التوحيد والعدل والعلم فانهم منتسبون الى مشايخهم كالحسن البصري وواصل بن عطاء وكانوا منتسبين
الى علي ع ومتلقفين عنه العلوم واما اشعرية فمعلوم ان استادهم ابو الحسن الاشعري وقد كان تلميذا لابي علي الجبائي وهو من
مشايخ المعتزلة الا انه نبه لما اورد عليها المعتزلة فخالف استاده في مواضع نقلها من مذهبه واما الشيعة فانتسابهم اليه ظ فانهم
يتلقفون العلوم عن ائمتهم وائمتهم ياخذ بعضهم عن بعض الى ان ينتهي اليه وهو امامهم الاول واما الخوارج فهم وان كانوا في غاية
البعد عنه الا انهم ينتسبون الى مشايخهم وقد كانوا تلامذة علي واما المفسرون فرئيسهم ابن عباس رضي الله عنه وقد كان تلميذ
علي ع واما الفقهاء فرؤساؤهم المشهورون اربعة احدها مذهب ابي حنيفة ومن المشهورات ان ابا حنيفة قرأ على الصادق ع واخذ عنه الاحكام
وانتهاء الصادق الى علي ع ظ الثاني مذهب مالك وقد كان مالك تلميذ الربيعة الرأي وربيعة تلميذ عكرمة وعكرمة تلميذ عبد الله بن
عباس وكان تلميذا لعلي ع الثالث مذهب الشافعي وقد كان الشافعي تلميذا لمالك الرابع مذهب احمد بن حنبل وكان احمد تلميذ الشافعي
فيرجع انتساب فقه الجميع الى علي ع ومما يؤيد كونه اعلى في الفقه قول الرسول ص اقضاكم علي والاقضى لا بد وان يكون افقه واعلم بقواعد
الفقه واصوله واما الفصحاء فمعلوم ان من ينسب اليه الفصاحة يملأون اوعية اذهانهم من الفاظه ويضمنونها كلامهم وخطبهم فيكون
منها بمنزلة الدرر المعقودة كابن نباتة وغيره والامر في ذلك ظ واما النحويون فاول واضع للنحو هو ابو الاسود الدؤلي وكان ذلك بارشاده
له الى ذلك وبدأ به الامر ان ابا الاسود سمع رجلا يقرأ ان الله بريء من المشركين ورسوله بالكسر فانكر ذلك وقال نعوذ بالله من الحور
بعد الكور اي من نقصان الايمان بعد زيادته وراجع عليا ع في ذلك فقال له نحوت ان اضع للناس ميزانا يقومون به السنتهم
فقال له انح نحوه وارشده الى كيفية تلك الوضع وعلمه اياه واما علماء الصوفية وارباب العرفان فنسبتهم اليه في تصفية الباطن و
كيفية السلوك الى الله تعالى ظاهرة لا تنهلو واما علماء الشجاعة والممارسون الاسلحة والحروب فهم ايضا ينتسبون اليه في علم ذلك
فثبت بذلك انه كان استاد الخلق وهاديهم الى طريق الحق بعد رسول الله ص ومناقبه وفضائله اكثر من ان تحصى وبالله التوفيق

الفصل الثاني في بيان فضائله النفسانية وهي امّا ان يعتبر بالنسبة الى قوّته النظرية او الى قوّته العملية فاذن
هيهنا بحثان **البحث الاوّل** في انّه صلعم كان مستجمعاً لكمال قوّته النظرية قد علمت انّ كمال القوّة النظرية انّما هو باستكمال
الحكمة النظرية وهي استكمال النفس الانسانية بتصوّر المعارف الحقيقية والتصديق بالحقائق النظرية بقدر الطاقة البشرية
ولا شكّ انّ هذه الدرجة كانت ثابتة له صلعم وبيان ذلك ببيان انّه صلعم كان سيّد العارفين بعد سيّد المرسلين صلّى الله
عليه وآله لانّه كان منتهى درجة الوصول وتحقيق ذلك انّه قد ثبت في علم كيفيّة السلوك انّ وصول العارف انّما يتحقّق اذا
غاب عن نفسه فلحظ جناب الحقّ من حيث انّه هو فقط وان لحظ نفسه فمن حيث هي لاحظة لا من حيث هي متزيّنة بزينة الحقّ ثمّ
انّه قد وجد في كلامه واشاراته حصول هذه المرتبة له ولنذكر منها مواضع ثلثة الاوّل قوله لو كشف الغطاء ما ازددت
يقيناً وقد عرفت انّ ذلك اشارة الى انّ الكمالات النفسانية المتعلّقة بالقوّة النظرية قد حصلت له بالفعل وذلك يستلزم
تحقّق الوصول التامّ الذي هو ابلغ قوّة الاولياء بل الثاني قوله حكاية عن رسول الله صلعم في حقّه انّك تسمع ما اسمع وترى
ما ارى الّا انّك لست بنبيّ ولا اشكال انّ النبيّ صلعم كان له الاتّصال التامّ بالحقّ نعم فكان هذا الاتّصال والوصول حاصلاً لعليّ
بمقتضى شهادة الرسول وان كان التفاوت بين المرتبتين قائماً لانّ للاتّصال بالجناب الاقدس درجات لا تتناهى ولذلك قال الّا انّك
لست بنبيّ ويستعلم من تفاصيل كلامه عند الانتهاء اليه تحقّق هذه المرتبة له الثالث قوله الهي ما عبدتك خوفاً من عقابك ولا رغبة
في ثوابك ولكن وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك وهذا الاستغراق انّه حذف كلّ قيد دنياوي واخروي عن درجة الاعتبار سوى الحقّ
تعالى وممّا يحقّق له الوصول وممّا يؤيّد ذلك ما سنبيّن ان شاء الله تعالى تمكّنه صلعم من الكرامات وصدورها عنه وذلك من خواصّ الواصلين
البحث الثاني في بيان كماله في قوّته العملية وكما علمت انّ كمال القوّة النظرية انّما هو باستكمال الحكمة النظرية فكذلك كمال القوّة العملية انّما
هو باستكمال الحكمة العملية وهي استكمال النفس بكمال الملكة التامّة على الافعال الفاضلة حتّى يكون الانسان ثابتاً على الصراط المستقيم
مجتنباً طرفي الافراط والتفريط في جميع افعاله ثمّ قد ثبت في علم الاخلاق انّ اصول الفضائل الخلقية ثلثة **احدها** الحكمة الخلقية وهي
الملكة التي تصدر عنها الافعال المتوسّطة بين الجربزة والغباوة اللذين هما طرفا الافراط والتفريط وانت تعلم من تصفّح احواله واقواله
وتدابيره في امور الحرب ونظام امور العالم ما تضطرّ معه الى الحكم بانّه كان مستلزماً لهذه الفضيلة وغير واقف دونها في حدّ الغباوة
ولا متجاوزاً لها الى طرف الجربزة لانّ خبث الجربزة يمنعه عن الترقّي الى درجة الكمال ويأبى طبعه الّا الشرّ **وثانيها** العفّة وهي الملكة الصادرة
عن اعتدال حركة القوّة الشهوية بحسب تصريف العقل العملي لها على قانون العدل وبها تصدر الافعال المتوسّطة بين الجمود والفجور اللذين
هما طرفا الافراط والتفريط ويتبيّن انّ هذه الملكة كانت ثابتة له صلعم من وجهين الاوّل انّه كان ازهد الخلق في الدنيا بعد الرسول صلعم وفيما عدا
القبلة الحقيقية واقدر على حذف الشواغل المانعة عن لقاء الله وكلّ من كان كذلك كان مالكاً لهواه مصرّفاً لشهوته بحسب عقله امّا المقدّمة
الاولى فمعلومة بالتواتر وامّا الثانية فضرورية الثاني قول النبيّ صلعم اللهمّ ادر الحقّ مع عليّ حيث دار ولا شكّ في استجابة دعائه
ومن كان الحقّ لازماً له كان منصوراً فانّه استحال ان يلزمها باطل لانّ الامر الواحد لا يلزمه لازمان مختلفان فاستحال ان يكون
متّبعاً للهوى البتّة وهو معنى العفّة وممّا يؤكّد حصول هذه الملكة ما روي انّه صلعم ما شبع من طعام قطّ وانّه كان من اخشن الناس
ملبساً ومأكلاً يقنع من خبزها بشعيره لا يأكل اللحم الّا نادراً وكان يقول لا تجعلوا بطونكم مقبرة الحيوانات ويقصد بذلك التنفير عنه وكلّ
ذلك زهادة في الدنيا ولذّاتها **وثالثها** الشجاعة وهي الملكة الحاصلة للنفس عن اعتدال القوّة الغضبية بحسب تصريف العقل
فيما يضبطه لها وبها تصدر الافعال المتوسّطة بين افعال الجبن والتهوّر وثبوت هذه الفضيلة له صلعم معلوم بالتواتر حتّى صارت
شجاعته يضرب بها المثل مبالغة في حقّ الرجل الشجاع واذا عرفت انّ هذه الملكات الثلث ثابتة له كما تمّ ما يمكن وثبت انّها مستلزمة
لفضيلة العدالة ثبت انّ العدالة ثابتة له وامّا باقي اقسام الحكمة العملية كالحكمة السياسية والمنزلية فقد علمت انّ فائدتهما
ان يعلم الانسان وجه المشاركة التي ينبغي ان تكون بين اشخاص الناس ليتعاونوا على مصالح الابدان ونظام مصالح المنزل والمدينة
وقد كان صلعم في ذلك سبّاق غايات وصاحب آيات ويكفيك في معرفة ذلك منه امّا على سبيل الجملة فلانّ الشريعة المصطفوية سلام
الله على شارعها واردة بتفاصيلها بين الحكمتين على اتمّ الوجوه واكملها بحيث يرجع اكابر الحكماء اليها في نقلها ومعلوم انّ عليّاً
كان متمسّكاً ومقرّراً لها وباسطاً لاحكامها الكلّية ومفصّلاً لاشاراتها الجملية لم يغيّر منها حرفاً ولم يقف فيها دون غاية وذلك
يستلزم ثبوتهما له على اكمل وجه واتمّه وامّا على سبيل التفصيل فعليك في معرفة انّه كان اكمل الخلق بعد رسول الله صلعم في هذا العلم
بمطالعة كتبه وعهوده الى عمّاله وولاة امره وخصوصاً العهد الذي كتبه للاشتر النخعي فانّ فيه من لطائف تدبير المدينة
ونظام احوال الخلق ما لا يهتك لحسنه ولا يوجد عليه مزيد في هذا الباب هذا مع ما تواتر من رجوع اكابر الصحابة اليه في حسن
تدبيرهم وانابتهم اليه في سياسة امورهم وتعرّف كيفية تدبير العساكر والحروب والمصالح الكلّية والجزئية في مواضع كثيرة نقلها

في هذا الكتاب فيجب عزمه كرجوع عمر الى ما امر في الخروج مع المسلمين الى غزو الروم وغير ذلك مما هو مشهور مأثور وما اشار عليهم من الآراء المحكمة
بحسن التدبير والآراء الثاقبة بنظام الحركات المدنية كما ستعلم ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق **الفصل الثالث** في صدق ما نقلناه
عنه وفيه بحثان **البحث الاول** في اخباره عن الامور الغيبية والنظر اما في امكان ذلك وفي سببه وفي وقوعه منه فهنا اذن
ثلث مقامات **المقام الاول** في امكانه يجب عليك ايها الاخ المتلقي لبيان الله اذا ذكر ان خليفة من خلفاء الله ووليا من اولياء
اخبر عن امر سيكون مبشرا او منذرا ما لا تفي بدركه قوتك ولست انت فاصبا ان لا تبادر الى التكذيب بما يشار لك وتستنكره
فانك عند مراجعة عقلك وتصفحك لاحوال نفسك تجد كل ذلك ممكنا واليه سبيل الانبياء ذلك ان معرفة الامور الغيبية في النوم
ممكنة فوجب ان تكون في اليقظة كذلك اما الاول فلان الانسان كثيرا ما يرى في نومه شيئا ويقع بعده اما صريح تلك الرؤيا او تعبيرها
وذلك يوضح ما قلنا هذا في حق الرائي واما من لم يرزق ذلك في حال النوم فانه يعلمه بالتواتر من اكثر الخلق واما الثاني فلان
ذلك لما صح في حال النوم لم يمكن الجزم بامتناعه حال اليقظة فان الناس لو لم يجربوا ذلك في حال النوم لكان استبعادهم في تلك الحال
اشد من استبعادهم لوقوعه في حال اليقظة فانه عند عدم التجربة لو قيل لاحد الناس ان جماعة من الاولياء اجتهدوا في تلويح فكرهم
العقلية فيحصل لهم ايقاظ في تحصيل حكم غيبي فعجزوا ثم ان واحدا من الكمل لما نام وصار كالميت وحصل له ذلك الحكم فلا بد وان
يكذب بذلك ويستنكره لعدم حصوله مع كمال الحركة وسلامة الحواس عن العطلة وكمال التبادر وحصوله مع اضداد ذلك فيقيد
بان بذلك انه لما كان في حال النوم ممكنا كان في حال اليقظة كذلك **واما المقام الثاني** وهو بيان السبب في الاطلاع على الامور الغيبية
فاما في حال النوم فهو انه قد ثبت في العلم الالهي ان جميع الامور الكلية يصدق عليها انها كانت او ستكون معلومة لله تعالى وثبت ان النفس
الانسانية من شأنها الاتصال بجناب الله تعالى وانما يعوقها عن ذلك استغراقها في تدبير البدن فاذا حصل لها ادنى فراغ من ذلك
كما في حال النوم وانقطعت عنها ابواب الحواس الظاهرة رجعت بطباعها الى الاتصال بالجناب المقدس فينطبع فيها من الصور الحاصلة
هناك ما هو اليق بها من احوالها واحوال ما يقرب منها من الاهل والولد وما يهتم به ثم ان المتخيلة التي من طباعها المحاكاة تحاكي تلك
المعاني الكلية الحاصلة للنفس وتمثلها بصور جزئية وتحطها الى لوح الخيال للصور فيبقى تلك الصور مشاهدة للحس المشترك ثم ان كانت
تلك الصور شديدة المناسبة لتلك المعاني بحيث لا افتراق بينها الا في الكلية والجزئية كانت الرؤيا غنية عن التعبير وان كانت المناسبة
حاصلة بوجه ما كان تصور المعنى بصورة ضده او لازم من لوازمه احتيج الى التعبير وفائدة التعبير التحليل ورجوع الفكر بالعكس من الصورة الى
المعنى الذي انتقلت عنه وان لم تكن هناك مناسبة اصلا كانت الرؤيا اضغاث احلام واما في حال اليقظة فالسبب في ذلك هو ان النفس الناطقة
متى قويت وكانت وافية بضبط الجوانب المتجاذبة ولم يكن اشتغالها بتدبير البدن عائقا لها عن ملاحظة مباديها والاتصال بالحضرة
الالهية وكانت المتخيلة بحيث تقوى على استخلاص الحس المشترك وضبطه عن الحواس الظاهرة فان النفس والحال هذه اذا توجهت الى الجناب
المقدس لاستعلام ما كان او ما سيكون افيضت عليها الصور الكلية لتلك الامور ثم ان النفس تستعين في ضبط تلك الامور الكلية بالقوة
المتخيلة فتحاكي تلك المعاني بما يشبهها من الامور المحسوسة ثم تحطه الى خزانة الخيال فتصير مشاهدة للحس فربما سمع الانسان كلاما منظوما
وشاهد منظرا بهيا يخاطبه بكلام فيما يجب من افعاله فان كان لا تفاوت بين تلك المعاني والصور الا في الكلية والجزئية كان
ذلك وحيا صريحا والهاما والا احتاج الى التأويل **واما المقام الثالث** وهو صدور الاخبار بالامور الغيبية عنه ونستعملها في مواضع كثيرة
من هذا الكتاب نعم لا يقال لا نسلم ان ذلك علم الهمه الله اياه وافاضه عليه بل الرسول ص اخبره بوقائع جزئية من ذلك وح لا يبقى بينه
وبين غيره فرق في هذا المعنى فان الواحد منا لو اخبره الرسول ص بشيء من ذلك لكان له ان يحكي ما قال الرسول وان وقع المخبر به على وفق
قوله ويدل على ذلك قوله ع بعد وصف الاتراك وقد قال له بعض اصحابه في ذلك المقام لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك
وقال للرجل وكان كلبيا يا اخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه من قوله ان
الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام من ذكر وانثى وقبيح وجميل وشقي وسعيد ومن يكون للنار حطبا او في
الجنان للنبيين مرافقا فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه صلى الله عليه وآله فعلمنيه ودعا لي
بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي وهذا تصريح بانه تعلم من رسول الله ص لانا نقول انا لم ندع انه ع كان يعلم الغيب بل ندعي
انه كان لنفسه القدسية استعداد ان تنتقش بالامور الغيبية عن افاضة جود الله تعالى والفرق بين علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله
وبين ما ادعيناه فان المراد بعلم الغيب هو العلم الذي لا يكون مستفادا عن سبب يفيده وذلك انما يصدق في حق الله تعالى اذ كل علم لذي
علم عداه فهو مستفاد من جوده اما بواسطة او بغير واسطة فلا يكون علم غيب وان كان اطلاعا على امر غيبي لا يتأهل للاطلاع عليه
كل الناس بل يختص بنفوس خصت بعناية الهية كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول اذا
عرفت ذلك ظهر ان كلامه صادق مطابق لما ادعيناه فانه نفى ان يكون ما قاله علم غيب لانه مستفاد من جود الله تعالى

تحكي

هو تعلم من ذي علم اشارة الى وساطة تعليم الرسول له وهو اعداد نفسه على طول الصحبة بتعليمه وارشاده الى كيفية السلوك واسبابا بالتطويع والرياضة حتى استعدت للانتقاش بالامور الغيبية والاخبار عنها وليس التعليم هو ايجاد العلم وان كان امرا قد يلزمه ايجاد العلم فتبين اذن ان تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم له لم يكن مجرد توقيفه على الصور الجزئية بل اعداد نفسه بالقوانين الكلية ولو كانت الامور التي تلقاها عن الرسول صلى الله عليه وسلم صورا جزئية لم يحتج الى مثل دعائه في فهمه لها فان فهم الصور الجزئية امر ممكن سهل في حق من له ادنى فهم وانما يحتاج الى الدعاء واعداد الاذهان لها انواع الاعلام هو الامور الكلية العامة للجزئيات وكيفية انشعابها عنها وتفريعها وتفصيلها واسباب تلك الامور المعدة لادراكها ومما يؤيد ذلك قوله علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الف باب من العلم فانفتح لي من كل باب الف باب وقول الرسول صلى الله عليه وسلم اعطيت جوامع الكلم واعطي علي جوامع العلم والمراد بالانفتاح ليس الا التفريع واستخراج القوانين الكلية عما هو اهم منها وبجوامع العلم ليس الا ضوابطه وقوانينه وفي قوله واعطي بالبناء للمفعول دليل ظاهر على ان المعطي لعلي جوامع العلم ليس هو النبي بل الذي اعطاه ذلك هو الذي اعطى النبي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم وهو الحق سبحانه وتعالى واما الامور التي عددها الله سبحانه فهي من الامور الغيبية وقوله لا يعلمها احد الا الله كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وهو محتمل للتخصيص كما في قوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وهذا الامر واضح لا يحتاج العاقل في استكشافه الى كلفة وسيجيء في اثناء الشرح ما يزيد ذلك وضوحا ان شاء الله تعالى

البحث الثاني في بيان صدور الافعال الخارقة للعادة عنهم والنظر فيه اما في امكان ذلك او في سببه او في نفس وقوعه منه

المقام الاول في امكانه واستبعاد واجب على من اهله الله سبحانه ان لا يستنكر في نوادره اذا سمع ان وليا من الاولياء الله يفعل ليس في وسع غيره من ابناء نوعه الاتيان بمثله كالامساك عن الطعام المدة المديدة التي ليست في وسع ابناء نوعه وكالتحريك على الحركة الخارجة عن وسع مثله كما يشاهد من طوفانات تقع باستدعائهم وزلازل واستنزال عقوبات وخسف بقوم حق عليهم القول واستشفاء المرضى واستسقاء العطشى وخضوع عجم الحيوانات وغيرها ان لا يبادر الى التكذيب فانه عند الاعتبار يجد تلك الامور ممكنة في الطبيعة اما الامساك عن القوت فتم امكانه فينا بل وجوده عند عروض عوارض غريبة لنا اما بدنية كالامراض الحادثة واما نفسانية كالخوف والغم وسبب الامساك في حال المرض اما في الامراض البدنية فان القوى الطبيعية تشتغل بهضم المواد الردية عن تحريك المواد المحمودة فتجد المواد المحمودة محفوظة قليلة التحلل غنية عن طلب البدل لما يتحلل فربما انقطع الغذاء عن صاحبها مدة لو انقطع مثله عنه في غير حالته تلك عشر تلك المدة هلك وهو مع ذلك محفوظ الحيوة واما النفسانية فانه قد يعرض بعروض الخوف للخائف سقوط الشهوة وفساد الهضم والعجز عن الافعال الطبيعية التي كان متمكنا منها قبل الخوف لوقوف القوى الطبيعية عن افعالها بسبب اشتغال النفس عما اهمها عن الالتفات الى تدبير البدن واذا عرفت امكان ذلك بسبب العوارض الغريبة فاعلم ان سبب تحققه في حق العارف هو توجه نفسه بالكلية الى عالم القدس المستلزم لتشييع القوى البدنية لها وذلك ان النفس المطمئنة اذا راضت القوى البدنية اخذت تلك القوى خلفها في مهماتها التي تنزع اليها واشتد ذلك الانجذاب فاذا اشتد الاشتغال عن الجهة المولى عنها وقفت الافعال الطبيعية المتعلقة بالقوة النباتية فلم يكن من التحليل الا دون مما يكون في حال المرض لاختصاص المرض في بعضها بمقتضي الاحتياج الى الغذاء كتحلل رطوبات البدن بسبب عروض الحرارة الغريبة المسماة بسوء المزاج الحار كالات الغذاء انما يكون لسد بدل ما يتحلل من تلك الرطوبات وشدة الحاجة الى الغذاء انما يكون بحسب كثرة التحليل وكضعف القوى البدنية بسبب المرض المضاد له وانما الحاجة الى حفظ تلك الرطوبات لحفظ تلك القوى اذا كانت مادة الحرارة الغريزية المقتضية لتعادل الاركان التي لا تقوم تلك القوى الا معه وشدة الحاجة الى ما يحفظ تلك القوى انما هي بحسب شدة فتورها **واما العرفان** فانه مختص بامر يوجب الاستغناء عن الغذاء وهو سكون البدن عند اعراض القوى البدنية عن افعالها حال متابعتها للنفس حال انجذابها خلفها حال توجيهها الى الجناب المقدس وتطعمها بلذة معارفه الحق والبدن الانساني يقول لست كاحدكم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني واذا عرفت ذلك ظهر ان المرض وان اقتضى الامساك الخارق للعادة الا ان العرفان بالاقتضاء اولى **واما القدرة** على الحركة التي تخرج عن وسع مثله فهي ايضا ممكنة وبيانها انك علمت ان مبدا القوى البدنية هو الروح الحيواني فالعوارض الغريبة التي تعرض للانسان تارة يقتضي انقباض الروح بحركته الى داخل كالخوف والحزن وذلك يقتضي انحطاط القوة وسقوطها وتارة يقتضي حركته الى الخارج كالغضب وانبساطا معتدلا كالفرح المطرب الانتشار المعتدل وذلك يقتضي ازدياد القوة ونشاطها واذا عرفت ذلك فاعلم انه لما كان فرح العارف بمجد الحق اعظم من فرح من عداه بما عداها وكانت الغواشي التي تغشاه وتحركه اعزازا بالحق وربانية اعظم مما يعرض لغيره لا جرم كان اقتداره على حركة عن مثله وقوته لغيره امكن **واما السبب** في الامور الثلاثة فهو انه قد ثبت في غير هذا الموضع ان تعلق النفس بالبدن ليس تعلق انطباع فيه انما هو على وجه انها مدبرة له مع تجردها ثم ان الهيئات

في بيان خطبة الكتاب

النفسانية قد تكون مبادي لحدوث الحوادث وبيانه اما اولا فلانك تشاهد انسانا يمشي على جذع ممدود على الارض ويتصرف
عليه كيف شاء ولو عرض ذلك الجذع بعينه على جدار عال او جسر عند المشي عليه لخيف منه ان لم يتعوده ويهم بالسقوط مرة
بعد اخرى لتصوره وانفعال بدنه عن وهمه حتى ربما سقط واما ثانيا فلان الامزجة تتغير عن العوارض النفسانية كثيرا كالغضب والخوف والحزن و
الفرح وغيرها وهو ضروري واما ثالثا فلان توهم المرض والصحة قد يوجب ذلك وهو ايضا ضروري اذا عرفت ذلك فنقول لما كانت
الامزجة قابلة لهذه الانفعالات عن هذه الاحوال النفسانية فلا امتناع ان يكون لبعض النفوس خاصية لاجلها تتمكن من التصرف في عنصر
هذا العالم بحيث تكون نسبتها الى كلية العناصر كنسبة انفسنا الى ابداننا فيكون لها تاثير في اعداد المواد العنصرية لان يفاض عليها
صور الامور الغريبة التي تخرج عن وسع مثلها فاذا انضمت الى ذلك الرياضات فانكسرت صورة الشهوة والغضب وبقيتا اسيرتين في يد
القوة العاقلة فلا شك انها حينئذ تكون اقوى على تلك الافعال وتلك الخاصية اما بحسب المزاج الاصلي او بحسب مزاج طار مكتسب او بحسب
الكسب لاجتهاد في الرياضة وتصفية النفس والذي تكون بحسب المزاج الاصلي فهو للمعجزات من الانبياء والكرامات من الاولياء فان انضم
اليها الاجتهاد في الرياضة بلغت الغاية القصوى في ذلك الكمال وقد يتفق لمزاج من له هذه الخاصية ان يستعملها في طرف الشر وفي
الامور الخبيثة ولا يزكي نفسه كالساحر فيمنعه خبثه عن الترقي الى درجة الكمال واعلم ان الشرط الاول للنبوة ان يكون النبي مأمورا
من السماء باصلاح النوع ثم من لواحق مرتبة الاولياء وامور الاول ان يستغنوا في اكثر علومهم من معلم بشري بل يحصل لهم بحسب قواهم
القدسية الشريفة الغير المشتة اتصال نفوسهم بالحق سبحانه الثاني ان يكون هيولى العالم طوعا لما ارادوا من الامور
العجيبة الخارقة للعادة كالخسف والتحريكات والتسكينات الثالث ان يتمكنوا من الاخبار عن المغيبات والامور الجزئية الواقعة اما
في الماضي او في المستقبل والشرط الاول هو العمدة في تمييز بعثة الانبياء عن غيرهم ولا شك ان اختصاصهم بها انما هو لشدة اتصالهم
فانهم اشد اتصالا بالمبدأ الاول واكمل قوة من غيرهم وكذلك اختلاف مراتبهم عائد ايضا الى تفاوت نفوسهم في قربها من المبدأ واتصالها
به واما باقي الخصال فقد يشاركهم فيها الاولياء ويجتمع فيهم والى هذا المعنى اشار النبي صلعم بقوله علماء امتي كانبياء بني اسرائيل وكان
التفاوت بين المعجزة والكرامة انما يرجع الى ان الخصال المذكورة ان صدرت عمن له الشرط الاول سميناها معجزا وان صدرت عن غيرهم
كانت في حقه كرامة وتحقيق هذه المباحث مبني على مقدمات واصول ليس هذا موضع ذكرها فليطلب ذلك من مظانها وبالله التوفيق

المقام الثاني في وقوع الفعل الخارق عنه عم واعلم ان الطريق الى ذلك هو النقل ثم نقل عنه ذلك في صور يثبت بعضها بحسب التواتر
وبعضها بحسب الاحاد فمن الامور الخارقة المنقولة عنه بحسب التواتر قلعه الباب بخيبر لما انتهى اليه وكان من صخرة واحدة يعجز الجماعة عن تحريكه
وروي في كيفية حاله في ذلك انه لما اقتلعه دحا به اربعين ذراعا واجتمع عليه سبعون رجلا وكان جهدهم ان اعادوه الى مكانه وروي انه قال عم حملت باب
خيبر وجعلته مجنا لي وقاتلت القوم فلما اخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقا ثم رميت به في خندقهم فقال له رجل لقد حملت
يا امير المؤمنين منه ثقلا فقال ما كان الا مثل جنتي التي في يدي في غير ذلك المقام ومعلوم ان ذلك لم يصدر عن قوة بدنية والا لقدر
على ذلك من هو اقوى صورة منه ولذلك قال عم ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن قلعته بقوة ربانية وللشعراء في هذه الآية
اشعار كثيرة والقصة مشهورة فهذا القدر يكفينا في بيان فضائله عم وعليك بباقي الامور المنقولة عنه في ذلك بالكتب المصنفة في بيان
معجزات الانبياء وكرامات الاولياء ولقد اجتهد بنو امية في اخفاء فضائله واطفاء نوره بالتحريف ووضع المعايب والمثالب حتى سبوه
على جميع المنابر ومنعوا ان يروى حديث يتضمن له فضيلة وان يسمى باسمه احد فلم يزده ذلك الاخفاء الا ظهورا ولم يمكنهم اطفاء
الانوار ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وكان مولده عم قبل ظهور دعوة النبي صلعم بثلث عشرة سنة وقيل اثنى عشرة وقيل عشر سنة
سنين وقتل ليلة الجمعة لثلث عشرة ليلة بقين من شهر رمضان من سنة اربعين من هجرة الرسول بجامع الكوفة وهو ابن ثلث وستين سنة
فهذا ما اوردناه من هذه المقدمة ولنشرع في مقصدها في تفسير الخطب وقبله نذكر نسب السيد الرضي الدين ويتبين ما عساه ان يشكل من لفظه الشريف
في خطبة الكتاب ما نسبه فهو السيد الرضي ابو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب ابي احمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن
ابرهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وصف بذي الحسبين لاجتماع اصله الفاخر الذي هو منبع الحسب كله
فضيلة وكماله بالعلم والادب كان مولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلث مائة وتوفي في المحرم سنة ست واربع مائة بالكرخ من بغداد
ودفن مع اخيه المرتضى في جوار جده الحسين عليه السلام

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رضي الله عنه

اما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمنا لنعمائه ومعاذا من بلائه ووسيلا الى جنانه وسببا الى زيادة احسانه والصلوة على
رسوله نبي الرحمة وامام الائمة وسراج الامة المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الاقدم ومغرس الفخار المعرق وفرع العلا
المثمر المورق وعلى اهل بيته مصابيح الظلم وعصم الامم ومنار الدين الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم اجمعين صلوة
تكون ازاء لفضلهم ومكافاة لعملهم وكفاء لطيب فرعهم واصلهم ما انار فجر ساطع وخوى نجم طالع فاني كنت في عنفوان السن وغضاضة

في بيان خطبة الكتاب

الغصن ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الائمة عليهم السلام يشتمل على محاسن اخبارهم وجواهر كلامهم حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب
وجعلته امام الكلام وفرغت من الخصائص التي تخص امير المؤمنين عليا عليه السلام وعاقت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام ومماطلات
الزمان وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابوابا وفصلته فصولا فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير
في المواعظ والحكم والامثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة فاستحسن جماعة من الاصدقاء ما اشتمل عليه الفصل
المقدم ذكره معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه وسألوني عند ذلك ان ابتدئ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام
امير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وادب علما ان ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب
الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنياوية ما لا يوجد مجتمعا في كلام ولا مجموع الاطراف في كتاب اذ كان
امير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه اخذت قوانينها وعلى امثلته حذا
كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتأخروا لان كلامه عليه السلام الكلام الذي
عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي فاجبتهم الى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر
ومذخور الاجر واعتمدت به ان ابين عن عظيم قدر امير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة الى المحاسن الدثرة والفضائل الجمة
وانه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها من جميع السلف الاولين الذين انما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد فاما كلامه عليه السلام
فهو البحر الذي لا يساجل والجم الذي لا يحافل واردت ان يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق اولئك آبائي فجئني بمثلهم
اذا جمعتنا يا جرير المجامع ورأيت كلامه عليه السلام يدور على اقطاب ثلاثة اولها الخطب والاوامر وثانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم
والمواعظ فاجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والادب مفردا لكل
صنف من ذلك بابا ومفصلا فيه اوراقا لتكون لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلا ويقع الي آجلا واذا جاء شيء من كلامه عليه السلام
الخارج في اثناء حوار او جواب كتاب او غرض آخر من الاغراض في غير الانحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته الى اليق الابواب به
واشدها ملامحة لغرضه وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة ومحاسن كلم غير منتظمة لاني اورد النكت واللمع و
لا اقصد التتالي والنسق ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها وامن المشاركة فيها ان كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير و
الزواجر اذا تأمله المتأمل وفكر فيه المتفكر وخلع من قلبه انه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ امره واحاط بالرقاب ملكه لم
يعترضه الشك في انه من كلام من لا حظ له في غير الزهادة ولا شغل له بغير العبادة قد قبع في كسر بيت او انقطع الى سفح جبل
لا يسمع الا حسه ولا يرى الا نفسه ولا يكاد يوقن بانه كلام من ينغمس في الحرب مصلتا سيفه فيقط الرقاب ويجدل الابطال و
يعود به ينطف دما ويقطر مهجا وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الابدال وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة
التي جمع بها بين الاضداد والف بين الاشتات وكثيرا ما اذاكر الاخوان بها واستخرج عجبهم منها وهي موضع للعبرة بها والفكرة
فيها وربما جاء في اثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر في ذلك ان روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافا شديدا
فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك في رواية اخرى موضوعا غير موضعه الاول اما بزيادة مختارة
او لفظ احسن عبارة فتقتضي الحال ان يعاد استظهارا للاختيار وغيرة على عقائل الكلام وربما بعد العهد ايضا بما اختير اولا فاعيد
بعضه سهوا ونسيانا لا قصدا واعتمادا ولا ادعي مع ذلك اني احيط باقطار جميع كلامه عليه السلام حتى لا يشذ عني منه شاذ ولا يند
ناد بل لا ابعد ان يكون القاصر عني فوق الواقع الي والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي وما علي الا بذل الجهد وبلاغ الوسع
وعلى الله سبحانه نهج السبيل ورشاد الدليل ان شاء الله ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة اذ كان يفتح للناظر
فيه ابوابها ويقرب عليه طلابها وفيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ويمضي في اثنائه من عجيب الكلام في التوحيد
والعدل وتنزيه الله سبحانه عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة وشفاء كل علة وجلاء كل شبهة ومن الله سبحانه استمد
التوفيق والعصمة واتنجز التسديد والمعونة واستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان ومن زلة الكلم قبل زلة القدم
وهو حسبي ونعم الوكيل **اقول** اما حرف يبتدأ بها الكلام المقسم الى قسمين او اكثر وتصدر بها الجمل فتختص معه كل واحدة بحكم ليس للاخرى
نقوله اما بعد حمد الله هو الجزء الثاني من الكلام وتقديره الكلام مع الجزء الاول اما قبل الشروع في المطلوب فالحمد لله واما بعد حمد الله
فاني كنت في عنفوان السن وانما حذف الجزء الاول اختصارا للكلام وايجازا له ثم استمر ذلك العرف وحسن استعماله في الكلمات
الخطابية وغيرها حتى صار اظهار المحذوف ههنا مستهجنا فقلما يستحسن الحذف وقال سيبويه انه مع الجملة التي يدخل عليها في
قوة شرطي متصل فقال اذا قلت اما زيد فمنطلق كان ان قلت مهما يكن من شيء فزيد منطلق وينبه على ذلك بلزوم الفاء بجوابها وجعل
فيها الكلام مشتملا على جملتين شرطية وجزائية والمذكور ههنا ليس الا الجملة الجزائية واما الشرط فمحذوف للاختصار وهذا الحرف [illegible]

سوال

في بيان خطبة الكتاب

عنه ناب يا الله او هو مقام ادعو ثم مناب الجواب اي انما زحلقت الفاء عن موضعها وهو الابتداء الى الخبر لئلا يقع في صدر الكلام مع انها
التوسط ما بين مفردين او جملتين وقوله بعد ظرف يستدعي متعلقا وتقديره واما قولي بعد حمد الله فهو كذا وكذا والحمد
لفظ مشترك يصدق على معنى الشكر الذي هو الاعتراف بالنعمة المنعمة وهو الثناء والتعظيم لربها من الشاكر وعلى الثناء المطلق
ابتداء او التعظيم لغير المحسن الى الحامد اذا راى منه فعلا جميلا دون ان يكون في حقه فهو من اعم من الشكر وهو اخص من المدح
لاختصاص طلاقه في حق العقلاء دون غيرهم اذ يقال مدحت الفرس لا يقال حمدته والمعاذ الملجأ والوسيل جمع وسيلة وهي
كل ما قربك الى الله تعالى او الى غيره والصلوة لفظ مشترك بين معان وهو من الله تعالى رحمة والنبي مأخوذ اما من النبوة والنباوة و
هي الارتفاع لكونه مرتفعا على الخلق رئيسا لهم فيكون اصله غير الهمز واما من النبأ وهو الخبر لانه مخبر عن الله تعالى والامر الجابر و
المنتجب المختار المصطفى وسلالة الشيء ما استل منه واستخرج والنطفة سلالة الانسان ومنه السليل للولد والمحتد الاصل الكريم
وكذا الماجد والعرق الرجل ذا اصل عريق وهو الذي له عرق في الكرم والاصل في العصم جمع عصمة وهي المنع وفلان عصمة الخلق اذا
منع الاذى عنهم وحماهم منه والمنار علم الطريق وهو لفظ مفرد واصل لفظ الواو وقد يستعمل جمعا للمنارة كما اراده الوصف هنا
هنا ولذلك انث صفته وهذا الجمع على غير قياس فان وزن منارة مفعلة وقياس مفعلة في الجمع مفاعل ولذلك
كان الجمع الاصلي لمنارة مناور وقال الجوهري ومن قال مناير وهمز فقد شبه الاصلي بالزائد واراد في الجمع والمثاقيل
جمع مثقال وهو ما يوزن به الذهب والفضة ويكون مثقال هاشم كثر استعماله حتى تعدى الى الموزون ايضا فيقال مثقال مسك ونحوه
ثم تعدى الى الامور المعقولة والمقادير منها فقيل مثقال فضل وهذا الشيء ازاء لذلك حذاءه له ومقابل وكذلك الكفاءة والكفاء
يقال كافأ فلانا بالشيء اذا قابله به وجزيته عليه وكفاه الشيء بالمد والقصر مثله ونظيره من جزاء ونحوه ومنه كفات الاناء اذا ملا
وخوى النجم بالتخفيف سقط وبالتشديد اذا مال للمغيب وعنفوان الشباب اوله والغض الطري وغضاضة الغصن طراوته
ولينه وحدا الحادي على كذا اي بعثني وحملني عليه وهو مأخوذ من حداء الابل وهو زجرها والغناء لها الباعث لها على السير والحادي
لها على السير عنفه والخصائص جمع خصيصة فعيلة بمعنى فاعلة وهي ما يختص بالانسان من كمال وغيره والمحاجزات جمع محاجزة وهي
الممانعة من الطرفين كان الايام مما تعرض عن العمل وهو يمانعها منعها له والمماطلات جمع مماطلة مفاعلة ايضا من الطرفين كان الزمان
لا عذر به بطوله بعدوه بانجاز العمل فخلفت وكانه هو بطول امله بعد الزمان بوقوع العمل فخلف واعجب فلان بكذا على البناء فيه
للمفعول فهو معجب اي احبه ومال اليه وخصا وعنده في محل ان يتعجب منه ومنه قولهم اعجب فلان برايه وعقله والبدائع جمع
بديع فعيلة بمعنى مفعولة وهي الفعل الغير مثال ثم صار يستعمل في الفعل الحسن وان سبق اليه مما لغرابة حسنه فكانه لكمال حسنه
لم يسبق اليه والتعجب في قولك ما احسن كذا ونحوه من الالفاظ والنواصع جمع ناصعة والناصع من كل شيء خالصه ونصع الامر وضح وبان
ومعجبين ومتعجبين منصوبان على الحال والعجب بالشيء سبب للتعجب منه وفنون الكلام انواعه واساليبه المختلفة وعلما منصوب على
المفعول له او على انه مصدر سد مسد الحال اي عالمين والعامل فيه قوله سالوني والقوانين جمع قانون وهو كل صورة كلية يتعرف
منها احكام جزئياتها المطابقة لها ولفظه معرب سرياني وقيل انه عربي مأخوذ لكونه ثابتا باقيا اما من القن وهو العبد الذي
ملك هو وابواه فهو ثابت في الملك من جهتين او من القنقن وهو الدليل الهادي والبصير بالماء في حفر القني وكذلك القانون بضم القاف
لكون القانون هاديا في تعرف جزئياته ويقال على فلان مسحة من جمال اي اثر ظاهر منه وهو خاص بالمدح قال رسول الله صلعم في جرير بن عبد الله
البجلي عليه مسحة ملك اي اثر ذلك قال ذو الرمة على وجه مي مسحة من ملاحة وتحت الثياب الشين لو كان باديا وعنوان الكتاب
لو في بيروا انشرت عنوان الكتاب والعبقة واحدة العبوق واعتمدت اي قصدت والاثرة الكثيرة وكذلك الجمة والاثر ما بقي من رسم الشيء وسنن
رسول الله صلعم اثاره ويؤثر عنهم ينقل عنهم من الاثار والشارد المنفرد الذي لا يصحب امثاله والشرود البعير نفر عن الابل وخرج عن نظامها والشارد
المقالة والقافية في شعر نحوي واصله من السجل وهو الدلو العظيمة اذا كان فيها ماء قال الفضل بن عباس من يساجلني يساجل
ماجد يملأ الدلو الى عقد الكرب وحفل القوم واحتفلوا اي اجتمعوا والمحافل مفاعل من الطرفين وقوله لا يجاول اي لا يبلغ في كلا
عبرهم مجمع للقضايا بل يقابل كالاصر وقطب الرحى التي تستمد الذي عليه تدور وربما استعمل في كل اصل ينتهي اليه ويرجع فقيل قطب القوم لسيدهم
لكونه عليه مدار امورهم وقطبا الفلك لنهايتي محوره وهو الخط الذي يتوهم مارا بمركز الفلك منتهيا في الجهتين الى طرفيه وعليه
بين وقد الاقسام الكلام التي تدخل اجزاءه ونحوها وند وعليه والخطبة اعم من الوعظ والوعظ التخويف ويختص في العرف بالتذكير بايام
والام الاخرة وعذابها ونحوه والرسالة اعم من الكتاب لجواز ان تكون بالقول دون كونها مكتوبة والصنف في اللغة النوع والواحد ان
كان منهما في عرف اخص فهو والاجماع تصميم العزم على الامر وخلوصه من التردد واثناء الشيء تضاعيفه وهو جمع ثني بكسر الثاء و
سكون النون تقول انفذت كذا في ثني كتابي اي في طيه والمحاورة الخطاب في الجواب والمحاورة والمجاوبة والترديد في الكلام يقال كلمته

في بيان خطبة الكتاب

ثم يرجوا بها والانحاء جمع نحو وهو القصد والقواعد قواعد البيت الاحجار التي يؤسس عليها بناؤه قال تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت وفي
قواعد الهودج اخشاب اربع معترضات في اسفله ثم عدي الى كل اصل يبنى عليه من كلام او غيره والملامح المشابهة من قولهم في فلان
ملامح من ابيه اي مشابه واصله من لمح البصر وهو النظر الخفيف لسرعة الزوال وذلك لان الملمح محل وهو موضع اللمح والمشابه محل
اللمح فلذلك اشتق منها الملامح وقيل هي جمع ملمحة وهي الملامة ويروى ملاحمها ايضا والنسق المنتظم يتلو بعضه بعضا واصله النسق
ما جاء من المؤن على البناء والنكت جمع نكتة وهي الاثر في الشيء يتميز به بعض اجزائه عن بعض ويوجب له الامتياز والالتفات الذهن
اليه كالنقطة في الجسم والاثر فيه الموجب للاختصاص بالنظر ومنه رطبة منكتة اذا بدا ارطابها ثم عدي الى الكلام والامور المعقولة
التي يختص بعضها بالدقة الموجبة لمزيد العناية والفكر فيها فيحتاج لذلك لبعض نكتة واللمع جمع لمعة وهي البقعة من الكلاء وكذلك
الجماعة من الناس واصله من اللمعان وهو الاضاءة والبريق لان البقعة من الارض ذات الكلاء كانها تضيئ لخضرتها ونضارتها
دون سائر ارضها وعدي الى محاسن الكلام وبليغه لاستنارة الاذهان به ولتميزه عن سائر الكلام فكانه في نفسه ذو ضياء ونور
واعتراض الكلام خطوره بالبال والمانع الجزم ... وفي المشكوة ... وقبع القنفذ قبعا وقبوعا اذا ادخل راسه في جلده وكذلك
الرجل اذا ادخل راسه في قميصه واصله من قبوع القنفذ وكسر البيت اسفل شفة البيت التي تلي الارض من حيث تكسر جانباه
من عن يمينك وشمالك حكاه ابن السكيت وسفح الجبل سطوحه وجوانبه التي يسيل عليها الماء من اعلاه وقد يقال بالصاد ايضا
ويوقن يعلم يقينا وانما صارت الياء واوا التي هي الاصل ولاء الضمة قبلها وانغمس في الامر دخل فيه بكليته واصله من الدخول في الما
ونحوه من المايعات واصلت سيفه جرده عن غمده وقط الشيء قطعه عرضا وقده شقه وقطعه طولا والبطل الشجاع وجدله
اي القاه على الجدالة وهي الارض ونطف ينطف بضم الطاء في المستقبل نطفا ونطافا اي سال والمهج جمع مهجة وهي الدم ويقال
هي دم القلب خاصة والمهجة الروح ايضا ودما ومهجا منصوبات على التمييز والابدال قوم صالحون لا تخلو الارض منهم واذا مات
واحد بدل الله مكانه آخر قال ابن دريد الواحد بديل وقيل بدل ايضا والعتبة الاسم من الاعتاب وهو انتقال الذهن من امر
الى امر والظهير المعين والاستظهار والتقوي والاستعانة بغيره لحفظه وبالشيء الاستعانة به وعلى الشيء الاستعانة بغيره له والغيرة
بفتح الغين مصدر قولك غار الرجل على اهله يغار غيرة وغارا ورجل غيور وامرأة غيور ايضا اذا كانا كثيري الغيرة والغيرة المرتفعة
لذي الحق عن تحمل مشاركة غير المستحق لذلك الحق له فيه والعقائل جمع عقيلة وعقيلة كل شيء اكرمه واحسنه والاقطار جمع قطر وهي
الناحية والجانب وفنيق البعير يهدر هديرا وهدرا ... والربق بكسر الراء وسكون الباء حبل فيه عرى كثيرة تشد به البهم الواحدة
من العرى ربقة وفي الحديث من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه والجهد الحرص والاجتهاد والبلاغ الاسم
من التبليغ والبلوغ اقيم مقام المصدر والنهج الطريق الواضح والبغية بكسر الباء وضمها ما يراد ويبتغى من الشيء والبلال بكسر
الباء ما يبل به الحلق من ماء او لبن والغلة والغليل العطش الشديد وجلاء السيف وغيره صقاله والران والرين ما يعرض
من الكدورة وجلاء القلب للنفس ازالة ما يعرض لها من كدر الشبهة والجهل وتجربة الامر مثل اختباره وتقضيه والاستعاذة
طلب العوذ وهو الالتجاء كقوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وزلة اللسان الخطاء في القول وزلة القدم خطاء الطريق
والانحراف عنه وعدم التثبت على الصراط المستقيم اذا عرفت ذلك فارجع الى المعنى **فقوله** اما بعد حمد الله الى قوله وذيادة
احسانه **اقول** ان حمد الله تعالى سواء كان عبارة عن الثناء والتعظيم المطلق او عن الشكر المستلزم لتقدم النعمة والاعتراف
بها وتعظيم ربها فان المستحق له في الحقيقة ليس الا الله سبحانه ومع ذلك فهو من اجل العبادات له واكملها اما الاول فلان كل
محسن من الخلق انما يحسن طلبا لجلب منفعة او دفع مضرة وهذا الاحسان في الحقيقة معاملة وان عد في العرف احسانا اما الحق
سبحانه فلما كان منزها عن طلب المنفعة ودفع المضرة لم يكن احسانه استفادة لاحدهما فكان المحسن الحق ليس الا هو فكان المستحق
لكل اقسام الحمد ليس الا هو واما الثاني فبيانه ان الحمد الثناء المطلق لله تعالى وتعظيمه فلا يستلزم ملاحظة جلال الله وكبريائه
وتصور الجهة التي باعتبارها كان مستحقا للثناء والتعظيم دون غيره وهو كونه الها وربا وخالقا لكل ما سواه ومنزها عن كل
نقص منزها عن كل عيب فهذه الملاحظة والالتفات هو مطلوب لله سبحانه من جميع العبادات وهو جار منها مجرى الروح للجسد
وكذلك الشكر لله سبحانه فانه مستلزم لمعرفته ومحبته والالتفات اليه وملاحظة الجهة التي بها كان مستحقا للشكر وهي افاضة
النعم التي لا تحصى على العبد لا يقدر غيره على مثلها وهذه الملاحظات هي الاسرار المطلوبة من العبادات وبها تكون تامة واذا
علمت ان الحمد من اكمل العبادات واتمها فقد علمت ان عبادته سبحانه هي المطلوبة لمن خلقه دون غيرها كما قال تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون علمت ان الحمد من اكمل المطالب تعالى لان الاتيان به يكون مستلزما لرضوان الله وما يتبعه من الرضوانات
المقرونة الدائمة والنعم الباقية واذا عرفت ذلك فاعلم ان الشبهة التي الذين اشار بهذه الفصول الاربعة الى اربعة انواع من تلك

الجزء

في بيان خطبة الكتاب

الخير الاول قبول الحمد عوضا من العبد مع كونه ايسر شيء مؤنة واخفه على اللسان كالثمن مقابلا بالاكام بالنعم وانه تعالى
في حقيقة ذلك في الحقيقة نعمة اخرى وموهبة كبرى تستدعي حمدا آخر وهلم جرا فسبحان الذي لا تحصى نعماؤه ولا تستقصى
آلاؤه وفي قوله ثمنا استعارة لطيفة ووجه الشبه ان الثمن كان مستلزما لرضا البائع بعوضها من مبيعه وكان الحمد
مستلزما لرضا الحق سبحانه في مقابلة نعمه لا جرم اشبه الثمن فاستعير لفظه له وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى ايوب اني رضيت
الشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل الثاني جعله الحمد معاذا من بلائه وبيانه اما اولا فلقوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابي
لشديد فانه تعالى توعد بالعذاب من كفر نعمته مع انه ذم الجحد والشكر وامره بهما في غير موضع علمنا ان الشكر والحمد من
اسباب الخلاص من العذاب الاليم والبلاء العظيم لاستلزامهما عدم سببه وهو الكفران واما ثانيا فلانك علمت ان الآتي
بالحمد مستحق لرضوان الله من جهة ما هو حامد والمستحق لرضوان الله ناج من عذاب الله فكان الحمد محلا للعوذ من
بلائه وسخطه الثالث جعله الحمد وسيلا الى جنانه وبيانه اما اولا فلكونه من اتم العبادات وكون العبادة وسيلة الى الجنة
ظ واما ثانيا فما روي ان النبي صلعم قال ينادي يوم القيمة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون
قال الذين يشكرون الله على كل حال فحكم بان الحمادين يدخلون الجنة بسبب حمدهم الرابع جعله الحمد سببا للزيادة احسانه
وبيانه اما اولا فلقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فعلق زيادة النعم بمجرد الشكر واما ثانيا فلان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع
وانما النقصان من جهة العبد لعدم الاستحقاق واذا استعد لقبول النعم بالحمد افاض الله تعالى عليه نعمه ثم لا يزال يستعمل الحمد
والشكر على النعم السابقة ويتزود بالنعم اللاحقة الى ان يخرج كل كمال له بالقوة الى الفعل فيلتحق بزمرة الكروبيين ويجاوره
الملئكة المقربين المعتكفين في حظيرة الجبروت وقد عرفت من هذا البيان ان كون هذه الامور لازمة للحمد انما هو بجعل الله
تعالى وملاحظة العباد بعين عنايته وشمول الطافه بسعة رحمته **قوله** والصلوة على رسوله نبي الرحمة الى قوله وقوى نجم طالع
اقول اردف حمد الله تعالى بالصلوة على رسوله محمد صلعم وذلك من الاداب الدينية التي استمرت عليها العادة في الخطب وذكر له صلعم
اوصافا تسعة **الاول** كونه نبي الرحمة ملاحظة لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وتفصيل هذه الرحمة من وجوه
احدها انه الهادي الى سبيل الرشاد والقائد الى رضوان الله سبحانه وبسبب هدايته يكون وصول الخلق الى المقاصد العالية و
دخول جنات النعيم التي هي غاية الرحمة **الثاني** ان التكاليف الواردة على يده صلعم اسهل التكاليف واخفها على الخلق بالنسبة الى
سائر التكاليف الواردة على ايدي الانبياء السابقين لانه صلعم قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وذلك عناية من الله ورحمة منه
لهذه امته على يديه **الثالث** انه سأل الله ان يعفو عن عصاة امته ويرحمهم بسبب شفاعته **الرابع** انه رحم كثيرا من اعدائه كاليهود
والنصارى والمجوس ببذل الامان لهم وقبول [illegible] منهم وقال صلعم من اذى ذميا فقد اذاني ولم يقبل الله من الانبياء الجزية قبله
الخامس انه سأل الله تعالى ان يرفع عن امته بعده عذاب الاستيصال ودفع العذاب رحمة **السادس** ان الله تعالى وضع في شرعه الرخص
تخفيفا ورحمة لامته **الثاني** كونه امام الائمة اما صدق كونه اماما فلوجهين احدهما ان الامام هو الرئيس المقتدى به في اقواله وافعاله
والانبياء عليهم السلام احق الخلق بهذه الصفة اذ هم الاصل في ذلك الثاني قوله تعالى لابراهيم اني جاعلك للناس اماما واما كونه
امام الائمة فلقوله صلعم آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة **الثالث** كونه سراج الامة وبيانه قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وهذه استعارة لطيفة فان السراج لما كان من شأنه اضاءة ما حوله واهتداء
الخلق به في الظلمة وكان النبي صلعم قد اضاء قلوب العالم بانوار الوحي والرسالة حتى اهتدى الخلق به في ظلمة الجهالة لا جرم حسنت استعارة
لفظ السراج وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول على سبيل الكناية عن كونه هاديا للخلق ومرشدا لهم الى طريق الحق **الرابع** كونه منتخبا
ومختارا من طينة الكرم كناية عن اصله والكرم حقيقة في السخاء ويجانب مطلق الشرف والمراد ان الله سبحانه اصطفاه من اصل هو
محل الكرم والشرف **الخامس** كونه سلالة المجد الاقدم واضافة السلالة الى المجد اما على تقدير حذف المضاف الاصلي حتى يكون
التقدير سلالة اهل المجد الاقدم واما ان يكون قد استعار لفظ المجد للاصل فكانه تخيل ان الاصل كله مجد فاعطاه
لفظة المجد واضاف السلالة بعد الاستعارة ثم وصف المجد بكونه اقدم ايماء في الفضل على المحدث بل على التقديم **السادس** كونه
مغرس الفخار المعرق وقد استعار لفظ المغرس الذي هو حقيقة في الارض لطبيعته وجبلته استعارة على وجه الكناية عن شرفه
وكماله ووجه المشابهة ان طبيعته لظهور الفخار عنها كما ان الارض الكريمة محل لظهور النبات الطيب الحسن عنها ووصفه بكونه معرقا
لزيادته علوا البركة وهذا من قبيل ترشيح الاستعارة فانه لما جعل للفخار مغرسا جعل له عرقا **السابع** كونه فرع العلاء المثمر
المورق لما استعار لفظ الفرع الذي هو حقيقة في اغصان الشجرة المتفرعة عن اصولها له من جهة ما هو فرع في الوجود عن آبائه اهل
العلو والشرف اتى بما هو من كمال الفرع وهو كونه مثمرا مورقا وهو ترشيح للاستعارة ايضا فان الغصن الخالي عن الثمر والورق

في بيان خطبة الكتاب

او عن احدهما فان فضل الكمال والحسن وهي استعارة على سبيل الكناية عن شرفه بالنظر الى شرف اصله واضاف الفرع ههنا الى العلا كما اضافه
لفظ النبلاء الى المجد فالكلام فيهما واحد واما بيان صدق الاوصاف الاربعة الاخيرة فمن وجوه الاول ما روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال لم يزل
الله تعالى ينقلني من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات لم يدنسني بدنس الجاهلية وكفى بذلك شرفا وكرما الثاني انه صلى الله عليه وآله من ولد
اسمعيل بن ابراهيم وكرمهما مشهور قال وهب كان ابراهيم اول من اضاف الضيف واول من ثرد الثريد واطعم المساكين الثالث ان نسبه
من قريش وشرف قريش في العرب ظاهر فمنهم قصي الذي جمع قبائل قريش وانزلها مكة وبنى دار الندوة واخذ مفتاح الكعبة من خزاعة
ومنهم هاشم بن عبد مناف هشم الثريد لقومه في عام المحل وفيه سمي هاشما واصل اسمه عمرو قال الشاعر عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال
مكة مسنتون عجاف ومنهم عبد المطلب بن هاشم وكان من حكماء العرب ومحصليها وهو سيد الوادي وشيبة الحمد وله الفيل الاعظم و
ببركة النور الذي كان في صلبه دفع الله عن بنيته كيد اصحاب الفيل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل وببركة ذلك النور
راى الرؤيا في تعريف موضع زمزم وهو الذي الهم لنذر ان يذبح العاشر من اولاده وكيفية الفداء له حتى افتخر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فقال
انا ابن الذبيحين وكان يامر اولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان لشرفه وفضل عقله
قد سلم اليه النظر في حكومات العرب وفصل الخصومات بينهم فكان يوضع له وسادة عند الملتزم فيستند الى الكعبة ويحكم بينهم
وجزئيات فضله وشواهد عقله كثيرة وله اشعار كثيرة واخبار تدل على انه كان مقرا بالصانع الحكيم موحدا له معترفا بامر
المعاد من رامها طالع كتب التواريخ **قوله** وعلى اهل بيته الى قوله ومثاقيل الفضل الراجحة **اقول** اختلف الناس في المراد باهل
البيت في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فقال الجمهور ان نساء النبي صلى الله عليه وآله مرادون بهذه الاية ومن الناس
من خصصها بهن مستدلا بان سياق الكلام قبلها وبعدها واتفقت الشيعة على انها خاصة بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام
وهو قول ابي سعيد الخدري وهو مراد الرضي ههنا مع من بعدهم من الائمة الاثني عشر وقد وصفهم باربعة اوصاف احدها كونهم
مصابيح وهي استعارة لهم يكنى بها عن كونهم مهتدى بهم من ظلمات الجهل كما يهتدى بالمصباح في الظلمة وثانيها كونهم عصما
للامم اي مانعين لهم بسبب هدايتهم لهم الى سلوك الصراط المستقيم عن التورط في احد طرفي الافراط والتفريط وثالثها كونهم
منار الدين الواضحة وقد عرفت ان المنار هي محال الانوار وهي ايضا استعارة حسنة كما مر ورابعها كونهم مثاقيل الفضل الراجحة
وهذه الاضافة بمعنى اللام اي مثاقيل للفضل اي ان العترة فضل غيرهم ونسبة بعضهم الى البعض كانوا مثاقيل راجحة لتلك الفضل
بغيره بجامع بعضه على بعض بالتشبيه اليها او بمعنى من اي مثاقيل من الفضل متنوعة ترجح على غيرها ولفظ المثاقيل ههنا مستعار
لهم ايضا ووجه المشابهة كونهم معيارا للخلائق وموازين لهم كما ان المثقال كذلك **قوله** وصلى الله عليهم اجمعين الى قوله نجم طالع **اقول**
لما دعا الله سبحانه لهم بالصلوة نبه على استحقاقهم لها باعتبارات ثلثة احدها اعتبار فضائلهم النفسانية كالعلوم والملكات
الخلقية الفاضلة وثانيها اعتبار اعمالهم الظاهرة كالعبادات البدنية وثالثها اعتبار طيب اصولهم لكونها المطهرة ونبه عليها
بان هذه الامور هي جهات استحقاق الرحمة **قوله** فاني كنت في عنفوان شبابي الى اخر الكلام **اقول** لما صدر الخطبة بذكر الله
تعالى والثناء عليه والصلوة على رسوله واهل بيته صلى الله عليه وآله شرع في اقتصاص حاله في جمع هذا الكتاب وذكر الاسباب الحاملة له على تلك وفي
ملح كلام علي عليه السلام ثم ذكر في ذلك الاقتصاص امورا نحتاج الى التنبيه الاول ان هذا المجموع من الكلام جزء من كل من كلامه عليه السلام وذلك في
قوله ان ابتدئ بتاليف كتاب يحتوي على مختار كلام امير المؤمنين وذلك مرتضى قال قطب الدين الراوندي ره سمعت بعض العلماء بالحجاز
يقول اني وجدت بمصر مجموعا من كلام علي عليه السلام في نيف وعشرين مجلدا الثاني قوله جواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية
استعارتان لطيفتان لهذين اللفظين من الجوهر المخصوصين لما بين فصاحة الالفاظ العربية والحكمة الفاضلة التي تشتمل
عليها كلامه ووجه المشابهة هو ما اشتركا فيه من العزة والنفاسة كل بالنسبة الى جنسه فعزة الجوهر بالنسبة الى مطلق الاحجار وعزة
الالفاظ الفصيحة والحكمة البالغة بالنسبة الى سائر الالفاظ والمعاني المعقولة الثالث كونه مشرعا للفصاحة وموردا لها وهي
ايضا استعارة لهذين اللفظين مما حقيقة في النهر والعين ونحوهما ووجه المشابهة ان الشريعة من الماء كما يردها العطشى للري
وموردها والاستعارة كذلك هو مرجع الخلائق في استفادة الفصاحة ولو قال مصدرها لكان ابلغ اذ كان المشرع والمورد منه [illegible]
التراهيف وكذلك قوله منشا البلاغة ومولدها استعارة ايضا تشبيها لها بالام وتشبيها للفصاحة بالولد في الصدور عنه الرابع قوله
لان كلامه الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي فقد العلم الالهي كلاما حسنا وجمالا حتى جعل في كلامه اثر
منه وقد الكلام النبوي طيبا كالمسك الاذفر حتى جعل في كلامه عبقة منه واستلزم ذلك تخييل حاسة البصر والشم للعقل الذي
به ادرك المسحة من العلم الالهي وبالنسبة العبقة من الكلام النبوي فهي استعارة على طريق الكناية فكني بالمسحة عما ادركه العقل في
كلامه من الحكمة المشار اليها في القران الكريم والفصاحة وكنى عما ادركه من الاسلوب الطريقة الموجودة فيه مع الفصاحة والحكمة في

الكلام

في بيان خطبة الكتاب

في الكلام النبوي لكان العقل يتصور ويسمع بقوته أثر العلم الالهي فيه وليتم رائحة الكلام النبوي منه قال ابو الحسن الكيدري انما خص الكلام
الالهي بالمسحة والكلام النبوي بالعبقة لان كلامه عليه السلام شديد الشبه بكلام الرسول صلى الله عليه وآله فهو كالجزء منه لانهما عنصران وحيان وفرعا ان يفترقا لما
كان معنى عبوق الشيء بالشيء لزومه له والتصاقه به عياناً لشدة اتصاله به كالجزء منه فلذلك قال عبقة من الكلام النبوي ولما كان معنى
المسحة الاثر من الجمال ولم يكن مجرد الاثر من الشيء في الشيء يوجب لزومه له وشدة المشابهة به وكان كلام الباري سبحانه بعيد الشبه
بكلام المخلوق لاجرم خصه بالمسحة دون العبقة وهذا الفرق مع لطافته فيه تكلف ويمكن ان يقرر على وجه آخر فيقال ان العبقة تدل على وجود
العابق للمحل الثاني الكلام وفي نفس الامر واما المسحة من الشيء وهي الاثر منه فانما تدل على وجوده للمحل في الظاهر فقط الاثر الى قوة على وجه مجرى
مسحة من ملاحة وحسن لشباب اثنين لو كان بادياً ايضاً فان اثر الجمال او اثر الملك قد يبدو عند بعض الاذهان ولا يبدو عند بعض
آخر واذا عرفت ذلك فنقول لما كان كلامه عليه السلام شديد المناسبة بكلام النبوة في الاسلوب اتم وفي الحكم الباطنة كان كالجزء منه فكانت
استعارة لفظة العبقة لكلام النبوة اولى له لانها على سبيل تخييل وجود ما هي منه وهو كلام النبوة في كلامه عليه السلام حتى كأنه جزء منه ولما
كان الكلام الالهي بعيد المناسبة لكلام الخلق وكانت نسبة كلامه عليه السلام اليه في بعض الجهات اما في اشتماله على بعض الحكم او على الفصاحة
دون الاسلوب وكانت المسحة من الشيء انما تدل على وجوده من بعض الجهات وهي اتم فقط كانت استعارة لفظ المسحة للكلام الالهي اولى
والله اعلم الخامس قوله فهو البحر الذي لا يساجل استعار لفظ البحر لكلامه عليه السلام واشار الى وجه المشابهة بقوله لا يساجل فان المساجلة لما
كانت هي المغالبة في السقي والجري وكان كلامه عليه السلام اكثر جرياناً في كلام البلغاء من غيره وكانت وجهتاها منهم قد يمثل من فيضه لا جرم
اشبه البحر الذي لا يغلب بجاره في سقي ولا جري اي لا يقاوم في فصاحته ولا حكمه وكذلك قوله لا يحافل استعارة للفظ المحافلة التي هي وصف
من اوصاف الانسان لكلامه تشبيهاً له بالرجل ذي المحفل الجم والجماعة الكثيرة التي لا يمكن ان يكاثر بمثلها السادس قوله يسوغ الى التمثل
مجاز في الاسناد فان السوغ حقيقة في الشراب فاسناده الى التمثل مجاز ووجه العلاقة ان التمثيل بما يرد به احسن بين الناس وسار كما
ان ذلك لذيذاً عنده فاشبه في لذاذته وجريانه بين الناس الماء الزلال في لذاذته وسهولة جريانه في الحلوق فحسن اسناد لفظ السوغ اليه
السابع قوله وخلع من قلبه انه كلام مثله الى قوله لم يعترضه الشك الضمير في مثله راجع الى علي عليه السلام ومن قوله ممن لبس الجلس معنى
الكلام ان المفكر اذا فرضنا انه لم يعرف انه كلام شخص مثله في كونه عظيم القدر نافذ الامر خائضاً في غمرات الحروب مشاهداً ٢٠٦ من كلامه
تدبير امور الخلق ونظام احوالهم قد ملك الارض بل يعرض انه وجد هذا الكلام غير منسوب الى شخص معروف الحال فانه والحال هذه
لا يعترضه شك انه كلام خاص معرض عن غيره متقلب عن غيره مشغول بغير العبادة في نيسار الشك الذي عساه يعرض لبعض الاذهان الضعيفة
في انه ليس بكلامه انما ينشأ من معرفته بانه كلام شخص خائض في تدبير الدنيا واحوالها فكون تلك المعرفة منشأ لعروض الشك في ان هذا الكلام
ليس بكلام رجل بهذه الحال وانما قال قد قبع في كسر بيت وانقطع الى سفح جبل لان ذلك من شعار الزهاد المعرضين عن الدنيا والضمير في
قوله يسمع وحسه عائدان الى من اي لا يسمع الا حسه وهو الاحس بنفسه الثامن قوله ينغمس في الحرب مصلتاً استعارة حسنة في التشبيه اي تشبيه
الانغماس الى الحرب فان الانغماس حقيقة في الدخول في الماء وما في معناه الا ان الحرب لما كانت في غمارها واختلاط المحاربين فيها اشبه
الماء المتراكم صحت نسبة الانغماس اليها كما صحت اليه فيقال انغمس في الحرب خاض فيها ونحوه وقوله يقطر مهجاً ان فسرنا المهجة بالدم
كانت نسبة القطر اليها حقيقة وان فسرناها بالروح كانت مجازاً تشبيهاً للروح بالمايعات الخارجة من الانسان كالدم ونحوه التاسع
قوله وهو مع ذلك زاهد الزهاد وبدل الابدال الواو للحال ويوصف بهذين الوصفين لانه معلوم من انتساب الصوفية واهل التجريد
اليه وقد بينا في مقدمة الكتاب انه كان سيد العارفين بعد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وبينا ايضاً ان نفسه القدسية كانت وافية بضبط
الجوانب المتجاذبة فتوفر عليها فلذلك لم يكن اشتغاله بتدبير امور الدنيا ومغالبات الحروب ونظام شمل المصلحة مانعاً من اشتغاله
بالعبادة التامة والاقبال بوجه نفسه القدسية على الانتقاش بانوار الله والاخلاص له والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها وهذه
من فضائل نفوس الانبياء وكمالات نفوس الاولياء اما الزهد فهو الاعراض عن غير الله وقد يكون ظاهراً
وقد يكون باطناً الا ان المنتفع به هو الباطن قال صلى الله عليه وآله ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم بل ينظر الى قلوبكم ونياتكم وان
كان لا بد من الزهد الظاهري ولا لا الزهد الحقيقي في مبدأ السلوك لا يتحقق والسبب فيه ان اللذات لشدة حاضرة والعلائق العقلية
التي يطلبها الزاهد الحقيقي غير متصورة له في مبدأ الامر واما الظاهري فهو ممكن ومتيسر لمن قصده لتيسر قلبه وهو الترك باول التهيؤ
لذلك قال عليه السلام الرياء قنطرة الاخلاص ولما بينا ان علياً عليه السلام كان سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فلا بد وان يكون زهده حقيقة
ويستغرق في اثناء كلامه بلوغه في درجة الزهد الى غايته ولما كونه ذلك بالشجاعة المشهورة فهو انك علمت ان نفس العارف يجب ان
تكون مستلزمة للملكات الخلقية وقد عرفت ان الشجاعة اصل منها الا ان المانع من الاقدام على الاهوال والمكاره انما هو خوف الموت
وحب البقاء والعارف بمعزل عن تقية الموت اذ كانت محبة الله تعالى شاغلة عن الالتفات الى كل شيء بل ربما يكون الموت مشتهى له لكونه

خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم

الى الغاية محبوبه الاعظم وغاية الفضل وقد بينا ذلك في تفصيل احوال العارفين من كتاب مصباح العرفان واما الابدال فقد نقل انهم سبعون رجلا منهم اربعون بالشام وثلثون في سائر البلاد وفي الحديث عن علي الابدال بالشام والنجباء بمصر والعصب بالعراق يجتمعون فيكون بينهم حرب العرب قوله واستخرج عجيبهم اي نجيبهم منها من القوة الى الفعل ومن روى نجيبهم بضم العين فالمراد انه اذكرهم بهذه الفضيلة لتظهر محبتهم لها وميلهم اليها قال ابو الحسن الكيدري واستخرج عجيبهم اي عرفهم انهم عاجزون عن امثالها فلا يبقى لهم عجب بانفسهم منها اي من اجل معرفتها واعلم ان هذا اللفظ لا يعطي هذا المعنى الحادي عشر قوله والعجب في ذلك ان رواياته كلامه تختلف اختلافا شديدا اقول سبب الاختلاف يحتمل وجهين احدهما انه ربما تكلم بالمعنى الواحد مرتين او اكثر بالفاظ مختلفة كما هو شان البلغاء واهل الفصاحة فينقله السامعون باللفظ الاول والثاني فيختلف الروايات الثاني ان الناس في الصدر الاول كانوا يتلقفون الكلام من افواه الخطباء ويحفظونها على الولاء وربما لا يتمكن السامع من حفظ كل اللفظ ومراعاة ترتيبه فيقع بسبب ذلك اختلاف في الترتيب ونقصان في الرواية وربما اعطى بعضهم حفظ المعنى من دون ضبط الالفاظ فاورد في اللفظ زيادة ونقصانا الثاني عشر قوله فصح ولاح استعارة لطيفة لهذا الكتاب لان النهج حقيقة في الطريق الواضح المحسوس وجهة المشابهة ان الطريق لما كانت محل الانتقال بالمشي وقطع الاجسام المحسوسة من حد الى حد كذلك الكتاب من ينتقل في هذا الكتاب من بعض لطائف البلاغة وشعب الفصاحة الى بعض انتقالا سهلا فلذلك صح نقل لفظ النهج اليه استعارة والله التوفيق ولنتبع ذلك ببيان ما عساه يشكل في هذه الخطبة ويأتي كلامه ولنشرع في شرح كلامه عليه السلام

باب المختار من خطب امير المؤمنين واوامره ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحضورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض وخلق آدم

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون ولا يؤدي حقه المجتهدون الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا اجل ممدود فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزاه ومن جزاه فقد جهله ومن جهله فقد اشار اليه ومن اشار اليه فقد حده ومن حده فقد عده ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام فقد اخلى منه كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات والآلة بصير اذ لا منظور اليه من خلقه متوحد اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده

اقول اعلم ان هذه الخطبة مشتملة على مباحث عظيمة ونكت مهمة على ترتيب طبيعي فلنعقد فيها خمسة فصول

الفصل الاول في تصديرها بذكر الله جل جلاله وتمجيده والثناء عليه بما هو اهله وهو قوله الحمد لله الى قوله ولا يستوحش لفقده **اقول** المدح والمديح الثناء الحسن والمدحة فعلة من المدح وهي الهيئة والحالة التي ينبغي ان يكون المدح عليها والاحصاء انهاء العدد والاحاطة بالمعدود يقال احصيت الشيء اي انهيت عده وهو من لواحق العدد ولذلك نسبه الى العادين والنعماء النعمة وهو اسم يقام مقام المصدر وادى حق فلان اذا قابل احسانه بجنس مثله والادراك اللحوق والنيل والاصابة والوصول والوجدان والهمة هي العزم الجازم والارادة يقال فلان بعيد الهمة اذا كانت ارادته تتعلق بعليات الامور دون محقراتها والغوص الحركة في عمق الشيء من قولهم غاص في الماء اذا ذهب في عمقه والفطن جمع فطنة وهي في اللغة الفهم وهو عند العلماء عبارة عن جودة استعداد الذهن لتصور ما يرد عليه وحد الشيء منتهاه والحد المنع ومنه سمي العلماء تعريف الشيء بالاجزاء حدا لانه يمنع ان يدخل في المحدود ما ليس منه او يخرج منه ما هو منه والنعت الصفة والاجل المدة المضروبة للشيء والفطرة الشق قال ابن عباس ما كنت ادري ما معنى قوله تعالى فاطر السموات والارض حتى جاءني اعرابيان يختصمان على بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدعتها والخلائق جمع خليقة وهي اما بمعنى المخلوق يقال هم خليقة الله وخلق الله اي مخلوقه او بمعنى الطبيعة لان الخليقة هي الطبيعة ايضا والنشر البسط والوتد بالفتح اي ضرب الوتد في حائط او غيره والصخور الحجارة العظام والميدان الحركة بتمايل وهو الاسم من ماد يميد ميدا ومنه غصن مياد متمايل والدين في اصل اللغة يطلق على معان منها العادة ومنها الاذلال يقال دانه اي اذله وملكه ومنه بيت الحماسة وناهم كما دانوا ومنها الجزاء كقوله تعالى أئنا لمدينون اي مجزيون والمثل المشهور كما تدين تدان ومنها الطاعة يقال دان له اي اطاع كقول عمرو بن كلثوم عصينا الملك فينا ان ندينا ويطلق في عرف الشرع على الشرائع الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام والقرينة التي جعل لها قرنها والمقارنة الاجتماع ماخوذ من قرني الثور وغيره ومنه القرن للمثل في السن وكل القرن من الناس اهل الزمان الواحد قال اذا ذهب القرن الذي انت فيهم وخلفت في قرن فانت غريب والمزايلة المفارقة وهي مفاعلة من الطرفين والمتوحد المنفرد بنفسه يقال فلان متوحد بمعنى متفرد والسكن بفتح الكاف كل ما سكنت اليه واستانست به والاستيناس بالشيء ميل الطبع اليه وسكونه وكل ما تانس وضده الانس وهو الوحشة والاستيحاش

نبيها على الفصحاء الى بعض

بين في ذلك المختار من كلامه

وكمال توحيده

في بيان خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض وخلق آدم

عند الاستيناس وهو نفرة الطبع بسبب فقد المؤانس واعلم انا نفتقر في بيان نظام كلامه عليه السلام في هذا الفصل الى تقديم مقدمة فنقول الصفة
امر يعتبره العقل لامر آخر ولا يمكن ان يعقل الا باعتباره معه ولا يلزم من تصور العقل شيئا لشيء ان يكون ذلك المتصور موجودا
لذلك الشيء في نفس الامر بيان ذلك ما قيل في رسم المضاف انه الامر الذي تعقل ماهيته بالقياس الى غيره ولم يلزم ان يكون له وجود سوى معقوليته
بالقياس الى غيره ذلك الغير هو الصفة تنقسم باعتبار العقل الى حقيقية واضافية وسلبية وذلك لان نسبة العقل للصفة الى غيرها
اما ان يعقل معها نسبة من المنسوب اليه او لا يعقل فان كان الاول فهو الصفات الحقيقية وحقيقته انه المعقول بالقياس الى غيره يكون بانه
يعقل اليه نسبة ولا يكون له وجود سوى معقوليته بالقياس اليه ككونه تعالى خالقا قادرا رازقا وربا فان حقيقة هذه الصفات هي
كونها معقولة بالقياس الى مخلوقيته ومرزوقيته ومربوبيته موازيه وان كان الثاني فالمنسوب اليه اما ان يكون موجودا للصانع او ليس
بموجود له والاول هو الصفات الحقيقية ككونه تعالى حيا فانه امر يعقل بالقياس الى صحة العلم والقدرة له وليس بازاء امر يعقل منه
نسبة اليه والثاني هو الصفات السلبية ككونه تعالى ليس بجسم ولا بعرض وغيرهما فانها امور تعقل له بالقياس الى امور غير موجودة
له تعالى ثم نقول انه لا يلزم من اتصاف ذاته سبحانه بهذه الانواع الثلثة من الصفات تركيب ولا كثرة في ذاته لانها اعتبارات
عقلية تحدثها عقولنا عند المقايسة الى الغير ولم يلزم من ذلك ان تكون موجودة في نفس الامر وان لم تعقل ولما كان دأب العقلاء
ان يصفوا خالقهم سبحانه بما هو اشرف طرفي النقيض لما تقرر في عقولهم من عظمته ومناسبة اشرف الطرفين للاعظمية كان ما صدق
به تعالى من الصفات الحقيقية والاضافية والسلبية كلها كذلك فاذا عرفت ما قلنا فاعلم انه شرع اولا في الاعتبارات السلبية وقدمها
على الثبوتية الحقيقية وهي انه قد ثبت في علم السلوك الى الله ان التوحيد المحقق والاخلاص المطلق لا يتم الا بنفض كل ما عداه
عنه وتنزيهه عن كل لاحق له وطرحه عن درجة الاعتبار وهو المسمى في عرف المجردين واهل العرفان بمقام التخلية والنفض والتفريق
وما لا يتحقق الشيء الا به كان اعتباره مقدما على اعتباره ولهذا الترتيب كان اجل كلمة نطق بها في التوحيد قولنا لا اله الا الله
اذ كان الجزء الاول منها مشتملا على سلب كل ما عدا الحق سبحانه مستلزما لغسل درن كل شبهة بخاطر سواه وهو مقام التخلية
حتى اذا انزاح كل ثان عن محل عرفانه استعد بجوده للتحلية بنور وجوده وهو ما اشتمل عليه الجزء الثاني من هذه الكلمة ولما بينا انه
كان لسان العارفين والفاتح لاغلاق الطريق الى الواحد الحق تعالى والمعلم المرشد لكيفية السلوك وكانت الاوهام البشرية حاكمة
بمثليته تعالى لمدركاتها والعقول قاصرة عن ادراك حقيقته والتواصل الى ساحل عزته والتنزيه له عما لا يجوز عليه اذا امكن وجود ما لا
لم يكن للاوهام التواصل له تعالى بما لا يجوز عليه معارضة لاكثر الخلق بل كانت حاكمة على حكمها فانه لعقولها الى تلك الاحكام ابطلها
كالمشبهة ونحوهم لا جرم بدأ عليه السلام بذكر السلب اذ كان تقديمه مستلزما لغسل درن الحكم الوهمي في حقه تعالى عن لوح الخيال والذكر
اذا ورد عقيب ذلك ذكره تعالى بما هو اهله ورد على الواح صافية من كدر الباطل فانتقشت بالحق كما قال فصادف قلبا خاليا
فتمكنا ثم انه بدأ بتقديم حمد الله تعالى على الكل ههنا وفي سائر خطبه جريا على العادة في افتتاح الخطب وتصديرها وسر ذلك
تأديب الخلق بلزوم الثناء على الله تعالى والاعتراف بنعمته عند افتتاح كل خطاب لاستلزام ذلك ملاحظة حضرة الجلال والالتفات
اليها في اكثر الاحوال وقد بينا ان الحمد يفيد معنى الشكر ويفيد ما هو اعم من ذلك وهو التعظيم المطلق وهو بجميع اقسامه مراد
ههنا لكون الكلام في معرض التمجيد المطلق **قوله** الذي لا يبلغ مدحته القائلون **اقول** اراد تنزيهه تعالى عن اطلاع
العقول البشرية على كيفية مدحه سبحانه كما هي وبيان هذا الحكم ان الثناء الحسن على الشيء انما يكون كما هو اذا كان الثناء عليه بما هو
كذلك في نفس الامر وذلك غير ممكن في حق الواجب الوجود سبحانه اذ لا تعقل حقيقته وما لها من صفات الجلال ونعوت الكمال كما
هي وعقول البشر عن هذا المقام قاصرة فالقول وان صدق على المادحين بصورة المدح المتعارف بينهم وعلى ما هو رأيهم من وصفه تعالى
بما هو اشرف من طرفي النقيض فليس بكامل مدحه في نفس الامر لعدم اطلاعهم على ما به يكون المدح الحق في حقه تعالى وان تصور
بصورة المدح الحق والى تأديب الخلق وتنبيههم على بطلان ما تحكم به اوهامهم في حقه تعالى من الصفات وانه ليس الامر كما حكمت
به اشار عليه السلام في موضع آخر وقد سأله بعضهم عن التوحيد فقال التوحيد ان لا تتوهمه فجعل التوحيد عبارة عن سلب الحكم الوهمي
في حقه تعالى فان من اجرى عليه حكما وهميا فليس هو موحدا له على الحقيقة والى هذا المعنى اشار الباقر محمد بن علي عليهما السلام
مخاطبا وهل سمي عالما قادرا الا لانه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين فكل ما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق
مصنوع مثلكم مردود اليكم والباري تعالى واهب الحيوة ومقدر الموت ولعل النمل الصغار تتوهم ان لله تعالى زبانيين فانهما كمالها
وتتصور ان عدمهما نقصان لمن لا يكونان له فهكذا شأن الخلق فيما يصفون به بارئهم فان اوهامهم ما كانت تكمل ما يعد وبه
كمالا بعد وبكما لا يجيئهم ما لم تنور عقولهم على رد بعض تلك الاحكام الوهمية ولولا رادع الشرع كقوله تعالى تفكروا في الخلق ولا
تفكروا في الخالق لصرحوا بكثير من تلك الاحكام في حقه سبحانه تعالى عما يصفون ويحتمل ان يكون المراد تنزيهه تعالى عن بلوغ

خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم

العقول والأوهام تمام الثناء والحسن عليه واحصائها اي ان العبد كلما بلغ مرتبة من مراتب المدح والثناء كان ورائها اطوار من
استحقاق الثناء والتعظيم على ما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله بقوله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وفي تخصيصه
القائلين دون المادحين بالذكر نوع لطف فان القائل لما كان اعم من المادح وكان سلب العام مستلزما لسلب الخاص من غير عكس
كان ذكر القائلين ابلغ في التنزيه اذ التقدير لا واحد من القائلين يبلغ مدحه الله سبحانه **قوله** ولا يحصي نعماءه العادون
اقول المراد ان جزئيات نعم الله وافرادها لا يحيط بها حصر الانسان وعده لكثرتها وبيان هذا الحكم بالنقل والعقل اما
النقل فقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهذه الآية هي منشأ هذا الحكم ومصدره واما العقل فلان نعم الله تعالى على
العبد منها ظاهرة ومنها باطنة كما قال تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ويكفينا في صحة هذا الحكم التنبيه على بعض جزئيات
نعم الله تعالى على العبد فنقول ان من جملة نعمه تعالى على الانسان ان اكرمه بملائكته وجعله مسجودا لهم ومخدوما وجعلهم في ذلك على
مراتب فلنذكر اقربهم اليه واخصهم به وهم الملائكة الذين يتولون اصلاح بدنه والقيام بمهماته وحوائجه وان كانوا في ذلك ايضا
على مراتب فجعل سبحانه لهم رئيسا هو لهم كالوزير الناصح المشفق من شأنه تمييز الاصلح والانفع له والامر به وجعل بين يدي ذلك
الوزير ملكا آخر هو كالحاجب له والمتصرف بين يديه من شأنه تمييز صديقه الاصدقاء للملك من عدوه والاعداء له وجعل
لذلك الحاجب ملكا كاتبا يضبط عنده ما يتعرف من الامور لينظر فيها الوزير عند الحاجة ثم جعل بين يديه ملكين آخرين
احدهما ملك الغضب هو كصاحب الشرطة موكل بالخصومات والغلبة والبطش والانتقام والثاني ملك اللذة والمتولي للشهوات
الانسان والطلب والامر بالاستقصاء وبين يديه ملائكة اخرى تسعى في تحصيل ما يأمر به ويطلبه ثم جعل سبحانه دون هؤلاء سبعة
اخرى من الملائكة دأبهم اصلاح غذاء الانسان فالاول موكل بجذب الغذاء الى داخل المعدة اذ الغذاء لا يدخل بنفسه فان
الانسان لو وضع اللقمة في فيه ولم يكن لها جاذب لم تدخل والثاني موكل بحفظه في المعدة الى تمام نضجه وحصول الغرض منه و
الثالث موكل بطبخه وتنضيجه والرابع موكل بتمييز صفوه وخلاصته في الكبد ليبدل بدل ما يتحلل منه والخامس موكل بالتوزيع
في اقطار الجسم على النسب الطبيعية بما يوصله اليه الرابع منها كالباني والمناول والسادس موكل بفصل صورة الدم من الغذاء
والسابع الذي يتولى دفع الفضلة الغير المنتفع بها عن المعدة ثم وكل تعالى خمسة اخرى في خدمته شأنهم ان يوردوا عليه الاخبار
من خارج وجعل لكل واحد منهم طريقا خاصا وفعلا خاصا به وجعل لهم رئيسا يجمعهم ويرجعون اليه بما علموه وجعل لذلك
الرئيس خازنا كاتبا يضبط عنده ما يصل اليه من تلك الاخبار ثم جعل بين هذا الخازن وبين الخازن الاول ملكا قويا على التصرف
والحركة سريع الانتقال بحيث ينتقل في اللحظة الواحدة من المشرق الى المغرب ومن تخوم الارض الى السماء العليا قادرا على
التصرفات العجيبة وجعله مرة للوزير تارة وللحاجب اخرى وهو موكل بتفتيش الخزانتين ومراجعة الخازنين باذن الوزير
وواسطة الحاجب اذا اراد استعلام امر من تلك الامور فهذه الملائكة التي خص الله تعالى بها بدنه وجعلها اقرب الملائكة
المنبثة في خدمته منه اليه ثم ان وراء هؤلاء اطوارا من الملائكة الارضية كالملائكة الموكلين بانواع الحيوانات التي ينتفع بها
الانسان وربما تكون مسخرة له وانواع النبات والمعادن والعناصر الاربعة والملائكة السماوية ومن لا يعلم الا الله سبحانه و
تعالى كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فان كل واحد منها موكل بفعل خاص وله مقام خاص لا يتعداه ولا يتجاوزه كما قال تعالى حكاية
عنهم وما منا الا له مقام معلوم وهم باسرهم متحركون بمصالح الانسان ومنافعه من اول حدوثه الى انتهائه باذن المدبر الحكيم دع ما
سوى الملائكة من ساير الموجودات في هذا العالم المشتملة على منافعه وما افاض عليه من القوة العقلية التي هي سبب الخيرات
الباقية والنعم اللذيذة التي لا تنقطع موادها ولا يتناهى تعدادها فان كل ذلك في الحقيقة نعم الهية ومواهب ربانية
بحيث لو اختل شيء منها لاختلت منفعته من تلك الجهة ومعلوم انه لو قطع فكره وجمع بالنظر الى آثار رحمة الله تعالى في نوع من
هذه النعم لانتهى دونها فكره وقصر عنها احصاؤه وحصره وهو مع ذلك كله غافل عن شكر الله جاهل بمعرفة الله مصر على معصيته
حقيق ان يقول سبحانه وتعالى بعد تنبيهه له على ضروب نعمه والامتنان بها عليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان
لظلوم كفار لنفسه بمعصية الله معاند للكفر بآلاء الله قتل الانسان ما اكفره ان الانسان لكفور مبين فسبحان الذي لا يحصى
نعماؤه ولا تستقصى آلاؤه وغاية هذا الحكم تنبيه الغافلين من مراقد الطبيعة على لزوم شكر الله سبحانه والاعتراف بنعمه المستلزم لدوام
اخطاره بالبال **قوله** ولا يؤدي حقه المجتهدون **اقول** هذا الحكم ظاهر الصدق من وجهين احدهما انه لما كان اداء حق النعمة هو
مقابلة الاحسان بجزاء مثله وثبت في الكلمة السابقة ان نعم الله سبحانه لا تحصى لزم من ذلك انه لا يمكن مقابلتها بمثل الثاني ان كل
ما نتعاطاه من افعالنا الاختيارية مستندة الى جوارحنا وقدرنا وارادتنا وساير اسباب حركاتنا وهي باسرها مستندة الى جوده
ومستفادة من نعمه وكذلك ما يصدر عنا من الشكر والحمد وساير العبادات نعمة منه فمقابل نعمه بنعمه وكذلك هذا الخاطر خطر لداود عليه السلام

في خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم

وكذلك لموسى ع فقال يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع ان أشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي رواية أخرى وشكري لك نعمة أخرى توجب
علي الشكر لك فأوحى الله اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر اذا عرفت ان النعم مني رضيت منك بذلك شكرا فاما
بيان ان العرف من ان فلانا مؤد لحق المنعم فليس لأنه جزاء النعمة بل لما كانت الطاعات لله نعم من التكاليف الشرعية والعقلية
يستحق فاعلها الأجر سمي المجتهد في الامتثال مؤديا بالحق لله وذلك الأداء في الحقيقة من أعظم نعمه تعالى على عبده اذ كانت الامتثالات
وسائر جهات السلوك الموصل الى الله تعالى كلها مستندة الى جوده وعنايته واليه الاشارة بقوله تعالى يمنون عليك ان أسلموا قل لا
تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين وما كان في الحقيقة نعمة الله لا يكون أداء لنعمة الله و
جزاء لها وانما اطلق ذلك في العرف اذ كان من شأن الحق المفهوم المتعارف بين الخلق استلزامه وجوب الجزاء والأداء الباعث على
الاتيان برغبة ورهبة تحصل المقصد من التكاليف حتى لو لم يعتقدوا انه حق لله بل هو مجرد نفع خالص لهم لم يهتموا به تمام
الاهتمام اذ كانت غايته غير مقصودة لهم كما هي قلما تهتم النفوس بأمر لا تتصور غايته ومنفعته خصوصا مع المشقة اللازمة في تحمله
الا بباعث قاهر من خارج **قوله** الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن **اقول** اسناد الغوص ههنا الى الفطن
على سبيل الاستعارة اذ الحقيقة اسناده الى الحيوان بالنسبة الى الماء وهو مستلزم لتشبيه المعقولات بالماء ووجه الاستعارة
ههنا ان صفات الجلال ونعوت الكمال لما كانت في عدم تناهيها والوقوف على حقائقها واغوارها تشبه البحر الخضم الذي
لا يصل السائح له الى ساحل ولا ينتهي الغائص فيه الى قرار وكان السائح لذلك البحر والخائض في تياره هي الفطن الثاقبة لا جرم كانت
الفطنة شبيهة بالغائص في البحر فاستعار لها الغوص وفي معناه الغوص في الفكر والغوص في النوم ويقرب منه اسناد الادراك الى
بعد الهمم لكان الادراك حقيقة في لحوق جسم لجسم آخر واضافة الغوص الى الفطن والبعد الى الهمم اضافة لمعنى الصفة بلفظ المصدر
الى الموصوف والتقدير لا تناله الفطن الغائصة ولا تدركه الهمم البعيدة ووجه الحسن في هذه الاضافة وتقديم الصفة ان المقصود
لما كان هو المبالغة في عدم اصابته تعالى بالفطنة من حيث هي ذات غوص وبالهمة من حيث هي بعيدة كانت تلك الحيثية مقصودة بالقصد
الاول وقد بينا ان البلاغة تقتضي تقديم الاهم والمقصود الاول على ما ليس كذلك وبرهان هذا المطلوب ظاهر فان حقيقته تعالى لما كانت
بريئة عن جهات التركيبات عرية عن اختلاف الجهات منزهة عن تكثر الممكنات وكانت الاشياء انما تعلم بما هي من جهة حدودها
المؤلفة من اجزائها فاذا صدق ان واجب الوجود ليس بمركب وما ليس بمركب ليس بمدرك الحقيقة صدق ان واجب الوجود ليس
بمدرك الحقيقة فلا تدركه همة وان بعدت ولا تناله فطنة وان اشتدت فكل سابح في بحار جلال الله غريق وكل مدع للوصول الى انوار
كبريائه حريق لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا **قوله** الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود **اقول** المراد ليس
لمطلق ما نعتبره عقولنا له من الصفات السلبية والاضافية نهاية معقولة تقف عندها فيكون حدا لها وليس لمطلق ما يوصف به نعت
وصف موجود يجمعه فيكون نعتا له ومحصورا فيه قال ابو الحسن الكيذري ويمكن ان يؤول لحد محدود على ما يؤول به كلام العرب
ولا يرى الضب بها ينجحر اي ليس بها ضب فينجحر حتى يكون المراد انه ليس له صفة فتحد اذ هو تعالى واحد من كل وجه منزه عن الكثرة بوجه ما فيمتنع
ان يكون له صفة تزيد على ذاته كما في سائر الممكنات وصفاته المعلومة ليست من ذلك في شيء وانما هي نسب واضافات لا يوجب وصفه
بها كثرة في ذاته قال ومما يؤكد هذا التأويل قوله بعد ذلك فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه وهذا التأويل حسن وهو راجع الى ما
ذكرناه في المعنى واما وصفه الحد بكونه محدودا فللمبالغة على طريقة قولهم شعر شاعر وعلى هذا التأويل يكون قوله ولا نعت موجود سلبا
للنعت عن ذاته سبحانه اذ التقدير ليس له صفة تحد ولا نعت وقيل معنى قوله ليس لصفته حد اي ليس لها غاية بالنسبة الى متعلقاتها كالعلم
بالنسبة الى المعلومات والقدرة الى المقدورات **قوله** ولا وقت معدود ولا اجل ممدود **اقول** وصف الوقت بكونه معدودا كقوله تعالى
في ايام معدودات وكقوله وما نؤخره الا لاجل معدود وهو للتعلق الداخل في الاحصاء والعد وذلك ان العد لا يتعلق بالوقت الواحد من
حيث هو واحد فانه من تلك الحيثية ليس بمعدود وانما يتعلق به من حيث هو داخل في الاوقات الكثيرة الموجودة في الزمان اما بالفرض او
بالفعل التي يلحق جملتها عند اعتبار التفصيل كونها معدودة في هذه الجملة اي داخل في عددها ومراده في هذين الحكمين نفي نسبته تعالى الى ما
يلحقها الى ان يكون في الزمان وان يكون ذا اجل ينتهي اليه فينقطع وجوده بانتهائه وبيان ذلك من وجهين احدهما ان الزمان من لواحق
الحركة التي هي من لواحق الجسم فلما كان الباري سبحانه منزها عن الجسمية استحال ان يكون في زمان الثاني انه تعالى ان وجد الزمان وهو
في الزمان لزم كون الزمان متقدما على نفسه وان اوجده بعد ان يكون فيه كان غنيا في وجوده عنه وهو المطلوب فاذن صدق
هذين السلبين في حقه معلوم وقد حصل في هذه القرائن الاربع السجع المتوازي مع نوع من التجنيس **قوله** الذي فطر الخلائق بقدرته
ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه **اقول** لما قدم الصفات السلبية شرع في الصفات الثبوتية وهذه الاعتبارات
الثلاثة موجودة في القرآن الكريم اما الاول فقوله تعالى الذي فطرهن اول مرة واما الثاني فقوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي

في بيان خطبة له عليه السلام يذكر فيها خلق السماء والأرض وخلق آدم

رحمته والمنا الثالث فقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وقوله وجعل الجبال اوتادا اما المراد بقوله فطر الخلائق بقدرته فاعتباره من حيث استناد المخلوقات الى قدرته ووجودها عنها ولما كانت حقيقة الفطر الشق في الاجسام كانت نسبته هنا الى الخلائق استعارة وللامام فخر الدين في بيان وجه الاستعارة في امثال هذا الموضع بحث لطيف قال وذلك ان المخلوق قبل دخوله في الوجود كان معدوما محضا والعقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا شق فاذا اخرج الموجد المبدع من العدم الى الوجود فكانه بحسب التخيل والتوهم شق ذلك العدم وفطره واخرج ذلك الموجود منه قلت الا ان ذلك الشق والفطر على هذا التقدير لا يكون للموجود المخرج بل للعدم الذي خرج هذا الموجود منه اللهم الا على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه حتى يكون التقدير الذي فطر عدم الخلائق وهو استعمال شايع في العرف والعربية كثيرا وحسنه بين الناس ظاهر ومثله فالق الحب والنوى على قول المفسر كما سنبينه وقال ابن الانباري لما كان اصل الفطر شق الشيء عند ابتدائه فقوله فطر الخلائق اي خلقهم وانشاهم بالتركيب الذي سبيله ان يحصل فيه الشق والتاليف عند ضم بعض الاشياء الى بعض ثم ان الفطر كما يكون شق اصلاح كقوله تعالى فاطر السموات والارض كذلك يكون شق افساد كقوله تعالى اذا السماء انفطرت وهل ترى من فطور واما قوله ونشر الرياح برحمته فبيانه ان نشر الرياح وبسطها لما كان سببا عظيما من اسباب انواع الحيوان والنبات واستعداد الامزجة للصحة والنمو وغيرها حتى قال كثير من الاطباء انها تستحيل روحا حيوانيا وكانت عناية الله سبحانه ونعمه وعموم رحمته شاملة لهذا العالم وهي مستند كل موجود لا جرم كان نشرها برحمته ومن اظهر اثار الرحمة الالهية تبشير الرياح بحملها للسحاب المفرغ بالماء واثارتها له على وفق الحكمة ليصيب الارض الميتة فينبت بها الزرع ويملأ الضرع كما قال سبحانه وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وقال ويرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته وقال وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه والمراد تنبيه الغافلين على ضروب نعم الله بذكر هذه النعمة الجليلة ليستديموها بدوام شكره والمواظبة على طاعته كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وكقوله لتذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال بعض الفضلاء ان العرب يستعمل الريح في العذاب والرياح في الرحمة وكذلك نزل القرآن الكريم قال تعالى ريح صرصر وقال الريح العقيم وقال يرسل الرياح مبشرات والرياح لواقح وامثاله **قوله** ووتد بالصخور ميدان ارضه **قوله** المراد تسكين نظام الارض الى قدرته سبحانه وههنا بحثان **البحث الاول** ان قول القائل وتدت كذا بكذا معناه جعلته وتدا له والموتود ههنا في الحقيقة انما هو الارض وقد جعل الموتود ههنا هو ميدان الارض وهو عرض من الاعراض لا يتصور جعل الجبل وتدا له الا انا نقول لما كان الميدان علة حاملة على ايجاد الجبال وايتاد الارض بها كان الاهتمام به اشد فلذلك واضافه اضافة الصفة الى الموصوف وان كان التقدير ووتد بالصخور ارضه المائدة **البحث الثاني** ان تعليل وجود الجبال بتمييد الارض ورد ههنا وفي القرآن الكريم في مواضع كقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وكقوله والجبال اوتادا ولا بد من البحث عن وجه هذا التعليل وفيه ثلاثة اوجه **الوجه الاول** قال المفسرون في معنى هذه الآيات ان السفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت الاجرام الثقيلة فيها استقرت على وجه الماء وسكنت قالوا فكذلك لما خلق الله تعالى الارض على وجه الماء اضطربت ومادت فخلق الله عليها هذه الجبال ووتدها بها فاستقرت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال قال الامام فخر الدين ويتوجه على هذا الكلام ان يقال لا شك ان الارض اشد ثقلا من الماء والاثقل يغوص فيه ولا يبقى طافيا عليه واذا لم يبق كذلك امتنع ان يقال انها تميد وتميل بخلاف السفينة اذا كانت مركبة من الاخشاب وداخلها مملوء مجوف من الهواء فلذلك تبقى طافية على الماء فلا جرم تميل وتضطرب الى ان ترسى بالاجرام الثقيلة فاذن الفرق ظاهر **الوجه الثاني** ما ذكره هو فقال انه قد ثبت بالدلائل اليقينية ان الارض كرة وثبت ايضا ان هذه الجبال على سطح الارض جارية مجرى خشونات وتضريسات تحصل على وجه الكرة فاذا ثبت هذا فلو فرضنا ان هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت الارض كرة حقيقية خالية عن الخشونات والتضريسات لصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بادنى سبب لان الجرم البسيط المستدير يجب كونه متحركا على نفسه وان لم يجب ذلك عقلا الا انها تصير بادنى سبب تتحرك على هذا الوجه اما اذا حصل على سطح كرة الارض هذه الجبال فكانت كالخشونات الواقعة على وجه الكرة فكل واحد من هذه الجبال انما يتوجه بطبعه الى مركز العالم وتوجه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جاريا مجرى الوتد الذي يمنع كرة الارض من الاستدارة وكان تخليق هذه الجبال على الارض كالاوتاد المغروزة في الكرة المانعة لها من الحركة المستديرة **الوجه الثالث** ان يقول لما كانت فائدة الوتد ان يحفظ الموتود في بعض المواضع عن الحركة والاضطراب حتى يكون قارا ساكنا وكان من لوازم ذلك السكون في بعض الاشياء صحة الاستقرار على ذلك الشيء والتصرف عليه وكان من فوائد وجود الجبال والتضريسات الموجودة في وجه الارض ان لا تكون مغمورة بالماء ليحصل للحيوانات الاستقرار والتصرف عليها لا جرم كان بين الاوتاد والجبال الخارجة من الماء في الارض اشتراك في كونهما مستلزمين لصحة الاستقرار بما تعين من عدمه فلا جرم حسنت استعارة لفظ الاوتاد الى الصخور والجبال واما

ومن خطبة له عليه السلام

فمنها خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض

استعمالا بالميدان فلان الحيوان كما يكون مائدا عليه لو كان غير مستقر على الارض بسبب تمايدها في الماء ولولم توجد الجبال كذلك يصدق على الارض انها غير مستقرة تحته ومضطربة بالنسبة اليه فيتجه انه لولا وجود الجبال في سطح الارض لكانت مضطربة ومائدة بالنسبة الى الحيوان لعدم تمكنه من الاستقرار عليها **الوجه الرابع** قال بعض العلماء انه يحتمل ان تكون الاشارة بالصخور الى الانبياء والاولياء والعلماء وبالارض الى الدنيا اما وجه التجوز بالصخور عن الانبياء والعلماء فلان الصخور والجبال لما كانت على غاية من الثبات والاستقرار ومانعة لما يكون تحتها من الحركة والاضطراب غاصمة لما يلتجئ اليها من الحيوان عما يوجب له الهرب فيسكن بذلك اضطرابه وقلقه اشبهت الاوتاد من بعض هذه الجهات ثم لما كانت الانبياء والعلماء هم السبب في انتظام امور الدنيا وعدم اضطراب احوال اهلها كانوا كالاوتاد للارض فلا جرم تحسن استعارة لفظ الصخور لهم ولذلك يحسن في العرف ان يقال فلان جبل منيع يأوى اليه كل ملهوف اذا كان يرجع اليه في المهمات والحوائج والعلماء اوتاد الله في الارض **الوجه الخامس** ان المقصود من جعل الجبال كالاوتاد في الارض ان يهتدى بها على طرقها والمقاصد فيها فلا تميد جهاتها المشتبهة باهلها ولا تميل بهم فيتيهون فيها عن طرقهم ومقاصدهم وبالله التوفيق **قوله** اول الدين معرفته **اقول** لما كان الدين في اللغة الطاعة كما سبق وفي العرف الشرعي هو الشريعة الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام وكان اتباع الشريعة طاعة مخصوصة كان ذلك تخصيصا من الشارع للعام باحد مسمياته ولكثرة استعماله فيه صار حقيقة دون سائر المسميات لانه المتبادر الى الفهم حال الاطلاق لفظة الدين واعلم ان معرفة الصانع سبحانه على مراتب فاولها وادناها ان يعرف العبد ان للعالم صانعا الثانية ان يصدق بوجوده الثالثة ان يترقى بجذب العناية الالهية الى توحيده وتنزيهه عن الشركاء الرابعة مرتبة الاخلاص له الخامسة نفى الصفات التي تعتبرها الاذهان له عنه وهي غاية العرفان ومنتهى قوة الانسان وكل مرتبة من المراتب الاربع الاولى مبدء لما بعدها من المراتب وكل من الاربع الاخيرة كمال لما قبلها ثم ان المرتبتين الاوليين مركوزتان في الفطر الانسانية بل فيما هو اعم منها وهي الفطر الحيوانية ولذلك كان الانبياء لم يدعوا الخلق الى تحصيل هذا القدر من المعرفة وايضا فلو كان حصول هذا القدر من المعرفة متوقفا على دعوة الانبياء وصدقهم مع ان صدقهم متوقف على معرفة ان ههنا صانعا للخلق ارسلهم للزم الدور وانما كانت اول مرتبة دعوا اليها من المعرفة توحيد الصانع ونفى الكثرة عنه المشتمل عليها اول كلمة نطق بها الداعي الى الله وهي قولنا لا اله الا الله فقال صلى الله عليه وآله من قال لا اله الا الله دخل الجنة ثم لما استعدت اذهان الخلق بما نطقت به من التوحيد الظاهر نبههم على ان وراء هذا التوحيد اعلى واخفى من الاول فقال من قال لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل الجنة وذلك اشارة الى حذف كل ما عدا وجهه الاعظم مع الوحدة المطلقة اذا عرفت ذلك فاعلم انه يحتمل ان يكون مراده بالمعرفة المرتبة الاولى من مراتب المعرفة وح يكون معنى قوله اول الدين معرفته ظاهرا فان ذلك القدر اول ما يحصل في النفس من الدين الحق ويحتمل ان يكون مراده المعرفة التامة التي هي غاية العارف ونهاية مراتب السلوك وح يكون المراد من كونها اول الدين هو اوليتها في العقل وهو اشارة الى كونها علة غائية اذا العلة الغائية متقدمة في العقل على ما هي علة له وان تأخرت في الوجود وبيان ذلك ان المعرفة التامة التي هي غاية سعى العارف غير حاصلة له في مبدء الامر بل يحتاج في كمالها حصول الموارد من مراتب المعرفة وتحصيل المعرفة التامة الى الرياضة بالزهد والعبادة وتلقى الاوامر الالهية بالقبول التي هي سبب تمام الدين فيستعد اولا بسببها للتصديق بوجوده يقينا ثم لتوحيده ثم للاخلاص له ثم لنفى كل ما عداه عنه والغرق في تيار بحار العظمة وكل مرتبة ادركها فهي كمال لما قبلها الى ان تتم المعرفة المطلوبة له بحسب ما في وسعه وبكمال المعرفة تتم الدين وينتهى السفر الى الله **قوله** وكمال معرفته التصديق به الى قوله نفى الصفات عنه **اقول** ترتيب هذه المقدمات على هذا الوجه يسمى قياسا مفصولا وهو القياس المركب الذي تطوى فيه النتائج وعند ذكرها يتبين ان المقصود منها بيان ان كمال معرفته نفى الصفات عنه وهذا القياس ينحل الى قياسات تشبه قياس المساواة لعدم الشركة بين مقدمتي كل منها في تمام الاوسط فيحتاج في انتاج كل منها الى قياس اخر والمطلوب من التركيب الاول وهو قوله وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده ان كمال معرفته توحيده وانما يلزم عنه هذا المطلوب بقياس اخر صورته ان معرفته كمالها توحيده وكل ما كان كمال كماله توحيده كان كماله توحيده فينتج ان كمال معرفته توحيده اما المقدمة الاولى فان التوحيد كمال التصديق وهو كمال المعرفة واما الثانية فلان كمال كمال الشيء كمال الشيء وهكذا في باقي التركيب والمطلوب من تركيب هذه النتيجة مع المقدمة الثالثة وهي قوله وكمال توحيده الاخلاص له ان كمال معرفته الاخلاص له من تركيب هذه النتيجة مع المقدمة الرابعة وهي قوله وكمال الاخلاص له نفى الصفات عنه يحصل المطلوب واعلم ان تحقيق الكلام ههنا ينبه على ان معرفة الله تعالى مقولة بحسب التشكيك اذ كانت قابلة للزيادة والنقصان وبيان ذلك ان ذات الله تعالى لما كانت بريئة عن انحاء التركيب لم يكن معرفته بكنه الحقيقة لا جرم لم يكن معرفته بحسب الرسوم الناقصة تتركب من سلوب واضافات تلزمه في الاذهان لما عقلناها فتلك السلوب والاضافات لم تكن متناهية لم يمكن ان تقف المعرفة بحسبها عند حد واحد بل تكون متفاوتة بحسب زيادتها ونقصانها وخفائها

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها خلق السماء والارض وخلق آدم

بها لكمال التصديق والتوحيد والاخلاص واذا تقرر ذلك فلنشرع في تقرير المقدمات اما المقدمة الاولى وهي ان كمال معرفته التصديق
به فبيانها ان التصور لمعنى اله العالم عارف به من تلك الجهة معرفة ناقصة وتمامها الحكم بوجوده ووجوبه اذ من ضرورة كونه موجدا
للعالم كونه موجودا فان ما لم يكن موجودا استحال بالضرورة ان يصدر عنه اثر موجود فهذا الحكم الذي هو كمال معرفته واما الثانية
وهي قوله وكمال التصديق به توحيده فبيانها ان من صدق بوجوده الواجب ثم جهل مع ذلك كونه واحدا كان تصديقه به تصديقا
ناقصا وتمامه توحيده اذ كانت الوحدة المطلقة لازمة لوجوده الواجب فان طبيعة واجب الوجود بتقدير ان تكون مشتركة بين اثنين
فلا بد لكل واحد منهما من مميز وراء ما به الاشتراك فيلزم التركيب في ذاتيهما وكل مركب ممكن فيلزم الجهل بكونه واجب الوجود وان
تصور معناه وحكم بوجوده واما الثالثة وهي قوله وكمال توحيده الاخلاص له ففيها اشارة الى ان التوحيد المطلق للعارف انما
يتم بالاخلاص له وهو الزهد الحقيقي الذي هو عبارة عن تنحية كل ما سوى الحق الاول عن سنن الايثار وبيان ذلك انه ثبت
في علم السلوك ان العارف ما دام ملتفتا مع ملاحظة جلال الله وعظمته الى شيء سواه فهو بعد واقف دون مقام الوصول
جاعل مع الله غيرا حتى ان اهل الاخلاص ليعدون ذلك شركا خفيا كما قال بعضهم من كان في قلبه مثقال خردلة سوى جلال الله
فاعلم انه مريض وانهم ليعتبرون في تحقق الاخلاص ان يغيب العارف عن نفسه حال ملاحظته لجلال الله وان لحظها فمن حيث
هي لاحظة لا من حيث هي متزينة بزينة الحق فاذن التوحيد المطلق ان لا يعتبر معه غيره مطلقا وذلك هو المراد بقوله وكمال توحيده
الاخلاص له واما المقدمة الرابعة وهي قوله وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه فقد بين صدقها بقياس برهاني مطوي
النتائج بين استنتج منه ان كل من وصف الله سبحانه فقد جهله وذلك قوله لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل
موصوف انه غير الصفة الى قوله ومن جزاه فقد جهله وبيان صحة المقدمات اما قوله لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وبالعكس
فهو توطئة الاستدلال ببيان المغايرة بين الصفة والموصوف والمراد بالشهادة ههنا شهادة الحال فان حال الصفة تشهد
بحاجتها الى الموصوف وعدم قيامها بدونه وحال الموصوف تشهد بالاستغناء عن الصفة والقيام بالذات بدونها فلا تكون
الصفة نفس الموصوف واما قوله فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه فهو ظ لانه لما قرر كون الصفة مغايرة للموصوف لزم ان تكون زائدة
على الذات غير منفكة عنها فلزم من وصفه بها ان تكون مقارنة لها وان كانت تلك المقارنة على وجه لا يستدعي زمانا ولا مكانا
واما قوله ومن قرنه فقد ثناه فلان من قرنه بشيء من الصفات فقد اعتبر في مفهومه امرين احدهما الذات والآخر الصفة فكان
واجب الوجود عبارة عن شيئين او اشياء فكانت فيه كثرة وح ينتج هذا التركيب ان من وصف الله سبحانه فقد ثناه واما
قوله ومن ثناه فقد جزاه فظ انه اذا كانت الذات عبارة عن مجموع امور كانت تلك الامور اجزاء لتلك الكثرة من حيث انها
تلك الكثرة وهي مبادي لها ثم تضم هذه المقدمة الى نتيجة التركيب الاول ينتج ان من وصف الله سبحانه فقد جزاه واما قوله ومن
جزاه فقد جهله فلان كل ذي جزء فهو مفتقر الى جزئه وجزؤه غيره فكل ذي جزء فهو مفتقر الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن فالمجزى
في الحقيقة لا مرو هو ممكن الوجود لا الواجب الوجود بذاته فيكون اذن جاهلا به وح تضم هذه المقدمة الى نتيجة ما قبلها ينتج ان من
وصف الله سبحانه فقد جهله وح يثبت المطلوب وهو ان كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه اذ الاخلاص له والجهل به لا
يجتمعان واذا كان الاخلاص منافيا للجهل به الذي هو لازم لاثبات الصفة له كان اذن منافيا لاثبات الصفة له لان معاندة
اللازم تستلزم معاندة الملزوم واذا بطل ان يكون الاخلاص في اثبات الصفة له ثبت انه في نفي الصفة عنه وعند هذا ظهر
المطلوب الاول وهو ان كمال معرفته نفي الصفات عنه وذلك هو التوحيد المطلق والاخلاص المحقق الذي هو نهاية العرفان وغاية
سعي العارف من كل حركة حسية وعقلية وما يكون في نفس الامر من غير تعقل نفس كل ما عداه عنه معه فهو الوحدة المطلقة
المبرأة عن كل الانحاء وهذا مقام حسرت عنه نواظر الابصار وكلت في تحقيقه صوارم الافكار واكثر الناس فيه الاقوال فانتهت
بهم الحال الى اثبات المعاني واذكاب الاحوال فلزمهم في ذلك الضلال ما لزمهم من المحال فان قلت هذا مشكل من وجهين
احدهما ان الكتب الالهية والسنن النبوية مشحونة بوصفه تعالى بالاوصاف المشهورة كالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر
وغيرها وعلى ما قلتم يلزم ان لا يوصف سبحانه بشيء منها الثاني انه ع صرح باثبات الصفة له في قوله ليس لصفته حد محدود
فلو كان مقصوده نفي الصفات ما ذكرتم لزم التناقض في كلامه فالاولى اذن ان تخص قوله نفي الصفات عنه بنفي المعاني
كما ذهب اليه الاشعري ونفي الاحوال كما ذهب اليه المثبتون من المعتزلة وبعض الاشعرية لينفي الصفات المشهورة الجارية عليه نعم
ولا ينافيه ع الصفة لله في موضع اخر لمجمل ويخص بنفي صفات المخلوقين كما اشار في اخر الخطبة لا يجرون اليه صفات المخلوق عن
وكما ذكره الشيخ المفيد من الشيعة في كتاب الارشاد عنه جل ان تحله الصفات لشهادة العقول ان كل من حلته الصفات مصنوع
قلت قد سبق منا بيان ان كل ما يوصف به تعالى من الصفات الحقيقية والسلبية والاضافية اعتبارات تحدثها عقولنا عند



مغايرة والله سبحانه الحق عنهما ولا يلزم تركيب في ذاته ولا كثرة فيكون وصفه تعالى بهما امراً معلوماً من الدين ليتم التوحيد التنزيهي لكل طبقة
من الناس ولما كانت عقول الخلق على مراتب من التفاوت كان الاخلاص الذي ذكره عم اقصى ما ينتهي اليه القوى البشرية عند غرقها
في انوار كبرياء الله وهو ان تعتبره فقط من غير ملاحظة شيء آخر وكان اثباته الصفة في موضع آخر ووصفه في الكتاب العزيز وسنن
النبوية اشارة الى الاعتبارات التي ذكرناها اذ كان من هو دون درجة الاخلاص لا يعرف كيف يمكن ان يعرف الله سبحانه بدونها و
بالله التوفيق **قوله** ومن اشار اليه فقد حده ومن حده فقد عده **اقول** يشير الى البرهان على احديته احدهما انه يحتمل ان يكون
مراده امتناع الاشارة العقلية اليه وتعلقها به فعلى هذا يكون تقرير المقدمة الاولى من هذا البرهان ان من وجه ذهنه طالبا
لكنه ذاته المقدسة وزعم انه وجدها واحاط بها واشار اليها من جهة ما هي فقد اوجب له حدا يقف ذهنه عنده اذ الحقيقة انما
تعلم من جهة ما هي بتشير العقل الى كنهها اذا كانت مركبة وقد علمنا ان كل مركب محدود في المحدود ولان الاشارة العقلية ملزومة للاشارة
الوهمية والخيالية مستوية بهما وهما مستلزمتان لاثبات الحد كما سيأتي واما تقرير المقدمة الثانية فظاهر اذ كان حد الشيء انما يتم
من كثرة معتبرة فيه وكل ذي كثرة معدود في نفسه ونتيجة هذا البرهان ان من اشار اليه فقد عده واما استحالة ان يكون معدودا
فما علمت فيما سبق ان الكثرة مستلزمة للامكان الثاني انه يحتمل ان يكون مراده ايضا نفي الاشارة الحسية الظاهرة والباطنة اليه
وبيان تنزيهه عن الوحدة العددية ويكون تقرير المقدمة الاولى ان من اشار اليه بالحواس فقد جعل له حدا او حدودا
ونهايات يحيط به وذلك ان كل ما يشار اليه بالحس الظاهر او الباطن فلا بد ان يشار اليه في حيز مخصوص على وضع مخصوص وما كان
كذلك فلا بد ان يكون له حد او حدود فانه لو كان مشارا اليها بامرها لكان محدودا واما تقرير المقدمة الثانية فالمراد بالعد
هيهنا جعله مبدأ كثرة يصلح ان يكون عادا لها وذلك ان كل ما ادرك على وضع مخصوص في جهة فالعقل حاكم بامكان وجود امثاله
من حيث هو مشار اليه بالاشارة الحسية فقد جعله مبدأ كثرة يصلح ان يعد بها ويكون معدودا بالنسبة اليها واما كونه في نفسه معدودا فذلك
كونه مركبا من امور لان الواحد بهذا المعنى ليس بمجرد الوحدة فقط والا لما تعلقت الاشارة الحسية به بل لا بد معها من الوضع كما علمت وعلى
الوجهين يكون مجتمعا من امرين او امور فيكون مركبا وكل مركب ممكن على ما مر واذا استحال ان يكون واحدا بهذا المعنى كانت الاشارة اليه
مطلقا تستلزم الجهل به من حيث هو واحد واجب الوجود واعلم انه ليس اذا بطل ان يكون واحدا فان للواحد مفهومات اخر بها يقال الواحد
فانه يقال واحد لما لا يشاركه في حقيقته الخاصة به غيره ويقال واحد لما لا تركيب في حقيقته ولا تالف من معان متعددة الاجزاء قوام
ولا اجزاء حد ويقال واحد لما لم يفته من كماله شيء بل كل كمال ينبغي ان يكون له فهو حاصل له بالفعل والباري سبحانه واحد بهذه
الاعتبارات الثلاثة **قوله** ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام فقد اخلى منه **اقول** اصل فيم وعلام فيما وعلى ما حرفان
دخلا على ما الاستفهامية فحذفت الفها لاتصالها بهما تخفيفا في الاستفهام وههنا قضيتان في تقدير شرطيتين يراد
منهما تاديب الخلق ان يسئلوا عنه سبحانه على هذين الوجهين وبيان لزومهما باستثناء نقيض تاليهما وحذف الاستثناء ههنا
الذي هو كبرى القياس على ما هو المعتاد في قياس الضمير واعلم ان تقدير المتصلة الاولى لو صح السؤال عنه بفيم لكان له محل يتضمنه
ويصدق عليه انه فيه تصدق العرض بالمحل لكنه يمتنع كونه في محل فيمتنع السؤال عنه بفيم بيان الملازمة ان مفهوم في لما كان
موجودا في ما كان الاستفهام بفيم استفهاما عن مطلق المحل والظرف ولا يصح الاستفهام عن المحل لشيء الا اذا صح كونه فيه بيان
بطلان التالي انه لو صح كونه في محل لكان اما ان يجب كونه فيه فيلزم ان يكون محتاجا الى ذلك المحل والمحتاج الى الغير ممكن بالذات
وان لم يجب حلوله فيه جاز ان يستغني عنه والغني في وجوده عن المحل يستحيل ان يعرض له واذا استحال ان يكون في محل كان السؤال
عنه بفيم جهلا محالا واما تقدير المتصلة الثانية فهو انه لو جاز السؤال عنه بعلام لجاز خلو بعض الجهات والاماكن عنه لكنه لا يجوز
خلو مكان عنه فامتنع الاستفهام عنه بعلام بيان الملازمة هو ان مفهوم على هو العلو والفوقانية لما كان موجودا في ما كانت
ما استفهاما عن شيء هو فوقه وعال عليه وذلك يستلزم امرين احدهما بواسطة الاخر لازم له فالذي هو بواسطة ولا لازم لها هو
اخلاء سائر الجهات عنه وهو ما ذكره عم واما الواسطة اللزومية فهي اثبات الجهة المعينة وهي جهة فوق اذ كان اختصاصه بجهة معينة يستلزم
نفي كونه في سائر الجهات وانما حصلنا لانه هذه المتصلة كونه قد اخلى منه ليستلزم من بطلان اللازم وهو الخلو عنه بطلان اختصاصه
بالجهة المعينة ليلزم منه بطلان المقدم وهو صحة السؤال عنه بعلام فاما بطلان التالي فلقوله وهو الله في السموات وفي الارض
يعلم سركم وجهركم وقوله وهو معكم اينما كنتم فان قلت ان مثبت الجهة لا يحمل هذه الآيات بل المراد يقول لا تنافي بين اثبات الجهة
المعينة وبين مقتضى هذه الآيات لان المقصود من كونه في السماء والارض اي بعلمه وكذلك من معيته للخلق وكونه في جهة فوق واما
هو بد انه لا يكون هذه الآيات منافية لغرضه قلت انما حصله قوله فقد اخلى منه لا نما في هذه القضية لان نفي هذا اللازم
بهذه الآيات ... ان مثبت الجهة انما يعتمد في اثباتها على ظواهر الآيات الدالة على ذلك كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله

٩ خاصته

منه م

انه م

معارضة مقتضاها بظواهر هذه الآيات انفع في الخطابة وانجع في قلوب العامة من الدلائل العقلية عن نفي الجهة وذلك لان هذه الآيات على عدم
خلو مكان من الامكنة منه تعالى تستلزم ولا لنها على عدم اختصاصه بجهة فوق والمعاضدة كما تكون بما يقتضي ابطال مقتضى الدليل كذلك تكون
بما يقتضي ابطال لازم مقتضاها فكانت مستلزمة لعدم جواز الاستفهام عنه بعلام ولو قال ايضا من قال علام فقد ابنت له جهة لم يمكن ابطال هذا
اللازم الا بالدليل العقلي لكون الظواهر النقلية مشعرة باثبات الجهة له فلذلك عدل الى هذا اللازم كما بينه لوجود ما يبطله في القرآن الكريم
وهي الآيات المذكورة حتى اذا عدل المثبت للجهة عن ظواهر هذه الآيات الى التأويل باحاطة العلم مثلا الزمناه مثله في نحو قوله الرحمن
على العرش استوى فقلنا المراد من الاستواء الاستيلاء بالقدرة او العلم كما هو مذكور في الكتب الكلامية وانما خص جهة العلو بالكلام
اعتقادها والتخصيص بها لكون كل معتقد لله جهة يخصصه بها لما يتوهم من كونها اشرف الجهات ولانها نطق بها القرآن الكريم فكانت
الشبهة في اثباتها اقوى فلذلك خصها بالذكر **قوله** كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم **اقول** الكائن اسم الفاعل من كان وهو
يستعمل في اللغة على ثلاثة اوجه احدها ان تكون بصيغتها دالة على الحدث والزمان وتسمى في عرف النحاة كان التامة كقوله اذا
كان الشتاء فادفئوني اي اذا حدث ووجد الثاني ان تدل على الزمان وحده ويحتاج في الدلالة على الحدث الى خبر تتم به وهي الناقصة و
استعمالها هو الاكثر كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا لله الثالث ان تكون زائدة خالية عن الدلالة على حدث او زمان كقوله على كان المسومة
العراب اي على المسومة اذا عرفت ذلك فاعلم ان مفهوم الكائن انه شيء ما له كون ولما كان ذلك الشيء هو ذات الله تعالى وكانت ذاته مقدسة
عن الزمان استحال ان يتصف وصفه بالكون الدال على الزمان فلما احترز بقوله لا عن حدث استحال ان يدل كونه على الحدث او على المسبوقية
بالعدم ايضا واذا بطل ان يكون كونه مستلزما للزمان ومسبوقية العدم لم يكن لدلالته الا على الوجود المجرد عن هذين القيدين ومن هذا القبيل
قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وامثاله وقول الرسول صلعم كان الله ولا شيء واما قوله موجود لا عن عدم فالمراد ايضا ان وجوده ليس بحادث
وبيانه ان الموجود من حيث هو موجود اما ان يكون وجوده مسبوقا بالعدم وخاصة الا عنه وهو المحدث او لا يكون وهو القديم فاما
لمية هذا الحكم فلانه لو كان محدثا لكان ممكنا ولو كان ممكنا لما كان واجب الوجود فينتج انه لو كان محدثا لما كان واجب الوجود لكنه واجب
الوجود فينتج انه ليس بمحدث اما المقدمتان فجليتان واما بطلان تالي النتيجة فمقتضى البراهين الالهية واعلم ان هذه القضية مؤكدة لمقتضى
القضية الاولى وليس مقتضاها عين ما افادته الاولى اذ كان في الكلمة الاولى مقصود لحق وهو تعليم الخلق كيفية اطلاق لفظة الكون
على الله تعالى واشعارهم ان المراد منها ليس ما يتبادر اليه الذهن من مفهومها حال اطلاقها وهو الحدث ويحتمل ان يكون مراده في الاولى نفي
الحدوث الذاتي وما هو اعم منه ومن الزماني وفي الثانية نفي الحدوث الزماني والله اعلم **قوله** مع كل شيء لا بمقارنة **قوله** ان كونه تعالى
مع غيره وغيره عنه اضافتان عارضتان له بالنسبة الى جميع الموجودات اذ كلها منه وبصدده وحيث ان يقال انه معها وانه متقدم عليها ولكن
باعتبارين مختلفين فحاصل المعية نفس اضافة تحدثها العقول بنسبته الى آثاره ومبادئ وجوده لوجودها واحاطة علمه بكليتها وجزئيتها
كما قال وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير واما التقدم فنسبة تحدثها له باعتبار كونه علة لها ثم لما كانت المعية اعم من المقارنة لاعتبار
الزمان والمكان في مفهومها المتعارف ولم يكن معيته للاشياء على سبيل المقارنة لبراءة ذاته المقدسة عن الزمان والمكان فلذلك
احترز بقوله لا بمقارنة واما انه غيرها لا بمزايلة فيحتمل وجهين احدهما وهو الاظهر ان المغايرة لما كانت اعم من المزايلة لدخول الزمان
والمكان في مفهومها ايضا كانت مغايرته للاشياء غير معتبر فيها المزايلة لتقدسه عن الزمان والمكان فلذلك احترز بقوله لا بمزايلة
الثاني ان يقال ان كونه تعالى غير كل شيء معناه انه متميز بذاته عن كل شيء اي لا يشارك شيئا من الاشياء في معنى جنسي ولا نوعي فلا يحتاج
ان ينفصل عنها بفصل ذاتي او عرضي بل هو مباين لها بذاته لا بمزايلة ويكون معنى المزايلة المفارقة باحد الامور المذكورة بعد الاشتراك
في احد الامور المذكورة واعلم ان هذين القيدين كاسرين لاحكام الوهمية باعتبار الزمان والمكان والاوصاف المخلوقة المتعارفة بين
الخلق المعتبرة بينهم في مفهوم المعية والغيرية منبهان للعقول على ما وراء حكم الوهم من عظمة الله سبحانه وتقدسه عن صفات الممكنات
وكذلك قوله كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم فانه لما كان الوهم الحاكم بما تلتزم للمحدثات **قوله** فاعل لا بمعنى الحركات والآلة **اقول**
الحركة عبارة عن حصول المتحيز في حيز بعد ان كان في حيز آخر ان قلنا بثبوت الجوهر الفرد والا فهي عبارة عن انتقال المتحيز من حيز الى حيز
آخر او غيره من التعريفات والآلة هي ما يؤثر الفاعل في منفعله القريب منه بواسطة والمراد بيان انه فاعل لا ان ما صدر عنه تعالى
من الآثار ليس بحسب حركة ولا بتوسط آلة كما يفتقر غيره في نسبته صدور الفعل عنه اليه اما انه لا يفتقر الى الحركة فلان معنى الحركة
انما يعرض للجسم والباري تعالى منزه عن الجسمية فيستحيل صدور معنى الحركة في حقه واما ان فعله ليس بتوسط الآلة فبيانه من وجهين
احدهما لو كان كذلك لكانت تلك الآلة ان كانت من فعله فاما بتوسط آلة اخرى او بدونها فان كانت بدونها فقد صدق انه فاعل
لا بمعنى الآلة وان كان فعله لها بتوسط آلة اخرى فالكلام فيها كالكلام في الاولى ويلزم التسلسل واما ان لم تكن تلك الآلة من فعله لم
يمكنه الفعل بدونها كان الباري تعالى مفتقرا في تحقيق فعله الى الغير والمفتقر الى الغير بالذات فاقد الوجوب الذاتي ممكن بالذات

لا بمقارنة وغير كل شيء

ممكن بم

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى

هف الثاني انه تعالى لو فعل بالآلة لكان مفتقرا اليها غير مستقل بايجاد الفعل فكان ناقصا بذاته مستكملا بالآلة والنقص على الله تعالى محال
فتوقف فعله على الآلة محال فاذن هو الفاعل المطلق بالابداع ومحض الاختراع المنزه عن نقصان الذات المنزه عن الحاجة الى الحركات
والآلات **قوله** بصير اذ لا منظور اليه من خلقه **اقول** البصير فعيل بمعنى الفاعل من البصر والبصر حقيقة في حاسة العين مجاز في القوة
التي بها العلم والمنظور اليه المشاهد بتغليب الحد منه ونحوه والمراد وصفه تعالى بكونه بصيرا حال ما لا يتحقق المبصرات واذ ليس كونه بصيرا
حال ما لا يتحقق المبصرات واذ ليس كونه بصيرا بمعنى ان له آلة البصر لتنزهه عن الحواس وجب العدول الى المجاز وهو ان يكون بصيرا بمعنى
انه عالم وقرينة ذلك قوله اذ لا منظور اليه من خلقه لان البصر امر اضافي يحتاج الى النسبة الى مبصر وهو امر يحتاج في الازل واول ولا شيء
من المبصرات بالحس موجود الا لقيام البراهين العقلية على حدوث العالم فلا يمكن ان يتحقق النسبة بالقياس اليه فوجب ان لا يكون من
حيث هو هو بصيرا بهذا المعنى ويحتمل ان الاشارة باذ في قوله اذ لا منظور اليه الى اعتبار كونه مقدما على آثاره من جهة ما هو
متقدم فانه بالنظر الى تلك الجهة لا منظور اليه من خلقه معه موجودا لوجود انه وقد انه وان ليس بصيرا بالمعنى المذكور فهو اذن
بصير بالصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات وبها تظهر الاسرار والخفيات فهو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه
ما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى وهذه الآن عند كمالات انما هي كمال الخاص بالحيوان وكمال له بها وان كان
ظاهرا الا انه ضعيف قاصر لا يمتد الى ما بعد ولا يتغلغل في باطن وان قرب بل يتناول الظواهر ويقصر عن البواطن وقد
قيل ان الحظ الديني للعبد من البصر امران احدهما ان يعلم انه خلق له البصر لينظر الى الآيات وعجائب ملكوت السماوات فلا يكون
نظره الا اعتبارا حكي انه قيل لعيسى عليه السلام هل احد من الخلق مثلك فقال من كان نظره عبرة وصمته فكرة وكلامه ذكرا فهو مثلي الثاني
ان يعلم انه من الله بمرأى ومسمع فلا يستهين بنظره اليه واطلاعه عليه ومن اخفى من غير الله ما لا يخفيه من الله تعالى لا ابره فما
اكرم **قوله** متوحد اذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده **اقول** المراد وصفه تعالى بالتفرد بالوحدانية واشار
بقوله اذ لا سكن الى اعتبار ان تفرده بالوحدانية لذاته فهو من تلك الحيثية متفرد بالوحدانية لا على وجه الانفراد عن مثل
له كما هو المفهوم المتعارف من انفراد بعض الناس عن بعض ممن عادته مشاركته في مشاورته ومحادثته وانفراد احد المتآلفين من
الحيوانات عن الآخر وهو الانيس الذي يستأنس بوجوده معه ويستوحش لفقده لفقده وغيبته عنه اذ كان الاستيناس والاستيحاش
متعلقين بميل الطبع الى الشيء ونفرته عنه وهما من توابع المزاج ولما كان الباري سبحانه منزها عن الجسمية والمزاج وجب ان يكون
منزها عن الاستيناس والتوحش فهو المتفرد بالوحدانية المطلقة لا بالقياس الى شيء يعقل ذلك التفرد بالنسبة اليه واعلم ان القيود
الثلاثة الزائدة على قوله فاعل وبصير ومتوحد في الفصول الثلاثة مشتملة على التنبيه على عظمة الله تعالى كما بينا في قوله لا بمقارنة
ولا بمزايلة وذلك لان اوهام البشر تحكم كثيرا بحاجة الفاعل الى الآلة والبصير الى وجود المبصر والمتوحد الى ان يكون في مقابلة انيس له
انفرد عنه ولما كانت ذات الله سبحانه منزهة عن جميع ذلك اورد الوهم ومعارضة احكامه تنبيه العقول عليها فذكر هذه القيود والله
وبالله التوفيق **الفصل الثاني** في نسبة ايجاد العالم الى قدرة الله تعالى جملة وتفصيلا وفي كيفية ذلك وهو اوقص ما
في معرض المدح **قوله** انشأ الخلق انشاء وابتدأه ابتداء بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة احدثها ولا
همامة نفس اضطرب فيها احال الاشياء لاوقاتها ولاءم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اشباحها عالما بها قبل ابتدائها
محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها واحنائها ثم انشأ سبحانه فتق الاجواء وشق الارجاء وسكائك الهواء فاجار
فيها ماء متلاطما تياره متراكما زخاره حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة فامرها برده وسلطها على شده وقرنها
الى حده الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ثم انشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها وادام مربها واعصف مجريها وابعد
منشأها فامرها بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء ترد اوله الى آخره
وساجيه الى مائره حتى عب عبابه ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفتق وجو منفهق فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن
موجا مكفوفا وعلياهن سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها ولا دسار ينظمها ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب
واجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا في فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر ثم فتق ما بين السماوات العلى فملأهن اطوارا من ملائكته
منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان
ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله مختلفون بقضائه وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه
ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم
ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير
ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر **اقول** ما احدا لا هل التعفير باسم الانشاء

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته

والابتداء وهو الايجاد الذي لم يسبق بمثله الا انه يمكن ان يفرق بينهما ها هنا صونا للكلام عن التكرار بان يقال المفهوم من الانشاء هو الايجاد
الذي لم يسبق غيره الى ايجاده والمفهوم من الابتداء هو الايجاد الذي لم يقع من الموجد قبل والروية الفكر وهمامة النفس اهتمامها بالامور ومن
روى هامة نفس المريد فالمراد بها العزم ماخوذ من الهمهمة وهي ترديد الصوت الخفي وروي ايضا همة نفس والاحالة التحويل والنقل والتغيير
والانقلاب من حال الى اخر وروي اجال بالجيم وروي ايضا اجل اي وقت والملائمة الجمع والغرائز جمع غريزة وهي الطبيعة التي طبع عليها الانسان
كانها غرزت فيه والسنخ الاصل وقرائنها اشباحها جمع شبح وهو الشخص والقرائن جمع قرينة وهي ما يقترن بالشيء والاحناء جمع حنو وهي الناحية
والاجواء جمع جو وهو الفضاء الواسع وفتقها شقها والارجاء جمع رجا مقصور وهي الناحية والسكائك جمع سكاكة كذوابة وذوائب هي الفضاء
ما بين السماء والارض وكل مكان خال فهو هواء والتيار اي لجي وموج وروي لجا اي ذا وجع وتلاطم الامواج اي الامواج ضرب بعضها بعضا
والزخار ممتلي الفخر في تراخيه وهو المملوء ومتن كل شيء ما صلب منه واشتد وعصفت الريح اشتد هبوبها ومنه ريح عاصف زعزع وحركت الاشياء بقوة وزعزع
والريح العاصفة الشديدة كانها الشديدة تكسر الاشياء وتقصفها وسلطها اي جعل لها سلطة وهي القهر والغلبة والمنفق والدفيق المندفق
والاعتقام الشد والعقد واعقم مهبها اي جعلها خاليا لا تنتج من قولهم عقمت الرحم اذا لم يقدر بها ولد وقد يقرأ بغيرها اي جعلها عقيمة
لا تلقح شجرا ولا سحابا والمرب المجمع والعصف الجري بشدة وقوة والصفق والتصفيق الضرب الذي له صوت واثارة الموج رفعه وهيجه والمخض تحريك
الماء المنبع الغمر وربما خصص العرب بالمالح وموج البحر اضطرابه وتموجه ما ارتفع منه حال هيجانه وحركته والمخض التحريك والسقاء وعاء
اللبن والماء ايضا والمائر المتحرك والعباب بالضم معظم الماء وعبابه علاه وتدفق والركام الماء المتراكم والمنفهق الواسع والتسوية التعديل
والمكفوف الممنوع من السقوط والجو الهواء والسقف اسم للسماء وسمك البيت سقفه والسموك الارتفاع والعمد جمع كثرة لعمود البيت وعامر البيت
عموده وما يمنعه من السقوط والدسار كل شيء ادخلته في شيء لشدة كسمار وحبل ونحوهما والمستطير المنتشر والفلك من اسماء السماء
قيل ماخوذ من فلكة المغزل في الاستدارة والرقيم اسم للفلك الثامن واشتقاقه من الرقم وهو الكتابة والنقش لان الكواكب به تشبه الرقوم
والاطوار الحالات المختلفة والانواع المتباينة قال الكسائي اصل الملك مالك بتقديم الهمزة من الالوك وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت
اللام وقيل ملأك ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك فلما جمعوه ردوها اليه فقالوا ملائكة وملائك والسأم الملال والسدنة
جمع سادن وهو الخادم ومرق السهم من الرمية اذا خرج من الجانب الاخر والقطر الناحية والركن الجانب والتلفع بثوب التحف به والنظائر الامثال
ولنرجع الى المعنى فقوله انشا الخلق انشاء وابتداه ابتداء يشير الى كيفية ايجاد الخلق على الجملة عن قدرة الله تعالى بعد ان نبه على اصل
الايجاد بقوله فطر الخلائق بقدرته وانما اتى بالمصدرين بعد الفعلين تاكيدا لنسبة الفعلين الى الله تعالى وصدقهما اي المضمونين المنطبقين على ذات
الباري تعالى كما لم يكن مسبوقا بغيره لا جرم صدق الانشاء منه ولما لم يكن العالم موجودا قبل وجوده لا جرم صدق ابتداؤه له **قوله**
بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة احدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها **اقول** لما كانت هذه الكيفيات الاربع من شأن
عوام الناس واغلبهم التي لا يمكن حصولها الا بها اراد تنزيه الله سبحانه عن ان يكون ايجاده للعالم موقوفا على شيء منها اما الروية
والفكر فلما كانت عبارة عن حركة القوة المفكرة في تحصيل مبادي المطالب والانتقال منها اليها او عن تلك القوة النفسانية كان ذلك
في حق الله تعالى محالا لوجهين احدهما ان القوة المفكرة من خواص نوع الانسان الثاني ان فائدتها تحصيل المطالب المجهولة والجهل على
الله تعالى محال واما التجربة فلما كانت عبارة عن حكم العقل بامر على امر بواسطة مشاهدات متكررة معدة لليقين بسبب انضمام قياس
خفي اليها وهو انه لو كان هذا الامر اتفاقيا لما كان دائما ولا اكثريا كان توقف فعل الله تعالى على استفادة الاحكام منها محالا لوجهين احدهما
انها مركبة من مقتضى الحس والعقل وذلك لان الحس بعد مشاهدته وقوع الاسهال مثلا عقيب شرب الدواء مرة ومرة ينتزع العقل
منها حكما كليا بان ذلك الدواء مسهل ومعلوم ان اجتماع الحس والحكم والعقل من خواص نوع الانسان الثاني ان التجربة انما يفيد علما لم يكن
فالمحتاج الى التجربة لاستفادة العلم بها ناقص بذاته مستكمل بها والمستكمل بالغير محتاج اليه فيكون ممكنا على ما مر وذلك على الله محال
واما الحركة فقد عرفنا انها من خواص الاجسام والباري سبحانه منزه عن الجسمية فيمتنع صدق المتحرك عليه وان صدق انه محرك الكل لان
المتحرك ما قامت به الحركة والمحرك اعم من ذلك واما الهمامة والهمة فلما كانت ماخوذة من الاهتمام وحقيقته الميل النفساني الجازم الى فعل
الشيء مع التألم والغم بسبب فقده كان ذلك في حق الله تعالى محالا لوجهين احدهما ان الميل النفساني من خواص الانسان طلبا لجلب منفعة و
الباري سبحانه منزه عن الميول النفسانية وطلب المنافع لتعاليه الثاني انه مستلزم للتألم والغم والتألم على الله تعالى محال واذ ليس ايجاده تعالى
للعالم على احد الانحاء المذكورة فهو اذن بمحض الاختراع والابداع البريء من الحاجة الى امر خارج ذاته المقدسة بديع السموات والارض
واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فاعلم انه اردف كلا من هذه الامور بما هو كيفية في وجوده فاردف الروية بالاجالة والتجربة
بالاستفادة والحركة بالاحداث والهمامة بالاضطراب لتنتفي الكيفية بانتفاء ما هي له عن ذاته المقدسة وبالله التوفيق **قوله** اجال
الاشياء لاوقاتها ولأم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اشباحها **اقول** لما نبه على نسبة ايجاد العالم الى الله تعالى جملة اشار

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى

بعده الى ان ترتيبه وما هو عليه من بديع الصنع والحكمة كان مفصلاً في علمه على وفق حكمته البالغة قبل ايجاده والمراد بقوله آجال الاشياء
اوقاتها الاشارة الى ربط كل ذي وقت بوقته بحسب ما كتب في اللوح المحفوظ بالقلم الالهي بحيث لا يتأخر متقدم منها ولا يتقدم متأخر و
الاجالة نقل كل منها الى وقته وتحويله من العدم والامكان الصرف الى مدة الصبر وبه الوجود واللام في لاوقاتها لام التعليل او الاجل
اوقاتها اذ كل وقت يتحقق بحسب قدرة الله وعلمه ان يكون فيه ما لا يكون في غيره وعلى النسخة الاخرى معنى تاجيلها جعل لوقاتها
آجالا لها لا يتقدم عليها ولا يتاخر عنها كما قال اذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستاخرون وبه بقوله ولاءم بين مختلفاتها
على كمال قدرة الله تعالى وبيان ذلك في صورتين احديهما ان العناصر الاربع متضادة الكيفيات ثم انها اذا اجتمعت بقدرة الله تعالى
وعلى وفق حكمته حتى انكسرت سورة كل واحد منها بالآخر وهو المسمى بالتفاعل حصلت كيفية متوسطة بين الاضداد متشابهة وهي المزاج
فامتزاج اللطيف بالكثيف على ما بينهما من تضاد الكيفيات وغاية البعد بقدرته تعالى من اعظم الدلائل الدالة على كمالها الثانية
ان الملائمة بين الارواح اللطيفة والنفوس المجردة التي لا حاجة بها في قوامها في الوجود الخارجي اصلاً وبين هذه الابدان المظلمة الكثيفة
واختصاص كل نفس ببدن منها وتدبيره واستعمالها فيما يعود اليهما من المصالح على انتظام الاقتضاء الطرفي الارشد مما يشهد بكمال
قدرته ولطيف حكمته وقوله وغرز غرائزها اشارة الى ركن القوى الجسمانية والنفسانية فيها هي قوى لم وخلق كل ذي طبيعة على خلقه
ومقتضى قواه التي غرزت فيه من لوازمه وخواصه مثلاً كقوة التعجب والضحك للانسان وقوة الشجاعة للاسد والجبن للارنب والمكر
للثعلب غير ذلك وعبر عن ايجادها فيها بالغرز وهو الركز استعارة لما يعقل من المشابهة منهما وبين العود الذي يركز في الارض من جهة انه
ومن جهة انها ثم ذلك ان الله سبحانه لما غرز هذه الغرائز في محالها واصولها وكانت لغايته من ذلك ما يحصل منها من الاثار والمنافع
لمصلحة العالم اشبه ذلك غرز الانسان العود في الارض لغاية ان يثمر ثمرة منتفعا بها وقوله والزمها اسناخها اشارة الى انها لا تفارق
اصولها فلا يمكن قرانها عنها لان اللازم هذا شأنه ومن روى اشباحها بالشين المعجمة فالمراد ان ما غرز في الاشباح
من اللوازم والغرائز لا تفارقها سواء كانت تلك الغرائز من لوازم التشخص كالذكاء والفطنة بالنسبة الى بعض الناس والبلادة والغفلة الى
آخر ومن لوازم الماهيات وطباعها لوجود الماهيات في اشخاصها هذا ان قلنا ان الضمير في قوله والزمها عائد الى الغرائز اما ان قلنا انه عائد
الى الاشياء كان المراد ان الله سبحانه لما اجال الاشياء لاوقاتها ولاءم بين مختلفاتها وغرز غرائزها في علمه وقضائه الزمها بعد كونها
كلية اشخاصها الجزئية التي وحيث فيها لا يقال ان لوازم الماهيات مقتضى الماهيات فكيف يمكن نسبة الزامها لاصولها الى قدرة الله تعالى
لانا نقول المستند الى مقتضى الملزوم ليس الا ماهية لازمه واما وجوده لم فبقدرة الله تعالى فيكون معنى الزامها لاصولها ايجادها في اصولها التي هي اصولها
على تقدير وجودها قوله عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها واحنائها اقول المنصوبات الثلثة وهي
وهو قوله عالما ومحيطا وعارفا منصوبة على الحال والعامل فيها الزمها اعمال الازمة الاحوال الثلاثة مقررة لما عقيب الافعال الثلثة
الاول اذ كانت صالحة لان يكون احوالا عنها والمراد في القضية الاولى اثبات الاحوال الاربعة له حال كونه عالما بالاشياء قبل ايجادها
حاضرة في علمه الفعلي كليها وجزئيها وفي القضية الثانية نسبة تلك الافعال اليه حال الاحاطة علمه بحدودها وحقائقها المميزة لبعضها
عن بعض وان كلا منه بحده واقف عنده وهو نهايته وغايته ويحتمل ان يريد بانتهائها انتهاء كل ممكن الى سببه وانتهاء الكل في سلسلة
الحاجة الى الله وفي القضية الثالثة نسبة الافعال اليه قدرة حال علمه بما يقترن بالاشياء من لوازمها وعوارضها وعلمه بكل شيء يقترن
بشيء آخر على جهة التركيب والمجاورة كاقتران بعض العناصر ببعض في احيانها الطبيعية على الترتيب الطبيعي وعلمه باحنائها وجوانبها التي
بها تنتهي وتفارق غيرها وبيان هذه الاحكام له تعالى ببيان انه عالم بكل المعلومات من الكليات والجزئيات وذلك مما علم في العلم
الالهي فان قلت اطلاق اسم العارف على الله تعالى لا يجوز لقول النبي صلعم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة واجماع علماء
النقل على ان هذا الاسم ليس منها قلت الاشبه ان اسماء الله تعالى تزيد على التسعة والتسعين لوجهين احدهما قول النبي صلعم اسألك بكل اسم سميت
به نفسك وانزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك واستاثرت به في علم الغيب عندك فان هذا صريح في انه استاثر ببعض الاسماء الثاني
انه صلعم قال في رمضان انه اسم من اسماء الله تعالى وكذلك كان الصحابة يقولون فلان اوتي الاسم الاعظم وكان ينسب الى بعض العلماء الاولياء
وذلك يدل على انه خارج من التسعة والتسعين فاذا كان كذلك كان محل الكلام في قوله ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل
الجنة قضية واحدة معناها الاخبار بان من اسماء الله تعالى تسعة وتسعين من احصاها يدخل الجنة ويكون تخصيصها بالذكر لاختصاصها
بمزيد شرف لا يكون لباقي الاسماء وهي كونها مثلا جامعة لانواع من المعاني المنبئة عن الكمال بحيث لا يكون لغيرها الا انه ينبغي ان يكون
لله تعالى اسم غيرها واذا كان كذلك جاز ان يكون العارف من تلك الاسماء لا يقال ان الاسم الاعظم غيرها داخل فيها لاشتهارها واختصاص
معرفته بالانبياء والاولياء واذا كان كذلك فكيف يصدق عليها انها اشرف الاسماء لانا نقول يحتمل ان يكون خارجا منها ويكون
شرفها حاصلا بالنسبة الى باقي الاسماء التي هو غيره ويحتمل ان يكون داخلا فيها الا انا لا نعرفه بعينه ويكون ما يختص به النبي او الولي

قوله الافعال

ذلك شعر

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى

قدرته المبدع الاول عن عالم الخلق انه كان صدر بعد الخلق عنها امرها ثانيا ما تأخر عنه فعند ذلك قالوا ان الكل اشار اليه فيهما موافق
لما اصلناه ومناسب له ذلك مما اشار بالامواج والارياح وسكايك الهواء الى سلسلة وجود الملائكة المسماة بالعقول الفعالة على
مراتبها متنازلة وبانشائها الى ايجادها وبفتقها وشقها الى وجودها وبالماء المتلاطم المتراكم الى الكمالات التي وجبت عنه سبحانه
باجرائها فيها الى لمعاقدة افاضته على كل واحد منها ما استحقه بواسطة ما قبله وبالريح العاصف الى الامر الاول الذي اشرنا اليه عن القدرة
فاما وجه المناسبة بين هذه الامور وبين ما ذكره فاما في التعبير عن العقول بالارياح والامواج والسكايك فمن جهة انها قابلة للفيض
والكمالات عن مبدئها الاول كما ان الارياح والامواج وسكايك الهواء قابلة للماء عما يخرج عنه من سحاب وينبوع واما في تشبيه الفيض بالماء
فلان الماء لم يكن بحيث يتوقف الا على تمام القابل بحيث وجد سال بطبعه اليه كذلك الفيض الالهي لا يتوقف صدوره عن واهبه الا على تمام القابل
لكون الفاعل تام الفاعلية في ذاته ولان الماء لما كان به قوام كل حي جسماني في عالم الكون كذلك الفيض الالهي هو مبدأ قوام كل موجود
قالوا ومثل هذا التشبيه جاء في القران الكريم قال الجمهور والمفسرين ومنهم ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها
ان المراد بالماء هو العلم وبالاودية قلوب العباد وبانزاله افاضته على القلوب بقوله فسالت اودية بقدرها ان كل قلب منها يحصل فيه
ما يستحقه ويقبله قالوا وذلك ان الله سبحانه انزل من سماء الكبرياء والجلالة والاحسان ماء بيان القرآن وعلومه على قلوب
العباد لان القلوب يستقر فيها انوار علوم القرآن كما ان الاودية يستقر فيها المياه النازلة من السماء وكما ان كل واد فانما يحصل فيه من مياه
الامطار ما يليق بسعته وضيقه فكذلك هيهنا كل قلب انما يحصل فيه من انوار علم القرآن ما يليق بذلك القلب من طهارته وخبثه
وقوته وضعفه وتمام التشبيه في الاية مذكور في التفاسير واما تشبيه الامر الاول بالريح العاصف فلان وقوعه لما كان دفعة غير
منسوب الى زمان يتوقف عليه كان انسب ما يشبه به من الاجسام في السرعة والنفوذ هو الريح العاصف لكونها اسرع الاجسام
حركة ولذلك كثيرا ما يوصف العصف بقوله الشريفة الامر وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وبوصف الزعزعة والعصف تحقيقا للقوة التامة
والشدة الشديدة التامة لها وتسليطها على شدة فلانه لما وصفها بصورة الريح ساغ ان يقال التزامها وهو عبارة عن نسبة
ذلك الامر الى ذاته تعالى المنسبة التي تحدثها عقولنا الضعيفة وقابلية الرد والشد وفيهما ضبط امره سبحانه على وفق حكمته الكاملة
الفائضة عنه على كل موجود بحسب نوعه المستلزم لرده عمن ليس له ذلك الكمال المعين واما قربها الى حده فاشارة الى حافظ امره
سبحانه لتلك القوابل من الكمالات الفائضة واشتماله عليها وقوله الهواء من تحتها فتيق اشارة الى قبول القوابل المذكورة والماء من
فوقها دفيق اشارة الى ما يحمله امره تعالى من الفيض المذكور وبقيه على تلك القوابل كل ذلك بترتيب عقلي لا زماني فالعقل منفعل فيه
التراخي واما الريح الثانية ما شار بها الى الامر الثاني وعصفها باعتقام مهبها اشارة الى عقد ذلك الامر وابقاعه على وفق الحكمة الالهية
والى عدم المانع لها بان ذلك الامر وما امرها الى افاضته مقدار ذلك الامر فكانه شبه الفيض الصادر بهذا الامر على هيولات الاجسام الفلكية
بالديمة الهاطلة على الاماكن التي تجتمع بها وتقيم او اراد ان الحال القابلة لذلك الامر المستلزم صادرا منه واشار بوصف مجراها الى عمه
ذلك الامر كما وصف به الريح الاولى وببعد منشاها الى علم اوليته مبدأه وبامره بهذه الريح الى نسبته تلك الامر الى ذاته كما مر وتصفيق
الماء الزخار واثارة امواج البحار الى نسبة فيضان صور الافلاك وكمالاتها اليه سبحانه بواسطة تلك الكمالات الفعلية للملائكة ولما
عنه مستقلة بايجاد شيء بل هي شرائط بعضها البعض ولعبها وبالبحار الى تلك الملائكة ويحقنها له مخض السقاء وعصفها به كعصفها
بالفضاء وترديد بعضه على بعض والى فوقام اشتغلها وتصرفها على حسب علمه بنظام الكل وتقدير ما لكل فلك من الكمالات في ذات
كل مبدأ من تلك المبادي وقوله حتى عب عبابه اشارة الى بلوغ كمالات تلك الملائكة الحاصلة لها بالفعل عن امر الله الى حد يلزم ان
يعطي بواسطتها الفيض لغيرها وكذلك قوله ورمى بالزبد فكانه اشارة الى اعطاء صور الافلاك وكمالاتها بواسطتها ولما كانت صور
الافلاك محتاجة في قيامها في الوجود الى الهيولى كانت نسبتها الى الملائكة المجردة نسبة اخس الى اشرف فبالحري ان اطلق عليها اسم الزبد
ولان هذه الصور حاصلة من تلك الكمالات العقلية وفائضة عنها كما ان الزبد منفصل عن الماء ويكون عنه فتشابها واما رفعه في هواء
منفتق وجو منفهق فاشارة الى الحاق صور الافلاك بموادها المستعدة والى تخصيص جودات الافلاك واحيازها ودفعها اليها وقوله
فسوى منه سبع سموات اشارة الى كمال الافلاك بما هي عليه من الوضع والتعديل والترتيب واما تخصيصه بالسبع فلان الفلكين الباقيين
في الشريعة معروفان باسمين اخرين وهما العرش والكرسي ثم قالوا والى هذا اشار الحكماء السابقون ايضا فان مرادنا ليس الماء الطبيعي بل العنصر الاول
هو المبدع الاول وكونه هو الماء لان المبدع الاول واسطة في باقي الموجودات وفيه صورها وعنه تفاض كمالاتها كما ان بالماء قوام كل
حي عنصري وبواسطته تكون وكذلك سر ما جاء في التوراة فان المراد بالجوهر المخلوق منه اولا هو المبدع الاول وكونه نعم نظر اليه بنظر
الهيبة وذوبان اجزائه اشارة الى صدور الفيض عنه بامر الله سبحانه وقدرته والزبد الذي تكونت منه الارض والدخان الذي
تكونت منه السموات اشارة الى كمالات السموات والارض وصورها الصادرة عن كمالات عللها الصادرة بواسطة والزبد عن الماء وكل

[illegible]

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى

هذه التجوزات والاستعارات بالخطابيات تفاوت حسنها قربها من المناسبة وبعدها **الوجه الثاني** قالوا يحتمل ان يكون مراده بالريح الاولى هو العقل الاول فانه الحامل للفيض الالهي الى ما بعده وهو المحيط بصور الموجودات ويؤيد ذلك قوله الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق فان الهواء اشارة الى القوابل بعده وبواسطته والماء اشارة الى الفيض الصادر عن الاول سبحانه فانه لذي من ماكان مستلزما لسرعة حركة الماء وجريانه عبر به عن الفيض الذي لا توقف فيه وبالريح الثانية عن العقل الثاني فانه هو الواسطة في افاضة انوار الله سبحانه على ما بعده من العقول التي بواسطتها تصور السموات السبع وعصف الريحين بالعصف والقصف الى المعنى فيه المبادئين من القدرة ودوام الريح الثانية بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار اشارة الى تحريك العقل الثاني للعقول التي بعده الى افاضة كمالات الافلاك بامر الله تعالى بما في التاويل كما في التاويل الاول **قوله** جعل سفلاهن موجا مكفوفا الى قوله وسراجا سائرا وقمرا منيرا **اقول** ههنا ابحاث **البحث الاول** هذا الكلام يجري مجرى الشرح والتفسير لقوله فسوى لان التسوية عبارة عن التعديل والوضع والهيئة التي عليها السموات بما فيهن والغرض بهذا التفصيل تنبيه الاذهان الغافلة عن حكمة الصانع سبحانه في ملكوت السموات وبدائع صنعه وضروب نعمه ليتذكروا نعمة ربهم فيواظبوا على عبادته وحمده على انعام ذلك الاحسان كما قال تعالى لتذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فان كل هذه نعم على العباد وهي وان كان فيها ما يبعد عن الاذهان الضعيفة كونه نعمة على العباد كحركات السموات مثلا فاني احسب ان كثيرا من الغافلين يقولون وما فائدة حركة السماء في حقنا لكنه اذا انبهت اذهانهم لذلك علمت ان لولا تلك الحركة لم يحصل شيء من المركبات في هذا العالم اصلا فلم يكن العبد في نفسه فضلا عما هو عليه من النعم الخارجة عنه الا ان تلك الحركة قد تستلزم نعما هي اقرب الى العبد من غيرها كالاستضاءة بنور الكواكب والاهتداء بها في ظلمات البر والبحر واعدادها الابدان للصحة ونحو ذلك وقد يستلزم نعما اخرى الى ان يتصل بالعبد كاعدادها الارض مثلا لحصول المركبات التي منها قوام حيوة العبد واعلم ان الله سبحانه ذكر امر السموات في كتابه في مواضع كثيرة ولا شك ان اكثاره من ذكرها دليل عظم شانها وعلى ان له سبحانه فيها اسرارا لا تصل اليها عقول البشر اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله وعلياهن سقفا محفوظا كقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم وقوله وحفظا من كل شيطان مارد وقوله وسمكا مرفوعا بغير عمد تدعمها ولا دسار ينتظمها كقوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها وقوله ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وقوله ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقوله فاجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا كقوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا **البحث الثاني** في هذا الفصل استعارات الاولى قوله جعل سفلاهن موجا مكفوفا استعار لفظ الموج للسماء لما بينهما من المشابهة في العلو والارتفاع وما يتوهم من اللون وقال بعض الشارحين اراد انها كانت في الاولى موجا ثم عقدها وكفها اي منعها من السقوط الثانية قوله سقفا محفوظا استعارة لفظ السقف من البيت للسماء في الاصل لما بينهما من المشابهة في الارتفاع والاحاطة ثم كثر ذلك الاستعمال حتى صار اسما من اسماء السماء ويحتمل ان لا يكون منقولا واراد بقوله محفوظا اي من الشياطين قال ابن عباس رض كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويخبرون اخبارها فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلعم منعوا من السموات كلها فما منهم احد استرق السمع الا رمي بشهاب فذلك معنى قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين وسنشير الى سر ذلك ان شاء الله تعالى

اشارة م

قوله بغير عمد تدعمها ولا دسار ينتظمها **اقول** لما كان مقتضى قدرة العبد وغايتها اذا تمكن من بناء بيت وانشاء سقف انه لا بد له من اساطين وعمد يقوم عليها ذلك السقف وروابط تشد بعضه الى بعض وكانت قدرة الحق سبحانه منعم اجل واعلى من الحاجة الى مثل ذلك نزه ان يشير الى عظمته سبحانه وقوة قدرته بسلب صفات المخلوقين عنه وشرائطهم عنه في قدرته والمعنى ان هذه الاجرام العظيمة بقيت واقفة في الجو العالي ويستحيل ان يكون وقوفها هناك لذواتها لان الاجسام متماثلة وتبرهن الجسمية فلو وجب حصول جسم في حيز لوجب حصول كل جسم في ذلك الحيز ولان الاحياز والخلا متشابهة فلا اختصاص لحيز بالوضع دون اخر ولا يجوز ان يقال انها معلقة بجسم اخر والا لكان الكلام في وقوف ذلك الجسم في الجو كالكلام في الاول ويلزم التسلسل بقي ان لا ان يقال ان وقوفها بقدرة الصانع الحكيم القادر المختار وان قلت قوله تعالى ترونها يفهم منه ان هناك عمد ولكنها غير مرئية لنا وذلك ينافي سلبه عليه السلام للعمد مطلقا قلت الجواب عنه من وجوه **احدها** انه يحتمل ان يكون قوله ترونها كلاما مستانفا والتقدير عمد وانتم ترونها كذلك **الثاني** يحتمل ان يكون في الكلام تقديم وتاخير كما نقل عن الحسن البصري انه قال التقدير رفعها بغير عمد **الثالث** وهو الالطف ما ذكره الامام فخر الدين ره فقال ان العماد هو ما يعتمد عليه والسموات معتمدة وعمادها على قدرة الله تعالى فكانت هي العمد التي لا ترى فذلك لا ينافي كلامه ع **الرابع** وهو الاحق ما ذكرته وهو انه قد ثبت في اصول الفقه ان تخصيص الشيء بحكم لا يدل على نفي الحكم عما عداه بخلاف ذلك الحكم فتخصيص العمد المرئية للسموات بالسلب لا يستلزم ثبوت العمد غير المرئية لها البتة

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى

الثواقب استعارة في الاصل للشهب عن الاجسام التي تثقب جسما اخر وينفذ فيه ووجه المشابهة ان الاجلها سميت الشهاب ثاقبا لانه
يثقب بنوره الهواء كما يثقب جسم جسما لكنه لكثرة الاستعمال صار بمنزلة الاطلاق عليه حقيقة او قريبا منها الرابعة قوله سراجها مستطيرا شعاعها
للشمس ووجه المشابهة ان السراج الضوئي المستطير لما كان من شأنه ان يضيء ما حوله وينتشر في جميع نواحي البيت ويهتدي به
من الظلمة كذلك الشمس مضيئة لهذا العالم ويهتدي بها المضرور فيه الخامسة قوله رفيع استعارة اصلية للفلك تشبيها له
باللوح المرفوع فيه ثم كثر استعمال هذا اللفظ في الفلك حتى صار اسما من اسمائه **البحث الثالث** اعلم ان هذه الاستعارات تشتمل
ملاحظة اخرى وهو تشبيه هذا العالم بامره ببيت واحد فالسماء كقبة خضراء نصبت على الارض وجعلت سقفا محفوظا
محجوبا عن ان تصل اليه مردة الشياطين كما يحفظ سقف البيت بالسهام والحراب عن مردة اللصوص ثم هو مع غاية علوه وارتفاعه
غير محمول بعمد ولا منظوم بدسائر بل بقدرة صانعه ومبدعه ثم ان القبة مزينة بالكواكب ضياؤها الذي هو
احسن الزينة واكملها فلو لم يحصل صور الكواكب في الفلك لبقي سطحا مظلما لما خلق الله تعالى هذه الكواكب المشرقة في سطحه الاجرم
استنار وازدان بذلك لتنور الضوء كما قال ابن عباس في قوله بزينة الكواكب اي بضوئها وانت اذا تاملت هذه الكواكب المشرقة
المضيئة في سطح الفلك وجدتها عند النظر اليها كجواهر مرصوصة في سطح من زبرجد على اوضاع اقتضتها الحكمة او كما قال و
كان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق ثم جعل من جملتها كوكبين هما اعظم الكواكب جرما واشدها اشراقا واتمها
ضياء مع اشتمالها على تمام الحسن في الترتيب جعل احدهما ضياء للنهار والاخر ضياء لليل ثم لم يجعل ذلك السقف ساكنا لما جعله
متحركا ليكون اثر صنعه فيه اظهر وصنع حكمته فيه ابدع لم يجعل ذلك السقف طبقا واحدا بل اطباقا فاسكن في كل طبق ملأ من
جنوده وخواص ملكه الذين ضربت بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة فلا يستطيع احد ان ينظر اليهم فضلا عن ان
يتشبه بالكم وحفظهم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا هذا هو الحكمة الظاهرة التي بينه لها من له ادنى فطنة فيحصل
منها غير شامل الاصناف الخلق بحيث اذا لاحظوا مع جزئي من جزئيات اثار هذه القدرة اي لو كان استعظم واستحسن من رأى
ملك قرص من ملوك الدنيا لم يكن مثيلها من المناسبة الاخيال الضعيف في بيان اي ملك فرض اذا امر بوضع بنيان وبالغ في تحسينه
فزين سقوفه ورصعها بانواع الجواهر فزين بيته بالاوضاع المعجزة لابناء نوعه وبذل فيه جهده واستفرغ فيه فكره لم يكن
غايته الا ان يحيط بما عمله نسبة حيا ليتدبر بعبده الى ظ هذا الصنع العجيب والترتيب اللطيف فهذا مع ما اشتمل عليه من الحكم الخفية
والاسرار الالهية التي يعجز القوى البشرية عن ادراكها ويحتاج فيما لاح منها الى لطف قريحة وتوقد ذهن فسبحان الذي بيده
ملكوت كل شيء واليه ترجعون فانظر ايها المستبصر بعين بصيرتك المناسب بين بيتك الذي تبنيه وهذا البيت العظيم وفي
ساحاتك الى سراجه وفيفائك الى زينته ثم لاحظ مع ذلك ترا انما خلقناك ولابناء نوعك ليكون فيه وفيه قوام حيوتكم و
وجودكم ولتستدلوا بملكوت ما خلق على كمال قدرته وحكمته لترجعوا بذلك الى حضرته طاهرين من الرجس متشبهين بسكان
سقف هذا البيت وعرفت اذا ان له حاجة اليه فانه الغني المطلق الذي لا حاجة به الى شيء والعجب من الانسان انه ربما راى خطا حسنا
او نقشا على حائط فلا يزال يتعجب من حسنه وحذق صانعه ثم يرى هذا الصنع العجيب والابداع اللطيف فلا يدهشه عظمة صانعه
وقدرته ولا تحيره جلال مبدعه وحكمته **البحث الرابع** الشرع والبرهان قد تطابقا على ان ههنا تسع افلاك بعضها فوق بعض
فيها سبع سموات ثم الكرسي ثم العرش بعبارة الناموس الالهي ثم اكثرها مشتمل على الكواكب وهي اجرام نورانية مستديرة مصمتة مركوزة
في اجرام الافلاك فاول الافلاك مما يلينا ليس فيه من الكواكب الا القمر وليس في الثاني الا عطارد وليس في الثالث الا الزهرة و
ليس في الرابع الا الشمس وليس في الخامس الا المريخ وليس في السادس الا المشتري وليس في السابع الا زحل وهذه هي المسماة بالكواكب
السبعة السيارة وما سواها من الكواكب فيشتمل عليها الفلك الثامن واما التاسع فخال عن الكواكب وان كان فليس يدرك
لنا ثم قد دل البرهان على ان الافلاك هي المتحركة بما فيها من الكواكب وان تلك الحركة دورية وكان كلامه مطابقا لذلك حيث
قال في فلك دائر وسقف سائر وفيهم ما نبأ اذا عرفت ذلك فاعلم ان الله سبحانه خلق الموجودات كلها على اتم انحاء الوجود وكمله
فجميع الموجودات من الافلاك ومقاديرها واعدادها وحركاتها المختلفة وهيئاتها وهيئة الارض وما عليها من حيوان ونبات ومعدن
ونحوه انما وجد على الوجه الذي وجد عليه لحصول النظام الكلي للعالم ولو كان بخلاف ما عليه لكان شرا ونقصا فخلق
الافلاك والكواكب وما هي عليه من الحركات والاوضاع وجعلها اسبابا لحدوث الحوادث في عالم الكون والفساد بواسطة
كيفيات تحدث منها من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة توجب ذلك امتزاج بعضها ببعض فيحصل امتزاجات مختلفة مستعدة لقبول
صور مختلفة من حيوان ونبات ومعدن واظهر الكواكب تاثيرا هو الشمس والقمر فان بحركة الشمس اليومية يحصل النهار
والليل فالنهار يكون زمان طلوعها يكون زمان التكسب والطلب للمعاش الذي به يحصل قوام الحيوة ويكون سببا الى السعا

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته

الاخروية ثم انها في مدة حركتها اليومية لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب وقد اخذت كل جهة من الجهات
حظا من الاشراق والاستعداد بنيره واما الليل فهو زمان غروبها فان فيه هدوء الخلائق وقرارهم الذي به يحصل الراحة وانبعاث
القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء كما قال تعم هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا وجعلنا
الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ثم كانت الشمس من جهة ضوءها كسراج يرتفع لاهل كل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم
ضوء النور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه مصلحة هذا العالم واما بحسب حركتها الجنوبية والشمالية فقد جعل
سبحانه ذلك سببا لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة والنبات فيتولد منها مواد الثمار ويكثر السحاب والامطار
ويقوى ابدان الحيوانات بسبب حقن الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع
النبات وينور الشجر ويهيج الحيوان للفساد وفي الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار وتتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض
ويتهيأ للبناء والعمارة وفي الخريف يظهر اليبس والبرد فينتقل فيه الابدان على التدريج الى الشتاء فانه لو وقع الانتقال دفعة
لهلكت وفسدت واما القمر فان بحركته يحصل الشهور والاعوام كما قال سبحانه ولتعلموا عدد السنين والحساب فيتمكن العباد بالحساب
من ترتيب معاشه بالزراعة والحراثة واعداد مهمات الشتاء والصيف وباختلاف حاله في زيادته ونقصانه يختلف احوال
الرطوبات في هذا العالم فلو انه سبحانه خلق الافلاك دون الكواكب لكان ان خلقها مظلمة لم يحصل ما ذكرنا من اختلاف الفصول
والحر والبرد فلم يتم في هذا العالم ما كانت اسبابا فيه من الاستعدادات ولم يتميز لها فصل عن فصل كما قال تعم وعلامات وبالنجم هم
يهتدون وقوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وان خلقها مضيئة تشابه اثرها في الامكنة والازمنة
بل خلق فيها الكواكب ولم يخلقها ساكنة والا لافرط اثرها في موضع بعينه فيفسد استعداده ويخلو موضع اخر عن التاثيرات ولما
تميزت فصول السنة ولما حصل البرد المحتاج اليه والحر المحتاج اليه فلم يتم نشو النبات والحيوان وعلى الجملة فالنظام الكلي لا
يحصل الا بهذا الوجه فهو اكمل انحاء الوجود وكل ذلك يدل على كمال رحمة الله بخلقه وشمول عنايته لهم فكان جميع ما ذكرنا
من المنافع الحاصلة في هذا العالم مستندا الى علو تدبيره وكمال حكمته كما قال تعم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم
الليل والنهار واتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار لا يقال السؤال على ما ذكرتم من
وجهين احدهما ان الترتيب الذي ذكرتموه في تخصيص كل فلك ببعض الكواكب يشكل بقوله تعم انا زينا السماء الدنيا بزينة
الكواكب وقوله تعم ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح الثاني ان الشهب الثواقب التي جعلت رجوما للشياطين على ما نطق
به القرآن الكريم اما ان يكون من الكواكب التي زينت بها السماء او لا تكون والاول باطل لان هذه الشهب تبطل بالانقضاض
وتضمحل فكان يلزم من ذلك على مر هذه الازمان فناء الكواكب ونقصان اعدادها ومعلوم انه لم يوجد نقصان البتة
والثاني انه يشكل بقوله تعم انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فانه نص على كون الشهب التي جعلت
رجوما للشياطين هي تلك المصابيح والكواكب التي زينت بها السماء لانا نجيب عن الاول بانه لا تنافي بين ظاهر الاية وبين ما ذكرنا
وذكرناه وذلك ان السماء الدنيا لما كانت لا تحجب ضوء الكواكب وكانت اوهام الخلائق حاكمة عند النظر الى السماء ومشاهدة
الكواكب بكونها مزينة بها لا جرم صح قوله تعم انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب لان التزيين بها انما هي بالنسبة الى اوهام الخلائق
للسماء الدنيا وعن الثاني انا نقول هذه الشهب غير تلك الثواقب الباقية فاما قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين فنقول كل مضيء حصل في الجو العالي او في السماء فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك المصابيح منها باقية على طول الزمان
وهو الثواقب ومنها متغيرة وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعم ويجعلها رجوما للشياطين ويصدق عليها انها زينة للسماء ايضا
بالنسبة الى افهامنا وبالله التوفيق **قوله** ثم فتق ما بين السموات العلى الى قوله ولا بشر فرقت اليه بالنظائر وفيه مباحث **البحث
الاول** هذا الفصل ايضا من تمام التفصيل لقوله فسوى منه سبع سموات اذ كان ما اشار اليه ههنا من فتق السموات الى طبقات وايجاد
سكان كل طبقة منها ملأ معينا من الملائكة هو من تمام التسوية والتعديل لعالم السموات فان قلت لم اخر ذكر فتق السموات
واسكان الملائكة فيها عن ذكر اجرام الشمس والقمر فيها وتزيينها بالكواكب ومعلوم ان فتقها متقدم على اختصاص بعضها ببعض
الكواكب قلت لان اشارته الى تسوية السموات اشارة جملية فكانه قد ذكر اولا ان خلق السموات كرة واحدة كما عليه بعض المفسرين
لقوله تعم ان السموات والارض كانتا رتقا ثم ذكر علياهن وسفلاهن مجراهما مجرى السطح بين الداخل والخارج لتلك الكرة ثم اشار
الى بعض كمالاتها وهي الكواكب والشمس والقمر جملة ثم بعد ذلك اراد التفصيل فاشار الى تفصيلها وتمييز بعضها عن بعض
بالفتق واسكان كل واحدة منهن ملأ معينا من الملائكة ثم عقب ذلك بتفصيل الملائكة ولا شك ان تقديم الاجمال في الذكر
وتعقيبه بالتفصيل اولى في الفصاحة والبلاغة في الخطابة من العكس اذا عرفت ذلك فنقول قوله ثم فتق ما بين السموات العلى

في بيان نسبة ايجاد العالم الى المدبرات

كقوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وقوله وكم من ملك في السموات ... وقوله من املاك نبيه منهم سجود لا يركعون كقوله تعالى ويسجد
من في السموات والارض وقوله وله يسجدون ونحوه وقوله وصافون لا يزايلون كقوله تعالى وانا لنحن الصافون والصافات صفا
وقوله ومسبحون لا يسأمون كقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقوله ولا فترة الابدان كقوله تعالى لا يفترون وقوله ومنهم امناء على
وحيه كقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقوله والسنة الى رسله كقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا وقوله مختلفون بقضائه
وامره كقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقوله تعالى ينزل الملائكة والروح فيها من امره على من يشاء من عباده وقوله
ومنهم الحفظة لعباده كقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله وان عليكم لحافظين وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
من امر الله وقوله والسدنة لابواب جنانه كقوله تعالى وقال لهم خزنتها وقوله والثابتة اقدامهم العرش كانهم كقوله تعالى ويحمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية وقوله بالجهتهم كقوله تعالى او الى الجهة **البحث الثاني** اعلم ان للناس في تفسير قوله اولم ير الذين كفروا ان
السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما اقوالا **احدها** قال ابن عباس والضحاك وعطا وقتادة ان السماء والارض كانتا شيئا
واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء **الثاني** قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطتها ففتحها بها
الثالث قال مجاهد والسدي كانت السموات طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع سموات وكذلك الارض **الرابع** قال عكرمة وعطية
وابن عباس برواية اخرى عنه ان معنى كون السماء رتقا انها كانت لا تمطر وكانت الارض رتقا اي لا تنبت نباتا ففتق الله السماء بالمطر والارض
بالنبات ويؤيد ذلك قوله تعالى بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شيء حي ونظيره قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وقوله والارض ذات
الصدع وقوله تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا الاية **الخامس** قال بعض الفضلاء ان معنى قوله كانتا
رتقا اي كانتا امورا كلية في علم الله تعالى او في اللوح المحفوظ وقوله ففتقناهما اشارة الى تشخصاتهما في الوجود الخارجي وتمييز بعضها عن بعض
وهذا القول مناسب للاقوال الثلاثة الاول ويمكن تحقيقها ويحمل الريح التي ذكرها كعب على امر الله تعالى استعمالا بينهما من المشابهة
السابع قال بعضهم ان معنى الرتق في هذه الاية هو انطباق دائرة معدل النهار على دائرة البروج ثم ان الفتق بعد ذلك عبارة
عن ظهور الميل قالوا ومما يناسب ذلك قول ابن عباس وعكرمة فانهم لما قالوا ان معنى كون السماء رتقا انها لا تمطر ومعنى كون الارض رتقا
انها لا تنبت كان الفتق والرتق بالمعنى الذي ذكرناه اشارة الى سبب ما ذكروه اذ انطباق الدائرتين وهو الرتق يوجب خراب العالم السفلي
وعدم المطر وظهور الميل الذي هو الفتق يوجب وجود الفصول وظهور المطر والنبات وساير انواع المركبات اذا عرفت ذلك فاعلم ان
قوله ثم فتق ما بين السموات لعله موافق للاقوال الثلاثة الاول مع القول الخامس والتحقيق بر التوفيق واما القول السادس فهو
بعيد المناسبة لقوله وبيان ذلك ان قوله ثم فتق ما بين السموات لعله انما هو في معرض بيان كيفية تخليق العالم الاعلى ولذلك
اورده وعقبه بالفاء في قوله فملأهن اطوارا من ملائكته والرتق والفتق في هذا القول متأخر عن كمال الاجرام العلوية بما يعرض فيها وما
يتعلق بها ولا يعقل تقدم ظهور الميل ووجودها على وجود الملائكة السماوية واسكانها اطباق السموات والله التوفيق **البحث
الثالث** الملائكة على انواع كثيرة ومراتب متفاوتة فالمرتبة الاولى الملائكة المقربون كما قال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
ولا الملائكة المقربون **الثانية** الملائكة الحاملون للعرش كقوله الذين يحملون العرش وقوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ
ثمانية **الثالثة** الحافون حول العرش كما قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش وقوله ومن حوله **الرابعة** ملائكة السموات
والكرسي **الخامسة** ملائكة العناصر **السادسة** الملائكة الموكلون بالمركبات من المعادن والنبات والحيوان **السابعة** الملائكة
الحفظة الكرام الكاتبين كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ويدخل فيهم المعقبات المشار اليه بقوله تعالى له معقبات من
بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله **الثامنة** ملائكة الجنة وخزنتها كما قال تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم **التاسعة**
ملائكة النار كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد وقال عليها تسعة عشر وقال وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اذا عرفت
ذلك فنقول اتفق الكل على ان الملائكة ليس عبارة عن اشخاص جسمانية كثيفة تجيء وتذهب كالناس والبهائم بل القول
المحصل فيها قولان الاول هو قول المتكلمين انها اجسام نورانية الهية خيرة سعيدة قادرة على التصرفات السريعة والافعال
الشاقة ذوات عقول وافهام وبعضها اقرب عند الله من البعض واكمل درجة كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم
والقول الثاني قول غيرهم وهي انها ليست باجسام لكن منها ما هو مجرد عن الجسمية وعن تدبير الاجسام ومنها من له الى ... لتا
... ومنها ليس بمجرد بل جسماني حال في الاجسام وقائم بها وهم في تنزيل المراتب المذكورة على توهم تفصيل اما المقربون فا
فاشارة الى الذوات المقدسة عن الجسمية والجهة وعن حاجتها الى القيام بها وعن تدبيرها واما حملة العرش فالارواح الموكلة
بتدبير العرش وقيل هم الثمانية المذكورة في القران الكريم ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم رؤساء الملائكة المدبرين
للكرسي والسموات السبع وذلك ان هذه الاجرام لها كالابدان فهي مع ابدانها اشخاص حاملون للعرش فوقهم واما الحافون حول

العرش

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى

العرش هي الارواح الحاملة للكرسي والموكلة والمتصرفة فيه واما ملائكة السموات فالارواح الموكلة بها والمتصرفة فيها بالتحريك بالارادة باذن
الله عز وجل وكذلك ملائكة العناصر والجبال والبحار والبراري والقفار وسائر المركبات من المعدن والنبات والحيوان المسخر كل منها
لفعله المخصوص على اختلاف مراتبها فاما الملائكة الحافظون الكرام الكاتبون فلهم فيها اقوال **الاول** قال بعضهم ان الله تعالى خلط
الطبايع المتضادة ومزج بين العناصر المتنافرة حتى استعد بذلك الممتزج بسبب ذلك الامتزاج لقبول النفس المدبرة والقوى الحسية
والمحركة فالمراد بتلك الحفظة التي ارسلها الله هي تلك النفوس والقوى التي يحفظ تلك الطبايع المقهورة على امتزاجاتها وهي الضابطة
على انفسها اعمالها والمكتوب في الواحها صور ما تفعله لتشهد به على نفسها يوم القيمة كما قال تعالى قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم
الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين وهي المعقبات من بين يدي الانسان ومن خلفه الحافظون له من امر الله وقيل
الحفظة للعباد غير الحفظة على العباد والكاتبين لاعمالهم وسنشير الى ذلك **الثاني** قال بعض العلماء ان هذه النفوس البشرية و
الارواح الانسانية مختلفة بجواهرها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في البلادة والذكاء والفجور والعفة والحرية والنذالة
والشرف والدناءة وغيرها من الهيئات ولكل طائفة من هذه الارواح السفلية روح سماوية هو لها كالاب المشفق والسيد الرحيم
يعينها على مهماتها في يقظتها ومناماتها تارة على سبيل الرؤيا واخرى على سبيل الالهامات وهي مبدء لما يحدث فيها من خير وشر
وتعرف تلك المبادي في مصطلحهم بالطباع التام يعني ان تلك الارواح الفلكية في تلك الطباع والاخلاق تامة كاملة بالنسبة
الى هذه الارواح السفلية وهي الحافظة لها وعليها كما قال تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة **الثالث** قول
بعضهم ان للنفوس المتعلقة بهذه الاجساد مشاكلة ومشابهة مع النفوس المفارقة عن الاجساد فيكون لتلك المفارقة ميل الى النفوس
التي لم تفارق فيكون لها تعلق ايضا بوجه ما بهذه الابدان بسبب ما بينها وبين نفوسها من المشابهة والموافقة فتصير معاونة لهذه
النفوس على مقتضى طباعها وشاهدة عليها كما قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
واما ملائكة الجنة فاعلم ان الجنات المذكورة في القران ثمان وهي جنة النعيم وجنة الفردوس وجنة الخلد وجنة المأوى وجنة عدن
ودار السلام ودار القرار وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ومن وراء الكل عرش الرحمن ذي الجلال والاكرام اذا عرفت
ذلك فاعلم ان لهذه الجنان سكانا وخزانا من الملائكة اما السكان فهم الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم الذين يتلقون عباد الله الصالحين (المخلصين) بالشفقة والبشارة بالجنة وذلك ان الانسان الكامل
اذا كملت طاعته وبلغ النهاية في الصورة الانسانية واستحق بما له الصالحة وما اكتسبه من الافعال الزكية صورة ملكية وزينة
سماوية تلقته الملائكة الطيبون بالرافة والرحمة والشفقة ويقبلونه بالروح والريحان ويقبلونه كما تقبل القبائل القوابل و
الدايات اولاد الملوك بفاخر امور الدنيا وطيبات روايحها من مناديل السندس والاستبرق وبالفرح والسرور ويرونه ما في الجنة
من غرائب البهجة والسرور ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويتبعه معهم في العالم الاعلى كما شاء ثواب عطاء غير مجذوذ
ويتصل باخوانه المؤمنين في الدنيا اخباره واحواله ويتراءى لهم في مناماتهم بالبشارة والسعادة وحسن المنقلب واذا كان يوم
القيمة الكبرى عرجت به ملائكة الرحمة الى جنان النعيم والسرور المقيم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى لهم غرف من فوقها
غرف مبنية تجري من تحتهم الانهار واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين قال بعض حكماء الاسلام ان تلك الملائكة المتلقية
له بالروح والريحان هي روحانيات الزهرة والمشتري كان القائل يقول ان النفوس الانسانية السعيدة اذا فارقت ابدانها و
حملت القوة المتوهمة معها والهيئات المتخيلة المتحصلة من العمل الكريم في دار الدنيا من الجنان والحدائق والانهار والاشجار
والحور العين والكاس المعين واللؤلؤ والمرجان والولدان والغلمان فانه يفاض عليها بحسب استعدادها وطهارتها ورجاء ثواب
الاخرة صورة عقلية في غاية البهاء والزينة مناسبة لما كانت متخيلة من الامور المذكورة مناسبة ما ولما كان لهذين الكوكبين اثر
تام في اعداد النفوس للتخيلات البهيجة الحسنة وللفرح والسرور كما ينسب في المشهور الى روحانيتهما من الافعال الحسنة نسب تلقي
الانسان بعد المفارقة بالرافة والرحمة والشفقة الى روحانيتهما والله اعلم واما الخزنة للجنان فيشبه ان يكون هم السكان بها ايضا
باعتبار اخر وذلك انه لما كان الخازن هو المتولي لاحوال ابواب الخزائن بفتحها وتفريق ما فيها على مستحقيها باذن رب الخزائن وسدها
وغلقها ومنعها عن غير مستحقيها وكانت الملائكة هم المتولين لافاضة الكمالات وتفريق ضروب الاحسان والنعم على مستحقيها و
حفظها ومنعها من غير مستحقيها والمستعد بالطاعة لها باذن الله وحكمته لا جرم صدق انهم خزان الجنان بهذا الاعتبار وهم الذين
يدخلون على المؤمنين من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعض الفضلاء ان العبد اذا راض نفسه حتى استكمل
مراتب القوة النظرية ومراتب القوة العملية فانه يستعد بكل مرتبة من تلك المراتب لكمال خاص يفاض عليه من الله تعالى وبانه
من الملائكة فيدخلون عليه من كل باب من تلك الابواب بالسلام والتحية والاكرام ثم ان الرضا بقضاء الله من خير وثواب عظيم من الله

في بيان نسبة ايجاد العالم الى قدرته

الابواب فالملك الذي يدخل على الانسان منه برضاء الله كما قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه هو رضوان الله خازن الجنان والله
اعلم واما الملائكة الثمانية فقال بعض الفضلاء في تسعة عشر نوعا من الزبانية لا يعصون الله ما امرهم وهم الخمسة الذين ذكرنا انهم
يوردون عليه الاخبار من خارج وبعينهم والخازنان والحاجب الملك المتصرف بين يديه باذن ربه وملكا الغضب والشهوة
التسعة الموكلون بامر الغذاء وذلك انه اذا كان يوم الطامة الكبرى وكان الانسان ممن طغى واثر الحيوة الدنيا حتى كانت الجحيم
هي المأوى كانت تلك التسعة عشر من الزبانية انما قائلين له الى الهاوية بسبب ما يستنكر من المشتهيات وافترق من الشهادات
واعرض عن قوله فهو ان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى واعلم وفقك
الله ان هؤلاء الذين ذكرهم هذا القائل ثم ملئكة النار وربما كانوا ايضا مع انسان اخر من ملائكة الجنان وذلك اذا استعملهم
ذلك الانسان في دار الدنيا على وفق اوامر الله ووافقهم على طاعة الله دون ان يطلب منهم فوق ما خلقوا لاجله وامرهم بما
ويعبرهم الى معصية الله وارتكاب نواهيه ومحارمه وبالله التوفيق **البحث الرابع** انه تعالى ذكر من الملائكة انواعا واشار
بالسجود والركوع والصف والتسبيح الى تفاوت مراتبهم في العبادة والخشوع وذلك ان الله سبحانه قد خص كلا منهم بمرتبة معينة
من الكمال في العلم والقدرة لا يصل اليها من دونه وكل من كانت نعمة الله عليه اكمل واتم كانت عبادته له على طاعته اوفر وتمام ان
السجود والركوع والصف والتسبيح عبادات متغايرة بين الخلق ومتفاوتة في استلزام كمال الخضوع والخشوع ولا يمكن حملها
على ظواهرها المفهومة منها لان وضع الجبهة على الارض وانحناء الظهر والوقوف في خط واحد وحركة اللسان بالتسبيح امور مبنية
على وجود هذه الالات التي هي خاصة ببعض الحيوانات فبالحري ان يحمل تفاوت المراتب المذكورة على تفاوتها كما انها في
الخضوع والخشوع لكبرياء الله وعظمته اطلاقا للفظ الملزوم على لازمه على ان السجود في اللغة هو الانقياد والخضوع كما
اذا عرفت ذلك فنقول يحتمل ان يكون قوله منهم سجود اشارة الى مرتبة الملائكة المقربين لان درجتهم اكمل درجات
الملائكة فكانت نسبة عبادتهم وخضوعهم الى خضوع من دونهم كنسبة خضوع السجود الى خضوع الركوع فان قلت انه قد
تقدم ان الملائكة المقربين مبرؤون عن تدبير الاجسام والتعلق بها فكيف يستقيم ان يكونوا من سكان السموات ومن الملا
الذين ملئت بهم قلت ان علاقة الشيء بالشيء واضافته اليه يكفي فيها ادنى مناسبة بينهما والمناسبة ههنا حاصلة بين
الاجرام السماوية وبين هذا الطور من الملائكة وهي مناسبة العلة للمعلول او الشرط للمشروط فكما جاز ان ينسب الباري جل
جلاله الى الاختصاص بالعرش والاستواء عليه في لفظ القرآن الكريم مع تنزيهه تعالى وتقدسه من هذا الظاهر ولم يجر في الحكمة
ان يكشف للخلق من عظمة الحق سبحانه اكثر من هذا القدر فكذلك جاز ان ينسب الملائكة المقربون الى الكون في السموات
بطريق الاولى وان تنزهوا عن الاجسام وتدبيرها لان عناية قاصد قصد الرسول وقصد القرآن الكريم والناطق به
له ان يفهم ما ثبتوا عنده لافهام وبالله التوفيق **قوله** وركوع يشبه ان يكون اشارة الى حملة العرش اذ كانوا اكمل من دونهم فكانت
نسبة درجتهم الى عبادة من دونهم كنسبة خضوع الركوع الى خضوع الصف **قوله** وصافون يحتمل ان يكون اشارة الى الملائكة
الحافين من حول العرش من قبل انهم يقفون صفوفا لاداء العبادة كما اخبر تعالى عنهم وانا لنحن الصافون ويحقق ذلك ان لكل واحد
منهم مرتبة معينة من الكمال بحسبه فتلك الدرجات باقية غير متغيرة وذلك يشبه الصفوف ومما يؤيد القول بانهم الحافون حول
العرش ما جاء في الخبر ان حول العرش سبعين الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير
ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح **قوله** ومسبحون يحتمل ان يكون المراد بهم
الصافون وغيرهم من الملائكة والواو العاطفة وان اقتضت المغايرة الا ان المغايرة حاصلة اذ هم من حيث هم صافون غيرهم من حيث هم
مسبحون وتعدد هذه الاعتبارات يسوغ تعديد الاقسام بحسبها وعطف بعضها على بعض ويؤيد ذلك الجمع بين كونهم صافين و
بين كونهم مسبحين في قوله تعالى وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ويحتمل ان يريد بهم نوعا من انواع اخر من ملائكة السموات فلما سلب
الركوع عن الساجدين وسلب الانتصاب عن الراكعين وسلب التزايل عن الصافين وسلب السأم عن المسبحين فاشارة الى كمال
مراتبهم المعينة كل بالنسبة الى من هو دونه ونفيا لما يعد نقصا اما الاول فلان الركوع وان كان عبادة الا انه نقصان ما بالنسبة
الى السجود والانتصاب نقصان في درجة الراكع بالنسبة الى ركوعه وكذلك التزايل عن مرتبة الصف ونقص منها وكذلك السأم
في التسبيح نقصان فيه واعراض عن الجهة المقصودة به فالسأم والملال عبارة عن اعراض النفس عن الشيء بسبب كلال يعرض القوى
الطبيعية عن افعالها وذلك غير متصور في حق الملائكة السماوية واما سلب غشيان النوم عنهم في قوله لا يغشاهم نوم العيون فهو
تمام التصديق وبيانه ان غشيان النوم لهم مستلزم لصحة النوم عليهم واللازم باطل في حقهم فالملزوم مثله اما الملازمة فظاهرة واما
بطلان اللازم فلان النوم عبارة عن تعطيل الحواس الظاهرة عن افعالها لعدم انصباب الروح النفساني اليها ورجوعها بعد الكلال

فى بيان نسبة انجاز العالم الى قدرته تعالى

والضعف والملائكة السماوية منزهون عن هذه الاسباب والآلات فوجب ان يكون النوم غير صحيح في حقهم فوجب ان لا يغشاهم في حقهم فوجب
ان لا يغشاهم واما سلب سهو العقول وغفلة النسيان فاعلم ان الغفلة عبارة عن عدم التفطن للشيء وعدم عقليته بالفعل وهي اعم من
السهو والنسيان وكالجنس لهما بيان ذلك ان السهو هو الغفلة عن الشيء مع بقاء صورته او معناه في الخيال والذكر بسبب اشتغال النفس
والتفاتها الى بعض مهماتها واما النسيان فهو الغفلة عنه مع انمحاء صورته او معناه عن احدى الخزانتين بالكلية ولذلك يحتاج
الناسي للشيء الى تجشم كسب جديد وكلفة في تحصيله ثانيا وبهذا يظهر الفرق بين الغفلة والسهو والنسيان واذا عرفت ذلك
ظهر ان هذه الامور الثلثة من لواحق القوى الانسانية فوجب ان تكون مسلوبة عن الملائكة السماوية لسلب معروضاتها عنهم
ولما ذكر سهو العقول ونفاه عنهم اردفه بسلب ما هو اعم منه وهو الغفلة لاستلزام سلبها سلب النسيان وقد كان ذلك كافيا في
سلب النسيان الا انه اضاف الغفلة اليه لتأكيد سلبه بسلبها واما قوله ولا فترة الابدان فلان الفترة هي وقوف الاعضاء البدنية
عن العمل وقصورها بسبب تحلل الارواح البدنية وضعفها ورجوعها للاستراحة وكل ذلك من توابع المزاج الحيواني فلاجرم صدق
سلبها عنهم **قوله** ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله مختلفون بقضائه وامره اقول يشبه ان يكون هذا القسم داخلا في الاقسام
السابقة من الملائكة وانما ذكره ثانيا باعتبار وصف الامانة على الوحي والرسالة والاختلاف بالامر الى الانبياء وغيرهم لان من جملة
الملائكة المرسلين جبرئيل وهو من الملائكة المقربين واعلم انه لما ثبت ان الوحي وسائر الافاضات من الله تعالى على عباده انما هو بواسطة
الملائكة كما علمت كيفية ذلك لا جرم صدق انهم امناء على وحيه والسنة الى رسله اذ كان الامين هو الحافظ لما كلف بحفظه على
ما هو عليه ليؤديه الى مستحقه وافاضة الوحي الى الانبياء عليهم بواسطة الملائكة محفوظة نازلة كما هي مبرأة عن الخلل الصادر عن سهو ولعب او غرض
السهو هناك او عن عمد لعدم الداعي اليه ولقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واما كونهم السنة الى رسله فهي
استعارة حسنة اذ يقال فلان لسان قومه اي المفصح عن احوالهم والمخاطب عنهم فيطلق عليه اسم اللسان لكونه مفصحا عما في النفس
ولما كانت الملائكة وسائط بين الحق سبحانه وبين رسله في تأدية خطابه الكريم اليهم لا جرم حسن استعارة هذا اللفظ لهم لمكان المشابهة
والمراد هيهنا بالاختلاف التردد بامر الله وما قضى به مرة بعد اخرى وبالقضاء الامور المقضية اذ يقال هذا قضاء الله اي مقضى الله ولا يراد
به المصدر فان معنى ذلك هو سطر ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ بالقلم الالهي وذلك امر قد فرغ منه كما قال صلى الله عليه وآله
جف القلم بما هو كائن فان قلت كيف يصح ان يكون هذا القسم داخلا في الساجدين لان من كان ابدا ساجدا كيف يتصور ان يكون مع ذلك
مترددا في الرسالة والنزول والصعود مختلفا بالاوامر والنواهي الى الرسل قلت قد بينا انه ليس المراد بسجود الملائكة هو وضع الجبهة
على الارض بالكيفية التي نحن عليها وانما هو عبارة عن كمال عبوديتهم لله تعالى وخضوعهم تحت قدرته وذلتهم في الامكان والحاجة
تحت ملك وجوب وجوده ومعلوم انه ليس بين السجود بهذا المعنى وبين ترددهم باوامر الله تعالى واختلافهم بقضائه على وفق مشيته وامره
منافاة بل كل ذلك من كمال عبوديتهم وخضوعهم لعزته واعترافهم بكمال عظمته **قوله** ومنهم الحفظة لعباده فاعلم ان هذا القسم
مطلوبين احدهما ما الحفظة والثاني ما المراد منهم ثم الحفظة منهم حفظة للعباد كما قال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
من امر الله ومنهم حفظة على العباد كما قال تعالى ويرسل عليكم حفظة والمراد من الاولين حفظ العباد بامر الله تعالى من الآفات التي تعرض لهم و
من الآخرين ضبط الاعمال والاقوال من الطاعات والمعاصي كما قال كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وكقوله ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد قال ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما على يمينه والآخر على يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على يمينه
واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله يتوب منها فان لم يتب كتبت عليه قال المفسرون وفائدة ذلك ان
المكلف اذا علم ان الملائكة موكلون به يحصرون عليه اعماله ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في موقف القيمة كان ذلك
ازجر له عن القبائح واعلم انه يحتمل ان يكون التعدد المذكور في الحفظة تعددا بحسب الذوات ويحتمل ان يكون بحسب الاعتبار قال بعض من
يعرف الحفظة للعباد هي القوى التي ارسلها الله تعالى من سماء جوده على الابدان البشرية ويحتمل ان يكون الحفظة على العباد وهي مبادئ تلك
القوى ويكون معنى كتبه السيئات والحسنات وضبطها على العباد اما اعتبار ان ما يصدر ويتعدد على العبد من السيئات والحسنات
في علم تلك المبادي ويكون معناها كتبة صور الافعال الخيرية والشرية الى العبد بقلم الافاضة في لوح نفسه بحسب استعداده لها لذلك قال
ويشبه ان تكون اشارة ابن عباس بانتظار ملك اليسار كاتب السيئات توبة العبد الى ان مادامت السيئة حالا غير ممكنة من جوهر
نفس العبد فان رحمة الله تعالى تسعها فاذا تاب من تلك السيئة لم تكتب في لوح نفسه وان لم يتب حتى صارت ملكة راسخة في نفسه
كتبت وعذب بها يوم تقوم الساعة قال ويحتمل ان يكون الحفظة على العباد هم باعيانهم من الحفظة لهم فان النفس تحفظ في جوهرها
ما يفعله من خير وشر وتحصيه يوم البعث على نفسها اذا زالت عنها العوائق البدنية وتجده مصورا مفصلا لا يعزب عنها منه شيء كما
قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وكما قال تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا

بلغته مقروا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وكما قال اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وقال واما معنى كونهم
من ملائكة السماء فلان اسلم من ملائكة السماء ثم ارسلوا الى الارض فانما هم واما السدنة لابواب جنانه فقد عرفت ما قيل فيهم

قوله ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم المارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم فاعلم ان هذه الاوصاف وردت في صفة الملائكة الحاملين للعرش في كثير من الاخبار فيشبه ان يكونوا هم المقصودين بها هيهنا وروي عن ميسرة انه قال ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من اهل السماء السادسة وهكذا الى سماء الدنيا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم لا تفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا منهم يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع والوصع طائر صغير وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لما خلق الله حملة العرش قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال لهم قولوا لا حول ولا قوة الا بالله فقالوا ذلك فاستقل فنفذت اقدامهم في الارض السابعة على متن الثرى فلم تستقر فكتب في قدم كل ملك منهم اسما من اسمائه فاستقرت اقدامهم ووجه هذا الخبر ان وجودهم وبقاءهم وحولهم وقوتهم التي بها هم ما هم انما هو من حوله وقوته وهيبته فلو انه سبحانه خلقهم وقال لهم احملوا عرشي لم تكن لهم استعانة ولا مدد بحول الله وقوته ومعونته لم ينهضوا بحمل ذرة من ذراته مع عظمه وكونه فضلا عن تدبير العرش الذي هو اعظم الاجرام الموجودة في العالم اذا عرفت ذلك فنقول اما من قال بان الملائكة اجسام كان حمل صفاتهم المذكورة في هذه الاخبار في كلامه عليه السلام على ظاهرها امرا ممكنا فانه تعالى قادر على جميع الممكنات واما من نزههم عن الجسمية فقال ان الله سبحانه لما خلق الملائكة السماوية وهم مسخرة لاجرام السموات مدبرين لها الى عالم الكون والفساد واسبابا لما يحدث فيه كانوا محيطين باذن الله علما بما في السموات والارض فلاجرم كان منهم من ثبتت في تخوم الارض السفلى اقدام ادراكاتهم التي ثبتت واستقرت باسم الله الاعظم وعلمه الاكرم ونفذت في بواطن الموجودات خبرا ومرقت من السماء العليا اعناق عقولهم وخرجت من اقطارها اركان قواهم العقلية وقوله المناسبة لقوائم العرش اكتافهم يريد انهم متشبهون ومناسبون لقوائم العرش في بقائهم وثباتهم عن التزلزل من تحته ابدا الى ما شاء الله فان قلت فهل هناك قوائم غير الحاملين للعرش لكن اشار اليهم وتكون هذه الطائفة من الملائكة مناسبة لتلك القوائم ام لا قلت قد جاء في الخبر ان للعرش قوائم وروي عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده عليهم السلام انه قال ان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الاخرى خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام قال بعض المحققين ان هناك قوائم ثمان قد فوض الله تعالى الى كل ملك من الملائكة الثمانية الحاملين للعرش تدبير قائمة منها وحملها ووكله بها اذا عرفت ذلك فنقول يحتمل ان يكون قد اشار بقوله مناسبة لقوائم العرش اكتافهم الى اثبات قوائم العرش اكتافهم الى ثبات قوائم العرش واثبات مناسبة الاكتاف هؤلاء الملائكة مع تلك القوائم ووجه المناسبة ان الكتف لما كان محل القوة والشدة استعاره هيهنا للقوة والقدرة التي يختص كل ملك من تلك الملائكة وبها يدبر تلك القوائم من العرش ولا شك ان بين كل قائمة من تلك القوائم وبين كل قدرة من تلك القدر مناسبة ما لاجلها خص الله سبحانه تلك القدرة بحمل تلك القائمة فهذا معنى قوله المناسبة لقوائم العرش اكتافهم ويحتمل ان يكون كما استعار لهم لفظ الاقدام استعار لهم ايضا لفظ الاكتاف ثم شبه قيامهم بامر الله في حملهم للعرش بقيام الاساطين التي يبنى عليها الواحد منا عرشه فهم مشابهون لقوائم العرش التي يبنى عليها من غير ان يكون هناك تعرض لاثبات قوائم بل لما يشبه القوائم

قوله ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم اقول ان في دونه وتحته ضميرا يرجع الى العرش وقد جاء في الخبر عن وهب بن منبه قال ان لكل ملك من حملة العرش ومن حوله اربعة اجنحة اما جناحان فعلى وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق واما جناحان فيهفو بهما ليس لهم كلام الا التسبيح والتحميد وكني بتنكيس ابصارهم عن كمال خشيتهم لله تعالى واعترافهم بقصور ابصار عقولهم عن ادراك ما وراء كمالهم القدر ظلمهم وضعفها عن ما لا يحتمله من انوار الله وعظمته المشاهدة في خلق عرشه وما فوقه من مبدعاته فان شعاع ابصارهم منه واقف دون حجب عزة الله وعن يزيد الرقاشي ان لله تعالى ملائكة حول العرش يسمون المخلخلين تجري اعينهم مثل الانهار الى يوم القيمة يميدون كانما تنفضهم الرياح من خشية الله تعالى فيقول لهم الرب جل جلاله ملائكتي ما الذي يخيفكم فيقولون ربنا لو ان اهل الارض اطلعوا من عزتك وعظمتك على ما اطلعنا عليه ما ساغوا طعاما ولا شرابا ولا انبسطوا في فرشهم ولخرجوا الى الصحراء يخورون كما يخور الثور واعلم انه لما كان الجناح من الطائر والانسان عبارة عن محل القوة والقدرة والبطش صح ان تستعار للملائكة على سبيل الكناية عن كمالهم في قدرهم وقوتهم التي يطيرون في ميدان جلال الله وعظمته وتصدر بواسطتها كمالات ما دونهم من مخلوقات الله وصح ان توصف تلك الاجنحة بالقلة والكثرة في احادهم ويكون ذلك كناية عن تفاوت مراتبهم وزيادة كمال بعضهم على بعض ولما استعار لفظ الاجنحة استلزم ذلك ان يكون قد شبههم بالطائر ذي الجناح ثم لما كان الطائر عند قبض جناحه يشبه المتلفع بثوبه والملتحف به وكانت اجنحة الملائكة التي هي عبارة عن كمالهم في قدرهم وعلومهم مقصورة

قاصرة عن التعلق بمثل هذه ورائت السموات عالم القدس دون جلاله وعظمته في صنعه لا جرم اشبه ذلك قبض الاجنحة المشبه للتلفع بالثوب فاستعارة لفظ التلفع ايضا وكنى به عن كمال خضوعهم وانقيادهم تحت سلطان الله وقوة ما شاهدوه في صورة من خشيته فان قلت قد ثبت ان المراد بالركوع هم حملة العرش فكيف يستقيم مع ذلك ان يقال ان هذا القسم هم حملة العرش ايضا فان من كان اقدامهم في تخوم الارضين واعناقهم خارجة من السموات السبع ومن الكرسي والعرش كيف يكون مع ذلك راكعا قلت الجواب عنه قد سبق في قوله ومنهم امناء على وحيه فان الركوع غاية القصوى منه الخشوع لعزة الله وعظمته وذلك غير مناف للاوصاف المذكورة ههنا وبالله التوفيق **قوله** مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة اشارة الى ان الالات البشرية قاصرة عن ادراكهم والوصول اليهم وذلك لتنزههم عن الجسمية والجهة وقربهم من عزة مبدعهم الاول جل جلاله وبعد القوى الانسانية عن الوقوف على اطوارهم المختلفة ومراتبهم المتفاوتة واذا كان الحال في الملك العظيم من ملوك الدنيا اذا بلغ في التنزه والتعظم الى حيث لا يراه الا اجلاء خواصه وكان الحال بعينه في بعض خواصه كالوزير والحاجب والنديم فانهم لا يصل اليهم كل الناس بل لا يصل اليهم الا من كانت له اليهم وسيلة تامة وعلاقة قوية وكان منشأ ذلك انما هو عظمة الملك وهيبته وقربهم منه فكان الحائل بينهم وبين غيرهم انما هو حجب عزة الملك واستار قدرته وقهره فكيف الحال في حجب الجبابرة ومالك الدنيا والاخرة وحال ملائكته المقربين ومن يليهم من حملة العرش الروحانيين فبالحري ان يستبعد وصول قوانا الضعيفة اليهم ولهذا كان المرائهم الى حجب الله عز وعظمته هم وكمال ملكه وتمام قدرته وما اهلهم له من عزته وعظمته انوار كبريائه عز سلطانه ولا اله الا هو **قوله** ولا يتوهمون ربهم بالتصوير اشارة الى تنزيههم عن الادراكات الوهمية والخيالية في حق مبدعهم عز سلطانه لكان الوهم انما يتعلق بالامور المحسوسات الصور والاحياز والمحال الجسمانية فالوهم وان ارسل طرفه الى قبلة وجوب الوجود وبالغ في تقليب حدقته فلن يرجع الا بمعنى جزئي يتعلق بمحسوس حتى انه لا يعقد نفسه ولا يدركها الا ذات مقدار وحجم ولما كان الوهم من خواص المزاج الحيواني لا جرم سلب التوهم عن هذا الطور من الملائكة لعدم قوة الوهم هناك فان هذه القوة لما كانت موجودة للانسان لا جرم كان يرى ربه في جهة ويشير اليه متحيزا ذا مقدار او صورة ولذلك وردت الكتب الالهية والنواميس الشرعية مشحونة بصفات التجسيم كالعين واليد والاصبع والاستواء على العرش ونحو ذلك خطابا للخلق بما يدركه اوهامهم وتوطينا لهم ولهذا ما حق ان الشارع لو اخذ في مبدء الامر ببيان لهم ان الصانع الحكيم ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا في جهة وليس بجسم ولا عرض لاشتد نفار اكثرهم من قبول ذلك وعظم انكارهم له فان الوهم في طبيعته لا يثبت موجودا بهذه الصفة ولا يتصوره ومن شانه ان ينكر ما لا يتصوره فكان منكر الهذا القسم من الخطابات الشرعية وان وردت بصفات التجسيم الا ان الالفاظ الموهمة لذلك كانت قابلة للتاويل محتملة له كانت وافية بالمقاصد اذ الغابي المغمور في ظلمات الجهل يحمله على ظاهره ويحصل بذلك تقييده عن تشتت اعتقاده وذو البصيرة المترقي عن ذلك لا بد يحمله على ما يحتمله عقله من التاويل وكل حال من هو اعلى منه والناس في ذلك على مراتب فكان يراه احسنا وهكذا **قوله** ولا يجرون عليه صفات المصنوعين **اقول** اجراء صفات المصنوعين عليه مما يكون بمناسبة ومماثلة مع مصنوعاته ومكوناته وكل ذلك بقياس من الوهم ومحاكاة من المتخيلة له بصورة المصنوع فكان الوهم يحكم اولا بكون الباري عز سلطانه مثلا لمصنوعاته التي يتعلق ادراكها بها من الجهات وما يقوم بها ويخيله بصورة منها ثم تساعده العقل في مقدمة اخرى وهي ان حكم الشيء حكم مثله فيجري عليه صفات مصنوعاته التي حكم بمثليته لها ولما كانت الملائكة السماء وتنزههم عن الوهم والخيال لا جرم وجب تنزيههم عن ان يجروا عليه صفات مصنوعاته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وكذلك **قوله** ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر فان الحاكم بحده في مكان وتحيزه فيه والمشير اليه بالمثل المتصور له بالقياس الى نظير يشاكله ويشابهه انما هو الوهم والخيال ولما عرفت انهما من خصائص الحيوان العنصري لا جرم كانت هذه الاحكام مسلوبة عن الملائكة السماوية وبالله التوفيق

الفصل الثالث في كيفية خلق آدم عليه السلام

قوله منها في خلق آدم عليه السلام ثم جمع سبحانه من حزن الارض الى قوله وتناسل الذرية **اقول** الحزن من الارض ما غلظ منها واشتد كالجبل والسهل ما لان وعذبها ما طاب منها واستعد للنبات والزرع والسبخ ما ملح منها والمسنون الطين الرطب قول ابن عباس وعن ابن السكيت عن ابي عمرو انه المتغير وفي قول ابن عباس تنبيه الكلام على لان قوله ومنها بالماء حتى لزبت اي انه خلطها بالماء حتى صارت طينا رطبا يلتصق وصلصلت قال بعضهم الصلصال هو المنتن من قولهم صل اللحم واصل اذا انتن وقيل هو الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار وقيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل واذا توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة ولاطها بالبلة اي خلطها بالرطوبة ومزجها بها والبلة بالكسر الندأوة وبالفتح واحدة البل واللازب الملاصق واصل الباء الميم وجبل اي خلق والاحناء جمع حنو وهي الجوانب والوصول جمع كثرة للوصل وهي المفاصل وجمع القلة اوصال والاعضاء جمع عضو بالكسر والضم كاليد والرجل الجوارح واصلدها اي جعلها

في بيان كيفية خلق آدم عم

صلصال وهي الصلصلة المثلثة والذهن في اللغة الفطنة والحفظ وفي الاصطلاح العلمي عبارة عن القوى المدركة من العقل والحس الباطن والفكر جمع فكرة وهي قوة للنفس بها تحصل الادراكات العقلية ويشبه ان يكون اصل الانسان انس وهو الانيس والالف والنون في اصل ابويها له للتثنية وذلك لان الانس لم يتبين لا يتحقق الا بين شخصين فصاعدا ولما كان كل واحد من ابوينا يانس بصاحبه قيل انسان ثم كثر استعماله مثنى فاجري على النون وجوه الاعراب والانشاء النمو والجوارح الاعضاء والاخذ والاستيحاد بمعنى والادوات جمع اداة واصلها الواو ولذلك ردت في الجمع والاستبداد طلب الاداء والخنوع الخضوع [illegible] المبلس من الابلاس وهو الياس والبعد بعدا تبعده من رحمة الله والحمية الانفة واغرتهم اي غششتهم والوهن الضعف والنظرة بفتح النون وكسر الظاء الامهال والسخط الغضب واغتره اي استغفله وتعنت عليه بالامر تعنتا شدد الامر وضيق عليه والعزيمة الاهتمام بالشيء والجدل الشديد والاهباط الانزال اذا عرفت ذلك فنقول للناس في هذه القصة طريقان **الطريق الاول** ان جمهور المسلمين من المفسرين والمتكلمين حملوا هذه القصة على ظاهرها ثم ذكروا فيها ابحاثا **البحث الاول** ان هذه القصة قد كررها سبحانه في كتابه الكريم في سبع سور وهي سورة البقرة والاعراف والحجر وسورة بني اسرائيل والكهف وطه وسورة ص وذلك لما يشتمل عليه من تذكير الخلق وتنبيههم من مراقد الطبيعة المجتذبة لهم اليها ابليس والتحذير من فتنته وفتنة جنوده والجذب الى جناب الله ومطالعة انوار كبريائه كما قال تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الاية فقوله تربة كقوله تعالى خلقه من تراب وقوله سنها بالماء كقوله تعالى من حما مسنون وقوله ولاطها بالبلة حتى لزبت كقوله تعالى من طين لازب وقوله حتى صلصلت كقوله تعالى من صلصال وقوله ثم نفخ فيه من روحه كقوله فاذا نفخت فيه من روحي وقوله ونفخ فيه من روحه وقوله فاذا هو انسان ذو اذهان يجيلها وفكر يتصرف بها وجوارح يختدمها كقوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة وقوله واستادى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم كقوله تعالى فقعوا له ساجدين وقوله اسجدوا وقوله الا ابليس كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس وقوله اعترته الحمية الى قوله وتعزز بخلقة النار واستوهن خلق الصلصال كقوله تعالى حكاية عن ابليس انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال وقوله فاعطاه الله النظرة استحقاقا للسخطة [illegible] النظرة وذلك قوله انظرني فاعطاه الله النظرة الى يوم الوقت المعلوم كقوله تعالى قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وقوله ثم اسكن سبحانه ادم دارا ارغد فيها عيشه كقوله تعالى قلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقوله وحذره ابليس وعداوته كقوله فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وقوله فاغتره ابليس نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار كقوله فوسوس اليه الشيطان الاية فدلاهما بغرور وقوله فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه كقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما وقوله واستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما كقوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقوله ثم بسط الله سبحانه له في توبته ولقاه كلمة رحمته كقوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وقوله ووعده المرد الى جنته ذلك قوله [illegible] كقوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله فاهبطه الى دار البلية كقوله تعالى ثم اهبطا منها جميعا **البحث الثاني** ان الله تعالى اشار في موضع من كتابه الكريم الى خلق ادم من تراب فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب وقال في موضع اخر اني خالق بشرا من طين وقال في موضع اخر ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون ثم من صلصال قال المتكلمون وانما خلقه الله على هذه الاوصاف لمحض المشيئة ولما فيه من دلالة الملائكة على كمال قدرته وعجيب صنعته لان خلق الانسان في هذه المراتب اعجب عندهم من خلقه من جنسهم اذا عرفت ذلك فاعلم ان كلامه عم ههنا يجري مجرى التفسير لهذه الايات فانه اشار اولا الى كونه من تراب بقوله ثم جمع سبحانه من سهل الارض وحزنها وعذبها وسبخها تربة ونحو ذلك ما روي عن رسول الله صلعم انه قال ان الله خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو ادم على قدر الارض فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب واعلم ان جمهور المفسرين على ان الانسان في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو ابونا ادم عم ونقل عن محمد بن علي الباقر ع انه قال قد انقضى قبل ادم الذي هو ابونا الف الف ادم واكثر قال بعض العلماء وهذا لا ينافي حدوث العالم فانه كيف كان لا بد من الانتهاء الى انسان هو اول الناس فاما ان ذلك الانسان هو ابونا ادم فلا طريق الى اثباته الا من جهة السمع **البحث الثالث** اجمع المسلمون على ان سجود الملائكة لادم لم يكن سجود عبادة لان العبادة لغير الله كفر ثم اختلفوا على ثلاثة اقوال **الاول** ان ذلك السجود كان لله وكان ادم كالقبلة وكما يحسن ان يقال سجد لادم كذلك يحسن ان يقال صلى للقبلة بدليل قول حسان بن ثابت

ما كنت احسب ان الامر منصرف ... عن هاشم ثم منها عن ابي حسن
اليس اول من صلى لقبلتكم ... واعرف الناس بالايات والسنن

فقوله صلى لقبلتكم نص على المقصود **الثاني** ان السجود كان لادم تعظيما له وتحية كالسلام

في بيان كيفية خلق آدم

منهم عليه وقد كان الامم السالفة تفعل ذلك كما يحيي المسلمون بعضهم بعضا وعن صهيب ان معاذا رضي الله عنه لما قدم من اليمن سجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا
معاذ ما هذا فقال رأيت اليهود يسجدون لعظمائها وعلمائها ورأيت النصارى تسجد لقسيسيها وبطارقتها فقلت ما هذا فقالوا تحية
الانبياء فقال صلى الله عليه وسلم كذبوا على انبيائهم **الثالث** ان السجود في اصل اللغة عبارة عن الانقياد والخضوع كما قال الشاعر ترى الاكم
فيها سجدا للحوافر اي ان تلك الجبال الصغار كانت مذللة لحوافر الخيل ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان والقول الثاني
هو مقتضى كلام من فسر السجود به فقال والخضوع لتكرمته وبالله التوفيق **البحث الرابع** اختلفوا في الملائكة الذين امروا بالسجود
لآدم فاستعظم بعضهم سجود ملائكة السماء له وقالوا المأمورون بذلك هم الملائكة الذين هبطوا مع ابليس الى الارض قالوا وذلك
ان الله تعالى لما خلق السموات والارض وخلق الملائكة اهبط منهم ملأ الى الارض يسمون بالجن رأسهم ابليس واسكنهم اياها وكانوا اخف
الملائكة عبادة فاعجب ابليس بنفسه وتداخله الكبر فاطلع الله عز وجل على ما انطوى عليه فقال له وللجند اني خالق بشرا من طين
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وقال بعضهم ان المأمورين بالسجود لآدم هم كل الملائكة بدليل قوله تعالى فسجد الملائكة
كلهم اجمعون فاكد جمعهم باكمل وجوه التأكيد **البحث الخامس** اكثر المتكلمين لا سيما المعتزلة على ان ابليس لم يكن من الملائكة وقال
جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس انه كان من ملائكة الارض الذين هبطوا قبل آدم حجة الاولين قوله تعالى الا ابليس كان من الجن والجن
لم يكونوا من الملائكة بدليل قوله تعالى للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون
الجن واحتج من قال انه منهم باستثناء ابليس من الملائكة في غير موضع من القرآن الكريم والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل
وذلك يدل على ان ابليس من الملائكة واجابوا عن حجة الاولين من وجهين احدهما المعارضة بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا وذلك الجعل هو قول قريش الملائكة بنات الله بدليل قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فهذه الآية تدل
على ان الملائكة من الجن الثاني ان كون ابليس من الجن لا ينافي كونه من الملائكة فيصدق عليهم اسم الجن لان الجن مأخوذ من الاجتنان
وهو الاستتار ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن امه والمجنون لاستتار العقل والملائكة مستترون عن الاعين فوجب جواز اطلاق
لفظ الجن عليهم واعلم ان الخلاف لفظي فانه اذا ثبت ان الملائكة الذين هبطوا الى الارض قبل آدم هم المسمون بالجن وابليس من الجن
ثبت ان ابليس من الملائكة وليس النزاع في انه من ملائكة الارض او من ملائكة السماء بل في كونه من الملائكة مطلقا فاذن ليس بينهم
خلاف في المعنى **البحث السادس** اختلفوا في سبب عداوة ابليس لآدم فقال بعضهم انه الحسد وذلك ان ابليس لما رأى ما اكرم الله
به آدم من اسجاد الملائكة له وتعليمه ما لم يطلع عليه الملائكة حسده وعاداه وقال آخرون ان السبب تباين اصليهما ولمنافرة الاصلين
اثر قوي في منافرة الفرعين قالوا وتباين اصليهما هو منشأ القياس الفاسد من ابليس حين امر بالسجود وذلك قوله انا خير منه خلقتني
من نار وخلقته من طين وكأنه بخطابه يقول ان آدم جسماني كثيف وانا روحاني لطيف والجسماني ادون حالا من الروحاني والادون
كيف يليق ان يكون مسجودا للاعلى وايضا فان اصل آدم من صلصال من حمأ مسنون والصلصال في غاية الدناءة واصلي من اشرف
العناصر واذا كان اصلي خيرا من اصله وجب ان اكون خيرا منه واشرف والاشرف يقبح ان يؤمر بالسجود للادون قالوا فكان ذلك قياسا
منه فاول من قاس هو ابليس فاجابه الله تعالى جوابا على سبيل التنبيه دون التصريح اخرج منها مذؤما مدحورا قال بعض الفضلاء وتقريره
ان الذي قاله تعالى نص بحكم الحكمة الالهية والقدرة الربانية والذي قاله ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس كان مرجوما ملعونا
البحث السابع احتج الاشعرية على انه تعالى قد يريد خلق الكفر في الكافر من هذه القصة بوجهين احدهما انه تعالى انظر ابليس مع
انه يعلم انه انما قصده اغواء بني آدم ولو اهلكه لاستراحوا وعدم الشر الحاصل منه ومن ذريته الثاني قال فبما اغويتني فنسب الاغواء الى الله تعالى
مع انه لم ينكر عليه هذا الكلام وهذا صريح في انه تعالى يفعل الاغواء واجابت المعتزلة عن الاول بان الله تعالى خلق آدم وذريته قادرين على دفع ابليس
عن انفسهم فهم الذين اختاروا الكفر والفساد فقصاراها في الباب ان يقال ان الاحتراز عن القبيح حال عدم ابليس اسهل منه حال وجوده الا ان على هذا
التقدير يصير وسوسته سببا لزيادة المشقة في اداء الطاعات فيزداد المكلف بسببها ثوابا كما قال عليه السلام افضل الاعمال احمزها اي اشقها وذلك
لا يمنع الحكيم من فعله كما ان انزال المشاق والآلام وانزال المتشابهات صار سببا لزيادة الشبهات ومع ذلك لم يمتنع فعلها من الله تعالى وهذا
الوجه قريب من قول الفلاسفة اما السلبية وعن الثاني ان المراد من قوله بما اغويتني اي بما خيبتني من رحمتك وقيل معنى اضافة غوايته الى الله تعالى
ان الله تعالى لما امره بالسجود لآدم عصى وغوى فكان الباري هو الاصل في حصول الاغواء له فلذلك نسبه اليه واحتج من جوز الخطأ على الانبياء
من هذه القصة بقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى واجاب من اوجب عصمتهم من حين الولادة بانه لما دل الدليل على وجوب عصمتهم وجب صرف هذا
اللفظ ونحوه على ترك الاولى وهو في حقهم سيئة ومعصية وان كان في حق غيرهم حسنة كما قال حسنات الابرار سيئات المقربين ومن
اوجب عصمتهم من حين الرسالة فله ان يحمل هذه المعصية على ما قبل الرسالة والمسألة مستقصاة في الكلام **البحث الثامن** قال
القفال الاصل التلقي في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وقوله ولقاه كلمة رحمة هو التعرض للقادم وضع في موضع الاستقبال المسيء

في بيان كيفية خلق آدم

والنجاة ثم وضع موضع القبول والاخذ قال الله تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اي تلقنه ويقال تلقينا الحاج اي استقبلناهم وتلقيت
هذه الكلمة من فلان اي اخذتها منه ولما كان هذا اصل الكلمة وكان من تلقى رجلا فتلاقيا لقي كل واحد منهما صاحبه واضيف بالاجتماع
اليهما معا صلح ان يشتركا في الوصف بذلك فكل ما تلقيته فقد تلقاك فجاز ان تلقى آدم من ربه كلمات اي اخذها ووعاها واستقبلها
بالقبول وتلقاه الله اياها اي ارسلها اليه وواجهه بها ثم ذكر المفسرين في تلك الكلمات اقوالا الاول روى سعيد بن جبير عن ابن عباس
ان آدم ثم قال يا رب الم تخلقني بيدك بلا واسطة قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ان
تبت واصلحت اترجعني الى الجنة قال نعم وهو قوله ثم فتلقى آدم من ربه كلمات الثاني قال النخعي اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات التي
تلقاها آدم من ربه قال علم الله آدم وحواء امر الحج والكلمات التي يقال فيه فحجا فلما فرغا اوحى الله تعالى اليهما اني قد قبلت توبتكما الثالث
قال مجاهد وقتادة وفي احدى الروايتين عنهما هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين الرابع قال
سعيد بن جبير انها قوله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين لا اله الا انت سبحانك
وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك ارحم الراحمين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي انك
انت التواب الرحيم الخامس قول عائشة لما اراد الله تعالى ان يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى ركعتين
استقبل القبلة وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي
اللهم اني اسئلك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي ورضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى اليه
يا آدم قد غفرت لك ذنبك ولن يأتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل ما دعوتني به الا غفرت ذنوبه وكشفت همومه ونزعت
الفقر من بين عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها البحث التاسع في حقيقة التوبة قال الامام الغزالي ره التوبة عبارة
عن معنى مركب من ثلثة امور مترتبة علم ثم حال ثم ترك اما العلم فان يعلم العبد ضرر الذنوب وكونه حجابا بينه وبين الله تعالى ومانعا يمنعه
من دخول الجنة فاذا علم ذلك بيقين غالب على قلبه فان ذلك يوجب له تألما نفسانيا بسبب فوات الخير العظيم المطلوب لكل عاقل
فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ومطلوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب وجب له القصد الى مزيله فهو ترك الذنوب التي
كان ملابسا لها اولا والثاني الثاني العزم على ترك الذنب المفوت لمطلوبه في المستقبل الى آخر العمر فهذه حقيقتها وينشأ من ذلك تلافي ما
فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر فالعلم هو الاصل في اظهار هذه الخيرات فان القلب اذا ايقن بان الذنوب كالسموم المهلكة و
الحجب الحائلة بينه وبين محبوبه فلا بد ان يتم نور ذلك اليقين فتشتعل فيه نيران الندم فيتألم به القلب ثم ينبعث من ذلك الثالث طلب
الانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلثة معان مترتبة يقال يطلق اسم
التوبة على مجموعها وربما اطلق اسم التوبة على الندم وحده ويجعل العلم كالباعث والترك كالثمرة المتاخرة ولهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة
اذ الندم مستلزم لعلم اوجبه ولعزم يتبعه واما وجوبها فمن وجهين احدهما ان التوبة مرضاة للرحمن مسخطة للشيطان مفتحة لابواب الجنان معدة
لاشراق شموس المعارف الالهية على الواح النفوس مستلزمة للمواهب الربانية من الملك القدوس الثاني الاوامر الواردة بها في القرآن
الكريم يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا والوعد المترتب على فعلها عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الانهار والوعيد المرتب على تركها ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ونحوه مما يدل على وجوبها فاما قبولها فمن وجهين احدهما قوله تعالى وهو
الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات وقوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب الثاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افرح بتوبة من العبد المذنب
والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو عملتم الخطايا الى السماء ثم ندمتم عليها لتاب الله عليكم البحث العاشر
فيما عساه يبقى من المقاصد الكلية المشكلة في هذه القصة الاول الوديعة والوصية التي استودعها الله سبحانه من الملائكة في
قوله واسنادي الله سبحانه من الملائكة وودعتها لديهم الى قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فكان تعريضا لهم بعد نقل
اليهم هذا القول وارضاهم بقضائنا ثم استأناه منهم بما ذكره ثم في قوله ثم اسجدوا لآدم الثاني قوله فاغراه ابليس فالاغراء طلب الغرة
من آدم والتماسها منه بالوسوسة التي القاها اليه كما سنبين معنى الوسوسة ان شاء الله الثالث قوله دار المقام هي جنة الخلد ومرافقة الابرار
اشارة الى مصاحبة الملائكة في مقعد صدق عند مليك مقتدر الرابع قوله فباع اليقين بشكه للشارحين فيه اقوال احدها
ان معيشة آدم كانت في الجنة على حال يعلمها يقينا وما كان يعلم كيف معاشه في الدنيا اذا انتقل اليها ولا حاله بعد مفارقة الجنة
ثم ان ابليس شككه في صدق مقالته لكمالها انكما صحيحين فنسي ما كان عنده يقينا مما هو فيه من الخير الدائم وتسلط ببعض ابليس فكانه
باع اليقين بالشك بمتابعته وهي استعارة حسنة على سبيل الكناية عن استبدال آدم الشك عن اليقين الثاني قالوا لما اخبره الله
تعالى عن عداوة ابليس لم يتيقن ذلك فلما وسوس له ابليس شك في نصحه فكانه باع يقينه بعداوته بالشك في ذلك الثالث قول من فسره
ان آدم ثم ان ذلك مثل قديم للعرب لمن عمل عملا لا يفيده وترك ما ينبغي له ان يفعله تمثل به امير المؤمنين ههنا ولم يرد ان آدم شك في امر الله تعالى

الطلوع

قوله **الرابع** والعزم يعني فيه قال ابن عباس في قوله تعالى ولم نجد له عزما اي لم نجد له حفظا لما امر الله به وقال قتادة صبرا وقال الضحاك صريمة امر حاصل هذه الاقوال يعود الى انه لم يكن له قوة على الحفظ وامر الله فكانه راجع العزم الذي كان ينبغي له وان القوة التي كان ينبغي ان يحفظ بها عن متابعة ابليس بالضعف والوهن عن تحمل ما امر الله به **الخامس** قوله دار البلية هي دار الدنيا انها كانت دار المحنة والابتلاء بمقاساة ابليس ومجاهدته وسجن الصالحين كما قال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر واعلم ان في ذكر هذه القصة تحذيرا عظيما عن المعاصي وذلك من وجوه **احدها** ان من تصور ما جرى على آدم بسبب اقدامه على هذه الزلة كان على وجل شديد من المعاصي قال الشاعر يا ناظرا نورا بعيني راقد ومشاهدا للامر غير مشاهد تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي درك الجنان ونيل فوز العابد انسيت ان الله اخرج آدما منها الى الدنيا بذنب واحد وعن فتح الموصلي انه قال كنا قوما من اهل الجنة فسبانا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التي اخرجنا منها **وثانيها** التحذير عن الاستكبار والحسد والحرص عن قتادة في قوله تعالى ابى واستكبر قال حسد عدو الله ابليس آدم على ما اعطاه الله من الكرامة فقال انا ناري وهذا طيني ثم القى الحرص والحسد في قلب ابن آدم حتى حمله على ارتكاب المنهي عنه **وثالثها** انه تعالى بين العداوة الشديدة بين ذرية آدم وابليس وهذا تنبيه عظيم على وجوب الحذر والله التوفيق

الطريق الثاني واعلم ان من الناس من سلك التاويل في هذه القصة وقبل بيان تاويلها ذكروا مقدمات **المقدمة الاولى** في الاشارة الى الاجزاء التركيبية الخارجية للانسان وكيفية تركيبها قالوا ان العناصر الاربعة اجسام بسيطة وهي اجزاء اولية لبدن الانسان فمنها اثنان خفيفان وهما النار والهواء واثنان ثقيلان وهما الارض والماء قالوا والموضع الطبيعي للارض هو وسط الكل وهي باردة يابسة في طبعها ووجودها في الكائنات مفيد للاستمساك والثبات وحفظ الشكل والهيئة والموضع الطبيعي للماء هو ان يكون شاملا للارض وثقله اضافي وطبعه بارد رطب ووجوده في الكائنات لتسهل الهيئات التي يراد تكوينها من التشكيل والتخطيط والتعديل فان الرطب وان كان سهل الترك للهيئات الشكلية فانه سهل القبول لها كما ان اليابس عسر القبول للهيئات الشكلية عسر الترك لها ومهما تخمر اليابس بالرطب استفاد اليابس منه قبول التعديل والتشكيل بسهولة واستفاد الرطب من اليابس حفظ ما حدث فيه من التعديل بقوة فاجتمع اليابس بالرطب عن تشتته واستمسك الرطب باليابس عن سيلانه والموضع الطبيعي للهواء فوق الماء وتحت النار وخفته اضافية وطبعه حار رطب ووجوده في الكائنات ليتخلخل ويلطف ويتصعد والموضع الطبيعي للنار فوق الاجرام العنصرية كلها ومكانها الطبيعي هو مقعر فلك القمر وخفتها مطلقة وطبيعتها حارة يابسة ووجودها في الكائنات ليصلح المركبات ويجري فيها الجوهر الحيواني وليكسر من برد العنصرين الثقيلين يردهما عن العنصرية الى المزاجية والثقيلان انفع في تكون الاعضاء وفي سكونها والخفيفان انفع في كون الارواح وتحريكها وتحريك الاعضاء ثم قالوا والمزاج كيفية تحدث من تفاعل الكيفيات المتضادة في هذه العناصر اذا تفاعلت بقواها بعضها في بعض فانكسر سورة كل واحد منها بالاخر حدث عنها كيفية متشابهة في جميعها هي المزاج والقوى الاولية في تلك الاركان اربع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهي التي يكون عنها المزاجات في الاجسام الكائنة الفاسدة ثم ان واهب الوجود اعطى كل حيوان وكل عضو من المزاج ما هو اليق به واصلح لافعاله بحسب احتمال الامكان له واعطى الانسان اعدل الامزجة الممكنة في هذا العالم مع مناسبة لقواه التي بها يفعل وينفعل واعطى كل عضو ما يليق به من افعاله فجعل بعض الاعضاء احر وبعضها ابرد وبعضها ارطب وبعضها ايبس ثم امدها بالاخلاط وهي اجسام رطبة سيالة يستحيل اليها الغذاء اولا وهي محصورة في اربعة اجناس احدها الدم وهو افضلها والثاني البلغم والثالث الصفراء والرابع السوداء ثم قسم الاعضاء الى عظام وغضاريف واعصاب واوتار وجعل اول الاعضاء المتشابهة الاجزاء العظم وخلق صلبا لانه اساس البدن وعامة الحركات ثم الغضروف وهو الين من العظم وفائدته ان يحسن به اتصال العظام بالاعضاء اللينة فلا يتاذى اللين بالصلب عند الضغطة والضربة بل متوسط بينهما ما يناسب كلا منهما وليحسن به تجاوز المفاصل المتحاكة فلا تتراض لصلابتها ثم العصب وهي اجسام تنبت من الدماغ والنخاع بيض لدنة في الانعطاف صلبة في الانفصال وفائدتها ان تتم بها للاعضاء الاحساس والحركة ثم الاوتار وهي اجسام تنبت من اطراف العضل شبيهة بالعصب تلاقي الاعضاء المتحركة فتجذبها تارة وتبسطها اخرى بحسب انبساط العضلة وانقباضها ثم الرباطات وهي ايضا اجسام شبيهة بالعصب احكمها [illegible] وهي رباط بعض الاعضاء الى بعض واستمساكها وليس لشيء منها حس لئلا يتاذى بكثرة ما يلزمه من الحركة والحك ثم الشريانات وهي اجسام نابتة من القلب ممتدة مجوفة طولا عصبانية رباطية الجوهر لها حركات منبسطة ومنقبضة خلقت لترويح القلب ونفض البخار الدخاني عنه ولتوزيع الروح الى اعضاء البدن ثم الاوردة وهي تشبه الشريانات ونباتها من الكبد وفائدتها توزيع الدم على اعضاء البدن ثم الاغشية وهي اجسام منتسجة من ليف عصباني غير محسوس رقيقة مستعرضة تغشي سطوح اجسام اخرى ولها فوائد منها ان يحفظ جملتها على شكلها وهيئتها ومنها ان تعلقها على اعضاء اخرى وتربطها بواسطة العصب ومنها ان يكون للاعضاء العديمة الحس في جواهرها سطح حساس بالذات لما تلاقيه وبالعرض لما يحدث في الجسم الملفوف فيه كالرئة والطحال والكبد والكليتين فانها

والماء

في بيان كيفية خلق آدم

بجواهرها وانما يحس

لا يحس بالامور المضادة لها الا عشية التي عليها بالذات ويحس ايضا بالعرض ما يحدث فيها مثلا الروح المتمدد الذي يحدث فيها ثم الكم وهو
حسو حلل نفع الاعضاء في البدن فصل البدن مشتملا على ثلثة ضروب من الاعضاء احدها الات الغذاء وهي المعدة والكبد
وحبادلها كالعروق والطرق اليها كالفم والمري ونحوها كالامعاء والثاني الات الحرارة الغريزية وحفظها وهي القلب والراس والرئة
والصدر وسائر الالات النفس والثالث الات الحس والحركة والافعال العقلية وهي الدماغ والنخاع والعصب والاوتار ونحوها
مما يحتاج اليه في المعونة على تمام فعل العقل ثم لما كان من ضرورة البدن ان يقع فيه افعال مختلفة وجب في الحكمة ان يكون هناك
استعداد لقوى متعددة هي مبادي تلك الافعال احدها النفس الطبيعية ويخصها قوى منها مخدومة ومنها خادمة اما المخدومة
فجنسان احدهما يتصرف في الغذاء وتحته نوعان احدهما القوة المسماة بالغاذية وغايتها ان تغذو الشخص مدة بقائه باحالة
الغذاء الى مشابهة المغتذي ليخلف بدل ما يتحلل والثاني القوة المسماة بالنامية وغايتها ان تزيد في اقطار البدن على التناسب
الطبيعي الى تمام نشوه والجنس الثاني يتصرف في الغذاء لبقاء النوع وتحته نوعان احدهما القوة المسماة بالمولدة وهي المتصرفة
في امر التناسل لتفصل من امشاج البدن جوهر المني والثاني القوة المسماة بالمصورة وهي التي تفيد المني بعد استحالته في الرحم
الصور والقوى والاعراض الحاصلة للنوع الذي انفصل عنه المني واما الخادمة الصرفة في القوى الطبيعية فهي خوادم القوة الغاذية
وهي اربع احدها الجاذبة وخلقت لتجذب النافع الى محالها وهي موجودة في المعدة والمري والكبد والرحم وسائر الاعضاء والثانية
الماسكة وخلقت لتمسك المنافع ريثما يتصرف فيه القوى المغيرة والمحيلة والثالثة الهاضمة وهي التي تحيل ما امسكته الماسكة
الى قوام مهيئ لفعل القوة المغيرة فيه والى مزاج صالح للاستحالة الى الغذائية بالفعل والرابع الدافعة وهي التي تدفع الفاضل
من الغذاء الذي لا يصلح للاغتذاء او يفضل على الكافي او يستغنى عنه بعد الفراغ من استعماله كالبول ولهذه الاربع ايضا
خوادم اربع اعني الكيفيات الاربع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة على تفصيل يعلم في مظانه **الثاني** النفس الحيوانية
ويختص بها نوعان محركة ومدركة والمحركة اما باعثة او فاعلة والباعثة هي القوة النزوعية المنبعثة عن المدركات كالوهم والخيال
او النفس فيحمل الادراك لها على البعث الى طلب وهرب بحسب النوازع ولها شعبتان شهوانية وهي الباعثة على التحريك الى جذب
اشياء ضرورية او نافعة نفعا ما طلبا للذة وغضبية وهي الحاملة على دفع وهرب عما يولم طلبا للغلبة وتخدمها القوة المسماة
بالقدرة وهي قوة تنبعث في الاعصاب والعضل من شانها ان تشنج العضلات بجذب الاوتار والرباطات وارخائهما والقوى
المدركة قسمان ظاهرة وباطنة اما الظاهرة فالحواس الخمس احدها اللمس وهو قوة منبثة في جلد البدن كله تدرك ما تماسه
وتؤثر فيه بالمضادة كالكيفيات الاربع وغيرها وثانيها الذوق وهو قوة مرتبة في العصبة المفروشة على سطح اللسان بها تدرك
الطعوم من الاجرام المماسة المخالطة للرطوبة العذبة التي في الفم وثالثها الشم وهي قوة مرتبة في زائدتي مقدم الدماغ الشبيهتين
بحلمتي الثدي بها تدرك الروائح بتوسط الهواء المنفصل عن ذي الرائحة ورابعها السمع وهي قوة في العصبة المفروشة في باطن
الصماخ بها تدرك الاصوات والحروف بواسطة الهواء وخامسها البصر وهي قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين تدرك ما ينطبع
في الرطوبة الجليدية من الصور بتوسط جرم شفاف واما الباطنة من القوى فهي ايضا خمس وهي اما مدركة فقط اما للصور الجزئية
وهو القوة المسماة حسا مشتركا المرتبة في التجويف الاول من الدماغ عندها تجتمع صور المحسوسات ثم القوة المصورة خيالا وهي
خزانة الحس المشترك مودعة في اخر التجويف المقدم من الدماغ تجتمع فيها مثل المحسوسات وتبقى فيها بعد الغيبة عن الحواس واما
مدركة للمعاني الجزئية وهي اما الوهم وهي قوة مرتبة في التجويف الاوسط من الدماغ تدرك المعاني الجزئية الغير الموجودة في
المحسوسات كادراك الشاة معنى في الذئب يوجب لها الهرب واما الحافظة وهي قوة مرتبة في التجويف الاخير من الدماغ تحفظ
الاحكام الجزئية المدركة للوهم وهي خزانة له واما مدركة ومتصرفة وهي القوة المسماة متخيلة باعتبار استعمال الوهم لها ومفكرة باعتبار
استعمال العقل لها ومحلها مقدم البطن الاوسط من الدماغ من شانها التركيب والتفصيل لبعض الصور ببعض وعن بعض وكذا
المعاني وهي المحاكية للمدركات والهيئات المزاجية والحكمة الالهية اقتضت ان تكون متوسطة بين مقتضى الصور الجرمانية
المعاني الروحانية متصرفة في خزائنها بالحكم والاستخراج للامثال المحاكية من الجانبين ثم ان لكل واحد من هذه الالات نوع
يختص به وهو جرم حار لطيف متكون عن لطافة الاخلاط على نسبة محدودة وهو حامل للقوى المذكورة وعنها **الثالث**
النفس الناطقة ونسبتها الى هذا البدن نسبة الملك الى المدينة والبدن وجميع اجزائه وقواه المذكورة الان لها ورسمها انها
جوهر مجرد يتعلق بالابدان تعلق التدبير وهي المشار اليها بقوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وبقوله الارواح
جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ولهذا الجوهر قوتان يختص بهما نظرية وعملية وقد سبقت الاشارة
اليها في مقدمة الكتاب وتحقيق الكلام في هذا الجوهر والبرهان على وجوده وتجرده وكمالاته من العلوم والاخلاق مستقصى في

والعقل

المحسوسة

والمعاني بالصورة م

في بيان كيفية خلق آدم

مطالبه وبالله التوفيق **المقصد الثاني** قد علمت ان الملك عندهم اسم مشترك يقع على حقايق مختلفة فاما اطلاق الجن فهو وان صدق
في اصل اللغة على كل الملائكة لكونه ماخوذا من الاجتنان وهو الاستتار وكون الملائكة مستترين على الآدميين فانهم يخصون في عرفهم
هذا اللفظ بالارواح التي تخص عالم العناصر فتارة يطلقون عليها انها ملائكة باعتبار كونهم مرسلين من عند الله فاعلين لما امروا به
جارين على نظام العقل وتارة يطلقون عليها انها جن باعتبار الاجتنان وهم جن مسلمون باعتبار موافقة العقل والتصرف على وفق نظام
العالم ونظامه وكفار وشياطين باعتبار مخالفتها لذلك فاما صدق اسم الجن على النفوس الناطقة الانسانية فقد تعتبر من
جهة اخرى وهي كونها عالمة متزينة بنور العلم من حيث لا ترى فهي مجتنة محجوبة عن ابصار الجاهلين ثم هي اما ان تكون عالمة او جاهلة وعلى
اقسام الجن
التقديرين فاما ان يكون موافقة لظواهر الشريعة منقادة لها متمسكة بها او ليس كذلك فهذه اقسام اربعة اولها النفوس العالمة
العاملة بمقتضى الشريعة وهذه طائفة الجن المسلمون والمؤمنون قالوا وهم الذين امر الله نبيه بالاخبار عنهم في قوله تعالى
قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به الى اخر الايات قالوا ومما يبين ذلك ان
السماء التي اخبر الجن عنها انهم لمسوها هي سماء الحكمة وهي الشريعة التي استرشدوا بها قالوا ولمسهم لها عبارة عن اعتبارهم امر الشريعة
في مبدا ظهورها هل يمكنهم معها اظهار الحكمة وتمكنهم اخذها واعطاؤها بالتعلم والتعليم كما كان يفعل قبل ذلك
ام لا وقولهم فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا اشارة الى حفظة الشريعة وهم علماء الشريعة والملوك الصالحون الذابون
لناموس الشريعة وقوانينها وقولهم وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع اشارة الى انهم كانوا قبل ظهور الشرايع يتدارسون الحكمة
ويتعلمونها ولم يكن عليهم انكار وقولهم فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اشارة الى ان المظهر للحكمة بعد وجود الشريعة
التارك لظواهر ما جاءت به الانبياء يجد من حرسة الدين وحفظته شهابا يحرقه ويوذيه **وثانيها** النفوس العالمة المخالفة
للشريعة والنواميس الالهية المتابعة لقواها في مقتضى طباعها وهؤلاء هم من شياطين الجن ومردتها **وثالثها** النفوس
الجاهلة الا انها متمسكة بظواهر الشريعة منقادة لها وهؤلاء هم المسلمون من الانس **ورابعها** النفوس الجاهلة التاركة للشريعة
والعمل بها التابعة لمقتضى الطبيعة وهؤلاء هم شياطين الانس قالوا وبهذا البيان لا يبقى بين قول الله سبحانه الا ابليس كان من
الجن وبين استثنائه من الملائكة المقتضي لدخوله فيهم وكونه منهم فرق بل هو من الملائكة باعتبار ومن الجن باعتبار ومن الشياطين
باعتبار والشيطان قد يكون ملكا في اصله ثم ينتقل الى الشيطانية باعتبار مفسدة عن امر ربه وكل الجنى والله اعلم **المقصد**
الثالث قالوا كل ما يتوالد فلا يستحيل في اصله ان يكون متولدا ثم ضربوا لذلك امثلة فقالوا ان العقرب تتولد من الباذروج
ولباب الخبز والنحل من العجل الحر المكيس عظامه والفار من المدر والطين ونحو ذلك ثم يتوالد من هذا المتولد اشخاص اخرى
ويبقى نوعه متوالدا فلا مانع اذن ان يكون الانسان في اول خلقه كذلك يحدث شخص من نوعه ويتكون من التراب ثم يحصل
ما بعده من نوعه عنه بالتوالد اذا عرفت ذلك فاعلم ان لفظ آدم اذا اطلق في عباراتهم فتارة يراد به امر جزئي وتارة يراد به امر كلي
اما الجزئي فيراد به اول شخص تكون من هذا النوع وعلى ذلك يحملون قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
ويحملون قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة وما في معناه على ما توالد منه وقد يريدون به اول شخص استخلف في الارض
وامر بنشر الحكمة وناموس الشريعة واما الكلي فتارة يراد بآدم مطلق نوع الانسان وعلى ذلك كله قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من
قبل فنسي وقد يراد به صنف الانبياء والدعاة الى الله كما نقل عن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله كل نبي فهو آدم وقته وقوله صلى الله عليه وآله انا وانت يا علي
الآدم
ابوا هذه الامة ويمكن ان يكون قول الباقر محمد بن علي عليهما السلام قد انقضى قبل آدم الذي هو ابونا الف الف آدم واكثر على هذا المعنى اذا
ثبت هذا فنقول ان لكل آدم بالمعاني المذكورة ملائكة تخصه وهي مأمورة بالسجود له والمنع من مقابلته ومعارضته اما آدم بالمعنى
الاول والثاني فملائكته المأمورون بالسجود له هي قواه البدنية ونفوس اهل زمانه المأمورين باتباعه المستمعين لقوله وساير
القوى في اقطار هذا العالم فانها باسرها ملائكة مأمورة بالخضوع له والسعي في مهماته وحوائجه متى بدر والمعونة له على ذلك
واما ابليس المعارض له فالقوة الوهمية منها المعارضة لمقتضى عقله العملي الساعية في الارض فسادا والنفوس المتمردة عن قبول الحق
الذين
التابع لقوله الخارجة عن طاعته وهم شياطين الانس والجن الذي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وكذلك ملائكة آدم بمعنى ابليس آدم هو
صنف الانبياء والدعاة الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة واما آدم الذي هو نوع الانسان فكل الملائكة الذين ذكرناهم في هذا العالم
هم المأمورون بالسجود له وابليس كل شخص من هذا النوع هو وهمه المعارض لعقله وجنوده ما تحته من القوى الشهوية والغضبية وغيرهما
اذا عرفت هذه المقدمات فلنرجع الى المتن فنقول الاولى ان تحمل آدم فيما ذكره عليه السلام ههنا من هذه القصة على مطلق النوع الانساني
فقوله ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت اشارة الى
اصل امتزاج العناصر وانما خص هذين العنصرين وهما الارض والماء دون الباقيين لانهما الاصل في تكون الاعضاء المشاهدة التي

في بيان كيفية خلق آدم

ثم دور عليها صورة الانسان المحشو قوله حتى خلصت وصفت للتربية اشارة الى بلوغها في الاستعداد الغاية التي معها تفاض صورة ما تكون
منها او قوله بل فيها صورة ذات احناء وفصول واعضاء وفصول اشارة الى خلق الصورة الانسانية وافاضتها بكمال اعضائها و
مفاصلها وما تقوم به صورة وقوله منها الضمير راجع الى التربة وفيه تسامح من ظاهر اللفظ ان الصورة الانسانية هي المفاضة على كل استعداد
التربة من غير واسطة انتقالات اخر في اطوار الخلقة وانما يتم ذلك اذا حملنا آدم على اول شخص يكون من هذا النوع فاما اذا حملنا
على مطلق النوع كان المراد انه جبل منها الصورة الانسانية بوسائط من صور ترتيب في اطوار الخلقة كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فالصورة الانسانية جبلت من النطفة المتولدة من فضل الهضم الرابع المتولد من الاغذية
وهي اما حيوانية او نباتية والحيوانية تنتهي الى النباتية والنباتية انما تتولد من صفو الارض والماء وهي التربة المستعدة للنبات وليس
في ذلك مخالفة للنقل فان تلك التربة بعد ان توارد عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت مستعدة لان جبلت منها الصورة الانسانية
جبلت منها وقوله اجمدها حتى استمسكت واصلدها حتى صلصلت الضمير في الجملتين راجع الى الصورة والمراد بتلك التي جبلت منها من الاعضاء
فالاجماد لغاية الاستمساك راجع الى بعضها كاللحم والاعصاب والعروق واشباهها والاصلاد لغاية الصلصلة راجع الى بعض آخر كالعظام والاسنان
واسناد ذلك الى المدبر الحكيم سبحانه لانه العلة الاولى وان كان هناك لهذه الآثار اسباب قريبة طبيعية كالحرارة الغريزية فانها المستعدة
لتحريك المواد ويتبعها البرد ليسكن عند الكمال التي من تخلق وكالرطوبة فانها هي التي تتخلق وتتشكل ويتبعها اليبوسة لحفظ الاشكال و
افادة التماسك وقوله لوقت معدود واجل معلوم يحتمل ان يراد به ان لكل مرتبة من مراتب تركيبه بدنا لا انها وانتقاله في ادوار الخلقة
وما معه وما يقع فيه واجلا معلوما ثم به ويحتمل ان يراد بالوقت المعدود والاجل المعلوم الوقت الذي يعلم الله سبحانه انحلال هذا
التركيب فيه كما قال تعالى وما نؤخره الا لاجل معدود وقوله ثم نفخ فيها من روحه اقول الضمير المؤنث راجع الى الصورة وقد جعلت
هذه الاشارة جارية في القرآن الكريم كما قال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين والمراد بالتسوية افاضة تمام اعداد البدن
وتهيئته لقبول النفس والمراد بالنفخ هيهنا هو افاضة النفس عليه عند كمال ذلك الاستعداد واستعمال النفخ فيها استعارة حسنة فان
النفخ له صورة وهو اخراج الهواء من فم النافخ الى المنفوخ فيه ليشتعل فيه النار ولما كانت حقيقة النفخ ممتنعة في حق الله تعالى وجب العدل
الى حمل لفظه على ما يشبهه ولما كان اشتعال نور النفس في فتيلة البدن عن الجود الالهي المعطي لكل قابل ما يستحقه يشبه بحسب محاكاة خيالنا
الضعيف ما نشاهده من اشتعال النار في المحل القابل لها عن صورة النفخ لاجرم حسن التعبير والتجوز بلفظ النفخ عن افاضة الجود الالهي
النفس على البدن لمكان المشابهة المذكورة وان كان الامر اجل مما عندنا واعلى وانما نسبة الروح الى الله فاعلم ان الروح يحتمل ان يراد به احد ثلاثة
معان الاول جبرئيل ع وهو روح الله الامين ونسبته اليه ظاهرة ولما نسبة النفخ الى الله فلكونه العلة الاولى وجبرئيل واسطة جعله
الله تعالى مبدأ في هذا اللفظ لنفخ النفس في صورة آدم منه الثاني جود الله وفيضه وفيض الصادر على آدم وغيره وانما كان ذلك روح لانه
مبدأ كل حياة فهو الروح الكلية التي بها قوام كل موجود ونسبته اليه ظاهرة ويكون من هيهنا للتبعيض الثالث ان يراد بالروح النفس الانسانية
ويكون من زائدة وانما نسب اليه دون سائر مصنوعاته للطيفة لما علمت ان الكلام منزه عن الجهة والمكان وفي قوته العلم بجميع الاشياء والاطلاع
عليها وفيه مضاهاة ومناسبة بوجه ما مع العلة الاولى ليست حاصلة لاعداد الجوهر مما هو جسم او جسماني فلذلك شرفها بالاضافة اليه
وقوله فتمثلت انسانا اشارة الى الصورة الجبلة وفيه لطيفة وهي انها انما كانت انسانا بنفخ الروح فيها ولذلك رتب وصيرورتها
انسانا بالفاء على نفخ الروح فيها وقوله ذا اذهان يجيلها اشارة الى ما للانسان من القوى الباطنة المدركة والمتصرفة ومعنى اجالتها
تحريكها وبعثها في انتزاع الصور الجزئية كالحس المشترك والمعاني الجزئية كالوهم وقوله وفكر يتصرف بها اشارة الى القوة المفكرة في
احاد النوع الانساني وتصرفها في تفتيش الخزانتين وتركيب بعض مودوعاتها ببعض وتحليلها وقوله وجوارح يختدمها اشارة الى
الخادمة الاعضاء التي بينا انها كلها خادمة للنفس والادوات التي تقلبها من ذلك يشبه ان يخص بالايدي كقوله تعالى فاصبح يقلب كفيه على
ما انفق فيها ويمكن ان يكون اعم من ذلك كالبصر والقلب كقوله ع يا مقلب القلوب والابصار فيصدق عليها اسم التقليب وقوله
ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل اشارة الى استعداد النفس لادراك المعقولات الثانية المسمى عقلا بالملكة بحسب ما لها من العلوم
الاولى اعني البديهيات فان الحق والباطل امور كلية وليس للقوى البدنية ادراك الامور الكلية ويحتمل ان يشير بالمعرفة الى
القوة الاستعدادية الاولى للانسان المسماة عقلا هيولانيا وقوله والاذواق والمشام والالوان والاجناس نبه بها هنا
على ثلاثة امور احدها ان الآلات التي بها يدرك المذوقات واخرى بها يدرك المشمومات واخرى بها يدرك الالوان وقد بينا
ذلك الثاني تنبيه على ان المقصود بدرك الجزئيات بواسطة هذه القوى انما هو ما يتصرف فيها النفس وتعرف بينه وبين
غيره الثالث التنبيه على الاجناس ونبهنا على ان النفس تنتزع الامور الكلية من تصفح الجزئيات فان الاجناس امور كلية والنفس
بعد ادراك الجزئيات وتصفحها تنتبه لمشاركات بينها ومباينات فتنتزع منها تصورات كلية وتصديقات كلية وكان ذلك

الروح

في بيان كيفية خلق آدم

بالاجناس ههنا الامور الكلية مطلقا لا نفسها كما هو في الاصطلاح المنطقي **قوله** معجونا بطينة الالوان المختلفة النصب على الحال من
قوله انسانا او الصفة له والمراد الاشارة الى ان اختلاف ابدان النوع بعضها من بعض بالالوان بسبب قوة استعداداتها لذلك
كما قال صلى الله عليه وآله فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود كما سبق وطينة الالوان واصلها ومجبنة بها مزجه بها وعجنه واعداده لقبولها
على اختلافها وكذلك الحال في البدن الواحد فان تركيب جملة اجزائه لون واحد فان امتزاج بعض الاعضاء يقتضي ان يكون
ابيض كالعظام والاسنان وبعضها احمر كالدم وبعضها اسود كالحدقة والشعر وكذلك اختلاف الاشخاص في الصفات المكنى
بها عن الاخلاق الواردة في تمام الخبر من قوله والسهل والحزن والخبيث والطيب يرجع الى ان الارض لما كانت اكثر العناصر
شركة في هذه الابدان كان لاختلاف بقاعها اثر تام في تفاوت الامتزاج لقبول الاخلاق بالسهولة والحزونة والخبث و
الطيب **قوله** الاشياء المؤتلفة والاضداد المتعادية والاخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلة والجمود والمساءة والسرور
اما الاشياء المؤتلفة فكالعظام والاسنان واشباهها فانها اجسام متشابهة ائتلف بعضها مع بعض وبها قامت الصورة
البدنية وامتزجت بطينتها واما الاضداد المتعادية فكالكيفيات الاربع التي ذكرها وهي الحرارة والبرودة والرطوبة التي هي البلة
واليبس الذي هو الجمود وعبر عنه بلازمه وهو الجمود على ان الجمود في اللغة هو اليبس بعينه واما الاخلاط المتباينة فهي الاخلاط الاربعة
كما عرفت من الدم والبلغم والصفراء والسوداء واما المساءة والسرور فهما من الكيفيات النفسانية ومهية كل منهما ظاهرة واما
اسبابهما فاعلم ان للسرور سببا جسمانيا معدا وهو كون حامله الذي هو الروح النفساني على كمال احواله في الكمية لان زيادة الجوهر
في الكم يوجب زيادة القوة وفي الكيفية وهي ان يكون معتدلا في اللطافة والغلظ وان يكون شديد الصفا واما السبب الفاعلي له
فالاصل فيه تخيل الكمال كالعلم والقدرة والاحساس بالمحسوسات الملائمة والتمكن من تحصيل المرادات والقهر والاستيلاء
على الغير والخروج عن المولم وتذكر الملذات واما اسباب الغم فمقابلات هذه اما السبب المعد الجسماني فهو اما قلة الروح كما للناقهين
والمنهوكين بالامراض والمشايخ واما غلظه كما للسوداويين وفرط رقة كما للنساء واما الفاعلي فمقابل اسباب السرور وقد يشتد كل منهما بعد
الاسباب المذكورة بتكرره فيصير السرور والغم ملكة ويسمى صاحبهما فرحانا ومحزانا ومقصوده التنبيه على ان طبيعة الانسان فيها قوة قبول
واستعداد لهذه الكيفيات وامثالها فتلك القوة هي المراد بطينة المساءة والسرور والفرق بينهما وبين الاستعداد ان القوة تكون
على الضدين والاستعداد لا يكون الا لاحدهما **قوله** واستادى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم الى قوله
الا ابليس **اقول** لما كان الذي يشير اليه كل انسان بقوله انا هو النفس الناطقة كان ادم عندهم عبارة عن النفس الناطقة ثم قالوا المراد
بالملائكة الذين امروا بالسجود لادم هي القوى البدنية التي امرت بالخضوع والخشوع لتكرمة النفس العاقلة والانقياد تحت حكمها وهولاء
الذي لاجله خلقوا اما عهد الله لديهم ووصيته اليهم فهو المشار اليه بقوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين والخطاب فيه خطاب الحكمة الالهية بالقضاء الازلي قبل الوجود والاستيداء للعهد
وذلك الوصية هو طلب المامور به لا من الانقياد والخضوع من تلك القوى بعد الوجود على السنة الرسل عليهم السلام بالوحي المنزل
قوله فاسجدوا لادم **قوله** فسجدوا اشارة الى القوى المطيعة لنفوسها العاقلة في اشخاص عباد الله الصالحين **قوله** الا ابليس وقبيله
اشارة الى الوهم وساير القوى التابعة له في معارضة العقل في اشخاص الكفار والفاسقين عن اوامر الله سبحانه وقد عرفت ان الوهم رئيس
القوى البدنية فهي اذن عند معارضته للعقل ومتابعتها له جنود ابليس وقبيله واما قوله اعترتهم الحمية وغلبت عليهم الشقوة
وتعززوا بخلق النار واستوهنوا خلق الصلصال فقالوا ان المراد بكون ابليس وجنوده خلقوا من نار ان الارواح الحاملة لهذه القوى
كما عرفت اجسام لطيفة تتكون عن لطافة الاخلاط وهي حارة بحسب ما يليق بها الى الافراط والنارية والهوائية عليها اغلب لتولدها
عنها اسهل وهي الطف اجزاء البدن وكذلك القلب الذي هو منبعها فكانت تلك الارواح كالابدان لهذه القوى فلذلك نسب ابليس الى النار
فقال تعالى حكاية عنه خلقتني من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم اي قدرنا قبل وجوده ان تكون النارية والهوائية
على وجوده اغلب قال بعضهم انما كانت النار الطف العناصر وكانت هذه القوى وارواحها الطف الامور الجسمانية وتكونها عن
الطف الاخلاط كانت نسبتها الى النار اولى من سائر العناصر لمكان المشابهة في اللطافة فجاز ان يطلق على اصله انه نار ولا يبعد انه لما
كان ادم هو النفس الناطقة فما معنى قول ابليس وخلقته من طين لانا نقول كما صدق ان ابليس مخلوق من نار بمعنى ان الغالب على الروح الحامل
له هو عنصر النار كذلك يصدق ادم من طين بمعنى ان الغالب على بدنه الارضية ولكن فان الوهم لا يدرك الا المعاني الجزئية المتعلقة
بالمحسوسات فلا يصدق في حكمه ومعارضته الا فيما كان محسوسا ولما ثبت ان النفس جوهر مجرد لم يكن اعتقاد ابليس ان الانسان شيء غير
هذا البدن المتكون عن الطين اذا ثبت ذلك فنقول اعتزام الحمية والتعزز بالانتساب الى عنصر النار بحسب مجاراته الضاد ومجاذبته
بان يانف الانسان من الاصل الناقص وان يفتخر ويتعزز بالاصل الشريف والانتساب اليه فكان لسان حال ابليس والقوى التابعة له

في بيان كيفية خلق ادم

يقول على جهة الاستنكاف والاستكبار وتحقير البشر خلقته من صلصال من حماء مسنون وانا مخلوق من النار التي هي اشرف العناصر
قالوا ولما علم الله تعالى من حال ابليس لعنه وطرده واخرجه من الجنة وذلك قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة
الى يوم الدين قالوا وذلك لانك علمت ان الجنة تعود الى معارف الحق سبحانه والابتهاج بمطالعة انوار كبريائه ودرجات الجنة
هي المراتب التي ينتقل العقل فيها في مقامات السلوك الى حظائر القدس ومجاورة الملاء الاعلى وعلمت ان حال الوهم قاصر عن
الانتقال على تلك المراتب ظهر طرده ولعنه وتحريم الجنة عليه بمعنى بقائه على تكوينه على الطبيعة التي هو فيها القاصرة عن ادراك العلوم
الكلية التي هي ثمار الجنة وقطوفها والقضاء عليه بذلك قالوا وقد نبه على ذلك قوله رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض
ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اي بما خلقتني على هذه الجبلة لا اهتدي لدخول الجنة ولا امكن منها لاجذبنهم
الى الشهوات وازين لهم اللذات الجاذبة لهم عن عبادتك حتى لا يصعدوا الى الجنة التي لاجلها خلقتهم ولا يلتفتوا اليها الا من عصمته
مني وجعلت له سلطانا على قهري وغلبتي وهم عبادك المخلصون اي النفوس الكاملة المطهرة عن متابعة قواها المسلطة على قهر
شياطينها وقهرها وكذلك قوله قال انظرني الى يوم يبعثون فانه لما كان البعث الاول هو مفارقة النفوس لابدانها وانتقالها الى
عالمها وكانت طبيعة الوهم قاضية بمحبة البقاء في دار الدنيا اذ لا حظ له في غيرها احسن من لسان حاله ان يقول رب انظرني الى يوم
يبعثون و **قوله** فاعطاه الله النظرة لما كان الوهم باقيا في الابدان موجودا الى يوم البعث حسن من لسان الحكمة الالهية ان يقول
انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ومثال معنى اعطائه النظرة و **قوله** استحقاقا للسخطة واستتماما للبلية وانجازا للعدة
فقد عرفت ان البلية نصب على المفعول له ثم ان بقاء الوهم وابتلاء الخلق به والشر الصادر عنه امور داخلة في القضاء الالهي
بالعرض فيصدق عليه انه مراد وان الانظار والامهال له وكذا استحقاق السخطة وانجاز العدة واطلاق لفظ السخطة استعارة فان
السخط لما كان عبارة عن حالة للانسان تستلزم وجود مغضوب عليه عنده وكان حال ابليس في انظار الله تعالى اياه وفسوقه عن امر
ربه مستلزما لاعراض الله سبحانه عنه وعن بعضه بما بعده كان شبيها بنوع مشابهة يحسن لاجلها اطلاق لفظ السخط واما العدة
فتعود الى قضاء الحكمة الالهية ببقاء الوهم الى يوم البعث وانجازها يعود الى موافقة القدر لذلك القضاء وقال بعضهم انه لما كان
ههنا صورة مطرود ومبعد وملعون حسن اطلاق لفظ السخط واستحقاقه واقامتها انظر لاجلها وهو ترشيح للاستعارة
قوله ثم اسكن الله سبحانه ادم دارا ارغد فيها عيشه وآمن فيها محلته وحذره ابليس وعداوته **اقول** الدار التي اسكن فيها
ادم هي الجنة والاشارة ههنا الى ان الانسان من اول زمان افاضة القوة العاقلة عليه الى حين استرجاعها ما دام مراعيا لاوامر
الحق سبحانه غير منحرف عن فطرته الاصلية ولا معرض عن عبادته ولا يلتفت الى غيره فانه في الجنة وان كانت الجنة على مراتب كما قال تعالى
لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار ولذلك قال صلى الله عليه وآله كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه هما اللذان يهودانه
وينصرانه اذ كانت نفسه قبل الجواذب الخارجية عن القبلة الحقيقية غير متدنسة بشيء من الاعتقادات الفاسدة والهيئات الردية
وان كانت المرتبة السامية والغرفة العالية انما تنال بعد المفارقة واستصحاب النفس لكمال زادها واما ارغاد العيش فيعود الى تنعمها
بالمعقولات والمعارف الكلية واما امان المحلة فامان مكانه في الجنة ان يعرض له خوف او حزن ما دام فيها واما تحذيره من ابليس وعداوته
فظاهر من الاوامر الشرعية ولسان الوحي ناطق به كما قال تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك ووجه العداوة كما قلنا فان النفس لما كانت
من عالم المجردات وكان الوهم بطبعه منكرا لهذا القسم من الممكنات كان منكرا لما تامر به النفس من الامور الكلية التي لا حظ له في ادراكها
وذلك من مقتضيات العداوة ولان نظام امر النفس ومصلحتها لا يتم الا بقهر الوهم والقوى البدنية عن مقتضيات طباعها وتمام نظام
القوى لا يحصل الا بانقهار النفس فكانت بينهما مجاذبة طبيعية وعداوة اصلية اذ لا معنى للمعاداة الا المجاذبة لما يتصور كونه موذيا **قوله**
فاغتره ابليس نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار **اقول** يقال ان ادم لما خدعه ابليس وعدله كان قد نهاه عن اكل
شجرة يقال انها شجرة البر واعلمه انه ان اكل منها كان ظالما لنفسه مستحقا لسخط الله عليه وذلك قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين قالوا وتلك الشجرة هي الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وهي غاية الى الشهوات الدنيوية
الفانية واللذات البدنية الخارجة عن الحدود التي امر الله بوقفنا عندها وهو العدول فيها الى طرف الافراط عن وسط القانون العدلي
واما كونها شجرة البر فقالوا لان البر لما كان هو قوام الابدان وعليه الاعتماد في انواع المطعومات والملاذ البدنية حسن ان يعبر به
عنها فيقال هي شجرة البر كناية عن الفرع بالاصل فاما اغترار ابليس له فاعلم ان حقيقة الغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى
ويميل اليه بالطبع عن شبهة وخدعة من ابليس فاغتراره يعود الى استغفال النفس بالوسوسة التي حكاها الله تعالى عنها بقوله فوسوس
لهما الشيطان قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولنبحث عن حقيقة الوسوسة فنقول ان الفعل انما يصدر
عن الانسان بواسطة امور مترتبة ترتيبا طبيعيا اولها تصور كون الفعل ملائما وهو المسمى بالداعي ثم ان ذلك التصور تارة

حقيقة الوسوسة

عليه ميل

في بيان كيفية خلق آدم

عليه ميل النفس الى الفعل المنهي فذلك الميل ارادة مترتب على ذلك الميل حركة القوة النزوعية المحركة للقوة المسماة قدرة
المحركة للعضل الى الفعل اذا عرفت ذلك فنقول صدور الفعل عن مجموع القدرة امر واجب فالجن والشيطان عند تحقق
وجود الميل عن تصور كونه نافعا وخيرا امر لا مدخل له للشيطان ايضا فيه فلم يبق له مدخل الا في القاء ما يتوهم كونه
نافعا او لذيذا الى النفس مما نهاها الله سبحانه عنه فذلك الالقاء في الحقيقة هو الوسوسة وهو عين ما حكى الله سبحانه
عنه بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي اذا عرفت ذلك فاعلم ان مرادنا بغير ابليس يعود الى انفسنا
النفس لجذب الوهم والقوى البدنية التي هي الشياطين عن الوجهة المقصودة والقبلة الحقيقية وهي عبادة الحق سبحانه و
فتنتها لها بتزيين ما حرم الله عليها فاما ما يقال ان ابليس لم يكن له تمكن من دخول الجنة وانما توسل بالحية ودخل فيها
الى الجنة حتى تمكن من الوسوسة لادم واغرائه فقالوا المراد بالحية هي القوة المتخيلة وذلك ان الوهم انما يتمكن من التصرف
وبعث القوى المحركة كالشهوة والغضب التي هي جنوده وشياطينه على طلب الملاذ البدنية والشهوات الحسية الدنية وجذب
النفس اليها بتصوير كونها لذيذة نافعة بواسطة القوة المتخيلة ووجه تشبيهها بالحية ان الحية لما كانت لطيفة سريعة الحركة
تتمكن من الدخول في المنافذ الضيقة وتقدر على التصرف الكثير وهي مع ذلك سبب من اسباب الهلاك بما تحمله من السم و
كانت المتخيلة في سرعة حركتها وقدرتها على التصرف السريع والادراك الطف من سائر القوى وهي الواسطة بين النفس والوهم
وكانت بما اشتملت عليه من تحمل كيد ابليس والقاء الوسوسة بواسطتها الى النفس سببا قويا للهلاك السرمد والعذاب المؤبد
لا جرم كانا شبيهها بما نيط به الحية لما بينهما من المناسبة فحسن اطلاق لفظ الحية عليها **قوله** تنافسه عليه ترشيح للاستعارة
لانه لما كان جذب الوهم للنفس الى الجنة لشأنها لازما لها من الكرامة بدار المقامة ومستتبعا لها عن منصرفها ففقد الملأ الاعلى وكان
ذلك اعظم ما تنفس به كما قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وعرفت ان ذلك الجذب عن صورة معاداة كما سبق وكان من لوازم
المعاداة التنافسة على العدو وبكل ما يعد كما لا له لا جرم حسن اطلاق التنافس ههنا ترشيحا للعداوة والنصب على المفعول له **قوله** فباع
اليقين بشكه والعزيمة بوهنه اي لما حصلت الوسوسة والاغراء لادم فانقادها كان قد بدل ما تيقنه من ان شجرة الخلد والملك الذي
لا يبلى هو نور الحق والبقاء في جنته ودوام مطالعة كبريائه بما شك فيه بواسطة وسوسة ابليس وذلك ان الامور الموعودة من متاع الاخرة
وما اعد الله لعباده الصالحين امور خفيت حقائقها على اكثر ابصار البشر وانما الغاية في تشويقهم اليها ان يمثل لهم بما هو
مشاهد لهم من اللذات البدنية الحاضرة فترى كثيرا منهم لا يخطر بباله ان يكون في الجنة امر زائد على هذه اللذات فهو يجتهد في
تحصيلها انه لا يتصور وراءها اكثرهم ثم ان صدق بها على سبيل الجملة تصديقا للوعد الكريم فانه لا يتصور كثيرا ما يفوت بين الموعود
به والحاضر بحيث يرجح ذلك التفاوت عنده ترك الحاضر لما وعد به بل يكون ميل طبعه الى الحاضر وتوهم كونه انفع واولى به اغلب
عليه وان تيقن باصل عقله ان الاولى به والانفع له والابقى هو متاع الاخرة فانه يطرأ على ذلك اليقين غفلة عنه ونسيان له بسبب الاشتغال
باللذات الحاضرة والانهماك فيها وذلك معنى قوله تعالى فنسي وتارة لا تحصل الغفلة الكلية بل يكون الوهم المذكور قويا فيعارض ذلك
اليقين بحيث يوجب في مقابلته شبهة وشكا وذلك معنى قوله فباع اليقين بشكه ولا منافاة بين قوله تعالى فنسي وبين الشك ههنا
قوله والعزيمة بوهنه اي تعوض من العزم والتصميم الذي كان ينبغي له في طاعة الحق سبحانه بالضعف والتقاعد عن تحمله كما قال تعالى
ولم نجد له عزما واطلاق لفظ البيع ههنا استعارة حسنة اذ كان مدار البيع على استعاضة شيء بشيء سواء كان المتعوض عنه انفس او اجل
او انقص ومثله قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين **قوله** فاستبدل
بالجذل وجلا وبالاغترار ندما الى قوله وتناسل الذرية فيه تقديم وتأخير وتقديره والعزيمة بوهنه فاهبطه الله الى دار البلية و
تناسل الذرية فاستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما ثم اناب الى الله فبسط له في توبته فلقاه كلمة رحمته ووعده المرد الى جنته
ذلك لان الاهباط عقيب الزلة واستبدال الجذل بالوجل بعد الاهباط من الجنة والاخراج منها وقد ورد القرآن الكريم بهذا النظم في
سورة البقرة وهو قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا ثم قال عقيبه فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وقد ورد
ايضا على النظم الذي ذكره عليه السلام في سورة طه وذلك قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطوا فقدم الاجتباء
والتوبة على الاهباط وكلاهما حسن قالوا ومعنى الاهباط له هو انزاله عن دار كرامته واستحقاق اضافة نعيم الجنة وذلك ان النفس لما لحقها
اذا عرضت عن جناب الحق سبحانه والتفتت الى متابعة الشياطين وابناء الجن وهو اقتداء ابليس بعدت عن رحمة الله وتسودت لوحها عن قبول
انوار الالهية واما دار البلية وتناسل الذرية فاشارة الى الدنيا فان الانسان ما التفت بوجهه اليها واقبل بكليته عليها اهبط من اعلى
عليين الى اسفل سافلين ولم يزل ممنوا ببلاء على اثر بلاء اذ لا ينفك في كل لحظة عن فوت مطلوب وفقد محبوب يطلب ما لا يدرك
ويجد ما لا يطلب كفى بانقطاعه عن الله نعم بالتفاته اليها بلاء واعظم به شقاء اذ كان سبب البعد عن رحمته والطرد عن ابواب جنته فان قلت

خ
والارادة
ان
لاستعار
في الذرية

في بيان سبب ايجاد الانبياء

اذ كون تناسل الذرية في معرض الاهانة لادم مع انه في الحقيقة من الامور الخيرية المندرجة في سلك العناية الالهية فان به بقاء النوع ووجوه
الافاضة قلت انه وان كان كذلك الا انه بالنسبة في الحقيقة الى الخير الذي كان ادم فيه في الجنة فان تناسل الذرية خير اضافي عرضي لتشبيه
الى الكمال الذي يحصل لابناء النوع وذريته ثم النسبة ان حصلت فنسبة اخس الى اشرف فان انزاله واهباطه عن استحقاق تلك المراتب
السامية والافاضات العالية الى هذه المرتبة التي يشاركه فيها البهائم وسائر انواع الحشرات نقصان عظيم وخسران مبين **قوله** واستبدل
بالجذل وجلا وبالاعتزاز ندما ظاهر فان المقبل بوجهه على عبادة الحق سبحانه المستشرق لانوار كبريائه المعرض عما سواه ابدا مسرور مبتهج فاذا اعرض
عما يوجب السرور والفرح والتفت الى خسائس الامور بسبب شيطان قاده اليها وزينها لعينه فانكشف عنه ستر الله وبقي سوء الناظرين بعين
العاقبة من عباد الله الصالحين ثم اخذت بضبعه العناية الالهية وتداركته الرحمة الربانية فانتبه من رقدة الغافلين في مراقد الطبيعة
فرأى السلاسل والاغلال قد احاطت به وشاهد الجحيم مسعرة عن جنبتي الصراط المستقيم وتذكر قوله فاما يأتينكم مني هدى فمن
تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الايات فلا بد وان يضيء وجلا
قلقا ويقلب كفيه حسرة وندما وجلا مما يلحقه من سخط الله ندما على ما فرط في جنب الله **قوله** ثم بسط الله سبحانه له في توبته ولقاه كلمة ر
فالمراد الاشارة الى ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما النقصان من جهة القابل وعدم استعداده فاذا استعدت النفس لتدارك
رحمة الله وحلت بها العناية الالهية من ورطات الهلاك الابدي فانبثت بها المعونة على التائبين جوده وعبرتها بمفاتح افعاله احواله ونابت
اليه فاحدثت في مقام منتهى الترحيد لدفع مكائده فذلك هو معنى انابتها وتوبتها واما كلمة رحمة الله التي لقاها ادم فتعود الى السوانح
الالهية التي تسنح للعبد فتكون سببا لجذبه عن مهاوي الهلاك وتوجيهه عن الجنبة السافلة الى القبلة الحقيقية وامداده بالملائكة كما
قال ان وقعت في مدارج الجلال التي هي درجات الجنة **قوله** ووعده المرد الى جنته فاشارة الى وعد القضاء الالهي الناطق عنه لسان
الوحي الكريم فمن تبع هواي فلا يضل ولا يشقى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار وكذلك سائر انواع وعد التائبين هذا ما يتعلق بهذا الفصل من التأويل وبالله العصمة والتوفيق **الفصل**
الرابع قوله واصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم لما بدل اكثر خلقه عهد الله
اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله وواتر اليهم انبياءه
ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول ويروهم ايات المقدرة من سقف
فوقهم مرفوع ومهاد تحتهم موضوع ومعايش تحييهم واجال تفنيهم واوصاب تهرمهم واحداث تتتابع عليهم ولم يخل الله سبحانه
خلقه من نبي مرسل او كتاب منزل او حجة لازمة او محجة قائمة رسل لا تقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم من سابق سمي له من بعده
او غابر عرفه من قبله على ذلك نسلت القرون ومضت الدهور وسلفت الاباء وخلفت الابناء الى ان بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وآله لانجاز
عدته وتمام نبوته مأخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريما ميلاده واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرائق متشتتة
بين مشبه لله تعالى بخلقه او ملحد في اسمه او مشير الى غيره فهداهم به من الضلالة وانقذهم بمكانه من الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه وآله لقاءه و
رضي له ما عنده واكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مقام البلوى فقبضه اليه كريما صلى الله عليه وآله وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم
يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم كتاب ربكم مبينا حلاله وحرامه وفضائله وفرائضه وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزائمه وخاصه
وعامه وعبره وامثاله ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه مفسرا جمله ومبينا غوامضه بين مأخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله
وبين مثبت في الكتاب فرضه ومعلوم في السنة نسخه وواجب في السنة اخذه مرخص في الكتاب تركه وبين واجب لوقته وزائل في مستقبله و
مباين بين محارمه من كبير اوعد عليه نيرانه او صغير ارصد له غفرانه وبين مقبول في ادناه وموسع في اقصاه **اقول** الاصطفاء
الاستخلاص والانداد الامثال واجتالتهم اي ادارتهم واجتذبتهم وواتر اي ارسل وترا بعد وتر اي واحدا بعد اخر والفطرة الخلقة
والمهاد الفراش والاوصاب الامراض والاحداث المصائب وتخصيصها بذلك عرفي والحجة ما يحتج به الانسان على غيره اي يغلبه والمحجة جادة
الطريق والغابر الباقي والماضي ايضا وهو من الاضداد والقرن الامة ونسلت اي ذهبت ومضت مأخوذ من نسل ريش الطائر ونسل
الوبر اذا وقع والعدة الوعد وانجازها قضاؤها والسمة العلامة والميلاد الزمن محل الولادة من الزمان والمكان والملحد العادل
عن الاستقامة على الحق والنسخ في اللغة الازالة وتخصصه اهل العرف بازالة الحكم وهذه الالفاظ الثلاثة مخصوصة في العرف على معان
اخرى كما نذكره وارصد له كذا اي هيأه له وفيها ابحاث **البحث الاول** الضمير في ولده راجع الى ادم ثم ان كانت الاشارة
بادم الى النوع الانساني فنسبة الولادة اليه في العرف ظاهرة صادقة فان كل اشخاص نوع هم ابناء ذلك النوع في اصطلاح اهل التأويل
وكذا ان كان المراد ادم الشخص حيث ولد واعلم ان اصطفاء الله للانبياء يعود الى افاضة الكمال النبوي عليهم بحسب ما وهبت لهم العناية الالهية
من القبول والاستعداد واخذه على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم هو حكم الحكمة الالهية عليهم بالقوة على ما كلفوا به من ضبط

الوحي في الواح

في بيان سبب إيجاد الأنبياء

الوحي في ألواح قوامهم وجذب شتات النفوس الناقصة إلى جناب عزته بحسب ما اختصهم من القوة على ذلك الاستعداد ومنحهم من الكمال الذي
يقتدرون معه على تكميل الناقصين من أبناء نوعهم ولما كانت صورة العهد وأخذ الأمانة في الفطرة تنزع إلى الإنسان بإقرار ربوبيته
عليه القيام به والإيمان وإشهاد الحق سبحانه وكان الحكم الإلهي جاريا بإرسال النفوس الإنسانية إلى هذا العالم وكان مراد العناية
الإلهية من ذلك البعث أن يظهر ما في قوة كل نفس من كمال ويكمل إلى الفعل وكان ذلك لا يتم إلا بواسطة بعضها للبعض كان النوع
الذي بعثت عليه مشبها للعهد والميثاق المأخوذ والأمانة المودعة كل ما في قوته وما أعد له فحسن إطلاق هذه الألفاظ واستعارتها
ههنا **قوله** ولما بدل أكثر خلق الله عهده إليهم فجهلوا حقه واتخذوا الأنداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم
عن عبادته إلى آخره إشارة إلى وجه الحكمة الإلهية في وجود الأنبياء ولوازمه وهي شرطية متصلة قدم فيها الثاني يتعلق ذكر الأنبياء
بذكر آدم والتقدير ولما بدل أكثر خلق الله عهده إليهم اصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم فيهم في الخلق وذلك العهد
هو المشار إليه بقوله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال ابن عباس لما خلق الله آدم مسح على ظهره فأخرج منه
كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فقال ألست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة واعلم أن أخذ
الذرية يعود إلى إحاطة اللوح المحفوظ بما يكون من وجود النوع الإنساني أشخاصا وانتقاشه بذلك عن قلم القضاء الإلهي ولما كان بالذات
تمام العالمين في الوجود الخارجي فكل ما هو في التقدير والقضاء المطابق له فيه يكون تمام التقدير وجفاف القلم وأما إشهادهم على أنفسهم
فيعود إلى إنطاق إمكانهم بلسان الحاجة إليه وأنه الإله المطلق الذي لا إله غيره وأما تبديل أكثرهم للعهد فلأنه لما كان الغالب على الخلق
حب الدنيا والإعراض عن مقتضى الفطرة الأصلية التي فطرهم عليها والالتفات عن القبلة الحقيقية التي أمروا بالتوجه إليها وذلك بحسب
ما ركب فيهم من القوى البدنية المتنازعة إلى كمالاتها الأجرامية كان من شأن كونهم على هذا التركيب المخصوص أن يبدل أكثرهم عهد
الله سبحانه إليهم من الدوام على عبادته والاستقامة على صراطه المستقيم وعكس الأنفس لعبادة الشيطان كما قال سبحانه ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا
تعبدوا الشيطان الآية وأن يجهلوا حقه للغفلة بخاصة لذاتهم عما يستحقه من دوام الشكر وأن يتخذوا الأنداد معه لتنسيتهم العهد القديم
وأن تجتالهم الشياطين عن معرفته التي هي ثمار الجنة وأن تقتطعهم عن عبادته التي هي المرقاة إلى اقتطاف تلك الثمرة ولما كان من
شأنهم ذلك وجب في الحكمة الإلهية أن يخص صنفا منهم بكمال الشرف يقتدر معه أبناء ذلك الصنف على ضبط الجوانب المتجاذبة وعلى
تكميل الناقصين ممن دونهم وهم صنف الأنبياء والغاية منهم ما أشار إليه بقوله ليستأدوهم ميثاق فطرته أي ليبعثوهم على أداء ما خلقوا
لأجله وفطروا عليه من الإقرار بالعبودية لله ويجذبوهم عما التفتوا إليه من اتباع الشهوات الباطلة وأفنيا اللذات الوهمية الزائلة وذلك
البعث والجذب تارة يكون بتذكيرهم نعم الله الجسيمة وتنبيههم على شكر ما أولاهم منه العظيمة وتارة يكون بالترغيب فيما أعده سبحانه
مما أعده لأوليائه الأبرار وتارة بالترهيب مما أعده لأعدائه الظالمين من عذاب النار وتارة بالتنفير عن خسائس هذه الدار وبيان وجوه
الاستهانة بها والاستحقار وإلى ذلك أشار بقوله ويذكروهم منسي نعمته ولا بد للمجادلة والمخاطبة من احتجاج مقنع ومنه فيحتجوا عليهم
عليهم بالتبليغ رسالات ربهم وإنذارهم لقاء يومهم الذي يوعدون ويبينوا لهم وجوه الأدلة على وحدانية المبدع الأول وتفرده باستحقاق
العبادة وهو المراد بقوله ويثيروا لهم دفائن العقول وكنوزها واستعمال الدفائن ههنا استعارة لطيفة فإنه لما كانت جواهر العقول ونتائج الأفكار
موجودة في النفوس بالقوة أشبهت الدفائن فحسن استعارة لفظ الدفينة لها ولما كانت الأنبياء هم الأصل في استخراج تلك الجواهر
لإعداد النفوس لإظهارها حسنت إضافة إثارتها إليهم وكذلك يرشدهم إلى تحصيل مقدمات تلك الأدلة والبراهين وموادها
وهي آيات القدرة الإلهية وآثارها من سقف فوقهم محفوظ مرفوع مشتمل على بدائع الصنع وغرائب الحكم ومهاد تحتهم موضوع فيه
ينتشرون وعليه يتصرفون ومعايش بها يكون قوام حياتهم الدنيا وبلاغا لمدة بقائهم لما خلقوا له وآجال مقدرة بها يكون فناؤهم
ورجوعهم إلى بارئهم وأعظم بالأجل أثرا لا عدة ونقدها بأجاذبا إلى الله تعالى ولذلك قال أكثروا من ذكر هادم اللذات إلى غير ذلك من
الأمراض التي تضعف قواهم وتهرمهم والمصائب التي تتتابع عليهم فإن كل هذه الآثار مواد لاحتجاج الأنبياء على الخلق لينبهوهم بعد رقدها
عن العزيز الجبار وعن سلطانه على أنه هو الملك المطلق الكامل الخالق والأمر ليتقرر في أنفسهم صورة ما نسوه من العهد المأخوذ عليهم
في الفطرة الأصلية من أنه سبحانه هو الواحد الحق المتفرد باستحقاق العبادة وإلى ذلك أشار القرآن الكريم وجعلنا السماء سقفا
محفوظا وهم عن آياتها معرضون وقوله إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها الآية وقوله تعالى والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض
فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون إلى غير ذلك من الآيات الدالة على احتجاج الخالق سبحانه
على خلقه بألسنة رسله وتراجمة وحيه فجذبهم بهذه الألطاف إلى القرب من ساحل عزته والوصول إلى حضرته في سر سبحات
ونعمها أنه يكون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار **قوله** ولم يخل الله سبحانه خلقه إلى قوله وخلف

في بيان سبب ايجاد الانبياء

الانبياء **اقول** المقصود الاشارة الى بيان عناية الله سبحانه بالخلق حيث لم يخل امة منهم من نبي مرسل يحذرهم الى جناب عزته
كما قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير او كتاب منزل يدعوهم الى الجنة ويذكرهم فيه بمعنى عهده ويتلو عليهم فيه اخبار الامم الماضين
والعبر اللاحقة للاولين ويحتج عليهم فيه بالحجج البالغة والدلائل القاطعة ويوضح لهم فيه امور نظامهم وينبههم على مبدئهم
ومعادهم الا انفصال فيهما انفصال امانع من الحق كما هو مصرح به **قوله** رسل لا يقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم اي هم
رسل كل والمراد الاشارة الى انهم وان كانوا قليلي العدد بالنسبة الى كثرة الخلق وكان عدد المكذبين لهم كثيرا كما هو المعلوم من
ان كل نبي بعث الى امة فلا بد فيهم فرقة تنابذه وتعانده وتكذبه مقالة فات ذلك لا يولهم قصورا عن اداء ما كلفوا القيام
به من حمل الخلق على ما يكرهون مما هو مصلحة لهم في معاشهم ومعادهم بل يقوم احدهم وحده ويدعو الى طاعة باريه ويتحمل اعباء
المشقة التامة في مجاهدة اعداء الدين ونشرهم عونه في اطراف الارض بحسب العناية الازلية والحكمة الالهية ويبقى اثارها
محفوظة وسننها قائمة الى ان تقتضي الحكمة وجود شخص اخر منهم يقوم ذلك المقام رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل **قوله** من سابق سمى له من بعده تفصيل للانبياء ومن ههنا للتمييز والنبيين والمراد السابقون منهم

ابقوهم

قد اطلعهم الله تعالى على العلم بوجود اللاحق له بعده فبعضهم كالمقدم بشر به البعض كعيسى حيث قال ومبشرا برسول يأتي
من بعدي اسمه احمد وعين اللاحق باسمه من قبله كيحيى وعلى ذلك اي على هذا التوتير والاسلوب والنظام الالهي **قوله** مضت الامم
وسلفت الاباء وخلفت الابناء **اقول** الى ان بعث الله سبحانه محمدا صلعم الى قوله من الجهالة واعلم انه ساق هذه الخطبة من لدن ادم
الى ان انتهى الى محمد صلعم كما هو الترتيب الطبيعي اذ هو الغاية من طينة النبوة وخاتم النبيين كما نطق به القران الكريم ما كان محمد ابا
احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ثم شرع بعد ذلك في التنبيه على كيفية اهتداء الخلق به وانتظام امورهم في معاشهم
ومعادهم بوجوده وكل ذلك استدراج لاذهان السامعين وتمهيد لما يريد ان يقرره عليهم من مصالح دينية او دنيوية فاشار
الى انه الغاية من طينة النبوة وتمام لها بقوله الى ان بعث الله محمدا صلعم لانجاز عدته وتكملة على السنة رسله السابقين بوجوده و
اتمام نبوته صلعم **قوله** ماخوذا على النبيين ميثاقه النصب ههنا على الحال من بعث وذو الحال محمد وكذا الحال في المنصوبين
الباقيين والمراد باخذ ميثاقه عليهم ما ذكر وقرر في فطرهم من الاعتراف بحقيقة نبوته وتصديقه فيما يجيء به ان كان ذلك من تمام
عناية الحق سبحانه فبعثه حال انه كان ذلك الميثاق ماخوذا على الانبياء ومن عداهم وحال انها كانت امارات ظهوره والبشارة
بمقدمه مشهورة بينهم مع ذكاء اصله وكرم مادة حملته وشرف وقت مجيء به ثم اراد ان يعد لك ان يريد بعثه محمد صلعم تعظيما و
يبين فضيلة شرعه وكيفية انتفاع الخلق به فقال واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرائق متشتتة والواو
في قوله واهل الارض للحال ايضا وموضع الجملة نصب وقوله واهواء خبر مبتدا محذوف تقديره اهواؤهم منتشرة وكذا قوله و
طرائق اي وطرائقهم طرائق متشتتة اي تعينه وحال اهل الارض يوم بعثه ما ذكر من تفرق الاديان وانتشار الاراء واختلافها
وتشتت الطرق والمذاهب واعلم ان الخلق عند مقدم محمد صلعم اما من عليه اسم الشرائع او غيرهم اما الاولون فاليهود والنصارى
والصابئة والمجوس وقد كانت اديانهم قد تحللت من ايديهم وانما بقوا متشبهين باهل الملل وقد كان الغالب عليهم دين التشبيه
ومذهب التجسيم كما حكى القران الكريم عنهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا والمجوس اثبتوا اصلين اسندوا الى احدهما
الخير والى الثاني الشر ثم زعموا ان الحرب بينهما دائمة ثم ان الملائكة توسطت واصلحت بينهما على ان يكون العالم السفلي للشرير مدة سبعة
الاف سنة الى غير ذلك من هذيانهم وخبطهم واما غيرهم من اهل الاهواء المنتشرة والطرائق المتشتتة فهم على اصناف شتى فمنهم
العرب اهل مكة وغيرهم وقد كان منهم معطلة ومنهم محصلة نوع تحصيل اما المعطلة فصنف منهم انكروا الخالق والبعث والاعادة
وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين حكى القران عنهم وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر
وقصروا الحياة والموت على تحلل الطبائع المحسوسة وتركيبها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما لهم بذلك من علم
ان هم الا يظنون وصنف منهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق عنه وانكروا البعث والاعادة وهم المحكي عنهم في القران الكريم وضرب
لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي وصنف منهم اعترفوا بالخالق ونوع من الاعادة لكنهم عبدوا
الاصنام وزعموا انها شفعاؤهم عند الله كما قال ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ومن هؤلاء قبيلة ثقيف وهم اصحاب اللات بالطائف وقريش وبنو كنانة ونحوهم اصحاب العزى ومنهم من كان يجعل
الاصنام على صور الملائكة ويتوجه بها الى الملائكة ومنهم من كان يعبد الملائكة كما قال تعالى بل كانوا يعبدون الجن واما
المحصلة فقد كانوا في الجاهلية على ثلاثة انواع من العلوم احدها علم الانساب والتواريخ والاديان والثاني تعبير الرؤيا

الثالث علم

في بيان فضيلة القرآن

والثالث علم الانواء وذلك بما يتولاه الكهنة والقافة منهم وعن النبي صلى الله عليه وآله من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما انزل على محمد ومن غير العرب البراهمة من اهل الهند ومذاهبهم انهم على التحسين والتقبيح والرجوع في كل الاحكام الى العقل وانكار الشرائع وانتسابهم الى رجل منهم يقال له براهام ومنهم اصحاب البددة والبد عندهم شخص في هذا العالم لا يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ومنهم اهل الفكرة وهم اهل العلم منهم بالفلك واحكام النجوم ومنهم اصحاب الروحانيات الذين اثبتوا وسائط روحانية لانهم بالرسالة من عند الله في صورة البشر من غير كتاب فامرهم ونهاهم ومنهم عبدة الكواكب ومنهم عبدة الشمس ومنهم عبدة القمر وهؤلاء يرجعون بالاخرة الى عبادة الاصنام اذ لا يتم لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويرجعون اليه في مهماتهم ولهذا كان اصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون اصناما على صورها فكان الاصل في وضع الاصنام ذلك انه يبعد من الهادي فظنوا ان يعمل خشبا بيده ثم يتخذه الها الا ان الخالق لما عكفوا عليها وبطلوا بحججهم بها من غير اذن شرعي ولا حجة ولا برهان من الله ثم كان عاكفوهم ذلك وعبادتهم لها ابنا لالهتنا وذلك من اصنافهم الاراء الباطلة والمذاهب الفاسدة اكثر من ان تحصى مذكورة في الكتب المصنفة في هذا الفن واذا عرفت ذلك ظهر معنى قوله ع من مشبه لله بخلقه كالنيقية من اصحاب الملل الشاذة تعبدوا من دون الله او اصنافا الا ان انوفهم مكفر ثم بكيفية بعض مصنوعاته نفس لامر الحسنية وتوابعها ومن ملحد في اسمه كالذين عدلوا عن الحق في اسمائه فحرفوها عما هي عليه الى اسما اشتقوها لاوثانهم وزادوا فيها ونقصوا كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا التأويل مذهب ابن عباس ومنهم من فسر الملحدين في اسمائه بالكاذبين في اسمائه وعلى هذا كل من سمى الله سبحانه باسم لم يأذن به ولم ينطق به كتاب ولا ورد فيه اذن شرعي فهو ملحد في اسمائه وقوله ومشير الى غيره كالدهرية وغيرهم من عبدة الاصنام والانفصال بينها المنع الحاصل فيهم فلما اقتضت العناية بعثته صلى الله عليه وآله ليهدوا سبيل الحق وتفيئوا من ظلام القديم الى سلوك الصراط المستقيم ولينقذهم من مركز نقودهم من ظلمات الجهل الى انوار اليقين فقام بالدعوة الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن حتى جلا الله بنوره سدف قلوب الخلق وازهق باطل الشيطان بما جاء به من الحق والصدق وانطلقت الالسن بذكر الله واستنارت البصائر بمعرفة الله وكمل به دينه في اقصى بلاد الدنيا واتم به نعمته على كافة عباده كما قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا احب الله سبحانه لقاءه كما احب هو لقاء الله كما قال ع من احب لقاء الله احب الله لقاءه ورضي له ما عنده من الكرامة الباقية والنعم الدائمة في جوار الامين في مقعد صدق عند مليك مقتدر فاكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مجاورة البلوى ومقام الاذى فقبضه اليه عند انتهاء اجله كريما عن ادناس الذنوب طاهرا نقيا ولا دنيته الجسمانية والروحانية صلى الله عليه وآله ما برق بارق وذر شارق **قوله** وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم **اقول** لما كان هذا الشخص الذي هو النبي من شأنه ان يكون وجود مثله في كل وقت لان المادة التي تقبل كمال مثله انما يقع في قليل من الامزجة وجب اذن ان يشرع للناس بعده في امورهم سننا باقية باذن الله وامره ووحيه وانزال الروح القدس عليه وواجب ان يكون قد دبر لبقاء ما يسنه ويشرعه في امور المصالح الانسانية تدبيرا [illegible] من ذلك للتدبير هو بقاء الخالق واستمرارهم على معرفة الصانع المعبود ودوام ذكره وذكر المعاد وحسم وقوع النسيان بوقوع انقراض القرن الذي يلي النبي ومن بعده فواجب اذن ان يأتيهم بكتاب من عند الله يكون وافيا بالمطالب الالهية والاذكار الجاذبة الى الله سبحانه ولاخطاره بالبال في كل حال مشتملا على انواع من الوعد على طاعة الله ورسوله بجزيل الثواب عند المصير والوعيد على معصيته بعظيم العقاب عند القدوم عليه ولا بد ان يعظم امره ويسن على الخلق تكراره وحفظه او بعضه ودراسته وتعلمه وتعليمه وتفهم معانيه ومقاصده ليبلغوا به التذكر لله سبحانه والملأ الاعلى من ملائكته ثم يسن عليهم افعالا واعمالا تتكرر في اوقات مخصوصة متقاربة ومتباعدة بعضها مقرونا مشفوعا بالفاظ تقال ونيات تنوى في الخيال ليحصل بها دوام التذكر للمعبود الاول وينتفع بها في امر المعاد والا فلا فائدة فيها وهذه الافعال كالعبادات الخمس المفروضة على الناس وما يلحقها من الوظائف ولما بدا ع هيهنا بذكر الكتاب العزيز لكونه مشتملا على ذكر سائر ما جاء به الرسول ص اما مطابقة والتزاما وفي بسط قوانينه الكلية بحسب السنة النبوية وفاء بجميع المطالب الالهية فلنبتدئ بذكر شرفه ووظائفه وشرائطه ثم نذكر الكلام في باقي الفصل ما الى مواضعها **البحث الثاني** في فضيلة الكتاب اما الفضيلة فمن وجوه **الاول** قوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون وهذا كتاب انزلناه مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب وقوله وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون **الثاني** قال رسول الله ص من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظم الله **الثالث** قوله صلى الله عليه وآله ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيامة

العقليين ثم

بنات

لعلهم

من القرآن لا تحويه الأماني لا يحصى ويلوح لك من سر هذه الإشارة أن ذلك إنما هو في حق من تدبره وسلك لنيل المطلوب منه المشتمل
عليه ووصل به إلى جناب الله في جوار الملائكة المقربين ولا غاية من الشفاعة إلا الوصول إلى نيل الرضوان من المشفوع وعلمت أن تمام
رضوان الله بغير سلوك الطريق المشتمل عليها الكتاب العزيز لا يحصل ولا ينفع فيه شفاعة شافع كما قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
فما لهم عن التذكرة معرضين **الرابع** قال صلى الله عليه وآله لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار والمراد أي ظرف وعاه وتدبره
وسلك طريقه لم تمسه النار أما نار الآخرة فظاهر وأما نار الدنيا فلأن الواصلين من أولياء الله الكاملين في قوتهم النظرية و
العملية يبلغون حدا لا تنفعل العناصر عن نفوسهم فيتصرفون فيها كتصرفها في أبدانها فلا يكون لها في أبدانهم تأثير وقد عرفت أسباب
ذلك في المقدمات **الخامس** قال صلى الله عليه وآله أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته والمقصود مع
شرائطه التي سنذكرها **البحث الثالث** في وظائف أما مداومة الكتاب بالتلاوة والدرس فيحتاج إلى وظائف وإلا لم ينفع
بها كما قال رب تال للقرآن والقرآن يلعنه والذي ينبغي أن يوصف في ذلك ما لخصه الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب
الإحياء فإنه لا مزيد عليه وهي أمور عشرة **الأول** أن يتصور الإنسان حال استماعه للتلاوة عظمة كلام الله سبحانه وأنه قد كان
ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام الخلق في إيصال معاني كلامه إلى أذهانهم وكيف تجلت لهم الحقائق الإلهية في
حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يعجز البشر عن الوصول إلى مدارج الجلال ونعوت الكمال إلا بوسيلة ولولا استتار كنه جمال
كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره فالصوت والحرف
للحكمة جسد وهي بالنسبة إليه نفس وروح ولما كان شرف الأجساد وعزتها بشرف أرواحها فكان شرف الحرف والصوت بشرف الحكمة التي
فيها **الثاني** التعظيم للمتكلم وينبغي أن يحضر في ذهن القارئ عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرأه ليس بكلام البشر وأن في تلاوة كلام الله
غاية الخطر فإنه تعالى قال لا يمسه إلا المطهرون وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الغير المتطهر فكذلك باطن
معناه بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إذ لا يستضيء بنوره إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس مستنيرا بنور التعظيم والتوقير عن ظلمة
الشرك وكما لا يصلح للمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لحمل أنواره كل قلب لأجل هذا الإجلال كان
عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف يغشى عليه ويقول هو كلام ربي فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلم وعلمت أن عظمة المتكلم لا تخطر في القلب
بدون الفكر في صفات جلاله ونعوت كماله وأفعاله وإذا خطر بباله الكرسي والعرش والسماوات والأرضون وما بينهما وعلمت أن
الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها هو الله الواحد القهار وأن الكل في قبضته والسماوات مطويات بيمينه والكل سائر إليه وأنه
الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فإنك تستحضر من ذلك عظمة المتكلم ثم عظمة الكلام **الثالث**
حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة أي بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يتجرد عند قراءته
جميع المشغلات والهموم عنه وهذه الوظيفة تحصل مما قبلها فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس إليه ولا يغفل عنه
فإن في القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالي له أهلا وكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو فيه بساتين العارفين ورياض
الأولياء وميادين أولي الألباب **الرابع** التدبر وهو وراء حضور القلب فإن الإنسان قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه
يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من التلاوة التدبر قال سبحانه أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب
أقفالها أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال ورتل القرآن ترتيلا لأنه يمكن الإنسان من التدبر الباطن
وقال صلى الله عليه وآله لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها وإذا لم يمكن التدبر إلا بالترديد فليردد فقال أبو ذر قام رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة يردد
قوله إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم **الخامس** التفهم وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن
يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وأفعاله وأحوال أنبيائه والمكذبين لهم وأحوال ملائكته وذكر أوامره ونواهيه وذكر الجنة والنار والوعد
والوعيد فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لتنكشف له أسرارها فتحتها دفائن الأسرار وكنوز الحقائق وإلى ذلك أشار علي عليه السلام بقوله
ما أسر إلي رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا في طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود من أراد
علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن واعلم أن أعظم علوم القرآن تحت أسماء الله تعالى وصفاته ولم يدرك الخلق منها إلا بقدر أفهامهم وإليه
الإشارة بقوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا فالماء هو العلم أنزله من سماء جوده ففاض
أودية القلوب كل على حسب استعداده وإمكانه وإن كان وراء ما أدركوه أطوار أخرى لم يقفوا عليها وكنوز لم يعثروا على أغوارها
أما أفعاله تعالى وما أشار إليه من خلق السماوات والأرض وغيرها فالذي ينبغي أن يفهم التالي منها هو صفات الله وجلاله إذ
الفعل يدل على الفاعل فيستدل بعظمة الفعل على عظمته ليلاحظ بالآخرة الفاعل دون الفعل فمن عرفه يراه في المقام الأول هذا خلق الله فأروني
ماذا خلق الذين من دونه وينظر في المقام الثاني في كل شيء هالك إلا وجهه فمن عرف الحق رآه في كل شيء ومن لم يبلغ إلى حد العرفان عن

ودرجة الاعتبار لم يرمعه غيره فاذا تلا قوله أفرأيتم ما تمنون أفرأيتم الماء الذي تشربون أفرأيتم النار التي تورون فلا ينبغي أن يقصر
نظره على النطفة والماء والنار بل ينظر في المني وهو نطفة ثم في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعصب والعروق وغيرها ثم في كيفية
اشكال اعضائها المختلفة من المستدير والطويل والعريض والمستقيم والمنحني والرخو والصلب والرقيق والغليظ وما اودع في كل
من القوة وهيأ له من المنفعة التي لو اختل شيء منها لاختل امر البدن ومصالح الانسان فليتأمل في هذه العجائب امثالها التي في
فيها الى عجيب قدرة الله تعالى والمبدأ الذي صدرت عنه هذه الآثار فلا يزال مشاهدا لكمال الصانع في كل صنعه واما احوال
الانبياء عليهم السلام فليفهم من سماع كيفية تكذيبهم وقتل بعضهم صفة استغناء الله تعالى عنهم ولو هلكوا باجمعهم لم يؤثر ذلك
في ملكه واذا سمع نصرتهم فليفهم ان ذلك بتأييد الهي كما قال تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا
فنجي من نشاء واما احوال المكذبين لهم كعاد وثمود وكيفية اهلاكهم فليتنبه من سماعه لاستشعار الخوف من سطوة الله ونقمته
وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل وأساء الادب فربما ادركته النقمة ونفذت فيه القضية حيث لا ينفع مال ولا بنون
وكذا اذا سمع احوال الجنة والنار فليحصل منهما على خوف ورجاء ليتصور انه بقدر ما يبعد من احدهما يقرب من الآخر وليفهم منها
ومن سائر القرآن ان استقصاء ما هنالك من القرآن الاسرار الالهية غير ممكن لعدم نهايته قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي
لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا وقال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فمن لم
يفهم معاني القرآن في تلاوته وسماعه ولو في ادنى المراتب دخل في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم ام لا يتدبرون القرآن ام
على قلوب اقفالها وتلك الاقفال هي الموانع التي سنذكرها **السادس** التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا من فهم القرآن
لاسباب وحجب سدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عن عجائب سره قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى
الملكوت ومعاني القرآن واسراره جملة الملكوت والحجب المانعة **اولها** الاشتغال بتحقيق الحروف واخراجها من مخارجها والتشدق
بها عن ملاحظة المعنى وقيل ان المتولي لحفظ ذلك شيطان وكل بالقراءة ليصرف عن معاني كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف
ويخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فيكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فمتى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان
مطيعا لمثل هذا التلبيس **وثانيها** ان يقلد مذهبا سمعه وتفسيرا ظاهرا نقل اليه عن ابن عباس ومجاهد او غيرهما فجمد على
التعصب له من غير علم وبصيرة نظرا موقوفا على مسموعه حتى لو لاح له بعض الاسرار حمل عليه شيطان التقليد حملة ولم يسوغ له مخالفة
ابائه ومعلمه في ترك ما هو عليه من الاعتقاد والى مثل هذا اشارت الصوفية بقولهم العلم حجاب وعنوا بالعلم العقائد التي استمر
عليها اكثر الناس بالتعليم والتقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم لا العلم الحقيقي الذي هو المشاهدة
بانوار البصيرة ثم ذلك التقليد قد يكون باطلا كمن يحمل الاستواء على العرش على ظاهره فان خطر له في القدوس انه المقدس عن كل
ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من استقرار ذلك الخاطر في نفسه حتى ينساق الى كشف ثان وثالث ولكن يتسارع الى دفع ذلك
عن خاطره ويجعله وسوسة وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم لان الحق الذي كلف الخلق طلبه له مراتب ودرجات وظاهر وباطن
وجمود الطبع على ظاهره يمنع من الوصول الى الباطن فان قلت كيف يجوز ان يجاوز الانسان المسموع وقد قال صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه
فليتبوأ مقعده من النار وجاء في النهي عن ذلك آثار كثيرة قلنا الجواب عنه من وجوه **الاول** انه معارض بقوله صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظهرا وبطنا
وحدا ومطلعا وبقول علي رضي الله عنه الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن ولو لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما فائدة ذلك الفهم **الثاني**
انه لو لم يكن غير المنقول لاشترط ان يكون مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك مما لا يصادف الا في بعض القرآن واما ما يقوله ابن عباس
وابن مسعود وغيرهما من انفسهم فينبغي ان لا يقبل فيقال هو تفسير بالرأي **الثالث** ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير
بعض الآيات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محال فكيف يكون الكل مسموعا **الرابع** انه
دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فلا معنى لتخصيص ابن
عباس بذلك **الخامس** قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت للعلماء استنباطا ومعلوم انه وراء السماع فلو وجب ان
يحمل النهي عن التفسير بالرأي على احد معنيين احدهما ان يكون للانسان في الشيء رأي واليه ميل بطبعه فيتأول القرآن على وفق رأيه
حتى لو لم يكن له ذلك الميل لما خطر له ذلك التأويل وسواء كان ذلك الرأي مقصدا صحيحا او غير صحيح وذلك كمن يدعو الى مجاهدة
القلب القاسي فيستدل على تصحيح غرضه من القرآن بقوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى ان قلبه هو المراد بفرعون كما يستعمله
بعض الوعاظ تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع **الثاني** ان يتسرع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار
بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الالفاظ المبهمة وما يتعلق به من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم
والتأخير والمجاز فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأي مثاله

في بيان فضيلة القرآن

قوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها فالناظر الى ظاهر العربية ربما يظن ان المراد ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء والمعنى
آية مبصرة ثم لا يدري بما ظلموا اذ ظلموا غيرهم ومن ذلك المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور سينين وكذلك ما في اجزاء البلاغة فكل
مكتف في التفسير بظاهر العربية من غير استظهار بالنقل فهو مفسر برأيه فهذا هو المنهي عنه دون التفهم لاسرار المعاني وما
ان النقل لا يكفي فيه وانما ينكشف للراسخين في العلم من اسراره بقدر صفاء عقولهم وشدة استعدادهم له وطلبتهم للبحث
والتفهم وملاحظة الاسرار والعبر ويكون لكل واحد منهم حد في الترقي الى درجة منه فمن الاشارات في ذلك ومثاله فهم
بعض العارفين من قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء
عليك انت كما اثنيت على نفسك انه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض
فان الرضا والسخط وصفان متضادان ثم زاد قربه واندرج القرب الاول فيه فرقي الى الذات فقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه
بما استحيا به على بساط القرب فالتجأ الى الثناء فاثنى بقوله لا احصي ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت
على نفسك فهذه خواطر تفتح للعارفين لا يفهم من تفسير الظاهر وليس مناقضا له وانما هو استكمال لما يتخذ من الاسرار **الثالث**
من الموانع ان يكون مبتلى من الدنيا بهوى متاع فان ذلك سبب لظلمة القلب كالصداء على المرآة فيمنع جلية الحق يتجلى
فيه وهو اعظم حجاب للقلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اكثر تراكما على القلب كان البعد عن اسرار الله اكثر
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما تقرب من احدهما تبعد من الاخرى **السابع** ان يخصص نفسه بكل خطاب في
القرآن من امر ونهي او وعد او وعيد ويقدر انه هو المقصود به وكذا ان سمع قصص الاولين والانبياء علم ان السمر غير مقصود
وانما المقصود الاعتبار فلا يعتقد ان كل خطاب خاص في القرآن فالمراد به الخصوص فان القرآن وسائر الخطابات الشرعية
واردة باياك اعني واسمعي يا جارة وهي كلها نور وهدى ورحمة للعالمين ولذلك امر الحق تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال
واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واذا قدر انه المقصود لم يتخذ دراسة القرآن عملا بل قراءة
كقراءة العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتدبره ويعمل بمقتضاه كما قال الحكيم هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهود
نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات **الثامن** التأثر وهو ان يتأثر
قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به عند ما يوجه نفسه في كل حالة الى الجهة
التي فهمها من خوف وحزن او رجاء او غيره فيستعد بذلك وينفعل ويحصل له التأثر والخشية ومهما قويت معرفته كانت
الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على العارفين فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف
عن نيلها كقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فانه قرن المغفرة بهذه الشروط الاربعة وكقوله تعالى
والعصر ان الانسان لفي خسر السورة ذكر فيها اربعة شروط وحيث اوجز واقتصر ذكر شرطا واحدا جامعا للشرائط فقال تعالى
ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ كان الاحسان جامعا لكل الشرائط وتأثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الآية المتلوة
فعند الوعيد يتضاءل من خشية الله وعند الوعد يستبشر فرحا بالله وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله

جلاله وعند ذكر الكفار ربما في حق الله ما يمتنع عليه كالصاحبة والولد يغض صوته وينكسر في باطنه من قبح اعمالهم ويكبر الله
ويقدسه عما يقول الظالمون وعند ذكر الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند ذكر النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ علي قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا رأيت عينيه تذرفان من الدمع فقال حسبك الآن وذلك لاستغراق تلك الحالة بقلبه بالكلية وبالجملة
فالقرآن انما يراد لهذه الاحوال واستجلابها الى القلب والعمل بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت
عليه جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا والآية
فالمؤثر في تحريك اللسان خفيف قال بعضهم قرأت على شيخ لي ثم رجعت لاقرأ عليه ثانيا فانتهرني وقال جعلت القرآن علي
عملا اذهب فاقرأ على الله تعالى وانظر ماذا يأمرك وينهاك يفهمك ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا من الصحابة لم يكن يحفظ القرآن
منهم غير ستة واختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم
كل ذلك لاشتغالهم بتفهم معاني القرآن عن حفظه كله وجاء اليه واحد ليتعلم القرآن فانتهى الى قوله تعالى ومن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه فالعزيز
مثل تلك الحالة التي يمن الله تعالى بها على القلب عقيب تفهم الآية واما التأثر باللسان المعرض عن العمل فجدير بان يكون المراد
بقوله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى الآية وانما حظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل

اشارة الى بيان الاحكام الخمسة التكليفية

وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والايتمار **التاسع** الترقي وهو ان يترقى فليتوجه بقلبه وعقله
الى القبلة الحقيقية فيسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرأ على الله واقفا
بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتضرع والابتهال **الثانية** ان يشهد
بقلبه كانه سبحانه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه وهو في مقام الحياء والتعظيم لله والاصغاء الى الوحي
اليه والفهم منه **الثالث** ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات ولا ينظر الى قلبه ولا الى قراءته ولا الى التعلق به
بالانعام من حيث هو منعم عليه بل يقصر الهم على المتكلم ويوقف فكره عليه ويستغرق في مشاهدته وهذه درجة المقربين ومنها اخبر
الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فقال لقد تجلى الله تعالى لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلوة
حتى خر مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي
لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة وبهذا الترقي يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله وبمشاهدة المتكلم
دون ما عداه يكون ممتثلا لقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر فان رؤية غير الله معه شرك خفي لا يخلص منه الا برؤيته وحده
العاشر التبري والمراد به ان يتبرأ من حوله وقوته ولا يلتفت الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا آيات الوعد ومدح الصالحين
حذف نفسه عن درجة الاعتبار وشهد فيها الموقنين والصديقين ويتشوق الى ان يلحقه الله تعالى بهم واذا تلا آيات المقت و
الذم في المقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا فقيل ليوسف بن اسباط اذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا
ادعو فقال بماذا ادعو استغفر الله عن تقصيري سبعين مرة ومن رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان ذلك سبب قربه فان من
شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب ومن شهد القرب في البعد مكر به بالامن الذي يفضيه
الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه ومهما شاهد نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد
الا الله وحده في قراءته انكشف له الملكوت والمكاشفات تابعة لحال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب عليه الاستبشار
وينكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام
الله تعالى وارد باللطف والسهولة والشدة والعسف والرجاء والخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام و
البطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد لنوع من المكاشفة
مناسب لتلك الحالة اذ يستحيل ان يكون حال المستمع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام
جبار متكبر وكلام حنان متعطف فهذه هي وظائف التلاوة ولنرجع الى المتن فنقول **قوله** وخلف فيكم ما خلفت الانبياء
في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم اشارة الى وضع ما يجب في الحكمة الالهية على السنة الرسل عليهم السلام من الوظائف
الشرعية والقوانين الكلية التي بها يبقى ذكر الله سبحانه محفوظا واستعمال لفظ العلم القائم فيها استعارة حسنة للآثار الباقية
عن الانبياء التي يتمسك بها الاولياء الذين يرجع اليهم الخلق **قوله** كتاب ربكم عطف بيان لما في قوله ما خلفت الانبياء ولا ينبغي ان
يتوهم مما يخص الكتاب حتى يكون ما اتى به محمد صلى الله عليه وآله من الكتاب هو عين ما اتت به الانبياء السابقون عليهم السلام وتخصه
فان ذلك محال بل المراد بما نوع ما خلفت الانبياء في اممها من الحق وما جاء به محمد صلى الله عليه وآله شخص من اشخاص ذلك النوع
وبيان ذلك ان القوانين الكلية التي اشتركت في الاتيان بها جميع الانبياء من التوحيد والتنزيه لله تعالى واحوال البعث والقيمة
وسائر الفوائد الكلية التي بها يكون النظام الكلي للعالم كتحريم الكذب والظلم والقتل والزنا وغير ذلك مما لم يخالف فيه نبي نبيا
بمنزلة مهية واحدة كلية وجدت في اشخاص كما تعرض لبعض اشخاص المهية عوارض لا تكون لشخص آخر وبها يكون اختلاف بين الاشخاص
بحسب المواد التي تنشأ منها الصور الشخصية كذلك الكتب المنزلة على السنة الانبياء بمنزلة اشخاص اشتملت على مهية واحدة تختلف
بحسب الزيادات والعوارض على تلك المهية بحسب اختلاف الامم والاوقات المشتملة على المصالح المختلفة باختلافها **قوله** مبينا منصوب
على الحال والعامل خلف وذو الحال الفاعل وهو ضمير النبي **قوله** حلاله وحرامه وفضائله وفرائضه اشارة الى الاحكام الخمسة
الشرعية التي يدور عليها علم الفقه وهي الوجوب والندب والحظر والكراهة والاباحة وعبر بالحلال عن المباح والمكروه وبالحرام عن المحظور
وبالفضائل عن المندوب وبالفرائض عن الواجب وبالنسخ عن رفع الحكم الثابت بالنص المتقدم بحكم آخر مثله فالناسخ هو الحكم الرافع كقوله
اقتلوا المشركين والمنسوخ هو الحكم المرفوع كقوله لا اكراه في الدين وبالرخص عما اذن في فعله مع قيام السبب المحرم لضرورة او غيرها
كقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد الاية وبالعزائم عما كان من الاحكام الشرعية جاريا على وفق سببه الشرعي كقوله فاعلم انه لا اله الا الله وبالعام
بالعام ههنا عن اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد كقوله تعالى والله بكل شيء عليم وكقوله ولله على الناس حج البيت
وبالخاص عما لم يتناول الجميع بالنسبة الى ما يتناوله كقوله من استطاع اليه سبيلا والخاص المطلق هو ما يمنع تصور مفهومه من وقوع

واضح

الاوصياء

اشارة الى بيان الاحكام الخمسة التكليفية

الشكوفيه كما عرفته والعبر جمع عبرة وهي الاعتبار واشتقاقها من العبور وهو انتقال الجسم من موضع الى اخر ولما كان الذهن ينتقل من الشيء
الى غيره حسن اطلاق العبرة عليه واكثر ما يختص اطلاق العبرة بانتقال ذهن الانسان من المصائب الواقعة بالغير او الامور المكروهة
له الى نفسه فيقدرها كانها نازلة به فيحصل له بسبب ذلك انزعاج عن الدنيا واشتغال النفس الى ما وراءه من امر المعاد والرجوع الى الله
ذلك عبرة وكذلك من المصائب التي لا تحضر لدى نفسه المتذكرة له بجناب العزة والملتفت له بتكرارها عن دار البلوى والمحن فينتقل ذهنه
بسببها الى ان الدنيا دار البوار وان الاخرة هي دار القرار وذلك كقصة اصحاب الفيل وكقوله فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال
الاخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وان كان قد تستعمل العبرة في كل ما يفيد اعتبارا
من طرق الاحسان ايضا كقوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها الاية وكقوله تعالى فئة تقاتل في سبيل الله واخرى
كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فجعل سبحانه نصر المؤمنين على قلتهم
وخذلان المشركين على كثرتهم ومشاهدة المسلمين لكونهم مثليهم محلا للعبرة اذ يحصل بذلك انتقال الذهن من نعمه الى انه
الاله المطلق المستحق للعبادة المتفرد بالقدرة على ما يشاء واهل الرحمة والجود وافاضة تمام الوجود واما الامثال فظاهرة كقوله تعالى
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء الاية وكقوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ونحوه واراد بالمرسل الالفاظ المطلقة
والمهملة وهي الالفاظ التي لا تمنع نفس مفهومها وقوع الشركة فيها لكنها لم يبين فيها كمية الحكم ومقداره ولم تقيد بقيد يفيد
العموم ولا الخصوص وهو يتناولهما كاسماء الجموع في النكرات كقوله تعالى وعلى الاعراف رجال وكالمفرد المعرف باللام او المنكر كقوله
والعصر ان الانسان لفي خسر وكقوله ان جاءكم فاسق وقوله فتحرير رقبة فان كل هذه الالفاظ يراد بها الطبيعة دون الكل او
البعض الا بدليل منفصل والفرق بينها وبين العامات ان لكل شيء ماهية هو بها هو وهي مغايرة لكل ما عداها فان مفهوم الانسان
فاما انه واحد او كثير او ليس جزءا منها مفهوم اخر مغاير لماهيته اذا عرفت فاللفظ الدال على الحقيقة من حيث هي من غير دلالة على شيء
مما معها هو اللفظ المطلق والمهمل والدال عليها مع قيد العموم بحيث يفهم منه تعدد الماهية وتكثرها في جميع مواردها فهو اللفظ
العام او في بعض مواردها هو الخاص وان كان للعموم والخصوص لذات المعنى واراد بالمحدود المقيد كقوله تعالى في الكفارة
في موضع اخر فتحرير رقبة مؤمنة واما المحكم والمتشابه والمجمل والمبين فقد سبق بيانها في المقدمة مثال المحكم قوله تعالى قل هو الله
احد مثال المتشابه قوله الرحمن على العرش استوى مثال المجمل قوله الا ما يتلى عليكم وقوله واحل لكم ما وراء ذلكم مثال المبين
قوله بعد ذلك ان تبتغوا باموالكم الاية والتفسير هو التبيين والغوامض دقائق المسائل وانما اضاف هذه المعاني كلها الى
الكتاب لاشتماله عليها وكونه مبدأ لها ولما كانت محتاجة الى البيان كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبين لها بسنته الكريمة وقوله
بين ماخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله الى اخره الضمائر تعود الى الاحكام المذكورة المشتمل عليها الكتاب العزيز وذكر منها
انواعا احدها ما يجب تعلمه وغير موسع للخلق في جهله كوحدانية الصانع وامر المعاد والعبادات الخمس وثانيها ما لا يتعين
على كافة الخلق التعلم به بل يعذر بعضهم في الجهل ويوسع لهم في تركه كالايات المتشابهات وكاوائل السور كقوله تعالى كهيعص وحم
عسق ونحوها وثالثها ما هو مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنة نسخه وذلك كقوله تعالى واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا وقوله واللذان
يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فكانت الثيب اذا زنت في بدء الاسلام تمسك في البيوت الى الممات والبكر
تؤذى بالكلام ونحوه بمقتضى هاتين الايتين ثم نسخ ذلك في حق الثيب بالرجم وفي حق البكر بالجلد والتغريب بحكم السنة ورابعها
ما هو بعكس ذلك اي مثبت في السنة اخذه مأذون في الكتاب تركه وذلك كالتوجه الى بيت المقدس في ابتداء الاسلام فانه كان
ثابتا في السنة ثم نسخ بقوله تعالى فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وكذا
صلاة الخوف في القرآن حال القتال الرافع لجواز تأخيرها في السنة الى انجلاء القتال وخامسها ما يجب لوقته ويزول في مستقبله
كالحج الواجب في العمر مرة وكالنذر المقيد بوقت معين وامثالها فان وجوبها تابع لوقتها المعين ولا يتكرر بتكرر امثالها وقوله
ومباين بين محارمه عطف على المجرورات السابقة والياء مفتوحة وفي معنى الكلام وتقديره لطف فان المحارم لما كانت هي محال الحكم التي
بالحرمة صار المعنى وبين حكم مباين بين محاله وقوله من كبير اوعد عليه نيرانه او صغير ارصد له غفرانه بيان لتلك المحال واشارة الى
تفاوتها بالشدة والضعف في كونها مبعدة عن رحمة الله على سبيل الجملة فالاول كالقتل في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم الاية و
كذا سائر الكبائر من الظلم والزنا وغيرهما والثاني قال الفقهاء كالتطفيف بالحبة وسرقة باقة من بصل ونحو ذلك وارصد الغفران
بازاء هذه وامثالها في الكتاب العزيز كقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وسائر ايات الوعد بالمغفرة فانها ان كانت
عامة في كل الذنوب فالصغائر داخلة بطريق الاولى والا كانت محمولة على الصغائر وترجح لوقوعها بالغفران انها لا تكاد تكسب النفس ملكة

الافراط والجور

في بيان احكام الحج

حج

الافراط والجور الا عن بعد بعيد وتكرار طويل بخلاف الكبائر فان الاقدام عليها في غالب الاحوال لا يقع عن نفس مستعدة للشر بعيدة عن رحمة الله وبالله العصمة والتوفيق **الفصل الخامس منها قوله** وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للانام يردونه ورود الانعام ويالهون اليه ولوه الحمام جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته واختار من خلقه سماعا اجابوا اليه دعوته وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف انبيائه وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه يحرزون الارباح في متجر عبادته ويتبادرون عنده موعد مغفرته جعله سبحانه للاسلام علما وللعائذين حرما فرض حجه واوجب حقه وكتب عليكم وفادته فقال سبحانه ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين **اقول** يالهون اليه اي يشتد وجدهم وشوقهم اليه واصل الهمزة ههنا الواو من وله يوله اذا تحير من شدة الوجد والسماع جمع سامع كسمار وسامر والتبادر المسارعة والوفادة القدوم للاسترفاد والانتفاع واعلم انا لما بينا وجوب العبادات واشرنا الى وجه الحكمة فيها فبالحري ان نشير الى وجه الحكمة في خصوص الحج من جملتها ونومي بتفصيل افعاله الى مواضع اسراره فاما الحج فانك لما عرفت ان الغرض الاول من العبادات هو جذب الخلق الى جناب الحق بالتذكير له ودوام اخطاره بالبال لتحل الاسرار على طول التذكار وينتهي من ذلك من اخذت العناية بيده الى مقام المخلصين فمن جملة اسرار الله سبحانه المنتهي على لسان رسوله تعيين موضع من البلاد انه اصلح المواضع لعبادة الله وانه خاص له ولا بد ان يتوفر مثل هذه الاوضاع على اشارات ورموز ومقاصد حقيقية ينبه لها من اخذ التوفيق بزمام عقله اليها ولا بد من تعيين افعال تفعل فيه وانها انما تفعل في ذات الله سبحانه وانفع المواضع المعينة في هذا الباب ما كان ماوى الشارع ومسكنه فان ذلك مستلزم لذكره وذكره مستلزم لذكر الله سبحانه وذكر ملائكته واليوم الآخر ولما لم يمكن في الماوى الواحد ان يكون مشاهد الكل احد من الخلق وجب ان يفرض اليه مهاجرة وسفر ان كان عيشة نوع مشقة وكلفة من تعب الاسفار وانفاق المال ومفارقة الاهل والولد والوطن والالاف ونحن نذكر فضيلته من جهة الشرع ثم نشير الى ما ينبغي ان يوظف فيه من الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة عند كل حركة وركن من اركان الحج مما يجري من تلك الاركان مجرى الارواح للابدان فاذن ههنا ابحاث **البحث الاول** اما الفضيلة فمن وجوه **الاول** قوله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق قال قتادة لما امر الله عز وجل خليله ابراهيم عم ان يؤذن في الناس نادى يا ايها الناس ان لله بيتا فحجوه وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في المواسم والاجر في الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة **الثاني** قال عم من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقد عرفت كيفية نفع العبادات في الخلاص من الذنوب **الثالث** قال صلى الله عليه وآله ما رأى الشيطان في يوم هو اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام اذ يقال من الذنوب ما لا يكفرها الا الوقوف بعرفة اسنده الصادق عم الى الرسول صم وكان سر ذلك ما يحصل من رحمة الله ويفاض على اسرار العباد التي قد صفت بشدة الاستعداد الحاصل من ذلك الموقف العظيم الذي يجتمع فيه العالم اشد اجتماع فان الاجتماع سبب عظيم في الانفعال والخشية لله وقبول انواره كما سنبينه انشاء الله **الرابع** قال صم حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة **الخامس** قال الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سألوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوه استجاب لهم وان شفعوا اليه شفعهم **السادس** روي عنه صم من طرق اهل بيته ع اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة وظن ان الله لم يغفر له وفي فضل جزئيات الحج اخبار كثيرة تطلب من مظانها **البحث الثاني** في الآداب الدقيقة وهي عشرة **الاول** ان تكون النفقة حلالا وتخلو القلب عن تجارة تشغله عن الله تعالى وفي الخبر من طريق اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الناس الى الحج على اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان تتصل بالحج فكل ذلك مانع لفضيلة الحج ومقصود الشارع منه **الثاني** ان لا يساعد الصادين عن سبيل الله والمسجد الحرام بتسليم المكوس اليهم فان ذلك اعانة على الظلم وتسهيل لاسبابه وجراة على تيسر السالكين الى الله وليحتل في الخلاص فان لم يقدر فالرجوع اولى من اعانة الظالمين على بدعة وجعلها سنة **الثالث** التوسع في الزاد وطيب النفس في البذل والانفاق بالعدل دون التبذير والتقتير فان بذل الزاد في طريق مكة انفاق في سبيل الله قال صلى الله عليه وآله الحج المبرور ليس له اجر الا الجنة فقيل يا رسول الله ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام **الرابع** ترك الرفث والفسوق والجدال كما قال تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج والرفث كل لغو وفحش من الكلام ويدخل في ذلك محادثة النساء بشان الجماع ومقدماته فانها تهيج داعية وهو مقدمة محرم ومن لطف الشارع اقامة مظنة الشيء مقام الشيء حسما لمادته والفسوق الخروج عن طاعة الله والجدال هو المماراة والخصومة الموجبة للضغائن والاحقاد وافتراق كلمة الخلق وكل ذلك ضد مقصود الشارع من الحج وشغل عن ذكر الله **الخامس** ان يحج ماشيا مع القدرة ونشاط النفس فان ذلك افضل وادخل للنفس في الاذعان لعبودية الله وقال بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من مؤنة الانفاق ولانه ابعد من الملال واقل للاذى واقرب

ان لله

الخامس

للسمعة

بغير الحق

في بيان احكام الحج

الى السلامة واداء الحج وهذا التحقيق عند بحثنا لغيرنا قلناه والحق التفصيل فيقال من سهل عليه المشي فهو افضل فان اضعف وادى الى
سوء خلق وقصور عن العمل فالركوب افضل لان المقصود توفر القوى على ذكر الله تعالى وعدم الشغلات عنه **السادس** ان يركب الزاملة
دون المحمل لاشتماله على زي المترفين والمتكبرين ولانه اخف على البعير الا لعذر حج رسول الله صلعم على راحلة وكان تحته رحل رث
وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هيئته وشمائله وقال خذوا عني مناسككم **السابع** ان يخرج رث
الهيئة اقرب الى الشعث غير مستكثر من الزينة واسباب التفاخر فيخرج بذلك عن حزب السالكين وشعار الصالحين روى عنه صلعم انه قال
انما الحاج الشعث التفث يقول الله تعالى للملائكة انظروا الى زوار بيتي قد جاؤني شعثا غبرا من كل فج وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث
الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وتقليم الاظفار **الثامن** ان يرفق بالدابة ولا يحملها ما لا تطيق كاهل الورع لا ينامون على الدابة
الا غفوة من قعود وقال صلعم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وسر ذلك
مراعاة الرفق والرحمة والتخلي عن القسوة والظلم ولا يتحرج بالعسف عن قانون العدل ومراعاة عناية الله وشمولها فانها كما لحقت الانسان
لحقت سائر الحيوانات **التاسع** ان يتقرب باراقة دم ويجتهد ان يكون سمينا ثمينا روي ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسال
رسول الله صلعم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه رسول الله صلعم وقال بل اهدها وذلك لان المقصود ليس تكثير اللحم وانما المقصود تزكية
النفس وتطهيرها عن رذيلة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال صلعم ما
ما من عمل ادمي يوم النحر احب الى الله عز وجل من اهراقه دما وانها لتاتي يوم القيامة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل
قبل ان يقع الارض فطيبوا بها نفسا **العاشر** ان يكون طيب النفس بما انفقه من هدي وغيره وبما اصابه من خسران ونقيصة مال ان
اصابه ذلك فان ذلك يكون مكتفيا الى الله سبحانه عن كل ما انفقه معوضا عنه بما عند الله وذلك علامة القبول **المبحث الثالث**
في الوظايف القلبية عند كل عمل من اعمال الحج اعلم ان اول الحج فهم موضع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة عنه ثم تهيئة
اسباب الوصول اليه من الزاد والراحلة ثم السير ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال المشهورة وفي كل حالة من هذه
الحالات تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق واشارة للفطن الحاذق الى اسرار يقف عليها بصفاء قلبه وطهارة باطنه ان
ساعده التوفيق اما الفهم فاعلم انه لا وصول الى الله الا بالتنزه عما عداه عن القصد من المشتهيات البدنية واللذات الدنيوية والتجرد في
جميع الحالات والاقتصار على الضروريات ولهذا انفرد الرهبان في الاعصار السالفة عن الخلق في قلل الجبال توحشا من الخلق وطلبا للانس
بالخالق واعرضوا عن جميع ما سواه ولذلك مدحهم بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل
الخلق على اتباع الشهوات والاقبال على الدنيا والالتفات عن الله بعث نبينا صلعم لاحياء طريق الاخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها
فساله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال
هم الصائمون فجعل سبحانه الحج رهبانية لهذه الامة فشرف البيت العتيق باضافته الى نفسه ونصبه مقصدا للعباد وجعل ما حوله حرما
لبيته تفخيما لامره وتعظيما لشانه وجعل عرفات كالميدان على باب حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك
يقصده الزوار من كل فج عميق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت مستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن
ان يحويه مكان ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تانس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها
العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية بخلاف سائر العبادات
كالزكوة التي هي ارفاق في وجه معلوم وللعقل اليه ميل والصوم الذي هو كسر للشهوة التي هي عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل
وكالركوع والسجود في الصلوة الذي هو تواضع لله سبحانه بافعال على هيئات التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله تعالى واما امثال هذه الاعمال
فانه لا اهتداء للعقل الى اسرارها فلا يكون للاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد امتثاله من حيث هو واجب الاتباع فقط وفيه عزل
للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه المعين على الفعل من حيث هو فان كل ما ادرك العقل وجه الحكمة في فعله مال
الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلعم في الحج على الخصوص
لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في الصلوة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بكون اعمالهم على خلاف هوى
طباعهم وان يكون زمامها بيد الشارع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد ومقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع
التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع الى مقتضى الاسترقاق ولهذا كان مصدر تعجب النفوس من الافعال العجيبة هو
الذهول عن اسرار التعبدات واما الشوق فانما ينبعث بعد الفهم ان البيت بيت الله وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الله تعالى وقاصد
حضرة الله تعالى بالمثال المحسوس جدير بان يزور بحسب شوقه الى الحضرة العلوية والكعبة الحقيقية التي هي في السماء وقد
يجعل هذا البيت على قصد لقائها فيشاهد حضرة الاعلى بحكم وعده الكريم واما العزم فليستحضر في نفسه انه بعزمه مفارق للاهل والولد ما

المشهور

حج

للشهوات واللذات مهاجرا الى ربه متوجها الى زيارة بيته وليعظم قدر البيت لقدر رب البيت وليخلص عزمه ويصفيه ويبعده عن شوائب الرياء
والسمعة فان ذلك شرك خفي وليتحقق انه لا يقبل من عمله وقصده الا الخالص وان من اقبح القبائح ان يقصد بيت الملك وحرمه ومع
اطلاع ذلك الملك على خائنة الاعين وما تخفي الصدور ويكون قصده غيره فان ذلك استبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير واما
قطع العلائق فيجد في جميع الخواطر عن قلبه غير قصد عبادة الله والتوبة الخالصة لله عن الظلم وانواع المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة
خصم حاضر متعلق بتلابيبه عليه ويقول له اتقصد بيت الملوك وهو مطلع على تضييعك امره في منزلك هذا وتستهين به ولا تلتفت
الى نواهيه وزواجره ولا تستحيي ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيغلق دونك ابواب رحمته ويلقيك في مهاوي نقمته فان كنت راغبا
في قبول زيارتك فابرأ اليه من جميع معاصيك واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك لتتوجه اليه بوجه قلبك كما انت متوجه
الى بيته ثم وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان كل هذه امثلة قريبة يترقى منها الى اسرارها واما الزاد فليطلبه

بوجه ظاهره

من موضع حلال فاذا احس من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير قبل بلوغ المقصد فليتذكر
ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه لا يصلح زادا ولا يبقى معه الا يسيرا هو في هذا المنزل وليحذر ان يفسد
اعماله التي هي زاده الى الآخرة بشوائب الرياء وكدورات التقصير فيدخل في قوله تعالى هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واما الراحلة فليذكر عند ركوبه تسخير الحيوان له وحمله عنه الاذى ويتذكر منته تعالى عليه واعتنائه به
ورأفته حيث يقول وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم فيشكره سبحانه على حمل هذه النعم
وعظيم هذه المنة وليستحضر نقلته من مركبه الى منازل الآخرة التي لا شك فيها ولعلها اقرب من ركوبه الحاضر فيحتاط في امره وليعلم ان
هذه امثلة محسوسة يترقى منها الى مراكب النجاة من الشقوة الكبرى وهي عذاب الله سبحانه واما ثوبا الاحرام وشراؤه ولبسه فليتذكر معه
الكفن ويحضر فيه ولعلها اقرب اليه من لبسه وكذلك مراكب السير الى الله التي لا خلاص من عذابه الا بها فيجتهد في تحصيلها بقدر الامكان
واما الخروج من البلد فليستحضر عنده انه يفارق الاهل والولد متوجها الى الله سبحانه في سفر غير اسفار الدنيا وليستحضر ايضا غايته من
ذلك السفر وانه متوجه الى ملك الملوك وجبار الجبابرة في جملة الزائرين الذين نودوا وشوقوا فاشتاقوا وقطعوا العلائق وفارقوا

فاجابوا

الخلائق واقبلوا على بيت الله طلبا لرضى الله وطمعا في النظر الى وجهه الكريم وليستحضر في قلبه رجاء الوصول الى الملك والقبول
له بعفو فضله وليعتقد انه ان مات دون الوصول الى البيت لقي الله وافدا عليه لقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ثم ليتذكر في اثناء طريقه من مشاهدة عقبات الطريق الآخرة ومن السباع والحيات حشرات القبر
ومن وحشة البراري وحشة القبر وانفراده عن الانس فان كل هذه الامور جاذبة الى الله سبحانه ومذكرة له امر معاده واما الاحرام والتلبية
من الميقات فليستحضر انه اجابة نداء الله تعالى وليكن في قبول اجابته بين خوف ورجاء مفوضا امره الى الله متوكلا على فضله فان سفيان
بن عيينة حج مع زين العابدين علي بن الحسين ع فلما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له الا
تلبي فقال اخشى ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه فانظر رحمك
الله الى هذه النفس الطاهرة حيث بلغ بها الاستعداد لافاضة انوار الله ثم ترك الخواطر الالهية والنفحات الربانية تغشيها فتغيب عن كل
شيء سوى جلال الله وعظمته وليتذكر عند اجابته نداء الله سبحانه اجابته نداءه اذا نفخ في الصور وحشر الخلق من القبور وازدحامهم في
عرصات القيمة مجيبين لندائه منقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد
الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج ام لا واما دخول مكة فليستحضر عنده انه قد انتهى الى حرم الله الآمن وليرج عنده ان يأمن
بدخوله من عقاب الله وليخش ان لا يكون من اهل القرب وليكن رجاؤه اغلب فان الكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام
اللائذ المستجير غير مضيع خصوصا عند اكرم الاكرمين وارحم الراحمين وليستحضر ان هذا الحرم مثال الحرم الحقيقي لترتقي من الشوق الى دخول
هذا الحرم والامن بدخوله من العقاب الى الشوق الى دخول ذلك الحرم والمقام الامين واذا وقع بصره على البيت فليستحضر عظمته في قلبه و
ليترق بفكره الى مشاهدة حضرة رب البيت في جوار الملائكة المقربين وليتشوق ان يرزقه النظر الى وجهه الكريم كما رزقه الوصول الى
بيته العظيم وليكثر من الذكر والشكر على تبليغ الله اياه هذه المرتبة وبالجملة فلا يغفل عن تذكر احوال الآخرة في كل ما يراه فان كل
احوال الحج ومنازله دليل يترقى منه الى مشاهدة احوال الآخرة واما الطواف بالبيت فليستحضر في قلبه التعظيم والخوف والخشية
والمحبة وليعلم انه بذلك متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل طواف
قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدئ بالذكر الا منه ولا تختم الا به كما تبتدئ بالبيت وتختم به واعلم ان الطواف المطلوب هو طواف القلب
بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الشهادة لتلك الحضرة التي هي عالم الغيب كما ان الانسان الظاهر مثال الظاهر في عالم الشهادة
للانسان الباطن الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مرقاة ومدرج الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح

في بيان احكام الحج

لمباب الرحمة واخذت العناية الالهية بيد السالك الى الصراط المستقيم والى هذه الموازنة وقعت الاشارة الالهية بان البيت المعمور في السماء بازاء
الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت مرتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان
ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم ثم كثيرا ما يزداد ذلك التشبه الى ان يصير في قوة المشبه به والذي يبلغ تلك المرتبة فهو الذي
يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رواه بعض المكاشفين عن بعض اولياء الله واما الاستلام فليستحضر عنده انه مبايع لله على
طاعته مصمم عزيمته على الوفاء ببيعته ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ولذلك قال
رسول الله ص الحجر الاسود يمين الله في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه ولما قبله عمر قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا
تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبلك لما قبلتك فقال له علي ع مه يا عمر بل يضر وينفع فان الله سبحانه لما اخذ الميثاق
على بني ادم حيث يقول واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الاية القمه هذا الحجر ليكون شاهدا عليهم باداء
امانتهم وذلك معنى قول الانسان عند استلامه امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي عند ربك بالموافاة واما التعلق باستار
الكعبة والالتصاق بالملتزم فليستحضر فيه طلب القرب حبا لله وشوقا الى لقائه تبركا بالمماسة ورجاء للتحصن من النار في كل جزء من
البيت ولتكن النية في التعلق بالستر الالحاح في طلب الرحمة وتوجيه الذهن الى الواحد الحق وسؤال الامان من عذابه كالمذنب المتعلق

الرحمة

باذيال من عصاه المتضرع اليه في عفوه عنه المعترف له بانه لا ملجا الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل
الطاعة في المستقبل واما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فمثال لتردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة
بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للالتفات بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي الملك
في حقه من قبول او رد فيكون تردده رجاء ان يرحم في الثانية ان لم يكن رحم في الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة
تردده بين كفتي الميزان في عرصة القيمة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين
ملاحظا للرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران واما الوقوف بعرفة فليتذكر بما يرى من ازدحام الناس وارتفاع
الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرتهم عرصات القيمة واجتماع الامم
مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكر ذلك
فيلزم قلبه الضراعة والابتهال الى الله ان يحشره في زمرة الفائزين المرحومين وليكن رجاؤه اغلب فان الموقف شريف والرحمة انما
تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلائق بواسطة النفوس الكاملة من اوتاد الارض ولا يخلو الموقف عن طائفة من الابدال والاوتاد
وطوائف من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة نفوسهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم
يرمقون بابصارهم جهة الرحمة طالبين لها فلا تظنن انه يخيب سعيهم من رحمة تغمرهم ويلوح لك من اجتماع الامم بعرفات ولا سيما
بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من اقطار البلاد وهو السر الاعظم من الحج ومقاصده فلا طريق الى استنزال رحمة الله واستدرارها
اعظم من اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد واما رمي الجمار فليقصد به الانقياد لامر الله واظهار الرق
والعبودية ثم ليقصد به التشبه بابرهيم ع حيث عرض له ابليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله تعالى
ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان خطر له ان الشيطان عرض لابرهيم ع ولم يعرض له فليعلم ان هذا الخاطر من الشيطان
وهو الذي القاه على قلبه ليخيل انه لا فائدة في الرمي وانه يشبه اللعب فليطرده عن نفسه بالجد والتشمير في الرمي فيه برغم

التبرم

منه برغم انف الشيطان فانه وان كان في الظاهر رميا للعقبة بالحصى فهو في الحقيقة رمي لوجه ابليس وقصم لظهره اذ لا يحصل
ارغام انفه الا بامتثال امر الله تعظيما لمجرد الامر واما ذبح الهدي فليعلم انه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فليكمل الهدي واجزاءه
وليرج ان يعتق الله بكل جزء منه جزءا من النار هكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي اكثر واوفر كان الفداء به من النار اتم
واعم وهو تشبيه التقرب الى الملك بالذبح له واطعام الضيفان والقرى والغاية منه تذكر المعبود الاول سبحانه عند النية في الذبح
واعتقاد انه متقرب به وباجزائه الى الله فهذه هي الاشارة الى اسرار الحج واعماله الباطنة اذا عرفت ذلك فلنرجع الى النص **قوله**
وفرض عليكم حج بيته الحرام اشارة الى وجوب الحج على الخلق وهو معلوم بالضرورة من الدين ووصفه بالحرام لانه يحرم على الخلق
ان يفعلوا فيه ما لا ينبغي من منافي الشرع **وقوله** الذي جعله قبلة للانام مستنده قوله تعالى فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره **وقوله** يردونه ورود الانعام مبالغة في تشبيه ورود الخلق البيت بورود
الانعام ووجه الشبه ان الخلق يردون البيت بازدحام عن حرص وشوق اليه كحال الانعام عند ورودها الماء وقيل ان وجه
الشبه هو ما بيناه من عدم اطلاع الخلق على اسرار الحج وعلى ما يشتمل عليه المناسك من الحكمة الالهية ولما كان العقل الذي
به تميز الانسان عن الانعام وساير الحيوان معرضا عن ادراك هذه الاسرار كان لا يكون بين الانسان وبينها كثير فرق في الورود

في بيان خطبته بعد انصرافه من صفين

الى البيت وسائر المناسك وفيه بعد وقوله ويألهون اليه ولوه الحمام اشارة الى شوق الخلق في كل عام الى ورود البيت كما
يشتاق الى اليه الحمام الذي يسكنه وقد راعى في هذه القرائن الاربع السجع قوله جعله علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته
اشارة الى ما ذكرنا من ان العقل لما لم يكن ليهتدي الى اسرار هذه الاعمال لم يكن الباعث عليها الا الامر وقصد امتثاله من حيث
هو واجب الاتباع فقط وفيه كمال الرق وخلوص الانقياد في فعل ما امر به من اعمال الحج كلّف فهو علامة الخاص الذي ظهرت عليه علامة
الخاضعين والمذعن المتواضع لجلال رب العالمين ولما كان الحق سبحانه عالم الغيب والشهادة لم يمكن ان يقال انه جعل العلامة ليستفيد
بها علما باحوال عبيده من طاعتهم فاذن يتعين ان يكون معناها انه جعلها الى ما به تتميز النفوس الكاملة التي انقادت لامر الله واخلصت له
العبادة عما عداها فان هذه العبادة من اشرف ما استعدت به النفس الانسانية فتستعد فاذن بها كالامتياز بين ابناء نوعها في الدنيا علامة تتميز
من اتسم بها عن غيره وقوله واختار من خلقه سماعا اجابوا اليه دعوته اشارة الى الحاج في تصديقهم واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا
وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق وفي الاخبار ان ابرهيم لما فرغ من بناء البيت جاءه جبرئيل فامره ان يؤذن في الناس بالحج فقال ابرهيم
يا رب وما يبلغ صوتي قال الله اذّن وعلي البلاغ فعلا ابرهيم المقام واشرف به حتى صار كاطول الجبال واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا
وغربا ونادى يا ايها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم فاجابه من كان في اصلاب الرجال وارحام النساء لبيك اللهم
لبيك وفي الاثر اشارات لطيفة فانه يحتمل ان يراد بقول ابرهيم وما يبلغ صوتي اشارة الى حكم الوهم الانساني باستبعاد عموم هذه
الدعوة وانقياد الخلق لها وقصور الطبع عن ذلك وبقول الحق سبحانه وعلي البلاغ الاشارة الى تأييد الله سبحانه بما اوحى اليه من العلم
ببسط دعوته وبلاغها الى من علم بلوغها اليه وبعلو ابرهيم المقام حتى صار كاطول الجبال واقباله بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا
ودعوته اشارة الى اجتهاده في التبليغ للدعوة وحمل الخلق الى هذه العبادة بحسب امكانه واستعانته في ذلك باولياء الله التابعين
له واما اجابة من كان في اصلاب الرجال وارحام النساء له فاشارة الى ما كتبه الله سبحانه بقلم قضائه في اللوح المحفوظ من طاعة الخلق و
اجابتهم لهذه الدعوة على لسان ابرهيم ومن بعده من الانبياء وهم المراد بالسماع الذين اختارهم الله سبحانه من خلقه حتى اجابوا دعوته الى
بيته وحجهم اليه بعدما اعلمهم ان الله تعالى تعبدهم به وانه بعد اخرى وقوله وصدقوا كلمته اشارة الى مطابقة اذعانهم لما جاءت به الانبياء
من كلام الله سبحانه وعدم مخالفتهم وتكذيبهم لهم وقوله ووقفوا مواقف انبيائه اشارة الى متابعتهم لهم ايضا في مواقف الحج وفي ذكر الانبياء ههنا
استدراج حسن للطباع اللطيفة المشوقة الى لقاء الله والتشبه بانبيائه وملائكته وقوله وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه اشارة الى
ما ذكرناه من ان البيت المعمور بازاء الكعبة في السماء وان طوافهم حول هذا البيت يشبه طواف الملائكة وحولهم بالبيت المعمور بالعرش
فهم متشبهون بالملائكة في الطواف والغاية ان يترقى من تحت الغاية بسببه من هذا الطواف الى ان يصير من الطائفين بالعرش والبيت المعمور
وقوله يحرزون الارباح في متجر عبادته ويتبادرون عنده موعد مغفرته استعار المتجر للعبادة بالبضاعة التي يتجر بها فالتاجر هو النفس وراس
المال هو العقل ووجوه تصرفاته حركاته وسكناته الحسية والعقلية المطلوبة منه بالاوامر الشرعية والعقلية والارباح هي ثواب الله وما
اعده للمحسنين في جنات النعيم ووجه المشابهة انه لما كان التاجر في خدمة سيده يتجر بطلب به التكسب والربح واحسن به اذا نظر الى اسرار العبادة
تحذف جميع الاغراض والخواطر في حال عبادته عن درجة الاعتبار وجعلها خالصة لله تعالى فهو فاما كالاعمال لذكر الربح فيها فاستدراج حسن
حسن لطباع الخلق بما يفهمونه ويميلون اليه من حب الارباح في الحركات ليشتاقوا فيتعبدوا وقوله وجعله للاسلام علما اي علما للطريق
الى الله وسلوك الصراط المستقيم وهو الاسلام الحقيقي يهتدى عليها كما يهتدى بالعلم المرفوع للعسكر والمنارة على مقاصدهم وقوله فرض عليكم
حجه اوجب عليكم وفائدته التوكيد تاكيدا لما سبق وذكر للخطاب الموجب للحج وهو قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وبالله
العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** بعد انصرافه من صفين احمده استتماما لنعمته واستسلاما لعزته واستعصاما
من معصيته واستعينه فاقة الى كفايته انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه فانه ارجح ما
وزن وافضل ما خزن واشهد ان لا اله الا الله شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها نتمسك بها ابدا ما ابقانا وندخرها لاهاويل
ما يلقانا فانها عزيمة الايمان وفاتحة الاحسان ومرضاة الرحمن ومدحرة الشيطان واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالدين
المشهور والعلم المأثور والكتاب المسطور والنور الساطع والضياء اللامع والامر الصادع ازاحة للشبهات واحتجاجا بالبينات وتحذيرا
بالآيات وتخويفا بالمثلات والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين وتزعزعت سواري اليقين واختلف النجر وتشتت الامر و
ضاق المخرج وعمي المصدر فالهدى خامل والعمى شامل عصي الرحمن ونصر الشيطان وخذل الايمان فانهارت دعائمه وتنكرت معالمه
ودرست سبله وعفت شركه اطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه ووردوا مناهله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه في فتن داستهم
باخفافها ووطئتهم باظلافها وقامت على سنابكها فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشر جيران نومهم
سهود وكحلهم دموع بارض عالمها ملجم وجاهلها مكرم **قوله** صفين اسم موضع بالشام والاستسلام الانقياد ووأل فلان يئل وألا

من خطبة بعد انصرافه من صفين

على فعول اي الملجأ ... الموئل الملجأ والفاقة الفقر ... ومصاص كل شيء خالصه والذخيرة الجنة ... والاهاويل الامور المخوفة
التي يعظم اعتبار النفس لها ... الايمان عقد القلب عليه والذخيرة ما ادخر ... الاعتياد والمأثور المقدم على غيره والمأثور
ايضا المنقول والمثلات جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء وهي العقوبة والفتن جمع فتنة وهي كل امر ... عن قصد ... اشتغل عنه من بلاء
ومحنة وهي ... وانجذم انقطع ... الاضطراب ... السواري الاساطين والنجر الطبع والاصل والخامل الساقط
وانهارت انهدمت والمعالم الاثار ... يعلم الشيء ويستدل عليه والشرك جمع شركة بفتح الشين والراء وهي معظم الطريق ووسطها و
المناهل المشارب ... الواحد ... والجحود مصدر كالجحود ... للشهادة ... اعلم ان المراد بالحمد
ههنا الشكر واستتماما وما بعدها من المنصوبات منصوبات على المفعول له وقد يجعل ... ههنا غايات الاولى منها الاستتمام لنعمه
الله وذلك لان العبد يستعد بمزيد الشكر لمزيد النعم وهو في ذلك ناظر الى قوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم لما اشتمل عليه الاية من
البعث على رجاء المزيد والثانية الاستسلام لعزته فان العبد ايضا يستعد بكمال الشكر لمعرفة المشكور وهو الله سبحانه وهي مستلزمة للانقياد
لقهره والخشوع لعظمته وهو في ذلك ناظر الى قوله ولئن كفرتم ان عذابي لشديد لما يشتمل عليه الاية من التخويف المانع من مقابلة نعم الله
بالكفر ثم لما كان الاستعداد لتمام النعم والتأمل لكمال الخضوع والانقياد لعزة الله سبحانه انما يتم بعد ان يكون العناية الالهية اخذة بضبع
العبد وجاذبة له عن ورطات المعاصي مبعدة له عن اسباب التورط ... والاسباب الداعية الى ارتكاب احد طرفي الافراط (فيهما)
والتفريط جعل الحمد غاية اخرى هي الوسيلة الى الغايتين المذكورتين وهي الاستعصام بالله سبحانه من معصيته وعقب ذلك
الشكر بطلب المعونة منه على تمام الاستعداد لما سأل ... وجعل لذلك الاستعانة علة حاملة وهي الفاقة نحو غاية
هي كفاية دواعي التفريط والافراط بالجذب الى جناب الالهية ولا شك ان الغايتين المذكورتين لا يتم بدون عصمته والمعونة بكفايته
وذلك قوله واستعصاما من معصيته واستعينه فاقة الى كفايته **قوله** انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من
كفاه تعليل لطلب المعونة على تحصيل الكفاية فانه لما كان حصول الكفاية مانعا من دواعي طرفي التفريط كان العبد مستقيم الحركات على
سواء الصراط وذلك هدى الله يهدي به من يشاء فكانه قال واستعينه على ان يرزقني الكفاية المستلزمة للهداية التي هي الغنى الحقيقي والملك
الابدي فانه لا يضل من هداه ولا ينجو من عذابه من عاداه واعرض عن شكره والاستعانة وقد اطلق ههنا لفظ المعاداة لله كما اطلقها القرآن
الكريم على ما هو من لوازمها وهو الاعراض عن عبادته والبغض لها ولمن تلبس بها من عباده مجازا **قوله** فانه ارجح ما وزن وافضل ما خزن
الضمير يعود الى الله سبحانه ولما كانت ذاته مقدسة عن الوزن والخزن اللذين هما من صفات الاجسام فالمراد اي ان يكون المقصود
رجحان عرفانه في ميزان العقل اذ لا يوازنه عرفان ما عداه بل لا يخطر ببال العارف عند الاخلاص سواه حتى يصادف هناك موازن يقال
منها ارجح ويكون المراد بالخزن خزن ذلك العرفان في اسرار النفوس لقدر سنيه وقيل الضمير يرجع الى ما دل عليه قوله احمده من الحمد على
طريقة قولهم من كذب كان شرا له **قوله** واشهد ان لا اله الا الله هذه الكلمة اشرف كلمة وحد بها الخالق عز اسمه وقد اشرنا في الخطبة
الاولى الى ما تضمنته تركيبها من حسن الوضع المؤدي للمقصود التام منها وبالجملة هي منطبقة على جميع مراتب التوحيد وقد زعم النحويون
ان فيها شيئا مقدرا يكون خبر لا فانوا وتقديره لا اله لنا الا الله ولا اله الا الله موجود الا الله واعلم ان كل تقدير يقدر ههنا فهو
مخرج لهذه الكلمة عما يفيده اطلاقها ويفيدها تخصيصا لم يكن وهو مما يجده الانسان من نفسه عند الاعتبار فالاولى ان يكون
خبر لا قولنا الا الله ولا حاجة الى تقدير امر زائد وقد ورد في هذه الكلمة فضائل **الاولى** قوله ص افضل الذكر لا اله الا الله وافضل
الدعاء الحمد لله **الثانية** عن ابن عمر قال قال ص ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في الموت ولا عند النشر وكاني انظر الى اهل لا اله
الا الله عند الصيحة ينفضون شعورهم من التراب يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن **الثالثة** روي ان المامون لما انصرف من مرو
يريد العراق واجتاز بنيسابور وكان على مقدمته علي بن موسى الرضا فقام اليه قوم من المشايخ وقالوا نسألك بحق قرابتك من رسول الله
ان تحدثنا بحديث ينفعنا فروى عن ابيه عن ابائه عن رسول الله عن جبرئيل عن ربه انه قال لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن من
عذابي **الرابعة** قال صلى الله عليه وآله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله قال بعض العلماء ان الله تعالى جعل العذاب عذابين احدهما السيف في يد المسلمين والثاني عذاب الاخرة والسيف في غلاف
يرى والنار في غلاف لا يرى فقال تعالى لرسوله ص من اخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم فقال لا اله الا الله ادخلنا السيف في الغمد
المرئي ومن اخرج لسان قلبه من الغلاف الذي لا يرى وهو غلاف الشرك فقال لا اله الا الله ادخلنا سيف عذاب الاخرة في غمد الرحمة واحدة بواحدة
جزاء ولا ظلم اليوم **قوله** شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها وصف بوصفين جريا على غير من هما له والممتحن المختبر اي الذي محص
نفسه في اخلاص هذه الشهادة وايجادها عرية عن شبهات الباطل معرضة عن كل خاطر سوى الحق سبحانه متمثلة فيها حلية التوحيد
خالصة مبرأة عن شوائب الشرك الخفي كما عرفت من التوحيد المطلق والاخلاص المحقق **قوله** نتمسك بها ابدا ما ابقانا وندخرها لاهاويل

ما يلقانا

ح

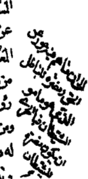
ما يلقاها فانها عزيمة الايمان الى قوله ومدحرة الشيطان اشارة الى انه يجب التمسك بها مدة البقاء في دار الدنيا لعظائم الامور والاستعداد
بها لاهوال الآخرة وشدائدها ثم عقبها بذكر علة التمسك بها وادخارها وذكر اربعة اوصاف توجب ذلك **اولها** انها عقيدة الايمان
وعزيمة المطلوب لله سبحانه من خلقه وكل ما عداها مما وردت به الشريعة من قواعد الدين وفروعه فهي حقوق لها وتوابع ومتممات وممهدات
على الوقوف على سرها والوصول الى اخلاصها **وثانيها** انها فاتحة الاحسان فانها اول كلمة افتتحت بها الشريعة واستعد العبد بالسلوك
في طريق اخلاصها لافاضة احسان الله ونعمه شيئا فشيئا وكما انها اول مطلوب لله من خلقه في فطرتهم الاصلية على سنته وسلم عليها
فهي ايضا غاية ما ينتهون باخلاصها واستصحاب مصاحبها السعادة الباقية **وثالثها** انها مرضاة الرحمن وذلك ظاهر اذ هي محل
رضوان الله والسبب الجاذب لتمام رحمته ومزيد نعمته على محل تنوره بها ورفع السخط عنه كما قال الرسول أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا
الله الخبر **ورابعها** انها مدحرة الشيطان وذلك انه لما كانت غاية دعوة الشيطان هو الشرك الجلي او الخفي وهذه الكلمة انما وضعت منافية
دعوته فظاهرها دافع لظاهر ما يدعو اليه وباطنها قامع لباطن ما يدعو اليه وكما ان الشرك على مراتب لا تتناهى فكذلك الاخلاص في هذه الكلمة
فبقدر كل مرتبة من السلوك في اخلاصها يقطع في مقابلتها مرتبة من الشرك ويبطل سعي الشيطان في بناء تلك المرتبة الى ان يتم الاخلاص
بقدر الامكان وقد انهدمت قواعد الشيطان بكليتها وصار ابعد مطرود عن قبول ما يقول ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب
لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب **قوله** واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله فجرى بها لسانه واطمأن بها قلبه حرمت النار عليه وانما قرنت هذه الكلمة بكلمة التوحيد لانك عرفت ان غرض الشريعة
انما هو اخلاص تلك الكلمة ولن يحصل اخلاصها الا بسلوك مراتبها ولن يحصل ذلك الا بمعرفة كيفية السلوك وعلمت ان مدار ارسال
الرسل ووضع الشرائع كيفية السلوك في درجات الاخلاص فكانت الشهادة والاقرار بصدق المبلغ لهذه الرسالة والمبين لطريق الاخلاص
اجل كلمة بعد كلمة الاخلاص لانها بمنزلة الباب لها فلاجل ذلك قرنت بها **قوله** ارسله بالدين المشهور الى قوله والامر الصادع اشارة
الى تعظيم الرسول صلى الله عليه وآله بما جاء به واشار بالدين المشهور الى دينه المشتمل على تعريف كيفية سلوك الصراط المستقيم وبالعلم المأثور الى اعتبار
كون ذلك الدين هاديا قلوب الخلق يهتدون به الى الحضرة القدسية التي هي مقصد جميع الشرائع اذ ذلك هو شأن العلم وكونه مأثورا اشارة
اما الى كونه مقدما على سائر الاديان كما يقدم العلم ويتمسك به قوم بعد قوم او الى نقله من قرن الى قرن وبالكتاب المسطور الى القرآن
المسطور ومعناه المنتقش بالواح النفوس وبالنور الساطع والضياء اللامع الى السراج الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وآله من هذه الطريقة وامر بقصده منها وهو
نور يشرق في مرائي النفوس الصافية عن صداء الشبهات وكدورات الشرك وبخصوصية الامر ووصفه بكونه صادعا الى اعتبار قهره ما وامر الله
ورد على من ابى ان يسلك الطريق المأمور بسلوكها عن عبرة واختيار حتى شق الامر الالهي وجه باطله وصدع ما كان ملتئما من بنائه وفساده كما قال
تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين **قوله** ازاحة للشبهات الى قوله وتخويفا بالمثلات اشارة الى الوجوه القريبة لمقاصد البعثة وذكر
عليه السلام منها ثلاث مقاصد **اولها** ازاحة الشبهات وهو اماطتها فان حذف شواغل الدنيا وشبهات الباطل عن قلوب الخلق اهم مقاصد
الشارع **الثاني** سبب تلك الازاحة وهو الاحتجاج على الخلق بالحجج الواضحة لهم والخطابات الواصلة الى اذهانهم كما قال تعالى وجادلهم بالتي
هي احسن **الثالث** التحذير بالآيات النازلة بالعصاة والتخويف بالعقوبات الواقعة باهل الجنايات كما قال تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم
من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى وهذا الانذار مؤيد بالحجج والخطابات الشرعية في حق من لم يرتق صفاء ذهنه الى ان
يؤثر فيه مجرد الخطابات فيحتاج الى التحذير والانذار **قوله** والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين الى قوله يرتدون اعتزل يحتمل
ان يكون الواو في والناس للابتداء ويكون ذلك شروعا في ذم احوال زمانه وما هم فيه من البلاء والمحنة والمخاوف والحروب بسبب
اهوائهم واختلاف آرائهم وغرضه تنبيه السامعين على ما اعتاموا غافلين عنه مما فيه من الفتن المشتملة على المذام التي عددها لينتبهوا
من رقدة الغفلة ويتيقظوا الى سلوك سبيل الحق عن شائبة الاهواء وذكر من المذام التي حصل الناس عليها بسبب ما هم فيه من الفتن
امورا يرجع حاصلها وان تعددت الى ترك مراسم الشريعة وعدم سلوك سبيل الحق وارتكاب طريق الباطل فانقطاع حبل الدين اشارة الى
انحراف الخلق عن سواء السبيل وعدم تمسكهم باوامر الله سبحانه حال وقوع تلك الفتن واستعمال لفظ الحبل ههنا وفي التنزيل الالهي فاعتصموا
بحبل الله جميعا استعارة لقانون الشريعة المطلوب منها الوصول والتمسك به وكذلك استعمال السواري اما لقواعد الدين واركانه المأمور
بتشييدها كالجهاد الذي هو اقوى مطالبه اذ ذلك الوقت حتى يكون المراد تزعزعها عدم استقامتها واستقرار الناس عليها مجازا
واما لاهل الدين الذي به يقوم ورجاله العاملين به الذين لم يأخذهم في الله لومة لائم وتزعزعها موتهم او تشتتهم وخوفهم من الاعداء
وكل ذلك استعارة لطيفة ووجوه المشابهة فيها ظاهرة واشار باختلاف النجر الى اختلاف الاصل الذي كان يجمع الخلق والفطرة التي فطر
الناس عليها ووضع الشريعة بلزومها فانها كانت متفقة بوجود الرسول صلى الله عليه وآله فاختلفت بعده بسلوك كل فرقة مذهبا غير الاخرى وعلى
ان النجر هو الحسب هو الدين يحتمل ان يريد به اختلاف الدين واشار بتشتت الامر الى تفرق كلمة المسلمين وبقوله وضاق المخرج وعمي المصدر

في قوله

في

اشارة الى

في بيان خطبة بعد انصرافه من صفين



الى ان الخلق بعد تورطهم في فتن الشبهات الموجبة لتفرق كلمتهم ضاق مخرجهم منها وعمي عليهم طريق صدرهم منها والعمى ههنا هو
المشار اليه بقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهو استعارة حسنة اذ العمى حقيقة عبارة
عن عدم ملكة البصر وتحير المشابهة ان الاعمى كما لا يهتدي لمقاصده المحسوسة بالبصر لعدمه كذلك اعمى البصيرة لا يهتدي لمقاصده
المعقولة لاختلال بصيرته وعدم عقله لوجوه رشده ولشارته حول الهدى الى عدم ظهوره بينهم حال عماهم عن مصادرهم
من ضلالهم اذ كان ضوؤه ساقطا بينهم عنهم موجود والفاء لعطف الجملة الاسمية على الفعلية واشار بقوله العمى الى اشراكهم في عدم
رؤيتهم لسبيل الحق الذي به يخرجون من شبهات الباطل وظلمته ثم اشار بعد الى خذلانهم للرحمن ونصرهم للشيطان وعصيانا للرحمن
ومن نصر الشيطان بالذب على الباطل فقد خذل الايمان بتركه تشييد قواعده والذب عنه وترك الايمان وخذلانه لا يتبع
له دعامة يقوم بها وبجملة والاشارة بالدعائم والمعالم الى دعاة الحق وحملة الايمان وبانهيارها الى عدمهم او عدم قبول قولهم
وبتنكر المعالم الى عدم معرفتهم في الخلق لقلتهم ويحتمل ان يراد بالدعائم القواعد التي للدين كالجهاد وغيره وانهيارها عدم القيام
بها وبتنكر المعالم الى تخلفه من القلوب التي هي معالم الدين ومحاله وبدروس سبله وعفاء شركه الى تركهم له اثر ثم بعرف بر
كل ذلك مبالغة في ضعف الدين ومسالك الشيطان ومناهله ما يجرهم اليه من مناهي الله تعالى بتعدها فرقة بينه وبين مرفتها واعلام
الشيطان ولواؤه اما القادة اليه والدعاة الى باطله المقتدى بهم وصور الباطل التي تصورت في اذهان الخلق وصارت ائمة
لهم فاتبعوا دواتها واتبعوها فهي كالاعلام والالوية في الحروب وغيرها **قوله** في فتن داستهم باخفافها ووطئتهم باظلافها وقامت
على سنابكها يحتمل ان يكون في فتن متعلقا بقوله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه ويحتمل ان يتعلق بمقدر يكون خبرا ثانيا
لقوله والناس وهذه الفتن هي التي اشار اليها اولا وانما اوردها ثانيا بزيادة اوصاف فبالغ ثم في تشبيهها بانواع استعار لها
لها اخفافا واظلافا وحوافر وجعل لها دوسا ووطئا وقياما على الحوافر ويحتمل ان يكون هنا لفظ اضمار اي داستهم باخفاف ابلها
ووطئتهم باظلاف بقرها وقامت على سنابك خيلها فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويكون التجوز في نسبة الوطي
والدوس والقيام اليها فقط وهو المجاز في الاسناد **قوله** فهم فيها تائهون الفاء للتعقيب واشار بتيههم الى ضلالهم عن القصد
في ظلمات الفتن وبحيرتهم الى ترددهم في ان الحق في اي جهة وعدم درايتهم اهو مع علي ام مع معاوية وبجهلهم الى عدم علمهم بالحق
واعتقاد بعضهم الباطل عن شبهة تحكيم الحكمين واعتقاد الخوارج له عن شبهة دم عثمان وامثال ذلك مما هو جهل مركب وبكونهم
مفتونين الى فتنة غيرهم لهم واضلاله عن الحق وهو الشيطان واتباعه **قوله** في خير دار وشر جيران هذا الظرف يجوز
ان يكون كالذي قبله في كونه خبرا ثالثا او جوزان يتعلق بقوله فاتبعوا او بما بعده من الافعال وقد اختلف الشارحون
لكلام عليه السلام في مراده بخير دار فقال بعضهم اراد الشام لانها الارض المقدسة واهلها القاسطون وقال معنى قوله نومهم
سهود وكحلهم دموع انهم لا ينامون اهتماما باموريهم واعدادا لانفسهم للقتال فيبكون قتلاهم وقوله بارض عالمها ملجم يريد نفسه
والناصرون للحق وجاهلها به معاوية وقال الخوارج اراد بخير دار العراق وشر جيران يعني اصحابه المستغرقين كان الجهاد
وانما كانوا شر جيران اي شر متجاورين لخاذلهم عن الحق ونصرة الدين لان خير المتجاورين المتعاضدون في الله وقوله نومهم
سهود اي خوفا من الحرب وحيرتهم في التدبير وكحلهم دموع اي يبكون قتلاهم ايضا وقيل نفاقا لان من تم نفاقه ملك عينيه
وقال الخوارج اراد بخير دار الدنيا لانها دار العمل واكثر الخلق بها اشرار جهال وليس المقصود بكونها خير تفضيلها على غيرها ليوهم انها
افضل من الاخرة بل اثبات فضيلتها فقط فان افعل التفضيل كما يرد لاثبات الافضلية كذلك يرد لاثبات الفضيلة والدنيا دار
فاضلة لمن قام فيها باوامر الله واعي ما خلق لاجله وهي مزرعة الاخرة كما ورد به الحديث وكون اهلها شر جيران فلما شرهم جاورين
كاستواء شر جيران الى التجائه وجاوروهم للانتصار بهم على اعداء الدين وذلك بعد بعضهم له والقيام معه وقوله نومهم
سهود وكحلهم دموع ظاهره عموم لفظ الناس في اصحابه واصحاب معاوية ومن عناه امر الحرب ودخل فيها وقد بالغ ثم في وصفهم بقلة
النوم لخوف الحرب وهجوم بعضهم على بعض وشدة اهتمامهم بامر القتال وحرصهم في تبيان الباطل من الحق فلزمهم بالسهر لا سيما
عدم النوم فاستعار له لفظه وصيره هو هو وقوله وكحلهم دموع بالغ في تشبيه دموعهم بالكحل وصيره هو هو وبحسب المشابهة ان الدموع
لكثرتها وملازمتها اجفانهم اشبه في ذلك الامر الكثير الغشاء لعيونهم وهو الكحل فلذلك استعار لفظ الكحل له وقوله بارض عالمها ملجم وجاهلها
مكرم الجار والمجرور حكمه حكم الظرف الذي قبله فيما يتعلق به ثم ان حملنا خير دار على الدنيا كان قوله بارض تخصيصا لمكان الناس
من الدنيا فكانه قال والناس في خير دار وهي الدنيا وهم منها بارض من حالها ان عالمها ملجم بلجام الذل من اهلها عن الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر لعدم العمل بينهم وغلبة الجهل عليهم وجاهلها مكرم لمناسبته لهم في الجهل وموافقته لهم على الباطل ويكون المراد بتلك الارض اما
الشام او العراق وان حملنا خير دار على الشام او العراق كان قوله بارض من حالها كذا يجري مجرى البيان ويكون الذم اللاحق من هذا الكلام

منهم

ح

في بيان خطبته بعد انصرافه من صفين

راجعا الى اهل تلك الارض لتعلق الجام العالم واكرام الجاهل بهم وان نسبت تلك اليها لكونهم بها اذ لو وجدنا الذم الى الارض لنافي ذلك وصفه لها بانها خير دار ويحتمل ان يكون الواو في قوله والناس للحال والعامل رسله والفتن المشار اليها هي فتن العرب في الجاهلية وحال البعثة وخير دار يعني مكة وشر جيران يعني قريشا والعالم الملجم من كان حاله بعد الرسول ومتى يعتبه فهو ملجم بلجام التقية والخوف والجاهل المكرم هو من كذبه وهذا الاحتمال حسن واعلم ان الذي يتبادر الى الذهن ان هذا القدر الذي اورده السيد من هذه الخطبة فصول ملتقطة ليست على نظامها الذي خرجت عليه وان كان كذلك فربما يلوح لها لو انتظمت مقاصد توضح ما اورده الناس واختلفوا فيه منها والله اعلم ومنها ويعني ال النبي صلى الله عليه وآله هم موضع سره ولجا امره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه بهم اقام انحناء ظهره واذهب ارتعاد فرائصه **اقول** اللجاء الملجأ والموئل المرجع من آل يؤول الى كذا اذا رجع والانحناء الاعوجاج والفرائص جمع فريصة وهي اللحمة التي بين الجنب والكتف لا تزال ترعد من الدابة وقد عددت هذه القرائن الاربع بالسجع المتوازي والضمائر المفردة هيهنا كلها راجعة الى الله تعالى الا الضمير في ظهره وفرائصه فانها للرسول صلى الله عليه وآله كما سبق ذكر الله ورسوله في صدر الخطبة وقيل الكل للرسول صلى الله عليه وآله واشار بكونهم موضع سره الى كمال استعداد نفوسهم لاسرار الله وحكمته اذ لو وضع الحقيقي للشيء هو ما قبله واستعد له وبكونهم ملجا امره الى انهم الناصرون لامر الله القائمون باوامر الله الذابون عن الدين فالتجاؤه بهم يقوم سلطانه وكونهم عيبة علمه مرادف لكونهم موضع سره اذ يقال في العرف فلان عيبة العلم اذا كان موضع سره ولفظ العيبة استعارة لنفوسهم الشريفة ووجه المشابهة ان العيبة لما كان من شانها حفظ ما يودع فيها وصيانته عن التلف والادناس كانت نفوسهم الطاهرة حافظة للعلم عن عدمه وصيانته عن غير مستحقه بإذاعته عند غير اهله لا جرم حسنت استعارة لفظ العيبة لاذهانهم وبكونهم موئل حكمه الى كونهم مرجع الحكمة اذا ضلت عن اذهان غيرهم فمنهم تطلب وعنهم تكتسب وبكونهم كهوف كتبه الى انهم اهل حفظها ودراستها وتفسيرها وعندهم علمها وتاويلها والكتب اشارة الى القرآن وما قبله من كتب الله كما نقل عنه عليه السلام في موضع آخر لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها لحكمت بين اهل التوراة بتوراتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الزبور بزبورهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بر او بحر او سهل او جبل او سماء او ارض او ليل او نهار الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي اي شيء نزلت واستعارة لفظ الكهف قريبة من استعارة لفظ العيبة وبكونهم جبال دينه الى دين الله سبحانه بهم يعتصم عن وساوس الشياطين وشبهاتهم وتحريفاتهم كما يعتصم الخائف بالجبل ممن يؤذيه وهي استعارة لطيفة وقوله بهم اقام انحناء ظهره اشارة الى ان الله سبحانه جعلهم له اعضادا يشد بهم ازره ويقوم بهم ظهره ويؤيد بهم نصره وانحناء الظهر كناية عن ضعفه في بدو الاسلام فيا لحري ان يكون اقامتهم لانحناء ظهره تقويتهم له بتلك الضعف بالنصرة للدين والذب عنه وقوله واذهب بهم ارتعاد فرائصه اي ان الله ازال عنه بمعونتهم خوفه الذي كاد يتوقعه من المشركين على حوزة الدين وهو كناية عن الخوف ببعض لوازمه فان ارتعاد الفرائص من لوازم شدة الخوف وكل هذه الامور ظاهرة لاهله الادنين من بني هاشم كالعباس وحمزة وجعفر وعلي بن ابي طالب الذابين عن الرسول صلى الله عليه وآله والمدافعين له والمبلغين للدين والله اعلم **ومنها** زرعوا الفجور وسقوه الغرور وحصدوا الثبور لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الامة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا هم اساس الدين وعماد اليقين اليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة الآن اذ رجع الحق الى اهله ونقل الى منتقله **اقول** الغرور الغفلة والثبور الهلاك والقياس نسبة الشيء الى الشيء والحاقه به في الحكم وفاء يفيء رجع والغلو تجاوز الحد الذي ينبغي الحاقا الى ما ينبغي والتالي التابع والولاية بالكسر من قولك ولي الامر اليه ولاية والصلها القرب من النبي والدنو منه والخصائص جمع خصيصة وهي فعيلة بمعنى فاعل اي خاصة ومخصصة واعلم ان قوله زرعوا الفجور وسقوه الغرور استعارة لطيفة فان الفجور لما كان هو الخروج عن ملكة العفة والزهد وتجاوزها الى طرف الافراط منهم وكان مبدأ الزرع القاء الحب في الارض استعار لفظ الزرع لبذر الفجور في اراضي قلوبهم وكان انتشاره عنهم ونموه فيهم يشبه نمو الزرع وانتشاره في الارض ولما كان تماديهم وغفلتهم عن الطريق المستقيم بسبب علمهم عنها وتجاوزهم الى طرف الافراط ومهاوي الهلاك وهو مادة تماديهم في غيهم وزيادة فجورهم وبعدهم عن سواء السبيل اشبه الماء الذي هو سبب حياة الزرع ونموه ومادته وزيادته فلاجلها استعار لفظ السقي الذي هو خاص الماء له ونسبته اليهم ثم لما كانت غاية ذلك الفجور هلاكهم في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بعذابها الاخروي اشبهت تلك الغاية الثمرة فاستعير لكونها غاية لهم لفظ الحصاد ونسبه اليهم وقد اشتملت لفظة هذه الالفاظ مع حسن الاستعارة على الترصيع قال الوبرى والاشارة بهذا الكلام الى الخوارج وقيل الى المنافقين كما ورد مصرحا به في بعض النسخ واقول يحتمل ان يكون مشارا الى كل من نابذه وخرج عن طاعته ومعوية فان طالب الحق فقد طلب حقه فخرج في طلبه الحق عن حد العدل وتعداه الى طرف الفجور الغلو ويدخل الفاسطون وهم اصحاب معوية والمارقون وهم الخوارج ومن في معناهم اذ زعم الكل انهم بغوا طالبون الحق ناصرون له **قوله** لا يقاس بآل محمد عليهم السلام من هذه الامة احد الى آخره مدح لهم مستلزم لاسقاط غيرهم عن بلوغ مدحهم واستحقاق منزلتهم والكلام وان كان عاما في تفضيل آل محمد على كل من عداهم من امته الا انه خرج على سبب وهو قتاله مع معوية فهو اذن مشير الى تفضيل نفسه على معوية وعدم ترجحه عليه الا انه فقوله لا يقاس بآل محمد من هذه الامة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا

في الشرح

ومخرج عن طاعته ولعلها اراد بذلك متعصبيه لدين وناصريه لان الفجور كما عرفت عبور وتجاوز الى طرف الافراط وكل من ابن حزم

الخطبة المعروفة بالشقشقية

اشارة الى عدم مناسبة غيرهم لهم في الفضل والتقدم فههنا نعمة الدين والارشاد اليه والحكم فالاصل فان المنعم عليه بمثل هذه النعمة التي لا
يمكن احدا ان ينالها بجزاء لا ينبغي ان يصير فوق المنعم وخواصه الذين اختصهم بمزيدها على حسب استعداداتهم واستعدادهم لها
الوافر على ما هو عليه ولا يبلغ درجتهم حتى يقوم مقامهم مع وجودهم في افاضة هذه النعمة واعداد سائر الامة لها ونقلهم و
ارشادهم الى كيفية الوصول بها الى الله سبحانه وقوله هم اساس الدين الى ان بهم استقامته وثباته وتفرعه عنهم كما يقوم البناء (اشارة)
على اساسه وكذلك قوله وعماد اليقين وقوله اليهم يفيء الغالي اشارة الى ان المجاوز للفضائل الانسانية التي مدارها على الحكمة والعفة و
الشجاعة والعدالة الى طرف الافراط منها يرجع اليهم ويهتدي بهم في تحصيل هذه الفضائل لكونهم عليها اذا اخذ التوفيق بيده واشار بقوله
وبهم يلحق التالي الى ان المقصر عن بلوغ هذه الفضائل المرتكب طرف التفريط في تحصيلها يلحق بهم عند طلبها ومعونة الله بالهداية الى
ذلك وقوله ولهم خصائص حق الولاية اشارة الى ان ولاية امور المسلمين وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله لها خصائص هي موجودة فيهم وشرائط بها (حق)
يتاهل الشخص لها ويستحقها وتلك الخصائص ما بينها من الفضائل الاربع المتشابهة ولا شك في صدقه عليه السلام في ذلك فان هذه (عليه السلام)
الفضائل وان وجد بعضها او كلها في غيرهم فمنهم اخذ واليهم فيها انتسب فهل يقاس بهم من البحر والوشل وقوله وفيهم الوصية و
الوراثة اشارة الى اختصاصه عليه السلام بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله واختصاص اهله بوراثته وقيل اراد بالوراثة ما يراه هو انه اولى به من امر الخلافة
وقوله الآن اذ رجع الحق الى اهله ونقل الى منتقله في بعض النسخ فقد رجع وذلك اشارة منه عليه السلام الى ان الامامة كانت في غير اهلها
وانه هو اهلها والآن وقت رجوعها اليه بعد انتقالها عنه ولفظ الحق وان كان يحتمل حقا لهم غير الامامة الا انها المتبادرة الى
الذهن من اللفظ ههنا وبالله التوفيق والعصمة

ومن خطبة له عليه السلام المعروفة بالشقشقية (بالشقشقية)

ويعرف بالمقمصة اما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى الي
الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت ارتئي بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية
عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرايت ان الصبر على هاتا احجى فصبرت وفي العين قذى
وفي الحلق شجا ارى تراثي نهبا حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده ثم تمثل بقول الاعشى شتان ما يومي على كورها
ويوم حيان اخي جابر فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء
يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم فمني
الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني
احدهم فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر لكني اسففت اذ اسفوا وطرت
اذ طاروا فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه (لضغنه ومال)
بنو ابيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته فما راعني الا والناس
الي كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلما نهضت
بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى وقسط آخرون كانهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم وراقهم زبرجها اما
والذي فلق الحبة وبرا النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم
ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكاس اولها ولالفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز قال
قال وقام اليه رجل من اهل السواد عند بلوغه الى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فاقبل ينظر فيه فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس
يا امير المؤمنين لو اطردت مقالتك من حيث افضيت فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت قال ابن عباس
فما اسفت على كلام قط كاسفي على ذلك الكلام الا يكون امير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث اراد **اقول** اعلم ان هذه الخطبة وما في معناها
مما يشتمل على شكايته عليه السلام وتظلمه في امر الامامة هو محل الخلاف بين الشيعة وجماعة من مخالفيهم فان جماعة من الشيعة ادعوا ان هذه الخطبة
وما في حكمها مما اشتمل عليه هذا الكتاب منقول على سبيل التواتر وجماعة من السنة بالغوا في انكار ذلك حتى قالوا انه لم يصدر عنه عليه السلام
شكاية في هذا الامر ولا تظلم اصلا ومنهم من انكر هذه الخطبة خاصة ونسبها الى السيد الرضي والتصدي للحكم في هذا الموضع هو محل
التهمة للشارحين وانا مجتهد بعون الله على ان لا احكم في هذا الكلام الا بما اجزم به او يغلب على ظني انه من كلامه وهو مقصوده فاقول
ان كل واحد من الفريقين خارج عن العدل اما المدعون لتواتر هذه الالفاظ من الشيعة فانهم في طرف الافراط واما المنكرون لوقوعها (المذكورين)
اصلا فانهم في طرف التفريط اما ضعف كلام الاولين فلان المعتبرين من الشيعة لم يدعوا ذلك ولو كان كل واحد من هذه الالفاظ منقولا
بالتواتر لما اختص به بعض الشيعة دون بعض واما المنكرون لوقوع هذا الكلام منه عليه السلام فيحتمل انكارهم وجهين احدهما ان يقصد

بذلك

في بيان الخطبة المعروفة بالشقشقية

بذلك توطية العوام وتسكين خواطرهم عن اثارة الفتن والتعصبات الفاسدة لتستقيم امر الدين ويكون الكل على نهج واحد فيظهر والم انه لم يكن
بين الصحابة الذين هم اشراف المسلمين وسادتهم خلاف ولا نزاع ليقتدي بحالهم من جمع تلك وهذا مقصد حسن ونظر لطيف لو قصد
والثاني ان ينكر ذلك عن اعتقاد انه لم يكن هناك خلاف من الصحابة ولا منافسة في امر الخلافة والانكار على هذا الوجه باطل لا
يعتقده الا جاهل بتتبع الاخبار لم يباشر احدا من العلماء فان امر السقيفة وما جرى بين الصحابة من الاختلاف وتخلف علي عليه السلم
عن البيعة امر ظاهر لا يدفع ومكشوف لا يستقبح حتى قال اكثر الشيعة انه لم يبايع اصلا ومنهم من قال انه بايع بعد ستة اشهر كرها فقال
مخالفيهم انه بايع بعد ان تخلف في بيته مدة ودافع طويلا وكل ذلك مما يقتضي الضرورة مصير وقوع الخلاف والمنافسة كانت ثابتة بين علي
وبين من تولى امر الخلافة في زمانه والشكاية والتظلم الصادر عنه في ذلك امر معلوم بالتواتر المعنوي فانا نعلم بالضرورة ان الالفاظ
المنقولة عنه المتضمنة للتظلم والشكاية في امر الخلافة قد بلغت في الكثرة والشهرة مبلغا يكون بأسرها كذبا بل لا بد وان يصدق ولو واحد
منها وانها صدق وثبت فيه الشكاية اما خصوصيات الشكايات بالفاظها المعينة فغير متواترة وان كان بعضها اشهر من بعض وهذا
ما عندي في هذا الباب بعد التحري والاجتهاد وعلى هذا التقرير لا ينبغي الانكار كون هذه الخطبة صادرة عنه ونسبتها الى الرضي مع ان
مستند هذا الانكار هو ما تشتمل عليه من التصريح بالتظلم والشكاية ومستند انكار ذلك منهم هو اعتقاد انه لم يكن منافسة في هذا الامر
وانت تعلم ان ذلك اعتقاد فاسد على ان هذه الخطبة خاصة قد اشتهرت بين العلماء قبل وجود الرضي روى عن مصدق بن شبيب النحوي
قال لما قرأت هذه الخطبة على شيخي ابي محمد بن الخشاب وصلنا الى قول ابن عباس ما اسفت على شيء قط كاسفي على هذا الكلام قال لو كنت
حاضرا لقلت لابن عباس هل ترك ابن عمك في نفسه شيئا لم يقله في هذه الخطبة فلقد ما ترك لا الاولين ولا الآخرين قال مصدق وكانت
فيه دعابة فقلت يا سيدي فلعلها منحولة اليه فقال لا والله اني اعرف انها من كلامه كما اعرف انك مصدق قال فقلت ان الناس ينسبونها
الى الشريف الرضي فقال لا والله من اين للرضي هذا الكلام وهذا الاسلوب وقد راينا كلامه في نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ولا
ينتظم في سلكه على اني قد رايت هذه الخطبة بخطوط العلماء الموثوق بنقلهم من قبل ان يخلق ابو الرضي فضلا عنه واقول وقد وجدتها في
موضعين تاريخهما قبل مولد الرضي بمدة احدهما انها متضمنة كتاب الانصاف لابي جعفر بن قبة تلميذ ابي القسم الكعبي احد شيوخ المعتزلة وكانت
وفاته قبل مولد الرضي والثاني اني وجدتها بنسخة عليها خط الوزير ابي الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان وزير المقتدر بالله وذلك قبل
مولد الرضي بنيف وستين سنة والذي يغلب على ظني ان تلك النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة اذا عرفت ذلك فلنرجع
الى المتن فنقول **قوله** تقمصها اي لبسها كالقميص وقطب الرحا مسمارها الذي عليه تدور وسدلت الثوب ارخيته والكشح الكاشح
الخاصرة وطفقت اخذت وجعلت وارتأى في الامر افكر وطلب الرأي الاصلح وصال حمل نفسه على الامر بقوة وبيد جذاء بالدال المهملة و
المعجمة مقطوعة او مكسورة والطخية الظلمة كقولهم ليلة طخياء اي مظلمة وتركيب هذه الكلمة يدل على ظلمة الامور وانغلاقها ومنه كلمة طخيا
اي اعجمية لانهم والهرم شدة الكبر والشيخ والكدح السعي والعمل وهاتا لغة في هاتي وهي لغة في هذي وهذه واحجى اولى بالحجى وهو
العقل والقذى ما ما يتأذى به العين من غبار ونحوه والشجي ما ينشب في الحلق من غصة غير او غم والتراث كالميراث وهو اسم ما يورث و
ادلى فلان بكذا اي تقرب به ودلى الدلو في البئر وشتان ما هما اي بعد وشتان ما عمرو وزيد اي بعد ما بينهما وكور الناقة رحلها والاقالة فسخ عقد
البيع ونحوه والاستقالة طلب ذلك وشد الامر صعب وعظم وتشطرا اي اخذ كل شطرا وهو البعض والحوزة الطبيعة والحوزة الناحية
والكلم الجرح والعثار والعثرة يقال عثر يعثر عثورا وعثارا اذا اصاب رجله في المشي حجر ونحوه والصعبة الناقة لم تذلل بالحمل ولا بالركوب وشنق
الناقة بالزمام واشنق لها اذا جذب راسها اليه وهو راكب ليمسكها عن الحركة العنيفة والخرم الشق واسلس لها اي ارخى وتقحم في الامر رمى
نفسه فيه بقوة ومنى الناس اي ابتلوا والخبط الحركة على غير استقامة والشماس بكسر الشين كثرة النفار والاضطراب والتلون اختلاف الاحوال
والاعتراض ضرب من التلون والصلابة المشي في عرض الطريق خابطا عن مرح ونشاط والشورى مصدر كالبقوى مراد المشاورة واسف الطائر
اذا دنا من الارض في طيرانه والصغو الميل بكسر الصاد والضغن بكسر الضاد وسكون الغين وفتحها الحقد والاصهار عن ابن الاعرابي الحموات
بجولاء او نسب ثم زوج وبعض العرب يطلقه على اهل بيت الزوجين وعن الخليل انه لا يطلق الا على من كان من اهل المرأة وهن على وزن
اخ كلمة كناية عن شيء لا اصالة هنو تقول هذا هنك اي شيئك والحضن الجانب ما بين الابط والخاصرة والنفج قريب من النفخ والنثيل
الروث والمتلف والمعلف موضع الاعتلاف والخضم الاكل بجميع الفم وقيل المضغ باقصى الاضراس يقول خضم بكسر الضاد يخضم والنثيل
بكسر النون النبات وانتكث انتقض واجهز على الجريح قتله واسرع وكبا الفرس سقط لوجهه والبطنة شدة الامتلاء من الطعام والترك
الخلاف والذي هو داعي لقرعي والتتال الشيء اذا وقع بتلو بعضه بعضا والعطاف الرداء وهو وعطفاه وعطفا الرجل جانباه من لدن
راسه الى ركبته والربيض والربيضة الغنم برعاتها المجتمعة في مرابضها ومرق السهم خرج من الرمية وراق الامر اعجبه والزبرج بكسر الزا
والزاء الزينة والدنيا الادنان وقد تستعمل فيما عداه من الحيوان والمقارة اقرار كل واحد صاحبه على الامر وتراضيهما به والكظة البطنة

بنفيهم والحق ان المنافسة

قبح

في بيان الخطبة المعروفة بالشقشقية

والغارب على كتف الناقة والعفطة من الشاة كالعطاس من الانسان وقيل هي الحبقة والشقشقة لها البعير يقال للخطيب شقشقة اذا كان صاحب خطبة وبعضا عذمن الكلام واعلم ان المشار اليه بقوله فلان هو ابو بكر كما هو مصرح به في بعض النسخ ولما بلغ عمر ثلبس ابي بكر بالخلافة استعار لها وصف التقميص وكنى عن تلبسه بها بالتقمص والضمير المنصوب راجع الى الخلافة ولم يذكرها لظهورها كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب ويحتمل ان يكون ذكرها فيما قبل ذلك والواو في قوله وانه ليعلم ان محلي منها واو الحال ولما كان قطب الرحى هو الذي به نظام حركاتها وبه يحصل الغرض منها وكان هو عليه السلم الناظم لامور المسلمين على وفق الحكمة الالهية والعالم بكيفية السياسة الشرعية لا جرم شبه محله من الخلافة بمحل القطب من الرحى وقد جمع هذا التشبيه انواع التشبيه الموجودة في كلام العرب وهي ثلثة احدها تشبيه محله بمحل القطب وهو تشبيه المعقول بالمعقول فان محل القطب هو كونه نظام احوال الرحى وذلك امر معقول وثانيها تشبيه نفسه بالقطب تشبيها وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس وثالثها تشبيه الخلافة بالرحى وهو تشبيه المعقول بالمحسوس ولما كانت حاجة الرحى الى القطب ضرورية ولا يظهر نفعها الا به فهم من تشبيه محله بمحله انه قصد ان غيره لا يقوم مقامه في امر الامامة ولا يتأهل لها مع وجوده كما لا يقوم غير القطب مقامه في موضعه ثم اكد ذلك بقوله ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير فاستعار لنفسه وصفين احدهما كونه ينحدر عنه السيل وهو من اوصاف الجبل والاماكن المرتفعة وكنى به عن علوه وشرفه مع فيضان العلوم والتدبيرات السياسية عنه واستعار لذلك لكمال لفظ السيل والثاني انه لا يرقى اليه الطير وهو كناية عن غاية اخرى من العلو اقتبس كل مكان علا يجب ينحدر عنه السيل وجب ان لا يرقى اليه الطير فكان ذلك علوا ازيد كما قال ابو تمام مكارم لجت في علو كانما تحاول ثارا عند بعض الكواكب

قوله وسدلت دونها ثوبا كناية عن احتجابه عن طلبها والمنافسة فيها بحجاب الاعراض عنها واستعار لذلك الحجاب لفظ الثوب استعارة لفظ المحسوس للمعقول وكذلك قوله وطويت عنها كشحا تنزيلا لها منزلة الماكول الذي منع نفسه من اكله فلم يشتمل عليه كشحه وقيل اراد بطي الكشح الميل عنها كما يفعل المعرض عمن الى جانبه فالطوى كشحه عنه واعرض جانبا **قوله** وطفقت ارتئي بين ان اصول بيد جذاء واصبر على طخية عمياء يريد اني جعلت اجيل الفكر في تدبير امر الخلافة واردده بين طرفي نقيض اما ان اصول على من حازها دوني او ان اتركها وفي كل واحد من هذين القسمين خطر اما القيام فبيد جذاء وهو عدم الناصر لما فيه من التغرير بالنفس وتشويش نظام المسلمين من غير فائدة واستعار وصف الجذاء لعدم الناصر ووجه المشابهة ان قطع اليد لما كان مستلزما لعدم القدرة على التصرف بها والصولة وكان عدم الناصر لها والمؤيد مستلزما لذلك لا جرم حسنت الاستعارة واما الترك ففيه الصبر على مشاهدة التباس الامور واختلاطها وعدم تمييز الحق وتجريده عن الباطل وذلك في غاية الشدة والبلاء ايضا واستعار لذلك الالتباس لفظ الطخية وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه المشابهة ان الظلمة كما لا يهتدى فيها للمطلوب كذلك اختلاط الامور هيهنا لا يهتدى معها لتمييز الحق وكيفية السلوك الى الله ووصف الطخية بالعمياء على وجه الاستعارة فان الاعمى لما لم يكن ليهتدي لمطالبه كذلك هذه الظلمة لا يهتدى فيها للحق ولزومه ثم كنى عن شدة تلك الاختلاط ومقاساة الخلق بسبب عدم انتظام احوال وطول مدة ذلك باوصاف احدها انه يهرم فيها الكبير والثاني انه يشيب فيها الصغير والثالث ان المؤمن المجتهد في لزوم الحق والذب عنه يقاسي من ذلك الاختلاط شدائد ويكدح فيها حتى يلقى ربه وقيل يدأب ويجتهد في الوصول الى حقه فلا يصل حتى يموت ثم اشار بعد ذلك الى ترجيح رأيه في اختيار القسم الثاني وهو الصبر وترك القيام في هذا الامر بقوله فرأيت ان الصبر على هاتا احجى واليق بنظام الاسلام ووجه الترجيح ظاهر فانه لما كان مقصوده عليه السلم من هذه المنافسة انما هو اقامة الدين واجراء قواعده على القانون المستقيم ونظام امور الخلق كما هو المقصود من مقالات الشارعين صلوات الله عليهم اجمعين وكانت صولته ومحاربته لمنافسيه في الامامة بغير ناصر لا تثمر المقصود بل مع ذلك ففيه انشعاب امور المسلمين وتفرق كلمتهم وثوران الفتن بينهم خصوصا والاسلام غض لم ترسخ محبته في قلوب كثير الخلق ولم يطمئنوا لحلاوته وفيهم المنافقون والاعداء المشركون في غاية القوة من كل الاقطار لا جرم لم يمكنه مع ملاحظة هذه الاحوال اثارة الحرب والمنازعة لاداء ذلك الى ضد ما هو مقصود له بحركته ومحاربته واما الصبر وترك المنافسة وان كان فيه بحسب ما ذكره من اختلال الدين وانه لو كان هو القائم لهذا الامر لكان انتظامه اتم وقوامه اكمل الا انه اقل بالنسبة الى الاختلال الذي كان يحصل لو نازع في هذا الامر وقام في طلبه وبعض الشر اهون من بعض **قوله** فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى الواو للحال و الجملتان كنايتان عن شدة ما اضمره من التأذي والغبن بسبب سلبه ما يرى انه اولى به من غيره وما يعتقده من الخبط في الدين من غيره **قوله** ارى تراثي نهبا قيل اراد بتراثه ما خلفه رسول الله صلعم لابنته كفدك فانه يصدق عليها انه ميراثه لان مال الزوجة في حكم مال الزوج والنهب اشارة الى منع الخلفاء الثلثة لها بالخبر الذي رواه ابو بكر نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة وقيل اراد منصب الخلافة ويصدق عليه لفظ الارث كما صدق في قوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من آل يعقوب فانه

في بيان الخطبة المعروفة بالشقشقية

اراد بتراث علي منصبه في النبوة فكان اسم الميراث صادقا عليه في ذلك **قوله** حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده اراد بالاول
ابابكر وبفلان عمر واشار بالادلاء الى نص ابي بكر على ان يكون عمر هو الخليفة بعده ومضيه لسبيله انتقاله الى دار الاخرة وسلوكه السبيل
الذي لا بد منه لكل انسان واما البيت فهو للاعشى قيس واسمه ميمون بن جندل من بني قيس بن ثعلبة وهو من قصيدة اولها علقم ما انت الى
عامر الناقض الاوتار والواتر وحيان وجابر ابنا السمين بن عمرو من بني حنيفة وكان حيان صاحب الحصن باليمامة وكان سيدا مطاعا يصله
كسرى في كل سنة وكان في نعمة ورفاهية مصونا من وعثاء السفر لانه ما كان يسافر ابدا وكان الاعشى ينادمه واراد بما ابعد ما بين يومي على
كور المطية اداب وانصب في الهواجر وبين يومي منادما حيان اخي جابر وادعا فارغا في نعمة وخفض ويروى ان حيان عاتب الاعشى في نسبته
بنسبته الى اخيه فاعتذر اليه الاعشى بان القافية قادته الى ذلك فلم يقبل عذره واليوم الاول في موضع الرفع باسم الفعل والثاني بالعطف
عليه واما غرض التمثيل بالبيت فما افاده السيد المرتضى اراد بذلك ان القوم فازوا بمقاصدهم وربحوا بمطالبهم وظفروا بها وهو في
اثناء ذلك كله محقوق في حقه مكذب في نصيبه كما اشار اليه بقوله وفي العين قذى وفي الحلق شجى كان بين حالهم وحاله بعد بعيد وفرق
شديد فاستشهد بهذا البيت واستعار لفظ اليومين وكنى بهما عن حاله وحالهم ووجه الشبه في هذا المثل ان حالهم استلزم
حصول المطالب والرفاهية كيوم حيان وحاله استلزم المتاعب كيومه على كور الناقة مسافرا قلت ويحتمل ان يكون قد استعار يوم
حيان لعهده مع رسول الله صلعم وما كان يحصل له من ثمرة صحبته من الفوائد الجمة والكمالات من العلوم والاخلاق ويوم كونه على
كور الناقة لزمانه بعد الرسول صلعم وما لحقه فيه من مقاساة الفتن ومتاعب الصبر على الاذى ووجه المشابهة ما اشتمل عليه يوم حيان
وعهد الرسول من المسار وما اشتمل عليه يوم كونه على كور الناقة وزمانه بعد الرسول من المتاعب **قوله** فيا عجبا بينا هو يستقيلها
في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته الاشارة الى ابي بكر وطلبه الاقالة قوله اقيلوني فلست بخيركم ووجه التعجب ههنا ان طلب ابي بكر
الاقالة من هذا الامر انما هو لثقله وكثرة شرائطه وشدة مراعاة اجزاء احوال الخلق مع اختلاف طباعهم واهوائهم على قانون العدل
وخوفه ان تعثر به مطايا الهوى فتزوجه في موارد الهلاك وعلى هذا التقدير فكلما كانت مدة ولاية الانسان لهذا الامر اقصر كان خوفه اقل
وكانت متاعبه ايسر واسهل وسبيل طالب الاقالة من هذا الامر انما هو مقتضى طلبه لذلك ان يجري فلما متاعب هذا الامر ويجتهد في
الخلاص منه مهما امكنه ذلك فاذا رايناه متمسكا بهذا الامر مدة حياته وعقده بعد وفاته لآخر بعده فيجعل مصارا هذا الامر في حال
الحيوة وبعد الوفاة فلا بد وان يغلب على الظن ان طلبه للاقالة لم يكن عن قصد صحيح فيصير ذلك الظن بما اشتهر عنه من العادة
وذلك محل التعجب هذا بخلاف ما اشتهر بالفسق والنفاق فانه لا يتعجب من فعله لو خالف قوله **قوله** لشد ما تشطرا ضرعيها اللام
للتاكيد وما مع الفعل بعدها في تقدير المصدر وهو فاعل شد والجملة من تمام التعجب وقد استعار لفظ الضرع لها ولفظ الخلافة و
هي استعارة مستلزمة لتشبيهها بالناقة ووجه المشابهة المشاركة في الانتفاع الحاصل منهما والتشطر وصفا قسماهما لهذا الامر بشبه
لاقتسام الحالبين اخلاف الناقة بالشدة على امر من يعتقد انه احق بها منهما او على المسلمين الذين يشبهون الاولاد لها قوله فصيرها في حوزة
خشناء كنى بالحوزة عن طباع عمر فانها كانت توصف بالجفاوة والغلظة في الكلام والتسرع الى الغضب وذلك معنى خشونتها **قوله**
يغلظ كلمها ويخشن مسها استعار لتلك الطبيعة وصفين احدهما غلظ الكلم وهو كناية عن غلظ المواجهة بالكلام والجرح به فان الضرب
باللسان اعظم من وخز السنان والثاني جفاوة المس وهي كناية عن خشونة طباعه المانعة من ميل الطباع اليه المستلزمة للاذى كما يستلزم
من الاجسام الخشنة **قوله** ويكثر العثار والاعتذار منها اشارة الى ما كان يتسرع اليه عمر من الاحكام ثم يعاود النظر فيها فيجدها غير صواب
فيحتاج الى الاعتذار والضمير في منها يعود الى الطبيعة المعبر عنها بالحوزة فمن ذلك ما روى انه امر برجم امراة زنت وهي حامل فعلم علي عم
بذلك فجاء اليه وقال له ان كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما في بطنها دعها حتى تضع ما في بطنها ثم ترضع ولدها فخلى عنها
قال عمر لولا علي لهلك عمر وتركها وكذلك ما روي انه امر بان يؤتى بامراة لحال فقصت ذلك وكانت حاملا فانزعجت من هيبته فاجهضت جنينا فجمع
جماعة من الصحابة وسالهم ماذا يجب عليه فقالوا انت مجتهد ولا نرى انه يجب عليك شيء فراجع عليا ع في ذلك واعلمه
بما قال بعض الصحابة فانكر ذلك وقال ان كان ذلك عن اجتهاد منهم فقد اخطأوا وان لم يكن عن اجتهاد فقد غشوك ارى عليك الغرة
فعند ما قال لا عشت لمعضلة لا تكون لها يا ابا الحسن ومنشأ ذلك وامثاله غلبة القوة الغضبية وغلظ الطبيعة **قوله** فصاحبها
كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم قيل الضمير في صاحبها يعود الى الحوزة المكنى بها عن طبيعة عمر والخلافة والمراد على هذا الوجه
ان المصاحب لتلك الاخلاق في حاجة الى المداراة في مرونته حاله كراكب الصعبة ووجه المشابهة ان راكب الصعبة كما يحتاج الى
الكلفة الشاقة في مداراة احوالها فهو معها بين خطرين ان والى الجذب في دفعها بالزمام خرم انفها وان اسلس لها في القياد
تقحمت به المهالك كذلك مصاحب خلاف الرجل والمبتلى بها ان اكثر عليه انكار ما يتسرع اليه ادى ذلك الى مشاقة وفساد الحال بينهما
وان سكت عنه وتركه وما يصنع ادى ذلك الى الاخلال بالواجب في ذلك من موارد الهلكة وقيل الضمير في صاحبها للخلافة وصاحبها

في بيان الخطبة المعروفة بالشقشقية

هو كل من تولى امرها اذا كان غافلا لا مراعيا الحق الله ووجه شبهه براكب الصعبة ان المتولي لامر الخلافة مضطر الى الكلفة الشاقة في مداراة
احوال الخلق ونظام امورهم على القانون الحق وان يسلك بهم طريق العدل المحفوف بطرفي التفريط والتقصير المشبه لاسلاس
زمام الصعبة وبطرف الافراط في طلب الحق والاستقصاء فيه الذي يشبه شنقها فان المتولي لامر الخلافة ان فرط في المحافظة على سيرها
واهمل امرها القاه التفريط في موارد الهلكة كما نسبه الصحابة الى عثمان حتى قتل بسوء فعله فكان في ذلك كراكب صعبة اسلس قيادها
وان افرط في حمل الخلق على اشد مراتب الحق وبالغ في الاستقصاء عليهم في طلبه اوجب لك تضجرهم منه ونفار طباعهم وقوة تهم
عنه وفساد الامر عليه لميل اكثرهم الى جانب الباطل وغفلتهم عن فضيلة الحق وان صعب فيكون في ذلك كمن اشنق الصعبة الى
هو راكبها حتى خرم انفها وهو من التشبيهات اللطيفة وقيل اراد بصاحبها نفسه ونسبه براكب الصعبة لانه يكون بين خطرين
اما ان ينحي ساكتا عن طلب هذا الامر والقيام فيتقحم بذلك في موارد الذل والصغار كما يتقحم راكب الصعبة المسلس لها قيادها
واما ان يقوم فيه ويشتد في طلبه فينشعب امر المسلمين بذلك كمن اشنق لها فخرم انفها والاول اليق نسبا في الكلام ونظاما
والثاني اظهر والثالث يحتمل **قوله** فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض اشارة الى ما ابتلوا به من اضطراب الرجل
وحركاته التي كان ينقمها عليه فكنى بالخبط عنها وبالشماس عن جفاء طباعه وخشونتها وبالتلون والاعتراض عن انتقاله من حالة
الى اخرى في احكامه وهي استعارات وجه المشابهة فيها ان خبط البعير وشماس الفرس واعتراضها في الطريق حركات غير منظومة
فاشبهها ما لم يكن منظوما من حركات الرجل التي ابتلي الناس بها ولا شك انه كان صعبا عظيم السطوة والهيبة وكان اكابر الصحابة
يتحامونه وقيل لابن عباس لما اظهر قوله في مسئلة العول بعد موت عمر هلا قلت ذلك وعمر حي قال هبته وكان رجلا مهيبا
وقيل ان ذلك اشارة الى ما ابتلي به الناس من اضطراب الامر وتفرق الكلمة وجري امورهم على غير نظام بسبب تفرق كلمتهم ثم اردف
ذلك بتكرير ذكر صبره على ما صبر عليه مع الثاني كما صبر مع الاول وذكر امرين احدهما طول المدة لتخلف الامر عنه والثاني شدة المحنة
بسبب فوات حقه وما يتفقد من لوازم ذلك الفوت وهو عدم انتظام احوال الدين واجرائه على قوانينه الصحيحة ولكل واحد من هذين
الامرين حصة في استلزام الاذى المحسن في مقابلته الصبر **قوله** حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم **اقول**
حتى هنا لانتهاء الغاية والغاية لزوم ما الى الشرطية لفظة بها عن جعله لها في جماعة لقضية لسبيله واشار بالجماعة الى اهل الشورى
وخلاصة حديث الشورى ان عمر لما طعن دخل عليه وجوه الصحابة وقالوا له ينبغي لك ان تعهد عهدا ايها الرجل وتستخلف رجلا
ترضاه فقال لا احب ان اتحملها حيا وميتا فقالوا افلا تشير علينا فقال اما ان اشير فان احببتم قلت فقالوا نعم فقال الصالحون لهذا
الامر سبعة نفر سمعت رسول الله ص يقول انهم من اهل الجنة احدهم سعيد بن زيد وانا مخرجه منهم لانه من اهل بيتي وسعد ابي
وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وعثمان وعلي فاما سعد فلا يمنعني منه الا عنفه وفظاظته واما من عبد الرحمن فلانه
قارون هذه الامة واما من طلحة فكبره ونخوته واما من الزبير فشحه ولقد رايته بالبقيع يقاتل على صاع من شعير فلا يصلح لهذا الامر الا
رجل واسع الصدر واما من عثمان فحبه لقومه وعصبيته لهم واما من علي فحرصه على هذا الامر وغايته فيه ثم قال يصلي صهيب بالناس
ثلثة ايام وتخلوا الستة نفر في البيت ثلثة ايام ليتفقوا على رجل منهم فان استقام امر خمسة وابى رجل فاقتلوه وان استقر ثلثة
وابى ثلثة فكونوا مع الثلثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ويروى فاقتلوا الثلثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن بن عوف ويروى فحاكموا
الى عبد الله بن عمر فاي الفريقين قضى له فاقتلوا الفريق الاخر فلما خرجوا عنه واجتمعوا لهذا الامر قال عبد الرحمن ان لي ولابن عمي
من هذا الامر الثلث فنحن نخرج انفسنا منه على ان نختار رجلا هو خيركم للامة فقال القوم رضينا غير علي فانه اتهمه في ذلك فقال
ارى وانظر فلما ايس من رضى علي رجع الى سعد فقال هلم نعين رجلا نبايعه فان الناس يبايعون من بايعت فقال سعد ان بايعك
عثمان فانا لكم ثالث وان اردت ان تولي عثمان فعلي احب الي فلما ايس من مطاوعة سعد كف عنهم وجاءهم ابو طلحة في خمسين رجلا من
الانصار يحثهم على التعيين فاقبل عبد الرحمن على علي واخذ بيده وقال ابايعك على ان تعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين
ابي بكر وعمر فقال علي ع تبايعني على ان اعمل بكتاب الله وسنة رسوله باجتهاد رايي فترك يده ثم اقبل على عثمان فاخذ بيده وقال له
مثل مقالته لعلي ع فقال نعم فكرر القول على كل منهما ثلثا فاجاب كل بما اجاب به اولا فصفق على يده فقال عبد الرحمن هي لك يا عثمان و
بايعه ثم بايعه الناس وفي المتن زعم الى ساده سهم ثم اردف حكاية الحال بالاستغاثة بالله للشورى والواو فيها اما زائدة او للعطف على محذوف
مستغاث له ايضا كانه قال فيالله لعمر وللشورى او لي وللشورى او للشورى ونحوه والاستفهام عن وقت عروض الشك لاهل
الخلق في ان الاول هل يساويه في الفضل ولا يساويه استفهام على سبيل الانكار والتعجب من بعضهم لانه الى ان صار
قاسوه بالخمسة المذكورين وجعلوهم نظراءه وامثالا له في المنزلة واستحقاق هذا الامر **قوله** لكني اسففت اذ اسفوا وطرت
اذ طاروا استعارة لاحوال الطائر من الاسفاف والطيران لاحواله من مقارنته لهم وتصرفه على قدر اختيارهم ولا **قوله**

فى بيان الخطبة المعروفة بالشقشقية

فصغا رجل منهم لضغنه اشارة الى سعد بن ابى وقاص فانه كان منحرفا عنه وهو احد المتخلفين عن بيعته بعد قتل عثمن وقوله ومال الاخر لصهره
اشارة الى عبد الرحمن بن عوف فانه مال الى عثمن لمصاهرة كانت بينهما وان عبد الرحمن كان زوجا لام كلثوم بنت عقبة بن ابى
معيط وهى اخت عثمن لامه اروى بنت كريز وقوله مع هن وهن يريد ان ميله لم يكن لاجل المصاهرة بل لاشيا اخرى يحتمل ان يكون نفاسته عليه
وغبطته له بوصول هذا الامر اليه او غير ذلك وقوله الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه اراد به عثمن وكنى بقيامه
عن حركته فى ولاية امر الخلافة واستعار له حال الابل لمرة تشبيهه بالبعير فى استعارة وصفه وهو نفخ الحضنين وكنى بذلك عن استعداده
للتوسع ببيت مال المسلمين وحركته فى ذلك كما ينتفخ البعير تشبيها له بالبعير ينتفخ جنباه بكثرة الاكل كنى به عن التوسع فى الاكل والشرب
وربما قيل ذلك للمتكبر المنتفخ كبرا وكنى بقوله بين نثيله ومعتلفه وهو متعلق بقائما اى قام بين معتلفه ومدونه وهو من اوصاف البهائم
ووجه الاستعارة ان البعير والفرس كما لا اهتمام له اكثر من ان يكون بين اكل وروث كذلك حسب الحال لم يكن اكبر همه الا التزيد والتوفر
فى المطعم والمشرب وسلامة مصالح نفسه فقط دون ملاحظة امور المسلمين ومراعاة مصالحهم كما نقم عليه **قوله** وقام معه
بنو امية يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع يخضمون فى موضع الحال وعنى بمال الله بيت المال واراد ببنى ابيه بنى امية
بن عبد شمس ويحتمل ان يريد اقرباءه مطلقا وخص بنى ابيه تغليبا المذكورة وكنى بالخضم عن كثرة توسعهم بمال المسلمين من بعد عثمن
وقد نقلت عنه من ذلك صور **احدها** انه دفع الى اربعة نفر من قريش زوجهم بناته اربعمائة الف دينار **وثانيها** انه لما فتح افريقية
اعطى مروان بن الحكم مائة الف دينار ويروى خمس افريقية **وثالثها** روى عن عبد الله ان ابا موسى الاشعرى بعث اليه
بمال عظيم من البصرة فجعل يفرقه فى ولده واهله وكان ذلك بحضرة زياد بن عبيد مولى الحرث بن كلدة الثقفى فبكى زياد لما راى
فقال له لا تبك فان عمر كان يمنع قرابته ابتغاء وجه الله وانا اعطى اهلى وقرابتى ابتغاء وجه الله **ورابعها** روى انه ولى الحكم
بن ابى العاص صدقات قضاعة فبلغت ثلثمائة الف فوهبها له حين اتاه بها **وخامسها** روى ابو مخنف ان عبد الله بن خالد
بن اسيد قدم على عثمن من مكة ومعه ناس فامر لعبد الله بثلثمائة الف ولكل واحد منهم بمائة الف وصك بذلك على عبد الله
بن الارقم وكان خازن بيت المال فاستكثره ورد الصك فقال له عثمن ما حملك على رده وانما انت خازن فقال كنت اراني
خازن بيت مال المسلمين وانما خازنك غلامك والله لا الى لك بيت المال ابدا وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر فدفعها عثمن الى مولاه
نائل وروى الواقدى ان عثمن امر زيد بن ثابت ان يحمل من بيت المال الى عبد الله بن الارقم فى عقيب هذا الفعل ثلثمائة الف درهم فلما
دخل عليه بها قال له يا ابا محمد ان امير المؤمنين ارسل اليك يقول انا شغلناك عن التجارة ولك ذو رحم اهل حاجة ففرق هذا
المال فيهم واستعن به على عيالك فقال عبد الله ما لى اليه حاجة وما عملت لان يثيبنى عثمن فان كان هذا من بيت المال فما بلغ قدر
عملى ان اعطى ثلثمائة الف درهم وان كان من ماله فلا حاجة لى به وبالجملة فمواهبه لاهله وذويه مشهورة وقد شبه خضمهم
لمال الله بخضم الابل نبت الربيع ووجه التشبيه ان الابل لما كانت تستلذ نبت الربيع بشهوة صادقة وتملا منه احناكها وذلك
لمجيئه عقيب يبس الارض وطول مدة الشتاء ومع ذلك طيبه ونضارته كان ما اكله اقارب عثمن من بيت المال مشبها لذلك
من جهة كثرته وطيبه لهم عقيب ضرهم وفقرهم وكل ذلك فى معرض الذم والتوبيخ المستلزم لارتكاب مناهى الله المستلزم لعدم
التاهل لامر الخلافة **قوله** الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته اشارة الى غايات من سياسته فى الحال
المذكورة واستعار لفظ الفتل وهو ... لما كان يبرمه من الراى والتدبير ويستبد به دون الصحابة وكنى به عنه وكذلك
لفظ الانتكاث لانتقاض ذلك التدبير ورجوعها عليه بالفساد والهلاك وقوله واجهز عليه عمله يشتمل على مجاز فى الافراد
والتركيب اما فى الافراد فلان استعمال الاجهاز انما يكون حقيقة فى قتل نفس مجروح المقتول وانما ان تضرب ونحوه ولما كان
قتل عثمن مسبوقا بالطعن باسنة الاسنة والجراح بحد وسبوقها الاجهاز شبه قتله بالاجهاز فاطلق عليه لفظه واما فى التركيب
فلان اسناد الاجهاز الى العمل اسناد الفعل الى السبب القابل على اى الى السبب الحامل وهو من وجوه المجاز وكذلك قوله وكبت به بطنته
مجاز ايضا فى الاسناد والتركيب ذلك لان الكبو انما هو حقيقة فى الاسناد الى الحيوان ولما كان ارتكابه للامور التى نقم
عليه وتوسعه ببيت المال الذى عبر عنه بالبطنة واستمراره على ذلك مستلزما لخلافته سلبا يشبه ركوب الفرس واستمرار
مشبهه سلبا من العثار والكبو كانت البطنة مشبهة للمركوب من هذه الجهة فلذلك صح اسناد الكبو اليها مجازا **قوله**
فما راعنى الا والناس الى كعرف الضبع ينثالون على من كل جانب الى المتعلق بمحذوف تقديره مقبلون الى وفاعل راعنى
اما الجملة الاسمية وهو مقتضى قول الكوفيين اذ جوزوا كون الجملة فاعلا وما دلت عليه هذه الجملة وكانت مفسرة له من
المصدر اى فما راعنى الا اقبال الناس الى وهو فرع مذهب البصريين اذ منعوا كون الجملة فاعلا ونظيره قوله تعالى ثم بدا لهم
من بعد ما راوا الايات ليسجننه حتى حين وينثالون اما خبر ثان للمبتدا او حال عن راعنى والعامل فيه الى والاشارة الى وصف

قيامه

الى العلة ... حقيقة ... الفعل عن الفاعلين ... لكن لما كان ... هو التسبب ... عمل ... الى ...

في بيان الخطبة المعروفة بالشقشقية

ازدحام الناس عليه للبيعة بعد قتل عثمان وقد شبههم في ازدحامهم عليه بعرف الضبع ووجه ذلك ان الضبع
ذات عرف كثير قائم والعرب تسمي الضبع عرفا لعظم عرفها فكان حال الناس في اقبالهم عليه متتابعين يتلو بعضهم بعضا
شبيها بتتابع عرف الضبع قوله حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي اشارة الى غاية ازدحامهم عليه وهي وطئ ولديه الحسن
والحسين عليهما السلام وشق ردائه بالجذب عند تخطابه والجلوس على جانبيه واما على الرواية الاخرى فالمراد بالشق اما
الاذى الحاصل للصدر والمنكبين او شق منصبه بالجلوس على جانبيه واطلاق لفظ العطفين على جانبي القميص مجاز اطلاقا
لاسم المجاور على مجاوره او المتعلق على متعلقه ومن عادة العرب ان يكون اخراؤهم كسايرهم في قلة التوقير والتعظيم والمخاطبة
وفعلهم ذلك انما هو من بدعة والجلافة لطباع رعاعهم وحكى السيد المرتضى رضه ان ابا عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب
روى في قوله وطئ الحسنان انهما الابهامان وانشد للشنفرى مهضومة الكشحين خرماء الحسن وروى ان امير
المؤمنين ع انما كان يومئذ جالسا محتبيا وهي جلسة رسول الله صم المسماة بالقرفصاء وهي جمع الركبتين وجمع الذيل فلما
اجتمعوا ليبايعوه زاحموه حتى وطئوا ابهاميه وشقوا ذيله بالوطي ولم يعن الحسن والحسين عليهما السلام وهما رجلان كساير
الحاضرين وهذا القول يؤيد الرواية الاولى واعلم ان ارادة الحسن والحسين اظهر قوله مجتمعين حولي كربيضة الغنم مجتمعين
حولي كربيضة الغنم مجتمعين منصوب على الحال كالذي قبله والعامل واحد وبقوله وطئ وقد وشبه اجتماعهم حوله
وشق م
بربيضة الغنم ووجه التشبيه ظ ويحتمل ان يلاحظ في وجه التشبيه مع الهيئة زيادة وهي انه شبههم بالغنم لغفلتهم عن وضع
الاشياء في مواضعها وقلة فطانتهم وعدم استعمالهم للادب معه والعرب تصف الغنم بالغباوة وقلة الفطانة قوله
فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى وفسق اخرون اراد بالناكثين طلحة والزبير لانهما بايعاه ونقضا بيعته وخرجا
عليه وكان من تبعهما ممن بايعه وبالمارقين الخوارج وبالقاسطين او الفاسقين اصحاب معوية وهذه الاسماء سبقت من الرسول صم
اذ حكى في موضع اخر انه اخبره بانه سيقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين بعده وانما خص الخوارج بالمروق لان المروق هو مجاوزة
السهم للرمية وخروجه منها ولما كانت الخوارج اولا منتظمين في سلك الحق الا انهم بالغوا بزعمهم في طلبه الى ان تعدوه وتجاوزوه
لا جرم حسن ان يستعار لهم لفظ المروق لمكان المشابهة وقد اخبر الرسول صم عنهم وبهذا اللفظ اذ قال يمرقون من الدين كما يمرق السهم
من الرمية واما تخصيص اهل الشام بالقاسطين فلان معنى القسوط والقسط هو الخروج عن سنن الحق وقد كانوا كذلك بخلافه ع
والخروج عن طاعته فكان اطلاق احد اللفظين عليهم لذلك قوله كانهم لم يسمعوا الله يقول تلك الدار الاخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين تنبيه لاذهان الطوائف الثلث المذكورة ومن عساه يتخيل ان الحق
في سلوك مسالكهم على ان ما فعلوه من المخالفة عليه والقتال له انما هو طلب للعلو والمفاخرة في الدنيا المستلزم للسعي في
الارض بالفساد واعراض عن الدار الاخرة وحسم لمادة اعذارهم ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين فيقولوا عند لقاء ربهم انهم لم يسمعوا
الاخرة م
هذه الاية ووعيدها لما ارتكبوا هذه الافعال ويزعمون ان الحق في هذه المتصلة هو استثناء نقيض تاليها لينتج لهم نقيض مقدمها
وتقديره انهم لما تعلل لهم على سبيل التهكم بهم وانه لا عذر لهم في الحقيقة مما فعلوه ثم اراد ع تكذيبهم في ذلك العذر على تقدير عذرهم
بزعمهم والحكم بالتنبيه بوضح نقيضها مؤكدا بالقسم ليبادر الى ضمير لزوم هذه المتصلة بقوله بلى والله لقد سمعوها ووعوها
ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم وتنبه على انه وضع المقدم المذكور في المتصلة لا يستلزم تاليها مط بل استلزامه له موقوف على نفي المانع
هو حاصل لهم الان وذلك المانع هو غرور الدنيا لهم بزينتها واعجابهم بها وعلى تقدير حصول المانع المذكور جاز ان يجتمع هذا
المقدم مع نقيض التالي المذكور وهو ارتكابهم لما ارتكبوه من الافعال قوله اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور
الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء الى اخره اقول لما ذكر من حال القوم وحاله معهم ما ذكر من الشكاية
والتظلم في امر الخلافة وذم الشورى وما انتهى اليه من الحال التي اوجبت نزوله عن مرتبته الى ان قرن بالجماعة المذكورين اردف ذلك
ببيان الاعذار الحاملة على قبول هذا الامر والقيام به بعد تخلفه عنه الى هذه الغاية وقدم على ذلك شاهد هذا القسم العظيم
بها بين الاضافتين وهما فالق الحبة وبارئ النسمة واعلم ان الوصف الاول قد ورد في القران الكريم وهو قوله فالق الحب والنوى وانما
خص الحبة والنسمة بالتعظيم بالنسبة الى الله تعالى لما اشتملتا عليه مع لطف الخلقة وصغر الحجم من اسرار الحكمة وبدائع الصنع الدالة
على وجود الصانع الحكيم اما فالق الحبة ففيه قولان احدهما قال ابن عباس والضحاك فالق الحب اي خالقه فعلى هذا يكون معنى
قوله ع فالق الحبة كقوله فاطر الخلايق ... الثاني وهو الذي عليه جمهور المفسرين ان فالق الحبة هو الشاق الذي في وسطها و
... ان الحبة من الحنطة مثلا لما كانت من غايتها ان تكون شجرة مثمرة تنتفع بها الحيوانات جعل الله سبحانه في وسطها
[illegible] الشق

الشجرة الصاعدة الى الهواء وطرفه الاسفل ضد العروق الهابطة الى الارض التي منها مادة تلك الشجرة وفي ذلك بدايع من الحكمة شاهدة
بوجود الله الحكيم احدها ان يكون طبيعة تلك الحبة ان كانت تقتضي الهوي في عمق الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة في
الهواء وعلى العكس فلما تولد منها امران متضادان علمنا ان ذلك ليس لمجرد الطبيعة بل بمقتضى الحكمة الالهية وثانيها انا شاهدنا طرف
تلك العروق في غاية الدقة واللطافة بحيث لو دلكها الانسان بادنى قوة لكانت كالماء ثم انها مع غاية تلك اللطافة تقوى على
خرق الارض الصلبة وتنفذ في مسام الاحجار فحصول هذه القوة الشديدة لهذه الاجرام اللطيفة الضعيفة لا بد ان يكون بتقدير العزيز
الحكيم وثالثها انك تجد الطبايع الاربع حاصلة في الحبة الواحدة كالاترج فان قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس
وبزره حار يابس فتولد هذه الطبايع المتضادة من الحبة الواحدة لا بد ان يكون بتقدير الفاعل الحكيم ورابعها انك اذا نظرت الى ورقة من
اوراق الشجرة المبدعة من الحبة وجدت في وسطها خطا مستقيما كالنخاع بالنسبة الى بدن الانسان ثم لا يزال ينفصل عنه شعب وعن
الشعب شعب اخرى الى ان يستدق ويخرج تلك الخطوط عن ادراك البصر والحكمة الالهية انما اقتضت ذلك لتقوى القوة
الجاذبة المركوزة في جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري الضيقة واذا وقفت على عناية الله
سبحانه في تكوين تلك الورقة الواحدة الواقعة علمت ان عنايته في جملة الشجرة اكمل وان عنايته في جملة النبات اكمل ثم اذا علمت
انه انما خلق جملة النبات لمصلحة الحيوانات علمت ان عنايته في خلق الحيوان اكمل واذا علمت ان المقصود من خلق الحيوان انما هو
الانسان علمت ان الانسان هو اعز المخلوقات في هذا العالم عند الله واكرم عليه وانه قد اكرمه بانواع الاكرام كما قال تعالى ولقد كرمنا
بني آدم الاية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واما التتمة فعليك في مطالعة عجايب صنع الله سبحانه في الانسان بكتب التشريح وقد اشرنا الى
طرف من ذلك في الخطبة الاولى اذا عرفت ذلك فاعلم انه ع ذكر من تلك الاعذار ثلثة احدها حضور الحاضرين لبيعته والثاني قيام الحجة عليه
بوجود الناصر له في طلب الحق لو ترك الطلب الثالث ما اخذ الله على العلماء من العهد على انكار المنكرات ودفع الظالمين ودفع الظلامات عند
التمكن والعذران الاولان هما شرطان في الثالث اذ لا يتعين ولا يجب انكار المنكر بدونهما وكنى بكظة الظالم عن قوة ظلمه وبسغب المظلوم
عن قوة ظلامته قوله لالقيت حبلها على غاربها استعاره وصف من اوصاف الناقة المهملة للامة وكنى بها عن تركها واهماله
لامرها ثانيا كاهماله له اولا ولما استعار لها لفظ الغارب جعل لها حبلا يلقى عليه وهو من ترشيح الاستعارة واصله ان الناقة يلقى زمامها
على غاربها وتترك لترعى قوله ولسقيت آخرها بكاس اولها استعار لفظ السقي للترك المذكور ايضا ورشح تلك الاستعارة بذكر الكاس
ووجه تلك الاستعارة ان السقي بالكاس لما كان مستلزما لوجود السكر غالبا وكان الاعراض ولا مستلزما لوقوع الناس فيما ذكر من الطخية العمياء
المستلزمة لحيرة كثير من الخلق وضلالهم الذي يشبه السكر واشد منه لا جرم حسن ان يعبر عن ذلك الترك بالسقي بالكاس قوله ولالفيتم دنياكم
هذه اهون عندي من عفطة عنز عطف على ما قبله ويفهم منه انه ع ما طالب الدنيا ولها عنده قيمة الا ان طلبه لها والحرص على الامر فيها ليس لانها هي
بل لما ذكرنا من نظام الخلق واجراء امورهم على القانون العدل الماخوذ على العلماء كما اشار اليه ونظم هذا الكلام في صورة متصلة هكذا لولا حضور
الحاضر ولم يتم الناصر ولم يؤخذ على العلماء ما اخذ عليهم من انكار المنكر اذا امكن التركيب لخليت الخلافة ولاولوجدتم دنياكم هذه اهون عندي
مما لا قيمة له وهو عفطة العنز واما الحكاية المتعلقة بهذه الخطبة فان ابا اهل السواد او العراق قال ابو الحسن الكيدري رحمه الله وجدت في الكتب
القديمة ان الكتاب الذي دفعه الرجل الى امير المؤمنين ع كان فيه عدة مسائل احدها ما الحيوان الذي خرج من بطن حيوان آخر وليس بينهما نسب
فاجاب بانه يونس بن متى ع خرج من بطن الحوت الثاني ما الشيء الذي قليله مباح وكثيره حرام فقال ع هو نهر طالوت لقوله تعالى الا من اغترف
غرفة بيده الثالث ما العبادة الذي ان فعلها احد استحق العقوبة وان لم يفعلها استحق ايضا العقوبة فاجاب بانها صلوة السكارى الرابع ما
الطاير الذي لا فرخ له ولا فرع ولا اصل فقال هو طاير عيسى عليه السلام في قوله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير
باذني فتنفخ فيه فيكون طيرا باذني الخامس رجل عليه من الدين الف درهم وله في كيسه الف درهم فضمنه ضامن بالف درهم
فحال عليه الحول فالزكوة على اي المالين يجب فقال ان ضمن الضامن باجازة من عليه الدين فلا يكون عليه وان
ضمنه من غير اذنه فالزكوة مفروضة في ماله السادس حج جماعة ونزلوا في دار من دور مكة واغلق واحد منهم باب
الدار وفيها حمام فمتن من العطش قبل عودهم الى الدار فالجزاء على ايهم يجب فقال عليه السلام على الذي اغلق الباب
ولم يخرجهن ولم يضع لهن ماء السابع شهد شهود اربعة على محصن بالزنا فامرهم الامام برجمه فرجمه واحد منهم دون البقية
الباقين ووافقهم قوم اجانب في الرجم فرجع من رجمه عن شهادته والمرجوم لم يمت ثم مات فرجع الاخرون عن شهادتهم عليه
بعد موته فعلى من يجب ديته فقال يجب على من رجمه من الشهود ومن وافقه الثامن شهد شاهدان من اليهود على يهودي انه
اسلم فهل يقبل شهادتهما ام لا فقال لا تقبل شهادتهما لانهما يجوزان تغيير كلام الله وشهادة الزور التاسع شهد شاهدان
من النصارى على نصراني او مجوسي او يهودي انه اسلم فقال تقبل شهادتهما لقول الله سبحانه ولتجدن اقربهم مودة

في بيان خطبة خطبها بعد قتل طلحة والزبير

مودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى الآية ومن لا يستكبر عن عبادة الله لا يشهد للنبي شهادة العاشرة قطع انسان يد رجل
فحضروا بعد شهود عند الامام وشهدوا على قطع يده واثرنا وهو محصن فاراد الامام ان يرجمه فمات قبل الرجم فقال علي من
قطع يده حسب ولو شهدوا انه سرق نصابا لم يجب بها على قاطعها والله اعلم **ومن خطبة له عليه السلم**
بنا اهتديتم في الظلماء وتسنّمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار وقر سمع لم يفقه الواعية كيف يراعي النبأة من اصمّته
الصيحة ربط جنان لم يفارقه الخفقان ما زلت انتظر بكم عواقب الغدر واتوسّمكم بحلية المغترين سترني عنكم
جلباب الدين وبصّرنيكم صدق النية اقمت لكم على سنن الحق في جوادّ المضلة حيث تلتقون ولا دليل وتحتفرون
ولا تميهون اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان عزب رأي امرئ تخلّف عني ما شككت في الحق مذ اريته لم يوجس
موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل من وثق بماء
لم يظمأ **اقول** روي ان هذه الخطبة خطب بها امير المؤمنين بعد قتل طلحة والزبير وتسنّمتم اي ركبتم سنامها وسنام
كل شيء اعلاه والسرار الليلة والليلتان يكون في آخر الشهر يستتر فيها القمر ويختفي والوقر الثقل في السمع وفقهت الامر فهمته
والواعية الصارخة والنبأة الصوت الخفي والسنن الطريقة وسنن الحق وجهه وطريقه وماهت البئر خرج ماؤها وعزب
اي غاب واوجس احسّ والظماء العطش واعلم ان هذه الخطبة من افصح كلامه وهي مع اشتمالها على كثرة المقاصد والفوائد
الحكمية للمتفقه غاية وجازة الالفاظ من عجيب فصاحتها وبلاغتها ان كل كلمة منها تصلح لان تفيد على سبيل الاستقلال
وهي على ما ذكره من حسن النظم وتركيب بعضها مع بعض فقوله بنا اهتديتم في الظلماء والضمير المجرور راجع الى الرسول
والخطاب للحاضرين الوقت من قريش الخالفين له مع طلحة والزبير ان صدق في حق غيرهم والمراد انا سبب هدايتكم بانوار
الدين وما انزل الله معنا من الكتاب والحكمة هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حيث كنتم في ظلمات الجهل وتلك الهداية
هي الدعوة الى الله وتعليم الخلق كيفية السلوك الى حضرة قدسه وقوله تسنمتم العلياء اي بنا لكم الهداية وشرف الاسلام علا
قدركم وشرف ذكركم ولما استعار وصف التسنم للعلياء ملاحظة لشبهها بالناقة رشح تلك الاستعارة بذكر التسنم وهي
ركوب السنام وكنى به عن علوهم **قوله** وبنا انفجرتم عن السرار استعار لفظ السرار لما كانوا فيه من ليل الجهل في الجاهلية وخمول
الذكر ولفظ الانفجار عن خروجهم من تلك الى نور الاسلام واشتهارهم في الناس وذلك لتشبيههم بالفجر الطالع من ظلمة السرار
في الضياء والاشتهار وقوله وقر سمع لم يفقه الواعية التفات الى الدعاء بالوقر على سمع لا يفقه صاحبه بواسطته علما ولا
يستفيد من السماع به مقاصد الكتب الالهية وكلام الانبياء والدعاة الى الله وحق لذلك السمع ان يكون اصم اذ كانت الفائدة
منه المقصودة الى الحكمة الالهية اكتساب النفس من جهته ما يكون سببا لكمالها وفوزها على الوصول الى جناب الله وساحل
عزته فاذا كانت النفس معرضة عما يحصل من جهته من الفائدة وربما كان السمع ذلك متلقيه منه ما يؤديه من الشرور الجاذبة لها الى
الجنبة السافلة فحقيق به ان يكون موقورا ومن روى وقر على ما لم يسم فاعله فالمراد وقره الله وهو كلام على سبيل التمثيل اورده في معرض
التوبيخ لهم والتبكيت بالاعراض عن اوامر الله ومواعظه وكنى بالواعية عن نفسه اذ صاح فيهم بالموعظة الحسنة والحث على الالفة
وان لا يشقوا عصا الاسلام فلم يقبلوا ووجه نظام هذه الكلمة مع ما قبلها انه لما اشار اولا الى وجه شرفه عليهم وانه ممن اكتسب عنه
الشرف والفضيلة وكان ذلك في مقابلة نفارهم واستكبارهم عن طاعته اردف ذلك بهذه الكلمة المستلزمة للدعاء عليهم كيف
لم يفقهوا بيانه للوجوه الموجبة لاتباعه ويقبلوه بعد ان سمعوه وهذا كما يقول احد العلماء لبعض تلامذته المعاند له المدعي لمثل
فضيلته اني اهتديت من الجهل وعلا قدرك في الناس وانا سبب لشرفك اذ تكبّرت علي وقر سمعك لم لا تفقه قولي وتقبله وقوله
كيف يراعي النبأة من اصمته الصيحة استعار لفظ النبأة لدعائه لهم وندائه الى سبيل الحق ولفظ الصيحة لخطاب الله ورسوله وهي استعارة
على سبيل الكناية عن ضعف دعائه بالنسبة الى قوة دعاء الله ورسوله لهم وتقرير ذلك ان الصوت الخفي لما كان لا يسمع عند الصوت
القوي اذ من شان الحواس ان لا يدرك الاضعف مع وجود الاقوى المماثل في الكيفية لاشتغالها به وكان كلامه اضعف في جذب
الخلق وفي قبولهم له من كلام الله وكلام رسوله وكلامهما يجري الصوت القوي في حقهم وكلامه مجرى الصوت الخفي بالنسبة اليه
واسناد الاصمام الى الصيحة من ترشيح الاستعارة وكنى به عن بلوغ تكرار كلام الله على اسماعهم الى حد انها مجّته وملت سماعه بحيث
لا تسمع بعد ما هو في معناه خصوصا ما هو اضعف كما لا يسمع الصوت الخفي من اصمته الصيحة وقد وردت هذه الكلمة مورد
الاعتذار لنفسه في عدم فائدة وعظه لهم والاعتذار لهم في ذلك ايضا على سبيل التهكم والذم ووجه نظامها مع ما قبلها انه لما
كان تقدير الكلمة الاولى [illegible] لا تقبلون قولي التفت عنه وقال كيف يسمع قولي من لم يسمع كلام الله ورسوله
على كثرة تكراره على اسماعهم [illegible] فقوله كيف يراعي النبأة [illegible] وقد اصمتهم نداء الله قوله ربط جنان لم يفارقه

الخفقان

في بيان خطبة خطبها بعد قتل طلحة والزبير

الخفقان دعاء للقلوب الخائفة الوجلة التي لا تزال تخفق من خشية الله والاشفاق من عذابه بالثبات والسكينة والاطمينان والثقة
وبط جنان نفسه ومن روي بضم الراء على ما لم يسم فاعله فالتقدير ربط الله جنانا كذلك وهو جذب لهم الى درجة الخائفين وتنبيه
على ملاحظة نواهي الله متيقنوا على طاعته وجعله نقضا له بما قبله ان ذكر التشريف وصاحب الفضيلة في معرض التوبيخ لمن يراد منه
ان يسلك مسلكه ويكون متصفا من اعظم الجواذب له الى التشبه به ومن احسن الاستدراجات له فكانه قال وكيف يلتفت
الى قولي من لا يلتفت الى كلام الله ثم لله در الخائفين من الله المراعين لاوامره الراجين من وعيده ما ضركم لو تشبهتم بهم ورجعتم الى الحق
ونهتم بزمام رجل واحد **قوله** ما زلت انتظر بكم عواقب الغدر واتوسمكم بحلية المغترين اشارة الى انه كان يعلم عاقبة
امرهم اما باطلاع الرسول صلعم على انهم بعد بيعتهم له ينكثون بيعته واما لانه كان يلوح له من حركاتهم واحوالهم بحسب فراسته الصائبة
فيهم كما اشار اليه بقوله واتوسمكم بحلية المغترين وذلك لانه فهم انهم من اهل الغرة وقبول الباطل عن ادنى شبهة بما لاح له من
صفاتهم الدالة على ذلك وكان عليه السلام بذلك منهم مستشعرا لعلمه بغدرهم بعهده ونقضهم لبيعته فكان ينتظر ذلك منهم **قوله**
سترني عنكم جلباب الدين وارد مورد الوعيد للقوم في قتالهم له ومخالفتهم لامره والمعنى ان الدين حال بيني وبينكم وسترني
عن اعين بصائركم ان تعرفوني بما اقوى عليه من العنف بكم والغلظة عليكم وسائر وجوه تقويمكم وردعكم عن الباطل وراءه
ما وفقني عليه الدين من الرفق والشفقة وسهب بل العفو عن الجرائم فكان الدين غطاء حائلا بينهم وبين معرفته فاستعار
له لفظ الجلباب وروي سترتكم عني اي عصم الاسلام مني دماءكم واتباع مدبركم وان اجهز على جريحكم وغير ذلك مما يفعل
من الاحكام في حق الكفار وقوله وبصرنيكم صدق النية اراد بصدق النية اخلاصه لله تعالى وصفاء مرآة نفسه وانه بحسب
ذلك هيئ على بصيرة من نور معرفة احوالهم وما تؤول اليه عاقبة امرهم كما قال النبي صلعم المؤمن ينظر بنور الله وقوله اقمت لكم
على سنن الحق في جواد المضلة تنبيه لهم على وجوب اقتفاء اثره والرجوع الى لزوم اشعاره وانواره في سلوك سبيل الله
واعلامهم انه واقفهم على سواء السبيل الحق وعلى الطريق التي هي مزال الاقدام ليردهم عنها ولتبين ذلك في المثل المشهور عن
رسول الله صلعم روي انه قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سور فيه ابواب مفتحة وعلى تلك الابواب ستور
مرخاة وعلى راس الصراط داع يقول ادخلوا الصراط ولا تعرجوا قال فالصراط هو الاسلام والستور حدود الله والابواب
المفتحة محارم الله وذلك الداعي هو القرآن فنقول لما كان علي عليه السلام هو الواقف على اسرار الكتاب المحيط بجوامع علمه وحكمته والمطلع على
اصول الدين وفروعه كان هو الناطق بالكتاب والداعي به الواقف على راس سبيل الله والمقيم عليها ولما كان سبيل الله و
صراطه المستقيم في غاية الوضوح والبيان له وكان مستبينا ما لها من الحدود والمقدمات مستجليا لمزال الاقدام فيها وما
يبتنى عليها من الشكوك والشبهات كان بحسب قوته المدبرة لهذا العالم بعد رسول الله صلعم هو الواقف على تلك الابواب
المفتحة التي هي موارد الهلاك وابواب جهنم وجواد المضلة والساتر لها بحدود الله وبيان نواهيه والتذكير بعظيم وعيده
والفائدة ذهاب السالكين للصراط عنها وذلك حيث يلتقي اذهانهم في ظلماء الجهل فلا يتصورون دليلا هنالك سواه
ويطلبون ماء الحيوة بالبحث والتفحص من اودية القلوب فلا يجدون بها ماء الامعه واستعار لفظ الاحتفار للبحث من
مظان العلم ولفظ الماء للعلم كما سبق بيان وجه المشابهة **قوله** اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان كنى بالعجماء ذات
البيان عن الحال التي يشاهدونها من العبر الواضحة والمثلات التي حلت بقوم فسقوا امر ربهم وعن ما هو واضح من
كمال فضله عليه السلام بالنسبة اليهم وما ينبغي لهم ان يعتبروا من حال الدين ومقتضى اوامر الله التي تحثهم على اتباعها فان كل هذه الاحوال امور
لا نطق لها مقالي فشبهها لذلك بالعجماء من الحيوان واستعار لها لفظها ووصفها بكونها ذات البيان لان لسان الحال المخبر عنها
مقاله عليه السلام ناطق بوجوب اتباعه ومشاهدتهم دليل على ما ينبغي ان يفعلوه في كل باب وذلك هو البيان فكانه عليه السلام انطق العجماء اذ عبر
هو بلسان مقاله عنها ما كانت تقتضيه وتشاهده من نظر اليها بعين بصيرته وهو كقولهم سل الارض من شق انهارك واخرج
ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وكقولهم قال الحائط للوتد لم تشقني قال سل من يدقني وقال بعضهم العجماء صفة
لمحذوف تقديره الكلمات العجماء واراد بها ما ذكر في هذه الخطبة من الرموز وشبهها بالحيوان اذ لا نطق لها في الحقيقة ومع ذلك
يستفيد الناظر فيها اعظم الفوائد فهي ذات بيان عند اعتبارها **قوله** عزب راي امرئ تخلف عني اشارة الى ذم من تخلف
عنه وحكم عليه بالسفه وعدم اصابة الراي حال تخلفه عنه وذلك ان المتخلف لما فكر في اي الامور انفع له ان يكون من متابعيه
او المتخلفين عنه ثم راى ان التخلف عنه اوفق له كان ذلك اسوء الآراء وافحشها فهو في الحقيقة كمن اقدم على ذلك بغير راي
يحضره او لان الراي الحق كان عازبا عنه وهو ذم في معرض التوبيخ للقوم على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جاره **قوله**
ما شككت في الحق مذ اريته بيان لبعض اسباب وجوب اتباعه وعدم التخلف عنه واعلم ان التمدح بعدم الشك عما اراد الله

ومن خطبة خطبها بعد وفاة الرسول ص في بيان

من الحق وافاضه على نفسه القدسية من كمال مستلزم للاخبار بكمال ثقته على استثبات الحق الذي رآه وشدة جلائه لديه حيث
لا يعرض له شبهة فيه والامامية تستدل بذلك على وجوب عصمته ونظيرها نزهه عن الارتياب الذي منشأه ضعف اليقين قوله
لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال اشفق افعل التفضيل منصوب على الصفة لخيفة لان
الاشفاق خوف والتقدير لم يوجس موسى شيئا في نفسه اشد من غلبة الجهال والمقصد التنبيه على ان الخوف الذي يخافه
عليه السلام منهم ليس على مجرد نفسه بل اشد خوفه من غلبة اهل الجهل على الدين وفتنة الخلق بهم وقيام دول الضلال فتعمى طريق
الهدى وتنسد مسالك الحق كما خاف موسى من غلبة جهال السحرة حيث القوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
وقيل ان اشفق فعل ماض والمعنى ان خوف موسى من السحرة لم يكن على نفسه وانما خاف من غلبة الجهال فكذا نحن قال لكن اشفق او
دول الضلال كدولة فرعون واتباعه الضالين عن سبيل الله وقوله اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل المواقفة وقفا على من
الطرفين والخطاب لمقابليه في القتال والمراد اني واقف على سبيل الحق وانتم واقفون على سبيل الباطل داعون اليه وهو تنفير
لهم عما هم عليه الى ما هو عليه قوله من وثق بماء لم يظمأ مثل نبه به على وجوب الثقة بما عنده اي انكم ان سكنتم الى قولي وثقتم
به كنتم اقرب الى اليقين والهدى وابعد عن الضلال والردى كما ان الواثق بالماء في اداوته امن من العطش وخوف الهلاك ويبعد
عنهما بخلاف من لم يثق بذلك كنى بالماء عما اشتمل عليه من العلم بكيفية الهداية الى الله فانه الماء الذي لا ظماء معه ومن كلام

له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وخاطبه العباس وابو سفيان في ان يبايعا له بالخلافة

ايها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة افلح من نهض بجناح او استسلم
فاراح ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه فان اقل يقولوا حرص على
الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل
بثدي امه بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة اقول سبب
هذا الكلام ما روي انه لما تم في سقيفة بني ساعدة لابي بكر امر البيعة اراد ابو سفيان بن حرب ان يوقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم
بعضا فيكون ذلك دمارا للدين فمضى الى العباس فقال له يا ابا الفضل ان هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الامر من بني هاشم
وجعلوه في بني تيم وانه ليحكم فينا غدا هذا الفظ الغليظ من بني عدي فقم بنا حتى ندخل على علي ونبايعه بالخلافة وانت
عم رسول الله وانا رجل مقبول القول في قريش فان دافعونا عن ذلك قاتلناهم وقتلناهم فاتيا امير المؤمنين ع فقال له ابو سفيان
يا ابا الحسن لا تغافل عن هذا الامر فهل كنا تبعا لتيم الارذال وكان ع يعلم من حاله انه لا يقول ذلك غضبا للدين بل للفساد
الذي رواه في نفسه فاجابه بهذا الكلام عرجوا اي ميلوا واعرجوا والفلاح الفوز والنجاة والآجن المتغير الماء وفساده وغص باللقمة
يغص بفتح الغين اذا وقفت في حلقه فلم يسغها وايناع الثمرة ادراكها واندمجت على كذا انطويت عليه وستره في باطني والباح
بالشيء اظهره والطوى البئر والرشا حبلها قوله شقوا امواج الفتن بسفن النجاة شبه الفتنة بالبحر المتلاطم فلذلك استعار
له لفظ الامواج وكنى بها عن حركات الفتنة وقيامها ووجه المشابهة ظاهر لاشتراك البحر والفتنة عند هياجهما في كونهما سببا
لهلاك الخائضين ثم استعار سفن النجاة لكل ما يكون وسيلة الى الخلاص من الفتنة وقيامها ووجه المشابهة ظاهر لاشتراك
البحر والفتنة عند هياجهما في كونهما سببا لهلاك الخائضين فيهما واستعار سفن النجاة لكل ما يكون وسيلة الى الخلاص
من الفتنة من مهادنة او حيلة مخلصة او صبر ووجه المشابهة كون كل منهما وسيلة الى السلامة اذا خاف الطرف المذكور طرف
الى السلامة من ثوران الفتنة والهلاك فيها كما ان السفينة سبب للخلاص من امواج البحر قوله وعرجوا عن طريق المنافرة امرهم
بالعدول عن طريق المنافرة الى السكون والسلامة مما يوجب سكون الفتنة وكذلك قوله وضعوا تيجان المفاخرة امرهم بطرق
اخر من طرق النجاة وهي ترك المفاخرة فان المفاخرة مما يهيج الاضغان وتثير الاحقاد وتوجب قيام الفتنة ولما كان اكثر ما
يبتهج اليه ارباب الدنيا من المفاخرة هو لبس التيجان وكانت الاصول الشريفة والانساب الكريمة والقنيات الحسنة هي اسباب
الافتخار الدنيوي ومنشاؤه كانت المشابهة بينها وبين التيجان حاصلة فاستعار لفظها لها وامرهم بوضعها قوله افلح
من نهض بجناح او استسلم فاراح لما نهاهم عن الفتنة وبين ان المفاخرة والمنافرة ليستا طريقين محمودين اردف ذلك
بالاشارة الى ترتيب ما ينبغي ان يكون حال المتصدي لهذا الامر وكيف يكون طريق فوزه بمقاصده او النجاة له فحكم بالفوز
لمن نهض بجناح واستعار لفظ الجناح للاعوان والانصار ووجه المشابهة ان الجناح لما كان محل القدرة على الطيران
والتصرف وكانت الاعوان والانصار بهم القوة على النهوض الى الحرب والطيران في ميدانها الاجرم حصلت المشابهة فاستعير

لهم لفظ

لم لفظ الجناح وحكم بالنجاة للمستسلم عند عدم الجناح وكلاهما يشملهما اسم الفلاح وفي هذا الكلام تنبيه على قلة ناصره في هذا
الامر فقد يرد الكلام انه ليس الطريق ما ذكرتم بل الصواب فيما يفعله ذو الراي في هذا الامر انه اما ان يكون ذا جناح فينهض به فيفوز
بمطلوبه او لا يكون فيستسلم وينقاد فينجو ويريح نفسه من تعب الطالب **قوله** ماء اجن ولقمة يغص بها اكلها تنبيه الى ان
المطالب الدنيوية وان عظمت فهي مشوبة بالكدر والتغير واشار الى امر الخلافة في ذلك الوقت وتشبيهها بالماء واللقمة
اذ عليهما مدار الحيوة الدنيا وامر الخلافة اعظم اسباب الدنيا فشبهها فاستعار لفظهما لما يطلب منها وكنى بهما عنه ولما كان الاجون
الماء والغصص باللقمة مما ينقصهما ويوجب نفار النفس عن قبولهما وكانت ايام مدته في امر الخلافة والتجاذب والمنافسة بين المسلمين
فيها وكونها في معرض الزوال مما يوجب التنفير عنها وتنغيصها وعدم الالتذاذ بها استعار بالاجون والغصص باللقمة على تلك
الامور وكنى بهما عنها اليسكن بذلك فورة من استنهضه في هذا الامر من بني هاشم فكانه قال انها لقمة منغصة وجرعة لا يسيغها
شاربها **قوله** ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه تنبيه على ان ذلك الوقت ليس وقت الطلب لهذا الامر
اما لعدم الناصر او لغير ذلك وكنى بمجتني الثمرة عن طالبها فاستلزم ذلك تشبيهها بالثمرة ايضا لاشتراكهما في كونهما محلا للالتذاذ او
نحوه ثم شبه مجتني الثمرة لغير وقتها بالزارع بغير ارضه ووجه الشبه عدم الانتفاع في الموضعين اذ كان الزارع بغير ارضه في محل ان يمنع
من ذلك التصرف فيبطل سعيه ولا ينتفع بزرعه فكذلك مجتني الثمرة لغير وقتها لا ينتفع بها فكذلك طالب الخلافة في ذلك الوقت
قوله فان اقل يقولوا حرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت شكاية من الالسنة والاوهام الفاسدة في حقه ورد
في معرض الكلام واشارة الى انه سواء طلب الامر او سكت عنه فلا بد من ان يقال في حقه وينسب الى امر ففي القيام والطلب ينسب الى الحرص
والاهتمام بامر الدنيا وفي السكوت ينسب الى الذلة والعجز خوف الموت واوهام الخلق والسنتهم لا تزال مولعة بامثال ذلك بعضهم
في حق بعض في المنافسات **قوله** هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن ابي طالب انس بالموت من الطفل بثدي امه رد منه للتكذيب
للاوهام الحاكمة في سكوته بجزعه اي بعد ما يقولون واللتيا والتي كنايتان عن الشدائد والمصائب العظيمة والحقيرة واصل المثل
ان رجلا تزوج امرأة قصيرة صغيرة الخلق فقاسى منها شدائد فطلقها وتزوج طويلة فقاسى منها اضعاف ما قاسى من الصغيرة فطلقها
وقال بعد اللتيا والتي لا اتزوج ابدا فصار ذلك مثلا للداهية الكبيرة والصغيرة وتمثل به ومراده بعد ملاقاة كبار الشدائد
وصغارها انسب الى الجزع من الموت بعد ما يقولون ثم اكد تكذيبهم في دعوى جزعه من الموت بالقسم البار انه انس بالموت من
الطفل بثدي امه وبيان ذلك ان حاله ع اذ كان سيد العارفين بعد رسول الله ص ورئيس الاولياء وقد عرفت ان محبة الموت
والانس به متمكن من نفوس اولياء الله لكونه وسيلة لهم الى لقاء اعظم محبوب والوصول الى اكمل مطلوب وانما كان انس به من الطفل
بثدي امه لان محبة الطفل للثدي وانسه به وميله اليه طبيعي حيواني في معرض الزوال وميله الى لقاء ربه والوسيلة اليه ميل عقلي
باق فاين احدهما من الاخر قوله بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة اشارة الى
سبب حمله للتوقف عن الطلب والقيام غير ما نسبوه اليه من الجزع والخوف من الموت وهو العلم الذي انطوى عليه فان علمه بعواقب الامور وادبارها
ونظاعره الى نتايج الحركات بعين بصيرته التي هي كمراة صافية حوذي بها صور الاشياء في المراة العالية فارتسمت فيها كما هي مما يوجب توقفه
عما يعلم ان فيه فسادا وتسرعه الى ما يعلم فيه مصلحة بخلاف الجاهل الذي يقدم على عظايم الامور بقطيع الراي لا عن بصيرة فاذن الى ذلك ثم نبه
على عظيم قدر العلم الذي اندمج عليه بقوله لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة والجملة الشرطية في موضع الجر صفة
لعلم واشار باضطرابهم على ذلك التقدير الى تشتت ارائهم عند ان يكشف لهم ما يكون من امر الخلافة والى من ينتهي والى ما يؤول اليه حال
الناس اذ كان ذلك مما وقفه عليه الرسول ص واعده لفهمه فان كثيرا منهم في ذلك الوقت كانوا فارغين عن عمر ولحوق عثمن فضلا عن
معونته ومنهم من كان يوهل نفسه للخلافة في ذلك الوقت ويطلبها لنفسه ويعده عقدها لابي بكر كان يرجوان تؤول اليه بعده واذا
كان الامر كذلك فظاهر انه لو باح لهم بما علمه من عاقبة هذا الامر لم يكن لهم ذلك النظام الحاصل في ذلك الوقت لياس بعضهم من وصول هذا
الامر اليه وخوف بعضهم من غلظة عمر ونفرتهم منه ونفار اخرين من بني امية وما يكون منهم وشبه اضطراب ارائهم على ذلك التقدير
باضطراب الارشية في الطوي البعيدة مبالغة وهو تشبيه المعقول بالمحسوس وذلك ان الطوي كلما كانت اعمق كان اضطراب الحبل
فيها اشد لطوله فكذلك حالهم ح اي يكون لكم اضطراب قوي واختلاف شديد وقيل اراد ان الذي يمنعني من المنافسة في هذا الامر
والقتال عليه شغلي بما انطويت عليه من العلم باحوال الاخرة وما شاهدته من نعيمها وبوسها مما لو كشفته لاضطربتم اضطراب الارشية
في الطوي البعيدة خوفا من الله ووجلا من عقابه وشوقا الى ثوابه ولذهلتم عما انتم فيه من المنافسة في امر الدنيا وهذا الوجه يحتمل الارادة
من هذا الكلام ولعل في تمام هذا الكلام لو وجد ما يوضح المقصود منه ولم اقف عليه **ومن كلام له عليه السلام**
لما اشير عليه بان لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال والله لا اكون كالضبع تنام

على طول اللدم حتى يصل اليها طالبها ويختلها راصدها ولكني اضرب بالمقبل الى الحق وجه المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المريب
ابدا حتى ياتي علي يومي فوالله ما زلت مدفوعا عن حقي مستاثرا علي منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه واله حتى يوم الناس هذا
اقول روى ابو عبيدة قال اقبل امير المؤمنين عليه السلام الطواف وقد عزم على اتباع طلحة والزبير وقتالهما فاشار اليه ابنه ابو الحسن
ان لا يتبعهما ولا يرصد لهما القتال فقال في جوابه هذا الكلام وروي في سبب نقضهما البيعة انهما دخلا عليه بعد ان بايعاه
بايام وقالا قد علمت جفوة عثمان لنا وميله الى بني امية مدة خلافته وطلبا منه ان يوليهما المصرين الكوفة والبصرة فقال لهما
حتى انظر ثم استشار عبد الله بن عباس فنهاه عن ذلك فعاوداه فمنعهما فسخطا وفعلا ما فعلا الاصمعي اللدم صوت الحجر او غيره على الارض وليس بالقوي ويحكى ان الضبع تستغفل في جحرها بمثل ذلك فتسكن حتى تصاد ويحكى في كيفية صيدها
انهم يضعون في جحرها حجرا ويضربون بايديهم بابه فتحسب الحجر شيئا تصيده فتخرج فتصاد ويقال انها من احمق الحيوان ويبلغ
من حمقها ان يدخل عليها فيقال ام عامر نائمة او ليست ام عامر في الخباء فتسكن حتى توثق رجلها بحبل معه لتصيدها والختل الخديعة
واستاثرت بالشيء انفردت به واشار اولا الى ذم ما اشير عليه به من تاخير القتال ومفهوم التشبيه انه لو تاخر لكان ذلك سببا
لتمكن الخصم مما قصده فيكون هو في ذلك شبيها بالضبع التي تنام وتسكن على طول حيلة راصدها فاقسم انه لا يكون كذلك
اي لا يسكن على كثرة الظلم والبغي وطول دفاعه عن حقه ثم اردف ذلك بما هو الصواب عنده وهو المقاومة والقتال بمن اطاع
لمن عصى فقال لكني اضرب بالمقبل الى الحق وجه المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المريب وراعى المقابلة هيهنا فالعاصي
في مقابلة المطيع والمريب في مقابلة السامع لان المرتاب في الحق مقابل للقابل له ثم قسم انه لا بد نهاية عمره لانه الابد الممكن له وذلك
قوله حتى ياتي علي يومي واشار بيومه الى وقت ضرورة الموت كناية ثم اردف ذلك بالتظلم والشكاية في دفاعه عن هذا الامر و
الاستئثار عليه به وخروج الحق عن هذه المقاومات والشكايات واشار الى مبدء ذلك الدفاع ومنتهاه واكد ذلك بالقسم البار وكان
الحق المدفوع عنه امر الخلافة وهي شكاية مؤكدة للشكايات السابقة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا واتخذهم له اشراكا فباض وفرخ في صدورهم ودب ودرج في حجورهم فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم
فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه **اقول** ملاك الامر ما يقوم
به ومنه القلب ملاك الجسد والاشراك يجوز ان يكون جمع شريك كشريف واشراف ويجوز ان يكون جمع شرك وهو حبائل الصيد
كحبل واحبال والدبيب المشي الضعيف والدرج اقوى منه والخطل الفاسد من القول وشركه بفتح الشين وكسر الراء شاركه
وهذا الفصل من باب المنافرة وهو ذم للمنابذين له والمخالفين عليه فاشار اولا الى نقياد نفوسهم لشياطينهم
الى حد جعلوها مدبرة لامورهم فيها قوام احوالهم وعزلوا عقولهم عن تلك المرتبة فهم اولياؤهم كما قال تعالى انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون ثم اردف ذلك بالاشارة الى بعض لوازم تمليك الشيطان لامورهم بقوله واتخذهم له اشراكا وذلك
انه اذا ملك امورهم وكانوا مهانين بيده صرفهم كيف شاء واستعمال الاشراك هيهنا على تقدير كونها جمع شرك استعارة
حسنة فانه لما كانت فائدة الشرك اصطياد ما يراد صيده وكان هؤلاء القوم بحسب ملك الشيطان لارائهم وتصرفه فيهم
على حسب حكمه اسبابا بالدعوة للخلق الى مخالفة الحق ومقاومة امام الوقت وخليفة الله في ارضه اشبهوا الاشراك لاصطيادهم
الخلق بالسنتهم واموالهم وجذبهم الى الباطل بالاسباب الباطلة التي القاها اليهم الشيطان ونطق بها على السنتهم فاستعار
لهم لفظ الاشراك واما على التقدير الثاني فظاهر ثم اردف ذلك ببيان ملازمته لهم فشبهه بالطائر الذي عشه في قلوبهم و
صدورهم واستعار لفظ البيض والافراخ ووجه المشابهة ان الطائر لما كان يلازم عشه فيبيض ويفرخ فيه اشبهه الشيطان
في اقامته في صدورهم وملازمته لهم وكذلك قوله دب ودرج في حجورهم استعارة كنى بها ايضا عن تربيتهم للباطل وملازمته
ابليس على مقارنتهم ونشوه معهم كما يتربى الولد في حجر الداية وراعى في هذه القرائن الاربع السجع ففي الاوليين السجع المطرف
وفي الاخيرتين المتوازي قوله فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم اشارة الى وجوه تصرفه في اجزاء ابدانهم بعد القائهم
مقاليد امورهم اليه وعزلهم عقولهم عن التصرف فيها بدون مشاركته ومتابعته قوله فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل اشارة
الى ثمرة متابعته وهي غاية مقاصده منهم من الخروج عن اوامر الله في الافعال وهو المراد بارتكابه بهم الزلل وفي الاقوال
وهو المشار اليه بتزيينه لهم الخطل قوله فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه اشارة الى ان تلك
الحالات الافعال والاقوال الصادرة عنهم على خلاف اوامر الله انما تصدر عن مشاركة الشيطان ومتابعته والضمير في سلطانه
يعود الى من قد شاركه الشيطان في سلطانه الذي جعله الله له على الاعمال والاقوال وانتصاب فعل على المصدر
اما عن فعل محذوف تقديره فعلوا ذلك فعل او عن قوله اتخذوا لانه في معنى فعلوا فهو مصدر له من غير لفظه وراعى في

ويقال هذه للبشر

فيها بين الفريقين انه التحيح لطرق والله اعلم بالصواب **ومن كلام له عليه السلم** يعني به الزبير في حال اقتضت
تلك الزعم انه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة فليأت عليها بامر يعرف والا فليدخل فيما
خرج منه **اقول** الوليجة الدخيلة في الامر وهذا الفصل صورة مناظرة له مع الزبير وهو مشتمل على تقدير حجة
سابقة له عليه وصورة نقض لتلك الحجة من الزبير وصورة جواب له عن ذلك اما الحجة فكانه لما نكث الزبير بيعته وخرج
لقتاله احتج عليه بلزوم البيعة له واما كان جواب الزبير ما حكاه عنه بقوله انه بايع بيده ولم يبايع بقلبه اشارة الى التورية و
التعريض في العهود والايمان ونحوهما وهما من الزبير ان ذلك من قبله الشريعة فاجاب بقياس حذف كبراه كما علمت من قياس
الضمير فهو ما اشار اليه بقوله فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة اى امرا باطنا هو مقبول ومحكوم بلزومه له شرعا وادعى انه اخرج في
باطنه ما يفسده من الوليجة فهذه صغرى القياس وتقدير الكبرى وكل من فعل ذلك محتاج في ثبات دعواه الى بينة تعرف
صحتها فينتج انه محتاج الى بينة كذلك واشار الى هذه النتيجة بقوله فليأت عليها بامر يعرف اى على دعواه الوليجة فهيهات له ذلك
اذ التورية امر باطن لا يمكن الاحتجاج به ولا اقامة البرهان عليه ثم اشار بقوله والا فليدخل فيما خرج منه امر الدخول في طاعته وحكم
بيعته التي خرج منها على تقدير عدم قدرته على برهان دعواه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم**
وقد ارعدوا وابرقوا ومع هذين الامرين الفشل ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر الفشل الجبن والضعف والاشارة
الى طلحة والزبير واتباعهما والكلام في معرض الذم واستعار لفظ الارعاد والابراق لتوعيدهم وتهديدهم له بالحرب يقال ارعد
الرجل وابرق اذا هدد وتوعد قال الكميت ارعد وابرق يا يزيد فما وعيدك لي بضائر ووجه الاستعارة كون التوعيد من
الامور المزعجة كما ان الرعد والبرق كذلك **قوله** ومع هذين الامرين الفشل اشارة الى وجه الرذيلة وذلك ان التهديد والتوعد
قبل ايقاع الحرب والخوض فيها والجلبة امارة الجبن والعجز والصمت والسكون امارة الشجاعة كما اشار اليه في تعليم كيفية الحرب
مخاطبا لاصحابه وامتوا اصواتكم فانه اطرد للفشل وروى ان ابا طاهر الجبائي سمع جلبة عسكر المقتدر وهو في الف ونيف وثلثمائة فارس
والمقتدر في عشرين الفا فقال لبعض اصحابه ما هذا الزجل قال الحمل قال فشل قال الجبل وكانت الغلبة له واستدل بتلك الامارة على الفشل
قوله ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر اشارة الى نفي تلك الرذيلة عن نفسه واصحابه واثبات الفضيلة لهم وكما ان من شان
السحاب ان يقترن وقوع المطر منه برعده وبرقه واسالة الماء بامطاره كذلك اقواله مقرونة بافعاله لا اخلاف فيها وليس الرعد ابرقهم ونذر
بامطاره ومفهوم ذلك ان خصمه تهدده بالحرب من غير قوة نفس ولا ايقاع لها فاشبه ذلك الرعد من غير ايقاع للمطر والسيل
من غير مطر فكانه قال كما لا يجوز سيل بلا مطر فكذلك ما توعدونه وتهددونه به من ايقاع الحرب بلا شجاعة ولا قوة عليها وفي
ذلك ثمرة التحدي **ومن خطبة له عليه السلم** الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله وان معي
لبصيرتي ما لبست على نفسي ولا لبس علي وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه ولا يعودون اليه **اقول** هذا
الفصل ملتقط ملفق من خطبة له لما بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وهو غير منتظم وقد اوردها السيد منها فصلا اخر وسنذكرها
بتمامها اذا انتهينا اليها ان شاء الله تعالى والاستجلاب في معنى الجمع والبصيرة العقل وافرطت الحوض افرطه بضم الراء ملاته والماتح
بالتاء المستقي وربما يلتبس بالمائح وهو الذي ينزل البئر فيملأ الدلو والفرق بينهما ان نقطتي فوق للفوقاني والصدر
الرجوع عن الماء وعدم وبقابله الورود وهو العود اليه ومدار هذا الفصل على ثلثة امور اولها الذم لاصحاب الجمل والتنفير عنهم
والثاني التنبيه على فضيلة نفسه والثالث التوعيد لهم واشار الى الاول بقوله الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله و
رجله واراد ان اتباعهم والجامع على خلاف الحق انما هو الشيطان بوسوسته لهم وتزيينه الباطل في قلوبهم وقد عرفت كيفية
وسوسته واضلاله فكل من خالف الحق ونابذه فهو من حزب الشيطان وجنده خيلا ورجلا واما الثاني فاشار اولا الى كمال عقله وتمام
استعداده لاستجلاء الحق واستيضاحه بقوله وان معي لبصيرتي ثم اكد ذلك بالاشارة الى عدم انخداع نفسه القدسية للشيطان فيما يلبس
به من الحق من الشبه الباطلة على البصائر الضعيفة فيعميها بذلك عن ادراكه وتمييزه من الباطل سواء كانت مخادعة الشيطان وتلبيسه بغير
واسطة وهو المشار اليه بقوله وما لبست على نفسي اى لا يلتبس على نفسي المطمئنة ما يلقيه اليها نفسي الامارة او بواسطة وهو المشار اليه
بقوله ولا لبس علي اى ان احدا ممن تبع ابليس وتلقف عنه الشبه وصار في قوة ان يلبس الحق صورة الباطل لا يمكنه ان يلبس علي
واما الثالث فاشار اليه بقوله وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه الى اخره واستعار افراط الحوض لجمع الجند وتهيئة اسباب
الحرب وكنى بقوله انا ماتحه انه هو المتولي لذلك ولما كانت الحرب قد تشبه بالبحر وبالماء الجم فيستعار لها اوصافه فيقال فلان
خواض غمرات وفلان منغمس في الحرب وترشيح تلك الاستعارة بالمتح والفرط والاصدار والايراد وفي تخصيص نفسه بالمتح تاكيد لتهديد
لعلمهم بباسه وشجاعته وقد حذف المضاف اليه والتقدير انه ماتح ماؤه اذ الحوض لا يوصف بالمتح ثم اردف ذلك بوصف اشعار انه
ماتح في الحقيقة

لهم بالشدة والصعوبة عليهم فكنى بقوله لا يصدرون عنه عن ان لو اوردهم اليه لا ينجو منه وهو بمنزلة من يغرق فيه فلا يصدر
عنه وبقوله ولا يعودون اليه اي ان من نجا منهم لا يطمع في الحرب مرة اخرى فلا يعودون الى ما اعد لهم مرة ثانية واكد ذلك الوعيد
بالقسم البار واصله ايمن جمع يمين حذفت النون تخفيفا كما حذفت في لم يك وقيل هو اسم برأسه وضع للقسم وتحقيقه في مسائل النحو
ومن كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما اعطاه الراية يوم الجمل تزول الجبال ولا تزل عض على ناجذك اعر الله جمجمتك
تد في الارض قدمك ارم ببصرك اقصى القوم وغض بصرك واعلم ان النصر من عند الله سبحانه **اقول** الناجذ السن بين الناب
والضرس وقال الجوهري هو اقصى الاضراس وقيل الاضراس كلها نواجذ واعلم انه عليه السلام اشار في هذا الفصل الى انواع
اداب الحرب وكيفية القتال فنهاه اولا عن الزوال واكد عليه ذلك بقوله تزول الجبال ولا تزل والكلام في صورة شرطية متصلة
محرفة تقديرها لو ان الجبال تزول لا تزل وهو نهي عن الزوال مطلقا لان النهي عنه على تقدير زوال الجبال مستلزم للنهي عنه
على تقدير اخر بطريق الاولى اذ المقصود المبالغة في النهي ثم اردف ذلك بخمسة اوامر احدها ان يعض على ناجذه وذلك يستلزم
امرين احدهما ربط الجاش عن الفشل والخوف والانسان يشاهد ذلك في حال البرد والخوف الموجبين للرعدة فانه اذا عض على الاضراس
تسكن رعدته ويقل ... الثاني ان الضرب مع ذلك في الراس لا يؤثر كثير ضرر كما قال عليه السلام في موضع اخر وعضوا
على النواجذ فانه انبى للسيوف عن الهام وكان ذلك لما فيه من جمع القوة والتصلب الثاني ان يعير الله جمجمته وهي استعارة لطيفة وتشبيه
للجمجمة بالالات التي تستعار للانتفاع بها ثم ترد فانتفاع دين الله وحده بجهده رضي الله عنه على هذا الوجه تشبيه للانتفاع بالعارية قال
بعض الشارحين وفي ذلك تنبيه لمحمد رضي الله عنه على انه لا يقتل في ذلك الحرب اذ ما اعير الله لابد من رده بكمال السلامة وفيه تثبيت
لجاشه وربط لقلبه **الثالث** ان يلزم قدمه الارض ويجعلها كالوتد وذلك يستلزم امرين احدهما ربط الجاش واستصحاب العزم على
الثاني ان ذلك مظنة الشجاعة واستمرار الصبر على المكاره فيكون من موجبات انفعال العدو وانقهاره **الرابع** ان يرمي ببصره اقصى القوم وذلك
ليعلم على ماذا يقدم ولينظر مخائل الخاذل ومقاتل المقاتل **الخامس** ان يغض بصره بعد مده وذلك لكونه علامة السكينة والثبات وعدم
الطيش ولان مد النظر الى بريق السيوف مظنة الرهبة وربما اخذت على ابصارهم والنظر بالحدق في الحرب بالخلسة اشعل الحنق المترصد
للفرصة كما قال ع في غير هذا الموضع ولاحظوا الشزر ثم لما تمم هذه الاوامر الخمسة امره ان يعلم ان النصر من عند الله كما قال وما النصر
الا من عند الله العزيز الحكيم ليتاكد بذلك ثباته وثقته بالله عند ملاحظة قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم **ومن كلام**
له عليه السلام لما اظفره الله باصحاب الجمل وقد قال له بعض اصحابه وددت ان اخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به
على اعدائك فقال عليه السلام اهوى اخيك معنا فقال نعم فقال فقد شهدنا ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في اصلاب الرجال
وارحام النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الايمان **اقول** اهوى اخيك معنا اي محبته وميله **قوله** فقد شهدنا حكم بالحضور
بالقوة او بحضور نفسه وهمته على تقدير محبته الحضور وكم انسان يحضر بحضور همته وان لم يحضر ببدنه كثير نفع اما باستجلاب
الرجال او بتاثيرات لهم في تفريق اعداء الله كما تفعله اولياء الله بحيث لا يحصل مثل ذلك النفع من ابدان كثيرة حاضرة
وان قويت وعظمت **قوله** ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في اصلاب الرجال وارحام النساء تاكيد لحضور اخيه الغائب
بالاشارة الى من سيوجد من انصار الحق الذابين عنه وعباد الله الصالحين شاهدون معه عليه السلام ايضا والشهادة
شهادة بالقوة اي انهم موجودون في اكمام المواد بالقوة ومن كان في قوة ان يحضر من انصار الله فهو بمنزلة الحاضر الموجود
بالفعل في نصرته اذا وجد **قوله** سيرعف بهم الزمان لفظ الرعاف وهو الدم الخارج من انف الانسان لوجودهم وفيه
تشبيه للزمان بالانسان وانما نسب وجودهم الى الزمان لانه من الاسباب المعدة لقوابل وجودهم ونحوه قول الشاعر وما
رعف الزمان بمثل عمرو ولا تلد النساء له ضريبا **قوله** ويقوى بهم الايمان ظاهر وبالله التوفيق **ومن كلام له**
عليه السلام في ذم البصرة واهلها كنتم جند المرأة واتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم اخلاقكم دقاق ودينكم نفاق
وماؤكم زعاق المقيم بين اظهركم مرتهن بذنبه والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه كاني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد
بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها وفي رواية اخرى وايم الله لتغرقن بلدتكم هذه حتى كاني انظر الى
مسجدها كجؤجؤ سفينة او نعامة جاثمة وفي رواية اخرى كجؤجؤ طير في لجة بحر **اقول**
هذا الفصل مع فصول بعده من خطبة خطبها عليه السلام بالبصرة بعد وقعة الجمل وذلك انه لما فرغ من اهل حرب الجمل امر مناديا ينادي في اهل البصرة ان الصلاة الجامعة
لثلاثة ايام من غد ان شاء الله ولا عذر لمن تخلف الا من حجة او علة فلا تجعلوا على انفسكم سبيلا فلما كان في اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج فصلى بالناس الغداة في المسجد
الجامع فلما قضى صلوته قام فاسند ظهره الى حائط القبلة عن يمين المصلى فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى على النبي ص واستغفر للمؤمنين
والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ثم قال يا اهل البصرة يا اهل المؤتفكة ائتفكت باهلها ثلاثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المرأة واعوان البهيمة

رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم
اخلاقكم دقاق وماؤكم
زعاق بلادكم انتن بلاد الله تربة

في بيان خطبة خطبها بالبصرة بعد فتحها

من الشام فيها تسعة اعشار الشر المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله كأني انظر الى قريتكم هذه وقد طبقها الماء حتى ما يرى منها الا شرف
المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر فقام اليه الاحنف بن قيس فقال له يا امير المؤمنين ومتى ذلك فقال اذا صارت آجامكم قصورا واعلم ان
بعد هذا الفصل من الخطبة فصولا لا تعلق لها بهذا الموضع وربما تعلقت بفصول اوردها السيد بعد هذا الفصل وسنذكرها
معها انشاء الله اصل البصرة الحجارة البيض الرخوة وصار علما للبلدة لوجدان تلك الحجارة بها فقيل انها بالمربد كثيرة وائتفكت البلدة
باهلها انقلبت بهم والمؤتفكة من الاسماء القديمة للبصرة كما سنذكره في تمام هذه الخطبة والرغاء صوت الابل خاصة والعقر الجرح
والدق من كل شيء حقيره وصغيره والشقاق الخلاف والافتراق والنفاق الخروج من الايمان بالقلب واصله ان اليربوع يرقق موضعا
من الارض من داخل جحره فاذا اوتي من قبل بابه وهو القاصعاء ضرب ذلك الموضع برأسه فانتفق اي خرج ويسمى ذلك النافقاء فاشتق
لفظ النفاق منه والزعاق المالح وطبقها الماء اي عمها وأتى على جميعها وجؤجؤ السفينة صدرها وكذلك الطائر واعلم انه ذكر في
معرض ذمهم امورا نبه فيها على وجوه ارتكابهم ما اهلها وحسنها بهم مما يكون نقصا ذمهم واستحقاقهم بذلك عذاب الله وقوله و
على الله تمام الرابعة دعاء عليهم بايقاع الخسف بهم الاول كونهم جند المرأة واراد عائشة فانهم جعلوها عقد نظامهم ولما كانت
قول النساء وآراؤهن امورا مذمومة بين العرب وسائر العقلاء لضعف آرائهن ونقصان عقولهن كما قال الرسول صلى الله عليه وآله انهن ناقصات
عقول ناقصات دين ناقصات حظ اما نقصان عقولهن فلان شهادة ثنتين منهن بشهادة رجل واحد لئن تذكر احديهما الاخرى
واما نقصان دينهن فلان احديهن تقعد في بيتها شطر دهرها في ايام حيضها لا تصوم ولا تصلي واما نقصان حظهن فلان ميراثهن
على النصف من ميراث الرجال وكان مع ذلك مستشيرهن ومطيعهن اضعف رأيا منهن كما هو شأن التابع بالنسبة الى متبوعه لاجرم
حسن توبيخهم بكونهم جند المرأة واعوانها الثاني كونهم اتباع البهيمة واراد بالبهيمة الجمل الذي كان تحت عائشة وان حالهم هذه
ما اتباعهم مجيبين لرغائه وهاربين بعقره وهو اشنع من الاول وادخل في الذم وكون رغائه عن دعوتها لهم الى القتال اوقد قص عليهم
واكثر له الرابع دقة اخلاقهم واشار بها الى كونهم على رذائل الاخلاق دون حاق الوسط ولما كانت اصول الفضائل الخلقية
كما علمت ثلثة الحكمة والعفة والشجاعة وكانوا على طرف الجهل بوجوه الآراء المصلحية وهو طرف التفريط من الحكمة وعلى طرف الجبن
وهو طرف التفريط من الشجاعة وعلى طرف الفجور وهو طرف الافراط من ملكة العفة والعدالة لاجرم صدق انهم على رذائل الاخلاق
ورذالتها الخامس الشقاق في العهود والنكث لها ومصداق ذلك نكثهم لعهده وخلافهم لبيعته وذلك من العدالة الذي هو رذيلة
ما زال ملكة الوفاء السادس النفاق في الدين ولما كانوا خارجين على الامام العادل محاربين له لاجرم كانوا خارجين عن الدين وربما
كان ذلك خطابا خاصا لبعضهم اذ النفاق العرفي هو الخارج من الاسلام بقلبه المظهر له بلسانه فيكون ذلك خطابا لمن كان منهم بهذه
الصفة السابع ما يتعلق بذم بلدهم وهو كون مائهم مالحا وسبب ملوحته قربه من البحر وامتزاجه به ودخول ذلك في معرض
ذمهم ربما يكون لسوء اختيارهم ذلك المكان والاقامة به مع كون مائهم بهذه الحال المستلزمة لامراض كثيرة في شربتها له كسوء المزاج و
البلادة وفساد الطحال والحكة وغير ذلك مما يذكره الاطباء ولان ذلك من اسباب التنفير عن المقام معهم وتكثير سوادهم الثامن
كونها انتن البلاد تربة وذلك لكثرة ركوب الماء لها وعفونتها به التاسع كونها ابعد البلاد عن السماء وسيجيء بيانه العاشر
كونها فيها تسعة اعشار الشر ويحتمل ان يريد به المبالغة في ذمها دون الحصر وذلك لانه لما عدد بها شرورا لا يكاد يجتمع في غيرها
حكم بان فيها تسعة اعشار الشر مبالغة كنى به عن معظم الشر ويحتمل ان يريد بالشر مجموع الرذائل الخلقية المقابلة للاصول الفضائل
النفسانية التي هي العلم والشجاعة والعفة والسخاء والعدالة لكل منها مقابل من رذيلتين كما علمت فتلك عشر رذائل واستثنى ما يخرج
عنهم ما لا يناسب غرضه ههنا ذمهم به كالتبذير ونحوه وهذا الاحتمال وان كان لطيفا الا ان فيه بعدا الحادي عشر
كون المقيم بين اظهرهم مرتهنا بذنبه وذلك ان المقيم بينهم لا بد وان ينخرط في سلكهم فيستعد لقبول مثل طباعهم وينفعل عن
رذائل اخلاقهم وح يكون موثوقا بذنوبه الثاني عشر كون الشاخص عنهم متداركا برحمة من ربه وذلك لان امر الله له بالخروج
ليسلم من الذنوب التي يكتسبها المقيم بينهم وتلك رحمة من الله واي رحمة وكل ذلك في معرض التنفير عنهم والمفهوم من لو روايتا لتائبة
وهي في المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله غير ما ذكرناه اذ يفهم من قوله المحتبس فيها بذنبه ان اخذه سنة يجري مجرى العقوبة
له بذنب سبق منه والخارج منها قد عفا الله عنه بخروجه وقد راعى في هاتين القرينتين السجع المتوازي وكذلك في القرائن الاربع قبلها
ثم اشار بعد ذلك الى ان بلدتهم سيغرقها الماء وشبه هيئة بلدتهم مشاهدة يومئذ ببصيرته القدسية لمسجدهم مغمورا بالماء
وقد طبق ارضهم بمشاهدة الحسية في الجلاء والظهور وقد حكى توقيف الرسول صلى الله عليه وآله على احوالهم في فصل اخر من هذه الخطبة وذلك
انه عقيب ذمه لاهل البصرة وجوابه للاحنف في الفصل الذي ذكرناه قال مادحا لهم يا اهل البصرة ان الله لم يجعل لاحد من امصار
المسلمين خطة شرف ولا كرم الا وقد جعل فيكم افضل ذلك وزادكم من فضله بمنه ما ليس لهم انتم اقوم الناس قبلة قبلتكم على المقام

اى مر

العلية ح

بينهم ح

في مذمة البصرة

حيث يقوم الإمام بمنكر وقاريكم أقرأ الناس وزاهدكم أزهد الناس وعابدكم أعبد الناس وتاجركم أتجر الناس وأصدقهم في تجارته
ومتصدقكم أكرم الناس صدقة وغنيكم أشد الناس بذلاً وتواضعاً وشريفكم أحسن الناس خلقاً وأنتم أكرم الناس جواراً وأقلهم
تكلفاً لما لا يعنيه وأحرصهم على الصلوة في جماعة ثمرتكم أكثر الثمار وأموالكم أكثر الأموال وصغاركم أكيس الأولاد ونساؤكم أقنع
النساء وأحسنهن تبعلاً سخر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحاً لمعاشكم والبحر سبباً لكثرة أموالكم فلو صبرتم واستقمتم
لكانت شجرة طوبى لكم مقيلاً وظلاً ظليلاً غير أن حكم الله فيكم ماض وقضاءه نافذ لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب يقول
الله وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً وأقسم لكم يا أهل
البصرة ما الذي ابتدأتكم به من التوبيخ إلا تذكير وموعظة لما بعد لكيلا تسرعوا إلى الوثوب في مثل الذي وثبتم وقد قال الله
تعالى لنبيه صلعم وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ولا الذي ذكرت فيكم من المدح والتطرية بعد التذكير والموعظة رهبة
مني لكم ولا رغبة في شيء مما قبلكم فإني لا أريد المقام بين أظهركم إن شاء الله لأمور تحضرني قد يلزمني القيام بها فيما بيني
وبين الله لا عذر لي في تركها ولا علم لكم بشيء منها حتى يقع مما أريد أن أخوضها مقبلاً ومدبراً فمن أراد أن يأخذ بنصيبه
منها فليفعل فلعمري إنه للجهاد الصافي صفاه لنا كتاب الله ولا الذي أردت به من ذكر بلادكم موجدة مني عليكم لما شاققتموني
غير أن رسول الله صلعم قال لي يوماً وليس معه غيري يا علي إن جبرئيل الروح الأمين حملني على منكبه الأيمن حتى أراني الأرض
ومن عليها وأعطاني أقاليدها وعلمني ما فيها وما قد كان على ظهرها وما يكون إلى يوم القيمة ولم يكبر ذلك علي كما لم يكبر
على أبي آدم علمه الأسماء ولم يعلمه الملائكة المقربون وإني رأيت بقعة على شاطئ البحر تسمى البصرة فإذا هي أبعد الأرض من السماء
وأقربها من الماء وإنها لأسرع الأرض خراباً وأخبثها تراباً وأشدها عذاباً ولقد خسف بها في القرون الخالية مراراً و
ليأتين عليها زمان وإن لكم يا أهل البصرة وما حولكم من القرى من الماء ليوماً عظيماً بلاؤه وإني لأعرف موضع منفجره
من قريتكم هذه ثم أمور قبل ذلك تدهمكم عظيمة أخفيت عنكم وعلمناها فمن خرج عنها عند دنو غرقها فبرحمة من الله سبقت
له ومن بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه وما الله بظلام للعبيد وأما تشبيه ما يخرج من الماء من شرفات المسجد بصدر
السفينة وفي الرواية الأخرى بالنعامة الجاثمة وفي الرواية الثالثة بالطائر في لجة البحر
فتشبيهات ظاهرة وأما وقوع ذلك الغرق المخبر فالمنقول أنها غرقت مرة في أيام القادر بالله ومرة في أيام القائم بأمر الله غرقت
بأجمعها وغرق من في ضمنها وخربت بعض دورها ولم يبق منها إلا مسجدها الجامع حسب ما أخبر عم وكان غرقها من قبل بحر
فارس ومن ناحية الجبل المعروف بجبل السنام فكان ذلك مصداق كلامه عم وفي ذلك نظر لأنه أشار إلى أن ذلك
الماء ينفجر من أرضهم بقوله وإني لأعرف موضع منفجره من قريتكم هذه وظاهر ذلك يقتضي أنه لا يكون من ناحية أخرى والله
أعلم منها في مثل ذلك أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء خفت عقولكم وسفهت حلومكم فأنتم غرض لنابل وأكلة لآكل
وفريسة لصائل **قوله** السفه رذيلة تقابل الحلم وتعود إلى الطيش وعدم الثبات والأكلة اسم للمأكول وقد علمت أن
أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء مما حكاه عن رسول الله صلعم في الفصل المتقدم أما قرب أرضهم من الماء فإشارة إلى
أنها موضع مطمئن من الأرض وقريبة من البحر فهو بصدد أن يعلوها بالاغراق دجلة وكذلك مشاهد في دخول الماء
مداخلهم وسقيه بساتينهم في كل يوم مرة أو مرتين وأما كونها بعيدة من السماء فيحتمل أن يكون لسفالها عن غيرها من الأرض وقيل أنه
من أبعد موضع في الأرض عن السماء إلا أيلة وأن ذلك مما دلت عليه الأرصاد وبرهن عليه أصحاب علم الهيئة وقال بعضهم
إن كون ذلك في معرض الذم يصرفه عن ظاهره وإنما الإشارة إلى أنهم لما كانوا بالأوصاف المذمومة التي عددها فيهم كانوا
بعداء عن نزول الرحمة عليهم من سماء الجود الإلهي المستعدين لنزول العذاب ويصدق في العرف أن يقال فلان بعيد
من السماء إذا كان كما ذكرناه **قوله** خفت عقولكم إشارة إلى قلة استعدادهم لدرك وجوه المصالح وضعف عقولهم عن تدبير
أحوالهم وتسرعهم إلى ما لا ينبغي لغفلتهم عما ينبغي وهو وصف لهم برذيلة الغباوة **قوله** وسفهت حلومكم إشارة إلى وصفهم
برذيلة السفه والخفة المقابلة للحلم **قوله** فأنتم غرض لنابل وأكلة لآكل وفريسة لصائل هذه الأوصاف الثلثة لازمة عن خفة
عقولهم وسفه حلومهم ولذلك عقبها بها لأن طمع القاصدين لهم بأنواع الأذى إنما ينشأ من العلم بقلة عقلهم لوجوه المصالح
وسفههم فيقصدهم بحيث يدبره والأول من هذه الأوصاف كناية عن كونهم مقصداً لمن يريد أذاهم والثاني كناية عن
كونهم في معرض أن يطمع في أموالهم ونعمهم ويأكلها من يقصد أكلها والثالث عن كونهم بصدد أن يفترسهم من يقصد
قتلهم وإهلاكهم واستعار لفظ الغرض والأكلة والفريسة لهم ووجوه المشابهة منها ظاهرة وقد راعى في هذه القرائن السجع
ففي الأوليين بالسجع المطرف وفي الأخريين بعدها والثالثة السجع المتوازي **ومن كلام له عليه السلام** فيما

في بيان خطبة خطبها بالمدينة

لله على المسلمين من قطائع عثمان والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته فان في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق **اقول** هذا الفصل مع فصول بعده من خطبة خطبها بالمدينة لما قتل عثمان وبويع له وقد ذكر هنا غرامته ونقصانا واوله هذا الفصل من الخطبة الا وان كل قطيعة قطعها عثمان ومال اخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في بيت المال ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان فانه ان لم يسعه الحق فالباطل اضيق وعنه وسنورد الخطبة بتمامها في احد الفصول التي يجيئ منها ان شاء الله تعالى واعلم انه اشار اولا الى العزم الجازم المؤكد بالقسم على رد القطائع التي كان عثمان اقطعها اقاربه ثم نبه المقتطعين بقوله فان في العدل سعة على ان عدل الله يسعهم في رد ما اقطعوه ولكن يسعه عن انفضاء امر العدل ورد ذلك وغيره من المظالم فعليهم ان يدخلوا في مقتضى اوامر الله وعدله فان فيه سعتهم اذ به نظام العالم باسره وهو محل رضا المظلوم بايصال حقه اليه ولرضا الظالم ربما عند الانتزاع منه اخذا لما ليس له وتذكر ذلك العلم بالوعيد الصادق فهو وان فات شيئا منه حال انتزاع الظلامة منه وضاق عليه العدل فهو في محل الرضا فان لم يرض بضيق العدل عليه فالجور عليه اضيق في الدنيا والاخرة لانه ربما انتزعت منه قهرا او كان جوره سببا للتضييق عليه في ذلك ولان الاوامر والنواهي الالهية محيطة بمن دام عليه وجوه التصرف الباطل والاثم اذا نزل عليه عدل الله فقد لا يتركه الا اخذ منه ما ينبغي اخذه منه واذا نزل عليه جور اعتقد انه اخذ منه ما لا ينبغي اخذه ولا شك ان اخذ ما لا ينبغي اخذه اصعب على النفس واضيق من اخذ ما ينبغي وهو امر وجداني والمعنى في الالفاظ التي اوردناها من الخطبة قريب مما ذكرناه ههنا غير ان الضمير في قوله فانه ان لم يسعه يعود الى المال واعلم انه قد كان عثمان اقطع جماعة من بني امية وغيرهم من اصحابه كثيرا من ارض بيت المال وكان فعل عمر ذلك مع قوم لهم وقائع مشهورة في الجهاد في سبيل الله وغناء في الجهاد لكن لما اختلف غرض الامامين لم يرد علي عليه السلام الا ما اقطعه عثمان وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم ان من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن تقحم الشبهات الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها واعطوا ازمتها فاوردتهم الجنة حق وباطل ولكل اهل فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق فلربما ولعل ولقلما ادبر شيء فاقبل قال السيد الرضي رضي الله عنه ان في هذا الكلام الادنى من مواقع الاحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان وان حظ العجب منه اكثر من حظ العجب به وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ولا يطلع فجها انسان ولا يعرف ما اقول الا من ضرب في هذه الصناعة بحق وجرى فيها على عرق وما يعقلها الا العالمون **اقول** في هذا الفصل فصول من الخطبة التي اشرنا اليها في الكلام الذي قبله وكذا في الفصل الذي بعده ونحن نوردها بتمامها ليتضح ذلك وهي الحمد لله احق محمود بالحمد واولاه بالمجد الها واحدا صمدا اقام اركان العرش فاشرق بضوء شعاع الشمس خلق فانفق واقام فذلت له وطاة المستمكن واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالنور الساطع والضياء المنير اكرم خلق الله حسبا واشرفهم نسبا لم يتعلق عليه مسلم ولا معاهد بمظلمة بل كان يظلم فما يعتدي فان اول من بغى على الارض عناق ابنة آدم كان مجلسها من الارض جريبا وكان لها عشرون اصبعا وكان لها ظفران كالمخلبين فسلط الله عليها اسدا كالفيل وذئبا كالبعير ونسرا كالحمار وكان ذلك في الخلق الاول فقتلها وقد قتل الله الجبابرة على سوء احوالهم وان الله اهلك فرعون وهامان وقتل قارون بذنوبهم الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم عليه السلام والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد انبئت بهذا اليوم وهذا المقام الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار فهم فيها كالحون الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها فسارت بهم تادوا حتى اذا جاؤا ظلا ظليلا فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الا وقد سبقني الى هذا الامر من لم اشركه فيه ومن ليست له منه توبة الا بنبي يبعث ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله اشفى منه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ايها الناس كتاب الله وسنة نبيه لا يرعى مرع الا على نفسه شغل من الجنة والنار امامه ساع نجا وطالب يرجو ومقصر في النار ولكل اهل ولعمري لئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق لربما ولعل ولقلما ادبر شيء فاقبل ولئن رد امركم عليكم انكم لسعداء وما علينا الا الجهد قد كانت امور مضت ملتم فيها ميلة كنتم عندي فيها غير محمودي الرأي ولو اشاء ان اقول لقلت عفا الله عما سلف سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب

في بيان خطبة خطبها في المدينة

هذه الخطبة من اولها الى قوله قطع حياه وقطع رأسه كان خبر اله شغل من الجنة والنار امامه ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار هوى ثلثه و
خمسة وليس فيهم سادس ملك طار بجناحيه ونبي اخذ بضبعيه هلك من ادعى وخاب من افترى اليمين والشمال مضلة والوسطى الطريق
المنهج عليه باقي الكتاب وآثار النبوة الا وان الله قد جعل ادب هذه الامة السوط والسيف ليس عند امام فيهما هوادة فاستتروا ببيوتكم
واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم من ابدى صفحته للحق هلك الا وان كل قطيعة اقطعها عثمن وما اخذه من بيت مال المسلمين
فهو مردود عليهم في بيت مالهم ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان فانه ان لم يسعه الحق فالباطل اضيق عنه اقول قوله
هذا واستغفر الله لي ولكم ولقد ذكرنا هذا الفصل فيما قبل ولنرجع الى التفسير فنقول الذمة الحرمة والذمة ايضا العهد والرهينة
المرهونة والزعيم الكفيل وفي الحديث الزعيم غارم والمثلات العقوبات والحجز المنع تحجزه في الامر وتقحم رمى بنفسه فيه والحقيبة الصفة
والبلبلة الاختلاط والغربلة نخل الدقيق وغيره والعربلة القتل ايضا وساط القدر اذا قلب ما فيها من طعام بالمخراف وادارة والسوط
ما لشين المعجمة الكلمة وبغير المعجمة العلامة والاثر والشموس جمع شموس وهي الدابة تمنع ظهرها والتأود التبرم الثقيل والثبات والذلول الساكنة
والكالح المكشر عبوسا من امر الباطل يكثر لهم كثر وفلان يرعى على نفسه اذا كان يتفقد احوالها واعلم انه اشار اولا في هذا الفصل الى وجوب الاذهان
لوجوب التقوى وتنبه على انه وسيلة البر ومستلزم له في صورة شرطية متصلة وهي قوله من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزه
التقوى عن تقحم الشبهات وبيان الملازمة ان من احدث العنايات عقله فاعدت نور بصيرته لمشاهدة ما صرحت به آثار الدنيا
وكشفت عبرها من شدائد حالاتها وتغيراتها على من اوقف عليها همه وانفذ بها دار الآخرة فرفتا بعدان كل ذلك امور باطلة وظلال
زائلة فلا بد ان يفيض الله على قلبه صورة خشيته وتقواه فتستلزم تلك الخشية توقفه وامتناعه عن ان يلقي نفسه في تلك الامور
الزائلة والشبهات الباطلة لاشراق نور الحق الواضح على لوح نفسه بالاعتبار فالتقوى اللازم له هو الحاجز عن ذلك التقحم واشار بالشبهات
الى ما يتوهم كونه حقا ثابتا باقيا من الامور الفانية الزائلة واللذات الدنيوية الباطلة فالوهم يصورها ويشبهها بالحق فلذلك
سميت شبهات والعقل الخارج من اسر الهوى قوي على نقد الحق وتمييزه من الشبهة واكد هذه الملازمة بان ذمته رهينة على صحتها
وكفالته بصدقها وذلك قوله ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم واستعمال الرهن استعارة كقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة واعلم انه
ربما التبس عليك حقيقة التقوى فنقول التقوى بحسب العرف الشرعي يعود الى خشية الحق سبحانه المستلزم للاعراض عن كل ما يوجب
الالتفات عنه من متاع الدنيا وزينتها وتنحية ما دون وجهه عن جهة القصد ولما كان الترك والاعراض المذكور هو الزهد الحقيقي
كما علمت وكان التقوى وسيلة اليه علمت انه من قوى الجواذب الى الله المراد عند الالتفات الى ما سواه وقد ورد التقوى بمعنى الخشية
من الله تعالى في قوله تعالى في اول النساء يا ايها الناس اتقوا ربكم ومثله في اول الحج وفي الشعراء اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون وكذلك قول هود و
صالح ولوط وشعيب لقومهم وفي العنكبوت وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه وقوله اتقوا الله حق تقاته وقوله ومن يتق وقوله تعالى
خير الزاد التقوى وكذلك في سائر آيات القرآن وان كان قد حمله بعض المفسرين تارة على الايمان كما في قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى تارة
على التوبة كما في قوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا وتارة على ترك المعصية كما في قوله وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله واذا عرفت
ذلك فاعلم انه لما نبههم على لزوم التقوى وانه مخلص من تقحم الشبهات نبههم بعده على انهم في الشبهات مغمورون بقوله الا وان بليتكم
قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه واشار ببليتهم الى ما هم عليه من اختلاف الاهواء وتشتت الآراء وعدم الالفة والاجتماع في نصرة الله
عن شبهات يلقيها الشيطان على الاذهان القابلة لوسوسته المهوزة في بدء وذلك من اعظم الفتن التي بها يبتلي الله عباده ونبلوكم
بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وهي امور تشبه ما كان الناس عليه حال بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وفي ذلك تنبيه لهم على انهم ابعدوا من تقوى
الله في شيء اذ عرفت ان خلاصهم من الشبهة من لوازم التقوى فكان وقوعهم فيها مستلزما لسلب التقوى عنهم ثم لما بين وقوعهم في البلية كما
كانت اقسم بالقسم البار انه لا بد لهم من ثمرة ما هم فيه من عدم التناصر واتباع الاهواء الباطلة وذكر امورا ثلثة لحوقها الاول البلبلة وكنى
بها عما يوقع بنو امية وغيرهم من امراء الجور من الهموم المزعجة وخلط بعضهم ببعض ورفع اراذلهم وحط اكابرهم عما يستحق كل من المراتب الثاني
الغربلة وكانه كنى بها عن التقاط آحادهم وقصدهم بالاذى والقتل كما فعل بكثير من الصحابة والتابعين وفي ذلك تشبيه لفعلهم ذلك
بغربلة الدقيق ونحوه لتميز شيء منه عن شيء ولذلك ستعير له لفظها وهي هذه الفرقة بين التشبيه المتوازي الثالث ان يساطوا
كما تساط القدر الى ان يعود اسفلهم اعلاهم وبالعكس واستعار لفظ السوط ههنا مع غايته المذكورة لتصريفهم تحت ايدي الجور وتقلبهم في
انواع من اسباب الاهانة وتغيير القواعد عليها في ذلك الوقت وهو قريب من الاول قوله وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن
سابقون كانوا سبقوا اشارة الى بعض نتائج تقلب الزمان بهم قال بعض الشارحين انه اشار بالمقصرين الذين يسبقون الى قوم قصروا
عن نصرته في مبدأ الامر حين وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم نصروه في ولايته وقاتلوا معه في سائر حروبه وبالسابقين الذين يقصرون الى من
كانت له في الاسلام سابقة ثم يخذله ويحرف عنه ويقاتله ويشبه ان يكون مراده اعم من ذلك فالمقصرون الذين يسبقون كل من اتخذ

في بيان خطبة خطبها بالمدينة

العناية الالهية سببه وقاده زمام التوفيق الى الجد في طاعة الله واتباع سائر اوامره والوقوف عند نواهيه وزواجره وبعد تقصيره نحو ذلك وعكس
هؤلاء من كان في مبدأ الامر مشمرا في سلوك سبيل الله ثم جذبه هواه الى غير ما كان عليه وسلك به الشيطان مسالكه فاستبدل بجميله
في الدين تقصيرا وانحرافا عنه قوله والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة اقسم انه لم يكتم اثرا سمعه من رسول الله صلعم في هذا المعنى وكلمة مما يتعين
عليه ان يبوح به وانه لم يكذب قط وهذا القسم شهادة لما قبله من الاخبار بما سيكون انه كان قال متوطيا لما بعده انه كما هو وذلك قوله
ولقد نبئت بهذا المقام اي مقام بيعة الخلق له وهذا اليوم اي يوم اجتماعهم عليه وكل ذلك تنفير لهم عن الباطل الى الحق وتثبيت لهم على
اتباعه ثم لما امرهم بالتقوى وانبأهم بما سيكون عاقبة امرهم من بلبلتهم وتورطهم في الشبهات اردف ذلك بالتنفير عن الخطايا
والترغيب في التقوى بالتنبيه على ما يعود اليهم من كل منهما قوله الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار
استعار لفظ الخيل للخطايا ثم وصفها بالوصف المنفر وهو الشموس والهيئة المانعة للعقل من ركوبها وهي كونها مع شموسها مخلوعة
اللجم ووجه الاستعارة ظ فان الفرس الشموس المخلوع لجامها لما كانت ان تقحم براكبها المهالك وتجري به على غير نظام فكذلك راكب الخطيئة
لما جرى به ركوبها على غير نظام الشريعة وخلع بذلك لجام الاوامر الشرعية وحدود الدين لاجرم كانت غاية من ركوبها ان تقحم اعظم
موارد الهلاك وهي نار جهنم وذلك من لطيف الاستعارة قوله الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها واعطوا ازمتها فاوردتهم
الجنة استعار ايضا لفظ المطايا بالوصف الحسن الموجب للميل اليها وهو كونها ذللا وبالهيئة التي ينبغي للراكب وهو اخذ الزمام ما شاد
بالازمة الى حدود الشريعة التي يلزمها صاحب التقوى ولا يتجاوزها ولما كانت المطية الذلول من شانها ان تحمل براكبها على وفق
النظام الذي ينبغي لا تتجاوز الطريق المستقيم بل يصرفها بزمامها ويسير بها على هونه وقوده فيصل بها الى المقاصد كذلك التقوى منهم ولزم طريق
السالك الى الله بالتقوى وراحة عن جموح الهوى به في موارد الهلكة ويتبعه ذلة المطية وصل بذلك الله التي بها يمتلك التقوى ويتبعه على
ديتبعها فيسير المطية الذلول براكبها والاستعارة في الموضعين استعارة لفظ المحسوس للمعقول ثم لما بين ان ههنا طريقين مركوبين
مسلوكين طريق الخطايا وطريق التقوى ذكر بعده انهما حق وباطل فكانه قال وهما حق وهو التقوى وباطل وهو الخطايا ثم قال ولكل
اهل اي ولكل من طريقي الحق والباطل قوم اعدهم القدر لسلوكهما بحسب ما جرى به قلم اللوح المحفوظ بقلم القضاء الالهي كما قال الرسول صلعم
كل ميسر لما خلق له قوله فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق فلربما ولعل اعتذار لذلك ربما يتبع الاعتذار لنفسه ولاهل الحق
في قلته وذم وتوبيخ لاهل الباطل على كثرة الباطل وقلة الحق في ذلك الوقت لتبريه بها حتى احمد نفسه في الانكار على اهله ثم لا ينتهون
ولا ينتهون وقوله فلربما ولعل تنبيه على ان الحق وان قل فربما يعود بكثرة ثم اردف حرفي التقليل وهو ربما بحرف التمني وكان في هذه
الاحرف الوجيزة اخبار بقلة الحق ووعد بعوده مع نوع تشكيك في ذلك وتمن لكثرته قوله ولقلما ادبر شيء فاقبل استبعاد لرجوع الحق
الى الكثرة والقوة بعد قلته وضعفه على وجه كلي فان زوال الاستعداد للامر مستلزم لزوال صورته وصورة الحق انما افيضت على قلوب
صفت واستعدت لقبوله فاذا اخذ ذلك الاستعداد في النقصان بموت اهله او بموت قلوبهم وتسود الواح نفوسهم بشبه الباطل فلابد ان
ينقص نور الحق وتكثر ظلمة الباطل بحسب قوة الاستعداد في النقصان بموت اهله او بموت قلوبهم وتسود الواح نفوسهم بشبه الباطل
فلابد ان ينقص نور الحق وتكثر ظلمة الباطل بحسب قوة الاستعداد لها وظاهر ان عود الحق واضاءة نوره بعد ادباره واقبال ظلمة الباطل امر بعيد
وقلما يعود مثل ذلك لاستعداد القبول مثل ما كان لصورة الحق ولعله يعود بقوة فتصبح الواح النفوس وارضها مشرقة بانوار الحق ويكون الباطل
مدمغة فاذا هو زاهق وما ذلك على الله بعزيز وفي ذلك تنبيه لهم على لزوم الحق وبعث على القيام به كيلا يضمحل بتخاذلهم عنه فلا يمكنهم
تداركه وبالله التوفيق **منها** شغل من الجنة والنار امامه ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار هوى اليمين والشمال
مضلة والطريق الوسطى هي الجادة عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ومنها منفذ السنة واليها مصير العاقبة هلك من ادعى وخاب من افترى
من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره لا يهلك على التقوى سنخ اصل ولا يظمأ عليه زرع
قوم فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه **اقول** قد عرفت كون هذا
الفصل من الخطبة التي ذكرناها والجادة معظم الطريق والصفح الجانب والسنخ الاصل وذات البين حقيقته والحبة حب حصول المطلوب
واعلم ان تقدير القضية الاولى ان من كانت النار والجنة امامه فقد جعل له بهما شغل يكفيه عن كل ما عداه فيجب عليه ان لا يشتغل
الا بهما واشار بذلك الشغل الى ما يكون وسيلة الى الفوز بالجنة والنجاة من النار وما نطقت به الكتب المنزلة وحث على لزومه الرسل و
اشار بكون الجنة والنار امامه الى احد امرين احدهما ان يكون المراد كون الجنة والنار ملاحظين له من تذكرهما دائما وتصورهما امامه
ونصب عينيه ومن كان كذلك فهو في شغل بهما عن غيرهما الثاني ان يكون كونهما امامه اي انه لما كان الانسان من مبدأ عمره الى
منتهاه مسافرا الى الله تعالى فهو في انقطاع سفره لابد وان ينتهي اما الى الجنة واما الى النار فكانتا امامه في ذلك السفر وغايتين يؤمهما
الانسان وينتهي اليهما ومن كانتا امامه في السفر الى غاية وجهته فكيف يليق به ان يشتغل بغير مهمات تلك الغاية والوسيلة اليهما وانما قال

انه لما جعل المطايا التي يمتلك بها تكون التقوى لصاحبه سائرا الى السعادة الابدية التي هي ... يتبعه

في بيان خطية حظيها بالمنية

شغل بالثناء المشغول لان المقصد ههنا ليس الا ذكر الشغل وكلامه كان التشاغل هو اشتغالا بالجنة والنار مطلوبا في احدهما والهرب
من الاخرى كان ترك ذكره للتعظيم والاجلال والظهور ثم انه لما نبه على وجوب الاشتغال بالجنة والنار عن غيرهما قسم الناس بالنسبة
الى ذلك الاشتغال الى ثلثة اقسام وذلك قوله ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار هوى وخص الحصر اهله العصمات الثابتة
بل الانبياء عليهم السلام اما الطالبون لله او تاركون والطالبون اما بغاية جدهم واجتهادهم وبذل وسعهم وطاقتهم في الوصول الى
رضوانه او بالبطوء والتاني فهذه ثلثة اقسام لا مزيد عليها وان كان منها الطالبين على مراتب ودرجات متفاوتة والقسم الاول
هم الفائزون بقصب السبق الناجون من عذاب النار كما قال تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم فاكهين
بما اتيهم ربهم ووقيهم ربهم عذاب الجحيم وهذا القسم يشمل الانبياء لولا افرادهم في قسم رابع انقسم الخلق في الخطبة الى خمسة اقسام
والثالث المقصر الذي وقف به الشيطان حيث اراد اخذ بحجزته عن سلوك سبيل الله فاذا فا بر في موارد الهلاك ومنازل الشقا
وقال تعالى في النار فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان
ربك فعال لما يريد اما القسم الثاني فقد وضعين تجاذبه من جهة السفالة والعلو وطلب الجنة بحركته وسلوك
الى الله ولكن ضعف جاذب الله الى جهة العلو وبدا الشيطان جاذبة الى جهة السفالة الا ان رجاءه لعفو الله ونظره اليه يعين جهته
اذا انضاف الى حركته البطيئة كانت السلامة عليه اغلب وجهة العلو منه اقرب وينبغي ان نشير الى تحقيق حقيقة الرجاء لينقح ما قلنا



فنقول الرجاء هو ارتياح النفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو حالة للنفس تصدر عن علم وتقتضي عملا بيان ذلك ان ما تتصوره
النفس من محبوب او مكروه فاما ان يكون موجودا في الماضي او في الحال او يوجد في الاستقبال فالاول يسمى تذكرا وتذكيرا والثاني
يسمى وجدا ووجدانا للنفس لوجوده في الحال والثالث وهو ان يغلب على ظنك وجود شيء في الاستقبال لنفسك به تعلق فيسمى ذلك انتظارا
وتوقعا فان كان مكروها احدث منه في القلب تالم يسمى خوفا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به لذة للنفس
وارتياح باخطار وجوده بالبال يسمى ذلك الارتياح رجاء ولكن ذلك التوقع لا بد وان يكون لسبب فان كان توقعه لاجل حصول اكثر
اسبابه فاسم الرجاء صادق عليه وان كان انتظاره مع العلم بانتفاء اسبابه فاسم الغرور والحمق عليه اصدق وان كانت اسبابه غير معلومة
الوجود ولا الانتفاء فاسم التمني صدق على انتظاره اذا عرفت ذلك فاعلم ان ارباب العرفان قد علموا ان الدنيا مزرعة الآخرة فا
فالنفس هي الارض وبذرها المعارف الالهية وسائر انواع الطاعات جارية مجرى اصلاح هذه الارض من تقليبها واعدادها
للزراعة وسياقة الماء اليها والنفس المستغرقة بحب الدنيا والميل اليها كالارض السبخة التي لا تقبل الزرع والانبات لمخالطة الاجزاء
الملحية ويوم القيمة يوم الحصاد فلا حصاد الا من زرع ولا زرع الا من بذر وكما لا ينفع الزرع في ارض سبخة كذلك لا ينفع ايمان مع خبث
النفس وسوء الاخلاق وينبغي ان يقاس رجاء العبد لرضوان الله برجاء صاحب الزرع وكما ان من طلب ارضا طيبة وبذر فيها في
وقت الزراعة بذرا جيدا غير متعفن ولا مسوس ثم امده بالماء العذب وسائر ما يحتاج اليه في اوقاته ثم طهره عن مخالطة ما يمنع نباته من شوك
ونحوه ثم انتظر من فضل الله دفع الصواعق والآفات المفسدة الى تمام زرعه وبلوغ زرعه غايته كان ذلك رجاء في موضعه واستحق اسم
الرجاء اذ كان في مظنة ان يفوز بمقاصده من ذلك الزرع ومن بذر في ارض كذلك الا انه بذر في احد اوقات الناس ولم يبادر اليه اول
وقته او قصر في بعض اسبابه ثم اخذ ينتظر ثمرة ذلك الزرع ويرجو الله في سلامته فهو من جملة الراجين ايضا ومن لم يحصل على بذر او بذر
في ارض سبخة او ذات شاغل من الانبات ثم اخذ ينتظر الحصاد فذلك الانتظار حمق فكان اسم الرجاء انما يصدق على انتظار ما حصل
جميع اسبابه او اكثرها الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما لا يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات
كذلك حال العبد اذا بذر المعارف الالهية في ارض نفسه في وقته وهو مقتبل العمر ومبدا التكليف ودام على سقيه بالطاعات واجتهد
في طهارة نفسه عن شوك الاخلاق الرديئة التي تمنع نماء العلم وزيادة الايمان وانتظر من فضل الله تعالى ان يثبته على ذلك الى زمان
وصوله وحصاد عمله فذلك الانتظار هو الرجاء الحقيقي وهو درجة السابقين وان القى بذر الايمان في نفسه لكنه قصر في بعض
اسبابه اما ببطوء في البذر او في السقي او غير ذلك مما يوجب ضعفه ثم اخذ ينتظر وقت الحصاد ويتوقع من فضل الله تعالى ان يبارك له
فيه ويعينه على انه هو الرزاق ذو القوة المتين فيصدق عليه ايضا اسم الرجاء اذ اكثر اسباب المطلوب له من جهته حاصلة وهذه
درجة القسم الثاني وهو الطالب الراجي البطيء وان لم يزرع من قواعد الايمان في نفسه شيئا اصلا او زرع ولم يسقه بماء الطاعة
او ترك نفسه مشغولة بشوك الاخلاق الرديئة وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة والفضل من الله فذلك الانتظار
غرور وليس برجاء في الحقيقة وذلك هو القسم الثالث وهو المقصر في اسباب الزراعة وتحصيل زاد الآخرة الهالك اسفا يوم
الحسرة والندامة اذ يقول يا ليتني قدمت لحيوتي فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد وفي المعنى ما قيل اذا انت
لم تزرع وعاينت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر قال رسول الله صلى الله عليه وآله الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال في خبر

فى بيان خطبة خطبها بالمدينة

من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإنما خصص القسم الثاني بالرجاء إذ كان كما علمت
عند من ضعف عمله وتعلق بالأسباب من جهته والمهتدى الأقسام الثلاثة أشار القرآن الكريم بقوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير وإن اختلفت مبادي الترتيب قوله اليمين والشمال
مضلة والطريق الوسطى هي الجادة لما قسم الناس إلى سابقين ولاحقين ومقصرين أشار لهم إلى الطريق التي اتخذ الله
عليهم سلوكها ونصب لهم عليها أعلام الهدى ليصلوا بها إلى جناب عزته سالمين عن خطفات الشياطين وميزها عن طرق
الضلال ولما علمت أن طريق السالكين إلى الله إما العلم أو العمل فالعلم طريق القوة النظرية والعمل طريق القوة العملية
وكل منهما محتوش برذيلتين هما طرفا التفريط والإفراط كما علمته والوسط منهما هو العدل والطريق الوسطى فهي الجادة
الواضحة لمن اهتدى وهي التي عليها ما في الكتاب الإلهي من المقاصد الحكمية عليها آثار النبوة ومنفذ السنة أي طريقها
ومبدأها الذي منه تخرج وإليها مصير عاقبة الخلق في الدنيا والآخرة فإن من العدل لبدايات السنة وانتشرت في الخلق
وإليه يرجع أمورهم أما في الدنيا فلأن نظام أمورهم في حركاتهم وسكناتهم مبني عليه في القوانين الشرعية وإلى تلك
القوانين والقواعد ترجع عواقب أمورهم وعليها يجاوزون وأما في الآخرة فبما لستند إليه من خسران الخاسرين وفوز الفائزين
فيحكم لمن سلك وتمسك به ووفا في سفره إلى الله بجنات النعيم ولمن انحرف عنه وتجاوزه بالعذاب الأليم في نار الجحيم وكل
واحد من طرفي الإفراط والتفريط بالنسبة إليه هو المراد باليمين والشمال من ذلك الوسط وهما طريقا المضلة لمن عدل إليهما
وموردا الهلاك لمن سلكهما قوله هلك من ادعى وخاب من افترى يحتمل أن يكون القضيتان دعاء ويحتمل أن يكون إخبارا
أي هلك من ادعى ما ليس له أهلا وعن الهلاك الأخروي وخاب من كذب أي لم يحصل مطلوبه إذ جعل الكذب سبيلا إليه واعلم أن الدعوى
إما أن يكون مطابقة لما في نفس الأمر أو ليس كذلك والثانية محرمة مطلقا والأولى فإما أن يدعو إليها حاجة أو ليس والقسم الأول هو
المباح فقط دون الثاني وإنما حرم هذان القسمان أما الأول وهي الدعوى غير المطابقة فلأنها تصدر عن ملكة الكذب تارة وعن
الجهل المركب تارة كالجهل بالأمر المدعى لحصول شبهة وبحث في ذهنه وكلاهما من أكبر الرذائل وأعظم المهلكات في الآخرة
وأما الثانية وهي المطابقة لا عن حاجة فكأنها تكاد لا تصدر عن الإنسان إلا عن رذيلة العجب وستعلم أنه من المهلكات قال
رسول الله صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وأما خيبة المفتري فلأن الفرية اختلاق ما ليس بحق
وظاهر الكذب لا ثمرة له أما في الآخرة فظ وأما في الدنيا فقد يكون وقد لا يكون وإن كانت ففي معرض الزوال ومستلزمة
لسخط الله فهي بمنزلة ما لم يكن وصاحبها أشد خيبة من عادمها وطالب الأمر بالفرية على كل تقدير خاسر خائب قال بعض
الشارحين أراد هلك من ادعى الإمامة من غير استحقاق وخاب من افترى في دعواه لها لأن كلامه في هذه الخطبة كله كالتعريض
فيه بأمر الإمامة قوله من أبدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره تنبيه على أن المتجرد لإظهار
الحق في مقابلة كل باطل ورد من الجهال عن جهالتهم وحملهم على مر الحق وصعبه في كل وقت يكون في معرض الهلاك بأيديهم وألسنتهم
إذ لا يعدم منهم من يوقعه المكروه ويسعى في دمه ثم أراد التنبيه على الجهل فكأنه أراد التحذير وتنبيهها على أن قل الجهل كاف في الرذيلة
فكيف بكثيره فذلك قوله وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره وأراد بقدره قدره بين الناس عدم تصوره لدخير نفسه ومنزلتها
بالنسبة إلى خالقها وكون الجهل القدر مهلكا فإنه منشأ كثير من الرذائل المهلكة كالكبر والعجب وقول الباطل وادعاء الكمال والتصنع
وتعدي الطور في أكثر الأحوال كما قال عليه السلام في موضع آخر رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره وفي هذه الكلمة تنفير للسامعين
عن الجهل بقدر ما يتصورونه من وجوب نصرة الحق ونصرته وربما تضمنهم منها تعليم كيفية استجلاب طباع الجهال وتنبيههم وهو
أنهم لا ينبغي أن يقابلوا بالحق دفعة ويجرى في مقابلتهم به على كل وجه فإن ذلك مما يوجب نفارهم وعدم نظام أحوالهم بل ينبغي أن
يؤنسوا به على التدريج قليلا قليلا وربما لم يمكن تأنيسهم بالحق في بعض الأمور لغموض الحق بالنسبة إلى أفهامهم أو لقوة اعتقادهم
الباطل في مقابلته فيخدعوا عن ذلك بالحق في صورة الباطل مظاهره وذلك كما ورد في القرآن الكريم والسنن النبوية من صفات
التجسيم وما لا يجوز أن يحمل على ظاهره في حق الصانع الحكيم فإن حمله على ظاهره كما يتصوره جهال الناس باطل لكن لما كان سبب
إيناسهم وجمع قلوبهم على اعتقاد الصانع وسبب نظام أمورهم ورد الشرع به قوله لا يهلك على التقوى سنخ أصل ولا يظمأ عليه
زرع قوم تنبيه على لزوم التقوى باعتبارين أحدهما أن كل أصل بني على التقوى فمحال أن يهلك ويلحق بانيه خسران كما قال تعالى
أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار والثاني أن من زرع زرعا أخرويا كالمعارف
الإلهية في أرض نفسه مثلا أو دنيويا كالأعمال التي بها تقوم مصالح الإنسان في الدنيا وسقاها بماء التقوى وجعله مادته
فإنه لا يلحق ذلك الزرع ظمأ بل عليه يغتذي بأقوى ساق وأزكى ثمرة واستعمال الزرع والأصل كناية عمن ذكرناه قوله واستتروا في بيوتكم

في بيان معنى التوكل

واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم قد عرفت ان هذا الفصل مقدم في الخطبة على قوله من ابدى صفحته للحق هلك وهو مسبوق
بالتهديد والوعيد في معرضه وهو قوله الا وان الله قد جعل لكل امر حدا الى قوله فاستتروا ببيوتكم ثم امرهم فيها بالسكون اي مقاصاة الحرب
وسكون فاستتروا ببيوتكم وهو حسم لمادة الفتنة بلزوم البيوت عن الاجتماع للمنافرات والمفاخرات والمشاجرات ولذلك اردفه
بقوله واصلحوا ذات بينكم فان قطع مادة الفتنة سبب لصلاح ذات البين قوله والتوبة من ورائكم تنبيه للعصاة على الرجوع الى
التوبة عن الجري في ميدان المعصية واقتفاء اثر الشيطان وكونها وراء لان الجواذب الالهية اذا اخذت بقلب العبد وجذبته
عن المعصية حتى اعرض عنها والتفت بوجه نفسه الى ما كان معرضا عنه من الندم على المعصية والتوجه الى القبلة الحقيقية فانه
يصدق عليه اذن ان التوبة وراءه اي وراء عقليا وهو اولى من قول من قال من المفسرين ان وراءكم بمعنى امامكم قوله ولا يحمد حامد
الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه تأديب لهم بالتنبيه على قصر الحمد والثناء على الله دون غيره تعالى لانه مبدأ كل نعمة يستحق بها الحمد كما سبقت
اليه الاشارة وعلى قصر اللائمة على النفس عند عثرانها عن نهج القبلة الحقيقية اذ انما نعمل باليدين وبقولها الدعوة من غير سلطان والى
اصل هاتين الكلمتين اشار القران الكريم ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فكل حسنة اصابت العبد
فهي مبدأ حمده وشكره وكل سيئة اصابته من نفسه فهو مبدأ للائمة نفسه فاما قول السيد ره ان في هذا الكلام من مواقع الاحسان
ما لا تبلغه مواقع الاستحسان الى اخره فالاحسان مصدر قولك احسن الرجل احسانا اذا فعل فعلا حسنا ومواقع الاحسان محاسن الكلام
التي اجاد فيها واحسن ومواقع الاستحسان اما سائر محاسن كلام العرب اي ان شيئا من محاسن كلام العرب وما يقع عليه الاستحسان
منها لا يوازي هذا الكلام ولا يبلغه او يشير بمواقع الاستحسان الى الفكر من الناس فانها محال الاستحسان ايضا اذ الاستحسان من صفات
المستحسن اي ان الفكر لا تصل الى محاسن هذا الكلام وقوله وان حظ العجب منه اكثر من حظ العجب به يريد ان تعجب الفصحاء من حسنه
وما يعيا اكثر من عجبهم باستخراج محاسنه وذلك لان فيه من المحاسن وراء ما يمكنهم التعبير عنها فيكون تعجبهم من محاسنه اكثر من عجابهم
من انفسهم بما يقدرون على استخراجه منها اي باكثر من عجبهم اي اكثر من محبتهم له وميلهم اليه وباقي كلامه ظاهر وبالله التوفيق

امور كثيرة لهم يجهلونها من انفسهم ولذلك يكثر التعجب منهم

ومن كلام له عليه السلام

في صفة من يتصدى للحكم بين الامة وليس لذلك باهل ان ابغض الخلائق الى الله رجلان رجل وكله
الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان
قبله مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا موضع في جهال الامة غار
في اغباش الفتنة عم بما في عقد الهدنة قد سماه اشباه الناس عالما وليس به بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر
حتى اذا ارتوى من ماء آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره فان نزلت به
احدى المبهمات هيأ لها حشوا رثا من رأيه ثم قطع به فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطأ ان اصاب
خاف ان يكون قد اخطأ وان اخطأ رجا ان يكون قد اصاب جاهل خباط جهالات عاش ركاب عشوات لم يعض على العلم بضرس
قاطع يذري الروايات اذراء الريح الهشيم لا ملئ والله باصدار ما ورد عليه لا يحسب العلم في شيء مما انكره ولا يرى ان من وراء ما بلغ
منه مذهبا لغيره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث الى الله اشكو
من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا سلعة انفق ولا اغلى ثمنا من الكتاب
اذا حرف عن مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر **اقول** وكله الى نفسه جعل توكله عليها والجائر المائل عن
الطريق وفلان مشغوف بكذا اي بلغ حبه الى شغاف قلبه وهو غلافه وبعير المحجة اذا بلغ الى شغفة قلبه وهي عند
معلق النياط والقمش جمع الشيء المتفرق والمجموع قماش والموضع بفتح الضاد المطرح وبكسرها المسرع والغار الغافل واغباش الليل
ظلمته وقال ابو زيد الغبش البقية من الليل ويروى غطاش الفتنة والهدنة الصلح والمبهمات المشكلات وامرهم اذا لم يعرف والرث
الضعيف البالي وعشوات الطريق بضوء النار اذا لم يتبينه على ضعف والهشيم اليابس من نبت الارض المتكسر والعج رفع الصوت
والبائر الفاسد واعلم انه اخذ ولا وقت التنفير على الرجلين المشار اليهما بذكر انهما من ابغض الخلائق الى الله تعالى ولما كانت ارادة الله
للشيء ومحبته له عائدة الى علمه بكونه على وفق النظام الكلي التام للعالم لكانت كراهيته وبغضه له عائدة الى علمه بكونه على ضد مصلحة
العالم ومنافيا عن نظامه فبغضه اذن لهذين الرجلين علمه بكون افعالهما واقوالهما خارجة عن المصلحة قوله رجل وكله الله الى نفسه
فهو جائر عن قصد السبيل الى قوله بخطيئته بيان لاحد الرجلين وعيبه له وذكر له اوصافا الاول انه وكله الله الى نفسه اي جعل متوكلا
عليها دونه واعلم ان التوكل مأخوذ من الوكالة يقال وكل فلان امره الى فلان اذا فوضه اليه واعتمد عليه فالتوكل عبارة عن اعتماد
القلب على الوكيل وحده اذا عرفت ذلك فنقول من اعتقد جزما او ظنا بان نفسه او احدا غير الله تعالى ممن ينسب اليه التاثير والقدرة
هو المتمكن من الفعل والقيام بالقدرة على تحصيل مراده والوفاء بمقاصده فذلك من اقوى الاسباب المعدة لان يفيض الله على قلبه صورة

والغطش الظلمة

في بيان معنى التوكل

ج ٨٠

الاعتماد على المعتمد فيه والتوكل عليه فيما يريده وذلك معنى قوله وكل الله الى نفسه وكل معنى الوكول الى الدنيا وذلك بحسب اعتقاد ان
ان الماء والقوات التي تتوفر فيه بطالبه وتحصيلها المهم وذلك فاو بحسب قوة ذلك التوكل وضعفه يكون تفاوت بغض الله تعالى
للعبد ومحبته له ونبعده وقربه فلن يخلص لزن العبد من بغض الله الا بالتوكل عليه حق توكله قال الله تعالى ان الله يحب المتوكلين وهو
اعظم مقام وسم صاحبه بمحبة الله ومن كان الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يبغض ولا يبعد
ولا يعذب ولا يحجب قال رسول الله من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها
وصورة التوكل عليه ان تثبت في نفسك بكشف واعتقاد جازم ان مسبب جميع الاسباب والمسبب اليه سبحانه وانه الفاعل المطلق التام
العلم والقدرة على كفاية العباد تام العطوفة والرحمة والعناية بخلقه حيث لا يكون وراء قدرته وعلمه وعنايته وعطوفته ورحمته وعنايته لم يبق في
نفسك التفات الى غيره بوجه حتى نفسك وحولك وقوتك فانك والحال هذه تجد من نفسك تسليم امورها بالكلية اليه والتزام
من التوكل على احد الا عليه فان لم تجد من نفسك هذه الحالة فسبب ذلك ضعف الاسباب المذكورة او بعضها وغلبة الوهم على النفس في
معارضته لذلك اليقين وبحسب ضعف تلك الاسباب وشدتها وقلتها وكثرتها وقوتها ونقصانها يكون تفاوت درجات التوكل على الله ثم
الثاني كونه جائرا عن قصد السبيل اي قصد سبيل العدل وصراطه المستقيم وعلمت ان الجور هو طرف الافراط من فضيلة العدالة
الثالث كونه مشغوفا بكلام بدعة اي معجب بما يخطر له فينبذ عن الكلام الذي لا اصل له في الدين ويدعو الناس الى الضلال
والجور عن القصد وهذا الوصف لازم عما قبله فان من جار عن قصد السبيل بجهله فهو يعتقد انه على سواء السبيل فكان ما يخيله
من ذلك الكمال الذي هو نقصان في الحقيقة مستلزما لمحبته قول الباطل وابتداع المحال فهو من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم
في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا **الرابع** كونه فتنة لمن افتتن به وهو ايضا لازم عن الوصف الثالث فان محبته قول
الباطل والدعوة الى الضلال سبب لكونه فتنة لمن اتبعه **الخامس** كونه ضالا عن هدى من كان قبله وهذا الوصف كالثاني فان
الضال عن الهدى جائر عن قصد السبيل الا ان فيهما زيادة الجائر عن القصد قد يجور فيضل حيث لا هدى يتبعه والموصوف ههنا جائر
وضال مع وجود هدى قبله مأمور باتباعه وهو كتاب الله وسنة رسوله واعلام الهدى الحاملون لهما الناطقون عن مشكاة النبوة
وذلك ابلغ في الاثم واكثر في وجوب العقوبة **السادس** كونه مضلا لمن اقتدى به في حيوته وبعد وفاته وهذا الوصف مسبب عما
قبله اذ ضلال الانسان في نفسه سبب لضلال غيره ويفهم منه ما يفهم من الرابع مع زيادة فان كونه فتنة لغيره هو كونه مضلا
لمن اهتدى به واما الزيادة فكون تلك الاضلال في حيوته وبعد موته ابقاء لعقائده الباطلة المكتسبة عنه فهي سبب ضلال
الضالين بعده **السابع** كونه حمالا لخطايا غيره وهو لازم عن السادس فان حمله الاوزار من بعده انما هو بسبب اضلاله **الثامن**
كونه رهنا بخطيئته اي موقوفا بها عن الصعود الى حضرة جلال الله والى هذين الوصفين اشار القرآن الكريم بقوله ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون وقول الرسول ايما داع دعا الى الهدى فاتبع كان له مثل اجر
من تبعه لا ينقص من اجرهم شيء وايما داع دعا الى الضلال فاتبع كان عليه مثل وزر من تبعه ولا ينقص منه شيء واعلم انه ليس المراد من
ذلك انه يعاقب بوصل العقاب الذي يستحقه الاتباع الى القادة والرؤساء لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ولا تزر وازرة وزر
اخرى ولما دخل احد من الناس النار ابدا بل كانت مقصورة على ابليس وحده بل المعنى ان الرئيس الضال لما وضع سيئته تكون فتنة
للناس وضلالا لهم لم يصدر تلك السيئة الا عن نفس قد استولى عليها الجهل المركب المضاد لليقين وصار ملكة من ملكاتها فسود
لوجها عن قبول الانوار الالهية وصار ذلك حجابا بينها وبين الرحمن بحيث يكون ذلك الحجاب في القوة والشدة اضعاف حجب التابعين
له والمقتدين به الناشئة عن فتنته فان تلك الحجب الطارية على قلوب التابعين مستندة الى ذلك الحجاب وهو اصلها فلاجرم يكون
وزره وسيئته في قوة اوزار اتباعه وسيئاتهم التي حصلت بسبب ضلالة لا كل سيئاتهم من كل جهة ولذلك قال تعالى ومن اوزار الذين
يضلونهم اي بعض اوزارهم وكذلك بيان قوله من غير ان ينقص من اوزارهم شيء قلت هذا وان كان حسنا الا ان الاظهر ان تكرر
غير لازم على كونها للتبعيض لان القائل بكونها كذلك يقول ان المراد وليحملوا بعض مثال اوزار التابعين لا بعض عين اوزارهم واذا
فهمت ذلك في جانب السيئات فافهم مثله في جانب الحسنات وثواب الواضع لحسنة وسنة يهتدى بها فانه لما صدرت عن نفس اضاء
واشرق كل نورها فاشرق على غيرها من النفوس التابعة لها فاستضاء بنور ذلك التشبه الماخوذة من جملة انوارها الفائضة عنها على نفس
اقتبسها فكان للنفس المتبوعة من الاستكمال بنور الله الذي هو راس كل هدى ما هو في قوة جميع الانوار المقتبسة من تلك السنة ومثل لها
من الاجر والثواب مثل ما للتابعين لها من غير نقصان في اجر التابعين وهذا هو الحاصل لهم والى هذا المعنى الاشارة الواردة في الخبرات
حسنات الظالم تنتقل الى ديوان المظلوم وسيئات المظلوم تنتقل الى ديوان الظالم فانك ان علمت ان السيئة والحسنة اعراض لا يمكن نقلها
من محل الى محل فليس ذلك نقلا حقيقيا بل على وجه الاستعارة كما يقال انتقلت الخلافة من فلان الى غيره وانما المقصد من نقل سيئات

المظلوم الى الظالم لحصول امثالها في قلب الظالم ونقل حسنات الظالم الى المظلوم لحصول امثالها في قلبه وذلك لان للطاعة تاثيرا في النفس
بالتنوير وللمعاصي تاثيرا بالقسوة والظلمة وبانوار الطاعة تستحكم مناسبة النفس من استعدادها لقبول المعارف الالهية ومشاهدة
حضرة الربوبية وبالقسوة والظلمة تستعد للبعد والحجاب عن مشاهدة الجمال الالهي فالطاعة مولدة لذة المشاهدة بواسطة
الصفاء والنور الذي يحدث في النفوس والمعصية مولدة للحجاب بواسطة القسوة والظلمة التي تحدث فيها وبين الحسنات والسيئات
تضاد وتعاقب على النفس كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقال لا تبطلوا اعمالكم وقال صلعم اتبع السيئة الحسنة تمحها
والالام محصات للذنوب ولذلك قال صلعم ان الرجل ليثاب حتى بالشوكة التي تصيب رجله وقال الحدود كفارات لاهلها فالظالم
يتبع شهوته بالظلم وفيه ما يقسي القلب ويسود لوح النفس فيمحو اثر النور الذي فيه من طاعته فكانه احبط طاعته والمظلوم
يتالم وينكسر شهوته وينكسر قلبه ويرجع الى الله تعالى ويستكين قلبه ويرجع الى الله تعالى فتفارقه الظلمة والقسوة التي حصلت له من
اتباع الشهوات فكان النور انتقل من قلب الظالم الى قلب المظلوم وانتقل السواد والظلمة الى قلب الظالم وذلك نقل
على سبيل الاستعارة كما علمت وكما يقال انتقل ضوء الشمس من مكان الى مكان ويتلخص من هذا التقرير ان الحسنات المنقولة
الى المظلوم من ديوان الظالم هي استعداده لقبول الرحمة والثواب الحاصل له بسبب ظلم الظالم والسيئات المنقولة من ديوان
المظلوم الى الظالم هي استعداده بالحجب والقسوة عن قبول الانوار الله وثواب العقاب الحاصلان له وما هو ما استعد له من تلك
الانوار والظلمات واعلم ان ذلك النقل وحمل الظالم اوزار المظلوم وان كان امرا حاصلا في الدنيا الا انه لما لم ينكشف للبصائر
الا في يوم القيامة لا جرم خصص بيوم القيامة وانما قال جهال وهو فعال للمبالغة والتكثير وفي تنكيره اما تحقيرا
غيره واما الرجل الثاني فميزه بعشرة اوصاف ا كونه قمش جهلا وهي استعارة لفظ الجمع المحسوس للجمع المعقول ب كونه موضعا في
جهال الامة مطرحا لهم من اشراف الناس وفيهم من هذا الكلام انه خرج في حق شخص معين وان عمه وغيره ج كونه غارا في
اغباش الفتنة اي سائرا في اوائل ظلماتها وروي غارا اي غافلا في ظلمات الخصومات الامية التي توجب تحليلها د كونه اعمى
بما في عقد الهدنة اي الصلح والسلام الذي بين الناس من نظام امورهم ومصالح العالم ومن جاهل بوجوه المصالح المشيرة للفتن بينهم هـ كونه قد سماه
اشباه الناس عالما وليس بعالم والواو للحال واشباه الناس الجهال واهل الضلال وهم الذين يشبهون الناس الكاملين في الصورة
الحسية دون الصورة التمامية التي هي كمال العلوم والاخلاق و كونه بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر يعني من جمع منونا
وغير منون اما بالتنوين فالجملة بعده صفة له واستعمل المصدر وهو جمع في موضع اسم المفعول اي من مجموع ويحتمل ان يكون المقصود
هو المصدر نفسه واما مع الاضافة فقد قيل ان ما ههنا يحتاج في تمام الكلام الى تقدير مثلها معطوفة ويكون ما الاولى هي المضاف والثانية
هي المبتداء والتقدير من جمع ما والذي قل منه خير مما كثر لكنه لما كان ظاهر ما الثانية يشبه التكرار ويوجب هجنة في الكلام وكانت
ما الواحدة تعطي المعنى عن المقدرة كان حذفها اولى وقيل ان المقدر الحمد وقال على طريقة تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي من
جمع ما ان قل منه خير مما كثر ووصف بالتنكير الى الاستكثار من ذلك لتنوع ما قل العمر الى جمع الشبهات والآراء التي قليلها خير من كثيرها
وباطلها اكثر من حقها ز كونه اذا ارتوى من ماء آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ولما كان الاجون صفة للماء
والكمالات النفسانية التي هي العلوم كثيرا ما يعبر عنها بالماء الصافي والزلال وكان الجهل والاراء التي يحصل عليها بجمعها مع العلم جاه
الاعتقاد في العلم داخلا تحت جنس الاعتقاد كان الماء الآجن اشبه ما يستعار لتلك الاراء التي ليست بصحيحة ولا متينة فهي
تشبه الماء الآجن الذي لا غناء فيه للشارب ورشح تلك الاستعارة بذكر الارتواء وجعل غاية المشار اليها من ذلك الاستكثار
جلوسه بين الناس قاضيا ح كونه ضامنا لتخليص ما التبس على غيره اي واثق من نفسه بفصل ما يعرض بين الناس من القضايا
المشكلة وعند ما خالف ثان او صغر للاول ط كونه اذا نزلت به احدى المبهمات المعضلات هيأ لها حشوا ضعيفا
من رأيه ثم جزم به والحشو الكلام الكثير الذي لا طائل تحته ولبس حلالا لنالك لمبهم ي كونه من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت
مثل للامور الواهية ووجه هذا التمثيل ان الشبهات التي تقع على ذهن مثل هذا الموصوف اذا قصد حل قضية مبهمة مكثرة فيلبس
على ذهنه وجه الحق منها فلا يهتدي له لضعف ذهنه فتلك الشبهات في الوهاء تشبه نسج العنكبوت وذهنه فيها يشبه الذباب الواقع
فيه فكما لا يتمكن الذباب من خلاص نفسه من شباك العنكبوت لضعفه كذا ذهن هذا الرجل اذا وقع في الشبهات لا يتخلص وجه
الحق منها لقلة عقليته وضعفه عن ادراك وجوه الخلاص يا انه لا يدري اصاب فيما حكم به ام اخطأ فان اصاب خاف ان يكون قد اخطا
وان اخطأ رجا ان يكون قد اصاب وخوف الخطا ورجاء الاصابة من لوازم الحكم مع عدم الدراية يب كونه جاهلا خباط جهالات
والجهالات جمع جهالة فعاله من الجهل وقد تقدم ان وزن فعال بني للفاعل من الامور المعتادة التي يكثر فعلها وذكر الجهل ههنا
بزيادة وهي كثرة التخبط فيه وكنى بذلك عن كثرة الاغلاط التي تقع منها في القضايا والاحكام فيمشي فيها على غير طريق حق من القوا

نسج العنكبوت

الشرعية

التمييز وذلك معنى خبّاطه «يج» قوله عاش ركّاب عشوات وهي اشارة الى انه لا يستضيء بنور الحق في ظلمات الشبهات الاعمى اضعف
لنقصان ضوء بصيرته فهو يمشي فيها على ما يتخيّله دون ما يحققه وكثيرا ما يكون خطاؤه كذلك ولما كان من شأن العاشي الى الضوء
في طرق الظلمة تارة يلوح له فيمشي عليه وتارة يخفى عنه فيضل عن القصد ويمشي على الوهم والخيال كذلك حال السالك في طرق الدين
من غير ان يستكمل نور بصيرته بقواعد الدين ويعلم كيفية سلوك طرقه فانه تارة يكون نور الحق في المسئلة ظاهرا فيهتدي وتارة
يغلب عليه ظلمات الشبهات فتعمى عليه الموارد والمصادر فيبقى في الظلمة خابطا وعن القصد جائرا «يد» قوله لم يعض على العلم
بضرس قاطع كناية عن عدم اتقانه للقوانين الشرعية واحاطته بها يقال فلان لم يعض على الامر بضرس اذا لم يحكمه واصله
ان الانسان يمضغ الشيء ثم لا يجيد مضغه فمثل من لم يحكم ما يريد يدخل فيه من الامور «يه» قوله يذري الروايات اذراء
الريح الهشيم وجه التشبيه ان الريح لما كانت تذري الهشيم وهو ما تكسر من يبيس النبت وتخرجه عن حد الانتفاع به كذلك المتصفح
للروايات لما لم يهتد الى وجه العمل بها ولم يقف على الفائدة منها فهو يقف على رواية اخرى ويمشي عليها من غير فائدة «يو» انه غير
ملي باصدار ما ورد عليه اشارة الى انه ليس له قوة على اصدار الاجوبة عما يرد عليه من المسائل فهو فقير منها «يز» قوله لا يحسب
العلم في شيء مما انكره يقال فلان لا يحسب فلانا في شيء بالفتح من الحساب اي لا يعده شيئا ويعتبره خاليا من الكمال والفضيلة و
المراد انه ينكر العلم كسائر ما انكره فهو لا يعده ولا يعتد به بالحساب والاعتبار وعني بالعلم الحقيقي الذي ينبغي ان يطلب ويجتهد في تحصيله
لا ما يعتقده الموصوف علما لما يمسه وجهله فان كثيرا من الجهال ممن يدعي العلم بفن من الفنون فينكر غيره من سائر الفنون و
يشنع على معلميه ومتعلميه كاكثر اهل زماننا من المتصدين للاحكام الفقهية والمتصدين للفتوى والقضاء بين الخلق في زماننا وما قبله فانهم
يبالغون في انكار العلوم العقلية ويفتون بتحريم الخوض فيها وتكفير من يتعلمها وهم غافلون عن ان احدهم لا يستحق ان يسمى فقيها
الا ان يكون له مادة من العلم العقلي المتكفل ببيان صدق الرسول واثبات النبوة الذي لا يقوم شيء من الاحكام الفقهية
التي يدعون انها كل العلم الا بعد ثبوتها وروي يحسب بكسر السين من الحسبان وهو الظن اي لا يظن العلم ذا فضيلة يجب اعتقادها
واعتبارها فيما انكره «يح» قوله ولا يرى ان من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره اي انه اذا غلب على ظنه حكم في القضية جزم به
وربما كان لغيره في المسئلة قول اظهر من قوله يعضده دليل فلا يعتبره ويمضي على ما بلغ فهمه اليه «يط» قوله ان اظلم عليه امر اكتتم
به لما يعلم من جهل نفسه وكثيرا ما نرى من قضاة السوء وعلمائه اكتتام ما يشكل عليهم امره من المسائل والتغافل عن سماعها اذا
اوردت عليهم لئلا يظهر جهلهم بين اهل الفضل مراعاة لحفظ المناصب «ك» قوله تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث
نسبة الصراخ الى الدماء والعجيج الى المواريث اما على سبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي اهل الدماء واولياء المواريث فيكون حقيقة
او على سبيل الاستعارة لفظ الصراخ والعج لنطق الدماء والمواريث بلسان حالها المفصح عن مقالها ووجه الاستعارة ان الصراخ والعجيج لما كانا
انما يصدر عن تظلم وشكاية وكانت الدماء المهراقة بغير حق والمواريث المستباحة بالاحكام الباطلة ناطقة بلسان حالها مفصحة بالشكاية
والتظلم لاجرم حسنت استعارة اللفظين فيهما ثم بعد نعت الرجلين المذكورين بما ذكرهما من الاوصاف المنفردة على سبيل التفصيل
اردف ذلك بالتعبير عنهما على سبيل الجملة لما بعثهما وغيرهما من الجهال من الاشتكاء اليه والبراءة وذلك قوله الى الله من معشر اي الى الله اشكو
كما في بعض النسخ او الى الله ابرأ وذكر اوصافا فاسدة لها البقاء على الجهل والعيش فيه وكنى بالعيش عن الحيوة وقابله بذكر الموت وقوله
يموتون ضلالا وصف لازم عن الوصف الاول فان من عاش جاهلا مات ضالا وقوله ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته
الى جزئه اي المتشرع الكتاب وحمل على الوجه الذي انزل عليه [illegible] فاسد [illegible] اطرحوه بجهلهم عن درجة الاعتبار وعلى ذلك الوجه واذا حرف عن مواضعه
ومقاصده ونزل على حسب اغراضهم ومقاصدهم شروه على ذلك الوجه باعلى ثمن وكان من انفق السلع بينهم واستعار له لفظ السلعة
لوجه المشابهة ومنشأ كل ذلك هو الجهل وكذلك ليس عندهم انكر من المعروف وذلك انه لما خالف اغراضهم ومقاصدهم اطرحوه حتى
صار بينهم منكرا لتشبههم بفعله ولا اعرف من المنكر لموافقته اغراضهم ومحبتهم له لذلك واعلم انه قسم الناس في موضع اخر الى ثلثة اقسام
عالم ومتعلم وهمج رعاع اتباع كل ناعق والرجلان المشار اليهما بالاوصاف المذكورة هيهنا ليسا من القسم الاول لكونهما على طرف الجهل المضاد
للعلم ولا من القسم الثالث لكونهما متبوعين داعيين الى اتباعهما وكون الهمج تابعين كما صرح به فتعين ان يكونا من القسم الثاني
وهم المتعلمون واذا عرفت ذلك فنقول المراد بالمتعلم هو من ترفع عن درجة الهمج من الناس بطلب العلم واكتسب منه شيئا من الاعتقادات
عن مخالطة من اشتهر بسمة التعلم ومطالعة الكتب ونحو ذلك ولم ينته الى درجة العلماء الذين يقتدرون على التصرف والقيام بالحجة
فاعتقاده اذن اما ان يكون مطابقا كلها او بعضها او غير مطابق اصلا وعلى التقديرات فاما ان لا ينصب نفسه لشيء من المناصب
الدينية كالفتوى والقضاء ونحوهما او ينصب لذلك فهذه اقسام ستة احدها من اعتقد اعتقادا مطابقا ولم ينصب نفسه
لشيء من المناصب الدينية الثاني من كان اعتقاده كذلك لكنه نصب نفسه للافادة الثالث من اعتقد جهلا ولم ينصب نفسه لها الرابع من

في ذم اختلاف العلماء في الفتيا

اعتقد جهلا وغير جهل ولم ينصب نفسه للافادة **الثاني** من كان اعتقاده كذلك ونصب نفسه لها والقسم الاول وحده هو الخارج عن هذين الوجهين
باوصافهما والثاني والرابع والسادس منهم يكون الرجلان المذكوران فالاول منهما في ترتيبه هو من نصب نفسه لنا بوصفا منه الالاد
دون منصب القضاء والثاني هو من نصب نفسه له وانما بالغ في ذمهما ونسبهما الى الجهل والضلال وان كان بعض اصناف تلك اهلا
لكون الفساد الذي حصل عليه معمورا في ظلمة الجهل وضلالهما واضلالهما اغلب وانتشار الباطل فيهما اكثر واما القسم الثالث والثالث
فداخلان فيمن بره الى الله منهم وذمهم خبرا بالعيش في الجهل والموت على الضلال وما بعده والله اعلم بالصواب **ومن كلام له عليه السلام**

في ذم اختلاف العلماء في الفتيا ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف
قوله ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعا والههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد أفأمرهم
الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم
ان يقولوا وعليه ان يرضى ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول ما فرطنا في الكتاب
من شيء وفيه تبيان كل شيء وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات
الا به **اقول** الانيق الحسن المعجب في هذا الكلام يصرح هذا الفصل بانه كان يرى ان الحق في جهة وان ليس كل مجتهد مصيبا
وهذه المسألة مما انتشر الخلاف فيها بين علماء اصول الفقه فمنهم من يرى ان كل مجتهد مصيب اذا راعى شرائط الاجتهاد وان الحق بالنسبة
الى كل واحد من المجتهدين ما ادى اليه اجتهاده وغلب على ظنه فجاز ان يكون في جهتين وجهات وعليه الامام الغزالي رحمه الله وجماعة من الاصوليين
ومنهم من ينكر ذلك ويرى ان الحق في جهة والمصيب له واحد وعليه اتفاق الشيعة وجماعة من غيرهم وربما فصل بعضهم والمسألة مستقصاة
في اصول الفقه واعلم ان قوله ترد على احدهم القضية الى قوله فيصوب آراءهم جميعا بيان لصورة حالهم التي ينكرها وقوله والههم واحد
كتابهم واحد ونبيهم واحد شروع في دليل بطلان ما هم عليه وهذه هي المقدمة الصغرى من قياس الضمير وتقدير كبراه وكل قوم كانوا
كذلك فلا يجوز لهم ان يختلفوا في حكم شرعي وقوله افأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه الى آخره حجة في تقدير المقدمة الكبرى اذ الكبرى
مسلمة وتقريرها ان ذلك الاختلاف اما ان يكون بامر من الله اطاعوه فيه او بنهي منه عصوه فيه او بسكوت منه عن الامر والنهي وعلى التقدير
الثالث فجواز اختلافهم في دينه والحاجة الى ذلك اما ان يكون مع نقصانه او مع تمامه وتقصير الرسول في ادائه وعلى الوجه الاول فذلك
الاختلاف اما يجوز على احد وجهين احدهما ان يكونوا تماما لذلك النقصان او على وجه اعم من ذلك وهو كونهم شركاء في الدين فعليه
ان يرضى بما يقولون ولهم ان يقولوا انسانا الشرائع ذلك فهذه وجوه خمسة حصرها في اقسام الثلاثة الاخيرة بحسب استقراء وجوه الحاجة
الى الاختلاف والاقسام كلها باطلة واشار الى بطلانها بقية الكلام اما بطلان الاول فلان مستند الدين هو كتاب الله تعالى ومعلوم
انه يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فلا يتشعب منه من الاقوال والاحكام الا ما يكون كذلك ولا شيء من اقوالهم المختلفة كذلك فينتج
انه لا شيء مما استند الى كتاب الله تعالى بقولهم فلا يكون اقوالهم من الدين واما بطلان القسم الثاني فلان عدم جواز المعصية لله بالاختلاف
مسلم ولعدم جواز الاختلاف وهو غني عن الدليل واما بطلان الثالث وهو نقصان دين الله فلقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء
وقوله وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء واما الرابع والخامس فظاهر البطلان فلا يمكنهم دعواهما فلذلك لم يورد في بطلانهما
حجة ثم اردف ذلك بتنبيههم على ان الكتاب واف بجميع المطالب اذا تدبروا معناه ولاحظوا اسراره وتطلعوا على غوامضه مخوفا عليهم
ان ينتهوا الى قول ما لم يستند اليه وذلك في قوله ظاهره انيق حسن معجب بانواع البيان واصنافه وباطنه عميق لا ينتهي الى جواهر
اسراره الا اولو الالباب ومن ايده الله بحكمة وفصل الخطاب ولا تفنى الامور المعجبة منه ولا تنقضي النكت الغريبة فيه على توارد تصور
الاذهان وخواطر الابصار ولا تكشف ظلمات الشبه الناشئة من ظلمة الجهل الا بسواطع انواره ولوامع اسراره وقد راعى في هذه القرائن

خاطبة

الاربع السجع المتوازي وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** قاله للاشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه
عليه السلام شيء اعترضه الاشعث فقال يا امير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض اليه بصره ثم قال وما يدريك ما علي مما لي عليك
لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك ابن حائك منافق ابن كافر والله لقد اسرك الكفر مرة والاسلام اخرى فما فداك من واحدة منهما
مالك ولا حسبك وان امرأ دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف لحري ان يمقته الاقرب ولا يأمنه الابعد قال السيد اراد بقوله
دل على قومه السيف ما جرى له مع خالد بن الوليد باليمامة فانه غر قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد وكان قومه بعد ذلك يسمونه عرف

كان

النار وهو اسم للغادر عندهم **اقول** الكلام الذي اعترضه الاشعث انه عليه السلام في خطبته يذكر امر الحكمين فقام اليه رجل من اصحابه وقال
له نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد فصفق باحدى يديه على الاخرى وقال هذا جزاء من ترك العقدة
اي جزاؤكم اذ خالفتم على ما الزمتكم به من تحكيم وتركتم الحزم فوجد الاشعث بن قيس ان ذلك شبهة في تركهم وخبر المصلحة واتباع الآراء الباطلة

في بيان خطبة خاطب الاشعث بن قيس

واراد التحكيم فقال هذه عليك لا لك وجهل او تجاهل ان وجه المصلحة قد يترك محافظة على امر اعظم منه ومصلحة اهم فانه ع ترك
العقدة لاخوفه من اصحابه ان يقتلوه كما سنذكره في قصتهم وقيل كان مراده هذا جزاء من ترك الحزم فظن الاشعث هذا جزاء
فقال الكلمة والحتف بالتاء الهلاك [illegible] والمقت البغض قوله وما يدريك ما علي مما لي اشارة الى تجاهله و
لبس الجاهل ان يعترض عليه وهو اشبه العلماء به رسول الله صلعم واما استحقاقه اللعن فلانه يجري مجرى اعتراضه ولكونه ابن كافر
لكونه مع ذلك من المنافقين بشهادته مستحق اللعن والابعاد عن رحمة الله بشهادة قوله تعالى اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله و
الملائكة والناس اجمعين لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون قوله حائك بن حائك استعارة اشار بها الى نقصان
عقله وقلة استعداده لوضع الاشياء في مواضعها وتأكيد لعدم اهليته للاعتراض عليه اذ الحياكة مظنة نقصان العقل وذلك
لان ذهن الحائك غاية حركته وتوجهه الى صنعته مصروف الفكر الى وضع الخيوط المتفرقة وترتيبها ونظامها يحتاج الى حركة
رجليه ويديه والحاضر فالشاهد له يعلم من حاله انه مشغول عما وراء ما هو فيه فهو ابله فيما عداه وقيل لان معاملة الحائك معاملته
لضعفاء العقول من النساء والصبيان ومن كانت معاملته لهؤلاء فلا شك في ضعف رايه وقلة عقله للامور وروي عن الصادق
جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال عقل اربعين معلما عقل حائك وعقل حائك عقل امرأة والمرأة لا عقل لها وعن موسى بن جعفر ع
انه قال لا تستشيروا المعلمين ولا الحوكة فان الله تعالى قد سلبهم عقولهم وذلك محمول على المبالغة في نقصان عقولهم وقيل انما عيره
بهذه الصنعة لانها صنعة دنية تستلزم صغر الهمة وخستها وتشتمل على رذائل الاخلاق فانها مظنة الكذب والخيانة وروي ان
رسول الله صلعم دفع الى حائك من بني النجار غزلا لينسج له ثوبا فكان يمطله ويأتيه متقاضيا ويقف على بابه فيقول ردوا علينا ثوبنا
لنتجمل به في الناس ولم يزل يمطله حتى توفي صلعم وقد علمت ان الكذب راس النفاق ومن كانت لوازم هذه الصنعة اخلاقه فليس
له ان يعترض في مثل ذلك المقام وقد اختلف في ان الاشعث هل كان حائكا او ليس فروى قوم انه كان هو وابوه ينسجان برود اليمن
وقال اخرون ان الاشعث لم يكن حائكا فانه كان من ابناء ملوك كندة واكابرها وانما عيره بذلك لانه كان اذا مشى يحرك منكبيه ويفحج
بين رجليه وهذه المشية تعرف بالحياكة يقال حاك يحيك حيكا وحياكة فهو حائك اذا مشى تلك المشية وامرأة حائكة اذا
تبخترت في مشيها والاقرب ان ذلك له على سبيل الاستعارة وكنى بها نقصان عقله كما سبق واما قوله والله لقد اسرك الكفر مرة
والاسلام اخرى فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك فتأكيد لنقصان عقله واشارة الى انه لو كان له عقل لما حصل فيما
حصل فيه من الاسر مرتين فما فداك اي فما نجاه من الوقوع في واحدة منهما ماله ولا حسبه ولم يرد الفداء بالمال فان الاشعث قد
فدي في الجاهلية وذلك ان مرادا لما قتلت اباه خرج ثائرا طالبا بدمه فاسر ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير ووفد على النبي صلعم في سبعين رجلا
من كندة فاسلم على يديه وذلك الاسر هو مراده ع باسر الكفر له واما اسره في الاسلام فانه لما قبض رسول الله صلعم ارتد بحضرموت ومنع اهلها
تسليم الصدقة وابى ان يبايع لابي بكر فبعث اليه زياد بن لبيد بعد رجوعه عنه وقد كان عاملا قبل ذلك على حضرموت ثم اردفه بعكرمة
بن ابي جهل في جمع عظيم من المسلمين فقاتلوا الاشعث بقبائل كندة قتالا شديدا في وقائع كثيرة وكانت الدائرة عليه فالتجأ
هو وقومه الى حصنهم فحصرهم زياد حصرا شديدا وبلغ بهم جهد العطش فبعث الاشعث الى زياد يطلب منه الامان لاهله ولبعض قومه وكان من غفلته
انه لم يطلب لنفسه بالتعيين فلما نزل اسره وبعث به مقيدا الى ابي بكر بالمدينة فسال ابا بكر ان يستبقيه لحربه ويزوجه ام فروة ففعل ذلك ابو بكر
ومما يدل على عدم مراعاته لقواعد الدين انه بعد خروجه من مجلس عقده بام فروة اصلت سيفه في ازقة المدينة وعقر كل بعير راه وذبح كل
شاة استقبلها للناس والتجأ الى دار من دور الانصار فصاح به الناس من كل جانب وقالوا قد ارتد الاشعث مرة ثانية فاشرف عليهم من السطح
وقال يا اهل المدينة اني غريب ببلدكم وقد اولمت بما نحرت وذبحت فليأكل كل انسان منكم ما وجد وليغد الي من كان له علي حق
حتى ارضيه ففعل ذلك فلم يبق دار من دور المدينة الا وقد دخلها من ذلك اللحم فضرب اهل المدينة به المثل وقالوا اولم من الاشعث
وفيه قال الشاعر لقد اولم الكندي يوم ملاكه وليمة حمال لثقل العظائم قوله وان امرأ دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف
لحري ان يمقته الاقرب ولا يأمنه الابعد اشارة الى غدره بقومه وذلك انه لما طلب الامان من زياد بن لبيد طلبه لنفر يسير من وجوه
قومه فظن الباقون انه اخذ الامان لجميعهم فسكنوا ونزلوا من الحصن على ذلك الظن فلما خرج الاشعث ومن طلب الامان له من قومه
دخل زياد الى الحصن فقتل المقاتلة صبرا فذكروا الامان فقال لهم ان الاشعث لم يطلب الامان الا لعشرة من قومه فقتل من قتل
منهم ثم وافاه كتاب ابي بكر بالكف عنهم وحملهم اليه فحملهم وذلك معنى قوله ع دل على قومه السيف وقاد اليهم الحتف اذ قادهم الى الحرب
واسلمهم للقتل ولا شك ان من كان كذلك فحقيق ان يمقته قومه ولا يأمنه غيرهم فاما ما حكاه السيد رضي الله عنه من انه اراد به حديثا كان
للاشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد فلم اقف على شيء من ذلك في وقائع خالد باليمامة وحسن
الظن بالسيد يقتضي تصحيح نقله ولعل ذلك في بعض ما لم اقف عليه من اصلها واعلم انه قد جمع في هذا الفصل جميع الرذائل النفسانية

في بيان تحقيق علم اليقين وعين اليقين

نبّه على الجهل والغباوة الذي هو طرف التفريط من الحكمة بالخيال الكاذب وهو مظنة لقلة العقل واشار الى الفجور الذي هو طرف الافراط من فضيلة العفة بكونه منافقا وكونه ابن كافر تاكيد للنسبة النفاق اليه واشار الى الفشل وقلة الثبات الذي هو طرف التفريط والافراط من فضيلة الشجاعة بكونه قد اسر مرتين وكان في هذا اشارة الى ذلك فيفيد ايضا اشارة الى نقصان عقله كما قلنا ومن انبا الى الظلم والغدر الذي هو رذيلة مقابلة لفضيلة الوفاء بقوله وان امرأ دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف وباستجماعه هذه الرذائل كان مستحقا للعن ولما استعار لهم لفظ العرف قلنا العرف عبارة عن كل عال مرتفع والاعراف في القرآن الكريم سور الجنة والنار ولما كان من شأن كل مرتفع عال ان يستر ما وراءه وكان الغادر يستتر بمكره وحيلته امورا كثيرة وكان هو قد غرّ قومه بالباطل وغدر بهم صدق عليه بوجه الاستعارة لفظ عرف النار لستره عليهم ما وراءه من نار الحرب ونار الآخرة اذ حملهم على الباطل والله اعلم

ومن خطبة له عليه السلام فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتم واطعتم ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريب ما يطرح الحجاب ولقد بصّرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم ان اهتديتم بحق اقول لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر وما يبلّغ عن الله بعد رسل السماء الا البشر

اقول الوهل بالتحريك الفزع يقال وهل يوهل وهلا فزع واعلم ان الانسان ما دام ملتحفا بجلباب البدن فانه محجوب بظلمة الهيئات البدنية والعارضات الوهمية والخيالات عن مشاهدة انوار عالم الغيب والملكوت وذلك الحجاب قابل للزيادة والنقصان والقوة والضعف والناس فيها على مراتبهم فاعظمهم حجبا واكثفهم حجابا الكفار كما اشار اليه القرآن الكريم مثلا في حجبهم او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض الآية فمثل الكافر كرجل وقع في بحر لجي صفته كذلك فاشار بالبحر اللجي الى الدنيا بما فيها من الاخطار المهلكة والموج الاول موج الشهوات الداعية الى الصفات البهيمية وبالحري ان يكون هذا الموج مظلما اذ حب الشيء يعمي ويصم والموج الثاني موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والحقد والحسد والمباهات فبالحري ان يكون مظلما لان الغضب غول العقل وبالحري ان يكون هو الموج الاعلى لان الغضب في الاكثر مستول على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عنها والسحاب هو الاعتقادات الباطلة والخيالات الفاسدة التي صارت حجابا لبصيرة الكافر عن ادراك نور الحق اذ خاصية الحجاب ان يحجب نور الشمس عن الابصار الظاهرة واذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحري ان يكون ظلمات بعضها فوق بعض واما اخفهم حجبا وارقهم حجابا فهم الذين بذلوا جهدهم في لزوم اوامر الله ونواهيه وبالغوا في تصفية بواطنهم وصقال الواح نفوسهم والقاء حجب الغفلة واستار الهيئات البدنية فاشرقت عليهم شموس المعارف الالهية وسالت الى اودية قلوبهم مياه الجود الرباني المعطي لكل قابل ما يقبله فهؤلاء وان كانوا قد بلغوا الغاية من الجهد في رفع الحجب وغسل درن الباطل عن نفوسهم الا انهم ما داموا في هذه الابدان فلا تخلو من هيئاتها وحجب من استارها وان ضعفت تلك الحجب ورقت تلك الاغشية وما بين هاتين المرتبتين درجات من الحجب متفاوتة ومراتب متصاعدة متنازلة وبحسب تفاوتها يكون تفاوت النفوس في الاستضاءة بانوار العلوم وقبول الانتقاش بالمعارف الالهية والوقوف على اسرار الدين وبحسب تفاوت هذه الحجب يكون تفاوت ورود النار كما قال تعالى وان منكم الا واردها ولن يتخلص الانسان من شوائب هذه الحجب وظلماتها الا بالخلاص عن هذا البدن وطرحه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا فيكون مشاهدة بعين اليقين ما اعد لها من خير وما هو مهيّئ لها من شر بحسب استعدادها بما كسبت من قبل فاما قبل المفارقة فان حجاب البدن مانع لها عن مشاهدة تلك الامور كما هي وان حصلت على اعتقاد جازم برهاني او نوع من المكاشفة الممكنة كما في حق كثير من اولياء الله الا ان ذلك الوقوف والاطلاع يكون كالمشاهدة لا انها مشاهدة حقيقية خالصة اذ لا تنفك عن شائبة الوهم والخيال ولذلك قال ص حاكيا عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اي دع ما اطلعتهم عليه وهو اشارة الى طور المشاهدة الخالصة عن الشوائب التي هي عين اليقين بعد الموت وقد يسمى ما ادركه اهل المكاشفات بمكاشفاتهم في حيوتهم الدنيا عين اليقين فاما ادراك من دون هؤلاء لتلك الامور فما كان منها مؤكدا بالعقول او بالشعور بعدم امكان النقيض فهو علم اليقين وقد يخص علم اليقين في عرف الصوفية بما يميل النفس الى التصديق به ويغلب عليها ويستولي حتى يصير هو المتحكم المتصرف فيها بالترخيص والمنع فيقال فلان ضعيف اليقين بالموت اذ لم يهتم بالاستعداد له فكانه غير موقن به مع انه لا يتطرق اليه شك وقوي اليقين به اذا غلب ذلك على قلبه حتى استغرق همته بالتهيؤ له اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم شرطية متصلة نبه فيها على ان ورائهم من اهوال الآخرة وعذابها ما شاهده من سبق منهم الى الآخرة مما لا يشاهدونه الآن بعين وان علموه يقينا وبين فيها لزوم جزعهم وفزعهم وذكرهم طاعتهم لداعي الله على تقدير مشاهدتهم بعين اليقين لتلك الامور وصدق هذه الملازمة تشهد البرهان بصحتها واشار التنزيل

ج ٢

الالتفات الى حقيقتها وذلك هو قوله تعالى ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وذلك مقتضى مشاهدتهم لاحوال الآخرة و
جزعهم من تلك الاهوال المشاهدة فيجيبهم لسان القدرة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير قوله لكن
محجوب عنكم ما قد عاينوا استثناء الملزوم بنقيض التالي في هذه المتصلة اذ حجب تلك الاحوال عن ابصارهم مستلزم لعدم فزعهم وجزعهم
وهو في صورة اعتذار منهم نطق به لسان حالهم قوله وقريب ما يطرح الحجاب ما مصدرية في موضع رفع بالابتداء وقريب خبره وهو
اشارة الى تخويفهم بذلك لقربه في صورة التهديد لهم بان حصول ذلك لهم قريب لقصر مدة العمر فانه عما قليل يرفع حجب
الابدان عن احوال القيمة واهوال يوم الطامة وتكشط سماء اغطيتها من بصائر النفوس فتشاهد الجحيم قد سعرت والجنة قد ازلفت
واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وكما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
قوله ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم ان اهتديتم اشارة الى ما يشبه جوابا ثانيا عن صورة العذر بلسان حالهم وهو
وجود الحجاب المانع عن مشاهدة ما يوجب الجزع والفزع وذلك ان الحجاب ان كان قائما الان وساترا لتلك الامور عنكم فقد بصرتم
بها واوضحت لكم بالعبر والامثال على السنة الرسل عليهم السلام واسمعتم اياها في الكتب الالهية والسنن النبوية وهديتم عليها بالادلة
الواضحة والحجج القاطعة بحيث صارت كالمشاهدة لكم والمعلومة عيانا لا شك فيها فلا عذر لكم بالحجاب وتخصيص السمع والبصر بالذكر
لانهما الالتان اللتان عليهما مدار الاعتبار بامور الآخرة واشار بالهداية الى حظ العقل من غير نظر الى الدونية وايراد الشرطية
في المواضع الثلثة على اشد جذب الشارح انسدادهم البصر وابصروا وسماعهم لما اسمعوا واهتداءهم بما هدوا به وكل ذلك تنبيه لهم على القرار
على كثرة الغفلة وتنبيه على الفرار الى الله بعين الاعتبار قوله عليه السلام لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر اقول لما قدم انهم بصروا واسمعوا
اردف ذلك ببيان ما بصروا به واسمعوا الى ما بصروا به مجاهرة العبر والمصائب الواقعة بهم وبمن خلا قبلهم من القرون والى ما اسمعوا
به بالزجر بما فيه مزدجر وهي النواهي المؤكدة المردفة بالوعيدات الهائلة والعقوبات الحاضرة التي في قلبها ازدجار لذوي الالباب كما
قال تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر قوله وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء الا البشر اشارة الى
انه ليس في الامكان ابلغ مما جاءتكم به رسل الله تعالى على السنة رسله بطريق التواتر ويتوعدون بها انما يمكن دعوتكم بحسن الوعد والوعيد و
الامثال والتذكير بالعبر الا حقيقة لقوم حقت عليهم كلمة العذاب ونحو ذلك لا يمكن ان يشاهدكم مشاهدة الا على السنة الرسل البشرية
عليهم السلام فلا يمكن ان يبلغ اليكم رسالات ربكم بعد رسل السماء التي هي الملائكة الا الامم فينبغي ان يكون ذلك مرغبا مانعا لكم في الالتفات
الى الله **ومن خطبة له عليه السلام** فان الغاية امامكم وان وراءكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم آخركم
قال السيد رض واقول ان هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله بكل كلام لمال به راجحا وبرز عليه سابقا فاما قوله تخففوا
تلحقوا فما سمع كلام اقل منه مسموعا ولا اكثر محصولا وما ابعد غورها من كلمة وانقع نطفتها من حكمة وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم
قدرها وشرف جوهرها **اقول** لا شك ان هذه الكلمات اليسيرة قد جمعت وجازة الالفاظ وجزالة المعنى المشتمل على الموعظة الحسنة و
الحسنة والحكمة البالغة وهي اربع كلمات **الاولى** ان الغاية امامكم واعلم انما كانت الغاية من وجود الخلق ان يكونوا عبادا لله كما قال تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكان المقصود من العبادة انما هو الوصول الى جناب عزته والنظر الى وجهه الكريم في حظائر القدس ومجاورة الكمال مع
الملائكة المقربين وكان ذلك هو غاية الانسان المطلوبة منه والمقصودة له والمامور بالتوجه اليها بوجهه الحقيقي فان سعى لها سعيها ادركها و
فاز بحلول جنات النعيم وان قصر في طلبها وانحرف عن سواء الصراط الموصل اليها فقد علمت ان ابواب جهنم على جنبتي الصراط معترضة فكان
من الهاوين وكانت غايته فليدخلها مع الداخلين فاذن ظهر ان غاية كل انسان امامه اليها يسير وبها يصير **الثانية** قوله وان وراءكم الساعة
تحدوكم والمراد بالساعة القيامة الصغرى وهي صورة الموت فاما كونها وراءهم فلان الانسان لما كان بطبعه ينفر من الموت ويهرب منه وكان
العادة في الهارب من الشيء ان يكون وراءه مهروبا منه وكان الموت متأخرا عن وجود الانسان لاحقا له متأخرا ولحوقا عقليا اشبه المهروب منه
المتأخر اللاحق هربا وتأخرا ولحوقا حسيا فلا جرم استعير لفظ الجهة المحسوسة وهي الوراء واما كونها تحدوهم فلان الحادي لما كان من شأنه
سوق الابل بالحداء وكان تذكر الموت وسماع نوادبه مقلقا مزعجا للنفوس الى الاستعداد للامور الآخرة والاهبة للقاء الله سبحانه فهو يحملها
على قطع عقبات طريق الآخرة كما يحمل الحادي الابل على قطع الطريق البعيدة الوعرة فلا جرم استعير الحادي فاسند الحداء اليه **الثالثة** قوله
تخففوا تلحقوا ولما نبههم بكون الغاية امامهم وان الساعة تحدوهم في سفر واجب كان السابق الى الغاية من ذلك السفر هو الفائز برضوان
الله وقد علمت ان التخفيف وقطع العلائق في الاسفار سبب للسبق والفوز ولحوق السابقين لا جرم امرهم بالتخفيف لغاية اللحوق في كلمتين
فالاولى منهما قوله تخففوا وكنى بهذا الامر عن الزهد الحقيقي الذي هو اقوى اسباب السلوك الى الله سبحانه وهو عبارة عن حذف كل شاغل
على التوجه الى القبلة الحقيقية والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها وكل ما سوى الحق الاول عن سنن الايثار فان ذلك تخفيف لاثقال
الاوزار المانعة عن الصعود في درجات الابرار والموجب لحلول دار البوار وهو كناية باللفظ المستعار وهذا الامر في معنى الشرط والثانية قوله

ان مر

ولتخشم

تطهروا وهو جواد الشرط اي ان تحققوا العفو والمراد بعد رياضة السابقين الذين هم اولياء الله وهو ليصلوا الى ساحل عزته وملاذ نصرته من ذم الشيطان فقد
بيانها فان الجود الالهي لا بخل فيه ولا نقص من جهته والزهد الحقيقي اقوى اسباب السلوك الى الله كما سبق فلو استعدت النفس بالاعراض
سوى الحق سبحانه وتوجهت الى استشراق انوار كبريائه فلا بد ان يفاض عليها ما تقبله من الصورة التامة فيلحق بدرجة السابقين
ويتصل بساحل العزة في مقام امين لا يروعه فاما ينتظر او لكما حركاي انما ينتظر بالبعث الاكبر والفزع الكبرى للذين لم يكونوا كذلك
لكن استعمل لفظ النطفة وهو الماء الصافي للحكمة وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلم** الا وان الشيطان قد ذمّر حزبه
واستجلب جلبه ليعود الجور الى اوطانه ويرجع الباطل الى نصابه والله ما انكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون
حقا تركوه ودما هم سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما التبعة الا قبلهم وان اعظم
حجتهم لعلى انفسهم يرتضعون اما قد فطمت ويحيون بدعة قد اميتت يا خيبة الداعي من دعا والى ما اجيب واني لراض بحجة
الله عليهم وعلمه فيهم فان ابوا اعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من الباطل وناصرا للحق ومن العجب بعثهم الي ان ابرز للطعان
وان اصبر للجلاد هبلتهم الهبول لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب واني لعلى يقين من ربي وغير شبهة من ديني

اقول اكثر هذا الفصل من الخطبة التي ذكرنا انه عليه السلام خطبها حين بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وفيه زيادة ونقصان وقد اورد السيد
بعضه فيما قبل وانه كان قد نبه في خطبة على سبب التكرار والاختلاف بالزيادة والنقصان ونحن نورد الخطبة بتمامها ليتضح المقصود وهي بعد
حمد الله والثناء عليه والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وآله ايها الناس ان الله افترض الجهاد فعظمه وجعله نصرته وناصره والله ما صلحت دنيا ولا دين
الا به وقد جمع الشيطان حزبه واستجلب خيله ومن اطاعه ليعود له دينه وسنته وخدعه وقد رايت امورا قد تمحضت والله ما انكروا علي منكرا
ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا تركوه ودما سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني
فما الطلبة الا قبلهم وان اول عدلهم لعلى انفسهم ولا اعتذر مما فعلت ولا اتبرأ مما صنعت وان معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس علي وانها
للفئة الباغية فيها الحم والحمة طالت جلبتها وانكفت جونتها ليعودن الباطل في نصابه يا خيبة الداعي من دعا لو قيل ما انكر في ذلك وما
امامه وفيمن سنته والله اذن لزاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه وما اظن الطريق له فيه واضح حيث نهج والله ما تاب من قتلوه قبل موته
ولا تنصل من خطيئته وما اعتذر اليهم فعذروه ولا دعا فنصروا وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون
حسوة ابدا وانها الطيبة نفسي بحجة الله عليهم وعلمه فيهم واني داعيهم فمعذر اليهم فان تابوا وقبلوا واجابوا وانابوا فالتوبة مبذولة
والحق مقبول ولا لبس على كميل وان ابوا اعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من باطل وناصرا لمؤمن ومع كل صحيفة شاهدها وكاتبها و
الله ان الزبير وطلحة وعائشة ليعلمون اني على الحق وهم مبطلون ذمّر حث وشدد اي حث والجلب الجماعة من الناس وغيرهم تجمع وتؤلف
ومحضت تحركت والنصف بكسر النون وسكون الصاد النصفة وهي الاسم من الانصاف والتبعة ما يلحق الانسان من درك والحم بفتح الحاء
شدة البأس بقية الالية التي اذيبت واخذ دهنها والحمة السواد وهما استعارتان لارذال الناس وعوامهم والجلبة الاصوات وجونتها
سوادها وانكفت واستكفت اي استدارت وزاح وانزاح تنحى والنصاب الاصل وتنصل من الذنب تبرأ منه والعب الشرب من غير مص والحسو
بضم الحاء وقد يفتح الجرعة والجلاد المضاربة بالسيف والهبول الثكلى والهبل الثكل واعلم انه عليه السلم نبه اولا على فضل الجهاد لان غرضه استنفارهم
لقتال اهل البصرة فاشار اولا الى وجوبه من الله تعالى والكتاب العزيز مشحون بذلك كقوله تعالى وجاهدوا في سبيل الله باموالكم وانفسكم ونحوه
ثم الى تعظيمه وتفضيل الله تعالى له وذلك كقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم
فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات
منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ثم نبه على ان الله جعله نصرة له وناصرا وذلك كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم والمراد نصرة
دين الله وعباده الصالحين اذ هو الغني المطلق الذي لا حاجة به الى معين ونصير ثم بالقسم البار انه ما صلحت دنيا ولا دين الا به اما
صلاح الدنيا به فلانه لولا الجهاد في سبيل الله ودفعا وقهرا لاهل الغلبة لخربت الارض والبلاد كما قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين واما صلاح الدين فظاهر انما يكون بجهاد اعداء دين الله الساعين في هدم
قواعده فاما قوله وقد ذمر الشيطان حزبه واستجلب خيله ومن اطاعه فقد سبق بيانه وقوله وقد رايت امورا قد تمحضت اشارة الى يقينه بما
يستقر امرهم اليه وتلك الامور هي ما يحدث من مخالفة القوم واهبتهم لقتاله وقوله والله ما انكروا منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم الى
قوله سفكوه اشارة الى انكارهم ما ادعوه منكرا ونسبوه اليه من قتل عثمان والسكوت عن النكير على قاتليه فانكروا اولا انكارهم عليه تخلفه
عن عثمان الذي زعموا انه منكر ولما لم يكن منكرا كما ستعلم ذلك كان الانكار عليه هو المنكر واشار بقوله ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا
الى انهم لو انصفوا العدل بينهم وبينه لظهر ان دعواهم باطل وقوله وانهم ليطلبون حقا هم تركوه ودما هم سفكوه اشارة الى طلبهم
الدم عثمان مع كونهم تركوه وهذه روى ابو جعفر الطبري في تاريخه ان عليا كان في ماله بخيبر لما اراد الناس حصر عثمان فقدم المدينة

فيما خطبة خطبها حين بلغه أن طلحة والزبير خلعا بيعته ح ٨

والناس مجتمعون على طلحة في داره فبعث عثمان إليه يشكو أمر طلحة فقال عليه السلام أنا أكفيكه فانطلق إلى دار طلحة وهي مملوءة بالناس فقال له يا طلحة
حتى بقي وحده فسر عثمان بذلك وجاء طلحة إلى عثمان فقال له يا أمير المؤمنين إني أردت أمرا فحال الله بيني وبينه وقد جئتك تائبا فقال
والله ما جئت تائبا ولكن جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحة وروى أبو جعفر أيضا أنه كان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفا فقال
معونة على مروءتك فلما حصر عثمان قال علي عليه السلام لطلحة أنشدك الله إلا كففت عن عثمان فقال لا والله حتى تعطوا بنو أمية الحق من أنفسها فكان
علي يقول لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطى وفعل به ما فعل وروي أن الزبير لما برز لعلي عليه السلام يوم الجمل قال له ما حملك يا عبد الله
على ما صنعت قال الطلب بدم عثمان فقال له أنت وطلحة وليتماه وإنما توبتك من ذلك أن تقدم نفسك وتسلمها إلى ورثته وبالجملة فقد خوضهم
في قتل عثمان ظاهر وهذه مقدمة من الحجة عليهم وقوله فإن كنت شريكهم فإن لهم نصيبهم منه وإن كانوا ولوه دوني فما التبعة إلا عندهم فعليهم تمام
للحجة وتقريرها أنهم دخلوا في دم عثمان وكل من دخل فيه فإما بالشركة أو بالاستقلال وعلى التقديرين فليس لهم أن يطلبوا به وأشار
إلى القسم الأول بقوله فإن كنت شريكهم فيه فإن لهم لنصيبهم منه أي على تقدير كونهم شركائي في ذلك فعليهم أن يبدءوا بتسليم أنفسهم
إلى أوليائه وأشار إلى الثاني بقوله وإن كانوا ولوه دوني فما الطلبة إلا قبلهم وقوله وإن أول عدلهم للحكم على أنفسهم زيادة تقرير للحجة أي
أن العدل الذي يزعمون أنهم يقيمونه في الدم المطلوب ينبغي أن يبدءوه أولا على أنفسهم وقوله ولا اعتذرت مما فعلت ولا تبرأت مما صنعت أي أن
الاعتزال الذي فعلته في وقت قتل عثمان لم يكن على وجه تقصير في الدين يوجب الاعتذار والتبرؤ منه فأعتذر منه وأتبرأ كما سيتبين
وجه ذلك إن شاء الله وقوله وإن معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس علي تقدم بيانه وقوله وإنها للفئة الباغية فيها الحم والحمة استعار
اللفظين لأسقاط الناس وأراذلهم الذين جمعوا لقتاله ووجه الاستعارة مشابهتهم الآلية وما اسود منها في قلة المنفعة والخير
قوله طالت جلبتها أي ارتفعت أصواتهم بها وهي كناية عما ظهر من القوم من تهديدهم وتوعدهم بالقتال وقوله وانكفت جونتها
أي سندرسوادها واجتمع وهو كناية أيضا عن تجمع جماعتهم لما يقصدونه وقوله يرتضعون أما قد فطمت استعار لفظ الأم له
عليه السلام أو للخلافة أو بيت المال لبنها والمسلمون أولادها المرتضعون وكنى بارتضاعهم لها وقد فطمت عن التماسهم منه ما منع
من الصلات والتفضيلات مثل ما كان عثمان يصلهم به ويفضل بعضهم على بعض ومنعه لهم من ذلك وقوله يحيون بدعة قد
أميتت أشار إلى ذلك التفضيل فإنه كان بخلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسنة الشيخين وإنه عمل بالسنة ولما أنها أنكر
عليه السلام في ولايته وقوله ليعودون الباطل إلى نصابه كونهم يعودون ما كانوا عليه من الباطل في الجاهلية واستنفار الناس
إلى القتال وقوله يا خيبة الداعي من دعا تعجب مخرج التعجب من عظم خيبة الدعاة إلى قتاله ومن دعا وإلى ما أجيب استفهام على سبيل
الاستحقار للمدعوين لقتاله والناصرين إذ كانوا أعوام الناس ورعاعهم والمدعو إليه وهو الباطل الذي دعوا إلى نصرته وقوله
لو قيل ما أنكر لذلك وما إمامه وفيم سنته لزاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه متصلة معناها لو سأل سائل مجادلا لهؤلاء
الدعاة إلى الباطل عما أنكروه من أمري وعن إمامهم الذي به يقتدون وعن سنتهم التي إليها يرجعون لشهد لسان حالهم
بأني أنا إمامهم وفي سنتهم فانزاح باطلهم الذي تولوه وانقطع لسانه واستعمال لفظ اللسان ههنا حقيقة على تقدير حذف
المضاف أي انقطع لسان صاحبه عن الجواب به ويكون الاستعارة في لفظ الانقطاع للسكوت أو مجازا في العبارة عن الباطل والتكلم
به أي انقطع الجواب الباطل وقوله وما أظن الطريق له فيه واضح حيث نهج الجملة عطف على قوله وانقطع لسانه وواضح مبتدأ وحيث خبره
والجملة في موضع النصب مفعول ثان لأظن أي وما أظن لو سأل السائل عن ذلك أن الطريق الذي يرتكبه المجيب له فيه مجال بين
ومسلك واضح حيث سلك بل كيف توجه فالجواب منقطع وقوله والله ما تاب من قتلوه إلى قوله فنصروه إشارة إلى عثمان ودم
لم من جهة طلبهم بدمه من اعتذاراتهم مثل قولهم فلم يعذروه ودعاهم إلى نصرته في حصاره فلم ينصروه مع تمكنهم من ذلك وقوله وايم الله
لأفرطن لهم حوضا أنا ماتحه ثم لا يصدرون عنه بري قد تقدم تفسيره وقوله ولا يعبون حسوة أبدا كناية عن عدم تمكينه لهم من هذا
الأمر أو شيء منه كما تقول للخصم لم في شيء والله لا تذوق منه ولا تشرب منه جرعة وقوله إنها لطيبة نفسي بحجة الله عليهم وعلمه
فيهم نفسي منصوب بدلا من الضمير المتصل بإن أو بإضمار فعل تفسيره وحجة الله إشارة إلى أوامر الله المتضمنة بقتال الفئة الباغية
كقوله تعالى فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله وكذلك كل أمر لله أو نهي عصي فيه فهو حجة الحق وكل
حجة الحق فهي حجة الله أي إني راض بقيام حجة الله عليهم وعلمه بما يصنعون وإني من قتلهم لما قاتلتهم وطيبة نفسي أعظم من كونه لازما للحق
وكون خصمه على الباطل خارجا من طاعة الله وهو القائم على كل نفس بما كسبت وقوله وإني داعيهم فمعذر إلى قوله وناصر المؤمن ولجع
بين وقوله وليس على قتيل أي لا جناح فيما أبذل لهم من الصفح والأمان على تقدير إنابتهم إليه من الضامن وشاميا وناصرا منصوبان
على التمييز وقوله ومع كل صحيفة شاهدها وكاتبها الواو للحال أي أنهم إن لم يرجعوا أعطيتهم حد السيف والملائكة الكرام الكاتبون
الذين يعلمون ما تفعل يكتب كل منهم أعمال من وكل به في صحيفته ويشهد بها في محفل القيامة وقوله ومن العجب بعثتهم إلى أن أبرز للطعان

وان اصبر للجلاد تعجب من تقدمهم له بذلك مع علمهم بحاله في الشجاعة والحرب والصبر على المكاره وهو محل الاستهزاء والتعجب منهم وقوله
هبلتهم الهبول اي ثكلتهم الثواكل وهي من الكلمات التي تدعو بها العرب وقوله لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب
اي من حيث ما كنت كذلك وقوله واني لعلى يقين من ربي وفي غير شبهة من امري تاكيد لقوته على الحرب واقدامه على الجلاد وتحذير
للقلوب السامعين الى الثقة بانهم على بينة من الله وبصيرة في متابعته على القتال
والحرب فان الموقن بانه على الحق ناصر لله ذاب عن دينه عار عن غبار الشبه
الباطلة في وجه يقينه يكون اشد صبرا واقوى جلدا واثبت في
المكاره ممن لا يكون كذلك متقدم على القتال لشبهة غلبت
على عين بصيرته او هوى لزخرف الدنيا وباطلها
قاده الى ذلك وبالله التوفيق هذا اخر
المجلد الاول ويتلوه اول المجلد الثاني
من هذا الكتاب

وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر الى كل نفس بما قسم لها من زيادة
او نقصان فاذا راى احدكم لاخيه غفيرة في اهل او مال او نفس فلا تكونن له فتنة فان المرء المسلم ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع
لها اذا ذكرت ويغرى بها لئام الناس كان كالفالج الياسر الذي ينتظر اول فوزة من قداحه توجب له المغنم ويرفع عنه بها المغرم
وكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله احدى الحسنيين اما داعي الله فما عند الله خير له واما رزق الله فاذا هو ذو
اهل ومال ومعه دينه وحسبه ان المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الاخرة وقد يجمعهما الله لاقوام فاحذروا
من الله ما حذركم من نفسه واخشوه خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولا سمعة فانه من يعمل لغير الله يكله الله
الى من عمل له نسأل الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء ايها الناس انه لا يستغني الرجل وان كان
ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بايديهم والسنتهم وهم اعظم الناس حيطة من ورائه والمهم لشعثه واعطفهم عليه
عند نازلة ان نزلت به ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه غيره **اقول** الغفيرة الكثرة
والزيادة وروى عفوة بكسر العين وعفوة كل شيء صفوته ويغرى يلهج بالامر ويولع به واغريته به اذا حثثته له الدخول فيه و
الفالج الفائز والياسر اللاعب بالميسر وسنذكر كيفيته والقداح سهام الميسر التي يلعب بها والتعذير اظهار العذر ممن لا عذر له في
الحقيقة وعشيرة الرجل قبيلته والمعاشرون له والحيطة بالكسر الحفظ والرعاية واللم الجمع والشعث تفرق الامر وانتشاره واعلم ان
مدار هذا الفصل على تاديب الفقراء بترك الحسد ونحو اوله وعلى تاديب الاغنياء بالشفقة على الفقراء ومواساتهم بالفضل
من المال وتزهيد جميعا ثانيا فقوله اما بعد فان الامر ينزل الى قوله او نقصان صدر الخطبة اورده ليبني عليه غرضه وحاصله الاشارة
الى ان كل ما يحدث من زيادة او نقصان ويتجدد فيما يكون به صلاح حال الخلق في معاشهم ومعادهم من صحة او مال او علم او جاه
او اهل فانه صادر عن القسمة الربانية المكتوبة بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ الذي هو خزانة كل شيء والمراد بالامر حكم القدرة
الالهية على الممكنات بالوجود وهو المعبر عنه بقوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه الاية وبنزوله تسبب حصوله الى كل نفس بما قسم لها و
هي النسبة المسماة بالقدر في قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم والمراد بالسماء سماء الجود الالهي وبالارض
عالم الكون والفساد على سبيل استعارة هذين اللفظين للمعنيين المعقولين من المحسوسين ووجه الاستعارة في الموضعين مشاركة
المعنيين المذكورين للسماء والارض في معنى العلو والاستفال كل بالنسبة الى الاخر وانما لم تكن الحقيقة مرادة لان الامر تعالى
ليس له جهة هي مبدأ نزوله والا لكان الامر في جهة تعالى الله عن ذلك ويحتمل ان يراد حقيقة السماء والارض على معنى ان الحركات

عفوة نـ
البري من الخيانة نـ

الفالج

الفلكية لما كانت شرائط معدة يصدر بواسطتها ما يحدث في الأرض كانت أشباه مبادي على بعض الوجوه لنزول الأمطار فالتشبيه بقطر
المطر فوجه التشبيه أن حصول الرزق والأهل ونحوهما لكل نفس بعينها منها مختلف بالزيادة والنقصان كما أن قطر المطر بالقياس
إلى كل واحدة من البقاع كذلك وهو تشبيه المعقول بالمحسوس وقوله فإذا رأى أحدكم لأخيه المسلم غفيرة في أهل أو مال أو نفس فلا
تكونن له فتنة شروع في تأديب من حصل في حقه النقصان في أحد الأمور المذكورة بالنهي لهم عن الافتتان بحال من حصلت له الزيادة
والنفاسة في أحد هذه من المال والأهل والنفس قال بعض الشارحين أراد بالنهي عن الفتنة ههنا النهي عن الحسد والتحقيق أن يقال
أن الفتنة هي الضلال عن الحق بسبب أمر ما من الأمور الباطلة والاشتغال بزعم أنه الواجب عن سلوك سبيل الله تعالى كان الفقراء
من أحد الأمور المذكورة بالنسبة إلى من عرضت له الزيادة في أحدها منهم من يوقع نفسه لنيل الزيادة فيرى أنه أحق بها ممن عرضت فيعرض
له أن يحسده أو يرى أنه يستحق مثلها فيعرض له أن يغبطه ومنهم من يقصر نفسه عن ذلك لكن يميل بطبعه إلى خدمة من له تلك الزيادة
وينجذب بكليته إليه والاتهم ككثير من الفقراء الذين يميلون بطباعهم إلى خدمة الأغنياء ويخلصون لتبعهم لأمر ما هو في أن حصلوا
عليه من مال أو جاه أو نحو ذلك ولعل ذلك لغاية يشوبها توهم الانتفاع بهم بما حصلوا عليه وكانت هذه الأمور ونحوها أعني الحسد
والغبطة والميل إليهم لأجل ما حصلوا عليه من الزيادة في أحد الأمور المذكورة رذائل الضلال مشغلة عن التوصل إلى الله تعالى ومقبلة
عن سواء السبيل كان النهي عنه في الحقيقة هو الضلال بأحد الرذائل المذكورة وهو المراد بلفظ الفتنة ههنا وقوله كان المرء المسلم
إلى قوله سعة دينه أقول إعراب هذا الفصل أن ما ههنا بمعنى الذي وكالفالج خبر أن فيظهر صفة لدناءة وقوله فيخشع إن حملنا
الخشوع على المعنى اللغوي وهو خفض الطرف مثلا والنظر من كان عطفا على يظهر وإن حملنا على المعنى العرفي وهو الخشوع لله والخشية
منه فالفاء للابتداء والياسر صفة للفالج وإذا للمفاجأة إذا عرفت ذلك فاعلم أنه لما نهى عن الفتنة بأحد الأمور المذكورة والشغل
بها أراد أن ينبه على فضيلة الانتهاء عنها أو ينبه على كونه دناءة بقوله ما لم يغش دناءة ثم عقب بالتنفير عن الدناءة والترغيب في التنزه
عنها بما ذكره ومعناه أن المسلم مهما لم يرتكب أمرا خسيسا يطلع عليه فيكتسب نفسه خلقا رديا ويلومه بارتكابه الخجل من ذكره بين الخلق
إذا ذكر والحياء من التعيير به ويغري به لئام الناس وعوامهم في فعل مثله ويصل في هتك ستره فإنه يشبه الفالج الياسر هذا إن حملنا
الخشوع على معناه اللغوي وإن حملناه على المعنى العرفي الشرعي كان المراد أنه ما لم يغش دناءة فيخشع لها أي يخشع لله ويخضع لها عند ذكرها
ويتضرع إليه هربا من الوقوع في مثلها وخوفا من وعيده على المعاصي يكون كالفالج فلنشر أولا إلى كيفية اللعب المسمى بالميسر ليتضح به
وجه التشبيه فنقول إن الخشبات المسماة قداحا وهي التي كانت لأيسار العرب سبعة أولها الفذ بالذال المعجمة وفيه فرض واحد
ثانيها التوأم وفيه فرضان وثالثها الضريب بالضاد المعجمة وفيه ثلاثة فروض ورابعها الحلس بكسر الحاء ونقل أحمد بن فارس في المجمل الحلس
بفتح الحاء وكسر اللام وفيه أربعة فروض وخامسها النافس وفيه خمسة فروض وسادسها المسبل وهي ستة فروض وسابعها المعلى
له سبعة فروض وليس بعد المعلى قدح فيه شيء من الفروض إلا أنهم يدخلون مع هذه السبعة ثلاثة أخرى تسمى أوغادا لا فروض فيها
وإنما تثقل بها القداح وأسماؤها المصدر ثم المضعف ثم المنيح ثم السفيح فإذا اجتمع أيسار الحي أخذ كل منهم قدحا وكتب عليه اسمه
أو علم بعلامة ثم أتوا بجزور فنحرها صاحبها ويقسمها عشرة أجزاء على الوركين والفخذين والعجز والكاهل والزور والملحاء والكتفين
ثم يعمد إلى أطايب الرقبة فيقسمها على تلك الأجزاء بالسوية فإذا استوت وبقي منها عظم أو بضعة لحم انتظر بها الجازر من أراده
ممن يفوز قدحه فإن أخذه عير به وإلا فهو للجازر ثم يؤتى برجل معروف أنه لم يأكل لحما قط بثمن إلا أن يصيبه عند غيره ويسمى الحرضة
فيجعل على يديه ثوب ويعصب رأس صاحبه بعصابة كيلا يجد مس الفروض ثم يدفع إليه القداح ويقوم خلفه رجل يقال له الرقيب
فيدفع إليه قدحا قدحا منها من غير أن ينظر إليها فمن خرج قدحه أخذ من أجزاء الجزور بعدد الفروض التي في قدحه ومن لم يخرج
قدحه حتى استوفيت أجزاء الجزور غرم بعدد فروض قدحه كأجزاء تلك الجزور من جزور أخرى لصاحب الجزور الذي نحرها فإن اتفق
أن خرج المعلى أولا فأخذ صاحبه سبعة أجزاء من الجزور ثم خرج المسبل فلم يجد صاحبه إلا ثلاثة أجزاء أخذها وغرم لمن لم يخرج قدحه
ثلاثة أجزاء من جزور أخرى وأما القداح الأربعة الأوغاد فليس لخروج أحدها غنم ولا في عدم خروجه غرم والمنقول عن الأيسار أنهم
كانوا يحرمون ذلك اللحم على أنفسهم ويبعدونه للضيفان إذا عرفت ذلك فاعلم أن وجه التشبيه هو ما ذكره وذلك أن الفائز الياسر
الذي ينتظر قبل فوزه من قداحه وجب له فوزه الغنم ونفى عنه الغرم فكذلك المسلم البريء من الخيانة الضابط لنفسه عن ارتكاب
ما نهى الله لما كان لا بد له في انتظاره لوعد الله وصبره عن معصيته أن يفوز بإحدى الحسنيين وهو إما أن يدعوه الله إليه بالقبض
عن الشقاء في هذه الدار فما عند الله مما أعده لأوليائه الأبرار خير له فيفوز بالنعيم المقيم ولما كان فوزه مستلزما لعدم
خسرانه ظهر حسن تشبيهه بالياسر الفالج في فوزه المستلزم لعدم غرمه ويحتمل أن يريد بداعي الله لا الموت بل الخواطر الإلهية والخواطر
الربانية التي تنجذب فيجذبه إلى طرف الزهد الحقيقي والالتفات عن خسائس هذه الدار الحاضرة وعدها المغرور وأما أن يفتح الله عليه

بوار مذهب مصبح وقد جمع الله بين المال والبنين مع حفظ الحسب فالذين يفوز بالفوز العظيم ويأمن العقاب الاليم فالتشبيه انما فيهما او في
ى فعم وكلا او بين افضل عند العاقل من الفتنة بالغير والالتفات عن الله فمن قد نبئ اوح النفس رذايل الاخلاق من الحسد ونحوه وكا
ان الفضل مستلزم للنهي عن الحسد ونحوه من الفتن المضلة كذلك هو مستلزم للامر بالصبر على بلاء الله وانتظار رحمته قوله ان المال والبنين
حرث الدنيا الى قوله لا دوام اقول لما بين فيما سبق من التشبيه وغيره ان مآل الرذايل المذكورة ونحوها المنتظر الحسنى من الله فالزاد
ذلك بطريق التنبيه على تحقير المنتصبات التي ينشأ منها اشد الفتن فيها الرذايل المذكورة فذكر اعظمها واهمها عند الناس وهو المال والبنون
فانهما اعظم الاسباب الموجبة لصلاح الحال في الحيوة الدنيا واشرف القنيات الحاضرة كما قال تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ونبه
على تحقيرهما بالنسبة الى العمل بكونهما من حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الاخرة والمقدمة الاولى من هذا الاحتجاج صغرى ضمير تقديره
كبراه وحرث الدنيا حقير عند حرث الاخرة فينتج ان المال والبنين حقيران بالنسبة الى حرث الاخرة وقد ثبت في المقدمة الثانية ان
حرث الاخرة هو العمل الصالح فان المال والبنون حقيران بالنسبة الى العمل الصالح اما المقدمة الاولى فظاهرة اذ لا حصول للمال
والبنين في غير الدنيا واما بيان الثانية فمن وجهين احدهما قوله تعالى وما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل وظاهر انه لا يريد قلة
الكمية بل المراد حقارته بالنسبة الى متاع الاخرة ولذتها الثاني ان حرث الدنيا من الامور الفانية وحرث الاخرة من الامور الباقية
الموجبة للسعادة الابدية والفانيات الطالحات ظاهرة الحقارة بالنسبة الى الباقيات الصالحات كما قال تعالى والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير املا ثم نبه السامعين بقوله وقد يجمعهما الله لاقوام على وجوب الالتفات الى الله تعالى والتوكل عليه وذلك
ان الجمع بين حرث الدنيا والاخرة لما كان في طباع كل عاقل يطلب طلب تحصيله وكان حصوله انما هو من الله دون غيره لمن يشاء من
عباده ذكر ذلك ليفرغ الطالبون للسعادة الى جهة تحصيلها وهو التقرب الى الله بوجوه الوسايل والاعراض عما لا يحتاج اليها من
من الحسد ونحوه ثم اكد ذلك الجذب بالتحذير بقوله فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه والامر بالخشية الصادقة البريئة من التعذير بالمسارعة الى ترك
محارمه وترك محبة الدنيا المفضية الى الزهد الحقيقي ثم اردف ذلك بالامر بالعمل لله البرئ من الرياء والسمعة وهو اشارة الى العبادة التي لله
شبه المستلزمة لتطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وقد ثبت في علم السلوك الى الله تعالى ان الزهد والعبادة كيف يوصلان
الى السعادة التامة الابدية وقوله فانه من يعمل لغير الله يكله الله الى من عمل له تعليل لوجوب ترك الرياء والسمعة في العمل وذلك ان العامل للرياء والسمعة
قاصد ان يراه الناس ويسمعوا ان ما له المعبود لينتفع منهم بما يتوقعه من مال وجاه ونحوه من الاغراض الباطلة والاعراض الزايلة وقد علمت
الثمرات انقص الى شيء من ذلك شاغل لها عن تلقي رحمة الله والاستعداد لها محجوب بها عن قبول فضله فعمله كان هو سبب لاستنادها ومنتهى
سلسلة الممكنات لا جرم اكدت المطالب من غيره فجزى منه التجريد باوكول الى من سواه من عمل له العاملون لاستلزام الخيبة والحرمان
وخسر العاملون الا له وخاب المتوكلون الا عليه وقد سبق منا بيان معنى كون العامل لغير الله موكولا الى من عمل له قوله في الفصل الثاني
ذم فيه من يتصدى للحكم بين الامة وليس من اهله قوله فسأل الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء لما كانت همته
مقصورة على طلب السعادة الاخروية وطلب هذه المراتب الثلث وفي ذلك جذب للسامعين الى الاقتداء به في طلبها والعمل لها ورتبها عليه السلام
بطلب سهل المراتب الثلث للانسان وختم باعظمها فان من حكم له بالشهادة غايته ان يكون سعيدا والسعيد غايته ان يكون في
زمرة الانبياء ورفقائهم وهذا هو الترتيب اللايق من الادب لحاذق فان المرتبة العالية لا تنال الا بعد نيل ما هو دون منها قوله
ايها الناس الى قوله يوم تزعجه اقول لما اشار الى تاديب الفقراء عن التعرض للاغنياء بما يوجب لهم ملكات السوء من الحسد ونحوه ارد
ذلك بتاديب الاغنياء واستدراجهم في حق الفقراء ذوي الارحام واهل القبيلة ونحوهم من الاصحاب بالامر بالمواساة في المال و
المؤنة لهم لينتظم شمل المصلحة من الطرفين فاستدرجهم بالمرهن لطيف بيان انهم لا يستغنون عنهم وان كانوا اصحاب ثروة فان الرجل
لا يستغني بماله عن اعوان له يذبون عنه بايديهم صولة وبايل ويدفعون عنه بالسنتهم مسبة قائل من المعلوم ان اشد الناس حاجة
الى الاعوان والاصحاب المعاضدين هم اكثر الناس ثروة وانظر الى الملوك والمتشبهين بهم من ارباب الاموال واحق الناس بعكس الاستغنا
عنهم عشيرة الرجل واصحابه فانهم اعظم الناس شفقة عليه واشدهم دفاعا عنه وحفظا لجانبه والمهم للشعث اى اشدهم جمعا للمتفرق من
حاله واعطفهم عليه ان نزلت به نازلة من فقر ونحوه وذلك لمزيد محبتهم ما عشت الدواعي لشفقة عليه الثاني التنبيه بذكر فايدة
انفاق المال وجمعه وتفضيل احدهما على الاخر وذلك قوله ولسان الصدق المرء الى آخره فلسان الصدق هو الذكر الجميل بين الناس
وهو من غايات البذل والانفاق وغاية جمع المال هي توريثه للغير واما افضلية البذل على الجمع فظاهرة من تصورهما بين الغايتين
وانما رغب في البذل بما يستلزمه من غاية الذكر الجميل بين الناس وان لم يكن مقصودة من الحث على البذل الا مصلحة الفقراء و
سد خلتهم وتاديب الاغنياء وتعويدهم بالبذل والتزول عن محبة المال لان توقع الذكر الجميل من الناس ادعى الى البذل واكثر
فعلا في النفوس من الغايات التي يقصدها وذلك من الاستدراجات الحسنة حتى اذا انفتح باب البذل وتمرنت النفوس عليه

بل ك



وعلم ان اولى المقاصد التي يصرف فيها المال هي المقاصد التي يقصدها الشارع ويحث عليها ثم ان سد خلة الفقراء الذي ينتظم بها شمل المصلحة ويحمد الناس بعضهم بعضا خصوصا العشيرة فانه من الواجبات السيرة العادلة التي بها صلاح حال الانسان في الدارين اذ لما كان لا غنا له عن عشيرته طبعا وكان اكرامهم ومواساتهم بالمال هو الذي يؤكد الانتفاع بهم ويستحقون في مقابلة حفظهم لجانبه وحياطتهم له فبالحري ان يجب مواساتهم واكرامهم بما ينتظم احوالهم من فضل المال ويكفي بذكر غاية جمع المال وهي توريثه لغير المستلزم لذكرها ذم اللذات باعثا على بذل المال والزهد عن محبته وجمعه لمن لم يعتبر بصيرته عاقبة امره وبالله التوفيق **منها** الا لا يعدلن احدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة ان يسدها بالذي لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه ومن يقبض يده عن عشيرته فانما يقبض منه عنهم يد واحدة ويقبض منهم عنه ايدي كثيرة ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة قال السيد ما احسن هذا المعنى فان الممسك خيره عن عشيرته انما يمسك نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم واضطر الى مرافدتهم قعدوا عن نصرته وتثاقلوا عن صوته فمنع ترافد الايدي الكثيرة وتناهض الاقدام الجمة **اقول** العدول الانحراف والخصاصة الفقر والحاجة وحاشية الرجل جانبه وحاشيته ايضا من الحال سواء اتباعه الذين هم حشو بيته وقوله يرى في موضع النصب على الحال وان يسدها في موضع الجر بدلا من القرابة واعلم ان المقصد بهذا الفصل هو ما ذكرناه قبله ولو وصلناه به لصلح تتمة له وحاصله الى قوله بايدي كثيرة النهي عن العدول عن سد خلة الاقرباء واولي الارحام ذوي الحاجة بالفضل من المال وصرفه في غير وجهه من المصارف الغير المرضية لله سبحانه وكنى بالسد الذي هو خفيف في منع جسم لجسم عن المنع المعقول وهو منع الاختلال الواقع في حال الانسان كناية بالاستعارة وقوله لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه على ظاهره اشكال فانه يحتمل ان يقال كل جزء من المال فان بقاءه زيادة فيه وعدمه نقصان منه وجوابه من وجهين احدهما ان يقال انه لم يرد بههنا مطلق الزيادة والنقصان في المال والنسبة الى المال فان العشيرة المصوبين في زيادته ونقصانه بل نسبة الى الشخص المعتبر عند احد المأمور بالانفاق وانما اراد الزيادة والنقصان فيه اللذين لا يعتبر تأثيرهما في صلاح حال الانسان وعدم صلاحه فان الفضل الزائد في مال الانسان على القدر الذي يدفع ضرورته بحسب الشريعة ليس بزيادة معتبرة في صلاح حاله ولا نقصانه معتبرا في فساد حاله فلا يزيده اذن ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه وهذا كما يقول الانسان لمن يريد ان يستهل عليه امرا حقيرا يسدد في طلبه ان هذا الامر لا يضرك ان تركته ولا ينفعك ان اخذته اي بالنسبة الى صلاح حالك الثاني انه يحتمل ان يريد الزيادة والنقصان في الثواب والاجر في الاجل والثناء والذكر في العاجل اي لا يزيده في صلاح حاله عند الله وعند الناس بل يكون سببا لفساد حاله اما عند الله فلان امساك الفضل من المال عمن له اليه ضرورة من عباد الله سبب للشقاء العظيم والعذاب الاليم في الآخرة لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم الاية واما عند الناس فلانه يستلزم العار لانهم في ذم البخل والبخلاء وكذلك لا ينقصه اي لا ينقص من صلاح حاله اما عند الله فلما وعد به اهل الانفاق في سبيله من الاجر الجميل والثواب الجزيل كقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى الاية ونحوها واما عند الناس فلما اتفقوا عليه من مدح اهل الكرم والسخاء وملازمة الحمد من الله والثناء عليهم فاما قوله ومن يقبض يده عن عشيرته الى اخره فمعناه ما ذكره السيد الرضي وهو ان الممسك خيره عن عشيرته انما يمسك عنهم نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم قعدوا عن نصرته وتثاقلوا عنه فمنع ترافد الايدي الكثيرة الا ان هذا البيان يحتاج الى تقرير وهو ان الانسان لما كان انتفاعه بالايدي الكثيرة اتم واولى بصلاح حاله واكثر من النفع الحاصل لهم بقبض يده عن النفع بها وجب عليه ان يستجلب يد يده بالنفع مد الايدي الكثيرة الى نفعه والا لكان بسبب طلب النفع من امساك يده الواحدة عنهم المستلزم لامساك ايديهم الكثيرة عنه مضيعا على نفسه منافع عظيمة فيكون بحسب قصده لنفع ما مضيعا لما هو اعظم منه فيكون مناقضا لغرضه وذلك جهل وسفه وقوله ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة من تمام تأديب الاغنياء بما يعود عليهم منافعه وينتظم به شمل المصلحة في العالم من التواضع ولين الجانب للخلق فاستدرجهم الى التواضع بذكر ثمرته اللازمة له التي هي مطلوبة لكل عاقل وهي استدامة مودة الناس المستلزمة لنفعهم ولعدم ضررهم المستلزمين لصلاح حال المتواضع فيما يصلح بعيضه ويمثل ذلك ادب الله لنبيه صلى الله عليه وآله حيث قال واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقد عرفت ان سر ذلك استجلاب الالفة لهم والمحبة بينهم عند سكونهم اليه ليجتمعوا على قبول اقواله وظاهر ان شيئا من ذلك لا يحصل عند جفاوة الخلق والتكبر كما قال الله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وان حمل لفظ الحاشية على الاتباع والاخدام كان ذلك تأديبا لهم بالتواضع من جهة اخرى وذلك ان حاشية الرجل خاصته هم حرسة عرضه وميزان عقله وعليهم يدور تدبير صلاح حاله فبحسب شدتهم وغلظتهم ولينهم وتواضعهم للناس يكون قرب الناس او بعدهم منه وبغضهم ومحبتهم له وانسهم ونفارهم عنه وقال بعض الحكماء ان سبيل الخدم والقوام من الانسان سبيل الجوارح من الحيوان فحاجب الرجل وجهه وكاتبه قلبه ورسوله لسانه وخادمه يده ورجله وعيناه لان من كفاه تعاطي كل واحد من الافعال المحتاج اليها فقد قام مقامه فيها وكما يلحق الذم من

العقلاء وترك اصلاح اضاله الضالين عن اصلاح جوارحهم كلك بالجفة الذم منهم على ترك اصلاح من يقوم مقامه في تلك الافعال بولده
بتابعها وكما يستديم مودة اخوانه ويستجلب مودة الناس بتواضعه بنفسه ولين جانبه لهم كذلك يستديم بهما شادبسط شيئته وحده
بالاداب المتفق على حسنها بين الناس فاهمها وانفعها في ذلك لين الجانب وترك الكبر المنفر فان اوهام الخلق حاكمة بنسبة كل
خير وشر يجري من حاشية الرجل اليه ونسبته [illegible] ذو هذا الحكم اكثريا وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
ولعمري ما علي من قتال من خالف الحق وخابط الغي من ادهان ولا ايهان فاتقوا الله عباد الله وفروا الى الله من الله وامضوا
في الذي نهجه لكم وقوموا بما عصبه بكم فعلي ضامن لفلجكم ان لم تمنحوه عاجلا **اقول** الادهان والمداهنة المصانعة والايهان
مصدر اوهنه اي اضعفه وخابط الغي بلفظ المفاعلة يخبط كل منهما في الاخر وقد عرفت ان الخبط هو المشي على غير استقامة والغي
الجهل ونهجه اي وضحه وعصبه بكم اي علقه بكم وربطه والفلج الفوز والمنحة العطية وفي هذا الفصل رد لقول من قال انه
مداهن عند محاربته بخلاف قيد ومداهنتهم او الحجز عن محاربتهم فرد ذلك بقوله لعمري ما علي في قوله ولا ايهان اي ليس مصانعتهم
بواجبة على من طريق المصلحة الدينية وليسوا بضعيفين لي ولا علي في قتالهم عجز وفي ذكره عليه السلام لهم بصفة مخالفة الحق ومخابطة
الغي والبغي تنبيه للسامعين واستدراج لهم لقيام عذره في قتالهم ان كانت مقاتلة من هذه صفته واجبة فلا يمكن انكار وقوعها
منه ثم اردف ذلك باوامر **اولها** الامر بتقوى الله وقد علمت ان تقوى الله هي خشيته المستلزمة للاعراض عن كل ما هو مبعد عنه
وهو الزهد الحقيقي كما سبقت الاشارة اليه **الثاني** الامر بالفرار الى الله وهو امر بالاقبال على الله وتوجيه وجه النفس الى كعبة وجوب
وجوده واعلم ان فرار العبد الى الله تعالى على مراتب **فاولها** الفرار عن بعض اثاره الى بعض كما [illegible] من اثر غضبه الى اثر رحمته كما قال
تعالى حكاية عن المؤمنين في التضرع اليه ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا الاية فكانهم لم يروا الا الله
وافعاله ففروا الى الله من بعضها الى البعض **الثانية** ان يفنى العبد عن مشاهدة الافعال ويترقى في درجات القرب والمعرفة
الى مصادر الافعال وهي الصفات فيفر من بعضها الى بعض كما ورد عن زين العابدين عليه السلام اللهم اجعلني اسوة من قد انهضته بتجاوزك
من مصارع المجرمين فاصبح طليق عفوك من اسر سخطك والعفو والسخط صفتان فاستعاذ باحدهما من الاخرى **الثالثة** ان يترقى
عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفر منها اليها كقوله تعالى لا ملجأ من الله الا اليه وكما ورد في الدعاء في القيام الى الصلوة منك
وبك ولك واليك اي منك بدء الوجود وبك قيامه ولك ملكه واليك رجوعه ثم اكد ذلك بقوله لا ملجأ ولا منجأ ولا مفر منك الا
اليك وقد جمع الرسول صلى الله عليه وآله هذه المراتب حين امر بالقرب في قوله تعالى واسجد واقترب فقال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك وهو كلام
عن مشاهدة فعل الله فاستعاذ ببعض افعاله من بعض والعفو كما يراد به صفة العافي كذلك قد يراد به الاثر الحاصل عن صفة العفو
في المعفو عنه كالخلق والصنع ثم لما اقترب فني عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادرها وهي الصفات فقال واعوذ برضاك من سخطك
وهما صفتان ثم لما راى ذلك نقصانا في التوحيد اقترب وترقى عن مقام مشاهدة الصفات الى ملاحظة الذات فقال واعوذ بك
منك وهذا فرار اليه منه مع قطع النظر عن الافعال والصفات وهو اول مقام الوصول الى ساحل العزة ثم للسياحة في لجة الوصول
درجات اخر لا تتناهى ولذلك لما ازداد صلى الله عليه وآله قربا قال لا احصي ثناء عليك فكان ذلك حذفا لنفسه عن درجة الاعتبار في
ذلك المقام واعترافا منه بالعجز عن الاحاطة بما له من صفات الجلال ونعوت الكمال وكان قوله بعد ذلك انت كما اثنيت على نفسك كمالا
للاخلاص وتجريدا [...] المطلق الذي به هو هو عن ان يحكم لغيره وهمي وعقلي اذا عرفت ذلك ظهر ان مقصوده بقوله وفروا الى
الله من الله امر بالترقي الى المرتبة الثالثة من المراتب المذكورة **الثالث** الامر بالمضي فيما نهجه لهم من السبيل الواضح العدل الذي هو وسط
بين طرفي الافراط والتفريط والصراط المستقيم المدلول عليه بالاوامر الشرعية وقد علمت ان الغرض من سلوك هذا السبيل وامثاله
التكاليف التي الزم الانسان بها وعصبت به انما هو تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة بحيث تصير مؤتمرة لها ومتصرفة
تحت حكمها العقلي منقادة لها عن الانهماك في ميولها الطبيعية ولذاتها الفانية وح نعلم ان هذه الاوامر الثلثة هي التي عليها مدار
الرياضة والسلوك الى الله تعالى فالامر الاول والثالث امر بما هو معين على حذف الموانع عن الالتفات الى الله تعالى وعلى تطويع النفس الامارة
والامر الثاني امر بتوحيد السير الى الله وقد تبين فيما مر ان هذه الامور الثلثة هي الاغراض التي يتوجه نحوها الرياضة المستلزمة لكمال
الاستعداد المستلزم للوصول التام ولذلك قال عليه السلام فعلي ضامن لفلجكم آجلا ان لم تمنحوه عاجلا اي اذا قمتم بواجب ما امرتم به من هذه
الاوامر كان ذلك مستلزما للفوز لكم في دار القرار بجنات تجري من تحتها الانهار التي هي الغايات الحقيقية ولمثلها يعمل العاملون وفيها
يتنافس المتنافسون ان لم يتم تأهلكم للفوز في الدار العاجلة فتمنحوه فيها وقد يتم الفوز بالسعادتين العاجلية والآجلية لمن وفق وقويت
همته وكمل استعداده لذلك في علم الله ولما كان حصول السعادة والفوز عن لزوم الاوامر المذكورة امرا واجبا واضح الوجوب في علمه عليه السلام كان
ضامنا له فان قلت ما وجه اتصال هذه الاوامر بصدر الفصل قلت لما كان مقتضى صدر الفصل الحق قوله ولا ايهان هو الاعداد الى

السامعين

اجلا ان

أشر منه

بمعنى المخلوق
بمعنى المصنوع

في بيان خطبة خطبها بعد قتل عثمان في الكوفة

ح ٩

الشامين في قتال مخالفي الحق وكان مفهوم ذلك هو الحث على جهادهم والتنفير عما هم عليه من الطريق الجائر كان كذلك تعقيبه لذلك بذكر
الطريق الواضح المأمور بسلوكه ولزوم جادته والله سبحانه هو الولي الواجب وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام وقد**
تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معوية على البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران
لما غلب عليهما بسر بن أرطاة فقام إلى المنبر ضجرا بتثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي فقال ما هي إلا الكوفة أقبضها و
أبسطها إن لم تكوني إلا أنت تهب أعاصيرك فقبحك الله ثم تمثل لعمر أبيك الخير يا عمرو إنني على وضر من ذا الإناء قليل أنبئت
بسرا قد اطلع اليمن وإني والله لأظن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبمعصيتكم
إمامكم في الحق وطاعتهم إمامهم في الباطل وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم
فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته اللهم إني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني فأبدلني بهم
خيرا منهم وأبدلهم بي شرا مني اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء أما والله لوددت أن لي بكم ألف فارس من بني
فراس بن غنم هنالك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم ثم نزل قال السيد الأرمية جمع رمي وهو السحاب
والحميم وقت الصيف وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا وأسرع خفوقا لأنه لا ماء فيه وإنما يكون السحاب
ثقيل السير لامتلائه بالماء وذلك لا يكون في الأكثر إلا في الشتاء وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا والإغاثة إذا استغيثوا
أقول السبب أن قوما بصنعاء كانوا من شيعة عثمن يعظمون قتله فبايعوا عليا على دغل فلما اختلف الناس عليه بالعراق وكان
العامل له يومئذ على صنعاء عبيد الله بن العباس وعلى الجند بها سعيد بن نمران ثم قتل محمد بن أبي بكر بمصر وكثرت غارات أهل الشام
تكلم هؤلاء ودعوا إلى الطلب بدم عثمن فأنكر عليهم عبيد الله بن العباس فتظاهروا بمنابذته على تحبيبهم فكتبوا إلى أصحابهم بالجند فعزلوا
سعيد بن نمران عنهم وأظهروا أمرهم فانضم إليهم خلق كثير أرادوا منع الصدقة فكتب عبيد الله وسعيد إلى أمير المؤمنين عم بخبرهم
فكتب إلى أهل اليمن والجند كتابا يهددهم فيه ويذكرهم الله فأجابوه بأنا مطيعون إن عزلت عنا هذين الرجلين عبيد الله وسعيدا ثم
كتبوا إلى معوية فأخبروه فوجه إليهم بسر بن أرطاة وكان فظا سفاكا للدماء فقتل في طريقه بمكة داود وسليمن ابني عبيد الله بن العباس
وبالطائف عبد الله بن المدان وكان صهرا لابن عباس ثم انتهى إلى صنعاء وقد خرج منها عبيد الله وسعيد واستخلفا عليها عبد الله بن
عمرو بن اراكة الثقفي فقتله بسر ولحق صنعاء فلما قدم ابن عباس وسعيد على علي عم بالكوفة عاتبهما على تركهما قتال بسر فاعتذرا إليه
بضعفهما عنه فقام عم إلى المنبر ضجرا من مخالفة أصحابه له في الرأي فقال ما هي إلا الكوفة الفصل إذا عرفت ذلك فنقول الأعاصير
جمع إعصار وهي ريح تهب بشدة بالتراب والوضر بقية الدسم الدرن الباقي في الإناء بعد الأكل وكل بقية من شيء يقل الانتفاع بها والإلاء بالفتح شجر حسن المنظر
مر الطعم واطلع اليمن أي غشيها سيدالون أي يصير الأمر لهم والدولة والإدالة الغلبة والقعب القدح الضخم وماث الشيء إذا أذابه واعلم أن الضمير في قوله ما
هي إلا الكوفة وإن لم يجر لها ذكر في اللفظ إلا أن تضجره من أهلها مثل ذلك وخوضه في تدبيرها أمرا وتصورها في ذهنه يجري مجرى
الذكر السابق لها وأقبضها خبر ثان أو لمبتدأ محذوف تقديره أنا ويحتمل أن يكون الضمير للقصة وأقبضها خبر عن الكوفة ونظيره
في الاستعمال قوله تعالى إنها لظى نزاعة للشوى ويفهم من هذا الكلام حصر ما بقي له من البلاد التي يعتمد عليها في الحرب ومقابلة العدو
في الكوفة وهو كلام في معرض التحقير لما هو فيه من أمر الدنيا وما بقي له من التصرف الحق بالنسبة إلى ما لغيره من التصرف الباطل
وأقبضها وأبسطها كنايتان عن وجوه التصرف فيها أي أن الكوفة والتصرف فيها بوجوه التصرف حقير بالنسبة إلى سائر البلاد
التي عليها الخصم فما عسى أصنع بتصرفي فيها وما الذي أبلغ به من دفع الخصم ومقاومته وهذا كما يقول الرجل في تحقير ما في يده
من المال القليل إذا رام به أمرا كثيرا إنما هو هذا الدينار فما عسى أبلغ به من الغرض وقوله فإن لم تكوني إلا أنت تهب أعاصيرك عدل
من الغيبة إلى الخطاب والضمير بعد إلا تأكيد للذي قبلها والجملة الفعلية بعده في موضع الحال وخبر كان محذوف ولفظ الأعاصير
يحتمل أن يحمل على حقيقته فإن الكوفة معروفة بهبوب الأعاصير فيها ويحتمل أن يكون مستعارا لما يحدث من آراء أهلها المختلفة التي هي منبع
الغدر والتثاقل عن ندائه ووجه المشابهة ما يستلزمه المستعار منه من الأذى والإزعاج وتقدير الكلام فإن لم تكوني إلا أنت
على تخلي وجهتك التي بها العدل وحظا من الملك والخلافة مع ما عليه حالك من المقام فقبحا لك وقوله قبحك الله بعد ذكر وجه الذم
لأجل استصغاره لأمرها وتمثل بالبيت لعمر أبيك الخير ومعنى تمثيله به راجع إلى أنه على بقية من هذا الأمر كالوضر القليل في الإناء وهو تمثيل
على وجه الاستعارة فاستعار لفظ الإناء للدنيا ولفظ الوضر القليل فيه للكوفة ووجه المشابهة ما يشترك فيه الكوفة والوضر
من الحقارة بالنسبة إلى ما استولى عليه خصمه من الدنيا وما اشتمل عليه الإناء من الطعام ومن روى الإلاء فإنما أراد أني على بقية
من هذا الأمر كالقدر الحاصل للناظر إلى الإلاء من حسن المنظر مع عدم انتفاعه منه بشيء آخر ويكون قد استعار لفظ الإلاء لسائر
بلاد الإسلام ولفظ الوضر لما في يده وهو من حسن المنظر استعارة في الدخيل الثابتة وإنما خص الكوفة دون البصرة وغيرها لأن

زد ثم قال عم نبئت

الالاء

ويستعار

طعم و

في بيان خطبة خطبها بعد قتل العثمان في الكوفة

جمهور من كان يعتمد عليه من الحرب انهم اهل الكوفة وقوله انبئت بسرا الى قوله منكم شروع في استنفارهم الى الجهاد فاعلمهم اولا بحال
بسر وخروج اليمن من ايديهم ثم خوفهم بما حكم به من الظن الصادق ان سيدال القوم منهم ثم اعقب ذلك بذكر اسباب توجب وقوع ما حكم به
وهي الامارات التي عنها حكم فذكر اربعة امور من قبلهم هي اسباب الانتقال واربعة امور من قبل الخصم مضادة لها هي اسباب القهر
ورتب كل امر بمقابل ضده ليظهر لهم المناسبة بين افعالهم وافعال خصومهم فيدعوهم باعثا الدين والمروة الى الفرار من سوء الراي
فالاول من افعال الخصم الاجتماع والتوازر وان كان على الباطل وهو التفرق لغيرهم عن الحق في البلاد والاول من افعالهم ما يضاد
ذلك وهو تفرقهم عن حقهم اي نصرتهم المستحق لهم ما ثبت على الامر **الثاني** من افعال الخصم الطاعة للامام الجائر فيما يامرهم من
الباطل ومن افعالهم معصية امام الحق في امره بالحق **الثالث** للخصم اداؤهم للامانة الى صاحبهم وهي لزوم عهده والوفاء ببيعته
ومن افعالهم ضد ذلك من الغدر والخيانة في العهد وتركهم لوازم الثبات في القتال وعصيانهم الامر حتى صار الغدر مثلا لاهل الكوفة
الرابع صلاح القوم في بلادهم اي انتظام امورهم فيها الناشئ عن طاعة امامهم ومن افعالهم ما يضاد ذلك من فسادهم في بلادهم
بخروجهم عن طاعة امامهم وظاهر ان الامور الاربعة المذكورة من افعال الخصم من اسباب صلاح الحال وانتظام الدولة ولزوم الغلبة و
القهر وان الامور الاربعة المضادة لها من افعالهم من اقوى الاسباب الموجبة للانقلاب والانقهار وقوله فلو ائتمنت احدكم على
قعب لخشيت ان يذهب بعلاقته مبالغة في ذمهم بالخيانة على سبيل الكناية عن خيانتهم للامانات في عهده على قبول اوامر الله
وقوله اللهم اني قد مللتهم وملوني شكاية الى الله سبحانه منهم وعرض لما في ضميره وضمائرهم بحسب ما شهدت به قرائن
احوالهم والملال والسام مترادفان وحقيقة اعراض النفس عن الشيء اما لفتور القوى البدنية وكلالها عن كثرة الافاعيل واما لاعتقاد
النفس عن دليل وامارة يتبين لها ان ما تطلبه غير ممكن لها وهذان السببان كانا موجودين لسامه عليه السلام من افعالهم فانه لم يبق
منهم ولم يدع عليهم حتى عجزت قواه عن التطلع الى وجوه صلاحهم وانصرفت نفسه عن معالجة احوالهم لاعتقاده ان تقويمهم غير ممكن له
واما سامهم منه فما لاعتقادهم ان مطالبته التي كانوا اريدوها لهم غير ممكنة متداركة لكثرة تكرار اوامره بالجهاد والذب عن دين الله
والمواظبة على اوامر الله على قواهم الضعيفة التي هي مع ضعفها مشغولة بغير الله فلذلك تنصرف نفوسهم عن قبول قوله وامتثال اوامره
ثم اردف ذلك الشكاية بالتضرع الى الله تعالى في الخلاص منهم ثم بالدعاء عليهم فدعا الله لنفسه اولا ان يبدله خيرا منهم اما في الدنيا
فقوما صالحين ينظرون بنور الله بعد عليهم فيحاصرون له الدين واما في الاخرة فقوما عرفوا في مطالعة انوار كبرياء الله فاستقام على منازل
جنته واسنى مراتب كرامته قوما انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا والمراد
الخير منهم في الدنيا هو الارجح في الذهن لما يتمناه بعد من قوله عن الفراش ثم دعا الله لهم ان يبدلهم شرا منه فان قلت ان صدور
مثل هذا الدعاء منه عليه السلام مشكل من وجهين احدهما انه يقتضي ان يكون هو ذا شر وقد ثبت انه كان منزها عن الشر والثاني
انه كيف يجوز منه ان يدعو بوجود الشر ووجود الاشرار قلت الجواب عن الاول من وجهين احدهما ان صيغة افعل التفضيل كما ترد
لاثبات الافضلية كذلك قد ترد لاثبات الفضيلة وح يحتمل ان يكون مراده من قوله شرا مني اي ابدلهم بمن فيه شر غيري الثاني ان يكون
شرا مني بحسب اعتقادهم ان في شرا عليهم واعتقادهم انه نوع شر يوجب كونه كذلك وعن الثاني من وجهين احدهما انه لما كان في دعاء
الله ان يبدلهم من هو شر منه مصلحة فانه حسن منه ذلك بيان المصلحة من وجهين احدهما ان صدور ذلك الدعاء منه عليهم مبعد
منهم ويسمع من اعظم الاسباب المخوفة الجاذبة لاكثرهم الى الله تعالى وذلك مصلحة ظاهرة الثاني ان نزول الامر الذي دعا به عليهم بعد ما
بينه لهم على فضله وبعد كونهم انه لم يصبهم ذلك الا لتركهم اوامر الله تعالى وخروجهم عن طاعته فيتنبهوا من مسالك الغي والضلال الى واضح
سبيل الرشاد ويكون ذلك بلاء من الله لهم الثاني لعله انما دعا عليهم والفساد الى واضح سبيل الرشاد ويكون ذلك بلاء من الله لهم
الثاني لعله انما دعا عليهم لعلمه انه لا يرجى صلاحهم فيما خلقوا لاجله ثم ابدعوهم اليه ومن لا يرجى صلاح حاله مع فساد نظام العالم
بوجوده ولزوم هلاكه فهلاكه مطلوب لله سبحانه فعدمه اولى من وجوده فكان دعاؤه عليهم اذن مسددا اليه وعلى ذلك يحمل ايضا دعاؤه
عليهم اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء ونحوه وذلك تاس منه بالسابقين من الانبياء صلى الله عليهم في التضجر من قومهم والشكاية
الى الله تعالى ودعائهم عليهم كنوح ع اذ قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا الايات رب انهم عصوني ثم
ختم بالدعاء على من لم يرج صلاحه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الاية وكلوط اذ قال للقوم اني لعملكم من القالين وغيرهما
من الانبياء والمراد بالميث المدعو به يشبه ان يكون ما يحصل في القلب من الانفعال عن الغم والخوف ونحوهما وذلك ان الغم اذا وقع لزمه
تكاثف الروح القلبي للبرد الحادث عند انطفاء الحرارة الغريزية لشدة انقباض الروح واختفائه فيحس في القلب بانفعال شبيه
ما يعرض الملح من ذلك في الحقيقة الم او مستلزم له فيحسن ان يكون مرادا له ويحتمل ان يكون كناية عن اسباب من الغم والخوف فكانه
طلب من الله ان يقبض لهم منهم اذ ما نوا قلبه بفساد افعالهم ويروى ان اليوم الذي دعا عليهم فيه ولد فيه الحجاج بن يوسف وروي انه

ثم افعاله

منهم

والدعاء

في ذكر بعض أسباب البعثة

ولد بعد ذلك اليوم بأوقات يسيرة وقتل الحجاج بأهل الكوفة ظاهر وما ذكره مشهور وقوله اما والله لوددت ان لي بكم الف فارس من بني فراس
بن غنم بفتح المعجمة بيانا لمن ذكر بيانا للخبر من الذين طلبهم الامام من الله مجملا عوضا بهم وبنو فراس حي من تغلب ابوهم غنم بفتح الغين وسكون النون
وهو غنم بن تغلب بن وائل وانما خص هذا البطن لشهرتهم بالشجاعة والحمية وسرعة اجابة الداعي واما البيت فهو لابي جندب الهذلي واما ما ذكره
السيد الرضي رضه ووجه تمثيله ع بهذا البيت ان هؤلاء القوم الذين تمنى انهم كانوا له عوضا عن قومه بصفة الفوارس الذين اشار
اليهم الشاعر في المبادرة الى اجابة الداعي والاجتماع على دفع الضيم عنهم ونصرتهم فلذلك تمناهم عوضا ومقصوده في جميع ذلك ذمهم
وتوبيخهم وتحقيرهم بتفضيل غيرهم عليهم وتسفيه آرائهم لما هم عليه من التثاقل عن دعوة الداعي الى دين الله وبالله التوفيق والعصمة

ومن خطبة له عليه السلام ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله نذيرا للعالمين وامينا على التنزيل وانتم معشر العرب على شر دين وفي
شر دار منيخون بين حجارة خشن وحيات صم تشربون الكدر وتأكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون ارحامكم الاصنام فيكم منصوبة
والآثام بكم معصوبة **اقول** الاناخة الاقامة بالمكان تقول انخت الجمل اذا اقمته والحيات الصم هي التي لا تنزجر بالصوت كانها لا تسمع وربما يراد بها الصلبة الشديدة
والجشب هو الطعام الغليظ الخشن ويقال هو الذي لا ادام معه ومعصوبة مشدودة واعلم انه ع افتتح هذا الفصل بحمد الله وذمها
منه ابتداء بذكر النعمة وذكر بعض اسباب البعثة فانه لما كانت الغاية منها هو جذب الخلق عن دار الغرور الى الواحد الحق وكان ذلك
الجذب تارة بالانذار وتارة بالبشارة ذكر هنا النذارة وخصها بالذكر لانها السبب الاقوى في الردع فان غامة الخلق وجمهورهم قلما يلتفتون
الى ما وعدوا به في الآخرة اذا قابلوا ذلك بلذاتهم الحاضرة فان تلك امور غير متصورة لهم الا بحسب الوصف الذي انما يكشف لهم عن امور محسوسة
تشبه ما هم فيه او اضعف عندهم ثم ان نيلها مشروط بشرائط صعبة في الدنيا تكدر عليهم ما هم فيه من حاضر لذاتهم مع بعدها عن الشروط
والتكاليف ايضا فلذلك قل ما يلتفتون الى الوعد عما هم فيه فكان السبب الاقوى في الردع والالتفات الى الله انما هو الانذار والتخويف
فاذا انضم اليه الوعد فاد المجموع الغاية ولما كان مقصوده ع في هذا الموضع التوبيخ المطلق للعرب وتوبيخ قلوبهم المشتملة على الضغائن
والقسوة كان الاليق به هنا ذكر انذار النبي صلى الله عليه وآله ليتذكروا بذلك تفصيل الانذارات الواردة في القرآن والسنة ثم اردف ذلك بذكر
كونه امينا على التنزيل ليتذكروا ان الانذارات الواردة هي من عند الله تعالى اتى بها الرسول بحيث لا يتطرق اليها تبديل او زيادة او نقصان
فيأكدي في قلوبهم ما قد علموه من ذلك ليكون ادعى لهم الى الانفعال عن اقواله ثم شرع في ذكر خاص احوالهم التي كانوا عليها اذ الواو
في قوله وانتم للحال اي حال ما كنتم بهذه الصفات بعث محمد او ذكر احوالهم في معرض الذم فذكر انهم كانوا على شر دين وهو عبادة الاصنام
من دون الله واعظم بذلك افتضاحا لمن عقل فانه اشرك الشرك بعد معرفة الله سبحانه ولا احسبه عند سماع هذا التوبيخ الا خجلا اما فرط في جنب
الله وبقوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا ثم اردف ذلك بتذكيرهم ما كانوا فيه من شر دار والدار يحتمل ان يراد بها ارض الحجاز وبين كونها شر
ديار فبين احوالهم اما في مساكنهم فبانا خمتهم بين الحجارة السود الخشن التي لا انتفاع بها ولا نبات والحيات الصم التي لا علاج لسمومها ووصفها بالصمم
لان حيات تلك الارض على غاية من القوة وحدة السم ولا سبيل الى الطب عليها واما في مشربهم فلانهم لغالب على المياه التي يشربونها ان يكون
كدرة لا يكاد غيرها يعتادونها ان يقبل عليها مع العطش الا عند الضرورة والسبب الغالب في ذلك عدم اقامتهم بالمكان الواحد بل هم ابدا في الحل
والارتحال فلا يحتفرون المياه ويصلحونها الا ريثما هم عليها وربما كان بعضهم يحفر وبعضهم يشرب منا هلهم توضيح ذلك واما
ماكلهم فجشوبتها ظاهرة فانك تجد عامتهم يأكل ما دب من حيوان وسئل بعض العرب اي الحيوان تاكلون في البادية فقال نأكل كل ما دب
ودرج الا ام حبين فقال السائل لتهن ام حبين العافية قال صاحب المجمل وام حبين دويبة قدر كف الانسان وبعضهم يخلط الشعر بنوى
التمر ويطحنها ويتخذ منها خبزا وروي انهم كانوا في ايام المجاعة يلوثون اوبار الابل بدم القراد ويجففونها فاذا يبست دقوها وصنعوها
طعاما واما في سفكهم الدماء بعضهم لبعض وقطع ارحامهم فظاهر فان الولد كان يقتل اباه وبالعكس واما نصبهم للاصنام وعصب الآثام
بهم في جاهليتهم فغني عن البيان ولفظ العصب مستعار للزوم الآثام لهم في تلك الحال عن معناه الاصلي وهي استعارة لفظ المحسوس
للمعقول او بين معقول ومحسوس وانما ذكرهم ع بهذه الاحوال لينبههم انه بسببه صا كانوا عليه من تلك الحال في لاشدة
ذلك كله اذ بدلوا بما كانوا فيه من فساد احوالهم في الدنيا صلاح حالهم فتحوا المدن وكسروا الجيوش وغنموا الملوك وغنموا اموالهم كما قال
نعم في المنة عليهم وتذكيرهم انواع ما انعم عليهم به واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وجعل لهم الذكر الباقي والشرف الباقي
كل ذلك زيادة على هدايتهم الى الاسلام الذي هو طريق دار السلام وسبب السعادة الباقية وانما كان ذلك بسبب مقدم محمد صلى الله عليه
وآله اليهم واعلم ان سياق هذا الكلام يقتضي مدح النبي صلى الله عليه وآله فيما حذف من هذا الفصل بعده ليبني عليه مقصوده وفيه تنبيه على دوام ملاحظة
السامعين لنعمة الله عليهم فلا يحصوا استحقاقهم لتمام العبادة غاية احوالهم ويكونون في وجل من خوف زوالها والله يهدي من يشاء الى
الصراط مستقيم **ومنها** فنظرت فاذا ليس لي معين الا اهل بيتي فضننت بهم عن الموت واغضيت على القذى وشربت على الشجى و
صبرت على اخذ الكظم وعلى امر من طعم العلقم **اقول** ضننت بكسر النون اي بخلت ونقل الفراء بالفتح ايضا واغضيت على كذا اي اطبقت عليه

عليهم

الحرارة

جبين ذر

فيها

في بيان اقتصاص حاله عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في امر الخلافة

حقيقة والقذى ما يسقط في العين فيؤذيها والشجى ما يعترض في الحلق عند الغيظ ونحوه والاكباد تنبيغ الاذى التي معه التراب فقد نفسه مرا واخذ
بكظمه اي بمجرى نفسه والعلقم شجر بالغ المرارة ويضرب به المثل في كل مر واعلم ان هذا الفصل يشتمل على اقتصاص صورة حاله بعد
وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في امر الخلافة وهو اقتصاص في معرض التظلم والشكاية ممن يرى انه احق منه بالامر فاشار الى انه فكر في امره فاما وثوبه
للدفاع عن هذا الحق الذي يراه اولى به وراى انه لا ناصر له الا اهل بيته وهم قليلون بالنسبة الى من لا يراه ومن يعين عليه فانه لم يكن
له معين يغلب على الظن الانجاح هاشم كالعباس وبنيه وابي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ومن يخصهم وضعفهم وقلتهم عن مقاومة جمهور
الصحابة ظاهر فظن بهم على الموت لعلمه انهم لو قاموا معه لقتلوا ثم لا يحصل على مقصوده وبما ضن بهم عن الموت لزم ما ذكره من الامور وهي
الاغضاء على القذى وكنى بالاغضاء على القذى عن صبره عن القيام متكانيه باستعارة ووجه المشابهة بينهما استلزامهما الالم البالغ وبالقذى
عما يعتقده ظلما في حقه وكذلك قوله وشرب على الشجى ملاحظة لوجه الشبه بين ما يجري له من الامور التي توجب له الغضب والغبن وبين
الماء الذي يشرب على الشجى وهو استلزامهما الاذى وعدم التلذذ بالاساغة ولذلك استعار لفظة الشرب وكذلك قوله وصبر على اخذ
الكظم وعلى امر من العلقم فيه استعارات حسنة للفظ اخذ الكظم كنى بها عن اخذ الوجوه عليه وتضييق الامر فيما يطلبه ولفظ المرارة التي
هي حقيقة في الكيفية المخصوصة للاجسام لما يجده من الالم بسبب فوت مطلوبه ووجه المشابهة فيما بين الاستعارتين لزوم الاذى
ايضا واما ان الذي وجده امر من العلقم فظ اذ لا نسبة للالم الحسي في الشدة الى الالم النفساني واعلم انه قد اختلف الناقلون لكيفية
حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فروى المحدثون من الشيعة وغيرهم اخبارا كثيرة ربما خالف بعضها بعضا بحسب اختلاف الاهواء فمنها ما رواه
الذي عليه جمهور الشيعة ان عليا عليه السلام امتنع من البيعة لابي بكر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وامتنع معه جماعة من بني هاشم كالزبير وابي سفيان
بن الحرث والعباس وبنيه وغيرهم وقالوا لا نبايع الا عليا وان الزبير شهر سيفه فجاء عمر في جماعة من الانصار فاخذ سيفه فضرب
به الحجر فكسره وحملت جماعتهم الى ابي بكر فبايعوه وبايع معهم علي كرها وقيل ان عليا اعتصم ببيت فاطمة وعلموا انه مفرد فتركوه
روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين انه كان يقول لو وجدت اربعين ذوي عزم لقاتلت ومنها وهو الذي عليه جمهور المحدثين
من غير الشيعة انه امتنع من البيعة ستة اشهر حتى ماتت فاطمة فبايع بعد ذلك طوعا وفي صحيح مسلم والبخاري كانت وجوه الناس
مختلفة اليه وفاطمة لم تمت بعد فلما ماتت انصرفت وجوه الناس عنه فخرج وبايع ابا بكر وعلى الجملة فحال الصحابة في اختلافهم
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وما جرى في سقيفة بني ساعدة وحال علي في طلب هذا الامر والعاقل اذا اطرح العصبية والهوى عن نفسه
ونظر فيما نقله الناس في هذا المعنى علم ما جرى بين الصحابة من الاختلاف والاتفاق وهل بايع علي طوعا او هل ترك المقاومة عجزا او
اختيارا ولما لم يكن غرضنا الا تفسير كلامه كان الاشتغال بغير ذلك تطويلا وفضولا خارجا عن المقصود ومن رام ذلك فعليه بكتب
التواريخ **ومن خطبة له عليه السلام** يذكر فيها عمرو بن العاص ولم يبايع معوية حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا
فلا ظفرت يد البايع وخزيت امانة المبتاع فخذوا للحرب اهبتها واعدوا لها عدتها فقد شب لظاها وعلا سناها
واستشعروا الصبر فانه ادعى الى النصر **اقول** خزيت اي ذلت وهانت والاهبة الاستعداد واعدوا اي هيئوا وعدة الحرب
ما يعد لها من الالات والسلاح وشب لظاها اي اوقدت نارها واثيرت وروى شب للبناء للفاعل اي ارتفع لهبها والسنا
مقصورا الضوء والشعار ما يلي الجسد من الثياب ويلازمه اعلم ان هذا الفصل من اقتصاص كلام ذكره في حال عمرو بن العاص مع معوية
فذكر انه لم يبايعه حتى شرط ان يؤتيه على بيعته ثمنا وذلك انه لما نزل علي بالكوفة بعد فراغه من امر البصرة كتب الى معوية كتابا يدعوه
فيه الى البيعة فاهمه ذلك فدعا قوما من اهل الشام الى الطلب بدم عثمن فاجابوه واراد الاستظهار في الامر فاشار عليه اخوه عتبة
بن ابي سفيان بالاستعانة بعمرو بن العاص وكان بالمدينة فاستدعاه فلما قدم عليه وعرف حاجته اليه تباعد عنه وجعل يمدح
عليا في وجهه ويفضله ليخدعه عما يريد منه فمن ذلك ان معوية قال له يوما يا ابا عبد الله اني ادعوك الى جهاد هذا الرجل الذي
عصى الله وشق عصا المسلمين وقتل الخليفة واظهر الفتنة وفرق الجماعة وقطع الرحم فقال عمرو ومن هو قال علي فقال والله يا معوية ما انت وعلي
بحملي بعير ليس لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا علمه والله ان له مع ذلك لحظا في الحرب ليس لاحد غيره ولكني قد تعودت
الله احسانا وبلاء جميلا فما تجعل لي ان بايعتك على حربه وانت تعلم ما فيه من الغرر والخطر قال لك حكمك قال له مصر طعمة فلم يزل
معوية يتلكأ عليه ويماطله وهو يمتنع من مساعدته حتى رضي معوية ان يعطيه مصر فعاهده على ذلك فبايع عمرو معوية وكتب له بمصر كتابا
وكتب له بمصر كتابا فذلك معنى قوله ولم يبايع معوية حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا ثم اردف ذلك بالدعاء على البايع لدينه وهو
عمرو بعدم الظفر في الحرب وبالثمن بقوله فلا ظفرت يد البايع والحقه بالتوبيخ والذم للمبتاع بذكر هوان امانته عليه وهي بلاد المسلمين
واموالهم التي افاءها الله عليهم ويحتمل ان يكون اسناد الخزي الى الامانة اسنادا مجازيا او على سبيل اضمار الفاعل بهمزة المبتاع اي
والخزي للمبتاع في امانته بخيانته لها وذهب بعض الشارحين الى ان المراد بالبايع معوية وبالمبتاع عمرو وهو ضعيف لان الثمن اذا كان

اوكرها

للمبتاع

في بيان ترغيب الناس الى الجهاد

مصر اما المتبادر هو معاوية بما اظهر من دعوة معاوية لاهل الشام ومبايعة عمرو له كان ذلك من دلائل الحرب فلذلك امر اصحابه بالتأهب لها
واعداد عدتها وكنى عما ذكرناه من امارات وقوعها بقوله وقد شب لظاها وعلا سناها كناية بالاستعارة ووجه المشابهة بين لهب النار
وسناها وامارات الحرب كونها علامات على امرين هما مظنة الهلاك ومحل الفتنة ويحتمل ان يكون اطلاق لفظ الاشتعال مجازا
ثم اردف ذلك بالامر بالصبر في الحرب واستشعاره اما ان يراد به اتخاذه شعارا على وجه استعارة من الثوب الملاصق للجسد او يراد اتخاذه
علامة لان اشعار القوم علامتهم ايضا ويحتمل ان يكون اشتقاقا من الشعور اي لتكن في شعوركم الصبر وان كان الاشتقاق فيه
يردون الشعار بالمعنى الثاني الى الشعور وقوله فان ذلك ادعى للنصر بيان لفائدة اتخاذ الصبر شعارا او علامة اما ان كان
المقصد الزموا انفسكم الصبر فظاهر لان لزوم الصبر من اقوى اسباب النصر وان كان المقصد اتخذوه علامة فلان من كان الصبر في الحرب
علامته لم يعرفه الخصم بها كان الخصم يتصوره فامنه ادعى الى الانقهار كان الاستشعار لذلك العلامة ادعى الى القهر والنصر وان كان
المراد اخطاره بالبال فلانه سبب لزومه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** اما بعد فان الجهاد باب من ابواب
الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب
الذل وشمله البلاء وديث بالصغار والقماءة وضرب على قلبه بالاسهاب وديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع
النصف الا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزي
قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الاوطان هذا اخو غامد قد وردت
خيله الانبار وقتل حسان بن حسان البكري وازال خيلكم عن مسالحها ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على
المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ما تمتنع منه الا بالاسترجاع والاسترحام ثم
انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا اريق له دم فلو ان امرءا مسلما مات من بعد هذا اسفا ما كان به ملوما بل
كان به عندي جديرا فيا عجبا عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفرقكم عن حقكم
فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم
بالسير اليهم في ايام الحر قلتم هذه حمارة القيظ امهلنا يسبخ عنا الحر واذا امرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم هذه
صبارة القر امهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا فرارا من الحر والقر فاذا كنتم من الحر والقر تفرون فانتم والله من السيف
افر يا اشباه الرجال ولا رجال حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفة والله جرت
ندما واعقبت سدما قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا وجرعتموني نغب التهمام انفاسا وافسدتم
علي رايي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله ابوهم وهل احد منهم
اشد لها مراسا واقدم فيها مقاما مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها انا ذا قد ذرفت على الستين ولكن لا راي لمن
لا يطاع **اقول** هذه الخطبة مشهورة ذكرها ابو العباس المبرد وغيره والسبب المشهور لها انه ورد عليه علج من اهل الانبار فاخبره ان
سفيان بن عوف الغامدي قد ورد في خيل لمعاوية الى الانبار وقتل عامله حسان بن حسان البكري فصعد عليه السلام المنبر وخطب الناس
الناس وقال ان اخاكم البكري قد اصيب بالانبار وهو معتز لا يخاف ما كان واختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا اليهم حتى تلاقوهم فان اصبتم
منهم طرفا انكلتموهم عن العراق ابدا ما بقوا ثم سكت رجاء ان يجيبوه بشيء فلم ينبس احد منهم بكلمة فلما راى صمتهم نزل وخرج يمشي راجلا حتى
احاط به قوم من اشرافهم وقالوا ارجع يا امير المؤمنين ونحن نكفيك فقال ما تكفونني ولا تكفون انفسكم فلم يزالوا به حتى ردوه الى منزله فبعث
سعيد بن قيس الهمداني في ثمانية الاف في طلب سفيان بن عوف فخرج حتى انتهى الى ادنى ارض قنسرين وقد فاتوه فرجع وكان علي
في ذلك الوقت عليلا فلم يقو على القيام في الناس بما يريده من القول فجلس بباب السدة التي تصل الى المسجد ومعه الحسن والحسين عليهما السلام
وعبد الله بن جعفر ودعا سعدا مولاه فدفع اليه كتابا كتب فيه هذه الخطبة وامره ان يقرأها على الناس بحيث يسمع ويسمعون وفي
رواية المبرد انه لما انتهى اليه ورود خيل معاوية الانبار وقتل حسان بن حسان خرج مغضبا يجر ثوبه حتى اتى النخيلة ومعه الناس فرقي رباوة
من الارض فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال الخطبة وفي رواية المبرد انه صلوات الحال واظهر وروى انه قام اليه
رجل في اخر الخطبة ومعه ابن اخ له فقال يا امير المؤمنين اني وابن اخي هذا كما قال تعالى رب اني لا املك الا نفسي واخي فمرنا بامرك فوالله لننتهين
اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد فدعا لهما بخير وقال واين تقعان مما اريد ولنرجع الى التفسير فنقول الجنة ما استتر
به من سلاح او غيره وديث اي ذلل ومنه الديوث الذي لا غيرة له والصغار الذل والضيم والقماءة مهموز مصدر قمؤ قماءة فهو
قمئ الحقارة والذل وروى الراوندي انها بالقصر وهو غير معروف واسهب الرجل بالبناء للمفعول اذا ذهب عقله من اذى يلحقه وادبل
الحق من فلان اي غلبه عليه وعادوه وسامه خسفا بضم الخاء وفتحها اي اولاه ذلا وكلفه المشقة والنصف بكسر النون وسكون الصاد الاسم

في بيان ترغيب الناس الى الجهاد

من الاغصان وضم النون الغصون وبعض الشي اصله والتواكل ان يكل كل واحد منهم الامر الى صاحبه ويعتمد عليه فيه وشن الغارة وان شنها فرقها عليهم من كل نحو وطلسد فيل من اليمن وهي من الانظار مشنوءة والمسالح جمع مسلحة وهي الحدود والتي ترتب فيها ذوو الاسلحة مخافة غارة العدو كالثغر والمعاهدة الذمية والحجل بكسر الحاء وفتحها الخلخال والقلب السوار والرعاث جمع رعثة بفتح الراء وسكون العين وفتحها وهي القرط والرعاث ايضا ضرب من الخرز والحلي والاسترجاع قول انا لله وانا اليه راجعون والاسترحام مناشدة الرحم والوافر التام والكلم الجرح والترح الحزن والغرض الهدف وحمارة القيظ بتشديد الراء شدة حره وسبخ الحر فتر وخف وصبارة القر بتشديد الراء ايضا شدة البرد ويتسلخ ينقضي وربات الحجال النساء والحجال جمع حجلة وهي بيت العروس يزين بالستور والثياب السكك الحزن والندم والقيح ما يكون في القرحة من المدة والصديد وشحنتم ملأتم والنغب جمع نغبة بضم النون وهي الجرعة والتهمام الغم والهم والمراس العلاج وذرفت بتشديد الراء على الستين اي زدت واعلم ان قوله اما بعد الى قوله وقع النصف من الخطبة تبين فيه غرضه اجمالا وهو الحث على الجهاد فانه ما ذكر امر الجهاد وتعظيمه وحظا من قصر عنه وعلم من دأب امره انه يبعث الناس مغبين على جهاد عدوهم فذكر من مدائح الجهاد امورا احدها انه باب من ابواب الجنة وبيانه ان الجهاد تارة يراد به جهاد العدو الظاهر كما هو المراد ههنا وتارة يعني به جهاد العدو الخفي وهو النفس الامارة بالسوء وكلاهما باب من ابواب الجنة واما الثاني منهما فهو بواسطة الاول اذ هو لازم له وذلك انك علمت ان لقاء الله سبحانه ومشاهدة حضرة الربوبية هي ثمرة الجنة وغاية شوقها الاكبر ثم قد ثبت بالضرورة من دين محمد ان الجهاد احد ابواب الخمس وتبين ايضا في علم السلوك الى الله ان العبادات الشرعية هي التمرينة والمعينة على تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وان التطويع كيف يكون وسيلة الى الجنة التي وعد المتقون فيعلم من هذه المقدمات ان الجهاد الشرعي باب من ابواب الجنة نعم يعبر الجاهد السالك الى الله الى الباب الاعظم للجنة وهو الوصول ونفي الشيطان ومن دخوله على هذا السر يعلم ان الصلوة والصوم وسائر العبادات كلها ابواب للجنة انه كان مثالها على الوجه المأمور بها مسالك للوصول الى الجنة فان باب كل شيء هو ما يدخل اليه منه ويتوصل به اليه ونحوه قول الرسول في الصلوة انها مفتاح الجنة وفي الصوم ان للجنة بابا يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون الثاني من ارباب الجهاد انه باب فتحه الله لخاصة اوليائه والمراد بخواص الاولياء المخلصون له في المحبة والعبادة فان المجاهد لله لا لغرض اخر من خواص الاولياء وذلك ان المرء المسلم اذا فارق اهله وولده واقدم على من يغلب على ظنه انه اقوى منه كالمسلمين بان يثبت احدهم لعشرة من الكفار ثم يعلم انه لو قهره لقتله واستباح ذريته وهو في كل تلك الاحوال صابر شاكر معترف بالعبودية لله مسلم امره الى الله فذلك هو الولي الحق الذي ذا اعرض عن غير الله راسا فهو شيطانه فهو وابتغى ان يطيع امره فان قلت لما كان الغرض من العبادات هو جهاد الشيطان والاخلاص لله وكان تخصيص الوصفين المذكورين للجهاد امر في ذلك المعنى لم يتوجه لسائر العبادات ترتيبه عليه فما معنى قول الصحابة رجعوا من جهاد المشركين رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قلت يحتمل معنيين احدهما ان الجهاد الظاهر ليس كل غرضه الذاتي هو جهاد النفس بل ربما كان من اعظم اغراضه الذاتية هو قهر العدو الظالم ليستقيم الناس على الدين الحق وينتظم امرهم في سلوكه ولذلك دخل فيه من لا يريد منه الا ذلك كالمؤلفة قلوبهم وان كانوا كفارا وذلك بخلاف سائر العبادات اذ غرضها ليس الا جهاد النفس ولا شك انه هو الجهاد الاكبر اما اولا فلان مضرة العدو فان مضرة العدو الظالم مضرة دنياوية فانية ومضرة الشيطان مضرة اخروية باقية ومن كانت مضرته اعظم كان جهاده اكبر واهم واما ثانيا فلان مجاهدة الشيطان مجاهدة عدو لازم ومع ذلك فلا يزال يخادع ازار الانسان لغرضه الا بالخروج في زي الناصحين الاصدقاء ولا شك ان الاحتراز من مثل هذا العدو اصعب وجهاده اكبر من جهاد عدو مظهر للعداوة ربما يقاتله الانسان في عمره مرة او مرتين فحسن لذلك تخصيص الجهاد بالاصغر ومجاهدة النفس بالاكبر المعنى الثاني انا وان قلنا ان الغرض من الجهاد الاصغر هو جهاد النفس الا ان جهادها في حال جهاد العدو الظاهر قد يكون اسهل وذلك ان القوى البدنية كالغضب والشهوة يثور ان عند منازعة العدو طلبا للدفع ويصيران مطيعين للنفس لا لمناسبة فيما تراه وتأمر به فلا يكون عليها كثير كلفة في تطويع تلك القوى بخلاف سائر العبادات فان طباع تلك القوى معاكسة فيها لرأي النفس فلذلك كان جهادها في سائر العبادات اصعب واكبر من جهادها في حال الحرب والله اعلم الثالث كونه لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة واستعار لفظ اللباس والدرع والجنة ورشح الاستعارتين الاخيرتين بوصف الحصانة والوثاقة ووجه المشابهة ان الانسان يتقي به شر العدو وسوء العذاب يوم القيمة كما يتقي بثوبه ما يؤذيه من حر او برد وبدرعه وجنته ما يخشاه من عدوه ثم اردفه بمادح الجهاد بتوعد من تركه رغبة عنه من غير عذر يوجب تخلفه بامور منفورة عنها تبعا منها انه البسه الله ثوب الذل واستعار لفظ الثوب للذل ولفظ اللباس لشموله له ووجه المشابهة احاطة الذل به بالوصف كاحاطة الثوب بلابسه وان يشمله بلاء الله ويضربه الله بالصغار والقماءة وان يضرب على قلبه بالاسهاب اي يذهب وجه عقله العملي في تدبير مصالحه اما الحوقيا الذلة فلان كثرة غارات العدو وتكررها سبب موجب لتوهم تهوره وتوقعه وذلك مما ينفعل عنه النفس

مقابل
وما لدم
الجهاد م
القوى م
احاطة الصفة

بالاقتصار

في بيان ترغيب الناس الى الجهاد

بالانفها رما الذل وتحدثهن لشمول بلا امر وتذهب بحيرة فعلها في استخراج وجوه المصالح في فتقه وتعقله وتقدم انما لفظا انما مما لكم
من حكم طمعها في مفاسد او المشوبتها الخوف فرجح الخطر وحبه المصلحة واطلاق لفظ الضرب على قلبه استعار ثم ومترتب عليهم الفائدة
ووجه التشبيه فيها الحالة الغير المرتبة بين فيها او لزوم قلة العقل له كلزوم الطين الضرب على الحائط ويحتمل ان يراد بالاسباب كثرة
الكلام من غير فائدة فان الانسان حال الخوف والذل كثيرا ما يخبط في القول ويكثر من غير اصابة برديه وكذلك الخوف باتي الامور كما انه
الحق منه وغلبة العدو له وكل انقضاء فرضه امر كان عن ترك جهاد عدوه مع التمكن من ذلك وهي امور منفورة منها طبعا وبعض
مجال عن الحقيقة الذي رتبه وقد ورد في التنزيل الالهي من فضل الجهاد والحث عليه امور كثيرة كقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين
غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وقوله فضل الله المجاهدين
على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وقوله وجاهدوا في الله حق جهاده وقوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ونحو
ذلك قوله الا وانى قد دعوتكم اه لما ذكر فضل الخطبة ابتدأ بتفصيل غرضه فيما اجمله فيه وهو حثهم على الجهاد وتوبيخهم على تركه فنبههم
اولا على ما كان من غاية البرهان من قتال معوية واصحابه مرارا كثيرة وذكرهم نصيحته السابقة لهم في امرهم بغزوهم قبل ان يغزوهم
وبتذكيرهم بما كان اعلمهم او لا من القاعدة الكلية المعلومة بالتجربة والبرهان وهو انه ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا وقد اشرنا
الى سر ذلك وهو ان للاوهام افعالا عجيبة في الابدان تارة بزيادة القوة وبعضا بنقصانها فان الوهم ربما كان سببا لمرض الصحيح لتوهمه
لتوهم المرض وبالعكس فكان السبب في ذل من غزي في داره وان كان معروفا بالشجاعة هو الاوهام اما اوهامهم فلانها تحكم بانها
لم تقدم على غزوهم الا لقوة غالبة عليهم واعتقادهم فيهم الضعف بالنسبة اليه فينفعل انفسهم عن تلك الاوهام وتنفر عن المقاومة
وتضعف عن الانبعاث وتنفعل عنهم وتجبن فيحصل على طرف رذيلة الذل واما اوهام غيرهم فلان الغزو الذي الجأهم يكون
باعثا لكثير الاوهام على الحكم بضعفهم ومحركا الطمع فيهم فيحصل لهم احكاما وهمية بعجزهم عن المقاومة ثم انه اردف ذلك
بما ثار ملوا به نصيحته من تواكلهم وتخاذلهم عن العمل بمقتضى امره الى غاية ظهور العدو عليهم وتفرق الغارات من كل جانب على
اوطانهم بعد ذلك ثم عقب تذكر العدو المغلوب بذكره في شخص معين مشاهد بينهم عليه ليكونوا الى التصديق بظهور العدو
عليهم اميل ونص عليهم ما احل من ورود خيله دارهم وقتله عاملهم وازاله خيلهم عن ثغورهم ومسالحهم وهتك المسلمات والمعاهدات
وسلب اموال المسلمين وساير ما عدده على الوجه المذكور مما هو مستغن عن الايضاح ثم ختم ذلك التفصيل بالاولى ان يلحق المسلم
ذا الغيرة والحمية من الاسف والحزن المميت له بسبب ما تقدم من الاحوال المنكرة الواقعة بالمسلمين مع تقصيرهم في مقاومة عدوهم
كل ذلك التقرير ليهيج غضبهم ويحسن معه توبيخهم وذمهم على التقصير فيما يبعثهم من امتثال امره وقبول مشورته فيما هو الاولى ثم
اردف ذلك بالتعجب من حالهم تأكيدا لذلك التمهيد فنادى بالتعجب من حالهم منكر التعجب لكانه غير متعين في حال ثم
بين بذاته وحضر وكرره ليصفهم بالشدة ونصبه على المصدر كانه لما احضره قال عجبت عجبا اشله كذا ونحوه المنادى قوله
ثم بالبشرى في قراءة من قرأ بغير اضافة ويحتمل ان يكون التعجب الاول منصوبا على المصدر بفعل اتاني تأكيدا لما ذكرناه ويكون المنادى
محذوفا فالتقدير يا قوم ونحوه واما وصفه بانه يميت القلب ويجلب الهم فاعلم ان السبب في التعجب من الامر عدم اطلاع النفس على اسبابه
لغموضها مع كونه في نفسه امرا عجيبا ولذلك وضع اهل اللغة قولهم ما افعل صيغة للتعجب كقولك ما احسن زيدا وعلمت ان التعجب
فيها السؤال عن اسباب حسنه وكلما كان القرع اسبابا اخفى كان التعجب فيه اكثر اخطر بها واشتغال النفس في طلب سببه فقد تعجز
من تحصيله وتكل القوة المتخيلة عن تفتيشه فيحصل بسبب عدم الاطلاع على سببه تم وغم للنفس كالمرض الذي لا يمكن علاجه الا بالوقوف على سببه
فيسمى ذلك الهم موتا للقلب مجازا لفظ الموت على الهم والغم تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه واطلاقا لاسم المسبب على السبب اذا عرفت ذلك فنقول ان حال قوم
في تفرقهم عن حقهم مع علمهم بحقيقته وحال اجتماعهم على باطلهم مع اشتراكهم في الشجاعة وكون قوم واثقين برضا الله ثم امتثالهم امره من
التعجب المميت للقلب لانه لا يهتدى لسببه واما انه يجلب الهم فظاهر اذ كان حال من حالهم كحال الطبيب الذي يراه نعلا اليهم مع خطر امرضهم وعدم
ما يلايمه من حمية او شرب دواء وكان تلك الحال مما يجلب الهم للطبيب لما اشتمل التعجب ووصفه بالشدة اعقبه بذكر الامر المتعجب منه ليكون في نفوسهم
اوقع ثم اردف ذلك التعجب بالدعاء عليهم بالبعد عن الخير وبالحزن بسبب تفريطهم واعقبه بالتوبيخ لهم والتبكيت بما يأنف منه اهل المروة
والحمية ويوجب لهم الخجل والاستحياء من صيرورتهم بسبب تقصيرهم غرضا للرماة يغار عليهم وقد كان الاولى بهم ان يغيروا ويغزون وقد كانوا هم
بالمعروف يعصى الله مع رضاهم بذلك ثم حكى صور اعذارهم في التخلف عن امره وهي تارة شدة الحر ويجعلونها من الاعذار التي يغيرون العاقل
منها ملمح الكسل والفتور وانه لم يكن لهم بها مقصود الا المدافعة ثم تسلم تلك الاعذار منهم واستثناها وجعلها متضادا للاحتجاج
عليهم بقوله فانتم والله من السيف افر وذلك ان الفار من الاهون فار من الاشد بطريق الاولى الاولى اذ الاهونا سيتر

لشدة الحر والبرد مع القتل والجهالة بالشيئية ثم اردف ذلك التبكيت بالذم لهم بثلثة اوصاف **احدها** انه نفى عنهم صفة الرجولية لاشتمالهما على ما ينبغي من صفات الكمال الانساني كالشجاعة والانفة والحمية والعزم وعدم قبول الكمالات فيهم وان كانوا بالصورة المحسوسة للرجال الموجبة لشبههم بهم وذلك قوله يا اشباه الرجال ولا رجال **وثانيها** انه وصفهم بحلوم الاطفال وذلك ان ملكة الحلم ليس بحاصل للطفل وان كانت قوة الحلم حاصلة له لكن قد يحصل له ما يتصور بصورة الحلم كعدم التسرع الى الغضب عن خيال يرضيه وغالب احواله ان يكون ذلك في غير موضعه والذي يحصل له ملكة تكسب نفسه طمأنينة كما في حق الكاملين فهو انه نقصانا نعلى كان تاركوا امره عليه السلم بالجهاد فقد تركوا القتال وحلما عن انكر كم الحرب بصفين عن خدعة اهل الشام لهم بالسلامة وطلب المحاكمة الى كتاب الله ورفع المصاحف فقالوا اخواننا في الدين لا يجوز لنا قتالهم كان ذلك حلما في غير موضعه حتى كان من امرهم ما كان فاشبه رضوا الصبيان فاطلق اسمه عليه **وثالثها** الحاقه عقولهم بعقول النساء وذلك للمشاركة في النقصان وعدم عقليتهم لوجوه المصالح المخصصة بتدبير المدن والحرب ثم انه تمنى عدم معرفتهم لاستلزامها الندم على الدخول في امرهم والحزن من تقصيرهم في الذب عن الدين لان المتولى للامر يغلب على ظنه استغنائه منهم حتى اذا دخل فيه وطلب النشاط وجدهم غير ممكن له الاحتمال وان يندم على تضييع الوقت ثم يحزن على عدم امكانه وهو حاله عليه السلم مع اصحابه ولذلك حزنت الانبياء عم على تقصير اممها حتى عاتبهم الله تعالى على ذلك كقوله لمحمد صلعم ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين ثم عاد الى الدعاء عليهم والشكاية منهم وذلك قوله قاتلكم الله الى اخره واعظم بما دعا عليهم فان المقاتلة لما كانت مستلزمة للعداوة والمعاداة مستلزمة للاحكام كاللعن والطرد والبعد من الشفقة والخير من جهة العدو وكان اطلاق المقاتلة والعداوة على الله بحسب حقيقتهما غير ممكن كان اطلاق لفظ المقاتلة والعداوة مقصودا به لوازمهما كالابعاد عن الرحمة مجازا قال المفسرون معنى قول العرب قاتلكم الله اى لعنكم قال ابن الانبارى المقاتلة من القتل فاذا اخبر الله بها كان معناها اللعنة لان من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك وقوله لقد ملأتم قلبي قيحا اشارة الى بلوغ الغاية في التألم الحاصل له من شدة الاهتمام بامرهم مع تقصيرهم وعدم طاعتهم للاوامر فعبر بالقيح عن الم القلب مجازا من باب اطلاق اسم الغاية على ذي الغاية اذ كان غاية الم العضو ان يتقيح وكذلك اطلاق لفظ الشحن على فعلهم المولم للقلب مجاز لان الشحن حقيقة في نسبة بين جسمين وكذلك قوله وجرعتموني نغب التهمام انفاسا اى جلبتم لى الهم وقتا فوقتا مجاز لان التجرع عبارة عن ادخال الماء او نحوه في الحلق وطرو ابال الهم على نفسه وما يلزم الهم من الالام البدنية على بدنه فتكرار غصصه ثم يشبه طريان المشروب بجرعه وقوله انفاسا مجاز في الدفعة لتناسبه فان النفس حقيقة لغوية في الهواء الداخل والخارج في بدن الحيوان من قبل الطبيعة ثم استعمل عرفا في المقدار ما يشرب في مدة ادخال الهواء ونفس الحاجة اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق ثم استعمل هيهنا في كل مقدار من الهم يرد عليه من قبل اصحابه وقتا فوقتا وهي درجة ثانية من المجاز وقوله وافسدتم رايي بالعصيان من تمام شكايته منهم ومعنى افسادهم له خروجه بسبب عدم التفاتهم اليه عن ان يكون منتفعا به لغيرهم حتى قالت قريش انه وان كان رجلا شجاعا الا انه غير عالم بالحرب فان الخلق اذا راوا من قوم سوء تدبير او مقتضى راي فاسد كان الغالب ان ينسبوا الى ملكيهم ومقدمهم ولا يعلمون انه الا لخى الذي يرى الراي كان قد راى وقد سمع ان التقصير من قومه ثم اردف ذلك بالرد على قريش في نسبتها له الى قلة العلم بالحرب بقوله لله ابوهم الى اخره وهي كلمة من مدائح العرب ثم سالهم عن وجود من هو اشد للحرب مراسا منه واقدم منه فيها مقاما سؤالا على سبيل الانكار عليهم ونبه على صدقه بتوضيح في الحرب معاناة احوالها عامة عمره وهو من قبل بلوغ العشرين الى اخر عمره ثم بين ان السبب في فساد حال اصحابه ليس ما تخيله قريش فيه من ضعف الراي في الحرب كما زعموا بل عدم طاعتهم له فيما يراه ويشير عليهم به وذلك قوله ولكن لا راى لمن لا يطاع فان الراي الذي لا يقبل بمنزلة الفاسد وان كان صوابا والمثل له عليه السلم و

ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع وان الاخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع الا وان اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار افلا تائب من خطيئته قبل منيته الا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه الا وانكم في ايام امل من ورائه اجل فمن عمل في ايام امله قبل حضور اجله فقد نفعه عمله ولم يضرره اجله ومن قصر في ايام امله قبل حضور اجله فقد خسر عمله وضره اجله الا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة الا واني لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها الا وانه من لم ينفعه الحق يضرره الباطل ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال الى الردى الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد وان اخوف ما اخاف عليكم اثنتان اتباع الهوى وطول الامل فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به انفسكم غدا قال الرضي رح واقول لو كان كلام يأخذ بالاعناق الى الزهد في الدنيا ويضطر الى عمل الاخرة لكان هذا الكلام وكفى به قاطعا لعلائق الامال وقادحا زناد الاتعاظ والازدجار ومن اعجبه قوله عم الا وان اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار فان فيه مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه سرا عجيبا ومعنى لطيفا وهو

يا لكم

دفتر في ايام عمله قبل حضور اجله

قوله عليه السلم

قوله عم والسبقة الجنة والغاية النار فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين ولم يقل والسبقة النار كما قال والسبقة الجنة لان الاستباق
انما يكون الى امر محبوب وغرض مطلوب وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجودا في النار نعوذ بالله منها فلم يجز ان يقول والسبقة
النار بل قال والغاية النار لان الغاية قد ينتهي اليها من لا يسره الانتهاء اليها ومن يسره ذلك فصلح ان يعبر بها عن الامرين معا
فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل قال الله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار ولا يجوز في هذا الموضع ان يقال فان سبقتكم الى
النار فتأمل ذلك فباطنه عجيب وغوره بعيد لطيف وكذلك اكثر كلامه عم وقد جاء في رواية اخرى والسبقة بضم السين والسبقة
بضم السين والسبقة عندهم اسم لما يجعل للسابق اذا سبق من مال او عرض والمعنيان متقاربان لان ذلك لا يكون جزاء على فعل
الامر المذموم وانما يكون جزاء على فعل الامر المحمود **اقول** هذا الفصل من الخطبة التي اولها الحمد لله غير مقنوط من رحمته ويجيء
بعد وانما قدمه الرضي عليها لما سبق من اعتذاره في خطبة الكتاب انه لا يراعي التتالي والتنسق في كلامه عم وقوله ادبرت اي ولت دبره
وآذنت اي اعلمت واشرفت اي اطلعت والمضمار المدة التي تضمر فيها الخيل للمسابقة اي تعلف حتى تسمن ثم ترد الى القوت والمدة
اربعون يوما وقد يطلق على الموضع الذي تضمر فيه ايضا والسباق مصدر مرادف للمسابقة وهو ايضا جمع سبقة كنطفة ونطاف
او سبقة كجلة وجلال او سبق كجمل وجمال والسبقة اسم لما يجعل للسابق من مال او عرض والمنية الموت والبؤس شدة الحاجة
ويحرمون يحفظون واعلم ان هذا الفصل يشتمل على احد عشر تنبيها **الاول** على وجوب الفرار عن الدنيا وعدم الركون اليها وذلك
بقوله الا وان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع واشار بادبار الدنيا واعلامها بالوداع الى تقضي الاحوال الحاضرة بالنسبة الى كل شخص
شخص من الناس من صحة وشباب وجاه ومال وكل ما يكون سببا لصلاح حال الانسان وان كل ذلك اجزاء للدنيا الدنية فان الانسان
ولما كانت هذه الامور ابدا في التغير والتقضي المقتضي لمفارقة الانسان لها وبعده عنها لا جرم حسن اطلاق اسم الادبار على
تقضيها وبعدها استعارة تشبيها لها بالحيوان في ادباره وقيل لكل امر يكون الانسان فيه من خير او شر اذا كان في اوله اقبل واذا كان
في آخره وبعد تقضيه ادبر وكذلك اسم الوداع فان التقضي لما استلزم المفارقة وكانت مفارقة الدنيا مستلزمة لاسف الانسان
عليها ووجده بها اشبه ذلك ما يفعله الانسان في حق صديقه المرتحل عنه في وداعه من الاسف على فراقه والحزن والبكاء
ونحوه فاستعير اسم الوداع له وكنى باعلامها بذلك عن الشعور الحاصل بمفارقتها من تقضيها شيئا فشيئا وهو اعلام بلسان الحال **الثاني**
التنبيه على الاقبال على الآخرة والتيقظ للاستعداد لها بقوله الا وان الآخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع ولما كانت الآخرة عبارة
عن الدار الجامعة للاحوال التي يكون الناس عليها بعد الموت من سعادة وشقاوة والم ولذة وكان تقضي العمر مقربا للوصول الى تلك
الدار والحصول فيما تشتمل عليه من خير او شر حسن اطلاق لفظ الاقبال عليها مجازا ثم نزلها لشرفها على الدنيا في حال اقبالها منزلة الغائب
عند سافل فاسند اليها لفظ الاشراف ولاجل احصاء الاعمال الدنيوية فيها منزلة عال مطلع فاطلق عليها لفظ الاطلاع ويحتمل ان
يكون اسناد الاشراف بكيفية الاطلاع الى رب الآخرة وانما عبر بالآخرة عنه تعظيما لجلاله كما يكنى عن الرجل الفاضل بمجلسه وحضرته
ويكون كيفية الاطلاع قرينة ذلك **الثالث** التنبيه على وجوب الاستعداد بذكر ما يستعد لاجله وهو السباق وذكر ما
يستبق اليه وهو غاية المقصر المتخلف عن ذكر الله وذلك قوله وان اليوم المضمار الى قوله والغاية النار وكنى باليوم عن عمر الانسان الباقية
له واخبر بالمضمار عنها واعلم انه قد ورد المضمار والسباق مرفوعين ومنصوبين فاما رفع المضمار فلانه خبر ان واليوم اسمها وانما
اطلق اسم المضمار على تلك المدة لما بينهما من المشابهة فان الانسان في مدة عمره يستعد بالتقوى ويرتاض بالاعمال الصالحة لتكمل
قوته فيكون من السابقين الى لقاء الله والمقربين في حضرته كما يستعد الفرس بالتضمير لسبق مثله واما نصبه ففيه سؤال ذكره الشارحون وهو
ان يقال ان المضمار زمان واليوم زمان فلو اخبرنا عنه باليوم لكان ذلك اخبارا بوقوع الزمان في الزمان فيكون الزمان محتاجا
الى زمان آخر وذلك محال وجوابه لا نسلم ان الاخبار بوقوع الزمان محوج للزمان الى زمان آخر فان بعض اجزاء الزمان قد يخبر
عنها بالزمان بمعنى انها اجزاؤه والجزء في الكل لا بمعنى انها حاصلة في زمان آخر وان كان انما يحسن الاخبار عنها به اذا قيد بوصف
واشتملت على حدث يختص بها كما تقول ان مصطبح القوم اليوم فكذلك المضمار لما كان وقتا مشتملا على حدث صح الاخبار عنه باليوم
واما نصب السباق فلانه اسم ان اي وان غدا السباق وكنى بغد عما بعد الموت واما رفعه فلا وجه له الا ان يكون مبتدأ وخبره غدا و
يكون اسم ان ضمير الشأن وقال بعض الشارحين يجوز ان يكون خبرا وهو ظاهر الفساد لان الحكم بشيء على شيء اما بمعنى انه هو كما يقال
الانسان هو الضحاك وهو ما يسميه المنطقيون حمل المواطاة او على ان المحكوم عليه ذو المحكوم به كما يقال الجسم ذو بياض وهو ما يسمونه
حمل الاشتقاق ولا واحد من المعنيين بحاصل في الحكم بالسباق على غد اذ يمتنع ان يكون غد نفس السباق او ذا سباق اللهم الا على تقدير حذف المضاف و
اقامة المضاف اليه مقامه اي ان غدا وقت السباق لكن لا يكون السباق هو الخبر في الحقيقة ثم ان قلنا ان السباق مصدر كان التقدير
ضمروا انفسكم اليوم فانكم غدا تستبقون وتحقيق ذلك ان الانسان كلما كان اكمل في قوتيه النظرية والعملية كان وصوله الى الحضرة المقدسة

قبل الوصول من هو انقص منه ولما كان سبب النقصان في هاتين القوتين اتباعه ومحبته ما عدا الحق الواحد واتباع الشهوات والميل الى
انواع اللذات المتباينة والاعراض بسببها عن التوجه الى القبلة الحقيقية وسبب الكمال فيهما هو الاعراض عما عدا الواحد الحق من الامور
المعدودة والاقبال عليه بالكلية وكان الناس في محبة الدنيا والاعراض عنها والاستكمال بطاعة الله على مراتب مختلفة ودرجات
متفاوتة كان كون اليوم هو المضمار ... السباق منصورا جليا فان كل من كان اكثر استعدادا واقطع لعلائق الدنيا عن قلبه
لم يكن له بعد الموت عائق يعوقه عن الوصول الى الله وما اعد له في الجنة من الثواب الجزيل بل كان خفيف الظهر ناجيا من ثقل الاوزار
كما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وآله بقوله نجا المخففون وكما سبق من اشارته عليه السلام الى ذلك بقوله تخففوا تلحقوا فيكون بعد الموت سابقا ومن كان
اضعف استعدادا لشدة ومن تشبث عقائده بالهيئات البدنية والملكات الرديئة قلبه واثقلت الاوزار ظهره واوجب له التخلف عن درجة
السابقين الاولين وكل يكون سبق هذا بالنسبة الى من هو انزل استعدادا منه واشد علاقة للدنيا بقلبه فكان معنى المسابقة
ظاهرا وان كان استعارة من السباق المتعارف بين العرب وان قلنا ان السباق جمع سبقة اسما لما يستبق اليه ويجعل للسابق فالمعنى
ايضا ظاهر فان ما يستبق اليه انما يكمل الوصول اليه بعد المفارقة ويكون الاستباق اما قبل المفارقة وهو السعي في درجات الرياضات
كما اشار اليه سبحانه بقوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا الآية وقوله فاستبقوا
الخيرات او بعد المفارقة كما اشرنا اليه ويكون قوله بعد ذلك والسبقة الجنة تعيينا للمستبق اليه بعد التنبيه عليه اجمالا واو
اما قوله والغاية النار فالذي ذكره الرضي رضه في تخصيص الجنة بالسبقة والنار بالغاية حسن وكاف في بيان مراده عليه السلام الا
انه يبقى هاهنا بحث وهو ان هذه الغاية من اي الغايات هي وهل هي غاية حقيقية ام لا ... غاية فنقول ان ما ينتهي اليه قد يكون بسوق
طبيعي وقد يكون بسوق ارادي وكل واحد منهما قد يكون ذاتيا وقد يكون عرضيا فالسوق الذاتي منهما يقال له غاية اما طبيعية
كاستقرار الحجر في حيزه عن حركته بسوق طبيعته له اليه واما ارادية كغايات الانسان من حركاته المنتهي اليها بسوق ارادته واما
المنتهى اليه بالسوق العرضي فهو من لوازم احدى الغايتين وقد يسمى غاية عرضية فاللازم عن الطبيعية كمنع الحجر غيره ان يحل
بحيث هو فان ذلك من لوازم استقراره في حيزه وعن الارادية كاستضاءة الجار بسراج جاره فان ذلك من لوازم استضاءته
وكهلاك الطاير في حبائل الصياد عن الميل الى التقاط حبة اذا عرفت ذلك فنقول ان كون النار غاية بهذا المعنى الرابع وبيانه
ان محبة الدنيا والميل اليها والانهماك في مشتهياتها سواء كان معها مسكة للانسان بالله تعالى او لم يكن فان من لوازمها الانتهاء
الى النار الا ان يشاء الله كما قال تعالى من يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وكان المقصود الاول للانسان
هو تناول اللذات الحاضرة ولكن لما كان من لوازم الوصول الى تلك اللذات والاقبال عليها دخول النار والانتهاء اليها كانت
عرضية **الرابع** التنبيه على التوبة قبل الموت وهو قوله افلا تائب من خطيئته قبل منيته ولا شك انها يجب ان تكون مقدمة
على الاعمال لانك علمت ان التوبة هي انزجار النفس العاقلة عن متابعة النفس الامارة بالسوء لجاذب الهي طلعت معه على قبح
ما كانت عليه من اتباع شياطينها وهو من مقام الزهد والتخلي وقد علمت في بيان كيفية السلوك الى الله تعالى ان مقام التخلية
فكان الامر بها مقدما على الامر بسائر الطاعات **الخامس** التنبيه على العمل للنفس قبل البؤس والاشارة الى ما بعد الموت
والعذاب اللازم للنقصان اللازم عن التقصير في العمل اذ الواصل الى يوم بؤسه على غير عمل سيرته بيد شياطينه وقد علمت ان غاية
الاسترسال في مدة التسلطان دخول النار والحجب عن لقاء رب العالمين ولما كان العمل هو المعين على قهر الشياطين والخلاص
من اسرهم نبه على ذلك ثم اردفه بالتنبيه على وجود الزمان الذي يمكنهم فيه العمل وهو ايام املهم للعمل وعيرهم على ان الزمان منقطع
بحضور الاجل ثم اردفه ببيان فائدة العمل في ذلك الزمان وهي المنفعة بالثواب في الآخرة وما يلزمها من عدم مضرة الاجل وببيان
ثمرة التقصير في العمل فيه وهي خسران العمل المستلزم لمضرة الاجل وحسن استعارة لفظ الخسران لفوات العمل فان الخسران لفوات
الكمال فان الخسران في البيع لما كان هو انتقاص في راس المال او ذهاب جملته وكان العمل هو راس مال العامل الذي يكتسب
الكمال والسعادة الاخروية لاجرم حسنت استعارة لفظ الخسران لعدم العمل واما استلزام المنفعة لعدم مضرة الموت واستلزام
الخسران لمضرته فهو امر ظاهر اذ كان الكامل في قوتيه المعرض عن متاع الدنيا غير ملتفت اليها بعد المفارقة فلم يحصل له بسببها
تعذيب فكانت المضرة منتفية عنه وكان المقصر عن الاستكمال فيهما منصرف طباعه عن الميل الى اللذات الحسية فاذا قصر عن العمل والتعلق
بطاعة الله الجاذبة اليه فلا بد ان يستضر بحضور الاجل اذ كان الاجل قاطعا لزمان الاستكمال وحائلا بين الانسان وبين ما هو
معشوق له من حاضر اللذات **السادس** التنبيه على وجوب التسوية للعامل بين العمل في الرغبة والعمل في الرهبة وفيه تنبيه التوبيخ
للعبد على غفلته عن ذكر الله واعراضه عن عبادته في حال صفاء اللذات الحاضرة له ومجانبته اليه وفزعه عند نزول النوازل به
يرغا ان ذلك ليس من شأن العبودية الصادقة لله والى مثل هذا التوبيخ اشار التنزيل الالهي بقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل

مقدم على مقام التخلية

ذلك ثم

[illegible]

من تدعون

من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وغير ذلك من الآيات بل من شأن العاقل بمقتضى عقله ان يبادر
عبادته في ازمان شدته ورخائه وخوفه بل الشدة بالصبر والرخاء بالشكر وان يعبده لا لرغبة ولا رهبة وان يعبده لانه اهل لها **السابع**
قوله الا واني لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها واعلم ان الضميرين في طالبها وهاربها يعودان الى المفعول الاول لارى ومحل الكاف
التشبيه في الموضعين والتقدير ولم ار نعمة كالجنة نام طالبها ولا نقمة كالنار نام هاربها ونام في محل النصب مفعولا ثانيا ومعنى
هذا الكلام انه نفى علمه بما يشبه الجنة وما يشبه النار ولم ينف علمه بذات ذلك التشبيه بل علمه من جهة الشبه وهي نوم
الطالب والهارب ولذلك اسند علمه ارى بمعنى اعلم هنا مفعولين اي لم ار نعمة كالجنة بصفة نوم الطالب لها فنفى وجه
الشبه بقوله نام طالبها ثم نفى التشبيه من تلك الجهة وكذلك قوله ولا كالنار بصفة نوم هاربها والمفعول الثاني في الجملتين
صفة جارية على غير من هي له وفيه تنبيه للموقنين بالجنة والنار على كونهم نائمين في مراقد الطبيعة لينتبهوا منها وليتيقظوا
للاستعداد بالعمل التام لما وراءهم من مرغوب ومرهوب فيه وفيه تشبيه التعجب من جمع الموقن بالجنة والنار بين علمه بما في الجنة من تمام النعمة
وتقصيره عن طلبها بما يؤدي اليها من الاعمال الصالحة وجمع الموقن بالنار بين علمه بما فيها من عظيم العذاب وبين نقضه ثم
غفلته عن الهرب الى ما يخلص منها من تلك **الثامن** قوله الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل والضمير في انه ضمير الشان واراد
بالحق الاقبال على الله بلزوم الاعمال الصالحة المطابقة للعقائد المطابقة وبالباطل الالتفات عنه الى غير ذلك مما لا يجدي نفعا
في الآخرة وهو تنبيه على استلزام عدم منفعة الحق لمضرة الباطل في صورة شرطية متصلة وبيان الملازمة فيها ظاهر فان وجود الحق
مستلزم لمنفعته فعدم منفعته اذن مستلزم لوجود الباطل لان اعتقادات المكلف وعمله اما ان يطابقا اوامر الله تعالى او ليس والاول
هو الحق والثاني هو الباطل وظاهر ان عدم الاول مستلزم لوجود الثاني ثم ان وجود الباطل مستلزم لمضرته فظهر بهذا البيان ان عدم
منفعة الحق مستلزم لوجود مضرة الباطل واذا ثبت ذلك فنقول مراده عليه السلام التنبيه بملزوم الحق المستلزم لمنفعته ونفي الباطل
المستلزم لعدم مضرته فان لزوم الطاعة بامتثال اوامره والاقبال عليه مستلزم للوصول الى جواره المقدس والالتفات الى ما
عداه المعبر عنه بالباطل مستلزم للنقصان الموجب للتخلف عن السابقين والهوي في دركات الهالكين وذلك محض المضرة فظهر اذن
سر قوله انه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن غفلة بعض من يدعي العلم عن بيان هذه الملازمة ذهب الى ان الوعيدات الواردة في
الكتب الالهية انما جاءت للتخويف دون ان يكون هناك شقاوة للعصاة محتجا على ذلك بتمثيلات خطابية عن مشهورات في بادي الرأي
اذا تعقبها النظر انت سهمها **التاسع** ومن لا يستقم به الهدى يجر به الضلال الى الردى اراد بالهدى نور العلم والايمان وبالضلال
الجهل والخروج عن امر الله والمعنى ان من لم يكن الهدى دليله القائد له بزمام عقله في سبيل الله ويستقيم به في سلوك صراطه المستقيم فلا بد
وان ينحرف به الضلال عن سواء الصراط الى احد جانبي التفريط والافراط وملازمة هذه الشرطية ايضا ظاهرة لان وجود الهدى لما استلزم
استقامته بالانسان على سواء السبيل كان عدم استقامة الهدى به مستلزما لعدم الهدى المستلزم لوجود الضلال المستلزم للجور
بالانسان الى مهاوي الردى والعدول به عن الصراط المستقيم الى سواء الجحيم **العاشر** قوله الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد
وهو تنبيه على ملاحظة الاوامر الواردة بالظعن كقوله تعالى ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين وكقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم
وعلى الامر باتخاذ الزاد كقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واحسن باستعارة لفظ الظعن للسفر الى الله واستعارة الزاد لما يقرب اليه ووجه
الاستعارة الاولى ان الظعن لما كان عبارة عن قطع المراحل المحسوسة بالرجل والجمل ونحوه فكذلك السفر الى الله عبارة عن قطع المراحل المعقولة
بقدم العقل ووجه الثانية ان الزاد لما كان انما يعد ليتقوى به الطبيعة على الحركة الحسية وكانت الامور المقربة الى الله تعالى مما تتقوى
به النفس على الوصول الى جنابه المقدس كان ذلك من اتم المشابهة التي يقرب معها اتحاد المتشابهين وبحسب قوة المشابهة يكون قوة
حسن الاستعارة **الحادي عشر** التنبيه على اخوف الامور التي ينبغي ان تخاف وتجتنب وهو الجمع بين اتباع الهوى وطول الامل وسيذكر
عليه السلام هذا الكلام في موضع آخر مع ذكر علة التحذير من هذين الامرين وسنوضح معناه هناك ويكفي هيهنا ان يقال انما حسن ذكرهما
عقيب التنبيه على الظعن والامر باتخاذ الزاد لكون الجمع بينهما مستلزما للاعراض عن الآخرة فيكون مستلزما لعدم الظعن وعدم اتخاذ
الزاد فخوف منهما ليجتنبا فيحصل مع اجتنابهما الاقبال على اتخاذ الزاد والتاهب للظعن ولذلك اردف التخويف منهما بالامر باتخاذ الزاد
وفي قوله من الدنيا في الدنيا لطف فان الزاد الموصل الى الله تعالى اما علم او عمل وكلاهما يحصلان من الدنيا في الدنيا اما العمل فلا
شك انه عبارة عن حركات وسكنات تستلزم هيئات مخصوصة انما تحصل بواسطة هذا البدن وكل ذلك من الدنيا في الدنيا
واما العلم فلان الاستكمال به انما يحصل بواسطة هذا البدن ايضا اما بواسطة الحواس الظاهرة والباطنة او بتفطن النفس لمشاركات بين
المحسوسات ومباينات بينها وظاهر ان ذلك من الدنيا في الدنيا واشار بقوله ما تحرزون به انفسكم غدا الى ان كل زاد يعد به الانسان نفسه
للوصول الى جوار الله فقد نجى به من عذابه وحفظ به نفسه يوم لا ينفع مال ولا بنون وقد اشتمل هذا الفصل على استدراجات

في التشبيه

ليتفطنوا ليتيقظوا

لعدم وجود مستلزم

في بيان خطبة خطبها بسبب غارة الضحاك بن قيس

لطيفة لا تنفعل الا عن اوامر الله عند كل امر واذا تأملت اسلوب كلامه وراعيت ما فيه من فخامة الالفاظ وجزالة المعاني المطابقة للبراهين العقلية
وحسن الاستعارات والتشبيهات ومواقعها وصحة ترتيب اجزائه ووضع كل مع ما يناسبه وجدته لا يصدر الا عن علم لدني وفيض الهي
وامكنك الفرق بين كلامه وكلام غيره والتمييز بينهما بسهولة وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ايها الناس
المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤهم كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الاعداء تقولون في المجالس كيت وكيت فاذا جاء
القتال قلتم حيدي حياد ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم اعاليل باضاليل وسألتموني التطويل دفاع
ذي الدين المطول لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق الا بالجد اي دار بعد داركم تمنعون ومع اي امام بعدي تقاتلون المغرور
والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل اصبحت والله لا اصدق قولكم ولا
اطمع في نصركم ولا اوعد العدو بكم ما بالكم ما دواؤكم ما طبكم القوم رجال امثالكم اقولا بغير علم وغفلة من غير ورع
وطمعا في غير حق **اقول** روي ان السبب في هذه الخطبة هو غارة الضحاك بن قيس بعد قصة الحكمين وعزمه على المسير الى الشام
وذلك ان معوية لما سمع باختلاف الناس على علي عليه السلام وتفرقهم عنه وقتله من قتل من الخوارج بعث الضحاك بن قيس في نحو من اربعة
الاف فارس واوعز اليه بالنهب والغارة فاقبل الضحاك يقتل وينهب حتى مر بالثعلبية فاغار على الحاج فاخذ امتعتهم وقتل عمرو بن
عميس بن مسعود ابن اخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وقتل معه ناسا من اصحابه فلما بلغ عليا عليه السلام ذلك استصرخ اصحابه على اطراف اعماله و
استشارهم الى لقاء العدو فتلكأوا ورأى منهم تخاذلا وفشلا فخطبهم هذه الخطبة ولنرجع الى المتن فالاهواء الاراء والوهي الضعف وكيت
وكيت كناية عن الحديث وحاد عن الامر عدل عنه قال الجوهري قولهم حيدي حياد كقولهم فيحي فياح ونقل ان فياح اسم للغارة كقطام وحياد
ايضا اسم لها والمعنى اعدلي عنا ايتها الحرب ويحتمل ان يكون حياد من اسماء الافعال كنزال فيكون قد امر بالتنحي مرتين بلفظين مختلفين والاعاليل
والاضاليل جمع اعلال واضلال وهما جمع علة اسم لما يتعلل به من مرض وغيره وضلة اسم من الضلال ومعنى الباطل والمطول كثير المطال
وهو تطويل الوعد وتسويفه والجد الاجتهاد والاخيب اشد خيبة وهي الحرمان والافوق السهم المكسور الفوق وهو موضع الوتر منه و
الناصل الذي لا نصل فيه وقد اقتص اثره بذمهم على ما يستقبح في الدين ومراعاة حسن السيرة من احوالهم واقوالهم وافعالهم اما احوالهم
فاجتماع ابدانهم مع تفرق ارائهم الموجب لتخاذلهم عن الذب عن الدين والتفرق لشمل مصالحهم واما اقوالهم فكلامهم الذي يضعف عند
سماعه القلوب الصلبة لشدته ويظن سامعه ان تحته نجدة وثباتا وهو قولهم في مجالسهم انا لا نحل لخصومنا وانا سنفعل بهم
كذا وسيكون منا كذا وكذا واستعار لفظ الصم الصلاب من اوصاف الحجارة للقلوب التي تضعف من سماع كلامهم كما شبه القرآن الكريم
بها في كالحجارة او اشد قسوة واما افعالهم فهو تعقيبهم هذه الاقوال عند حضور القتال ودعوتهم الى الحرب بالتخاذل وعدم التناصر و
التقاعد عن جهاد اعداء الله وكراهية الحرب والفرار عن مقاتلة العدو وكنى بقوله قلتم حيدي حياد عن ذلك وهي كلمة كانت تستعملها العرب عند الفرار
ثم ارتدف بالتقاعد ما يانف منه من يطلب الانتصار به على وجه النصح منهم عن كثرة نفاد عذرهم عن صحوتهم وذلك قوله ما عزت دعوة من دعاكم
المستلزم للحكم بذلة داعيهم ولا استراح قلب من قاساكم المستلزم للحكم بتعبه وقوله اعاليل باضاليل خبر مبتدأ محذوف اي واذا
دعوناكم الى القتال تعللتم وهي اعاليل باطلة ضالة عن سبيل الله وسألتموني التاخير وتطويل المدة فاعاد قوله دفاع ذي الدين المطول
يحتمل ان يكون تشبيها لدفاعهم له بدفاع ذي الدين فيكون منصوبا بحذف الجار ويحتمل ان يكون قد استعار دفاع ذي الدين
المطول لدفاعهم فيكون مرفوعا ووجه الاستعارة ان المدين المطول ابدا مشتهي لعدم المطالبة ويود بنفسه ان لا يرى غريمه وكذلك
هم عليه السلام منهم انهم كانوا يحبون ان لا يعرض لهم بذكر القتال ولا يطالبهم به فاستعار لدفاعهم الدفاع المذكور لمكان المشابهة ثم
نبههم على حال الذليل لينبعثوا الى فضيلة الشجاعة بذكر بعض لوازم المفرقة وهو ان صاحبه لا يتمكن من رفع الضيم عن نفسه وعلى قبح
التواني والتخاذل بانه لا يدرك الا بتحقيق الاجتهاد فذلك هو الجد والتشمير في طلبه ثم اعقب ذلك بالسؤال على جهة الانكار و
التقريع عن تعيين الدار التي ينبغي لهم حمايتها بعد دار الاسلام التي لا نسبة لغيرها اليها في العز والكرامة عند الله ووجوب الدفاع عنها
والتي هي موطنهم ومحل دولتهم وكذا قوله ومع اي امام بعدي تقاتلون وفيه تنبيه لهم على فضيلته وما وثقوا به من اخلاص نفسه لله
في جميع حركاته وتثبيتهم على طاعته اذ كان يتوهم في بعضهم الميل الى معوية والرغبة فيما عنده من الدنيا ثم اردف ذلك بذم من اغتر
بكلامهم ونسبته الى الغرور والغفلة ثم بالاخبار عن سوء حال من كانوا حزبه ومن يقاتل بهم **اما الاول** فهو قوله المغرور والله من
غررتموه والقصد بالحقيقة ذمهم وتوبيخهم على خلفهم المواعيد والمماطلة بالقتال والحرب لانه انما ينسب من وثق بهم الى الغرور بعد
خلفهم وعدهم له بالنهوض معه وجعله المغرور مبتدأ ومن خبره ابلغ في اثبات الغرور لمن اغتر بهم من العكس لاقتضاء الكلام اذن
انحصار المغرور في من اغتر بهم من العكس لاقتضاء الكلام اذن انحصار المغرور في من اغتر بهم ولا كذلك لو كانوا من مبتدأ **واما الثاني**
فهو قوله ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل وقد شبه نفسه وخصومهم كاللاعبين بالميسر لا يحط

دار بعدي خ

ذلك م

شبه خصومهم

شبه حصولهم في حقهم بخروج احد السهام الخائبة التي لا غنم لها كالاوغاد التي فيها غرم كالتي لم يخرج حتى استوفيت اجزاء الجزور فحصل نصيبها
غرم وخيبة فلاجل ملاحظة هذا الشبه استعار لهم لفظ السهم بصفة الاخيب واطلاق الفوز هنا مجاز في حصولهم له من باب اطلاق احد
الضدين على الاخر كتسمية السيئة جزاء وكذلك لاحظ المشابهة بين رجال الحرب وبين السهام في كون كل منهما عدة للحرب ودفع العدو
ولاحظها ايضا بين ارسالهم في الحرب وبين الرمي بالسهام فلاجل ذلك استعار اوصاف السهم من الافوق والناصل واستعار لفظ الرمي
لقتالهم بهم ثم خصصهم باردء اوصاف السهم التي يبطل معها فائدة المشابهة بينهم وبين ذلك السهم في عدم الانتفاع بهم في الحرب وكما انه
خصص بعثه لهم للحرب باستعارة الرمي بالسهم الموصوف لزيادة الشبه وهي عدم انبعاثهم عن امره وتجاوزهم اوطانهم كما لو رمي بالسهم الذي
لا فوق له ولا نصل فانه لا يكاد يتجاوز عن القوس مسافة وهي من لطائف ملاحظات المشابهة والاستعارة عنها والمعنى ان من حصلتم
في حيزه والحيز به خاصة له فيما يطلب بكم ومن قاتل بكم عدوه فلا نفع له فيكم ثم ابتدء بالاخبار عن نفسه بامور تشتمل عن اساءة
ظنه بهم وعلمه ويوبخهم باقوالهم بكثرة خلفهم ومواعيدهم الباطلة بالنهوض معه وهي انه لا يصدقهم لانه من اكثر من شيء عرف به ومن
امثالهم ان الكذوب لا يصدق وانه لا يطمع في نصرهم وانه لا يوعد بهم عدوهم اذ كان وعيده بهم مع طول تخلفهم وشعور العدو بذلك
مما يوجب جرأته وتسلطه واما ندبه المقاومة ثم ابتدء بالاستفهام على سبيل الاستنكار والتقريع عن حالهم التي توجب لهم التخاذل و
التقاعد عن نداه وهو قوله ما بالكم ثم عن دوائهم اي الصالح للمرض الذي هم فيه ثم عن كيفية علاجهم منه بقوله وما دواؤكم ما طبكم وقيل
اراد بقوله ما طبكم اي ما عادتكم والاول اظهر واليق ثم نبههم على ما عساهم يتوهمونه من قوة خصومهم وباسهم بانه رجال امثالكم في
الرجولية التي هي مظنة الشجاعة والباس فلا مزية لهم عليكم فلا معنى للخوف منهم ثم عاد الى سؤالهم على سبيل التقريع وبيخهم
على امور لا ينبغي منفور عنها مستقبحة في الشريعة والعادة فاولا عن قولهم ما لا يفعلون وهو اشارة الى ما يعدونه من النهوض
الى الحرب ثم لا يفعلون وذلك بقوله اقولا بغير عمل تذكيرا لهم بما يستلزم ذلك من المقت عند الله كما اشير اليه في القران الكريم لم
تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وعلى الرواية الثانية وهي قوله بغير علم اي تقولون بالسنتكم
ما ليس في قلوبكم ولا تعتقدونه وتجزمون بدعوانا سنفعل كذا وكذا ويحتمل ان يكون معناه تقولون انا مخلصون لله وانا
مسلمون ولا تعلمون شرائط الاسلام والايمان وثانيا عن غفلتهم التي ليست عن ورع وهي عدم تعلقهم بالمصالح التي ينبغي ان يكونوا عليها
وهي طرف التفريط من فضيلة الفطانة وهذه بخلاف الغفلة مع الورع فان تلك نافعة في المعاد اذ كان الورع عبارة عن لزوم الاعمال
الجميلة المستعدة في الاخرة فالغفلة معه عن الامور الدنيوية والمصالح المتعلقة بحر الدنيا لانها ليست بضارة بل ربما كانت سببا للخلاص
من عذابها في الاخرة وثالثا عن طمعهم في غير حق اي في ان يمنحهم ما لا يستحقونه لينهضوا معه ويجيبوا دعوته وكانه عقل من بعضهم ان
احد اسباب تخلفهم عن ندائه انما هو طمعهم في ان يوفر عطياتهم ويمنحهم زيادة على ما يستحقون كما فعل غيره مع غيرهم فاشار الى ذلك فلامهم
على هجره من حيث انه طمع في غير حق والله اعلم **ومن كلام له عليه السلام** في معنى قتل عثمن لو امرت به لكنت قاتلا او نهيت عنه
لكنت ناصرا غير ان من نصره لا يستطيع ان يقول خذله من انا خير منه ومن خذله لا يستطيع ان يقول نصره من هو خير مني وانا جامع
لكم امره استاثر فاساء الاثرة وجزعتم فاساتم الجزع ولله حكم واقع في المستاثر والجازع **اقول** المستاثر بالشيء المستبد به ومقتضى هذا
الفصل تبرئته عليه السلام من الدخول في دم عثمن بامر او نهي كما نسبه اليه معوية وغيره **وقوله** لو امرت به لكنت قاتلا قضية شرطية بين
فيها لزوم كونه قاتلا لكونه امرا وهذا اللزوم عرفي اذ يقال في العرف للامر بالقتل قاتل والامر شريك الفاعل وان كان الفاعل في اللغة
هو المباشر للفعل والقاصد له وكذلك بين في قوله او نهيت عنه لكنت ناصرا لزوم كونه ناصرا لكونه ناهيا وقد عرفت ان
استثناء نقيض اللازم يستلزم نقيض الملزوم واللازمان في هاتين القضيتين هما القتل والنصرة ومعلوم ان القتل لم يوجد منه
بالاتفاق فان غاية ما يقول الخصم ان قعوده عن نصرته يدل على ارادته لقتله وذلك باطل لان القعود عن النصرة قد يكون لاسباب اخرى
كما سنبينه ثم لو سلمنا ان القعود عن النصرة يدل على ارادة القتل لكن ارادة القتل ليس بقتل فان كل احد يحب قتل خصمه لكن لا يكون
بذلك قاتلا وكذلك ظاهر الكلام يقتضي ان النصرة لم توجد منه واذا انتفى اللازمان استلزم نفي امره بقتله ونهيه عنه ويحتمل ان يريد
في القضية الثانية استثناء عين مقدمها لينتج تاليها اي لكني نهيت عنه فكنت ناصرا الا انه لا يخلو اما ان يكون مرتكب المنكر هو
عثمن او قاتلوه وعلى التقديرين فيجب على علي عليه السلام القيام والانكار اما على عثمن فالمساعدة عليه ان كان هو مرتكب المنكر وعلى قاتليه الانكار
عليهم ونصرته فقعوده عن احد الامرين يستلزم الخطاء لكنه لم يخط فلم يكن تاركا لاحد الامرين فالسبب الثاني والجواب انه من القضية
في هذا الموضع ان عثمن احدث امورا انكرها جمهور الصحابة عليه وقاتلوه لاجل تلك الاحداث التي نقلوا انكارها اما احداث عثمن فلم ينته في نظر علي الى
حد يلحق بها القتل وانما استحق في نظره ان ينبهه عليها فلذلك ورد في النقل انه انكرها عليه وحذره من التأسي بغيره كما سيجيء في
كلامه فان صح ذلك النقل ثبت انه انكر عليه ما احدثه لكنه لا يكون بذلك اخلالا في دم احتمال انه لما حدث الناس ولم ينته اغتراره

وان لم يثبت ذلك النقل فالانكار ليس من فروض الاعيان بل هو من فروض الكفايات اذا قام به البعض سقط عن الباقين وقد ثبت ان جمهور
الصحابة انكروا الاحداث من عثمن فلا يتعين وجوب الانكار على علي عم واما حديث قتله فان ثبت انه عم انكر عليهم قلنا
ان من جملة شرائط انكار المنكرات ان يعلم المنكر او يغلب على ظنه قبول قوله او تمكنه من الدفع بيده فلعله عم علم من حالهم انه لا يفيد
انكاره معهم وظن ان الامر كان كذلك اما عدم فائدة انكاره بالقول معهم فلانه نقل عنه عم انه كان بعد الناس سعيا في صلاح الحال بينهم وبين
عثمن وازالة ما نقموه عليه وتكرر منه وعده لهم بذلك ولم يتمكن منه وظنانهم بعد تلك المواعيد لا يلتفتون الى قوله واما
انكاره بيده فمعلوم بالضرورة ان الانسان الواحد او العشرة لا يمكنهم دفع الجمع العظيم من عوام العرب وقد علمهم خصوصا عن طباع
ثابتة وثائرة وجمعها اشد جامع وهو ما نسبوه اليه حقا وباطلا من التحمل من تفريقه مال المسلمين الذي هو قوام حياتهم
سواء كان ما نسبوه اليه ان يكون قد غلب على ظنه انه لو قام في نصرته لقتل معه ولا يجوز للانسان ان يعرض نفسه للاذى
والقتل في دفع بعض المنكرات الجزئية واما ان ثبت انه انكر عليهم كما نقلنا حملنا ذلك النهي على نهيه لهم حال اجتماعهم لقتله
قبل حال قتله وكان قوله ولو نهيت عنه لكنت ناصرا والاعلى عدم المنع من قتله حال قتله لعدم تمكنه من ذلك وعدم افادة
قوله قال بعض الشارحين هذا الكلام بظاهره يقتضي انه ما امر بقتله ولا نهى عنه فيكون دمه عنده في حكم الامور المباحة التي
لا يؤمر بها ولا ينهى عنها قلت هذا سهو لان التبري من الامر بالشيء والنهي عنه غاية ما يفهم منه عدم الدخول فيه والسكوت
عنه ولا يلزم من ذلك الحكم بانه من الامور المباحة لاحتمال ان اعتزاله هذا الامر كان لاحد ما ذكرناه وبالجملة فان اهل التحقيق
متفقون على ان السكوت على الامر لا يدل على حال الساكت بمجرده وان تلك قرينة لحوى ومما يدل على انه كان متبريا من الدخول
في دم عثمن بامر او نهي ما نقل عنه لما سئل ساءك قتل عثمن ام سرك فقال ما ساءني ولا سرني وقيل له ارضيت بقتله فقال
لم ارض فقيل سخطت قتله فقال لم اسخط وهذا كله كلام حق يستلزم عدم التعرض بامره فان من اعرض عن شيء ولم يدخل فيه
بقصد فله ان يقول اني لم اسخط به ولم ارض ولم اسأ به ولم اسر فان السخط والرضا والاساءة والسرور حالات تتوارد على النفس باسباب
تتعلق بها فتخالع تلك الاسباب عن نفسه في امر من الامور كيف يعرض له احد هذه الحالات فيه فان قلت ان كان قتل عثمن منكرا
كان مستلزما لسخطه عم ومساءة منه وقد نقل عنه انه لم يسخط له وذلك يقتضي احد الامرين احدهما انه لا يسخط للمنكر
وهو باطل بالاتفاق والثاني ان قتل عثمن لم يكن عنده منكرا والتقدير انه منكر قلت ان قتل عثمن حيث يستلزم سخطه لكن لا من
حيث انه قتل عثمن بل من جهة كونه منكرا والمنقول انه لم يسخط لقتل عثمن ولا ساءه ذلك اي من جهة كونه قتل عثمن وذلك
لا ينافي ان يسوءه ويسخط من جهة كونه منكرا وفي الجواب غموض فليتفطن ولاجل اشتباه الحال خبط الجهال وفيها يقول شاعر
اهل الشام   وما في علي لمستعتب مقال سوى صحبه المحدثينا   وايثاره اليوم اهل الذنوب ورفع القصاص عن القاتلينا
اذا سئل عنه حذا شبهة وعمى الجواب عن السائلينا   وليس براض ولا ساخط ولا في النهاة ولا الآمرينا   ولا هو ساء
ولا سره ولا بد من بعض ذا ان يكونا   فاما تفصيل الاعتراضات والاجوبة في معنى قتل عثمن وما نسب الى علي من ذلك فمبسوط
في كتب المتكلمين كالقاضي عبد الجبار وابي الحسين البصري والسيد المرتضى وغيرهم فلا نطول بذكرها وربما اشرنا الى شيء
من ذلك فيما بعد وقوله غير ان من نصره لا يستطيع الى قوله خير مني فاعلم ان هذا الفصل ذكره عم جوابا لبعض من انكر بحضرته قعود
من قعد عن نصرة عثمان وجعلهم منشأ الفتنة وقال انهم لو نصروه وهم اكابر الصحابة بهذا الخبر عليه طغام الامة وجهالها
وان كانوا راوا ان قتله وفقا له هو الحق فقد كان يتعين عليهم ان يعرفوا الناس ذلك حتى يرتفع عنهم الشبهة وفهم عليه السلام
ان القايل يعنيه بذلك فاجاب بهذا الكلام تلويحا لا تصريحا اذ كان في محل التهمة التوفي فقره اولا انه لم يكن في ذلك بامر ولا نهي ثم
عاد الى الاستثناء ففرق فيها بين القضيتين ان الذين خذلوه كانوا افضل من الناصرين له انه لا يستطيع ناصروه كمروان و
اشباههم ان يفضلوا انفسهم على خاذليه كعلي نزع المنكر وكطلحة وسائر اكابر الصحابة اذ الفضل والشرف يشهد بافضليتهم وكذلك
لا يستطيع الخاذلون ان يفضلوا الناصرين على انفسهم اللهم الا على سبيل التواضع وليس الكلام فيه فكانه عم سلم تسليم جدل انه
دخل في امر عثمن وكان من الخاذلين له ثم اخذ في الرد على المنكر بوجه اخر فقال غير اني لو سلمت اني ممن خذله لكن الخاذلون
له افضل من الناصرين واذا ثبت هذه المقدمة بهاتين القضيتين وحذفنا الثانية للعلم بها وتقديرها والافضل يجب على
من عداه اتباعه والاقتداء به فينتج هذا القياس انه كان يتعين على من نصره ان يتبع من خذله وهذا لعكس اعتقاد المنكر وقال بعض
ان هذه كلمة فيها شبهة واراد بذلك انه نعى على الناس في كلامه قال ولم يرد التبرؤ من امره وانما اراد الخاذلين لا يلحقهم المفضولية بكونهم
خاذلين له وان الناصرين له لا يلحقهم الافضلية بنصرته والذي ذكره بعيد الفهم من هذا الكلام ويمكن ان يحمل على وجه اخر وذلك
انه انما فرقا افضلية الخاذلين على الناصرين ليسلم هو من التخصيص باللائمة في القعود عن النصرة فكانه قال واذا كان الخاذلون له

الانقياد

افضل من

المجزو
١٠

وقد كان ينبغي ان يكون الجزع منهم بعد ... ابن ابي طالب

افضل من نصره تعين عليهم السؤال عن التخلف وان يستشهد عليهم بحال الناصرين له مع كونهم مفضولين فلم خصصت بالملامة دونهم والمطالبة بدمه لولا الاغراض الفاسدة وقوله وانا جامع لكم امره الى قوله الاثرة اشارة بهذا اللفظ الوجيز اجمالا الى ان كلا من عثمن وقاتليه كانا على طرف الافراط من فضيلة العدل اما عثمن فاستيثاره واستبداده برأيه فيما الامة شركاء فيه والخروج في ذلك الى حد الافراط الذي يفسد معه نظام الخلافة عليه وادى الى قتله واما قاتلوه فلخروجهم في الجزع من فعله الى طرف التفريط عما كان ينبغي لهم من التثبت وانتظار صلاح الحال بينهم وبينه بدون القتل حتى استلزم ذلك الجزع ارتكابهم لرذيلة الجور في قتله فلذلك كان فعله اساءة للاستيثار وفعلهم اساءة للجزع وقيل اراد انكم اسأتم الجزع عليه بعد قتله وقوله ولله حكم واقع في المستأثر والجازع المفهوم من ذلك انه يريد بالحكم الواقع لله في المستأثر هو الحكم المقدر اللاحق لعثمن بالقتل المكتوب بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ وفي الجازع هو الحكم لقاتليه من كونهم قاتلين او ظالمين وجازعين وفي نسبته هذه الاحكام الى الله تنبيه على تبريه من الدخول في امر عثمن وقاتليه بعد الاشارة الى استيثار العدل لوقوعهما في حقهم وهو اولا في الاستيثار والجزع ويحتمل ان يريد الحكم في الاخرة اللاحق لكل من ثواب او عقاب عما ارتكبه من خطاء او ثواب كما قال ثم الله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز كلا بما يستحقه من سعادة او شقاوة وبالله التوفيق والعصمة

ومن كلام له عليه السلام لما انفذ عبد الله بن عباس الى الزبير قبل وقوع حرب الجمل ليستفيئه الى طاعته لا تلقين طلحة فانك ان تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه يركب الصعب ويقول هو الذلول ولكن الق الزبير فانه الين عريكة فقل له يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدا مما بدا قال الرضي رضي وهو عليه السلام اول من سمعت منه هذه الكلمة اعني فما عدا مما بدا **اقول** تستفيئه اي تسترجعه من فاء اذا رجع وفي رواية ان تلقه تلفه من لفيته على كذا اذا وجدته عليه والعقص الاعوجاج وعقص الثور قرنيه بالفتح متعد وعقص قرنه بالكسر لازم والصعب الدابة الجموح الشعبة والذلول السهلة الساكنة والعريكة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل الاسم من الوصفية الى الاسمية الصرفة واصل العرك الدلك للجلد بالدباغ وغيره وعدا جاوز وبدا ظهر واعلم انه ع لما نهى ابن عباس عن لقاء طلحة لما راى في ذلك من المصلحة نبهه على علة وجه نهيه عنه بقوله فانك ان تلقه تجده كذا وقد شبهه بالثور واشار الى وجه الشبه بعقص القرن استعار لفظ القرن وكنى به عن شجاعته ولفظ العقص لما يتبع تعاطيه بالقوة والشجاعة من منع الجانب وعدم الانقياد تحت طاعة الغير اللازم عن الكبر والعجب بالنفس له فلا يعرض للشجاع ووجه الاستعارة الاولى ان القرن آلة القوة للثور ومنع ما يراد به عن نفسه وكذلك الشجاع يلزمها الغلبة والقوة ومنع الجانب ووجه الاستعارة الثانية ان الثور عند ارادة الخصام يعقص قرنيه اي يثني راسه ويعطف قرنيه ليصوبهما الى خصمه ويقارن ذلك منه نفخ ... وكذلك الشبه ههنا علم منه ع انه عند لقاء ابن عباس له يكون مانعا جانبه متهيئا للقتال مقابلا بالخشونة وعدم الانقياد له الصادر عن عجبه بنفسه وغروره فلذلك حسن التشبيه ويحتمل ان يكون وجه الشبه هو التواء طلحة في ارائه واعراضه عنه ع تشبيها بالتواء القرن وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس ويقال ان الكبر الذي داخل طلحة لم يكن فيه قبل يوم احد وانما حدث به في ذلك اليوم وذلك انه ابلى بلاء حسنا ثم اشار على ابن عباس بلقاء الزبير واشار الى وجه الرأي في ذلك وهو كونه الين عريكة وكنى بالعريكة عن الطبع والخلق كناية بالمستعار وفلان لين العريكة اذا كان سهل الجانب لا يحتاج فيما يراد منه الى تكلف ومجاذبة تشبيها بالجلد اللين الذي يسهل عركه وفلان شديد العريكة اذا كان بالضد من ذلك وظاهر ان الزبير كان سهل الجانب فلاجل ذلك امره بلقائه لما عهده من طبعه انه اقبل للاستدراج واقرب الى الانفعال عن الموعظة وتذكر الرحم واحسن بهذه الاستمالة بتذكر النسب المستلزم ضرورة للميل والانعطاف من الطبائع البشرية ونحوه قوله تعالى حكاية عن قول هرون لموسى يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي قال يا ابن ام ان القوم استضعفوني فان فيه من الاستمالة والاسترقاق بتذكيره حق الاخوة ثم ابدعوا الى عطفه عليه ما لا يوجد في كلام آخر واما كون علي ع ابن خال الزبير فان ابا طالب وصفية ام الزبير من اولاد عبد المطلب بن هاشم وقوله فما عدا مما بدا قال ابن ابي الحديد عدا بمعنى صرف ومن ههنا بمعنى عن ومعنى الكلام فما صرفك عما كان بدا منك اي ظهر اي ما الذي صدك عن طاعتي بعد اظهارك لها وحذف الضمير المفعول كثير كقوله تعالى واسئل من ارسلنا قبلك اي ارسلناه وقال القطب الراوندي له معنيان احدهما ما الذي منعك مما كان قد بدا منك من البيعة قبل هذه الحالة الثاني ما الذي عاقك من البداء الذي يبدو للانسان ويكون المفعول الثاني لعدا محذوفا يدل عليه الكلام اي ما عداك يريد ما شغلك وما منعك عما كان بدا لك من نصرتي قال ابن ابي الحديد ليس في الوجه الثاني مما ذكره القطب زيادة على الوجه الاول الا زيادة فاسدة اما انه لا زيادة فلانه فسر عدا في الوجهين بمعنى منع وفسر قوله مما كان بدا منك في الوجهين ايضا بتفسير واحد فلم يبق بينهما تفاوت واما الزيادة الفاسدة فظنه ان عدا يتعدى الى

في بيان تقسيم الناس الى اربعة اصناف

مفعولين وهو باطل باجماع النحاة واقول الوجه الذي ذكره ابن ابي الحديد هو الوجه الاول من الوجهين اللذين ذكرهما الراوندي لان الصرف والمنع لا يكثر تفاوت بينهما وان كان قد يفهم ان المنع اعم واما اعتراضه عليه بانه لا فرق بين الوجهين اللذين ذكرهما فهو سهو عليه لان معنى ما بدا في الوجه الاول معنى ظهر للناس منك من التبغض اليهم ومراده به في الثاني ما ظهر لك في الرأي من ضربي وطاعتي وفرق بين ما يظهر من الاشياء لغيره وبين ما يظهر له من نفسه او من غيره فاما ما ذكره انه زيادة فاسدة فالاظهر ان لفظة الثاني في قوله المفعول الثاني زيادة من قلمه او قلم الناسخ سهوا ويؤيده اظهاره المفعول الاول تفسيرا لقوله ويكون المفعول لعدا محذوفا ثم اقول وهذه الوجوه وان احتملت ان يكون تفسيرا الا ان كل واحد منها لا يعرى من نظر من وجه اما الوجه الذي ذكره المدائني فلانه لما حمل عدا على حقيقتها وهي المجاوزة وحمل ما بدا على الطاعة السابقة احتاج ان يجعل من بمعنى عن وهو خلاف الظاهر واما الراوندي فانه فسر عدا بمعنى منع او عاق وشغل وحمل ما بدا على الطاعة السابقة وعلى التبعيد ولا يتم ذلك الا ان يكون من بمعنى عن والحق ان عدا بمعنى جاوز ومن لبيان الجنس والمراد ما الذي جاوز بك عن بيعتي مما بدا لك بعدها من الامور التي ظهرت لك وح يبقى الالفاظ على اوضاعها الاصلية مع استقامة المعنى وحسنه وروي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عن ابيه عن جده قال سألت ابن عباس رضي الله عنه عن تلك الرسالة فقال بعثني فاتيت الزبير فقلت له فقال اني اريد ما تريد كانه يقول الملك ولم يزدني على ذلك فرجعت الى امير المؤمنين عليه السلام فاخبرته وعن ابن عباس ايضا انه قال قلت الكلمة للزبير فلم يزدني على ان قال انا مع الخوف الشديد لنطمع وسئل ابن عباس عما يعني الزبير بقوله هذا فقال يقول انا على الخوف لنطمع ان نلي من الامر ما وليتم وقد فسر غيره ذلك تفسيرا آخر فقال اراد انا مع الخوف الشديد من الله نطمع ان يغفر لنا هذا الذنب

ومن خطبة له عليه السلام ايها الناس انا قد اصبحنا في دهر عنود وزمن كنود شديد يعد فيه المحسن مسيئا ويزداد الظالم فيه عتوا لا ننتفع بما علمنا ولا نسأل عما جهلنا ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا فالناس على اربعة اصناف منهم من لا يمنعه من الفساد في الارض الا مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض وفره ومنهم المصلت بسيفه والمعلن بشره والمجلب بخيله ورجله قد اشرط نفسه واوبق دينه لحطام ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه ولبئس المتجر ان ترى الدنيا لنفسك ثمنا ومما لك عند الله عوضا ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف من نفسه للامانة واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية ومنهم من اقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه وانقطاع سببه فقصرته الحال على حاله فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس اهل الزهادة وليس من ذلك في مراح ولا مغدى وبقي رجال غض ابصارهم ذكر المرجع واراق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد ناد وخائف مقموع وساكت مكعوم وداع مخلص وثكلان موجع قد اخملتهم التقية وشملتهم الذلة فهم في بحر اجاج افواههم ضامزة وقلوبهم قرحة قد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوا فلتكن الدنيا اصغر في اعينكم من حثالة القرظ وقراضة الجلم واتعظوا بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم وارفضوها ذميمة فانها قد رفضت من كان اشغف بها منكم

قال السيد رضي الله عنه وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له الى معوية وهي من كلام امير المؤمنين عليه السلام الذي لا شك فيه واين الذهب من الرغام والعذب من الاجاج وقد دل على ذلك الدليل الخريت ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ فانه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبها الى معوية ثم تكلم من بعدها بكلام في معناها جملته انه قال وهذا الكلام بكلام علي اشبه وبمذهبه في تصنيف الناس وفي الاخبار عما هم عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف اليق قال ومتى وجدنا معوية في حال من الاحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد ومذاهب العباد

اقول عنود جائر وكنود كفور والعتو الكبر والقارعة الخطب العظيم ومهانة النفس حقارتها وكلالة حد السيف وغيره اذا وقف عن القطع ونضيض وفره قلة ماله والمصلت لسيفه الماضي في الامور معونته والمجلب المستعين على الامر المجمع والرجل جمع راجل واشرط نفسه لكذا اي اعلمها واعدها له واوبق دينه اي اهلكه والحطام متاع الدنيا واصله ما تكسر من اليبس والانتهاز الاختلاس والاستلاب بقدر الامكان والمقنب بكسر الميم وفتح النون الجمع من الخيل ما بين الثلثين الى الاربعين وفرع المنبر يفرعه اي علاه وطامن من شخصه اي خفض والاسم الطمانينة وشمر من ذيله اذا رفعه وزخرف اي زين ونمق وضؤولة نفسه حقارتها والمراح المكان الذي يأوي اليه الماشية بالليل والمغدى هو الذي يأوي اليه بالغداة والشريد المشرد وهو المطرود والناد الذاهب على وجهه والقمع الاذلال والمكعوم الذي لا يمكنه الكلام كانه سد فوه بالكعام وهو شيء يجعل في فم البعير عند الهياج والثكل الحزن على فقد بعض المحاب واخملتهم اي اسقطتهم واذلتهم بين الناس والتقية والتقوى الخوف والاجاج الملح والضامزة بالزاي الساكنة والحثالة الثفل والقرظ ورق السلم يدبغ به والجلم المقراض يجز به اوبار الابل وقراضته ما تساقط من قرضه واعلم ان نسبة الخير الى بعض الازمنة والشر الى بعض آخر وتفضيل بعض الازمنة على بعض نسبة صحيحة لما ان الزمان من الاسباب المعدة لحصول ما يحصل في هذا العالم من الامتزاجات وما يتبعها مما يعد خيرا وشرا وقد

تتفاوت

ج ۱

في بيان تقسيم الناس الى اربعة اقسام

تتفاوت الازمنة في الاعداد لقبول الخير والشر ففي بعضها يكون بحسب الاستقراء ما يعد شرا اكثر فيقال زمان صعب جائر مخصوص بزمان ضعف
الدين والنواميس الشرعية التي هي سبب نظام العالم وبقائه وسبب النجاة الابدية في الدار الاخرة وفي بعضها يكون ما يعد خيرا اكثر فيقال
زمان حسن وزمان عادل وهو الزمان الذي يكون احوال الخلق فيه منتظمة صالحة خصوصا زمان قوة الدين وظهوره وبقاء ستر
ناموس الشريعة وسد ولا هذا وان كنا اذا اعتبرنا اجزاء الخير واجزاء الشر واحدة في كل العالم بحسب كل زمان زمان لم يكن هناك كثير
تفاوت بين الازمنة فيما يعد خيرا وشرا ولذلك قال افلاطون الناس يتوهمون بكل زمان انه اخر الازمنة ويثبتون تقصيرا عما
تقدمه وليس يوفون الزمان الماضي والمقيم حقهما من التامل وذلك انهم يقيسون الاحداث في الزمان المقيم [illegible] سنته
ونجابته في الزمان الماضي وينظرون الى قصور الزمان في الزمان المقيم وانتهاعها في الماضي من غير ان ينظروا الى اعراض الزمان
وما يوجبه كل واحد منها واذا تتبع هذا بعد ان استقصى نظرهم في الزمانين من القوة والجور والامن والخوف والاسباب في
الاحوال كانا متقاربين اذا عرفت هذا فنقول قوله انا قد اصبحنا الى قوله حتى تحل بنا ذم للزمان بوصفي الجور والشدة لما اعد له
ما اعد له فيه من الاوصاف المعدودة شرا بالقياس الى نظام العالم وبقائه وذكر من تلك الاوصاف خمسة اولها انه يعد فيه
المحسن مسيئا وذلك من حيث السيئين الكسالى عن القيام بطاعة الله فيعدون انفاق المحسن ماله رياء وسمعة او خوفا او ورعا في
مجازاة وكذلك سائر فضائله رذائل كل ذلك طعنا في فضيلته وحسدا ان ينال رتبة اعلى منهم [illegible] في الاساءة وثانيها
انه يزداد الظالم فيه عتوا وتمردا وذلك ان منشأ الظلم هو النفس الامارة بالسوء وفي زمان العدل تكون مقهورة دائما وفي اكثر الاحوال
وثورانها في ذلك الوقت طالبة للظلم يكون خلسة وانتهاز فرصة فالظالم في زمان العدل ان ظلم او تجاوز حده فكالسارق الذي لا
يأمن في كل لحظة ان يقع به المكروه فكان الظالم في زمن العدل مقموع بحرسة الشريعة مرصود بعيون طلائعها اما في زمان ضعف
الشريعة فالظالم فيه كالذاهب [illegible] لقوته سوطها غير ملتفت الى وازع الدين فلا جرم كان عتوه فيه ازيد فقد كان في زمانه بالنسبة
الى عهد الرسول صلى الله عليه وآله كذلك وثالثها انه لا ينتفع اهله فيه بما علموا وهو توبيخ للمقصرين في اعمال الاخرة على ترك ما علموا من الشريعة مما
ينبغي ان يعمل بها اذ الانتفاع بالعلم انما يكون اذا قارن العمل واليه الاشارة بقوله عليه السلام في موضع اخر العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل
فان اجابه والا ارتحل فان المراد بارتحال العلم هو عدم الانتفاع به ووصفه بالعمل فضائله ما ينبغي من مقارنة العمل له ورابعها
انهم لا يسألون عما جهلوا وهو توبيخ للمقصرين في طلب العلم بعدم السؤال عما جهلوا منه وقلة الالتفات لاعراضهم وانما هم عن فضيلته
واشتغالهم بحاضر اللذات الحسية وخامسها انهم لا يتخوفون قارعة حتى تحل بهم وذلك لعكوف فكرهم في عواقب امورهم واشتغالهم
بحاضرها عن الالتفات الى مصالحهم وتدبيرها وهو توبيخ للمقصرين في امر الجهاد وتنبيه لهم بذكر القارعة وحلولها بهم وكل هذه امور
مضادة لمصلحة العالم فلذلك عد الزمان الواقعة فيه عنودا وشديدا قوله والناس على اربعة اصناف الى قوله قلوا افول [illegible]
هذه القسمة ان الناس اما مريدون للدنيا او لا والقسم الثاني المريدون للدنيا اما قادرون عليها او غير قادرين وغير القادرين اما غير محتالين لها
او محتالون والمحتالون اما ان يبذلوا نفوسهم للاخرة والمال لها او هو دون ذلك فهذه اقسام خمسة مطابقة لما ذكره عليه السلام من الاوصاف
الاربعة الذين عمهم بالذم مع الصنف الخامس التارك للدنيا فرزهم بالمدح فالصنف الاول منهم المريدون للدنيا القادرون عليها هو المشار
اليه في القسم الثاني من قسمته بقوله ومنهم المصلت بسيفه والمعلن بشره الى قوله لرفدهم والمقصد بهذا الصنف القادرون على الدنيا
المطلقون لعنان الشهوة والغضب في تحصيل ما يتخيل كالامن [illegible] فاصلات السيف كناية عن التغلب وتناول ما امكن
منالها بالغلبة والقهر واعلان الشر المجاهرة بالظلم ونحوه من رذائل الاخلاق والاجلاب بالخيل والرجل كناية عن جميع اسباب الظلم والغلبة
والاستعلاء على الغير واشراط نفسه تاهيلها واعدادها للفساد في الارض وظاهر ان من كان كذلك فقد اوبق دينه وافسده وقوله لحطام
ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه اشارة الى بعض العلل الغائية للصنف المذكورين كونهم بالاوصاف المذكورة واستعار لفظ الحطام
للمال وجه المشابهة انه ليس من النبات كالذي لا نفع له بالقياس الى ما ينبغي خضرته ونضارته او يكون ذا ثمرة كذلك المال بالنسبة
الى الاعمال الصالحة الباقي نفعها في الاخرة وانما خص هذه الامور الثلاثة لانها الاغلب فيما يسعى اهل الدنيا لاجله اذ الغالب
ان السعي فيها اما لجمع المال او لرياسة بتوبيخ باقتناء الخيل والنعم وتذييبه كافتراع المنابر والترأس بناموس الدين مع قصد الدنيا
وقوله ولبئس المتجر الى اخره تنبيه لهذا الصنف من الناس على خسرانهم في افعالهم التشبيه بالتجارة الخاسرة فان طالب الدنيا المحصل
لها كيف ما اتفق هادم للاخرة فهو كالبائع لها بما حصل من دنياه والمعتاض عما له عند الله من الاجر الجزيل او طار حطاما تفنى
عينه ويبقى تبعته ولذلك استعار لفظ التجارة لها الصنف الثاني وهم المريدون لها غير القادرين عليها وغير المحتالين لها وهو
المشار اليه بقوله ومنهم من لا يمنعه عن الفساد في الارض الا مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض وفره وكنى بقوله كلالة حده عن عدم
صرامته في الامور وضعف عزمه وظاهر ان المريد للدنيا المعرض عن الله لو خلى عن الموانع المذكورة ووجد الدنيا لم يكن سعيه فيها الا

والامن

في بيان اصناف خمسة من الناس

في بيان اقسام الناس

فبيان الصنف الثالث الغير القادرين على الدنيا مع احتيالهم لها وابطالهم انفسهم لامور دون الملك وهو المشار اليه بقوله ومنهم من يطلب الدنيا
بعمل الاخرة ولا يطلب الاخرة بعمل الدنيا الى اخره فقوله يطلب الدنيا بعمل الاخرة اشارة الى الحيلة للدنيا كالرياء والتسمع وقوله لا يطلب
الاخرة بعمل الدنيا اشارة الى تمردهم لله للدنيا فقط وقوله قد طامن من شخصه الى اخره تفصيل الحيلة فان خضوع الاذنات وتطامن لكيفية
شخصه وتقارب بين خطوه وتشمير ثوبه وزخرفة لنفسه بما هو شعار الصالحين من عباد الله وستر الله الذي حمى به اهل التقوى ان
يرهقوا موارد الهلكة ليخدع من ضعف من الناس انما سالدخولهم في عيون اهل الدنيا وارباب اهل القينات ليسكنوا اليهم في الامانات
ونحوها ويجعلون ذلك ذريعتهم الى ما املوه من الدنيا الفانية فيكونون قد اتخذوا ستر الله وظاهر دينهم وسيلة الى معصيته
الصنف الرابع الغير القادرين عليها المحتالون لها المؤملون انفسهم للملك لا لامر وهم المشار اليهم بقوله ومنهم من اقعده عن
طلب الملك ضؤولة نفسه الى اخره وذكر من موانع هذا الصنف عما رامه مانعين احدهما ضؤولة نفسه وقصورها عن النباوة ونحولها
العجز عن طلب الملك وان كان مطلوبا له الثاني سبب ذلك الضعف وهو انقطاع سببه من قلة المال وعدم الاعوان والانصار
في الطلب فلذلك وقفت به حال القدرة على حالته التي لم يبلغ معها ما اراد وقصر به عليها فعدل لذلك الى الحيلة الجاذبة لاعيان
الخلائق اليه من التحلي باسم القناعة والتزين بلباس اهل الزهادة من المواظبة على العبادات ولزوم ظواهر امر الله وان لم يكن ذلك عن اصل
واعتقاد فاده اليه وقوله وليس هو من ذلك في مراح ولا مغدى كناية عن انه ليس من القناعة والزهد في شيء اصلا ويحتمل ان
يكون هذا الصنف من غير القادرين وغير المحتالين **الصنف الخامس** وهم المرهبون من الله تعالى وهو المشار اليهم بقوله وبقي رجال
الى اخره وذكر لهم اوصافا **الاول** كونهم قد غض ابصارهم ذكر المرجع وذلك ان المريد لله اذا التفت الى جناب المقدس واستحضر اثر
راجع اليهم بل ماثل بين يديه فلا يكاد يعرض عن غيره حياء منه وابتهاجا بمطالعة انواره ونحوها ان يجبر بصره عن ضحو مراتب
الاملاك الى مهاوي الهلاك ولان الحواس تابعة للقلب فاذا كان سر القلب مشغولا غريقا في جلال الله كان مستتبعا للحس فلم يكن
له التفات من طرفه الى امر اخروي ولهم بالنظر **الثاني** كونهم قد اراق دموعهم خوف المحشر واعلم ان خوف الخائفين قد يكون
لامور مكروهة لذاتها وقد يكون لامور مكروهة لادائها الى ما هو مكروه لذاته واقسام القسم الثاني كثيرة كخوف الموت قبل التوبة
او خوف نقض او خوف الانحراف عن القصد في عبادة الله او خوف استيلاء القوى الشهوانية بحسب مجرى العادة في استعمال الشهوات
المالوفة او خوف تبعات الناس عنده او خوف سوء الخاتمة او خوف سبق الشقاوة في علم الله تعالى وكل هذه ونحوها مخاوف عباد الله
الصالحين واغلبها على قلوب المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه خطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لكون الخاتمة
تبعا لها ومظهرة لما سبق في اللوح المحفوظ وقد مثل من له خوف السابقة ومن له خوف الخاتمة برجلين وقع لهما ملك بتوقيع يحتمل
ان يكون لهما فيه غنا او هلاك فتعلق قلب احدهما بحال نشر التوقيع وما يظهر فيه من خير او شر وتعلق قلب الاخر بما خطر للملك
حالة التوقيع من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب فكان اعلى وكذلك الالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم
في اللوح المحفوظ اعلى من الالتفات الى الابد والى ذلك اشار الرسول صلى الله عليه وآله حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله
كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء ابائهم لا يزاد فيه ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال كانهم منهم بل
هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقاوة بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم
الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم واما اقسام القسم
الاول فمثل ان يتمثل في نفوسهم ما هو المكروه لذاته كسكرات الموت وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول الموقف
بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او من النار واغلالها
واهوالها او من حرمان الجنة او من نقصان الدرجات فيها او خوف الحجاب من الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة في نفسها ويختلف
حال السالكين الى الله فيها واعلاها رتبة خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك وهو خوف العابدين
والصالحين والزاهدين ومن لم تكمل معرفته بعد اذا عرفت ذلك فنقول الخوف الذي اشار اليه من هذا القسم اذ خوف المحشر يشمل
ما ذكرناه من اقسامه **الثالث** كونهم بين شريد ناد اي منفرد في البلاد مطرود لما كثرة انكاره المنكر او لقلة صبره على مشاهدة
المنكر وخائف مقموع وساكت مكعوم وكانما التقية سدت فاه عن الكلام وهو من باب الاستعارة وداع مخلص لله وثكلان موجع
اما للمصاب في الدين او من كثرة اذى الظالمين وهذا تفصيل الحال احاد المتقين ويحتمل ان يكون ذلك تفصيلا لحالهم بالنسبة الى
خوف المحشر اي ان خوف المحشر اراق دموعهم وجعل كل واحد منهم ما ذكره من الحالة التي هو عليها **الرابع** كونهم قد اخملتهم
التقية اي تقية الظالمين وهو ما كنى عنه سابقا **الخامس** كونهم قد شملتهم الذلة اي بسبب التقية **السادس** كونهم في بحر اجاج
واستعار لفظ البحر بوصف الاجاج لما هم فيه من احوال الدنيا الباطلة ووجه المشابهة ان الدنيا كما لا تصلح للاقتناء والاستمتاع

بها بل يكون

ج ١

في بيان خطبة خطبها عند خروجه لقتال اهل البصرة

بما يكون سببا للعذاب في الاخرة ككدر لا يمكن شاربه وان بلغ به جهد العطش ما بلغ ان يشربه لترويه وقوله افواههم ضامزة و
قلوبهم قرحة اي انهم لما قطعوا انفسهم عن لذاتها ومخالطة اهلها فيما هم فيه من الاهتمام بها لاجرم كانت افواههم ضامزة لكثرة
صيامهم بسبب الجهد بالمنع وقلوبهم قرحة جوعا او خوفا من الله وعطشا الى رحمته وقد وعظوا اي ولما يئسوا من كثرة المنكرات
وعدم تمكنهم من انكارها ومن روى ضامزة بالزاي المعجمة اراد سكوتهم تقية كلامهم السابع كونهم قد وعظوا حتى ملوا اي
ملوا وعظ الخلق لعدم نفعه فيهم الثامن كونهم قد قهروا حتى ذلوا التاسع كونهم قتلوا حتى قلوا اي قتلهم الظالمون لعدم
انتظامهم في سلكهم فان قلت كيف يقال قتلوا مع بقائهم قلت اسناد القتل الى الكل لوجود القتل في البعض مجازا من باب اسناد
حكم الجزء الى الكل ولان الكل لما كان مقصودا بالقتل كان كونهم مقتولين علة غائية مجازا فاسناد القتل اليهم وان كان المقتول
بعضهم وقوله فلتكن الدنيا في اعينكم الى اخره امر للسامعين باستصغار الدنيا واستحقارها الى حد لا يكون في اعينهم ما هو
احقر منها فان حثالة القرظ وقراضة الجلم في غاية الحقارة والمراد من هذا الامر غاية الترك لها فان استحقار الشيء واستصغاره
يستتبع تركه والاعراض عنه ثم امرهم بالاتعاظ بالامم السابقة فان في الماضين عبرة لاولي الابصار ومحل الاعتبار ما كانوا فيه من نعيم
الدنيا ولذاتها والمباهاة بكثرة قنياتها ثم مفارقتهم لذلك كله بالموت وبقاء الحسرة والندامة للمستكثرين منها حجابا حائلا
بينهم وبين الوصول الى حضرة جلال الله ونبههم بقوله قبل ان يتعظ بكم من بعدكم على انهم مضطرون الى مفارقتها مثل من
سبقهم ومعتبر لغيرهم وفائدة الامر بالاتعاظ الاعراض عنها والاقلاع والاعتبار بها ثم لما امرهم بهذه الاوامر التي ترجع
الى الترك اردف ذلك بالامر الصريح بالترك فقال وارفضوها ذميمة اي اتركوها حال الحقارة والذم ثم نبه بعد على ما ينبغي
علة لتركها وهو عدم دوام صحبتها وثباتها لمن كان احب منهم لها اي لو دام سرورها ونعيمها لاحد لدام لاحب الخلق لها و
احرصهم على المحافظة عليها فاذا لم تدم لمن هو اشد حبا لها منكم فبالاولى ان لا تدوم لكم واذا كان طباعها رفض كل محب
فالاحرى بذي المروة والالباب التزهد والاعراض عمن لا تدوم صحبته ولا تصفو محبته وبالله التوفيق **ومن خطبة له**
عليه السلام عند خروجه لقتال اهل البصرة قال عبد الله بن عباس رض دخلت على امير المؤمنين ع بذي قار وهو يخصف
نعله فقال لي ما قيمة هذه النعل فقلت لا قيمة لها فقال والله لهي احب الي من امرتكم الا ان اقيم حقا او ادفع باطلا ثم خرج ع
فخطب الناس فقال ان الله بعث محمدا وليس احد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعي نبوة فساق الناس حتى بوأهم محلتهم وبلغهم منجاتهم
فاستقامت قناتهم واطمأنت صفاتهم اما والله ان كنت لفي ساقتها حتى تولت بحذافيرها ما عجزت ولا جبنت وان مسيري
هذا لمثلها فلانقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه ما لي ولقريش والله لقد قاتلتهم كافرين ولاقاتلنهم مفتونين واني لصاحبهم بالامس
كما انا صاحبهم اليوم **اقول** ذو قار موضع قريب من البصرة وهو الموضع الذي نصرت فيه العرب على الفرس قبل الاسلام ويخصف
نعله اي يخرزها وبوأهم اسكنهم والمحلة المنزلة والمنجاة موضع النجاة والقناة الرمح وعمود الظهر استعار لفظها للحال والصفاة الحجر
الاملس المنبسط والساقة جمع سائق وتولت بحذافيرها اي باسرها والنقب الشق واعلم انه ع قدم لنفسه مقدمة من الكلام اشار
فيها الى فضيلة الرسول ص في مبعثه وهو سوقه للخلق الى الدين الحق ليبني عليها فضيلة نفسه وكانت غايته من ذلك توبيخ
من خرج عليه من قريش والاستعداد عليهم فقوله ان الله بعث محمدا الى قوله صفاتهم صدر الكلام اشارة الى فضيلة الرسول ص
والواو في الداخلتان على حرف النفي للحال فان قلت كيف يجوز ان يقال انه لم يكن احد من العرب ذلك الوقت يقرأ كتابا وقد كان
اليهود يقرؤن التورية والنصارى الانجيل قلت ان الكتاب الذي تدعيه اليهود وتسميه في ذلك الوقت التورية ليس هو الكتاب
الذي نزل على موسى ع فانهم كانوا حرفوه وبدلوه فصار كتابا اخر بدليل قوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا و
هدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا فظاهر انه من حيث هو مبدل ومحرف ليس هو المنزل على موسى ع واما
الكتاب الذي تدعي النصارى بقاءه في ايديهم فغير معتمد على نقلهم فيه لكونهم كفارا بسبب القول بالتثليث وانما القائلون
بالتثليث منهم في غاية القلة فلا يفيد قولهم ان ما في ايديهم هو انجيل عيسى علما فاذن لا يكون المقروء لهم حال مبعث محمد ص كتابا
هو من عند الله سلمناه لكن يحتمل ان يريد بالعرب جمهورهم فان اكثرهم لم يكن له دين ولا كتاب وانما كان بعضهم يتمسك باثار
من شريعة اسمعيل وبعضهم برسوم لهم وقوله فساق الناس حتى بوأهم محلتهم الاشارة الى سوقه لهم الى توفية العقل لادراك ما يهمهم بحسب
المعجزات الى تصديقه فيما جاء به بحسب ما جاءهم من القران الكريم والسنة النبوية الى معرفة سبيل الله ثم بحسب الترغيب لبعضهم والترهيب
لبعض الى سلوك ذلك السبيل فاصبحوا وقد تبوؤا محلتهم من منازلهم ومراتبهم التي خلقوا لاجلها وكانت هي مطلوبة لعناية الله في
بوجودهم في هذه الدار وهي لزوم القصد في سبيل الله المسمى اسلاما ودينا وايمانا وهي في الحقيقة المنجاة التي لا خوف على
سالكها ولا سلامة للمنحرف عنها وذلك معنى قوله وبلغهم منجاتهم وقوله فاستقامت قناتهم المراد بالقناة القوة والغلبة والدولة

لا بقريش
مالي

في بيان خطبة خطبها في استنفار الناس الى اهل الشام

التي حصلت لهم مجازا وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب فان الرجا والظهر سبب للقوة والشدة ومعنى استوسقا الاستقامة لهما انتظام امرهم
ودولتهم وقوله واطمانت صفاتهم استعارة للفظ الصفات لحالهم التي كانوا عليها ووجه المشابهة انهم كانوا قبل الاسلام في مواطنهم
وعلى احوالهم متزلزلين لا يقر بعضهم بعضا في موطن ولا على حال بل كانوا ابدا في الغارة والنهب والجلاء فكانوا كالواقف على حجر املس
متزلزل مضطرب فاطمانت احوالهم وسكنوا في مواطنهم من كل ذلك بسبب مقدمه صلى الله عليه وآله وقوله اما والله ان كنت لفي ساقتها الى قوله
حتى تولت بحذافيرها اثبات لنفسه الفضيلة انه كان من سائقيها الى ان تولت باسرها من غير عجز اعتراه ولا جبن والضمير في ساقتها للكتائب المحاربة
وان لم يجر لها ذكر صريح بل ما يحصل منه معنى الذكر وهو الناس فكانه قال فسار في الناس يومئذ كتائب عليه فكنت في ساقتها حتى
تولت تلك الكتائب باسرها لم يبق منها من يقاتله وقد علمت ان السوق قد يكون سوقا الى الهدى وقد يكون سوق طرد وهزيمة والاول
هو غاية من السوق الثاني اذ لم يكن مقصوده من حروبه الا السوق الى الدين ولما لم يمكن حصول الهداية للخلق الا بوجود النبي
وايضاح سبيل الحق كان ذبه وطرده الكتائب حتى تولت بحذافيرها دفعا عن النبي وعن حوزة الدين لاجل تمام الهداية التي هو غاية وجود النبي وقوله ما عجزت ولا جبنت تمام لاثبات الفضيلة المذكورة له وتقرير لها اعلام من شجاعته وتاكيد
لعدم العجز والجبن الذي هو طرف التفريط من فضيلة الشجاعة وقوله وان مسيري هذا لمثلها اي لمثل تلك الحال التي كنت عليها
معهم زمان كفرهم من سوق كتائبهم وطردها من غير جبن ولا ضعف وهو في معنى التهديد الذي ان بلغ خصومه وتقوية نفوس
اوليائه وكذلك قوله فلانقبن الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته في معنى التهديد وتنبيه على ما عليه خصومه من الباطل واستعار
هنا لفظ الخاصرة للباطل والنقب للتفريق الباطل وتمييز الحق منه تشبيها له في استتار الحق وفيه وعدم تمييزه منه بحيوان ابتلع جوهرا
ثمينا اعز منه قيمة واتم فائدة فاحتيج الى شق بطنه في استخلاص ما ابتلع وقوله ما لي ولقريش استفهام على سبيل الانكار ... بينهم ما
يوجب الاختلاف وجحد فضيلته وحسمه لاعدائهم في حربه وقوله والله لقد قاتلتهم كافرين اظهار للمنة عليهم بسوقهم الى الدين اولا
وتعيير لهم بما كانوا عليه من الكفر ليعترفوا بفضيلته ونعمة الله عليهم به ويرجعوا من مقابلته بالباطل وهو اظهار الانكار عليه وكانوا
اولى باتيان المنكر منه وهو اولى بردهم عند الخطا كما كان اولا وكذلك قوله ولاقاتلنهم مفتونين على احد الروايتين والاعلى رواية ولقد قاتلتهم
مفتونين فهو تهديد بان يوقع بهم القتال على فتنتهم وضلالهم على الدين وكافرين ومفتونين نصب على الحال وفي ذكر هذين الحالين تنبيه
على علة قتاله لهم في الحالين وهو طلبه لاستقامتهم على الدين وردهم الى الحق عن الضلال واغراء للسامعين بهم وقوله واني لصاحبهم
بالامس كما انا صاحبهم اليوم اشارة الى انه لم يتغير حاله التي بها قاتلهم كافرين وقاتلهم مفتونين وتذكير للخصم الان بابتلائه الكفار وبقي ذلك الوقت
ليتنبهوا ... ثم تذكر وقائعه في بدو الاسلام وشدة باسه ما تطير منه القلوب وتقشعر منه الجلود وقد نقلت في تمام هذه الخطبة
في بعض النسخ لتضج قريش ضجيجها ان تكن فينا النبوة والخلافة والله ما اتينا اليهم الا انا اخترنا عليهم وذلك اشارة الى السبب الاصلي
لخروج طلحة والزبير وغيرهما من قريش عليه وهو الحسد والمنافسة ان تكون الخلافة والنبوة في بني هاشم والصحيح ... القوي وهو كناية
عن اشد مخاصماتهم ومنافستهم على هذا الامر وقوله والله ما اتينا الى آخره تاكيد لما نسبه اليهم من سبب الخروج بالقسم البار على انه
لم يكن الباعث لهم على قتاله وعلى حسده والبغي عليه امرا من قبله سوى الاختيار عليهم اي الشجاعة والاقدام عليهم في منعهم عما يريدون
من قول وفعل لا يسوغ في الشريعة فانه لما لم يكن ذلك في الحقيقة اساءة في حقهم يستحقون بها المكافاة منهم بل احسان وردع عن سلوك
طرف الضلال تعين ان السبب في الخروج عليه ونكث بيعته هو الحسد والمنافسة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
في استنفار الناس الى اهل الشام أف لكم لقد سئمت عتابكم أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة عوضا وبالذل من العز خلفا
إذا دعوتكم الى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة ومن الذهول في سكرة يرتج عليكم حواري فتعمهون
وكأن قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي وما أنتم بركن يمال بكم ولا زوافر عز يفتقر اليكم
ما أنتم الا كابل ضل رعاتها فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر لبئس لعمر الله سعر نار الحرب أنتم تكادون ولا تكيدون
وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون غلب والله المتخاذلون وايم الله اني لأظن بكم أن لو حمس
الوغى واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس والله ان امرءا يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه
ويفري جلده لعظيم عجزه ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره أنت فكن ذاك ان شئت فأما أنا فوالله دون أن أعطي ذلك
ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام وتطيح السواعد والأقدام ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء أيها الناس ان لي عليكم
حقا ولكم علي حق فأما حقكم علي فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا وأما
حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والاجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم **اقول** روي انه عليه السلام
خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من امر الخوارج وقد كان قام بالنهروان فحمد الله واثنى عليه وقال اما بعد فان الله نعم قد احسن نصركم

ج ١٠

في بيان استنفار الناس إلى أهل الشام

فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام فقالوا له قد نفدت نبالنا وكلت سيوفنا ارجع بنا إلى مصرنا لنصلح عدتنا ولعل أمير المؤمنين
يزيد في عدتنا مثل من هلك منا لنستعين به فناداهم يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم الآية
فتلكؤوا عليه وقالوا إن البرد شديد فقال إنهم يجدون البرد كما تجدون أف لكم ثم تلا قوله تعالى قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين
الآية فقام منهم ناس واعتذروا بكثرة الجراح في الناس وطلبوا أن يرجع بهم إلى الكوفة أياما ثم يخرج بهم فرجع بهم غير راض وأنزلهم
النخيلة وأمرهم أن يلزموا معسكرهم ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ويقلوا زيارة أهلهم فلم يقبلوا وجعلوا يتسللون ويدخلون الكوفة
حتى لم يبق معه إلا القليل منهم فلما رأى ذلك دخل الكوفة فخطب الناس فقال أيها الناس استعدوا لقتال عدو في جهادهم
القربة إلى الله ودرك الوسيلة عنده قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به وجفاة عن الكتاب نكب
عن الدين يعمهون في الطغيان ويتسكعون في غمرة الضلال فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى
بالله وكيلا قال فلم ينفروا وتركهم أياما ثم خطبهم هذه الخطبة فقال أف لكم أف كلمة تضجر من الشيء وغمرات الموت سكراته التي يغمر فيها
العقل والذهول النسيان والسهو ويرتج عليكم أي يغلق والحوار المخاطبة تعمهون تترددون والمألوس المجنون والمختلط العقل
وسجيس الليالي أبدا ما دامت الليالي والزوافر جمع زافرة الرجل أنصاره وعشيرته وسعر جمع ساعر وإسعار النار تهييجها
وإلهابها والامتعاض الغضب وحمس الوغى اشتد الحرب وجلبة الأصوات وعرقت اللحم أعرقه إذا لم أبق على العظم منه شيئا والمشرفية
سيوف منسوبة إلى مشارف قرى من أرض العرب تدنو من الريف وفراش الهام العظام الرقيقة تلي القحف وأطاح أندر لما أراد استنفارهم
إلى الحرب وكانوا كثيرا ما يتثاقلون عن دعوته استقبلهم بأف التضجر بالأمر يتعب منه من أفعالهم وقوله لقد سئمت عتابكم تفسير
لبعض ما تأفف منه وقوله أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا وبالذل من العز خلفا استفهام على سبيل الإنكار عليهم يستلزم
الحث على الجهاد فإن الجهاد لما كان مستلزما للثواب الآخرة ولعزة الجانب وخوف الأعداء والقعود عنه يستلزم في الأغلب السلامة
في الدنيا والبقاء فيها لكن مع طمع العدو فيهم وذلتهم له كانوا بقعودهم عنه كمن اعتاض الدنيا من الآخرة واستخلف الذل من العز
وذلك مما لا يرضى به ذو عقل سليم وعوضا وخلفا منصوبان على التمييز **قوله** إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم إلى قوله لا تعقلون
تبكيت لهم وتوبيخ بذكر أمور تعرض لهم عند دعائه لهم إلى الجهاد **الأولى** أنه تدور أعينهم حيرة وترددا وخوفا من لحاق أمر الحرب القتل أو غيره
أو الإقدام على الموت في كلا الأمرين خطر ثم شبه حالتهم تلك في دوران أعينهم وحيرتهم بحال المغمور في سكرات الموت الساهي فيها عن
حاضر أحواله المشغول بما يجده من الألم ونحوه قوله تعالى ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت **الثانية** أنه يرتج عليهم
حواره يرتج في موضع الحال وتعمهون عطف عليه أي يرتج عليكم فتحيرون ثم شبه حالهم عند دعائه إلى الجهاد تشبيها ثانيا بحال من اختلط
عقله أي أنهم في حيرتهم وترددهم في جوابه كالمختلط العقل لا يعقل ما يقول **الثالثة** أنهم ليسوا ثقة أبدا وهو وصف لهم برذيلة
الخلف والكذب المستلزم لعدم الثقة بأقوالهم **الرابعة** كونهم ليسوا بركن يميل به المستند إليه في خصمه يقال فلان ركن شديد
استعارة له من ركن الجبل وهو جانبه لما بينهما من المشاركة في الشدة وامتناع المعتصم به ونحوه قوله تعالى لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن
شديد أي قوي يمنعني منكم وهو وصف بالتخاذل والعجز **الخامسة** ولا زوافر عز يفتقر إليهم وهو وصف لهم برذيلة الذل والحقارة **السادسة**
تشبيههم بإبل ضل رعاتها والإيماء إلى وجه التشبيه وهو أنها كلما جمعت من جانب انتشرت من جانب آخر إشارة إلى أنهم ضعيفو العزوم متشتتو الآراء
لا يجتمعون على مصلحة بها يكون نظام أحوالهم في الدين وقد علمت أن ذلك من نقصان القوة العملية فكانوا منها على رذيلة البلادة **السابعة**
كونهم لبئس لسعر نار الحرب أي لبئسوا من رجالها وذلك أن مدار الحرب على الشجاعة والرأي وقد سبقت منه الإشارة إلى نقصهم بالفشل وضعف
الرأي فإذن ليسوا من رجال الحرب ولما استعار لهيجان الحرب لفظ النار لما يستلزمانه من الأذى الشديد رشح تلك الاستعارة بذكر الإسعار
ووصف رجالها به **الثامنة** كونهم يكادون ولا يكيدون أي يخدعون ويمكر بهم عدوهم في إيقاع الحيلة وليس لهم قوة المكر والحيلة برد ذلك
أيضا من رذيلة ضعف الرأي **التاسعة** كونهم تنتقص أطرافهم فلا يمتعضوا أي يغار العدو في كل وقت على بعض بلادهم فيحوزها فلا يشق ذلك
عليهم ولا يبدر لهم منه أنفة ولا حمية وهو وصف لهم برذيلة المهانة **العاشرة** كونهم في غفلة ساهون مع انتباه عدوهم وهو وصف
لهم برذيلة الغفلة أيضا عما يراد بهم وقلة تعقلهم لمصالح أنفسهم وكل هذا التوبيخ تثقيف لهم وتنبيه لنفوسهم الراقدة في مراقد الطبيعة
على ما ينبغي لهم من المصالح التي يكون بها نظام أحوالهم على قانون الدين وقوله غلب والله المتخاذلون تنبيه على أنهم بتخاذلهم سيغلبون
وأورد الغلب المطلق بعلة التخاذل لأنها في حكم الغالب أشد قبولا منهم له على أنفسهم إذ لو صرح به فقال غلبتم والله لتخاذلكم لم
يكن وقعه في الذوق كوقعه عاما وقوله وايم الله إلى قوله انفراج الرأس قسم أن الظن بهم أنهم عند اشتداد الحرب وحرارة الموت ينفرجون
عنه انفراج الرأس أي ينهزمون أشد انهزام كانفراج الرأس مثل قيل أول من تكلم به أكثم بن صيفي في وصية له يا بني لا تنفرجوا عند الشدائد
انفراج الرأس فإنكم بعد ذلك لا تجتمعون على عز وفي معناه أقوال **أحدها** قال ابن دريد معناه أن الرأس إذا انفرج عن البدن لا يعود

في بيان استنفار الناس الى اهل الشام

اليه ولا يكون بعده انفصال وذلك اشد انفراج **الثاني** قال المفضل الراس اسم رجل ينسب اليه قرية من قرى الشام يقال لها بيت لراس
وفيها يباع الخمر قال حسان كان سبيئة من بيت راس يكون مزاجها عسل وماء وهذا الرجل قد انفرج عن قومه ومكانه فلم يعد اليه فضرب
به المثل في المباينة والمفارقة **الثالث** قال بعضهم معناه ان الراس اذا انفرج بعض عظامه عن بعض كان ذلك بعيد الالتيام والعود الى
الصحة **الرابع** قال بعضهم معناه انفرجتم عني راسا اي بالكلية **الخامس** قيل معناه انفراج من يريد ان ينجو براسه **السادس**
قيل معناه انفراج المرأة عن راس ولدها حالة الوضع فانه يكون في غاية من الشدة وتفرق الاتصال والانفراج ونحوه قوله في موضع
اخر انفراج المرأة عن قبلها وعلى كل تقدير فمقصوده شدة انفصالهم وتفرقهم عنه احوج ما يكون اليهم واستعار لفظ الانفراج لوجه يحتمل انه
بسبب التشبيه والجراءة مجاز كما سبق ويحتمل ان يراد بها خلوصه وخصوصه فيكون اشتقاقا من الحرية والجملة الشرطية خبر ان
المخففة من المثقلة واسمها ضمير الشان وهي مع اسمها وخبرها قائمة مقام مفعولي ظن وغرضه توبيخهم على التقصير البالغ في حقه
الى حد ان يظن المذكور وقوله والله ان امرءا الى قوله ان شئت من لطيف الحيلة في الخطاب الموجب للانفعال عنه وذلك انه
صور لهم افعالهم من التخاذل على العدو والضعف عنه افعالهم المذمومة التي لاموا التوبيخ والتعنيف بعبارة توهمهم اياها في اقبح
صورة واشدها كراهة اليهم وابلغها نكاية فيهم وهو تمكينهم للعدو من انفسهم فان افعالهم من التخاذل ونحوه هي بعينها تمكين
للعدو فيما يريد بهم واعداد له وتقوية لحاله ولما كان من عادة ظفر العدو استباحة المال والقتل وتمزيق الحال كنى عن الاول
بقوله يعرق لحمه ووجه استعارة عرق اللحم لسلب المال بكليته ظاهر وكنى عن القتل وساير اسباب الهلاك من فعل العدو بهشم
العظم وعن تمزيق الحال المنتظم بفري الجلد ثم لما كان من البين ان تخاذلهم تمكين للعدو منهم وكان تمكين الانسان للعدو من
نفسه بفعل هذه الافعال المنكرة لا يكون الا عن عجز عظيم وضعف في القلب عن مقاومته لا جرم اثبت العجز وضعف القلب لامرء
مكن عدوه من نفسه واكد ذلك بان وبالقسم البار وكنى بضعف القلب عن الجبن واتى بتلك الاثبات على وجه عام لكل امرء
فعل ذلك ولم يخصصهم بالخطاب لانسب تمكين العدو اليهم صريحا وان كانوا هم المقصودين بذلك ليحملهم نفارهم عن الدخول تحت
هذا العموم بالانقياد لامره والجهاد ثم اردفه بالامر بان يكون ذلك المرء الذي وصفه بما وصفه امرا على سبيل التهديد بعد التنفير
فقوله انت فكن ذاك ان شئت اي ذلك المرء الموصوف بالعجز والضعف خطاب لشخص مطلق الصادق على اي واحد منهم كان وامر له ان
يكون بصفة المرء الموصوف اولا تنفيرا له عما ذكره مما يلزم الانسان من الاحوال الردية عند تمكينه عدوه من نفسه وروي انه خاطب
بقوله انت فكن ذاك الاشعث بن قيس فانه روي انه قال عليه السلام وهو يخطب ويلوم الناس عن تقاعدهم عن الحرب هلا فعلت فعل ابن عفان
فقال له ان فعل ابن عفان لمخزاة على من لا دين له ولا وثيقة معه وان امرءا امكن عدوه من نفسه يهشم عظمه ويفري جلده لضعيف
رايه مأفون عقله انت فكن ذاك ان شئت الفصل وقوله فاما انا الى قوله ما يشاء لما خيرهم ان يكونوا ذلك المرء على سبيل التهديد
اردف ذلك بالتبري من حال المرء المذكور ليكون لهم به عليه السلام اسوة في النفار عن تمكين العدو من انفسهم الا بعد بذل النفس
في الجهاد اي على تقدير اختيار المخاطب تلك الحال فانه هو لا يختار ذلك الحال بل دون ان يعطي عدوه من نفسه ذلك التمكين ضرب
بالمشرفية يطير منه فراش الهام وتطيح منه السواعد والاقدام وكل ذلك كناية عن شدة المجاهدة ويفعل الله بعد ذلك الجهاد والتمكين
ما يشاء من تمكين العدو او عدم تمكينه فان اليه مصير الامور وعواقبها وقوله ايها الناس الى اخره ذكر ما لهم عليه من الحق وما له
عليهم منه ليعرفهم انه ادى ما عليه من الواجب لهم فينبغي لهم ان يخرجوا اليه من واجب حقه الذي فرض الله عليهم فبدا ببيان حقهم عليه
ادبا واستدراجا لطباعهم فان البداءة بحق الغير قبل حق النفس اليق بالادب واهم لسماعه فقيل فذكر منها اربعة امور بها يكون صلاح
حالهم في الدارين **احدها** النصيحة لهم وهي حثهم على مكارم الاخلاق وجذبهم الى ما هو الاليق بهم في معاشهم ومعادهم **الثاني**
توفير فيئهم عليهم من ان يظلمهم فيه وتمزيقه في غير وجوهه مما ليس بمصلحة كما تنسبوه الى من كان قبله **الثالث** تعليمهم كيلا يجهلوا
وانما لم يقل كيما يعلموا لان ظهور المنة عليهم بذكر نفي الجهل عنهم اشد من ظهورها في ذكر غرض ايجاد العلم لهم وذلك كان تاذي
الرجل وانفته من ان يقال له يا جاهل اشد بكثير من نفاره من ان يقال له لست بعالم **الرابع** تاديبهم كيما يعلموا فهذه الامور
الاربعة هي الواجبة على الامام للرعية واحد منها يرجع الى صلاح ابدانهم وقوامها وهو توفير فيئهم عليهم بضبطه وعدم التصرف
فيه لغير وجوه مصالحهم واثنان يرجعان الى صلاح حال نفوسهم اما من جهة اصلاح القوة النظرية وهو التعليم لغرض العلم
او من جهة اصلاح القوة العملية وهو التاديب لغرض العمل وواحد مشترك بين مصلحة البدن وحال النفس ونظام احوالهما وهو النصيحة
لهم ثم اردف ذلك ببيان حقه وذكر ايضا اربعة امور **الاول** الوفاء بالبيعة وهي الامور ازيها النظام الكلي الجامع لهم معا **الثاني**
النصيحة له في غيبته وحضوره والمراتب عند ذلك نظم شمل المصلحة بينهم وبينه ايضا **الثالث** اجابته حين يدعوهم من غير
تثاقل عن ندائه وان التثاقل عن دعوته مما يلزم منه ظهور العدو وغلبته عليهم وفوات مصالح عظيمة **الرابع** طاعتهم له حين

في بيان خطبة خطبها بعد التحكيم

ج ١

بأمره وظاهر أن شمل المصلحة لا ينتظم بدون ذلك وأنت تعلم بأدنى تأمل أن هذه الأمور الأربعة وإن كانت حقوقا له
عليهم إلا أنه إنما يطلبها منهم لما يعود عليهم به من النفع في الدنيا والآخرة فإن الوفاء ملكة تحت العفة والنصيحة له سبب نظام أمورهم
بين وإجابة دعوته إجابة لداعي الله الجاذب إلى الخير والمصلحة وكذلك طاعة أمره طاعة لأمر الله إذ هو الناطق به وقد علمت ما تستلزمه
طاعة الله من الكرامة عنده وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم** الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب
الفادح والحدث الجليل وأشهد أن لا إله إلا الله ليس معه إله غيره وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله أما
بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة
أمري ونخلت لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصير أمر فأبيتم علي إباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة حتى ارتاب
الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح
إلا ضحى الغد **أقول** يعني أن عمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري لما التقيا بدومة الجندل وقد حكما في أمر الناس
كان علي عليه السلام قد دخل الكوفة ينتظر ما يحكمان به فلما تمت خدعة عمرو لأبي موسى وبلغه ذلك عليه السلام اغتم له غما شديدا ووجم
منه وقام فخطب الناس فقال الحمد لله الفصل وزاد بعد الاستشهاد ببيت دريد في بعض الروايات ألا إن هذين الرجلين اللذين
اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب وأحييا ما أمات واتبع كل واحد منهما هواه وحكم بغير حجة ولا بينة ماضية واختلفا فيما حكما
فكلاهما لم يرشد الله فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير وأصبحوا في معسكركم يوم كذا وأما نفس التحكيم وسببها فمذكور في التواريخ
والخطب الأمر العظيم والفادح الأمر إذا غاله وبهظه والجافي خشن الطباع الذي ينبو طبعه عن الموافقة والمنابذ المقاطع وبيان قوله
الحمد لله إلى قوله الجليل وقد عرفت نسبة الخير والشر إلى الدهر على أي وجه هي ومراده أحمد الله على كل حال من السراء والضراء
وإن هنا للغاية ويفهم من هذا الفصل وقوع الخطب الفادح وهو ما وقع من أمر الحكمين وحمد الله عليه وقوله ليس معه إله غيره تأكيد
لمعنى كلمة التوحيد وتقرير لمقتضاها وقوله أما بعد إلى قوله الندامة القيود الأربعة التي ذكرها من صفات المشير معتبرة في حسن
الرأي ووجوب قبوله أما كونه ناصحا فلأن الناصح يصدق الفكر ويمحض الرأي وغير الناصح ربما يشير بغير الرأي ويوقع في الهلكة
وأما كونه شفيقا فلأن الشفقة تحمل على النصح فتحمل على حسن التروي في الأمر وإيقاع الرأي حينئذ عن تثبت واجتهاد والباعث
على هذين أعني النصح والشفقة إما الدين أو محبة المستشير وأما كونه عالما فلأنه أبلغ في إصابته لعلمه وجه المصلحة في الأمر فإن الجاهل
أعمى لا يبصر وجه المصلحة فيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا وقال عبد الله بن الحسين لابنه
احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحا كما تحذر عداوة العدو العاقل فإنه ربما يوشك أن يقع بك مكر العاقل كما يوشك أن
يورطك سوء رأي الجاهل وأما كونه مجربا فلأنه لا يتم رأي العالم ما لم ينضم إليه التجربة وذلك لأن العالم وإن علم وجه المصلحة في الأمر
إلا أن ذلك الأمر قد يشتمل على بعض وجوه المفاسد لا يطلع عليه إلا بالتجربة مرة ومرة فالمشورة من دون تجربة مظنة الخطأ وقيل
في منثور الحكم كل شيء يحتاج إلى العقل والعقل يحتاج إلى التجارب وإذا عرفت أن طاعة المشير الموصوف بالصفات المذكورة
مستلزمة في أغلب الأحوال للمصلحة وبحسن ثمرة رأيه والفوز بها لا جرم كان معصيته ومخالفة رأيه مستلزمة للحسرة مستعقبة للندامة
وقوله وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري لما قدم أن معصية المشير المذكور تعقب الحسرة والندامة أردف ذلك ببيان أنه هو المشير
وأنه أشار عليهم بما ألغوه لينتج لهم أنهم عصوا مشيرا قد استكمل شرائط الرأي فيتوقعوا الندامة على معصيته وقوله ونخلت لكم مخزون رأيي
استعارة للفظ النخل للاستخلاص أسد آرائه وأجودها لهم بحسب اجتهاده ووجه المشابهة أن أجود ما ينتفع به ما ينخل من دقيق ونحوه
وهو المنخول كذلك الرأي أجوده وأنفعه ما استخلص صافيا من كدورات الشهوة والغضب وقوله لو كان يطاع لقصير أمر مثل وقصير هذا
هو قصير بن سعد اللخمي مولى جذيمة الأبرش بعض ملوك العرب وأصل المثل أن جذيمة كان قتل أبا الزباء ملكة الجزيرة فبعثت إليه بعد
حين ليتزوج بها خدعة وسألته القدوم عليها فأجابها إلى ذلك وخرج في ألف فارس وخلف باقي جنوده مع ابن أخته عمرو بن عدي
كان قصير أشار إلى جذيمة أن لا يتوجه إليها فلم يقبل رأيه فلما قرب جذيمة من الجزيرة استقبله جنود الزباء بالعدة ولم ير منهم إكراما
له فأشار عليه قصير بالرجوع عنها وقال إنها امرأة ومن شأن النساء الغدر فلم يقبل فلما دخل إليها غدرت به وقتلته فعندها قال
قصير لا يطاع لقصير أمر فذهب مثلا لكل ناصح عصي وهو مصيب في رأيه وقد يتوهم أن جواب لو ههنا متقدم والحق أن جوابها محذوف
والمعنى يتضح بترتيب الكلام والتقدير أني كنت أمرتكم أمري في هذه الحكومة ونخلت لكم فلو أطعتموني لفعلتم ما أمرتكم به ومحضت
لكم النصيحة فيه فقوله لفعلتم هو تقدير الجواب وتمام ذلك عليه أن قوله فأبيتم علي إباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة وقوله
في تقدير استثناء نقيض ذلك التالي وتقديره لكنكم أبيتم علي إباء من خالف الأمر وجفا المشير وعصاه حتى شك في نصحه هل كان
صوابا أو خطأ وهذا الحكم حق فإن المشير بالرأي الصواب إذا كثر مخالفوه فيه فقد يتهم نفسه في صحة ذلك الرأي وصوابه لأن استخراج وجه

في بيان خطبته في تخويف اهل النهروان

المصلحة في الامر لم يجتهد فيها اي يغلب على الظن بكثرة الامارات الظنية للمشير فانه لا يجوز للمشير ان يكون خلاف ما رآه هو الاصلح وقد يمانع انه قد يعرض لغيرها ما رآه اخرى يغلب على ظنه ان ما رآه هو ليس بمصلحة فيتعارض بها ما رآه الاول حقا ومخالفته في رأيه فاذا كثرت تلك المخالفة من جمع عظيم جاز ان يتشكك الانسان فيما ظنه من المصلحة انه ليس بمصلحة وان الامارات التي اقتضت ذلك الظن غير صحيحة فلذلك قال حتى ارتاب الناصح بنصحه وعنى بالناصح نفسه او من رأى رأيه والاطباق اكثر اصحابه على مخالفته وقال بعض الشارحين بجاز ذلك على ابناء الغيرة لانه منزه عن ان يشك فيما يراه صوابا بعد ثبوته وقوله وضن الزند بقدحه فمثل مضروب لمن يبخل بفوائده اذا لم يجد لها قابلا اعتبارا فانه بحيث لها ولم يتمكن من افادتها فان المشير اذا اتهم واستغش وعصي في رأيه لا يسفح له بعد ذلك رأي صالح بحكم الغضب عليه من جهة مخالفته وعدم قبول رأيه ولما كان غرضه ان يقرعهم على التمادي في مخالفته وان يشعرهم بثمرة عصيان امره الصادر عن معاينة وجه المصلحة كما هو قال فكنت واياكم كما قال اخو هوازن امرتهم امري بمنعرج اللوى البيت وهو لدريد بن الصمة من قصيدة له في الحماسة اولها نصحت لعارض واصحاب عارض ورهط بني السوداء والقوم شهدي وقصة هذه القصيدة ان اخاه عبد الله بن الصمة غزا بني بكر بن هوازن بن غطفان فغنم منهم واستاق ابلهم فلما كان بمنعرج اللوى قال لا والله لا ابرح حتى انحر النقيعة وهي ما ينحر من النهب قبل القسمة واجيل السهام فقال له اخوه دريد لا تفعل فان القوم في طلبك فابى عليه ونحر النقيعة وبات فلما اصبح هجم القوم عليه وطعن عبد الله بن الصمة فاستغاث باخيه دريد فنهنه عنه القوم حتى طعن هو ايضا وصرع وقتل عبد الله وحال الليل بين القوم فنجا دريد بعد طعنات وجراح حصل له فقال القصيدة وانما قال عليه السلام اخو هوازن لنسبته اليهم فان دريد بن الصمة من بني جشم بن معوية بن بكر بن هوازن ونحوه قوله تعالى واذكر اخا عاد لنسبته فيهم وكذلك قال لهم اخوهم لوط ويكفي في الصدق اطلاق لفظ الاخوة مجازا بمجرد الاتصال بينهم والملابسة لهم وقد عرفت ذلك ووجه تمثله عليه السلام بالبيت اني كنت واياكم في نصيحتي لكم ونهيي عن الحكومة ومخالفتكم المستلزمة لندامتكم على التفريط كهذا القائل مع قومه حيث نصحهم فعصوه فلحقهم ما لحقهم من الندامة والهلاك واعلم ان الذي اشار به على اصحابه هو ترك الحكومة والصبر على قتال اهل الشام وتحمل تشبث امارات تغلبه ليلة الهرير كما بينت لا تحد على اهل الشام فلما غابوا الهلاك استشار معوية بعمرو بن العاص في كيفية الخلاص فقال له عمرو ان رجالك لا تقوم لرجاله ولست مثله هو يقاتلك على امر وانت تقاتله على غيره انت تريد البقاء وهو يريد الفناء واهل العراق يخافون منك ان ظفرت بهم واهل الشام لا يخافون عليا ان ظفر بهم لكن الق الى القوم امرا ان قبلوه اختلفوا وان ردوه اختلفوا ادعهم الى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم فانك بالغ به حاجتك فاني لم ازل ادخر هذا الامر لوقت حاجتك اليه فعرف معوية ذلك فلما اصبحوا رفعوا المصاحف على اطراف الرماح وكان عددها خمسمائة مصحف ووضعوا مصحف المسجد الاعظم على ثلثة رماح مشدودة يمسكها عشرة رهط ونادوا باجمعهم الله الله معشر العرب في النساء والبنات الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فقال عليه السلام اللهم انك تعلم انهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم انك انت الحكم الحق المبين فاختلف اصحابه فقالت طائفة القتال القتال وقال اكثرهم المحاكمة الى الكتاب ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا الى حكم الكتاب فنادوا من كل جانب الموادعة فقال عليه السلام في جوابهم ايها الناس اني احق من اجاب الى كتاب الله ولكن معوية وعمرو بن العاص وابن ابي معيط ليسوا باصحاب دين ولا قرآن اني اعرف بهم منكم صحبتهم صغارا ورجالا فكانوا شر صغار وشر رجال ويحكم انها كلمة حق يراد بها باطل انهم ما رفعوها انهم يعرفونها ولا يعملون بها ولكنها الخديعة والمكيدة والوهن اعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق الا ان يقطع دابر القوم الذين ظلموا فجاءه عشرون الفا من اصحابه ينادونه باسمه دون امرة المؤمنين اجب القوم الى كتاب الله اذا دعيت والا قتلناك كما قتلنا عثمن فقال عليه السلام ويحكم انا اول من اجاب الى كتاب الله واول من دعا اليه فكيف لا اقبله وانما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن ولكني قد اعلمتكم انهم قد كادوكم وليس العمل بالقرآن يريدون فقالوا ابعث الى الاشتر يأتيك وقد كان الاشتر صبيحة ليلة الهرير قد اشرف على عسكر معوية ليدخله ولاح له الظفر فبعث اليه فرجع على كره منه ووقع بينه وبين من اجاب الى الحكومة من اصحابه على مشاتمات ومجادلات على ما اختاروا من ترك الحرب ثم تنادوا من كل جانب رضي امير المؤمنين بالتحكيم وكتبوا كتاب العهد بالرضا به وسنذكر كيفيته انشاء الله تعالى وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

في تخويف اهل النهر فانا نذير لكم ان تصبحوا صرعى باثناء هذا النهر وباهضام هذا الغائط على غير بينة من ربكم ولا سلطان مبين معكم قد طوحت بكم الدار واحتبلكم المقدار وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فابيتم علي اباء المخالفين المنابذين حتى صرفت رأيي الى هواكم وانتم معاشر اخفاء الهام سفهاء الاحلام ولم آت لا ابا لكم بجرا ولا اردت بكم ضرا **اقول** الخطاب للخوارج الذين قتلهم بالنهروان وقد كان القضاء الالهي سبق فيهم بما كان منهم من الخروج روي في صحيح الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وآله بينا هو يقسم قسما جاءه رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فقال اعدل يا محمد فقال صلى الله عليه وآله قد عدلت فقال له ثانية اعدل يا محمد فانك لم تعدل فقال صلى الله عليه وآله ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فقام عمر فقال يا رسول الله ائذن لي في ضرب عنقه فقال دعه فسيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يخرجون على خير فرقة من الناس يحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم وصومكم عند صومهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم

نقض الحكومة

امر بهم

مصحف

صبيحة

عليه

منهم رجل

فيهم رجل اسود مخدج اليد احدى يديه كانها ثدى امرأة او بضعة لحم يقتله اولى الفريقين بالحق وفى مسند احمد عن مسروق قال قالت لى عائشة انك من ولدى ومن احبهم الىّ فهل عندك علم من المخدج فقلت نعم قتله على بن ابى طالب على نهر يقال لاعلاه تامرا ولاسفله النهروان بين اخافيق وطرفاء فقالت ابغنى على ذلك بينة فاقمت رجالا شهدوا عندها بذلك قال فقلت لها سالتك بصاحب القبر ما الذى سمعت منه فيهم فقالت سمعته يقول انهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم عند الله وسيلة فاما سبب خروج هؤلاء القوم فهو انه لما قهره اصحابه على التحكيم واظهروا عنه الرضى به رضيا بان حكم وعظم فلم يلبثوا ان كتبوا كتاب التحكيم واخذه الاشعث بن قيس فطاف به على اصحاب معوية فرضوا به وطاف به على اصحاب على فرضوا به حتى مر برايات عنزة وكان مع على منهم بصفين اربعة آلاف فارس فلما قرء الكتاب عليهم قال فتيان منهم لا حكم الا لله ثم حملا على اصحاب معوية فقتلا فهما اول من حكم ثم مر على مراد ثم على رايات بنى راسب ثم على بنى تميم وكل فرقة قرء عليهم قالوا لا حكم الا لله لا نرضى ولا نحكم الرجال فى دين الله فرجع الاشعث فاخبر عليا عم بذلك فاستصغر امرهم وظن انهم قليلون فلما مضى امر الحكمين ما داعيا الا والناس يتنادون من كل جانب لا حكم الا لله الحكم لله يا على لا لك وقد كنا اخطانا حين رضينا بالحكمين فرجعنا الى الله وتبنا فارجع انت وتب الى الله كما تبنا والا برئنا منك فابى عم الرجوع وقال ويحكم ابعد العهد نرجع فما نصنع بقوله تعم واوفوا بالعهد اذا عاهدتم الاية ثم ان الخوارج لا تضليل التحكيم والطعن فيه تبرؤا من على وبرئ منهم ثم كان اجتماعهم بحروراء فناظرهم عم بها فرجع منهم الفان ثم مضوا الى النهروان وكان اميرهم يومئذ عبد الله بن الكوا وحين القتال عبد الله بن وهب الراسبى فسار اليهم فخطبهم فقال نحن اهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وعنصر الرحمة ومعدن العلم والحكمة ايها القوم انى نذير لكم الفصل وروى انه لما قتلهم طلب ذا الثدية فيهم طلبا شديدا فلم يجده فجعل يقول والله ما كذبت ولا كذبت اطلبوا الرجل وانه لفى القوم فلم يزل يطلبه حتى وجده فى وهدة من الارض تحت القتلى وهو رجل مخدج اليد كانها ثدى فى صدره وعليها شعرات كشارب الهر فكبر على وكبر الناس معه وسروا بذلك اللغة صرعى جمع صريع وهو المطروح والاهضام ما سفل من الارض وطوحت بكم اى توهتكم فى اموركم ورمت بكم المرامى واحتبلكم اوقعكم فى الحبالة والنكر المنكر ويروى بجرا والبجر الامر العظيم والداهية ويروى هجرا وهو الساقط من القول ويروى عرا والعر المعرة والاثم والعر الجرب ياخذ الابل فى مشافرها ويستعار للداهية واعلم ان حاصل هذا الفصل تخبير للقوم من الهلاك وهم على غير تبينة من ربهم ولا حجة يحتجون بها على ما يدعونه حقا ويقاتلون عليه وذلك مما يجب الحذر منه ان يفعل وما سمينا الحجة بها سلطانا لان بها الغلبة والتسلط وهو من باب الاستعارة وقوله فقد طوحت بكم الدار كنى بالدار عن الدنيا وانما نسب هلاكهم او ابعادهم وتيههم اليها لان اهلاكهم والموجب لتيههم انما هو اتباع اهوائهم اباطلة التى منشاؤها انما هو تحصيل امر دنيوى من مال وجاه ونحوه فكانت الدنيا هى التى رمت بهم المرامى عن سعة الله والحرب بهم عن طاعته وقوله واحتبلكم المقدار استعارة حسنة لاحاطة القدر لنازل من قضاء الله بهم فهو كحبالة الصائد المحيطة بالطاير منها اذا نزلت به وقوله كنت نهيتكم عن هذه الحكومة الى قوله الى هواكم تقرير للحجة عليهم وكانه يقول لهم ان كان الحق هو عدم الحكومة فلم طلبتموها وابيتم على اباء المخالفين المنابذين لما نهيتكم عنها حتى صرت الى هواكم فيها وان كان الحق هو ايقاعها فلم شاققتموا الى انكارها او فعلها وجعلتم لله على بها عهدا وعلى انفسكم ببغيكم الخطاء وقوله وانتم معاشر اخفاء الهام سفهاء الاحلام لوازم الحال العامل صرفت والاصناف فى الخفاء وسفهاء غير محضة ولذلك صح كونهما وصفين لمعاشر وخفة الهام كناية عن رذيلة الطيش المقابلة لفضيلة الثبات والسفه رذيلة مقابلة للحلم والثبات تحت الحلم فضلتان تحت ملكة الشجاعة ولما كانت هاتان رذيلتين تسند الى الفضيلتين صح اضافتهما اليهما وقوله ولم آت لا ابا لكم نكرا ولا اردت بكم ضرا خرج مخرج الاعتذار اليهم واستدراجهم بتبيان نحو فعله ونفى المنكر عنه وعدم قصد الاساءة اليهم ليرجعوا عما شبه اليهم وقوله لا ابا لكم كلمة اعتيدت فى السنة العرب قال الجوهرى يراد بها المدح وقال غيره يراد بها الذم فان عدم المحقوق باب يستلزم العار والسبة وقيل هى دعاء على الرجل بان لا يكون له اب يعززه ويشد ظهره ونفى الاب يستلزم نفى العشيرة له فكانه دعا عليه بالذل وعدم الناصر والله اعلم

ومن كلام له عليه السلام يجرى مجرى الخطبة

فقمت بالامر حين فشلوا وتطلعت حين تقبعوا ونطقت حين تعتعوا ومضيت بنور الله حين وقفوا وكنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا فطرت بعنانها واستبددت برهانها كالجبل لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف لم يكن لاحد فى مهمز ولا لقائل فى مغمز الذليل عندى عزيز حتى آخذ الحق له والقوى عندى ضعيف حتى آخذ الحق منه رضينا عن الله قضاءه وسلمنا له امره اترانى اكذب على رسول الله والله لانا اول من صدقه فلا اكون اول من كذب عليه فنظرت فى امرى فاذا طاعتى قد سبقت بيعتى واذا الميثاق فى عنقى لغيرى **اقول** التعتعة الاضطراب فى الكلام من الحصر وتطلع الامر اختباره وتعرفه والتقبع التقبض يقال تقبع القنفذ اذا ادخل راسه بين كتفيه والاستبداد الانفراد والرهان ما يرهن ويتسابق عليه والهمز الغيبة وكذلك الغمز قال بعض الشارحين هذا الفصل فيه فصول التقطها الرضى رحمه الله من كلام طويل له عم قاله بعد وقعة النهروان ذكر فيه حاله منذ توفى رسول الله صلعم الى آخر وقته

اخفضهم

بالعيب

الأول فقمت بالأمر حين فشلوا الى قوله بوهما تهما هذا الكلام تُوفي مقرر فخاره واثبات فضيلته على سائر الصحابة للغاية وقوله

فقمت بالأمر حين فشلوا اشارة الى فضيلة شجاعته اى فقمت بامر الله بين يدى رسوله وبعده فى الحروب فى المقامات الصعبة التى ضعفوا

عنها والاوقات التى فشلوا فيها وامره فى ذلك ظاهر وقوله ونطقت حين تعتعوا اشارة الى ملكة الفصاحة ومستبعدها ملكة العلم اى نطقت

فى القضايا المبهمة والاحكام المشكلة والمنازل التى حصرت فيها بلغائهم فكنى بتلعثمهم وتعتعتهم عن قصور فصاحتهم وعيهم وقوله وتطلعت

حين تقبعوا اشارة الى كبر الهمة فى تحصيل ما ينبغى للانسان ان يحصله من تعرف الامور واخبارها والنظر فى مصادرها ومواردها

وهى ملكة تحت الشجاعة ولما كان التطلع على الامر يحتاج الانسان فيه الى الخروج من التطاول ومد العنق وتحديق العين ونحوه وكان تعرف

الامور واخبارها لا بد فيه من بعث رائد الفكر الذى هو عين النفس التى بها تبصر وتحديقه نحو الامور المعقولة وارسال المخيلة

لتفتيش خزائن المحسوسات اشبه ذلك التطلع فاستعار له لفظ التطلع وكنى به عنه وقوله حين تقبعوا اى كان تعرفى للامور حين

قصورهم عن ذلك ولما كان التقبع يقابل مد العين والتطاول الى رؤية الاشياء المسمى تطلعا وكان قصور افكارهم وعدم اعتنائهم

بالاشياء يقابل مد الفكر وتطاول الذهن الى معرفة الامور وكان قصور الفكر ايضا والعجز عن المعرفة تشبه التقبع كنى به عنه وقوله

ومضيت بنور الله حين وقفوا اشارة الى فضيلة العلم اى كان سلوكى لسبيل الحق على وفق العلم وهو نور الله الذى لا يضل من اهتدى

به وذلك حين وقفوا حائرين مترددين جاهلين بالقصد وكيفية سلوك الطريق وانما اثبت لنفسه هذه الفضائل وقرن كل فضيلة

له برذيلة منهم يقابلها ليظهر فضله بالنسبة اليهم انكان الغرض ذلك وقوله وكنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا كنى بخفض الصوت عن ربط

الجاش فى الامور والثبات فيها والتصميم على فعل ما ينبغى من غير التفات الى الحوادث والموانع عن فعل ما هو خير وبهذه الجملة فان كثرة

الأصوات وعلوها فى الافعال التى هى مظنة الخوف دليل الفشل ولا شك ان من كان اشد فى ذلك كان اعلى فوتا واسبق

الى مراتب الكمال ودرجات السعادة ممن كان اضعف فيه وقوله فطرت بعنانها واستبددت برهانها الضميران يعودان الى الفضيلة و

ان لم يجر لها ذكر لفظى فاستعار هاهنا لفظ الطيران للسبق العقلى لما بينهما من معنى السرعة واستعار لفظى العنان والرهان

اللذين هما من متعلقات الخيل للفضيلة التى استكملها نفسه تشبيها لها مع فضائل نفوسهم بخيل الحلبة ووجه المشابهة ان الصحابة

رضى الله عنهم لما كانوا يستبقون الفضائل ويتسابقون بها الى رضوان الله وسعادات الاخرة كانت فضائلهم التى عليها يتسابقون كخيل

الرهان ولما كانت فضيلته عليه السلام اكمل فضائلهم واتمها كانت بالنسبة الى فضائلهم كالفرس الذى لا يلحق فباعتباره يحسن منه ان يستعير

لسبقه بها لفظ الطيران ويجرى عليها لفظ العنان والرهان **الفصل الثانى** قوله كالجبل لا تحركه القواصف الى قوله آخذ

الحق منه وهذا الفصل يحكى فيه قيامه باعباء الخلافة حين انتهائها اليه وجريه فيها على قانون العدل وموافقة الامر الالهى وقوله

لم يكن لاحد فى مهمز ولا لقائل فى مغمز اى لم يكن فى عيب عاب به وقد راعى فى هذه القرائن الاربع مع الاربع الاخيرة من الفصل

الاول السجع المتوازى وقوله الذليل عندى عزيز حتى آخذ الحق له اعزازه للذليل اعتناؤه بحاله واهتمامه بامر ظلامته ومن الحق

بحال الانسان فقد اعزه ثم جعل الاعزاز غاية هى اخذ الحق له وكذلك قوله القوى عندى ضعيف حتى آخذ الحق منه فان ضعف

القوى هو قهره وتحت حكمه الى غاية يستوفى منه حق المظلوم فان قلت فهم من هاتين الغايتين ان نظره الى الذليل بعدها يضعف

حقه والى القوى بعد اخذ الحق منه لا يكون على سواء بل يكون التفاته الى القوى اكثر وذلك ليس من العدل قلت انه لما

لم يكن الغرض من الامر مساواة النظر بين الخلق الا لاخذ حق الضعيف من القوى وعدم التظالم بينهم لم يجب مساواة النظر بين الضعيف

والقوى الا من تلك الجهة ولم يكن اعزازه للقوى واكرامه فى غير وجه الظلم منافيا للجواز انفراده بفضيلة توجب اعزازه من جهة

الدين ايضا **الفصل الثالث** قوله رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله امره الى قوله من يكذب عليه قيل ذكر ذلك عليه السلام لما تفرس

فى طائفة من قومه انهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبى صلى الله عليه وآله من اخبار الملاحم فى الامور المستقبلة وقد كان منهم من يواجهه بذلك كما روى

انه لما قال سلونى قبل ان تفقدونى فوالله لا تسألونى عن فئة تضل مائة وتهدى مائة الا انبأتكم بناعقها وسائقها قام

اليه انس النخعى فقال اخبرنى كم فى رأسى ولحيتى طاقة شعر فقال عليه السلام والله لقد حدثنى حبيبى ان على كل طاقة شعر من رأسك ملك

يلعنك وان على كل طاقة شعر من لحيتك شيطانا يغويك وان فى بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وكان ابنه سنان بن

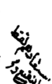
انس قاتل الحسين عليه السلام يومئذ طفلا يحبو وسيأتى بعض تلك الاخبار فقوله رضينا عن الله قضاءه وسلمنا له امره قد عرفت ان

الرضا بقضاء الله والتسليم لامره باب من ابواب الجنة يفتحه الله لخواص اوليائه ولما كان عليه السلام سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان

علم القضاء الالهى قد جرى على قوم بالتكذيب له والتهمة فيما يقول لا جرم هو كان عليه السلام اولى الناس بلزوم باب الرضا وقوله اترانى

اكذب الى قوله عليه استنكار لما صدر منهم فى حقه من التكذيب ولمراد حجته لبطلان اوهامهم فى حقه بصورة قياس الضمير مع

نتيجته وتقديره والله لانا اول من صدقه وكل من كان اول مصدق لفلان يكون اول مكذب له ينتج انى لا اكون اول مكذب له



والاوار الهفيف فقوله كالجبل تشبيه فى الثبات وقوله لا يحركه الجبل تحركه تحرك الرياح وعواصفها كذلك هو لا تحركه عن نحو الحق مزاعم المزاحم واتباع طبع بحانه [illegible]

الفصل الرابع قوله فنظرت في امري الى آخره فيه احتمالان احدهما قال بعض الشارحين انه مقطوع من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وانه كان معهودا اليه ان لا ينازع في امر الخلافة بل ان حصل له بالرفق والا فليمسك فقوله فنظرت فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي اي طاعتي لرسول الله صلى الله عليه وآله فيما امرني به من ترك القتال قد سبقت بيعتي للقوم فلا سبيل لي الى الامتناع منها وقوله واذا الميثاق في عنقي لغيري اي ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده الي بعدم المشاقة وقيل الميثاق ما لزمه من بيعة ابي بكر بعد ايقاعها اي فاذا ميثاق القوم قد لزمني فلم يمكنني المخالفة بعده الاحتمال الثاني ان يكون ذلك في معرض تبرمه من ثقل اعباء الخلافة وتكلف مداراة الناس على اختلاف اهوائهم ويكون المعنى اني نظرت فاذا طاعة الخلق لي وانقيادهم الي قد سبقت بيعتهم لي واذا ميثاقهم قد صار في عنقي فلم اجد بدا من القيام بامرهم ولم يسعني عند الله الا النهوض بامرهم ولولا ذلك لتركت كما قال من قبل اما والله لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكاس اولها والاول اشهر بين الشارحين والله اعلم بالصواب **ومن خطبة له عليه السلام**

وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق فاما اولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداء الله فدعاؤهم الضلال ودليلهم العمى فما ينجو من الموت من خافه ولا يعطى البقاء من احبه **اقول** يحتمل ان يكون هذا الكلام فصلين احدهما قوله وانما سميت الشبهة الى قوله ودليلهم العمى والثاني الباقي ففي الفصل الاول اشارة الى علة تسمية الشبهة شبهة ثم الى بيان حال الناس فيها اما الاول فالشبهة عبارة عما يشبه الحق مما يحتج به اما في صورته او في مادته او فيهما معا ولما كان علة تسميتها شبهة هو ذلك الشبه فلذلك حصرها فيه واما الثاني فلان الناس اما اولياء الله او اعداء له اما اولياؤه فلما كانت نفوسهم مشرقة بنور اليقين مستضيئة بمصباح النبوة في سلوك الصراط المستقيم كان تلك الانوار هادية اذا ما في ظلمات الشبهات وحرزهم عن الهوي في مهاوي الجهالات كما قال نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار الآية وهو الهدى المامور بلزوم سمته والسلوك له الى المطالب الحقة وهو المراد بقوله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداؤه فليس دعاؤهم الى ما يدعون اليه الا ضلالا عن القصد القويم والضلال الخروج عن الطريق الحق وليس ما يعتقدونه دليلا الا ما يزعمون انهم يهتدون به السبيل الا شبهة هي في نفسها عمى لابصارهم عن مطالعة نور الحق وطمس لاذهانهم عن استجابتهم عن اهتداء سلوك سبيل الله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور واما الفصل الثاني وهو قوله فما ينجو الى آخره فمقصده القضية الاولى قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وقوله اينما تكونوا يدرككم الموت الآية وحاصله التذكير بهادم اللذات والتخويف بذكره والتنفير عن محبة ما لا بد من زواله ليفرغ السامعون الى العمل لما بعده ان اخذ التوفيق بازمة عقولهم فان خوفه ومحبة ضده وهو البقاء لا ينفعان في الخلاص منه لكونه ضروريا في الطبيعة ويحتمل ان يكون الكلام متصلا ويكون الفصل الثاني قد سيق للفصل الاول كلاما يحسن تعلقه به وبالله التوفيق و

ومن خطبة له عليه السلام منيت بمن لا يطيع اذا امرت ولا يجيب اذا دعوت لا ابا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم اما دين يجمعكم ولا حمية تحمشكم اقوم فيكم مستصرخا واناديكم متغوثا فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي امرا حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام دعوتكم الى نصر اخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الاسر وتثاقلتم تثاقل النضو الادبر ثم خرج الي منكم جنيد متذائب ضعيف كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون

اقول روي ان هذه الخطبة خطبها في غزاة النعمان بن بشير الانصاري والسبب ان معوية بعث النعمان بن بشير في الفي فارس لارهاب اهل العراق فاقبل حتى دنا من عين التمر وكان عاملها يومئذ من قبل علي عليه السلام مالك بن كعب الارحبي ولم يكن معه انذاك سوى مائة رجل او نحوها فكتب مالك اليه عليه السلام يعلمه الخبر فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اخرجوا هداكم الله الى مالك بن كعب اخيكم فان النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من اهل الشام ليس بالكثير فانهضوا الى اخوانكم لعل الله يقطع بكم طرفا من الكافرين ثم نزل فتثاقلوا فارسل الى وجوههم فامرهم بالنهوض فتثاقلوا ولم يجتمع منهم الا نفر يسير نحو ثلثمائة رجل فقام عليه السلام فقال الا اني منيت الفصل وبرهان الدائرة كانت لمالك بن كعب على النعمان وجمعه منيت ابتليت وتحمشكم اي تغضبكم والمستصرخ المستجلب بصوته من ينصره والتغوث الصوت يستصرخ به وقيل هو قول الرجل واغوثاه والثار الرحل والجرجرة ترديد صوت البعير في حنجرته عند عسفه والسرر داء ياخذ البعير في سرته يقال منه جمل اسر والنضو من الابل البالي من تعب السير والادبر الذي به دبر وهي القرحة في ظهره وفي الفصل مطالب **الاول** قوله منيت بمن لا يطيع الى قوله دعوت وهو اظهار لتعديد نفسه على اصحابه بالنسبة اليهم التقصير في نصرته وتقبيح عليهم لاجل عذرهم **الثاني** قوله لا ابا لكم الى قوله مرام وهو استنهاض الى نصرة الله بسؤالهم عن سبب تثاقلهم عن نصرته والذب عن دينه سؤالا على سبيل الانكار للسبب وتنبيه لهم على الاسباب التي توجب اجتماعهم لنصرة الله والغضب له بسؤالهم عنها هل هي موجودة لهم ام لا سؤالا على سبيل الانكار لها اذ هم يدعون وجودها

فهو للدين الذي يأمر بالمعونة والاتحاد يعني كما قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء الآية ثم الحمية وهي الانفة تحمشكم
وكذلك قوله اقوم فيكم الى قوله امرا من الاسباب الباعثة لهم على الاجتماع فان ذكر حاله من استصراخهم واستغاثته بهم مع ذكر حالهم في مقابلة
ذلك من تثاقلهم عن ندائه وعدم طاعتهم له مما يبعثهم على خطائهم وتقصيرهم وقوله حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة اي ذكر لغاية
تثاقلهم عن دعوته وتنبيه بذكر استعقابه للمساءة على خطائهم فيه وكذلك قوله فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام عتاب وتوبيخ يبعث
طباع العرب على التالف على النصرة اذ من شانهم ثوران الطباع بمثل هذه الاقوال وقوله دعوتكم الى قوله الادبر استعار لفظ الجرجرة لكثرة
تعللهم وقوة تضجرهم من ثقل ما يدعوهم اليه ولما كانت جرجرة الجمل الاسر من وجع عرض لاجله شبه ما تسمعه منهم من التضجر بها و
كذلك تشبيهه تثاقلهم بتثاقل النضو الادبر وذكرهم ما دعاهم اليه من نصرة اخوانهم اعني اصحاب مالك بن كعب المذكور وجوابهم له بما
ما التبرم من ذلك التثاقل ثم اردف ذلك بتصغير من خرج منهم من الجنيد ووصفه بالاضطراب والضعف وتشبيههم بمن يساق الى
الموت وهو ينظر في تثاقله واضطرابه وضعفه عن الحركة الى ما يساق اليه لشدة خوفه وفي ذلك ذم وتوبيخ تستنفر به طباعهم عما هي
عليه من التثاقل عن ندائه والتقصير في اجابة دعائه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في معنى الخوارج لما سمع قولهم لا حكم
الا لله فقال كلمة حق يراد بها باطل نعم انه لا حكم الا لله ولكن هؤلاء يقولون لا امرة ولانه لا بد للناس من امير بر او فاجر يعمل في امرته
المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الاجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتامن به السبل ويؤخذ به للضعيف من
القوي حتى يستريح بر ويستراح من فاجر وفي رواية اخرى انه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال حكم الله انتظر فيكم ثم قال اما الامرة
الفاجرة فيتمتع فيها الشقي الى ان تنقطع مدته وتدركه منيته **اقول** قوله كلمة حق يراد بها باطل هذه الكلمة ربما اعترض بها
الخوارج من حيث دعاء اصحاب معاوية الى كتاب الله اي ان دعائهم لكم الى كتاب الله كلمة حق لكن ليس مقصودهم بها كتاب الله بل غرض اخر باطل
وهو وقوف الحرب عنهم وتفرق اهوائكم ونحوه مما لا يجوز ان يفعل **قوله** لا حكم الا لله تصديق لقولهم لكن لما عليه الكلمة في نفس الامر لا لما ارادوه
حقا من ظاهرها فان حصر الحكم ليس بحق على معنى انه ليس للعبد ان يحكم بغير ما نص كتاب الله عليه فان اكثر الاحكام الفروعية غير منصوص عليها
مع انها احكام الله بل تكون منتزعة بحسب الاجتهاد وسائر طرقها لمن كان اهلا لذلك ويجب على من ليس له اهلية الاجتهاد امتثالها ولما
تصور الخوارج تلك الكلمة بمعنى انه لا يصح حكم لم يوجد في كتاب الله ولا يجوز امتثاله ولا العمل به لا جرم قال نعم لا حكم الا لله لكن هؤلاء القوم
يقولون لا امرة اي انما نفوا ان يكون لغير الله حكم نص عليه فقد نفوا الامرة لان استنباط الاحكام والنظر في وجوه المصالح من لوازم الامرة
التي هي حال الامير في رعيته ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم ولما كانوا قد نفوا الامرة كذبهم بقوله ولا بد للناس من امير بر او فاجر فكان حاصل
الكلام في معنى شرطية متصلة هكذا اذا قالوا لا حكم الا لله كما تصوروه فقد قالوا بنفي الامرة لكن القول بنفي الامرة باطل فالقول بنفي الحكم
الا لله كما تصوروه باطل فقوله ولا بد للناس من امير في معنى استثناء نقيض تالي المتصلة وبيانه ان الانسان خلق مدنيا بمفارقة النقص الى التمام
بالشوق محتاجا الى مجموع قوى في بدنه هي منابع الشر فاهواء الخلق لذلك مختلفة وقلوبهم متفرقة فكانت طبيعة نظام احوالهم في معاشهم
وبقائهم محوجة الى سلطان قاهر تأتلف برهبته الاهواء وتجتمع بهيبته القلوب وتنكف بسطوته الايدي العادية اذ في طباع الخلق من حب المغالبة
على ما آثروه والقهر لمن عاندوه ما لا يكفون عنه الا بمانع قوي ورادع ملي وقد افصح المتنبي عن ذلك حيث يقول لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يراق على جوانبه الدم والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم وهذه العلة المانعة من الظلم عند الاستقراء ترجع
الى امور اربعة اما عقل زاجر او دين حاجز او عجز مانع او سلطان رادع والسلطان القاهر ابلغها نفعا لان العقل والدين ربما كانا مغلوبين
بدواعي الهوى فيكون رهبة السلطان اقوى ردعا واعم نفعا وان كان جائرا فانه روي عن رسول الله ص ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا
خلاق لهم في الاخرة وروي بالرجل الفاسق وروي عنه انه قال الامام الجائر خير من الفتنة وكل لا خير فيه وفي بعض الشر خيار اي ان وجود
الامام وان كان جائرا خير من عدمه المستلزم لوجود الفتنة ووقوع الهرج والمرج بين الخلق اذ كان بوجوده صلاح بعض الامور على انه وان
كان لا خير فيه ايضا من جهة ما هو جائر كما قال وكل لا خير فيه الا ان هيبته ووجوده بين الخلق مما يوجب الانزجار عن اثارة الفتن ويكون ذلك
خيرا وقع بوجوده لا يحصل مع عدمه فوجوده مطلقا واجب وذلك معنى قوله لا بد للناس من امير بر او فاجر وقوله يعمل في امرته المؤمن و
يستمتع فيها الكافر الضمير في امرته لما عاد الى الامير وكان لفظ الامير محتملا للبر والفاجر كان المراد بالامرة التي يعمل فيها المؤمن امرة الامير من حيث
هو بر والتي يستمتع فيها الكافر امرته من حيث هو فاجر وهذا اولى من قول بعض الشارحين ان الضمير يعود الى الفاجر فان امرة الفاجر
ليست مظنة تمكن المؤمن من عمله والمراد بعمل المؤمن في امرة البر عمله على وفق اوامر الله ونواهيه اذ ذلك وقت تمكنه منه والمراد
باستمتاع الكافر في امرة الفاجر انهماكه في اللذات الحاضرة التي يخالف فيها اوامر الله وذلك في وقت تمكنه من مخالفة الدين وقوله
ويبلغ الله فيها الاجل اي في امرة الامير سواء كان برا او فاجرا وفائدة هذه الكلمة تذكير العصاة ببلوغ الاجل وتخويفهم به وقوله ويجمع به
الفيء الى قوله القوي الضمائر المجرورة كلها راجعة الى الامير اطلاقا اذ تحصل الامور المذكورة كلها من وجوده كيف كان برا او فاجرا ومما

يؤيد ذلك

ج
١٠

ومما نؤيد ذلك ان اكثر الخلق متفقون على ان امراء بني امية كانوا فجارا اعداء رجلين او ثلثه كعثمان وعمر بن عبد العزيز وكان الفئ يجمع لهم والبلاد تفتح في ايامهم والثغور الاسلامية محروسة والسبل امنة والقوي مأخوذ بالضعيف ثم انهم جردوا شيئا في تلك الامور وقوله حتى يستريح بر ويستراح من فاجر غاية من الامور المذكورة اي غاية صنعه بهذه الامور ان يستريح بر بوجودها ويستراح من تعدي الفاجر وبغيه وقبل ان دوام هذه الامور لا تزال تحصل بوجود الامير برا كان او فاجرا الى ان يستريح بر بموته ويستراح من فاجر بموته او بعزله واما الرواية الاخرى فمعنى الكلام فيها ظاهر وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ان الوفاء توأم الصدق ولا اعلم جنة وما يغدر من علم كيف المرجع ولقد اصبحنا في زمان قد اتخذ اكثر اهله الغدر كيسا ونسبهم اهل الجهل فيه الى حسن الحيلة ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من امر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين **اقول** الجنة ما استترت به من سلاح ونحوه والقلب الحول الذي يكثر تحوله وتقلبه في اختيار الامور وتعرف وجوهها والانتهاز المبادرة الى الامر انتهاز وقت الامكان والحريجة التحرج وهو التحرز من الحرج والاثم واعلم ان الوفاء ملكة نفسانية تنشأ من لزوم العهد كما ينبغي والبقاء عليه والصدق ملكة تحصل من لزوم الاقوال المطابقة وهما فضيلتان داخلتان تحت فضيلة العفة مثلا زمتان ولما كان التوأم هو الولد المقارن لولد آخر في بطن واحد اشبهه الوفاء لمقارنته الصدق تحت العفة فاستعار لفظه له ثم لما كانت فضيلة الوفاء مقابلة برذيلة الغدر وفضيلة الصدق مقابلة برذيلة الكذب وكذلك الغدر والكذب ايضا توأمين تحت رذيلة الفجور المقابلة لفضيلة العفة **قوله** ولا اعلم جنة اوقى منه حكم ظاهر فان الوفاء وفاء بالذمة اما في الآخرة فللاستشارة به من عذاب الله وهو اعظم محذور واما في الدنيا فللاستشارة به من ... والعار وما يلزم من عدم الوفاء من الغدر والكذب الملطخين لوجه النفس واذ علمت انه لا استتار بشيء مما يجتن منه من الاسلحة وغيرها الى ما يتوقى بالوفاء علمت انه لا جنة اوقى من الوفاء ومدائح الوفاء ومذام الغدر كثيرة قال الله تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يوفون بعهدهم اذا عاهدوا الآية وقال ان العهد كان مسؤلا وقال ومن اوفى بعهده من الله وقال ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ومن الخبر في ذم الغدر لكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة وقوله وما يغدر من علم كيف المرجع اقول العلم بكيفية المرجع الى الله تعالى والاطلاع على منازل السفر اليه وعلى احوال الآخرة التي هي السفر صارف قوي عن ارتكاب الرذائل التي من جملتها الغدر وانما نص عليه دون غيره لكونه في معرض مدح الوفاء والترغيب فيه **قوله** ولقد اصبحنا في زمان الى قوله حسن الحيلة **اقول** انما اتخذ اهل الزمان الغدر كيسا ونسبهم كثير الى حسن الحيلة لان الفريقين لم يفرقوا بين الغدر والكيس فانه لما كان الغدر كثيرا ما يستلزم الدهاء والفطنة لوجه الحيلة وايقاعها بالمغدور وكان الكيس ايضا عبارة عن الفطانة والذكاء وجودة الرأي في استخراج وجوه المصالح التي ينبغي كانت بينهما شركة في استلزام مفهوميهما للتفطن والذكاء في استخراج وجه الحيلة وايقاع الآراء الا ان تفطن الغادر يستعمله في استنباط الحيل وان خالفت القوانين الشرعية وفاتت المصالح الكلية في جنب مصلحة جزئية تخصه وتفطن الكيس انما يستعمله في ايقاع راي وحيلة تنتظم مصلحة العالم وتوافق القوانين الشرعية ولدقة الفرق بينهما استعمل الغادرون غدرهم في موضع الكيس ونسبهم ايضا الجاهلون في غدرهم الى حسن حيلتهم كما نسب ذلك الجهال الى عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ونحوهما ولم يعلموا ان حيلة الغادر تخرجه الى رذيلة الفجور وانه لا حسن في حيلة جرت الى رذيلة وقوله ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول الى آخره دعاء عليهم بقتال الله لهم بعد استفهامه عن خوضهم في لزوم استفهاما على سبيل الانكار وقد علمت ان قتال الله كناية عن عداوته وابعاده عن رحمته وظاهر ان الغدر بعيد عن رحمة الله ثم اردف ذلك الدعاء بالاشارة الى انه لا فضيلة لهم فيما يفتخرون به من الذكاء في استنباط وجوه الحيلة اذ كانت غايتهم الغدر والخيانة فان الحول القلب في الامور قد يرى وجه الحيلة عيانا الا انه في العمل بها مانع من نهي الله وتحذيره عن ارتكابها لما يؤدي اليه من ارتكاب الرذائل الموبقة فيتركها راي عين اي حال ما هي مرئية له وبعد القدرة عليها خوفا من الله تعالى ثم يراها من لا يعتقد انما في حرم قواعد الدين فينتهز فرصتها اي يبادر اليها حال امكانها ولا يعد ذلك تميزا بالفضل في الحقيقة لتاركها عن وازع الدين والاشارة بالحول القلب الى نفسه فان شيمته الكريمة كانت كذلك

ومن خطبة له عليه السلام ايها الناس ان اخوف ما اخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي الآخرة الا وان الدنيا قد ولت حذاء فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء اصطبها صابها الا وان الآخرة قد اقبلت ولكل منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان كل ولد سيلحق بابيه يوم القيمة وان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل **اقول** حذاء خفيفة مسرعة لا يتعلق احد منها بشيء والصبابة بقية الماء في الاناء والمقصد بهذا الفصل النهي عن الهوى وطول الامل في الدنيا فانهما من اشد اسباب الهلاك فكان الجذب عنهما من اشد اسباب النجاة كما قال تعالى فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى

في بيان الاشارة الى اصحابه بالاستعداد لحرب اهل الشام

النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى لتذكير بامور الآخرة فاعلم ان الهوى هو ميل النفس الامارة بالسوء الى مقتضى طباعها من اللذات
الدنيوية الى حد الخروج عن حدود الشريعة واما الامل فقد سبق بيانه ولما كانت السعادة التامة انما هي في مشاهدة حضرة الربوبية
ومجاورة الملأ الأعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر وكان اتباع النفس الامارة بالسوء في حصول الطبيعة الانهماك في
ملذاتها الفانية اشد مهلك جاذب للانسان عن قصد الحق وصاد له عن سلوك سبيله وعن الترقي في ملكوت السموات
الى حضيض جهنم كما قال سيد المرسلين ص ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكما قال حب الدنيا رأس كل
خطيئة وقال الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما يقرب من احديهما يبعد عن الاخرى لاجرم كان اخوف ما ينبغي ان يخاف من الامور المهلكة
اتباع الهوى واما الامل فمراده به الامل الا ما ينبغي ان يمد الامل فيه من المقتنيات الفانية وظاهر ان طول الامل فيها يكون مطابقا لاتباع الهوى
وبه يكون نسيان الآخرة لان طول توقع الامور المحبوبة الدنيوية يوجب دوام ملاحظتها ودوام ملاحظتها مستلزم لدوام اعراض النفس
عن ملاحظة احوال الآخرة وهو مستعقب لنسيانها وما تصور في الذهن منها وذلك معنى النسيان لها وبذلك يكون الهلاك الابدي والشقاء
الاشقى ولما كان ع هو المتولي لاصلاح حال الخلق في امور معاشهم ومعادهم وكان الاهتمام بصلاحهم منوطا بهمته العلية فلا جرم نسب
الخوف عليهم الى نفسه **قوله** الا وان الدنيا قد ولت الى قوله صبابتها **اقول** الدنيا بالنسبة الى كل شخص هي ما حضر له وخفيفة
سريعة الاجفال لم يبق منها بالقياس اليه الا اليسير واطلاق الصبابة ههنا استعارة لبقيتها القليلة والقلة هي وجه شبهها بصبابة
الاناء وقوله الا وان الآخرة قد اقبلت لما نبه على ان الدنيا سريعة الاجفال اردف ذلك بالتنبيه على سرعة لحوق الآخرة واقبالها
وكل ذلك قطع للآمال الفانية وردع عن اتباع الهوى ومن آثار الصالحين اذا كان العمر في ادبار والموت في اقبال فما اسرع الملتقى
والموت هو دهليز الآخرة وقوله ولكل منهما بنون الى قوله يوم القيمة من لطائف كلامه فاستعار لفظ الابناء للخلق بالنسبة الى
الدنيا والآخرة ولفظ الاب لهما ووجه الاستعارة ان الابن لما كان من شأنه الميل الى الاب اما ميلا طبيعيا او بحسب تصور المنفعة منه
وكان في الخلق منهم من يريد الدنيا ومنهم من يريد الآخرة ويميل كل منهما الى مراده مع ما يحصل من طرف الدنيا للراغبين فيها مما يتوهمونه
لذة وخيرا وما يحصل من طرف الآخرة للراغبين فيها من اللذة والسعادة اشبه كل بالنسبة الى ما رغب فيه واستفاد منه الخير الابن
بالنسبة الى الاب فاستعير لفظه لذلك المعنى بعينه ولما كان ع في حث الخلق على السعي للآخرة والميل اليها والاعراض عن الدنيا قال
فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا ثم ذكر فائدة امره عليهم بان يكونوا كذلك وهي ان كل ولد سيلحق بابيه يوم القيمة وبيانه
ان ابناء الآخرة والطالبين لها والعاملين لاجلها مقربون في الآخرة لاحقون لمرادهم فيها ولهم فيها ما تشتهي انفسهم ولهم ما يدعون
نزلا من غفور رحيم واما ابناء الدنيا فان نفوسهم لما كانت مستغرقة في محبتها وناسية لطرف الآخرة ومعرضة عنها لاجرم كانت
يوم القيمة محجوبة في حضيرة الباطل مغلولة بسلاسل الهيئات البدنية والملكات الرديئة المتمكنة من جواهرها فهي لتعلقها بمحبة
الدنيا حيث لا تتمكن من محبوبها بمنزلة ولد لا تعلق له ولا مسكة الا بوالده ولا الف له الا معه ولا انس الا معه ثم حيل بينه وبينه مع
شدة تعلقه به وشوقه اليه ولحق الى اضيق الاعيان وبدل بالعز الهوان فهو في اشد وله وتيم واعظم حسرة وغم واما ابناء الآخرة ففي
حضانة ابيهم ونعمه قد زال عنهم بؤس الغربة وشقاء اليتم وسوء الحضن فمن الواجب ان تعرف احوال الوالدين واتباع ابرهما وادرهما
شفقة واعظمها بركة وما هي الا الآخرة فليكن ذوو العقل من ابناء الآخرة وليكن برا بوالده متوصلا اليه باقوى الاسباب وامتنها
وقوله وان اليوم عمل الخ كنى باليوم عن مدة الحيوة وبغد عما بعد الموت وراعى المقابلة فقابل اليوم بالغد والعمل بلا عمل ولا حساب
بالحساب واليوم اسم ان وعمل قام مقام الخبر استعمالا للمضاف اليه مقام المضاف اي اليوم يوم العمل ويحتمل ان يكون اسم ان ضمير الشان
واليوم عمل جملة من مبتدأ وخبر هي خبرها وكذلك قوله وغدا حساب ولا عمل وصدق هذين الحكمين ظ وفائدتهما التنبيه على وقت
العمل وعدمه ليبادروا الى العمل الذي به يكونون من ابناء الآخرة في وقت امكانه قبل مجيء الغد الذي هو وقت الحساب دون العمل وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام وقد اشار اليه اصحابه بالاستعداد لحرب اهل الشام بعد ارساله الى معوية جرير بن عبد الله البجلي ان استعدادي
لحرب اهل الشام وجرير عندهم اغلاق للشام وصرف لاهله عن خير ان ارادوه ولكن قد وقتّ لجرير وقتا لا يقيم بعده الا مخدوعا
او عاصيا والرأي مع الاناة فارودوا ولا اكره لكم الاعداد ولقد ضربت انف هذا الامر وعينه وقلبت ظهره وبطنه فلم
ار فيه الا القتال او الكفر انه قد كان على الامة وال احدث احداثا واوجد الناس مقالا فقالوا ثم نقموا فغيروا **اقول**
وقد كان في ظن كثير من الصحابة بعد ولا بد علي ع ان معوية لا يطيع له بامارات كثيرة ولذلك اشار عليه اصحابه بعد ارسال جرير
اليه بالاستعداد لحربه وروي ان جريرا لما اراد بعثه قال والله يا امير المؤمنين ما ادخرك من نصرتي شيئا وما اطمع لك في معوية
فقال ع قصدي حجة اقيمها ثم كتب معه اما بعد فان بيعتي بالمدينة لزمتك وانت بالشام لانه بايعني القوم الذين بايعوا ابابكر و
عمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار اذا اجتمعوا على رجل

بما نزل على محمد صلى الله عليه وآله

فسموه اماما

في بيان الإشارة إلى أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام

المحرر

فقوموا وأما ما كان من ذلك رضا فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيرا وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فإن أحب الأمور إلي فيك العافية إلا أن تتعرض للبلاء فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إلي أحملك وإياهم على كتاب الله فأما تلك التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد أرسلت إليك جرير بن عبد الله وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايع ولا قوة إلا بالله ومما جاء شيء من هذا الكتاب في كتبه إلى معاوية جوابه أما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان ولكنك أغريت بعثمان وخذلت عنه الأنصار فأطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمري ما حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير لأنهما بايعاك ولم أبايعك وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة لأنهم أطاعوك ولم يطعك أهل الشام فأما شرفك في الإسلام وقرابتك من النبي صلى الله عليه وآله وموضعك من قريش فلست أدفعه وكتب في آخر الكتاب قصيدة كعب بن جعيل التي أولها أرى الشام تكره أهل العراق وأهل العراق لها كارهونا وقد ذكرنا بعضها قبل ويروى أن الكتاب الذي كتبه عليه السلام مع جرير كانت صورته إني قد عزلتك ففوض الأمر إلى جرير والسلام وقال لجرير صن نفسك عن خداعه فإن سلم إليك الأمر وتوجه إلي فأقم أنت بالشام وإن تعلل بشيء فارجع فلما عرض جرير الكتاب على معاوية تعلل بمشاورة أهل الشام وغير ذلك فرجع جرير فكتب معاوية في أثره على ظهر كتاب علي عليه السلام من ولاك حتى تعزلني والسلام قوله الاستعداد التهيؤ للأمر والخداع الأخذ بالحيلة والأناة الاسم من التأني والرفق وأرودوا أمهلوا وتمت الأمر تقلبه وتفكر فيه قوله إن استعدادي إلى قوله أن أرادوه المراد أن أهل الشام في زمان كون جرير عندهم في مقام التردد والتفكر في الأمر ينتظرون ما يرد عليهم وإن لم يكن كلهم فبعضهم كان قد اعتقد قوة الحرب مع الحاد تبلغهم ذلك فاحتاجوا إلى الاستعداد بجمع الأسباب للقتال فكان في الاستعداد سببا لغلق الشام بالكلية وصرف من يكون في ذهنه تردد في هذا الأمر وقلب الخير عنهم وقوله قد وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده إلا مخدوعا أو عاصيا أي قد وقت له وقتا يصل إلينا فيه لا يتخلف عنه إلا لأحد مانعين الخداع منهم له ومواعيد يخلفونه بالجواب ليهنوا مورثهم في ذلك المدة ولعل عصيانا منه ومخالفة لأمري فإن قلت حصر تخلف جرير في هذين المانعين غير صحيح لجواز أن يتخلف لمرض أو موت أو عرض آخر قلت أنه لم يقصد الحصر بعينه وإنما أراد الحصر بحسب غلبة الظن الناشئ عن الأمارات والقرائن الحالية ثم كلامه لا ينافي الأسباب الاضطرارية التي من قبل الله تعالى فإن ذلك أمر معروف الأولى أن يجعل ذكرها أما الموانع الاختيارية فمانعها من غير جهة الظن هو الخداع وأما منه فغالب الظن أنه العصيان إذ لا يتصور من مثل جرير وقد أرسل في هذا الأمر المهم أن يعدل عنه إلى شغل مثل به حينا في نفسه ولغيره إلا أن يكون عاصيا وقوله والرأي مع الأناة رأي قد أجمع الحكماء على صوابه فإن أصابة المطالب والظفر بها في الغالب إنما هو مع التثبت والتأني في طلب ذلك فالأناة مظنة فكرة في الأضداد وإلى تحصيل الوجوه الأنفع والأسهل والمصلحة في تحصيل مطلوبه ولذلك كان من الحكماء الأمر بالتأني بقولهم من لم يتثبت في الأمور لم يعد مصيبا وإن أصاب فالفرص وإن كان هو لا يأتي إلا بها وإن حصلت من غير التأني كان مفرطا وثمرة التفريط غالبا الندم وعدم الإصابة والإصابة منه نادرة والنادر غير منتفع به ولا ملتفت إليه وقوله فأرودوا ولا أكره لكم الإعداد لما سبقهم على فضيلة الأناة لمرهم بها ونبه إنما أمرهم بها مع ما نبههم بقوله ولا أكره لكم الإعداد على أمور ثلاثة أحدها أنه ينبغي لهم أن يكونوا على تيقظ من هذا الأمر حتى يكون حال مشاورته إلهم لهم متهيئين من الاستعداد الثاني أن لا يتوهموا منه فيتوهموا الخلاف منه عن مفارقة أهل الشام وينحل الحلم بسبب ذلك فتفشل وضعف عزيمتهم الثالث ذكر الشارح ابن أبي حديد وهو أنه قد كان كره الاستعداد الظاهر الآن قوله ولا أكره لكم الإعداد تنبيه لهم على الاستعداد الباطن والتهيؤ في السر وربما كان تقرير التناقض بهذا الوجه أنه يوهم تناقضا وهو كونه أشار بترك الاستعداد ثم قال لأصحابه ولا أكره لكم الإعداد وقد علمت أن تركه للاستعداد في ذلك الوقت واختياره تركه لا ينافي تنبيهه لهم على عدم كراهيته لئلا يكونوا منه على تيقظ كما أومأنا إليه أولا وقوله ولقد ضربت إلى قوله الكفر أقول استعار لفظ العين والأنف والظهر والبطن الذي هو في الحيوان الحالي لمعاوية في أمر الخلافة وخلاف أهل الشام له استعارة على سبيل الكناية فكنى بالعين والأنف عن المهم من هذا الأمر وخالص صفات العين والأنف أعزما في الوجه وكنى بالضرب بهما عن قصد المهم منه على سبيل الاستعارة أيضا وكنى بلفظ الظهر والبطن لظاهر هذا الأمر وباطنه ووجوه الرأي فيه ولفظ التقليب لتصفح تلك الوجوه وعرضها على العقل واحدا واحدا قوله فلم أر إلا القتال

مثل به

في بيان الإشارة إلى أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام

او الكفر يعني ان الخيارة بعد التقليب والتفتيش لوجوه المصلحة في امر مخالفيه وهو قتالهم ونبّه على حصر اختياره لاحد قوليه او الكفر
اي ان احد الامرين لازم امّا القتال او الكفر وذلك انه ان لم يختر القتال لزم تركه مستلزم للكفر لكن لزوم الكفر منه محال فتعيّن
اختياره للقتال ومراده بالكفر الجحود فانه صرّح بمثله فيما قبل حيث يقول وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم
فما وجدتني يسعني الا قتالهم او الجحود بما جاء به محمد ص فان قلت ما وجه الحصر في القتال والجحود مع ان ترك القتال ايضا
مع الجحود ممكن قلت بيانه من وجهين احدهما قال الشارحون ان الرسول ص كان قد امره بقتال من خالفه لقوله امرت ان اقاتل
الناكثين والقاسطين والمارقين فلو ترك قتالهم مع ما عليه امر الاسلام من الخطر لكان قد خالف امر الرسول ص وتارك امتثال
مثله لاوامر الرسول لا يتصور الا عند عدم اعتقاد صحتها وذلك جحود به وكفر الثاني يحتمل ان يكون قد تجوّز بلفظ
الجحود في التهاون بهذا الامر تعظيما له في نفوس السامعين وهو من المجازات الشايعة وقوله انه كان لي حجة على وجه
عذره عمّا نسبه اليه معوية وجعله سببا لعصيانه وهو طلب دم عثمان وتمسّكه بذلك واراد بالوالي عثمان والاحداث التي
احدثها هو ما نسب اليه من الامور التي انكروها عليه كما سنذكرها واوجد الناس مقالا اي جعل لهم بتلك الاحداث طريقا
الى القول عليه فقالوا ثم انكروا ما فعل فغيّروه وازالوه فامّا الاحداث المنقولة عنه فالمشهور منها بين اهل السير عشرة الاولى
توليته امور المسلمين من ليس اهلا من الفساق مراعاة للقرابة دون حرمة الاسلام كالوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر وسعيد بن العاص
حتى ظهرت عنه الامور التي اخرجه اهل الكوفة منها بسببها وعبد الله بن ابي سرح مع قوة ظلمه وتظلم اهل مصر منه وهو الذي تمّم المسلمون
بمكاتبته بقتل محمد بن ابي بكر ونقل انهم ظفروا بالكتاب ولاجله عظم التظلم وكثر الجمع واشتد الحصار عليه الثانية ردّه الحكم بن ابي
العاص الى المدينة بعد طرد رسول الله ص له وبعد امتناع ابي بكر وعمر من ردّه فخالف في ذلك سنة الرسول ص وسيرة الشيخين وعمل
بدعواه مجردة من البيّنة الثالثة انه كان يؤثر اهله بالاموال العظيمة من بيت المال من غير استحقاق وذلك في صور منها انه دفع
الى اربعة نفر من قريش زوّجهم بناته اربعمائة الف دينار ومنها اعطى مروان مائة الف دينار وروي خمس افريقية وذلك خلاف
سنة الرسول ص ومن بعده من الخلفاء الرابعة انه حمى الحمى عن المسلمين بعد تسوية الرسول بينهم في الماء والكلاء الخامسة
انه اعطى من بيت مال الصدقة المقاتلة وغيرها وذلك ممّا لا يجوز في الدين السادسة انه ضرب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
وهو من اكابر الصحابة وعلمائها حتى كسر بعض اضلاعه وذلك ظلم ظاهر السابعة انه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصة و
احرق المصاحف وابطل ما لا شك انه من القرآن المنزل وذلك مخالفة لله وللرسول ومن بعده الثامنة انه اقدم على عمار بن ياسر
بالضرب مع انه من اشرف الصحابة ومع علمه بما قال الرسول ص عمار جلدة ما بين عيني تقتله الفئة الباغية لا انالها الله شفاعتي
حتى اصابه الفتق ولذلك صار عمار مظاهرا لبعض المتظلمين منه على قتله وروي انه كان يقول قتلناه كافرا التاسعة اقدامه على ابي
ذر مع تقدمه في الاسلام وشهادة الرسول ص وصحبته له وقوله فيه ما اقلت الغبراء ولا اظلت الخضراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر حتى نفاه الى الربذة
العاشرة تعطيله الحد الواجب على عبيد الله بن عمر بن الخطاب فانه قتل الهرمزان مسلما بتهمة انه امر ابا لؤلؤة بقتل ابيه ثم لم يقد
به وقد كان علي ع يطلبه بذلك فهذه هي المطاعن المشهورة فيه وقد اجاب الناصرون لعثمان عن هذه الاحداث باجوبة مستحسنة
وهي مذكورة في المطولات من مظانها وانما ذكرنا هذه الاحداث واوردناها مختصرة لتعلق المتن بذكرها ومن كلام له
عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني الى معوية وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل امير المؤمنين ع واعتقهم فلما طالبه
بالمال خاس به وهرب الى الشام فقال قبّح الله مصقلة فعل فعل السادة وفرّ فرار العبيد فما انطق مادحه حتى اسكته ولا صدّق واصفه
حتى بكّته ولو اقام لاخذنا ميسوره وانتظرنا بماله وفوره اقول مصقلة هذا كان عاملا لعلي ع على اردشير خرّه وبنو
ناجية قبيلة نسبوا انفسهم الى سامة بن لؤي بن غالب فدفعهم قريش عن هذا النسب وسمّتهم بني ناجية وهي امّهم امرأة سامة واما سبب هربه
الى الشام فهو ان الخريت احد بني ناجية كان قد شهد مع علي ع صفين ثم استهواه الشيطان فصار من الخوارج بسبب التحكيم وخرج
هو واصحابه الى المداين مفارقا لعلي ع فوجّه اليهم معقل بن قيس ثم الحق فارس من اهل البصرة ولم يزل يتبعهم بالعسكر بعد العسكر حتى لحقوهم
بساحل فارس كان بها جماعة كثيرة من قوم الخريت وكان فيهم من اسلم عن النصرانية فلما راوا ذلك الاختلاف ارتدوا واجتمعوا عليه فزحف
اليهم معقل بمن معه فقتل الخريت وجماعة منهم وسبا من كان ادرك فيهم من الرجال والنساء ونظر فيهم فمن كان مسلما اخذ بيعته و
خلّى سبيله واحتمل الباقين من النصارى وعيالهم معه وكانوا خمسمائة نفر حتى مرّوا بمصقلة فاستغاث اليه الرجال والنساء وبكوا وطلبوا
ان يعتقهم فاقسم ليتصدّقن عليهم بذلك في اوقات مخصوصة فلما قدم معقل على علي ع واخبره القصة شكر سعيه وانتظر المال من مصقلة
فابطأ به فكتب اليه باشخاصه او يفيه ومعه عليه فلما قرأ كتابه قدم وهو بالكوفة فاقام اياما ثم طالبه بالمال فادّى منه مائتي الف درهم
وعجز عن الباقي وخاف فلحق بمعوية فبلغ ذلك عليا فقال الفصل ولنرجع الى المتن فقبّح الله اي نحّاه عن الخير والتبكيت كالتقريع والائمة

ذكره

الكفر

اهل مصر

اثر

ثم بعث الى مصقلة ... فباعهم ... بمائة الف ...

والوفود

في بيان خطبة المستقطرة من خطبة طويلة خطبها يوم الفطر

ج ١٠١

وايوفر وقصد دوفر المال الى مما وفر ذاد وبربي موفورة ومقصورة بعد ان قدم الدعاء على مصقلة ببيان خطائه ثم اشار الى الحجة الخطائية
وهي جمعه بين امرين متنافيين في العرف وهما فعل السادة وذوي المرتبة والحمية حيث اشترى القوم واعتقهم مع الفرار الذي هو شيمة
العبيد ثم اكد ذلك بمثلين احدهما ما انطق مادحه حتى اسكته ويفهم منه معنيان احدهما ان يكون حتى بمعنى الى ام اي انه لم
ينطق مادحه حتى يقصد اسكاته بهربه فان اسكات المادح لا يتصور قصده او قصد الا بعد انطاقه وهو لم يتم فعله الذي يطلب
به انطاق مادحه بمدحه من الكرم والحمية والرقة ونحوها فكانه قصد اسكات مادحه بهربه فازرى عليه بذلك وقال لم ينطقه
بمدحه فكيف يقصد اسكاته بهربه وان كان العاقل لا يتصور منه قصد اسكات مادحه عن مدحه الا انه لاختياره الهرب المستلزم
لاسكات المادح صار كالقاصد له فنسبه اليه الثاني ان يكون المراد انه قد جمع بين غايتين متنافيتين انطاق مادحه بعتقه الاسرى
مع اسكاته بهربه قبل تمام انطاقه وهو وصف له بسرعة الحماقة لفضيلته برذيلته حتى كانه قصد الجمع بينهما وهذا كما تقول في وصف
سرعة تفرق الاحباب عن اجتماعهم ما اجتمعوا حتى افترقوا اي لسرعة افتراقهم كان الدهر قد جمع لهم بين الاجتماع والافتراق الثاني
قوله ولا صدق قاصده حتى بكته والقول فيه كالقول في الذي قبله ولو اقام الى اخره لما اشار الى خطائه اردفه بما يصلح جوابا بما عسى
يكون عذرا له لو اعتذر وهو توقعه التشديد عليه في امر ما بقي من المال حتى كان ذلك لوهم سبب هربه وفي بعض الروايات ولو
ولو اقام لاخذنا منه ما قدر عليه فان اعسر انظرناه فان عجز لم ناخذه بشيء والاول هو المشهور وبالله التوفيق **ومن خطبة له**
عليه السلام الحمد لله غير مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته ولا مأيوس من مغفرته ولا مستنكف عن عبادته الذي
لا تبرح منه رحمة ولا تفقد له نعمة والدنيا دار مني لها الفناء ولاهلها منها الجلاء وهي حلوة خضرة وقد عجلت للطالب
والتبست بقلب الناظر فارتحلوا منها باحسن ما بحضرتكم من الزاد ولا تسألوا فيها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ
اقول هذا الفصل ملتقط من خطبة طويلة له خطب بها يوم الفطر وهو غير متسق بل بين قوله نعمة وقوله والدنيا فصل طويل
وهذه الخطبة تنتظم الفصل المتقدم وهو قوله اما بعد فان الدنيا قد ادبرت وهو فيها بعد هذا الفصل ولم نذكرها كراهة التطويل
ولنعد الى الشرح فنقول القنوط الياس والاستنكاف الاستكبار ومني لها اي قدر والجلاء بالفتح والمد الخروج عن الوطن والتبست
امتزجت والكفاف ما كف عن الناس اي اغنى عنهم من المال والبلاغ ما بلغ مدة الحياة منه وكفى واعلم انه نبه على استحقاق الله تعالى للحمد
ودوامه باعتبار ملاحظة ستة احوال فاشار الى الحالة الاولى بقوله غير مقنوط من رحمته مقررا لقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وقوله
لا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وهذه الحال مما يشهد باثباتها العقل اذا كان العبد عند اخذ العناية
الالهية بضبعيه يعلم استناد جميع الموجودات كلها وجريها الى الصمد بحكمه وانه ليس شيء منها خاليا عن حكمه فيستلزم من ذلك ان يجاء
له واخذ العهد ... بالعبادة ليس الا لينجذب الى موطنه الاصلي ومبدئه الا... بالحق المحقق والحمد المطلق عن نار الحجب و
جحيم سعرت وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فلا يأس من روح الله عند نزول امر واجب النزول به مما يعده شرا بل يكون برجائه
اوثق وقلبه بتمويله العناية لها اعلق فانه لا ييأس من روح الله الا الذين عميت بصائرهم عن اسرار الله فهم في طغيانهم يعمهون اولئك
هم الخاسرون واشار الى الحالة الثانية بقوله ولا مخلو من نعمته مقررا لقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله فينبوع نعمه دائم الاثار فهي التي اشكو
طبايعها الحاجة اليه توجب لها فيض جوده فاستلزم ذلك وجوب تعريفها بلسان حالها ومقالها بالثناء المطلق عليه ودوام الشكر
له وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم واشار الى الحالة الثالثة بقوله ولا مأيوس من مغفرته مقررا لقوله
لقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية وهي شهادة بشمول ستره وجميل عفوه وغفره لمن جذبت بعقله
ايدي شياطينه لتخطر الى مهاوي الهلاك فعجز عن مقاومتها بعد ان كانت له مسكة بجناب الله فضعفت تلك المسكة عن ان
تكون منجاة له حال انجذابه لهواه وان كان ذلك الغفران متفاوتا بحسب قوة تلك المسكة وضعفها والعقل مما يؤيد ذلك بحكم بصحة
هذه الشهادة فان كل ذي علاقة بجناب الله يتخلص من العقاب ان بعد خلاصه على ما نطق به البرهان في موضعه وذلك يستلزم
الاعتراف بالاحسان ودوام الثناء والحمد ثم اشار الى الحالة الرابعة بقوله ولا مستنكف عن عبادته مقررا لقوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته ولا
يستكبرون وقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الاية وكونه تعالى غير مستنكف عن عبادته مما يشهد به عظيم على كمال
عظمته وانه المستحق للعبادة دون ما عداه اذ هو المجمع للكمال المطلق فلا يجد نقصان في البها ... فيكون سببا للاستنكاف والاستكبار
وغير مع كمال الشاوب الثلثة بعدها منسوبا على الحال وقوله الذي لا تبرح له رحمة ولا تفقد له نعمة اعتباران اخران يستلزمان في ملاحظتهما
وجوب شكره ثم وبينه بقوله لا يبرح على ... رحمة الله لعباده وقوله لا تفقد له نعمة كقوله ولا مخلو من نعمته ثم اعقب ذلك بالتنبيه على معايب
الدنيا للتنفير عنها فذكر وجوب الفناء لها ثم حذر بذكر العيب الاكثرها الذي يرغب مع ذكره وملاحظته من له ادنى بصيرة عن الركون
اليها ومحبته فينا فيها وهو مفارقتها الواجبة والجلاء عنها ثم اردف ذلك بذكر جهتين من جهات الميل اليها احدهما منسوبة الى القوة

الّا انّه وهي حالا وتها او الاخرى الى القوة الباصرة وهي خضرتها واطلاق لفظها مجاز كنى به عن جهات الميل اليها من باب اطلاق لفظ الجزء
على الكل ولايراده لهذين الوصفين اللذين هما وصفا مدح في معرض ذمّها كالقبيح بر اعتراض على ذمّها الغرض لن يحبّبه ولهذا اعقبت كونها
بما يصلح جوابا وينبّه على ما يصرف عن الميل اليها من ما بين الجهتين وهو كونها معجلة للطالب اذ كان من شان العاقل ان ينتفع بحاضر الحيلة
دون ما بعده حضوره فانّ حق من احبّ الله المعجل ولم يلتفت اليها سواء والدنيا كذلك كما اشار اليه بقوله والتبست بقلب الناظر وانّما خصّ الناظر لما
تقدم من ذكر الخضرة التي هي من حظ النظر فمن عجلت له مخبرة والتبست بقلبه وكان لا بدّ من مفارقتها لم ينتفع بما بعد لها بل يبقى في عذاب الفراق
منكوسا في ظلمة الوحشة محبوسا والبدا اشارة الى تنزيل الالهي من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها
مذموما مدحورا ثم انّه نبّه على معايبها امر بالارتحال عنها ولم يأمرهم بمطلق الرحيل بل بما معه من احسن الزاد اذ كانت الطريق المأمور بسلوكها
في غاية الوعورة مع طولها وقصر المدّة فتحتاج الى الزاد فيها فلا ينفع الا الزاد الاقوى الابقى الذي لا يتطرق اليه فناء ولا نقص حتى يلقى الله
لا فاضر [illegible] من هذا الارتحال الحقيقي الحاصل للنفس بعضها الى بعض ولا من الزاد المأكول المحسوس فانّ احسن ما بحضرتنا منه
ربما كان مهيئا عسر بل المأمور بارتحال الحق بتبيينه من تصور سلوك طريق الآخرة فانّك لما علمت انّ الغاية من التكليف البشري هي
الوصول الى حضرة الله ومشاهدة جلال كبريائه علمت من ذلك انّ الطريق الى هذا المطلب هي آثار جوده وشواهد الآية وانّ القاطع لمراحل
تلك الطريق ومنازلها هو قدم عقلك مقتديا باعلامها الواضحة كلما نزل منها منزلا اعدته المعرفة به لاستجلاء اعلام منزل اخر
اعلى واكرم منه كما قال ثم لتركبن طبقا عن طبق الى ان يستقر في مقعد صدق عند مليك مقتدر واذا تصوّرت معنى الارتحال وقد
علمت انّ لكل ارتحال وسفر زادا علمت انّ اكرم الزاد واحسنه في هذا الطريق ليس الا التقوى والاعمال الصالحة التي هي غذاء للعقول و
مادة حياتها واليه الاشارة بقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واشار بقوله ما بحضرتكم الى ما يمكنكم ان تأتوا به من الاعمال الصالحة
في حياتكم الدنيا ثم عقّب الامر باتخاذ الزاد بالنهي عن طلب الزيادة على ما يقوم به صورة البدن من متاع الدنيا اذ كان البدن مركوبا
تقطع به النفس مراحل طريقها فالزيادة على المحتاج اليه مما يحوج الراكب الى الاهتمام به والعناية بحفظه المستلزم للمحبة وكل ذلك مثقل
للظهر ومشغل عن الجهة المقصودة وذلك معنى قوله ولا تسألوا منها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ ولا تمدّن اعينكم
فيها الى ما متّع المترفون فتقصروا في الرحيل وتشتغلوا بطلب مثل ما شاهدتم وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام**
عند عزمه على المسير الى الشام اللهم انّي اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال اللهم انت الصاحب
في السفر وانت الخليفة في الاهل ولا يجمعهما غيرك لانّ المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا قال السيد الرضي
رضي الله عنه وابتداء هذا الكلام مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قفّاه امير المؤمنين عليه السلام بابلغ كلام وتمّمه باحسن تمام من قوله ولا يجمعهما غيرك
الى آخر الفصل **اقول** روى انّه عليه السلام دعا بهذا الدعاء عند وضعه رجله في الركاب متوجها الى حرب معاوية ووعثاء السفر مشقته واصله
المكان المتعب لكثرة رمله وغوص الارجل فيه والكآبة الحزن ويشتمل هذا الفصل على الالتجاء الى الله في خلاص طريقه المتوجه فيها من [illegible]
وعوّذا من الموانع الصادرة عن تمام المقصد وفي سلامة الاحوال المهمة التي تلتفت النفس بها عن الشغلات التي يتبع المعونة من عبادة الله
واعظمها احوال النفس بما يصيبها من اهل ومال وولد ثم عقّب ذلك بالاقرار بشمول عنايته وجميل رعايته وصحبته تقرير القول تعالى وهو
معكم اينما كنتم اذ شان الصاحب العناية بامور صاحبه وشان الخليفة على الشيء العناية بذلك حفظا لما يوجب له ضررا واستلزم جمعه
له بين هذين الحكمين وهما الخلافة والاستصحاب بقوله ولا يجمعهما غيرك كونه تعالى بريا عن الجهة والجسمية اذ كان اجتماعهما ممتنعا للانسان
اذ لا يكون حينئذ مستصحبا مستخلفا في حال واحد واكد ذلك وبيّنه بقوله لانّ المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا
فان قلت هذا الحصر انما يتم لو قلنا انّ كل ما ليس بذي جهة هو واجب الوجود وهذا مذهب خاص فما وجه صحته مطلقا قلت الحصر صادق
على كل تقدير فانّ على تقدير ثبوت امور مجرّدة عن الجسمية والجهة سوى الحق سبحانه فالمستحق للجمع بين هذين الامرين بالذات والاولى هو الله
تعالى وما سواه فبالعرض فيحمل الحصر على ذلك الاستحقاق ولنبحث عن فائدة الدعاء وسبب اجابته فانّه عرض لبعض الاذهان شبهة فيقول
اما ان يكون المطلوب بالدعاء معلوم الوقوع لله او معلوم اللاوقوع وعلى التقديرين فلا فائدة في الدعاء لانّ ما علم الله وقوعه وجب وما علم
عدمه امتنع فنقول في الجواب عن هذا الوهم انّ كل كائن فاسد موقوف في كونه وفساده على شرائط توجد واسباب تعدّ لاحدهما لا يمكن
بدونها كما علمت ذلك في مظانه واذا جاز ذلك فلعل الدعاء من شرائط ما يطلب به وهما وان كانا معلومي الوقوع لله وهو سببهما و
علتهما الاولى الا انّه هو الذي ربط احدهما بالآخر فجعل سبب وجود ذلك الشيء الدعاء كما جعل سبب صحة المريض شربه الدواء وما لم يشرب
الدواء لم يصح واما سبب اجابته فقال العلماء هو توافي الاسباب وهو ان يتوافى سبب دعاء رجل مثلا فيما يدعو فيه وساير اسباب وجود ذلك
الشيء معا عن الباري تعالى لحكمة الهية على ما قدّر وقضى ثم الدعاء واجب وتوقّع الاجابة واجب فانّ انبعاثنا للدعاء سببه من هناك و
يصير دعاؤنا سببا للاجابة وموافاة الدعاء للحادث الامر المدعو لاجله هما معلولا علة واحدة وقد يكون احدهما بواسطة الآخر وقد يتوهم

التي

والنفس والولد

ان السماويات

ان السماويات تنفعل عن الارضية وذلك انا ندعو فيستجاب لنا وذلك باطل لان المعلول لا ينفعل عن علته العالية واذا لم يستجب الدعاء لداع وان
كان يرى ان الغاية التي يدعو لاجلها نافعة فالسبب في عدم الاجابة ان الغاية التي نعتقد انها نافعة ربما لا تكون نافعة بحسب نفسه بل بحسب نظام الكل فلذلك
تتأخر اجابة دعائه او لا يستجاب له وبالجملة يكون عدم الاجابة لفوات شرط من شروط ذلك المطلوب حال الدعاء واعلم ان النفس الزكية
عند الدعاء قد يفيض عليها من الاول قوة تصير بها مؤثرة في العناصر فتطاوعها منصرفة على ارادتها فيكون ذلك اجابة للدعاء
فان العناصر موضوعة لفعل النفس فيها واعتبار ذلك في ابداننا فانا ربما تخيلنا شيئا فتتغير ابداننا بحسب ما يقتضيه احوال نفوسنا
وتخيلاتها وقد يمكن ان تؤثر النفس في غير بدنها كما تؤثر في بدنها وقد تؤثر في نفس غيرها وقد اشرنا الى ذلك في المقدمات
وقد يستجيب الله لتلك النفس اذا دعت فيما تدعو فيه اذا كانت الغاية التي تطلبها بالدعاء نافعة بحسب نظام الكل وبالله التوفيق

في ذكر الكوفة

ومن كلام له عليه السلام كأني بك يا كوفة تمدين مد الاديم العكاظي تعركين بالنوازل وتركبين بالزلازل واني لا
علم انه ما اراد بك جبار سوءا الا ابتلاه الله بشاغل ورماه بقاتل **اقول** عكاظ بالضم اسم موضع بناحية مكة كانت
العرب تجتمع به في كل سنة ويقيمون به سوقا مدة شهر ويتبايعون ويتناشدون الاشعار ويتفاخرون وفي ذلك يقول ابو
ذويب اذا بني القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الالوف فلما جاء الاسلام رفع ذلك والاديم العكاظي منسوب اليها لكثرة
ما كان يباع منه بها والاديم واحد وجمعه ادم وربما جمع على ادمة كرغيف وارغفة والعرك الدلك والنوازل المصائب والخطاب
ههنا للشاهد حال المدينة التي هي الكوفة والباء هو خبر كان وتمدين وتعركين وتركبين في موضع النصب على الحال وتقدير
الخطاب كاني حاضر بك ومشاهد لحالك المستقبلة حال التجاذب ايدي الظالمين لاهلك بانواع الظلم وهو المكنى عنه بمدها
وشبه ذلك بمد الاديم ووجه الشبه شدة ما يقع بهم من الظلم والبلاء كما ان الاديم مستحكم الدباغ يكون شديد المد والعرك
ملاحظة لشبهها بما يعرك من المطايا وكذلك لفظ الزلازل ملاحظة لشبهها فيما يقع لهم من الظلم الموجب لاضطراب الحال بالارض ذات
الزلازل ثم اشار الى مشاهدة ثانية لما يقع لمن اراد بهم سوءا واوقع بهم ما اوقع من البلاء فاشار الى كونهم جبابرة ثم الى ابتلاء الله
بعضهم بشاغل في نفسه عما يريده من سوء او بهم بموت من حادث خراب ورمي بعضهم بقاتل فاما المصائب التي ابتلي بها اهل الكوفة
والنوازل التي عركوا بها فكثيرة مشهورة في كتب التواريخ واما الجبابرة الذين ارادوا بها سوءا وطغوا بها فاكثروا فيها الفساد
فصب عليهم ربك سوط عذاب واخذهم بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فجماعة فمنهم من ابتلي بشاغل فيها زياد روي انه كان قد
جمع الناس في المسجد ليأمرهم بسب علي والبراءة منه ويبتليهم بذلك فيقتل من يعصيه فبينا هم مجتمعين اذ خرج حاجبه فامرهم
بالانصراف وقال ان الامير مشغول عنكم وكان في تلك الساعة قد رمي بالفالج ومنهم ابنه عبيد الله وقد اصابه الجذام ومنهم الحجاج
وقد تولدت في بطنه الحيات واحترق دبره حتى هلك ومنهم عمر بن هبيرة وابنه يوسف وقد اصابهما البرص ومنهم خالد القسري
وقد ضرب وحبس حتى مات جوعا واما الذين رماهم الله بقاتل فعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير والمختار بن ابي عبيد الثقفي
ويزيد بن المهلب واحوالهم مشهورة من رامها طالع التاريخ

اصاب

في خطبة له عند المسير الى الشام

ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله كلما وقب ليل وغسق
والحمد لله كلما لاح نجم وخفق والحمد لله غير مفقود الانعام ولا مكافأ الافضال اما بعد فقد بعثت مقدمتي وامرتهم
بلزوم هذا الملطاط حتى يأتيهم امري وقد رأيت ان اقطع هذه النطفة الى شرذمة منكم موطنين اكناف دجلة فانهضهم
معكم الى عدوكم واجعلهم من امداد القوة لكم قال السيد الشريف رضي الله عنه يعني بالملطاط ههنا السمت الذي امرهم بلزومه وهو
شاطئ الفرات ويقال ذلك لشاطئ البحر واصله ما استوى من الارض ويعني بالنطفة ماء الفرات وهو من غريب العبارات
وعجيبها **اقول** روي ان هذه الخطبة خطب بها وهو بالنخيلة خارجا من الكوفة متوجها الى صفين لخمس بقين من شوال
سنة سبع وثلثين ووقب الليل دخل وغسق اظلم وخفق النجم غاب ومقدمة الجيش اوله والشرذمة النفر اليسير والاكناف النواحي
ووطن البقعة واستوطنها اتخذها وطنا والامداد جمع مدد وهو ما يمد به الجيش من الجند واعلم انه قيد حمد الله باعتبار تكرره وضمن
ودوام حالين والعصر ولما كان دوام الحمد لله الا ان في التقييد بالقيود المذكورة فوائد **الاول** قوله كلما وقب ليل وغسق تنبيه
على كمال قدرة الله تعالى في تعاقب الليل والنهار واستحقاقه دوام الحمد بما يلزم ذلك من ضروب الامتنان **الثاني** قوله
كلما لاح نجم وخفق وفيه تنبيه على ما يلزم طلوع الكواكب وغروبها من الحكمة وكمال النعمة كما سبقت الاشارة اليه **الثالث** الحمد
له حال كونه غير مفقود الانعام وقد تكررت الاشارة الى فائدة هذا القيد **الرابع** كونه غير [illegible] تنبيه على كمال قدرة الله
في تعاقب الليل والنهار واستحقاقه دوام الحمد بما يلزم ذلك من ضروب الامتنان قوله تعالى كلما لاح نجم وخفق وفيه
تنبيه على ما يلزم طلوع الكواكب وغروبها من الحكمة وكمال النعمة كما سبقت الاشارة اليه الحمد له حال كونه غير مفقود
الانعام وقد تكررت الاشارة الى فائدة هذا القيد وقد تكررت هذه الاشارة الى فائدة هذا القيد كونه غير مكافأ الافضال

في بيان جملة من صفات الربوبية

الافضال وقال بعد التنبيه على ان افضاله لا يمكن ان يقابل بجزاء اذ كانت القدرة على الحمد والثناء نعمة ثانية وقد سبق بيان ذلك
فاما قوله اما بعد الى آخره فمن الاصل انه لما اراد التوجه الى صفين بعث زياد بن النضر وشريح بن هانئ في اثني عشر الف فارس
مقدمة له وامرهم ان يلزموا شاطئ الفرات فاخذوا شاطئها من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغوا عانات فذلك مخالفتهم لهم
بلزوم الملطاط وهو سمت شاطئ الفرات ولما هو فلما خرج من الكوفة انتهى الى المدائن فحذرهم ووعظهم ثم سار عنهم وخلف عليهم
عدي بن حاتم فاشخص منهم ثمان مائة رجل فسار بهم وخلف معهم ابنه زيد فلحقه في اربع مائة رجل منهم فذلك قوله وقد اردت
ان اقطع هذه النطفة اي الفرات الى شرذمة منكم موطنين اكناف دجلة وهم اهل المدائن فاما المقدمة فانه لما بلغهم انه سار على
طريق الجزيرة وان معاوية خرج في جموعه لاستقباله كرهوا ان يلقوهم وبينهم وبين علي عليه السلام الفرات مع قلة عددهم فرجعوا حتى عبروا
الفرات من هيت ولحقوا به فصوب رأيهم في الرجوع اليه وباقي الكلام ظاهر **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الذي بطن خفيات
الامور ودلت عليه اعلام الظهور وامتنع على عين البصير فلا عين من لم يره تنكره ولا قلب من اثبته يبصره سبق في العلو فلا شيء
اعلى منه وقرب في الدنو فلا شيء اقرب منه فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان به لم يطلع العقول
على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته فهو الذي تشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود تعالى الله
عما يقول المشبهون به والجاحدون له علوا كبيرا **اقول** يقال بطنت الوادي دخلته وبطنت الامر علمت باطنه وفي هذا الفصل
مباحث جليلة من العلم الالهي وجملة من صفات الربوبية **اولها** كونه تعالى بطن خفيات الامور ويفهم منه معنيان احدهما
كونه داخلا في جملة الامور الخفية ولما كان بواطن الامور الخفية اخفى من ظواهرها كان المفهوم من كونه باطنها انه اخفى منها عند
العقول الثاني ان يكون المعنى انه نفذ علمه في بواطن خفيات الامور اما المعنى الاول فبرهانه انك علمت ان الادراك اما حسي او عقلي
ولما كان الباري تعالى مقدسا عن الجسمية منزها عن الوضع والجهة استحال ان يدركه شيء من الحواس الظاهرة والباطنة ولما كانت
ذاته بريئة عن انحاء التركيب استحال ان يكون للعقل اطلاع عليها بالكنه فخفاؤه اذن على جميع الادراكات ظاهر وكونه اخفى الامور الخفية
واضح واما الثاني فقد سبق منا بيان انه عالم بالخفيات والسرائر **وثانيها** كونه تعالى قد دلت عليه اعلام الظهور وكنى باعلام الظهور
عن اياته واثاره في العالم الدالة على وجوده الظاهرة في كل صورة منها كما قال وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد وهي كناية مستعارة
ووجه المشابهة ما بينهما من الاشتراك في الهداية والى هذه الاعلام الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى
يتبين لهم انه الحق واعلم ان هذه الطريق من الاستدلال هي طريقة المليين وسائر فرق المتكلمين فانهم يستدلون اولا على حدوث
الاجسام والاعراض ثم يستدلون بحدوثها وتغيراتها على وجود الخالق ثم بالنظر في احوال المخلوقات على صفاته واحدة واحدة مثلا
باحكامها واتقانها على كون فاعلها عالما حكيما وبتخصيص بعضها بامر ليس للآخر على كونه مريدا ونحو ذلك وكذلك الحكماء الطبيعيون
يستدلون ايضا بوجود الحركة على محرك وبامتناع اتصال المحركات لا الى اول على وجود محرك اول غير متحرك ثم يستدلون من ذلك
على وجود مبدأ اول واما الالهيون فلهم في الاستدلال طريق اخر وهي انهم ينظرون اولا في مطلق الوجود اهو واجب او ممكن و
يستدلون من ذلك على اثبات واجب ثم بالنظر في لوازم الوجوب من الوحدة الحقيقية على نفي الكثرة بوجه ما المستلزمة لعدم
الجسمية والعرضية والجهة وغيرها ثم يستدلون بصفاته على كيفية صدور افعاله عنه واحدا بعد اخر وظاهر ان هذه الطريق
اجل واشرف من الطريق الاولى وذلك لان الاستدلال بالعلة على المعلول اولى البراهين باعطاء اليقين لكون العلم بالعلة المعينة
مستلزما للعلم بالمعلول المعين من غير عكس ولما كان صدر الاية المذكورة اشارة الى الطريقة الاولى فتمامها اشارة الى هذه الطريقة و
هو قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد قال بعض العلماء وانه طريقة الصديقين الذين يستشهدون به لا عليه اي يستدلون
بوجوده على وجود كل شيء انه هو منه ولا يستدلون عليه بوجود شيء بل هو اظهر وجودا من كل شيء فان خفي مع ظهوره فلشدة ظهوره
وظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره اذ كل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته فلها عدة السنة تشهد بوجوده وبالحاجة الى
تدبيره وقدرته لا يخالف شيء من الموجودات شيئا في تلك الشهادات ولا تختص بعدم الحاجات وقد ضرب العلماء الشمس
مثلا لنوره في شدة ظهوره فقالوا ان اظهر الادراكات التي لا يكاد يغلط فيها الوهم ادراكات الحواس واظهرها ادراك البصر
واظهر مدرك للبصر نور الشمس المشرق على الاجسام وقد اشكل ذلك على جماعة حتى قالوا الاشياء الملونة ليس فيها الا الوانها
فقط من سواد ونحوه فاما ان فيها مع ذلك ضوء يقارن اللون فلا فاذا اريد تنبيه هؤلاء على سهوهم فطريقه التنبيه بالتفرقة في الحد بينها
بين غيبة الشمس بالليل واحتجابها عن الملونات وبين حضورها بالنهار واشراقها عليها مع بقاء الالوان في الحالين فان التفرقة بين
المستضيء بها وبين المظلم المحجوب عنها جلية ظاهرة فيعرف وجود النور اذن بعدمه ولو فرضت الشمس دائمة الاشراق على الجسم
الملون لا تغيب عنه لتعذر على هؤلاء معرفة كون النور شيئا موجودا زائدا على الالوان مع انه اظهر الاشياء وبه ظهورها ولو تصور له

بتصوره

في المكان

احدها

على الجسم

في بيان جملة من صفات الربوبية

على الجسم الملون لا تغيب عنه لتعدد على صورة وعرفت كون النور شيئا موجودا زائدا على الالوان مع انه اظهر الاشياء وبه ظهورها ولو تصور

عدمه وتفقده عن عالم او غيبته لانهدمت السموات والارض وكل ما انقطع نوره عنه ولادركت التفرقة بين الحالين وعلم وجوده

قطعا ولكن لما كانت الاشياء كلها في الشهادة متفقة والاحوال كلها على نسق واحد مطردة مستمرة كان ذلك سببا لخفائه فسبحان

من احتجب عن الخلق بنوره وخفي عليهم بشدة ظهوره **ثالثها** اشارة الى سلوب توجب ملاحظة تركيبها تعظيمه تعالى **احدها** كونها ممتنعا

على عين البصيرة اي لا يمكن ان يدرك بحاسة البصر وصدق هذا السلب ظاهر بدليل هكذا البارئ تعالى هو غير جسم غير ذي وضع وكل

ما كان كذلك فيمتنع رؤيته بحاسة البصر فينتج انه تعالى يمتنع الرؤية بحاسة البصر والمقدمة الاولى اسند لا لبية والثانية ضرورية وربما استدل

عليها او المسئلة مستقصاة في الكلام والى ذلك اشار القرآن الكريم لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار **وثانيها** قوله فلا عين

من لم يره تنكره اي انه سبحانه مع كون البصيرة لا يدركه بحاسة بصره لا ينكره من جهة انه لا يبصره اذ كانت فطرته شاهدة بظهوره ووجوده

في جميع آثاره ومع ذلك لم يجد له سبيل الى انكاره من جهة عدم ابصاره اذ كان حظ العين ان يدرك بها ما يمنع ادراكه فاما ان ينفي بها

ما لا يدرك من جهتها فلا **وثالثها** قوله ولا قلب من اثبته يبصره اي من اثبته مع كونه مثبتا له بقلبه لا يبصره وانما اكد تعالى

بهذين السلبين الاخيرين لانهما يشملان عند الوهم في مبدء سماعهما على منافاة وكذب الى ان يقهره العقل على التصديق

بهما فكان الوهم يقول في جواب قوله فلا عين من لم يره تنكره كيف لا تنكر العين شيئا لا تراه وفي جواب السلب الثاني كيف يثبت القلب ما لم

يبصر فلما كان في صدق هذين السلبين ادغاغ لاوهام السامعين مفزع لهم الى ملاحظة جلال الله وتنزيهه وعظمته عما لا يجوز

عليه كان ذكرهما من احسن الذكر ويحتمل ان يريد بقوله ولا قلب من اثبته يبصره اي انه ولو اثبته من جهة وجوده فيستحيل ان يحيط

به علما **ورابعها** كونه تعالى قد سبق في العلو فلا شيء اعلى منه وتقريره ان العلو يقال بالاشتراك على معان ثلثة **الاول** العلو

الحسي المكاني كارتفاع بعض الاجسام على بعض **الثاني** العلو التخيلي كما يقال الملك للانسان انه اعلى الناس اي اعلاهم في رتبته

المتخيلة كمالا **الثالث** العلو العقلي كما يقال في بعض الكمالات العقلية انها بعضها اعلى من بعض وكما يقال السبب اعلى من المسبب

اذا عرفت ذلك فنقول يستحيل ان يكون علوه تعالى بالمعنى الاول لاستحالة كونه في المكان ويستحيل ان يكون بالمعنى الثاني لتنزهه

سبحانه عن الكمالات الخيالية التي يصدق بها العلو الخيالي اذ هي كمالات اضافية تتغير وتتبدل بحسب الاشخاص والاوقات وقد يكون

كمالا عند بعض الناس ونقصانا عند آخرين كما في الدنيا بالنسبة الى العالم الزاهد وبنظر في لمية الزيادة والنقصان لا شيء

من كمال الاول الواجب بجلاله كذلك لتنزهه عن النقصان والتغير بوجه ما فيبقى ان يكون علوه علوا عقليا مطلقا بمعنى انه لا رتبة فوق رتبته

بل جميع المراتب العقلية منحطة عنه وبيان ذلك ان اعلى مراتب الكمال العقلي هو مرتبة العلية ولما كانت ذاته المقدسة هي مبدء كل موجود

حسي وعقلي وعلته التامة المطلقة لا يتصور لنقصان فيها بوجه ما لا جرم كانت مرتبته اعلى المراتب العقلية مطلقا وله العلو المطلق

في الوجود العاري عن الاضافة الى شيء وعن امكان ان يكون فوقه ما هو اعلى منه وذلك معنى قوله سبق في العلو فلا شيء اعلى منه

منبته في علوه تعالى معنى العلو المطلق وفوائد لغيره ان يلحقه فيه **وخامسها** قربه في الدنو فلا شيء ادنى منه فقد اورده

القرب ههنا مقابلا للبعد اللازم عن السبق في العلو فانه مستلزم للبعد عن الغير فيه واورد الدنو مقابلا للعلو وكما علمت ان العلو

يقال على المعاني الثلثة المذكورة بحسب الاشتراك فكذلك الدنو يقال على معان ثلثة مقابلة لها فيقال المكان فلان ادنى من مكان

فلان اذا كان اسفل منه ودان كان يقال بمعنى القرب ايضا ويقال رتبة الملك الفلاني ادنى من رتبة السلطان الفلاني اذا كان

في مرتبة اقل منه ويقال رتبة المعلول ادنى من رتبة علته ويقال على معنى رابع فيقال فلان ادنى الى فلان لقرب ليه اذا كان مخصيصا

به مطلعا على احواله اكثر من غيره والبارئ تعالى منزه عن ان يراد بدنوه احد المفهومات الثلثة الاولى بل المراد هو المفهوم الرابع فقربه

دنوه اذن بحسب علمه الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وبهذا الاعتبار هو اقرب كل

قريب وادنى كل دان كما قال تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وهو ادنى الى العبد من نفسه اذ نفس كل انسان لا تعرف نفسها

وهو سبحانه العالم بها الموجد لها فهو اذن القريب في دنوه الذي لا شيء اقرب منه وانما اورده بلفظ الدنو ليحصل الكلام بالمقارنة

النفوس السليمة عند انكار الوهم لاجتماع القرب والبعد والعلو والدنو في شيء واحد الى توهم المقاصد بها وتطلع على عظمة الحق سبحانه

منها وقوله فلا استعلاؤه باعده من شيء من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان به تاكيد لتنزيه الاحكام الوهمية بالاحكام العقلية فان الوهم

يحكم بان ما استعلى على الاشياء كان بعيدا عنها بقدر علوه عليها وما قرب منها فقد ساواها في امكنتها وذلك لكونه مقصود الحكم على المحسوسات

ونحن لما بينا ان علوه على خلقه وقربه منهم ليس علوا وقربا مكانيين بل بمعان اخرى لا جرم لم يكن استعلاؤه بذلك بعيدا عن خلقه فانه

مباعد له عن شيء منها ولم يكن منافيا للقرب بالمعنى الذي ذكرناه بل كان الاستعلاء والقرب مجتمعين له ولم يكن قربه منها ايضا موجبا

لمساواته لها في المكان عنادا للوهم وهذه الاحكام لما سدة في صفات الجلال ونعوت الكمال **وسادسها** كونه لم تطلع العقول على

نفهم -

في بيان خطبة خطبها عند غلبة اصحاب معوية على شريعة الفرات بصفين

مخالف بصفته ولم يحجبها عن واجب معرفته وبعضهم من صفته معنيا الحد فيها شرح حقيقة ذاته والثاني شرح ما لها من صفات الكمال المطلق
وظاهر ان العقول لم تطلع على حصر صفته وتحديدها بالمعنى الاول اذ لا حقيقة له ولا بالمعنى الثاني ايضا اذ ليس لها بصيرة العقول من كماله
سبحانه نهاية تقف عندها فتكون صفة له واما انه سبحانه مع ذلك لم يحجبها عن واجب معرفته فلانه تعالى وهب لكل نفس قسطا من معرفته
هو الواجب بحسب استعدادها لقبوله حتى نفوس الجاحدين له فانها ايضا معترفة بوجوده لشهادة اعلام الوجود وآيات الصنع على
نفس كل جاحد بصدورها عنه بحيث يحكم صريح عقلها وبديهتها بالحاجة لما تشاهده من تلك الآيات الى صانع حكيم فهو الذي
تشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب كل من يجحده بان يجحده له انما هو بلسانه واتباع هواه وهم مع اقرار قلبه بالتصديق به وشهادة آيات الصنع
وشواهد الآثار على صحة ذلك الاقرار واعلم ان الجحود على نوعين احدهما جحود تشبيه اذ المشبهون لله سبحانه وان اختلفوا في كيفية
التشبيه باسرهم جاحدون له في الحقيقة وذلك ان المعنى الذي يتصورونه ويثبتونه الها هو ليس هو نفس الاله مع انهم يثبتون ما سوى
ذلك فكانوا اثبتوا الاله الحق في المعنى الذي يتصورونه والثاني جحود من لم يثبت صانعا وكلا الفريقين جاحد له من وجه اما المشبهون
فيثبتون له صريحا ما هو نفي له لزوما واما الآخرون فبالعكس اذ كانوا جاحدين له صريحا من الجهة التي تثبته العقلاء بها ومقرون
به التزاما واضطرارا كما دلت نزهته عن احوال الفريقين فقال تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علوا كبيرا وحكي ان

زنديقا دخل على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فساله عن دليل اثبات الصانع فاعرض عنه ثم التفت اليه وساله من اين اقبلت وما قصتك

فقال الزنديق اني كنت مسافرا في البحر فعصفت علينا الريح ذات يوم وتلعبت بنا الامواج من كل جانب فانكسرت سفينتنا فتعلقت
بخشبة منها ولم تزل الامواج تقلبها حتى قذفت بها الى الساحل وسلمت عليها فقال له ع ارايت الذي كان قلبك اذا انكسرت السفينة
وتلاطمت عليكم امواج البحر فزعا اليه مخلصا في التضرع له طالبا للنجاة منه فهو الهك فاعترف الزنديق بذلك وحسن اعتقاده و
بالجملة فانها في العقول على الشهادة بوجود الصانع سبحانه امر ظاهر وان خالطها غواشي انكرها والى هذه الاشارة بقوله تعالى امسكم الضر
في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة و
فرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين فلما انجيهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** انما بدء وقوع الفتن اهواء
تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالا على غير دين الله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف
على المرتادين ولو ان الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث
فيمزجان فهنالك يستولي الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى **اقول** المرتاد الطالب والضغث القبضة
من الشيء واعلم ان مبدأ وقوع الفتن المؤدية الى خراب العالم وفساده انما هو اتباع الهوى والآراء الباطلة والاحكام المبتدعة الخارجة
عن اوامر الله المنزلة المقصود من بعثة الرسل ووضع الشريعة انما هو نظام احوال الخلق في امر معاشهم ومعادهم فكان كل راي ابتدع او
هوى اتبع خارجا عن كتاب الله وسنة رسوله سببا لوقوع الفتنة وفساد نظام الوجود في هذا العالم وذلك كاهواء البغاة وآراء
الخوارج ونحوهما وقوله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق الى آخره اشارة الى سبب تلك الآراء الفاسدة ومبدأ تلك الاسباب على امتزاج
المقدمات الحقة بالباطلة في الحجج التي تستعملها المبطلون في استعلام المجهولات فبين ان السبب هو ذلك الامتزاج بشرطيتين متصلتين
احديهما قوله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ووجه الملازمة في هذه المتصلة ظاهر فان مقدمات الشبهة لو كان
كلها باطلة لطالب الحق وجد فسادها بادنى سعي ولم يخف عليه بطلانها واما استثناء نقيض تاليها فلانه لما خفي وجه البطلان
فيها على طالب الحق لم يكن الباطل فيها خالصا من مزاج الحق فكان ذلك هو سبب الغلط واتباع الباطل لان النتيجة تتبع اخس المقدمتين
والثانية قوله ولو ان الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين ووجه الملازمة ايضا كما مر اي ان مقدمات الحجة التي
استعملها المداوون لو كانت كلها حقة مرتبة ترتيبا حقا لكانت النتيجة حقا فتنقطع السنتهم عن العناد فيه ومخالفته وقد حذفت
كبرى هذين القياسين لانهما فيها ساقطة كما سبق ثم اتى بالنتيجة او ما في معناها وهو قوله ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا
ضغث اي من الحق والباطل فيمزجان ولفظ الضغث مستعار ومقصوده بذلك التصريح بلزوم الآراء الباطلة والاهواء المبتدعة
لمزج الحق بالباطل ولذلك قال فهنالك يستولي الشيطان على اوليائه اي تزين لهم اتباع الاهواء والاحكام الخارجة عن
كتاب الله بسبب عماهم عن تمييز الحق من الباطل فيما سلكوه من الشبهة وينجو الذين سبقت لهم منا الحسنى اي من اخذت عناية الله
بايديهم في ظلمات الشبهات فنجاهم فيها باضاءة نور الهداية عليهم الى تمييز الحق من الباطل واولئك عن النار مبعدون
ومن كلام له عليه السلام لما غلب اصحاب معوية على شريعة الفرات بصفين ومنعوهم من الماء قد استطعموكم القتال فاقروا
على مذلة وتاخير محلة او رووا السيوف من الدماء ترووا من الماء فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين

الاوان معوية

في التنفير عن الدنيا والأمر بالرحيل عنها

الا وان معوية قاد لمة من الغواة وعمس عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية **اقول** اللمة بالتخفيف الجماعة القليلة وعمس بالتخفيف والتشديد عمى وابهم ومنه عمس الليل اظلم والحلاة المنع **الفصل** لطايف **الاولى** قوله قد استطعموكم القتال استعار لفظ الاستطعام لتحرشهم بالقتال بمنعهم الماء ووجه الاستعارة استشهادهم للقتال وطلبهم له بمنع الماء الذي هو في الحقيقة اقوى جاذب للقتال من طلب المأكول بالاقوال ولانهم لما حازوا الماء شبهوا في ذلك بمن طلب الطعام له ولما استلزم ذلك المنع طلبهم للقتال تعين ان يشبه طلبهم اطعامه **الثانية** قوله فاقروا على مذلة وتاخير محلة الى قوله الماء امرهم باحد اللازمين عن منعهم الماء واستطعامهم القتال وهما اما ترك القتال والقعود وانما اورد الكلام بصورة التخيير بين هذين اللازمين وان لم يكن مراده الا القتال لعلمه بانهم لا يختارون ترك القتال مع ما يلزمه من الاقرار بالعجز والمذلة والاستسلام للعدو وتاخير المنزلة عن رتبة اهل الشرف والشجاعة وانما اورد الوصفين اللازمين لترك القتال وهما الاقرار على المذلة وعلى تاخير المحلة لينفرهم عنه ويظهره لهم في صورة كريهة وانما جعل الري من الماء الذي هو مشتهى طباعهم في ذلك الوقت لازما للتروية السيوف من الدماء والغاية التي يلزمها القتال ليريهم القتال في صورة محبوبة تميل طباعهم اليها ونسبة التروية الى السيوف نسبة مجازية **الثالثة** قوله فالموت في حيوتكم مقهورين والحيوة في موتكم قاهرين من لطائف الكلام ومحاسنه وهو جاذب الى القتال بابلغ ما يمكن من البلاغة فجذبهم اليه بتصويره لهم ان الغاية التي عساهم يفرون من القتال خوفا منها وهي الموت موجودة في الغاية التي عساهم يطلبونها من ترك القتال وهي الحياة البدنية حال كونهم مقهورين وذلك ان الموت لهم في حال الشدائد والاهوال التي تلحقهم من عدوهم لو قهرهم وهي عند العاقل اشد بكثير من موت البدن واقوى مقاساة فان المذلة وسقوط المنزلة والهضم والاستنقاص عند ذوي اللب موت تام منغص فيه ويحتمل ان يكون مجازا في ترك عبادة الله بالجهاد وهو موت بالنفس وعدم لحياتها برضوان الله وكذلك جذبهم ان الغاية التي يفرون اليها بترك القتال وهي الحيوة موجودة في الغاية التي يفرون منها وهي الموت البدني حال كونهم قاهرين اما في الدنيا ففي تحصيل احدها الذكر الباقي الجميل الذي لا يموت ولا يفنى الثاني ان طيب حيوتهم في الدنيا انما يكون بنظام احوالهم بوجود الامام العادل وبقاء الشريعة كما هي وذلك انما يكون بالقاء انفسهم في غمرات الحروب محافظة على الدين وموت بعضهم فيها ولفظ الموت مهمل يصدق بنسبته الى الكل وان وجد في البعض واما في الاخرة فالبقاء الابدي بالمحافظة على وظائف الله والحياة التامة في جنات عدن كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون وفي القرينتين الاوليين السجع المتوازي وفي اللتين بعدهما السجع المطرف وفي اللتين بعدهما المقابلة **الرابعة** قوله الا وان معوية ذكر للعدو وبرذيلتين ولاصحابه برذيلتين اما الاوليان فكونه قائد غواة وكونه قد لبس عليهم الحق بالباطل واوهمهم انه في صورة الحق واما الاخريان لكونهم عواما عن الحق وكونهم قد انقادوا للباطل عن شبهة حتى صار جهلهم مركبا والغرض من ذلك التنفير عنهم وقوله حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية غاية لاعتماء معوية من تلبيسه الحق عليهم وكنى بذلك عن تصديهم للموت ولفظ الغرض مستعار لنحورهم ووجه المشابهة جعلهم لنحورهم بصدد ان تصيبها سهام المنية من الطعن والضرب والذبح ووجوه القتل فاشبهت ما ينصبه الرامي هدفا وفي استعارة الكناية كانه حاول ان يستعير للمنية لفظ الرامي وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

الا وان الدنيا قد تصرمت وآذنت بانقضاء وتنكر معروفها وادبرت حذاء فهي تحفز بالفناء سكانها وتحدو بالموت جيرانها وقد امر منها ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا فلم يبق منها الا سملة كسملة الاداوة او جرعة كجرعة المقلة لو تمززها الصديان لم ينقع فازمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على اهلها الزوال ولا يغلبنكم فيها الامل ولا يطولن عليكم فيها الامد فوالله لو حننتم حنين الوله العجال ودعوتم بهديل الحمام وجأرتم جؤار متبتلي الرهبان وخرجتم الى الله من الاموال والاولاد التماس القربة اليه في ارتفاع درجة عنده او غفران سيئة احصتها كتبه وحفظتها رسله لكان قليلا فيما ارجو لكم من ثوابه واخاف عليكم من عقابه وتالله لو انماثت قلوبكم انمياثا وسالت عيونكم من رغبة اليه او رهبة منه دما ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية ما جزت اعمالكم عنكم ولو لم تبقوا شيئا من جهدكم انعمه عليكم العظام وهداه اياكم للايمان

[margin: فهي تحفز بالفناء سكانها وتحدو بالموت جيرانها]

[margin: او رهبة]

اقول آذنت اعلمت وتنكر معروفها جهل وحذاء سريعة خفيفة ويروى بالجيم اي مقطوعة الخير والعلاقة والحفز السوق الحثيث والحفز ايضا الطعن والسملة بفتح الميم البقية من الماء في الاناء والمقلة بفتح الميم وسكون القاف حصاة يقسم بها الماء عند قلته يعرف بها مقداره فيعطى كل شخص والتمزز تمصص الشراب قليلا قليلا والصديان العطشان ونقع ينقع اي سكن عطشه وازمعت الامر وازمعت عليه اي ثبت عزمي على فعله والمقدور المقدر والتيه لا بد من كونه الغاية والوله العجال جمع واله وعجول وهما من الابل الناقة تفقد ولدها

[margin: والاولاد]

وهديل الحمام نوحها والجؤار الصوت المرتفع والتبتل الانقطاع الى الله باخلاص النية وانماث الشيء تحلل وذاب **واعلم** ان مدار هذا الفصل على امور ثلثة **احدها** التنفير عن الدنيا والتحذير منها والنهي عن تأميلها والامر بالرحيل عنها **الثاني** التنبيه على عظيم ثواب الله وما ينبغي ان يرجى منه ويلتفت اليه ويقصد بالرحيل المنبه اليه الناس مع قياسه خيرا من الدنيا ثم على عظيم عقابه وما

ينبغي ان يخاف منه الثالث التنبيه على عظم نعمة الله على الخلق وانه لا يمكن جزاؤها بالغ المساعي واكثر الاجتهاد اما الاول فاشار بقوله الا وان الدنيا
قد تصرمت الى قوله منها الا مدرة فقد علمت ان تصرمها هو تقضي احوالها الحاضرة شيئا فشيئا بالنسبة الى من وجد فيها في كل حين وان اذنها
بالانقضاء هو اعلامها بلسان حالها لانها المنسية انها لا تبقى لاحد فاما تنكر معروفها فمعناه تغيره وتبدله وبيانه ان الانسان اذا اصاب
لذة من لذات الدنيا كصحة او امن او مال او جاه ونحوه انس اليه وتوهم بقاءه له وكان ذلك معروفها الذي اسدته اليه وعرفه انه
منها ثم انه عن قليل يزول ويتبدل بضده فيصير بعد ان كان معروفا مجهولا وتكون الدنيا كانها قد تنكرت في صنائعها ومن تجاهلها فيه
وقوله وادبرت حذاء اي لم تخل ما لا يلتفت شيء منها مسرعة واستعار لفظ الادبار لانتقال خيراتها عمن انتقلت عنه بموته او غيره
ذلك من وجوه زوالها ملاحظة لشبهها بملك اعرض عن بعض رعيته بوجهه وماله وقوله فهي تحفز بالفناء سكانها وتحدو بالموت جيرانها
استعار لها وصفي السائق والحادي لسياقه بالكناية ووجه المشابهة كونهم قاطعين لمدة العمر بالفناء والموت فهي مصاحبة لهم بذلك
كما يصحب السائق والحادي للابل بالسوق والحداء ولذلك نسب بالحفز الطعن فيكون قد تجوز بنسبته الى البلاء ملاحظة لشبه مصاحب
الدنيا بالرماح وكذلك استعار لفظ الفناء والموت كالة السوق والحداء ونزلهما منزلة الحقيقة ووجه المشابهة كون الموت هو السبب
في انتقال الانسان الى دار الاخرة كما ان الصوت والسوط مثلا اللذين هما الة الحداء والسوق هما اللذان بهما يحصل انتقال الابل
من موضع الى موضع وقوله وقد امر منها ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا كقوله وتنكر معروفها اي ان الامور التي يقع الالتذاذ
بها ويجدها الانسان في بعض اوقاته صافية خالصة عن كدورات الامراض ومرارة التنغيص بالعوارض لكنه يجدها في معرض
التغير والتبدل بالمرارة والكدر فما من شخص يخاطبه بما ذكر الا ويصدق عليه انه قد عرضت له من تلك اللذات ما استعقب تنغيصها
كدرا وحلاوتها مرارة اما من شيب تبدل بكبر او غنى بفقر او عز بذل او صحة بسقم وقوله فلم يبق منها الا سملة الى قوله لم ينقع تقليل
وتحقير لما بقي منها لكل شخص شخص من الناس فان بقاء ما له على حسب بقائه فيها وبقاء كل شخص فيها يسير وقت قصير واستعار لفظ
السملة لبقيتها وشبهها ببقية الماء في الاداوة وبجرعة المقلة ووجه التشبه ما اشار بقوله لو تمززها الصديان لم ينقع اي كما ان العطشان
الواجد لبقية الاداوة والجرعة لو مصها لم ينقع عطشه كذلك طالب الدنيا المتعطش اليها الواجد لبقية عمره وللبسير من الاستمتاع فيه
بلذات الدنيا لا يشفي ذلك غليله ولا يسكن عطشه منها فالاولى اذن تعويد النفس بالفطام عن شهواتها وقوله فازمعوا عباد الله
الرحيل عن هذه الدار امرهم بعد تحقيرها والتنفير عنها بالازمام وتصميم العزم على الرحيل عنها بالالتفات الى الله والاقبال على قطع عقبات
الطريق اليه وهو الرحيل عن الدنيا وقوله المقدور على اهلها الزوال تذكير بالابد من مفارقتها ليخفف الرغبة فيها ثم اعقب ذلك بالنهي
عن منازعة الامل في لذاتها فانه ينسي الاخرة كما سبقت الاشارة اليه وذكر لفظ المغالبة تذكيرا بالانفة واستثارة للحمية من نفوسهم
ثم بالنهي عن توهم طول مدة الحياة واستبعاد الغاية التي هي الموت فان ذلك يقسي القلب ويورث الغفلة عن ذكر الله كما قال تعالى فطال
عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون واما الثاني فهو التنبيه على عظيم ثواب الله وعقابه فاعلم انه لما حقر الدنيا وحذر
منها وامر بالارتحال عنها اشار بعد ذلك الى ما ينبغي ان يعظم ويلتفت اليه ويرجى ويخشى وهو ثواب الله وعقابه فاشار الى تعظيمها
بتحقير الاسباب والوسائل التي يعتمد عليها العباد وهي غايات جهدهم بالنسبة الى ما ينبغي ان يرجى من ثوابه ويخشى من عقابه وتلك الاسباب
من شدة الحنين والوله الى الله والدعاء المستمر والتضرع المشبه لتبتل الرهبان هذا في طرف العبادة وانما خص التشبيه بمتبتلي الرهبان
لشهرتهم بشدة التضرع وكذلك الخروج الى الله من الاموال والاولاد وهو اشد الزهد ورتب ذلك في صورة متصلة مقدمها قوله ولو حننتم
الى قوله رسله وتاليها قوله لكان ذلك قليلا الى قوله من عقابه والناس مفعول له وخلاصته فهذا المقصود وبوجيز الكلام انكم لو اتيتم
بجميع اسباب التقرب الى الله الممكنة لكم من عبادته وزهد ملتمسين بذلك التقرب اليه في ان يرفع لكم عنده درجة او يغفر لكم سيئة احصتها
كتبه والواحه المحفوظة لكان الذي ارجوه لكم من ثوابه للمتقرب اليه في ان يرفع منزلته من حضرة قدسه اكثر مما يتصوره المتقرب انه يصل بتقربه
ولكان الذي اخافه من عقابه على المتقرب في غفران سيئة عنده اكثر من العقاب الذي يتوهم انه يدفعه عن نفسه بتقربه فينبغي لطالب
الزيادة في المنزلة عند الله ان يخلص بكليته في التقرب اليه ليصل الى ما هو اعظم مما يتوهم انه يصل اليه من المنزلة عنده وينبغي للهارب
من ذنبه الى الله ان يخلص من هول ما هو اعظم مما يتوهم انه يدفعه عن نفسه بوسيلته اليه فان الامر في معرفة ما اعد الله لعباده الصالحين
من الثواب العظيم وما اعده لاعدائه الظالمين من العقاب الاليم اجل مما يتصوره عقول البشر ما دامت في عالم الغربة وان كان عقولهم في
ذلك الادراك متفاوتة ولما كانت نفسه القدسية اشرف نفوس الخلق في ذلك الوقت لا جرم نسب الثواب المرجو لهم والعقاب المخوف
عليهم الى رجائه هو وخوفه فقال ما ارجو لكم من ثوابه واخاف عليكم من عقابه وذلك لقوة اطلاعه من ذلك على ما لم يطلعوا عليه
واما الثالث وهو التنبيه على عظيم نعمة الله على العباد فنبه عليه بان كل ما اتوا به من الاعمال التي بلغ اجتهادهم فيها في طاعة الله
وما عسى يمكنهم ان ياتوا به منها فهو قاصر عن مجازاة نعمه العظام وقد سبق بيان ذلك ورتب المطلوب في صورة شرطية متصلة ايضا

في ذكر يوم النحر وصفة الأضحية

ج ١٠١

مشتقة منها مركبة من امور احدها قوله لو انماثت قلوبكم اى ذابت خوفا منه ووجدا منه وكنى بذلك عن افضل حال الخائف الراجي لربه
في عبادته الثاني قوله وسالت عيونكم دما وهو كالاول الثالث قوله ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية اى مدة بقاء الدنيا و
ثالثها قوله وما جزت اعمالكم وانعمه منصوب مفعول جزت وهداه في محل النصب عطفا عليه وانما افرد الهدى بالذكر وان
كان من الانعم لشرفه انه الغاية المطلوبة من العبد بكل نعمة افيضت عليه فانه لم يخلق ولم تفض عليه انواع النعم الالهية
الا لاجل قبله ويستعد نفسه لقبول صورة الهدى من واهبها فيمشي بها في ظلمات الجهل الى ربه ويجوز بها عقبات صراطه
المستقيم واكد ملازمة هذه المتصلة بالقسم البار وكذلك المتصلة السابقة وفائدة هذه التنبيه بعث الخلق على الشكر وتوفير
الدواعي على الاجتهاد في الاخلاص لله حياء من مقابلة عظيم نعامه بالتقصير في شكره والاشتغال بغيره وبالله التوفيق **ومن
كلام له عليه السلام** في ذكر يوم النحر وصفة الاضحية ومن تمام الاضحية استشراف اذنها وسلامة عينها فاذا سلمت الاذن والعين
سلمت الاضحية وتمت وان كانت عضباء القرن تجر رجلها الى المنسك **اقول** الاضحية منسوبة الى الاضحى اذ كان ذبحها في
ضحى ذلك اليوم وقيل انه مشتق منها واستشراف اذنها طولها وكنى بذلك عن سلامتها من القطع او نقصان الخلقة والعضباء
مكسورة القرن وقيل القرن الداخل وكونها تجر رجلها الى المنسك عن عرجها والمنسك موضع النسك وهو العبادة والتقرب
بذبحها واعلم ان المعتبر في الاضحية سلامتها عما ينقص قيمتها وظاهر ان العمى والعور والهزال وقطع الاذن تشويه في خلقتها
ونقصان في قيمتها دون العرج وكسر القرن وفي فضل الاضحية اخبار كثيرة روي عن رسول الله ص انه قال ما من عمل يوم النحر احب
الى الله عز وجل من اراقة دم وانها لتأتي يوم القيمة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الارض فطيبوا
بها نفسا وروي عنه ايضا ان لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وبكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا وقد
كانت الصحابة يتغالون في اثمان الهدي والاضاحي ويكرهون المماكسة فيها فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله
وروى ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله ص ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك
وقال بل اهدها وسر ذلك ان الجيد القليل خير من الكثير الدون فثلثمائة دينار قيمة ثلثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن
ليس المقصود اللحم بل المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم وذلك بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد ام قل واعلم انه ربما لاح من اسرار وضع الاضحية سنة باقية هو ان يدوم بها
التذكر لقصة ابرهيم وابتلائه بذبح ولده وقوة صبره على تلك المحنة والبلاء المبين ثم يلاحظ من ذلك حلاوة ثمرة الصبر على المصائب
والمكاره فيتأسى الناس به في ذلك مع ما في نحر الاضحية من تطهير النفس عن رذيلة البخل واستعداد النفس بها للتقرب الى الله تعالى و
بالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** فتداكوا علي تداك الابل الهيم يوم وردها قد ارسلها راعيها وخلعت مثانيها
حتى ظننت انهم قاتلي او بعضهم قاتل بعض لدي وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم فما وجدتني يسعني
الا قتالهم او الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله فكانت معالجة القتال اهون علي من معالجة العقاب وموتات
الدنيا اهون علي من موتات الآخرة **اقول** تداكوا دك بعضهم بعضا اى دقه بالقرب والهيم الابل العطاش والمثاني جمع
مثناة وهي الحبل يثنى ويعقل به البعير واعلم ان قوله فتداكوا الى قوله لدي اشارة الى صفة اصحابه بصفين لما طال منعه لهم
من قتال اهل الشام وكان منعه لهم من قتالهم لامرين احدهما انه كانت عادته في الحرب ذلك ليكون خصمهم البادي فتركبه الحجة والثاني
انه كان يستخلص وجه المصلحة في كيفية قتالهم لا على سبيل شك في وجوب قتال من خالف فانه مامور بذلك بل على وجه استعمال
وجه الراي الاصلح او انتظارا لانجذابهم الى الحق ورجوعهم الى الطاعة حقنا لدماء المسلمين كما سيصرح به في الفصل الذي يلي ثم اكد
وصفهم بالزحام عليه بامرين احدهما تشبيهه بزحام الابل العطاش حين يطلقها رعاتها من مثانيها يوم تردها الماء ووجه الشبه
ما لهما من شدة الزحام الثاني غاية ذلك الزحام وهو ظنه ان يقتلوه او يقتل بعضهم بعضا وقوله وقد قلبت هذا الامر الى آخره
اشارة الى بحثه عن علل منعهم من القتال وهو تقليبه لوجوه الآراء في قتالهم حتى يتبين له ما يلزم في ترك القتال من الخطر وهو الكفر
على ان في الامرين خطرا اما القتال ففيه بذل نفسه للقتل وهلاك جملة من المسلمين واما تركه ففيه مخالفة امر الله ورسوله المستلزمة
للعقاب الاليم لكن قد علمت ان الدنيا الفانية لسعادتها ولا نسبة لشقاوتها الى سعادة الآخرة وشقاوتها عند ذوي البصائر خصوصا
مثله ع فلذلك قال فكانت معالجة القتال اهون علي من معالجة العقاب وموتات الدنيا اهون علي من موتات الآخرة واستعار
لفظ الموتات للاهوال والشدائد في الدنيا والآخرة لما بين الموت وبينهما من المناسبة في الشدة **ومن كلام له عليه السلام**
وقد استبطأ اصحابه اذنه لهم في القتال بصفين اما قولكم أكل ذلك كراهية الموت فوالله ما ابالي دخلت الى الموت او خرج
الموت الي واما قولكم شكا في اهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوما الا وانا اطمع ان تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشوا

على ظلال الهام

الى ضوئي فهو احب الىّ من ان اقتلها وان كانت تبوء باثامها **اقول** عشا الى النار استدل عليها ببصر ضعيف وباء باثمه اى رجع
به وهذا الفصل مناسب للذى قبله والسبب فيه ان اصحابه لما طال مسعاهم عن قتال اهل الشام الحّوا عليه في طلبه حتى نسبه بعضهم الى
العجز وكراهية الموت ونسبه بعضهم الى الشك في وجوب قتال هؤلاء فاورد شبهة الاولين وهى قوله كل ذلك كراهية الموت ويروى
كراهية بالنصب على المفعول وسد مسد الخبر واجاب عنها بقوله فوالله ما ابالى الى قوله الىّ وصدق هذه الدعوى المؤكدة بالقسم
ظاهر لما منه فان العارف بمعزل عن تقية الموت خصوصا نفسه القدسية كما سبق وكنى بالدخول على الموت والخروج اليه تشبيه
مجازية تستلزم ملاحظة تشبيهه بحيوان مخوف ثم اورد الشبهة الثانية وهى قوله واما قولكم شكا في اهل الشام واجاب عنها
بقوله فوالله ما دفعت الحرب الى قوله وتقريره ان المطلوب الاول من الانبياء والاولياء انما هو اهتداء الخلق بهم من ظلمة الجهل و
استقامة امورهم في معاشهم ومعادهم بوجودهم واذا كان هذا هو المطلوب الذاتى لهم من طلب هذا الامر والقتال عليه وكان
تحصيل المطالب كلما كان الطف واسهل من القتل والقتال كان اولى لاجرم كان انتظاره بالحرب ومدافعتها يوما فيوما انما هو انتظار وطمع ان
يلحق به منهم من يجذب بالعناية الالهية من هداية الى الحق فيهتدى به في طريق الله ويعشوا الى ضوء علمه وكماله وكان ذلك احب اليه من قتلهم
على ضلالهم وان كان كل ضال انما يرجع باثمه الى نفسه ويكون رهين عمله كما قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا
تزر وازرة وزر اخرى **ومن كلام له عليه السلام** ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل اباءنا وابناءنا واخواننا و
اعمامنا ما يزيدنا ذلك الا ايمانا وتسليما ومضيا على اللقم وصبرا على مضض الالم وجدا في جهاد العدو ولقد كان الرجل
منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان انفسهما ايهما يسقى صاحبه كاس المنون فمرة لنا من عدونا
ومرة لعدونا منا فلما راى الله صدقنا انزل بعدونا الكبت وانزل علينا النصر حتى استقر الاسلام ملقيا جرانه
ومتبوءا اوطانه ولعمرى لو كنا ناتى ما اتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للايمان عود وايم الله لتحتلبنها دما ولتتبعنها
ندما **اقول** المنقول ان هذا الكلام صدر عنه يوم صفين حين اقر الناس بالصلح واوله ان هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا
الى الحق ولا الى كلمة سواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر وحتى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب وحتى يجر ببلادهم الخميس
يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحى ارضهم وباعناء مشاربهم ومسارحهم وحتى تشن عليهم الغارات من كل فج وحتى
يلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله الا جدا في طاعة الله وحرصا على لقاء الله ولقد
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله الفصل كلمة سواء اى عادلة والمنسر خيل من المائة الى المائتين وقيل الجيش ما بين [illegible] والخميس الجيش
وتدعق تغار على ارضهم فتؤثر فيها حوافرها وتشن الغارة اثارها واللقم منهج الطريق والمضض حرقة الالم ويتصاولان يتحاملان
يتطاولان ويتخالسان ينتهز كل منهما فرصة صاحبه والمنون المنية والكبت الصرف والاذلال وجران البعير مقدم عنقه من مذبحه
الى منحره وتبوء وطنه سكن فيه ومقصوده في هذا الفصل توبيخ اصحابه على ترك الحرب والتقصير فيه فقوله ولقد كنا الى قوله
اوطانه بيان لفضله وكيفية صنيعه هو وسائر الصحابة في الجهاد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله لغرض قيام الاسلام وظهور امر الله لتنبيه
للسامعين تقصيرهم بالنسبة الى ما كان اولئك عليه في جهادهم يومئذ فيذكرهم ما كانوا يلحقونه من الشدائد وان احدهم كان
يقتل اباه وولده طلبا لرضا الله وذبا عن دينه ثم لا يزيده ذلك الا ايمانا وتسليما لقضائه ومضيا على واضح سبيله وصبرا في طاعته
على مضض الالام المتواترة وان احدهم كان يصاول عدوه ويختطف كل روح صاحبه وتجوز بلفظ الكاس فيما يجرعه الاخر من
غصص الالم حال القتل ونبه بقوله فمرة لنا ومرة لعدونا على ان اقدامهم على القتال يومئذ لم يكن عن قوة منهم على العدو ويقين
بغلبته بل مع غلبة العدو لهم وقهره ومرة منصوب على الظرف والعامل فيه فمرة الاولى تكون لنا من عدونا ومرة تكون له منا وقوله فلما
راى الله صدقنا الى قوله النصر فيه تنبيه على ان الجود الالهى لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما هو عام الفيض على كل قابل استعد
لرحمته واشار برؤية الله صدقهم الى علمه باستعدادهم واستعدادهم بالصبر الذى عادتهم به وبانزال النصر عليهم والكبت لعدوهم الى
افاضته على كل منهما ما استعد له وقوله حتى استقر الاسلام الى قوله اوطانه اشارة الى حصول غايتهم التى قصدوها بجهادهم العدو
وهى استقرار الاسلام في قلوب عباد الله واستعار لفظ الجران ورشح تلك الاستعارة بالالقاء ملاحظة لتشبيهه بالبعير الذى اخذ
مكانه وكذلك استعار لفظ التبوء ونسبه الى الاوطان تشبيها له بمن كان من الناس خائفا متزلزلا لا مستقر له ثم اطمان واستقر في وطنه
واستعار لفظ الاوطان لقلوب المؤمنين وكنى بتبوئها عن استقراره فيها وقوله ولعمرى لو كنا ناتى الى قوله عود رجوع الى المقصود
الاصلى وهو تنبيه اصحابه على تقصيرهم والمعنى لو قصرنا يومئذ كتقصيركم الان وتخاذلكم لما حصل ما حصل من استقامة الدين
وكنى بالعمود للدين عن قوته ومعظمه كناية بالمستعار وكذلك باخضرار العود للايمان عن نضارته في النفوس ولاحظ في الاولى
تشبيه الاسلام بالبيت ذى العمود وفي الثانية تشبيه الايمان بالشجرة ذات الاغصان وقوله وايم الله لتحتلبنها دما استعار لفظ

ولا يعتبوا ام

حلب الدم

حلب الدم لقرة تقصيرهم وتخاذلهم عما يدعوهم اليه من الجهاد ولا حظ فى ذلك الاستعارة تشبيههم لتقصيرهم فى افعالهم بالناقة التى
اصيب ضرعها باقة من تفريط صاحبها فيها والضمير المؤنث منهم يرجع فى الحقيقة الى افعالهم وكذلك الضمير فى قوله ولتتبعنها ندما فان
ثمرة التفريط الندامة وقوعا وندما منصوبان على التمييز وقد اتفق فى هذا الفصل نوعان من التسجيع فاللقم والام سجع متوازى وخوانه
واوطانه مطرف وكذلك عموده وعوده وحوما وندما وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لاصحابه اما انه سيظهر عليكم بعدى
رجل رحب البلعوم مندحق البطن ياكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه الا وانه سيامركم بسبى والبراءة
منى فاما السب فسبونى فانه لى زكاة ولكم نجاة واما البراءة فلا تتبرءوا منى فانى ولدت على الفطرة وسبقت الى
الايمان والهجرة **اقول** رحب البلعوم واسع مجرى الحلق وبطن مندحق ناتئ بارز وفى هذا الفصل اخبار بما سيكون
لاصحابه من الابتلاء عقيبه والخطاب لاهل الكوفة وقوله اما يحتمل ان يكون التشديد هو التقدير اما بعد انه كذا ويحتمل ان تكون
مخففة وهى ما النافية دخلت عليها همزة الاستفهام والتقدير اما انه سيظهر واختلف فى مراده بالرجل فقال اكثر الشارحين
المراد معوية لانه كان بطينا كثير الاكل روى انه كان ياكل فيمل فيقول ارفعوا فوالله ما شبعت ولكن مللت وتعبت وكان ذلك
داء اصابه بدعاء الرسول صلى الله عليه وآله روى انه بعث اليه مرة فوجده ياكل فبعث اليه ثانية فوجده كذلك فقال اللهم لا تشبع بطنه ولبعضهم
فى وصف اخ وصاحب لى بطنه كالهاوية كان فى امعائه معاوية وقيل هو زياد بن ابى سفيان وهو زياد بن ابيه وقيل هو الحجاج وقيل
المغيرة بن شعبة وظهوره عليهم بعد استعلاؤه وتامره عليهم واكله ما يجد مع طلبه ما لا يجد كناية عن كثرة اكله وجعل ذلك
علامة له وقوله فاقتلوه اى لما هو عليه من الفساد فى الارض ولن تقتلوه حكم لدنى اطلع عليه وقوله الا وانه سيامركم بسبى
الى اخره اشارة الى ما سيامرهم به فى حقه من السب والبراءة ووصيته لهم بما هو المصلحة اذن وفرق بين سبه والبراءة منه بان
رخص فى سبه عند الاكراه عليه ولم يرخص فى التبرى منه وفى الفرق بينهما لطف وذلك ان السب من صفات القول اللسانى
وهو امر يمكن ايقاعه من غير اعتقاده مع احتماله التعريض ومع ما يشتمل عليه من حقن دماء المامورين ونجاتهم بامتثال الامر
واما التبرى فليس بصفة قولية فقط بل يعود الى المجانبة القلبية والمعاداة والبغض وهو المنهى عنه ههنا فانه امر باطن يمكنهم
الانتهاء عنه ولا يلحقهم بسبب تركه وعدم امتثال الامر به ضرر وكانه لحظ فيها قوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن
من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب الاية وقوله فى السب فانه لى زكاة ولكم نجاة اشارة الى اسباب ترخيصه فى سبه اما نجاتهم
بسببه فظاهر واما كونه له زكاة فلوجهين احدهما ما روى فى الحديث ان ذكر المؤمن بسوء هو زكوة له وذلك بما ليس فيه زيادة
فى جاهه وشرفه الثانى ان الطباع تحرص على ما تمنع منه ولم يغفلوا الناس لما منعوا من ذكر فضائله والموالاة له والزموا سبه وبغضه
ازدادوا بذلك محبة له واظهارا لشرفه ولذلك انه لما سبه بنو امية الف شهر على المنابر فما زاد ذكره على ذلك الا علوا ولا ازداد
الناس فى محبته الا غلوا والمنقول ان الذى قطع سبه عمر بن عبد العزيز ووضع مكان سبه من الخطبة ان الله يامر بالعدل والاحسان
الاية ولذلك قال كثير بن عبد الرحمن يمدحه وليت فلم تشتم عليا ولم تخف بريا ولم تقبل اساءة مجرم وعنه قول الرضى الموسوى
يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من امية لبكيتك انت نزهتنا عن السب والشتم ولو كنت مجزيا لجزيتك غير انى اقول انك قد
طبت وان لم يطب ولم يزك بيتك وقوله فانى ولدت على الفطرة الى اخره تعليل لحسن الانتهاء عن البراءة منه ووجوبه واراد بالفطرة
فطرة الله التى فطر الناس عليها وهى عقيدتهم الى عالم الاجسام ما خوذا عليهم ميثاق العبودية والاستقامة على سنن العدل فى سلوك صراط
المستقيم واراد بسبقه الى الاسلام والهجرة سبقه الى طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله فيما جاء به من الدين وصحبته له ومهاجرته معه مستصحبا فى كل
ذلك على فطرة الله لم يدنس نفسه بشئ من الملكات الردية مدة وقفة ما زمان صغره فللخبر المشهور كل مولود يولد على الفطرة
واما بعده فلان الرسول صلى الله عليه وآله كان هو المتولى لتربيته وتزكية نفسه بالعلوم والاخلاص من اول وقته الى ان توفى صلى الله عليه وآله وسلم
كما اشرنا اليه من قبل وكما سيذكر هو بعد كيفيته وكان قبوله واستعداده لانوار الله امرا فطرت عليه نفسه وجبلت عليه طبيعته
حتى لم يلحقه فى ذلك احد من الصحابة وظاهر ان من كان بهذه الصفة من خلفاء الله واوليائه كان التبرى منه تبرا من الله ورسوله
فوجب الانتهاء عنه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** كلم به الخوارج اصابكم حاصب ولا بقى منكم ابر ابعد ايمانى
بالله وجهادى مع رسول الله صلى الله عليه وآله اشهد على نفسى بالكفر لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين فاوبوا شر مآب وارجعوا
على اثر الاعقاب اما انكم ستلقون بعدى ذلا شاملا وسيفا قاطعا واثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة قال الرضى رضى الله عنه
وقوله ولا بقى منكم ابر يروى بالراء من قولهم للذى يابر النخل اى يصلحه ويروى اثر وهو الذى ياثر الحديث اى يرويه ويحكيه وهو اصح الوجوه
عندى كانه قال لا بقى منكم من يروى حديثا ويروى آبز بالزاء المعجمة وهو الواثب والهالك ايضا يقال له آبز **اقول** المروى فى
السبب انه لما كتب عهد التراضى بين الحكمين بين على ومعوية اعتزلت الخوارج ونادوا من كل ناحية لا حكم الا الله الحكم لله يا على

اى يحكيه

الا انّ الله قد امضى حكمه في معوية واصحابه ان يدخلوا اغنت حكمنا وقد كنا زللنا واخطانا حين رضينا بالتحكيم وقد بان زللنا وخطأنا
فرجعنا الى الله وتبنا فارجع انت كما رجعنا وتب اليه كما تبنا وقال بعضهم اشهد على نفسك بالكفر ثم تب منه حتى
نطيعك فاجابهم بهذا الكلام والحاصب ريح شديدة ترمي بالحصباء وهو صغار الحصى والاثر بالتحريك الاسناد فدعا عليهم في
ريح غضبه ثم بالفناء غضبا من مقالتهم ثم اخذ في تقريعهم وانكار مقالتهم وطلبهم شهادته على نفسه بالكفر في صورة سؤال الغنيّ
تنبيها لهم على خطائهم في حقه ببيان غلطه على نفسه لو اجابهم الى ما سألوا فان شهادة الانسان على نفسه بالكفر ضلال عن الحق
وعدم اهتداء في سبيل الهدى ثم اردف ذلك بامرين احدهما اجابتهم بالغضب والقهر وامرهم بالرجوع الى الحق على اعقابهم اي من حيث
خرجوا من الحق وفارقوه الثاني اخبارهم بما سيلقون بعده من الذل الشامل والسيف القاطع وهو كناية عمن تقبلهم بعده
كالمهلب بن ابي صفرة وغيره وهذه الاخبار لغرض استفائهم اليه وجذب لهم برذيلة غيره والاثرة التي تتخذها الظالمون فيهم
سنة اشارة الى ما ذهبوا اليه من استئثار الملوك والعمال عليهم من الفيء والغنائم واهانتهم وقد كانت دعوته عليه السلام استجيبت فيهم فانهم لم يزالوا
بعده في ذل شامل وقتل ذريع حتى افناهم الله تعالى واحوالهم في كيفية قتالهم وقتلهم ومن قتلهم مستوفى في كتاب الخوارج و
بالله التوفيق **وقال عليه السلام** لما عزم على قتال الخوارج وقيل له ان القوم قد عبروا جسر النهروان مصارعهم دون
النطفة والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة قال السيد يعني بالنطفة ماء النهر وهي افصح كناية عن الماء وان كان كثيرا جما
اقول خلاصة هذا الخبر انه لما خرج الى اصحاب النهر جاءه رجل من اصحابه فقال البشرى يا امير المؤمنين ان القوم عبروا
النهر لما بلغهم وصولك فابشر فقد منحك الله اكتافهم فقال له الله انت رايتهم قد عبروا فقال نعم فقال عليه السلام والله ما عبروه ولن يعبروه
وان مصارعهم دون النطفة والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لن يبلغوا الاثلاث ولا قصر بوران حتى يقتلهم الله وقد خاب من افترى
قال ثم جاءه جماعة من اصحابه واحدا بعد اخر كلهم يخبره بما اخبره الاول فركب عليه السلام وسار حتى انتهى الى النهر فوجد القوم باسرهم قد
كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيولهم وجثوا على الركب وحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل وروي ان شابا من اصحابه
قال في نفسه حين حكم بما حكم من امرهم وسار الى النهر لئن صدق في حكمه والله لاكونن قريبا منه فان كانوا عبروا النهر لاجعلن
سنان رمحي في عينه ايدعي علم الغيب فلما وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه واخبره بما روي في نفسه وطلب منه ان يغفر له فقال عليه السلام ان الله
هو الذي يغفر الذنوب جميعا فاستغفره فاما حكمه بانه لا يهلك منهم عشرة ولا يقتل من اصحابه عشرة فروي ان خالا لابي ايوب
الانصاري وكان على ميمنته لما بدأت الخوارج بالقتال حملوا عليهم فوالله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة فلما قتلهم
وجد المفلت منهم تسعة والمقتول من اصحابه ثمانية وهذان الحكمان من كراماته عليه السلام **وقال عليه السلام** لما قيل له يا امير المؤمنين
هلك القوم باجمعهم كلا والله انهم نطف في اصلاب الرجال وقرارات النساء كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون اخرهم لصوصا
سلابين **اقول** نجم طلع والسلاب المختلس وكلا ردع لقائل من حكم بهلاكهم جميعا واشار بكونهم نطفا في اصلاب الرجال وقرارات
النساء الى انه لا بد من وجود قوم منهم يقولون بمثل مقالتهم وانهم الان موجودون في الاصلاب والارحام بالقوة لانهم نطف
سينتقل الى الارحام وكنى بالقرارات عنها ومنهم نطف بعد في الاصلاب ثم الحقهم احكاما ما خرج من اتباعهم منها انه سيقوم منهم
متسلم ذو اتباع وعبر عمن يظهر منهم بالقرن استعارة ورشح تلك الاستعارة بقوله نجم وقطع لكونهما حقيقتين في النبات
وجعل المراد لهم غاية هي كونه واخرهم لصوصا سلابين اي قطاعا للطريق واما الذين ظهروا بعده من رؤسائهم فجماعة كثيرة وذلك
ان التسعة الذين سلموا يوم النهر تفرقوا في البلاد فانهزم اثنان منهم الى عمان واثنان الى كرمان واثنان الى سجستان واثنان
الى الجزيرة وواحد الى تل موزون فكان بعضهم منهم جماعة لم يظهر منهم ثم ظهرت بدعتهم في اطراف البلاد بعد فكانوا نحوا
من عشرين فرقة وكبار فرقهم ست **احديها** الازارقة اصحاب نافع بن الازرق وكان اكبر الفرق خرجوا من البصرة الى الاهواز وغلبوا عليها
وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في ايام عبد الله بن الزبير وكان مع نافع من امراء الخوارج عشرة عطية بن الاسود
الحنفي وعبد الله بن ماحوز واخواه عثمن والزبير وعمر بن عمير العنبري وقطري بن الفجاءة المازني وعبيدة بن هلال الشيباني وصخر التميمي
وصالح العبدي وعبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير في ثلثين الف فارس منهم فانفذ اليهم المهلب بن ابي صفرة ولم يزل في
حربهم هو واولاده تسع عشرة سنة الى ان فرغ من امرهم في ايام الحجاج ومات نافع قبل وقايع المهلب وبايعوا قطريا وسموه
امير المؤمنين **الثانية** النجدات رئيسهم نجدة بن عامر الحنفي وكان معه اميران يقال لاحدهما عطية والاخر ابو فديك
ففارقاه لشبهة ثم قتل ابو فديك وصار لكل واحد منهما جمع عظيم وقتلا في زمن عبد الملك بن مروان **الثالثة**
البيهسية اصحاب ابي بيهس الهيصم بن جابر وكان بالحجاز وقتله عثمن بن حيان المزني بالمدينة بعد ان قطع يديه ورجليه وذلك
في زمن الوليد بامر منه **الرابعة** العجاردة اصحاب عبد الكريم بن عجرد وتحت هذه الفرقة فرق كثيرة لكل منهم رئيس منهم



مشهور **الخامسة** الاباضية اصحاب عبد الله بن اباض خرج في ايام مروان بن محمد فوجه اليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله فقتله **السادسة**
الثعالبة اصحاب ثعلبة بن عامر وتحت هذه الفرق ايضا فرق كثيرة ولكل منها رئيس مشهور وتفصيل رؤسائهم وفرقهم واحوالهم
ومن قتلهم مذكور في كتب التواريخ واما كون اخرهم لصوصا سلابين فاشارة الى ما كانوا يفعلونه في اطراف البلاد باصبهان
والاهواز وسواد العراق يعيشون فيها ونحو نهب اموال الخراج وقتل من لم يدن بدينهم جهرا وغيلة وذلك بعد ضعفهم و
تفرقهم بوقايع المهلب وغيرها كما هو مذكور في مظانه **وقال** عم لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فاخطأه كمن طلب الباطل
فادركه يعني معوية واصحابه **اقول** نهى عن قتل الخوارج بعده واومى الى علة استحقاق القتل بانها طلب الباطل لانه
باطل ليتبين انها منتفية في حقهم فينبغي لازمها وهو استحقاق القتل واشار الى ان الخوارج لم يطلبوا الباطل مع العلم بكونه
باطلا بل طلبوا الحق بالذات فوقعوا بالباطل بالعرض ومن لم يكن غرضه الا الحق لم يجز قتله ويحسن الكلام بظهر في تقدير
متصلة هكذا لو استحقوا القتل لسبب طلبهم الباطل لاستحقوه بسبب طلبهم للباطل من حيث هو باطل فلا نسلم ثبوت القتل و
فرق بين من يطلب الحق لذاته فيظهر عنده في صورة باطل وبين من يطلب الباطل لذاته فيظهره في صورة الحق حتى يدركه
فان الثاني هو المستحق للقتل دون الاول والمعنى بمن طلب الباطل فادركه الى معوية واعلم ان هذا نص منه عم بانهم كانوا طالبين
للحق وبيانه ان معظم رؤسائهم كانوا على غاية من المحافظة على العبادات كما نقل عن الرسول صلعم حيث وصفهم فقال حتى ان
صلوة احدكم لتحتقر في جنب صلوتهم وكانوا مشهورين بالصلاح والمواظبة على حفظ القرآن ودرسه الا انهم بالغوا في التحري
وشدة الطلب للحق حتى عبروا عن فضيلة العدل فيه الى رذيلة الافراط فوقعوا الى الفسق ومرقوا من الدين فان قلت كيف
نهى عن قتلهم قلت جوابه من وجهين احدهما انه عم انما نهى عن قتلهم بعده على تقدير ان يلزم كل منهم نفسه ويشتغل بها ولا
يبغي في الارض فسادا وهو انما قتلهم حيث فسدوا واخذوا مالا وقتلوا جماعة من الصالحين كعبد الله بن خباب وشقوا بطن
امرأته وكانت حاملا ودعوا الناس الى بدعتهم ومع ذلك كان يقول لاصحابه حين سار اليهم لا تبدؤوهم بالقتال حتى يبدؤكم
بروا لم يشرع في قتلهم حتى بدؤه بقتل جماعة من اصحابه الثاني انه يحتمل ان يقال انه انما قتلهم لانه امام عادل رأى الحق في
ذلك وانما نهى عن قتلهم بعده لانه علم انه لا يلي هذا الامر بعده من له ان يحكم الشرع في ان يقتل ويتولى امر الحد ويدري من لا يعرف
مواضعها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** لما خوف من الغيلة وان علي من الله جنة حصينة فاذا جاء يومي
انفرجت عني واسلمتني فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم **اقول** قد كان عم خوف من غيلة ابن ملجم لعنه الله اذ روي
ان الاشعث لقيه متقلدا سيفه فقال له ما تقلدك السيف وليس باوان حرب فقال اردت ان انحر جزور القرية فاتى الاشعث
عليا عم فاخبره وقال قد عرفت ابن ملجم وفتكه فقال عم ما قتلني بعد وروي ان عليا عم كان يخطب مرة ويذكر اصحابه وابن ملجم
تلقاء المنبر فسمع وهو يقول والله لاريحنهم منك فلما انصرف علي الى بيته اتوا به ملببا فاشرف عليهم وقال ما تريدون فخبروه بما سمعوا
منه فقال ما قتلني بعد فخلوا عنه وان علي من الله جنة الفصل والغيلة القتل على غفلة والجنة ما تستتر به من سلاح وطاش
السهم انحرف عن الغرض والكلم الجرح وكنى بالجنة عن عناية الله بحفظ اسباب حيوته في المدة المكتوبة في القضاء الالهي كناية
بالمستعار ووجه الاستعارة ان مع بقاء اسباب الحيوة محفوظة لا يؤثر في الانسان شيء من سهام المنايا كما ان لابس الجنة محفوظ
بها من اثار السهام ونحوها ووصفها بالحصينة ترشيحا للاستعارة وكنى بها ايضا عن قوة ذلك الحفظ وكنى بيومه عن وقت ضرورة
موته وبانفراج الجنة عنه عن عدم بعض اسباب الحيوة المستلزم لحوق سبب من سهام الامراض وهو ترشيح للاستعارة ايضا ونسب اليها اسلاما
له ملاحظة لتشبيهها بمن يحفظه ثم يسلمه للقتل وقوله لا يطيش السهم استعار لفظ السهم للامراض التي هي اسباب الموت وكنى بعدم طيشه
عن اصابته وحصول الموت عنه ولفظ الكلم للاثر الحاصل عن تلك الاسباب ووجه الشبه في الاولى كونهما سببين للهلاك وفي الثانية
ما يستلزمانه من الالم ورشح الاولى بذكر الطيش والثانية بذكر البرء ومن المنسوب اليه في ذلك من اي يومي من الموت افر ايوم
لم يقدر ام يوم قدر يوم لم يقدر لا ارهبه ويوم قد قدر لا يغني الحذر وهو في ذلك ملاحظ لقوله تعالى وما كان لنفس ان تموت
الا باذن الله كتابا مؤجلا ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وبالله التوفيق **ومن خطبة له عم**
الا وان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها ولا ينجى بشيء كان لها ابتلي الناس بها فتنة فما اخذوه منها لها اخرجوا منه وحوسبوا عليه
وما اخذوه منها لغيرها قدموا عليه واقاموا فيه وانها عند ذوي العقول كفيء الظل بينا تراه سابغا حتى قلص وزائدا حتى
نقص **اقول** بينا اصله بين فاشبعت الفتحة فحدث الف وقد تزاد ما فيقال بينما والمعنى واحد وتحقيق الكلام
هنا ان الظل دائر بين السبوغ والقلوص والزيادة والنقصان وقلوص الظل نقصه وغرضه من هذا الفصل التحذير من الدنيا والتنبيه
على وجوب لزوم اوامر الله فيها واشار الى ذلك في اوصاف لها **الاول** كونه لا يسلم منها الا فيها وتحقيق ذلك ان الدار الدنيا

الشعر

في التحذير من الدنيا

والآخرة فقد علمت أن أسباب الشقاء الأخروي هي الرذائل المضادة للعبادة وسائر أجزاء الرياضة وشيء منها لا يمكن في الآخرة بل كلها أعمال مخلّدة للأبد
فإن الآخرة لا يتصوّر فيها إلا ما هو من أسباب الشقاء من الدنيا إلا أن الدنيا الثاني كونها لا يبقى شيء كان لها وفيها إلى الآخرة من الأقوال والأفعال
وتحذيره من كل عمل يتوخاه ويقصد به الدنيا فإن شيئاً من ذلك لا حظ له في استلزام النجاة في الآخرة بل ربما كان سبب الهلاك فيها لأن
الاشتغال بمهمات الدنيا منسٍ للآخرة الثالث كونها قد ابتلى الناس بها فتنة وفتنة منصوب بالمفعول له ويحتمل أن يكون مصدراً
سدّ مسدّ الحال ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ولنبحث عن معنى الابتلاء بالدنيا وكونها فتنة واعلم أن ليس
المراد أن الله سبحانه لا يعلم ما يؤول إليه أحوال العباد وما يكون منهم بعد خلقهم وابتلائهم بالدنيا فإنه تعالى عالم بما كان وما يكون قبل كونه
كما قال تعالى وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين وقوله تعالى ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب
من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير بل الكشف عن حقيقة الابتلاء أمر كأن الإنسان إنما يكون إنساناً بما خلق فيه من القوى الشهوية
والغضبية وما يتبعهما وكان لهذه القوى ميول طبيعية إلى حاضر اللذات الدنيوية التي هي مشتهياتها ولا ابتهاج لها إلا بها ولا حظ
لها من غيرها وكانت النفوس الإنسانية بمخالطة لهذه القوى وتحت الانقياد لها وصحبتها في تصرفاتها غافلة عن الأحوال الأخروية وكانت تلك القوى
في أكثر الخلق جاذبة لنفوسها إلى مشتهياتها الطبيعية بالطبع وكانت تلك النفوس في أكثر الناس منقادة لقواها معرضة عن الآخرة مشغولة
بما عندها وجدته من لذات الدنيا عن تصور ما ورائها ثم مع ذلك كان المطلوب منها ما يضاد ذلك وهو ترك ما في الدنيا ومنازعة
هذه القوى في مشتهياتها وجذبها عن التوجه بكليتها إليها لما تقرر في النفس لنفارها عن ذلك الحكم لا يتصور في الدنيا إلا بالأوصاف
الحسية التي كما هو وظيفة الأنبياء عليهم السلام عن الخالق كانت دار تقم لذلك الإنسان مع ما هم فيه من نزعة الهوى فإن أطاعوه هلكوا وإن
عصوه نجوا صورته أمر من شأنه ذلك ما يفعله أحدنا عند عبده إذا أراد مثلاً اختبار صبره ومحنته فإنه يوهب له جميع ما يشتهيه ثم كلفه
مع ذلك ترك المشتهيات لا يتمكن من فعلها إلا بالتحفظ عن مشتهياته والتنغيص عليه فلا جرم صدقت صورة الابتلاء والاختبار من
الله في الوجود وكذلك ظهر معنى كونها فتنة فإن الفتنة الامتحان والاختبار ثم قد تقال هاهنا ... بمعنى الضلال الذي يعود إلى
جذبها للنفوس إلى حاضر لذاتها عن سنن الحق الرابع كونهم ما أخذوه منها لها أخرجوا منه وحوسبوا عليه وهو تنبيه على وجوب
قصد الآخرة بما من الدنيا ويتصرفون فيه أن يجعل المأخوذ منها الجزء المتمتع بها بذكر وصفين أحدهما وجوب مفارقة المأخوذ
منها والإخراج منه والثاني الحساب عليه في الآخرة واعلم أن على رأي المليين ظ قالوا إن الله تعالى قادر على حساب الخلق دفعة واحدة ولا يشغله
كلام عن كلام كما قال وهو سريع الحساب أما الحكماء فقالوا إن تقرير الحساب فيه تقرير ببيان مقدمات الأولى أن كثرة الأفعال و
تكررها يوجب حدوث الملكات في النفوس والاستقراء التام يكشف عن ذلك ومن كان مواظبته على عمل من الأعمال أكثر كان رسوخ
تلك الملكة الصادرة عن ذلك الفعل في نفسه أقوى الثانية أنه لما كان تكرر العمل يوجب حصول الملكة وجب أن يكون لكل عمل يفعله
الإنسان أثر في حصول تلك الملكة بل يجب أن يكون لكل جزء من أجزاء العمل الواحد أثر في حصولها يوجب بعضها ولذلك مثالاً
لو فرضنا سفينة عظيمة بحيث لو ألقي فيها مائة ألف من فإنها تغوص في الماء قدر شبر واحد ولو لم يكن فيها إلا حبة واحدة من الحنطة
فذلك القدر من الجسم الخفيف يوجب غوصها في الماء بمقدار ما له من الثقل وإن بلغ في القلة إلى حيث لا يدركه الحس إذا عرفت
ذلك فنقول ما من فعل من الخير والشر قليل ولا كثير إلا ويفيد حصول أثر في النفس إما سعادة أو شقاوة وعند هذا ينكشف سر قوله تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ولكن لما ثبت أن الأفعال إنما تصدر بواسطة الجوارح من اليد والرجل وغيرها
لا جرم كانت الأيدي والأرجل شاهدة على الإنسان يوم القيامة بلسان حالها على معنى أن تلك الآثار النفسانية إنما حصلت في جواهر النفوس
بواسطة الأفعال الصادرة عنها فكان صدور تلك الأفعال من تلك الجوارح جارياً مجرى الشهادة على النفس بما اكتسبته بها إذا عرفت ذلك
فنقول لما كانت حقيقة المحاسبة تعود إلى تعريف الإنسان ما له وما عليه من مال ونحوه وكان ما يحصل من النفوس من الملكات الخيرية
والشريرة أموراً مضبوطة في جوهرها محصاة عليها وإنما تنكشف لها أكثر تلك الهيئات وتمكنها من ذواتها وتصورها في الآن الذي
تنقطع فيه علاقة النفس مع البدن أشبه ذلك ما يتبين للإنسان عند المحاسبة مما له وعليه فأطلق عليه لفظ الحساب وذلك
اليقين والاطلاع هو المشار إليه بقوله تعالى وحوسبوا عليه وليس لفهم أن ما يقدم عليه في الآخرة هو عين ما أخذ من الدنيا بل أثره في النفوس
من خير أو شر فالذين بينا ولد الجاهلون منها المحرم التنعم بها فهو الذي يتمكن عنه هيئات السوء في جواهر نفوسهم فيعذبون عليها ويتهمون
بها في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون الخامس كونها عند ذوي العقول كفيء الظل ونبه بهذا الوصف على سرعة
زوالها وإنما خصص ذوي العقول بذلك لأن أحوالها أن المعتبر والعالم بسرعة زوالها دون هواه فلذلك نسب إلى العقل الثاني أن
حال ذوي العقول مرغوب فيه لمن يسمعه ولما كان مقصوده تحذير السامعين من سرعة زوالها ليعملوا فيها لما بعدها نسب الحال إلى
ذوي العقول فيه ليقتدي السامعون بهم ثم أشار إلى وجه شبهها بالظل بقوله بينا تراه إلى آخره أي أنها سريعة الزوال كما يسرع زوال الفيء و

معنى الابتلاء بالدنيا

بما يوجب قصد

ان الحساب



من التشبيهات السائرة ومثله قول الشاعر الا انما الدنيا كظل غمامة اظلت يسيرا ثم خفت فولت **ومن خطبة له عليه السلام**
فاتقوا عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم وترحلوا فقد جد بكم واستعدوا للموت
فقد أظلكم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا فإن الله لم يخلقكم عبثا ولم يترككم
سدى وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة
بقصر المدة وإن غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الأوبة وإن قادما يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق
لأفضل العدة فتزودوا من الدنيا في الدنيا ما تحرزون به نفوسكم غدا فاتقى عبد ربه نصح نفسه قدم توبته غلب
شهوته فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها
حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها فيا لها حسرة على كل ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة وأن تؤديه أيامه إلى
شقوة نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية ولا تحل به بعد الموت ندامة
ولا كآبة **أقول** المبادرة المسارعة والسدى المهمل وجد به كذا أي أولع به وحري حقيق والتسويف في الأمر أن يقول سوف أفعل
وهو كناية عن التمادي في الأمر والبطر تجاوز الحد في الفرح والكآبة الحزن وحاصل هذه الموعظة التنفير عن الدنيا والترغيب في الآخرة
وما يكون وسيلة إلى نعيمها والترهيب مما يكون سببا للشقاء فيها فقوله فاتقوا الله إلى قوله بأعمالكم فيه تنبيه على وجوب لزوم الأعمال
الصالحة وحث عليها بالأمر بمسابقة الآجال وعلى توقع سرعة الأجل وإخطاره بالبال وهو من الجواذب القوية إلى الله تعالى ونسبة المسابقة
إلى الآجال ملاحظة لشبهها بالمراهن إذ كان لحوقها لهم حائلا بينهم وبين الأعمال الصالحة المشبهة بما يتسابق عليه من رهن وقوله
ابتاعوا ما يبقى إلى قوله عنكم إشارة إلى لزوم الزهد في الدنيا والتخلي عن متاعها الفاني وأن يشتري به ما يبقى من متاع الآخرة وقد
عرفت غير مرة إطلاق لفظ البيع هنا وقيل المشتري بما يبقى والثمن بما يزول ليكون المشترى حبا إلى النفوس لبقائه وقوله فترحلوا فقد
جد بكم أمر بالترحل وهو قطع منزل منزل من منازل السفر إلى الله تعالى في مراتب السلوك لطريقه ونبه على وجوب الترحل بقوله فقد
جد بكم أي في السير إلى آجالكم بقوة وذلك الجد يعود إلى سرعة توارد الأسباب التي تعد المزاج للفساد وتقربه إلى الآخرة ملاحظة
لشبهها بسائق الإبل ونحوها وقوله واستعدوا للموت فقد أظلكم الاستعداد له هو باستكمال النفوس كمالها الذي ينبغي حتى لا يبقى
للموت عندها كثير وقع بل يكون محبوبا لكونه وسيلة إلى المحبوب هو لقاء الله والسعادة الباقية في حضرة الملأ الأعلى ونبه بقوله فقد
أظلكم على قربه واستلزم ذلك تشبيهه بالسحاب أو الطير فاستعير له وصف الإظلال وقوله وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا تنبيه لهم على
الالتفات إلى منادي الله وهو لسان الشريعة والانتباه بندائه من مراقد الطبيعة وقوله واعلموا إلى قوله فاستبدلوا تنبيه لهم على أن الدنيا ليست
بدارهم ليلتفتوا عن الركون إليها ويتوقعوا الإخراج منها ثم أمرهم بالاستبدال بها إليه وكرر أن هناك عوضا منها يجب أن يلتفت إليه وهو الدار
الآخرة ونبه بقوله فإن الله لم يخلقكم عبثا إلى آخره على وجوب العمل لذلك لتبدل فإنهم لم يخلقوا إلا لأمر وراء ما هم فيه وقوله وما بين أحدكم
إلى قوله ينزل به ترغيب لما خلقوا له ووعدوا بالوصول إليه وأنه لا حائل بينهم وبينه إلا الموت قال بعض الشارحين وهذا الكلام مما يصلح
متمسكا للحكماء في تفسيرهم للجنة والنار فإنهم لما قالوا إن الجنة تعود إلى المعارف الإلهية ولوازمها والنار تعود إلى حب الدنيا والميل إلى
مشتهياتها وتمكن الهيئات الرديئة في جوهر النفس وعشقها بعد المفارقة لما لا يتمكن من العود إليه كمن نقل عن مجاورة معشوقه والالتذاذ
به إلى موضع ظلماني شديد الظلمة مع عدم تمكنه من العود إليه كما قال تعالى قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا الآية وكان إدراك
لذة المعارف الإلهية أو ألم النار بالمعنى المذكور معنى أمرا يتحقق حال مفارقة هذا البدن إذ كان الإنسان في عالم الشهادة في إدراكه لما حصل
في نفسه وتمكن من الهيئات كعضو مفلوج غطى خدره على ألمه فإذا زال الخدر أحس بالألم فكذلك النفس بعد الموت تدرك ما لها من لذة
أو ألم كما هو لزوال الشواغل البدنية عنها قلت وهذا الكلام أيضا ظاهر على مذهب المتكلمين إذ جاء في الخبر أن العبد يكشف له عند الموت
عما يستحقه من جنة أو نار ثم يؤجل ذلك إلى قيام القيامة الكبرى وقوله وإن غاية إلى قوله المدة كنى بالغاية عن الأجل المعلوم للإنسان ثم نبه
على قصره وحقارته بأمرين أحدهما كونه تنقصه اللحظة الواحدة للنظرة وهو ظاهر فإن كل جزء من الزمان فرض قد مضى من مدة الإنسان منقص
لها الثاني كونه تهدمه الساعة عن وقت الموت ولا شك أن الآن الذي ينقطع فيه علاقة النفس مع البدن غاية لأجل الإنسان وغاية
فكني بالهدم عن ذلك الانقطاع والانتهاء كناية بالمستعار وظاهر أن مدة هذا شأنها في غاية القصر وقوله وإن غائبا إلى قوله الأوبة أشار
بالغائب إلى الإنسان إذ كانت الدنيا عالم غربته ومحل سفره ومنزله الحقيقي إنما هو مبدأه وما إليه مرجعه وإنما سمى الليل والنهار جديدين
لتعاقبهما فليس أحدهما خلفا للآخر واستعار لفظ الحادي لهما لشبههما من إعداد الإنسان لقرب أجله المشبه بصوت الحادي الذي يعد الإبل
لسرعة سيرها وقربها من المنزل المقصود لها وظاهر أن من كان الليل والنهار حاديه فهو في غاية سرعة إلى الرجوع إلى مبدأه ووطنه الأصلي
وقال بعض الشارحين أراد بالغائب الموت وهو وإن كان محتملا إلا أنه لا يطابقه لفظ الأوبة لأن الموت لم يكن حتى يرجع وقوله وإن

هي ما ينقطع عندها الحجة



قادمًا الى قوله العدة واشار بالقادم بالفوز او الشقوة الى الانسان حين قدومه على ربه بعد المفارقة فانما الفوز بالسعادة الباقية والخصوص على الجنة والشقوة وبينه بذكر القادم على ان هذا اشارة فالواجب عليه ان يستعد بافضل عدة ليصل بها الى احبها لديه ويبعد بها عن اكرهها عنده وقوله فتزودوا الى قوله غدا فصل نوع تفصيل لافضل العدة وهو الزاد الذي يحرز الانسان به نفسه يوم القيمة من الشقوة في نار جهنم وعليل حرها واشار بذلك الزاد الى تقوى الله وخشيته وقد علمت حقيقة الخشية والخوف وانهما يحصلان في الدنيا واشار بقوله من الدنيا فلان الاثار الخاصة للنفس من الحالات والملكات كالخشية والخوف وسائر ما يتزود وتستصحبه بعد المفارقة امور انما حصلت عن هذا البدن واستفيدت من الدنيا بواسطته والمشابهة التي لاجلها استعار لفظ الزاد هنا هو ما يشترك فيه الزاد المحسوس والتقوى من سلامة المتزود بهما مما يخاف ويحذر فالذي في انتقال المسافر من عذاب الجوع والعطش المحسوسين وهذا في انتقال المعقولة و مراتب السلوك ومراحل السفر الى الله تعالى من عذاب الجوع المعقول وقوله فاتقى عبد ربه الى قوله شهوته اوامر وردت بلفظ الماضي خالية عن العطف وهي بالاعتبار ابلغ لتضمنها في احسن صورة فالامر بالتقوى تفسير للامر بالزاد كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى والامر بنصيحة النفس امر بالنظر في مصالحها والتشوق عليها ان تعمل ما هو الاولى بها من تحصيل حظ وراء الله والوقوف عندها والامر بتقديم التوبة وغلب الشهوة هو من جملة الامر بالتقوى كالتفسير له ومن لوازم التقوى التوبة لديهما واراد بتقديم التوبة على ابان بالنسبة الى كل وقت سيحضر وقوله فان اجله الى قوله شقوته حث على امتثال الاوامر السابقة الى التوبة وغيرها وتحذير من هجوم المنية على غفلة لما يستلزمه ذلك من شدة الحسرة وطول الندم على التفريط وذلك ان ستر الاجل عن الانسان موجب للغفلة عنه فاذا انضاف الى ذلك خداع الامل الناشي عن وساوس الشيطان في تزيينه المعصية وتسويفه التوبة مع كونه موكلا به وقرينا له كما قال سيد المرسلين ما من مولود الا ويولد معه قرين من الشيطان كانت الغفلة اشد والنسيان اكد واستعار لفظ الخداع لصورته من النفس الامارة بالسوء وهو قولها للانسان تمتع من شبابك واغتنم لذة العيش ما دمت في مهلة ومستقبل من ... وستلحق بالتوبة ونحو ذلك من الاباطيل فان هذه صورة خداع من الشيطان واما نسبة ذلك الى الامل فلان الامل هو عزم النفس على فعل تلك الامور وامثالها في مستقبل الاوقات عن توهم طول الحيوة واتساعها لما تفعله فيها من معصية وتوبة وذلك العزم من اسباب الانخداع للشيطان وغروره فلذلك نسب الخداع الى الامل مجازا وجعل غاية ذلك الخداع هو ان تهجم عليه منيته حال ما هو في اشد غفلة عنها واشتغال بما يؤمله فيكون ذلك مستلزما لاعظم حسرة واكبر ندامة على ان يكون عمره عليه حجة شاهدا بما ارتكبه في حال حياته واكتسبه من الاثام فصار بعد ان كان وسيلة لسعادة سببا للشقاوة وغفلة نصب على الحال وحسرة على التمييز للمتعجب منه المدعو واللام في لها فتحت للاستغاثة كانه قال يا للحسرة على الغافلين ما اكثرك وقيل بل لام الجر فتحت لدخولها على الضمير والمنادى محذوف تقديره يا قوم ادعوكم لها حسرة ونصب في موضع النصب على التعجب كانه قيل وعلام تقع عليهم الحسرة فقال على كون اعمارهم حجة عليهم يوم القيمة وقوله نسأل الله تعالى الى قوله كآبة خاتمة الخطبة وسأل الله الخلاص عن امور ثلثة **الاول** ان يخلصه من شدة الفرح بنعمة الدنيا فان ذلك من لوازم محبتها المستلزمة للهلاك الابدي **الثاني** ان لا تقصر به غاية عن طاعة ربه اي لا يقصر عن غاية من غايات الطاعة بغاية فصرفت هذه الغاية بعد ان اذا لم يبلغها **الثالث** ان لا تحل به بعد الموت ندامة ولا حزن وذلك سؤال لعدم اسبابهما وهو اتباع الهوى في الدنيا والعدول عن طاعة الله وبالله العصمة **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالا فيكون اولا قبل ان يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل ان يكون باطنا كل مسمى بالوحدة غيره قليل وكل عزيز غيره ذليل وكل قوي غيره ضعيف وكل مالك غيره مملوك وكل عالم غيره متعلم وكل قادر غيره يقدر ويعجز وكل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها وكل بصير غيره يعمى عن خفي الالوان ولطيف الاجسام وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ولا تخوف من عواقب زمان ولا استعانة على ند مثاور ولا شريك مكاثر ولا ضد منافر ولكن خلائق مربوبون وعباد داخرون لم يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ ولا وقف به عجز عما خلق ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر بل قضاء متقن وعلم محكم وامر مبرم المأمول مع النقم المرهوب مع النعم **اقول** الند المثاور المواثب والداخر الذليل وذرأ خلق والمبرم المحكم وقد اشتملت هذه الخطبة على مباحث لطيفة من العلم الالهي ايضا لا يطلع عليها الا المحققون فيه **الاول** الذي لم يسبق الى قوله باطنا اقول انه لما ثبت ان السبق والمعية والقبلية امور تلحق الزمان لذاته وتلحق الزمانيات به وثبت انه تعالى منزه عن الزمان اذ كان من لواحق الحركة المتأخرة عن وجود الجسم المتأخر عن وجود الله سبحانه كما علم ذلك ثبت انه لا يجري في حق ذاته المقدسة وما لها من صفات الكمال

تنزيه صفاته تم

تعرض مخلال

في اثبات نبذة من صفاته

وسابقة عليه المكونة

وتفوت الجلال شيء من لواحق الزمان فلم يجز اذن ان يقال مثلا كونه عالما قبل كونه قادرا او قبل كونه مريدا او كونه حيا قبل كونه عالما
كما كونه اولا للعالم قبل كونه اخرا له قبلية وسبقا زمانيا بمعنى ان يقال ان القبلية والبعدية قد تطلق بمعان اخر كالقبلية والبعدية
بالفضيلة والذات والعلية وقد بينا في الحكمة الاولى ان كل ما يلحق ذاته المقدسة من الصفات فاعتبارات ذهنية بحسب بها
المعقول عنده مما نسبته الى مخلوقاته ونحو شيء من تلك الاعتبارات لا تتفاوت فيهم بالقبلية والبعدية باصل المعاني المذكورة به
ما النظر الى ذاته المقدسة فلا يقال مثلا هو المستحق لهذا الاعتبار قبل هذا الاعتبار او بعده والا لكانت كمالاته قابلة للزيادة و
النقصان بل استحقاقه بالنظر الى ذاته انما يصح ان يعتبر لها استحقاق واحد لجميعها دائما فلا حال يفرض الا وهو يستحق فيه ان يعتبر
له الاولية والاخرية معا استحقاقا اوليا ذاتيا لا على وجه الترتب وان تفاوتت الاعتبارات بالنظر الى غيره [illegible] وهذا بخلاف
غيره من الامور الزمانية فان الجوهر مثلا يصدق عليه كونه اولا بالنسبة الى العرض ولا يصدق عليه مع ذلك انه اخر لتحقق توسط زمان بعد
جميع الاعراض وبقاء الجوهر بعدها لم يكن استحقاقه للاعتبارين معا بل استحقاقه لاعتبار الاولية متقدم اذ كان بعض امور
سابقة على بعض ولا استحقاق لها بالذات بل بحسب بقاء اسبابه ولا العرض لما صدق عليه انه بعد الجوهر يصدق عليه انه قبله
باعتبار ما وخلاف المختلفين في تاخر الصفات او قدمها مبني على سوء تصورهم لصانعهم سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا اذا عرفت
ذلك فنقول اما اوليته فهو اعتبار كونه مبدأ لكل موجود واخريته هو كونه غاية لكل ممكن وقد سبق معنى كونه ظاهرا وباطنا في الحكمة
التي اولها الحمد لله الذي بطن خفيات الامور **الثالث** كل مسمى بالوحدة غيره قليل مقصود هذه الكلمة انه تعالى لا يوصف بالقلة
وان كان واحدا وتقريره ان للذات الواحد يقال بمعان والمشهور منها المتعارف بين الخلق كون الشيء مبدأ الكثرة يكون عادا لها ومكيالا
وهو الذي يلحقه القلة والكثرة الاضافيتان فان كل واحد بهذا المعنى قليل بالنسبة الى الكثرة التي يصلح ان يكون مبدأ لها وصف
المتصور لاكثر اهل اللغة لصدق هذا الاعتبار على الله ولربما لا يتصور بعضهم كونه تعالى واحدا الا بهذا الوجه ولما كان تعالى منزها عن الوصف
بالقلة والكثرة لما يستلزمانه من الحاجة والنقصان اللازمين لطبيعة الامكان اثبت القلة لكل ما سواه فاستلزم اثباتها لغيره
في معرض المدح له نفيها عنه واستلزم ذلك تنزيهه تعالى عن الواحدية بالمعنى المذكور اذ سلب اللازم يستلزم سلب ملزومه وليس
اذا بطل كونه واحدا بهذا المعنى بطل كونه واحدا فانا بينا صدق الواحد عليه بمعان اخر في الحكمة الاولى وقد يفهم من هذا
انه لما نفى عنه القلة استلزم ذلك ان يثبت له الكثرة وهو من سوء الفهم وقلة العلم فان عدم القلة انما يستلزم ثبوت الكثرة عند
تقابلهما على محل من شانه قبولهما وربما قيل ان المراد بالقليل هنا الحقير وهو غير مناسب لذكر الوحدة وانما قال كل مسمى بالوحدة
ولم يقل كل واحد ليشعر بان قول الوحدة على الواحد سبحانه وتعالى وعلى واحد غيره قول بحسب اشتراك الاسم **الثالث** وكل عزيز غيره ذليل
اقول رسم العزيز بانه الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول ثم في كل واحد من هذه القيود الثلث
كمال ونقصان فالكمال في قلة الوجود ان يرجع الى واحد ويستحيل ان يوجد مثله وليس ذلك الا الله سبحانه والكمال في النفاسة
وشدة الحاجة ان يحتاج كل شيء في كل شيء وليس ذلك على الكمال الا الله تعالى والكمال في صعوبة المنال ان لا يوصل الى حقيقته على
معنى الاحاطة بها وليس ذلك على الكمال الا الله تعالى فهو اذن العزيز المطلق الذي كل موجود سواه ففي ذل الحاجة اليه وحقارة
العبودية بالنسبة الى كمال عزه واما العزيز من الخلق فهو الذي توجد له تلك الاعتبارات لكن لا مطلقا بل بقياسه الى من هو دونه
في الاعتبارات المذكورة فهو اذن وان صدق عليه انه عزيز بتلك الاعتبارات الا انه في ذل الحاجة الى من هو اعلى رتبة منه واكمل في
تلك الاعتبارات وكذلك من هو اعلى منه الى ان ينتهي الى العزيز المطلق الذي لا يلحقه ذل باعتبار ما فلا جرم ثبت ان الذل لكل عزيز سواه
الرابع وكل قوي غيره ضعيف القوة تعود الى تمام القدرة ويقابلها الضعف ولما كان استناد جميع الموجودات الى تمام قدرته ثبت
انه لا تام من قدرته فكل قوة وصف بها غيره فبالنسبة الى ضعف يقابلها ممن هو دونه واذا قيس بالنسبة الى من هو فوقه كان
ضعيفا بالنسبة اليه وكذا من هو فوقه الى ان ينتهي الى تمام قدرة الله فهو القوي الذي لا يلحقه ضعف بالقياس الى احد غيره و
قوله وكل مالك غيره مملوك فان معنى المالك يعود الى القادر على الشيء الذي تنفذ مشيته فيه باستحقاق دون غيره وغيره مالك
لما ثبت ان كل موجود سواه فهو في تصريف قدرته ومشيته انهما مستند وجوده ثبت انه هو المالك المطلق الذي ليس لمملوكيته
بالقياس الى شيء اخر وان كل ما سواه فهو مملوك له وان صدق عليه بالعرف انه مالك بالقياس الى من هو دونه لا يخفى عليك
مما سلف ان قول القوي والمالك عليه وعلى غيره قول بحسب اشتراك الاسم عليه **الخامس** وكل عالم غيره متعلم لما ثبت ان علمه تعالى
بالاشياء على ما مر من التفصيل انما هو لذاته ولم يكن شيء منه مستفادا من امر اخر وكان علم من سواه انما هو مستفاد بالتعلم من الغير
ثم الغير من الغير الى ان ينتهي الى علمه تعالى [illegible] لا جرم كان كل عالم سواه متعلما وان سمي عالما لما يحصل التعلم له وكان هو
العالم المطلق الذي لا حاجة به في تحصيل العلم الى امر اخر **السادس** وكل قادر غيره يقدر ويعجز اقول قدرته تعالى تعود الى

كونه مصدراً للاثارة فاما قدرة الغير فقد يراد بها قوة جسمانية منبثة في الاعضاء محركة لها نحو الافاعيل الاختيارية والعجز مما
يقابل القدرة بهذا المعنى وهو عدمها عما من شانه ان يقدر كما في حق الواحد منا وقد يراد بهما اعتباران اخران يتقابلان
اذا عرفت ذلك فنقول القادر المطلق على كل تقدير هو مستند كل مخترع وموجود اختراعا ينفرد به ويستغني فيه عن معاونة
غيره وذلك انما يتحقق في حق الله سبحانه فاما كل ما ينسب الى القدرة سواه فهو وان كان باعتبار ما قادرا الا انها ناقصة لشمولها
بعض الممكنات فقط وقصورها عن البعض الاخر وعدم تناولها له اذ كانت لا تصلح للمخترعات وان نسب اليه ايجاد شيء فلا بد فاعل
اقرب وواسطة بين القادر الاول سبحانه وبين ذلك الاثر الا انه استقلالا وتفردا به على ما علم في مظانه فكل قادر سواه فلذاته
يستحق العجز وعدم القدرة بالنسبة الى ما يمكن تعلق قدرته به من ساير المخترعات والممكنات وانما يستحق القدرة من وجوده
نعم فهو اذن الفاعل المطلق الذي لا يعجزه شيء عن شيء ولا يستعصي على قدرته شيء **السابع** وكل سميع غيره يصم عن لطيف
الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها اقول حس السمع في الحيوان عبارة عن قوة تنفذ من الدماغ الى الاذن في عصبة
ثابتة منه الى الصماخ مبسوطة عليه كجلد الطبل وهذه العصبة الة هذه القوة والصوت هيئة تحصل في الهواء عن تموجه بحركة
شديدة اما من قرع يحصل من اصطكاك جسمين صلبين فينضغط الهواء بينهما وينفلت بشدة واما من قلع شديد يلج الهواء بين
الجسمين المنفصلين الصلبين ويحصل عن السببين تموج الهواء على هيئة مستديرة كما يحصل بوقوع الحجر في الماء فاذا انتهى ذلك
التموج الى الهواء الذي في الاذن تحرك ذلك الهواء الراكد حركة مخصوصة بهيئة مخصوصة فتنفعل العصبة المفروشة على الصماخ
عن تلك الحركة وتدركها القوة السامعة هناك فهذا الادراك يسمى سماعا اذا عرفت ذلك فاعلم ان ادراك هذه القوة للصوت
يكون على قرب وبعد وحد من القوة والضعف مخصوص فانه ان كان الصوت ضعيفا او بعيدا جدا لم يحصل بسببه تموج
الهواء فلم يصل الى الصماخ فلم يحصل السماع وذلك معنى قوله يصم عن لطيف الاصوات ويذهب عليه ما بعد منها فان قلت
لم خصص اللطيف بالصمم عنه والبعيد بالذهاب عليه قلت يشبه ان يكون لان البعيد في مظنة ان يسمع وانما يفوته بسبب
عدم وصول الهواء الحامل له اليه واما الخفي فلما لم يكن من شانه ان تدركه القوة السامعة شبه عجزها عن ادراكه بالصمم
فاستعير لفظه له واما ان كان الصوت في غاية القوة والقرب فربما احدث الصمم وذلك لشدة قرعه للصماخ وتفريق اتصال
الروح الحامل لقوة السمع عنه بحيث يبطل استعدادها لتادية القوة الى الصماخ وكل ذلك من نقصان الحيوان وضعفه و
لما كان الباري تعالى منزها عن الجسمية ولواحقها لا جرم كانت هذه اللواحق من الصمم عن لطيف الاصوات وذهاب بعيدها
والصمم من كبيرها مخصوصة بمن له تلك القوة المذكورة والسمع المخصوص فكل سامع غيره فهو كذلك واستلزم ذلك في معرض مدحه تنزيهه
سبحانه عنها وانه ليس سميعا بالمعنى المذكور وقد نطق القرآن باثبات هذه الصفة له فهو سميع بمعنى انه لا يعزب عن ادراكه مسموع وان
خفي فيسمع السر والنجوى بل ما هو ادق واخفى حمد الحامدين ودعاء الداعين وذلك هو السميع الذي لا يتطرق اليه الحدثان اذ لم يكن بآلة واداة
الثامن وكل بصير غيره يعمى عن خفي الالوان ولطيف الاجسام اقول خفي الالوان مثلا كاللون في الظلمة واللطيف قد يكون بمعنى عديم اللون
كما في الهواء وقد يكون بمعنى رقيق القوام كالجوهر الفرد عند المتكلمين وكالذرة واللطيف بالمعنيين غير مدرك للحيوان واطلاق لفظ
العمى مجاز اذ كان عبارة اما عن عدم البصر مطلقا او عن عدمه عما من شانه ان يبصر ولا واحد من هذين الاعتبارين بموجود للبصير غير الله
فلم يكن عدم ادراكها عمى حقيقيا بل لكون العمى من اسباب عدم الرؤية اطلق لفظه عليه اطلاقا لاسم السبب على المسبب وهذا الحكم في معرض
مدحه تعالى يستلزم تنزيه بصره عن لاحق العمى وظنه اذ كان سبحانه منزها عن معروض العمى والبصر ومتعاليا عن ان يكون ادراكه بحدقة
واجفان وانطباع الصور والالوان وان كان شاهدا وبريئا حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى واذ ليس بصيرا بالمعنى المذكور فهو
البصير بمعنى انه مدرك لكمال صفات المبصرات وذلك لانه اعتبار اوضح واجلى مما يفهم من ادراك البصر القاصر على ظواهر المرئيات
التاسع وكل ظاهر غيره باطن اقول ظهور الاشياء هو انكشافها للحس وللعقل انكشافا بينا ويقابله بطونها وهو خفاؤها
عن احدهما ولما ثبت انه تعالى منزه عن الجسمية ولواحقها علم كونه منزها عن ادراك الحواس ولما قام البرهان على انه تعالى بريء عن انحاء
التراكيب الخارجية والعقلية وجب تنزيه ذاته المقدسة عن اطلاع العقول عليها فعلم من هذا الترتيب انه لا يشارك الاشياء في معنى
ظهورها وقد وصف نفسه بالظاهر فيجب ان يكون ظهوره عبارة عن انكشاف وجوده في جزئيات اثاره كما قال تعالى سنريهم آياتنا
في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وان كانت شواهد الحق له على مراتب متفاوتة ودرجات متصاعدة كما اشار اليه
بعض محققي السالكين ما رأينا شيئا الا ورأينا الله بعده فلما ترقوا عن تلك المرتبة درجة من المشاهدة والخصوص قالوا ما رأينا
شيئا الا ورأينا الله فيه فلما ترقوا قالوا ما رأينا شيئا الا ورأينا الله قبله فلما ترقوا قالوا ما رأينا شيئا سوى الله والاولى مرتبة المتفكر
والاستدلال عليه والثانية مرتبة الحدس والثالثة مرتبة المستدلين به لا عليه والرابعة مرتبة الفناء في ساحل عزته و[illegible]

السمع [illegible]

بيان معنى الظهور في الله

الوحدة

الوحدة المطلقة محض وفاعتها كل الشيء واذا عرفت معنى الظهور وعلمت ان شيئا من الممكنات لا يكون له الظهور المذكور فان كان لبعض الاشيا
في عقل او حس ما لانه ليس في كل عقل وفي كل حس اذ كل مطلع على شيء فالذي خفي عنه اكثر مما اطلع عليه فكل ظاهر غيره فهو باطن بالقياس
اليه وهو تعالى الظاهر لكل شيء وفي كل شيء لكونه مبدأ كل شيء ومرجع كل شيء **العاشر** فكل باطن غيره فهو ظاهر وقد علمت معنى البطون
للممكنات ظهورها وعلمت ايضا مما سبق ان كونه باطنا يقال بمعنيين احدهما انه الذي خفي قدسه فانه عن اطلاع العقول عليه لانه
انه الذي يطلع على جميع الاشياء خبرة ونفذ فيها علمه ثم علمت ان المقابل للمعنى الاول واما المقابل للثاني فهو الذي لم يطلع الا على ظواهر
الاشياء ولم يكن له اطلاع على بواطنها يقال فلان ظاهري اذا عرفت ذلك فنقول ان كل باطن غيره سواء كان المراد بالبطون
خفاؤه المتصور او نفوذ العلم في البواطن فهو ظاهر بالقياس اليه تعالى بالظهور المعنى الذي يقابله اما الاول فلان كل ممكن وان خفي
على بعض العالمين لم يخف على غيره وان خفي على الكل فظاهر في علمه تعالى ويمكن الظهور في علم غيره فليس اذن مخفيا مطلقا وهو تعالى الباطن
الذي لا ابطن منه وكل باطن غيره فهو ظاهر بالقياس اليه واما الثاني فلان كل ما لم وان جل قدره فلا احاطة له ببعض المعلومات
وهو قاصر عن بعضها وبعضها غير ممكن له وهو تعالى الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر وكل ظاهر بالقياس اليه وفي بعض النسخ وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر ومعنى القضيتين ان كل ممكن ان كان
ظاهرا منكشفا لعقل او حس لم يوصف مع ذلك بانه باطن كالشمس مثلا وان كان باطنا خفيا عن العقل والحس لم يوصف مع ذلك
بانه ظاهر وهو تعالى الموصوف بانه الباطن الظاهر معا وفي هذه النسخة نظر فانا انما اثبتنا كونه تعالى ظاهرا وباطنا معا باعتبارين وفي
بعض الممكنات ما هو كذلك كالزمان مثلا فان كل عاقل يعلم بالضرورة وجود الزمان وان خفيت حقيقته على جمهور الحكماء واضطربت عليه اقوال
العلماء وكذلك العلم فليس اذن كل ظاهر غيره غير باطن ولا كل باطن غيره غير ظاهر والله اعلم **الحادي عشر** لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان
الى قوله مما فرا اقول انه تعالى لا يفعل لغرض ومتى كان كذلك كان منزها عن خصوصيات هذه الاغراض اما الاول فبرهانه انه لو فعل لغرض لكان
وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه تعالى اما ان يكونا على سواء او لا والاول باطل والا لكان حصول الغرض له ترجيحا من غير مرجح
والثاني باطل لانهما اذا لم يستويا كان حصول الغرض معتبرا في كماله فيكون بدونه ناقصا تعالى الله عن ذلك لا يقال لم لا يجوز ان يكون الغرض
بالنسبة اليه تعالى امرا بالنسبة الى العبد اذ غرضه الاحسان الى الغير لانا نقول غرض احسانه الى الغير وعدمه ان كانا بالنسبة اليه على سواء عاد حديث
الرجحان بلا مرجح وان كان احدهما اولى به عاد حديث الكمال والنقصان واذا عرفت انه تعالى لا يفعل لغرض فكل ما ذكره عليه السلام في هذا الفصل
من تشديد سلطان وتخوف من عواقب زمان واستعانة على ند وشريك وضد اغراض علمت صدق قوله انه لم يخلق شيئا مما خلقه
لشيء من هذه الامور وهذا التنزيه عن طريق نفي الغرض المطلق واما تنزيهه تعالى عن خصوصيات هذه الاغراض فلان تشديد السلطان انما
يحتاج اليه ذو النقصان في ملكه ولما كان تعالى هو الغني المطلق في كل شيء صدق ان ذلك ليس غرضا له مما خلق واما التخوف عن عواقب
الزمان فلان التضرر والانتفاع ولواحقهما من الخوف والرجاء ونحوهما انما هي من لواحق الممكنات القابلة للنقصان والكمال وما هو
في معرض التغير والزوال ولما ثبت تنزيهه تعالى عن الانفعال عن شيء لم يتصور ان يكون احد هذه الامور غرضا له وكذلك الاستعانة على
الند والضد والشريك فان الاستعانة هي طلب العون من الغير وذلك من لوازم الضعف والعجز والخوف وانه لا عجز فلا استعانة وانه لا
ند ولا شريك ولا ضد وكذلك نقول لا ند ولا شريك ولا ضد فلا استعانة ولا غرض تنزيها له سبحانه عن صفات المخلوقين وخواص
المحدثين وقوله لكن خلائق مربوبون وعباد داخرون اي بل خلائق خلقهم بمحض جوده وهو فيضان الخير عنه على كل قابل بقدر ما قبله
من غير بخل ولا منع ومعنى وبذلك لا عبثا كان كل شيء مربوبا له وهو رب كل شيء وكل عبد ذليل هو مالكه ومولاه وقوله لم
يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كائن اشارة الى وصفه بسلب كونه ذا محل والكلام في تنزيهه تعالى عن المحل كلام طويل والمعقول من الحلول
عند الجمهور قيام موجود بموجود على سبيل التبعية له وظاهر ان الحلول بهذا المعنى على واجب الوجود محال لان كونه تبعا للغير يستلزم
حاجته اليه وكل محتاج ممكن قال افضل المتأخرين نصير الدين الطوسي ابقاه الله والحق ان حلول الشيء في الشيء لا يتصور الا اذا
كان الحال بحيث لا يتعين الا بتوسط المحل واذ لا يمكن ان يتعين واجب الوجود بغيره فاذن يستحيل حلوله في غيره اذا عرفت ذلك فقوله
لما كان الكون في المحل والنأي عنه والمباينة له امورا انما يقال على ما يصح حلوله فيه ويحله وكان هو تعالى منزها عن الحلول وجب ان يمتنع
عليه اطلاق هذه الامور فاذ ليس هو بحال في الاشياء فليس هو بكائن فيها واذا ليس بكائن فيها فليس بنائي عنها ولا مباين لها وقوله
لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ الاعياء انما يقال للذي الاعضاء من الحيوان وانه ليس تعالى بجسم ولا ذي الة جسمانية لم يلحقه بسبب
فعله اعياء وانما قال ما ابتدأ ليكون سلب الاعياء عنه ابلغ اذ ما ابتدئ من الافعال يكون المشقة فيه اتم وتدبيره يعود الى تصرفه
لجميع الذوات والصفات دائما تصريفا كليا وجزئيا على وفق حكمته وعنايته ونحوه قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن وقوله ولا وقف به عجز عما خلق اشارة الى كمال قدرته وان العجز عليه محال وقد سبق بيانه وقوله ولا ولجت

او لم يترجح يكون حصول [illegible]

عن كل شيء

في بيان خطبة خطبها لاصحابه في اليوم الذي كان مساؤه ليلة الهرير

اى فسر فيها العلم
ان الشبهة بمر

عليه شبهة فيما مضى وقد ر... اشارة الى كمال العلم ونفي الشبهة اذ انما تدخل على العقل في الامور المعقولة الصرفة بغير الضرورة وتقرير ذلك انك علمت ان الوهم لا يصدق حكمه الا في المحسوسات فاما الامور المعقولة الصرفة فحكمه فيها كاذب والعقل حال استعماله وجذب الحق فيها يكون معارضا بالاحكام الوهمية فاذا كان المطلوب غامضا فربما كان في الاحكام الوهمية ما يشبه بعض اسباب المطلوب فتصوره النفس بصورته وتعتقده مبدأ فينتج الباطل في صورة الباطل المطلوب ويلبس به ولما كان الباري تعالى منزها عن القوى البدنية وكان علمه لذاته لم يجز ان يعرض لقضائه وقدره شبهة ويدخل عليه فيه شك لكونهما عوارضها وقد عرفت معنى القضاء والقدر فيما سبق وقوله بل قضاء متقن وعلم محكم اي بريء من فساد الشبهة والغلط وقوله وامر مبرم اشارة الى قدره الذي هو تفصيل قضائه المحكم وظاهر ان تفصيل الحكم لا يكون الا محكما وقوله المأمول مع النقم المرهوب مع النعم اقول مبنى هذين الوصفين هو كماله تعالى وعموم فيضه وانه لا عرض له وانما الجود المطلق والفضل لكل ما يستحقه ولما كان العبد حال حلول نقمته به قد يستعد بالاستغفار والشكر لافاضة الغفران ورفع النقمة فينقضها عليه مع عناء كثير من فهم لذلك كان تعالى مظنة الامل والفزع اليه في دفع ما الفى وابقاء ما انعم حتى انه تعالى هو المفيض لصورة الامل واليه اشار بقوله ثم اذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وكل حال افاضه نعمته لما كان العبد قد يستعد بالغفلة للاعراض عن شكرها كان تعالى في تلك الحال اهلا لان يفيض عليه بوادر نقمته بسلبها فكان هو المأمول مع النقم المرهوب مع النعم فهو المستعان به على ما هو الذي لا مفزع منه الا اليه ومن عداه فحال نعمة غير جامع للامل رحمته وقيام نعمته معاند لشمول رهبته فلا مأمول ولا مرهوب في كل الحالين سواه وبالله العصمة والتوفيق

ومن كلام له عليه السلام كان يقول لاصحابه في بعض ايام صفين معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وعضوا على النواجد فانه انبى للسيوف عن الهام واكملوا اللامة وقلقلوا السيوف في اغمادها قبل سلها والحظوا الخزر واطعنوا الشزر ونافحوا بالظبى وصلوا السيوف بالخطى واعلموا انكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله فعاودوا الكر واستحيوا من الفر فانه عار في الاعقاب ونار يوم الحساب وطيبوا عن انفسكم نفسا وامشوا الى الموت مشيا سجحا عليكم بهذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان كامن في كسره قد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم

اقول المشهور ان هذا الكلام قاله لاصحابه في اليوم الذي كان مساؤه ليلة الهرير وروي انه قاله في اول اللقاء بصفين وذلك في صفر سنة سبع وثلثين استشعرت الشيء اتخذته شعارا وهو ما يلي الجسد من الثياب والجلباب الملحفة والسكينة الثبات والوقار والنواجد اقصى الاضراس ونبا السيف اذا رجع في الضريبة ولم يعمل واللامة بالهمزة الساكنة الدرع وبالمد لوذه مع تضعيفها اسم جميع آلات الحرب والقلقلة التحريك والخزر بفتح الزاي ضيق العين وصغرها وكذلك تضييقها والنظر بمؤخرها عند الغضب والطعن الشزر كسكون الزاي الضرب على غير استقامة بل يمينا وشمالا والظبى جمع ظبة وهو طرف السيف والمنافحة المناولة باطراف السيوف والاعقاب جمع عقب وهو العاقبة والسجح اي سهلا والسواد الاعظم الكثير والرواق بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد وثبجه وسطه والكسر جانب الخباء والنكوص الرجوع والصمد القصد ولن يتركم اي ينقصكم واعلم ان الاوامر في هذه مشتملة على تعليم الحرب القائد لهم كيفية تستلزم الاستعداد بها لافاضة النصر لا محالة **فاولها** الامر باستشعار خشية الله كما يلزم الشعار الجسد وهو استعارة كما سبق وفائدة هذا الامر العظيم على الحرب والاشارة جميع امور الباقية لو خشية الله مستلزمة لامتثال اوامره وبذلك قدمه **الثاني** الامر باتخاذ السكينة جلبابا وانه نزل للثبات الثابت للاذن منزلة الملحفة في شمولها للبدن والتحول فهو وجه الاستعارة وفائدة هذا الامر طرد الفشل وارهاب العدو فان الطيش والاضطراب يستلزمان الفشل وطمع العدو **الثالث** الامر بالعض على النواجد وفائدته ما ذكره وهو ان ينبو السيف عن الهامة وعلته ان العض على النواجد يستلزم تصلب العضلات والاعصاب المتصلة بالدماغ فيقاوم ضربة السيف ويكون نكايته فيه اقل والضمير في قوله فانه يعود الى المصدر الذي دل عليه عضوا كقولك من كذب كان شرا له وقال بعض الشارحين عض النواجذ كناية عن تسكين القلب وطرد الرعدة وليس المراد حقيقته قلت هذا وان كان محتملا لو قطع عن التعليل الا انه غير مراد هنا لانه لا يصح تعليله بكونه انبى للسيوف عن الهام **الرابع** الامر باكمال اللامة وكمال الدرع البيضة والسواعد ويحتمل ان يريد بها اللامة جميع آلات الحرب وما يحتاج اليه فيه وفائدته ظاهرة **الخامس** الامر بقلقلة السيوف في الاغماد وفائدته تسهيل اخذها حال الحاجة فان طول مكثها في الاغماد يوجب صدأها وصعوبة خروجها حال الحاجة **السادس** الامر بلحظ الخزر وذلك من هيئات الغضب في الانسان اذا نظر الى من غضب عليه نظره خزرا وفائدته امور احدها ايهام الطمع واستشارة الغضب الثاني ان النظر بكلية العين الى العدو امارة الفشل ومن عوارض الطيش والخوف وذلك يوجب طمع العدو الثالث ان النظر بكليتها اليه يوجب له التفطن والحذر واخذ الاهبة والتحرز والنظر خزرا استغفال له ومظنة لاخذ غرته **السابع** الامر بالطعن الشزر وذلك ان الطعن يمينا وشمالا يوسع المجال على الطاعن ولان اكثر المناوشة للخصم في الحرب يكون عن يمينه وشماله **الثامن** الضرب باطراف السيوف وفائدته ان مخالطة العدو والقرب اليه فيه تشغل عن التمكن من ضربه **التاسع** الامر بوصل السيوف

بهام

بالخطى وله فايدتان احديهما ان السيف ربما يكون قصيرا فلا ينال الغرض به فاذا اضاف اليه مد اليد والخطوات بلغ به المراد وفيه قول الشاعر
اذا قصرت اسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب وقول الآخر نصل السيوف اذا قصرن بخطونا يوما ونلحقها اذا لم تلحق
وقيل لرجل ما اقصر سيفك فقال الطول بخطوة الثانية ان في ذلك تقدم الى الحرب الى العدو والتقدم اليه بالخطوات في حال الكلام يكسر توهم الضعف
في عدوه ويلقي في قلبه الرعب بما يخله الرهبة واليه اشار حميد بن ثور الهلالي ووصل الخطا بالسيف والسيف بالخطا اذا ظن
ان المرء ذا السيف قاصر ثم لما اراد تاكيد تلك الاوامر في قلوبهم وان يزيدهم اغراء رادف ذلك بامرين احدهما ان الله تعالى
يراهم وينظر كيف يعملون وذلك قوله واعلموا انكم بعين الله وانما هنا كهي في قولك انت مني بمراى ومسمع الثاني تذكيرهم بكونهم مع
ابن عم رسول الله ص تنبيها لهم على فضيلته وان طاعته كطاعة رسول الله ص وحربه كحربه كما هو المنقول عنه حربك يا علي حربي ليثبتوا على قتال
عدوهم كما ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله العاشر الامر بمعاودة الكر وذلك عند التحرف للقتال والانحياز الى الفئة وان
يستحيوا من الفرار ونبههم على قبحه بامرين احدهما انه عار في الاعقاب اي انه عار في عاقبة امركم وسنة باقية خلفكم والعرب تنفر من الفرار
كثيرا الثاني كونه نارا يوم الحساب اي يوجب استحقاق النار وهو من كبائر المعاصي وجعله نارا مجازا اطلاقا لاسم غايته عليه وهو في كبر
لهم يوم عظيم ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير الحادي عشر
قوله وطيبوا عن انفسكم نفسا وهو تسهيل الموت عليهم الذي هو غاية ما يلقونه من الشدايد في الحرب بالبشارة بما هو اعظم واجل
من الحيوة الدنيا الطاوية بترك القتال وهو ما اعد لهم من الثواب الباقي وهذا كما يقول احدنا للمنفق ماله مع حبه له طب نفسا
عما ذهب منك فان الصدقة مضاعفة لك عند الله وتجده خيرا واعظم اجرا ونفسا منصوب على التمييز واشار بها الى النفس المدبرة
لهذا البدن وبالاولى الى الشخص الزايل بالقتل الثاني عشر الامر بالمشي الى الموت سجحا اي مشيا سهلا لا تكلف فيه ولا تخشع
فان التكلف يسرع الفرار وهو امر لهم بالمشي الى غاية ما يخافون من القتال ليوطنوا انفسهم عليها وليتمرنوا ويسرعوا الى الحرب زمن الغارة فان
ينتقم الشجاع بمثل ذلك فيسارع الى الداعي لما يتصوره فيه من جميل الذكر وحسن الاحدوثة وروي سمحا والمعنى واحد وقوله عليكم
بالسواد الاعظم الى قوله الجبنا اقول لما نبههم بالاوامر المذكورة عن مقصدهم واشار بالسواد الاعظم الى اهل الشام مجتمعين وبالرواق
المطنب الى مضرب معوية وكان معوية اذ ذاك في مضرب عليه قبة عالية باطناب عظيمة وحوله من اهل الشام مائة الف كانوا تعاهدوا ان لا
ينفرجوا عنه حتى يقتلوا وعين لهم وسط الرواق واغراهم به بقوله ان الشيطان كامن في كسره واراد بالشيطان معوية وقيل عمرو بن العاص وتلك
ان الشيطان لما كان عبارة عن شخص يضل الناس عن سبيل الله وكان معوية في اصحابه كذلك عنده ع لا جرم اطلق عليه لفظ الشيطان وقد
سبقت الاشارة الى معنى الشيطان ويحتمل ان يريد الشيطان ولما كانت محال الفساد محل مظنة ابليس وكان ذلك المضرب قد ضرب على معصية
طاعة الله كان محلا للشيطان فلذلك استعار له لفظ الجلوس في كسره وقوله قد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا كناية عن تردد معوية
وانتظاره لامرهم ان جبنوا وثب وان شجعوا نكص وهرب او عن الشيطان على سبيل استعارة الوثبة والنكوص واليد والرجل ويكون تقديم يده
للوثبة كناية عن تزيينه لاصحاب معوية الحرب والمعصية وتاخيره للنكوص الرجل كناية عن تهيئه للفرار واذا التقى الجمعان كما حكى الله سبحانه عنه فلما
تراءت الجمعان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم الآية فان قلت فما معنى نكوص الشيطان على راي من فسره بالقوة الواهمة ونحوها قلت
لما كانت وسوسته تعود الى ما تدركه النفس صورة ما يحكم بحسنه لها فتعتقد ذلك امرا اخر كما حكى الله تعالى عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا
ان دعوتكم الآية كان نكوصه عود الى اعراض الوهم عند عض الحرب ومشاهدة المكروه عن ذلك الحكم ورجوعه عنه وهو معنى قوله اني ارى
ما لا ترون ونحو ذلك ان الوهم اذن يحكم بالهرب والاندفاع عن المخوف بعد ان كان قد زين الدخول فيه فيكون اذن قوله اني اخاف الله
والله شديد العقاب عوا عن حكم العقل فيما كان يراه من طاعة الله بترك المعصية بالحرب وكل ذلك من تمام اغراء اصحابه باهل الشام
وتنبيههم على ان باعثهم في الحرب ليس الا الشيطان وانه لا غرض له الا فتنتهم ثم الرجوع والاعراض عنهم الثالث عشر امرهم
بالصمد وهو مؤكد له بتكريره اي اصمدوا والصمد القصد الى غاية ان يظهر لكم نور الحق بالنصر واستعار لفظ العمود للحق الظاهر عن الصبح
للمشاركة بينهما في الوضوح والجلاء فالصبح للحس والحق للعقل ولفظ التجلي ترشيح الاستعارة كنى به عن ظهوره ووضوحه والمعنى الى ان
يتضح لكم ان الحق معكم بظفركم بعدوكم وقهره اذ الطالب لغيره حقه سريع الانفعال قريب الفرار في اللقاء ومده وقوله وانتم الاعلون الآية
تمكين لنفوسهم ببشارة بالمطلوب بالحرب وهو العلو والقهر كما بشر الله به الصحابة في قتال المشركين وتثبيت لهم على المضي في طاعته فلن
فان حزب الله هم الغالبون وقوله ولن يتركم اعمالكم اي لن يتركم بجزاء الله لهم اعمالهم في الآخرة وبعثهم بذلك على لزوم العمل له وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام قالوا لما انتهت الى امير المؤمنين ع انباء السقيفة بعد وفاة رسول الله ص قال ما قالت الانصار قالوا
قالت منا امير ومنكم امير قال فهلا احتججتم عليهم بان رسول الله ص وصى بان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم قالوا وما في هذا من الحجة
عليهم فقال ع لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم ثم قال فماذا قالت قريش قالوا احتجت بانها شجرة الرسول ص فقال ع احتجوا بالشجرة

واضاعوا الثمرة **اقول** الانباء التي بلغته هي اخبار ما جرى بين الانصار والمهاجرين من المشاجرة في امر الامامة وايقاعهم البيعة لابي بكر وخلاصة القصة انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة وهي صفة كانوا يجتمعون بها فخطبهم سعد بن عبادة ومدحهم في خطبته واغراهم بطلب الامامة فقال ان لكم سابقة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ان رسول الله لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن فما امن به من قومه الا قليل والله ما كانوا يقدرون ان يمنعوه ولا ان يدفعوا عنه ضيما حتى اراد الله بكم خير الفضيلة وساق اليكم الكرامة ورزقكم الايمان به والاقرار بنبيه فكنتم اشد الناس على من تخلف عنه منكم واثقله على عدوه من غيركم حتى استقاموا لامره ودانت لاسيافكم العرب انجز الله لنبيكم الوعد وتوفاه وهو عنكم راض فشدوا ايديكم بهذا الامر فانتم احق الناس به فاجابوه جميعا ان وفقت واصبت ولم نعد وانا نوليك هذا الامر وانتهى الخبر الى ابي بكر وعمر فجاءا مسرعين الى السقيفة فتكلم ابو بكر وعمر فجاء مسرعين الى السقيفة فتكلم ابو بكر فقال للانصار الم تعلموا انا معاشر المهاجرين اول الناس اسلاما ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وانتم انصار الدين ووزراء رسول الله صلى الله عليه وآله واخواننا في كتاب الله وانتم المؤثرون على انفسهم واحق الناس بالرضا بقضاء الله والتسليم لما ساق الله الى اخوانكم وان لا يكون انتقاض هذا الدين على ايديكم وانا ادعوكم الى ابي عبيدة او عمر فكلاهما قد رضيت لهذا الامر فقال عمر وابو عبيدة ما ينبغي لاحد من الناس ان يكون فوقك انت صاحب الغار ثاني اثنين وامرك رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلوة فانت احق بهذا الامر فقالت الانصار نحن انصار الدار والايمان لم يعبد الله علانية الا عندنا وفي بلادنا ولا عرف الايمان الا من اسيافنا ولا جمعت الصلوة الا في مساجدنا فنحن اولى بهذا الامر فان ابيتم فمنا امير ومنكم امير فقال عمر هيهات لا يجتمع سيفان في غمد ان العرب لا ترضى ان تؤمركم ونبيها من غيركم فقال الحباب بن المنذر يعني والله احق بهذا الامر انه قد دان لهذا الامر باسيافنا من لم يكن يدين له وان لم يرضوا اجليناكم عن بلادنا انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ان شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يرد علي احد ما اقول الا حطمت انفه بسيفي هذا فقام بشير بن سعد الخزرجي وكان يحسد سعد بن عبادة ان تصل اليه هذا الامر لكان سيدا في الخزرج فقال انا لم نرد بجهادنا واسلامنا الا وجه ربنا لا غرضا من الدنيا ان محمدا رجل من قريش وقومه احق بميراث امره واتقوا الله ولا تنازعوهم معشر الانصار فقام ابو بكر فقال هذا عمر وابو عبيدة بايعوا ايهما شئتم فقال هذا عمر وابو عبيدة بايعوا ايهما شئتم فقالا والله لا نتولى هذا الامر عليك وانت احق به ابسط يدك فبسط يده فبايعاه وبايعه بشير بن سعد وباقية الاوس كلهم وحمل سعد بن عبادة وهو مريض فادخل منزله وقيل انه بقي ممتنعا من البيعة حتى مات بحوران في طريق الشام ولنرجع الى المتن فنقول اما الخبر الذي رواه لهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله حجة عليهم فهو صحيح اخرجه مسلم والبخاري في مسنديهما عن انس قال ابو بكر والعباس بمجلس من مجالس الانصار في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يبكون فقالا ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلا على الرسول فاخبراه بذلك فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله معصبا على راسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم فاما وجه احتجاجه بهذا الخبر فهو في صورة شرطية متصلة تستثنى فيها نقيض تاليها وتقريرها لو كانت الامامة حقا لهم لما كانت الوصية بهم لكنها بهم فليست الامامة لهم بيان الملازمة ان العرف قاض بان الوصية والشفاعة ونحوهما انما يكون الى الرئيس في حق المرؤس من غير عكس واما بطلان التالي فبالخبر المذكور واما قوله احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة فاشار بالثمرة اما الى نفسه واهل بيته فانهم ثمرة الغصن المورق المثمر لتلك الشجرة ولما استعير لفظ الشجرة لقريش استعار لفظ الثمرة لنفسه وقد عرفت قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وكونه ثمرة واضاعتهم لها اهمالهم له من هذا الامر ويحتمل ان يريد بالثمرة التي اضاعوها سنة الله الموجبة في اعتقاده استحقاقه لهذا الامر وظاهر كونها ثمرة الرسول صلى الله عليه وآله واهمالهم لها تركهم العمل بها في حقه وهو كلام في قوة احتجاج له على قريش بمثل ما احتجوا به على الانصار وتقريره انهم ان كانوا اولى من الانصار لكونهم شجرة رسول الله فنحن اولى لكوننا ثمرة وللثمرة اختصاص بالثمر من وجهين احدهما القرب ومزيته ظاهرة و الثاني ان الثمرة هي المطلوبة بالذات من الشجرة وغرسها فان كانت الشجرة معتبرة فبالاولى اعتبار الثمرة وان لم يلتفت الى الثمرة فبالاولى لا التفات الى الشجرة ويلزم من هذا الاحتجاج احد الامرين اما بقاء الانصار على حجتهم لقيام هذه المعارضة او كونه احق بهذا الامر وهو المطلوب والله اعلم بالصواب

ومن كلام له عليه السلام لما قلد محمد بن ابي بكر مصر فملكت عليه وقتل وقد اردت تولية مصر هاشم بن عتبة ولو وليته اياها لما خلى لهم العرصة ولا انهزهم الفرصة بلا ذم لمحمد بن ابي بكر ولقد كان الي حبيبا وكان لي ربيبا **اقول** كان عليه السلام ولى محمد بن ابي بكر مصر فلما اضطرب الامر عليه بعد صفين وقوي امر معوية طمع في مصر وقد كان عمرو بن العاص بايعه على ان يكون معه في قتال علي ويكون مصر له طعمة فبعثه اليها بعد صفين في ستة الاف فارس وقد كان فيها جماعة عظيمة ممن يطلب بدم عثمن وكانوا يزعمون ان محمدا قتله فانضافوا الى عمرو وكان معوية كتب الى وجوه اهل مصر اما الى شيعته فبالترغيب واما الى اعدائه فبالترهيب وكتب محمد بن ابي بكر الى علي بالقصة يستمده بالمال والرجال فكتب اليه يعده بذلك فجعل محمد يدعوا اهل مصر لقتال عمرو فانتدب معه منهم اربعة الاف رجل فوجه منهم الفين مع كنانة بن بشر لاستقبال عمرو وبقي هو في الفين فابلى كنانة في ذلك اليوم بلاء حسنا وقتل

من عسكر عمرو

في ذم أصحابه

من عسكر عمرو وخلفا كثيرا ولم يزل يقاتل حتى قتل هو ومن معه فلما قتل تفرق الناس عن محمد واقبل عمرو يطلب محمد فهرب منه مختفيا فالتجى الى خربة فآواه رجل منهم فدخل عمرو فسطاطه وخرج معاوية بن خديج الكندي وكان من امراء جيش عمرو في طلب محمد فظفر به وقد كاد يموت عطشا فقدمه فضرب عنقه ثم اخذ جثته فحشاها في جوف حمار ميت واحرقه وقد كان علي عليه السلام وجّه النصرة مع مالك بن كعب الى مصر نحوا من الفي رجل فسار بهم خمس ليال وورد الخبر الى علي عليه السلام بقتله واخذ مصر فحزن عليه حزنا ظهر اثره في وجهه ثم قال رحم الله محمدا كان غلاما حدثا وقد كنت رددت الفصل والنهض كيتناول التي والفرصة المهضة وهما امكنك من نفسك ولما اراد تولية هاشم لقوته على هذا الامر وكرمه تجارب ودهاء هذا ابن عتبة بن ابي وقاص الذي كسر رباعية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد وكلم شفته وكان هاشم من شيعة علي والمخلصين وكانه شهد معه حرب صفين وابلى فيه بلاء حسنا واستشهد بين يديه بها وقوله لما خلى لهم العرصة اي عرصة الحرب كما فر محمد وظن انه ينجو بفراره ولو ثبت لثبت معه الناس وقتل كريما وقوله ولو انهزم الفرصة لم ينتهز بالفرصة عن مصرايي ولم يمكنهم من تناولها كما تمكنوا مع محمد وقوله بلا ذم لمحمد اي لست في مدح هاشم ذاما لمحمد ونبه على برائة من استحقاق الذم بوجهين الاول انه كان الي حبيبا وظاهره انه لا يحب الا مرضيا لله ورسوله بريا من العيوب القادحة وقد كان محمد رضي الله عنه من نساك قريش وعبادها الثاني انه كان ربيبا له فذلك مما يستلزم محبته وعدم ذمه فاما كونه ربيبا له فلان ام محمد هي اسماء بنت عميس وكانت تحت جعفر بن ابي طالب وهاجرت معه الى الحبشة فولدت له عبد الله بن جعفر وقتل عنها يوم مؤتة فتزوجها ابو بكر فولدت له محمدا ثم لما مات عنها تزوجها علي عليه السلام فكان محمد ربيبه ونشأ على ولايته منذ صباه وكان علي يحبه ويكرمه ويقول محمد ابني من ظهر ابي بكر وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام في ذم اصحابه كم اداريكم كما تدارى البكار العمدة والثياب المتداعية كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر كلما اطل عليكم منسر من مناسر اهل الشام اغلق كل رجل منكم بابه وانجحر انجحار الضبة في جحرها والضبع في وجارها الذليل والله من نصرتموه ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل انكم والله لكثير في الباحات قليل تحت الرايات واني لعالم بما يصلحكم ويقيم اودكم ولكني والله لا ارى اصلاحكم بافساد نفسي اضرع الله خدودكم واتعس جدودكم لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل ولا تبطلون الباطل كابطالكم الحق **اقول** البكار جمع بكر وهو الفتي من الابل والعمدة هي التي انشدخ سنامها لثقل الحمل والحوص الخياطة وتهتكت تخرقت واطل اشرف والمنسر بكسر الميم وفتح السين والعكس القطعة من الجيش من المائة الى المائتين وقد سبق وانجحر الضب دخل جحره وهو في بيته وبيت الضبع وجاره والافوق الناصل السهم لا فوق له ولا نصل والباحات ساحة الدار والاود الاعوجاج واضرع اذل واتعس اهلك وهذا الفصل يشتمل على توبيخ اصحابه لتقاعدهم عن النهوض معه الى حرب اهل الشام وذكر وجوه التوبيخ **الاول** حاجتهم الى المداراة الكثيرة واخرج ذلك عن شيم الرجال ذوي العقول بل عن شان البهائم ومن لا عقل له وشبههم في حاجتهم الى المداراة بشيئين احدهما بالبكار التي قد انفسخ حملها ووجه الشبه بينها وبينهم هو قلة صبرهم وشدة اشمئزازهم وفرارهم من التكليف بالجهاد واستغاثتهم كما تشتد جرجرة البكر العمد وفراره من معاودة الحمل الثاني بالثياب المتداعية وهي التي يتبع بعضها بعضا بالخرق ثم اشار الى وجه الشبه ما ذكره وهو قوله كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر اي ان الثياب المتداعية كذلك فكذلك اصحابه كلما اصلح حال بعضهم وجمعهم للحرب فسد بعض آخر عليه **الثاني** شهادة حالهم عليهم بالجبن وهو قوله كلما اطل الى قوله وجارها وكنى باغلاق كل منهم بابه عن عدم تعرضه لبعض جيوش الشام منهم حتى فرارهم من القتال وكراهة سماعهم الحرب وشبههم في ذلك الخوف والفرار بالضبة والضبع حين ترى الصائد او امرا تخافه وانما خص الاناث لانها اولى بالخوف من الذكران **الثالث** وصفهم بالذلة وقلة الانتفاع بهم فنبه على وصف الذل بقوله الذليل والله من نصرتموه فانه انما يكون ذليلا لكونهم كذلك ويحتمل ان يشير بذلك الى سوء آرائهم في التفرق والاختلاف ثم بالغ في ذلك بحصر الذل لكل منتصر بهم فيمن ينصرونه ونبه على قلة الانتفاع بهم بقوله ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل استعار لهم من اوصاف السهم ارداها وكنى بذلك عن عدم فائدتهم ونكايتهم في العدو كما لا فائدة في الرمي بالسهم الموصوف **الرابع** وصفهم بالكثرة في المجامع والاندية مع قلتهم في الحرب وتحت الالوية وذلك يعود الى الذم بالجبن ايضا والتخاذل فان قلة الاجتماع في الحرب التفرق عنه من لوازم الخوف كما ان مقابل هذا الوصف وهو الاجتماع والكثرة في الحرب مع القلة في غيره مدح كما قال ابو الطيب ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال الحماسي ان كان هذا الوصف ذما كما قال الخويلي العواقي الستم اقل الناس عند لوائهم واكثرهم عند الذبيحة والقدر وقوله واني لعالم الى قوله اودكم اراد انه لا يصلحهم الا السياسة بالقتل ونحوه كما فعل الحجاج حين ارسل المهلب الى الخوارج روى انه نادى في الكوفة من تخلف عن المهلب بعد ثلث فقد احل دمه فقتل جماعة فخرج الناس الى المهلب يهرعون وكما يفعله كثير من الملوك وقوله ولكني لا ارى اصلاحكم بافساد نفسي اي انه لم يكن ليستحل من دماء اصحابه ما يستحل ملوك الدنيا من غيرهم ارادة ثبات ملكهم ولو فسدت نيتهم لاجرم لم ير اصلاحهم بالقتل اذ كان اصلاحهم بذلك سببا لفساد نفسه بلزوم اثامهم لها ولما كان من الواجب في الحكمة ان يكون اصلاح الانسان للغير فرعا على صلاح نفسه والا لم يتصور من مثله ان يفعل فعلا يستلزم فساد نفسه وان اشتمل على وجه من المصلحة فان قلت الجهاد بين يدي الامام العادل واجب ولما ان تخلفهم فلم لا يستجيز قتلهم قلت الجواب من وجهين احدهما انه ليس كل واجب يجب في تركه القتل كالحج الثاني لعله لو شرع في عقوبتهم بالقتل على تركه

الجهاد معه لتعرفوا عذرا الى خصمه او سلموا اليه ولتتفقوا على قتاله وكل هذه مفاسد اعظم من تقاعدهم عن دعوتهم في بعض الاوقات وقوله
امنع الله لي الحوه ردها عليهم بالذل وهلاك الحظ ثم نبههم على علة استخفافهم له غاية وهي الجهل ثم ما يشاء عنه من ظلم انفسهم اما الجهل فعدم
معرفتهم للحق كمعرفتهم الباطل واراد بمعرفتهم ما يلزمهم من اوامر الله واراد بمعرفتهم الباطل معرفتهم باحوال الدنيا وباطلها والاشتغال بها عن اوامر الله
ويحتمل ان يشير به الى ما يعرض لبعضهم من الشبهة الباطلة في قتال اهل القبلة فيوجب لهم التوقف والتخاذل عن الحرب فيكون مكاثرتهم بمعرفتهم
للباطل والحق نبههم على قوة جهلهم المركب هو اشد الجهل وغاية توبيخهم بكونهم من متبعي الجهل فالبسيط هو عدم معرفتهم للحق والمركب هو
تصديقهم بالباطل واما الظلم فهو ابطالهم للحق وتلك اشارة الى تخاذلهم عن طاعة الله وتقاعدهم عن سماع منادية واجابته وعدم ابطالهم
للباطل اشارة الى عدم انكارهم للمنكر من انفسهم وغيرهم وبالله التوفيق **وقال عليه السلام** في سحرة اليوم الذي ضرب فيه ملكتني عيني وانا جالس
فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من امتك من الاود واللدد فقال ادع عليهم فقلت ابدلني الله بهم خيرا لي منهم وابدلهم بي
شرا لهم مني **اقول** السحرة السحر الاعلى واما كيفية قتله فمذكور في التواريخ وقوله ملكتني عيني استعارة حسنة ويجوز فيها التركيب الاستعارة
فلفظ الملك للنوم ووجه الاستعارة دخول النائم في غلبة النوم وقهره ومنعه ان يتصرف في نفسه كما يمنع الملك العبد من التصرف قاهرة
واما التجوز ففي العين وفي الاسناد اليها اما الاول فاطلاق لفظ العين على النوم لما بينهما من الملابسة اذ كانت الاجفان من عوارضها واما الثاني
فاسناد الملك الى النوم المتجوز فيه بلفظ العين وايقاع في قوله وانا جالس وقوله فسنح الى اخره اراد بالسنح حضور صورة رسول الله صلى الله عليه وآله في لوح خياله
كما علمت وشكايته منهم وجواب الرسول له يستلزم امرين احدهما انه كان في غاية الكرب من تقصيرهم في اجابته ودعوته الى الجهاد حتى
انتهت الحال الى قتله الثاني علمه برضا رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم وقوله ابدلهم بي شرا لهم مني لا يستلزم ان فيه شرا كما قد قدمنا بيانه وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام في ذم اهل العراق اما بعد يا اهل العراق فانما انتم كالمرأة الحامل حملت فلما اتمت املصت ومات قيمها و
طال تأيمها وورثها ابعدها اما والله ما اتيتكم اختيارا ولكن جئت اليكم سوقا ولقد بلغني انكم تقولون يكذب قاتلكم الله
فعلى من اكذب أعلى الله فانا اول من آمن به ام على نبيه فانا اول من صدقه كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من اهلها ويل امه
كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء ولتعلمن نبأه بعد حين **اقول** املصت اسقطت والايم التي لا بعل لها واللهجة اللسان والقول الفصيح
وهذا الكلام صدر عنه بعد حرب صفين وفيه مقصودان الاول توبيخهم على تركهم للقتال بعد ان شارفوا النصر على اهل الشام وتحاكمهم الى
التحكيم وابرز هذا المقصود في تشبيههم بالمرأة الحامل وذكر لها اوصافا خمسة وهي وجوه الشبه بينها وبينهم فالحمل تشبيه استعدادهم وتعبئتهم للحرب
والايتمام تشبيه مشارفتهم للظفر والاملاص تشبيه رجوعهم عن عدوهم بعد طمعهم في الظفر بهم وذلك رجوع غير طبيعي كالحامل ولا معتاد لها ثم موت
القيم باموره وهو زوجها وطول تأيمها فذلك تشبيه عدم طاعتهم له الجاري مجرى موته عنهم وطول ضعفهم لذلك ودوام عجزهم وذلتهم بعد
رجوعهم لتفرقهم الى الخوارج وغيرهم فان موت قيم المرأة مستلزم لضعفها ودوام عجزها وذلتها ثم كونها قد استحق ميراثها البعيد منها لعدم
ولدها وزوجها وذلك تشبيه من خالطهم من عدوهم الذي هو ابعد الناس عنهم ما لهم من البلاد واستحقاقه ذلك بسبب تقصيرهم عن مقاومته
وهذه الوجوه من الشبه شبهوا المرأة المذكورة ثم توبيخهم من هذه الجهة ثم اخبرهم على وجه التضجر من حاله معهم بانه لم يأتهم ايثارا للمقام بينهم
ولكن سوقا قدريا اضطره الى ذلك وصدق ذلك انه لم يكن خروجه من المدينة التي هي دار الهجرة ومفارقة منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وهجرته الى الكوفة الا
لقتال اهل البصرة وحاجته الى الاستنصار باهل الكوفة عليهم اذ لم يكن جيش الحجاز وافيا بمقاتلتهم ثم اتصلت تلك الفتنة بفتنة اهل الشام
فدامت حاجته الى المقام بينهم وروي ولا جئتكم شوقا بالشين المعجمة والمقصود الثاني توبيخهم على ما بلغه من تكذيبهم له فيما يلزمهم على
ذلك برد احكام اوهامهم الفاسدة في حقه وتنبيههم بجهلهم وقصور افهامهم عما يفيده من الحكمة وهو قوله ولقد بلغني انكم تقولون يكذب
صورة دعواهم المقولة وقد كان جماعة من منافقي اصحابه اذا اخبرهم عن امور ستكون وكانت ثم اخبر عنها واسند ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله تغامزون
فيما بينهم بكذبه فيه فمن ذلك كاخباره عن قصة الخوارج وما يكون منهم وعن ذي الثدية وانه سيقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين
ونحو ذلك من الامور الغريبة التي تستنكرها طباع العوام ولا يعقل اسرارها الا العالمون بل كانوا يكذبونه بحضرته وروي انه لما قال لو
كسرت لي الوسادة لحكمت بين اهل التوراة بتوراتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في
بر او بحر او سهل او جبل ولا سماء ولا ارض الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي اي شيء انزلت قال رجل من تحت المنبر يا لله وللدعوى الكاذبة
وكذلك لما قال سلوني قبل ان تفقدوني اما والله لتشغرن الفتنة العمياء برجلها وتطأ في خطامها يا لها فتنة شبت نارها بالحطب الجزل
مقبلة من شرق الارض رافعة ذيلها داعية ويلها بدجلة او حولها ذاك اذا استدار الفلك وقلتم مات او هلك باي واد سلك فقال
قوم من تحت منبره لله ابوه ما افصحه كاذبا وكأنها اشارة الى واقعة التتار وقابل دعواهم بامرين احدهما الدعاء عليهم بقتال الله اياهم وقد
علمت ان قتال الله يعود الى مقته وابعادهم عن نعمته الثاني الحجة وتقريرها ان الذي اخبركم به من هذه الامور انما هو عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وآله فلو
كذبت فيه لكذبت اما على الله وهو باطل لاني اول من آمن به واول مؤمن به لا يكون اول مكذب له او على نبيه وهو باطل لاني اول من صدقه

ولا معتاد للعقلاء كما ان الاملاص اسرع من طبيعي

ما قال له بعض منافقي اصحابه

في بيان صفات المدعو والمدعو له وانواع المدعو

وانتم مليئة وقوله كلا والله رد لصدق دعواهم بعد الحجة كانه قال فاذن دعواكم على الكذب فيما اخبركم به باطلة وقوله ولكنها لهجة غبتم عنها
ولم تكونوا من اهلها يريد به بيان منشأ دعويهم الفاسدة لتكذيبه وذلك كون ما يقوله ويخبر به من الامور المستقبلة ونحوها طورا
وراء عقولهم الضعيفة التي هي بمنزلة اوهام سائر الحيوان ولم يستوا لفهم اسرارها باهل واشار باللهجة الى تلك الاقوال واسرارها وغيبتهم
عنها الى غيبة عقولهم عن ادراكها ومعرفة امكانها في نفسها او الى غيبتهم عنها عند القاء الرسول صلعم قوانينها الكلية اليه وتعليمه لابوابها
وتفصيل ما اتصل منها له وظاهر انه لما كانت عقول اولئك وامثالهم مقهورة تحت سلطان اوهامهم وكان الوهم مكذبا ومنكرا لمثل هذه
الاحكام لا جرم لم تنهض عقولهم لتصديقه فيها ولم تجوز اطلاعه عليها بل تابعت اوهامهم في الحكم بتكذيبه وحاله في ذلك مخبرة
من حال رسول الله صلعم مع منافقي قومه وقوله ويلمه انه فالويل في الاصل دعاء بالشر وخبر ويلمه اضافة الى الام دعاء عليها ان تصاب باولادها
وقيل انها تستعمل للرحمة وقيل تستعمل للتعجب واستعظام الامر وقوله كيلا بغير ثمن اشارة الى ما يفيضه عليهم من الاخلاق الكريمة والحكم
البالغة التي لا يريد بها جزاء ولا ثمنا ثم لا يفهمونها ولا يجذبون بها انفسهم لكون نفوسهم غير مستعدة لقبولها فليس لها اذن من تلك
الانفس دعاء يقبلها واستعار لفظ الكيل وكنى به عن كثرة ما يلقيه اليهم منها وهو مصدر استغنى به عن ذكر فعله فعلى هذا يحتمل ان يكون
ويلمه دعاء بالشر على من لم يفقه مقاله العلم ويقتبس الحكمة منه والضمير لاثبات تلك الوقت وان لم يجر له ذكر سابق لمعهوديته لكونه
موجودا في كل شخص منهم وكانه قال ويل لامهم ويحتمل ان يكون ترحما لهم فان الجاهل مرحوم ويحتمل ان يكون تعجبا من قوة جهلهم
او من كثرة كيله الحكم عليهم مع اعراضهم عنها وقوله ولتعلمن نبأه بعد حين اقتباس لهذه الاية المفصحة عن مقصوده اي ولتعلمن نبأ
جهلكم واعراضكم عما امركم به والقيته اليكم من الحكم والآراء الصالحة ويكشف لهم ثمرة ذلك بعد حين واشار بالحين اما الى مدة الحياة
الدنيا وثمرة افعالهم اذ ذاك الندامة والحسرة على ما فرطوا في جنب الله حيث لا ينفع الا الاعمال الصالحة وذلك حين نزول بهم فواتح
آجالهم وتطرح نفوسهم جلابيبها بالموت واما الى مدة خمود هواي يشتغلون غاشية فعلكم هذا بعد مفارقتي لكم ولعله اخبار بما سيلاقيهم
من بعده من بني امية وغيرهم بالقتل والذل والصغار وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** علم فيها الصلوة على النبي صلعم
اللهم داحي المدحوات وداعم المسموكات وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك ونوامي
بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق والمعلن الحق بالحق والدافع جيشات الاباطيل و
الدامغ صولات الاضاليل كما حمل فاضطلع قائما بامرك مستوفزا في مرضاتك غير ناكل عن قدم ولا واه في عزم واعيا لوحيك
حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبس القابس واضاء الطريق للخابط وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن
والآثام الى موضحات الاعلام ونيرات الاحكام فهو امينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك بالحق
ورسولك الى الخلق اللهم افسح له مفسحا في ظلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك اللهم واعل على بناء البانين بناءه و
اكرم لديك منزلته واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطبة فصل اللهم اجمع بيننا وبينه
في برد العيش وقرار النعمة ومنى الشهوات واهواء اللذات ورخاء الدعة ومنتهى الطمأنينة وتحف الكرامة **اقول** المدحوات المبسوطات
والمسموكات المرفوعات ودعمها حفظها بالدعامة وجبل خلق والفطرات جمع فطرة وهي الخلقة والدمغ كسر عظم الدماغ وجيشات جمع جيشة
من جاشت القدر اذا ارتفع غليانها واضطلع بالامر قوي على حمله والقيام به من الضلاعة وهي القوة والاستيفاز الاستعجال والنكول
الرجوع والقدم التقدم والوهي الضعف وورى الامر قدحه والقبس شعلة النار واورى ذكر اشعل وقد اشتملت هذه الخطبة على ثلثة فصول
الاول في صفات المدعو وتمجيده وهو الله سبحانه **الثاني** في صفات المدعو له وهو النبي صلعم **الثالث** في انواع المدعو به وذلك هو
الترتيب الطبيعي فبدء بتمجيد الله تعلى باعتبارات ثلثة **احدها** كونه داحي المدحوات اي باسط الارضين السبع وظ كونها مدحوات فان كل
طبقة منها اذا اعتبرت كانت مبسوطة فاما صدق البسط على جملة الارض مع انها كرة وشهادة ظ قوله والارض بعد ذلك دحيها وذلك
وقوله والارض مددناها فهو باعتبار طبقاتها وقد يصدق عليها البسط باعتبار سطحها البارز من الماء الذي يتصرف عليه الحيوان
فانه في الاوهام سطح مبسوط وان كان عند الاعتبار العقلي محدبا والى الاشارة بقوله تعلى الذي جعل لكم الارض فراشا والله جعل
لكم الارض بساطا **الثاني** داعم المسموكات اي حافظ السموات ان تقع على الارض فان قلت قد قال في الخطبة الاولى بلا عمد تدعمها
ثم جعلها هنا مدعومة وذلك جمع قلت لم ينف هنالك الا كونها مدعومة بعمد وهذا لا ينافي كونها مدعومة بغير العمد وقد بينا هنالك
ان الدعامة التي تقوم بها السموات قدرته تعلى **الثالث** كونه جابل القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها اي خالق النفوس على ما خلقها
عليه من الهيئة والاستعداد لسلوك سبيلي الخير والشر واستحقاق الشقاوة والسعادة بحسب القضاء الالهي كما قال تعلى ونفس وما سويها
فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وقوله وهديناه النجدين اي الهمناه معرفة سلوك طريقي الخير و
الشر واهل العرفان كثيرا ما يعبرون عن النفس بالقلب شقيها بدل من القلوب اي خالق شقي القلوب وسعيدها على فطراتها المكتوبة

صفات مدعو

في بيان صفات المدعو والمدعو له وانواع المدعو به

في اللوح المحفوظ فمن لحقته العناية الالهية بدوام عقله وهداه وقوى ما كتب له فاعدته لقبول الهداية لسلوك سبيل الله فهو السعيد
ومن لحقته حبايل القضاء الالهي خطته الى مهاوي الهلكة فذلك هو الشقي البعيد واليه الاشارة بقوله تعالى فمنهم شقي وسعيد
الاية وقوله واجعل شرايف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك بعض مطلوبه من هذا الدعاء وشرايف
صلواته ما عظم من رحمته وكمال جوده على النفوس المستعدة لها ونوامي بركاته نميها وزادها منها **الفصل الثاني** ذكر النبي ص
احد وعشرين وصفا على جهات استحقاق الرحمة من الله وزيادة البركة المدعو بها **الاول** كونه عبد الله وظاهر كون العبودية جهة
لاستحقاق الرحمة **الثاني** كونه رسولا له والرسالة نوع خاص من الاستعداد توجب مزيد الرحمة والشفقة **الثالث** كونه خاتما
لما سبق من انوار الوحي والرسالة والنبوة وما جاء من الدين الحق وظ كون ذلك جهة استعداد مهمة لقبول الرحمة وفيضان الكمال
الرابع كونه فاتحا لما انغلق من سبيل الله قبله وطريق جنته وحضرة قدسه بان درس الشرايع فقطع سالكوا السبيل لشرعه كونه فتح
هداية الخلق فيها **الخامس** كونه معلنا اظهر الحق بالحق والاول هو الدين وما يدعو اليه والثاني فيه اقوال فقيل هو المعجزات
اذ بسببها تمكن من اظهار الدين وقيل الحرب والخصومة يقال فلان حاق فلانا فحقه اي خاصمه فغلبه وقيل هو البيان اي
اظهر الدين بالبيان الواضح واقول الاشبه انه اراد اظهر الحق بعضه ببعض وكل جزئي من الحق حق وذلك ان الدين لم يظهر دفعة
وانما بني الاسلام على خمس ثم كثرت فروعه وهو بالاصل يظهر الفرع وظ كون اظهاره الحق جهة لاستحقاقه الرحمة **السادس** كونه
دافعا لجيشات الاباطيل اي لثوران فتن المشركين وابتغاءهم لاطفاء انوار الله ولفتنتهم السابقة التي كانت معتادة من الغارات
وحروب بعضهم لبعض فان كل ذلك امور باطلة على غير قانون عدلي من الله وذلك الدفع من جهات قبول الرحمة **السابع** كونه دامغا صولات
الاضاليل وهو قريب من السادس واستعار لفظ الدمغ لهلاك الضلال بالكلية ببركة مقدمه صلى الله عليه واله ووجه الاستعارة
كون الدمغ مهلكا للانسان فاشبهه اهلاك الباطل ومحاه من فعال الرسول ص والضلال هنا الانحراف عن طريق الله اللازم عن
الجهل بها واستعار لفظ وصف الصولات له لملاحظة تشبيه المنحرفين عن سبيل الله الى الفتنة في قوة انحرافهم وتسدده فيه بالفحل
الصايل **الثامن** كونه محل الرسالة فقام بما كلف به وقوي عليه وقائما على الحال وكل المضوبات بعده وهي منسوق فرائضه
ناكل وكذلك محل لاوامره واعيا وحافظا وماضيا وفي قوله كما حمل لطف اي صل عليه صلاة منا سبة مشابهة لتحمله له
الرسالة ووجه مناسبتها ان الجزاء من الحكيم العدل يكون مناسبا للفعل المجزي لاجل كونها جهة استحقاقه لطلب ما يناسبها
التاسع كونه عاملا في رضا الله بامتثال اوامره **العاشر** كونه غير ناكل عما ينفذه فيمن طاعة الله **الحادي عشر** كونه ماضيا في عزمه
في القيام بامر الله غير وان فيه **الثاني عشر** كونه واعيا لوحيه حافظا له قوي النفس على قبوله **الثالث عشر** كونه حافظا لعهده
عليه من تبليغ الرسالة واداء الامانة وقد سبق بيان معنى العهد في الخطبة الاولى **الرابع عشر** كونه ماضيا على انفاذ امره
في العالم وجذب الخلق الى سلوك سبيله **الخامس عشر** ما انتهى اليه من الغاية باجتهاده في رضا الله وهو كونه
اورى قبس القابس اي اشعل انوار الدين وقدح زناد الافكار حتى اظهر انوار العلوم منها للمقتبسين واستعار لفظ القبس
لنور العلم والحكمة ولفظ الورى لاظهار الرسول لتلك الانوار في طريق الله وقد سبق وجه الاستعارة **السادس عشر**
كونه اضاء الطريق للخابط فالطريق هي طريق الجنة والحضرة الالهية واضاءته لها باظهار تلك الانوار وبيانها بتعليم كيفية سلوكها
والارشاد اليها والخابط هو الجاهل الذي يقصد الحكمة الالهية من ارشاده حيث كان يخبط في ظلمات الجهل **السابع عشر**
كونه قد هديت به القلوب الى موضحات الاعلام اي الادلة الواضحة على الحق ونيرات الاحكام هي المطالب الحقة الواضحة اللازمة
من تلك الادلة بعد ما كانت القلوب فيه من خوضات الفتن والآثام اللازمة عما اجترحته من السيئات وذلك امر ظ **الثامن عشر**
كونه امين الله اي على وحيه ورسالته والمأمون تاكيد لامانته وقد عرفت معنى الامانة **التاسع عشر** كونه خازن علمه المخزون
اي علومه اللدنية الغيبية التي لا تتاهل لحملها كل البشر المشار اليها بقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
العشرون كونه شهيد يوم الدين كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اي شاهدا يوم القيمة
على امته بما علمه منهم من خير وشر فان قلت ما حقيقة هذه الشهادة وما فايدتها مع ان الله تعالى عالم الغيب والشهادة قلت اما
حقيقتها فيعود الى اطلاعه صلى الله عليه واله على افعال امته وبيان ذلك انك علمت فيما سلف ان للنفوس القدسية الاطلاع على
الامور الغائبة والانتقاش بها مع كونها في جلابيب من ابدانها فكيف بها اذا فارقت هذا العالم والجسم المظلم فانها اذن تكون مطلعة
على جميع افعال امتها ومشاهدة لها من خير او شر واما فايدتها فقد علمت ان اكثر احكام الناس وهمية والوهم منكر للاله على الوجه
الذي هو الحق فلا بد ان ينكر كونه تعالى عالما بجزئيات افعال العباد ودقايق خطرات اوهامهم وظ ان ذلك الانكار يستلزم عدم المبالاة
بفعل القبيح والانهماك في الامور الباطلة التي نهى الله تعالى عنها فاذا ذكروا ان عليهم شهداء ورقباء وكتابا لما يفعلون مع صدق كل

ذلك بالحسن

ذلك باحسن تأويل كان ذلك تمام تعيين العقل على كسر النفس الامارة بالسوء وقهر الاوهام الكاذبة وبردع النفس عن متابعة الهوى ثم لابد لكل رسول من امناء على دينه وحفظة لهم لامهم شهداء ايضا على من بعثوا اليه الى قيام الساعة واذا كان معنى الشهادة يعود الى اطلاع الشاهد على ما في ذمة المشهود عليه وعلمه بحقيقته وقيامه بها حفظ ما في ذمة المشهود عليه وتخوفه ان يجحده او لم يوصله الى مستحقه ان يشهد عليه الشاهد فيفتضح وينتزع منه على اقبح وجه كان هذا المعنى واضحا فانه في شهادة الانبياء عليهم السلام اذ بها تحفظ اوامر الله وتكاليفه التي هي حقوق الواجبة ويحصل الخوف للمقصرين فيها من ذكر شهادة الرسل عليهم بالتقصير فيفتضحوا في محفل القيامة ويستوفى منهم جزاء ما كلفوا به فقصروا فيه وايقاعهم بالعقاب الاليم لا جرم ظهر معنى كونهم شهداء الله على خلقه **الحادي والعشرون** كونه مبعوثه بالحق وهو الدين الثابت الباقي نفعه وثمرته في الآخرة ابدا وذكر كونه رسول الله الى خلقه وانما كرره لانه الاصل في باقي الاوصاف وظاهر ان كل هذه الاوصاف جهات استحقاق الرحمة والبركة واشرف الصلوات الالهية على نفسه القدسية **الفصل الثالث** في تفصيل المطلوب من هذا الدعاء وهو قوله اللهم افسح له مفسحا في ظلك وطلب امورا **احدها** ان تفسح له مفسحا في ظلك اي مكانا متسعا في حضرة قدسه وظل جوده ولفظ الظل مستعار للجود ووجه المشابهة ان المستظل بالظل من حر الشمس فاشبهها راحة الملتجي الى جود الله المستظل به من حرارة جهنم وسعيرها وامنه به والى الاشارة بقوله نعم في ظل ممدود **الثاني** ان تجزيه مضاعفات الخير من فضلك اي مضاعفة الكمالات من نعمه وقد علمت ان مراتب استحقاق نعم الله غير متناهية **الثالث** ان تعلي على بناء البانين بناءه ويحتمل ان يريد ببنائه ما شيده من الدين فيكون اعلاء المطلوب هو اتمام دينه واظهاره بعلو على الاديان كلها ويحتمل ان يريد به ما شيده من الملكات الخيرية واستحقه من مراتب الجنة وقصورها **الرابع** ان تكرم لديك منزلته وهو انزاله المنزل المبارك لقوله قل رب انزلني منزلا مباركا **الخامس** ان تتم له نوره وهو اما النور الذي بعث به واتمامه انتشاره في قلوب العالمين واما النور الذي في جوهره فاتمامه زيادته كماله **السادس** ان تجزيه عن ابتعاثك قبول شهادته ومرضي المقالة قبول الجزاء وذا منطق نصب على الحال وقبول شهادته كناية عن تمام الرضى عنه اذ من كان مقبول الشهادة مرضي القول فلا بد وان يكون بريئا من جهات الرذائل المسقطة وكناية عن كونه منطقه عدلا ومنطقا هو بعد من اعمال ... وغيرها بريئة عن كدر الاغراض وشوائب الاوهام وكذلك رضا اقواله في سفه عنه و عنهما وكونه ذا منطق عدل اي لا جور فيه عن الحق وخطبة فصل اي مميزة للحق فاصلة له من الباطل وكل هذه الاعتبارات وان اختلفت مفهوماتها ترجع الى مطلوب واحد وهو طلب زيادة كماله ثم وقربه من الله تعالى وقوله اللهم اجمع بيننا وبينه سأل الله ان يجمع بينه وبين الرسول في امور **احدها** برد العيش والعرب تقول عيش بارد اذا كان لا كلفة فيه ولا حرب وخصومة وهو في الآخرة يعود الى ثمرات الجنة المبرئة من كدر الاتعاب **الثاني** قرار النعمة اي مستقرها وهو الجنة وحضرة رب العالمين **الثالث** منى الشهوات وهو ما تتمناه النفس من المشتهيات وتهواه من اللذات بنعيم الابد **الرابع** رخاء الدعة ومنتهى الطمأنينة اي فسح سكون النفس بلذة معارفه الحق والانس بالملأ الاعلى وامنها من مزعجات الدنيا وزواجرها ومزعجاتها فانها **الخامس** تحف الكرامة وهي ثمرات الجنة وقطوفها الدانية وسائر ما اعده للمتقين مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

ومن كلام له عليه السلام

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة قالوا لما اخذ مروان بن الحكم اسيرا يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام الى امير المؤمنين فكلماه فيه فخلى سبيله فقالا له يبايعك يا امير المؤمنين فقال اولم يبايعني بعد قتل عثمان لا حاجة لي في بيعته انها كف يهودية لو بايعني بيده لغدر بسبته اما ان له امرة كلعقة الكلب انفه وهو ابو الاكبش الاربعة وستلقى الامة منه ومن ولده يوما احمر **اقول** السبت الاست والامرة بالكسر الولاية والكبش رئيس القوم وزعيمهم ولما امتنع من بيعة مروان نبه على سبب امتناعه من ذلك وهو انه مظنة الغدر وذلك قوله انها كف يهودية نبه بذلك على انها من شأن اليهود الخبث والمكر والغدر ثم قرر ذلك الكناية بقوله لو بايعني بيده لغدر بسبته وذكر السبة اهانة له لان الغدر من اقبح الرذائل فنسبه الى السبة اولى والعرب تسلك مثل ذلك في كلامها قال المتوكل يوما لابي العيناء الى متى تمدح الناس وتذمهم فقال ما احسنوا واساؤوا ثم قال يا امير المؤمنين ان الله تعالى رضي فمدح فقال نعم العبد انه اواب وسخط فذم فقال عتل بعد ذلك زنيم والزنيم ولد الزنا ثم ذكر ما سيكون من امر مروان ثلاثة امور **احدها** انه سيصير امير المسلمين ونبه على قصر مدة امارته بتشبيهها بلعقة الكلب انفه ووجه الشبه هو القصر وكانت مدة امرته اربعة اشهر وعشرا وروي ستة اشهر وانما خصصه بلعقة الكلب لانه في معرض الذم والبحث ... ما هو في قوله اما انه سيظهر عليكم و**الثاني** انه سيكون ابا للاكبش الاربعة وكان له اربعة ذكور لصلبه وهم عبد الملك ولي الخلافة وعبد العزيز ولي مصر وبشر ولي العراق ومحمد ولي الجزيرة ويحتمل ان يريد بالاربعة اولاد عبد الملك وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام كلهم ولي الخلافة ولم يلها اربعة اخوة الا هم **الثالث** اخباره بما يصيب الامة من ذريته من الفساد في الارض وما يلقى الناس منهم من القتل والنهب وكنى عن قتلهم للناس وشدائد ما يلقون منهم بالموت الاحمر ومن لسان العرب وصف الامر الشديد بالاحمر ولعله لكون الحمرة وصف الدم كنى بها عن القتل ويروى يوما احمر وهو كناية عن يوم ...

في بيان خطبة خطبها في بيعة عثمن

مرهم ووصفه ما لمرة كناية عن شدة وفساد بني امية ودمارهم للاسلام واهله مشهور وفي كتب التواريخ مسطور **ومن كلام له عليه السلام**
في بيعة عثمن لقد علمتم اني احق بها من غيري والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها جور الا علي خاصة التماسا لاجر ذلك
وفضله وزهدا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه **اقول** الزخرف الزينة ويقال الذهب والزبرج النقش والزينة
بالحلية ايضا وقوله لقد علمتم اني احق بها يشير الى ما علموه من وجه استحقاقه للخلافة وهو استجماعه للفضائل الداخلية والخارجية
والصفات التي بها الخلافة وهو اما ان يعود الى ذكرها في فصل تقدم متصلا بهذا الفصل ولشهرتها وكون الحديث فيها قرينة معينة
لها كما قال قبل لقد تقمصها وقوله والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين اي لا تركن المنافسة في هذا الامر مهما سلمت امور المسلمين من
الفتنة وفيه اشارة الى ان غرضه من المنافسة في هذا الامر هو صلاح حال المسلمين واستقامة امورهم وسلامتهم عن الفتن وقد كان لهم
بمن سلف من الخلفاء قبله استقامة امر وان كانت لا تبلغ عنده كمال استقامتها لو وليه هو وهذا الامر فلذلك ترك الامر ولم
ينازع فيه اذ لو نازع فيه لثارت الفتنة بين المسلمين وانشقت عصا الاسلام وذلك ضد مطلوب الشارع وانما يتعين عليه النزاع
والقتال عند خوف الفتنة وقيامها فان قلت السؤال من وجهين الاول انا وجدنا منافسته في هذا الامر مع انه منصب يتعلق بامور
الدنيا وصلاحها مع ما اشتهر عنه من الزهد فيها والاعراض عنها وذمها ورفضها الثاني كيف سلم هيهنا خوف الفتنة ولم يسلم
لمعوية وطلحة والزبير مع قيام الفتنة في حروبهم قلت الجواب عن الاول ان منصب رسول الله ليس منصبا دنيويا وان كان متعلقا
باصلاح احوال الدنيا لكن لا لكونها دنيا بل لانها مضمار الاخرة ومزرعتها والغرض من اصلاحها انما هو نظام احوال الخلق في معاشهم و
معادهم فمنافسته في هذا الامر على هذا الوجه من الامور المندوب اليها اذا اعتقد ان غيره لا يغني غناءه في القيام به فضلا ان يقال
القيام به فضلا ان يقال انها لا تجوز وعن الثاني ان الفرق بين الخلفاء الثلثة وبين معوية في اقامة حدود الله والعمل بمقتضى
اوامره ونواهيه ظاهر وقوله ولم يكن فيها جور الا علي خاصة تظلم من عدولهم بها عنه وتنبيه لهم الى الجور دون من استحقها في انظارهم فاوصلوها
اليه من سائر الخلفاء وخاصة نصب على الحال وقوله التماسا لاجر ذلك الى اخره والتماسا مفعول له والعامل لاسلمن اي التمس ثواب
الله وفضله بتسليمي وصبري وكذلك قوله وزهدا مفعول له وفيه ايماء الى ان مقصود غيره من طلب هذا الامر والمنافسة فيه ليس الا الدنيا
وزخرفها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما بلغه اتهام بني امية له بالمشاركة في دم عثمن اولم ينه امية علمها بي عن قرفي
او ما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي ولما وعظهم الله به ابلغ من لساني انا حجيج المارقين وخصيم المرتابين على كتاب الله تعرض الامثال
وبما في الصدور تجازى العباد **اقول** قرفني بكذا اي اتهمني به ونسبه الى ووزع كف وحجيجهم محاجهم وخصيمهم المخاصم وقوله اولم
ينه او ما وزع استفهام من عدم انتهائهم عن نسبته الى دم عثمن مع علمهم بحاله وتقدمه في الدين وعصمته عن دم حرام فضلا عن مثل عثمن
استفهاما على سبيل الانكار عليهم والتعجب منهم ونسبتهم الى الجهل الجاهلين بما نسبوه اليه حاله وسابقته في الاسلام لم ترعهم عما قرفوه به و
قوله ولما وعظهم الله به ابلغ من لساني تعيير لنفسه في عدم ردعهم عن الغيبة وامثالها اي اذا كان وعظ الله لهم مع كونه ابلغ من كلامي
لا يردعهم فكلامي بطريق الاولى وزواجر كتاب الله كقوله ان بعض الظن اثم وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه
ميتا الاية وقوله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ونحوه من القرآن كثير واطلاق لفظ
وعظه مجاز اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقوله انا حجيج المارقين اي الخوارج او كل من خرج عن دين الله وخصيم المرتابين اي الشاكين
في نسبة هذا الامر الي وقيل المنافقين الشاكين في صحة الدين وقوله على كتاب الله تعرض الامثال الى اخره اشارة الى الحجة التي يحج بها
ويخاصم ويقررها ان تعلق هذا المنكر به اما من جهة اقواله وافعاله او اعتقاداته وارادته والثالث باطل لتعلق هذا المنكر به ونسبته اليه
باطل لبيان الحصر ان هذه الجهات هي جهات صدور المنكر عن الانسان بيان بطلان الاول والثاني انه ان كان قد حصل في اقواله و
افعاله ما يشبه الامر بالقتل او فعله فانه وقع في نفوس الجهال شبهة القتل نحو ما روي عنه لما سئل عن قتل عثمن الله قتله وانا معه وكتخلفه
في داره يوم قتل عن الخروج فينبغي ان يعرض ذلك على كتاب الله تعالى فانه عليه تعرض الامثال والاشباه فان دل على كون شيء من ذلك
قتلا فليحكم به والا فلا ولن يدل البتة فليس لهم ان يحكموا بالقتل من جهة قول وفعل واما بطلان الثالث فلان علم ما في القلوب الى
الله وهو المجازي بما فيها من خير او شر ولسنوا مطلعين على ما هنالك حتى يحكموا بالقتل من جهتها فاذا حكمهم بتعلق هذا المنكر به باطل و
بالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** رحم الله امرأ سمع حكما فوعى ودعي الى رشاد فدنا واخذ بحجزة هاد فنجا راقب
ربه وخاف ذنبه قدم خالصا وعمل صالحا اكتسب مذخورا واجتنب محذورا ورمى غرضا واحرز عوضا كابر هواه وكذب
مناه جعل الصبر مطية نجاته والتقوى عدة وفاته ركب الطريقة الغراء ولزم المحجة البيضاء اغتنم المهل وبادر الاجل وتزود
من العمل **اقول** الحجزة معقد الازار والمراقبة المحافظة والغراء البيضاء واعلم ان هذا الفصل يشتمل على سنن الله الرحمة لعبد
استجمع ما ذكر من الامور وهي عشرون وجها **الاول** ان يسمع الحكم فيعيه والحكم الحكمة ووعاؤه لسامعها وطبعها يستلزم امره بتعلمها
نفعها

وتعليمها

وقليلها وهي اتم من العلمية والعملية ووفقا لها اي فهمها كما القت اليه **الثاني** كونه ذا رعي الى رشاد رشدا من الداعي اليه واجابت دعاؤه والرشاد
يؤدي الى ما يهديه ويرشده الى الطريق معاشه ومعاده من العلوم والاعمال التي وردت بها الشريعة **الثالث** ان ياخذ بحجزة شيخ يعني بان
يكون في سلوكه لسبيل الله مقتديا بأستاذ مرشد عالم متخصص بحالاته واستعار لفظ الحجزة لاثر الاستاد ورشده ووجه المشابهة كون
نهي المقتدي لانه ما استند يتحد في مضايق طريق الله وظلمات الغيوب كما يلزم السالك للطريق في ظلم الليل كمثل الحجزة احرى وان سلك
تلك الطريق وصار دليلا فيها ليهتدي به ويخوض لنسبه في ظلماتها وبين اهل السلوك خلاف في انه هل يضطر المريد الى الشيخ في سلوكه
ام لا والاكثرون يرى وجوبه وبينهم من كلام تم وجوب ذلك ويتمثل شيئها دائرة بشيخ الوجوب له اذ كان لسان العارفين ومنتهى طبقاتهم و
ظاهر ان طريق المريد مع الشيخ اقرب الى الهداية من دونه ومن اطول واقرب الى الضلال عنها فلا شك ان قائدة فيها اي ان النجاة معلقة
به وقد ذكرنا ما احتج به الفريقان في كتاب مفتاح العارفين **الرابع** ان يراقب ربه واعلم ان المراقبة احدى ثمرات الايمان و
هي رتبة عظيمة من رتب السالكين قال رسول الله صلعم اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال تعالى افمن هو قائم على كل
نفس بما كسبت وقال ان الله كان عليكم رقيبا قال الامام رحمه الله تعالى وحقيقتها انها حالة للنفس يثمرها نوع من المعرفة وتثمر اعمالا
في الجوارح والقلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به واما العلم المثمر لها فهو العلم بان الله تعالى مطلع على الضمائر
والسرائر قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلوب مكشوف له كظاهر البشرة للخلق بل هو اشد فهذه المعرفة اذا استولت على
القلب ولم يبق فيها شبهة فلا بد ان تجذب بالى مراعاة الرقيب والموقنون بهذه المعرفة فمنهم الصديقون ومراقبتهم التعظيم والاجلال
واستغراق القلب بملاحظة ذلك الجلال والانكسار تحت الهيبة والعظمة بحيث لا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا وهي
مراقبة مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعة كانت
كالمستعمل لها فلا تصلح لغيرها ولا يحتاج الى تدبير في ضبطها على سنن السداد ومن نال هذه الرتبة فقد يغفل عن الخلق حتى لا
يبصرهم ولا يسمع اقوالهم ومثل هذا من يحضر في خدمة ملك عظيم فان بعضهم قد لا يحس بما يجري في حضرة الملك من استغراقه
بهيبته ومن يشغله امر مهم يفكر فيه وروي ان يحيى بن زكريا عليهما السلام مر بامرأة فدفعها على وجهها فقيل له لم فعلت فقال ما ظننتها
الا جدارا الثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله تعالى على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل
بقيت قلوبهم على الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع مدارستها للعمل لا تخلو عن المراقبة وقد غلب الحياء
من الله على قلوبهم فلا يقدمون ولا يحجمون الا عن تثبت فيمتنعون عن كل امر فاضح في القيامة اذ يرون الله تعالى مشاهدا لاعمالهم في الدنيا
كما يرونه في القيامة ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج ان يراقب جميع حركاته وسكناته والخطرات وجميع اختياراته ويرصد كل خاطر
يسنح له فان كان الهيا يعجل مقتضاه وان كانت شيطانيا بادر الى قمعه واستحيا من ربه ولام نفسه على اتباع هواه فيه وان شك
فيه توقف الى ان يظهر له بنور الله سبحانه من اي جانب هو كما قال عليه السلام الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ولا يهمل
شيئا من اعماله وخواطره وان قل ليسلم من مناقشة الحساب فقد قال الرسول صلعم ان الرجل ليسأل عن كحل عينيه وعن فتات الطين باصبعه
وعن لمسه ثوب اخيه **الخامس** ان يخاف ذنبه واعلم ان الخوف ليس مما هو ذنب بل من المعاقبة على الذنب لكن لما كان الذنب
سببا موجبا لسخط المعاقب وعقابه نسب الخوف اليه وقد سبق منا بيان حقيقة الخوف والرجاء **السادس** ان يقدم خالصا
ان يكون حواسه كلها خالصة لله من قول وعمل وخاطر بريئة عن الالتفات الى غيره فيها وقد سبق معنى الاخلاص في الخطبة الاولى
السابع ان يعمل صالحا وصلاح العمل للايمان به كما امر به وهو نوع مما تقدم **الثامن** ان يكتسب مذخورا وهو امر بما امر
الشريعة باكتسابه ونبه على وجوب السعي فيه بانه ينبغي ذخر اليوم الفاقة اليه **التاسع** ان يجتنب محذورا وهو امر باجتناب ما نهى
الشريعة عنه ونبه على وجوب جنبه بكونه محذورا واستلزم العقاب في الاخرة **العاشر** ان يرمي غرضا اي يقصد فناء اعراض الدنيا
عن درجة الاعتبار وهو اشارة الى الزهد والتخلي عن موانع الرحمن **الحادي عشر** ان يحرز عوضا اي يدخر في جوهر نفسه ملكات
خير يوجه سره الى مطالعة انوار كبرياء الله ويحرز ما يفاض عليه من الحسنات ويثبتها بتكريرها فتتم العوض من متاع الدنيا
واصلها الفانية **الثاني عشر** ان يكابر هواه اي يطوع نفسه الامارة بالسوء بالاعمال الدينية ويراعيها في كل خاطر يلقيه
الى نفسه ويقابلها بكبره وقمعه **الثالث عشر** ان يكذب مناه اي يقابل ما يلقيه اليه الشيطان من الاماني وتعديه برد
باستكذاب القمع له بتجويز عدم نيلها وحسم مادة ذلك بالمراقبة فان الوساوس الشيطانية يتبع بعضها بعضا ومن اشارة ذلك الى
الذنب بالكرم والمن فانها بضائع النوكى اي الحمقى **الرابع عشر** ان يجعل الصبر مطية نجاته والصبر هو مقاومة النفس لئلا
تنقاد الى قبائح اللذات ولما علمت ان الانقياد في سلوكها الى اللذات القبيحة هو سبب الهلاك في الاخرة علمنا ان مقاومتها
عنها هو سبب النجاة هناك وقد استعار لفظ المطية للصبر ووجه المشابهة كونه لزومه سببا للنجاة كما ان ركوب المطية والهرب

مثلها سبب النجاة من العذاب **الخامس عشر** ان جعل التقوى عدة وفائدته لما كان التقوى قد يراد به الزهد وقد يراد به الخوف من الله
المستلزم للزهد كما علمت وكانت العدة هو ما استعد به الانسان للقاء الحوادث وكان الموت اعظم حادث ينتهي الى الانسان
من احوال الآخرة كان التقوى عدة للموت اذ كان المتقي مشغول السر بعظمة الله وهيبته عن كل حال الا التحقق فلا يكون للموت عنده كثير
وقع ولا عظيم كرب وقد يراد بالتقوى مطلق الايمان وبالوفاة ما بعدها مجازا والظاهر كون الايمان عدة واقية من عذاب الله
السادس عشر ان يتنكب الطريقة العوراء وهو ان يسلك الى الله تعالى الطريقة الواضحة المستقيمة وهي شريعته **السابع عشر**
وان يلزم المحجة البيضاء والفرق بين هذا الامر والذي قبله ان الاول امر بتنكب الطريقة العوراء والثاني امر بلزومها وعدم مفارقتها
وانها وان كانت واضحة الا انها طويلة كثيرة المخاوف وسالكها ابدا محارب للشيطان وهو في معرض ان يستنزله عنها **الثامن عشر**
ان يغتنم المهل اي ايام مهلته وهي حياته الدنيا واغتنامها العمل فيها لما فيه يوم الحساب **التاسع عشر** ان يبادر الاجل اي يسابقه
الى العمل قبل ان يسبقه فيقطعه عنه **العشرون** ان يتزود من العمل وهو الامر بما يدل لبه من اتخاذ العمل زادا وقد سبق
وجه استعارة الزاد له وقد راعى عليه السلام في كل مرتبتين من هذا الكلام السجع المتوازي وجعل الفصل ثلثا والاخر ثلثا قرائن وعلى
كل قرينتين على مشاركتهما في الحرف الاخير منهما وحذف حرف العطف من الباقي لتتميز ما يتناسب منها عن غيره وكل ذلك بلا غلق

كلام له عليه السلام ان بني امية ليفوقونني تراث محمد صلى الله عليه وآله تفويقا والله لئن بقيت لهم لانفضنهم نفض
اللحام الوذام التربة ويروى التراب الوذمة وهو على القلب قوله ليفوقونني اي يعطونني من المال قليلا قليلا كفواق
الناقة وهي الحلبة الواحدة من لبنها والوذام جمع وذمة وهي الحزة من الكرش او الكبد تقع في التراب فتنفض **اقول**
استعار لفظ التفويق لعطيتهم له المال قليلا ووجه المشابهة هو قلة ما يعطونه منه مع كونه في دفعات كما يعطي الفصيل ضرع
امه ثم يدفع عنها لتحلب ثم يعاد اليها لتدر وتراث محمد اشارة الى الفيء الحاصل ببركة محمد صلى الله عليه وآله وهو التراث اللغوي
المكتسب عن الغيب بوجه ما ثم اقسم ان بقي لبني امية ليحرمنهم التقدم في الامور واستعار لفظ النفض لابعادهم عن ذلك وشبه نفضه لهم
بنفض القصاب القطعة من الكبد او الكرش من التراب اذا اصابته وهذه الرواية هو الحق والثانية سهو من الناقلين وقد ورد
عنه هذا الكلام بزيادة ونقصان في رواية اخرى وذلك ان سعيد بن العاص حيث كان امير الكوفة من قبل عثمان بعث اليه بصلة فقال
والله لا يزال غلام من غلمان بني امية يبعث الينا ما افاء الله على رسوله بمثل قوت الارملة والله لئن بقيت لانفضنها نفض القصاب
الوذام التربة **ومن كلمات كان يدعو بها** اللهم اغفر لي ما انت اعلم به مني فان عدت فعد علي بالمغفرة اللهم اغفر لي
ما وأيت من نفسي ولم تجد له وفاء عندي اللهم اغفر لي ما تقربت به اليك بلساني ثم خالفه قلبي اللهم اغفر لي رمزات
الالحاظ وسقطات الالفاظ وشهوات الجنان وهفوات اللسان **اقول** الوأي الوعد والرمزات جمع رمزة وهي الاشارة
بالعين او الحاجب او الشفة والسقطات من الشيء رديه والهفوة الزلة وقد سأل الله سبحانه في جميع هذا الفصل المغفرة ومغفرة
الله للعبد تعود الى ستره عليه ان يقع في مهاوي الهلكة في الآخرة او يكشف مقابحه لاهل الدنيا فيها وكل ذلك يعود الى توفيقه
لاسباب السعادة وحفظه بها عن متابعة الشيطان في العاجلة قبل صدورها منه او قبل صيرورتها ملكات في جوهر نفسه وطلب
مغفرة امور **الاول** ما الله اعلم به منه مما هو عند الله معصية وسيئة في حقه وهو لا يعلمها فيفعلها ثم طلب تكرار مغفرة الله لما
يعاوده ويتكرر منه كذلك واذا تصورت معنى المغفرة تصورت كيف تكرارها **الثاني** ما وعد من نفسه ان يفعله لله ثم لم يوف به
وما ههنا مصدرية ولا شك ان مطال النفس بفعل الخير وعدم الوفاء به انما يكون عن خاطر شيطاني يجب ان يستغفر الله له ويسأل
ستره ببعث الدواعي الجاذبة عن متابعة الشيطان الجاذب له **الثالث** شوب النفس ما يتقرب به من الاعمال الى الله بالرياء والسمعة
ومخالفة النية القربة التي يقصد عزمه بها ولا شك ان ذلك شرك خفي جاذب عن الترقي في درجات العلى ويحتاج الى تدارك
الله بالمغفرة والجذب عنه وتلك من النفس **الرابع** الاشارة باللحظ وهو الايماء الخارج عن حدود الشريعة كما يفعل عند
التنبيه على شخص ليعاب وليضحك منه ويظلم وكل ذلك عن خواطر شيطانية ينبغي ان يسأل الله تعالى رفع اسبابها وستر النفس عن
التدنس بها **الخامس** سقطات الالفاظ والردي من القول وهو ما تجاوز حدود الله وخرج بها الانسان عن مستقيم صراطه
السادس شهوات القلوب فمن روى بالشين المعجمة فالمراد جواذب القوة الشهوية للنفس اي مشتهياتها ومن روى بالسين فسهوات
القلب خواطره التي لا يشعر بتفصيلها اذا خالفت اوامر الله وقد تستتبع حركة بعض الجوارح الى فعل خارج عن حدود الله ايضا وذلك
وان كان لا يوجب اثرا في النفس ولا يؤخذ به الا انه ربما يقوى بقوة اسبابه وكثرتها فينقطع العبد عن سلوك سبيل الله كما في
حق المنهمكين في لذات الدنيا المجذوبين لها فان احدهم ربما رام التشبه بمن يصلي الفرض فيصلي الصلاة الواحدة مرتين او مرارا
ولا يستثبت عدد ركعاتها وسجداتها وغير ومثل ذلك يجذب العبد عن الاسباب الموجبة له **السابع** هفوات اللسان

١ اي التراب

الجزو ٢٣

اى لوتلك الحاصل من قبله وهو ما ذكرناه بخاطر شيطانى وتغفر من توفيقه لما وعد هو وامرنا علم ان الشيعة لما اوجبوا عصمته عن الصغائر والكبائر حملوا طلبه المغفرة هذه الامور على وجهين احدهما وهو الادق ان طلبه لغفرانها انما هو على تقدير وقوعها منه فكانه قال اللهم ان صدر عنى شئ من هذه الامور فاغفره لى وقد علمت انه لا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد من جزئيها فلا يلزم من صدق كلامه شئ منها حتى يحتاج الى المغفرة الثانى انهم حملوا ذلك على تاديب الناس وتعليمهم كيفية الاستغفار من الذنوب وعلى التواضع والاعتراف بالعبودية وان البشرية مظنة التقصير والاساءة واما من لم يوجب عصمته فالامر معه ظاهر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** قاله لبعض اصحابه لما عزم على المسير الى الخوارج فقال له يا امير المؤمنين ان سرت فى هذا الوقت خشيت عليك ان لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال عليه السلم اتزعم انك تهدى الى الساعة التى من سار فيها صرف عنه السوء وتخوف الساعة التى من سار فيها حاق به الضر فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله فى نيل المحبوب ودفع المكروه وينبغى فى قولك للعامل بامرك ان يوليك الحمد دون ربه لانك بزعمك انت هديته الى الساعة التى نال فيها النفع وامن فيها الضر ثم اقبل عليه السلم على الناس فقال ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما يهتدى به فى بر او بحر فانها تدعو الى الكهانة المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر فى النار سيروا على اسم الله **اقول** حاق به احاط ويوليه كذا يعطيه اياه ويجعله اولى به وروى ان المشير عليه بذلك كان عفيف بن قيس اخا الاشعث بن قيس وكان يتعاطى علم النجوم واعلم ان الذى يلوح من سر نهى الحكمة النبوية عن تعلم النجوم امران **احدها** اشتغال متعلمها بها واعتماد كثير من الخلق السامعين لاحكامها فيما يرجون ويخافون عليه فيما يسندونه الى الكواكب والاوقات والاشتغال بالفزع اليها والى ملاحظة الكواكب عن الفزع الى الله والغفلة عن الرجوع اليه فيما يهمهم من الاحوال وقد علمت ان ذلك يضاد مطلوب الشارع اذ كان غرضه ليس الا دوام التفات الخلق الى الله وتذكرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم اليه **الثانى** ان الاحكام النجومية اخبارات عن امور سيكون وهى تشبه الاطلاع على الامور الغيبية واكثر الخلق من العوام والنساء والصبيان لا يتميزون بينها وبين علم الغيب والاخبار به فكان تعلم تلك الاحكام والحكم بها سببا لضلال كثير من الخلق وموجبا لاعتقادهم فى المعجزات اذ الاخبار عن الكائنات منها وكذلك فى عظمة بارئهم ويشككهم فى عموم صدق قوله تعالى قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وقوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت فالمنجم اذا حكم لنفسه بانه يصيب كذا فى وقت كذا فقد ادعى ان نفسه تعلم ما تكسب غدا وباى ارض تموت وذلك عين التكذيب للقرآن وكان هذين الوجهين هما المقتضيان لتحريم الكهانة والسحر والعزائم ونحوها واما مطابقة لسان الشريعة للعقل فى تكذيب هذه الاحكام فبيانها ان اهل النظر اما متكلمون فاما معتزلة او اشعرية اما المعتزلة فاعتمادهم فى تكذيب المنجم على الحديث المروى انه من صدق منجما او كاهنا فقد كفر بما انزل على محمد فانه يقتضي ان الشريعة كذبته وعندهم ان كل حكم شرعى فيشتمل على وجه عقلى وان لم يعلم عين ذلك الوجه والثانى مناقشته فى ضبط الاسباب ما اخبر عنه من كون او فساد واما الاشعرية فهم وان قالوا انه لا مؤثر الا الله وزعم بعضهم انهم خلصوا بذلك من اسناد التاثيرات الى الكواكب الا انهم لم يمنعوا على مذهبهم ان يجعل الله تعالى اتصال نجم بنجم او حركته علامة على كون كائن او فساده وذلك مما لا يبطل على المنجم قاعدته فيرجعون ايضا الى بيان عدم احاطته باسباب كون ما اخبر عنه ومناقشته فى ذلك واما الحكماء فاعلم انه قد ثبت فى اصولهم ان كل كائن فاسد فى هذا العالم فلا بد له من اسباب اربعة فاعلى ومادى وصورى وغائى اما السبب الفاعل القريب فالحركات السماوية والذى هو اسبق منها فالمحركات لها اما ان ينتهى الى الجود الالهى المعطى لكل قابل ما يستحقه واما السبب المادى فهو القابل لصورته وتنتهى القوابل الى القابل الاول وهو مادة العناصر المشتركة بينها واما الصورى فصورته التى يقبلها مادته واما الغائى فهى التى لاجلها وجد واما الحركات السماوية فان من الكائنات ما يحتاج فى كونه الى دورة واحدة للفلك ومنها ما يحتاج الى جملة من ادواره واتصالاته واما القوابل للكائنات فقد تقرر عندهم ايضا ان قبولها لكل كائن معين مشروط باستعداد معين له وذلك الاستعداد يكون بحصول صورة سابقة عليه وهكذا قبل كل صورة صورة معدة لحصول الصورة بعدها وكل صورة منها ايضا تستند الى الاتصالات والحركات الفلكية ولكل استعداد معين زمان معين وحركة معينة واتصال معين يخصه لا يفى بدركها القوة البشرية اذا عرفت ذلك فنقول الاحكام النجومية اما ان تكون جزئية واما كلية اما الجزئية فان يحكم مثلا بان هذا الانسان يكون من حاله كذا وكذا وظاهر ان مثل هذا الحكم لا سبيل الى معرفته اذ العلم به انما هو من جهة اسبابه اما الفاعلية فان يعلم ان الدورة المعينة والاتصال المعين سبب لملك هذا الرجل للبلد المعين مثلا وانه لا سبب فاعلى لذلك الا هو والاول باطل لجواز ان يكون السبب غير ذلك الاتصال او هو مع غيره اقصى ما فى الباب ان يقال انما كانت هذه الدورة وهذه الاتصال سببا لهذا الكائن لانها كانت سببا لمثله فى الوقت الفلانى لكن هذا ايضا باطل لان كونها سببا للكائن السابق لا يجب ان يكون لكونها مطلق دورة واتصال بل لعله ان يكون لخصوصية

قال هذا الكلام لبعض اصحابه لما عزم المسير الى الخوارج

كون تلك المعينة الا لامور بعينها فيما بعد ذلك فصح انه لا يمكن الاستدلال بحصولها على كون هذا الكائن لان المؤثرات المختلفة لا يمكن نسبة اثارها والثاني ايضا باطل لان العقل بمجرده لا اطلاع له على انه لا يحصل لتلك الكائنات من الاسباب الفاعلة الا الاتصالات المعينة وكيف وقد ثبت ان من الكائنات ما يفتقر الى اكثر من اتصال واحد وحدوده وحده او اقل واما ثانيا فلانا نعلم ان المادة قد تستعد لقبول مثل هذا الكائن واجتمعت جميع شرائطه بقبوله الزمانية والمكانية والسماوية والارضية فسقط ما ظهر ان الاحاطة بذلك مما لا يفي به القوة البشرية واما المتصورة والغائية فان يعلم ما يقتضيه استعداد مادة ذلك المعين وقبولها من الصورة وما يستلزم من الشكل والمقدار ولون يعلمها غاية وجوده وما اعدت العناية له وظاهر ان الاحاطة بذلك غير ممكنة للاذهان واما احكامهم الكلية فكان يقال كلما حصلت الدرجة الفلانية كان كذا والمنجم انما يحكم بذلك الحكم من جزئيات من الدعاوي شاهدها اثارها فظنها متكررة ولذلك يعبرون عن تحقيق القول عليهم الى دعوى التجربة وقد علمت ان التجربة تعود الى تكرر مشاهدات يضبطها الحس والعقل يحصل منها حكما كليا كالحكم بان كل نار محرقة فانه لما امكن العقل استثبات الاحراق بواسطة الحس امكنه الجزم الكلي بذلك فاما التشكلات الفلكية والاتصالات الكوكبية المعينة لكون ما يكون فليس شيء منها يعود بعينه كما علمت وان جاز ان يكون تشكلات وعودات متقاربة الاحوال ومتشابهة الا انه لا يمكن للانسان ضبطها ولا الاطلاع على مقدار ما بينها من المشابهة والتفاوت وذلك لان حساب المنجم مبني على قسمة الزمان بالشهور والايام والساعات والدرج والدقائق واجزائها وتقسيم الحركة بازائها ورفع نسبة بعضها الى بعض وكل هذه امور غير حقيقية وانما تؤخذ على سبيل التقريب فضيما في الباب ان التفاوت فيها لا يظهر في المدد المتقاربة لكنه لا شبهة ان يظهر في المدد المتباعدة ومع ظهور التفاوت في الاسباب كيف يمكن دعوى التجربة وحصول العلم الكلي الثابت الذي لا يتغير باستمرار اثرها على وتيرة واحدة ثم لو سلمنا انه لا يظهر تفاوت اصلا الا ان العلم بعود مثل الدورة لا يقتضي بمجرده العلم بعود مثل الاثر السابق لتوقف العلم بذلك على عود امثال القابلية للاثر السابق من الاستعداد وسائر الاسباب العلوية والسفلية وعلى ضبطها فان العلم التجربي انما يحصل بعد حصر ما يتعلق عودها وتكررها وكل ذلك مما لا سبيل للقوة البشرية الى ضبطه فكيف يمكن دعوى التجربة

اذا عرفت ذلك فنقول قوله اتزعم الى قوله الضر استثبات لما في الفاظ ان يدعيه الاحكاميون كما ادعاه المنجم المشير بعدم المسير في ذلك الوقت وقوله فمن صدق بهذا الى قوله الضر الزامات تلي ما يعتقده تنفيرا عن قبول احكام النجوم والاعتقاد فيها اولها ان من صدقه فقد كذب القرآن ووجه التكذيب ما ذكرناه الثاني كون مصدقه يستغني عن الاستعانة بالله في نيل محبوبه ودفع مكروهه اي تفزع اليه في كل مرهوب ويجعل عمدة له فيعرض عن الفزع الى الله كما سبق الثالث انه ينبغي للعامل ان يوليه الحمد دون ربه وعلى هذا الالزام بقياس ضمير من الشكل الاول صورته انك تهدي الى ساعة النفع والضر وكل من زعم ذلك فقد اهل نفسه لان يستحق الحمد من مصدقه دون الله فينتج انه قد اهل نفسه لاستحقاق الحمد من مصدقه دون الله والكبرى من المخيلات وقد جعلها الخطيب للتنفير عن بعض الامور التي يقصد النهي عنها وقوله ايها الناس الى قوله بر او بحر عن تعلمها لما ذكرناه واستثنى من ذلك تعلمها للاهتداء بها في السفر واعلم ان الذي ذكرناه ليس لابيان ان الاصول التي يبني عليها الاحكاميون وما يخبرون به في المستقبل اصول غير موثوق بها فلا يجوز الاعتماد عليها في تلك الاحكام والجزم بها وهذا لا ينافي كون تلك القواعد مهذبة بالتقريب كقسمة الزمان وحركة الفلك بالسنة والشهر واليوم ماخوذا عنها حساب يبنى عليه مصالح دينية كمعرفة اوقات العبادات كالصوم والحج ونحوهما او دنيوية كاجال المداينات وسائر المعاملات وكمعرفة الفصول الاربعة ليعمل في كل منها ما يليق به من الحراثة والسفر واسباب المعاش وكمعرفة قوانين تقريبية من اوضاع الكواكب وحركاتها يهتدي بقصد مقاصده على سمتها المسافرون برا وبحرا فان ذلك القدر غير محرم بل العلم به من الامور المستحبة لما يلحقه من المصالح المذكورة بعيد عن وجوه المفاسد التي تشتمل عليها الاحكام كما سبق ولذلك منّ الله سبحانه على عباده بخلق الكواكب في قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقوله ولتعلموا عدد السنين والحساب وقوله فانها الى اخره تعليل للتحذير عن تعلمها وتنفير عنها بقياس خر موصول تستنتج منه ان المنجم في النار وعلى تقدير تفصيله فالنتيجة الاولى كون المنجم كالساحر وهي مع قوله والساحر كالكافر وهذه النتيجة مع قوله والكافر في النار ينتج المطلوب وهو ان المنجم في النار والقياسات الاولان من قياس المساواة وقد علمت انه غير الاكمال الى الحد والمركبة في القياس المنتج لان موضوع الكبرى جزء من محمول الصغرى فليس الاوسط بتمامه فهو معدول عن وجهه الى وقوع التكرر في بعض الاوسط ولذلك يستحق ان يفرد باسم ويجعل لتحليله قانون يرجع اليه في امثاله وقد سبق مثله في الخطبة الاولى واذا حمل على القياس الصحيح كان تقديره المنجم شبيه الكاهن المشبه للساحر ومشبه الكاهن للساحر مشبه للساحر فينتج ان المنجم شبيه الساحر وهكذا في القياس الثاني المنجم شبيه الساحر المشبه للكافر ومشبه الساحر المشبه للكافر شبيه للكافر فالمنجم شبيه للكافر والكافر في النار فالمنجم كذلك وهو القياس الثالث ونتيجته فاما بيان معنى الكاهن والساحر والاشارة الى وجوه التشبيهات المذكورة فاعلم انا قد اشرنا في المقدمة الى امكان وجود نفس تقوى على الاطلاع فما سيكون

والكافر في

وعلى التقدير ان

في ذم النساء

وعلى التصرفات العجيبة في هذا العالم فتلك النفس ان كانت كاملة خيرة محقة وفية من الله نعم نبي او اعى السلوك الى سبيله وما يقرّب اليه فهي
نفوس الانبياء والاولياء وذوي المعجزات والكرامات وان كانت ناقصة شريرة مجذوبة عن تلك الجهة وغير طالبة لتلك المرتبة بل مقتصرة
على رذائل الاخلاق وخسائس الامور كالتكهن ونحوه فهي نفوس الكهنة والسحرة واعلم ان اكثر ما تظهر قوة الكهانة ونحوها من قوى
النفوس في اوقات الانبياء وقبل ظهورهم وذلك ان الفلك اذا اخذ في الشكل يتم به في العالم حادث عظيم عرض في ابتداء ذلك
الشكل وغايته احوال في الارض تشبه بما يريد ان يتم ولكنها تكون غير تامة لان سببها غير تام فاذا استكمل ذلك الشكل في الفلك
وتم وجد به في العالم ما يقتضيه في اسرع زمان لسرعة تبدل اشكال الفلك فتظهر تلك القوة التي يوجبها ذلك الشكل في شخص
واحد او شخصين واكثر على حسب ما تقتضيه العناية الالهية وتتنوع في تلك الشخص تلك القوة على الكمال فاما من قرب من ذلك
الشكل ولم يستوفه فانه يكون ناقص القوة بحسب بعده من الشكل ويظهر ذلك النقصان بظهور النبوة المقصودة من ذلك الشكل فيتبين
قصور القوى المتقدمة على النبي والمتاخرة عنه ونقصانها عن ذلك التمام فاما صفة الكاهن من اصحاب تلك القوى فان صاحب
قوة الكهانة اذا احس بها من نفسه تحركت اليها بالارادة ليكملها فيتبعها في امور حسية ويتبعها في علامات تجري مجرى الفال والزجر و
طرق الحصى ونحوها مستعينا بالكلام الذي فيه سجع وموازنة او غيره كما يعتقد من عند وحشيته كما حكي عن كاهن من الترك وكما نقل الي
من شاهد كاهنا كان في زماننا ونوفي منذ عشرين سنة يكنى بابي بكر وكان بناحية من ساحل البحر يقال لها قلهات وانه كان
اذا سئل عن امر استعان بتحريك راسه تحريكا قويا ويضعف بحسب الى ان حد واجاب عقيب ذلك وقيل انه كان قد يستعين في بعض
الاخبارات عن تلك الحركة والغرض من تلك اشتغال النفس عن المحسوسات فتدخل بنفسه ويقوى فيها ذلك الامر ويجيش في نفسه عن تلك
الحركة ما تعقد فيه على لسانه وربما صدق الكاهن وربما كذب وذلك لتتميم نقصه بامر مباين لكماله غير داخل فيه فيعرض له الكذب
يكون غير موثوق به وربما لفقها الكذب خوفا من كساد بضاعته فيستعمل الزرق ويخبر بالاثر لا عن نفسه ويستطل الى التخمين وقد حاموه
منافاة من يحسبهم من الافق الانساني وتبعدهم منه وتعتقد وقبولهم للاثار العلوية وتميزهم عن الانبياء بالكذب وما يدعونه من المحال لا
فان القوة التي يلزم احدهم الصدق فانه لا يتجاوز قدره في قوته وينادي الى النصيحة والمرشح من التيح ويعرف فضله كما روي
عن طليحة وسواد بن قارب ونحوهما من الكهنة في زمان الرسول صلى الله عليه وآله اذا عرفت ذلك فنقول اما قوله فانها تدعو الى الكهانة اي انها تدعو
الى الكهانة اي انها تدعو المنجم في اخرة امره الى ان يصير بنفسه كالكاهن في دعوى الاخبار بما سيكون ثم اكد كونها داعية الى التكفير
بتشبيهه بالكاهن واعلم ان الكاهن يتميز عن المنجم بكون ما يخبر به من الامور الكائنة انما هو عن قوة نفسانية له وظاهر ان ذلك داعي
الى فساد اذهان الخلق واغوائهم لزيادة اعتقادهم فيه على المنجم واما الساحر فيتميز عن الكاهن بان له قوة على التاثير في امر خارج
عن بدنه تاثيرا خارجا عن الشريعة موذيا للخلق كالتفريق بين الزوجين ونحوه وتلك زيادة شر اخر على الكاهن داعية الى فساد اذهان
الناس لزيادة اعتقادهم فيه وانفعالهم عنه خوفا ورهبة ولما الكافر فيتميز عن الساحر بالبعد الاكبر عن الله تعالى ويعين ربيه وان شاركه
في اصل الانحراف عن سبيل الله وحصار الضلال والفساد في الارض مشتركا بين الاربعة الا انه مقول عليهم بالاشد والاضعف فا
فالكاهن اقوى في ذلك من المنجم والساحر اقوى من الكاهن والكافر اقوى من الساحر ولذلك التفاوت جعل الكاهن اصلا في
التشبيه للمنجم لزيادة فساده عليه ثم الحقه به وجعل الساحر اصلا للكاهن والكافر اصلا للساحر لان التشبيه ينبغي ان يكون المشبه
به اقوى في الوصف الذي فيه التشبيه واحق به وقد ظهر من ذلك ان وجه التشبيه الكل هو ما يشتركون فيه من العدول والانحراف عن
طريق الله بالتنجيم والكهانة والسحر والكفر وما يلزم من ذلك من صد كثير من الخلق عن سبيل الله وان اختلفت جهات ذلك العدل
بالشدة والضعف كما بيناه ولما فرغ من نهيه اصحابه عن تعلم النجوم وقبول احكامها وحسن اذهانهم من ذلك بالتخويف المذكور
امرهم بالمسير الى الحرب وروي انه سار في تلك الساعة الى الخوارج فكان منه ما علمت من الظفر بهم وقتلهم حتى لم يفلت منهم غير تسعة
نفر ولم يهلك من رجاله غير ثمانية نفر كما سبق بيانه وذلك يستلزم خطأ ذلك المنجم وتكذيبه في مقالته وبالله التوفيق **ومن**
كلام له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء معاشر الناس ان النساء نواقص الايمان نواقص الحظوظ
نواقص العقول فاما نقصان ايمانهن فقعودهن عن الصلوة والصيام في ايام حيضهن واما نقصان عقولهن فشهادة
امراتين منهما بشهادة الرجل الواحد واما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال فاتقوا شرار
النساء وكونوا من خيارهن على حذر ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر **اقول** لما كانت واقعة الجمل
وما اشتملت عليه من هلاك جمع عظيم من المسلمين منسوبا الى راي امراة اراد ان ينبه على وجوه نقصان النساء واسباب قد
نقصانهن من وجوه ثلثة **احدها** كونهن نواقص الايمان واشار الى جهة النقص فيه بقعود احداهن عن الصلوة والصوم ايام
الحيض ولما كان الصوم والصلوة من كمال الايمان ومتممات الرياضة كان قعودهن عن الرياضة بالصوم والصلوة في تلك الايام

نقصانًا لايمانهن وانما وضعت الشريعة التكليف عنهن بالعبادتين المذكورتين لكونهن في حال مستقذرة لا يناسب اهل مناجاة الله الوقوف
بين يدي الملك الجبار وتبعيض الصوم فجعله اخر وهو انه يزيد الحائض ضعفًا الى ضعفها بخروج الدم واسرار الشريعة ادق واجل ان يطلع
عليها عقول سائر الخلق **الثاني** كونهن نواقص حظ واشار اليه بجعله نقصانًا في ميراثهن على النصف من ميراث الرجال كما قال تعالى
يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين والذي يلوح من سر ذلك كثرة المؤنة على الرجل وهو اصل التصرف وكون المرأة
من شأنها ان تكون مكفولة محتاجة الى قيم هو لها كالخادم **الثالث** كونهن نواقص عقول ولذلك سبب من داخل وهو نقصان
استعداد امزجتهن وقصورهن عن قبول تصرف العقل كما يقبله مزاج الرجل كما نبه عليه بقوله فرجل وامرأتان ممن ترضون
من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى فانه نبه على ضعف القوة الذاكرة فيهن ولذلك جعل شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد

فتذكر احديهما

ولدائم سبب عارض من خارج وهو قلة معاشرتهن لاهل العقل والتصرفات وقلة رياضتهن لقواهن الحيوانية بلزوم القوانين
العقلية في تدبير امر المعاش والمعاد ولذلك كانت احكام القوى الحيوانية فيهن اغلب على احكام عقولهن فكانت المرأة ارق
وابكى واحسد والج وابغى واجزع واوقح واكذب وامكر واقبل للمكر واذكر لمحقرات الامور ولكونها بهذه الصفة اقتضت الحكمة
الالهية ان يكون عليها حاكم ومدبر تعيش بتدبيره وهو الرجل فقال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على
بعض وبما انفقوا من اموالهم ولشدة قبولها للمكر قلة طاعتها للعقل مع كونها مشتركة ودواعيها الى نفسها اقتضت ايضًا ان تبين في حقها
التستر والتحجر وقوله فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر لما بينه على جهة نقصانهن وقد علمت ان النقصان يستلزم
الشر لا جرم نفر عنهن فامر اولا بالخشية من شرارهن وهو يستلزم الامر بالحرب منهن وعدم مقاربتهن فاما خيارهن فانه امر بالكون
منهن على حذر وتعليمهم من ذلك انه لا بد من مقاربتهن وكان الانسان انما يختار مقاربة الخيرة منهن فينبغي ان يكون معها على تحرز وتثبت
في سياستها وسياسة نفسه معها اذ لم تكن الخيرة منهن خيرة الا بالقياس الى الشريرة ثم نهى عن طاعتهن بالمعروف كيلا يطمعن
في المنكر واشار به الى طاعتهن فيما تشير به ويأمرن معكم وان كان معروفًا صوابًا وفيما يطلبنه من زيادة المعروف والاحسان اليهن واكرامهن
بالزينة ونحوها فان طاعتهن رأيهن فيما يشرن به من معروف تدعوهن الى الشوق بما لا ينبغي والتسلط على الامر به فان فعل فليفعل
لانه معروف لا لانه مقتضى رأيهن وزيادة اكرامهن من مقويات دواعي الشهوة والشر فيهن حتى ينتهي بهن الطمع الى الاقتراح وطلب
الخروج الى المواضع التي يرى فيها زينتهن ونحو ذلك والعقل مغلوب فيهن بنوازع الشهوات وفي المثل المشهور لا تعط عبدك
كراعًا فيأخذ ذراعًا وروي ان رسول الله صلعم كان يخطب يوم عيد فالتفت الى صفوف النساء فقال معاشر النساء تصدقن فاني
رأيتكن اكثر اهل النار فقالت واحدة منهن ولم يا رسول الله فقال لانكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير وتمكث احديكن
شطر دهرها لا تصوم ولا تصلي **ومن خطبة له عليه السلم** ايها الناس الزهادة قصر الامل والشكر عند النعم والورع
عند المحارم فان عزب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم ولا تنسوا عند النعم شكركم فقد اعذر الله اليكم بحجج مسفرة
ظاهرة وكتب بارزة العذر واضحة **اقول** عزب ذهب وبعد واعذر اظهر عذره ومسفرة مشرقة واعلم ان قوله ايها
الناس الى قوله عند المحارم تفسير للزهد وقد رسمه بثلاثة لوازم له **الاول** قصر الامل ولما علمت فيما سلف ان الزهد هو
اعراض النفس عن متاع الدنيا وطيباتها وقطع الالتفات الى ما سوى الله تعالى وظاهر ان ذلك الاعراض مستلزم لقصر الامل
في الدنيا اذ كان الامل انما يتوجه نحو مأمول والملتفت الى الدنيا كيف يتصور طول امله لشيء منها **الثاني** الشكر على النعمة
وذلك ان العبد بقدر التفاته عن اعراض الدنيا يكون محبته لله واقباله عليه واعترافه بالحق بالآية وذلك ان الشكر
حال للقلب يثمرها العلم بالمشكور وهو في حق الله ان تعلم انه لا منعم سواه وان كل منعم يقال في العرف فهو واسطة
مسخرة من نعمته وتلك الحال تثمر العمل بالجوارح **الثالث** الورع وهو لزوم الاعمال الجميلة والوقوف على حدود الله عن التورط
في محارمه وهو ملكة تحت العفة وقد علمت ان الوقوف على التورط في المحارم ولزوم الاعمال الجميلة لازمة للالتفات عن محاب
الدنيا ولذاتها المنهي عن الميل اليها ومما التفسير به مستلزم للامر به وقوله بعد ذلك فان عزب عنكم الى اخره يحتمل معنيين
احدهما وهو الحكم انه ان بعد عليكم وشق استجماع هذه الامور الثلاثة فالزموا منها الورع والشكر وكانه رخص لهم في طول الامل
وذلك قد يتصور طوله فيما ينبغي من عمارة الارض لغرض الاخرة ولان قصر الامل لا يحصل الا عن غلبة الخوف من الله تعالى
على القلب والاعراض بالكلية عن الدنيا وذلك في غاية الصعوبة فلذلك نبه على لزوم الشكر والورع ورخص في طول الامل
وفسر الورع بالصبر اذ كان لازمًا للورع وهما تحت ملكة العفة ثم بخهم بذكر الغلبة عن مقاومة الهوى ونبههم بذكر النسيان
على لعدم التذكر الثاني يحتمل ان يكون لما فسر الزهد بالثلاثة لوازم اشار في معرض الامر بلزومها قال بعد هذا ان صعب
عليكم لزوم الشكر والصبر عند الله ولزوم الاعمال الجميلة فاعدلوا الى امور اسهل منها فرخص لهم في طول الامل لما ذكرناه ثم في التذكر

النعم الله

ج ۲

في ذم صفة الدنيا

لتنعم الله بحيث لا يبقى بالكلية ويلتفت عنها عوضا عن دوام الحمد والتشاؤم في الصبر عند المكاره وعند الانفها لغلبة دواعي الشيطان عوضا
من لزوم الاعمال الجميلة عندها فان الصبر عند شرب الحموضة مثلا عند حضورها اهون على الطبع من الصوم عن مشتهيات المباحات ولزوم
مشاق الاعمال الجميلة وتوكل فقد اعد دار الاخرة تاكيدا لما سبق من امره بالزهد وجذب لهم واشار بالحجج الى الرسل لقوله تعالى رسلا مبشرين
ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولفظ الحجج مستعار ووجه المشابهة انه لما كان ظهور الرسل قاطعا الشبه حال
الظالمين لانفسهم في محفل القيمة عن ان يقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى اشبه الحجة القاطعة
فاستعير لفظها له وباسفارها وظهورها الى اشراق انوار الدين عن نفوسهم الكاملة على نفوس الناقصين وهو استعارة ايضا والشارة
بروز عن دار الكتب الى ظهور اعداد الله الى خلقه بتخويفهم وترغيبهم وارشادهم الى طريق النجاة واسناد الاعذار الى الله تعالى استعارة من
الاقوال المخصوصة التي يبدي بها الانسان عذره لانها افعال الله واقواله التي عرف خلقه فيها صلاحهم واشعرهم فيها بلزوم العقاب لهم لو لم
يلتفتوا اليها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في ذم صفة الدنيا ما اصف من دار اولها عناء وآخرها فناء في حلالها
حساب وحرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها واتته ومن ابصر
بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته قال السيد رضي الله عنه واذا تامل المتامل قوله ومن ابصر بها بصرته وجد تحته من المعنى العجيب
والغرض البعيد ما لا يبلغ غايته ولا يدرك غوره لا سيما اذا قرن اليه قوله ومن ابصر اليها اعمته فانه يجد الفرق بين ابصر بها
وابصر اليها واضحا نيرا عجيبا باهرا صلوات الله وسلامه عليه **اقول** العناء التعب وقد ذكر الدنيا في معرض ذمها و
التنفير عنها اوصافا عشرة **الاول** كون اولها عناء وهو اشارة الى ان الانسان من لدن ولادته في تعب وشقاء ويكفي في الاشارة
الى متاعب الانسان فيها ما ذكره الحكيم برزويه في صدر كتاب كليلة ودمنة في معرض تطويع نفسه بالصبر على عيش النساك والبيت
الدنيا كلها اذى وبلاء اوليس الانسان يتقلب في ذلك من حين يكون جنينا الى ان يستوفي ايامه فانا قد وجدنا في كتب الطب
ان الماء الذي يقدر منه الولد السوي اذا وقع في رحم المرأة اختلط بمائها ودمها وغلظ ثم الريح تمخض ذلك الماء والدم حتى تتركه
كالرائب الغليظ ثم تقسمه في اعضائه لاناه ايامه فان كان ذكرا فوجهه قبل ظهر امه وان كان انثى فوجهها قبل بطن امها وذقنه على ركبتيه
ويداه على جنبيه مقبض في المشيمة كانه مصرور ويتنفس من متنفس شاق وليس منه عضو الا كانه مقموط فوقه حر البطن وتحته ما تحته
وهو منوط بمعاء من سرته الى سرة امه ومنها يمص ويعيش من طعام امه وشرابها فهو بهذه الحالة في الغم والظلمات والضيق حتى اذا كان
يوم ولادته سلط الله الريح على بطن امه وقوى عليه التحريك فصوب راسه قبل المخرج فيجد من ضيق المخرج وعصره ما يجده صاحب الرفوف
فاذا وقع على الارض فاصابته ريح او مسته يد وجد من ذلك من الالم ما لم يجده من سلخ جلده ثم هو في الوان من العذاب ان جاع فليس
له استطعام وان عطش فليس له استسقاء او وجع فليس له استغاثة مع ما يلقى من الرفع والوضع واللف والحل والدهن والمسح اذا انيم على ظهره
لم يستطع تقلبا فلا يزال في اصناف هذا العذاب ما دام رضيعا فاذا افلت من ذلك اخذ بعذاب الادب فاذيق منه الوانا ومن الحمية و
الادواء والاوجاع والاسقام فاذا ادرك فهم المال والاهل والولد والشره والحرص ومخاطرة الطلب والسعي وكل هذا يتقلب معه فيها اعداؤه
الاربعة المرة والبلغم والدم والريح والسم المميت والحيات اللادغة مع خوف السباع والناس وخوف البرد والحر ثم الوان عذاب الهرم لمن
بلغه **الثاني** كون آخرها فناء وهو تنفير عنها بذكر فنائها وهو الموت وما يستتبعه من فراق الاهل والاحبة والاشراف على الاهوال العظيمة
المعضلة **الثالث** كونها في حلالها حساب وهو اشارة الى ما يظهر في صحيفة الانسان يوم القيمة من الاثار المكتوبة عليه مما خاض فيه من
مباحات الدنيا وتوسع فيه من المأكل والمشارب والمناكح والمراكب وما يظهر في لوح نفسه من محبة ذلك فيعوقه عن اللحوق بالمجردين
عنها الذين لم يتصرفوا فيها تصرف الملاك فلم يكتب عليهم في شيء منها ما يحاسبون عليه واليه اشارة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله
ان الفقراء ليدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وان فقراء امتي ليدخلون الجنة سعيا وعبد الرحمن يدخلها حبوا وما
ذاك الا لكثرة حساب الاغنياء وتعويقهم بثقل ما حملوا من محبة الدنيا وقيناتها عن اللحوق بدرجة المخفين منها وقد عرفت كيفية
الحساب **الرابع** كونها في حرامها عقاب وهو تنفير عما يوجب العقاب من الاثام بذكره **الخامس** كونها من استغنى فيها فتن اي كانت
محبته لما اقتنى فيها سببا لفتنته وضلاله عن سبيل الله كما قال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة **السادس** كونها من افتقر فيها حزن وظ
ان الفقير الطالب للدنيا عند الواجد لها في غاية المحنة والحزن على ما يفوته منها وخاصة ما يفوته بعد حصوله له **السابع** من ساعاها
فاتته واقوى اسباب هذا الفوات ان تحصيلها اكثرها يكون بمنازعة اهلها عليها ومجاذبتهم اياها وقد علمت ثوران الشهوة والغضب
والحرص عند المجاذبة للشيء وقوة منع الانسان لمجاذب الحاق للشيء وعزته عندهم سبب لتفويت بعضهم لها على بعض وفيه تنبيه
على وجوب ترك الحرص عليها والاعراض عنها اذ كان فواتها اللازم عن شدة السعي في فضلها مكروها للساعين **الثامن** كونها من
قعد عنها واتته وهو ايضا جذب الى القعود عنها وتركها وان كان الغرض من اتيانها كما يفعله اهل الزهد الظاهري المشوب بالرياء

وقد علمت ان الزهد الظاهري مطلوب للشارع لكونه وسيلة الى الزهد الحقيقي كما قال الرسول صلى الله عليه وآله الزكاة قنطرة الاخلاص وقد راعى في القرائن السجع المتوازي **التاسع** من ابصر بها بصرته اى من جعلها سبب هدايته وبصيرته استفاد منها البصر والهداية لتردد تلك علمت ان مقصود الحكمة الالهية من خلق هذا البدن وماهية من الالات والمنافع انما هو استكمال نفسه باستفادة العلوم الكلية وفضائل الاخلاق من تصفح جزئيات الدنيا ومقايستها بعضها الى بعض كالاستدلال بحوادثها وعجائب مخلوقات الله فيها على وجوده وحكمته وجوده وتحصيل الهداية بها الى اسرارها ملكة لكانت سببا مادتا بالذات لذلك فلا جرم صدق انها تبصر من ابصرها **العاشر** ومن ابصر اليها اعمته اى امتد اليها بصره وبصيرته وتطلع اليها بعين قلبه محبة وعشقا اعمت عين بصيرته عن ادراك انوار الله والاهتداء لكيفية سلوك سبيله واليه الاشارة بالنهي في قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه وقد ظهر الفرق بين قوله من ابصر بها ومن ابصر اليها ومدح السيد لهذا الفصل مدح في موضعه **ومن خطبة له عليه السلام** وهي الخطب العجيبة وتسمى الغراء اعلم ان في هذه الخطبة فصولا **الفصل الاول** قوله الحمد لله الذي علا بحوله ودنا بطوله مانح كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة وازل احمده على عواطف كرمه وسوابغ نعمه واومن به اولا باديا واستهديه قريبا هاديا واستعينه قاهرا قادرا واتوكل عليه كافيا ناصرا واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله ارسله لانفاذ امره وانهاء عذره وتقديم نذره **اقول** الحول القوة والطول الفضل والمنة والعطية والازل الشدة والنذر الانذار وقد اثنى على الله تعالى في هذا الفصل باعتبارات ثم من نعوت جلاله **الاول** كونه عليا اذ ليس المراد به العلو المكاني لتقدسه تعالى عن الجسمية كما سبق فالمراد العلو المعقول له باعتبار كونه مبدأ لكل موجود ومرجعه فهو العلي المطلق الذي لا اعلى منه في وجود وكمال رتبة وشرف كما سبق بيانه ولما كان ذلك باعتبار الحيفة بالقياس الى كل موجود صدق رعن قدرته وقوته لا جرم جعل الحول مبدأ هو حوله **الثاني** كونه دانيا بطوله ولما عرفت ان معنى الدنو والقرب في حقه تعالى ليس مكانيا ايضا كان اعتبار الدنو ثم عقولنا له من قرب افاضته نعمه على قوابلها وقربها من ابصار البصائر في صورة نعمه منها ولذلك جعل طوله مبدأ لدنوه **الثالث** كونه مانح كل غنيمة وفضل **الرابع** كونه كاشف كل عظيمة وازل وهنا اشارة الى كل نعمة صدرت عنه على قابلها فمبدؤها جوده ورحمته سواء كانت وجودية كالصحة والمال والعقل وغيرها او عدمية كدفع البأساء والضراء واليه الاشارة بقوله وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم الاية وقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض وقوله احمده الى قوله نعمه تنبيه للسامعين على سبب استحقاقه للاعتبار الحمد وهو كرمه قال بعض الفضلاء الكريم هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء ولم يبال كم اعطى ولا لمن اعطى وان رفعت الى غيره حاجة لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ومن لاذ به والتجا يغنيه عن الوسائل والشفعاء فمن اجتمعت له هذه الاعتبارات حقيقة من غير تكلف فهو الكريم المطلق وليس ذلك الا لله تعالى قلت والاجمع الامنع في رسم هذا الاعتبار يعود الى فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع وتعويق على كل من يقدر ان يقبله بقدر ما يقبله وعواطف كرمه وهي نعمه واثاره الخيرية التي تعود على عباده مرة بعد اخرى وسوابغ نعمه نعمه السابغة التي لا تقصر فيها عن قبول قابليها وقوله واومن به اولا باديا نصب اولا باديا على الحال واشار بهذين الوصفين الى الجهة التي هي مبدأ الايمان اذ كان منه باعتبار كونه اولا هو مبدأ لجميع الموجودات وكونه باديا هو كونه ظاهرا في العقل في جميع اثاره فباعتبار ظهوره مع كونه مبدأ لكل موجود كان لا لم يجب الايمان به والتصديق بالهيته وقوله واستهديه قريبا هاديا فاستهداؤه طلب الهداية منه وقربه هو دنوه بجوده من قابل فضله وهدايته هبته الشعور لكل ذي ادراك هو اليق به لمطلبه دون ما ليس اليق به فطلب انه باعتبار هذين الوصفين مبدأ لطلب الهداية منه وقوله واستعينه قاهرا قادرا استعانته طلب المعونة منه على ما ينبغي من طاعته وسلوك سبيله والقاهر هو الذي لا يجري في ملكه بخلاف حكمه نفس بل كل موجود مسخر تحت حكمه وقدرته وحقير في قبضته والقادر هو الذي اذا شاء فعل واذا لم يشأ لم يفعل وان لم يلزم انه لا يشاء فلا يفعل وان لم يلزم انه لا يشاء فلا يفعل كما سبق بيانه فظاهر انه باعتبار هذين الوصفين مبدأ للاستعانة وقوله اتوكل عليه كافيا ناصرا التوكل كما علمت يعود الى اعتماد الانسان فيما يرجو او يخاف على غيره والكافي باعتبار كونه معطيا لكل قابل من خلقه ما يكفيه استحقاقه من منفعة ودفع مضرة والناصر هو باعتبار اعطائه النصر لعباده على اعدائهم بافاضته هدايته وقوته وظاهر انه باعتبار هذين الوصفين مبدأ فتوكل عباده عليه والقاء مقاليد امورهم اليه وقوله واشهد الى اخره نعم الرسالة وتعيين لاغراضها وذكر منها ثلثة **احدها** انفاذ امره والضمائر لله وانفاذ امره اجراؤه لاحكامه على قلوب الخلق ليقروا بالعبودية له **الثاني** انهاء عذره في اقواله وافعاله وقد سبق بيان وجه استعادة العذر **الثالث** تقديم نذره وهو التخويفات الواردة على السنة الرسل عليهم السلام

والخطبة تدل

ج ١٠٣

الى الخلق قبل لقائه الجاذبة لهم الى لزوم طاعته وظاهر كون الثلثة اعراضا للبعثة

الفصل الثاني

قوله اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذى
ضرب لكم الامثال ووقت لكم الآجال وألبسكم الرياش وأرفغ لكم المعاش وأحاط بكم الاحصاء وأرصد لكم الجزاء وآثركم بالنعم السوابغ
والرفد الروافغ وأنذركم بالحجج البوالغ وأحصاكم عددا ووظف لكم مددا فى قرار خبرة ودار عبرة انتم مختبرون فيها ومحاسبون
عليها **اقول** الرياش اللباس الفاخر وقيل الغنى بالمال وارصد اعد والرفد جمع رفدة وهى العطية والروافغ الواسعة الطيبة
وهذا الفصل مشتمل على الوصية بتقوى الله وخشيته والانجذاب اليه باعتبار امور **الاول** ضرب الامثال والامثال التى
ضربها الله لعباده فى القرآن كثيرة منها قوله تع كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم الى قوله لا يرجعون
والاشارة بهذا المثل الى من كان قد طلب اظهار المعجزات من الرسول ص فلما ظهرت لهم لم يقبلوها ورجعوا الى ظلمة جهلهم فهم
صم عن سماع دواعى الله باذان قلوبهم بكم عن مناجاة الله باسرارهم عمى عن مشاهدة انوار الله بابصار بصائرهم فهم لا يرجعون
عن عنادهم وغيهم وكفرهم ومنها قوله او كصيب من السماء فقوله فآمنوا وهو مثل شبه فيه القرآن بالمطر نزل من السماء وشبه ما فى
القرآن من الوعد والوعيد بما فى المطر من الرعد والبرق وشبه تباعد المنافقين عن الاصغاء الى القرآن وتغافلهم عن سماع
الوعظ بمن يجعل اصابعه فى اذانه خوف الصواعق وقوله يكاد البرق الى آخره اشارة الى من كان يرق قلبه بسماع الوعظ البالغ اذا
قرعه ويميل الى التوبة ويتجلى عن قلبه بعض الظلمة فاذا رجعوا الى عزتهم اشاروا عليهم بالعود الى دينهم وبذلوا لهم الجهد
فى النصيحة وخوفوهم بالعجز فيضعف قصودهم وتظلم عليهم شبهات الباطل فتغطى ما كان ظهر لهم من نور الحق وكذلك باقى امثال
الله فى كتابه الكريم **الثانى** قوله ووقت لكم الآجال اى كتبها بقلم القضاء الالهى فى اللوح المحفوظ كل الى اجل مسمى ثم يرجع
فيحاسبه باعلانه واسراره وبما لحرى ان يتقيه ويعمل للقائه **الثالث** كونه قد البسهم الرياش وهو اظهار للمنة عليهم كما قال يا بنى
آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى الآية ليذكروا انواع نعمه فيستحيوا من مجاهرته بالمعصية **الرابع**
كونه قد ارفغ لهم المعاش اى اطاب معايشهم فى الدنيا كما قال تع ورزقكم من الطيبات وهو كالثالث **الخامس** احاطته بهم احصاء
كقوله تع لقد احصيهم وعدهم عدا اى احاط بهم علمه واحصاء منصوب على المصدر من غير لفظ فعله او على التمييز وظاهر ان علم العصاة
بانه لا يشذ احد منهم عن احاطة علمه جاذب لهم الى تقواه **السادس** كونه قد ارصد لهم الجزاء كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها
وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون **السابع** ايثاره لهم بالنعم
السوابغ والرفد الروافغ كقوله تع واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة **الثامن** انذاره بالحجج البوالغ وهى رسله ومواعظه وسائر
ما جذب به عباده الى سلوك سبيله وهو حجة على عصاة امره ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين **التاسع** احصاؤه
لهم عددهم كقوله تع واحصى كل شىء عددا **العاشر** توظيفه لهم المدد وهو كتوقيته لهم الآجال وانما كرر وصف الاحصاء والعدد بهذين
الوصفين بعد لان الرجل كثيرا ما ينكر احاطته تع بالجزئيات مع عدم تناهيها فيكون ذلك منبها على النفس توقيت الآجال لكل شخص
شخص ويفتح ثمار المعاد العقوبات اللاحقة لكل آحاد الخلق بحسب كل ذرة من الاعمال الظالمة فكررها طردا للوهم وكسرا للحكم
ذكر توقيت الآجال من اسباب الجواذب عن الدنيا الى الله وقوله فى قرار خبرة ودار عبرة اى محل اختبار الله لخلقه ومحل عبرتهم اى اتعاظ
اذهانهم فيما يجرى فيها من آيات العبرة وآثار القدرة والاستدلال بها على وجود مبدعها كما سبقت الاشارة الى معنى الاختبار
والاعتبار وكذلك قوله انتم فيها مختبرون وعليها محاسبون قد سبقت الاشارة اليه فى قوله الا وان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها
وفى هذين القرينتين مع السجع المتوازى نوع من التجنيس بين خبرة وعبرة والاختلاف بالحرف الاول

الفصل الثالث

قوله
فان الدنيا رنق مشربها ردغ مشرعها يونق منظرها ويوبق مخبرها غرور حائل وضوء آفل وظل زائل وسناد مائل
حتى اذا انس نافرها واطمأن ناكرها قمصت بارجلها وقنصت باحبلها واقصدت باسهمها واعلقت المرء اوهاق المنية
قائدة له الى ضنك المضجع ووحشة المرجع ومعاينة المحل وثواب العمل وكذلك الخلف يعقب السلف لا تقلع المنية
اختراما ولا يرعوى الباقون اجتراما يحتذون مثالا ويمضون ارسالا الى غاية الانتهاء وصيور الفناء **اقول** الرنق الكدر
والردغ الوحل والتراب المختلط بالماء ويونق يعجب ويوبق يهلك وغرور مستغفلة للاذهان والحائل المتغيرة
المتحولة وقمصت الدابة رفعت يديها وطرحتهما وقنصت بحبلها صادت واقصدت اصابت المقصد والاوهاق جمع
وهق بالفتح وهو الحبل والضنك الضيق واقلع عن الشىء امتنع منه والاخترام الموت دون المدة الطبيعية وارعوى كف وحذا احتذى
وقال فعل المعاد رسال الجمع رسل بالفتح وهو القطيع من الغنم يتبع القطيع وصيور الامر ما يرجع اليه منه ومدار هذا الفصل
على التنفير عن الدنيا بذكر معايبها وفيه اليه وذكر لها اوصافا **الاول** كونها رنق مشربها وهو كناية عن كدر لذاتها
بشوائب المصائب من الهموم والاحزان والاعراض والامراض **الثانى** كونها ردغ مشرعها ومشرعها مثل الشرعة فى تناولها والورود

ردعه

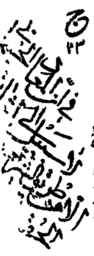
فى اللغة ذكر لها معا

في بيان الخطبة الغراء

في اسناد: البنا وكونه مدعما وصفت للطريق المحسوس استعير له ووجه المشابهة كون طريقي الانسان في استعمال الدنيا والتصرف فيها ذات
مزالق ومزال اقدام تهوي به الى الجحيم لا يثبت فيها الا قدم عقل قد تجرد في ضبط هواه وقهر سطوته شيئا فشيئا كما ان الطريق ذات الوحل كذلك
وهو من لطائف الاستعارة **الثالث** كونها يونق منظرها ويوبق مخبرها وهو اشارة الى اعجابها لذوي الغفلة بزينتها الحاضرة مع
هلاكهم باختبارها وتذوقهم لحلاوتها وعزمهم لا التذاذ بها **الرابع** كونها غرورا حائلا ويروى بفتح الغين وضمها ومعنى الاول انها
غرور اي تغر الخلق بزخارفها فيتوهمون بقاءها ثم تنتقل عنهم وتحول ومن روى بالضم جعلها نفسها غرورا والغرور يطلق على ما
يغتر به حقيقة عرفية **الخامس** كونها ضوءا آفلا استعار لفظ الضوء لما يظهر منها من الحسن في عيون الغافلين يقال على فلان ضوء
اي له منظر حسن او لما ظهر لهم من وجوه مسالكها فاهتدوا به الى تحصيلها ومداخلها ومخارجها وعلى التقديرين فهو ضوء
آفل لا يدوم ولفظ الافول ايضا مستعار **السادس** وظل زائل استعار لفظ الظل لما ياوي اليه الانسان من نعيمها فيستظل
به من حرارة بؤسها وفقرها وكونه زائلا **السابع** كونها سنادا مائلا استعارة ايضا للفظ السناد فانها يعتمد الغافلون عليه من قنياتها
ويجعلونها الاصل لها ولا ثبات بل هي كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وذكر الميل ترشيح للاستعارة
الثامن كونها اذا انس الناس بضوئها وظلها وبهجة منظرها الى غايته ان نفرت فيستأنس بها من كان بعقله نافرا عنها ويطمئن اليها
من كان بمقتضى فطرته منكرا لها حتى اذا كان ذلك منه طوعا لها فعلت به افعال العدو الجموح ونسب اليها من الافعال
امورا **احدها** قمصها بالارجل واستعار لفظ القمص لامتناعها على الانسان حين حضور اجله كانها تدفعه برجليها
مولية عنه كما تفعل الدابة ورشح بذكر الارجل وانما جمع لاعتبار اليدين مع الرجلين وذكره بلفظ الرجلين لان القمص
اليها انسب **الثاني** قنصها له باحبلها وهو كناية عن تمكن حبائل محبتها والهيئات الرديئة المكتسبة منها في عنق نفسه كناية بالاستعارة
الثالث كونها اقصدته باسهمها واستعار لفظ الاسهم للامراض واسباب الموت واقصادها كناية عن اصابتها بالاستعارة الاوصاف
الرابح عن بلا الدنيا منزلتها **الرابع** كونها اعلقته حبال المنية وحبالها استعارة لما يجذب به الى الموت من سائر اسبابه ايضا
وكذلك لفظ القائد استعارة كنى بها عن انتسابا المرض بحسب الغرض الحاصل فيها الى الامور المذكورة من ضنك المضطجع وهو
القبر ووحشة المرجع وهو اشارة الى ما يجده النفوس الجاهلة عند رجوعها من وحشة فراق ما كان محبوبا لها في الدنيا وما كانت الفته
من اهل ومال وهي استعارات الاوصاف الصادقة تنزيلا الدنيا منزلته ومعاينة المحل اي مشاهدة الاخرة التي هي محل الجزاء و
ثواب العمل اي جزاءه من خير او شر وقوله وكذلك الخلف الى اخره اي على الاحوال المذكورة للدنيا مضى الخلق يتبع خلفهم من سلف
منهم لا المنية تقصر عن اخترام نفوسهم ولا الباقون منهم يرجعون عما هم عليه من ارتكاب الجرائم فيها والغرور بها بل يقتدون بامثالهم
الماضين في ذلك ويمضون عليه اتباعا الى غاية مسيرهم بمطايا الابدان ومصيرهم وهو الفناء والعرض على الملك الديان وقد
راعى ايهم السجع المتجانس في قوله يونق ويوبق ونافرها وناكرها وقمصت وقنصت والاختلاف بحرف وسط وبالله التوفيق **الفصل
الرابع** في الاشارة الى ما يلحق الناس بعد الموت من احوال القيامة تذكيرا لهم وقوله حتى اذا تصرمت الامور وتقضت الدهور وازف
النشور اخرجهم من ضرائح القبور واوكار الطيور واوجرة السباع ومطارح المهالك سراعا الى امره مهطعين الى معاده رعيلا صموتا
قياما صفوفا ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة قد ضلت الحيل وانقطع الامل
وهوت الافئدة كاظمة وخشعت الاصوات مهينمة والجم العرق وعظم الشفق وارعدت الاسماع لزبرة الداعي الى فصل الخطاب
ومقايضة الجزاء ونكال العقاب ونوال الثواب **اقول** تصرمت تقضت وازف دنا والضرائح جمع ضريح وهو الشق في
وسط القبر واوكار الطيور اعشاشها والاوجرة جمع وجار وهو بيت السبع مهطعين مقبلين ورعيلا مجتمعين واللبوس ما يلبس
والضرع الخضوع والانكسار وكاظمة ساكنة والهينمة صوت خفي والجم العرق بلغ الفم فصار كاللجام والشفق الاشفاق وهو
الخوف والزبرة الانتهار والمقايضة المعاوضة والنكال نوع العقوبة واعلم انه قد تطابقت السنة الانبياء والرسل عليهم السلام
على القول بالمعاد الجسماني ونطق به الكتاب العزيز كقوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم
ترهقهم ذلة الاية ونحوه واتفق المسلمون على القول به واما الحكماء فالمشهور من مذهبهم منع المعاد الجسماني بناء على ان المعدوم لا يعاد
بعينه لامتناع عود اسبابه باعيانها من الوقت والدورة الفلكية المعينة وغيرهما وربما قال بعض حكماء الاسلام بجواز عود المثل
وربما قلد بعضهم ظاهر الشريعة في اثبات المعاد الجسماني واثبات السعادة والشقاوة البدنيتين مع الروحانيتين وقال الرئيس ابو علي بن
سينا في كتاب الشفاء ما هذه حكاية الفاظه يجب ان يعلم ان المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل الى اثباته الا من طريق
الشريعة وتصديق خبر النبوة وهو الذي للبدن عند البعث وخيرات البدن وشروره معلومة لا يحتاج ان تعلم وقد بسطت
الشريعة الحقة التي اتانا بها سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه واله حال السعادة والشقاوة اللتين بحسب البدن ومنه ما هو مدرك

[illegible]

بالعقل



في بيان الخطبة الغرّاء

بالعمل الإلهي ليس البرهان وقد حصر قسمة النبوة وهو السعادة والشقاوة الباقيتان الثابتتان بالقياس إلى النفس وإن كانت الروحانية
مما نقصر عن تصورها الآن لما نوضح من العلل والحكماء الإلهيون رغبتهم في إصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم في إصابة السعادة البدنية
بل كأنهم لا يلتفتون إلى تلك وإن أعطوها ولا يستعظمونها في جنب هذه السعادة التي هي مقارنة الحق الأول وعلم أن الذي ... رحمه هنا
مبرهن في إثبات المعاد الجسماني ولو احتمل فقوله أخرجهم من ضرائح القبور وأوكار الطيور وأوجرة السباع ومطارح المهالك إشارة إلى جمع أجزاء
أبدان الناس بعد تشذبها وتفرقها فيخرج من كان قبر من ضريح قبره ومن كان أكيل طير أو سبع أو مقبورًا في ... المهالك من معركة الحرب
أو غيرها أخرجه من ذلك المكان وجمع أجزاءه وألف بينها فإن قلت إذا أكل إنسان إنسانًا واغتذى به ... صارت أجزاء بدنه أجزاء
البدن الآكل فكيف يمكن إعادتهما لأن تلك الأجزاء في أي بدن منهما أعيد لزم نقصان الآخر وبطلانه قلت ... مذهب محققي المتكلمين أن
في كل بدن واحد أجزاء أصلية باقية من أول العمر إلى آخره لا تتغير ولا تتبدل وأجزاء فضلية فلو أعيد بعض الفضلية مما كانت أصليًا
من الأجزاء البدن المأكول فهو فضلي لبدن الآكل فيرد إليه من غير أن ينقص من الأجزاء الأصلية للآكل شيء ولا عبرة بالفاضل وفي
وفي الفصل غنى عن البيان وقال بعض الفضلاء أنه ربما احتملت هذه الألفاظ أن يسلط عليها من التأويل ما يناسب مذهب
القائلين بالمعاد الروحاني فقوله حتى إذا انصرمت الأمور أي أحوال كل واحد من الخلق في الدنيا وقوله وتقضت الدهور أي انقضت
مدة كل شخص منهم وقوله وأزف النشور أي دنا انتشار كل واحد في عالم الآخرة من قبور الأبدان وقوله أخرجهم من ضرائح القبور استعار لفظ
القبور للأبدان وضرائحها ترشيح للاستعارة ووجه المشابهة أن النفس تكون منغمسة في ظلمة البدن وكدر الحواس متوحشة عن
عالمها كما أن المقبور مغمور بظلمة القبر ووحشته منقطع عن الأهل والمال وضمير أخرجهم يعود إلى الله في صدر الخطبة وقوله وأوكار الطيور
فاعلم أن العارفين وأهل الحكمة كثيرًا ما يستعيرون لفظ الطير وأوصافه للنفس الناطقة والملائكة كما أشار إليه سيد المرسلين صلى الله
عليه وآله بقوله حتى إذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش ويقول يا أهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي وقوله
إنما يكون لذي الجناح من الطير وكما جاء في التنزيل الإلهي وصف الملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع وكما أشار إليه أبو علي في قصيدته
التي أولها هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع وأشار بالورقاء إلى النفس الناطقة وكما أشار إليه في رسالته المسماة
برسالة الطير بقوله برزت طائفة تقنص فنصبوا الحبائل ورتبوا الشرك وهيئوا الطعم وتواروا في الحشيش وأنا في سرب طير ونحوه ووجه
المشابهة في هذه الاستعارة ما تشترك فيه النفس والطير من سرعة التصرف والانتقال إما انتقال عقلي والطير بانتقال حسي وإذا ... ثم
لفظ الطير للنفس فما أحرى أن يستعار لوكر للبدن لما بينهما من المشاركة وهو كونهما مسكنًا للأهل مما رغبه وقوله وأوجرة السباع
استعارة للأبدان أيضًا والسباع إشارة إلى النفوس المطيعة لقواها الغضبية التي شأنها حب الغلبة والانتقام كما أن السبع كذلك وقوله
ومطارح المهالك إشارة إلى الأبدان أيضًا فإنها مطارح مهالك الغافلين الذين اتبعوا الشهوات على أبدانهم وقوله سراعًا إلى أمره نصب
على الحال بقوله أخرجهم وكذلك ما بعده من المنصوبات وأمره هو حكم قضائه الأزلي عليهم بالرجوع إليه وعودهم إلى مبدئهم وسرعتهم إليه إشارة
إلى قرب وصولهم وهو في أن انقطاع علاقة النفس مع البدن وهو على غاية من السرعة وقوله مهطعين إلى معاده إشارة إلى إقبال النفوس
بوجوهها على محل عودها وما أعد لها فيه من خير وشر وقوله رعيلا إشارة إلى اجتماعهم في حكم الله وقبضته وتحت الأمة في ثوابه وعقابه
وقوله صموتًا أي لا ألسنة لهم إذ ينطقون بها ويحتمل أن يكون الصمت كناية عن خضوعهم وانقيادهم في ذل الحاجة وهيبة الجلال وقوله
قيامًا صفوفًا فقيامهم استعارة لاستعداد النفوس هيبة لسلطنته وقيامها بتصور كما لها ساق العبودية وذل الإمكان وصفوفًا استعارة
لانتظامهم إذن في سلك علمه نعم إذا الكل بالنسبة إلى علمه على سواء كما يستوي الصف المحسوس ويحتمل أن يكون الصف استعارة لترتيبهم في القرب
إلى الله ثم منازلهم متفاوتة وقوله ينفذهم البصر إشارة إلى علمه تعالى بهم وقوله ويسمعهم الداعي فالداعي هو حكم القضاء عليهم بالعود وإسماعهم
عموم ذلك الحكم لهم بحيث لا يمكن أن يخرج عنه منهم أحد وقوله عليهم لبوس الاستكانة وضرع ... الاستسلام والذلة إشارة إلى ما لهم يخرجون
من الأجداث عليها من ذل الإمكان ورق الحاجة والخوف في قبضة الله وهو كقوله تعالى يوم يدعو الداع إلى شيء نكر خشعًا أبصارهم يخرجون
من الأجداث وقوله قد ضلت الحيل أي حيل الدنيا فلا حيلة لهم في الخلاص مما هم فيه كما كانوا يتخلصون بحيل الدنيا من بعض شرورها
وانقطع الأمل أي أملهم فيها لامتناع عودهم إليها وانقطاع طمعهم في ذلك وقوله وهوت الأفئدة كاظمة أي سقطت النفوس في حضيض
الذل والفاقة إلى رضا الله وعفوه ولفظ الكظم مستعار كما سبق وقوله وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا وهو إشارة إلى
سؤالهم بلسان حالهم عفو الله ورحمته على وجه الذلة والضعف ونقص الصورة في ملاحظة جلال الله وقوله وألجم العرق وعظم الشفق
استعار لفظ العرق وكنى به عن غاية ما يحدث للنفس من كرب ألم الفراق وهيبة الله وعدم الأنس بعد الموت إذ غاية الخائف أن تعرق
جبينه ويشفق من نزول العقاب به ونسبة الإلجام إلى العرق نسبة مجازية وقوله وأرعدت الأسماع لزبرة الداعي إشارة إلى تخوف
النفس عند تيقنها المفارقة واستعار لفظ الزبرة لظهور حكم القضاء للأنفس على مراديها فهو الأنهم كمن يمنعه من الجواب الامتناع وفصل الخطاب

في بيان الخطبة الغراء

هو امضاء الحكام الله على نفوس عباده عند الرجوع اليه بتوفية ما لها واستيفاء ما عليها ومقابلتها بالجزاء معا ووصفها بما انتسب اليه من الملكات الرديّة فينكال العقاب واما من الملكات الفاضلة فبنوال الثواب فيتم كل بقدر استعداده وقبوله واعلم ان العدول الى المجازات والاستعارات عن حقائق الالفاظ والى التاويل عن الظواهر انما يجوز خصوصا في كلام الله وكلام رسوله واوليائه اذا عضده دليل عقلي يمنع من اجراء الكلام على ظاهره ولما اعترف القوم بجواز المعاد الجسماني في تقليد الشريعة ولم يقم دليل عقلي يمنع منه لم يمكننا الجزم بصحة هذه التاويلات وامثالها والله ولي التوفيق والعصمة **الفصل الخامس** في تنبيه الخلق على اوصاف حالهم فيما هم عليه من التخيير والاعراض عما خلقوا لاجله لعلهم يتذكرون هؤلاء عباد مخلوقون اقتدارا ومربوبون اقتسارا ومقبوضون احتضارا ومضمنون اجداثا وكائنون رفاتا ومبعوثون افرادا ومدينون جزاء ومميزون حسابا قد امهلوا في طلب المخرج وهدوا سبيل المنهج وعمروا مهل المستعتب وكشفت عنهم سدف الريب وخلوا لمضمار الجياد وروية الارتياد واناة المقتبس المرتاد في مدة الاجل ومضطرب المهل **اقول** القسر القهر والجبر والاجداث القبور واحدها جدث والرفات الفتات من العظم ونحوه ومدينون مجزيون والمستعتب المسترضي والسدف جمع سدفة وهي ظلمة الليل والريب الشبه والشكوك والارتياد والذكر من تلك الاوصاف ثلاثة عشر وصفا **الاول** كونهم مخلوقين اقتدارا اي خلقهم ليس لهم وانهم بل بقدرة مستقلة عن مشاركة الغير وذلك من العظمة له **الثاني** كونهم مربوبين اقتسارا اي ليس مالكهم لهم عن اختيار منهم حتى يكون لهم الخيرة في معصيته وطاعته **الثالث** كونهم مقبوضين احتضارا اي يحضرون بالموت مقبوضون به الى حضرة جلال الله **الرابع** كونهم من شانهم ان يضمنوا الاجداث **الخامس** من شانهم ان يصيروا رفاتا **السادس** من شانهم ان يبعثوا افرادا كما قال تعالى وكلهم آتيه يوم القيمة فردا اي مجردا عن استصحاب غيره من اهل ومال **السابع** انهم مدينون جزاء ومن شانهم ذلك والجزاء مصدر نصب بغير فعله **الثامن** ان من شانهم ان يميزوا حسابا اي يحصون عددا كقوله تعالى لقد احصيهم وعدهم عدا وحسابا ايضا مصدر انتصب عن غير فعله **التاسع** كونهم قد امهلوا في طلب المخرج اي انما امهلوا في الدنيا لطلب خلاصهم وخروجهم من ظلمات الجهل وعقوبات المعاصي الى نور الحق ومتسع الجود **العاشر** كونهم قد هدوا سبيل المنهج اي الهموا باصل فطرهم وقد لوا بالاعلام الواضحة من الانبياء والشرايع على الطريق الى حضرة قدس الله والجنة **الحادي عشر** كونهم قد عمروا مهل المستعتب لما كان من طلب استعتابه يقصد رجوعه عن ذنبه يمهل ويداري طويلا امهلهم الله سبحانه لخلقه مدة اعمارهم ليرجعوا الى طاعته ويعملوا صالحا تشبيها ذلك فنزلت منزلته ومهل نصب على المصدر لان التعمير امهال **الثاني عشر** كونهم قد كشفت عنهم سدف الريب اي ازال عن ابصار بصائرهم ظلم الشكوك والشبهات والجهالات بما وهبه لهم من العقول وايدهم من بعثة الرسل **الثالث عشر** كونهم قد خلوا لمضمار الجياد اي تركوا في الدنيا ليضمروا انفسهم بازواد التقوى ولما استعار لفظ المضمار رشح بذكر الجياد اذ شرف المضمار ان يتاتى به جياد الخيل وفيه تنبيه لهم على ان يكونوا من جياد مضمارهم وقد سبق وجه الاستعارة ومعنى التضمير في قوله الا وان اليوم المضمار وغدا السباق وكذلك خلوا لروية الارتياد اي ليتفكروا في طلب ما يتخلصون به الى الله تعالى من شاطاعاته وكذلك ليتانوا اناة المقتبس للانوار الالهية الطالب للاستنارة بها في مدة اجالهم ومحل اضطرابهم في مهلهم وتحصيلهم لما ينبغي لهم من الكمالات ومن ملك من عبيده هذه الحالات وافاض عليهم ضروب هذه الانعامات فكيف يليق باحدهم ان يجاهره بالعصيان او يتجاسر ان يقابله بالكفران ان الانسان لكفور مبين **الفصل السادس** في التنبيه على فضل موعظته وتذكيره ومدحها بالبلاغة والتعريض بعدم القلوب الحاملة لها ثم الحث على التقوى بقوله فيا لها امثالا صائبة ومواعظ شافية امثالا ومواعظ نصب على التمييز وصواب الامثلة مطابقتها للممثل به وشفاء الموعظة تاثيرها في القلوب ازالة مرض الجهل والرذائل الخلقية ورجوع المتعظ بها منيبا الى ربه وقوله لو صادفت قلوبا زاكية واسماعا واعية وآراء عازمة والبابا حازمة فزكاء القلوب استعدادها لقبول الهداية وقربها من ذلك ووعي الاسماع فهم القلوب عنها وانما وصفها بالوعي لانها ايضا قابلة لقشور المعاني مؤدية لها الى قوة الحس ثم الخيال وعزم الآراء توجيه الهمة الى ما ينبغي والثبات على ذلك وحزم الالباب جودة راي العقول فيما تختاره وظاهر ان هذه الثلثة هي اسباب نفع الموعظة وقوله فاتقوا الله الى قوله مقامه امر بتقوى الله تقية كتقوى من استجمع جميع هذه الاوصاف **احدها** تقية من سمع فخشع اي تقية من استعد قلبه لسماع الموعظة فخشع عنها لله **الثاني** تقية من اقترف فاعترف اي اكتسب الذنوب فاعترف بها واناب الى الله **الثالث** تقية من وجل اي خاف ربه فالقه خوفه فعمل اي فانجذب الى الاعمال الصالحة لينجو بها **الرابع** تقية من حاذر اي عقاب ربه فبادر الى طاعته **الخامس** تقية من ايقن الموت ولقاء ربه فاحسن اي فاحسن العمل فاحسن عمله واخلص له **السادس** تقية من عبر اي ربي بالعبر وذكر بها فاعتبر فجعلها سلما يعبر فيها ذهنه الى العلم بما ينبغي له **السابع** وحذر اي من سخط الله وعقابه فانزجر اي فرجع عن معصيته **الثامن** تقية من اجاب اي اجاب داعي الله فاناب اي رجع اليه بسره وامتثل امره **التاسع** تقية من راجع فكره وهمه فتاب اي فاستعان به على شياطينه وقهر بنفسه الامارة بالسوء فتاب من متابعتها **العاشر** تقية من اقتدى اي بانبياء الله واوليائه ومصابيح الدجى انوارهم فاحتذى

في بيان الخطبة الغراء

ح ۲۳

اى حذر احذر قدم في جميع احواله فطلب وقصد هم وعقل فعلهم **الحادي عشر** تقية من ارى اى رأى الحق فاظهرت بعين بصيرته
طريق الله وسبيله فرأى اى فعرفها واسرع طالبا لما شاك له ونهى ونجا منها هاربا من ظلمات جهله وثمرة فافاد ذخيرة اى فاستفاد
سلوكه لها وطاعته لربه في ذلك ذخيرة لمعاده واطاب بسلوكها سريرته عن نجاسات الدنيا وعمر بما يكتسبه في سلوكها من الكمالات
المسعدة معاده واستظهر زادا ليوم رحيله من دنياه واستعد به لوجه سبيله التي هو سالكها ومسافر فيها ولحال حاجته ولموطن
فاقته فان كل مرتبة من الكمالات حصلت للانسان فهي معدة لرتبة اعلى منها لو لم يحصلها لظهرت له حاجة في الآخرة الى كل منها
حيث لا يجد اليها سبيلا وكذلك قوله وقدم اى ما استظهر به زادا امامه اى تلقاء وجهه التي هو مستقبلها ومتوجه اليها لدار مقامه الآخرة
وقوله فاتقوا الله جهة ما خلقكم له اى اعتبار ما خلقكم له ولما كان ما خلقهم لاجله انما هو عرفانه والوصول الى جنابه كان المعنى اجعلوا تقواكم
لله نظرا الى تلك الجهة والاعتبار لا للرياء والسمعة وجهة منصوب على الظرف ويحتمل ان يكون مفعولا به لفعل مقدر اى واقصدوا
بتقويكم جهة ما خلقكم وقوله واحذروا منه كنه ما حذركم من نفسه اى اسلكوا في حذركم منه حقيقة ما حذركم من نفسه بما توعد
به وذلك الحذر انما يحصل بالبحث عن حقيقة الحذر وعنه والسلوك الى الله في تصور ذلك على مراتب منها ونحوه وقوله واستحقوا
منه ما اعد لكم بالتنجز لصدق ميعاده استحقاق ما وعد به الله تعالى من جزيل الثواب ثم يحصل بالاستعداد له بهوام بالاستعداد له و
الاستعداد يحتاج الى اسباب فذكرها عليه السلام لجاز بها احدهما التنجز لصدق ميعاده والتنجز طلب انجاز الوعد وقضائه وذلك بتمام
بالاقبال على طاعته كما قال تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار الآية ونحوها والثاني الحذر من
اهوال معاده وذلك باجتناب مناهيه والارتداع بزواجره ونواهيه منها قوله جعل لكم اسماعا اعلم ان في هذا الفصل فصلين **الفصل**
الاول في تذكير عباد الله بضروب نعمه عليهم والتنبيه على الغاية منها ثم التذكير بحال الماضين من الخلق والتنبيه على الاعتبار
بهم وهو في معرض الامتنان وذلك قوله جعل لكم اسماعا لتعي ما عناها وابصارا لتجلو عن عشاها واشلاء جامعة لاعضائها ملائمة
لاحنائها في تركيب صورها ومدد عمرها بابدان قائمة بارفاقها وقلوب رائدة لارزاقها في مجللات نعمه وموجبات مننه وحواجز
عافيته وقدر لكم اعمارا سترها عنكم وخلف لكم عبرا من آثار الماضين قبلكم من مستمتع خلاقهم ومستفسح خناقهم ارهقتهم المنايا دون
الآمال وشذ بهم عنها تخرم الآجال لم يمهدوا في سلامة الابدان ولم يعتبروا في انف الاوان فهل ينتظر اهل بضاضة الشباب الا حواني
الهرم واهل غضارة الصحة الا نوازل السقم واهل مدة البقاء الا آونة الفناء مع قرب الزيال وازوف الانتقال وعلز القلق وألم المضض
وغصص الجرض وتلفت الاستغاثة بنصرة الحفدة والاقرباء والاعزة والقرناء فهل دفعت الاقارب او نفعت النواحب وقد غودر
في محلة الاموات رهينا وفي ضيق المضجع وحيدا قد هتكت الهوام جلدته وابلت النواهك جدته وعفت العواصف آثاره ومحا
الحدثان معالمه وصارت الاجساد شحبة بعد بضتها والعظام نخرة بعد قوتها والارواح مرتهنة بثقل اعبائها موقنة بغيب انبائها
لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيئ زللها اولستم ابناء القوم والآباء واخوانهم والاقرباء تحتذون امثلتهم وتركبون
قدتهم وتطؤون جادتهم فالقلوب قاسية عن حظها لاهية عن رشدها سالكة في غير مضمارها كان المعني سواها وكان الرشد
في احراز دنياها **اقول** عناها اهمها او بمعنى كلمة تعرض للعين بالليل والاشلاء جمع شلو وهو العضو وهو ايضا القطعة من اللحم
وكني به عن الجسد والحنو الجانب والارفاق المنافع ويروى بارماقها والرمق بقية الروح والخلاق النصيب والخناق بالكسر حبل يخنق
به والارهاق الاعجال والتشذيب التفريق ومهلا الامر مخففا ومشددا اى هيأه وانف الاوان اوله والبضاضة امتلاء البدن وقوته
والهرم الكبر وغضارة العيش طيبه والآونة جمع اوان كازمنة جمع زمان والزيال المزايلة والازوف القرب والعلز كالرعدة ياخذ المريض والجرض
ان يبلع ريقه على هم وحزن والحفدة الاعوان وغودر ترك والنهك الخلق والابلاء والمعالم الآثار والتحبب الهالك لنا قبل والنخرة
البالية والاعباء الاثقال والقدة بكسر القاف والدال المهملة الطريقة وروى بضم القاف والذال المعجمة والاول اصح والمعنى
المعنى فقوله جعل لكم الى قوله بارفاقها تذكير بنعمة الله تعالى بخلق الابدان وما اشتمل عليه من المنافع ففائدة الاسماع ان تعي ما
خلقت لاجله وفائدة الابصار ان يدرك بها الانسان عجايب مصنوعات الله تعالى فيحصل لهما عبرة ولفظ العشا يحتمل ان يكون
مستعارا لظلمة الجهل العارض لابصار القلوب حتى يكون التقدير لتجلو عشا قلوبها اوح فادراك البصر الحاصل عنه يحصل
للقلب به جلاء لذلك العشا فصح اسناد الجلاء الى الابصار ويحتمل ان يكون مستعارا لعدم ادراكها لما يحصل منه العبرة
اذ كانت فايدتها ذلك فاذا لم يحصل منها ذلك الادراك كانت كسقيمة العشا ووجه المشابهة عدم الفائدة ونسبة الجلاء
اليها بوجود الادراك المفيد للعبرة عنها وهو استعارة ايضا وعن لتبيين زايدة لان الجلاء يسند الى مجلو اعنه فلذكره المجاز
واقامه مقام المجلو عنه فكانه قال لتجلو عن نواها عشاها واما فائدة البدن واعضائه فقد اشرنا اليه قبل مفصلا وقوله
قائمة بارفاقها اى ان كل بدن قائم في الوجود بحسب ما عين له من ضروب المنافع وقوله وقلوب رائدة الى قوله سترها عنكم اظهار

من الخطبة الغراء

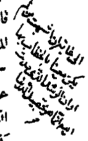
ومعلوم ح

في بيان الخطبة الغراء

لمنة الله تعالى على عباده بخلقه لهم وهدايته لنفوسهم لأرزاقهم التي بها قوام حيواتها الدنيا وتمكينها من اصلاح معادها ثم باعتبار كونها في
نفسه وسوابغها فيما ستره عليهم من قبائح اعمالهم ان تظهر وهواجس خواطرهم بعضهم لبعض بحيث لو اطلع كل على ما في ضمير صاحبه من الغل و
الحسد وتمني زوال نعمته لأفنى بعضهم بعضا ولخرب نظام وجودهم وموجبات منته نعمه التي تستوجب الحمد بها ومن روى بفتح الجيم
فالمراد بها من اذن النعم وموجبات ما سقط منها وافيض على العباد وهواجز عافيته ما منع منها عوائل الامراض والمضار المذكورة وغيرها وانما
ذكر كثرة الاعمار في معرض المنة لانه من النعم العظيمة على العبد لمكان اطلاع الانسان على كثيرها مما يوجب اشتغال خاطره بخوفه
من الموت من عمارة الارض وبطل بسببه نظام هذا العالم وقوله وخلف لكم عبرا وجه من منن الله تعالى فان ابقاءه لحوال الماضين وما
خلفوه عبرة للاحقين سبب عظيم لجذبهم عن دار الغرور ومهاوي الضلالات الى سعادة الابد ومستمتع خلاقهم ما استمتعوا به مما كان نصيبا
لكل منهم في مدة بقائه من متاع الدنيا ومستفسح خناقهم محل الفسحة لاعناقهم من ضيق حبائل الموت واغلال الجحيم وذلك المستفسح
هو مدة حياتهم ايضا ثم ردف ذلك بوصف حال الماضين في غرورهم وذكر اعجال الموت لهم عن بلوغ امالهم وشذ بينهم باخترامهم
عنها ونبه على وجوب تقصير الامل والاستعداد للموت وكذلك نبههم بقوله لم يمهدوا الى قوله الاوان على تقصير الماضين في اصلاح
معادهم حيث امكنهم ذلك في سلامة ابدانهم واوائل زمانهم ليحصل لهم بذلك التذكر ونفرة عن حال السابقين وانزعاج عن الغرور
الى الاستعداد بالتقوى والاعمال الصالحة ثم استفهمهم عما ينتظر الشباب تنبيها لهم على حواني الهرم واهل الصحة بعضهم من غير الاسقام
والمعمرون بطول اعمارهم غير الفناء استفهاما على سبيل الانكار لما ينتظر غير هذه الامور وتقريعا على ترك الانتظار فنبه
بذكر غايات تلك التي حصروا فيها واعلم ان ذلك ليس انتظارا حقيقيا لكن لما كان المنتظر لامر والمترقب له لا يشتغل في احواله بما يعنيه من الاشتغال
الى غاية ان يصل اليه ما ينتظره وكانت غاية الشباب ان يجيء ظهور الهرم وغاية الصحيح ان يسقم وغاية المعمر يفنى اشبه تركهم للعمل و
عبادة الله الى غايات تلك المذكورة بالانتظار لها فاستعير له لفظ الانتظار ثم كنى عن شدة حال المفارق في سكرات الموت باوصاف تعرض
له كالرعدة والقلق والغم والخوف والغصص بالريق والتلفت للاستغاثة بالاعوان والاقرباء والاعزة ثم نبه بقوله فهل دفعت الاقارب
او نفعت النواحب اي البواكي على ان ما ينفع عند نزول الموت من تلك الاحوال لا ينفع في دفعه قريب ولا حبيب على طريق الاستفهام و
الانكار وقوله قد غودر الجملة في محل النصب على الحال والعامل نفعت ثم سيقصد البكاء حال ما غودر في محل الاموات بالاوصاف الكريهة
تنفيرا عن احواله وجذبا الى الخلاص من اهوالها بالعمل له والاخلاص له ورهينا اي مقيما او مرتهنا بذنوبه وموثوق بها ونصبه على الحال
وكذلك وحيدا وموضع قوله قد هتكت وباقي الافعال المعطوفة عليه والهوام الدبابات المتولدة من جيفة وغيرها وقوله والارواح مرتهنة بثقل
اعبائها اشارة الى اشتغال النفوس وانحطاطها الى الجثة السافلة بثقل ما حملته من الاوزار واكتسبته من الهيئات الرديئة وما يتحقق عنه
من الانباء هنالك هو الخبر من الاحوال اللاحقة بها بعد الموت من خير وشر فانها ينقطع عنها عن اهل الدنيا وابناؤها ما خلفته من الولد
الذين يتوبون فانها ينقطع بعد الموت عنهم وانقطاعها عنها والاول اولى وقوله لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيء زللها اي لا
يطلب منها زيادة من العمل الصالح ولا يقال من شيء زللها ويرضى عنها كقوله تعالى وان يستعتبوا فما هم من المعتبين وذلك لعدم آلة العمل
وامتناع الرجوع اليه وعدم تمكنها من نزع ما صار في عنقها من اطواق الهيئات البدنية كما قال تعالى قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما
تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وقوله اولستم ابناء القوم والابناء واخوانهم والاقرباء اي اوليس فيكم من هو
اب لاحد اولئك وابن له او اخوه او قريبه وهو تنبيه للسامعين على وجه العبرة فانه لما شرح حال الماضين في الموت وما بعده نبههم
على انهم امثالهم في كل تلك الاحوال ليرجعوا الى تقوى الله الذي هو سبب النجاة من تلك الاهوال وقوله تحتذون مثلهم اي تقتدون
بهم في امثالهم وتسلكون مسالكهم في غرورهم ونحوه كما قال تعالى حكاية انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وقوله فالقلوب
قاسية عن حظها اي لا استعداد لها تقبل به حظها الذي ينبغي لها طلبه عن رشدها غافلة عن طلب هدايتها سالكة في غير مضمارها والمضمار
ههنا هو الشريعة واوامر الله وسلوكها لغيره ارتكابها مناهي الله ورياضتها بالاعمال الصالحة التي هي طريق الجحيم وقوله كان المعنى
سواها وكان الرشد في احراز دنياها اي في ذكر اعراض القلوب وغفلتها عن المواعظ وانهماكها في تحصيل الدنيا وجمعها الذي حذرت
عنه وحذرت منه

الفصل الثاني

في التذكير بامر الصراط والتحذير من اهواله والحث على التقوى وذلك قوله واعلموا
ان مجازكم على الصراط ومزالق دحضه واهاويل زلله وتارات اهواله فاتقوا الله تقية ذي لب شغل التفكر قلبه وانصب الخوف
بدنه واسهر التهجد غرار نومه واظمأ الرجاء هواجر يومه وظلف الزهد شهواته واوجف الذكر بلسانه وقدم الخوف لامانه
وتنكب المخالج عن وضح السبيل وسلك اقصد المسالك الى النهج المطلوب ولم تفتله فاتلات الغرور ولم تعم عليه مشتبهات
الامور ظافرا بفرحة البشرى وراحة النعمى في انعم نومه وآمن يومه قد عبر معبر العاجلة حميدا وقدم زاد الآجلة سعيدا
وبادر من وجل واكمش في مهل ورغب في طلب وذهب عن هرب وراقب في يومه غده ونظر قدما امامه فكفى بالجنة ثوابا



ج
٢٣

كيفية الصراط الذي على جهنم

ونوالاً وكفى بالنار عقاباً ووبالاً وكفى بالله منتقماً ونصيراً وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً اوصيكم بتقوى الله الذي اعذر بما انذر واحتج بما نهج وحذركم عدواً نفذ في الصدور خفياً ونفث في الآذان نجياً فاضل وأردى ووعد فمنّى وزين سيئات الجرائم وهوّن موبقات العظائم حتى اذا استدرج قرينته واستغلق رهينته انكر ما زين واستعظم ما هوّن وحذّر ما أمّن اقول المزلق الموضع الذي لا تثبت عليه قدم والدحض الزلق والتقحم الدخول في الشيء بشدة والمغاذّة بالتبل والعذار النوم القليل والاوحى اسرع والمخالج الامور المشغلة الجاذبة واكش امضى عزمه ومضى قدماً لم يعرج واعلم ان الصراط الموعود به في القرآن الكريم حق يجب الايمان به وان اختلف الناس في حقيقته وظاهر الشريعة والذي عليه جمهور المسلمين ومن اثبت المعاد الجسماني يقتضي انه جسم في غاية الدقة والحدة ممدود على جهنم وهو طريق الى الجنة يجوزه من اخلص لله ومن عصى سلك عن جنبتيه احد ابواب جهنم واما الحكماء فقالوا حقيقته وما يقال في حقه انه كالشعر والدقة فهو ظلم بالنسبة الشعرة اليه كنسبتها الى الخط الهندسي الفاصل بين الظل والشمس الذي ليس من احدهما فهو كالخط الذي لا عرض له اصلاً وحقيقته هو الوسط الحقيقي بين الاخلاق المتضادة كالسخاوة بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن والاقتصاد بين الاسراف والتقتير والتواضع بين التكبر والمهانة والعفة بين الشهوة والخمود والعدالة بين الظلم والانظلام فالاوساط بين هذه الاطراف المتضادة هي الاخلاق المحمودة ولكل واحد منها طرفا تفريط وافراط هما مذمومان وكل واحد منها غاية البعد بين طرفيه ليس من طرف الزيادة ولا من طرف النقصان قالوا وتحقيق ذلك ان كمال الانسان في التشبه بالملائكة وهم منفكون عن هذه الاوصاف المتضادة وليس في امكان الانسان الانفكاك عنها بالكلية فغاية التباعد عنها الى الوسط تباعد التشبيه لا انفكاك عنها فالسخي كانه لا بخيل ولا مبذر فالصراط المستقيم هو الوسط الحق الذي لا ميل له الى احد الجانبين ولا عرض له وهو ادق من الشعر ولذلك قال لن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل وروي عن الصادق عليه السلام وقد سئل عن قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال يقول ارشدنا الى لزوم الطريق المؤدي الى محبتك والمبلغ دينك المانع من ان نتبع اهوائنا فنعطب او ناخذ بآرائنا فنهلك وعن الحسن العسكري عليه السلام الصراط صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فاما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل الى شيء من الباطل واما الصراط الآخر فهو طريق المؤمنين الى الجنة لا يعدلون عن الجنة الى النار ولا الى غير النار سوى الجنة والناس في ذلك متفاوتون فمن استقام على هذا الصراط وتعود سلوكه مر على صراط الآخرة مستوياً ودخل الجنة آمناً اذا عرفت ذلك فنقول مزالق الصراط كناية عن المواضع التي هي مظان الانحراف عن الوسط بين الاطراف المذمومة وتلك المواضع هي مظان الشهوات والميول الطبيعية ولما وبال ذلك هو ما يستلزمه العبور الى احد طرفي الافراط والتفريط من العذاب العظيم في الآخرة وتارات اهواله تكرار ذلك تارة بعد اخرى وقوله فاتقوا الله عود الى الامر بتقوى الله تقية من استجمع اوصافاً الاول احدها تقية من شغل التفكر قلبه اي حال بمقدار عن محبة الدنيا وباطلها الثاني وانصب الخوف بدنه اي اتعبه واضعفه خوف الله تعالى وما اعد للعصاة من الاهوال الثالث واسهرت العبادة غرار نومه اي لم تترك له نوماً الرابع واظمأ الرجاء هواجر يومه اي اظماه رجاء ما اعد الله لاوليائه الابرار عوضاً من الطيبات هذه الدار وظماؤه في هواجر يومه كناية عن كثرة صيامه في اشد اوقاته حرارة وانما جعل الهواجر مفعولاً اقامة للظرف مقام المظروف وهو من وجوه المجاز الخامس وظلف الزهد شهواته استعار لفظ الاطفاء للزهد وهو من اوصاف الماء ونسبته الى النار نسبة الزهد الى الشهوات فلاحظ الشبه بين الشهوات والنار في تأثيرها الاذى وبين الزهد والماء فيما يلزمه من كون الاعراض عن الدنيا يستتبع قهر الشهوات ودفع مضارها كما يفعله الماء بالنار السادس واسرع الذكر الى لسانه اي تعوده اياه وادمانه فيه السابع وقدم الخوف لامانه اي خوف ربه فعمل مخلصاً له ليأمن عذابه الثامن وتنكب المخالج اي عدل عن الامور المشغلة الى واضح سبيل الله التاسع وسلك اقصد المسالك اي اولاها بالقصد الى النهج الواضح الطريق المطلوب لله من خلقه وهو سبيله المستقيم فان للناس سلوك سبيل الله مذاهب كثيرة ولكن احبها اليه اولاها بالقصد الى طريقه الموصل اليه العاشر ولم تفتله فاتلات الغرور اي لم يهلك عقله لانه في لذات الدنيا عن ربه اذا لم يغفل عن ظاهر منها الحادي عشر ولم تعم عليه مشتبهات الامور اي لم تظلم في وجهه شبهة على حق فيشتبه عليه وخصمه الثاني عشر ظافراً بفرحة البشرى اي ببشرى الملائكة بومئذ بشريكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار الثالث عشر وراحة النعيم والراحة في الدنيا ومتاعها بنعيم الآخرة ونعيم الله يعني الآخرة الجنة الرابع عشر في انعم نومه في اطيب راحته واطلق لفظ النوم على الراحة في الجنة مجازاً اطلاقاً لاسم الملزوم على لازمه الخامس عشر وامن يومه اي امن اوقاته واطلق لفظ اليوم على مطلق الوقت مجازاً اطلاقاً لاسم الجزء على الكل السادس عشر قد عبر معبر العاجلة اي الدنيا حميداً اي محمود الطريقة السابع عشر وقدم دار الآجلة سعيداً اي عمله للآخرة مختصاً على السعادة الابدية وحميداً وسعيداً حالان الثامن عشر وبادر من وجل الى الاعمال الصالحة من وجل خوف الله التاسع عشر واسرع في مهل الى طاعة ربه ايام مهلته وهي حيوته

في بيان الخطبة الغراء

التنبيه العشرون وواسرع طالبا اي كان طلبه لله عن رغبة له الحادي والعشرون ونجا هاربا اي كان نجاته بهربه عما يبعد عن الله
عن هرب من خوف الله وهذا كل قرينتين من هذه العشر السجع المتوازي الثاني والعشرون وراغب يوم معاده اي توقع في ايام حيوته هجوم
اخرته الثالث والعشرون ونظر قدما امامه اي لم يلتفت في نظره عن قصد الله الى غيره ثم نبه بقوله فكفى بالجنة ثوابا ونوالا
على وجوب السعي لها دون غيرها ثم تكون النار عقابا ووبالا على وجوب الهرب منها دون غيرها وكفى بالله منتقما ونصيرا على وجوب
الانقطاع على خشيته والاستعانة به وبقوله وكفى بالكتاب حجيجا اي محجاجا وخصيما على وجوب الانفعال عنه وملاحظة شهادته في الاخرة
على من لم يتبعه ونسب الاحتجاج والخصام الى الكتاب مجازا والمنصوبات بكفى على التمييز وقوله اوصيكم بتقوى الله عود الى الحث على تقوى
الله باعتبار امور ثلثة احدها اعذاره الى الخلق بما انذرهم من العقوبات الثاني احتجاجه عليهم بما اوضح بالادلة وابان الثالث
تحذيره لهم ابليس وقد سبق معناه في الخطبة الاولى وذكر له اوصافا هي كونه نفث في الصدر وخفيا والاشارة به الى النفس الامارة
بالسوء وتجوز بلفظ الصدر وفي القلوب اطلاقا لاسم المكان على المتمكن وكونه نفث في الاذان نجيا وهو اشارة الى ما تلقنه شياطين
الانس بعضهم الى بعض من زخرف القول وغروره وقد سبق ذلك في الخطبة الاولى وكونه اضل اي جذب عن طريق الحق واردى اي فاردا هم
في قرار الجحيم ووعد ومنى اي بلوغ الامال الكاذبة وزين سيئات الجرائم اي قبائح المعاصي وهون موبقات العظائم اي المهلكات من عظيم
الذنوب وتهوينه لها بمثل تمنية التوبة ومسامحة العقل له بقوله ان الله غفور رحيم وبمثل الاقتداء بالغير الذي هو اولى بالعفة مثلا
او اكثر قدرا في الدنيا وسائر اوصاف الوساوس كما عرفت حقيقتها وقوله حتى اذا استدرج قرينته واستغلق رهينته فقرينته هي
النفس الناطقة باعتبار موافقته وهي رهينته باعتبار الخاطئة الذنوب بها من قبله كما يستغلق الرهن بما عليه من المال ولفظ الرهينة
مستعار واسند الخبر لها لتزيينه ما لا يعد خالا وتهوينه ما يطاعة وقوله انكر ما زين الى اخره اشارة الى غاية من وسوسته وتعوذ من
النفس الامارة بالسوء الى موافقتها الحكم العقل في قبح ما كانت امرتها واستعظام خطره ومساعدتها على التحذير منه بالامتناع من خشيته بعد
ان كانت بحثت عليه وتزينته وتؤمن منه وذلك اما عند التوبة وقهر العقل لها او عند معاينة المكروهات الجزئية من العقوبات والالام
اما في الدنيا وبعد المفارقة والحصول في عذاب الجحيم بسبب الاثم الذي زينه من الباطل وذلك ان النفس اذا فارقت البدن حملت معها
القوة المتوهمة فتدرك ما يلحقها من جزئيات العقوبات كعذاب القبر وما يتنوع منه كما سبقت الاشارة اليه وقد يتصور ذلك من شياطين
الانس في تزيينهم الجرائم واما من الشيطان الظاهر فظاهر وفي هذا الفصل وضلال نهيا في صفة خلق الانسان **الفصل الخامس** قوله
ام هذا الذي انشاه في ظلمات الارحام وشغف الاستار نطفة دفاقا وعلقة محاقا وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ثم منحه
قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا ويقصر مزدجرا حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله نفر مستكبرا
وخبط سادرا ماتحا في غرب هواه كادحا سعيا لدنياه في لذات طربه وبدوات اربه ولا يحتسب رزية ولا يخشع تقية فمات في
فتنته غريرا وعاش في هفوته يسيرا لم يفد عوضا ولم يقض مفترضا دهمته فجعات المنية في غبر جماحه وسنن مراحه فظل
سادرا وبات ساهرا في غمرات الالام وطوارق الاوجاع بين اخ شقيق ووالد شفيق وداعية بالويل جزعا ولادمة للصدر قلقا
والمرء في سكرة ملهثة وغمرة كارثة وانة موجعة وجذبة مكربة وسوقة متعبة ثم ادرج في اكفانه مبلسا وجذب منقادا
سلسا ثم القي على الاعواد رجيع وصب ونضو سقم تحمله حفدة الولدان وحشدة الاخوان الى دار غربته ومنقطع
زورته حتى اذا انصرف المشيع ورجع المتفجع اقعد في حفرته نجيا لبهتة السؤال وعثرة الامتحان واعظم ما هنالك بلية
نزول الحميم وتصلية الجحيم وفورات السعير لا فترة مريحة ولا قوة حاجزة ولا موتة ناجزة ولا سنة مسلية بين اطوار الموتات
وعذاب الساعات انا بالله عائذون **اقول** اعلم ان مدار هذا الفصل على وصف حال الانسان من مبدء عمره بالتقصاو وبيان
نعم الله بترديده في اطوار الخلقة وتبكيته بمقابلة نعمها بالكفر والغفلة في متابعة الشيطان وتذكيره بما يكون غايته من حيوته الدنيا
وهو الموت وما يتبعه من احوال الميت بين اهله واقاربه وحاله معه وما يكون بعد الموت من العذاب في القبر والسؤال والحساب وما
ما ينفر طبعه منه ويوجب له الالتفات الى اصلاح معاده وتذكيره به عساه لعله يتذكر او يخشى والشغف بالعين المعجمة جمع شغاف بالفتح وهو
غلاف القلب والدفاق المفرغة والمحاق الناقصة والبافع الغلام المرتفع والسادر اللاهي الذي لا يهتم بشيء والماتح الجاذب للدلو
من البئر والبدوات الخطرات التي تبدو اي تظهر للخاطر ودهمه بالكسر اي غشيه وغبر الشيء بقيته وجماحه سعيه في ركوب هواه والسنا
ثانيا والمتحير واللادم ضارب الصدر وكارثة موجبة لشدة الغم والابلاس اليأس والوجيع من الابل المردد في الاسفار والنضو الذي قد
اهزلته وحفدة الولدان اعوانهم والحشدة بفتح الحاء والشين المجتمعون والمتفجع المتوجع وفي تفصيل هذا الفصل نكت الاولى ام للاستفهام
وهو استفهام في معرض التقريع للانسان وامره باعتبار حال نفسه ووكلا له خلقته على جزئيات نعم الله عليه مع كفرانه لها وكان ام معادلا
لهمزة الاستفهام قبلها والتقدير اليس فيما اظهره الله لكم من عجائب مصنوعاته عبرة ام هذا الانسان وتقلبه في اطوار خلقته وحالاته الى

يوم نشوره كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وفي بعض النسخ او هذا الذي انشاه والمعنى واحد علامات في ملاحظة خلقة الانسان وما جمع فيها من
لطائف الاسرار بعبرة تامة حتى كان عالما مختصرا كما اوما اليه قبل لحكمة وبيان الثانية قبل اول احوال تكون الانسان زبدية الجنين
وانتفاخ يظهر فيه نقاط بيض واول ما يتكون فيه وعاء الروح بفعل الملك المصور ثم يحدث شيء من قبل الطبيعة فتثقب ثقبا اما
فوقها الى القلب فحيث يتخلف محسوسة صارت عرقا ثم تنبسط النطفة في اقطارها وتحدث في الغشاء تقبضا موازيا
لثقب القلب فيها في الرحم تنفتح عند الحيض وتصل ليجعلها مجاري في الغشاء المذكورة يؤدي الى مجرى واحد نافذ الى عمق النطفة
مؤديا الى باطنه الدم في عرقين او عرق النفس في عرقين فاذا تخلقت هذه المجاري منعت النطفة من تغذي الغذاء من فوهات تلك
العروق ونفذت في الصفاق دم يستحيل عن قريب الى جواهر التي وحدت لها خطوط لها مبادي دموية ونقطة اولى هي القلب
ثم لا تزال الدموية تزداد في النطفة حتى تصير علقة وتكون مثل الرغوة في الاكثر لستة ايام وابتداء الخطوط الحمر والنقط بعد الستة
ايام اخرى ثم بعد ستة ايام وهو الخامس عشر من حين العلوق تنفذ الدموية في الجميع فتصير علقة وبعد ذلك باثني عشر يوما تصير
لحما وتتميز قطعة لحم هي المضغة وتتميز الاعضاء الرئيسة وتمتد رطوبة النخاع ثم بعد تسعة ايام ينفصل الراس عن المنكبين والاطراف عن
الضلوع والبطن يتميز الحس في بعضهم ويخفى في بعض حتى يحس به بعد اربعة ايام اخرى تمام الاربعين فيصير جنينا وقد يتم ذلك
في ثلثين يوما وقد يتم في خمس واربعين يوما وقيل العدل في ذلك ان خمسة وثلثون يوما فيتحرك في سبعين يوما ويولد في مائتين
وعشرة ايام وذلك سبعة اشهر واما كان الاكثر خمسة واربعين يوما فيتحرك في تسعين يوما ويولد في مائتين وسبعين يوما
وذلك تسعة اشهر فهذه اشارة الى نقله في ظلمات الرحم بتدبير الملك المقدر والمصور ولو كشف الغطاء لرئيا
هذا التخطيط والتصوير يظهر عليه شيئا فشيئا مع انا لا نرى المصور ولا الة فسبحان المقتدر على ما يشاء **الثالثة** انه انما وصف العلقة
بالمحاق لانها لا نقش عليها بعد صورة شخص الانسان فهي بعد ممحقة **الرابعة** الولد ما دام يرضع فهو رضيع وبعده وليد فاذا
ارتفع قيل يافع فاذا طر شاربه فهو غلام فاذا ادرك فهو رجل والرجولية ثلث حدود الشباب وهو الى تمام النمو وبعده الكهولة وبعدها
الشيخوخة **الخامسة** ذكر الحفظ للقلب واللفظ للسان واللحظ للبصر لان الفوائد هاهنا ذكر غاية تلك الفوائد ومقصودها وهو
ان يفهم الانسان معتبرا اي يستنبط من شواهد الله كلا بل يحل بتدبره وسائر نعوت جلاله ويعبر فيها اي استكمال الفضائل النفسانية
ويقصر مزدجرا اي يكف عما لا ينبغي من موبقات الايام وعن الخوض فيما لا يعنيه مزدجرا عنها **السادسة** قوله حتى اذا تم اعتداله واستوى مثاله
نفر مستكبرا الى اخر الاوصاف تعريض بالمذكورين فيقال ان كثيرا من الناس لا يكون بهذه الصفة مع لا قصد بوعظهم هذه الاحكام والجواب ان
اشارته الى الانسان المطلق الذي هو في قوة البعض لا الانسان العام وذلك ان الاوصاف المذكورة انما صدقت على المطلق على بعض الناس
وذلك البعض هم العصاة المراد تهديده بالاوصاف والتوبيخ بها لهم وفيه تنبيه للباقين على وجوب دوام شكر الله والبقاء على امتثال اوامره
ونواهيه **السابعة** ما يحاكي غرب هو امالا استعار لفظ الغرب لهواه الذي يملا به صحائف اعماله من الاثام كما يملاء ذو الغرب
غربه من الماء ووجه تلك الاستعارة نبه الغرب **الثامنة** المنصوبات العشر من نطفة وعلقة وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ومعتبرا
ومزدجرا ومستكبرا وسادرا وماتحا وكادحا وعزيزا مبلسا ومنقادا وسلسا ودنيا وهب وضنو سقم ونجيا كلها احوال والعامل في
كل حال ما يليه من الافعال وسعيا اما مفعول به والعامل كادحا او مصدر استغنى عن ذكر فعله وبيدا صفة ظرف محذوف اي يمشي
مقامرا اي زمانا يسيرا وروي يسيرا فعلى هذا يكون حالا او جزعا وقلقا ونقيه مفعول له واستعار لسبيل العاصي على الرواية الثانية لوجه
المشابهة ان صاحب الزلة يقوده هواه الى هواه كما ينقاد الابل الى ما يكره هنالك **التاسعة** لم يفد عوضا اي لم يستفد في الدنيا عوضا
يعوض منها في الاخرة والعوض الذي ضيعه هو الكمالات التي خلق ليستفيدها وفرضت عليه والجذبة المكربة اي جذب الملائكة للروح
كما قال تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم الاية وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال
ان المؤمن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة ارجعي
الى ربك راضية مرضية الى روح الله وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وبعث بها الى عليين
وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة ارجعي ساخطة مسخوطا عليك الى
هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وكان لها نشيش ويطوى عليها ذلك المسح ويذهب بها الى سجين واعلم ان تلك
الجذبة تعود الى ما يجده الميت حال النزع وهو عبارة عن الم ينزل بنفس الروح يستغرق في جميع اجزائه المنتشرة في اعماق البدن وليس هو كسائر ما
يجده الروح المختص ببعض الاعضاء كعضو شاكته شوكة ونحوه لاختصاص ذلك بموضع واحد فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه
وهو المجذوب من كل عرق وعصب وجزء من الاجزاء ومن اصل كل شعرة وبشرة للانسان عن بدن يجري فيه كل عرق من عروقه فقد يمثل
ذلك بجرة شوك كانت داخل البدن ثم جذبت منه فهي الجذبة المكربة ولما كان موت كل عضو من البدن عقيب الامراض التي ربما طالت

فقد سلت

في بيان الخطبة الغراء

فتلك هي السوقة المتعبة **الحادي عشر** قوله رجيع وصب ونضو سقم استعار وصفي الجمل فالرجيع باعتبار كونه قد تردد في اطوار المرض وتواتر عليه
كما يرجع الجمل في السفر مرة بعد اخرى ولفظ النضو باعتبار نحوله من السقم كما يحل الاسفار الجمل **الثانية عشر** قوله وحيدا في حفرته نجيا
لبهتة السؤال الى آخره **اقول** القول بعذاب القبر وسؤال منكر ونكير حق مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لعمر بن الخطاب كيف بك اذا
انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا
عليك التراب فيدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف
يجران اشعارهما ويحثان القبر بانيابهما فيتلتلانك ويترترانك فيقولان لك من ربك ومن نبيك وما دينك كيف بك عند ذاك
يا عمر فقال عمر ويكون معي عقلي الآن قال صلى الله عليه وآله نعم قال اذن اكفيكهما وقد وصفهما عنه صلى الله عليه وآله انهما ملكان اسودان
ازرقان احدهما منكر والآخر نكير واعلم ان الايمان بما جاء من ذلك على ثلث مراتب **احدها** وهو الاظهر الاسلم ان تصدق بانها موجودة
وان هناك ملكين على الصورة المحكية وحيات وعقارب تلدغ الميت وان كنا لا نشاهدها اذ لا تصلح هذه العين لمشاهدة الامور الملكو
الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت كما كانت الصحابة يؤمنون بنزول جبرئيل وكان النبي صلى الله عليه وآله يشاهده وان لم يكونوا يشاهدونه
وكان جبرئيل لا يشبه الناس فكذلك منكر ونكير وفعلهما والحيات والعقارب في القبر ليس من جنس حيات عالمنا فتدرك بمعنى آخر **المقام الثاني**
ان يتذكر ما قد يراه النائم من صورة شخص هائل يضربه او ينهشه او حية تلدغه وقد يتألم بذلك حتى تراه في نومه يصيح و
يعرق جبينه وينزعج من مكانه كل ذلك يدرك من نفسه ويشاهده ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى
حوله شخصا ولا حية والحية موجودة في حقه متخيلة له ولا فرق بين ان يتخيل عدوا او حية او يشاهده **المقام الثالث** ان تعلم ان
منكرا ونكيرا وسائر احوال القبر غاية الايلام والالم في حقه ليس هو الشخص المشاهد ولا الحية بل الحاصل منه من العذاب لنفس العاصية
اذا فارقت البدن حملت القوة المتخيلة معها ولم تتجرد عن البدن متنزهة عن الهيئات البدنية والاخلاق الرديئة المهلكة من الكبر والريا
والحسد والحقد والحرص وغيرها وهي عند الموت عالمة بمفارقة البدن متوهمة لنفسها الانسان الذي مات وعلى صورته كما كان
في الرؤيا يتخيل ويتوهم بدنها مقبورة ويتخيل الآلام الواصلة اليها عن كل خلق ردي على سبيل العقوبة الحسية لها كما قررته الشريعة الصادقة
والغريزة في الاذهان عنها على صورة شخص منكر هائل الصورة يعنف في السؤال ويبهته بسوء منظره وهول اصواته ويحجبه فيتلجلج لسانه
فيضربه ويعذبه على حال شنيعة به فان كانت النفس سعيدة تخيلت اللذات الحاصلة لها من كل خلق حسن وعمل صالح قد تشخص في صورة ملا
في ما كانت تعتقده مما كان وصف لها من صور اشخاص بهيئة تدخل عليهم وتتلقاهم بالبشارة كمبشر وبشير وسائر الملائكة الذين يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم ومن فسحة القبر والروح والريحان وشبهها او عدمه فهذا عذاب القبر وثوابه واليه الاشارة بقول الرسول صلى الله عليه وآله القبر
روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار فان قلت لم جعل اول داخل على الانسان في قبره سواء كان سعيدا او شقيا ملكين ولم يكن ثلثة
او واحدا مثلا قلت قال بعض العلماء انه لما كانت السعادة والشقاوة الحاصلتين للنفس انما يحصل من جهة قوتين نظرية وعملية بها جعل ما
يكتسب عن كل واحدة منهما ملكا فان كان المكتسب بهما مركبا وذائل اخلاق فمنكر ونكير وان كان علما ومكارم فمبشر وبشير والله اعلم باسرار شريعته
واعلم انك متى تصورت معنى ثواب القبر وعذابه في المقامات تصورت معنى ثواب الجنة وعذاب النار **الثالث عشر** لا فترة مريحة
ولا قوة حاجزة يجري مجرى بيان لوعيد الناطقة بالخلود وهي مخصوصة بالكفار الذين لا سكن لنفوسهم بعالم الملكوت ونحوه قوله
نعم ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون واما انه ليس لهم قوة حاجزة فلان القوة الحاجزة بينهم وبين العذاب مقصورة
في حقهم وهي التمسك بالله تعالى وسجية الالتفات الى عالم الغيب والملأ الاعلى واما عدم الموتة الناجزة فلان الانسان غير قابل للفساد مطلقا
كما علم ذلك في موضعه واما سلب السنة عنهم فاشارة الى شدة الالم وما يلقونه من اليم العذاب لما ان الالم الشديد يستلزم عدم النوم
فلا سلوة اذن بين حالات سكرات العذاب واطلاق لفظ الموتات مجاز في شدة العذاب اطلاقا لاسم الغاية على ما يصلح غاية له وقد لاحظ
في اكثر هذا الفصل السجع المتوازي وبالله التوفيق **الفصل الثاني** قوله عباد الله اين الذين عمروا فنعموا وعلموا ففهموا وانظروا فلهوا
وسلموا فنسوا امهلوا طويلا ومنحوا جميلا وحذروا اليما ووعدوا جسيما احذروا الذنوب المورطة والعيوب المسخطة اولي
الابصار والاسماع والعافية والمتاع هل من مناص او خلاص او معاذ او ملاذ او فرار او محار ام لا فانى تؤفكون ام اين تصرفون
ام بماذا تغترون وانما حظ احدكم من الارض ذات الطول والعرض قيد قده متعفرا على خده الآن عباد الله والخناق مهمل و
الروح مرسل في فينة الارشاد وراحة الاجساد ومهل البقية وانف المشية وانظار التوبة وانفساح الحوبة قبل الضنك[٢] والروع ٠ الصنو
والزهوق وقبل قدوم الغائب المنتظر واخذة العزيز المقتدر **اقول** وقد علمت في الاخر خلاصته منها المناص الملجأ والمحار المرجع
وافك صرف وعيد وقده مقدار قامته والمعفر المترب والعفر التراب والخد الجنب وانف الشي اوله والحوبة الحاجة والمسكنة والضنك
الضيق ومدار هذا الفصل على فوائد **الاولى** التنبيه والتقريع على كفران جملة من نعم الله منها ان عمرهم فنعموا وعلمهم ففهموا وانظرهم وسلمهم

ص الانفاد ٠

في ذكر عمرو بن العاص

من الآفات فامهلهم طويلا ومنهم الجميل محمد تم اليم العذاب ووعدهم وعدا حسنا ومن كفرانهم لتلك النعم ان اشتغلوا بلذات الدنيا عن
اوامره ونواهيه الى لذات البدن ونسوا ما ذكروا به ورغبتهم اليه **الثانية** التحذير من الذنوب الموبقة في موارد الهلكة وانواع العذاب
ثم من العيوب المسخطة لله وهي اكتساب رذائل الاخلاق **الثالثة** تنبيه اولي الابصار والاسماع والعافية والمتاع في الدنيا على انه لا
مناص اي من امر الله ولا خلاص اي من عذابه لمن حصل فيه وكذلك لا معاذ ولا ملاذ منه لمن استعاذ به ولا فرار اي من حكمه ولا رجوع اي نحو
بعد الموت وانما خص اولي الابصار والاسماع والعافية لكونهم اهل التكاليف الشاملة والمعقول داخل في اشارته بالابصار والاسماع
مجازا واولي العافية وانما خص اولي المتاع لان اهل الاستمتاع بالدنيا هم الجبن ويعرضون عنها من جهة اشتغالهم بمتاعها عن سلوك سبيل
الله وهل استفهام عن الامور المذكورة على سبيل الانكار لها ثم استفهم عن وقت صرفهم وعن مكان ذلك على سبيل التقريع لهم ثم قال
تهتدون ... قضاء الله في ترك اوامره على سبيل الانكار للاعتذار ابتداءا معادلة لهل الاستفهامية **الرابعة** التذكير بامر القبر
وتعفير الخد فيه مما هو منفور عنه طبعا وفيه تنبيه على وجوب الانتهاء عن الاستكثار من متاع الدنيا وجنابها لوجوب مفارقتها
وانه لا نصيب لمحصلها منها الا مقدار قامته وهو كما نبه عن قبره **الخامسة** التنبيه على وقت العمل والاحوال التي يمكنهم فيها وكنى
بالآن عن زمان الحيوة الدنيا وبالخناق عما يوخذ به اعناق النفوس الى باريها وهو الموت كناية بالمستعار ووجه المشابهة كون كل واحد
منهما مكروها منقادا به الى مكروه ورشح الاستعارة بذكر الاهمال وكنى به عن مدة الامهال في الحيوة الدنيا وكذلك اراد بارسال الروح مالها
ويكون ذلك الارسال في حتفه الارشاد اي في زمان ارشاد النفوس وطلبها لما تستعد به من الكمال للقاء الله وروح الكرم وشاد اي
ارشاد النفوس الى سبيل الله وحينئذ السعادة الابدية وكذلك مهل البقية اي بقية الاعمار **السادسة** قوله وانف المشية اي اول الارادة
للنفوس وذلك انه ينبغي ان يكون اول وقت الانشاء واول ميول طلب الطاعة لله والانقياد لاوامره ليكون ما يرد على لوح نفسه من
الكمالات المسعدة في الآخرة واردا على لوح صاف عن كدر الباطل وانه متى عكس ذلك فجعل اول ميوله واراداته لمعاصي الله تنور وجه نفسه
بملكات السوء فلم يكد يقبل بعد ذلك الاستضاءة بنور الحق فكان من الاخسرين عملا **السابعة** انتظار التوبة اي امهال الله للعصاة ولما
كان غرض العناية الالهية سوق كل ناقص الى كماله حسن ان يعبر عن بقاء العاصي بانتظار للتوبة **الثامنة** وانفساح الحوبة اي اتساع
زمان العمل الخالص في الآخرة والانصار فيكفيه فيها ادنى ... وذلك لان كل حاجة فرضها الانسان في الدنيا فقد لا يكون في محل الضرورة
والضيق الكلي منها وان كانت في محل الضرورة لكنها في مظنة ان يرجى زوالها بخلاف الحاجة والضرورة في الآخرة الى صالح الاعمال فانها
لا يمكن زوالها بعد المفارقة ولا متسع للعمل الا في الدنيا وكان اهلها منها في شدة ضرورة واضيق حال وافظع صورة واشار بالضنك والضيق
الى حصار الانسان في غلاف الحضانات البدنية وبحبس جهنم وبالروع والزهوق الى الفزع الاكبر من اهوال الموت وما بعده **التاسعة**
الغائب المنتظر كما يرعى الموت وقدومه هجومه ولما استعار لفظ الغائب لشبهه بما ينتظر رشح تلك الاستعارة بلفظ القدوم
العاشرة اخذة العزيز المقتدر بذكر جذب الارواح بحكم قدرة الله العزيز الذي لا يجحفه ... قاهر المقتدر الذي لا امتناع له لقدرته
قادر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في ذكر عمرو بن العاص عجبا لابن النابغة يزعم لاهل الشام ان في دعابة واني امرؤ تلعابة
اعافس وامارس لقد قال باطلا ونطق اثما اما وشر القول الكذب انه ليقول فيكذب ويعد فيخلف ويسأل فيلحف ويسأل
فيبخل ويخون العهد ويقطع الال فاذا كان عند الحرب فاي زاجر وآمر هو ما لم تأخذ السيوف مآخذها فاذا كان ذلك كان اكبر
مكيدته ان يمنح القوم سبته اما والله انه ليمنعني من اللعب ذكر الموت وانه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة انه لم يبايع معاوية حتى
شرط له ان يؤتيه اتية ويرضخ له على ترك الدين رضيخة **اقول** تبع الشيء ... وسميت ام عمرو النابغة لشهرتها بالفجور وتظاهرها به
والدعابة المزاح والتلعابة كثير اللعب والتاء للمبالغة والمعافسة المداعبة والممارسة المعالجة بالصراع والقرص ونحوه والال القرابة وسبته
سوءته والاتية العطية والورد واحد وكذلك الرضيخة واعلم ان في هذا الفصل ثلثة فصول **الاول** ذكر دعوى عمرو في حقه من كونه لعابا بامراحا
يكثر المعالجة والصراع ونحوه وكره هذه الدعوى مصدرة بالتعجب من صدورها في حقه وخصوصا بالكذب لمدعيها والرد لها وذلك قوله عجبا
الى قوله ونطق اثما وباطلا وصف المصدر واثما حال وانما اكتفى في ... لان من عادة العرب التنسيب الى الام اذا كانت مشهورة بشرف او خسة
ونحوها واعلم انه قد كان يصدر عنه المزاح بالقدر المعتدل الذي لا يخرج به الى حد رذيلة الافراط فمن ذلك ما روي انه كان راكبا
يوما على دابة من الارض وكان ابو هريرة جالسا معه واحد منه لقمة وحده عن [illegible] فالتفت اليه ابو هريرة فتبسم فقال ابو هريرة هذا الذي
اخرك عن الناس فقد علمت ان ذلك من توابع حسن الخلق ولين الجانب وهو اذن فضيلة وليس برذيلة والمدعى لعمرو انما هو صدور في ذلك
الى حد الافراط الذي يصدق عليه انه تلعابة وروى انه كان يقول لاهل الشام انما اخرنا عليا لان فيه هزلا لا احلى معه ونحوه ما كان
يقول ابوه العاص لرسول الله صلى انه ساحر ومن اشبه اباه فما ظلم وتكذيبه لعمرو انما هو فيما ادعاه من الخروج الى اللعب وما اصل المزاح فلم ينكره
وكيف وقد كان يصدر عن رسول الله صلى كما روي انه قال يوما لعجوز ان العجائز لا يدخلن الجنة فبكت فتبسم وقال ان الله يجعلهن شوابا ثم

يدخلون الجنة فاهل الجنة شباب بجزئهم بذلك الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وكان يقول امزح ولا اقول الا حقا الثاني قوله اما والله اني
القول الى قوله سلبه ويشتمل على ذكرنا اجتمع في هذا الفصل من الرذائل التي توجب بغضه وسقوط دعواه لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم
فاسق بنباء فتبينوا الاية وذكر من تلك الرذائل خمسا الاولى الكذب بحكم كونه شر القول وانه بمعنى مطلقه في الدين والدنيا اما الدين
فللمنقول والمعقول اما المنقول فقول الرسول صلى الله عليه الكذب راس النفاق واما المعقول فلان الوجدان شاهد بان الكذب مما يسود لوح
النفس ويمنعها ان ينتقش بصور الحق والصدق ويفسد المنامات والالهامات واما الدنيا فلانه سبب عظيم لخراب البلاد وقتل النفوس
وسفك الدماء وانواع الظلم ولذلك اتفق اهل العالم من ارباب الملل وغيرهم على تحريمه وادعى المخبر بخبره بالضرورة وهو رذيلة
مقابلة للصدق داخلة تحت رذيلة الفجور الثانية الخلف في الوعد الثالثة الغدر في العهد وخيانته وهاتان رذيلتان مقابلتان
للوفاء داخلتان تحت رذيلة الفجور ايضا والغدر يستلزم رذيلة الخبث وهو طرف الافراط من فضيلة الذكاء وهما يستلزمان الكذب ايضا
الرابعة قطع الرحم وهي رذيلة الافراط من فضيلة صلة الرحم وحقيقتها عدم مشاركة ذوي اللحمة في الخيرات التي تتوفر وهي رذيلة تحت الظلم
مستلزمة للبخل الخامسة رذيلة الجبن وهي طرف التفريط من فضيلة الشجاعة ونبه عليها بقوله فاذا كان عند الحرب فاي زاجر
وامر هو الى قوله سبته وعين تبينه على تمام دناءة همته ومهانة نفسه اذ كان من على الهمة وشهامة النفس لا يعرض من فراغ الافراط الى التخلص من الموت
باقبح فعل يكون من كشف سوءته وبقاء ذلك سبة في عقبه على مر الدهور والدناءة والمهانة رذيلتان تحت الجبن وقوله فاي
زاجر وامر هو استفهام على سبيل التعجب والانكار في امره ويقبحه وذكره في معرض الذم هنا وان كان من المدائح لغرض ان يرد به الغاية
ليكون ذلك خارجا مخرج الاستهزاء فيكون ابلغ وقعا في النفوس واشد عارا عليه اذ كان الامر والنهي في الحرب مما يحسن ممن اشتهر
بالشجاعة والاقدام لا ممن يامر وينهى فاذا اشتد القتال فر فرار الحمار من السبع واجتهد في البقاء ولو بافحش مذمة فان عدم الامر والنهي
والمقول بمثل هذا النهي اولى من وجوده هنا وكان ابا الطيب حكى صورة حاله اذ قال واذا ما خلا الجبان بارض طلب الطعن وحده
والنزالا واما صورة هذه الرذيلة منه فروي ان عليا عم حمل عليه في بعض ايام صفين فلما تصور انه قاتله القى نفسه عن فرسه وكشف
سوءته مواجها له عم فلما راى ذلك منه غض بصره عنه وانصرف عمرو مكشوف العورة ونجا بذلك فصار مثلا لمن يدفع عن نفسه مكروها
بارتكاب المذلة والعار وفيه يقول ابو فراس ولا خير في دفع الاذى بمذلة كما ردها يوما بسوءته عمرو وعرض مثل ذلك لبسر بن ارطاة معه
فانه حمل اليه فسقط بسر على قفاه ووقع رجلاه فانكشفت عورته فصرف عم وجهه عنه فلما قام سقطت البيضة عن راسه فصاح اصحابه
يا امير المؤمنين انه بسر بن ارطاة فقال ذروه لعنه الله فلقد كان معوية اولى بذلك منه فضحك معوية وقال لا عليك يا بسر ارفع طرفك
ولا تستحي فلك بعمرو اسوة وقد اراك الله منه واراه منك فصاح فتى من اهل الكوفة ويلكم يا اهل الشام اما تستحيون لقد علمكم
عمرو كشف الاستاه ثم انشد افي كل يوم فارس ذو كريهة له عورة وسط العجاجة بادية يكف لها عنه علي سنانه ويضحك منها في الخلاء
معوية بدت امس من عمرو فقنع راسه وعورة بسر مثلها حذو حاذيه فقولا لعمرو وابن ارطاة ابصرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه ولا
تحمدا الا الحياء وخصاكما هما كانتا والله للنفس واقيه ولولاهما لم تنجوا من سنانه وتلك بما فيها عن العود ناهيه وكان بسر ممن يضحك من عمرو
فصار ضحكة لهما الثالثة نبه بحجر ونبه ما ادعى عمرو في حقه وهو مستند للعزوم ذكر وجهين احدهما يرجع اليه وهو انه عم دائم الذكر للموت
والتفكر في احوال المعاد والوجدان شاهد بان المستكثر من اخطار الموت عليه يكون ابدا قصير الامل وجلا من الله منتظرا لهجوم الموت
عليه مشغولا بذلك عن الالتفات الى خطط الشهوات من اللعب ونحوه فكيف يتصور اللعب ممن هذه حاله الثاني يرجع الى حال عمرو وهو
انه ممن نسي الاخرة وظاهر ان نسيانها مستلزم للكذب وسائر وجوه خداع ابناء الدنيا عنها بالمكر والحيلة وما لا ينبغي من مناهي الله
ومن كانت هذه حاله كيف يوثق بقوله ثم نبه بقوله ولم يبايع معوية الى اخره على بعض لوازم نسيان الاخرة وهو اخذه لبيعته وقتال
الامام الحق الذي يخرج به عن ربقة الدين عوضا وثمنا وذلك لعطية هي مصر كما سبقت الاشارة اليه وبالله العصمة والتوفيق ومن

خطبة له عليه السلم وَاَشْهَدُ اَنْ لا اِلٰهَ اِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ الاَوَّلُ لا شَيْءَ قَبْلَهُ وَالاٰخِرُ لا غَايَةَ لَهُ لا تَقَعُ الاَوْهَامُ
لَهُ عَلٰى صِفَةٍ وَلا تَعْقِدُ القُلُوبُ مِنْهُ عَلٰى كَيْفِيَّةٍ وَلا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ وَلا تُحِيطُ بِهِ الاَبْصَارُ وَالقُلُوبُ **اقول**

هذا الفصل يشتمل على اثبات ثماني صفات من صفات الجلال الاولى الوحدانية مؤكدة بنفي الشركاء وذلك قوله لا شريك له
وقد اشرنا الى معقد البرهان العقلي على الوحدانية ولما لم تكن هذه المسئلة مما يتوقف اثبات النبوة عليها جاز الاستدلال فيها بالسمع
كقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله والهكم اله واحد لا اله الا هو الثانية اثبات كونه اولا غير مسبوق بالغير الثالثة اثبات
كونه اخرا غير منته وجوده الى غاية يقف عندها وقد سبق البحث عنهما مستقصى ونفي قبلية شيء له والغاية عنه تاكيد لذلك الرابعة من
السلوب انه لا تلحقه الاوهام فيقع منه على صفة وقد علمت فيما سبق ان الاوهام لا تصدق حكمها الا فيما كان محسوسا او متعلقا بمحسوس فاما
الامور المجردة من علائق المادة والوضع فالوهم ينكر وجودها اصلا فضلا ان يصدق في اثبات صفة لها وانما الحاكم باثبات صفة له

ج
٣٠

في ذكر صفة الجنة

الفصل الثالث وقد علمت ان ما يثبته منها البيت حقيقة خارجية بل امورا اعتبارية يحدثها عقولنا عند مقايسته الى الغير لا يفهم من هذا
انما يثبت له صفة بل معناه ان الاوهام لا يصدق حكمها في صفته تع الخامسة كونه تع لا يعقل له كيفية يكون عليها وبيان ذلك بيتا
معنى الكيفية فنقول انها عبارة عن هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها قسمة ولا نسبة لما بينا انه تع ليس له صفة تزيد على
ذاته وهي محل لها استحال ان يعقلها القلوب منه على كيفية السادسة كونه تع لا ينالها التجزية والتبعيض وهو اشارة الى نفي
الكمية عنه اذ كانت التجزية والتبعيض من لواحقها وقد علمت ان الكم من لواحق الجسم والباري تع ليس بجسم وليس بكم فليس بقابل
للتبعيض والتجزية ولان كل قابل لهما منفعل عن غيره والمنفعل عن الغير ممكن على ما مر السابع كونه تعالى لا يحيط به الابصار وهو
كقوله تع لا تدركه الابصار وهذه المسئلة مما اختلف فيها علماء الاسلام وقد سبق بيانها الكلام وخلاصته ان المدرك بحاسة
البصر بالذات انما هو الالوان والاضواء وبالعرض المتلون والمضيء ولما كان اللون والضوء من خواص الجسم وكان تع منزها عن
الجسمية ولواحقها وجب كونه منزها عن الادراك بحاسة البصر الثامنة كونه تع لا يحيط به القلوب المراد العقول البشرية
قاصرة عن الاحاطة بكيفية ذاته المقدسة وقد سبق تقرير ذلك وبالله التوفيق اقول فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع واعتبروا بالاي
السواطع وازدجروا بالنذر البوالغ وانتفعوا بالذكر والمواعظ فكان قد علقتكم مخالب المنية وانقطعت منكم علائق الامنية
وهمتكم منقطعات الامور والسياقة الى الورد المورود وكل نفس معها سائق وشهيد سائق يسوقها الى محشرها وشاهد
يشهد عليها بعملها اقول الاي جمع اية والساطع المرتفع والنذر جمع نذير ومقطعات الامور شدائدها والورد المورود
وفي هذا الفصل فوايد الاولى الامر بالاتعاظ بالعبر النوافع واسم العبرة حقيقة في الاعتبار وقد يطلق مجازا اينما يعتبر به
ويحتمل ان يراد هيهنا اطلاقا لاسم الحال على المحل والاتعاظ سبب حقيقة وثمرة اما سببه فالنظر في اثار الماضين وتدبر
قصصهم وتصرف قضاء الله فيهم وتقلب احوالهم وهو الاعتبار اما حقيقته فالخوف الحاصل في نفس المعتبر من اعتباره وتاثره عن
ان يلحقه ما لحقهم اذ هو مثلهم واولى بما لحقهم واما ثمرته فالانزجار عن مناهي الله واجابة داعيه والانقياد لسلوك سبيله
الثانية الامر بالاعتبار بالاي السواطع وهو ارداف للامر بالاتعاظ بالامر بسببه واراد بالاي ايات اثار الله وعجائب مصنوعاته
او ايات القران المعجزة والنذورة واستعار لها لفظ السطوع ووجه المشابهة ظهور اشراق انوار الحق منها على مرايا قلوب عباد
الله كاشراق نور الصبح وسطوعه وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول واعتباره بها انتقال الذهن فيها في مقام النظر والاستدلال
كما سلف بيانه الثالثة الامر بالانزجار بالنذر البوالغ وهو امر بغاية الاتعاظ والنذر هي زواجر الله ووعيده التي بلغت حد
الكمال في التخويف والزجر عند اعتبارها الرابعة الامر بالانتفاع بالذكر والمواعظ وهو امر بتحصيل ثمرة الذكر والموعظة عنها
وختم هذه الاوامر بذكر الانتفاع ترغيبا وحثا للنفوس الى الذكر وقبول المواعظ الخامسة التخويف والتذكير بالموت وما يتبعه
ليبادروا الى امتثال الاوامر السابقة فقوله فكان قد علقتكم مخالب المنية استعار لفظ المخالب للمنية استعارة بالكناية
ورشح بذكر العلوق ملاحظا في ذلك تشبيه المنية بالسبع الذي يهجم ويتوقع افتراسه وكان مخففة من كان واسمها ضمير
الشان ويحتمل ان يكون ان الناصبة للفعل دخلت عليها كاف التشبيه وقوله وانقطعت عنكم علائق الامنية اشارة الى انقطاع
عن الميت بانقطاع امله عن مال وجاه وساير ما كان يتعلق به امله من علائق الدنيا ومتاعها وقوله وفدهمتكم مقطعات
الامور اشارة الى ما يهجم على الميت من سكرات الموت وما يتبعها من عذاب القبر واهوال القيمة الاخرة وقوله والسياقة الى الورد المورود
فالسياقة هي السوقة المتعبة التي سلف ذكرها والورد المورود هو المحشر وقوله وكل نفس معها سائق وشهيد اقتباس للاية
وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فالسائق الذي يسوقها الى المحشر هو حكم القضاء الالهي واسباب الموت القريبة
الحاكمة على النفس برجوعها الى معادها فان كانت من اهل الشقاوة وفيها لها من سوقة متعبة وجذبة مزعجة وسيق الذين كفروا
الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم الاية وان كانت من اهل السعادة ساقها سائق
رؤوف سوقا لطيفا ويوردها ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها
وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين واما الشاهد عليها بعملها وقد سبقت الاشارة اليه
وبالله التوفيق منها في صفة الجنة درجات متفاضلات ومنازل متفاوتات لا ينقطع نعيمها ولا يظعن مقيمها ولا يهرم
خالدها ولا ييأس ساكنها اقول اعلم ان الذ ثمار الجنة هي المعارف الالهية بالنظر الى وجه الله ذي الجلال والاكرام والسعد
في الوصول الى نيل هذه الثمرة على مراتب متفاوتة درجات متفاضلة فالاولى مرتبة من اوتي الكمال في حدس القوة
النظرية حتى استغنى عن معلم بشري راسا واوتي مع ذلك ثبات قوته المتفكرة واستقامة وهمه متقادا تحت قلم العقل
فلا يلتفت الى العالم المحسوس بما فيه حتى يشاهد العالم المعقول بما فيه من الاحوال ويشبهها في اليقظة فيصير العالم وما يجري

منها

وقت خطبة عليه السلام

بيان طريق السعادة

في بيان بعض أوصاف الحق

فيه متمثلا في نفسه فيكون لقوته النفسانية ان يؤثر في عالم الطبيعة حتى ينتهي الى درجة النفوس السماوية وتلك هي النفوس القدسية اولات المعارج وهم السابقون اولئك المقربون وهم افضل النوع البشري ولحقها على درجات السعادة في الجنة المرتبة الثانية مرتبة من له الامرات الاولى دون الثالث الذي عن الثانية في عالم الطبيعة وهذه مرتبة اصحاب اليمين وتحتها مراتب فاحدها مرتبة من له استعداد طبيعي لاستكمال قوته النظرية دون العملية الثاني مرتبة من اكتسب ذلك الاستكمال في قوته النظرية اكتسابا تكلفيا دون تهيؤ طبيعي ولا حصة له في امر القوة العملية الثالث مرتبة من تيسر له تهيؤ طبيعي ولا اكتساب تكلفي في قوته النظرية ولذلك التهيؤ في قوته العملية الرابع مرتبة من له تكلف في اصلاح الاخلاق واكتساب الملكات الفاضلة دون تهيؤ كذلك اذا عرفت ذلك فاعلم ان للمقربين البالغين في الملكات الشريفة لذات عظيمة في الجنة فقد فازوا بنعيم الابد والسرور الدائم في حضرة جلال رب العالمين في مقعد صدق عند مليك مقتدر غير محجوبين عن لذاتهم لهم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وهم فيها خالدون كما قال عليه السلام مقيمها مجرد عن عوارض الابدان وشوائب المواد مبرأ عن مزاحمة القوى المتغالبة المضادة المؤدية الى الهرم والموت مكتحلين بانوار الساطعة ينظرون الى ربهم بوجوههم المفارقة واما اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين ولهم لذات دون الوصول الى مرتبة السابقين وقد يخالط لذات هؤلاء شوب من لذات المقربين كما اشير اليه في التنزيل الالهي في وصف شراب الابرار ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ولكل من المراتب كمال يخصه ودرجة من السعادة في الجنة تخصها كما قال هم درجات عند الله وقال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال لهم غرف مبنية من فوقها غرف تجري من تحتها الانهار واذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن فنقول اما قوله لا ينقطع نعيمها فلقوله تعالى اما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ وقوله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد ولان الكمال الذي حصل للانسان فاستحق به سعادة في الجنة ملكات ثابتة في جوهره لا تزول ولا تتغير ومهما دام استحقاق القابل الجواد الله ونعمته وجب دوام ذلك الجود وفيض تلك النعمة اذ هو الجواد المطلق الذي لا بخل من جهته ولا منع واما قوله ولا يظعن مقيمها فلقوله تعالى لهم جنات النعيم خالدين فيها ابدا وقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ولان النعيم الابدي مطلوب بالذات غير ممنوع منه فلا يكون مهروبا عنه بالذات واما قوله ولا يهرم خالدها ولا ييأس ساكنها اي لا يصيبه بؤس فلان الهرم مستلزم للتعب والنصب كما ان البؤس عن الضعف وهذه اللوازم منفية عن اهل الجنة لقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وبانتفاء هذه اللوازم ينتفي عنهم ملزومها وهو الهرم وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام وفيها فصول **الاول** قوله قد علم السرائر وخبر الضمائر له الاحاطة بكل شيء والغلبة لكل شيء والقوة على كل شيء اقول هذا الفصل يشتمل على بعض اوصاف الحق سبحانه **الاول** كونه عالما بالسرائر وهو كقوله يعلم سركم ونجواكم **والثاني** كونه خبيرا بالضمائر وهو قريب من الاول فان العالم بالسرائر الخبير هو الذي لا يعزب عنه الاخبار الباطنة ولا تضطرب نفس ولا تسكن الا ويكون عنده خبرها وذلك بعينه هو العالم مضافا الى السرائر والخفايا الباطنة وان كان مطلق العلم اعم **والثالث** كونه محيطا بكل شيء وهو اشارة الى علمه بكليات الاشياء وجزئياتها وعليه اتفاق جمهور المتكلمين والحكماء اما المتكلمون فظاهر واما المحققون من الحكماء فملخص كلامهم اجمالا في كيفية علمه انه يعلم ذاته بذاته ويتحد هناك المدرك والمدرك والادراك ولا يتعدد الا بحسب الاعتبارات العقلية التي تحدثها العقول البشرية واما المعلولات القريبة منه فيكون باعيان ذواتها ويتحد هناك المدرك والادراك ولا يتعددان الا بالاعتبار العقلي ويغايرهما المدرك واما المعلولات البعيدة كالماديات والمعدومات التي من شانها امكان ان توجد في وقت وتتعلق بموجود فيكون بارتسام صورها المعقولة في المعلولات القريبة التي هي المدركات لها اولا وبالذات وكذلك الى ان ينتهي الى ادراك المحسوسات بارتسامها في الات مدركاتها قالوا وذلك لان الموجود الحاضر حاضر والمدرك للحاضر مدرك لما يحضر معه فانه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر لكون ذوات معلولاته القريبة مرتسمة بجميع الصور وهي التي يعبر عنها تارة بالكتاب المبين وتارة باللوح المحفوظ وتسمى عندهم عقولا فعالة **الرابع** كونه غالبا لكل شيء **الخامس** كونه قويا على كل شيء وهما اشارتان الى وصف قدرته بالتمام على كل مقدور فان القوة عليها والغلبة لها من تمام القدرة ويفهم من الغالب زيادة على القوي يعود الى معنى القاهر وقد سبق بيانه واما بيان صدق هاتين القضيتين فمبني على انه تعالى مبدأ كل موجود وان كل ممكن مفتقر في سلسلة الحاجة اليه وقد فرغ من ذلك الكتب الكلامية **الفصل الثاني** قوله فليعمل العامل منكم في ايام مهله قبل ارهاق اجله وفي فراغه قبل اوان شغله وفي متنفسه قبل ان يؤخذ بكظمه وليمهد لنفسه وقدمه وليتزود من دار ظعنه لدار اقامته فالله الله عباد الله فيما استحفظكم من كتابه واستودعكم من حقوقه فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى ولم يدعكم في جهالة ولا عمى قد سمى آثاركم وعلم اعمالكم وكتب

في بيان علمه تعالى بالاشياء

في بيان الخطبة المشتملة على المواعظ والنصائح

نبأكم وأنزل عليكم الكتاب تبياناً وعمّر فيكم نبيه أزماناً حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه دينه الذي رضي لنفسه وأنهى إليكم على لسانه محابّه من الأعمال ومكارهه ونواهيه وأوامره فألقى إليكم المعذرة واتخذ عليكم الحجة وقدّم إليكم بالوعيد وأنذركم بين يدي عذاب شديد فاستدركوا بقية أيامكم واصبروا لها أنفسكم فإنها قليل في كثير الأيام التي تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة ولا ترخصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة ولا تداهنوا فيهجم بكم الإدهان على المعصية عباد الله إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه وإن أغشهم لنفسه أعصاهم لربه والمغبون من غبن نفسه والمغبوط من سلم له دينه والسعيد من وعظ بغيره والشقي من انخدع لهواه وغروره واعلموا أن يسير الرياء شرك ومجالسة أهل الهوى منساة للإيمان ومحضرة للشيطان جانبوا الكذب فإنه مجانب للإيمان الصادق على شفا منجاة وكرامة والكاذب على شرف مهواة ومهانة ولا تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب ولا تباغضوا فإنها الحالقة واعلموا أن العمل يسهي العقل وينسي الذكر فأكذبوا الأمل فإنه غرور وصاحبه مغرور **أقول** الفصل الى هنا مشروع في الموعظة والمشورة وقدّم الإشعار بأن نعمة الله عليهم في القصد على كل عقد امرهم بعد بالعمل والمراد الاعمال الصالحة المطلوبة بالتكاليف الشرعية وان يجعلوها هما ... على الصراط المستقيم الناموس ويشكو ثم تلطف في الجذب الى العمل بتذكيرهم بانهم في ايام مهلة وفراغ ومتنفس خناقهم يمكنهم فيه العمل وان الذي يعملونه من الصالحات هو زادهم في سفرهم الى الله والى دار اقامتهم وان وراء هذه المهلة اذ ذاك اجل بعده شغل باهوال الآخرة واخذ بالكظم وكنى به عن عدم التمكن من العمل اذ لم تكن الآخرة دار عمل ثم ابلغ الناس ... امرهم بحفظه وهو كتاب ربه وعنى بحفظه تدبر ما فيه والمحافظة على العمل باوامره ونواهيه وهي حقوقه التي استودعهم اياها ثم علل ذلك بتنبيههم على ان الله لم يخلقهم عبثا خاليا من وجه الحكمة بل خلقهم ليستكملوا الفضائل النفسانية بواسطة الالات البدنية ولم يجعلهم في وجودهم مهملين بل ضبط آثارهم واعمالهم وكتب آجالهم في كتابه المبين واللوح المحفوظ الى يوم الدين ونظم وجودهم برسول كريم عمّره فيهم وكتاب وضّح لهم به السبيل التي لسلوكها خلقهم واكمل لهم ولنبيه دينهم الذي ارتضى لهم وما اهلهم له من الكمالات المسعدة في الآخرة كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وبلغهم على لسانه ما احب لهم من الخيرات الباقية وكره لهم من الشرور المشقية في الآخرة كما اشتملت عليه اوامره ونواهيه وابان لهم فيه الاعذار واوضح فيه الحجج وقدمه بالوعيد والانذار بين يدي عذاب شديد واستعار لفظ اليدين للعذاب وكنى ببين يديه عن الوقت المتقدم على عذاب الآخرة الذي له وجه المشابهة ان الانذار بالخوف يكون من ذي سطوة وبأس شديد فكأنه نزّل العذاب الشديد بمنزلة المعذب فاستعار اليدين وجعل الانذار والتخويف منه متقدما ... من الجواذب اللطيفة ثم عاد الى امرهم باستدراك بقية ... في الدنيا وان يصبروا لها انفسهم اي يلزموا انفسهم فيها الصبر على الاعمال الصالحة وفي لفظ الاستدراك اشعار بتقدم تفريط منهم في جنب الله ولذلك قال فانها قليل في كثير الايام التي تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة وانما قال ذلك لان كل وقت يستحق ان يوقع فيه ما ينبغي من الافعال فقد ... عليها ان تملك الغفلة فيها **قوله** ولا ترخصوا لانفسكم الى قوله المعصية **أقول** ليس المقصد بالرخصة هنا الشرعية ... اهل الدنيا فيه مع نفسه من توسيع المآكل والمشارب والمناكح والخروج فيها الى ما لا ينبغي في نفس الامر ... وحيلة يتخيل انها جائزة في الشريعة ويروج بها اتباعه لهواه ونحو الاجتماع في السماع لغير اهله وحضور مجالس الفساق ومعاشرة الظالمين والضابط الكلي في هذا الباب هو توسع الانسان في الامور المباحة واستيفاؤه حدها فان من فعل ذلك شارف المكروه ثم ربما تخطاه ... فعله فاستوفى حده فشارف المحظور وذلك ان العقل اذا اطاع النفس الامارة بالسوء فيما تأمره به ... لم يبق له منها ... الا ان ... ارتكاب بعض مأموراتها يدعو الى ارتكاب بعض ... ذلك الى تجاوز ... الشريعة وعبورها الى الوقوع في حبائل الشيطان والتهور في المحظورات التي هي مهاوي الهلاك ولذلك ما ورد في الخبر من رتع حول الحمى اوشك ان يقع فيه وقد شبه العارفون القلب بالحصن والشيطان بعدو يريد ان يدخله ولم يمكن دفع ذلك العدو والتحفظ منه الا بضبط ابواب ذلك الحصن ... الدخول الى حواسها وهي ابواب كثيرة كسائر المحرمات ومساهلة النفس والتوسع في المباحات والدخول في الامور المشتبهة من اعظم تلك الابواب بعد دخول الشيطان منه اسهل وهو عليه اقدر وكذلك قال فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة ويهجم بكم الادهان على المعصية ومذاهب الظلمة مسالكها وطرقها العادلة عن العدول وقد روي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا ع فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه هي الشهوات التي اصيب بهن قلوب بني آدم فقال هل لي فيها شيء قال نعم ربما شبعت فثقلناك عن الصلوة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املأ بطني من طعام ابدا فقال ابليس لله علي ان لا انصح مسلما ابدا ولا تداهنوا اي لا تساهلوا الظلمة وتساهلوا معهم في السكوت عما ترونه من منكراتهم فيهجم بكم الادهان على المعصية اي اذا انستم بمشاهدة المعاصي والفتم تكرارها كنتم بذلك عصاة وربما ساقكم ذلك الى فعل المنكر ومشاركتهم فيه وقوله عباد الله الى آخره اخبارات في معنى الاوامر والنواهي فأوامره ونواهيه صريحة مشتملة على جواذب الى طاعة الله ولزوم دينه **فالاول** ان انصح الناس لنفسه اطوعهم لربه وبيانه انه لما كان غرض النصح انما هو جلب الخير والمنفعة

عظ والمواعظ في النصائح

في بعض المباحات وبعض الأبواب

في بيان الخطبة المشتملة على المواعظ والنصائح

الى المنصوح وكان اجل خير ينتفعه هو السعادة الباقية الابدية بمشاهدة الحضرة الربوبية وكانت تلك السعادة انما تنال بطاعة الله تعالى فكل من
كانت طاعته لله اتم كانت سعادته اتم فكان هو انصح الناس لنفسه بما لغنه عن طاعة الله **الثاني** قوله وان اغشهم لنفسه اعصاهم لربه وهو ظاهر ايضا
فانه لما كانت غاية الغش انما هو جلب الشر والمضرة الى المغشوش وكان اعظم شر وضرر يلحق العبد هو الشقاوة الابدية في نار الجحيم وكانت تلك
انما يحصل الانسان عليها بمعصية الله تعالى فكل من كانت معصيته اتم كانت شقاوته اتم فكانت هو اغش الناس لنفسه بما لغنه في معصيته
وحاصل القضية الاولى الامر بالطاعة اتم ما يمكن والثانية النهي عن المعصية اتم ما يمكن ورغب في الطاعات بذكر نصيحة النفس بها ان النصيحة
محبوبة ونفر عن المعصية بذكر غشها **الثالث** قوله والمغبون من غبن نفسه حاصله ان من غبنها بالمعصية المستلزمة لدخول النار فكان
الانسان بما فيه شيطانه خادع لنفسه وقد بخسها ما تستحقه من ثواب الله ولما كانت السعادة الاخروية اعظم ما يتنافس فيه لا جرم كان
اعظم مغبون من لم يظفر بها فلذلك حصر المغبون فيه على طريق المبالغة ومن يرمز معنى النهي عن المعصية ونفر عنها بذكر غبن النفس
الرابع قوله والمغبوط من سلم له دينه والغبطة ان يتمنى الانسان مثل ما لغيره من حال او مال مع قطع النظر عن تمني زوال ذلك
عمن هي له وبهذا القيد يتميز عن الحسد والغبطة ظاهرة تماثلها فانه لما كان من سلم دينه فائزا بالسعادة الكبرى الباقية مع كونها
اجل ما يغبط به وينافس فيه لا جرم كان هو اعظم مغبوط ولذلك حصر المغبوط فيه مبالغة ورغب في المحافظة على الدين بكون من سلم
له مغبوطا **الخامس** قوله والسعيد من وعظ بغيره وقد صارت هذه القضية في معنى المثل اي السعيد في الاخرة من اعتبر بحال غيره فشاهد
بعين بصيرته مصير الظالمين فخاف ما خافهم وتدارك ما اتاهم فنال الحياة وسلك مسالكهم ورغب في الاتعاظ بالغير بذكر استلزامه
للسعادة **السادس** وكذلك الشقي في الاخرة من انخدع لهواه وغروره ونفر عن اتباع الهوى بذكر الخداع والغرور **السابع** التنبيه على ان يسير
الرياء شرك وقد سبق منا بيان ان الرياء في العبادة وان قل التفات مع الله الى غيره وادخال له في القصد بالعمل والطاعة وذلك في الحقيقة
شرك خفي اتفقت عليه ارباب القلوب **الثامن** قوله ومجالسة اهل الهوى منساة للايمان ومحضرة للشيطان اراد باهل الهوى الفساق
المنقادين لدواعي انفسهم الى الشهوات الخارجة عن حدود الله ونفر عن مجالستهم بانها محل للامرين احدهما كونها منساة للايمان وموطنا فان اهل الهوى
ابدا مشغولون بذكر ما هم فيه من لعب ولهو وخائضون في اصناف الباطل وانواعه فمجالستهم مظنة الغفلة عن ذكر الله والعذاب الاليم
عليه عن الاعمال الصالحة وتلك اركان الايمان وقواعده وقد علمت ان كثرة الغفلات عن الشيء تؤول الى نسيانه وانمحائه عن لوح الخيال والذكر
وربما يجوز في مطلق الغفلة عن اوقات العبادة والذكر بالنسيان تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه الثاني كونها محلا لحضور الشيطان وقد علمت
معنى الشيطان وان كل محل يعصى الله فيه فهو محضر للشيطان وموطن له **التاسع** الامر بمجانبة الكذب ونفر عنه بقوله فانه مجانب للايمان و
هو ضرب بتوقيع ومعنى المجانبة كون كل منهما في جانب فان كانت الاعمال الصالحة داخلة في مسمى الايمان فالصدق من جملتها ومضاد الصدق
مضاد للايمان واحد الضدين مجانب للاخر فالكذب مجانب للايمان وان لم يكن كذلك قلنا ان الكذب من اعظم الرذائل الموبقة والايمان اعظم
الفضائل المنقذة وبين الفضائل والرذائل منافاة ذاتية فالكذب مناف للايمان ومجانب له ويحتمل ان يكون معنى مجانبته له كونه غير
لا يجتمع معه في محل واحد غيرهما مناسب لمعنى المجانبة لكونه ليس منه في شيء وقد بينا ما يشتمل عليه الكذب من المضار المهلكة ثم اردف ذلك
بالترغيب في الصدق بكون الصادق على شفا منجاة اي مشارف للنجاة وكرامة او لمحلها وهو الجنة اذ الصدق باب من ابوابها ثم بالتنفير عن الكذب
بكون الكاذب على شرف مهواة ومهانة اي هوى وهوان او لمحلهما وهو جهنم الذي هو محل الهوان اذ الكذب باب من ابوابها ومنته الى
الباب نفسه وشارف للدخول وعن الرسول صلى الله عليه وآله اياكم والكذب فانه يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى
يكتب عند الله كذابا وعليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله
صديقا وقال عليه السلام الكذب راس النفاق وهو ظاهر فان مدار النفاق على المصانعة بالقول الغير المطابق لما في نفس الامر وهو حقيقة
الكذب **العاشر** النهي عن الحسد وقد اتفق ارباب القلوب على انه من اعظم ابواب الشيطان التي يدخل بها على القلب وهو احد العوارض
الرديئة للنفس ويتولد من اجتماع البخل والشره في النفس واعني بالشره هنا ما لا يحب طباعها بمصادفة نفع بالناس ويكره ما يوافقهم وان كان لو
ممن لا يرجو منه ولم يسيئوا اليه وقد علمت ان من هذه صفته مستحق للمقت من الله عز وجل وذلك انه مضاد لارادته اذ هو تعالى المتفضل على الكل بما لا عند
الخير المطلق للكل وقد رسم الحسد بانه اغتمام الانسان لخير ينال غيره من حيث لا مضرة منه عليه منه وقد يوجد الحسد ممن له نفع ما من المحسود
نتيجة الحسد البالغ واما تعليله وجوب تركه بانه ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب فاعلم ان العلماء قد اتفقوا على ان الحسد مضر بالنفس
والجسد اما النفس فلان يزيد عليها ويعرض فكرها بالاهتمام بامر المحسود حتى لا يفرغ للتصرف فيها فيما يعود نفعه عليها بل ويمنع ما حصل
عليه من الملكات الخيرية التي هي الحسنات المفوضة في جوهرها ويضمحل على طول تكرر الحسد واشتغال الفكر فيه وطول الحزن والهم لان
نعم الله على عباده اكثر من ان تحصى فاذا كان الحسد بها دائما فانقطع وقت الحاسد به عن تحصيل الحسنات واما بالجسد فلانه يعرض له عند
حدوث هذه الاعراض للنفس طول السهر وسوء الاغتذاء ويتعقب ذلك رداءة اللون وسوء السحنة وفساد المزاج واذا عرفت ذلك فنقول انه

ج ٢

في بيان الخطبة المشتملة على المواعظ والنصائح

استعار هيهنا لفظ الاكل لكون الحسد ماحيا لما في النفس من الخواطر الخيرية التي هي الحسنات وما تعا من صبر ونها ملكات وذلك بسبب استيعابها في حال المحسود واشتغالها به وشبه ذلك باكل النار الحطب ووجه التشبيه ما يشترك فيه الحسد والنار من افناء الحسنات والحطب واستهلاكهما **الحادي عشر** النهي عن التباغض وتعليله ذلك بانها الحالقة واعلم انه لما كان نظام امر العالم لا ينتظم الا بالتعاون وذو النفار وكان التعاون انما يتم بالالفة وكان اقوى اسباب الالفة هو المودة والمواخاة بين الخلق كانت المودة من المطالب المهمة للشارع ولذلك اخا رسول الله صلى الله عليه وآله بين اصحابه للخالق محبته لتضعفوا الفتهم وتصدق بينهم التعاون والتناصر في الاتحاد في الدين وقال صلى الله عليه وآله المرء كثير باخيه ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له فلذلك كان التباغض بينهم منهيا عنه مكروها في الشريعة لما يستلزمه من التقاطع بينهم وعدم تعاونهم وتناصرهم وبسبب ذلك تختلط كلمتهم ايدي حاسديهم وتتحكم فيه اهواء اعاديهم فلم تسلم لهم نعمة ولا تصفو لهم مدة بل يكون ذلك بوار واضمحلال النوع وهلاكه ولذلك قال عليه السلام فانها الحالقة واصل هذا اللفظ مستعار لما يحلق الشعر كالموسى ونحوها للدواعي واسباب الشرور حصارها لاوقد وقع هيهنا موقعه من الاستعارة ووجه المشابهة ان الموسى مثلا كما انها سبب لحلق الشعر ومستئصلة له كذلك التباغض سبب لتبعيض الخلق بعضهم بعضا **الثاني عشر** التنبيه على ان الامل للدنيا ينفر عنه والامر بتكذيبه المستلزم للنهي عنه فاما انه ينفر فلحديها انه يوجب سهو العقل اي غمامه الاولى بالانسان في معاشه ومعاده وهو ظاهر فان الامل ابدا مشغول الفكر بما يامله ويرجو وفي كيفية تحصيله وكيفية العمل به بعد حصوله وشغله بذلك يستلزم اعراضه عن غيره اذ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه **الثاني** انه ينسي الذكر اي ذكر الله ثم ذكر الموت من احوال الآخرة وذلك باستغراقه بما يامله من احوال الدنيا كما مر **الثالث** انه غرور صاحبه مغرور ويروى بفتح الغين من غرور وبضمها ووجه الفتح ان الامل ليس هو نفس الغفلة عن الذكر وغيره بل مستلزم لها فلذلك صدقت نسبة الغرور اليه ووجه الضم انه مجاز من باب اطلاق اسم اللازم على ملزومه واما انه تكذيبه بتذكر الموت وعوائم اخطاره بالبال وملاحظة المرجع والمعاد وانما سمي رد الامل تكذيبا له لان النفس حال توقعها للمامول تكون حاكمة حكما وهميا ببلوغه ونيله فاذا رجعت الى صرف العقل وملاحظة الموت وجواز الانقطاع به عن بلوغ ما رجته كان تجويزها ذلك مكذبا لما جزم به الوهم من الاحكام وردا له وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** وفيها فصول **الفصل الاول** في صفات المتقين وهو قوله عباد الله ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه واعد القرى ليومه النازل به فقرب على نفسه البعيد وهون الشديد نظر فابصر وذكر فاستكثر وارتوى من عذب فرات سهلت له موارده فشرب نهلا وسلك سبيلا جددا قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس قد نصب نفسه لله سبحانه في ارفع الامور من اصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع الى اصله مصباح ظلمات كشاف عشوات مفتاح مبهمات دفاع معضلات دليل فلوات يقول فيفهم ويسكت فيسلم قد اخلص لله فاستخلصه فهو من معادن دينه واوتاد ارضه قد الزم نفسه العدل فكان اول عدله نفي الهوى عن نفسه يصف الحق ويعمل به لا يدع للخير غاية الا امها ولا مظنة الا قصدها قد امكن الكتاب من زمامه فهو قائده وامامه يحل حيث حل ثقله وينزل حيث كان منزله **اقول** القرى الضيافة والفرات العذب والنهل الشرب في اول الورد والجدد الارض المستوية والسرابيل القمصان والمنار الاعلام والغمار جمع غمرة وهي الزحمة من كثرة الناس والماء ونحوه والعشوات جمع عشوة وهي ركوب الامر على جهل به والعشوة بالغين المعجمة هي الغطاء والمبهمة الامر الملتبس والمعضلات الشدائد وذكر من صفاتهم التي هي سبب محبة الله لهم اربعين وصفا وقد علمت ان محبة الله تعود الى افاضة الكمالات النفسانية على نفس العبد بحسب قربه بالاستعداد لها الى جوده فمن كان استعداده اتم كانت محبة الله له اكمل **فالاول** من تلك الاوصاف كونه اعانه الله على نفسه اي افاض قوة على استعداده بقوي بها عقله على قهر نفسه الامارة بالسوء **الثاني** ان يستشعر الحزن اي يجعله شعارا له والمراد الحزن على ما فرط في جنب الله واكتسب من الآثام فانه من جملة ما اعده المعونة الالهية لاستشعاره ويستعد به لكمال العلى **الثالث** ان يتجلبب الخوف وهو اتخاذه جلبابا واستعار لفظ الجلباب وهو الملحفة الخوف من الله ومن عقابه ووجه المشابهة ما يشتركان فيه من كون كل منهما ملابسا به وهو ايضا معونة من الله للعبد على تحصيل السعادة **الرابع** زهر مصباح الهدى في قلبه وهو اشارة الى شروق انوار المعارف الالهية على مرآة سره وهو ثمرة الاستعداد بالحزن والخوف ولذلك عطفه بالفاء واستعار لفظ المصباح لنور المعرفة لما يشتركان فيه من كون كل منهما سببا للهدى وهو استعارة

ان من احب
عباد الله
اليه

في صفة المتقين

لفظ المحسوس للمعقول الخامس كونه اعد القرى ليومه النازل به استعار لفظ القرى للاعمال الصالحة واراد باليوم النازل به يوم القيمة واستلزم الاستعارة تشبيهه لذلك اليوم والعبد فيه بيوم القرى للضيف بيوم القرى المتوقع نزوله ووجه المشابهة ان القرى كما يبيض به وجه القارى عند ضيفه ويخلصه من ذمه ويكسبه الحمد والثناء منه كذلك الاعمال الصالحة في ذلك اليوم تكون سببا لخلاص العبد من اهواله وتكسبه رضاء الحق سبحانه والثواب الجزيل منه السادس يقرب على نفسه البعيد ويحتمل وجهين احدهما ان يشير بالبعيد الى رحمة الله فانها بعيدة من غير مستحقها والمستعدين لقبولها من يبعد من حسن عمله وكل قوله فالعبد اذا واضب بالاعمال الصالحة نفسه واعدها قرى ليومه كانت رحمة الله على غاية من القرب منه كما قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين الثاني يحتمل ان يريد بالبعيد امله الطويل في الدنيا ويقربه له على نفسه بتقصيره له بذكر الموت وقطعه ملوعه كما سبق السابع كونه يهون الشديد ويحتمل ايضا معنيين احدهما ان يريد بالشدائد امر الاخرة وعذاب الجحيم ويهوينهما بالاعمال الصالحة واستشراف انوار الحق وتطويعها مهونة بعذاب الله الثاني ان يريد بالشديد شدائد الدنيا من الفقر والاهتمام والمصائب التي تنزل به من الظلم وفقد الاحبة والاقرباء ونحو ذلك ويهوينه ان ذلك يسهله على خاطره واستحقاره في جنب ما يتصوره من الفرحة بلقاء الله وما اعد له من الثواب الجزيل في الاخرة كما قال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون الثامن كونه نظر اي تفكر في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء فابصر اي فشاهد الحق سبحانه في عجائب مصنوعاته بعين بصيرته التاسع وذكر فاستكثر اي ذكره ومعاده فاستكثر من ذكره حتى صار الذكر ملكة له ويجلي المذكور في اطوار ذكره لمرآة سره والاستكثار من الذكر باب عظيم من ابواب الجنة العاشر كونه ارتوى من عذب فرات شبه العلوم والكمالات النفسانية التي تفاض على العارف بالماء الزلال فاستعار له لفظ العذب وبرده ورشح تلك الاستعارة بذكر الارتواء وقد سبق وجه هذه الاستعارة مرارا يا كونه سهلت له موارده الغابرون لقصب السبق في طاعة الله لا ينفكون عن تأييد الالهي لخاصة نزاهتهم بها سرعة الاستعداد لقبول الكمالات الموصلة اليها اذا عرفت ذلك فمن ذلك فقبول موارد تلك الكمالات من العلوم والاخلاق هي معادنها ومواطنها المنتزعة منها وهي النفوس الكاملة التي يهتدى بها ويؤخذ عنها انوار الله كالانبياء ونصب اوتاد لتلك الموارد ايهم على بدايع صنع الله الذي يتدها بها ذهن العبد ويكتسب بها الملكات الفاضلة وسهولة تلك الموارد هو سرعة قبولهم لاخذ الكمالات عنها بسهولة باذهان صافية مهيأة لها العناية الالهية لقبولها وتيسيرها له لذلك يب فشرب نهلا اي اخذ تلك الكمالات سابقا اليها كثيرا من ابناء نوعه ومنفذ ما فيها لسهولة مورده عليه وهي الفاظ مستعارة لاخذه لها وسبقه اليها ملاحظة لشبهه بشرب السابق من الابل الى الماء يج كونه قد سلك سبيلا جددا اي سبيل الله الواضح المستقيم العدل بين طرفي التفريط والافراط يد كونه قد خلع سرابيل الشهوات اكثر الاوصاف السابقة اشارتها الى تحصيل العلم والاستعداد له واشار بهذا الوصف الى طرف الزهد واستعار لفظ السرابيل للشهوات ووجه المشابهة ملابسة صاحبها كما يتلبس بالقميص ورشح بلفظ الخلع وكنى به عن طرح الشهوات والتنزه عنها فيما يخرج به عن حد العدل يه وتخلى من الهموم الا هما واحدا اي من هموم الدنيا وعلائق احوالها وطرح كل مقصود من قصده الا هما واحدا انفرد به وهو الوصول الى حاصل عزة الله وتوجيه سره الى مطالعة انوار كبريائه واستشراقها وهو تمام الزهد الحقيقي وفقط كونه منفردا عن غيره من ابناء نوعه يو خرج عن صفة العمى اي عن الجهل بما حصل عليه من فضيلة العلم والحكمة وعن مشاركة اهل الهوى في افراطهم وتجويرهم اذ هو على حاق الوسط من فضيلة العفة يز فصار من مفاتيح ابواب الهدى فابواب الهدى هي طرقه وسبله المعدة لقبول من واهبه وقد وقف عليها العارفون ودخلوا منها الى حضرة جلال الله فوقفوا على مراحلها ومنازلها وفيها فصاروا مفاتيح لما انغلق منها على اذهان الناقصين ومصابيح فيها للنفوس الجاهلين ولفظ المفتاح مستعار للعارف ووجه المشابهة ظ يح ومغاليق ابواب الردى فابواب الردى هي اطراف التفريط والافراط والمسالك التي يخرج منها عن حدود الله المردي سلوكها في نار الجحيم والعارف لما سد ابواب المنكرات التي يسلكها الجاهلون ولزم طريق العدل لا جرم اشبه المغلاق الذي يكون سببا لسد الطريق ان تسلك فاستعير لفظه له وبين القرينتين مطابقة فالمغاليق بازاء المفاتيح والردى بازاء الهدى يط قد ابصر اي بنور بصيرته طريقه اي المأمور بسلوكها والجادة ما العناية الالهية لها وهي صراط الله المستقيم ك وسلك سبيله اي لما ابصر السبيل سلكها اذ كان السلوك هو المقصود الاول كا وقد عرف مناره لما كان السالك الى الله قد يستقيم به طريق الحق اتفاقا فان ذلك كسلوك من استكمل قوته النظرية بالعلوم وقد يكون سلوكه مستكملا لها فالسالك كذلك قد عرف بالبرهان مناره اي اعلامه المنصوبة في طريقه التي هي هداته وهي القوانين الكلية العلمية ويحتمل ان يريد بالمنار رمانه مقصده بسلوكه وهو حضرة جلال الله وملائكته المقربون كب قد قطع غماره واشار بالغمار الى ما كان مغمورا فيه من مشاق الدنيا وهمومها والتي لم ينسب نفسه لها وتجاذب اهلها لها فان العارف بمعزل عن ذلك والتي اتم نسبته كج واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها العروة الوثقى وامتن الحبال سبيل الله ودواعي استعاره ووجه المشابهة ان العروة كما تكون سببا للنجاة من تمسك بها وكذلك الحبل وكان اجودها ما ثبت وتمتن ولم ينفصم كذلك طريق الله الموصل

البركون

في بيان الخطبة المشتملة على المواعظ والنصائح

اليه يكون توءمه والتمسك بأوامره سبباً للنجاة من أهوال الآخرة وهو عروة لا انفصام لها وأوامره حبال لا انقطاع لها وإليها الإشارة بقوله
فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها **كد** فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس أي وكان تمسكه
بأوامر الله ونواهيه ومجاهدته في سبيله فقد استشرق أتم أنوار اليقين فصار يشاهد بعين بصيرته عالم الملكوت وأبوابها الجنة والنار ونور
اليقين كما يرى بصره الظاهر نور الشمس في الوضوح والجلاء **كه** قد نصب نفسه لله سبحانه في أرفع الأمور من إصدار كل وارد عليه وتصيير
كل فرع إلى أصله أي لما كمل نفسه انتصب نفسه لأرفع الأمور من هداية الخلق وإقامتهم لقوانين طريق الله فصار كالمصباح يقتبس منه أنوار
العلم فهو لكونه متيقناً أسرارها قائم بإصدار الأجوبة عن كل ما ورد عليه من الأسولة التي اشتبه أمرها على الأذهان وأن يرد كل فرع من فروع العلم إلى
أصله المتشعب عنه **كو** كونه مصباح ظلمات أي يهتدي به التائهون في ظلمات الجهل إلى الحق ولفظ المصباح مستعار له كما سبق **كز** كونه
كشاف عشوات أي موضح ما أشكل أمره وكثر شبه الجهل من الأحكام الملتبسة فيميز وجه الحق منها ومن روى الغين المعجمة فالمراد كشاف غطية الجهالات
عن أبصار البصائر **كح** وكذلك كونه مفتاح مبهمات أي فاتح لما انغلق على أذهان الخلق واستبهم وجه الحق فيه من الأحكام **كط** كونه دفاع معضلات
أي يدفع كل حيرة في معضلة من معضلات الشرع صعب على الطالبين تمييز وجه الحق فيه وعجزهم تبيانه عن الزهد في مهاوي الجهل **ل** و
كذلك كونه دليل فلوات واستعار لفظ الفلوات لموارد السلوك وهي الأمور المعقولة ووجه المشابهة أن الفلوات كما لا يهتدي لمسالكها
إلا الأدلاء الذين اعتادوا سلوكها وضبطوا مراحلها ومنازلها حتى كان من لا قائد له منهم لا بد وأن يتيه فيها ويكون هلاكه بعطشه فيها سبباً
لهلاكه كذلك الأمور المتصورة المعقولة لا يهتدي لطريق الحق فيها إلا من أخذت العناية الإلهية بضبعه فالتفت بزمام عقله إلى سنا مرشد يهديه
سبيل الحق منها ومن لم يكن كذلك حتى حاد عن طريق الحق فيها خبط في ظلمات الجهل خبط عشواء وسلكت به شياطينه أبواب جهنم والعارفون هم
أدلاء هذا الطريق والواقفون على خطراتها ومنازل السلامة فيها يقيمون بصائرهم **لا** كونه يقول فيفهم وذلك لشاهد تنزهه عن الخوض في غير فهم
فيما يقول ولا اختلاف عباراته عن جهل بالمقول **لب** كونه يسكت فيسلم أي من خطر القول ولما كانت غاية القول الإفهام والإفادة وغاية السكوت
السلامة من آفات اللسان وكان كلا مرتين في معرض المدح لا جرم ذكرهما مع فائدتهما والمقصود أن العارف يستعمل كلاً من القول والسكوت في موقعه
عند الحاجة إليه فقط **لج** كونه قد أخلص لله فاستخلصه وقد عرفت أن الإخلاص هو التفرد بالتوجه عن كل خاطر سوى الله عن وجه الحق سبحانه
واستخلاص الحق للعبد هو اختصاصه من بين أبناء نوعه بالرضى عنه وإفاضة أنواع الكمال عليه وإيثاره إلى حضرة قدسه وإنما أراد بمناجاته وكان
إخلاصه سبب استخلاصه كما قال تعالى واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً **لد**
فهو من معادن دينه استعار لفظ المعادن له ووجه المشابهة اشتراكهما في كون كل منهما أصلاً تنتزع منه الجواهر فمن المعادن أنواع الجواهر المحسوسة
ومن نفس العارف جواهر العلوم والأخلاق وسائر ما اشتمل عليه دين الله كونه من أوتاد أرضه استعار لفظ الوتد ووجه المشابهة كون كل منهما
سبباً لحفظ ما يحفظ به فبالوتد تحفظ الوتود وبالعارف يحفظ نظام الأرض واستقامة أمور هذا العالم وقد سبق مثله في الخطبة الأولى وعند
بالقطب وسبل أرضه **لو** كونه ألزم نفسه العدل فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه لما كان أصل العدل ملكة تنشأ من الملكات الثلاث وهي الحكمة والعفة
والشجاعة وكان العارفون قد راضوا أنفسهم بالعبادة وغيرها حتى حصلوا على هذه الملكات الخلقية لا جرم كان بصدد حصولها قد ألزم نفسه
العدل ولما كان العدل في القوة الشهوية أن يصيرها عفيفاً لا خامدة الشهوة ولا فاجرة أصعب من العدل على سائر القوى لكثرة موارد الشهوة وميلها إلى أحد
الطرفين الإفراط ولذلك كان أكثر المناهي الواردة في الشريعة هي موارد الشهوة لا جرم كان مقتضى المدح أن يبدأ بذكر نفي الهوى عن نفسه وكونه
السالك وإنما يبدأ في تكميل القوة العملية بإصلاح القوة الشهوية فيقف عند حدود الله ولا يتجاوزها في مأكول ومنكوح أو كسب ونحوه
لز كونه يصف الحق ويعمل به أي يتبع قول الحق بعمله فإن التخلف في القول عند الخلق قبيح ومع الله أقبح ولذلك عاتب الله المؤمنين يا أيها
الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وكانوا قالوا لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فلما كان
يوم أحد لم يثبتوا وأكد عتابه بشدة مقته لخلفهم وعدم مطابقة أقوالهم لأفعالهم **لح** كونه لا يدع للخير غاية إلا أمها لما فرغ من تعديد صفات
العارف شرع فيما أجمل الأفق فذكر أنه طالب لكل غاية خيرية أي لا يقنع ببعض الحق ويقف عنده بل يثنيها في طلبه ويستقصي غاياته **لط** و
كذلك هو قاصد لكل مظنة له ومظنته كل محل أمكنه أن يستفيد منه ويستعد كالأولياء ومجالس الذكر وغيرها **م** كونه قد أمكن الكتاب
من زمامه يقوده إلى الآخرة فتمكينه الكتاب كناية عن انقياده لما اشتمل عليه من الأوامر والنواهي واستعار لفظ الزمام لعقله ووجه المشابهة
ظاهر إذ كون كل منهما آلة للانقياد وهي استعارة لفظ المحسوس للمعقول وكذلك استعار لفظ القائد للكتاب لكونه جاذباً بزمام
عقله إلى جنب الله وإمامه مما من الانحراف عنها وكذلك لفظ الإمام لكونه مقتدياً به وقوله يحل حيث حل ثقله وينزل استعار وصفي الحلول والنزول
اللذين هما من صفات المسافر وكنى بحلوله حيث حل عن لزوم أثره والعمل بمقتضاه ومتابعته له في طريق سفره إلى الله بحيث لا ينفك عنه وجوداً
وعدماً وبالله التوفيق **الفصل الثاني** قوله وآخر قد تسمى عالماً وليس به فاقتبس جهائل من جهال وأضاليل من ضلال
ونصب للناس أشراكاً من حبائل غرور وقول زور قد حمل الكتاب على آرائه وعطف الحق على أهوائه يؤمن من العظائم ويهون كبير

فصل في صفات بعض الفساق

الجرائم ويقول اقف عند الشبهات وفيها وقع ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب
الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه فذلك ميت الاحياء **اقول** وهذا الفصل من صفات بعض الفساق في مقابلة الموصوف
السابق وخصص من شيم هذا المائل بعالم الذكر في معرض الذم لانه اشد فتنة واقوى فسادا للدين لتعدى فساده من نفسه الى غيره فذكر
له اوصافا **الاول** كونه قد تسمى عالما وليس بعالم طلبا للرياسة وتحصيل الدنيا وهذا الصنف من الناس كثير في العلماء فهم مغرورون **الثاني**
كونه قد اقتبس جهائل من جهال وضلائل من ضلال والجهائل جمع جهالة او الجهل المركب وهو الاعتقاد الغير المطابق لما في نفس الامر
وهذا الوصف احد اسباب الاول ونسبة الاقتباس الى الجهل نسبة مجازية لما ان الجهل يشبه العلم في كونه مستفادا على نحو التعلم والتعليم و
الاضاليل من لوازم الجهالات وهو الانحراف عن سواء السبيل واقتباسها من جهال وضلال ليكون اشبه الجهل والضلال له آكد فان
تلقيهما عن الجهال الضلال واعتقادهما اثبت وارسخ في النفس من سائر الجهالات **الثالث** كونه نصب للناس اشراكا من حبال غرور
وقول زور واستعار لفظ الاشراك والحبال لما يعرفه علماء السوء من الناس من الاقوال الباطلة والافعال المزخرفة ونحو المشاهد
ما يتربص فيه الشرك من الحبال وغيره وسايرها يجذب به الخلق من اقوالهم وافعالهم في كونها محصلة للغرض فالشرك للصيد وغروره هؤلاء
لقلوب الخلق ووجه تلك الاستعارة بذكر الاشتراك **الرابع** قد حمل الكتاب على آرائه الباطلة وتفسيره كتاب الله على مذاهب عجيبة وكيفيات
منها ما تعتقد المجسمة من ظواهر الشرع من تجسيم الصانع جلت قدرته وتفسيرهم الكتاب على ما اعتقدوه من باطلهم **الخامس** وعطف الحق
على اهوائه من فسر الفاظ القرآن على حسب عقيدته الفاسدة وتأويله الباطل فقد عطف الحق على هواه اى جعل كل هوى له حقا يتبع
بتاويل ما ورد لوابع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن **السادس** كونه يؤمن الناس من العظائم ويهون كبير الجرائم اى يسهل
على الناس امر الآخرة في موضع يحتاجون فيه الى ذكر وعيد الله وتذكيرهم باليم عقابه كما يخطئ الجاهلون ويعرضون عن اوامر الله تعالى ونواهيه
فاذا حضروا مجالس جهال الواعظين والزهاد توسلوا الى استجلاب قلوبهم وتشييد مناصبهم باجتماعهم عليهم بان ذكروا لهم مواعيد الله
كقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا ونحوه يهونون عليهم بذلك عظيم الوعيد واهوال الآخرة ويصغر عندهم جرائمهم التي ارتكبوها في جنب ما
تصوروه من الوعد الكريم وينادمهم ميل طباعهم الى الشهوات الخارجة عن حدود الله فيتعدونها واما ما اقترفوه ولا كذلك العالم اذ من شأنه ان
يستعمل كلا من آيات الله الوعد والوعيد في موضعهما ليبقى السامعون بين خوف ورجاء فلا ييئسوا ولا يأمنوا الكافة فلا يتكلوا على الوعد ولا
يقنطوا من رحمة الله نظرا الى الوعيد **السابع** يقول اقف عند الشبهات اى اذا انتهيت الى امر فيه شبهة لا اقدم عليه وفيها وقع وذلك لجهله بمواقع
الشبهة وغيرها **الثامن** يقول اعتزل البدع اى ما يبتدع من الامور المخالفة لقوانين الشريعة وبينها اضطجع كنى باضطجاعه بينها البدع عن توطنه
فيها كانه بها مستمتعا وذلك لجهله باصول الشريعة وكيفية تفريعها **التاسع** فالصورة صورة الانسان والقلب قلب حيوان اراد بالحيوان
غير الانسان كما هو مختص في العرف واطلق على قلبه انه قلب حيوان كالحمار ونحوه لما بينهما من المناسبة وهو عدم صلاحيتهما لقبول المعارف والعلوم
مع ميلهما الى الشهوات **العاشر** كونه لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه اى لا يعرف بجهله قانون الهداية والطرق الى الحق فيسلكه
ولا وجه دخوله في الباطل فيعرض عنه وذلك ان الجاهل الجهل المركب لما ادعى سبيل الله وجزم بما اعتقده من الباطل امتنع مع ذلك الجزم
ان يعرف باب الهدى ومبدء الدخول اليه فامتنع منه اتباعه ولما اعتقد ان ما جزم به من الباطل هو الحق امتنع ان يعرف مبدء دخوله في الجهل
وهو باب العمى فامتنع منه ان يصد عنه ثم حكم بعد ذلك كله وصفا انه ميت الاحياء اما كونه ميتا فلان الحيوة الحقيقية التي تطلب لكل عاقل
والتي وردت الشرائع والكتب الالهية بالامر بتحصيلها هي حيوة النفس باستكمال الفضائل التي هي سبب السعادة الباقية وقد علمت ان الجهل
المركب هو الموت المضاد لتلك الحيوة فالجاهل بالحقيقة ميت واما انه ميت الاحياء فلانه في صورة الحي **الفصل الثالث** قوله
فاين تذهبون وانى تؤفكون والاعلام قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة فاين يتاه بكم بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم
وهم ازمة الحق والسنة الصدق فانزلوهم باحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش ايها الناس خذوها عن خاتم النبيين
صلى الله عليه وآله انه يموت من مات منا وليس بميت ويبلى من بلى منا وليس ببال فلا تقولوا بما لا تعرفون فان اكثر الحق فيما
تنكرون واعذروا من لا حجة لكم عليه وانا هو الم اعمل فيكم بالثقل الاكبر واترك فيكم الثقل الاصغر وركزت فيكم راية الايمان ووقفتكم
على حدود الحلال والحرام والبستكم العافية من عدلي وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي واريتكم كرائم الاخلاق من نفسي فلا
تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر ولا تتغلغل اليه الفكر **اقول** تؤفكون تصرفون والتيه الضلال والعمه الحيرة والتردد
وعترة الرجل اقاربه من ولده وولد ولده وادنى بني عمه والهيم الابل العطاش واعلم انه لما قدم التنفير عن صفات الفاسقين صنفا صنفا ثم كان
في ذكرهما تنبيه على وصفي طرفي الحق والباطل ولوازمهما فلذلك عقبها بالتنبيه على كونهم في ضلال وتيه وعمى عن الحق ثم بالتوبيخ
والتبكيت والتذكير بكتاب الله وعترة رسوله ليلزموا سمتهم ويسلكوا بهم طريق اهل التقوى ويفيئوا عن ضلالهم الى اقتباس انوار الحق
من اهله فقوله فاين تذهبون الى قوله منصوبة سؤال عما يذهبون اليه وعن صرفهم عن ذلك النهج سؤالا على سبيل الانكار لما هم عليه

اعلام

وكذلك المساد وبعضها قيام الائمة فيهم

من الطرق الجائرة والواو في قوله والاعلام للحال واشار بالاعلام الى ائمة الدين ووضوحها ظهورها بينهم ووجودهم فيهم ثم اردف ما انكره من ذهابهم
والتعجب منه بتعجب ثان فقال فاين يتاه بكم وكيف تعمهون وبينكم الى آخره اى الى اين يذهب بكم سالكين في الضلال ومهاوي الجهل والتردد
في الحيرة وبتيه منه انه قوله واني تؤفكون اي من اي جهة تصرفون عن نهج الحق ومنهاجه في الضلالة وقوله وبينكم عترة نبيكم الواو للحال ايضا اي كيف
تعمهون او يتاه بكم وكذلك الواو في قوله وهي ازمة الحق والمعنى كيف تجوزون ان تتيهوا في ظلمات الجهل مع ان فيكم عترة نبيكم واراد بعترته اهل بيته
واليه الاشارة بقول الرسول صلى الله عليه وآله خلفت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض واستعار
لفظ الازمة ووجه المشابهة كونهم قادة للخلق الى طريق الحق كما يقود الزمام الناقة الى الطريق وكذلك استعار لهم لفظ الالسنة ووجه المشابهة
كونهم تراجمة الوحي الصادقة كما ان اللسان ترجمان النفس ويحتمل ان يريد بكونهم السنة الصدق انهم لا ينطقون الا صدقا وقوله فانزلوهم
باحسن منازل القرآن فاعلم ان للقرآن منازل الاولى القلب وهو فيه بمنزلتين احديهما منزلة الاكرام والتعظيم والثانية منزلة التصور
فقط من دون تعظيم الثانية منزلة في الوجود اللساني بالتلاوة الثالثة منزلة في الدفاتر والكتب واحسن منازله هي الاولى فالمراد اذن
الوصية باكرامهم ومحبتهم وتعظيمهم كما يكرم القرآن بالمحبة والتعظيم وقوله وردوهم ورود الهيم العطاش ارشاد لهم الى اقتباس العلوم والاخلاق
منهم اذ كانوا معادنها واهلها ولما كانت العلماء والائمة تشبه الينابيع والعلم يشبه الماء العذب وعادتها العطشان حسن منه ان يامرهم بورودهم
وان يشبه الورود المطلوب منهم بورود الابل العطاش وقوله ايها الناس الى قوله ببال لما كانت في معرض ذكر الفائدة فكانها قد تقدم
ذكرها فلذلك حسن ايراد الضمير في قوله خذوها وان لم يسبق لها ذكر واشارة الخبر بهذه الكلمة تفسيرها لقوله ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين ولما اتفقت عليه كلمة العلماء ونطقت به البراهين العقلية ان اولياء الله لا يموتون
ولا يبلون وان بليت اجسادهم قال بعض الشارحين فيما لا ينبغي قوله ويبلى من بلي منا نص جلي على ان اجساد الاولياء تبلى خلاف
ما يعتقده الناس من ان اجسادهم باقية الى يوم القيمة جائلها ملك الاعتقاد المذكور لبعض الناس انما نشأ من قول الرسول صلى الله عليه وآله في قتلى بدر
زملوهم بكلومهم ودمائهم فانهم يحشرون يوم القيمة واوداجهم تشخب دما وقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء
الآية وليس ولا واحد منهما بدال على ان الاجساد لا تموت ولا تبلى اما الخبر فليس مقتضاه انها تبقى صحيحة تشخب دما الى يوم القيمة بل ذلك
مما يشهد ببطلانه الحس بل يحمل على انها كما تعاد يوم القيمة فانه يعاد جرحها تشخب جراحها كما كانت يوم موتها واما الآية فالذي اجمع عليه
علماء المفسرين ان الحياة المذكورة فيها هي حياة النفوس وهو ظاهر في تفسيرها عن ابن عباس رضي الله عنه ان قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما اصيب اخوانكم
باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طيور خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا
طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله عز
وجل انا ابلغهم عنكم فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا الآية فاذن لا منافاة بين كلامه وما ورد في القرآن والخبر ومقصوده بهذه الكلمة
تقرير فضيلتهم وانهم اولياء باقون عند ربهم في ظل كرامته وقوله فلا تقولوا بما لا تعرفون تنبيه على الرجوع الى العترة العارفين بما ينبغي
ان يقال وقوله فان اكثر الحق فيما تنكرون تاكيد للامر بالتثبت في الاقوال والنهي عن التسرع اليها والجاهل قد ينكر الحق اذا خالف طبعه
او ما عنده منهما وسبق اعتقاد ضده اليه لشبهة او تقليد فنبه على ان اكثر الحق فيما ينكرونه لئلا يتسرعوا الى القول من غير علم ولذلك ذكر
هذه القضية مرتبة بفاء التعليل وقوله واعذروا من لا حجة لكم عليه وهو انا طلب العذر منهم فيما يجحدونه من عذاب الله بسبب تقصيرهم فان الحجة
لله عليهم قد انذروا به ونوعه داعيا وقصر هو عليه السلام في تذكيرهم ببيان الوعيد والانذار مع كون ذلك ماخوذا عليه من الله تعالى
فكانت حجتهم عليه قائمة ولما كان له عذر لكثرة تبليغه وحثه ووعظه اعذر من نفسه بما ذكره ليسلب الحجة عنه في ذلك لينذروا ويخطاهم
ولعلهم يرجعون وقوله الم اعمل فيكم الى قوله من نفسي تفصيل لما جاءهم به من الجواذب الى الله فاعذر اليهم بها واتى بلفظ الاستفهام على سبيل
التقرير والتبكيت والثقل الاكبر كتاب الله واشار بكونه اكبر الى انه الاصل المتبع المقتدى به والثقل الاصغر الائمة من ولده عليهم السلام وكني
به راية الايمان عن سنته المتبعة وطريقته الواضحة في العمل بكتاب الله وسنة رسوله كنا به الاستعارة ووجه المشابهة كونه طريقة يهتدى بها
الى سلوك سبيل الله كما يهتدى بالاعلام والرايات تمام الجيش وغيره ولفظ الركز ترشيح للاستعارة كني به عن ايضاحها لهم وتوقيفه على
حدود الحلال والحرام وتعريفهم اياها واراد بالعافية السلامة عن الاذى الحاصل من ايدي الظالمين واستعار لفظ اللباس لها ووجه
الاستعارة ان العافية تشمل المعاني كالقميص وكذلك استعار لفظ الفرش المعروف لكونه ذا وطيء وقواعد يستراح بها كالفراش وقوله
واريتكم كرائم الاخلاق من نفسي اي اوضحتها لكم وشاهدتموها مني متكررة وقوله فلا تستعملوا الرأي الى اخره نهي لهم عن الاشتغال بالخوض
في صفات الله والبحث عن ذاته بغير قانون واستاد مرشد بل بحسب الرأي والتخمين فان تلك الدقائق لما كانت لا تصل اليها الا فاهمة يقف
الفكر عندها ولا تتغلغل الى اعماقها وكانت مع ذلك في غاية العسر والدقة وكثرة الاشتباه كان تناولهم للاشتغال بها مؤديا الى الخبط
وافتراق المذاهب وتشتت الكلمة والاشتغال بذلك عن الانتظام في سلك الدين والاتحاد فيه كما عليه من ينتسب الى العلم بعده وكل ذلك

في توبيخ الأمة على اختلاف آرائهم في الدين

ضد مطلوب الشارع فان الالفة والاتحاد في الدين من اعظم مطلوباته ويحتمل ان يريد مطلق دقائق العلم وتفريع الفقه على غير قانون من
من امام هدى بل بالرأي عن ادنى وهم **ومنها** حتى يظن الظان ان الدنيا معقولة على بني امية تمنحهم درها وتوردهم صفوها ولا يرفع
عن هذه الامة سوطها ولا سيفها وكذب الظان لذلك بل هي مجة من لذيذ العيش يتطعمونها برهة ثم يلفظونها جملة
اقول معقولة محبوسة والمجة الفعلة من مج الشراب اذا قذفه من فيه والبرهة المدة من الزمان فيها طول ولفظ كذا القاه من فيه
وهذا الكلام من فصل يذكر فيه حال بني امية وطول مدتهم وبلاء الخلق بهم فقوله يظن الظان الى قوله سيفها غاية من غايات
طول عناء الناس واستعار وصفهم للدنيا اوصافا **فاحدها** كونها معقولة ووجه الاستعارة ملاحظة شبهها بالناقة في كونها
محبوسة في ايديهم كالحبس للناقة بالعقال **الثاني** كونها ذات در يمنحهم اياه ووجه الاستعارة ايضا تشبيهها بالناقة في كون ما بها
من فوائدها وخيرها مهيئة لهم ومصبوبة عليهم كما يبذل الناقة درها **الثالث** كونها توردهم صفوها وتسند الايراد
اليها مجاز ويجوز بالسوط والسيف فيما بين الامة معهم من العذاب والقتل ونحوه استعمالا للفظ السبب في المسبب قوله وكذب
الظان لذلك الى اخره رد لما عساه يظن من ذلك بتحقير ما حصلوا عليه من الامر لذتهم به وتحقير مدته واستعار لذلك
لفظ المجة وكنى بكونها مطعومة لهم عن قلة مدة امرهم وبكونها ملفوظة عن زوال الامر عنهم واكد ذلك لزواله بقوله
جملة اي بكليتها وهي كناية بالاستعارة تشبيها لها باللقمة التي لا يمكن اساغتها فبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

اما بعد فان الله سبحانه لم يقصم جباري دهر قط الا بعد تمهيل ورخاء ولم يجبر عظم احد من الامم الا بعد ازل وبلاء
وفي دون ما استقبلتم من عتب واستدبرتم من خطب معتبر وما كل ذي قلب بلبيب ولا كل ذي سمع بسميع ولا كل ذي ناظر
ببصير فيا عجبا وما لي لا اعجب من خطاء هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتصون اثر نبي ولا يقتدون بعمل
وصي ولا يؤمنون بغيب ولا يعفون عن عيب يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر
عندهم ما انكروا مفزعهم في المعضلات الى انفسهم وتعويلهم في المبهمات على آرائهم كان كل امرئ منهم امام نفسه قد اخذ
منها فيما يرى بعرى ثقات واسباب محكمات **اقول** القصم بالقاف الكسر والازل بفتح الهمزة الضيق والشدة واقتص اثره تبعه
ومقصود هذا الفصل توبيخ الامة على اختلاف آرائهم في الدين واستبداد كل منهم بمذهب يجيب به في المسائل الفقهية ونحوها
مع وجوده عليه السلام بينهم واعراضهم عن مراجعته مع علمهم بقيامه بذلك فقوله اما بعد الى قوله ببصير صدر الخطبة وكان غرضه من خطب
هذه الخطبة تنبيههم انهم انما يستبدون بآرائهم من دون مراجعته عن كبر منهم على التعلم والاستفادة وتحذر الواحد من تحمل كلفة
التحري والتحرز من الغلط فيه ومشقة الطلب فلذلك خوفهم من حال الجبابرة وان مصيبتهم بترك قواعد الدين الى آرائهم المفرقة
فيستعدوا للاهلاك بقوله انه لم يقصم جباري دهر الا بعد امهالهم ورخاء عيشهم فانهم اذا امهلوا انغمسوا فيما هم فيه من الرخاء
والترف واعرضوا عن الآخرة ونسوا ذكر الله فاستعدوا وتجرهم لغوايتهم الدين الذي به نظام العالم للهلاك ونحوه قوله تعالى
واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكذلك قوله ولم يجبر عظم احد من الامم
الا بعد ازل وبلاء كنى بجبران العظم عن قوتهم بعد الضعف كناية بالاستعارة ومصداق هذه القضية ظاهر فان احدا من الامم السابقين
لا نبيا منهم ولا ملوكهم في اظهار دين او طلب ملك لم يتفقوا الى مطلوبهم الا بعد قوتهم وتضاعفهم وتظاهر بعضهم ببعض ومعاناة تام
بلاء واثر بلاء عجيب يستعدون بذلك للفزع الى الله تعالى فيفيض عليهم قواهم لقبول الالفة وتعدهم باجتماع عزائمهم لقبول صورة النصر
وفيه تنبيه على وجوب الاتحاد في الدين وعدم تشتت الآراء فيه وان ذلك يدعوا الى التحزب والتفرق ويدخل عليهم الوهن والضعف
وكل ذلك ضد مطلوب الشارع كما سبق ويحتمل ان يكنى بقوله لم يقصم جباري دهر عن جبابرة وقته كمعاوية واصحابه وبقوله لم يجبر
احدا من الامم الا بعد ازل وبلاء عن اصحابه فنبههم بالكلمة الاولى على ان اولئك الجبابرة وان طالت مدتهم وقويت شوكتهم
فانما ذلك املاء من الله لهم ليستعدوا وابتر للهلاك وما بالكلمة الثانية على انكم وان ضعفتم وابتليتم فذلك عادة الله في من يريد
ان ينصره ثم عقب ذلك بتوبيخهم على الاختلاف وتشعب الآراء والمذاهب في الدين لما ان ذلك يؤدي الى طول محنتهم وضعفهم
عن مقاومة عدوهم وقوله وفي دون ما استقبلتم من عتب اي من عتابي لكم واستدبرتم من خطب اي من الاهوال التي كنتم ترونها
من المشركين في مبدأ الاسلام حيث كنتم قليلين وامرتم ان يثبت الواحد منكم لعشرة منهم ثم ايدكم الله سبحانه بالتأليف بين قلوبكم
وجبر عظمكم بمن اسلم ودخل في دينكم وذلك اي معتبر فيه اي عبرة فانكم لو لم تتحدوا في الدين وتتفقوا سواء مراتبه لذلك التنبيه
واختلفت آراؤكم في ذلك الوقت كاختلافها الآن وكنتم اذن على غاية من الكثرة لم تغن عنكم كثرتكم شيئا فكانه قال فيجب من ذلك
الاعتبار بان لا تفترقوا في الرأي وان تتحدوا في الدين وتراجعوا علمكم باصوله وفروعه وقوله فما كل ذي قلب بلبيب الى
قوله ببصير اراد بذي القلب الانسان وكأن الانسان قد يخلوا عن اللب واراد باللب العقل والذكاء واستعمالها فيما ينبغي على الوجه

الذي ينبغي وبالجملة فما للبيب من ينتفع بعقله فيما خلق لاجله وكل يستمع ويتصبّرها اللذان يستعملان سمعهما وبصرهما في استفادة العبرة واصلاح امر المعاد ونحوه قوله نعم الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم آذان يسمعون بها وقوله فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومقاصده هذه الكلمات جذب النفوس الى الاعتبار كيلا يبعد التارك له عن اسباب لا يستمع ولا يبصر ويقلبوا عجبا الى الخوه اردف تعجبه بما يصلح جواب سؤال مقدر عما يتعجب منه فكانه قيل من تعجب بذلك السؤال يتعجب السؤال من تعجبه المستلزم لتبرمه وضجره حتى كان السائل قال وم تتعجب وعلام هذا التبرم والاسف فقال ما لى لا اعجب من خطاء هذه الفرق المختلفة ثم شرع في تفصيل الخطايا والذام التي كان اجتماعها فيهم سببا لتعجبه منهم فاشار الى تركهم ما ينبغي ثم اردفه بذكر فعلهم ما لا ينبغي وقدم على الكل ذكر اختلاف حججهم في دينهم وذلك هو الاصل الذي نشأت عنه اكثر هذه الرذائل فاما تركهم لما ينبغي ففي صور احدها تركهم لاقتصاص اثر نبيهم فانهم لو اقتصوا اثره لما اختلفوا اذ الاختلاف فلم يقتصوا اثر نبيهم الثانية تركهم الاقتداء بعمل الوصي مع اشارة الى النفسه وهذا اقطع لاعذارهم فان الاختلاف في الدين قد يعرض عن عدم قدوة وهي عدم امام اصابتها لكل المحق مع عدم الشارع الذي يرجع اليه في التوقيف على سرائر الشريعة فاما اذا كان الموقف موجودا بينهم كسلمه امتنع ان يقعوا في تلك المعرفة ويتعذر عذرها في الاختلاف الثالثة تركهم الايمان بالغيب اي التصديق بمدلولها بينة في اعتقاده وللمفسرين في تفسير الغيب اقوال احدها عن ابن عباس هو ما جاء به من عند الله الثاني عن عطاء هو الله سبحانه الثالث عن الحسن هو دار الآخرة والثواب والعقاب والحساب الرابع قيل يؤمنون بظهر الغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب اي لا يحفظون شرائط الايمان في غيبة بعضهم على بعض الخامس عن ابن عيسى الغيب ما غاب عن الحواس مما يعلم بالدليل السادس عن الاخفش يؤمنون بما غاب عن افهامهم من متشابهات القرآن احدها تركهم العفة عن عيب هو اشارة الى الغيبة وظاهرها فجور وعبور الى طرف الافراط من فضيلة العفة واما فعلهم لما لا ينبغي فامور احدها انهم يعملون في الشبهات اي لا يتوقفون فيما اشتبه عليهم امره ولا يبحثون عن وجه الحق فيه بل يعملون فيه بما قادهم اليه الهوى الثاني كونهم يسيرون في الشهوات لما لاحظ مشابهة ميل قلوبهم الى شهواتها الذي يتوبترونها كما فيها قاطعة مراحل الاوقات بالتلذذ لسلوك السائر في الطريق ونحوها استعار لذلك السلوك لفظ السير الثالث كون المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر ما انكروا اي ان المعروف والمنكر تابعان لارادتهم وميولهم الطبيعية فما انكرته طباعهم كان هو المنكر بينهم وان كان معروفا في الشريعة وما اقتضته طباعهم وما لت اليه كان هو المعروف بينهم وان كان منكرا في الدين والواجب ان يكون ارادتهم وميولهم تابعة لنواميس الشريعة في اتباع ما كان فيها معروفا وانكار ما كان فيها منكرا الرابع كون مفزعهم في المعضلات الى انفسهم وتعويلهم في المهمات الى آرائهم وهو كناية عن كون احكامهم في كل ما يرد عليهم من مشكلات الدين وتشبيهم من احكام تابعة لاهوائهم لا يجرونها على قانون شرعي بعروة حتى اشبهت نفوسهم الامارة بالسوء التي هي منبع الاهواء الحائدة للشريعة الائمة التي يرجع اليهم في استفادة الاحكام فكل منهم يأخذ عن نفسه اي يتمسك فيما يراه ويحكم به بارائه كانها عنده عرى ثقة اي لا ينفصل من يتمسك بها واسباب محكمات اي نصوص جلية وظواهر واضحة لا اشتباه فيها وقد عرفت معنى المحكم ولفظ العرى مستعار وقد سبق وجه الاستعارة وبالله العصمة والتوفيق

ومن خطبة له عليه السلم

ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم واعتزام من الفتن وانتشار من الامور وتلظ من الحروب والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور على حين اصفرار من ورقها واياس من ثمرها واغورار من مائها قد درست اعلام الهدى فظهرت اعلام الردى فهي متجهمة لاهلها عابسة في وجه طالبها ثمرها الفتنة وطعامها الجيفة وشعارها الخوف ودثارها السيف فاعتبروا عباد الله واذكروا تيك التي آباؤكم واخوانكم بها مرتهنون وعليها محاسبون ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود ولا خلت فيما بينكم وبينهم الاحقاب والقرون وما انتم اليوم من يوم كنتم في اصلابهم ببعيد والله ما اسمعهم الرسول شيئا الا وها انا ذا مسمعكموه وما اسماعكم اليوم بدون اسماعهم بالامس ولا شقت لهم الابصار ولا جعلت لهم الافئدة في ذلك الاوان الا وقد اعطيتم مثلها في هذا الزمان ووالله ما بصرتم بعدهم شيئا جهلوه ولا اصفيتم به وحرموه ولقد نزلت بكم البلية جائلا خطامها رخوا بطانها فلا يغرنكم ما اصبح فيه اهل الغرور فانما هو ظل ممدود الى اجل معدود

اقول الفترة ما بين زماني الرسالة والهجعة النومة ليلا والاعتزام العزم وروى اعترام الفتن بالراء المهملة اي كثرتها وروى اعتراض من اعترض الفرس في الطريق اذا مشى عرضا من غير قصد وتلظت الحرب تلهبت والتجهم العبوس والاحقاب جمع حقب بضم الحاء والقاف وهو الدهر والبطان حزام الرحل للقتب وصورة هذا الفصل تذكيرهم بنعمة الله نعم التي نفت ما كانوا فيه من بؤس وهي بعثة الرسول وما استلزمته من الخيرات ليعتبروا فيشكروا ويخلصوا التوحيد الى الله نعم فاشار اولا الى النعمة المذكورة ثم اردفها بالاحوال المذمومة التي تبدلت بتلك النعمة الجسيمة وعد منها امورا احدها الفترة من الرسل وطال خلو الزمان عن رسول فيه يستلزم وجود الشرور ووقوع الهرج والمرج وتلك احوال مذمومة يلحق ذلك الزمان بها من الذم بمقدار ما يلحق زمان وجود الرسول صلى الله عليه وآله من المدح الثاني طول الهجعة من الامم وكنى بالهجعة عن الغفلة في امر المعاد وسائر المصالح التي ينبغي الثالث الاعتزام من الفتن اما على ارادة

ام لهم اعين يبصرون بها

فيما جاء به كان سبق بيانه لكنهم اختلفوا

الاقوال في تفسير الغيب

الرابعة

التوبة

الاولى فنسبة العزم الى الفتن مجاز كنى به عن وقوعها بين الخلق المشبه لقصدها اياهم وعلى الرواية الثانية اى على كثير من الفتن وعلى الرواية الثالثة
فالمعنى ان الفتن لما كانت تغيرها وافسدها على قانون شرعى ولا نظام مصلحى ولذلك سميت فتنة لاجرم اشبهت المعترض فى الطريق من الحيوان الماشى
على غير استقامة ولذلك استعير لها لفظ الاعتراض **الرابع** وعلى انتشار من الامور اى تفرق امور الخلق واحوالهم وجريان افعالهم على قانون
عدلى **الخامس** التلظى من الحروب وقد سبق تشبيه الحرب بالنار فلذلك استعار لها لفظ التلظى على سبيل الاستعارة وكنى بها عن قيامها
ووجودها بينهم زمان الفترة **السادس** والدنيا كاسفة النور والواو للحال اى كاسف انوارها ونور الدنيا كناية عن وجود الانبياء وما ياتون به من الشرائع
وما ينتج عنهم من الاولياء والعلماء كناية بالمستعار ووجه المشابهة ما يستلزم النور ووجود الانبياء والشرائع من الاهتداء بهما ورشح تلك
الاستعارة بذكر الكسوف وعبر به عن عدم ذلك النور منها ملاحظة لشبهها بالشمس **السابع** ظاهرة الغرور اى كل قد اغتر بها وانهمك
فى مشتهياتها لما فيها محبة مجوذها **الثامن** كونها على حين اصفرار من ورقها واياس من ثمرها واغورار من مائها استعار لفظ الثمر
والورق لمتاعها وزينتها ولفظ الاصفرار لتغير تلك الزينة العربية فى ذلك الوقت وعدم طلاوة عيشهم اذن وخشونة مطاعمهم كما يذهب
حسن الشجرة باصفرار ورقها فلا يلتذ بالنظر اليها وعنى بالاياس من ثمرها انقطاع امال العرب اذن من الملك والدولة وما يستلزم من
الحصول على طيبات الدنيا وكذلك استعار لفظ الماء لمواد متاع الدنيا وطرق لذاتها ولفظ الاغورار لعدم تلك المواد من ضعف التجارات و
المكاسب وعدم التمليك للاقصا وكل ذلك لعدم نظام العدل بينهم وكلها استعارات بالكناية ووجه الاستعارة الاولى ان الورق كما انه
زينة للشجرة وبه كماله كذلك لذات الدنيا وزينتها معجبة لها جمالها ووجه الثانية ان الثمر كما انه مقصود الشجرة غالبا وغايتها كذلك متاع الدنيا والانتفاع به
هو مقصودها المطلوب منها لاكثر الخلق ووجه الثالثة ان الماء كما انه مادة الشجرة وبه حياتها وقيامها فى الوجود كذلك مواد تلك اللذات
من المكاسب والتجارات والصناعات وقد كانت العرب خالية من ذلك ووجوه باقى الاستعارات ظاهرة **التاسع** دروس اعلام الهدى وكنى
باعلام الهدى عن ائمة الدين وكتبه التى بها يهتدى لسلوك سبيله وبدروسها عن موت اولئك وعدمهم كناية بالاستعارة كما سبق **العاشر** ظهور اعلام
الردى وهم ائمة الضلال الداعين الى النار **الحادى عشر** كون الدنيا متجهمة لاهلها عابسة فى وجوه طلابها وكنى بذلك عن عدم صفائها لهم فان
طيب العيش فى الدنيا انما يكون مع وجود نظام العدل والتصفية بين اهلها وعدم النظام وذلك فى زمان الفترة مفقود بين العرب هو كناية بالمستعار
ووجه المشابهة بلوم المستعار عنه وله من عدم تحصيل المطلوب منهما **الثانى عشر** كون ثمرها الفتنة اى غاية سعيهم فيها على خبط فى ظلمات جهلهم
انما هو الفتنة اى الضلال عن سبيل الله والتيه من ظلمات الباطل وغاية كل شىء هو مقصوده فتسمية الثمرة التى هى مقصود الشجرة فلذلك استعير لها
لفظها **الثالث عشر** وطعامها الجيفة يحتمل ان يكون لفظ الجيفة هنا مستعار الطعام الدنيا ولذاتها ووجه المشابهة انه لما كانت الجيفة
عبارة عما انتن وتغير من جثة حيوان ونحوها فخبث ماكله ونفر الطبع عنه كذلك طعام الدنيا ولذاتها فى زمان الفترة اكثر ما يكون من
النهب والغارة والسرقة ونحوهما مما يخبث شرعا ولذلك شرعا وينفر العقل منه نفارا باقر الكرام الاخلاق فاشبه ما يحصل من متاعها اذن الجيفة فى خبثها وسوء
مطعمها وان كان احد الخبيثين عقليا والاخر حسيا فاستعير لفظها له ويحتمل ان يكنى بالجيفة عما كانوا ياكلون فى الجاهلية من الحيوان غير المذكى وهو
ما حرمه القرآن الكريم من ذلك فى قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة اى المضروبة بالخشب حتى تموت
ويبقى الدم فيها فيكون اطيب كما زعم المجوس والمتردية اى التى تردت من علو فماتت فان كل ذلك ميتات فكثيرا ما تعفن وتوكل فيصدق
ان طعامهم كان الجيفة **الرابع عشر** كون شعارها الخوف **الخامس عشر** كون دثارها السيف استعار لفظ الشعار للخوف والدثار
للسيف ووجه الاستعارة الاولى ان الخوف لما كان من العوارض القلبية الا انه كثيرا ما يستتبع اضطراب البدن وانفعاله بالرعدة فيكون ملابسا
لبشمول ملابسة الشعار للبدن ووجه الثانية ان الدثار والسيف يشتركان فى مباشرة الدثار والضرب من فوقهما وقوله فاعتبروا عباد الله
شروع فى المقصود فقوله واذكروا تيك اشارة الى وجه العبرة من قبائح الاعمال اى تلك الاعمال التى كانت عليها اباؤكم واخوانكم زمان الفترة
وزمان دعوة الرسول لكم وقوله فهم بها مرتهنون اى محبوسون فى سلاسل الهيئات البدنية واغلال ما اكتسبوا منها ومحاسبون عليها
وقوله ولعمرى الى قوله بعيد الحاق بهم بابائهم فى تشبيه زمانهم بزمانهم وتقارب ما بين الزمانين وتشبيه احوالهم باحوالهم فى امور **احدها**
ان اولئك كانوا اباءكم وليس زمان الاب وحاله ببعيد الحاق بالابن من حال الابن فما بالى وبذرا **الثانى** ان الرسول لم يسمعهم
شيئا الا واسمعكم اياه فلا فرق بينكم وبينهم من هذه الجهة **الثالث** انه لا تفاوت بين اسماعكم واسماعهم **الرابع** ان سائر الالات البدنية
التى لاولئك فاكتسبوا بها كما لكم واكتسبوا حاصلة لكم ايضا **الخامس** انكم لم تعلموا شيئا كان اباؤكم جهلوه حتى يكون ذلك سببا
للفرق بينكم وبينهم **السادس** ولا اصفيتم من الدنيا بشىء لم يكن لابائكم مثله وغرضه من الحاقهم بابائهم فى هذه الاحوال امران احدهما التنفير عن حال
من سبق من العاصين بمخالفة اوامر الله **الثانى** الجذب والترغيب فى حال من سبق ممن اطاع الله والرسول فانه اذا حصلت المشابهة بينهم وبين
السابقين والمتشابهات يتحدان فى اللوازم كان من تشبه بسابق فى عصيانه لزمه ما لزمه من اليم العقاب ومن تشبه فى طاعته وانقياده لله لزمه
ما لزمه من الوصول الى جزيل الثواب وقوله ولقد نزلت بكم البلية تنبيه ان يكون انذارا بابتلاء الخالق بدولة بنى امية وملوكها وقوله جائلا

خطامها

خطامها كناية بالمستعار عن خطرها وصعوبة حال من ركن اليها فانها لما كانت تعلو لمتناولها وتجذبه عن نظام الشريعة جاز تشبيهها ببعض الاوهام كما ان الركن
اليهم على خطر تبوينه ونفسه كما ان من ركب الى الناقة التي جال خطامها اي لم يثبت في وجهها وارتخى زمامها فركبها كان على خطرات تصرعه
فيهلك ثم اردف ذلك بالنهي عن الاغترار بما اصبح فيه اهل الغفلة من متاع الدنيا وطيباتها ونعيمها واستعار لفظ الظل له ووجه الشبه
ما ذكرناه فيه من كونه معدوما ينتهي عند اجل ويزول به والله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** المعروف من غير رؤية والخالق من
غير روية الذي لم يزل قائما دائما اذ لا سماء ذات ابراج ولا حجب ذات ارتاج ولا ليل داج ولا بحر ساج ولا جبل ذو فجاج ولا
فج ذو اعوجاج ولا ارض ذات مهاد ولا خلق ذو اعتماد ذلك مبتدع الخلق والشمس والقمر دائبان في مرضاته يبليان

ووارثه واله الخلق

كل جديد ويقربان كل بعيد قسم ارزاقهم واحصى آثارهم واعمالهم وعدد انفاسهم وخائنة اعينهم وما تخفي صدورهم من
الضمير ومستقرهم ومستودعهم من الارحام والظهور الى ان تتناهى بهم الغايات هو الذي اشتدت نقمته على اعدائه في سعة
رحمته واتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته قاهر من عازه ومدمر من شاقه ومذل من ناواه وغالب من عاداه من توكل عليه
كفاه ومن سأله اعطاه ومن اقرضه قضاه ومن شكره جزاه عباد الله زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا وحاسبوها من قبل ان
تحاسبوا وتنفسوا قبل ضيق الخناق وانقادوا قبل عنف السياق واعلموا انه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ و
زاجر لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ **اقول** الارتاج الاغلاق والداجي الساكن والفجاج الطرق الواسعة والفج الواسع ودائبان
مجدان في سيرهما وعازه غالبه والمناواة المعاداة وقد حمد في هذا الفصل باعتبارات اضافية تحقيقا لمعرض تحميده **فالاول**
كونه تعالى معروفا من غير رؤية وقد سبق معنى معرفته تعالى وبيان كونه منزها عن الرؤية بحاسة البصر **الثاني** كونه تعالى خالقا من غير روية
وقد سبق بيانه في قوله في الخطبة الاولى بلا روية اجالها **الثالث** كونه لم يزل دائما وذلك لكون وجوب وجوده مستلزما لاستحالة عدمه
ازلا وابدا **الرابع** كونه قائما ويجوز ان يريد به معنى الدائم الباقي ويجوز ان يريد به القائم بامور العالم والمدبر له وعلى هذا الوجه فاقوال
الاول عن ابن عباس رض كونه عالما بالخلائق بما كانوا عاملين باحوالهم **الثاني** قيامه بتوكيل الحفظة عليهم وهو اختيار البلخي لقوله تعالى
امن هو قائم على كل نفس بما كسبت **الثالث** القائم على الشيء هو الحافظ له والمدبر لامره **الرابع** هو المجازي بالاعمال **الخامس**
هو القاهر لعباده والمقتدر عليهم وقوله اذ لا سماء الى قوله ذو اعتماد اشارة الى تحقيق اعتبار ازليته وقيامه بدائمه وسبقه لكل ممكن ومنفرد به
لقول الرسول ص كان الله ولا شيء فاما الحجب ذات الارتاج فيحتمل ان يريد بها السموات على ظاهر الشريعة وانه تعالى في السماء فاشبهت الحجب له
فاطلق له لفظها عليها وكونها ذات ارتاج كناية عن عدم التمكن من فتحها والدخول فيها كما نبه بالاستعارة وقال بعض الفضلاء اراد بها الهيئات
البدنية ومحبة الدنيا والظلمات الحاصلة للنفس الحاجبة لها عن مشاهدة انوار جلال الله حتى كانها اقفال عليها كما قال تعالى ام على قلوب اقفالها
وقوله ولا خلق ذو اعتماد اي ذو قوة وبطش **السادس** كونه مبتدع الخلق اي مخترعه على غير مثال سبق **السابع** كونه وارثه اي كما انه مبدأ له فهو
مآله ومرجعه وذلك اشارة الى كونه دائما قائما لم يزل ولا يزال **الثامن** كونه اله الخلق وهو اعتبار اضافته بالقياس الى ايجاده لهم واستعبادهم
التاسع كونه رازقهم وهو اعتبار له بالقياس الى افاضته سائر نعمه عليهم **احدها** كون الشمس والقمر دائبين في مرضاته اي على وفق ارادته الحكيمة
المطلق والنظام الكلي وذكرهما في معرض تمجيده لكونهما من اعظم آيات ملكه وقوله يبليان كل جديد نسب الابلاء اليهما لكون حركاتهما من
الاسباب لحدوث الحوادث في هذا العالم وتغيراته وكذلك قوله ويقربان كل بعيد وينجذب الى ذكر المعاد والعمل له فكونهما يبليان كل
جديد منبه على عدم الثقة والاعتماد على ما يروق ويعجب من حسن الابدان وجدتها وكل ما يجد ويتجدد من قينات الدنيا ولذاتها ووجوب
دخولها فيما يبلى وكونهما يقربان البعيد تنبيه مع ذلك على الحذر مما يستبعده اهل الغفلة من الموت والفناء في صحة ابدانهم وسلامتهم في
حيوتهم الدنيا **العاشر** كونه تعالى قسم ارزاقهم كقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا اي وهب لكل من الخلق ما كتب له في اللوح المحفوظ
الحادي عشر كونه احصى آثارهم الى قوله من الارحام والظهور اي احصى كل ذلك منهم بقلم القضاء الالهي في الالواح المحفوظة واليه الاشارة بقوله تعالى
والله يعلم اعمالكم وقوله وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين وقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وقوله الى ان تتناهى بهم الغايات اي يعلم كل احوالهم من حين ابتدائهم
الى ان يقف كل عند غايته المكتوبة له من خير او شر **الثاني عشر** هو الذي اشتدت نقمته على اعدائه في سعة رحمته واتسعت رحمته لاوليائه
في شدة نقمته واشار بذلك الى كماله بالنسبة الى ملوك الدنيا فان احدهم في حالة غضبه على عدوه لا يتسع لرحمة ولا رحمة غيره وكذلك
في حال رحمته لاوليائه لا يجتمع معها غضب عليهم ولما ثبت انه تعالى هو الغني المطلق المنزه عن صفات المخلوقين وانه المعطي لكل قابل ما يستعد من كماله
يتوقف في وجوده على امر من ذاته وكان اعداء الله مستعدون بسبب عليهم عند قبول سخطه وشدة نقمته في الآخرة لاجرم اولاهم ذلك وان كانوا
في الدنيا في سعة رحمته وشمول نعمته وكذا اولياؤه لما استعدوا لقبول رحمته وشمول نعمته افاضها عليهم ثم هي حضرتهم قد يسر على ظاهره
من البهجة والسعادة وضروب الكرامة وان كانوا باحساسهم في ضروب من العذاب وشقاوة الفقر والتقشف في الدنيا وذلك لا يملكه الا

حليم لا يشغله غضب عن رحمته عدل حكيم لا تمنعه رحمته عن انزال عقوبته سبحانه ليس الا هو **الثالث عشر** قاهر من خافه انه تعالى قاهر
با غيبا انه قاصم ظهور الجبابرة من اعدائه مفنيهم بالموت والاذلال كفرعون اذ قال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى وهو الذي
لجى هذه الاقتباسات مطار كل موجود فهو مستهتر تحت قدرته وقهره عاجز في قبضته **الرابع عشر** ومقدم من شاقه **الخامس عشر** ومذل
من ناواه **السادس عشر** وغالب من عاداه فمن شاقه الله باتباع غير سبيله من بعد ما تبين له الهدى ومن ناواه الاعراض عن اوامره
واتباع الشهوات وانه لا نعمة هو افاضته لصور المحامد الحمد له **السابع عشر** كافي من توكل عليه **الثامن عشر** ومعطي
من سأله **التاسع عشر** وقاضي من فرضه **العشرون** ومجازي من شكره وهذه الاعتبارات تعود الى حرف واحد وهو ان العبد
اذا استعد بحسن التوكل والسؤال والصدقة والشكر لنعم الله وجب بجود الله وحكمته افاضة كفايته فيما توكل عليه فيه وكفاية مهمه من الكمالات
افاضة تمامها عليه ومن دفع النقصانات ودفعها عنه ثم اعطاؤه ما سأل اذا استعد لقبوله ثم اداؤه من قرضه اضعافا فهم جزاؤه على
شكره بازاء انعامه واطلاق لفظ القرض لما يعطى الفقير مجاز كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي برا من جهات البر
والتمحض خالصا لوجه الله فيضاعفه له اضعافا كثيرة ووجه المناسبة كون الفقراء اهل شوق عيال الله فكان المعطي هو الله تعالى وقوله
عباد الله الى آخره شروع في الشور والموعظة فقوله زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا امر للنفوس في الدنيا اعتبار اعمالها وضبطها بميزان
العدل اي مراعاة استقامتها على حاق الوسط من طرفي الافراط الذين هما ككفتي الميزان مهما رجحت احديهما في النقصان الاثم وخسر

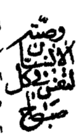
والتفريط

بيان ميزان الحساب

فام واما الميزان الاخروي فاما على راي المتكلمين وظاهر الشريعة فظاهر واما على راي محققي السالكين من الصوفية فقد اشار اليه الامام
الغزالي رضه كان في بيانه فقال ان تعلق النفس بالجسد كالحجاب لها عن حقائق الامور وبالموت ينكشف الغطاء كما قال تعالى فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد ومما ينكشف له تاثير اعماله فيما يقربه الى الله تعالى ويبعده عنه ومقادير تلك الآثار وان بعضها اشد تاثيرا
من بعض وفي قدرة الله تعالى ان يجري سببا يعرف الخلق به في لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة الى تاثيرها في التقريب والابعاد
فحد الميزان ما به يتميز الزيادة والنقصان وان اختلف مثاله في العالم المحسوس فمنه الميزان المعروف ومنه القبان والاصطرلاب لحركات
الفلك والمسطرة لمقادير الخطوط والعروض لمقادير حركات الاصوات فهذه كلها امثلة للميزان الحقيقي وهو ما يعرف به الزيادة و
النقصان وهو موجود فيها باسرها وصورته تكون للحس عند التشكيل وللخيال بالتمثيل وقوله وحاسبوه قبل ان تحاسبوا محا

محاسبة النفس

النفس ضبط الانسان على نفسه اعمالها الخيرية والشرية ليزكيها بما ينبغي لها ويعاقبها على فعل ما لا ينبغي وهي باب عظيم من ابواب المرابطة في
سبيل الله فان للعارفين في سلوك سبيل الله ومرابطتهم مع نفسهم مقامات خمسة **الاولى** المشارطة ثم المراقبة ثم المحاسبة
المحاسبة ثم المعاتبة المجاهدة والمعاقبة وضربوا لذلك مثالا فقالوا ينبغي ان يكون حال الانسان مع نفسه كحال التاجر مع شريكه اذا سلم
اليه مالا للتجارة به فالعقل هو التاجر في طريق الآخرة ومطلبه وربحه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها كما قال تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب
من دسيها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة فالعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وكما
ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل
يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظائف ويامرها بسلوك طريق الحق ويرشدها اليها ويحرم عليها سلوك غيرها كما
يشترط التاجر على شريكه **الثانية** ان لا يغفل عن مراقبتها لحظة فلحظة عند خوضها في الاعمال ويلاحظها بالعين الكالئة والى
مقام المراقبة الاشارة بقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقوله صلى الله عليه وآله اعبد الله
كانك تراه وقد سبق بيان حقيقة المراقبة ولا بد منها فان الانسان لو غفل عن نفسه واهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال
كالعبد الخائن اذا انفرد بمال سيده **الثالثة** ثم بعد الفراغ من العمل ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط فان هذه تجارة
ربحها الفردوس الاعلى فتدقيق الحساب في هذا اهم من التدقيق في ارباح الدنيا لحقارتها بالنسبة الى نعيم الآخرة فلا ينبغي ان يهمل من
انفاسها ذرة من حركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة من انفاس العمر جوهرة نفيسة



لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنزا من كنوز الآخرة لا تتناهى قالوا وينبغي للانسان ان يخلو عقيب فريضة كل صبح مع نفسه بالوصية ويقول
اي نفس ليس لي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني راس مالي ووقع الياس من التجارة وطلب الربح وهذا يوم جديد قد امهلني الله فيه
وهو صاحب البضاعة وردها ولو توفاني لقلت رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت فاحسبي انك رددت فاياك وتضييع هذا
اليوم والغفلة فيه واعلمي ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه يفتح للعبد في كل يوم وليلة اربع وعشرون
خزانة مصفوفة فيفتح له فيها خزانة فيراها مملوة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والاستبشار بمشاهدة
تلك الانوار ما لو قسم على اهل النار لادهشهم عن الاحساس بالالم ويفتح له خزانة اخرى فيراها سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه
ظلامها وهي الساعة التي عصى الله تعالى فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة

في بيان خطبة الاشباح

ليس فيها ما يبرّه وما يبوءه وهي الساعة التي نام فيها او يعقل في شيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من الغبن الفاحش ما يناله من قدر على ربح كثير ثم ضيعه واليه الاشارة بقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن وقال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين وهو اشارة الى الغبن والحسرة يوم شدته ثم تبيانه وصيته لاعضائه السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسليمها اليها فانها رعاياها خادمة لها في التجارة وتعليم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء ويوصي كل عضو بما ينبغي له وينهاه عما لا ينبغي له ويرجع في تفصيل تلك الاوامر والنواهي الى مراسم الشريعة ثم تشترط عليها ان خالفت ذلك عاقبها بالمنع من شهواتها وهذه الوصية قد تكون بعد العمل وقد تكون قبله للتحذير كما قال تعالى فاعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه الرابع المجاهدة والمعاقبة وهو بعد المحاسبة اذا راى نفسه قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالصبر عن امثالها ويضيق عليها في موردها وما يعود اليها من الامور المباحة وان راها توانت وكسلت عن شيء من الفضائل وورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الطاعات جبرا لما فات روي ان ابن عمر اخر صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين الخامس توبيخ النفس ومعاتبتها وقد علمت ان لك نفسا امارة بالسوء ميالة الى الشر وقد امرت بتقويمها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها ولذاتها المألوفة فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة وسبيل المعاتبة ان تذكر النفس عيوبها وما هي عليه من الجهل والحمق وما بين يديها من مفاجأة الموت وما تؤول اليه من الجنة والنار وما عليه اتفاق كلمة اولياء الله الذين هم بمثلها سادات الخلق ورؤساء العالم من وجوب سلوك سبيل الله ومفارقة معاصيه وتذكيرها بآيات الله واحوال الصالحين من عباده فهذه محاسبات النفس ومرابطاتها واما حسابها في الآخرة فقد سبقت الاشارة اليه وقوله وتنفسوا من قبل ضيق الخناق استعار لفظ التنفس لتحصيل الراحة والبهجة في الجنة بالاعمال الصالحة في الدنيا المستلزمة لها كما يستلزم التنفس راحة القلب من الكرب واستعار لفظ الخناق من الحبل المخصوص للموت ووجه المشابهة ما يستلزمه ضيق الخناق والموت من عدم التمكن والتصرف والعمل اي انتهزوا الفرصة للعمل قبل تعذره بزوال وقته وضيقه وقوله وانقادوا قبل عنف السياق اي انقادوا لاوامر الله الى طاعته قبل السوق العنيف وهو سوق ملك الموت بالجذبة المكروهة كما سبق وقوله واعلموا انه من لم يعن على نفسه الى آخره اي من لم يعنه الله على نفسه واعانته له هو اعداد الالهية لنفسه الناطقة ان تقبل السوانح الخيرية وتأييدها بها على النفس الامارة بالسوء حتى تقوى بتلك السوانح على قهرها وعلى الانزجار عن متابعتها والانجذاب الى ما تدعوها اليه من الشهوات فانه متى لم يكن لها ذلك الاستعداد والقبول لم ينفعها وعظ ولم يقبله اذ لا قبول بدون استعداد للقبول وفي ذلك تنبيه على وجوب الاستعانة بالله في احوال النفس ودفع الشيطان عنها وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الاشباح وهي من جلائل خطبه وكان سائل سأله ان يصف الله تعالى حتى كانه يراه عيانا فغضب لذلك وقال الخطبة روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال خطب امير المؤمنين عليه السلام هذه الخطبة على منبر الكوفة وذلك ان رجلا اتاه فقال له يا امير المؤمنين صف لنا ربنا لنزداد له حبا وبه معرفة فغضب ونادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد باهله فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم خطبها واعلم ان هذه الخطبة فصول **الفصل الاول** قوله الحمد لله الذي لا يفره المنع ولا يكديه الإعطاء والجود اذ كل معط منتقص سواه وكل مانع مذموم ما خلاه هو المنان بفوائد النعم وعوائد المزيد والقسم عياله الخلائق ضمن ارزاقهم وقدر اقواتهم ونهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه وليس بما سئل باجود منه بما لم يسأل الاول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده والرادع اناسي الابصار عن ان تناله او تدركه ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه اصداف البحار من فلز اللجين والعقيان ونثارة الدر وحصيد المرجان ما اثر ذلك في جوده ولا انفد سعة ما عنده ولكان عنده من ذخائر الانعام ما لا تنفده مطالب الانام لانه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله الحاح الملحين **اقول** الاشباح الاشخاص ويفره يزيد ماله وفورا ويكديه يقلل خيره وتنفست عنه انفرجت والفلز ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض والعقيان الذهب الخالص والمرجان صغار اللؤلؤ والالحاح في السؤال الادامة عليه وقد شرع في وصف الله سبحانه باعتبارات له الى تارة **الاول** انه لا يزيد بما حرمه ومنعه من فضله **الثاني** ولا ينقصه عطاؤه وجوده ثم رد حكم الوهم عليه سبحانه بدخوله في عموم المنتقصين بالعطايا بقوله اذ كل معط منتقص سواه وكل قدسه عن الدخول في زمرة المذمومين بمنعهم ما في ايديهم عن طالبه بقوله وكل مانع مذموم ما خلاه فكانت هاتان القضيتان مؤكدتين للاوليين وبرهانهما ان التزيد بالمنع والتنقص بالاعطاء انما يطلق في حق من ينتفع وينضر بالزيادة والنقصان والانتفاع والتضرر على الله تعالى محال فالتزيد والتنقص عليه محال ولانهما يقتضيان عليه بالحاجة والامكان لان

ان م

تنقويمها م

عرضها م

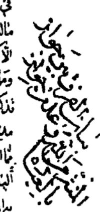
والجود م

الخلق ن ل

في مكان نه

في بيان الحظيرة الاشباح

مقصود ذاته غير متناهية وتيسير قبوله اذ على جهة الفرق بينه وبين خلقه انما استقصى المعطي من خلقه لحاجته الى ما يعطيه وانتفاء غيره وانما
استحق المانع منهم الذم دونه سبحانه لكون ما يصدر عنه من منع واعطاء مضبوطا منوطا بنظام الحكمة والعدل دون غيره من المانعين فان
غالب منعهم يكون عن شح وهوى متبع واعلم ان صدق الكلية في المستقصين من الخلق بالعطاء ظاهر واما في المذمومين بالمنع فتحقيقها ان كل
مانع للمال فهو انما يمنعه خوف الفقر ونحوه وظاهر ان الخائف من الفقر في الدنيا محب لها وهو بمعزل عن عباد الله المتوكلين عليه الزاهدين
في متاع الدنيا وفنائها ولما كان العبد مامورا بان يكون من هؤلاء وفي زمرتهم فبالحري ان يكون مستحقا للذم على ما يمنعه من
ماله فيكون حجابا لوجهه عن النظر الى وجه الله الكريم فصدق الكلية اذن ظاهر وفي دعاء زين العابدين يا من لا يزيده كثرة العطا
الا كرما وجودا وفيه سر لطيف فانه لما كان جوده سبحانه غير متوقف التعلق الا على وجود الاستحقاق وكانت كل نعمة صادرة عنه معدة لمحلها
ومهيئة له لقبول نعمة اخرى كانت كثرة عطائه مستلزمة لكثرة الاعداد المستلزمة لزيادة الجود **الثامن** انه المنان بفوائد النعم والمن
تذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته والتطاول عليه بها كقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم في غير موضع من كتابه وهي صفة
مدح للحق سبحانه وان كانت صفة ذم لخلقه والسبب الفارق كون كل منعم سواه فيحتمل ان يتوقع لنعمته جزاء ويستعيد كما لا يعود اليه
مما افاده واثيره نوع التذكر ويفتخر بما نال بنعمته ويتوقع لها جزاء ان يمن بها لما يستلزمه المن من التطاول والكبر وتوقع الجزاء والحاجة
اليه مع التطاول والكبر مما لا يجتمعان في العرف اذ التطاول والكبر انما يليقان بالغني عن ثمرة ما تطاول به ولان التطاول مما يتاذى
به المنعم عليه فيبطل بذلك استعداد نفس المنعم لقبول رحمة الله وجزائه ولذلك ورد النهي عن المن في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى فجعلهما سببا لبطلان الصدقة اي عدم استحقاق ثوابها وفوائد النعم ما افادها وعوائد المزيد والقسم عطاء دفعها
التاسع كون الخلائق عياله ضمن ارزاقهم وقدر اقواتهم واستعار لفظ العيال للخلق بالنسبة الى ربهم ووجه المشابهة ان عيال الرجل هو
من جمعهم كيفيتهم ويصلح حالهم كذلك الخلق بما خلقهم وجمعهم تحت عنايته لتصلح احوالهم في معاشهم ومعادهم وكذلك استعار لفظ الضمان باعتبار
ما في الحكمة الالهية من وجود ما لا بد منه في تدبير اصلاح حالهم من الاقوات والارزاق وتقدير اقواتهم اعطاء كل ما كتب له في اللوح المحفوظ
من زائد وناقص **العاشر** كونه نهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه وذكر اولا ما يصلح حالهم في الدنيا وهو ضمان الارزاق
وتقدير الاقوات ثم اردفه بما هو سبب صلاح حالهم في الاخرة من نهج السبيل وايضاحه واشار بايضاح النهج الى الطريق لسالكين الراغبين
في النظر الى وجهه الكريم والطالبين لما عنده من النعيم المقيم **الحادي عشر** كونه ليس بما سئل بالجود منه بما لم يسئل ويستلزم بيان هذا
الوصف اشارة لطيفة وهو ان فيضه ما صدر عنه سبحانه له اعتباران احدهما بالنظر الى جوده وهو من تلك الجهة غير مختلف في جميع
الموجودات بل نسبتها اليه على سواء وبذلك الاعتبار فلا يقال هو بكذا اجود منه بكذا والا لاستلزم ذلك ان يكون بعض الاشياء ابخل اليه
احوج فيلزم النقصان تعالى الله عن ذلك الثاني بالنظر الى الممكن نفسه والاختلاف الواقع في القرب والبعد الى جوده انما هو من تلك
الجهة فكل ممكن كان اتم استعدادا واقبل للوجود واقل شرطا ومعاندا كان اقرب الى جوده اذا عرفت ذلك فاعلم ان السائل وان حصل
له ما سال من الله تعالى دون ما لم يسئل فليس منعه ما لم يسئله لعزته عند الله فليس بينه وبين ما سئل بالنسبة الى جود الله تعالى فرق وتفاوت
بل انما اختص بما سئل لوجوب وجوده له عند تمام قبوله له بسؤاله وفقد ما لم يسئله ولو سئل ما لم يسئله واستحق وجوده لما كان في الجود
الالهي بخل به ولا منع في حقه وان عظم خطره وجل قدره ولم يكن لما اثر نقصانا في خزائن ملكه وعموم جوده والى هذا اشار علي بن موسى الرضا وقد
سئل عن الجواد فقال لسؤالك وجهان ان اردت المخلوق فالذي يؤدي ما افترض الله عليه والبخيل الذي يمنع ما افترض الله عليه وان اردت الخالق
فهو الجواد ان اعطى وان منع لانه ان اعطى اعطى من له وان منع منع من ليس له فقوله له وليس له اشارة الى ان الجود الالهي انما يجب ويتوقف
في هيئته على وجود المستحق وقد نزهه بهذا الوصف عن صفة الخلق اذ كان من شانهم ان يكونوا بما سئلوا اجود منهم بما لم يسئلوا لكونه
اسهل عليهم ومن شان السائل ان لا يبالي لهما مواقع عندهم ولذلك كانوا بما سئلوا اجود **الثاني عشر** الاول الذي لم يكن له قبل فيكون
شيء قبله **الثالث عشر** والاخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده وقد اشرنا الى هذين الوصفين فيما سلف ونزيدهما بيانا فنقول الاولية
والاخرية اعتباران اضافيان تحدثهما العقول لذاته المقدسة وذلك انك اذا لاحظت ترتيب الوجود في سلسلة الحاجة اليه سبحانه وجدته
متقدما بالاضافة اليها اول اذ كان انتهاؤها في سلسلة الحاجة الى غناه المطلق فهو اول بالعلية والذات والشرف وليس بذي مكان
فالتقدم بالمكان منفي عنه والزمان متاخر عنه اذ هو من لواحق الحركة المتاخرة عن الجسم المتاخر عن علته فلم يلحقه القبلية الزمانية فضلا
ان تسبق عليه فلم يكن شيء قبله مطلقا لا من الزمانيات ولا من غيرها واذا اعتبرته بالنظر الى ترتيب السلوك ولاحظت مراتب السالكين اليه
في منازل عرفانه وجدته اخرا اذ هو اخر ما ترتقي اليه درجات العارفين ومعرفته هي الدرجة القصوى والمنزل الاخر ولان كل موجود
سواه فهو ممكن العدم فله من ذاته ان لا يستحق وجودا فضلا ان يستحق الاخرية والبعدية المطلقة وهو تعالى الواجب لذاته فهو المستحق
لبعدية الوجود واخريته لذاته وبالقياس الى كل موجود فاذن هو الاول المطلق الذي لا شيء قبله والاخر المطلق الذي لا شيء بعده **التاسع**



الرابع انا نبئى الاشياء عن ان تناله او تدركه وقد سبق ان القوة الباصرة انما تتعلق بذي وضع وجهة والبارى تعالى منزه عنهما فيستحيل
ان يدرك بحاسة البصر وبعضها فهو ما مثل النقصان عن قبول الادراك الخامس كونه لم يختلف عليه دهر فيختلف عليه الحال اما كان
الزمان مبدأ للتغيرات واختلاف الاحوال وكان ذاته سبحانه منزهة عن لحوق الزمان كانت منزهة عن تغير الاحوال الجارية على الزمان باختلافها
واختلافها الحادى عشر ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال لما كان من شأن ذي المكان جواز ان ينتقل عن مكانه وكان سبحانه
منزها عن المكان والا لزمه النقصان اللازم للامكان لاحتياجه لم يجز عليه الانتقال الثانى عشر كونه لو وهب ما تنفست عنه معادن
الجبال وضحكت عنه اصداف البحار من فلز اللجين والعقيان الى قوله مطالب الانام انما عد هذه الاشياء في معرض المدح له تعالى لكونها
اعظم ما يتنافس عليه الاناسى ويهتمون به واجل ما يتنافسون فيه ابناء الدنيا فنبههم على كمال قدرته وعدم تناهي مقدوراته اذ سبق
انه انما يتم ببيانه حاجة المحتاجين الذين يتعارف عليهم الانتفاع والتضرر واستعار لفظ الضحك للاصداف ووجه الشبه
انفتاح الصدف عن اللؤلؤ وايضا استفادتها عن اللؤلؤ والتشبيه في بياضه بما يبدو حال ضحك الانسان من الاسنان ففي ذكره طرفة ولطافة
ومن عادة الصدف عند فتحها وحبها كما ان الانسان يضحك في كل استعار لفظ الحصيد لصغار اللؤلؤ ملاحظة لشبهه بما يحصد من
الحنطة وغيرها واعلم ان التمثيل وان كان حيوانا ذو حس وحركة الا ان له شبها بالنبات ولحوقا به من جهة انه ذو عرق في الارض يتغذى
به وقد اخرج ما يخرج من معادن البر والبحر لعبده الشامخين بيننا وقوله لان الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله الحاح الملحين
انما كان هذا علة لعدم تأثير جوده بجميع ما يعظم قدره ونقصان خزائنه باخراجه منها لان الجواد الذي شأنه ما ذكر انما كان كذلك لكونه
لا يمنع شأنه ان يجمد النفع والضرر والنقص بل هو غنى منشأ هيبة واستعار لفظ الغيض لعدم ملاحظة لشبهها بالماء الذي له مادة نافذة
لا ينقص ما نزح ومن روي يغيضه بالغين والضاد فلان الغضب من لواحق المزاج والبارى تعالى منزه عنه فيتنزه عن لواحقه وكذا البخل رذيلة مكتسبة
من البدن والمزاج تبعث عليها الحاجة والنقصان من لا يزيد ولا ينقص فلا يؤثر في ملكه ان يجب الدنيا لمن سألها

الفصل الثالث

قوله فانظر ايها السائل فما دلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضئ بنور هدايته وما كلفك الشيطان علمه مما ليس
في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وائمة الهدى اثره فكل علمه الى الله سبحانه فان ذلك منتهى حق
الله عليك واعلم ان الراسخين في العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره
من الغيب المحجوب فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه
رسوخا فاقتصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام
لتدرك منقطع قدرته وحاول الفكر المبرء من خطر الوساوس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته وتولهت القلوب اليه لتجرى
في كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتنال علم ذاته ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب
متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذ جبهت معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ولا تخطر ببال اولى الرويات خاطرة من
تقدير جلال عزته الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله وارانا من ملكوت قدرته
وعجائب ما نطقت به آثار حكمته واعتراف الحاجة من الخلق الى ان يقيمها بمساك قوته ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته وظهر
في البدائع التي احدثها آثار صنعته واعلام حكمته فصار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه وان كان خلقا صامتا فحجته بالتدبير
ناطقة ودلالته على المبدع قائمة فاشهد ان من شبهك بتباين اعضاء خلقك وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك
لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ولم يباشر قلبه اليقين بانه لا ند لك وكانه لم يسمع تبرء التابعين من المتبوعين اذ يقولون تالله
ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين كذب العادلون بك اذ شبهوك باصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين باوهامهم
وجزؤوك تجزئة المجسمات بخواطرهم وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم فاشهد ان من ساواك بشيء من خلقك
فقد عدل بك والعادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك ونطقت به شواهد حجج بيناتك وانك انت الله الذي لم تتناه
في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفا ولا في رويات خواطرها محدودا مصرفا اقول الاقتحام الدخول في الامر بشدة
والسدد جمع سدة وهي الابواب والحجب وحجاب البلاد اي قطعها والسدف جمع سدفة وهي الظلمة والحبير الرد واحتذى عليه اي سلك
مسلكه واحتذاه والحقاق جمع حق وهو اطراف عظام المفاصل والعادل الجاعل لله عديلا والقريحة قوة الفكر وصدر هذا الفصل تأديب للخلق
في وصفهم لله سبحانه وتعليمهم كيفية السلوك في مدحه والثناء عليه بما هو اهله وان كان الخطاب للسائل اذ هو السبب في هذه الخطبة
وذلك على طريقة قولهم اياك اعنى واسمعى يا جارة فارشده في ذلك الى كتاب الله وامره ان يجعله اماما يقتدى به ويستضئ بانواره
في سلوك سبيل الله وكيفية وصفه فان اولى ما وصف به تعالى هو ما وصف به نفسه وامره بان يكل علم ما لم يجده مفروضا عليه علمه
في كتاب الله او في سنة رسوله وآثار ائمة الهدى القائمين مقامه في ايضاح الدين وحفظه الى علم الله تعالى وهو المراد بالتفويض وذلك

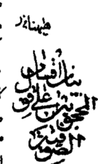
شاهدة ن
قائم منه
صنعته خ
اليمين خ
بك م

في بيان الخطبة الأشباح

تنبيه

ان ائمة الهدى اعلم بوجوه تنبيه ثم الى خلقه وبما بينا سبب ملالة الاعتبار من الالفاظ وبعيدها فيطلق عليه ونفره عن طلب ذلك والبحث عنه
باشارته الى ان تكليف التشبيه او نظائر ذلك طلب وذا احد وذا الشريعة التى نهت عن تجاوزها انما هو بسبب وسوسة الشيطان وحرص الطبع
على ما يمنع منه ثم اعلم ان ذلك هو منتهى حق الله عليه ومطلوب منه ولما كان مطلوب الشارع حين وضع الشريعة وتقرير قواعدها
هو جمع قلوب العالم على قانون واحد والتخاذهم فيه بحيث لا يفترقوا في اعتقاداتهم لئلا يكون ذلك الافتراق سببا لضعف الدين
وعدم صفائه ونهم على تشبيهه كما سبق بيانه لا جرم وجب في الحكمة ان يحرج عليهم الخوض فيما وراء ذلك لتثبت قواعد الدين في
قلوبهم وترسخ ولا يخرج بهم البحث عن ما وراءها الى اطراحها وفساد اعتقاد كثير من الخلق وتغيرها تماما وهذا اذا لم يكن فيهم من يستعد
لقبول ما وراء ذلك الظواهر الا الفرد الشاذ وان كنا نعلم انه كان اذا اعلم من احد استعدادا لقبول شيء من اسرار الشريعة وثق
بان يحمله القاه اليه كعلي عليه السلام دون ابي هريرة وامثاله ثم وصف الله الراسخين في العلم المدققين في القران الكريم بقوله تعالى
لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك الاية وقوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وفسر معنى الرسوخ فقال
هم الذين اغناهم الله عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول
ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا كما اشار الى السدد المضروبة وحجب الغيوب فلنشر الى
ما كشف عند بعض علماء الصوفية منها واشار اليه الخبر عن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو
كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره ولما ثبت ان الله تعالى متجلي لذاته بذاته فالحجاب لابد وان يكون بالنسبة الى محجوب
فاقسام المحجوبين ثلثة فمنهم من حجب بمجرد ظلمة ومنهم من حجب بمجرد نور ومنهم من حجب بنور مقرون بظلمة وتحت كل قسم من هؤلاء اقسام كثيرة
لا تحصى فلنكتفين بالاشارة الى اصولها فنقول **القسم الاول** المحجوبون بمجرد الظلمة وهؤلاء هم الملحدة الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وهم
صنفان فصنف منهم طلبوا للعالم سببا فاحالوه على الطبع وقد علمت ان الطبع صفة حينها بيته مظلمة خالية عن المعرفة والادراك وصنف
منهم لم يتفرغوا لذلك ولم ينبهوا لطلب السبب بل اشتغلوا بانفسهم وعاشوا عيش البهائم فكانوا محجوبين بكدورات نفوسهم وشهواتهم
المظلمة ولا ظلمة اشد من الهوى ولذلك قال افرأيت من اتخذ الهه هواه وقال النبي عليه السلام الهوى ابغض اله عبد على وجه الارض
وتحت هؤلاء فرق كثيرة لا حاجة الى ذكرها **القسم الثاني** المحجوبون بنور مقرون بظلمة وهم ثلثة اصناف فصنف منهم
منشأ ظلمتهم الخيال وصنف منهم منشأها مقايسات عقلية فاسدة فالاول لهم طوائف **الاولى** عبدة الاوثان فانهم علموا على سبيل
الجملة ان لهم ربا واوجبوا ايثاره على انفسهم واعتقدوا انه اعز وانفس من كل شيء ولكنهم حجبوا بظلمة الحس عن ان يجاوزوا العالم المحسوس
في اثبات ربهم فاتخذوا من انفس الجواهر كالذهب والفضة واليواقيت اشخاصا مصورة باحسن صورة وجعلوها الهة فهؤلاء محجوبون
بنور العز والجمال من صفات الله لكنهم وضعوها في الاجسام المحسوسة فصارت حجبهم انوارا مكدرة بظلمة الحس اذ الحس ظلمة بالاضافة
الى عالم المعقولات **الثانية** طائفة ترقوا عن رتبة الاحجار فكانوا ادخل من عبدة الاوثان في ملاحظة الانوار كما يحكى عن قوم من اقاصي
الترك ليس لهم ملة ولكن يعتقدون ان لهم ربا هو اجمل الاشياء فاذا راوا انسانا في غاية الجمال او فرسا او شجرا عبدوه وقالوا هو ربنا
فهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس ايضا **الرابعة** طائفة ترقوا عن هؤلاء وقالوا ينبغي ان يكون الرب نورانيا في صورته ذا سلطان
في نفسه مهيبا لا يطاق القرب منه ولم يترقوا عن درجة المحسوس فعبدوا النار اذ وجدوها بهذه الصفات فهؤلاء محجوبون بنور
السلطنة والبهاء وكل ذلك من انوار الله مع ظلمات حسهم **الخامسة** طائفة ترقوا عن ذلك فراوا ان النار تطفئ وتقهر فلا تصلح للالهية بل ما يكون
بهذه الصفات ولكن تكون بحيث يتصرف فيه ويكون مع ذلك موصوفا بالعلو وكان المشهور بينهم علم النجوم واضافة التاثيرات اليها فعبدوا
النجوم فمنهم عبدة المشترى ومنهم عبدة الشعرى الى غيرهم فهؤلاء محجوبون مع ظلمة الحس بنور الاستعلاء والاشراق وهي من انوار الله تعالى
السادسة طائفة ترقوا عن هؤلاء فقالوا وان وجب ان يكون الرب بالصفات المذكورة الا انه ينبغي ان يكون اكبر الكواكب فعبدوا الشمس
فهؤلاء محجوبون مع ظلمة الحس بنور الكبرياء والعظمة مع بقية الانوار **السابعة** طائفة ترقوا عن ذلك فقالوا ان الشمس لا تتفرد
بالنور بل لغيرها انوار والاله لا يجوز ان يكون له شريك في نورانيته فعبدوا النور المطلق على كل نور وزعموا انه اله العالم والخيرات
كلها منسوبة اليه ثم راوا في العالم شرورا فلم يستحسنوا اضافتها الى ربهم تنزيها له فجعلوا بينه وبين الظلمة منازعة واحالوا العالم
الى النور والظلمة وهؤلاء الثنوية **الصنف الثاني** المحجوبون ببعض الانوار مقرونة بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس واثبتوا
وراء المحسوس امرا لكنهم لم يهتدوا الى مجاوزة الخيال فعبدوا موجودا قاعدا على العرش واخسهم رتبة المجسمة ثم اصناف الكرامية وارفعهم
درجة من نفى الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة فخصصوه بجهة فوق فهؤلاء لم يثبتوا موجودا غير محسوس ولا متخيل حتى نزهوه
عن الجهة **الصنف الثالث** المحجوبون بانوار الهية مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا الها سميعا بصيرا متكلما
عالما قادرا منزها عن الجهات لكن فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال كلامه صوت مثل كلامنا
مناسبا تم

هيهنا



ج ١٠

في بيان الخطبة الاشباح

مؤثر في بعضهم فقال لا بل هو يحدث انفسنا فلا صوت ولا حرف ولذلك اذا حققوا القول عليهم رجعوا الى التشبيه في الغير وان انكروا
لفظا لانهم لم يدركوا كيفية اطلاق هذه الالفاظ في حق الله تعالى فهؤلاء محجوبون بجمل من الانوار مع ظلمات الخيالات العقلية **القسم الثالث**
المحجوبون بمحض الانوار وهم اصناف لا تحصى لكن نذكر منهم ثلثة اصناف **الاول** الذين عرفوا معاني هذه الصفات وعرفوا بين اطلاق اسمائها
على الله تعالى وبين اطلاقها على البشر فتحاشوا من تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات فقالوا ربنا رب السموات والارض
لن ندعوا من دونه الها وهو الرب المنزه عن هذا المفهوم الظاهر وهو محرك السموات ومدبرها **الصنف الثاني** الذين عرفوا ان في السموات
ملائكة كثيرة وان محرك كل سماء منها موجود اخر يسمى ملكا وان هذه السموات في ضمن فلك يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة
واحدة والرب تعالى هو المحرك للفلك الاقصى منها المشتمل عليها **الصنف الثالث** الذين ترقوا عن هؤلاء وقالوا ان تحريك الاجسام
الفلكية من الملائكة يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له ويكون الرب تعالى هو المحرك للكل بطريق الامر فهؤلاء كلهم محجوبون بانوار محضة
ونقصت بهم عما وراءها و وراء هؤلاء صنف رابع تجلى لهم ان هذا المطاع موصوف بصفة الوحدة المطلقة والكمال البالغ وكشف عنهم
حجب الخيالات والاعتبارات الى غيرهم الواصلون فمنهم من احرق ذلك التجلي في تلك الانوار جميع ما ادركه بصره بالكلية وبقي ملاحظا
لرتبة الحق فيها فانمحقت فيه المبصرات دون المبصر ومنهم من تجاوز هؤلاء وهم خواص الخواص فاحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال
فانمحقوا وتلاشوا في انفسهم فلم يبق لهم التفات الى انفسهم وملاحظة لفنائهم عن انفسهم ولم يبق الا الواحد الحق فهؤلاء هم الواصلون كما
سبقت الاشارة اليه وينتهي الكل الى حجاب الامكان الذي يهلك عنده كل موجود ولا يبقى الا وجه الله ذي الجلال والاكرام اذا عرفت ذلك
فنقول السدد المضروبة وحجب الغيب التي اشار اليها هي درجات الانفعالات في مفهومات صفات الله تعالى ومراتب عرفانه ومعرفة ملائكته
ومراتبهم وكمالاتهم وتلك حجب الانوار التي يحجب بها اهل القسم الثالث والراسخون الذين اشار اليهم هم في ظاهر كلامه الواقفون في المرتبة التي
هم الذين اقتصروا في صفات الله تعالى وملائكته وعالم غيبه على ما وقفهم الشريعة عليه على سبيل الجملة كما وصل الى افهامهم الرسول صلى الله عليه وآله
وعقلوا في وصفه تعالى بصفات الكمال ونعوت الجلال انه ليس على حد وصف البشر بها ورسخ في اذهانهم ما تصوروه اجمالا لو فصل لكان
مطابقا ومن اعدته العناية الالهية لقبول التفصيل وصل اليه. تنبيه هيهنا بحث لطيف وهو انه لما كان التكليف في نفس الامر انما هو على قدر
العقول وتفاوت مراتبها ولذلك قال صلى الله عليه وآله بعثت لاكلم الناس على قدر عقولهم كان كل عقل قوي على رفع حجاب من حجب الغيب وقصر
عما وراءه واعترف بعده بالعجز عنه فذلك تكليفه وهو من الراسخين فعلى هذا الرسوخ ليس مرتبة واحدة هي تقليد ظواهر الشريعة والاقتصار على حقيقتها
فقط بل تقليدها مرتبة اولى من مراتب الرسوخ وما وراءها مراتب غير متناهية بحسب مراتب السلوك وقوة السالكين على رفع حجب الانوار التي
اشرنا اليها وكلامه لا ينافي ما قلناه بل يصدق في ذلك عليه فان قوله وسمى ترك التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا صادق ايضا
على من قطع مرحلة من منازل السلوك وعجز عما وراءها فوقف نفسه عن التعمق فيه والبحث اذ لا يكلف بما لا يفي به قوته وقوله فاقتصر على ذلك
اي على ما نطق به الكتاب العزيز ودلت عليه السنة النبوية وارشدت اليه ائمة الهدى وقوله ولا تقدر عظمة الله تعالى على قدر عقلك فتكون
من الهالكين فالمقدر لعظمة الله تعالى بعقله هو المعتقد ان عقله قدره واحاط به علما وهو مصغر لعظمة الله بحسب عقله الضعيف وعظمته
تعالى اعظم واجل من ان يضبطها عقل بشري وانما منشأ ذلك الحكم لمن حصل له هو الوهم الحاكم بمثلية الله تعالى لما ادركه من الاجسام والجسمانيات
وذلك في الحقيقة كفر لانه اعتقاد غير الصانع صانعا وضلال عن طريق معرفته وهو مستلزم للهلاك في تيه الجهل واعلم ان في احالته عليه السلام
المعرفة على الكتاب والسنة وبيان الائمة دلالة على ان مقصوده ليس ان يقتصر على ظاهر الشريعة فقط بل يتبع انوار القرآن والسنة وآثار ائمة الهدى
فقد ورد في القرآن الكريم والسنة وكلام الائمة من الاشارات والتنبيهات على منازل السلوك ووجوب الانتقال في درجاتها ما لا يحصى
كثرة ونبهوا على كل مقام اهله واخفوه من غير اهله اذ كانوا اطباء النفوس كما ان الطبيب يرى ان بعض الادوية لبعض المرضى ترياق وشفاء
وذلك الدواء لشخص اخر سم وهلاك كذلك كتاب الله تعالى وفحوى مقاصد الانبياء والاولياء يرون ان بعض الاسرار الالهية شفاء لبعض
الصدور فيلقونها اليهم وربما كانت تلك الاسرار باعيانها لغير اهلها سببا للضلال وكفرهم اذا القيت اليهم فاذن مقصوده قصر كل عقل
على ما هو الاولى به وما يحتمله والجمع العظيم المخاطبون هم احق الطبقات الذين يجب قصرهم عليه والله اعلم وقوله هو القادر الذي اذا ارتمت الى آخره
اشارة الى اعتبارات اخر جليلة في وصفه تعالى نبه فيها على ان غاية استقصاء العقول وتعمقها وغوص فطنها طالبة لتفصيل صفات كماله
ونعوت جلاله ان تقف خاسئة وترجع حسيرة معترفة بالعجز والقصور فقوله اذا ارتمت الى قوله ردعها شرطية متصلة في قوة شرطيات
متعددة المقدمات وتاليها واحد فالمقدم الاول قوله اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته وارادتها استنباطها مجده في الطلب
والتفتيش عن منقطع قدرته ومنتهاها والمقدم الثاني قوله وحاول الفكر المبرء عن خطرات وساوس الشيطان وشوائب الاوهام ان يقع عليه
فكيفية ذاته وحيثيتها بكل ما ينبغي لها من الكمالات في عميقات غيوب ملكوته اي اسرار عالم الغيب العميقة المقدم الثالث قوله وتولهت
القلوب اي اشتد شوقها اليه لتجري في كيفية صفاته المقدم الرابع قوله وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه

هنا بحث لطيف

في بيان الخطبة الاشباح

الصفات اى نهت العقول الى حدّ انها لا تشير مع انها ملاحظة ذات الحق صفة له بل يحيد ثم كل خاطر وكل لعبارة من صفته وغيرها من ملاحظة وقد
بسأل علم ذاته بالكنه وقوله ردعها هو ثانى هذه الشرطيات وردعها موردها خاسئة حسيرة وتعب التلف فى كل من هذه المدركات هو خلفها
قاصرة عن ادراك ما تطلبه من هذه المطالب العظيمة فالاوهام لقصورها عن ادراك ما ليس بمحسوس ولا متعلقا بالمحسوس وردع الفكر
بقع عليه والقلوب لتجزى فى كيفية صفاته وتحديدها وحصرها لخلفها قاصرة عن الاحاطة بما لا نهاية له اذ كانت صفات الكمال ونعوت
الجلال كذلك وردع العقول ان يحيط بكنه ذاته لخلفها قاصرة عن ادراك كنه ما ليس بذى حد وتركيب فكان تشبيه ذلك الردع هو قيد
فلذلك قدم على الشرطية باعتبار كونه قادرا وافعاله هو القادر الذى من شانه ذلك وقوله وهى تجوب مهاوى سدف الغيوب متخلصة اليه
سبحانه الجملة فى موضع الحال والعامل ردعها واستعار لفظ السدف لظلمات الجهل بكل معنى غيبى من صفات جلاله وطبقاتها
اى ردعها عن ذلك المطالب حال ما هى قاطعة لمهاوى تلك الظلمات ووجه الاستعارة ما يشترك فيه من عدم الاهتداء ومتخلصة حال
ايضا والعامل ما تجوب او ردعها ويخلصها اليه توجهها بكليتها فى طلب ادراكه وقوله فرجعت اذ جبهت الى قوله عز من معرفته حال والعامل
بحيث وجود الاعتساف شدة جولانها فى تلك المسالك وظاهر ان جولان الاعتساف غير نافع فى تحصيل ما لا يمكن واولوا الرويات احتمالا الفكر
اى بحيث معرفته بامرين احدهما انه لا ينال كنه معرفته والثانى ان الفكر لا يقدر جلال عزته اى لا يحيط بكماله خبرا وظاهر ان صدق
هذه الاحكام للنفس موقوف على ان تمّا افكارها فى طلب هذه المعارف وعجزها عنها وقوله الذى ابتدع الخلق على غير مثال الى قوله فعلم
ان الصانع البشرية انما يحصل بعد ان يرتسم فى الخيال صورة المصنوع بل وكل فعل لا بصيرة الا من تصور وضعه وكيفيته اوله وتلك
التصورات تارة يحصل عن امثلة للمصنوع ومقادير له خارجية يشاهدها الصانع ويحذو حذوها وتارة يحصل بمحض الالهام والاختراع
كما يفاض على اذهان كثير من الاذكياء صورة شكل لم يسبق الى تصوره فيتصوره ويبرز صورته الى الخارج وكيفية صنع الله للعالم وحيث انه
منزه عن الوقوع على احد هذين الوجهين اما الاول فلانا بينا انه لا مثل له فلا مثل لمصنوعاته فلا امتثال امثلة اى عمل مثله ولا مقدار
احتذى حذوه واما الثانى وان سمى الفاعل على وفقه مخترعا لكن التحقيق يشهد بانه انما فعل على وفق ما حصل فى ذهنه من الشكل
والهيئة وهما مستفادان من الصانع الاول جلت عظمته فكان فى الحقيقة فاعلا على غير مثال سابق تحذيه بالمقدار غيره وعلم الاول تعالى
على النحو المذكور من حصول صورة مساوية للمعلوم فى ذاته كما تحققته من قبل فاذن فعله بمحض الابداع والاختراع على غير ما يكون عن
حد ومثال وقوله وارانا من ملكوت قدرته الى قوله معرفته ملكوت قدرته ملكها وانما نسبه الى القدرة لان اعتبارها مبدا الوجود كله
فهى مبدا الملك كله واثار حكمته ما صدر عنها من الافعال والاحكام والانقياد كل ناقص الى كماله واستعار لفظ النطق للسان حال آثاره
المفصح عن كمال الحكمة العجيبة بتمام النظام وحسن الترتيب ووجه المشابهة ما اشترك فيه النطق وحال مصنوعاته من ذلك الافصاح والبيان
واعتراف عطف على عجائب والى متعلق بالحاجة وما فى قوله مادلنا هى المفعول الثانى لارانا اى وارانا من اعتراف الخلق بحاجتهم الى
ان يقيمهم فى الوجود بمساك قوته التى بها تمسك السموات والارض ان تزولا ما دلنا باضطراره قيام الحجة له على معرفته وقوله على معرفته متعلق
بدلنا اى ما دلنا على معرفته فلزمت قيام الحجة له بالضرورة وقوله وظهرت فى البدائع الى قوله قائمة استعار لفظ الاعلام لما يدل على حكمة
الصانع فى فعله من الاتقان والاحكام واعلم ان كل ما ظهرت فيه اثار حكمة الله فهو ناطق بربوبيته وكمال الوهيته فبعض ناطق بلسان حاله
ومقاله كالانسان وبعض بلسان حاله فقط اذ لا عقل له ولا لسان كالجماد والنبات والضمير فى قوله الحجة يحتمل عوده الى الله
ويحتمل ان يعود الى الخلق الصامت وقد علمت ان الناس متفاوتون فى سماع هذا النطق من اثار الله ومشاهدة ترقيه مصنوعاته على درجات
متفاوتة كما اشرنا اليه غير مرة وقوله واشهد ان من شبهك الى قوله رب العالمين التفات الى خطاب الله تعالى على طريقة قوله مالك يوم
الدين اياك نعبد والمشبه به فى الحقيقة هو الخالق وانما جعل المشبه به تباين اعضائهم وتلاحم حقاق مفاصلهم لانه فى معرض ذم
المشبه والتنبيه على وجوه غلطهم وتباين الاعضاء وتلاحمها من لوازم التشبيه وهما مستلزمان للتركيب واجتماع المفردات المستلزم
لظهور الحاجة الى المركب الجامع ويمتنع على محل يظهر حاجته ان يشبه به الصانع المطلق البرئ عن الحاجة بوجه ما وفقد منهما الجرايانهما مجرى
الاوسط فى لزوم التركيب للمشبه به فيظهر تنزيه الاله عن التشبيه وان كان المقصود من شبهك بخلقه اعضائهم المتباينة المتلاحمة
والذى يقال من وجه الحكمة فى احتجاب المفاصل هو انها لو ظهرت ظاهرة عريت عن الاعصاب لتثبت رباطاتها ولست فيتعذر تصرف الحيوان
بها كما هو الان وانها ما اثبت معه مثلا فانا نقصد لها وغير ذلك من خفى تدبيره ولطيف حكمته وقد شهد على المشبه لله بخلقه
بامرين احدهما انه لم يعقد ... والثانى انه لم يتيقن تنزهه عن المثل والقرين والبرهان مصدق فان الشهادة فى الموضعين اما القران فما شبه
عليه بقوله وكانه لم يسمع تبرء التابعين من المتبوعين اذ يقولون الاية ووجه الاستدلال على المطلوب الاول ان المشبهة وعبدة الاصنام
يكشف بهم فى الاخرة انهم كانوا ضالين فى تشبيه اصنامهم برب العالمين فيترتب دليل هكذا المشبهة ضالون من جهة تشبيههم الله
... وكل من كان كذلك ... واما البرهان فلان الله سبحانه لما انفرد من ان يشبه مخلوقا فى شى كان المشبه له بخلقه والكيف

في شرح خطبة الاشباح

له بكيفية يحويها او هم غير عارف به بل متصور لامر اخر هو في الحقيقة غيره الا لما صدق في الفضيلة الثانية فلانا المشبه لله ضال من جهة ما هو
مشبه له وكل من كان كذلك فليس بمنزه له عن الند والمثل وضده ولا اولى ظاهر من الابتداء الثانية فلانه لو كان منزها له عن الند لكونه مشبها
له لما كان ضالا من تلك الجهة لكنه ضال منها فليس بمنزه له عنه واما البرهان العقلي فلان الند والمثل هو الشبيه وكلاهما في المشبه فحق
الاية تنفير عن مذهب التشبيه وذكر تبرؤ التابعين ممن اتبعوه وشبهوا وابرحا الفهم واقامتهم على تفريطهم في ذلك وحسرتهم على ان حبط الله
الاعمال والاعتقادات الصالحة واعترافهم بانهم كانوا لتشبيههم في ضلال مبين وقوله كذب العادلون الى قوله عتوهم تكذيب العادلين به
واشار الى تفصيل جهات كونهم عادلين والى سبب ذلك وهو الوهم وقد علمت ان منشأ التشبيه هو الوهم اذ كان حكمه لا يرتفع عن المحسوسات
وما يتعلق بها فان حكمه في المجردات بحكم مثل ذنها محسوسة ذات احجام والحقها احكام المحسوس ولذلك لم يترفع المشبهة لله عن تشبيهه
بالاصنام والاشخاص كاصنام الاجسام كصورة الانسان واعضائه وكذا غير عبدة الاوثان من سائر فرق المشبهة حتى كانت غاية تنزيه
من نزهه منهم ان توهمه في جهة فوق وقد علمت ان الجهة والكون فيها من عوارض الاجسام المتلونة فكانوا عن جوهم قد نحلوه حلية
المخلوقين وصفاتهم باوهامهم الفاسدة فمنهم من اثبت له اعضاء من يد وساق ووجه وعين وجنب وسائر ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية
حملا على ظاهرها ومنهم من تجاسر على وصفه بهيئة فقال انه مجوف الاعلى مصمت الاسفل وانه وطط الشرح الجديد فذلك من هذيانهم تعالى
الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا او تجزيته بخواطرهم تجزئة المجسمات هو اثباتهم الاعضاء المذكورة وعد ذلك عن تقديرهم على الخلقة
المختلفة القوى بقرائح عقولهم الجامدة منا تقيدا لاوهامهم الفاسدة وتقليدا لمن سلف من ابائهم فان الاعضاء انما تولدت وتكمل بجواذب
قوى طبيعية ونباتية وحيوانية وغيرها وهي قوى مختلفة بحقائقها ومتضادة في افعالها محتاجة الى الجامع والمركب موزونة بالامكان
الذي تنزه قدس الصانع ان يتطرق اليه بوجه وقوله فاشهد ان من ساواك بشيء من خلقك الى قوله لن يتابك شهادة ثانية على من
شبهه وجعل له مثلا بالكفر واشارة الى برهانها بقياس من الشكل الاول واستدل بيان كبراه الى كتاب الله ونصوص آيات الحكمة وبينات
الانبياء وشواهد حججهم هي تلك الآيات اي حجج الشاهدة هي كقوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا
وقوله ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون لان الاشراك كفر ونحو ذلك واما
المقدمة الاولى فلان الشبيه هو المثل والعدل بل وقد علمت ان برهان العقل ايضا يشهد بصدق هذه الشهادة فلان المشبه لله بخلقه
براه من شبهه لغيره اذ اعتقد ان الذي يشبه ما يتوهمه هو صانع العالم فقد اعتقد غير الصانع صانعا وذلك عين الكفر والضلال
وقوله وانك انت الله الذي لم تتناه في العقول الى قوله مصرفا شهادة ثانية هي خلاصة الشهادتين الاولتين تتنزه عن تناهيه في العقول
المشيرة فكانها اي احاطتها بحقيقته وما لها من صفات الكمال ونعوت الجلال بحيث لا يكون وراء ما ادركته شيء اخر وتنبيه في هذه
الشهادة على ما يلزم من ذلك التناهي من كونه ذا كيفية تكيفه بها القوى المتخيلة المتشبثة بها العقول ومهاب بفكر جهاتها ثم من كونه محدودا
اذ كانت الحقائق انما تدرك بكنهها من حدودها وقوله مصرفا اي محكوما في ذاته بالتجزية والتحليل والتركيب اذ كان من شان المحدود
ذلك ولما كانت هذه اللوازم باطلة لبراءته عن الكيفية والاجزاء والتركيب كان ملزومها وهو التناهي في العقول باطلا

الفصل الثالث منها

قدر ما خلق فاحكم تقديره ودبره فالطف تدبيره ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء الى غايته
ولم يستصعب اذ امر بالمضي على ارادته فكيف وانما صدرت الامور عن مشيئته المنشئ اصناف الاشياء بلا روية فكر آل اليها
ولا قريحة غريزة اضمر عليها ولا تجربة افادها من حوادث الدهور ولا شريك اعانه على ابتداع عجائب الامور فتم خلقه واذعن لطاعته واجاب
الى دعوته لم يعترض دونه ريث المبطئ ولا اناة المتلكئ فاقام من الاشياء اودها ونهج حدودها ولاءم بقدرته بين متضادها ووصل
اسباب قرائنها وفرقها اجناسا مختلفات في الحدود والاقدار والغرائز والهيئات بدايا خلائق احكم صنعها وفطرها على ما اراد
وابتدعها **اقول** الرجع واذعن خضع وذل والريث البطء كالاناة والتلكي التباطؤ عن الامور والتوقف فيه والاود الاعوجاج
والبدايا جمع بدية وهي الخلقة العجيبة وقوله قدر ما خلق فاحكم تقديره اشارة الى ان كل مصنوع فله قدره في الوجود وفعله في حكمة بحيث
لو زاد على ذلك المقدار او نقص منه لاختلت مصلحة ذلك المقدار وتغيرت منفعته وقوله ودبره فالطف تدبيره ايجاده على وفق المصلحة
ولطفه في ذلك تصرفه في جميع الذوات والصفات تصرفات كلية وجزئية من غير شعور غيره بذلك وقوله ووجهه لوجهته الى قوله الى
غايته اي الهم كلا وسيره لما خلق له وما كتب له في اللوح المحفوظ فلم يتجاوز مرسوم تلك المنزلة المعلومة له اي لم يتعد فاولم يقصر دونها اذ الاكثر
التغير في علمه وعنايته محال وقوله ولم يستصعب اذ امر بالمضي على ارادته اي لما امر المخلوق بالتوجه الى وجهته على وفق ارادة الله وسابق قدره
الحكمة الالهية كلا الى غايته لم يمكن تخلفه واستصعابه عن ذلك الامر وامره له اشارة الى توجيه اسبابه بحسب القضاء الالهي عليه ذلك
وقوله وكيف وانما صدرت الامور عن مشيئته اي وكيف يستصعب ثم اشار الى علة عدم استصعابه وعسره عليه وانقياده بذكر علته وهو
استناد جميع الاثار الى مشيئته اذ كل اثر فهو واجب عن مؤثره وانكل منته في سلسلة الحاجة الى ارادته واجب عنها وقد علم ذلك في العلم الالهي وقوله

في كيفية خلقة السماء وأوصافها

المنشئ أصناف الأشياء الى قوله عجائب الأمور وقد سبق في الخطبة الأولى بيان ان الروية والفكر والتجربة مما يلحق الانسان ومحضه وان الباري
سبحانه منزه عن شيء منها في كيفية ابداع مخلوقاته واما التركيب فمنزه عنه ببرهان الوحدانية كما سبقت الاشارة اليه وقوله
الغريزة قوة الفكر للعقل وقوله فاتم خلقه واذعن لطاعته واجاب الى دعوته اي مخلوقاته من جهة جوده فافاد بها ما ينبغي لها فان عرض
لشيء منها عوز كمال فلعدم استعداده وقبوله له واذعانه وتلبثه في ربقة الحاجة والامكان وتصريفها لقدرته واجابته الى دعوته
كونه في الوجود عن قوله كن وقوله لم يعترض دونه ريث المبطئ ولا اناة المتلكئ تنزيه لفعله تعالى وامره ان يعرض في طاعة الأشياء له شيء من هذه
الكيفيات اذ كل شيء في قبضته وعلى غاية من السرعة الى اجابة امره ولما كان انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وفي قوله كن هيئة
ما ينبغي لذلك المأمور وما بعده لاجابة امره بالكون في الوجود ويجب عنه فكيف يمكن ان يعرض في اجابة الامر بطوء او تلكؤ بل يكون كلمح البصر قال تعالى وما
امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ويحتمل ان يكون ذلك تنزيها له تعالى ان يعرض له من جهة ما هو فاعل شيء من هذه الكيفيات فان البطوء والاناة والتلكؤ من
من عوارض الحركة التي هي من عوارض الجسم اعراضها فيمن يفعل بالآلة وتشتد حركته وتضعف وقد علمت تنزيه الله تعالى عن جميع ذلك
قوله فاقام من الاشيا اودها الى قوله والمصنوعات الى منتهاه اودها الاعوجاج كل شيء باعداده لما ينبغي له وافاضة كماله ونهج حدودها والحدود
على الوجود بينه هو ايضاحها لكل شيء وجعله ونهايته ولاءم بين متضادها كجمعه العناصر الاربعة على تضاد كيفياتها في مزاج
واحد وقد سبق بيانه ووصله لاسباب قرائنها اشارة الى ان الموجودات لا تنفك عن اشياء تقترن بها من هيئة وشكل وغريزة ونحوها وقرائن
الشيئين لا محالة مستلزمة لاقتران اسبابهما واقترانهما واتصالهما لا يستحيل قيام الموجود وتناسبه وذلك الوصل مستند الى كمال قدرته
مسبب الاسباب وقال بعض الشارحين اراد بالقرائن النفوس وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى وصله لاسبابها هدايتها الى اسبابه وما هو الاولى بها
من معاشها ومعادها وسوقها الى ذلك المفهوم من قول القائل وصل الملك اسباب فلان اذا علق عليه ووصله الى بره والمعنى الاول اظهر وقوله
وفرقها اجناسا مختلفات في الحدود والاقدار والغرائز والهيئات الاربعة بالاجناس الحد وما اصطلح عليه قوم في عرفهم بل ما اختلف بالصور التي تكون
كلها او بعضها فهو مختلف المحدود لغة وحد الشيء منتهاه وما يحيط به والاقدار المقادير والاشكال ايضا والغرائز القوى النفسانية والاخلاق
والهيئات والصفات وان حملنا الحدود على ما هو المتعارف كان حسنا فان حكمة الخالق سبحانه اقتضت تمييز بعض الموجودات عن غيرها بحدودها
وحقائقها وبعضها باشكالها وهيئاتها ومقاديرها وغرائزها واخلاقها كما اقتضته نظام الوجود واحكام الصنع ومحكم الارادة الالهية وقوله
بدايا خلائق احكم صنعها وفطرها على ما اراد وابتدعها اي هي بدايا اي عجائب مخلوقات احكم صنعها على وفق ارادته وبالله التوفيق ومنها
في صفة السماء ونظم بلا تعليق رهوات فرجها ولاحم صدوع انفراجها ووشج بينها وبين ازواجها وذلل للهابطين بامره والصاعدين
باعمال خلقه حزونة معراجها وناداها بعد اذ هي دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت ابوابها واقام رصدا
من الشهب الثواقب على نقابها وامسكها من ان تمور في خرق الهواء بايده وامرها ان تقف مستسلمة لامره وجعل شمسها آية
مبصرة لنهارها وقمرها آية ممحوة من ليلها فاجراهما في مناقل مجراهما وقدر مسيرهما في مدارج درجهما ليميز بين الليل والنهار
بهما وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما ثم علق في جوها فلكها وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها ورمى مسترقي
السمع بثواقب شهبها واجراها على اذلال تسخيرها من ثبات ثابتها ومسير سائرها وهبوطها وصعودها ونحوسها وسعودها **اقول**
الرهوات جمع رهوة وهي الفرجة المتسعة والايد القوة وبايده بها لكه وتمور تتحرك وناط علق والصدوع الشقوق ووشج بالتشديد اي
شبك والحزونة الصعوبة والاشراج جمع شرج بالفتح وهي عرى العيبة التي تخاط بها وتقفل ويطلق ايضا على حروفها التي تخاط والارتتاق
الالتصاق والنقاب جمع نقب بفتح النون وهو الطريق في الجبل والدراري الكواكب المضيئة وهذا الفصل يشتمل على كيفية خلق السماء
فقوله ونظم بلا تعليق الى قوله انفراجها يقتضي بظاهره ان السماء كانت ذات فرج وصدوع وهذا على رأي المتكلمين ظاهر فان الاجسام لما كانت
عندهم مركبة من الاجزاء التي لا تتجزى كانت قبل تأليفها ذات فرج وصدوع واما على رأي غيرهم فقالوا يحتمل امرين احدهما انه لما كانت
السموات مركبة من اجزاء وكانت بين اجزاء كل مركب مباينة لولا المركب والمؤلف استعار لفظ الرهوات والفرج لما يتصور من المباينة بين
اجزاء السماء عند قطع النظر عن صانعها ومركبها سبحانه ونظام الرهوات فرجها افاضته لصورها على موادها حتى يمتنه كما منتظما ملائما
ملاحم الصدوع والفرج والثاني يحتمل ان يشير بالفرج الى ما بين الطباق السموات من التباين ونظمه لرهواتها وملاحم صدوعها خلقها اكرا
متماسة لا خلاء بينها وتنبيه على كمال قدرته تعالى بقوله بلا تعليق فان الاوهام حاكمة بان السماء وغيرها واقفة في خلاء كما يقف الحجر في الهواء وذلك
منشأ حيرتها وتعجبها لحركتها فبين انه لقول الى التعجب الاستنظام **وقوله** ووشج بينها وبين ازواجها اراد بازواجها نفوسها التي هي الملائكة
السماوية بمعنى قرائنها وكل قرين زوج اي ربط ما بينها وبين نفوسها بقبول كل جرم سماوي لنفسه التي لا يقبلها غيره وقوله وذلل للهابطين
بامره الى قوله انفراجها قد سبقت الاشارة الى ان الملائكة ليست ... ما كساير الحيوانات فاذن ليس هو هبوطها وصعودها الهبوط والصعود
المحسوسين والانفكاك لكان الباري جل قدسه عن اوهام المتوهمين في جهة اليه يصعد وعنه ينزل فاذن هو استعارة لفظ النزول من الجهة

المحسوسة

في صفة السماء وكيفية خلقها

١٥
ج

المحسوس الى اسفل السافلين المعقول من تشبه الجو الاعلى الى الاراضي والمواد القابلة للافاضات العالية وبذلك المعنى يكون هبوط الملئكة عبارة عن ايصالها
الى كل ما دونها كماله متوسطة بينه وبين مبدعه وموجده وهم المرسلون من الملئكة بالوحي وغيره وكذلك الصاعدون باعمال الخلائق هم
الملئكة ايضا واما معنى الصعود بها فيعود الى كونها منقوشة في ذوات الصاعدين بها وقد لاح فيما سبق ان علمه تعالى بها ولا بد الجزئية كالاثر ما ثبتا
وللعدد وما التي من شانها ان توجد في وقت وتتعلق بزمان يكون بارتسام صورها المعقولة في تلك الالواح وهو ايضا هبوطها كاللفظ
الهبوط المعنوي الذي ذكرناه من اطهر النفوس الى الالواح المحفوظة فاما الانفراج الذي تزيل عوايقهم وسهل عليهم سلوكه فيعود الى عدم حجبها
ومنعها النفوذ علوم الملئكة باعمال الخلائق وما يجري في هذا العالم وكما ان الجسم المستعد لا يمنع نفوذ جسم آخر فيه من حيث هو مستعد مع
والوصول الى ما وراءه كذلك السماء لا تحجب علوم الملئكة ان تتعلق بما في هذا العالم من الموجودات وتجري مجرى المنفرج من الاجسام فاطلق عليه لفظ
الانفراج وتدليله تحرز بذلك لان الانفراج هو كونها غير مانعة بوجه ما لجريان علوم الملئكة المقربين في هذا العالم وقوله وناداها بعد اذ هي
دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت ابوابها فقد احتمل الان الا ولكنك قد علمت ما سبق ما في كون السماء من دخان
فاما نداؤه لها فاشارة الى امره لها بالاتيان والكون في قوله ثم قال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين واما التحامها
فاعتبار تركيبها بانضمام جزئها الصوري الى جزئها القابل كما يلتحم طرفا العيبة بتشريج عراها وافتتاق صوامت ابوابها بعد ذلك الارتتاق
هو جعلها اسبابا لنزول رحمته وبركات نزلت بواسطة حركاتها على هذا العالم انواع رحمة الله فكانت حركاتها اشبه الابواب اذ هي ابواب
رحمته ومفاتيح جوده تعالى ان العرب تقول لكل ما علاك فهو سماؤك فعلى هذا يحتمل ان يكون المراد بالسماء ما هو اعم من السماء والمعهودة و
يكون قوله وناداها اشارة الى سماء السحاب وكونها دخانا هو كونها بخارا قبل الانعقاد وتشبيه الدخان فاستعير له لفظه والتحام عرى اشراجها
اشارة الى التحام تلك الاجزاء البخارية وانعقادها سحابا وافتتاق صوامت ابوابها هو انزال المطر منها كما قال تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء
منهمر وقوله واقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها له معنيان احدهما ان يكون استعار لفظ النقاب لكونها بحيث لا يمنع تعلق العلوم
بما وراءها من الاجسام والمجردات وقد سبق معنى الشهب واقامتها رصدا والثاني ان يكون استعار لفظ الرصد لهذه الشهب المحسوسة ورشح
بذكر النقاب ذلك الرصد والحرس فحفظ الفروج والابواب يكون من تلك ووجه الحكمة ان العرب كانت تعتقد ان الشياطين
تصعد الى السماء فتسترق السمع من الملئكة ثم تلقيه الى الكهنة والسحرة ونحوهم فلما اراد الله ستر والنهي عن التكهن ونحوه لما بينا فيه من تشتت
اذهان الخلق وصرف قلوبهم عن غرض الشريعة الى الوحي النبوي انهم ان هذه الشهب التي تنقض انما جعلت رجوما للشياطين مسترقي السمع فكل
من استمع منهم رمي بشهاب منها وحجبت السموات عنهم فلا يصلون اليها ليتقرر ذلك في اذهان الخلق انقطاع مادة الكهانة ونحوها فتنسوا عقائدهم
فيه فيكون ذلك تكسيرا لاوهامهم التي بينا انها اشياء لحبس النفوس عن كمالها وبالله التوفيق وقوله وامسكها ان تمور في خرق الهواء بايده وامرها
ان تقف مستسلمة اي حفظها عن ان تحركها الريح المخترقة فيها لحبسها وذلك بما احكمت الحكمة الالهية عليها بالاستقرار بانقياد القهرة والامر الاول
اشارة الى حكم القضاء والامر الثاني اشارة الى اعتبار القدرة وقوله وجعل شمسها اية مبصرة لنهارها وقمرها اية ممحوة من ليلها كقوله تعالى وجعلنا
الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة وكونها بينة اي لا لا انها على كمال قدرته ونقل عن ائمة التفسير في ابصار اية
النهار ومحو اية الليل وجوه **احدها** ان ابصار اية النهار هو بقاء الشمس بحالها وتمام ضيائها في كل حال ومحو اية الليل هو اختلاف
احوال القمر في استنارته ومحاقه بحيث لا يبقى ليلتين على حالة واحدة بل كل ليلة في منزل بزيادة او نقصان **الثاني** ما نقل ان ابن الكوا سئل
عليا عن اللطخ الذي في وجه القمر فقال ذلك محو اية الليل **الثالث** عن ابن عباس ان الايتين هما ظلمة الليل وضياء النهار والتقدير وجعلنا
الليل والنهار ذوي ايتين فقوله فمحونا اية الليل اي لم يجعل للقمر نورا من ذاته بل من ضوء الشمس وابصار اية النهار كون الشمس مضيئة بذاتها
من هنا الابتداء الغاية لبيان الجنس بحوه او جعل وقيل زائدة اي ليلها وقوله فاجراها في مناقل مجراها وقدر مسيرها في مدارج درجها
اي قدر سيرهما في مدارج بروجهما ومنازلهما والاشارة الى مفهومات الدرج والبروج والمنازل وهو ان الناس قسموا دور الفلك الذي يحيط بالكواكب
باثني عشر قسما وسموا كل قسم برجا وقسموا كل برج ثلاثين قسما وسموا تلك البروج اسماء الحمل الثور الجوزاء السرطان الاسد السنبلة
الميزان العقرب القوس الجدي الدلو الحوت والشمس تسير كل برج منها في شهر واحد والقمر يسير كل برج منها في ازيد
من يومين وينقص من ثلثة ايام واما منازل القمر فثمانية وعشرون واسماؤها الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة
الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة
النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية الفرغ المقدم الفرغ المؤخر الرشا والقمر يكون
كل يوم في منزل منها وكل في فلك يسبحون ذلك تقدير العزيز العليم وقوله ليميز بين الليل والنهار الى قوله مقاديرها اي مقادير سيرها
وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى وقوله ثم علق في جوها فلكها لما اشار اولا الى تركيبها اشار الى افرادها في احيازها وهو المشار
اليه بتعليق فلكها في جوها فان قلت فقد قال ولا بد لا تعليق ثم قال هيهنا وعلق فما وجه الجمع قلت التعليق امر اضافي يصدق سلبه

كل قسم درجة
وسموا كل

في صفة الملائكة وابداع الخلق البديع

باعتبار نظرنا الاول لها غير متعلقة بجسم من فوقها والثاقب المنير كانه يثقب الظلام بنوره وهو ضد المظلم ولما كانت كلها في جوفها يعني في جوف السماء فكانه اراد بالفلك اسم الجنس وهو احد اسمائها المستدير التي يصدق عليها هذا الاسم وقوله ورفا طبقها وزينها من خلقها بزينة الكواكب وضياء الثواقب كقوله تعالى وزينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ومن استرق السمع اتبعه شهابها كقوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب وقد تقدم بيانه وقوله ومغا دفعا بالشهب لا تنفذوا ولا تدرك امرها بها ارصدها او ذكرها انه جعلها رصدا لله لمن ارتقى مسترقي السمع بها وقوله واجراها على اذلال تسخيرها كقوله تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره والذلة ذلة الامكان والحاجة الى الايجاد والابقاء واما الثابت والسائر منها فالسائر هي الكواكب السبعة زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وتسمى الشمس والقمر النيرين والخمسة الباقية المتحيرة لان لكل واحد منها استقامة ثم وقوفا ثم رجوعا ثم وقوفا ثانيا ثم عودا الى الاستقامة والحس المتحير عند الاستقامة والثابت الكواكب التي على السماء غير هذه السبعة وتسمى بالثوابت وفلكها الثامن ولكل واحد من السبعة فلك يخصه يتحرك بحركة مخصوصة تخالف حركة الاخر واما صعودها وهبوطها فصعودها طلبها لشرفها وشرف الشمس في الدرجة التاسعة عشر من الحمل وشرف القمر في الدرجة الثالثة من الثور وشرف زحل في الحادية والعشرين من الميزان وشرف المشتري في الخامسة عشر من السرطان وشرف المريخ في الثامنة والعشرين من الجدي وشرف الزهرة في السابعة والعشرين من الحوت وشرف عطارد في الخامسة عشر من السنبلة وشرف الراس في الثالثة من الجوزاء وشرف الذنب في الثالثة من القوس وبرج الشرف كله شرف الا ان تلك الدرجات فما دام الكوكب متوجها الى نقطة الشرف فهو في الازدياد والصعود فاذا جاوزها صار في الانتقاص والهبوط وهبوط كل كوكب يقابل شرفه وصعوده ونحوسها وسعودها فقالوا زحل والمريخ نحسان اكبرهما زحل والمشتري والزهرة سعدان اكبرهما المشتري وعطارد سعد مع السعود ونحس مع النحوس والنيران سعدان من التثليث والتسديس نحسان من المقابلة والتربيع والمقارنة والراس سعد والذنب والكيد نحس ومعنى سعودها ونحوسها كونها اسبابا لصلاح حال شيء من الاشياء من احوال هذا العالم وبالله التوفيق

منها في صفة الملائكة عليهم السلام ثم خلق لاسكان سمواته وعمارة الصفيح الاعلى من ملكوته خلقا بديعا من ملائكته وملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق اجوائها وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد ووراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الاسماع سبحات نور تردع الابصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها انشاهم على صور مختلفات واقدار متفاوتات اولي اجنحة تسبح جلال عزته لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه ولا يدعون انهم يخلقون شيئا معه مما انفرد به بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون جعلهم فيما هنالك اهل الامانة على وحيه وحملهم الى المرسلين ودائع امره ونهيه وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته وامدهم بفوائد المعونة واشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة وفتح لهم ابوابا ذللا الى تماجيده ونصب لهم منارا واضحة على اعلام توحيده لم تثقلهم موصرات الاثام ولم ترتحلهم عقب الليالي والايام ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم وسكن من عظمته وهيبة جلالته في اثناء صدورهم ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم منهم من هو في خلق الغمام الدلح وفي عظم الجبال الشمخ وفي قترة الظلام الايهم ومنهم من قد خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية قد استفرغتهم اشغال عبادته ووصلت حقائق الايمان بينهم وبين معرفته وقطعهم الايقان به الى الوله اليه ولم تجاوز رغباتهم ما عنده الى ما عند غيره قد ذاقوا حلاوة معرفته وشربوا بالكاس الروية من محبته وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم ولم ينفد طول الرغبة اليه مادة تضرعهم ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم ولم يتولهم الاعجاب فيستكثروا ما سلف منهم ولا تركت لهم استكانة الاجلال نصيبا في تعظيم حسناتهم ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم ولم تجف لطول المناجاة اسلات السنتهم ولا ملكتهم الاشغال فتنقطع بهمس الجؤار اليه اصواتهم ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم ولم يثنوا الى راحة التقصير في امره رقابهم ولا تعدو على عزيمة جدهم بلادة الغفلات ولا تنتضل في هممهم خدائع الشهوات قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمموه عند انقطاع الخلق الى المخلوقين برغبتهم لا يقطعون امد غاية عبادته ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته الا الى مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته لم تنقطع اسباب الشفقة منهم فينوا في جدهم ولم تاسرهم الاطماع فيؤثروا وشيك السعي على اجتهادهم ولم يستعظموا ما مضى من اعمالهم ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم ولم يفرقهم سوء التقاطع ولا تولاهم غل التحاسد ولا شعبتهم مصارف الريب ولا اقتسمتهم اخياف الهمم فهم اسراء ايمان لم يفكهم من ربقته زيغ ولا عدول ولا ونى ولا فتور وليس في اطباق السموات موضع اهاب الا وعليه ملك ساجد او ساع حافد يزدادون على طول الطاعة بربهم علما وتزداد عزة ربهم في قلوبهم عظما

اقول الصفيح السطح والفجاج الطرق الواسعة والجو المكان المتسع العالي والفجوة الفرجة والزجل الاصوات والسرادق الذي يمد فوق البيت والرجيج الزلزلة والاضطراب والاستكاك الصمم وخاسئة متحيرة والاخبات الخشوع والتذلل والاستكانة وتماجيده والموصرات المثقلات والعقب جمع عقبة وهي النوبة من التعاقب والنوازع ما لعين المعجمة المفسدة وما لمهملة الفتنة والاحن جمع احنة وهي الحقد ولاق

لصق

فى صفة الملائكة والبديع من خلقه

الصفو جمع نوه وهي هنا حيث الشيء والرتق الغائبة والتغطية والدلح جمع دالح وهي الثقال والشمخ العالية وسدفة الظلام سواده والاسم الذي
لا يهتدى فيه والتخوم جمع تخم نهاية الشيء وهي منتهى الارض وحدودها والريح الهفافة الساكنة الطيبة والوشيجة عروق الشجرة والربق جمع
ربقة وهي الحلقة من الحبل والدؤوب الجد في العمل والاسلة طرف اللسان والجار رفع الصوت بالدعاء ونحوه والهمس الخفي من الصوت
والانفتال الرجوع والتهيؤ واستهتر بالامر العجيب وتظاهرت تساعدت ... والاشفاق على الشيء الاحاطة به والغلبة عليه
والهيات الهم مختلفاتها واحدها الهيث والمقصد ان هذا الفصل يشتمل على وصف الملائكة الذين هم اشرف الموجودات الممكنة
بكمال العبودية لله اذ كان في معرض تمجيده ووصف عظمته وقد سبق ذكر انواع الملائكة واسكانهم اطباق السموات وبينا مقاصده
بقدر الامكان ولنشر ههنا الى ما يختص بهذا الموضع من المباحث **الاول** ثم خلق سبحانه الى قوله من ملائكته يحتمل ان يكون المراد بالصفيح
الاعلى الفلك التاسع وهو العرش لكونه اعظم الاجرام واعلاها وسكانه الملائكة المقربون له ويحتمل ان يريد محل عبادة الملائكة
من حضرة جلال رب العالمين وعالم الملكوت ومقعدهم الصدق من معرفته فان خلقهم انما كان لعمارة ذلك المحل وهو البيت المعمور
بجلال الله وعبادتهم له ولما كانوا من اشرف الموجودات كانوا هم الخلق البديع التام العجب **الثاني** قوله فملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم
فتوق اجوائها استعار لفظ الفروج والفجاج والفتوق لما يتصور بين اجزاء الفلك من التباين لولا الملائكة الذين هم ارواح الافلاك
وبها قوام وجودها وبقاء جوهرها محفوظة بها ووجه المشابهة ظ ورشح الاستعارة بذكر الملء والحشو واما الفجاج والفروج فلما
الى ما يعقل بين اجزائها واجوائها المنتظمة من التباين لولا انتظامها بوجود الملائكة فيكون حشو الفرج بالملائكة كناية عن نظامها
بوجودها وجعلها محدودة بهما **الثالث** وبين فجوات تلك الفروج الى قوله المجد استعار لفظ الزجل لكمال عبادتهم كما ان كمال الزجل
في رفع صوته بالتضرع والتسبيح والتهليل وكذلك لفظ الحظائر لمنازل الملائكة من عالم الغيب ومقامات عباداتهم ووجه كونها حظائر
القدس لطهارتها وبراءتها عن نجاسات الجهل والنفس الامارة بالسوء وكذا استعار لفظ سترات الحجب وسرادقات لما ابهمنا عليه من حجب
النور التي حجبت بها عن الاذهان وتجردهم عن المواد والاوضاع المحسوسة ووجه المشابهة كونهم محجوبين بذلك عن درك الابصار والاوهام كما
كون تلك الحجب سرادقات الجيد لكمال ذواتهم وشرفهم بها على من دون تلك الحجب **الرابع** ووراء ذلك الرجيج الذي تستك الى قوله دونها
استعار لفظ الرجيج لعبادات الملائكة كما استعار لفظ الزجل ورشح استعارة الرجيج بقوله تستك منه الاسماع وكنى به عن كمال عبادة
ويحتمل ان يشير بذلك الزجل والرجيج الى ما يسمعه الانبياء من اصوات الملائكة كما علمت كيفيته في سماع الوحي وبيناه في المقدمة واما
سبحات النور التي وراء ذلك ترجع الى جلال وجه الله وعظمته فتردع ان تصل اليه ابصار البصائر وتنبيه يكون ذلك وراء رجيجهم الى ان
معارفهم لا تتعلق به كما هو بل وراء علومهم وعباداتهم اطوار اخرى من جلال الله تقصر معارفهم عنها وتردع ابصار البصائر عن ادراكها فترجع
حسيرة متحيرة واقفة عند حدودها معترفة بانها من الادراك **الخامس** انشاهم على صور مختلفات الى قوله عزته اختلاف صورهم كناية
عن اختلافهم بالحقائق وتفاوت اقدارهم تفاوت مراتبهم في الكمال والقرب منه ولفظ الاجنحة مستعار لقواهم التي بها حصلوا على المعارف
الالهية وتفاوتها بالزيادة والنقصان كما قال اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع كناية عن تفاوت ادراكهم لجلال الله وعلومهم بما ينبغي
بما ينبغي له ولذلك جعل الاجنحة هي التي تسبح جلال عزته فان علمهم بجلاله منزه عما لا ينبغي لكرم وجهه ولا يناسب جلال عزته **السادس** ولا
ينتحلون الى قوله يعملون اي لا ينسبون شيئا من مصنوعاته الى انفسهم وان كانوا وسائط فيها ولا يدعون انهم يقدرون على شيء منها الا ما اقدرهم
لهم بل غايتهم وقصاراهم في اضافة الجود على مستحقه وما لم يجعلهم وسائط فيه بل انفرد به في امر ابداعه فلا يدعون القدرة عليه اصلا و
ذلك لكمال معارفهم باقدارهم وتنبههم الى ربهم وقد اكرمهم الله تعالى بالنقاء عن النفوس الامارة بالسوء التي هي سبب مخالفة امره ونزع
منازعته **السابع** جعلهم فيما هنالك الى قوله وتعبيرهم في مقاماتهم من حضرة قدسه وقد سبقت الاشارة الى كل ذلك في الخطبة الاولى
الثامن وعصمهم الى قوله رضوانه منشأ الشكوك والشبهات والعدول عن سبيل الله هو معارضة النفس الامارة للعقل وجذبها له
الى طرف الباطل والملائكة مبرؤون عنها فكانوا معصومين ممنوعين بما نعوذ اليه وما امرهم من الصدود والانحراف عن قصده امدهم
بفوائد المعونة زيادتهم في كمالاتهم على غيرهم ودوام ذلك بدوام وجوده **التاسع** واشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة استعار لفظ
التواضع والاستكانة لحالهم من الاعتراف بذل الحاجة والامكان الى جوده والانقهار تحت عظمته اي جعل ذلك الاعتراف شعارا
لازما لذواتهم او من الشعور وهو الادراك **العاشر** وفتح لهم ابوابا ذللا الى تماجيده الابواب وجوه معارفهم الالهية
التي بها يهتدون الى حق تمجيده وهي ابوابهم ووسائلهم الى تمجيده وتعظيمه وكونها ذللا سهلة لا يتعذر حصولها لهم لبس اكتسابها عن طرق
هو غرضة تراكم الشكوك بالشبهات ومنازعات الاوهام والخيالات كما علمته علوما **الحادي عشر** ونصب لهم منارا واضحة
على اعلام توحيده قيل استعار المنار الواضحة للوسائط من الملائكة المقربين بينهم وبين الحق سبحانه او اخبارا عن الملائكة السماوية
ولفظ الاعلام لصور المعقولات في ذواتهم المستلزمة لتوحيده وتنزيهه عن الكثرة ووجه المشابهة ان المنار والاعلام كما يكون وسائط

في صفة الملائكة وايجاد المبدعات

في حصول العلم بالمطلوب كذلك الملائكة المقربون والمعارف الحاصلة بواسطتهم يكونون وسائط في الوصول الى المطلوب الاول ومحل الكل عن سلطانه الثاني عشر لم تشغلهم موصلات الاثام لما لم يكن النفوس الامارة بالسوء موجودة لهم استلزم عدمها نفي اثارها عنهم من الاثام والشرور الثالث عشر ولم تقطعهم عقب الليالي والايام اي لم يتسلط انقضاء الزمان وحيلهم عن الوجود وذاتهم لتجردهم وبراءة المجردات عن لحوق الزمان تحيلهم عن الوجود لتجردهم وبراءة المجردات عن لحوق الزمان والتغيرات الحادثة بسببه الرابع عشر ولم يرمهم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم عزيمة ايمانهم لم يفوتهم من التصديق بمبدعهم وما ينبغي له كما قد يقينهم اعتقاداتهم اليقينية واعتراك الشكوك والظنون ومنشأه الاوهام والخيالات وعالم الملائكة المجردين مبرأة عنها ولفظ الرمي مستعار الانبعاثات النفوس الامارة بالسوء والقائها الخواطر الفاسدة الى النفس المطمئنة ومن روى النوازع بالعين المهملة فهو ترشيح للاستعارة وكذلك استعار لفظ الاعتراك لاختلاط الظنون والاوهام على القلوب وجولانها في النفوس ووجه المشابهة ظاهر الخامس عشر ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم اي لم تورث بينهم الاحقاد شيئا من الشرور كما تثير النار زنادها لبراءتهم عن قوى الغضب والشهوة السادس عشر ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم الى قوله صدورهم لما كانت الحيرة تردد العقل في اي الامرين اولى بالطلب والاختيار وكان منشأ ذلك هو معارضات الوهم والخيال للعقل حيث لا وهم ولا خيال فلا حيرة تحبط معارفهم ولا تزيل هيبة عظمته من صدورهم والهيبة كناية عن استشعار عظمته ولفظ الصدر مستعار لذواتهم السابع عشر ولم يطمع فيهم الوساوس فيقترع برينها على فكرهم وقد مر تفسيرها وسوسة وفاعل الطمع هيهنا اما مضمر على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي اهل الوساوس وهم الشياطين او يكون الفاعل هو الوساوس واسناد الطمع اليه مجاز كقوله نعم ولكن من الارض اثقالها واخرجت الارض اثقالها ومنها غلبت الشكوك اللازمة عنها على وجوه عقولهم وابصار ذواتهم التي بها ينظرون الى وجه ربهم واستغنائهم عنهم لانتفاء اسبابها وهي النفوس الامارة الثامن عشر منهم من هو في خلق الغمام الى قوله الانبياء هذا التفسير يعود الى جنس الملائكة فاما الاوصاف السابقة فكانت خاصة بسكان السماوات منهم وقد وردت في الشرع بعبارات في الغمام ملائكة تسبح الله وتقدسه وكذلك في الجبال والاكثر الاطلاق وهم من الملائكة الارضية وقد علمت ما قيل فيها في الخطبة الاولى التاسع عشر ومنهم من خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى الى قوله المشاهدة يشبه ان يكون هذا القسم من الملائكة السماوية واستعار لفظ الاقدام لعلومهم المحيطة باقطار الارض السفلى ومنها بايمانها ووجه المشابهة كون العلوم قاطعة للمعلوم وسارية فيه وواصلة الى نهايته كما ان الاقدام تقطع الطريق وتصل الى غايته منها وشبهها بالرايات البيض النافذة في خارق الهواء من وجهين احدهما في البياض فان البياض لما استلزم الصفاء عن الكدورة والسواد وكذلك علومهم صافية من كدورات الباطل وظلمات الشبه الثاني في نفوذها في اجزاء المعلوم كما تنفذ الرايات في الهواء واشار بالريح التي تحبس الاقدام على حيث انتهت من الحدود الى حكمة الله التي اعطت كل ما يستحقه وقصرت كل موجود على حده وقوفها الى لطف تصرفها وجريانها في المصنوعات العشرون قد استفرغتهم اشغال عبادته الى قوله وشيجة خفيته اي لم تجعلهم تجعل لهم فراغا لغيرها وقد علمت ان حركات الملائكة السماوية للاجرام الافلاك الجارية لها مجرى الابدان تحركها ارادية شوقية للتشبه بالملائكة المتوسطة بينها وبين الحق سبحانه في كمال عبادتهم له وتلك الحركات الدائمة الواجبة مستغرقة لهم عن الاشتغال بغيرها كما قال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وحقائق الايمان تصديقهم الحق بوجوده عن شاهد وجودهم وكونهم سببا الارادة معرفته التامة والدوام عليها وابرازما في قوتهم من الكمال بها الى الفعل فان التصديق بوجود الشيء الواجب تحصيله اقوى الاسباب الباعثة على طلبه وقضايا الايمان والتصديق الحق اليقين بوجوده وسيلة جامعة بينهم وبين معرفته والاستكمال بها وقاطعة لهم الى الوله اليه والشوق له وثبات الرغبات على ما عنده دون غيره ولما استعار لفظ الذروق لسفالاتهم ولفظ الشرب لما تمكن في ذواتهم من عشقه وكمال محبته رشح الاستعارة بذكر الملاذة وكنى بها عن كمال ما يجدونه من اللذة بمعرفته كما يليق بذائق الحلاوة بها والشابة بذكر الكاس الروية اذ من كمال الشرب ان يكون بكاس روية اي من شانها ان تروي وكنى بها عن كمال معرفتهم بالنسبة الى غيرهم وكذلك رشح استعارة لفظ القلوب بذكر سويدائها اذ كان من كمال تمكن العوارض القلبية كالمحبة والخوف ان يبلغ الى سويدائه واشار بوشيجة خيفته الى العلائق المتمكنة من ذواتهم لخيفته وهي كمال علمهم بعظمته ولفظ الخيفة مستعار كما سبق لانهم لا وهم في ذل الامكان عند اعتبار ذواتهم الحادي والعشرون فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم تجوز بلفظ انحناء الظهور في كمال خضوعهم في عباداتهم وهو اطلاق لاسم المسبب على السبب الثاني والعشرون ولم ينفد طول الرغبة اليه مادة تضرعهم لما كان من شان احدنا اذا رغب في امر الى بعض الملوك وتضرع فيه اليه بالتضرع والخدمة ان ينقطع تضرعه بانقطاع مادته وما وندانها ودواعي نفسه الى الطلب وعنوانها وانقطاعها بالاستيلاء

سويدائه

٥٩

في صفة الملائكة والمبلغات عن الخلق

الملال على نفسه منعنفها عن تحمل المشقة ومطلوبه وبقصوره لامكان تناوله وانقطاعه امّا باياسه منه او باعطائه مراده وكانت مادة تضرّعهم
وعبادتهم له تعالى على النفس بريئة عن القواطع امّا من ذواتهم فلان الكلال والملال من عوارض المركبات العنصرية واما مطلوبهم فلانه
كمال معرفة الله تعالى وتصورهم لعظمة ذلك المطلوب وعلمهم ان درجات الوصول اليه غير متناهية لاجرم سلب عنهم في معرض مدحهم
انقطاع مادة تضرعهم ليستلزم ذلك سلب انقطاع تضرعهم وعبادتهم له **السادس والعشرون** ولا اطلاقهم عنهم عظيم الزلفة لديه
دون خشوعهم لما كان من قرب من السلطان مثلاً من شأنه ان يقوى نفسه ويخف هيبته فيه فكان ذلك انما هو في ملوك
الدنيا لكونه مكتسباً لها وقصور المتقرب اليهم مثلية لهم وامكان وصوله الى ما وصلوا اليه وكان سلطان الله لا انما هو عظمته وعزة
وعرفانا بالقصور من العارف المتقرب اليه ان يخف هيبته او ينقص خشوعه وعبادته بل كلما ازدادت معرفته ازدادت عظمته
في نفسه اذ كان يقدر رقى سلوكه عظمة الله تعالى بعند ربه فانه كلما عبر مرحلة من منازل المعرفة علم عظمة خالقه فكمل عقله بنقيضه
بين ذلك وعلم نقصانه فيكمل خشوعه وصدق خضوعه واستعار لفظ الرتق لما اتصلوا فيه من الخشوع **الرابع والعشرون** ولم
يتولهم الاعجاب الى قوله حسناتهم اي لم يستول عليهم ولا اعجابهم واستعظام الانسان نفسه عمّا يتصور اثره فضيلة له ومنشأ ذلك
الحكم هو النفس الامارة فتوهم الانسان ان تلك الفضيلة حصلت له من استحقاق وجب له بسعيه وكده مع قطع النظر عن واهب النعم
ومفيضها والملائكة السماوية مبرؤون عن الاوهام والحكام بما عرفه في اولياء الله كدوام ملاحظة الاثر والاستكانة تحت جلال عزته فلا
يستكثرون ما سلف منهم من عبادته ولا يستعظمون ما صدر عنهم من خير **الخامس والعشرون** ولم تختلف الفترات فيهم على طول دؤوبهم
وقد ثبت ان الملائكة السماوية دائمة التحرك لاجرامها حركة لا يتخللها سكون ولا يلحقها فيفترها اعياء وتعب وبيان ذلك بالبرهان
اصول ممهدة في مواضعها ولما بالقرآن فلقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقد سبق **السادس والعشرون** ولم تغض
رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم انما الغض عن الشيء العدول عنه وقد سبق ان رغبات الملائكة السماوية ثوابها الى كمالاتها الالهية
ثابتة فكانت لذلك دائمة الرجاء لها من واهبها ولفظ الغيض مستعار كما سبق **السابع والعشرون** ولم تجف لطول المناجاة
اسلات السنتهم طول مناجاتهم يعود الى توجيه وجوههم دائماً اليه واستعار لفظ الالسنة ورشح بذكر الاسلات او الاطراف للتشبيه بجف
في مناجاته وكنى بعدم جفاف السنتهم عن عدم فتورهم وعدم لحوق الكلال والاعياء لهم وقد انه لا السنة لهم جسمانية لهم فلا جفاف
الثامن والعشرون ولا ملكتهم الى قوله اصواتهم اي لم تضعفهم العبادة فتنقطع اصواتهم فتضعف فتخفى في التضرع اليه وهو تنزيه لهم عن
الاحوال البشرية العوارض البدنية من الضعف والاعياء وكلال الاعضاء عند كثرة الاشغال وفوتها وقد عرفت ان الملائكة السماوية لا يجوز
عليها شيء من تلك العوارض واستعار لفظ الاصوات كما استعار لفظ الالسنة **التاسع والعشرون** ولم يختلف في مقادم الطاعة مناكبهم الى
قوله جناحهم استعار لفظ المقادم من ريش الطائر وهي عشرة في كل جناح لما سبق وجوه من طاعة الله وكان قوام عبادتهم في التوجه اليه ولفظ
المناكب وهي اربع ريشات بعد المقادم في كل جناح لذواتهم ووجه المشابهة ان المناكب تاليه للمقادم وعلى نظامها وترتيبها لا اختلاف صفوفها
فكذلك الملائكة لا تختلف ذواتهم واجرامهم في سلوك ما امر من عبادة ربهم ومعرفته بل صافون لا يخالف بعضهم بعضا في استقامة
طريقهم اليه ولا يخرجون عن نظام ترتيبه لهم في التوجه اليه كما اشار اليه في الخطبة الاولى وصافون لا يتزايلون وكذلك استعار لفظ الرقاب
ولفظ الثني لم يلتفتوا الى الراحة من تعب العبادة في اوامره والمقصود نفي الاحوال البشرية عنهم من التعب والراحة لكونهما من توابع هذه
الابدان **الثلاثون** لا تعدو الى قوله الشهوات قد عرفت معنى الغفلة فيما سبق واللذة هو طرف التفريط من فضيلة الذكاء وكلاهما من عوارض
هذه البدن وبواسطته وكذلك الشهوات والملائكة السماوية بريئة عنها فلم يجز ان يطرء على قصودهم لما توجهوا له غفلة ولا بلادة حتى يكون
ذلك سببا لاعراضهم عن التوجه فيه ولم يجز ان ترمي الشهوات هممهم بها حتى يصيبها ولفظ الانتصال مستعار للواردة جواذب الشهوة
على النفس الناطقة مع كونها موذية لها ومرديه في قرار الجحيم **الحادي والثلاثون** قد اتخذوا الى قوله رغبتهم اشار بيوم فاقتهم الى حال حاجتهم
في الاستكمال الى جوده وان كان ذلك دائما فهو ذخرهم الذي اليه يرجعون كذلك الاشارة بقوله قصدا انقطاع الخلق الى المخلوقين في
حال الحاجة ايضا فانه انما يكون ذخيرة لهم لرجوعهم اليه فيما يحتاجون وانما تحقق قصدهم له برغبتهم حال الحاجة اليه **الثاني والثلاثون**
لا يقطعون الى قوله ومخافته لما كانت غاية عبادتهم الوصول الى كمال معرفته وكانت درجات المعارف الالهية غير متناهية لم يكن
قطعهم تلك الغاية ممكنا ولما كان انواع حق في محبته عالمين بكمال عظمته وان ما يرجونه من تمام جوده ما تنزل بطالب ارباب المكاسب كانوا
يخشون من انقطاع جوده ونزول حرمانه اعظم المهالك المطالبة للجود ودام رجاؤهم له وخضوعهم في رق الحاجة اليه والفزع منه مما يذركان
ذلك الرجاء والخوف هو مادة استهتارهم بلزوم طاعته لا جرم يرجعون اليها من قلوبهم فلم ينقطع استهتارهم بلزومها **الثالث والثلاثون** لم
تنقطع اسباب الشفقة عنهم فينوا في جدهم الشفقة الاسم من الاشفاق اي لم ينقطع اسباب خوفهم له واسباب حاجتهم الى القيام في الوجود الى الاستكمال
بجوده فان الحاجة الضرورية الى الغير مطلوب يستلزم الخوف منه بعدم ما ويوجب الاقبال على الاستمداد بجوده بلزوم طاعته وحاجتهم اليه

في صفة الأرض ودحوها على الأرض

ودائماً يجدهم في عبادته راغم فالتواني عنه مفقود **الرابع والثلثون** ولم يأسرهم الى قوله انجيادهم سلب البغض وضنا الشر عنهم فان كثيراً
من العابدين قد يصرفهم عن الاجتهاد في طاعة الله سبحانه ما يظهر لهم من كمالات الدنيا وزينتها فيؤثرونها فربما انتفى في تحصيله على ما

ودينها ...

يستبعدونه من تحصيل السعادة الاخروية الباقية وقد عرفت ان ذلك من جواذب الشهوات والغفلة عما وراء هذه الدار والملائكة مبرؤن
عن الشهوات وما يلزمها من اسر الاطماع الكاذبة لهم ولفظ الاسر استعارة لقود الاطماع الى ما يطمع فيه **الخامس والثلثون**
ولم يستعظموا ما مضى من عبادتهم الى قوله اجلالهم ومعنى هذه الشرطية انهم لو استعظموا ذلك لكان رجاؤهم لثواب عبادتهم عظيماً فكان
لقوته ماحيا لاشفاقهم وخوفهم منه وهذا كما ان الانسان اذا عمل لبعض الملوك عملا يستعظمه فانه يرى في نفسه
استحقاقاً وتمام جزاء له ويجد التطاول به والادلال عليه فيهون ذلك ما يجده من خوفه وكلما ازداد استعظاما لخدمته ازداد اعتقاده في
قربه من الملك قوة ويعتقد ان ذلك ينقص خوفه ويقلل هيبته لكن الملائكة خائفون ابداً كما قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم والملائكة من خيفته
فينتج انهم لا يستعظمون سالف عبادتهم **السادس والثلثون** ولم تختلف في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم اي في اثباته واستحقاقه
كمال العبادة وذلك لعدم سلطانه عليهم وهو سلب لبعض احوال البشر كما قال ولم يفرقهم الى قوله اخياف الهمم تنزيههم عن امور من عوارض
البشر احدها سوء التقاطع وهو كتقاطع المتعادين وتباينهم لتباين الغضب والشهوة الثاني غل الحسد وقد علمت ان الحسد رذيلة
نفسانية تنبعث عن البخل والشره وتتبعها النفس الامارة الثالث تشعب مصارف الريب بهم والريب الشكوك والشبه ومصارفها هي الامور
الباطلة التي تصرف اذهانهم اليها عن الشبهة وتلك الشبهة والشكوك نفسها وتشعبها هم اقسامها بحيث يذهب كل واحد من شبهة
الى باطل وقد علمت ان منشأ الشكوك والشبهات هو الوهم والخيال ولما كانوا منزهين عن النفوس الامارة وجب تنزيههم عن هذه الامور الثلاثة
الرابع لما كان معبودهم واحداً وهو غاية مطلوبهم كانت همتهم فيه واحدة فلم يلتفتوا الى شيء اخر ولم يفترقوا فيها **السابع والثلثون**
فهم اسراء الايمان الى قوله ولا فتور استعار لفظ الاسر ورشح بذكر الربقة ونزههم عن ان يفكهم عن الايمان احد الامور الاربعة وقد سبق وجه
تنزيههم عنها **الثامن والثلثون** وليس في اطباق السموات الى قوله عظماً المراد ان السموات مملوة بالملائكة فبين ساجد لوجهه ومن بين
ساع مجد في امره واعلم ان في السماء ملائكة مباشرة لتحريكها وملائكة على رتبة من اولئك الامرون لهم بالتحريك فيشبه ان يكون
بالساجدين منهم الى الامرين والتحريك كناية عن كمال عبادتهم كناية بالسجود وتكون الاشارة بالساعين المسرعين الى المتولين للتحريك فاما
زيادتهم بطول الطاعة علماً بربهم فلانك ان حركاتهم انما هو شوقية للتشبه بملائكة اعلى رتبة منهم في كمالهم بالمعارف الالهية وظهور ما في
ذواتهم بالقوة الى الفعل وزيادة عزة ربهم عندهم عظماً بحسب زيادتهم معرفتهم له لما تعرفها كما نبهنا عليه قبل وبالله التوفيق **منها**
في صفة الأرض ودحوها على الماء كبس الأرض على مور أمواج مستفحلة ولجج بحار زاخرة تلتطم أواذيّ أمواجها وتصطفق متقاذفات
أثباجها وترغو زبداً كالفحول عند هياجها فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها وسكن هيج ارتمائه إذ وطئته بكلكلها وذل
مستخذياً إذ تمعكت عليه بكواهلها فأصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجياً مقهوراً وفي حكمة الذل منقاداً أسيراً وسكنت الأرض
مدحوة في لجة تياره وردت من نخوة بأوه واعتلائه وشموخ أنفه وسمو غلوائه وكعمته على كظة جريته فهمد بعد نزقاته ولبد بعد زيفان

وشموخ أنفه

وثباته فلما سكن هيج الماء من تحت أكنافها وحمل شواهق الجبال البذخ على أكتافها فجر ينابيع العيون من عرانين أنوفها
وفرقها في سهوب بيدها وأخاديدها وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها
فسكنت من الميدان برسوب الجبال في قطع أديمها وتغلغلها متسربة في جوبات خياشيمها وركوبها أعناق سهول الأرضين وجراثيمها
وفسح بين الجو وبينها وأعد الهواء متنسماً لساكنها وأخرج إليها أهلها على تمام مرافقها ثم لم يدع جرز الأرض التي تقصر مياه العيون
عن روابيها ولا تجد جداول الأنهار ذريعة إلى بلوغها حتى أنشأ لها ناشئة سحاب تحيي مواتها وتستخرج نباتها ألف غمامها بعد
افتراق لمعه وتباين قزعه حتى إذا تمخضت لجة المزن فيه والتمع برقه في كففه ولم ينم وميضه في كنهور ربابه ومتراكم سحابه أرسله
سحاً متداركاً قد أسف هيدبه تمريه الجنوب درر أهاضيبه ودفع شآبيبه فلما ألقت السحاب برك بوانيها وبعاع ما استقلت
به من العبء المحمول عليها أخرج به من هوامد الأرض النبات ومن زعر الجبال الأعشاب فهي تبهج بزينة رياضها وتزدهي بما
ألبسته من ريط أزاهيرها وحلية ما سمطت به من ناضر أنوارها وجعل ذلك بلاغاً للأنام ورزقاً للأنعام وخرق الفجاج في آفاقها

سمطت

وأقام المنار للسالكين على جواد طرقها فلما مهد أرضه وأنفذ أمره اختار آدم خيرة من خلقه وجعله أول جبلته وأسكنه جنته
وأرغد فيها أكله وأوعز إليه فيما نهاه عنه وأعلمه أن في الإقدام عليه التعرض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته فأقدم على ما نهاه عنه
موافاة لسابق علمه فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده ولم يخلهم بعد أن قبضه مما يؤكد عليهم حجة
ربوبيته ويصل بينهم وبين معرفته بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه ومتحملي ودائع رسالاته قرناً فقرناً حتى تمت بنبينا
محمد صلى الله عليه وآله حجته وبلغ المقطع عذره ونذره وقدر الأرزاق فكثرها وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي

من اراد بميسورها

في صفة الأرض ودحوها على الأرض

١٥

ج

من أراد بميسورها ومعسورها وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها وبسلامتها طوارق آفاتها وبفرج أفراحها غصص أتراحها وخلق الآجال فأطالها وقصرها وقدمها وأخرها ووصل بالموت أسبابها وجعله خالجا لأشطانها وقاطعا لمرائر أقرانها عالم السر من ضمائر المضمرين ونجوى المتخافتين وخواطر رجم الظنون وعقد عزيمات اليقين ومسارق إيماض الجفون وما ضمنته أكنان القلوب وغيابات الغيوب وما أصغت لاستراقه مصائخ الأسماع ومصائف الذر ومشاتي الهوام ورجع الحنين من المولهات وهمس الأقدام ومنفسح الثمرة من ولائج غلف الأكمام ومنقمع الوحوش من غيران الجبال (وأوديتها) ومختبأ البعوض بين سوق الأشجار وألحيتها ومغرز الأوراق من الأفنان ومحط الأمشاج من مسارب الأصلاب وناشئة الغيوم ومتلاحمها ودرور قطر السحاب في متراكمها وما تسفي الأعاصير بذيولها وتعفو الأمطار بسيولها وعوم بنات الأرض في كثبان الرمال ومستقر ذوات الأجنحة بذرى شناخيب الجبال وتغريد ذوات المنطق في دياجير الأوكار وما أوعبته الأصداف وحضنت عليه أمواج البحار وما غشيته سدفة ليل أو ذر عليه شارق نهار وما اعتقبت عليه أطباق الدياجير وسبحات النور وأثر كل خطوة وحس كل حركة ورجع كل كلمة وتحريك كل شفة ومستقر كل (نسمة ومثقال كل) ذرة وهماهم كل نفس هامة وما عليها من ثمر شجرة أو ساقط ورقة أو قرارة نطفة أو نقاعة دم ومضغة أو ناشئة خلق وسلالة لم يلحقه في ذلك كلفة ولا اعترضته في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة (ولا اعتورته) في تنفيذ الأمور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة بل نفذهم علمه وأحصاهم عدده ووسعهم عدله وغمرهم فضله مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله اللهم أنت أهل الوصف الجميل والتعداد الكثير إن تؤمل فخير مأمول وإن ترج فأكرم مرجو اللهم وقد بسطت لي فيما لا أمدح به غيرك ولا أثني به على أحد سواك ولا أوجهه إلى معادن الخيبة ومواضع الريبة وعدلت بلساني عن مدائح الآدميين والثناء على المربوبين المخلوقين اللهم ولكل مثن على من أثنى عليه مثوبة من جزاء أو عارفة من عطاء وقد رجوتك دليلا على (ذخائر) الرحمة وكنوز المغفرة اللهم وهذا مقام من أفردك بالتوحيد الذي هو لك ولم ير مستحقا لهذه المحامد والممادح غيرك وبي فاقة إليك لا يجبر مسكنتها إلا فضلك ولا ينعش من خلتها إلا منك وجودك فهب لنا في هذا المقام رضاك وأغننا عن مد الأيدي إلى سواك إنك على كل شيء قدير

أقول: كبسها أغاصها في الماء وغوصه والمور التردد في الحركة ومستفحلة صائلة والتلاطم التراطم والأواذي جمع آذي وهو ما عظم من موج البحر والاصطفاق الترادف والأثباج جمع ثبج وهو معظمها وعواليها وشمخ الفرس إذا غلب صاحبه فلم يملكه والارتماء التقاذف والزبد والكلكل الصدر والمستخذي الخاضع والتمعك التمرغ واصطخاب أمواجه غلبتها وأصواتها والساجي الساكن والحكمة ما أحاط من اللجام بحنك الدابة والدحو البسط ونشاز الموج والنخوة الكبر والترفع والبأو الفخر وشمخ بأنفه تكبر والغلواء تجاوز الحد وكعمته سددت فاه والكظة شدة البطنة وهمد سكن وخمد والنزق الخفة والطيش ولبد لصق بالأرض ساكنا والزيفان التبختر والكبد العالية والعرنين على الأنف عند ملتقى الحاجبين والتهويد جمع سهب وهو الفلاة الواسعة والبيد جمع بيداء وهي الفلاة والأخدود الشق في الأرض والجلاميد الصخور والشناخيب رؤوس الجبال والشم العالية والصيخود الصخرة الصلبة وأديمها سطحها وتغلغله دخوله في أعماقها والتسرب الدخول في السرب والجوبة الفرجة وخياشيم الأرض وجراثيمها أعاليها وما اجتمع منها والجرز التي لا نبات بها لانقطاع الماء عنها والروابي ما علا من الأرض والقزع قطع السحاب الرقيقة الواحدة قزعة والكفة بالضم معا ما استطال من السحاب وما استدار والوميض اللمعان والكنهور العظيم من السحاب والرباب الغمام الأبيض والسح الصب وأسف دنا من الأرض لثقله وهيدبه ما تهدب منه إلى الأرض أي تدلى وتمريه تستخرج ما فيه من الماء والدرر جمع درة بالكسر وهي كثرة اللبن وسيلانه والأهاضيب جمع أهضاب وهو جمع هضب وهو حلبات القطر بعد القطر والشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة القوية من المطر والبرك الصدر والبواني ما يلي الصدر من الأضلاع وبعاع السحاب ثقله بالمطر والعبء الثقل وجبلة زعراء لا نبت بها والأزاهير نكتة والريط جمع ريطة وهي الملاءة والأزاهير المنيرة وسمطت زينت بالسمط وهو العقد ومن روى سمطت بالشين المعجمة أراد خلطت والجبلة الخلقة وعزائم اليقين والعقابيل بقايا المرض والترح الحزن والفقر والخلج الجذب والانتزاع والأشطان جمع شطن وهي الحبال والمرائر جمع مريرة الحبل اللطيفة الفتل والتخافت المسارة والرجم بالظن القول عن غير علم والإيماض ومصائخ الأسماع خروقها والإصاخة الاستماع والولائج المداخل والأكمام جمع كم بالكسر وهو غلاف الطلع والمنقمع محل الانقماع وهو الاندفاع ولحاء الشجرة قشرها والأفنان الأغصان والأمشاج النطفة المختلطة بالدم وتعفو تمحو وشناخيب الجبال رؤوسها وذراها أعاليها والتغريد تطريب صوت الطائر والدياجير جمع ديجور وهو الظلام والسدفة الظلمة وذر الشارق طلع ورجع الكلمة جوابها والنقاعة نقرة يجتمع فيها الدم واعتورته أحاطت به والعارفة المعروف والخلة الفقر وتنعشه تنقذه من عثرته

اعلم أن هذا الفصل يشتمل على فصول **الفصل الأول** في تمجيد الله تعالى باعتبار خلقه للأرض في الماء وجملة من أحوالها وأحوال ما في طرفيها وفيه أبحاث **البحث الأول** في الاستعارات والتشبيهات وأبحاث لفظية **الأول** استعاره

في صفة الأرض ودحوها على الأرض

لفظ الكبس لخلقه لها غائصا معظمها في الماء كما يغوص بعض الزق المنفوخ ونحوه بالاعتماد عليه **الثاني** استعارة لفظ الاستفحال للموج
ومعنى المشابهة ما اشتهر فيه الموج والفحل من الاضطراب والهيجان والصولة **الثالث** تشبيهه بالفحول البهم ووجه الشبه ما يظهر على رؤوس الموج
عند اضطرابه وغليانه من رغوة الزبد كما يظهر من فم الفحل عند هياجه **الرابع** استعار لفظ الجماح لحركة الماء على غير قانون واضطراب
لا يملك معه كما يجمح الفرس **الخامس** استعار أوصاف لينا من الكلكل والكاهل للأرض ورشح تلك الاستعارة بالوطي
والمعك وإنما خص الصدر والكاهل لقوتهما وكنى بالخضوع عن التأثر بالثاقل **السادس** استعار للماء لفظ الاستخذاء والقهر ولفظ
الحكمة والانقياد والأسر وكنى بها عن انقياده بحيث صار مثل فحل كالفرس في حبائل الحكمة والانقياد والأسر وكنى بها إلى الذل صاغرا
للسبب الذي سبب **السابع** استعار لفظ النخوة والنباء والشموخ بالأنف والعلواء والنزق والزيفان والوثبات للماء في هيجانه ونزوه
واضطرابه ملاحظة لشبهه بالإنسان المتجبر المباهي في حركاته الموزونة بتكبره وزهوه **الثامن** استعار لفظ الأكتاف للأرض ووجه
المشابهة كون الأرض محلا لحمل ما ينقل من الجبال كما أن كتف الإنسان وغيره محل لحمل الأثقال **التاسع** استعار لفظ العرنين
والأنف لأعالي رؤوس الجبال كناية عن ارتفاعها بالإثبات **العاشر** كنى بالتغلغل والتسرب عما يتوهم من نفوذ الجبال في الأرض
وغوصها فيها واستعار لفظ الخياشيم لتلك الأسراب المتوهمة ولما جعل للجبال أنوفا جعل تلك الأسراب المتوهم فيها الجبال لها خياشيما
الحادي عشر استعار لفظ الركوب للجبال والأعناق للأرض كناية عن ارتفاعها بالقاهر والمقهور **الثاني عشر** استعار لفظ
الوجدان والذريعة والحبل وكنى بها عن اتخاذها بالإنسان في الوسيلة إلى مطالبه **الثالث عشر** الضميران في تغلغلها
وركوبها الحبل إلى الجبال والضمير في خياشيمها يعود إلى الأرض وباقي الضمائر ظاهر **الرابع عشر** تجوز في إسناد لفظ الإعياء
والاستخراج إلى السحاب إذ المخرج هو الله تعالى **الخامس عشر** كنى بعدم النوم عن عدم اخفاء ووميض البرق في السحاب كناية بالسحاب
السادس عشر استعار لفظ الهدب لقطرات المطر المتصلة يتلو بعضها بعضا ملاحظة لشبهها بالخيوط المتدلية **السابع**
عشر استعار لفظ الدرور والأهاضيب وهي الحلبات للغمام كناية عن اتحافها بالثاقبة **الثامن عشر** أسند المزن إلى الجنوب مجازا
أو لأن لها سببية ما في نزول الغيث وإنما خص الجنوب لأنها في أكثر البلاد حارة رطبة أما الحرارة فلأنها تأتي من الجهة المتسخنة
بمقابلة الشمس وأما الرطوبة فلأن البحار أكثرها جنوبية والشمس تفعل فيها بقوة وتثير عنها أبخرة تخالط الرياح وإذا كان كذلك
الجنوب وفي بالذكر من وجهين أحدهما أنها أكثر استصحابا للأبخرة فلذلك كان السحاب أكثر انعقادا معها ومصاحبتها الثاني أنها
لحرارتها تفتح المسام ولرطوبتها ترخي فكان درور المطر عنها أكثر **التاسع عشر** استعار لفظ البرك لبواني السحاب وأسند إليه
الإلقاء كناية عن الخافر بالجمل الذي أثقله الحمل فرمى بصدره إلى الأرض نسب الابتهاج والازدهاء والتبرج إلى الأرض ذات الأزاهير مجازا
ملاحظة لشبهها بالمرأة المتبرجة بما عليها من فاخر ملبوس وجميل الثياب **البحث الثاني** أن مقتضى الكلام أن الله خلق الماء قبل
الأرض ثم دحاها فيه وسكن بها مستفحل أمواجه وهذا مما يشهد به البرهان العقلي فإن الماء لما كان حاويا لأكثر الأرض كان سطح
الباطن المماس لسطحه الظاهر مكانا لها وظاهر أن المكان متقدم بالاعتبار على المتمكن فيه وإن كان اللفظ يعطي تقدم خلق الماء على
خلق الأرض تقدما زمانيا كما هو المقبول عند السامعين **البحث الثالث** أنه أشير إلى كونها مدحوة في القرآن الكريم أيضا والأرض
بعد ذلك دحاها مع أن الأرض كرة كما ثبت بيانه في علم الهيئة فلا بد من التأويل وقد نبهنا البحث في قوله اللهم داحي المدحوات وقد
ورد في الخبر أن الأرض دحيت من تحت الكعبة قال بعض العارفين الإشارة بالكعبة إلى كعبة وجود واجب الوجود التي هي مقصد وجوه
المخلصين التي جعلت هذه الكعبة في عالم الشهادة مثالا لها ودحوها من تحتها عبارة عن وجودها عن ذلك المبدأ **البحث الرابع**
الإشارة إلى خلق الجبال فيها وكونها سببا لسكونها والنابع في تكوين ما تكون من الجبال فيها وجوه أحدها أنه قد يكون عن بخارات لكن
مياهها الثاني قد يكون عن زلزلة فصلت قطعة على ناحية فارتفعت الثالث قد تكون عن رياح جمعت بهبوبها ترابا فتراكم وعلا الرابع
قد تكون لعمارات تراكمت فتخربت فأما كونها أسبابا لسكون الأرض فقد سبقت الإشارة إليه في الخطبة الأولى واعلم أن البرهان
مطابق على الشهادة بسكونها كما أشير إليه في مظانه **البحث الخامس** في تفجير ينابيع العيون في الجبال وغيرها وقد أشار
العلماء إلى سببه فقالوا إن الأدخنة والأبخرة مما يحتبس منها تحت الأرض وفيه ثقب وفرج فيها هواء وبخار ومياه فقد تبرد
الأبخرة والهواء فيصيرها ماء بالقوة ومدد منفجر عيونا ويجري على الولاء لعدم دخول الهواء بين الخارج وما يتصل به ويتبعه
وما لا مدد له من العيون يركد وما المدد إلا أن لأجزاء مبدئه والأرض والهيئة لا تحتاج إلى مقاومة تحصل منه القنوات
وماء الآبار أيضا من قبيل ما له مدد لكنه لم يجد سبيلا إلى أحد الجوانب لعدم رخاوة أرضه بخلاف القنوات وإنما خص الجبال
بتفجر العيون منها لأن العيون أكثر ما يتفجر من الجبال والأماكن المرتفعة وذلك لشدة احتقان الأبخرة تحتها بالنسبة إلى سائر
الأماكن لها بطنة لرخوة فإن الأرض إذا كانت رخوة نفضت البخار عنها فلا يكاد يجتمع منه قدر ما يعتد به ولأن هذا التخصيص ترك،

العشرون

في بيان صفة الارض

على حكمة الصانع وعنايته بالخلق وهو في معرض تمجيده وتعظيمه لانه **البحث السادس** انه اعد الهواء لساكنها واعلم انه سبحانه كما جعل
الهواء عنصرا لابدان الحيوان وارواحه البدنية كذلك جعله مددا يصل الى الارواح ويكون علة لصلاحها وبقائها بالتعديل وذلك
التعديل يكون بفعلين احدهما الترويح والثاني التنقية اما الترويح فهو تعديل مزاج الروح الحار اذا افرط بالاحتقان في الاكثر فان الهواء
الذي يحيط بنا ابرد بكثير من ذلك المزاج فاذا وصل اليه باستنشاق او بورود من مسام منافذ النبض وصدمه وخالطه منعه عن الاستحالة
الى النارية الاحتقانية المؤدية الى سوء مزاج يزول به عن الاستعداد لقبول التاثير النفساني الذي هو سبب الحيوة واما التنقية فهي
ما يستفرغ عند رد النفس بما يسلمه اليه القوة المميزة من البخار الدخاني الذي نسبته الى الروح نسبة الخلط الفضلي الى البدن فكما
ان التعديل هو بورود الهواء على الروح عند الاستنشاق فالتنقية بصدوره عنه عند رد النفس وذلك ان الهواء المستنشق انما
يحتاج اليه في تعديله اول وروده لكونه باردا بالفعل فاذا استحال الى كيفية الروح بالتسخن لطول مكثه بطلت فائدته فاستغني
عنه م فيحتاج الى هواء جديد يدخل ويقوم مقامه فدعت الضرورة الى اخراجه لاخلاء المكان لمعاقبه وليندفع معه فضول جوهر الروح
فهذا معنى قوله م واعد متنسما لساكنها واعلم ان اعداده لمنفعة الحيوان اعم مما ذكرنا فانه ايضا معد لتنشئة الامزجة المعدنية والنباتية
والحيوانية التي يحتاج الانسان في بقائه اليها وكونه عنصرا لها ومعتبرا في بقائها وعند ملاحظة هذه المنافع عن الهواء يظهر حسن
اثر نعمة الله به **البحث السابع** في اخراجه م اهل الارض اليها بعد تمام مرافقها كما قال تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسي
وانبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين والاشارة باهلها المخرجين اليها ادم واعلم ان اول
ارفاقهم بها ان جعلها فراشا لهم صالحا للسكنى عليها كما قال تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا ولكونها فراشا شرائط **احدها** ان تكون
ساكنة ليصح الاستقرار عليها والتصرف فيها بحسب الاختيار وموافقة المصلحة دون كونها متحركة **الثاني** ان تكون خارجة من الماء
وذلك ان الانسان وغيره من الحيوانات البرية لا يمكنه ان يعيش في الماء فاقتضت عناية الحق سبحانه بالحيوان ان ابرز بعضها من الماء
ليعيش فيه ويتصرف عليه **الثالث** ان لا يكون في غاية الصلابة كالحجر والا لكان النوم والمشي عليها مولما وايضا لم يكن
لينبت فيها انواع النبات والاشجار وايضا لكانت تسخن في الصيف كثيرا وتبرد كثيرا في الشتاء فما كانت تصلح لسكنى الحيوان وايضا
كان يتعذر حفرها وتركيب بعضها ببعض **الرابع** ان لا يكون في غاية الرخاوة كالماء وغيره من المايعات التي يغوص فيها
الانسان **الخامس** انه سبحانه لم يخلقها في غاية الشفافية واللطافة فانها ان كانت مع ذلك جسما سيالا كالهواء لم تتمكن
من الاستقرار عليه وان كان جسما ثابتا صقيلا براقا احترق الحيوان وما عليها بسبب انعكاس اشعة الشمس عليها كما يحترق القطن
اذا قرب من المرايا المحاذية للشمس والبلور ولكنه خلقها غبراء ليستقر النور على وجهها فيحصل فيها نوع من التسخين وخلقها كثيفة
لئلا تنعكس الاشعة منها على ما فيها فتحرقه فصارت معتدلة في الحر والبرد تصلح ان تكون فراشا ومسكنا للحيوان **المنفعة الثانية** خلق الجبال
فيها وتفجيرها بالماء كما سبقت الاشارة اليه **المنفعة الثالثة** ما يتولد فيها من المعادن والنبات والحيوان وفي انواع كل
من هذه الموجودات واختلاف اصنافه والوانه وروايحه وطعومه ولينه وصلابته وملاسته وخشونته ما لا يحصى من المنافع التي
يحتاج اليها الانسان في بقائه وصلاح حاله **المنفعة الرابعة** كونها اصلا لبدن الانسان وذلك ان الماء لرقته ورطوبته
لا يحفظ التشكل والتصوير فاذا خلط بالتراب حصل له قوام واستمساك وحصل قبول الاشكال والتخطيط كما قال تعالى اني خالق
بشرا من طين **المنفعة الخامسة** قبولها للحيوة بعد الموت كما قال تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها **البحث الثامن**
في تمجيده تعالى باعتبار انشائه للسحاب البرق والنظر في وجه الحكمة فيه وفي ايصاله وفي حيوة الارض به اما وجه الحكمة في
انشائه فكونه مادة لما ينبت في الارض الجرز مما هو قوام بدن الحيوان وغذاء له كما اشار اليه م بقوله ثم لم يدع جرز الارض التي
تقصر مياه العيون والانهار عنها ولا تجد جداول الارض ذريعة الى بلوغها الى قوله وجعل ذلك بلاغا للانام ورزقا للانعام
ونحوه قوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون **البحث التاسع**
في تمجيده م باعتبار تخريقه للفجاج في افاقها اي الطرق في نواحيها كما قال تعالى وجعل لكم فيها فجاجا سبلا لعلكم تهتدون
ثم باعتبار اقامة المنار للسالكين فيها والاشارة بالمنار اما بالنجوم كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون او الى الجبال **الفصل
الثاني** في تمجيده تعالى باعتبار خلقه لادم واختياره له واتمام نعمته عليه ومقابلته بالعصيان ومقابلة عصيانه بقبول توبته واهباطه الى الارض
واكرام ذريته بعده ببعثة الانبياء منهم واليهم وهيمنته بينهم معايشهم واجالهم بالقلة والكثرة وابتلائه لهم بذلك وهو من قوله فلما مهد
ارضه وانفذ امره الى قوله م قاطعا لمرار اقرانها واعلم ان الكلام في قصة ادم م قد سبق في الخطبة الاولى مستوفى فلا نعيده ولكن
في هذا الكلام فوائد **الفائدة الاولى** معنى قوله مهد اي جعلها مهادا كقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا وجعلها مهدا كقوله
تعالى جعل لكم الارض مهدا وعلى التقدير الاول اراد انه لما خلقها بحيث تسهل على العباد ان يتصرفوا فيها بالقعود والقيام والزراعة

أ بحرف
الهواء
الى الحيوان م
جعل م
الى ذر

في بيان صفة الارض

وسائر جهات المقعد وانفذ امره في خلق ادم خلفه بعد ذلك وعلى التقدير الثاني يكون لفظ المهد استعارة لها ملاحظة لتشبيهها بمهد الصبي
في كونه محل الراحة والنوم **الفائدة الثانية** قوله وانفذ امره اي في ايجاد مخلوقاته وانما ماهيه الحكم على العالم بالتمام باخفياء نوع الانسان
الذي هو تمام دائرة الوجود فقال الله كن فكان **الفائدة الثالثة** قوله خيرته من خلقه نصب على الحال ويحتمل النصب على المصدر وفي شأن
كونه خيرة الله من خلقه قوله تعالى ان الله اصطفى ادم وقوله ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير
ممن خلقنا تفضيلا وبيان هذا التكريم من وجهين احدهما قال ابو يزيد البسطامي ان انواع كرامات الله تعالى في حق البشر غير متناهية كما قال
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها هذا على سبيل الاجمال اما التفصيل فمن وجوه **الاول** انه سبحانه يمطر كل ساعة على المتوكلين مطر
الكفاية كما قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه **الثاني** انه يمطر كل ساعة على المطيعين مطر المودة كما قال تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا **الثالث**
انه يمطر على المجتهدين مطر الهداية كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا **الرابع** انه يمطر على الشاكرين مطر الزيادة كما قال
تعالى لئن شكرتم لازيدنكم **الخامس** انه يمطر على المتذكرين مطر التبصير كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون الثاني ان التكريم لادم عليه السلام وذريته اما باحوال داخلة في الانسان او خارجة عنه والداخلة فيه اما بدنية او غيرها اما البدنية
التي اكرم بها فامور **الاول** الصورة الحسنة كما قال تعالى وصوركم فاحسن صوركم **الثاني** حسن القامة والتعديل كما قال تعالى لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم وذلك ان الشيء كلما كان اكثر علوا وارتفاعا كان اشرف في نوعه فان احسن الاشجار اعلاها امتدادا **الثالث**
انه اكرمه بتمكينه من القيام والقعود والاستلقاء والانبطاح والاضطجاع وذلك انه تعالى ركب الخلق على اصناف فمنها احدها ما يشبه القيام
كالاشجار وثانيها ما يشبه الراكعين كالبهائم وثالثها ما يشبه الساجدين كالحشرات التي تدب على وجوهها وبطونها ومنها ما يشبه القعود
كالجبال ثم انه سبحانه خلق الانسان قادرا على جميع هذه الهيئات ومكنه من ذكره على جميع هذه الاحوال كما قال تعالى الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم واما الاحوال التي اكرم بها غير بدنية فامور احدها الروح التي هي محل العلم باشرف الموجودات وصفتها وهو الله
تعالى كما قال ونفخت فيه من روحي وشرفه باضافة روحه اليه وبهذا التشريف تميز عن سائر الموجودات في هذا العالم الثاني العقل وشرفه
من وجوه **الاول** روي ان الله تعالى اوحى الى داود اذا رأيت عاقلا فكن له خادما **الثاني** قول الرسول صلى الله عليه وآله اول ما خلق الله العقل
فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك اخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب
واعلم ان للعقل بداية ونهاية وكلاهما يسميان عقلا اما الاول فهو القوة المهيئة للعلوم الكلية الضرورية كالطفل وهو المشار اليه بقول
النبي صلى الله عليه وآله الثاني العقل المستفاد وهو المشار اليه بقوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام اذا تقرب الناس الى خالقهم بابواب البر فتقرب انت اليه بعقلك تسبقهم بالدرجات
والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله في الاخرة **الثالث** العلم والحكمة التي هي ثمرة العقل كما قال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات وقال يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وسماه حيوة ونورا فقال
اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس اما التكرمة الخارجة عنه فامور **احدها** انه خلق ما سواه منفعة له فقال هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فرش الارض وجعل السماء سقفا محفوظا وجعل
ما يخرج من الارض رزقا وما ارسله الله من السحاب من مائه مادة لذلك كما قال تعالى وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر
لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار واكرمه بخلق الشمس والقمر والنجوم كما قال وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل
والنهار وقوله وجعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقال ولتعلموا عدد السنين والحساب واكرمه بخلق الانعام فجعل منها اغذيته
وملبوسه وراحته وجماله وزينته فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون
الى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون **الثاني** روي عن امير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا
بني ادم قال بالدعوة الى الجنة كما قال والله يدعو الى دار السلام **الثالث** انه اكرمهم بتخيير قلوبهم لمعرفته والسنتهم لشهادته ومواليهم
لخدمته فشرفهم بتكليفه وبعثه الانبياء اليهم من انفسهم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ثم جعل ادم والانبياء من ذريته
اكرم عباده لديه بخصاصهم بالنبوة والرسالة كما قال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض
ثم فضل اولي العزم منهم فقال واصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ثم فضل بعضهم على بعض وهو الخليل والكليم والروح والحبيب فقال
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس ثم فضل
محمدا صلى الله عليه وآله على الكل فقال وكان فضل الله عليك عظيما وجعله غاية طينتهم وخاتمهم كما هو فقال ولكن رسول الله وخاتم النبيين **الفائدة
الرابعة** قوله وجعله اول جبلته اشارة الى ان ادم اول شخص تكون في الوجود من نوع الانسان وقوله والخاطرة بمنزلة اي عند الله
وكونه مستحقا للقرب منه وقوله موافاة لسابق علمه اشارة الى ان وقوعه في الوجود بعد دخول ضابط القلم والقضاء الالهي السابق
الفائدة الخامسة قوله فاصطفاه بعد التوبة من قال ان المراد بادم نوع النفوس البشرية وقد ثبت انه حادث والشخص الاول منها

فالان

في صفة الأرض وحال ساكنيها

قال الثوبة مثل الاهباط هي التوبة بالعقوبة المعلومة لله من عصاه او لاولاد آدم الناشئين اليه اهبطنا نفوسهم من درجات عرفانه والتفات وجوههم قبل
الى عمارة الارض والاشتغال بالحرث والنسل والابتناء عليها وهم يرجعون عن المباحات الى ما هو الاولى والاهم من عبادة الله وطلب الغفران والرضوان
كبريائه وبعد من ما رجعوا عنه ذنوبا ورجوعهم عنه توبة كما قال النبي صلى الله عليه وآله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة وانما كان
استغفاره منها الاشتغال عنه بتدبير امور الارض وعمارتها واشتغاله عن الخلوة بالله واستشراق انوار قدسه **الفائدة السادسة**
قوله ولتقيم الحجة به على عباده الذين بعث آدم حجة عليهم اولاده الموجودون في زمانه والمنقول انه مات عن اربعين ولدا ومن بلغه ستة
منهم نعبد عنه والمنقول ان الله تعالى انزل من الاحكام تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في احد وعشرين ورقة وهو اول كتاب كان
في الدنيا اجرى الله عليه الالسنة كلها **الفائدة السابعة** قوله ولم يخلهم بعد ان قبضه مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته اي من حجة
ربوبيته فانها تمت عليهم في كيفية تخليقهم وخلق ما يستدلون به عليه من صنعه كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى
يتبين لهم انه الحق الآية وغيرها من الآيات وانما يكون بعثة الانبياء مؤكدة لتلك الحجج مذكرة للغافلين عنها بها ومنبهة على وجوهها
وموصلة بينها وبين معرفته بما جاءت به من الكتب المنزلة والسنن بالتشريع وقوله بلغ المقطع عذره ونذره اي اعذاره الى الخلق الشرعية
وانذاره لهم بلغ الغاية ومقطع كل شيء غايته **الفائدة الثامنة** تقديره الارزاق فيهم تقسيمها وإعطاء كل مخلوق ما كتب له في اللوح
المحفوظ منها من قليل وكثير وضيق وواسع ومتيسر ومتعسر ومعاقبة الاضداد عليهم من تشخيص سعة الغنى بلواحق الفقر والفاقة كما
بينها الانسان في ملكه اصبح محتاجا الى الفلس وكذلك الحاق السلامة في النعم بطوارق الآفات من غرق او حرق او غصب ظالم او طلب
غاشم وكذلك سعة الارزاق وتفريج افراحها ونكد برحها تعقيبها احزانها واتراحها ثم خلقه الآجال منقالة بتقديره الطول والقصر والتقدم
والتأخر **الفائدة التاسعة** تقديره للموت متصلا ما شابها ولما كان الاجل عبارة عن وقت حضور الموت وكانت اسباب حلول
تلك الاوقات هي بعض الامراض او القتل مثلا لا جرم صدق ان الموت الذي هو عبارة عن مفارقة الارواح لاجسادها متصل بتلك الاسباب
واستعار لفظ الخلج وهو الجذب للموت ووجه الاستعارة وجه المشابهة ما يستلزم الموت من قرب الاجل كما يستلزم المجاذب من
قرب المجذوب اليه فقد رأى الموت جاذبا للاجل بالحبال كما يجذب بها الانسان ما يريد وانما كونه قاطعا لمرائر اقرانها فاستعار ايضا
لفظ المرائر للاسباب العلاقة بين افراد الآجال وهم المتقارنون في الزمان الواحد الذي يتصل لهم الاجل فتلك الاسباب كالصداقة
والاخوة وسائر اسباب العلاقة بين الناس ونحو كون الموت قاطعا لتلك المرائر **الفائدة العاشرة** انه جعل منهم الله تعالى كلا الرزق
متقدر بها بالكثرة والقلة والضيق والسعة صورة ابتلاء من الله لشكر من الاغنياء والصبر من الفقراء وقد اشرنا في قوله الا ان الدنيا
دار لا يسلم منها الا فيها الى ان المراد بالابتلاء من الله معاملته تعالى لعباده معاملة المبتلين المختبرين لا تعرفا ندعام الخفيات والسرائر
لا بعضو رفي حقه الاختبار حقيقة الا انا نريد ههنا بيانا ما صفوات العبد اذا تمكن في خاطره ان ما يفعله الله من افاضة نعمة عليه وحرمانه
لها ابتلاء لشكره او صبره فشكر او صبر حصل من شكره او صبره على ملكات فاضلة في نفسه تستعد بها لمزيد الكمال وتمام النعمة كما قال تعالى لئن
شكرتم لأزيدنكم وقال وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
واولئك هم المهتدون وانما التحقيق في امثال هذه القسمة من ضيق رزق او سعة او طول اجل او قصره ومعاقبة شدة لرخاء وحزن لفرح ونحو
ان لكل واحد من هذه الامور اسباب قد يخفى على من يعرض له ولا بد من انتهائها الى قضاء الله فما عد منها خيرا فهو داخل في الارادة
الكلية للخير المطلق بالذات وما عد منها شرا فداخل في القضاء الالهي بالعرض كما علم ذلك في مظانه وبالله التوفيق **الفصل الثالث**
في تمجيده سبحانه باعتبار كونه عالما بالاشياء وعدد من جزئياتها جملة هي من قوله عالم السر من ضمائر المضمرين الى قوله وما اشبه خلق وسلالة
ولتشرف الى ما عسى يشكل من الفاظه **الاول** خواطر رجم الظنون لما كان الخاطر المظنون للانسان يتعلق بمظنون لا محالة بعد ان لم
يكن اشبه تعلقه به الرجم وهو الرمي بالحجر ونحوه فاستعير لفظه له وانما خص الظن بذلك دون العلم لان كثيرا ما يظن ما لا يجوز ظنا غير
مطابق وكما يظن بعض الناس ما يقبح منه ويصل اليه بسببه اذى وان لم يكن صدقا فكان اشبه الاشياء برميه بالحجر المستلزم للاذى **الثاني**
عقد عزيمات اليقين ما انعقد في النفس من العزم عن يقين **الثالث** ومسارق ايماض الجفون لما اشبه شعاع البصر الوميض
البرق في وميضه واختفائه عند فتح الجفون وطبقها استعار لفظ الوميض له ووزنه ولفظ المسارق لمخارجه **الرابع** استعار لفظ الاكنان
للقلوب بالنسبة الى ما اخفته من الاسرار ولفظ الغيابات للغيوب وجه المشابهة كون القلوب حافظة كالبيوت وكون الظلمات مانعة
من ادراك المبصرات كما تمنع الغيوب ذلك ما فيها **الخامس** مصائف الذر ومشاتي الهوام بيوتها واشهرها الصيفية والشتوية من بطون
الارض لموافقتها حر الصيف وبرد الشتاء ورجع الحنين من المولهة ترديد صوت الثكلى في بكائها وحنينها الى من فقدته **السادس**
ولائج غلف الاكمام انما حسنت الاضافة هنا لان كل كم غلاف ولا ينعكس فجاز تخصيص العام بالاضافة الى بعض جزئياته **السابع**
محط الامشاج محل نزول النطف من الاصلاب وسائرها وهي الاوعية التي يتبيح بها المني والاخلاط التي يتولد عنها **الثامن** وما تنسي الرياح

في انه لا بدّ لكل مطلوب

بين بوطها اي ما انتهى ونشز منه من التراب واستعار لفظ الذيول لما انحدر من الارض منها **التاسع** استعار لفظ العوم لدخول عروق النبات في
نواحي الارض لما لاحظه من شبهها بالماء ودوي نبات الارض ينفلق الكباء وهي الهوام التي تنشأ في الرمل تغوص فيه فشبه كالحلكة وهي دويبة
كالعظاءة دون الشبر صفراء ملساء تستعملها العرب للتشبيه وكنوع من الحياة وغيرها **العاشر** وتعرف نطقات المطر استعار لفظ النطق
للطير وجه المشابهة ان مداول تغريدها معلوم لله فاشبه النطق المفيد من الانسان **الحادي عشر** ما اودعه الاصداف كاللؤلؤ
والمرجان وما حضنت عليه امواج البحار من لؤلؤ وحيوان وغيرها لفظ تحضن مستعار للامواج ملاحظة لشبهها بالحواضن في انطباقها
على البيض والفراخ **الثاني عشر** سبحات النور ما تنزه منه عن كدر الظلمة ولفظ النور مستعار لما ذكر من جلال الله والضمير في قوله
عليها يرجع الى الارض وقرارة النطفة مستقرها من الارحام ولفظ النقاعة استعار لمحل الحيض والمضغة الولد في بعض اطوار خلقته
كالعرقة قبل ونا نشيئة الخلق ما نشاء من مخلوق فامر **الثالث عشر** يلحقه في ذلك كلفة الى قوله ولا فترة الكلفة كون الفعل
مستلزما لفاعله نوع مشقة وتلك المشقة اما لضعف قوة الفاعل او ضعف آلته او قصور علمه عن تصور ما يفعل والباري تعالى منزه
عن هذه الامور لاستلزامها الحاجة وكذلك العارضة من عوارض موانع الفعل وتعوقها تستلزم وجود المقاوم والمماثل وقد نزه قدس
الحق عنهما واما الملالة فالمفهوم انصراف النفس عن الفعل بسبب كلال الارواح الداعية وضعفها عن العمل والغاية عن لحوقها وقد
علمت انها من لواحق الاجسام وكذلك الفترة والباري منزه عنها **الرابع عشر** قوله بل نفذهم علمه الى قوله وعمهم فضله اثبت
كل واحدة من هذه القرائن الاربع مقابلة للاربع التي نفاها فنفاذ علمه فيهم مقابل لما نفاه من لحوق الكلفة في علمه بهم وعدهم
بعدده مقابل للعوارض العارضة في حفظ خلقه ووسع عدله لهم مقابل لنفي الملالة في تنفيذ اموره بهم مخلوقا فانه
لو كان معنى عدله فيهم وضعه لكل موجود في مرتبته واعطاه له ما يستحقه من زيادة ونقصان مضبوطا بنظام الحكمة واعتراض الملالة في
سبب لاختلال نظام الفعل وقوله وعمهم فضله مقابل لنفي الفترة فان فتور الفاعل عن الفعل مانع عن تتمة فعله وتمام وجوده
وقوله مع تقصيرهم عن كنه ما هو اهله تنبيه على حقارة عباداتهم في جنب عظمته واستحقاقه لما هو اهله لتديم شكرهم وثناهم
ولا يشكروا واشياء من طاعاتهم وبالله التوفيق **الفصل الرابع** في تمجيده خطابا له ودعاء وطلبا للجزاء ما سبق من ثنائه
عليه باوصافه الجميلة وهو رضاه عنه واغناؤه عن غيره وفيه اشارات **الاولى** قوله انت اهل الوصف الجميل والتعداد الكثير
الى آخره نعم بحسب استحقاقه الوصف باشرف طرفي النقيض كان اهل الوصف الجميل وباعتبار تعدد نعمائه ثنائه وحمده بالنظر الى كل جزئي من
جزئياتها فهو اهل التعداد الكثير **الثانية** وقد بسطت لي فيما لا امدح به غيرك ولا اثني به على احد سواك اشارة الى اذنه
له في شكره والثناء عليه بالاوصاف الجميلة التي لا يستحقها حقيقة الا هو ولا ينبغي الا هو ان تطلق الا له ومعنى هذا الاذن اما الهام
حسن شكر المنعم ومدحه اذ لا منعم في الحقيقة الا هو فلا يستحق التمجيد المطلق الا هو ومخاطبته له بايجاب الشكر كقوله نعم واشكروا لله
ان كنتم اياه تعبدون وفي قوله ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله وسبحوه بكرة واصيلا واستعار لفظ المعادن
للخلائق ووجه المشابهة ان معدن الشيء كما انه مظنة المطلوب منه كذلك الخلائق ارباب النعم الفانية مظان خيبة طالبها من ايديهم
وكذلك مواضع الريبة اي الشك في منعهم وعطائهم لها ولذلك فسره بقوله وعدلت بلساني عن مدائح الآدميين والثناء على المربوبين
المخلوقين **الثالثة** قوله دليلا نصب على الحال او المفعول له اي برجائه على ذخائر الرحمة وجاء انه نبوة هديته الى وجوه
الاسعاد الى رحمته وبشره عليه لئلا تلتفت ثنية عن كل خاطر سواه فان كل خاطر سوى الحق سبحانه ذنب في حق مثله عليه السلام
ولفظ الذخائر والكنوز مستعار لجوده **الرابعة** قوله هذا مقام من افردك بالتوحيد اشارة الى مقام من بين يديه هيئة الذكر
وهو توطئة لذكر مطلوبه واستنزال رحمة الله ثم قال وبي فاقة اليك لا يجبر مسكنتها الا فضلك ولا يعضر سد تلك الفاقة على فضله
اذ لم تكن فاقة يمكن الخلائق من الاتيان بها ثم اردفه بذكر مطلوبه وهو رضا الله واغناؤه عن سواه وظاهر ان حصولهما مستلزم لما
رجا الله سائلا عليه من ذخائر رحمته وكنوز مغفرته وبالله العصمة والتوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما اريد على البيعة بعد
قتل عثمان دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ
أَغَامَتْ وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا
كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً **اقول** حاصل هذا الفصل انه لا بد
لكل مطلوب على امر من تعذر فيه وتمنع والحكمة في ذلك ان الطالب له يكون بذلك راغبا فيما يطلب فان الطبع حريص على ما منع سريع النفرة
عما سوغ اليه فاراد عليه السلام المنع عليهم لتقوى رغبتهم اليه فانهم يصل اليهم هذا الامر بعد اضطراب في الدين في قتل عثمان والجراءة
على الله فاحتاج في تقويم الخلق وردهم الى قواعد الحق ان يزدادوا فيه رغبة لهذا الكلام ومثله فقال دعوني والتمسوا غيري
انه سيقيم بعد هذا المنع على ان ههنا امورا مختلفة يريد ان ينكرها عليهم ويقاوم ببعضهم فيها بعضا ويحملهم على الصلاح و

استقباله

١٦

في بيان فضيلته وتذكر الرجعة

استقبلنا الثلث الامور المضعفة الألوان لا استقالة منه من هذا الامر فقال فانا مستقبلون امراً له وجوه والوان لا تقوم له القلوب اي لا تصبر ولا تثبت عليه العقول بل تنكره وتاباه لمخالفته لشريعة ومطابقته لنظام العالم وذلك الامر هو ما كان يعلمه من اختلاف الناس عليه بعضهم فبعث من الناكثين والقاسطين والشبهات الباطلة كشبهة معاوية واهل البصرة له بدم عثمان وكشبهة الخوارج عليه في الرضا بالتحكيم ونحو ذلك وهو المكنى عنه بالوجوه والالوان كناية بالمستعار وقوله وان الافاق قد اغامت والمحجة قد تنكرت استعار لفظ الغيم لما غشي افاق البلاد واقطار القلوب المعتبرة العارضة على الفساد من ظلمات الظلم والجهل ووجه المشابهة ما تستلزمه هذه الظلمات من توقع نزول الشرور منها كما يتوقع نزول المطر والصواعق من الغيم واشار بالمحجة الى واضح طريق الشريعة وتنكرها جهل الناس بها وعدم سلوكهم لها وقوله واعلموا الى قوله عتب العاتب انما تمنع عليهم وعلم صدق رغبتهم فيه شرع في تقرير ما يريد ان يفعله بتقرير اجابته اليها عليهم مع تمنع ذوي الاول فاعلمهم انه على تقدير اجابتهم الى هذا الامر لا يركب بهم الا ما يعلم من امر الشريعة ولا يصغي الى قول قائل خالف امر الله لمقتضى هواه ولا عتب عاتب عليه في انه لم يفضله او لم يرضه بما يخالف ما يعلم من الشريعة اذ القائل والعاتب في ذلك مفتر على الله وعاتب عليه ولقد وقع عليه السلام بما وعدهم به من ذلك كما سنذكره في قصة اخيه عقيل لما استماحه صاعاً من بر او شعير فحمى له حديدة وقربها منه فان عقيل فقال له ثكلتك الثواكل أتئن من حديدة احماها انسانها للعبه وتجرني الى نار سجرها جبارها لغضبه لفظ الركوب مستعار لاستوائه على ما يعلم وقوله وان تركتموني الى آخره اي كنت كاحدكم في الطاعة لامير كم بل لعلي اكون اطوعكم له اي لقوة علمي بوجوب طاعة الامام وانما قال لعلي لانه على تقدير ان يولوا احداً يخالف امر الله لا يكون اطوعهم له بل احتمال ولاحتمال تولينهم لمن هو كذلك فانه فانه يم طاعته وعدم طاعته لذلك لم تحسن ايراد لعل والواو في قوله وانا لكم وزيراً وامير احالا والعامل فيها ما تتعلق به الجار والمجرور والوزير اللغوي وهو المعين والظهير الحامل لوزر من يظاهره وثقله وظاهر انه كان وزير المسلمين وقصد الخبر ههنا التنفير الى وهو الحال عليهم في امر الدنيا فانه اذا كان اميرهم حملهم على ما يكره طباعهم من الصبر في الحروب والتسوية في العطايا ومنعهم ما يطلبون مما هو للشريعة فيه منع واما اذا كان وزيرهم فان خطر الوزير ليس الا المشورة والرأي الصالح والمعاضدة في الحروب ونحوها الذي من الامور حيث لا يتمكن من الزام الحكم بها وانما كان هذا التمنع دون الاول لان قوله ان اجبتكم فيه اطماع لهم بالاجابة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم**

أما بعد أيها الناس فانا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترئ عليها احد غيري بعد ان ماج غيهبها واشتد كلبها فاسئلوني قبل ان تفقدوني فوالذي نفسي بيده لا تسئلوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة الا انبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من اهلها قتلاً ومن يموت منهم موتاً ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الامور وحوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسئولين وذلك اذا قلصت حربكم وشمرت عن ساق وكانت الدنيا عليكم ضيقاً [illegible] تستطيلون ايام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم ان الفتن اذا اقبلت شبهت واذا ادبرت نبهت ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات يحمن حوم الرياح يصبن بلداً ويخطئن بلداً الا ان اخوف الفتن عندي فتنة بني امية فانها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها واصاب البلاء من ابصر فيها واخطأ البلاء من عمي عنها وايم الله لتجدن بني امية لكم ارباب سوء بعدي كالناب الضروس تعذم بفيها وتخبط بيدها وتزبن برجلها وتمنع درها لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم الا نافعاً لهم او غير ضائر ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون احدكم منهم الا كانتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية وقطعاً جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى نحن اهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الاديم بمن يسومهم خسفاً ويسوقهم عنفاً ويسقيهم بكأس مصبرة لا يعطيهم الا السيف ولا يحلسهم الا الخوف فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يرونني مقاماً واحداً ولو قدر جزر جزور لاقبل منهم ما اطلب اليوم بعضه فلا يعطونني **اقول**

فقأت عينه عورتها وماج اضطرب والغيهب الظلمة والكلب الشر والكلب داء معروف والفئة الطائفة وناعقها الداعي لها والمناخ بالضم محل البروك وحوازب الخطوب ما حزب اي اصاب والتقلص التقبض وشبهت اشتبهت او وقعت الشبهة وحام الطائر دار والخطة الحال والامر والناب الناقة المسنة والضروس التي تعض حالبها والعذم العض وهو الكدم بالفم والزبن الدفع وشوهاء جمع شوهاء وهي قبيحة المنظر وسامه خسفاً اولاه ذلاً والعنف شدة السوق ويحلسهم اي يلبسهم الحلس وهو الكساء تحت برذعة البعير والجزر القطع ومنه سميت الجزور لما ينحر من الابل ومقصود هذا الفصل التنبيه على فضيلته وشرفه وفقده برعاية على رذائل بني امية بذكر فتنتهم وما يكون منهم لتستعد النفوس لقائهم بتقوى الله من وجهين احدهما باخباره عما سيكون والثاني بذكر الشرور من غيره فقوله فانا فقأت عين الفتنة اشارة الى فتنة اهل البصرة ... واستعار لها لفظ العين لان العين اشرف عضو في الوجه وبها تصرف الشخص وحركته ووجه الاستعارة ان ... لفظ الفقأ وكنى به عن زوال فتنتهم بسيفه وقوله ولم يكن ليجترئ عليها احد غيري اي ان الناس كانوا لا يتجاسرون على قتال اهل القبلة ويتأثمون من ذلك الحرج والاثم ولا

عليكم

بهم

انتصار

يفرجها

وانما حصل ... العين ...

في بيان فضيلة وعزة الذرية النبية

يعلمون كيفية قتالهم هل يتبعون مدبرهم وهل يجهزون على جريحهم وهل تسبى ذراريهم وتقسم اموالهم ام لا حتى اقدم عليه
على قتلهم وفقأ عينها فسكنت بعد هياجها ومبدء ذلك حرب عائشة وقد صرح عليه السلام بذلك في الفاظ اخرى فقال اما بعد فانا
فقأت عين الفتنة شرقيها وغربيها ومنافقها وما دخلها لم يكن ليجترئ عليها غيري ولو لم اكن لما قوتل اصحاب الجمل ولا اصحاب صفين
ولا اصحاب النهر ويحتمل ان يكون المراد فقأت عين اهل الفتنة فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويكون فقأه لعيونهم كناية
عن قتلهم وروى ان من المتوقفين عن الحرب الاحنف بن قيس وجماعة معه وكنى بتموج غيهبها عن انتشار ظلمات الشبهة عن تلك الفتن
في اذهان الناس فجهلوا ان خلاف طلحة وخروج عائشة كان حقا او باطلا فكان ذلك سببا لاضطرابهم وقتالهم وقتلهم وكلب
كنى باشتداد كلبها عن شدة ما وقع منها من الشرور وكلب اهلها وحرصهم على القتل والقتال كناية بالمستعار في الموضعين
قوله فاسألوني الى قوله ومن يموت موتا تعرض للاسؤلة عما سيكون علم يكن ليجترئ على ذلك احد غيره ومن بين سائر الصحابة
والتابعين ولو ادعى غيره ذلك لكذبه العيان وفضحه الامتحان وروى ان قتادة دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال
سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو اذن غلام حدث السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى
فسألوه فانقطع فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له بم عرفت ذلك فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا
لقال قال نملة وذلك ان النملة تقع على الذكر والانثى كالحمامة والشاة وانما يميز بينهما بعلامة التأنيث فانظر الى هذا
المعجب بنفسه كيف انقطع عن سؤال يمكن الفطن ان يجيب عنه بادنى سعي فكيف به اذا سئل عن الامور المستقبلة التي لا يستند لها
من عالم الغيب الا من ايد بقوة الهية تكشف لنور بصيرته معها حجب الاسرار وقد بينا فيما سبق وجه تمكنه من الاخبار عما سيكون
وكيفية ذلك واراد بالساعة القيمة واستعار اوصاف الابل وزعاقها واصحابها من الناعق والقائد والسائق والمناخ و
الركاب والرحال للفئة المهتدية والضالة ومن يهديهم ويضلهم ملاحظة لشبههم بالابل في الاجتماع والانقياد لقائد و
داعي والضمير في اهلها يعود الى الفئة وقوله ولو قد فقدتموني الى قوله المسؤلين كرايه الامور ما يكرهون منها وحوازب
الخطوب ما يصيبهم من الامور العظيمة المهمة واطراق السائلين تحيرهم في عواقب تلك الخطوب وما يكون منها وكيفية الخلاص
وفشل كثير من المسؤلين اي جبنوا عن رد الجواب لجهلهم بعواقبها وما يسألون عنه منها وقوله وذلك ساما في طوال التي
وفشل المسؤلين وقوله اذا قلصت حربكم تفسير لكرايه الامور النازلة بهم واستعار لفظ التقلص والتشمير عن ساق الحرب
ووجه الاستعارة تشبيهها بالمجد في الامر الساعي فيه وكما انه اذا اراد ان يتوجه قلص ثيابه وشمرها عن ساقه لئلا تعوقه
وتعيقه واجتمع عليه كلب الحرب في كونها مجمعة عن التزول بهم والحوق لهم والواو في قوله وضاقت للعطف على شمرت وموضع
تستطيلوها النصب على الحال وقوله حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم اي الذين يسلمون من بني امية في دينهم واعمارهم ويفتح
الله لهم بهلاكهم وزوال دولتهم وقوله ان الفتن اذا اقبلت شبهت اي يكون في مبدئها مشتبهة بالحق في اذهان الخلق
واذا ادبرت نبهت الاذهان على كونها فتنة بعد وقوع الهرج والمرج بين الناس واضطراب امورهم بسببها واكثر ما يكون ذلك عند
ادبارها كالفتنة في الدول مثلا الذي يعرف به عامة الخلق كونها فتنة وضلالا عن سبيل الله اكثر ما يكون في اخرها فتكون
موذنا بزوالها وعلامة متبشرة وقوله ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات تفسير له اي لا يعرف في مبدء الحال كونها فتنة وتشتبه
بكونها حقا ودعاتها هداة فاذا انقضت عرفت انها عن الحق بمعزل وان دعاتها كانوا دعاة ضلالة وقوله يحومون حوم الرياح استعار
لها لفظ الحوم ملاحظة لشبهها في دورانها المتوهم ووقوعها عن قضاء الله من دعاة الضلال في بلد دون بلد بالطائر والريح وذلك
شبهها بحومهما وكذلك لفظ الخطاء وقوله الا ان اخوف الفتن عندي الى اخره شروع في تعيين ما يريد ان يخبر به وهو بعض ما تعرض
للسؤال عنه وانما كانت هذه الفتن اخوف الفتن لشدتها على الاسلام واهله وكثرة بلوى اهل الدين فيها بالقتل وانواع
الاذى ويكفي في عظم تلك الفتنة هتكهم حرمة رسول الله صلعم وقتل الحسين عليه السلام وذريته وهتك حرمة الاسلام بهدم الكعبة وحرقها
وقتل ابن الزبير وسب علي عليه السلام ثمانين سنة وما انتشر من البلاء وعم بتوليتهم الحجاج دماء المسلمين الى غير ذلك من منكراتهم المسطورة
في التواريخ واشار بكونها فتنة عمياء الى ذلك واستعار لفظ العمى لها لجريانها على غير قانون حق كالاعمى المتصرف في حركاته في عبرة
اولكونها لا يسلك فيها سبيل الحق كما لا يهتدي بالعين العمياء وكذلك لفظ المظلمة وقوله عمت خطتها لكونها ولاية عامة وخصت
بليتها اي باهل التقوى وشيعة علي عليه السلام ومن بقي من الصحابة والتابعين الذين هم اعيان الاسلام وقوله اصاب البلاء من ابصر فيها
واخطاء من عمى عنها اي من اهتدى لكونها فتنة كان فيها في بلاء من نفسه ومنهم اما من نفسه فبالحزن الطويل من مشاهدة
المنكر واما منهم فلان المنفي العالم يكونهم ائمة ضلال منحرف عنهم وغير داخل في نصرتهم الباطل وكان من شانهم تتبع من هذا
حاله بالاذى والقتل فكان البلاء به احق واما من لم يهتد لكونها فتنة بل كان في عمى الجهل عنها فهو منقاد لدعوتهم

في بيان فضيلة ورذالة الرتب بني امية

الباطلة مستاق بحث رايات ضلالهم جار على وفق اوامرهم فكان سائلا من بلائهم ثم اردف ذلك بالقسم البار ليجدنهم الناس ارباب سوء لهم وشبههم
في اضرارهم بالناب الضروس لحالها واشار الى وجه الشبه باوصاف فكدمها وعضها وخبطها بيديها و زبنها برجلها ومنعها درها ثم اشار
الى جميع حركاتها المؤذية والوجه وهي تشبيه حركاتهم في الخلق بالاذى والقتل ومنع الرفد والاستعفاف من بيت المال ثم اردف ذلك بذكر
غايتين لحركاتهم الشريرة وبلائهم للناس احديهما انهم لا يتركون من الاذى والقتل الا احد رجلين اما نافع لهم سالك مسلكهم
او من لا يضرهم بانكار منكر عليهم ولا يخافونه على ذلك وهم من ساير العوام المستضعفة الثانية انه لا يكون انتصارهم مثل انتصار العبد من سيده
والصاحب ممن استصحبه اي كما لا يمكن العبد ان ينتصر من سيده والتابع المستضعف الذي من شأنه الضعف وعدم الاستقلال بنفسه
ممن يستصحبه كذلك لا يمكن بقيتكم ولا ان ينتصروا من بني امية اصلا ويحتمل ان يريد هناك ما يشبه الانتصار من الغيبة ونحوها كما قال
عليه السلام في موضع اخر كذلك لا يمكن بقيتكم ولا ان ينتصروا من بني امية اصلا ويحتمل ان يريد هناك ما يشبه الانتصار من الغيبة
ونحوها كما قال عليه السلام في موضع اخر ويكون نصرة احدكم كنصرة العبد من سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه ثم اردف ذلك بذكر
فتنتهم وانها مشتملة على فتن واحدة تأتي نوبتها شوهاء وقطعا كقطع الليل المظلم ومن روى فتنتهم بلفظ الجمع فاراد جزئيات شرورهم في دولتهم
واستعار لفظ الشوهاء لقبحها عقلا وشرعا ووجه المشابهة كونها منفورا عنها كما ان قبيحة المنظر كذلك وكذلك استعار لفظ القطع
لورودها عليهم دفعات كقطع الخيل المقبلة في الغارة والحرب واشار بكونها جاهلية الى كونها على غير قانون عدلي كما ان حركات اهل
الجاهلية كانت كذلك ولذلك قال ليس فيها منار هدى ولا علم يرى اي ليس فيها امام عدل ولا قانون حق يقتدى به وقوله نحن اهل البيت
منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة اي انا ناجون من آثامها والدخول فيها والدعوة الى مثلها وليس المراد انا سالمون من اذاهم فقد دعي
فيها الى الحق بشهادة دعوة الحسين ع الى نفسه وقتله واولاده وفيه نظر ويحتمل ان يريد انا بمنجاة من آثامها ولسنا فيها بدعاة
معها والحسين ع لم يكن داعيا مبتغيا من نفسه للدعوة وانما كان مدعوا الى القيام من اهل الكوفة ومجيبا لهم وقوله ثم يفرجها الله
كتفريج الاديم الى قوله الا الخوف اشارة الى زوال دولتهم بظهور بني العباس عليهم وقتلهم واستئصالهم وتتبعهم لآثارهم وحصول الفرج منهم
لبقية الابرار من عباد الله المقصودين باذاهم كما يفرج الجلد اي يشق عما فيه ولقد اولاهم بنو العباس من الذل والهوان واذاقوهم كأس
العذاب مطعوما مخلطا مرا وهم عبا الموت لوان شئتم كما هو مذكور في كتب التواريخ ولفظ الكأس والصبر والعلقم مستعار وكذلك
لفظ التحليس ووجه المشابهة جعلهم الخوف شعارا لهم كما ان حلس البعير كذلك وقوله حتى تود قريش الى اخره اشارة الى غاية هذه الفرقة
المتغلبة من قريش على هذا الامر ان حالهم في التراذل والضعف عن محاربتهم ينتهي الى ان يحبوا رؤيته مقاما واحدا مع انه ابغض الخلق
اليهم ليقبل منهم ما يطلب اليوم بعضه من نصرتهم له واتباعهم لامره وانقيادهم لهداه ويمنعونه اياه وكنى عن قصر ذلك المقام المتمنى
له بمقدار زمان جزر الجزور وصدق قوله في هذا الخبر ظاهر فان ارباب السير نقلوا ان مروان بن محمد اخر ملوك بني امية قال يوم الزاب وهو شاهر
عنه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس مالكا في صنف خراسان لوددت ان علي بن ابي طالب تحت هذه الرايات بدلا من هذا الفتى والقصة
مشهورة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن الاول الذي لا غاية
له فينتهي ولا آخر له فينقضي **اقول** تبارك فعل مشتق من البروك المستلزم للمقام في موضع واحد والثبات فيه وقيل البركة هو
الزيادة وبالاعتبار الاول يكون اشارة الى عظمته باعتبار دوام بقائه واستحقاقه قدم الوجود لذاته وبقاء وجوده لا عن استفتاح ولا انقطاع وبالاعتبار
الثاني اشارة الى فضله واحسانه ولطفه وهدايته ونحوها الثناء عليه قوله الذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن كقوله في صدر
الخطبة الاولى الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الا انه ابدل الغوص هنا بالحدس والحدس في اللغة الظن والتخمين وفي اصطلاح العلماء
لما كان الفكر عبارة عن حركة الذهن متنقلا من المطالب الى المبادي ثم منها الى المطالب كان الحدس عبارة
عن جودة هذه الحركة الى اقتناص الحد الاوسط من غير طلب وتجشم كلفة وهو مقول بحسب التشكيك وهو بجميع اعتباراته وباعلى درجاته
قاصر عن نيل ذات الحق تعالى كما سبق وقوله الاول الى اخره قد مر تفسير اوليته وآخريته غير مرة وبالله التوفيق **منها** قوله فاستودعهم
في أفضل مستودع وأقرهم في خير مستقر تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام كلما مضى سلف قام منهم بدين الله
خلف حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد صلى الله عليه وآله فأخرجه من أفضل المعادن منبتا وأعز الأرومات مغرسا
من الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتجب منها أمناءه عترته خير العتر وأسرته خير الأسر وشجرته خير الشجر نبتت في حرم
وبسقت في كرم لها فروع طوال وثمرة لا تنال فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى سراج لمع ضوؤه وشهاب سطع نوره وزند برق
لمعه سيرته القصد وسنته الرشد وكلامه الفصل وحكمه العدل أرسله على حين فترة من الرسل وهفوة عن العمل وغباوة
من الأمم اعملوا رحمكم الله على أعلام بينة فالطريق نهج يدعو إلى دار السلام وأنتم في دار مستعتب على مهل وفراغ والصحف منشورة

في ان من معنى منهم فاخراف

والاعلام جارية والابدان صحيحة والالسن مطلقة والتوبة مسموعة والاعمال مقبولة **أقول** النجم النفل واقضت انتهت والنوم الاصل والتصدع الشق وعترة الرجل نسله ورهطه الادنون واسرته قومه وبنيت طالت والزند العود الاعلى يقدح به والاخر وقوله واستودعهم الى قوله خلفا اشارة الى الانبياء عليهم السلم الغائبين بين الله واعلم ان الله واحد بعثت جميع الانبياء لتكميل الخلق اياه وله اصل وفروع فاضله الطريق الى معرفته والاستكمال بها وجماع مكارم الاخلاق في معاشهم ومعادهم وهذه الامور هي المراد من الشرع وهو اصل لا يخالف فيه نبي نبيا فاما الاختلافات الواقعة في الشرائع فهي امور جزئية بحسب مصالح جزئية يتعلق بوقت الرسول المعين وحال الخلق المرسل اليهم يوقع عليها ذلك الاصل وتكون كالمشخصات له والعوارض التي يختلف بها الطبيعة الواحدة النوعية وافضل مستودع استودعهم خطائر قدسه ومنازل ملائكته وخير مستقر اقرهم فيه ومحل كرامته في مقعد صدق عند مليك مقتدر وتناسخ الاصلاب لهم الى مطهرات الارحام نقلهم اليها نطفا وكرائم الاصلاب ما كرم منها ونحو الاصلاب يصح تمثيلهم ان توصف بالكرم ومطهرات الارحام ما طهر منها وحق لما استعد منها لانتاج مثل هذه الامور خيرة وصفوتها ان تكون طاهرة من كدر الفساد والشبهة وطهروت اصول الانبياء من طرف الاباء والامهات عن الشرك ونحوه قول الرسول صلى الله عليه واله نقلنا من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الزكية ويحتمل ان يريد بالمستودع وخير مستقر مبدأ نسبهم اصلاب الاباء وارحام الامهات ويكون قوله تناسختهم تفسيرا له وبيانا وقوله كلما مضى منهم سلف قام بدين الله منهم خلف اشارة الى صورة وجود الانبياء وعند الحاجة اليهم على التعاقب وقد سبقت الاشارة اليه وقوله حتى افضت كرامة الله الى محمد صلى الله عليه واله الى قوله امناءه اشارة الى غاية سلسلة الانبياء عليهم السلم وكنى بكرامة الله عن النبوة واستعار لفظ المعادن والمنابت والمغارس لطينة النبوة وهو مادة الشجرة التي استعدت لقبول مثله ووجه الاستعارة ان تلك المادة منشأ لمثله كما ان الارض معادن الجواهر ومغارس الشجر الطيب وكان اصلا سيما بذلك افضل المعادن واعز الاصول وقيل اراد بذلك مكة شرفها الله تعالى وقيل بيته وقبيلته ثم منه بما هو اخص واشرف فقال من الشجرة التي صدع منها انبياءه فاستعار لفظ الشجرة لصنف الانبياء وكما ان الشجرة اشرف من طينتها اكل صنف الانبياء اشرف من قوابل صورهم ووجه الاستعارة هو ما كنى بالانصداع عنه من تفرع اشخاص الانبياء عن صنفهم كما يتفرع اغصان الشجر منها وامناءه اي على رسالته وقوله عترته خير العتر واسرته خير الاسر بيانا بالعترة لما عرفت انها اخص واقرب من الاسرة ومصداق افضلية عترته قوله صلى الله عليه واله نحن سادة اهل المحشر سادة اهل الدنيا انا وعلي وحسن وحسين وحمزة وجعفر ووجه افضلية اسرته قوله ان الله اصطفى من العرب واصطفى من معد بني النضر كنانة واصطفى هاشما من بني النضر واصطفاني من بني هاشم وقوله صلى الله عليه واله قال لي جبرئيل يا محمد قد طفت الارض شرقا وغربا فلم اجد فيها اكرم منك ولا اكرم نبيا اكرم من بني هاشم وقوله صلى الله عليه واله انا نبي القرشي برئهم لبرهم وفاجرهم وقوله وشجرته خير الشجر قيل اراد بالشجرة في الموضعين ابرهيم وقيل اراد هاشما وعلاه بفرهيثه وقوله نبتت في حرم واراد مكة ورشح تلك الاستعارة بوصف الانبات والبسوق وكنى بالكرم الذي فيه عن زكاء اصله وما استلزم من الفضل وكنى بالفروع عن انساله صلى الله عليه واله وذريته وساير النجباء من بني هاشم وبوصفهم بالطول عن بلوغهم في الشرف والفضل الغاية البعيدة وهو ترشيح للاستعارة وكذلك الثمر وكنى به عن العلوم والاخلاق المنتفع بها عنه وعن الائمة من عترته وبكونها لا تنال عن شرفها وعلوها وعن فضل سرايرها اي انها لشرفها وعلوها لا يمكن ان يتناول فيها ولعموض سرايرها الافضل للاذهان لها وقوله فهو امام من اتقى الى قوله لمعه استعار لفظ البصيرة والسراج والشهاب والزند له صلى الله عليه واله ووجه الاستعارة كونه سببا لابصار الخلق كما ان هذه الامور لتلك كذلك ورشح استعارة السراج بلمعان الضوء والشهاب بسطوع النور والزند ببرقه اللمع ويحتمل ان يكون وجه استعارة الزند هو كونه منيرا لانوار العلم والهداية وقوله سيرته القصد اي طريقته العدل والاستواء على الصراط المستقيم وعدم الانحراف الى احد طرفي الافراط والتفريط وسنته الرشد اي سلوك طريق الله عن هداية وكلامه الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل كقوله تعالى انه لقول فصل وحكمه العدل الواسط بين رذيلتي الظلم والانظلام وقوله ارسله على حين فترة من الرسل وهفوة من العمل اي زلة وعثرة وغباوة من الامم اي جهل منهم وعدم فطنة لما ينبغي وقد سبق بيان الفترة وقوله اعملوا رحمكم الله على اعلام بينة استعار لفظ الاعلام لائمة الدين وما بايديهم من مصابيح الهدى وكنى بكونها بينة عن وجودها وظهورها بين الخلق وقوله والطريق نهج يدعوا الى دار السلام فالطريق الشريعة ونهجه وضوحها في زمانه وقرب العهد بالرسول صلى الله عليه واله وكون الشريعة داعية الى الجنة واسناد الدعوة الى الطريق مجاز اذ الداعي فيهم الطريق وواضحها وقوله وانتم في دار مستعتب اي دار الدنيا التي يمكن ان يستعتبوا فيعتبوا اي يطلبوا رضا الله بطاعته فيرضى عنكم وعلى مهل اي امهال وانظار وفراغ من عوائق الموت وما بعده وقوله والصحف منشورة الى اخره الواو للحال والمراد صحائف الاعمال واقلام الحفظة على الخلق اعمالهم وفائدة التذكير بهذه الامور التنبيه على وجوب العمل معها وتذكر اضدادها مما لا يمكن معه العمل ولا ينفع الندم من الموت وطي الصحف وجفاف الاقلام وفساد الابدان وخرس الالسنة وعدم سماع التوبة كما قال تعالى يومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم بعثه** والناس ضلال في حيرة وخابطون في فتنة قد استهوتهم الاهواء واستزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء حيارى

عالم الخلق

معدام

لفاجرهم

ج

في معنى الظاهر والباطن

في زلزال من الأمر وبلاء من الجهل فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة ومضى على الطريقة ودعا إلى الحكمة والموعظة. **أقول:** الفصل لتقرير فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله والواو في وللناس للحال أي في حال ما هم ضالون عن سبيل الله حيارى من أمرهم تائهون وحاطبون في فتنة أي كانت حركاتهم على غير نظام في ضلال البدع ومن ركب حاطبون فهو استعارة ووجهها كونهم يجمعون في ضلالهم وفتنتهم ما اتفق من أقوال وأفعال كما يجمع الحاطب وهو حاطب ليل من جمع الغث والسمين والحق والباطل في أقواله وقوله قد استهوتهم الأهواء أي جذبتهم الآراء الباطلة إلى مهاوي الهلاك وإلى خفضها واستزلتهم الكبرياء أي قادتهم إلى الزلل والخطل عن طريق العدل واقتفاء آثار الأنبياء في التواضع ونحوه واستخفتهم الجاهلية الجهلاء فطارت بهم إلى ما لا ينبغي من العادات والفساد في الأرض فكانوا ذوي خفة وطيش ولفظ الجهلاء تأكيد للأول كما يقال ليل أليل ووتد واتد وقوله حيارى في زلزال من الأمر وبلاء من الجهل أي لا يهتدون لجهلهم إلى مصالحهم فهو منشأ اضطراب أمورهم وبلائهم بالغارات وسبي بعضهم بعضا وقتلهم وقوله فبالغ إلى آخره مضيه على الطريقة سلوكه لسبيل الله من غير انحراف ودعوته إلى الحكمة والموعظة هي دعوته إلى سبيل الله بهما امتثالا لقوله تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فالدعوة بالحكمة الدعوة بالبرهان وبالموعظة الدعوة بالخطابة وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في المقدمة والله ولي التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الأول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده والظاهر فلا شيء فوقه والباطن فلا شيء دونه

أقول: أثنى على الله سبحانه باعتبارات أربعة الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية وأكد كل واحد منها بما له فكمال الأولية بسلب قبلية شيء عنه وكمال الآخرية بسلب بعدية كل شيء له والظاهرية بسلب فوقية شيء له والباطنية بسلب شيء دونه والمراد بالظاهر هنا العالي إذ لذلك حسن تأكيده بسلب فوقية الغير له وبالباطن الذي بطن خفيات الأمور علما وهو من الاعتبارات أقرب الأشياء إليها فلذلك حسن تأكيده بسلب ما هو دونه أي ما هو أقرب إليها منه وحصلت المقابلة بين الداني والعالي ويحتمل أن يريد بالظاهر البين ويكون معنى قوله فلا شيء فوقه أي لا شيء يواري وجوده ويحجبه عن معرفة خلقه وبالباطن الخفي ومعنى فلا شيء دونه أي في الخفاء وقد سبق بيان هذه الاعتبارات الأربعة غير مرة وبالله التوفيق

منها في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله مستقره خير مستقر ومنبته أشرف منبت في معادن الكرامة ومماهد السلامة قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار وثنيت إليه أزمة الأبصار دفن به الضغائن وأطفأ به الثوائر ألف به إخوانا وفرق به أقرانا أعز به الذلة وأذل به العزة كلامه بيان وصمته لسان

أقول: المماهد جمع ممهد والميم زائدة وثنيت إليه صرفت والضغائن الأحقاد والثوائر جمع ثائرة وهي العداوة والمخاصمة والأقران الأخوان المتفرقون وأشار بمستقره إلى مكة وكونها خير مستقر لكونها أم القرى ومقصد خلق الله ومحل كعبته ويحتمل أن يريد محله من جود الله وهنا شرفه وظاهر كونه خير مستقر واستعار لفظ المنبت له عليه السلام وقد مر بيان وجه استعارتها ومعادن الكرامة ومماهد السلامة محال التوطن لها وهي كناية عن مكة والمدينة وما حولها فإنها محل عبادة الله والخلوة به التي هي مهاد السلامة من عذابه وإنما كانت كذلك لكونها دار الهجرة عن الشبهات والقبائح الدنيوية ويحتمل أن يريد بمماهد السلامة ما تغلب فيه ونشأ عليه من مكارم الأخلاق الممهدة للسلامة من سخط الله وفي قوله وقد صرفت نحوه أفئدة الأبرار تنبيه على أن الصارف هو لطف الله وعنايته بهم بالتفات قلوبهم إلى محبته والاستضاءة بأنوار هداه ولما استعار لفظ الأزمة للأبصار ملاحظة لشبهها بها والإبل رشح تلك الاستعارة بذكر الثني وكنى بذلك عن التفات الخلق إليه بأبصار بصائرهم وتلقي الرحمة الإلهية منه ثم استعار لفظ الدفن لإخفاء الأحقاد وبعدها أن كانت ظاهرة بجامع بينهما ولفظ الإطفاء لإزالة العداوة بين العرب والتأليف بين قلوبهم كما قال تعالى في إظهار المنة على عباده واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا والأقران المتفرقون هم المتألفون على الشرك وقوله أعز به الذلة أي ذلة الإسلام وأهله وأذل به العزة أي عزة الشرك وأهله وبين كل قرينتين من هذه الست مقابلة ومطابقة فقابل التفريق بالتأليف والذلة بالإعزاز والعزة بالإذلال وقوله وكلامه بيان أي لما اشتمل من أحكام كتاب الله كقوله تعالى لتبين للناس ما نزل إليهم وقوله وصمته لسان استعار لفظ اللسان لسكوته ووجه المشابهة أن سكوته صلى الله عليه وآله مستلزم للبيان من وجهين أحدهما أنه كان يسكت عما لا ينبغي من القول فيعلم الناس السكوت عن الخوض فيما لا يعنيهم الثاني أن الصحابة كانوا إذا فعلوا فعلا على سابق عادتهم فسكت عنهم ولم ينكره عليهم علموا بذلك أنه على حكم الإباحة فكان سكوته عنهم في ذلك بيانا له وأشبه سكوته عند ذلك اللسان المعرب عن الأحكام وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام ولئن أمهل الله الظالم فلن يفوت أخذه وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه وبموضع الشجا من مساغ ريقه أما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ليس لأنهم أولى بالحق منكم ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم وإبطائكم عن حقي ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها وأصبحت أخاف ظلم رعيتي استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا وأسمعتكم فلم تسمعوا ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا ونصحت لكم فلم تقبلوا أشهود كغياب وعبيد كأرباب أتلو عليكم الحكم فتنفرون منها وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها وأحثكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سبا ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم أقومكم غدوة وترجعون إلي عشية كظهر الحنية

في ذم أهل الكوفة

المقوّم وأعضل المقوّم أيها الشاهدة أبدانهم الغائبة عنهم عقولهم المختلفة أهواؤهم المبتلى بهم أمراؤهم صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه
وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني
رجلاً منهم يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث واثنتين صمّ ذوو أسماع وبكم ذوو كلام وعمي ذوو أبصار لا أحرار صدق عند اللقاء ولا
إخوان ثقة عند البلاء تربت أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر والله لكأني بكم فيما
إخال لو حمس الوغى وحمي الضراب قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها إني لعلى بيّنة من ربي ومنهاج من نبيي وإني
لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطاً انظروا إلى أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم
في ردى فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا ولقد رأيت أصحاب
محمد صلى الله عليه وآله فما أرى أحداً يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً قد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم
وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى
تبل جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء للثواب **أقول** المرصاد الطريق يرصد بها
والرصد الراقب والشجا الغصص بالهمّ وغيرها والحث السوق الشديد وأعضل أشكل والحنية القوس ومنيت ابتليت وتربت أصابت
التراب دون الخير وإخال أحسب والوغى الحرب وأصله من الأصوات وحمس اشتد والسمت الطريقة ولبد الطائر لصق بالأرض فقوله ولئن
أمهل الله الظالم إلى قوله ريقه في معرض التهديد لأهل الشام بأخذ الله لهم وعدم فوتهم له وإنذارهم بالرصد على جميع حركاتهم وعلى مجاز طرقهم
التي هم سالكوها منه إلا وعلى موضع الشجى من مساغ ريقهم وهو الحلق وفي ذكر الشجى وكون الله بالرصد تنبيه على أن الله تعالى في مظنة أن يجب
الظالم بعقوبة بأنه عند اطلاعه على ظلمه كما قال تعالى أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف ثم أردف ذلك بالقسم البار ليظهرن
أصحاب معاوية عليهم تنبيهاً لهم إلى مقاومتهم ثم نفى ما عساه يتوهمه أنه علة ظهورهم عليهم كيلا يتخاذلون بسبب ذلك وهو قوله ليس لأنهم أولى
بالحق منكم وأردفه بتعيين السبب الحق في ذلك وهو قوله لكن لإسراعهم إلى الباطل صاحبهم أي أمره الباطل وإبطائكم عن حقي إذ كانت النصرة
باجتماع الكلمة وطاعة الإمام لا باعتقاد حقية أمر مع التخاذل عنه ثم أردف ذلك بتوبيخهم وتنفيرهم عما هم عليه من مخالفة أمره بقوله
ولقد أصبحت الأمم إلى قوله رعيتي لأن شأن الرعية الخوف من سلطانها فإذا كان حاله مع رعيته بالعكس كانت اللائمة عليهم بعصيانه
دون تجنّيهم عليه وإنما الشفقة منه كراهتهم في محل ظلم نفسه ولقد أشفق عليه السلام منهم في مواطن كثيرة كيوم التحكيم إذ قالوا له إن لم ترض فعلنا

بيان

وفعلنا بك كما فعلنا بعثمان ونحو ذلك ثم أردف وجوه تقصيرهم ببيان ما فعله في حقهم من الأيادي الجميلة والهداية إلى وجوه المصالح من
استنفارهم لجهاد عدوهم وحفظ بلادهم وإسماعهم لدعوته إلى مصالحهم سراً وجهراً ونصيحته لهم بالوجوه الشافية من أنواع وهو كقوله تعالى حكاية
عن نوح قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلا فراراً وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا إلى قوله إسراراً ثم شبههم
بالغياب مع شهادتهم وبالأرباب مع كونهم عبيداً ووجه الشبه الغائبة في مشاهد الموعظة دون الغائب عنها وهو سماعها والانتفاع
بها فإذا لم يسمعوا كانوا فهم كالغياب عنها في عدم الانتفاع بها وأما المشابهة فلأنهم عبيد من شأنهم التعبد لأمرائهم ثم إنهم لتعززهم و
شموخهم كبراً وعدم طاعتهم كالأرباب الذين من شأنهم أن يأمروا ولا يأتمروا ونحو تنفرهم عما يتلوا عليهم من الحكم ونفرتهم عن مواعظه
إلى تفرقهم وأهل الشام البغي إشارة إلى أهل الشام وأيادي سبا مثل يضرب في شدة التفرق وضربه لتفرقهم عن مجالس الذكر وهما
لفظان جعلا اسماً واحداً كمعدي كرب وسبا قبيلة من أولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وأصل المثل أن هذه القبيلة كانت
بمأرب فلما أن وقت انفتاح سد مأرب رأت طريفة الكاهنة ذلك الأمر وعرفته القوم إلى عمرو بن عامر الملقب بمزيقياء فباع أمواله
بمأرب وارتحل إلى مكة فأصابت هؤلاء الحمى وكانوا لا يعرفونها ففزعوا إلى الكاهنة فأخبرتهم بما سيقع وقالت لهم مفترق بيننا فا
ستشاروها في أمرهم فقالت من كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد فكانت أزد عمان
ثم قالت ومن كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على أزمات الدهر فعليه بالأراك من بطن مر فكانت خزاعة ثم قالت ومن كان منكم يريد
الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الأوس والخزرج ثم قالت ومن كان منكم يريد الخمر والخمير و
الملك والتأمير ويلبس الديباج والحرير فليلحق ببصرى وعوير وهما من أرض الشام فكان الذين يسكنونها آل جفنة من غسان
ثم قالت ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الأرزاق والدم المهراق فليلحق بأرض العراق فكانت آل جذيمة
الأبرش ومن كان بالحيرة وآل محرق فضربت العرب بتفرقهم في البلاد هذا المثل وسار فيمن يتفرق بعد الاجتماع ثم لما كانت المخادعة
هي الاشتغال عن المصلحة قال يتخادعون أي رجعوا من مجلس وعظه أخذ كل منهم يشغل صاحبه عن تذكر الموعظة ويشغله بغير
ذلك من الأحاديث وإن لم يكن عن قصد خداع بل يقع منهم صورة المخادعة وتقويمه لهم بالغدوة إصلاح أخلاقهم بالحكم والمواعظ و
رجوعهم إليه عشية كظهر الحنية أي معوجين كظهر القوس وهو تشبيه للمعقول من اعوجاجهم وانحرافهم عن جميل الأخلاق بالمحسوس

وقوله عم

في احوال اهل الكوفة

وقوله عجز المقوم اشارة الى نفسه واعتراف بالعجز عن تقويمهم واعضل المقوم اى اشكل امرهم واعيته ادواؤهم علاجا ثم عاد الى ذمهم وتنبيههم
بذكر معايبهم ليقرع قلوبهم عنها فوصفهم بتشتت الابدان مع غيبة العقول ثم باختلاف الاهواء ثم بكونهم ممن ابتلى بهم امراؤهم ثم نبه على
رذيلتهم من مخالفة امره مع كونه مطيعا لله وما عليه خصومهم من فضيلة طاعة امامهم مع كونه عاصيا لله وجعل ذلك مقايسة بينهم وبين اهل
الشام فى جند ركهم الغيرة ثم اردفه بتحقيرهم وتفضيل عدوهم عليهم فى الباس والنجدة واستقامة الحال فاقسم انه ليود ان يصارفه معوية
بهم صرف الدينار بالدرهم وذلك قوله ليتها القوم الى قوله رجلا منهم ثم اردف ذلك ببيان ما ابتلى به منهم واشار الى خمس خصال و
انما قال بثلث واثنتين لتناسب الثلث وكون الثنتين من نوع اخر فالثلث الصم مع كونهم ذوى اسماع والبكم مع كونهم ذوى كلام
والعمى مع كونهم ذوى ابصار وجمعه لهذه الثلث مع اضدادها هو سبب التعجب منهم والتوبيخ لهم واراد بها عدم انتفاعهم فى مصالحهم
الدينية ونظام امور دولتهم بالة السمع واللسان والعين فان من لم ينفذ سمعه وبصره عبرة ومن لم ينطق كلامه فيما لا يعنيه كان كفاقد
هذه الالات فى عدم الانتفاع بها بل كان فاقدها احسن حالا منه لان وجودها اذا لم يفد منفعة اكسب مضرة فقد امنها عادمها
واما الثنتان فكونهم لا احرار صدق عند اللقاء اى انهم عند اللقاء لا تصدق حريتهم ولا تنفى نجدتهم من مخالطة الجبن والتخاذل
والفرار الحر الخالص من شوب الرذائل والطاعن ثم كونهم غير اخوان ثقة عند البلاء اى ليسوا ممن يوثق باخوتهم فى الابتلاء بالنوازل
ثم عاد الى الدعاء عليهم على وجه التضجر منهم وتشبيههم بالنعم فقوله تربت ايديكم دعاء بعدم اصابة الخير وقوله يا اشباه الابل غاب
عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب اخر فالتشبيه والمشبه به وجه التشبيه ما ذكره وذكر بطلها منهم باما انها وهى
تفرقهم عنه على تقليبه اشباه الحرب شبه انفراجهم عنه بانفراج المرأة عن قبلها وجه الرجوع الى الاستعارة ولتسليم المرأة قبلها وانفراجها عنه اما وقت الولادة
او وقت الطعان ثم عاد الى ذكر فضيلته ليستثبت قلوبهم عينا لقبها والبينة التى هو عليها من ربه ايات الله وبراهينه الواضحة على وجوده
والتقدير بما هو عليه من سلوك سبيله وهو كقوله تعالى قل انى على بينة من ربى والمنهاج من نبيه طريقه وسنته والطريق الواضح الذى
هو سبيل الله وشريعة دينه والتقاطه له لفظا تبعه وتمييزه على طريق الضلال بالسلوك له ثم اردف فضيلته بالامر باتباعنا اهل
البيت ولزوم سمتهم واقتفاء اثرهم واشار الى جهة وجوب اتباعهم بكونهم يسلكون بهم سبيل الهدى لا يخرجون عنه ولا يردونهم الى
ردى الجاهلية والضلال القديم وقد نبههم الى اتباع غيرهم يرد الى ذلك وقوله فان لبدوا اى ان سكنوا وامسكوا لزوم البيوت على طلب
امر الخلافة والقيام فيه فتابعوهم فى ذلك فان سكونهم قد يكون لمصلحة يغيب علمها عن غيرهم وان نهضوا فى ذلك فانهضوا معهم ثم
نهاهم عن ان يسبقوهم فيضلوا اى يتحاملوا بتقدمهم فيه فان متقدم الدليل شأنه الضلال عن القصد وان لا يتأخروا عنهم فيهلكوا
اى لا يتأخروا عن متابعتهم فى اوامرهم وافعالهم بالمخالفة لهم فيكونوا من الهالكين فى تيه الجهل وعذاب الاخرة والامام مختص ذلك
بالاثنى عشر من اهل البيت عليهم السلم وقوله ولقد رايت اصحاب رسول الله صلى الله الى اخره مدح لخواص الصحابة وذكر مكانهم من خشية الله
وعبادته ترغيبا فى مثل تلك الفضائل وحرك بقوله فما ارى احدا يشبههم ما عساه يدل لسامعين من الغيرة على تلك الفضائل على
ان يختصوا بها دونهم وذكر من عاداتهم اوصافا فاحدها الشعث والاغبرار وهو اشارة الى تقشفهم وتركهم زينة الدنيا ولذاتها الثانى
بياتهم سجدا وقياما واشار به الى احيائهم الليل بالصلوة وهو كقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما الثالث مراوحتهم بين
جباههم وخدودهم وقد كان احدهم اذا تعبت جبهته من طول السجود راوح بينها وبين خده الرابع وقوفهم على مثل الجمر من ذكر معادهم
واشار به قلقهم ووجدهم من ذكر المعاد واهوال يوم القيمة كما يقلق الواقف على الجمر لما يجده من حرارته الخامس كان بين اعينهم
ركب المعزى من طول سجودهم ووجه المشابهة ان محال سجودهم من جباههم كانت قد اسودت وماتت جلودها وخشنت كما ان ركب
المعزى كذلك السادس انهم كانوا اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم وهى رواية جباههم فذلك فى حال سجودهم ممكن وما دوا
مميد الشجر بالريح العاصف خوفا من عقابه ورجاء لثوابه فتارة يكون مبدأ بهم وقلقهم عن خوف الله وتارة يكون عن ارتياح و
اشتياقا الى ما عنده من عظيم ثوابه وهو كقوله تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم**
والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرما الا استحلوه ولا عقدا الا حلوه وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا دخله
ظلمهم ونبا به سوء رعيهم وحتى يقوم الباكيان يبكيان باك يبكى لدينه وباك يبكى لدنياه وحتى تكون نصرة احدكم من احدهم
كنصرة العبد من سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه وحتى يكون اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا فان اتاكم
الله بعافية فاقبلوا وان ابتليتم فاصبروا فان العاقبة للمتقين **اقول** نبا به المنزل اذا لم يوافقه والعناء التعب ولا شك
فى هذا الفصل الى بنى امية فاقسم انهم لا يزالون ظالمين لخلق والقهر بالظلم بر دوام ظلمهم فاما **احدها** انهم لا يدعون محرما الا
استحلوه واعظم كبائر المحرمات الظلم وقتل النفس وما لهم فيهما مشهور فما ظنك بغيرهما ومعنى قوله استحلوه استعملوه كاستعمال
الحلال فى عدم التحرج والتاثم به **الثانية** ان لا يدعوا عقدا الا حلوه اى من عقود الاسلام التى نظم بها امر العالم من قوانين الشرع

دعوا بطه وحمله كناية عن حزمه لتلك القواعد مما لفهما **الثالث** انه لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا ادخله ظلمهم وهو كناية عن عموم عدوانهم
وبغيهم على جميع الخلق من اهل البدو والحضر وقوله ونبا به سوء رعيهم اي دعت سوء رعيهم لاهله نبوهم عنه **الرابع** ان يقوم الباكيان باكي
يبكي لدينه وباكي يبكي لدنياه **الخامس** وحتى يكون نصرة احدكم من احدهم كنصرة العبد من سيده ذكر المشبه والمشبه به ثم اشار الى
وجه الشبه بقوله اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه **العاشر** وحتى يكون اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا وانما كان كذلك
لان حسن الظن بالله اشد الناس تعبدا منهم وتوكلا عليه فيكونون عليه اشد كلبا وله اقوى
طلبا فكان منهم اكثر تعبا ثم اردف ذلك بالامر بتسليط العافية ان يقبلها ويشكر الله
عليها ثم ومرادا العافية من الابتلاء بشرورهم لبعض الناس
او بقائهم فعدل مخلص من بلائهم وبالامر من ابتلى
بهم بالصبر على ما ابتلى به ووعده
على ذلك بحسن العاقبة
لان زمان التقوى
والصبر كما قال تعالى واصبر ان العاقبة للمتقين هذا آخر المجلد الثاني من كتاب ابن ميثم في سنة ١٢٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ومن خطبة له عليه السلام نحمده على ما كان ونستعينه من امرنا على ما يكون ونسأله المعافاة في الاديان كما نسأله
المعافاة في الابدان اوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وان لم تحبوا تركها والمبلية لاجسامكم وان كنتم تحبون تجديدها
فانما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلا فكانهم قد قطعوه وامّوا علما فكانهم قد بلغوه وكم عسى المجري الى الغاية ان
يجري اليها حتى يبلغها وما عسى ان يكون بقاء من له يوم لا يعدوه وطالب حثيث يحدوه في الدنيا حتى يفارقها فلا
تنافسوا في عز الدنيا وفخرها ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها فان عزها وفخرها الى انقطاع وان زينتها
ونعيمها الى زوال وضراءها وبؤسها الى نفاد وكل مدة فيها الى انتهاء وكل حي فيها الى فناء او ليس لكم في آثار الاولين وفي آبائكم
الماضين تبصرة ومعتبر ان كنتم تعقلون او لم تروا الى الماضين منكم لا يرجعون والى الخلف الباقين لا يبقون او لستم ترون اهل الدنيا
يمسون ويصبحون على احوال شتى فميت يبكى وآخر يعزى وصريع مبتلى وعائد يعود وآخر بنفسه يجود وطالب للدنيا والموت
يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وعلى اثر الماضي ما يمضي الباقي الا فاذكروا هاذم اللذات ومنغص الشهوات وقاطع الامنيات
عند المساورة للاعمال القبيحة واستعينوا الله على اداء واجب حقه وما لا يحصى من اعداد نعمه واحسانه **اقول** الرفض
الترك والسفر المسافرون واموا قصدوا ويعدوه يتجاوزه ويحدوه يسوقه والمساورة المواثبة فقوله نحمده الى قوله في الابدان
خصص الحمد بما كان لان الشكر على النعمة مترتب على وقوعها والاستعانة على ما يكون لان طلب العون على امر هو بصدد ان يفعل ثم سأل
المعافاة في الاديان كما سألها في الابدان لان لها سقما هو في الحقيقة اشد وقيل لاعرابي ما تشتكي قال ذنوبي فقيل ما تشتهي
قال الجنة فقيل افلا ندعو لك طبيبا فقال الطبيب امرضني وسمعت عصمة العابدة البصرية رجلا يقول ما اشد العمى على من كان
بصيرا فقالت يا عبد الله غفلت عن مرض الذنوب واهتممت بمرض الاجساد وعمى القلب عن الله اشد والمعافاة فيها امداد العناية

عباد الله

ان م مزدجر

عشرة

الالهية

في الحمد لله والثناء عليه

۱۶
ج

الالهية ببقائها سليمة وبتداركها المذنبين بجذبهم الى التوبة ثم اردف ذلك بالرأي الصالح والوصية الناصحة برفض الدنيا ونفي
عنها بذكر معايبه احدها تركها لهم ومن اكبر الصالح ترك محبوب لابد من مفارقته وكما باستدراج النفس واستعطافها الى ما لا بقاء لهما
مفارقته بفقده مع تمكن محبته من جوهرها فيبقى كمن نقل من معشوقه الى موضع ظلماني شديد الظلمة الثاني كونها مبلية لاجسادهم
وان احبوا تجديدها فانه بلاؤها بالامراض والهرم ومن شان المؤذي ان يجتنب لا ان يحب اصلا ثم اردف ذلك بتمثيلهم في الكون
بها فتمثيلهم في الكون بالسفر وشبهها بسبيل هم سالكوه ومن سلك سبيلا فكانهم قطعوه فالمشبه بها سرعة سيرهم وقرب الاخرة منهم
وقطع منازل الاعمار والمشبه به قاطع ذلك السبيل اي من سلك سبيلا اشبه في سرعة سيره من قطعه ثم لما كان لابد لكل طريق سالك
من غاية يقصد فمن سلك سبيلا فكانهم بلغوا الملك لغاية اي اشبه واقرب وصولهما من بلغها وهو تخويف بالموت وما بعده وتحقير
لمدة البقاء في الدنيا والمقام فيها واكد ذلك بقوله وما عسى المجري الى الغاية ان يجري اليها حتى يبلغها اي اجراؤه اليها اشبه سريع وفي
بعض النسخ وكم عسى المجري وكم يرجو الذي يجري الى غاية من لوازم اليها حتى يبلغها وهو استفهام في معنى التحقير لما يرجوه من مدة
المجرى وهي مدة الحيوة الدنيا ومفعول المجري محذوف والتقدير المجري مركوبه لما لم يكن الغرض الا ذكر الاجراء لا جرم حذف المفعول له
يجيء لانما وكذلك قوله وما عسى ان يكون مقام من له يوم لا يعدوه الى قوله يفارقها اي ما يرجى ويؤمل ان يكون من ذلك البقاء
وكان هنا تامة وهو في الموضعين استفهام على سبيل التحقير لما يرجى من البقاء في الدنيا والانكار على الامل الراجي له وعنى بالطالب
الحثيث الموت واسند اليه الطلب مجازا واستعار له لفظ الحادي وقد علمت وجه هذه الاستعارة وكنى بذلك الحدو عما يتوهم من سوق اسباب
الموت للبدن اليه وقوله فلا تنافسوا الى قوله الى فناء نهي عن اعتبار شيء من احوالها خيرها وشرها فمن خيرها عزها وفخرها وزينتها و
نعيمها ونهى عن المنافسة فيه والاعجاب به ومما شرها فضراؤها وشدائدها نهى عن الجزع منها وعلل وجوب الانتهاء عما نهى عنه بانقطاع
وزوال لما كان من شانه الزوال والانقطاع فمن الواجب الا ينافس فيه ولا يعجب به وان عد نافعا وان لا يجزع من وجوده وان عد ضارا
وقوله اوليس لكم في آثار الماضين الى قوله لا يبقون تذكرة لهم باثار السابقين لهم والماضين من آبائهم على سبيل استفهامهم عن حصول
العبرة لهم بهم استفهام انكار عليهم ان لا يعتبروا من ذلك عبرة على تقدير انهم عقلاء كما يزعمون ذلك ثم تنبيه لهم على وجه الاعتبار و
الاتعاظ وهو عدم رجوع الماضي منهم وعدم بقاء الباقي فان ذلك محل العبرة ثم تنبيه لهم على ما يرون من احوال اهل الدنيا المختلفة
ليستدلوا على عدم بقائها باختلاف احوالها وعلى انها لا تصلح قرارا فاهلها ميت يبكى وآخر يعزى وآخر صريع مبتلى بالامراض والاسقام
وآخر يعوده مشغول الخاطر وآخر في النزع وغمرات الاحتضار والتالم من تلك الامور وطالب للدنيا والموت من ورائه طالب له وغافل عما
يراد به وليس الله بغافل عنه ثم لا بد له وان يمضي على اثر من مضى وان طال بقاؤه وما في بعض النسخ مصدرية وانما قدم الميت في اقسام
اهل الدنيا لان ذكره اشد موعظة واستعار لفظ الجود للمحتضر ووجه المشابهة انه يسمح بنفسه ويسلمها كما يسلم الجواد ما يعطيه من ماله ثم
امرهم بذكر الموت ووصفه بلوازمه المنفرة عنه وهي كونه هادما للذات الدنيوية ومنغصا لشهواتها وقاطعا للامنيات فيها وعين لهم
وقت ذكره وهو وقت وثباتهم الى الاعمال القبيحة ليكون ذكره زاجرا لهم عنها ثم ارغبهم الى الله في طلب معونته وجواذب عنايته وجميل لطفه
على اداء واجب حقوقه التي كلفنا القيام بها بالمواظبة عليها واداء ما لا يحصى من نعمه بدوام شكرها والاعتراف بها ملاحظين
لجلال كبريائه باعتبار كل جزئي منها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الناشر في الخلق فضله والباسط
فيهم بالجود يده نحمده في جميع اموره ونستعينه على رعاية حقوقه ونشهد ان لا اله غيره وان محمدا عبده ورسوله ارسله
بامره صادعا وبذكره ناطقا فادى امينا ومضى رشيدا وخلف فينا راية الحق من تقدمها مرق ومن تخلف عنها زهق و
ومن لزمها لحق دليلها مكيث الكلام بطيء القيام سريع اذا قام فاذا انتم النتم له رقابكم واشرتم اليه باصابعكم جاءه الموت فذهب
به فلبثتم بعده ما شاء الله حتى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم نشركم فلا تطمعوا في غير مقبل ولا تياسوا من مدبر فان المدبر
ان تزل به احدى قائمتيه وتثبت الاخرى فترجعا حتى تثبتا جميعا الا ان مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء اذا
خوى نجم فكانكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع واراكم ما كنتم تاملون **اقول** مرق خرج من الدين وزهق هلك والمكيث
البطيء المتاني وخوى النجم سقط للمغيب والصنيعة النعمة وهذا الفصل يشتمل على اعلامهم بما يكون بعده من امر الائمة وتعليمهم ما ينبغي
ان يفعل الناس معهم وتبشيرهم بظهور امام من آل محمد عقيب آخر ووعدهم بتكامل صنائع الله فيهم بما ياملونه من ظهور امام منتظر فقوله
الحمد لله الى قوله حقوقه شكر له تعالى باعتبار امرين احدهما نشره لفضله في خلقه الثاني بسطه فيهم بالجود يده ويده نعمته مجاز لتقدسه
تع عن الجارحة وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب لكون الجود مبدأ للنعمة والنشر والبسط وان كانا حقيقيين في الاجسام الا انهما
من الاستعارات الشائعة التي صارت حقيقة ثم اكد ذلك الحمد بتعميمه باعتبار كل ما صدر عنه من رخاء وشدة اذ الشدائد ابدا لا تخلو
من نعمة فانها اما ثواب جسيم جميل لمستلزميها ثوابا جزيلا كما قال تع وبشر الصابرين الآية وقد تكون اسباب النعم ولما حمده على

من م.

طلع نجم

خطبة مشتملة على ذكر الملاحم

ما لحق من نعمائه طلب منه المعونة على رعاية ولحب حقوقه واستعار لفظ الصادع للرسول ووجهها انه شق بامر الله بصيحة الشرك وقلوب المشركين
فاخرج ما كان فيها من الكفر والجهل ونطق بذكره نعم فادعها اياه فادى ما امر به امينا عليه وقبضه الله اليه مرشدا الى حضرته وقد ستر منازل
الابرار من ملائكته وصادعا وناطقا واميناً ورشيدا احوال واشار براية الحق التي خلفها رسول الله صلعم الى كتاب الله وسنته والمتقدم عنها
والمتخلف عنها الى طرفي الافراط والتفريط من فضيلة الاستقامة عليهما اي ان من كان تحتها لاحقا بها فهو على حاق الوسط من الفضائل
ومن تقدمها كان على طرف الافراط وقد تعدى في طلب الدين وغلا فيه على جهل فمرق منه كما فعلت الخوارج ومن تخلف عنها كان على طرف
التفريط والتقصير فهلك في طرق الضلال والحيرة ولفظ الراية مستعار ووجه المشابهة كون الكتاب والسنة مقصدين لنا يهتدى بهما
في سبيل الله كما ان الراية كذلك واشار بدليلها الى نفسه استعارة ووجهها ان الامام مظهر ومبين لاحكام الكتاب والسنة وما خفي
منها للسالكين الى الله كما يرفع الراية حاملها لتابعيه ليقصدوا ثم اشار الى صفات ذلك الدليل وكنى بقوله مكيث الكلام عن ترويه
وتثبته في اقواله وما يشير به ويحكم وبقوله بطيء القيام عن تأنيه في حركته في وجوه المصالح الى حين استثباته الراي الاصلح ووجه
المصلحة وبقوله سريع اذا قام عن مبادرته الى وجوه المصلحة وانتهاز الفرص ثم اخذ يذكرهم بمونته وكنى بقوله النتم له رقابكم عن
خضوعهم لطاعته وانقيادهم لامره وبقوله واشرتم اليه بالاصابع عن اشتهاره فيهم وتعينه وتعظيمهم له واشار الى تمام الاسلام
به وفي قوله فلبثتم بعده ما شاء الله الى انهم يخلون عن امام يجمعهم مدة والاشارة الى مدة بني امية وبقوله حتى يطلع الله لكم الى
قوله نشركم على انه لا بد لهم بعد تلك المدة من شخص يجمعهم وظاهر ظهوره وتعينه للرياسة بعد اختفاء فقيل هو الامام المنتظر وقيل
هو قائم بني العباس بعد انقضاء دولة بني امية وقوله فلا تطمعوا في غير مقبل اي من لم يقبل على طلب هذا الامر ممن هو اهل و
متعين له واثر تركه الى الخلوة بالله فلا تطمعوا فيه فان له بالله شغلا عن كل شيء وقيل المراد بغير المقبل من انحراف عن الدين بارتكاب
منكر فانه لا يجوز الطمع في ان يكون اميرا لكم وروي فلا تطمعوا في غير مقبل اي من اقبل عليكم من اهل البيت طالبا لهذا الامر وهو
اهل له فكونوا معه وكنى بالطعن في عينه عن دفعه عما يريد وقوله ولا تيأسوا من مدبر الى قوله فتثبتا جميعا اراد ان من ادبر عن طلب
الخلافة ممن هو اهل لها فلا ينبغي ان يحصل الياس من عوده واقباله على الطلب فلعله انما ادبر عن ذلك لاختلال بعض الشرائط التي
يتعين عليه معها القيام وكنى عن اختلال بعض احواله من قلة ناصر ونحوه بزوال احدى قائمتيه وبثبات الاخرى عن وجود بعض
الشرائط كثبات اهليته للطلب وبعض انصار معه وبقوله فترجعا حتى تثبتا عن تكامل شرائط قيامه ولا تنافي في النهي عن الياس هنا
النهي عن الطمع في غير المقبل لجواز ان نهى عن الطمع فيه حال اعراضه وادباره عن الطلب لاختلال بعض شرائطه والنهي عن الياس
منه لجواز حصول شرائط القيام فيه وتكاملها وقوله الا ان مثل آل محمد الى قوله طلع نجم فتبيين للائمة من آل محمد قالت الامامية
هم الاثنا عشر من اهل البيت وشبههم بالنجوم ووجه التشبيه امران احدهما انهم يستضاء بانوار هداهم في سبيل الله كما يستضيء السافر
بالنجوم في سفره ويهتدي بها الثاني ما اشار اليه بقوله كلما خوى نجم طلع نجم وهو كناية عن كونهم كلما خلا منهم سيد قام سيد
والامامية يستدلون بهذا الكلام منه عليه السلام على انه لا يخلو زمان من وجود امام من اهل البيت يهدي في سبيل الله وقوله فكانكم
الى اخره اشارة الى منة الله عليهم بظهور الامام المنتظر واصلاح احوالهم بوجوده ووجدت له عليه السلام في اثناء بعض خطبه في اقتصاص ما يكون
بعده فصلا يجري مجرى الشرح لهذا الوعد وهو انه قال يا قوم اعلموا علما يقينا ان الذي يستقبل قائمنا من امر جاهليتكم ليس دون
ما استقبل الرسول من امر جاهليتكم وذلك ان الامة كلها يومئذ جاهلية الا من رحم الله فلا تعجلوا فيعجل الخرق بكم واعلموا ان الرفق
يمن وفي الاناة بقاء وراحة والامام اعلم بما ينكر ولعمري لينزعن عنكم قضاة السوء وليقبضن عنكم المراضين وليعزلن عنكم امراء
الجور وليطهرن الارض من كل غاش وليعملن فيكم بالعدل وليقومن فيكم بالقسطاس المستقيم وليتمنى احياؤكم لامواتكم رجعة الكرة
عما قليل فتعيشوا اذن فان ذلك كائن لله انتم باحلامكم كفوا السنتكم وكونوا من وراء معايشكم فان الحرمان سيصل اليكم وان صبرتم و
احتسبتم واستيقنتم انه طالب وتركم ومدرك ثاركم واخذ بحقكم واقسم بالله قسما حقا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

ومن خطبة له عليه السلام يشتمل على ذكر الملاحم الاول قبل كل اول والآخر بعد كل آخر باوليته وجب ان لا اول له وباخريته
وجب ان لا آخر له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان ايها الناس
لا يجرمنكم شقاقي ولا يستهوينكم عصياني ولا تتراموا بالابصار عند ما تسمعونه مني فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة
ان الذي انبئكم به عن النبي صلى الله عليه وآله ما كذب المبلغ ولا جهل السامع لكأني انظر الى ضليل قد نعق بالشام و
فحص براياته في ضواحي كوفان فاذا فغرت فاغرته واشتدت شكيمته وثقلت في الارض وطأته عضت الفتنة ابناءها
بانيابها وماجت الحرب بامواجها وبدا من الايام كلوحها ومن الليالي كدوحها فاذا اينع زرعه وقام على ينعه وهدرت
شقاشقه وبرقت بوارقه عقدت رايات الفتن المعضلة واقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم هذا وكم يخرق الكوفة

انتهازه

يهتدى به

وبدا

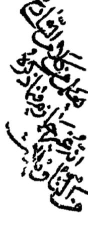
من قاصف

خطبة مشتملة على ذكر الملاحم

١٦
ج

من قاصف ويمر عليها من عاصف وعن قليل تلتف القرون بالقرون ويحصد القائم ويحطم المحصود **أقول** يخرقكم يجوس عليكم
واستهواه أماله والتضليل الكثير الضلال ونعق صاح وفحص الطائر الأرض برجله بحثها والضواحي البارزة والكوفان اسم للكوفة و
فغر فوه انفتح وفلان شديد الشكيمة إذا كان قوي النفس أبيا والكلوح تكشر في عبوس والكدح فوق الخدش وأينع الزرع نضج والحطم
الدق ومضمون هذا الفصل بعد توحيد الله تحذير السامعين في عصيانه وعن التهمة له بكذبه فيما ينبئهم فيما كان يخبرهم به من الأمور
المستقبلة فقوله الأول والآخر قد مضى تفسيرهما وقوله بأوليته وجب أن لا أول له لما أراد بأوليته كونه مبدأ للكل شيء وبآخريته كونه
غاية ينتهي إليها كل شيء في جميع أحواله كان من تلك الاعتبار يجب أن لا يكون له أول هو مبدؤه ولا آخر يقف عنده وينتهي ووصف
شهادة بما يتبعها الذي يوافق السر الإعلان والقلب اللسان كناية عن خلوصها عن شائبة النفاق والجحود بالله ثم أمر الناس وحذرهم
من شقاقه وعصيانه وتكذيبه فيما يقول وهو تفريع على أن ضعفت عقول بعضهم عن إدراك فضله وإمكان الأخبار بما سيكون من مثله
ثم استدل على ما يريد أن يخبرهم به من ذلك وما أخبر به إلى النبي ليكون ذلك شهادة لصدقه وأكد ذلك بتنزيهه صلى الله عليه وآله
وتنزيه السامع يعني نفسه من الكذب فيما بلغ عن ربه وفيما سمع من نبيه وقد بينا كيفية أخذه لهذه العلوم عنه في المقدمات وقوله كأني
انظر إلى ضليل قد نعق بالشام من جملة أخباره بما سيكون والضليل قيل إنه إشارة إلى السفياني الدجال وقيل إنه إشارة إلى معاوية فإن
مبدأ ملكه بالشام وهو منبعها وانتهت غاراته إلى نواحي الكوفة وإلى الأنبار في حياته كما عرفت ذلك من قبل وكنى بفحص راياته عن بلوغه
إلى الكوفة ونواحيها كناية بالاستعارة لأنه لتشبيهه بالقطاة المتخذة مفحصا وكذلك فغرت فاغرته كناية عن اقتحامه للناس كناية بالاستعارة أيضا لأنه
لتشبيهه بالأسد في اقتحام فريسته واشتداد شكيمته كناية عن قوة رأسه وشدة بأسه وأصلها أن الفرس الجموح قوي الرأس يحتاج إلى قوة الشكيمة
وشدتها وكذلك ثقل وطأته كناية عن شدة بأسه في الأرض على الناس والأشبه أنه إشارة إلى عبد الملك وقد عرفت أحواله وثقل وطأته في الأرض
فيما سبق واستعار لفظ العض للفتنة ووجه المشابهة ما يستلزمه من الشدة والألم ورشح تلك الاستعارة بذكر الأنياب وأبنائها
الفتنة أهلها وكذلك استعار لفظ الموج للحرب وكنى به عن الاختلاط الواقع فيها من الفعل والأهوال وللأيام لفظ الكلوح وكنى به عن شدة
ما يلقى فيها من العيش المكدر وكذلك لفظ الكدوح استعارة لما يلقى فيها من المصائب لتشبيهه بها ولفظ الزرع استعارة لأعماله ولفظ أينع
كناية عن بلوغ غاية أفعاله وكذلك لفظ الشقاشق والبوارق استعارة لحركاته المهلكة وأقواله المخوفة تشبيها بالسحاب ذي الشقاشق والبوارق
وقوله عقدت رايات الفتن المعضلة أي أن هذه الفتنة إذا قامت ثارت فتن كثيرة بعدها يكون فيها الهرج والمرج وشبه تلك
الفتن في إقبالها بالليل المظلم ووجه المشابهة كونها لا يهتدى فيها للحق كما لا يهتدى في ظلمة الليل للمراد وبالبحر الملتطم في عظمها و
خلطها الخلق بعضهم ببعض وانقلاب قوم على قوم بالحرب لهم والهلاك كما يلتطم بعض أمواج البحر ببعض ثم أشار إلى ما يلحق الكوفة بسبب تلك الفتنة
بعدها من الوقائع والفتن وقد وقع فيها وفي أجنادها وقائع جمة وفتن كثيرة كفتنة الحجاج والمختار بن أبي عبيدة وغيرهما واستعار لفظي
القاصف والعاصف من الريح لما يمر بها من ذلك ويجري على أهلها من الشدائد وقوله وعن قليل تلتف القرون بالقرون إلى آخره أي عن
قليل يلحق قرن من الناس بقرن وكنى بالتفاف بعضهم ببعض عن اجتماعهم في بطن الأرض واستعار لهم لفظ الحصد والحطم لمشابهتهم الزرع يحصد
قائمه ويحطم محصوده فكنى بحصدهم عن موتهم وقتلهم وبحطم محصودهم عن فنائهم وتفرق أوصالهم في التراب واعلم
أنه ليس في اللفظ دلالة واضحة على أن المراد بالضليل المذكور معاوية بل يحتمل أن يريد به شخصا آخر يظهر فيما بعد بالشام كما قيل إنه السفياني
الدجال وإن كان الاحتمال الأول أغلب على الظن وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يجري هذا المجرى وذلك يوم يجمع الله فيه الأولين
والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الأعمال خضوعا قياما قد ألجمهم العرق ورجفت بهم الأرض فأحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعا
ولنفسه متسعا **أقول** أشار باليوم إلى يوم القيامة ونقاش الحساب المناقشة والتدقيق فيه وقد عرفت كيفية ذلك اليوم فيما
سبق ونحوه قوله تعالى يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم الآية وخضوعا كقوله تعالى خاشعة أبصارهم وقياما كقوله تعالى يوم يقوم الناس
لرب العالمين وهما كنايتان عن كمال براءتهم من حولهم وقوتهم لله وتيقنهم أن لا سلطان إلا لسلطانه وإلجام العرق بلوغه منهم مكان اللجام وهو كناية
عن بلوغهم الغاية من الجهد إذ كانت غاية التاعب أن يكثر عرقه وقوله ورجفت بهم الأرض كقوله تعالى يوم ترجف الأرض والجبال إذا رجت الأرض
رجا وبست الجبال بسا قال بعضهم المراد بالأرض الراجفة والمرتجة أرض القلوب عن نزول خشية الله عليها وشدة أهوال يوم القيامة وقال
آخرون إن ذلك صرف للكلام عن ظاهره من غير ضرورة فلا يجوز إذ كل ما أخبر الصادق عنه من جزئيات أحوال القيامة أمور ممكنة والقدرة
الإلهية وافية بها وقوله فأحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعا ولنفسه متسعا قيل المراد به من وجد ثقل ما حمله موضعا من معرفة
الله تعالى وعبادته ومن وجد لنفسه متسعا في خطاب وقد عن الله بسعة رحمته وظاهر أن أولئك أحسن الخلق حالا يوم القيامة وحمله على ظاهره
موافقة لظاهر الشريعة ممكن **منها** فتن كقطع الليل المظلم لا تقوم لها قائمة ولا ترد لها راية تأتيكم مزمومة مرحولة يحفزها
قائدها ويجهدها راكبها أهلها قوم شديد كلبهم قليل سلبهم يجاهدهم في سبيل الله قوم أذلة عند المتكبرين في الأرض مجهولون

النواحي
تشكو



في يوم القيمة ومناقشاتها

نحو البناء تعرفون قوله ويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله لا رهج له ولا حس وسيبتلى اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر
اقول فرطها ابن من خلف والكلب الشر والادلة جمع ذليل والرهج الغبار والحس الصوت الخفي وقد نبه في هذا الفصل على ما
سيقع بعده من الفتن وخص منها فتنة صاحب الزنج بالبصرة وشبه تلك الفتن بقطع الليل المظلم ووجه الشبه كونها لا تقوم لها قائمة اي
لا يمكن مقابلتها بما يقاومها ويدفعها وانما انث لكون القائمة في مقابلة الفتنة وقيل لا تثبت لها قائمة فرس واستعار لفظ الزمام
والرحل والحمر لقائدها والراكب ويحثها ملاحظة لتشبيهها بالناقة وكنى بالزمام والرحل عن تمام اعداد الفتنة وتهيئها كما ان كمال
الناقة للركوب بان تكون مزمومة مرحولة وبقائدها عن اغواتها وبراكبها عن منشئها المتبوع فيها وبحفزها وجهدها عن سرعتهم فيها و
اهلها اشارة الى الزنج وقد شدة كلبهم وقلة سلبهم اذ لم يكونوا اصحاب حرب وعدة وخيل كما يعرف ذلك من قصتهم المشهورة وكما سنذكر
طرفا منها فيما ينفصل من كلامه في فصل اخر وقد وصف مقاتليهم في الله بكونهم اذلة عند المتكبرين وكونهم مجهولين في الارض اشارة الى
من ابناء الدنيا المشهورين بينهم وكونهم معروفين في السماء هو اشارة الى كونهم من اهل العلم والايمان يعرفهم ربهم بطاعتهم وتعرفهم
ملائكته بعبادتهم ثم اردف ذلك بالخبر للبصرة مخاطبا لها والخطاب لاهلها بما سيقع بها من فتنة الزنج ولانه لم يكن لهم غبار ولا
اصوات اذ لم يكونوا اهل خيل ولا قعقعة لجم فاذن لا رهج لهم ولا حس وظاهر كونهم من نقم الله للعصاة وان عمت الفتنة اذ قلما تخص العقوبة
المذنب بل يعم بعضهم كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقوله وسيبتلى اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر قيل
فالموت الاحمر اشارة الى قتلهم بالسيف من قبل الزنج او من قبل غيرهم ووصفه بالحمرة كناية عن شدته وذلك ان اشد الموت ما كان
بسفك الدم واقول قد ستره عليه السلام هلاككم من قبل الغرق كما سنحكيه وقوله في غاية الشدة لاستلزامه فوق الروح وكذلك وصف الاغبر
لان اشد الجوع ما غبر معه الوجه وغبر لتسخنه الصافية لقلة مادة الغذاء او انه قال لك سمي اغبر قبل لا يلتصق بالغبراء وهي
الارض ونبه هنا الى هذه الفتن في فصل من خطبة خطب بها عند فراغه من حرب البصرة وفتحها وهي خطبة طويلة حكينا منها ما يتعلق
بالملاحم من ذلك فصل يتضمن حال غرقها للبصرة وعند فراغه من ذلك الفصل قام اليه الاحنف بن قيس فقال له يا امير المؤمنين
ومتى يكون ذلك قال يا ابا بحر انك لن تدرك ذلك الزمان وان بينك وبينه لقرونا ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا
اخوانهم انهم اذا رأوا البصرة قد تحولت اخصاصها دورا واجامها قصورا فالهرب الهرب فانه لا بصيرة لكم يومئذ ثم التفت عن يمينه فقال
كم بينكم وبين الابلة فقال له المنذر بن الجارود فداك ابي وامي اربعة فراسخ قال له صدقت فوالذي بعث محمدا واكرمه بالنبوة وخصه
بالرسالة وعجل بروحه الى الجنة لقد سمعت منه كما تسمعون مني ان قال يا علي هل علمت ان بين التي تسمى البصرة والتي تسمى الابلة اربعة
فراسخ وقد يكون في التي تسمى الابلة موضع اصحاب العشور يقتل في ذلك الموضع من امتي سبعون الفا شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء
بدر فقال له المنذر يا امير المؤمنين ومن يقتلهم فداك ابي وامي قال يقتلهم اخوان الجن وهم جيل كانهم الشياطين سود الوانهم منتنة ارواحهم
شديد كلبهم قليل سلبهم طوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم اذلة عند المتكبرين من اهل ذلك الزمان مجهولون
في الارض معروفون في السماء تبكي السماء عليهم وسكانها والارض وسكانها ثم هملت عيناه بالبكاء ثم قال ويحك يا بصرة ويلك يا بصرة من جيش
لا رهج له ولا حس قال له المنذر يا امير المؤمنين وما الذي يصيبهم من قبل الغرق مما ذكرت وما الويح وما الويل فقال هما بابان فالويح باب
الرحمة والويل باب العذاب يا ابن الجارود نعم ثارات عظيمة منها عصبة يقتل بعضها بعضا ومنها فتنة تكون بها اخراب منازل وخراب ديار و
انتهاك اموال وقتل رجال وسبي نساء يذبحن ذبحا يا ويل امرهن حديث عجيب منها ان يستحل بها الدجال الاكبر الاعور الممسوح العين اليمنى
والاخرى كانها ممزوجة بالدم لكان عينها في الحمرة علقة ناتئة الحدقة كهيئة حبة العنب الطافية على الماء فيتبعه من اهلها عدة من قتل بالابلة من
الشهداء اناجيلهم في صدورهم يقتل من يقتل ويهرب من يهرب ثم رجف ثم قذف ثم خسف ثم مسخ ثم الجوع الاغبر ثم الموت الاحمر وهو الغرق
يا منذر ان للبصرة ثلاثة اسماء سوى البصرة في الزبر الاول لا يعلمها الا العلماء منها الخريبة ومنها تدمر ومنها المؤتفكة يا منذر والذي
فلق الحبة وبرأ النسمة لو اشاء لاخبرتكم بخراب العرصات عرصة عرصة متى تخرب ومتى تعمر بعد خرابها الى يوم القيمة وان عندي من ذلك علما
جما وان تسألوني تجدوني به عالما لا اخطئ منه علما ولا وافيا ولقد استودعت علم القرون الاولى وما كائن الى يوم القيمة فقام اليه رجل
فقال يا امير المؤمنين اخبرني من اهل الجماعة ومن اهل الفرقة ومن اهل السنة ومن اهل البدعة فقال ويحك اما اذا سألتني فافهم عني ولا عليك ان
لا تسأل احدا بعدي اما اهل الجماعة فانا ومن اتبعني وان قلوا وذلك الحق عن امر الله وامر رسوله واما اهل الفرقة فالمخالفون لي ولمن اتبعني
وان كثروا واما اهل السنة فالمتمسكون بما سنه الله ورسوله لا العاملون برأيهم واهوائهم وان كثروا وقد مضى الفوج الاول وبقيت افواج
وعلى الله قصمها واستيصالها عن جدبة الارض وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ايها الناس انظروا الى الدنيا نظر الزاهدين
فيها الصادفين عنها فانها والله عما قليل تزيل الثاوي الساكن وتفجع المترف الآمن لا يرجع ما تولى منها فادبر ولا يدرى ما هو آت
منها فينتظر سرورها مشوب بالحزن وجلد الرجال فيها يسوف الى الضعف والوهن فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم

منها رحم الله امرأً تفكر فاعتبر واعتبر فأبصر فكأن ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن وكأن ما هو كائن من الآخرة عما قليل لم يزل
وكل معدود منقض وكل متوقع آت وكل آت قريب دان **أقول** صدر [illegible] عرض وتوقع [illegible] المكان اقام [illegible] المصيبة
والجلد القوة وحاصل الفصل تزهيد الدنيا والتحذير منها فأمرهم أن ينظروا إليها نظر الزاهدين فيها المعرضين عنها أمرهم بتركها
واحتقارها الا بقدر الضرورة إلى ما تقوم به الضرورة ثم أردف بذكر معايبها المنفرة **فالأول** أنها المقيم بها المطمئن إليها
ركنا إليه منها **الثاني** تجمعها المترف المتنعم بها الذي يجد عندها ما يتمنى حتى أمن فجعها بسلب ما ركن إليه ولمن عليه **الثالث** كونها
لا يرجع ما تولى منها فأدبر من شباب وصحة ومال وعمر ونحوه **الرابع** كونها لا ينتظر ما هو آت من مصائبها فينتظر ويحزن به **الخامس**
شوب سرورها بالحزن إذ كان سرورها لا يعدم في كل آن فوت مطلوب أو فقد محبوب **السادس** انتهاء قوة أهلها وجلدهم
إلى الضعف كما قال تعالى ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة وقد قال بعض الصالحين في الدنيا فقال العيش مشوب بتنغيص بينا
إلى هرم مختوم بعدم مستعقب بندم [illegible] ثم نهى عن الاغترار بكثرة ما يعجبهم منها وعلل حسن ذلك لانتهائها بقلة ما
يصحبهم منها فإن المنافسة إنما ينبغي أن يكون باقياً للإنسان حيث كان وأشار بقليل ما يصحبهم منها إلى الكفن ونحوه ثم دعا إلى
التفكر فإفادة فكره عبرة أي انتقال ذهن إلى ما هو الحق من وجوب ترك الدنيا والعمل للآخرة فإفادة ذلك الانتقال إدراكاً للحق ومشاهدة
ببصر بصيرته له ثم أردف بتشبيه وجود متاع الدنيا الحاضر بعدمه تنبيهاً على سرعة لحوق عدمه لوجوده فكأن وجوده شبيه بأن لم يكن
لسرعة زواله وكذلك تشبيه عدم الآخرة الآن وما يلحق فيها من الثواب والعقاب بوجودها الدائم أي كأنها لسرعة وجودها ولحوقها
لم تزل موجودة ونبه بقوله وكل معدود منقض على انقضاء مدة الأعمار لكونها معدودة بالأيام والساعات والأنفاس وقوله وكل
متوقع آت وكل آت قريب دان في صورة الضرب الأول من الشكل الأول ونتيجته فكل متوقع قريب دان والإشارة به إلى الموت وما بعده

منها العالم من عرف قدره وكفى بالمرء جهلاً ألا يعرف قدره وإن من أبغض الرجال إلى الله لعبداً وكله الله إلى نفسه
جائر عن قصد السبيل سائر بغير دليل إن دعي إلى حرث الدنيا عمل وإن دعي إلى حرث الآخرة كسل كأن ما عمل له واجب عليه
وكأن ما ونى فيه ساقط عنه **أقول** حصر العالم فيمن عرف قدره وأراد بقدره مقداره من ملك الله ومحله من الوجود ولما كان
عرفانه بذلك مستلزماً لمعرفته بنسبته إلى المخلوقات وأن الله رب العالمين وأنه أي شيء هو منها ولأي شيء وجد ولأجله كان هو العالم اللازم لهذه
السالك [illegible] المتعدي طوره [illegible] في كتاب ربه وسنن أنبيائه وقوله وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره لما كان العلم مستلزماً
لمعرفة القدر كان معرفة عدم القدر مستلزماً لعدم العلم وهو الجهل لأن نقيض اللازم يستلزم نقيض الملزوم وقوله وكفى بذلك الجهل أيضاً
إلى تولده واستلزامه للعذاب وقوله وإن من أبغض الرجال إلى الله إلى قوله قصد السبيل قد سبق بيانه وقوله سائر بغير دليل أي بالدليل
عن أئمة الهدى والمرشدين إلى الله ويدخل في ذلك الكتاب والسنة فإن من سار في معاملته لله ولعباده بغير دليل منهما كان من الهالكين
وقوله إن دعي إلى حرث استعار لفظ الحرث لأعمال الدنيا وأعمال الآخرة ووجه المشابهة كونها مستلزمة للمكاسب الأخروية والدنيوية كما أن الحرث
كذلك ثم شبه ما عمل له من حرث الدنيا بالواجب عليه في مبادرته إليه ومواظبته عليه وشبه ما قصر فيه من حرث الآخرة بالساقط عنه في ضعفه وكسله
ونفوره عنه مع أن الأمر فيه ينبغي أن يكون بالعكس وبالله التوفيق

منها وذلك زمان لا ينجو فيه إلا كل مؤمن نومة إن شهد لم يعرف وإن
غاب لم يفتقد أولئك مصابيح الهدى وأعلام السرى ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البذر أولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته ويكشف
عنهم ضراء نقمته أيها الناس سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الإسلام كما يكفأ الإناء بما فيه أيها الناس إن الله تعالى قد أعاذكم من
أن يجور عليكم ولم يعذكم من أن يبتليكم وقد قال جل من قائل إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين قال السيد أما قوله كل مؤمن نومة
فإنما أراد به الخامل الذكر القليل الشر والمساييح جمع مسياح وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم والمذاييع جمع مذياع وهو الذي إذا سمع
لغيره بفاحشة أذاعها ونوّه بها والبذر جمع بذور وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه **أقول** النومة كثير النوم وروي نومة بسكون الميم
وهو الضعيف وكذلك الأمة مقلبة لوجهه وكنى بالنومة عن خامل الذكر من الناس المشتغل بربه عنهم كما فسره وقوله إن شهد لم يعرف وإن غاب
لم يفتقد وأشار بأولئك إلى كل مؤمن كذلك واستعار لهم لفظ المصابيح والأعلام لكونهم أسباب الهداية في سبيل الله وقد سبق ذلك وقوله ليسوا
بالمساييح إلى قوله ضراء نقمته ظاهر وقد فسر السيد مشكله وقوله أيها الناس إلى قوله الإناء بما فيه إخبار بما سيكون من فساد أهل الزمان وما يكون
فيه من الفتن وترك الدين كما سبق من إشاراته وشبه قلبهم للزمان بقلب الإناء بما فيه ووجه الشبه خروج الإسلام عن كونه منتفعاً به بعد تركهم
للعمل به كما يخرج ما في الإناء الذي كب عن الانتفاع وأحسن بهذا التشبيه فإن الزمان للإسلام كالإناء للماء وأشار إلى أن ذلك ليس بظلم بقوله
إن الله قد أعاذكم من أن يجور عليكم في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد أن ذلك ابتلاء منه يبتلي به عباده كما قال تعالى إن في ذلك لآيات وإن كنا
لمبتلين فمن صبر نفعه صبره ومن كفر فعليه كفره وقد عرفت معنى ابتلاء الله لخلقه وفائدته فلا وجه لإعادته وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله وليس أحد من العرب

في ذكر بعض صفات محمد صلى الله عليه وآله

بعزه كتابا ولا يدعي نبوة ولا وحيا فقاتل بمن أطاعه من عصاه يسوقهم إلى منجاتهم ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته إلا هالكا لا خير فيه حتى أراهم منجاتهم وبوأهم محلتهم فاستدارت رحاهم واستقامت قناتهم وايم الله لقد كنت من ساقتها حتى تولت بحذافيرها واستوسقت في قيادها ما ضعفت ولا جبنت ولا خنت ولا وهنت وايم الله لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته **أقول** لنشرح ما انفردت هذه الرواية من الزيادة على الفصل المتقدم فالحسير الذي أعيا في طريقه والرحا قطعة من الأرض تستدير وترتفع على ما حولها واستوسقت اجتمعت وانتظمت وبحث جنبت فقوله فقاتل بمن أطاع من عصاه معناه ظاهر وقوله ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم أي يبادر إلى هدايتهم وسلوكهم سبيل الله كيلا ينزل بهم الساعة على عمى منهم عن صراط الله فيقعوا في مهاوي الهلاك وقوله يحسر الحسير ويقف الكسير إلى قوله لا خير فيه إشارة إلى وصفه بالشفقة على الخلق في حال أسفارهم معه في الغزوات ونحوها أي أنه كان يسير في أخراهم وينتظر المنقطع منهم عن عياء أو انكسار مركوب فلا يزال يلطف به حتى يبلغه أصحابه إلا ما لا يمكن إيصاله ولا يرجى قال بعض الشارحين كنى بالحسير والكسير عمن عجز وقصر عمله في الطريق إلى الله لضعف في عين بصيرته واعوجاج في الزاد ذاكرا وبقيامه عليه إلى غايته عن أخذه له بوجوه الحيل والجواذب إلى الدين حتى يوصله إلى ما يمكن من العقيدة المرضية والأعمال الزكية التي هي الغاية من طريق الشريعة المطلوب سلوكها وقوله إلا هالكا لا خير فيه أراد به من كان ميؤوسا من رشده لعلمه بأن تقويمه غير ممكن كأبي لهب وأبي جهل ونحوهما وقوله فاستدارت رحاهم استعار لفظ الرحا لاجتماعهم وارتفاعهم على غيرهم كما يرتفع القطعة من الأرض عن ما حولها من التراب ونحوه وقوله واستوسقت في قيادها إشارة إلى طاعة من أطاع من العرب وانقياد للإسلام واستعار لفظ القياد ملاحظة لتشبيههم بالإبل المجتمعة لسابقيها والمنتظمة في قياده لها واستعار لفظ الخاصرة للباطل ورشح تلك الاستعارة بذكر البقر ملاحظة لتشبيهه بالحيوان المبتلع ما هو عزيز فيه منه وكنى ببقره عن إخراج الحق منه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله شهيدا وبشيرا ونذيرا خير البرية طفلا وأنجبها كهلا وأطهر المطهرين شيمة وأجود المستمطرين ديمة فما احلولت لكم الدنيا في لذتها ولا تمكنتم من رضاع أخلافها إلا من بعد ما صادفتموها جائلا خطامها قلقا وضينها قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السدر المخضود وحلالها بعيدا غير موجود وصادفتموها والله ظلا ممدودا إلى أجل معدود فالأرض لكم شاغرة وأيديكم فيها مبسوطة وأيدي القادة عنكم مكفوفة وسيوفكم عليهم مسلطة وسيوفهم عنكم مقبوضة ألا إن لكل دم ثائرا ولكل حق طالبا وإن الثائر في دمائنا كالحاكم في حق نفسه وهو الله الذي لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب فأقسم بالله يا بني أمية عما قليل لتعرفنها في أيدي غيركم وفي دار عدوكم ألا إن أبصر الأبصار ما نفذ في الخير طرفه ألا إن أسمع الأسماع ما وعى التذكير وقبله أيها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ وامتاحوا من صفو عين قد روقت من الكدر عباد الله لا تركنوا إلى جهالتكم ولا تنقادوا لأهوائكم فإن النازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار ينقل الردى على ظهره من موضع إلى موضع لرأي يحدثه بعد رأي يريد أن يلصق ما لا يلتصق ويقرب ما لا يتقارب فالله الله أن تشكوا إلى من لا يشكي شجوكم ولا ينقض برأيه ما قد أبرم لكم إنه ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه الإبلاغ في الموعظة والاجتهاد في النصيحة والإحياء للسنة وإقامة الحدود على مستحقيها وإصدار السهمان على أهلها فبادروا العلم من قبل تصويح نبته ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستثار العلم من عند أهله وانهوا غيركم عن المنكر وتناهوا عنه فإنما أمرتم بالنهي بعد التناهي **أقول** الشيمة الخلق واحلولى حلا والخلف حلمة ضرع الناقة والوضين حزام الهودج والمخضود الذي لا شوك فيه والماتح الجاذب للدلو من البئر وشغر الكلب رفع إحدى رجليه ليبول والترويق التصفية وتجرف المكان بأكل السيل وهار أصله هائر وهو المنهدم نقلت من الثلاثي إلى الرباعي كشائك وشاكي والشجو الهم والحزن وتصويح النبت يبسه وقوله حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله إلى قوله من بعده اقتصار ومدح له بالقوة في الدين وتوبيخ لجمع الدنيا ومحبيها بعده وهو غاية الفصل السابق كما قد ذكر فيه ما كانوا عليه من سوء الحال والفشل والفقر ومن عليهم بذكر هذه الغاية الحسنة لتلك الأحوال ووصفه بأوصاف أحدها كونه شهيدا أي على الخلق بأعمالهم يوم القيامة كما قال تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقد عرفت كيفية هذه الشهادة الثاني وبشيرا للخلق بما أعد لهم من الثواب العظيم الثالث ونذيرا لهم بما أعد للعصاة من العذاب الأليم ونظم هذه الأوصاف قوله تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا والثلاثة أحوال الرابع خير البرية طفلا ولما علمت أن الأفضلية إنما هي بالأعمال الصالحة والتشديد لسلوك سبيل الله وكان هو صلى الله عليه وآله منذ صباه وطفوليته أفضل الخلق في لزوم ذلك لا جرم كان خير الناس طفلا الخامس وأنجبها كهلا ولما كانت النجابة مستلزمة لكرم الخصال والتقاط الفضائل وتتبعها وكان هو صلى الله عليه وآله في كهوليته وقوته منبع كل فضيلة لا جرم كان أنجبهم كهلا وطفلا وكهلا منصوبان على الحال السادس كونه أطهر المطهرين شيمة ولما كانت شيمته مكارم الأخلاق الطاهرة وكل خلق عدل فهو مكتسب لا جرم كان أطهر الشيمة وأكرم الخلائق السابع أجود المستمطرين ديمة استعار له وصف السحاب المرجو منه نزول الديمة وهي المطر الذي لا رعد فيه ولا برق ورشح بلفظ الديمة وكنى بذلك عن غاية جوده وكرمه وقد كان صلى الله عليه وآله إذا أمسى وأوى إلى البيت فلا يجد فيه شيئا من فضة أو ذهب إلا تصدق به ولم يبت في بيته منه شيء وشيمة وديمة تمييزان

وقوله فما

في بعض مقاصد خطبة بني امية

وقوله فها اسلوبت لكم الدنيا لذاتها الى قوله من بعده الخطاب لبني امية وبخوفهم وهو تبكيت لهم شبههم لهم لذة الدنيا وابتهاجهم بها وتمكنهم
منها بعد الرسول صلعم وتكبرهم فيها انفهم تشبيه في ذلك واستعار لفظ الاخلاف وكنى به عن وجوه مكاسب الدنيا ولذاتها ورشح بذلك
الاستعارة بذكر الرضاع وكنى به عن تناولهم لها ما لحظه لتشبيهها بالناقة وقوله وصادفتموها الى قوله غير موجود استعار لفظ الخطام
والوضين ورشحهما بالقلق والجولان وكنى بذلك عن مصادفتهم للدنيا بعد رسول الله صلعم غير منظومة الحال ولا مضبوطة على ما ينبغي لضعف
ولاتها على مصالح حالها كما ان الناقة القلقة الحزام والجائلة الخطام غير منظومة الآلة ولا مضبوطة الحالة فهي بمعرض ان تمشي وتضرب
على غير استقامة فهلك راكبها ثم ذكر نيل القوم مشتبه حرامها بالسدر المخضود معهم ووجه الشبه ان نواهي الله ووعيده اثم على فعل المحرمات
تجري مجرى الشوك للسدر في كونها مانعة منه كما يمنع شوك السدر جانبه من تناوله ثمرته ولما كان بعض الامة قد طرح اعتبار النواهي و
الوعيد جانبا عن نفسه وفعل ما حرم عليه صار ذلك عنده كمجرى تناوله السدر الخالي عن الشوك في استسهاله له تناوله واقدامه عليه
وكون حلالها بعيدا غير موجود اي بين اولئك المشار اليهم وجائلا وقلقا حالا لان وقوله وصادفتموها والله الى قوله ممدود استعار لفظ
الظل لها ورشح بالممدود وكنى بذلك عن زوالها بعد حين تهديدا لهم به ثم استعار لفظ الشاغرة للارض وكنى به عن خلوها لهم يقال شغر
الامر يقال كلب شاغر برجله اذا لم يكن له طالب ولا حام يحميه وكنى ببسط ايديهم فيها عن قدرتهم على التصرف واراد بالقادة الخلفاء وبسط
سيوفهم على القادة جرأتهم وحكمهم عليهم وبقبض سيوف القادة عدم تمكنهم منهم وقوله الا ان لكل دم ثائرا الى قوله من هرب تهديد بالله
لبني امية وتخويف باخذه وعقابه وهاهنا لطيفة من الكلمة ظاهرة الصدق فانه تعالى هو الثائر لكل دم معصوم والطالب به ان عدم طالبه او ضعف
ولما كان دم مثلهم عليهم السلم وسائر الصحابة ممن عصم الله دمه ومنع منه وجرى مجرى الحق الثابت المتعلق لله في كونه مطلبه ولا يهمله وهو
الحاكم المطلق لا جرم استعار لفظ الثائر وانما قال كالحاكم لان اطلاق لفظ الحق لله تعالى ليس حقيقة اذ الحق من شانه ان ينتفع باخذه
وينضر بتركه والباري منزه عن ذلك لما جرى ذلك مجرى الحق لغيره اشبه الحاكم مثلا في استيفاء الحق ووصفه تعالى بانه لا يعجزه مطلوب ولا
يفوته هارب في معرض التهديد لهم باخذه وقوته ثم اردف ذلك بالقسم البار مخاطبا لبني امية لتعرفنها اي الدنيا وامرتها في يد غيرهم من
اعدائهم وذلك خط الصدق بانتقالها الى بني عباس ثم شرع بعده في التنبيه على الفكر في تحصيل السعادة الباقية والخير الدائم وعلى
قبول الوعظ والتذكر فاشار الى ان ابصر الابصار ما نفذ في الخير طرفه واسمع الاسماع ما وعى التذكير وقبله واراد بطرف البصر العقل
وسمعه استعارة لحس البصر والسمع على معنى ان افضل ابصار البصر وسماع السمع ما كان للمبصر والسامع بالفائدة المطلوبة منهما وهي
تحصيل الكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق ولما قدم ذلك امام مقصوده امر الناس بعده الى قبول قوله والاستصباح بنوره
واستعار لنفسه لفظ المصباح ورشح بذكر الشعلة والاستصباح واستعار لفظ العين ورشح بذكر الصفو والترويق والمتح ووجه الاستعارة في الاولى
كونه مقتدى كالمصباح ووجه الثانية كون العلم المستفاد منه مادة الحيوة الابدية كما ان ماء العين مادة الحيوة الدنيوية وكنى بترويقها
من الكدر عن رسوخه فيما علم بحيث لا يتطرق اليه فيه شبهة تكدر يقينه وهواهم ما لا هتداء به ولهذا العلوم عندهم لما امر باخذها عنه اردفه
بالنهي عن الجهل والركون اليه ثم عن الانقياد للاهواء الباطلة المخرجة عن كرائم الاخلاق الى رذائلها وعن حق المصالح الى باطلها ثم نبه
فان النازل بهذا المنزل اراد المنزل المشبه المدعي للنصيحة لهم عن جهل منه بوجوه المصالح وذلك انه كان يرى الراي الصالح ويشير
به فاذا اخذ بعض الى بعض فما كان من ذلك فيه مشقة عليهم من جهاد ومواظبة على عمل شاق اشار معنا فقوم يبغضونه المدعون لا علم لهم
لمقامه يعكس ما راى فيه واشار وردوهم عن الحق الى ما يوافق اهواءهم ويلائم طباعهم افسادا في الدين واشار به الى ما نزل نفسه منزلة
المشير الناصح مع ان كل ما يشير به عن هوى متبع وجهل فهو على شفا جرف هار واستعار لفظ الجرف للاراء الفاسدة الصادرة فانها
لم تبن على نظام العقل ولم ترخص فيها الشريعة فكانت منهارة لا يبنى عليها الا ما كان بصدد ان ينهار وكان المشير بها واقفا على شفا جرف
هار منها ينهار به في نار جهنم او في الهلاك الحاضر بقتال من قتل وفعل على غير اصل ويتوقع له منه عقوبته مثلا انه على شفا جرف هار
ونحوه قوله تعالى امن اسس بنيانه على شفا جرف هار الاية وقوله ينقل الردى على ظهره من موضع لما كان الردى على الهلاك وكان الراي
الفاسد يستلزم الهلاك للمشار عليه وللمشير كان المشير على الخلق به عن هوى عن الناقل للهلاك من شخص الى غيره والقسم على من يشير
عليهم به وهو في معرض التنفير عنه وقوله الراي يحدثه بعد راي يريد ان يلصق ما لا يلتصق ذكر غاية نقله من موضع الى اخر فاني نقله للردى
يستلزم ان ينقله مرة بعد مرة ولراي بالواو وعلى هذا يكون كلاما مستانفا والتقدير انه بسبب راي يحدثه يريد الصاق ما لا يلتصق واستعار
لفظ الالصاق للصلح اي يريد ان يصلح بينكم وبين اعدائكم في فتنة امر لا يصلح ووجه المشابهة كون الخصمين في طرفين يجمعهما الصلح ويرتب
لهما الاتحاد كما يجمع الالصاق بين الملتصقين ويحتمل ان يريد ان يلصق بكم من الاراء الفاسدة ما لا ينبغي ان يلتصق بكم وكذلك قوله ويقرب
ما لا يتقارب ويقرب عليكم ما بينكم وبينهم من التباعد والافتراق وذلك امر لا يتقارب ويفهم من هذا ان من كان ينهاهم عن الركون الى
استشارته كان يخذلهم عن الحرب بذكر الصلح بينهم وبين معوية الدخول فيه ثم حذرهم الله ونهاهم عن ان يشكوا الى من لا يشكي شجوهم وذلك

في مبدأ شرائع الإسلام

ان المشتكى اليه والمستشار اذا لم يهتم بامر الشاكي ولم يكن اهلا للراي في مثل ذلك الامر اشتكوت منه الاولى وان كان معروفا بجودة الراي وسعة
ذلك لان الاهتمام بالامر يبعث زناد الفكر على الاستقصاء في تفتيش وجوه الآراء الصالحة فيه فيكون بصدد ان يستخرج منها اصلحها
وانفعها وان كان دون غيره في جودة الراي بخلاف الخلي الغير المهتم الباعث على طلب الاصلح واردفهم بنهيهم عن ان ينقص برايه لهم
ما فقدا بوه فوت عليهم من الراي الصائب المجرد لهم ثم اردفه ببيان ما يجب على الامام مما هو كالنتيجة بالنسبة الى رعيته وفائدة ذلك
الاعذار اليهم فيما هم عليه مما ينسبوا اليه من تقصيره عنهم كونه الى غيره في الراي ونحوه وذكر امورا خمسة الابلاغ في موعظة العباد ثم
الاجتهاد في النصيحة لهم ثم الاحياء لسنة الله ورسوله فيهم ثم اقامة الحدود التي يستحقونها بجناياتهم ثم اصدار السهمان على اهلها و
السهمان جمع سهم وهو النصيب المفروض من مال المسلمين من بيت المال ثم لما سبق منهم عن الركون الى الجهل امرهم بالمبادرة الى التعلم من قبل
تصويح نبته واستعار لفظ النبت ورشح بذكر التصويح وكنى به عن عدمه بموته وقوله ومن قبل ان تشغلوا بانفسكم اي بتحصيل سهمانكم من
شرور الفتن التي تنزل بهم من بني امية ونحوها ومنبع العلم ما استنبط منه واستخرج واهله هو عم في معناه ثم امرهم بالانتهاء
عن المنكر ثم نهى عنه فان النهي عن الشيء بعد الانتهاء عنه هو النهي المثمر المطابق لمقتضى الحكمة اذ كان انفعال الطباع عن مثل هذه
الافعال والاقتداء بها اقوى واسرع منها عن سماع الاقوال خصوصا اذا خالفها افعال القائل وتحرك المرة شهدت به العقول السليمة
والتجارب وتوافقت عليه الآراء والشرائع والى ذلك اشار الشاعر لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده واعز اركانه على من غالبه فجعله امنا
لمن علقه وسلما لمن دخله وبرهانا لمن تكلم به وشاهدا لمن خاصم به ونورا لمن استضاء به وفهما لمن عقل ولبا لمن تدبر
وآية لمن توسم وتبصرة لمن عزم وعبرة لمن اتعظ ونجاة لمن صدق وثقة لمن توكل وراحة لمن فوض وجنة لمن صبر فهو ابلج
المناهج واوضح الولائج مشرف المنار مشرق الجواد مضيء المصابيح كريم المضمار رفيع الغاية جامع الحلبة متنافس السبقة شريف
الفرسان التصديق منهاجه والصالحات مناره والموت غايته والدنيا مضماره والقيامة حلبته والجنة سبقته منها
في ذكر النبي ص حتى اورى قبسا لقابس وانار علما لحابس فهو امينك المأمون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك
بالحق رحمة اللهم اقسم له مقسما من عدلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك اللهم اعل على بناء البانين بناءه واكرم
لديك نزله وشرف عندك منزله وآته الوسيلة واعطه السناء والفضيلة واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين و
لا ناكبين ولا ناكثين ولا مفتونين ولا مضلين وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم الا انا كررناه هاهنا لما في الروايتين من
الاختلاف **منها** في خطاب اصحابه وقد بلغتم من كرامة الله لكم منزلة تكرم بها جيرانكم ويعظمكم من لا فضل لكم عليه ولا
يد لكم عنده ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة ولا لكم عليه امرة وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون وانتم
لنقض ذمم آبائكم تأنفون وكانت امور الله عليكم ترد وعنكم تصدر واليكم ترجع فمكنتم الظلمة من منزلتكم
والقيتم اليهم ازمتكم واسلمتم امور الله في ايديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات وايم الله لو فرقوكم تحت
كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم **اقول** الابلج الواضح المشرق والوليجة بطانة الرجل وخاصته والمضمار محل تضمير الخيل
للسباق والحلبة خيل تجتمع من مواضع متفرقة للسباق وقد تطلق على مجمعها والسبقة ما يستبق عليه من الخطر وقد حمد الله
سبحانه باعتبار ما انعم به من وضع شرائع الاسلام للعقول لتسلك بها اليه واشار بتسهيل شرائعه لمن ورده الى تسهيله
لها ايضاحا فيما عده وخطابا به بحيث يفهمها الفصيح والالكن ويشارك الغبي في ورود مناهلها الفطن الذكي واعزاز اركانه منعها
على من قصد هدمه واطفاء نوره مغالبة من المشركين والجاهلين ثم مدح الاسلام باوصاف اسندها الى منفعته وهي
سبعة احدها جعله امنا لمن علقه وكونه امنا لمن تعلق به في الدنيا من القتل وفي الآخرة من العذاب الثاني كونه
سلما لمن دخله اي مسالما وفي الاول ملاحظة لتشبيهه بالحرم باعتبار دخوله وفي الثاني ملاحظة لتشبيهه بالغالب من الشجعان
باعتبار مسالمته ومعنى مسالمة الاسلام له كونه محقون الدم محرزا على ما كان يملكه فكان الاسلام سالما له وصالحه لكونه
بقتضي ما يؤذيه بعد دخوله فيه الثالث كونه برهانا لمن تكلم به اي فيما هو برهان الرابع كونه شاهدا لمن خاصم به والشاهد
اعم من البرهان لتناوله الجدل والخطابة الخامس كونه نورا لمن استضاء به فاستعار له لفظ النور ورشح بذكر الاستضاءة ووجه
المشابهة كونه مقتديا به في طرق الله الى جنته السادس كونه فهما لمن عقل ولما كان الفهم عبارة عن جودة تهيئ الذهن لتصور
ما يرد عليه كان الدخول في الاسلام ورياضة النفس بقواعده واركانه سببا عظيما لتهيئ الذهن لقبول الانوار الالهية وفهم الاسرار
لاجرم اطلق عليه لفظ الفهم مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب السابع كونه لبا لمن تدبر ولما كان اللب هو العقل اطلق عليه
لفظ العقل وان كان سببا له كالمجاز الاول واراد العقل بالملكة وما فوقه من مراتب العقل فان الاسلام وقواعده اقوى

ولا ضالين

اماؤكم وتوصل بها

بفهمها

يقتضي

الاسباب

الاشياء الحصول العقل بها انه كونه آية لمن توسم واراد من تفرس طرق الخير ومقاصده فان الاسلام اثره وعلامته تلك لمن تفرس اذا اهتدى بها فقد وقع في طريق الهدى التاسع كونه تبصرة لمن عزم واراد من عزم على امر وقصده فان الاسلام تبصرة لكيفية صلاة على الوجه الذي ينبغي العاشر كونه عبرة لمن اتعظ وذلك ان الاسلام نعم المعبر بنفس المتعظ الى حضرة قدس الله بما فيه من احوال الماضين وتصرف الزمان بهم الحادي عشر كونه نجاة لمن صدق الرسول فيما جاء به فان دخوله في الاسلام سبب نجاته من سيوف الله في الدنيا وعذابه في الاخرة واطلق عليه اسم النجاة اطلاقا لاسم المسبب على السبب الثاني عشر كونه ثقة لمن توكل اى هو سبب ثقة المتوكلين على الله لاشتماله على الوعد الكريم وبه يكون استعدادهم للتوكل الثالث عشر كونه راحة لمن فوض اى من البحث والاستقصاء في الدلائل والتمسك باحكام الاسلام ودلائل القرآن والسنة المتداولة بين اهله وفوض امره اليه استراح بذلك التفويض وقيل المراد انه فيه ندب الى تفويض الامور الى الله وعلم ما لم يعلم منها وترك التكليف به وذلك راحة وقيل المراد ان المسلم اذا كمل اسلامه وفوض امره الى الله كفاه الله جميع اموره واراحه من الاهتمام بها الرابع عشر كونه جنة لمن صبر اى صبر على العمل بقواعده واركانه وظاهر كونه جنة من عذاب الله ولفظ الجنة مستعار الخامس عشر ابلج المناهج ومناهج الاسلام طرقه واركانه الذي يصدق على من سلكها انه مسلم وهي الاقرار بالله ورسوله والتصديق بما ورد به الشرع بقدر ما ينشرح هو به وظهر كونها ابوابا واضحة الهدى السادس عشر كونه واضح الولائج والولائج البواطن الاسلام لمن نظر اليه بعين الاعتبار السابع عشر كونه مشرف المنار ومنار الاسلام الاعمال الصالحات التي يقتدى بها الناس كالعبادات الخمس ونحوها وظاهر كونها مشرفة عالية على غيرها من العبادات لشرافتها الثامن عشر كونه مشرق الجواد وهو قريب من ابلج المناهج التاسع عشر كونه مضيء المصابيح وكنى بها عن علماء الاسلام وائمته كما يرد التشبيه وشبه بذكر الاضاءة وكنى بها عن ظهور العلم عنهم واقتداء الخلق بهم ويحتمل ان يريد بالمصابيح ادلة الاسلام كالكتاب والسنة العشرون كونه كريم المضمار ومضمار الاسلام الدنيا كما سبق كرمه ولاشك في كونها كريمة باعتبار اقتباس الانوار منها والعبور بها الى الله تعالى ولفظ المضمار مستعار لها وقد سبق بيانه الحادي والعشرون كونه رفيع الغاية ولما كانت غايته الوصول الى حضرة رب العالمين التي هي جنة المأوى لاجرم كان رفيع الغاية اذ لا غاية ارفع منها واعلى مرتبة الثاني والعشرون كونه جامع الحلبة واستعار لفظ الحلبة للجنة فانها حلبة الاسلام كما سبق وجه الاستعارة وكونها محل الاجتماع بها للسباق الى حضرة قدسه التي هي الجنة كاجتماع الخيل للسباق الى الرهن الثالث والعشرون كونه متنافس السبقة ولما كانت سبقته الجنة كانت اشرف ما يتنافس فيها الرابع والعشرون كونه شريف الفرسان واستعار لفظ الفرسان لعلماء الذين هم فرسان العلوم ورجالها ملاحظة لشبهه بالفرس الجواد الذي لا يجارى راكبه الخامس والعشرون التصديق منهاجه وهي الى اخره نصبها اهل التفسير من منهاجه ومناره وغايته ومضماره وحلبته وسبقته وانما جعل الموت اى الغاية القريبة التي هي باب الوصول الى الله تعالى ويحتمل ان يريد بالموت الشهوات فانها غاية قريبة للاسلام ايضا وكذلك استعار لفظ السبقة للجنة لكونها الثمرة المطلوبة الغائية من الدين كما ان السبقة غاية سعي المتراهنين منهما

في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله حتى اورى قبسا لقابس وانار علما لحابس فهو امينك المأمون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم اقسم له مقسما من عدلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك اللهم اعل على بناء البانين بناءه واكرم لديك نزله وشرف عندك منزله وآته الوسيلة واعطه السناء والفضيلة واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين ولا ناكبين ولا ناكثين ولا ضالين ولا مفتونين قال السيد رحمه الله وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم الا اننا كررناه هاهنا لما في الروايتين من الاختلاف **اقول** القبس الشعلة واورى اشعل والحابس الواقف بالمكان والنزل ما يهيأ للنزيل من ضيافة ونحوها والسناء الرفعة والزمرة الجماعة والناكب المنحرف عن الطريق فقوله حتى اورى الى قوله الحابس غاية لكلام مدح فيه النبي صلى الله عليه وآله وذكر جهاده واجتهاده في الدين للغاية المذكورة واستعار لفظ القبس لانوار الدين الشعلة لتقتبس منها نفوس الخلائق انوار الهدى وكذلك استعار لفظ العلم واسند اليه تنويره وبعثه منه امران احدهما انه اظهر انوارا جعلها اعلاما يهتدى بها في سبيل الله من جلبته ظلمة الحيرة والشبهة عن سلوكها فهو واقف على ساق الحيرة كقوله تعالى واذا اظلم عليهم قاموا وكنى بتلك الاعلام عن آيات الكتاب والسنن الثاني ان يكون المراد بالاعلام ائمة الدين وتنويره لها تنوير قلوبهم بما ظهر عن نفسه القدسية من الكمالات والعلوم وقوله فهو امينك المأمون اى على وحيك وشهيدك يوم الدين اى على خلقك وبعيثك نعمة اى مبعوثك اليهم نعمة عليهم بهدايته الى جنتك ورسولك بالحق رحمة لعبادك ان يقعوا في مهاوي الهلاك بسخطك وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ثم اردفه بالدعاء له فدعا الله ان يقسم له مقسما من عدله ولما كان مقتضى عدل الله ان يبلغ نفسا ما هي محل الرسالة اقصى ما استعدت له من درجات الكمال وبعد ما بين تلك لكمال العلى وغاية ان يقسم له نصيبا وافرا من عدله بعد ما بين الدرجات رتب الوصول

في نعمة الله والتوبيخ على التقصير في حقه

الغير المتناهية وقوله واجزه مضاعفات الخير من فضلك لما دعا له بما يستحقه نبه على أن ذلك دعا له بأن يفضل عليه بزيادة من فضله فضلا لما يستحقه من الخير وقوله اللهم أعل على بناء البانين بناءه دعاء لتشييد ما بناه من قواعد الدين على سائر بناء البانين للشرائع من الرسل قبله وأراد بما بناه وكيفيته من مراتب الكمال ولفظ البناء مستعار ثم دعا أن يكرم لديه نزله بما هيأ له من الثواب الجزيل وأن يشرف مقامه في حضرة قدسه وأن يؤتيه ما يتوسل به إليه ويقربه منه وهو أن يكمل استعداده لما هو تمام القوة على الوصول إليه وأن يعطيه الرفعة ويحشرنا بفضله إنا منه وأن يحشرنا في زمرته على أحوال غير خزايا بعقاب الذنوب ولا نادمين على التفريط في جنب الله والتقصير في العمل بطاعته ولا ناكبين منحرفين عن سبيله إلى أحد طرفي التفريط والإفراط ولا ناكثين لعهوده وما يعقد البيعة وأثق بها خلفاء بعده ومجالسه الدين ولا ضالين عن سواء السبيل العدل ولا مفتونين بشبهات الأباطيل وبالله التوفيق **منها** في خطاب أصحابه وقد بلغتم من كرامة الله لكم منزلة تكرم بها إماؤكم وتوصل بها جيرانكم ويعظمكم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة ولا لكم عليه إمرة وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون وكانت أمور الله بين أيديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات وأيم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم **أقول** صدر هذا الفصل تذكيرهم بالمراتب التي أكرمهم الله بها من الإسلام والهداية والإيمان وما نالت تلك المراتب من الفضل حتى أكرمت بها إماؤهم وجيرانهم وإن كانوا غير مسلمين وعظمهم من لا فضل لهم عليه ولا يد لهم عنده وهابهم من لا يخاف سطوتهم ونبه أن سبب ذلك كله هو كرامة الله لهم بالإسلام والهداية للإيمان ثم لما قرر نعمة الله عليهم أردف ذلك بالتوبيخ لهم على التقصير في أداء واجب حقه وأشار إلى نكايتهم لبعض مسببات كفران نعمته وهو عدم إنكارهم لما يرون من نقض عهود الله وسكوتهم عليها وعدم غضبهم كما لو أصيبوا بمثل ذلك وأراد بذلك بغي البغاة وخروج الخوارج وسائر المنكرات التي وقعت من أهل الشام وغيرهم مخالفا فيها أمر الله ونكثوا بيعته التي هي عهد من عهود الله عليهم فإن السكوت على مثل ذلك مع التمكن من إزالته وإنكاره بالجهاد منكر مرتكبوه والواو في قوله وأنتم للحال أي أنتم مع ذلك تأنفون لنقض ذمم آبائكم فكان يجب منكم بطريق الأولى أن تأنفوا لعهود الله أن تنقض وذمته أن تخفر ثم ذكرهم تفريطهم وتقاعدهم في الأمور التي كان الله سبحانه فوضها إليهم وجعلهم مواردها ومصادرها من أمور الإسلام وأحكامه والتسلط به على سائر الناس وتمكينهم الظلمة من منزلتهم تلك من الإسلام وأراد بالظلمة معاوية وقومه وتمكينهم لهم تخاذلهم عنهم وإلقاؤهم إليهم بذلك ولفظ الأزمة مستعار للأمور التي سلموها إليهم من أموال بلاد الإسلام كل ذلك بالتقصير عن مجاهدتهم وعملهم بالشبهات عملهم على وفق آرائهم الفاسدة وآرائهم الباطلة التي ينوهونها حججا فيما يفعلون وسيرهم في الشهوات قطع أوقاتهم بالانهماك في مقتضيات الشهوة وقوله وأيم الله إلى آخره تحذير لهم وإنذار بما سيكون من بني أمية من جمع الناس في دولتهم وشرورهم وعموم فتنتهم وكنى باليوم عن مدة خلافتهم التي كانت شر الأوقات على الإسلام وأهله وإنما نسب التفريق إليهم والجمع إلى الله نظرا إلى ما سينزل بهم من الابتلاء للخلق بهم فإنهم لو فرقوهم في أطراف البلاد لجمعهم ذلك التفريق عن الحق فلو أراد الله لهم ولم يمنعهم من نزوله بجميعهم بما يراد لهم من الابتلاء بدولة بني أمية وشرورها وأحوال دولتهم مع الخلق خصوصا الصالحين من عباد الله ظاهرة وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** في بعض أيام صفين وقد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة الطغام وأعراب أهل الشام وأنتم لهاميم العرب ويآفيخ الشرف والأنف المقدم والسنام الأعظم ولقد شفى وحاوح صدري أن رأيتكم بأخرة تحوزونهم كما حازوكم وتزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم حسا بالنصال وشجرا بالرماح تركب أولاهم أخراهم كالإبل الهيم المطرودة ترمى عن حياضها وتذاد عن مواردها **أقول** الجولة الدورة والانحياز الميل والطغام أوغاد الناس واللهاميم جمع لهموم وهو الجواد من الناس واليآفيخ جمع يافوخ وهو أعلى الدماغ والوحاوح جمع وحوحة وهو صوت فيه بحة يصدر عن المتألم والحس الاستئصال والنصال جمع نصل للسيف والشجر الطعن والذود الطرد والهيم العطاش وفي هذا الفصل تبكيت لأصحابه بانحيازهم عن عدوهم وتقريع ثم تحميد وإغراء كيلا يعاودوا إلى الفرار وذلك قوله فقد رأيت إلى قوله أهل الشام وقد تخاذلكم حتى حازكم أراذل أهل الشام مع أنكم أهل الشرف وسادات العرب واستعار لفظ اليآفيخ لهم إذ كانوا بالنسبة إلى العرب في علوهم وشرفهم كاليآفيخ بالنسبة إلى الأبدان وكذلك استعار لفظ الأنف والسنام ووجه المشابهة عزهم وشرفهم كعزة الأنف وتقدمه وحسن الوجه به بالنسبة إلى باقي الأعضاء وكعزة السنام وعلوه بالنسبة إلى باقي أعضاء الجمل ثم أردف ذلك التبكيت والتذكير بالرذيلة بذكر فضيلتهم التي ختموا بها وهي حوزهم لعدوهم بالآخرة كحوزهم لهم وإزالتهم عن مواقفهم كما أزالوهم وحسهم استئصالا وطعنا يركب مقدمهم تاليهم وأولهم آخرهم ليثبتوا على مثل هذه الأفعال في مثل تلك المواقف وعد ذلك شفاء لوحاوح صدره وكنى بالوحاوح عما كان يجده من الألم بسبب انهزام أصحابه وعلية عدوهم وشبههم في تضعضعهم وركوب بعضهم لبعض مولين بالإبل العطاش التي اجتمعت على الحياض للشرب ثم طوردت ورميت عنها بالسهام وذيدت عن مواردها فإن طردها على ذلك الاجتماع يوجب لها أن يركب بعضها بعضا ويقع بعضها على بعض وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** وهي من خطب الملاحم الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه والظاهر لقلوبهم بحجته خلق الخلق من غير

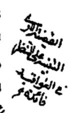
رؤيته اذ كانت الرؤيات لا تليق الا بذوى الضمائر ولتنبس بذى ضمير فى نفسه خرق علمه باطن غيب السترات واحاط بغموض عقائد السريرات

اقول حمد الله تعالى باعتبارات خمسة احدها اعتبار تجليه لخلقه بخلقه وقد علمت غير مرة ان تجليه يعود الى الجلاء معرفته من مصنوعاته لقلوب عباده حتى انه ليشهد كل ذرة من مخلوقاته بما ظهر فيها من الحكم فمنهم من يشاهده وعلى قدر قبولهم لمشاهدته تتفاوت تلك المشاهدة بحسب تفاوت اشعة ابصار بصائرهم فمنهم من يرى الصانع اولا ومنهم من لا يرى مع الصانع غيره الثانى الظاهر لقلوبهم بحجته اى الواضح وجوده للقلوب منكرتها واوهامها والسنتهم بقيام حجته عليهم بذلك وهى احكام الصنع وانه فى انفسهم وان احتاجوا الى التنبيه كقوله تعالى وفى انفسكم افلا تبصرون وكذلك فى ملكوت السموات والارض كقوله تعالى اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ الاية وهو قريب مما مر الثالث خلقه الخلق بلا روية وفكر فى كيفية خلقه واشار الى برهان سلب الروية عنه بقوله اذ كانت الرويات لا تليق الا بذوى الضمائر اى بذى قلب وحواس بدنية وليس بذى ضمير فى نفسه والقياس من الشكل الثانى وتقريره كل ذى روية فله ضمير ولا شئ من واجب الوجود بذى ضمير ينتج انه لا شئ من ذوى الروية بواجب الوجود سبحانه والمقدمتان جليتان لما سبق غير مرة الرابع كونه عالما خارقا بالباطن غيب السترات وهو اشارة الى نفوذه فى كل مستتر وغائب بحيث لا يحجبه ستر ولا يستره حجاب الخامس كونه محيطا هو بغموض عقائد السريرات اى بما دق من عقائد اسرار القلوب كقوله تعالى يعلم السر واخفى **منها** فى ذكر النبى صلى الله عليه وآله اختاره من شجرة الانبياء ومشكاة الضياء وذوابة العلياء وسرة البطحاء ومصابيح الظلمة وينابيع الحكمة **اقول** الذوابة ما تدلى من الشعر ونحوه وبطحاء مكة تسيط واد بها وسرة الوادى اشرف موضع فيه وفى الفصل استعارات الاولى الشجرة لصنف الانبياء ووجه المشابهة كون ذلك الصنف ذا اصول وفروع ففروعها اشخاص الانبياء وثمرتها العلوم والكمالات النفسانية كما ان الشجرة ذات غصون وثمرة الثانية لفظ المشكوة لآل ابرهيم ووجه المشابهة ان هؤلاء قد ظهرت منهم الانبياء وسطع من بينهم ضياء النبوة ونور الهداية كما يظهر نور المصباح من المشكاة الثالثة لفظ الذوابة وليشبه ان يشير به الى قريش ووجه المشابهة تدليهم فى اغصان الشرف والعلو عن آبائهم كتدلى ذوابة الشعر عن الراس الرابعة سرة البطحاء واشار به الى اختياره من افضل بيت فى مكة الخامسة استعارة لفظ المصابيح للانبياء ايضا ووجه المشابهة ظ وقد مر غير مرة كونهم مصابيح ظلمات الجهل السادسة استعارة لفظ الينابيع ووجه المشابهة فيضان العلم والحكمة عنهم كفيضان الماء عن ينابيعه **منها** طبيب دوار بطبه قد احكم مراهمه واحمى مواسمه يضع من ذلك حيث الحاجة اليه من قلوب عمى واذان صم والسنة بكم متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة لم يستضيئوا باضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة فهم فى ذلك كالانعام السائمة والصخور القاسية قد انجابت السرائر لاهل البصائر ووضحت محجة الحق لخابطها واسفرت الساعة عن وجهها وظهرت العلامة لمتوسمها ما لى اراكم اشباحا بلا ارواح وارواحا بلا اشباح ونساكا بلا صلاح وتجارا بلا ارباح وايقاظا نوما وشهودا غيبا وناظرة عميا وسامعة صما وناطقة بكما راية ضلال قد قامت على قطبها وتفرقت بشعبها تكيلكم بصاعها وتخبطكم بباعها قائدها خارج من الملة قائم على الضلة فلا يبقى يومئذ منكم الا ثفالة كثفالة القدر او نفاضة كنفاضة العكم تعرككم عرك الاديم وتدوسكم دوس الحصيد وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبة البطينة من بين هزيل الحب اين تذهب بكم المذاهب وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب ومن اين تؤتون وانى تؤفكون فلكل اجل كتاب ولكل غيبة اياب فاستمعوا من ربانيكم واحضروه قلوبكم واستيقظوا ان هتف بكم وليصدق رائد اهله وليجمع شمله وليحضر ذهنه فلقد فلق لكم الامر فلق الخرزة وقرفه قرف الصمغة فعند ذلك اخذ الباطل ماخذه وركب الجهل مراكبه وعظمت الطاغية وقلت الداعية وصال الدهر صيال السبع العقور وهدر فنيق الباطل بعد كظوم وتواخى الناس على الفجور وتهاجروا على الدين وتحابوا على الكذب وتباغضوا على الصدق فاذا كان ذلك كان الولد غيظا والمطر قيظا وتفيض اللئام فيضا وتغيض الكرام غيضا وكان اهل ذلك الزمان ذئابا وسلاطينه سباعا واوساطه اكالا وفقراؤه امواتا وغار الصدق وفاض الكذب واستعملت المودة باللسان وتشاجر الناس بالقلوب وصار الفسوق نسبا والعفاف عجبا ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا **اقول** المواسم المياسم التى تكوى بها وانجابت انكشفت والتوسم التفرس والصلة الضلال والعكم بكسر العين العدل والبطينة الممتلئة والغياهب الظلم وتؤفكون تصرفون والفنيق الفحل المكرم وكظوم الجمل سكونه عن الجرة فقوله طبيب دوار بطبه كناية عن نفسه كما بيناه والاستعارة فانه طبيب مرضى الجهل ورذائل الاخلاق وكنى بدورانه بطبه عن تعرضه لعلاج الجهال من ذاته ونصب نفسه لذلك واستعار لفظ المراهم لما عنده من العلوم ومكارم الاخلاق ولفظ المواسم لما يتمكن منه من اصلاح من لا ينفع فيه الموعظة والتعليم بالجلد وساير الحدود فهو كالطبيب الكامل الذى تحمل المراهم والادوية والمكاوى لمن لا ينفع فيه المراهم يضع كل واحد من ادويته ومواسمه حيث الحاجة اليه من قلوب عمى يفتحها باعدادها لقبول انوار العلم والهداية لسلوك سبيل الله ومن آذان صم يعيدها لقبول المواعظ وتجوز بلفظ الصم فى عدم انتفاع النفس بالموعظة من جهتها اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه اذ كان الصم يستلزم ذلك العدم ومن السنة بكم يطلقها بطلبها بذكر الله والحكمة واطلق لفظ البكم مجازا فى عدم المطلوب منها بوجودها وهو التكلم بما ينبغى فانها لفقدها تلك المطلوب كالبكم وقوله متتبع صفة لطبيب ومواضع الغفلة ومواطن الحيرة كناية عن قلوب الجهال

الجهال

في بعض صفات النبي

ولذلك اشار اليهم بانهم لم يستضيئوا باضواء الحكمة اى لم يكتسبوا شيئا من العلوم والاخلاق ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة التى تثقب ستر الغيب المحجوب كما يستخرج ما في الزناد بالنار وقوله فهم في ذلك اى في عدم استضائتهم باضواء الحكمة كالانعام السائمة والصخور القاسية ووجه المشابهة بينهم وبين الانعام استواؤهم في الغفلة والانخراط في سلك الشهوة والغضب دون اعتبار شيء من خط العقل وعدم التقيد بها كالانعام السائمة وبينهم وبين الصخور قساوة قلوبهم وعدم لينها وخشيتها من ذكر الله واباؤها كما قال ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة وقوله قد انجابت السرائر لاهل البصائر اشارة الى انكشاف ما يكون بعده لنفسه القدسية ولمن تفرس فيما يكون من ملوك بنى امية وجور ظلمهم من اولى التجارب والفطن السليمة ويحتمل ان يريد بالسرائر اسرار الشريعة وانكشافها لاهلها وقوله ووضحت محجة الحق لخابطها اشارة الى وضوح الشريعة وبيان طريق الله وفائدة ذلك التنبيه الجذب الى اتباع الدين وسلوك سبيل الله لا عذر للخابطين فى جهالاتهم بعد وضوح دين الله وقوله واسفرت الساعة عن وجهها اى بدت مقبلة ولما كان وجه الشىء اول ما يبدو منه ويظهر كنى به عما ظهر من امارات الساعة وهو قيام الفتن واقترابها وقوله وظهرت العلامة لمتوسمها اى علامة قيام الساعة وهى الفتن المتوقعة المشهورة من بنى امية ومن بعدهم وذكره لاسفار الساعة وظهور علاماتها تنبيه للمتوسمين على العمل لها وقوله مالى اراكم اشباحا بلا ارواح شبههم فى عدم انتفاعهم بالعقول وعدم تحريك المواعظ والتذكير لهم بالجمادات الخالية من الارواح كما قال تعالى كانهم خشب مسندة وقوله وارواحا بلا اشباح قيل فيه وجوه الاول ان ذلك مقابله اشارة الى بعضهم اى ان منهم من هو شبح بلا روح كما سبق ومن كان له روح وفهم فلا قوة له بامر الحرب ولا نهضة معه فهو كروح خلت عن بدن فهم فى طريقى تفريط وافراط الثانى قيل كنى بذلك عن عدم نهضة بعضهم الى الحرب فمن بعض اذا دعوا اليه كما لا يقوم البدن بدون الروح ولا الروح بدون البدن الثالث قال بعضهم اراد انهم ان خافوا هلكت عقولهم وطارت البابهم فكانوا كالاجسام بلا ارواح وان امنوا تركوا الاهتمام بامورهم وضيعوا الفرص ومصالح الاسلام حتى كانهم فى ذلك ارواح لا تعلق لها بما يحتاج الاجسام اليه وقوله ونساكا بلا صلاح اشارة الى من تزهد منهم فزهده ظاهرى ليس عن صلاح سريرته وعقل واراد من تزهد منهم عن جهل فانه وان عمل الا ان اعماله لما لم تكن عن علم كانت ضائعة وتعبدا على غير الوجه المرضى والمامور به كما روى عن الرسول صلعم الزاهد الجاهل مسخرة الشيطان وقوله وتجارا بلا ارباح اشارة الى من يتاجر منهم بالاعمال الفاسدة وهو يعتقد كونها قربة الى الله مستلزمة لثوابه وليس كذلك ولفظ التجار والربح مستعاران ووجه الاستعارة ظاهر وقوله وايقاظا نوما كنى بنومهم عن نوم نفوسهم فى مراقد الطبيعة وعما هم فيه من الغفلة فهم بحسب الاعضاء ايقاظ العيون نوم العقول وقوله وشهودا غيبا اى شهودا بابدانهم غيبا بعقولهم عن التفطن لمقاصد الله والتلقى لانواره من المواعظ والاوامر الالهية وقوله وناظرة عمياء اراد وعيونا ناظرة عمياء اى عن تصفح آثار الله المعتبر بها والانتفاع فى امر الآخرة فهى تشبه العمى في عدم الفائدة بها وقوله وسامعة صماء اى واذانا سامعة للاصوات صماء عن نداء الله والنافع من كلامه فهى تشبه الصم في عدم الفائدة المقصودة وقوله وناطقة بكماء اى والسنة ناطقة بكماء عن النطق بما ينبغى فاشبهت البكم ولفظ العمياء والصماء والبكم مستعار للمشابهة المذكورة وقد راعى فى ذلك التضاد فى الالفاظ واراد ذوى عيون واذان والسنة بالصفات المذكورة اى خالية عن الفائدة وقوله راية ضلال لما نبههم وايقظهم بالتوبيخ والتقريع والتنقيص لتفهم ما ينبغى ان يحترزوا منه وياخذوا الاهبة له من ظهور الفتن المتوقعة لبنى امية وكنى عن ظهورها بقوله راية ضلال قد قامت على قطبها وكنى بقيامها على قطبها عن اجتماع اهلها على قائد الفتنة منها وكنى بالقطب عنه كما تبين بالاستعارة وتفرقت بشعبها انتشار رجالها في الآفاق وقوله تكيلكم بصاعها ثم استعار لفظ الكيل لاخذهم و اهلاكهم زمرة زمرة ملاحظة لشبهها بالكيال في اخذه لما يكيل جملة ورشح بلفظ الصاع وكذلك استعار لفظ الخبط لايقاع السيف و الاحكام الجائرة فيهم على غير قانون دينى ولا نظام حق لشبهها بالناقة النفور من الابل التى تخبط ما تلقاه بيدها ورشح الاستعارة بذكر الباع ولم يقل بيدها لان ذكر الباع ابلغ في التعبير عن قوة الخبط وقوله قائدها خارج عن الملة اى خارج عن الدين والشريعة فاسق عن امر الله قائم على الضلة اى مقيم على الضلالة وقوله فلا يبقى يومئذ منكم الا ثفالة كثفالة القدر استعار لفظ الثفالة وكنى به عمن لا خير فيه من الارذال وعمن لا ذكر له ولا شهرة وشبه اولئك بثفالة القدر فى كونهم غير معتبرين ولا ملتفت اليهم وكذلك نفاضة كنفاضة العكم وهو ما يبقى فى اسفل العدل من اثر الزاد او الحنطة ونحوها ثم استعار لفظ العرك لتقليب الفتن لهم ورميهم وتذليلها لهم كما يذلل ويلين الاديم وكذلك استعار لفظ الدوس لاهانتهم وشدة امتهانهم اياهم بالبلاء وشبه ذلك بدوس الحصيد من الحنطة ونحوها وهو ظاهر ثم اشار الى تتبعها اهل تلك الضلالة للمؤمنين واستخلاصهم لايقاع المكروه بهم وشبه ذلك الاستخلاص باستخلاص الطير الحبة السمينة الممتلئة من الفارغة المهزولة وذلك ان الطير ترغب بمنقاره في سمين الحب من هزيله فيخلى عن المهزول منه ثم اخذ ينبههم على سبيل التهكم والتقريع لهم بتيهانهم على عوانهم وسؤالهم عن غاية اخذ مذاهب الضلال وعما تتيه بهم ظلم الجهالات اليه من المطالب وعما تخدعهم اوهامهم الكواذب جاذبة لهم اليه سلوكا عليهم مطلوبا اخر غير الله تعالى من طريق غير شرعية ثم سألهم عن الجهة التى يؤتون منها اى من اين اتكم هذه الامراض وهو يعلم ان الداخل انما دخل عليهم من جهلهم لكن هذا نوع من البلاغة وذكرنا انه يسمى تجاهل العارف.





زه وكتود

في بعض أخلاق النبي

وهو كقوله نعم فاين تذهبون وكان قوله فانى تؤفكون اى متى يكون انصرافكم عما انتم عليه من الغفلة وقوله ولكل اجل كتاب ولكل غيبة اياب تنبيه بالاشارة الى قرب الموت وانهم بمعرض ان يأخذهم على غفلتهم فيكونوا من الاخسرين اعمالا ثم امرهم باستماع الموعظة من الربانى العالم على الرؤوس المنبر منبهًا ثم باحضار قلوبهم وهو التفاتهم باذهانهم الى ما يقول ثم بالاستيقاظ من نوم الغفلة عند هتفته بهم وندائهم وليصدق رائد اهله مثل نزل ههنا على حذف مضاف ولا يكذب رائد اهله فاستعار لفظ الرائد للفكر ووجه المثل ان الرائد لما كان هو الذي يتقدم القوم لطلب الكلاء والماء اشبه الفكر في كونه مبعوثا من قبل النفس في طلب مرعاها ومائها من العلوم وسائر الكمالات فكنى به عن قصده واهله على هذا البيان هو النفس فكانه قال فليصدقكم فكركم ومتخيلاتكم نفوسكم وصدقها ايّاها ان تصرفها على حسب اشارة العقل فيما تقوله وتشير به دون ان تميل الى مشاركة الهوى فان الرائد اذا ارسلته النفس عن مشاركة ميل شهواتها كذبها ودلها بغرور ويحتمل ان يريد بالرائد اشخاص من حضر عنده فان كلا منهم له اهل وقبيلة يرجع اليهم فامرهم ان يصدقهم امرهم بتبليغ ما سمع على الوجه الذي ينبغي والنصيحة بالدعوة اليه كما يرجع طالب الكلاء والماء اذا وجدهما الى قومه فيبشرهم بهما ويحملهم اليه وقوله وليجمع شمله اى ما تفرق وتشعب من خواطره في امور الدنيا ومهماتها وليحضر ذهنه اى يوجهه الى ما اقول وقوله ولقد فلق لكم الامر فلق الخرزة اى وضح لكم امرا جعلهم من الدين واحكام الشريعة وقيل امورا سيكون من الفتن وشق لكم ظلمة الجهل عنه كما ينفتح باطن الخرزة لشقها وقرفه قرف الصمغة اى الفحه الكم علم بكليته والنصيحة فيه حتى لم يبق عنكم شيئا من ذلك كما يقرف الصمغة فان فيها يقال تركته على مثل مقرف الصمغة اذا لم تترك له شيئا لان الصمغة تقتلع من شجرها حتى لا يبقى عليها علقة وقوله فعند ذلك متصل بقوله من بين هزيل الحب اى فعند ما تفعل بكم تلك الفتن وسائر الضلال ما تفعل قد اخذ الباطل ماخذه اى استحكم وثبت واخذ مقاره وكنى بركوب الجهل مراكبه اى كان ذلك وقت حملته ملاحظة للتشبيه باستعارة الغارة وقد ركب خيله وكنى بمراكبه عن الجهال وقوله وعظمت الطاغية اى الفتنة الطاغية التي تجاوزت في عظمها الحد والمقدار وقلت الداعية اى دعاة الدين واهله الذين يدعون من يتبعون الى الفرقة الراعية ودوى الداعين الى الله وقوله وصال الدهر صيال السبع العقور استعار وصف الصيال للدهر ملاحظة لشبهه بالسبع ووجه الاستعارة كون الدهر مبدءا قويا لتلك الشرور الواقعة فاشبه السبع الضاري العقور في شدة صياله ثم استعار لفظ الفنيق للباطل وتبع الاستعارة بذكر الهدير والكظوم ووجه المشابهة ظهور الباطل واكرام اهله وتمكنهم من الامر والنهي كالفحل المكرم ذي الشقشقة وعنى بالهدير ظهورهم وتمكنهم وبالكظوم خفاء الباطل وخموله في زمان ظهور الحق وقوته وقوله وتواخى الناس على الفجور اى كان اتصالهم ومحبة بعضهم لبعض على الفجور واتباع الاهواء وتهاجروا على الدين اى من حسن منه قوة في دينه هجروه ورفضوه فهجرهم وتحابب على الكذب واخل تحت التواخي على الفجور والتباغض على الصدق ودخل تحت التهاجر وعلى الدين والغرض بعد ذلك تنفير السامعين عن تلك الرذائل وتخويفهم بوقوعها وقوله فاذا كان ذلك كان الولد غيظا اى اذا حدث ذلك اشتغل كل امرئ بنفسه وتنجوا بها فيكون الولد الذي هو اعز محبوب غيظا لوالده اى من اسباب الغيظ واطلق لفظ الغيظ عليه اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقوله والمطر قيظا جعل وقوع المطر قيظا من علامات تلك الشرور وهو ايضا مما يعد شرا لانه لا يثمر نباتا ولا يقوم عليه زرع ويفسد الثمار والغلات وكانه كنى به عن انقلاب احوال الخير شرورا وقوله وكان اهل ذلك الزمان الى قوله اموات اهل كل زمان ينقسمون الى ملوك واكابر واوساط واداني فاذا كان زمان العدل كان اهله في نظام سلكه فيفيض عدل الملوك على من يليهم ثم بواسطتهم على من يليهم حتى ينتهي الى اداني الناس واذا كان زمان الجور فاض الجور كذلك فكانت السلاطين سباعا ضارية بمعرفته لكل نحو من وكان اهل ذلك الزمان واكابره ذئابا ضارية على اوساط الناس وكانت الاوساط اكالا لهم وكانت الفقراء امواتا لانقطاع مادة حياتهم ممن هو اعلى منهم رتبة وتجوز بلفظ الاموات عن غاية الشدة والبلاء لكون الموت غاية ذلك اطلاقا لاسم السبب الغائي على مسببه ثم استعار لفظ الغيض لقلة الصدق والفيض لظهور الكذب وكثرته ملاحظة لتشبيههما بالماء واستعمال المودة باللسان اشارة الى النفاق وهو التودد بالقول مع التباعد بالقلوب عطفا على البغض والحسد واستعار لفظ التشاجر بالقلوب ملاحظة لشبهها بالرماح فكما ان الرماح يتشاجر بها فكذلك قلوب بعضهم تعقد على هلاك بعض والطعن بانواع المهلكات وكذلك لفظ النسب للفسوق ووجه المشابهة كون الفسق منهم يومئذ هو سبب التواصل والتزاور والتحاب كما ان النسب كذلك وصار العفاف عجبا لقلته وعدم وجوده بينهم ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا من حسن التشبيه والمشبه به ههنا هو لبس الفرو ووجه التشبيه كونه مقلوبا وبيانه انه لما كان الغرض من الاسلام ان يكون باطنا ينتفع به القلب ويظهر فيه منفعته فقلب المنافقون غرضه واستعملوه بظاهر السنتهم دون قلوبهم اشبه قلبهم له لبس الفرو اذ كان اصله ان يكون حمله ظاهر المنفعة الحيوان الذي هو لباسه فاستعمله الناس مقلوبا وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ

اى الفتنة

في توحيد الله وتنزيهه وإجلاله

ولا يسبقك من طلبت ولا يفوتك من اخذت ولا ينقص سلطانك من عصاك ولا يزيد في ملكك من اطاعك ولا يرد امرك من سخط قضاءك ولا يستغني عنك من تولى عن امرك كل سر عندك علانية وكل غيب عندك شهادة انت الابد فلا امد لك وانت المنتهى فلا محيص عنك وانت الموعد فلا منجا منك الا اليك بيدك ناصية كل دابة واليك مصير كل نسمة سبحانك ما اعظم ما نرى من خلقك وما اصغر عظيمه في جنب قدرتك وما اهول ما نرى من ملكوتك وما احقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك وما اسبغ نعمك في الدنيا وما اصغرها في نعم الآخرة **اقول** هذا الفصل من اشرف الفصول المشتملة على توحيد الله وتنزيهه واجلاله واللهف الحزن والملهوف المظلوم يستغيث والابد الدائم والامد الغاية وحاص عن الشيء عدل وهرب والمحيص المهرب وفيه اعتبارات ثبوتية وسلبية اما الثبوتية فعشرة الاول خشوع كل شيء له والخشوع هاهنا بحسب الاشتراك اللفظي اذ الخشوع من الناس يعود الى تطامنهم وخضوعهم لله ومن الملائكة دوامهم في عبادتهم ملاحظة لعظمته ومن سائر الممكنات انفعالها عن قدرته وخضوعها في رق الامكان والحاجة اليه والتسخير وان كان لا يستعمل في جميع مفهوماته حقيقة فقد بينا انه يجوز استعماله مجازا فيها بحسب القرينة وهي هاهنا اضافته الى الكل ولا ترجيح قوة المتعدد كقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فكانه قال الملك خاشع له والبشر خاشع له وهذا الاعتبار يستلزم وصفه تعالى باعتبارين احدهما كونه عظيما والثاني كونه غنيا اما العظيم فينقسم الى ما يكبر حاله في النفس ولكن يتصور ان يحيط بكماله العقول ويقف على كنه حقيقته والى ما يمكن ان يحيط ببعض العقول وان فات اكثرها وهذان القسمان انما يطلق عليهما لفظ العظمة بالاضافة وقياس كل الى ما دونه فيما هو عظيم عنه والى ما يمتنع ان يحيط به العقل اصلا وذلك هو العظيم المطلق الذي جاوز حدود العقول ان يقف على صفات كماله ونعوت جلاله وليس هو الا الله تعالى واما الغني فمستند كونه تعالى قيام كل شيء به واعلم ان جميع الممكنات اما جواهر او اعراض وليس شيء منها يقوم بذاته في الوجود اما الاعراض فظاهر لظهور حاجتها الى المحل الجوهري واما الجواهر فلان قوامها في الوجود انما يكون بقيام عللها وتنتهي الى الفاعل الاول جلت عظمته فهو اذن الفاعل المطلق الذي به قوام كل موجود في الوجود واذ ثبت انه تعالى غني عن كل شيء في كل شيء وثبت انه به قوام كل شيء ثبت انه القيوم المطلق اذ مفهوم القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره وكان هذا الاعتبار مستلزما لهذا الوصف الثالث كونه تعالى غنى كل فقير ويجب ان يحمل الفقر على ما هو اعم من الفقر المتعارف وهو مطلق الحاجة ليعم التجييد كما ان الغنى هو سلب مطلق الحاجة واذ ثبت ان كل ممكن فهو مفتقر في طرفيه في سلسلة الحاجة اليه وانه تعالى المقيم له في الوجود ثبت انه رافع حاجة كل موجود بل كل ممكن وهو المراد بكونه غنى له واطلق عليه تعالى لفظ الغنى وان كان الغني به مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب الرابع كونه عز كل ذليل وقد سبق ان معنى العزيز هو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فما اجتمعت فيه هذه المفهومات الثلاثة سمي عزيزا وسبق ايضا ان هذه المفهومات مقولة بالزيادة والنقصان على ما تصدق عليه وانه ليس الكمال في واحد منها الا الله سبحانه ويقابله الذليل وثبت انه تعالى عز كل موجود لان كل موجود سواه انما يتحقق فيه هذه المفهومات الثلاثة منه سبحانه الناظم لسلسلة الوجود والواضع لكل من الموجودات في رتبته من النظام الكلي فمنه عز كل موجود وكل موجود ذليل في نفسه الامكان والحاجة اليه في افاضة المفهومات الثلاثة عليه فهو اذن عز كل ذليل واطلاق لفظ العز عليه كاطلاق لفظ الغنى الخامس وقوة كل ضعيف القوة تطلق على كمال القدرة وعلى شدة الممانعة والدفع ويقابلها الضعف وهما مقولان بالزيادة والنقصان على من يطلقان عليه اذ ثبت انه تعالى مستند جميع الموجودات والمفيض على كل قابل ما يستعد له ويستحقه فهو المعطي لكل ضعيف عادم القوة من نفسه كماله وقوته فهو قوة كل ضعيف بالمعنيين المذكورين لها وروي ان الحسن قال واعجبا لنبي الله لوط اذ قال لقومه لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد اتراه اراد ركنا اشد من الله تعالى واطلاق لفظ القوة عليه كاطلاق لفظ الغنى ايضا السادس كونه مفزع كل ملهوف اي اليه ملجأ كل مضطر في ضرورته حال خوف او حزن او ظلم كما قال تعالى واذا مسكم الضر فاليه تجأرون واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فكل مفزع وملجأ غيره فللمضطر لا لكل مضطر ومجازي لا حقيقي واضافي لا حقيقي وهذا الاعتبار يستلزم كمال القدرة لله لشهادة فطرة ذي الضرورة بنسبة جميع احوال وجوده الى جوده ويستلزم كمال العلم لشهادة فطرته باطلاعه على ضرورته وكذلك كونه سميعا بصيرا وهما لها ومجيبا للدعوات وهو تعالى ونحوهما من الاعتبارات السابع كونه من تكلم سمع نطقه الثامن من سكت علم سره وهما اشارتان الى وصفي السميع العليم ولما كان السميع يعود الى العالم بالمسموعات استلزم الوصفان احاطته بما اظهر العبد وما ابداه واسره واخفاه في حالي نطقه وسكونه وقد سبقت الاشارة الى ذلك التاسع ومن عاش فعليه رزقه العاشر ومن مات فاليه منقلبه وهما اشارتان الى كونه تعالى مبدأ للعباد في وجودهم وما يقوم به حالا ومنتهى لهم وغاية لهم مآلا فاليه رجوع الاحياء منهم والاموات وبه قيام وجودهم حالي الحياة والممات الحادي عشر من الاعتبارات السلبية لم ترك العيون فتخبر عنك وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب كقوله اياك نعبد وهذا الالتفات وعكسه يستلزم شدة عناية المتكلم بالغنى المنتقل اليه وحسنه معلوم في علم البيان واعلم ان هذا الكلام لا بد فيه من تجوز او اضمار وذلك ان جعلنا الرائي هو العيون كما عليه اللفظ ويقصد وحقيقة لزم اسناد الفعل فيخبر اليها مجازا لكون الاخبار ليس لها وان راعينا عدم المجاز لزم ان يكون التقدير لم تر العيون فيخبر عنك اربابها او لم تر ارباب العيون فيخبر عنك فيلزم الاضمار

١٧ ج

الغاير من بينه وبين المجاز لكن قد علمت في مقدمات اصول الفقه انهما سيان في المرتبة وغرض الكلام تنزيهه تعالى عن وصف المشبهة وبقوم
واخبارهم عنه بالصفات التي من شانها ان يخبر عنها الراؤون عن مشاهدة حسية مع اعترافهم بان اخبارهم ذلك من غير رؤية ولما كان الاخبار
عن المحسوسات ومما من شانه ان يحس مما يصدق اذا استند الى الحس لاجرم استلزم سلبه لرؤية العيون له سلب الاخبار عنه من جهتها
وكذب الاخبار عنه بما لا يعلم الا من جهتها ويخبرهم وان كان في صورة الاثبات الا انه منفي لنفي لازمه وهي رؤية العيون له اذ كان الاخبار عن ما
يستلزم رؤيتها ونصبه باضمار ان عقيب الفاء في جواب النفي والكلام في تقدير شرطية متصلة صورتها لو صح اخبار العيون عنك لكانت
قد رأتك لكنها لم ترك فلم يصح ان تخبر عنك فاما قوله بل كنت قبل الواصفين من خلقك فتعليل لسلب الرؤية المستلزم لسلب الاخبار
عنها بقياس ضمير تقديره لانك كنت قبل الواصفين وكل من كان قبل واصفيه لم يروه فلم يخبروا عنه وهذه الكبرى من المظنونات المشهورات في بادي النظر
هي كما علمت من مواد قياس الخطيب وانما كانت ان تعقبت لم توجد كلية اذ ليس كلما وجد قبلنا بطل اخبارنا عنه ويمكن حمل هذا القول
على وجه التحقيق وهو ان نقول المراد بقبليته تعالى للواصفين قبلية وجوده بالعلية الذاتية وهي بهذا الاعتبار مستلزمة لتنزيهه تعالى
عن الجسمية ولواحقها المستلزم لامتناع الرؤية المستلزم لكذب الاخبار عنه من جهتها الثاني عشر كونه لم يخلق الخلق لوحشة وهو
اشارة الى تنزيهه عن الطبع المستوحش والمستانس وقد سبق بيان ذلك في الخطبة الاولى الثالث عشر ولا استعملهم لمنفعة اي لم يكن خلقه لهم
لمنفعة تعود اليه وقد سبق بيان ان جلب المنفعة ودفع المضرة من لواحق المزاج المنزه قدسه تعالى عنه الرابع عشر ولا يسبقك من طلبت اي
لا يفوتك هربا الخامس عشر ولا يفلتك من اخذت اي لا يفلت منك بعد اخذك فحذف حرف الجر وعدى الفعل بنفسه كما قال تعالى واختار موسى قومه
وهذان الاعتباران يستلزمان كمال ملكه وتمام قدرته واحاطة علمه اذ ابي ملك فرض فقد يحوم من يده الهارب ويفلت من اسره الماخوذ بالحيلة
ونحوها السادس عشر ولا ينقص سلطانك من عصاك السابع عشر ولا يزيد في ملكك من اطاعك وهما تنزيه له تعالى عن احوال ملوك الدنيا
اذ كان كمال السلطان احدهم بزيادة جنوده وكثرة مطيعه وقلة المخالف والعاصي له ونقصان ملكه بعكس ذلك هو سبب التسلط اعدائه
عليه وطمعهم فيه فاما سلطانه تعالى فلما كان لذاته وكان قد رسمنا بيانه وهو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويذل
من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير لم يتصور خروج العاصي بعصيانه عن كمال سلطانه حتى يؤثر في نقصانه ولم يكن لطاعة الطائع تاثير
في زيادة ملكه الثامن عشر ولا يرد امرك من سخط قضاءك يريد بالامر هنا القدر النازل على وفق القضاء الالهي وهو تفصيل القضاء
كما بيناه وهذا الاعتبار ايضا يستلزم تمام قدرة الله وكمال سلطانه اذ كان ما علم وجوده فلا بد من وجوده سواء كان محبوبا للعبد او مكروها
له كما قال تعالى ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وانما خصص المتسخط للقضاء بالعجز عن رد الامر لانه من شانه ان لو قدر لرد الامر التاسع عشر ولا يستغني
عنك من تولى عن امرك اراد بالامر هنا ظاهره وهو اوامر عباده بطاعته وعبادته وظاهر ان من تولى عن امر الله فهو اليه اشد فقرا وانقص
ذاتا ممن تولى امره وهذا الاعتبار يستلزم كمال سلطانه وغناه المطلق العشرون كل سر عندك علانية الحادي والعشرون وكل غيب عندك
شهادة هذان الاعتباران يستلزمان كمال احاطته وعلمه بجميع المعلومات ولما كانت نسبة علمه تعالى الى المعلومات على سواء لاجرم استوى
بالنسبة اليه السر والعلانية وايضا فان السر والغيب انما يطلقان بالقياس الى من يخفى عنه ويغيب عنه وهي القلوب المحجوبة بالطبيعة والاستار
الهيئات البدنية والارواح المستولي عليها نقصان الامكان الحاكم عليها بجهل احوال ما هو كامل منها وكل ذلك مما تنزه قدس الصانع عنه الثاني
والعشرون انت الابد فلا امد لك اي انت الدائم فلا غاية لك ينقطع عندها وجودك وذلك لاستلزام وجوب وجوده امتناع عدمه ولحوقه
بالغاية وقال بعض الشارحين اراد انت ذو الابد كما قيل انت خال اي ذو خال من الخيلاء وهو الكبر واقول تقرير ذلك انه لما كان الازل
والابد لازمين لوجود الله تعالى اطلق الابد على وجوده مجازا للمبالغة في الدوام كان احدهما هو نفس الاخر كقولهم انت الطلاق للمبالغة
في البينونة الثالث والعشرون وانت المنتهى فلا محيص عنك الرابع والعشرون وانت الموعد فلا منجا منك الا اليك اما انه تعالى المنتهى
والموعد فلقوله تعالى وان الى ربك المنتهى وقوله الى الله مرجعكم جميعا والمنتهى في كلامه الغاية وقد سبق بيان انه تعالى غاية الكل ومرجعه
واما انه لا معدل عنه ولا ملجا منه الا اليه فاشارة الى ضرورة لقائه كقوله تعالى وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه الخامس والعشرون بيدك
ناصية كل دابة اي في ملكك وتحت تصريفك وقدرتك كقوله تعالى ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها وانما خصصت الناصية لحكم الوهم بانه
في جهة فوق فيكون اخذه بالناصية ولانها اشرف ما في الدابة فسلطانه تعالى على الاشرف يستلزم القهر والغلبة وتمام القدرة السادس
والعشرون واليك مصير كل نسمة وقد سبق انه تعالى منتهى الكل واليه مصيره وقوله سبحانك ما اعظم ما نرى من خلقك الى حرة تنزيه
وتقديس لله تعالى عن احكام الاوهام على صفاته بتشبيهه بمدركاتها وتعجب في معرض التمجيد من عظم ما يشاهد من مخلوقاته كاطباق
الافلاك والعناصر وما يتركب عنهما ثم من حقارة هذه العظمة بالقياس الى ما تغيب عنا المعقول من قدرته وما يمكن في كمال قدرته
من الممكنات الغير المتناهية وظاهر ان نسبة الموجود الى الممكن في العظم والكثرة يستلزم حقارته وصغره ثم من هول ما وصلت اليه العقول من

يحجب ذلك قد

في فضيلة الملائكة

عظمة ملكوته ثم من حقارة الدنيا بالقياس اليها غاب عنها وحجبت عن ادراكها بستار القدرة وحجب العزة من الملإ الاعلى وسكان حظائر القدس وحال العالم العلوي ثم من شيوع نعمة الله تعالى على عباده في الدنيا وحقارة تلك النعم بالقياس الى النعمة التي اعدها لهم في الآخرة وظاهر ان الدنيا اذا اعتبرت الى نعم الآخرة في الدوام والكثرة والشرف كانت بالقياس اليها في غاية الحقارة وبالله التوفيق منها من ملائكة اسكنتهم سماواتك الى آخره في هذا الفصل فصول **الاول** قوله من ملائكة اسكنتهم سماواتك ورفعتهم عن ارضك هم اعلم خلقك بك واخوفهم لك واقربهم منك لم يسكنوا الاصلاب ولم يضمنوا الارحام ولم يخلقوا من ماء مهين ولم يتشعبهم ريب المنون وانهم على مكانهم منك ومنزلتهم عندك واستجماع اهوائهم فيك وكثرة طاعتهم لك وقلة غفلتهم عن امرك لو عاينوا كنه ما خفي عليهم منك لحقروا اعمالهم ولزروا على انفسهم ولعرفوا انهم لم يعبدوك حق عبادتك ولم يطيعوك حق طاعتك

اقول المهين الحقير والتشعب الانقسام والتفريق والمنون الدهر وريبه ما يكره من حوادثه والمكانة المنزلة وكنه الشيء نهاية حقيقته وزرى عليه عتب فعله واعلم انه عليه السلام في صدد هذا الفصل لبيان الجنس وذلك انه لما شرع في بيان عظمة الله تعالى وجعل مادة ذلك التعظيم تعديد مخلوقاته وذكر الاشرف فالاشرف منها فذكر الملائكة السماوية واشار الى فضيلتهم باوصاف الاول كونهم اعلم خلق الله به وهو ظاهر اذ ثبت ان كل مجرد كان علمه ابعد من منازعة النفس الامارة بالسوء التي هي مبدأ الغفلة والسهو والنسيان كان كاملا في معارفه وعلومه من عداه ولان الملائكة السماوية وسائط لغيرهم في وصول العلم وسائر الكمالات الى الخلق فكانوا كالاستاذين لمن عداهم وظاهر ان الاستاذ اعلى درجة من التلميذ وقد عرفت في الخطبة الاولى ان العارف مقول بحسب التشكيك الثاني كونهم اخوف له وذلك لكونهم اعلم بعظمة الله وجلاله وكل من كان اعلم بذلك كان اخوف واشد خشية اما الاولى فلما مر واما الثانية فلقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء حصر الخشية في العلماء وبحسب تفاوت العلم بالشدة والضعف يكون تفاوت الخشية بهما الثالث كونهم اقرب منه والمراد القرب المكاني لتنزهه تعالى عن المكان بل قرب المنزلة والرتبة منه وظاهر ان من كان اعلم به واخوف منه كان اقرب منزلة عنده لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم الرابع من سلب النقصانات البشرية عنهم كونهم لم يسكنوا الاصلاب ولم يضمنوا الارحام ولم يخلقوا من ماء مهين ولم يختلف عليهم حوادث الدهر وظاهر كون هذه الامور الاربعة نقصانات تلزم الحيوان العنصري لاستلزامها التغير والخروج عن الحال المستفادة و معاناة الاسقام والامراض وسائر الهيئات البدنية لما تعرض عن التوجه الى الله فكان سلبها عمن لا يجوز عليه كمالا له وقوله وانهم على مكانهم منك الى آخره لما بين عظمة الملائكة بالنسبة الى من عداهم شرع في المقصود وهو بيان عظمة الله تعالى بالنسبة اليهم وحقارتهم على عظمتهم بالنسبة الى عظمته وكبريائه اي انهم مع كونهم على هذه الاحوال التي توجب لهم العظمة والاجلال من قرب منزلتهم منك وكمال محبتهم لك وعزوف نفوسهم بانوار كبريائك عن الالتفات الى غيرك لو عرفوا كنه معرفتك لصغرت في اعينهم اعمالهم وعلموا ان لا نسبة لعبادتهم الى عظمتك وجلال وجهك ولما كان كمال العبادة ومطابقتها للامر المطاع بحسب العلم بعظمته وكانت ذات الحق سبحانه اعظم من ان يطلع عليها بالكنه ملك مقرب او نبي مرسل لا جرم كانت عبادة الملائكة بحسب معارفهم القاصرة عن كنه حقيقته فكل من كانت له معرفة اتم كانت عبادة من دونه مستحقرة في جانب عبادته حتى لو زادت معارفهم وامكن اطلاعهم على كنه حقيقته لزادت عبادتهم وكانت اكمل فاستحقروا ما كانوا فيه وعابوا انفسهم بقصور الطاعة والعادة والعبادة عما يستحقه كماله المطلق وعبر بقلة الغفلة عن عدمها في حقهم مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان كل معدوم قليلا ولا ينعكس وجعل قلة الغفلة في مقابلة كثرة الطاعة ويحتمل ان يريد بقلة الغفلة قوة معرفة بعضهم بالنسبة الى بعض مجازا ايضا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه اذ كانت قلة الغفلة مستلزمة لقوة المعرفة وزيادتها وقد سبق ذكر انواع الملائكة السماوية وغيرهم وذكر نكت من احوالهم في الخطبة الاولى

الفصل الثاني قوله سبحانك خالقا ومعبودا بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا وجعلت فيها مأدبة مشربا ومطعما وازواجا وخدما وقصورا وانهارا وزروعا وثمارا ثم ارسلت داعيا يدعو اليها فلا الداعي اجابوا ولا فيما رغبت رغبوا ولا الى ما شوقت اليه اشتاقوا اقبلوا على جيفة قد افتضحوا باكلها واصطلحوا على حبها ومن عشق شيئا اعشى بصره وامرض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع باذن غير سميعة قد خرقت الشهوات عقله واماتت الدنيا قلبه وولهت عليها نفسه فهو عبد لها ولمن في يديه شيء منها حيثما زالت زال اليها وحيثما اقبلت اقبل عليها لا ينزجر من الله بزاجر ولا يتعظ منه بواعظ وهو يرى المأخوذين على الغرة حيث لا اقالة ولا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون فغير موصوف ما نزل بهم اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت ففترت لها اطرافهم وتغيرت لها الوانهم ثم ازداد الموت فيهم ولوجا فحيل بين احدهم وبين منطقه وانه لبين اهله ينظر ببصره ويسمع باذنه على صحة من عقله وبقاء من لبه يفكر فيم افنى عمره وفيم اذهب دهره ويتذكر اموالا جمعها اغمض دهره ويتذكر اموالا جمعها اغمض في مطالبها واخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها واشرف على فراقها تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتعون بها فيكون المهنأ لغيره والعبء على ظهره والمرء قد غلقت رهونه بها فهو يعض

حازها

يده ندامةً على ما أصحر له عند الموت من أمره، ويزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره، ويتمنى أن الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد
دونه، فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط سمعه، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه، ولا يسمع بسمعه، يردد طرفه بالنظر في وجوههم [لسانه]
يرى حركات ألسنتهم، ولا يسمع رجع كلامهم، ثم ازداد الموت التياطاً به، فقبض بصره كما قبض سمعه، وخرجت الروح من جسده، فصار
جيفةً بين أهله، قد أوحشوا من جانبه، وتباعدوا من قربه، لا يسعد باكياً، ولا يجيب داعياً، ثم حملوه إلى مخط من الأرض، وأسلموه
فيه إلى عمله، وانقطعوا عن زورته. **أقول**: المأدبة بضم الدال وفتحها: الطعام يصنع ويدعى إليه. والوله: التحير لشدة الوجد، والحيرة.
أغمض: أي أدار من مطالبها وتساهل في وجوه اكتسابها ولم يحفظ دينه ولم يتحرج من إثم وعقاب. والهناة: المصدر من هنؤ بالفتح
وهنئ بالكسر. واللغب: الجهل. واصحر: انكشف. ورجع الكلام: جوابه وترديده. والالتياط: الالتصاق. والمخط: موضع الخط كناية عن القبر ومخط الا
ثم تجهيز ويروى بالجيم مخط القوم منزلهم. وفي هذا الفصل نكت: الأولى: أن خالقاً ومعبوداً حالان انتصبا عما في سبحانك من معنى الفعل
أي أسبحك خالقاً ومعبوداً، وأشار بذلك إلى وجوب تنزيهه في هذين الاعتبارين أعني اعتبار كونه خالقاً للخلق ومعبوداً لهم عن الشركاء و
الأنداد؛ لما قررناه أنه المنفرد بالإبداع والخلق، واستحق بذلك أن ينفرد بعبادة الكل له، ووجب تنزيهه عما لا يليق به من الشركاء
قوله: بحسن بلائك عند خلقك خلقت داراً، الجار والمجرور متعلق بخلقت. ولفظ الدار مستعار للإسلام. ولفظ المأدبة للجنة. والداعي
هو الرسول صلى الله عليه وآله. وقد جمعها الخبر في بعض صفاته صلى الله عليه وآله: إن الله جعل الإسلام داراً والجنة مأدبة والداعي إليها محمداً. ووجه الاستعارة الأولى أن
الإسلام يجمع أهله ويحميهم كالدار. ووجه الثانية أن الجنة مجمع الشهوات ومجمع اللذات كالمأدبة. ويحتمل أن يريد بالدار الآخرة
باعتبار كونها مجمعاً ومستقراً، وبالمأدبة فيها الجنة والمشتهيات لما فيها من ثمرات تلك المأدبة. وظاهر أن وجود الإسلام والجنة و
الدعوة إليها بلاء حسن من الله للخلق. وقد عرفت معنى الابتلاء منه تعالى. وقال بعض الشارحين: إن قوله بحسن بلائك متعلق بسبحانك
أو بمعبود وهو بعيد. الثالثة: قوله فلا الداعي أجابوا إلى قوله يتواعظ شرح لحال العصاة الذين لم يجيبوا داعي الله وما رغبهم
في حب الباطل من الدنيا، وفائدته التنبيه للسامعين بما لحق المخبرين لدعوته فينفرهم عن الركون إلى هؤلاء والوقوع
فيما وقعوا فيه. وأما هؤلاء فتنبيههم بما أراد عقلاً كثيرهم لعلهم يرجعون. واستعار لفظ الجيفة للدنيا، ووجه الشبه
أن لذات الدنيا وقنياتها في نظر العقلاء وأعين الصالحين منفور عنها مهروب منها مستقذرة كالجيفة، وإلى ذلك أشار الواصف لها
وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها. ويمكن [سلماً لأهلها]
أخذ معنى البيت الثاني في وجه الاستعارة المذكورة. وكذلك استعار لفظ الافتضاح للاشتهار باقتنائها وجمعها والخروج عن
الصالحين. ووجه الاستعارة أنه لما كان الإقبال على جمع الدنيا والاشتغال بها عن الله من أعظم الكبائر والمساوي في نظر الشارع
والسالكين لطريق الله، وكان الافتضاح عبارة عن انكشاف المساوي المتعارف قبحها لا جرم أشبه الاشتهار بجمعها وانكشاف الحرص عليها
الافتضاح. ويمكن أن يصدق الافتضاح هاهنا حقيقة. وكنى بأكلها عن جمعها. وتجوز بلفظ الاصطلاح في التوافق على محبتها إطلاقاً لاسم
الملزوم على لازمه، فإن الاصطلاح عبارة عن التراضي بعد التغاضب، ويلزمه الاتفاق على الأحوال. وقوله: ومن عشق شيئاً أعشى بصره وأمرض [شيئاً]
قلبه كبرى قياس دل على صغراه قوله: واصطلحوا على حبها. إلا أن الاصطلاح على محبة الشيء يستلزم شدة محبته وهو العشق، وتقديره
أن المذكورين في معرض الذم قد أعشت الدنيا أبصارهم وأمرضت قلوبهم. واستعار لفظ البصر لنور البصيرة ملاحظة لشبه المعقول
بالمحسوس، ولفظ العشا لظلمة الجهل ملاحظة للشبه بالظلمة العارضة للعين بالليل. وإسناد الإعشاء إلى الدنيا يحتمل أن يكون
حقيقة لما يستلزم محبتها من الجهل والغفلة عن أحوال الآخرة. ويحتمل أن يريد بالبصر حقيقته، ويكون لفظ العشا مستعاراً لعدم
استفادتهم بأبصارهم عبرة تصرفهم عن حب الدنيا إلى ملاحظة أحوال الآخرة. ويؤيده قوله: فهو ينظر بعين غير صحيحة، وكنى بعدم صحتها
عما يلزم العين غير الصحيحة من عدم الانتفاع بها في تحصيل الفائدة. وكذلك استعار لفظ المرض للداء الأكبر وهو الجهل استعارة لفظ المحسوس
للمعقول. وقوله: فهو يسمع بأذن غير سميعة، كنى بذلك عن عدم إفادتها عبرة من المواعظ والزواجر الإلهية كما سبق. وكذلك استعار لفظ
التخريق لتفرق عقله في شهوات الدنيا ومطالبها. ووجه الاستعارة أن العقل إذا استعمل فيما خلق لأجله من اتخاذ الزاد ليوم المعاد
واقتباس العلم والحكمة من صفحات جزئيات الدنيا والاستدلال بها على وجود الصانع وما ينبغي له ونحو ذلك مما هو كماله المسعد في الآخرة
فإنه يكون منتظماً منتفعاً به، وأما إن استعمل فيما لا ينبغي من جمع متفرقات الدنيا وتوزيع الهمة في تحصيل جزئياتها وضبطها حتى يكون
مبدأ للحزن والأسف على فوات ما فات وللخوف من زوال ما يحصل ولتفرق الهمة والحرص على جمع ما لم يحصل بعد، فإنه يكون كالثوب
المخرق الذي لا ينتفع به صاحبه. ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله: من جعل الدنيا أكبر همه فرق الله عليه همه وجعل فقره بين عينيه. الحديث.
ونسبة ذلك التخريق إلى الشهوات إذ كان زمام عقله بيد شهوته فهي تفرقه وتمزقه على حسب تفرقاتها وميولها إلى أنواع المشتهيات. وكذلك
استعار لفظ الإماتة للقلب، ووجه الشبه خروجه عن الانتفاع به الانتفاع الحقيقي الباقي كالميت. والضمير في قوله عليها يعود إلى الدنيا

في بيان فضيلة الملائكة

اي موقوف على نفسها نفسه وكنى بالتولّه عن شدّة الحب لها واطلقه مجازاً اذ التمييز للشيء بما هو من غاياته وكذلك استعار لفظ العبد له
لكونه محبّاً لها والخادم لتحصيلها منصرفاً بحسب تصريفها وصائراً الى حيث كانت حيث دارت فان كانت في يده أقبل عليها بالعمارة والحفظ وان
زالت عنه انصبّ الى تحصيلها وخدمته من كانت في يديه لغرضها فهو في ذلك كالعبد لها بل أحسن حالاً كما قال عليه السلام في موضع آخر عبد
الشهوة أذلّ من عبد الرقّ اذ الباعث لعبد الرقّ على الخدمة قد لا يفيده وقد يكون قسراً والباعث لعبد الشهوة طبيعي وشتّان ما بينهما
الرابعة قوله وهو يرى المأخوذين على الغرّة فالواو في قوله وهو للحال وهو شروع في وصف نزول الموت بالغافلين عن الاستعداد
له وما وراءه من أحوال الآخرة وكيفية قبض الموت لأرواحهم من مبدأ نزوله بهم الى آخره وكيفية أحوالهم مع أهليهم وإخوانهم وهو
وصف لا مزيد عليه في وضوحه وبلوغه وفائدته تذكير العصاة بأهوال الموت وتنبيههم من غفلاتهم في الباطل بذلك على وجوب العمل للتنبيه
للسالكين الى الله تعالى ممّا هم عليه ومراده بقوله ما كانوا يجهلون لا الموت فانه معلوم لكل احد بل تفصيل سكراته واهواله وما كانوا يأمنون
اشارة الى الموت وما بعده فان الغافل حال انهماكه في لذات الدنيا لا يعرض له خوف الموت بل يكون في تلك الحال آمناً منه وقوله
فغير موصوف ما نزل بهم اي ليس ذلك ممّا يمكن استقصاؤه بوصف بل غايته التمثيل كما ورد في الخبر ان مثل الموت كمثل شجرة شوك
ادرجت في بدن ابن آدم فتعلّقت كل شوكة بعرق وعصب ثم جذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وابقى ما ابقى واستعار لفظ
الولوج لما يتصوّر من فراق الحيوة لعضو عضو فاشبه ذلك دخول جسم في جسم آخر وكذلك استعار لفظ العبء للآثام التي تحملها النفس
ورشّح بذكر الظهر استعارة لفظ المحسوس للمعقول الخامسة قوله والمرء قد غلقت رهونه بها ضربه مثلا لحصول المرء في تبعات ما جمع
وارتباطه عن الوصول الى كماله وانبعاثه الى سعادته بعد الموت وقد كان يمكنه فكّها بالتوبة والاعمال الصالحة فاشبه ما جمع من
الهيئات الرديّة في نفسه عن اكتساب الأموال بما رهنت بها ما على الرهن من المال وقال بعض الشارحين اراد انه لما اشفى على
الفراق صارت الاموال التي جمعها مستحقة لغيره ولم يبق له فيها تصرّف فاشبهت الرهن الذي غلق على صاحبه فخرج عن كونه مستحقا
لصاحبه وصار مستحقا للمرتهن وهذا وان كان محتملا الا انه يستلزم تضييع فائدة قوله بها لان الضمير يعود الى الاموال المجموعة وهو
اشارة الى المال الذي اغلق الرهن به فلا يكون هو نفس الرهن وقوله وهو يعضّ يده كناية عمّا يلزم ذلك من الاسف والحزن والندم
على تفريطه في جنب الله حيث تكشف له حال الموت انقطاع سببه من الله وفوت ما كان يتوهم بقاءه عليه ممّا اشتغل به عن ربه وحيث
يتحسّر على ذلك التفريط كما قال تعالى ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين ويتمنى هذا او تقول لو
ان الله هداني لكنت من المتقين والرجعة الى الدنيا لاستدراك ما فرطت فيه من الاوامر الالهية فيقول حين يرى العذاب لو ان لي كرة
فاكون من المحسنين وكما قال تعالى ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا وقد نبّه عليه السلام في هذا الكلام على
ان آلة النطق تبطل من الانسان حال الموت قبل آلتي السمع والبصر بقوله فحيل بين احدهم وبين منطقه وانه لبين اهله ينظر ببصره
ويسمع باذنه على صحة من عقله ثم نبّه على بطلان آلة السمع بعدها قبل آلة البصر وان آلة البصر تبطل مع المفارقة بقوله حتى
خالط سمعه الى قوله يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم وذلك لعلمه عليه السلام باسرار الطبيعة وليس كلامه مطلقا بل في بعض الناس
واغلب ما يكون ذلك فيمن تعرض الموت الطبيعي لا الاتر والا فقد يعرض آفة لقوة البصر والنطق قبل آلة السمع وآلة النطق و
الذي يلوح من اسباب ذلك انه لما كان السبب القريب للموت هو انطفاء الحرارة الغريزية عن فناء الرطوبة الاصلية
التي منها خلقنا وكان فناء تلك الرطوبة عن عمل الحرارة الغريزية فيها بالتجفيف والتحليل وقد يعينها على ذلك الاسباب الخارجية
من الاهوية واستعمال الادوية المجففة وسائر المجففات كان كل عضو ايبس من طبيعته وابرد اسرع الى البطلان واستولى
الفناء اذا عرفت ذلك فنقول اما ان آلة النطق اسرع فساداً من آلة السمع فلان آلة النطق مبنية على الاعصاب المحركة وهي كثيرة
منها وآلة السمع من الاعصاب المفيدة للحس واتفق الاطباء على ان الاعصاب المحركة ايبس وابرد لكونها منبعثة من مؤخر الدماغ
دون الاعصاب المفيدة للحس فان جلّها منبعث من مقدم الدماغ فكانت لذلك اقرب وكان النطق اكثر شرائط من السماع لتوقفه
مع الآلة وسلامتها على الصوت وسلامة مخارجه ومجاري النفس والاكثر شروطا اسرع الى الفساد واما بطلان آلة السمع قبل البصر
فلان منبت الاعصاب التي هي محل القوة السامعة اقرب الى مؤخر الدماغ من منابت محل القوة الباصرة فكانت ايبس وابرد
واقبل لانطفاء الحرارة الغريزية ولان العصب المفروش على الصماخ الذي تنبت فيه قوة السمع احتاج ان يكون مكشوفا غير
مسدود عن سبيل الهواء بخلاف العصب الذي هو آلة البصر فكانت آلة لذلك اصلب وآلة الاصلب ايبس واسرع فساداً هذا مع
مع انه قد يكون ذلك لتحلل الروح الحامل للسمع قبل الروح الحامل للبصر او لغير ذلك والله اعلم واما سبب النفرة الطبيعية من
الميت والتوحش من قربه فحكم الوهم على المخيلة بمحاكاة حاله في نفس المتوهم وعزل العقل في ذلك حتى ان المجاور للميت في موضع
منفرد ربما يتخيل ان الميت يجذبه اليه ويصيّره بحالة مثل حالته المنفور عنها طبعاً السادسة قوله واسلموه الى عمله اشارة الى ان

بلا تقصير

بالبطلان

الوضع ٢

كل ثواب وعقاب اخروى يفاض على النفس بحسب استعدادها باعمالها السابقة الحسنة والسيئة فعمل الانسان هو النافع او الضار
له حين لا ناصر له ولما كان مبالغة في هذا الكلام الى الانذار والتخويف لاجرم ذكر اسلامهم له الى عمله لان الاسلام انما يكون
الى البعد وقلما احاول ان ينفر عن قبح الاعمال سهل على ان يعمل الانسان القبيح يكون كعدوه الهوى عليه يسلم اليه **الفصل**
الثالث قوله حتى اذا بلغ الكتاب اجله والامر مقاديره والحق آخر الخلق باوله وجاء من امر الله ما يريده من تجديد خلقه
اماد السماء وفطرها وارج الارض وارجفها وقلع جبالها ونسفها ودك بعضها بعضا من هيبة جلالته ومخوف سطوته واخرج
من فيها فجددهم بعد اخلاقهم وجمعهم بعد تفرقهم ثم ميزهم لما يريد من مسألتهم عن الاعمال وخبايا الافعال وجعلهم
فريقين انعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء فاما اهل الطاعة فاثابهم بجواره وخلدهم في داره حيث لا يظعن النزال
ولا يتغير بهم الحال ولا تنوبهم الافزاع ولا تنالهم الاسقام ولا تعرض لهم الاخطار ولا تشخصهم الاسفار واما اهل المعصية
فانزلهم شر دار وغل الايدي الى الاعناق وقرن النواصي بالاقدام والبسهم سرابيل القطران ومقطعات النيران في عذاب
قد اشتد حره وباب قد اطبق على اهله في نار لها كلب ولجب ساطع وقصيف هائل لا يظعن مقيمها ولا يفادى اسيرها
ولا تفصم كبولها لا مدة للدار فتفنى ولا اجل للقوم فيقضى **اقول** الرج والرجف الاضطراب الشديد وتدوخ الجبال بغير
هزة وهو لا شهر ونسفها قلعها من اصولها وبثها ودك بعضها بعضا تصادمت وتنوبهم تعودهم والخطر الاشراف على الهلاك وتشخص
خرج من منزله الى آخر واشخصه غيره والكلب الشدة واللجب الصوت والقصيف الصوت الشديد والكبول الاغلال واحدها كبل وفصمها
كسرها واشار بقوله حتى اذا بلغ الكتاب اجله الى غاية الناس بحصرهم وهو بلوغ الوقت المعلوم الذي يجمع له الناس وهو يوم القيمة
واراد بالامر القضاء ومقاديره وتفاصيله من الاثار التي توجد على وفقه كما سبق بيانه ولحوق الخلق باوله اشارة الى تواقيهم في الموت وتساويهم
فيه كما نطقت الشريعة به وبتجديد الخلق بعثهم واعادتهم واما امادة السماء ونسفها وارجاج الارض ونسف الجبال فظاهر الشريعة الناطق
بخراب هذا العالم ناطق به واما من زعم بقاءه فربما عدلوا الى التأويل والذي يحتمل ان يقال في ذلك وجوه احدها ان القيمة لما كانت
عندهم عبارة عن موت الانسان ومفارقته لهذا البدن ولما يدرك بواسطته من الاجسام والجسمانيات ووصوله الى مبدأه الاول
كان عدمه عن هذه الاشياء مستلزم لغيبوبتها عنه وعدمها وخرابها بالنسبة فيصدق عليه انه اذا انقطع نظره عن جميع الموجودات سوى
مبدأه الاول جلت عظمته فانها قد عدمت وتفرقت وكذا اذا انقطع نظره عن عالم الحس والخيال ومتعلقاتهما من الاجسام والجسمانيات
واتصل بالملأ الاعلى فالحري ان تبدل الارض والسموات بالنسبة اليه فيصير عالم الاجسام والجسمانيات ارضا له وعالم المفارقات سماء
الثاني ان هذه الموجودات لما كانت مقهورة بلجام الامكان في قبض القدرة الالهية كان ما نسب اليها من الانشقاق والانفطار
والارجاج والنسف وغيرها امورا ممكنة في نفسها وان امتنعت بالنظر الى الاسباب الخارجية فعبر عما يمكن بالواقع مجازا وحسنه تحقق المرتبة
معلوم وفائدته التهويل بما بعد الموت والتخويف للعصاة بتلك الاحوال الثالث قالوا ويحتمل ان يريد بالارض القوابل وبالجود الالهي استعارة
فعلى هذا امادة السماء عبارة عن حركاتها وانقضاء الاتصالات الكوكبية التي هي اسباب معدة لقوابل هذا العالم وانفطارها افاضة الجود بسبب تلك
تلك المعدات على القوابل وارجاج الارض اعداد المواد لاعادة امثال هذه الابدان او لنوع آخر بعد فناء النوع الانساني وقلع الجبال و
نسفها ودكها اشارة الى زوال موانع الاستعداد لنوع آخر ان كان او لاعادة ابناء هذا النوع استعارة وجهها ان الارض بنسف الجبال تستوي
سطوحها وتعتدل فكذلك قوابل الجود تستعد وتعتدل لان يفاض عليها صورة نوع آخر او صور اخرى لابناء هذا النوع الرابع قالوا ويحتمل
ان يريد بالسماء سماء الجود الالهي وبالارض عالم الانسان فعلى هذا يكون امادة السماء عبارة عن ترتيب كل مستحق لقابله من القضاء الالهي وفطرها
عبارة عن الفيض وارجاج الارض وارجافها عن الهرج والمرج الواقع بين ابناء نوع الانسان وقلع جبالها ونسفها ودك بعضها بالبعض عبارة
عن اهلاك الجبابرة والمعاندين للناموس الالهي وقتل بعضهم ببعض كل ذلك باسباب قهرية مستندة الى هيبة جلال الله وعظمته واخراج من فيها
وتجديدهم اشارة الى ظهور ناموس آخر وتجديد هذا الناموس والمتبع له اذن قوم آخرون هم كنوع جديد وتمييزهم فريقين منعم عليهم ومنتقم
منهم ظاهر فان المستعدين لاتباع الناموس الشرعي والقائلين به هم المنعم عليهم المثابون والمنابذين له المعرضين عنه هم المعاقبون فاما صفة
الفريقين وما اعد لكل منهم بعد الموت فعلى ما نطق به الكتاب العزيز ووصفته هذه الالفاظ الكريمة وعلى تقدير التأويلات السابقة لمن
عدل عن الظواهر فثواب اهل الطاعة جوار ربهم وملاحظة الكمال المطلق لهم وخلودهم في داره بقاؤهم في ذلك النعيم غير جائز عليهم الفناء
كما تطابق عليه الشرع والبرهان وكونهم غير ظاعنين ولا متغيري الاحوال ولا فزعين ولا ينالهم سقم ولا خطر ولا يشخصهم سفر فلان
كل ذلك من لواحق الابدان والكون في الحيوة الدنيا بحيث زالت عوارضها ولواحقها واما جزاء اهل المعصية فانزالهم شر دار
وهي جهنم التي هي ابعد بعيد عن جوار الله وغل ايديهم الى اعناقهم اشارة الى قصور قواهم العقلية عن تناول ثمار المعرفة وقرن النواصي
بالاقدام اشارة الى انتكاس رؤوسهم عن مطالعة انوار الحضرة الالهية والباسهم سرابيل القطران استعار لفظ السرابيل للهيئات البدنية

ثم فرقهم ممن ل
لهم بهر
وكلب ...
عبارة ...
المنعم منهم

في بعض أخلاق النبي

المتمكنة من جواهر نفوسهم وعن صفات الشاهد تستحق اشتمالها عليها وتمكنها منها كاشتمال السرابيل على البدن ونسبتها الى القطران اشارة الى شدة استعدادهم للعذاب
وذلك ان اشتعال النار فيما يمسه القطران شديد وهو في قوله تعالى سرابيلهم من قطران وكذلك مقطعات النيران اشارة الى تلك الهيئات التي
تمكنت من جواهر نفوسهم ونسبتها الى النار لكونها ملبوسا لها فهي منها كما قال تعالى قطعت لهم ثياب من نار ولما كان سبب الخروج من النار
هو الخروج الى الله من المعاصي بالتوبة والرجوع الى تدبر الآيات والعبر النوافع وكان البدن وحواسه ابواب الخروج الى الله فبعد الموت تغلق
تلك الابواب فلا جرم يبقى الكفار وراءها طوق تلك الابواب شديدا حرها وذلك لعذاب وهب النار روحها واصواتها لهبها المزعج اشتعالها فيها
النار المحسوسة المستلزمة للهيبة والخوف حسا للنار المعقولة التي هي في الحقيقة اشد نعوذ بالله منها وانما عدل الى المحسوس للغفلة عن
صفات تلك النار وعدم تصور اكثر الخلق لها الا من هذه الاوصاف المحسوسة وكونها لا يظعن مقيمها كناية عن التخليد وذلك في حق الكفار
ولفظ الاسير والمعذب استعارة وكذلك لفظ الكبول استعارة لقيود الهيئات الرديئة المتمكنة من جواهر نفوس الكفار وكما لا ينفصم
القيد الوثيق من الحديد كذلك لا يفك الكبل عن رقاب تلك النفوس لتقيد هذه الهيئات الرديئة لهم عن المسير في سبيل الله الى الله وعظمته وتنزه
في حيان خطابه قدسه ومقامات مضبوطة ولما كان الاجل مقدار تلك المدة لم يكن لهم بعد موتهم اجل اذ لا امد ان بعد الابد ولا خلاص
من العذاب للزوم الملكات الردية لاعناق نفوسهم وتمكنها منها فهذا ما عساهم يتأولونه ويعبرون به عن الاسرار التي يدعونها تحت هذه الالفاظ
التي وردت الشريعة بها لكنك قد علمت ان العدول الى هذه التأويلات وامثالها مبني على امتناع المعاد البدني وذلك قاصر حيث صرح به الشرع
تصريحا لا يجوز العدول عنه ونصوصا لا يحتمل التأويل واجملنا الكلام على ما وردت به الشريعة فهذا الكلام منه افصح ما يوصف به
حال القيامة والمعاد والتعرض لشرحه يجري مجرى ايضاح الواضحات وبالله التوفيق **منها** يذكر النبي ص قد حقّر الدنيا وصغّرها و
أهونها وهوّنها وعلم ان الله زواها عنه اختيارا وبسطها لغيره احتقارا فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه و
احبّ ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا او يرجو فيها مقاما بلّغ عن ربه معذرا ونصح لامته منذرا ودعا
الى الجنة مبشرا نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة وعدونا
ومبغضنا ينتظر السطوة **اقول** الرياش اللباس والفصل اقتصاص لحال الرسول ص واوصافه الحميدة ليبني عليها مادح عترته
بعد تحقيره للدنيا وتصغيرها وتهوينها اشارة الى ما كان يجذب الخلق عنها من ذكر مذامها وتفصيل معايبها واهوانه بها اشارة الى
زهده فيها وعلمه بان زواء الله اياها عنه اختيارا اشارة الى ان زهده فيها كان عن علمه باختيار الله له ذلك وتشبيها بسببا بره وهو مصلحته
باستعداد نفسه بذلك لكمال النبوة والقيام باعباء الخلافة الارضية وبسطها لغيره احتقارا لها وعلى الروايات التامة فقد عرفت معنى احتقار
من الله لها لما علم منهم فكان اعراضه عنها بقلبه وامانته ذكرها عن نفسه ومحبته ان تغيب زينتها عن عينه لئلا يتخذ منها رياشا ولا يرجو فيها مقاما
جذبا بالعناية الالهية له الى الانقطاع اليها الى الكمالات المعلومة له وخوفا ان يحطه حبها عن مقام الذي اقتضت العناية الالهية بنظام العالم
ببعثه ثم اعقب ذلك بذكر ثلاثة احوال هي ثمرة النبوة التي هي ثمرة الزهد المشار اليه وهي تبليغ رسالة ربه اعذارا الى خلقه ان يقولوا
يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين والنصح لهم انذارا بالعذاب الاليم في عاقبة الاعراض عن الله ودعاؤه الى الجنة مبشرا للسالكين سبيل
الله ونهجه المستقيم بما اعد لهم فيها من النعيم المقيم ثم عقب اقتصاص تلك الممادح بالاشارة الى فضيلة اهل بيته منه في معرض المفاخرة
بينه وبين مشاجريه كمعاوية فاشار الى فضيلتهم من جهة اتصاله بالرسول ص اذ كان من اهل البيت الذي هو شجرة النبوة ومحط الرسالة
ومعدن العلم وينبوع الحكمة بافضل مكان بعد الرسول ص كما سبق بيانه في بيان فضائله ولفظ الشجرة والمعادن والينابيع
مستعار كما سبق واذا كان من تلك الشجرة كما علمت وكل غصن من الشجرة فقسطه من الثمرة بحسب قربه من الاصل وعناية الطبيعة
به علمت مقدار فضيلته ونسبتها الى الرسول ص وقوله بعد ذلك ناصرنا ومحبنا الى آخره ترغيب في نصرته ومحبته وجذب اليهما بالوعد برحمة
الله وتنفير عن عداوته وبغضه وحذر لانه يطلب سطوة الله ولعل ذلك هو غاية هذا من ذكر فضيلته وبالله التوفيق والعصمة

ومن خطبة له عليه السلام ان افضل ما توسل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فانه ذروة
الاسلام وكلمة الاخلاص فانها الفطرة واقام الصلاة فانها الملة وايتاء الزكاة فانها فريضة واجبة وصوم شهر رمضان فانه
جنة من العقاب وحج البيت واعتماره فانهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب وصلة الرحم فانها مثراة في المال ومنسأة في الاجل
وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء وصنائع المعروف فانها تقي مصارع الهوان
افيضوا في ذكر الله فانه احسن الذكر وارغبوا فيما وعد المتقين فان وعده اصدق الوعد واقتدوا بهدي نبيكم فانه افضل
الهدي واستنوا بسنته فانها اهدى السنن وتعلموا القرآن فانه احسن الحديث وتفقهوا فيه فانه ربيع القلوب واستشفوا
بنوره فانه شفاء الصدور واحسنوا تلاوته فانه انفع القصص وان العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق
من جهله بل الحجة عليه اعظم والحسرة له الزم وهو عند الله الوم **اقول** ذروة الشيء اعلاه والملة الدين والجنة الوقاية

الواضحة
عنها عن
فدوتنا
الاعراض
فانها

في وجه فضيلة الجهاد

وبه خفضان بفتح الضاد وتسكين الفاء والرخص الغسل والثراة المكثرة وهي محل الكثرة المال والثروة عبر والمنساة محل النساء وهو التأخير والإفاضة في الذكر الاندفاع فيه والهدى ضد الاضلال وهو مصدر وقد اشار عليه السلام بهذا الفصل الى ان افضل الوسائل الموصلة الى الله سبحانه هو الايمان الكامل فالايمان بالله هو التصديق بوجوده وهو اشارة الى اصل الايمان ثم له لواحق وكمالات احدها التصديق برسوله وانما قدمه على سائر العبادات لانه اصل لها الا انفع منه وثانيها الجهاد في سبيله وقد عرفت فضائل الجهاد فيما سلف واشار الى وجه فضيلته بكونه ذروة الاسلام واستعار لفظ الذروة له ملاحظة لشبهه في العلو والمرتبة في الاسلام بالسنام للبعير وانما قدمه على الصلوة لكون سالكه على يقين من لقاء الله وقوة من التصديق بما جاء به الرسول حيث يلقي بنفسه الى التهلكة الحاضرة التي ربما يغلب على ظنه او يتيقنها ولانه الاصل الاعظم في جمع العالم على الدين الثالث كلمة الاخلاص وهي كلمة التوحيد المستلزمة لنفي الشركاء والانداد وهي معنى الاخلاص ولذلك اضيفت اليه ووجه فضيلتها كونها فطرة الله التي فطر الناس عليها فان العقول السليمة لم تزل عن شوائب العلائق البدنية وعوارض التزيين شاهدة ومقرة بما اخذ عليها من العهد القديم من توحيد صانعها وبراءته عن الكثرة واطلق عليها اسم الفطرة وان كانت الفطرة عليها مجازا اطلاقا الاسم الملزوم على لازمه الرابع اقام الصلوة وانما جعلها الملة وان كانت بعض اركان الدين لانها الركن القوي من اركانه فاطلق عليها ذلك اللفظ اطلاقا لاسم الكل على الجزء مجازا واعلم ان للصلوة فضائل واسرارا يجب التنبيه عليها اما فضيلتها فقد ورد فيها اخبار كثيرة بعد تأكيد القرآن الكريم للامر بها كقوله صلى الله عليه وآله الصلوة عمود الدين من تركها فقد هدم الدين وقوله مفتاح الجنة الصلوة وقوله في فضل اتمامها ان الرجلين من امتي يقومان في الصلوة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وقوله اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وقوله من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر الله له ذنوبه واما اسرارها فينقسم الى عامة والى خاصة اما العامة فقد بيناها فيما سلف في ذكر الحج في الخطبة الاولى السر العام لجميع العبادات وهي كونها متممة للغرض الثاني من اغراض العارفين من الرياضة ومعينة على تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وتمرينها على موافقتها واذا لاح لك هذا السر فقد علمت ان جميع الآيات والاخبار الواردة في فضلها يرجع معناها اليه ككونها عن الفحشاء والمنكر في قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذ كان سببهما القوة الشهوية والغضبية اذا خرجت عن حكم العقل فاذا كانت الصلوة هي التي توجب دخولها تحت حكم العقل والعقل ناه عن الفحشاء والمنكر فقد كانت الصلوة هي السبب في الانتهاء فكانت ناهية فظهر ايضا معنى كونها عماد الدين اذ قال بني الاسلام على خمس وكل منها عماد بحسب نسبته لانه من اخل بها فقد هدم بنيانه الذي يصعد به الى الله وكذلك كونها مفتاح الجنة اذ بها ينفتح باب من ابواب الوصول الى الله ولذلك ظهر التفاوت الذي بينه عليه السلام في صلوة الرجلين من امته فانه اذا كانت فائدة الصلوة هو الالتفات الى الله تعالى بقمع الشيطان وكان احد الرجلين في صلوته خاشعا لحضرة الله مستحضرا لعظمته والاخر غافلا عن هذه الجهة فقد صرف الشيطان وجه قلبه الى غير القبلة فاين احدهما من الآخر وكذلك ما اشار اليه من التخويف لمن يحول وجهه في الصلوة فانها كناية عن الغفلة عن الالتفات الى الله وملاحظة عظمته في حال الصلوة فان الملتفت يمينا وشمالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة انوار كبريائه ومن كان كذلك فيوشك ان تدوم تلك الغفلة عليه فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلة عقليته للامور العلوية وعدم اكرامه بشيء من العلوم والقرب الى الله وكذلك غفران ذنب المصلي بسبب ترك حديث نفسه بشيء من الدنيا فانه في تلك الحال ملتفت الى الله تعالى غافل عن غيره والالتفات اليه روح العبادة وخالصها ولذلك قال صلى الله عليه وآله انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك المذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلا بالله عن كل شيء وكان علي عليه السلام اذا حضر وقت الصلوة يتململ ويتزلزل ويتلون فيقال له ما لك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارضين فابين ان يحملنها واشفقن منها وكان علي بن الحسين عليه السلام اذا حضر للوضوء اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول ما تدرون بين يدي من اقوم وكل ذلك اشارة الى ان خاصة عظمة الله والالتفات اليه حال العبادة والانقطاع عن غيره واما ما يخصها من الاسرار فقد علمت ان الصلوة ليس الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود اما الذكر فلانه محاورة ومناجاة لله تعالى وغايتها استلزام الالتفات اليه وما ذكر يجذب القوى الشيطانية تحت قياد العقل وتسمى نحوها من ذلك وهو المقصود من القراءة والاذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء وليس المقصود منه الحروف والاصوات فيخبأ اللسان بالعمل وان حصلت الغفلة فان تحريك اللسان بالهذيان خفيف على اللسان لا كلفة فيه من حيث انه عمل وليس من حال الذكر وفضيلته وغايته في موضع الذي بيناه تم واما الركوع والسجود والقيام والقعود فالغرض منها التعظيم لله تعالى المستلزم للالتفات اليه وذكره ايضا اذ لو جاز ان يكون معظما لله بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يعظم صنما موضوعا بين يديه وهو غافل عنه يؤيد ذلك ما روى عن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا في الصلوة فلا صلوة له وقال عليه السلام ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها واذا عرفت ان الاصل من اركانها هو الالتفات الى الله تعالى فاعلم ان الالتفات اليه مستلزم للتأكيد التذكر والتفهم

الزهو بقرة ل

في اسرار بعض العبادات

لان الالتفات اليه انما يدوم بدوام التذكر بآلائه وعظمته والمطالعة لها ليس الا الفكر الذي هو عين البصيرة وحقيقة العقل الانساني ثم ان التذكر والتفهم
مستلزم للتعظيم فان مطالعة عظمة الله اعظم من ان لا يعظمها العارف بها والتعظيم مستلزم للخوف والرجاء فانا نجد عند مطالعة صفوة ملك
من ملوك الدنيا وجدنا ان ضرورتنا انا نستشعر عن مكالمته ومحاورته ويلزم معه السكون والخضوع وربما يتبع ذلك رعدة البدن وتلعثم
اللسان ومنشأ كل ذلك الخوف الحادث عن تصور عظمته فكيف بتصور جبار الجبابرة ومالك الدنيا والآخرة وكذا الرجاء فانا عند
تصور عظمة الله نتصور ان الكل منه وذلك باعث على رجائه خصوصا وقد تأكد ذلك بالآيات الواردة في باب الخوف والرجاء وكذا يستلزم
الحياء لان المتصور لعظمة الله لا يزال يستشعر تقصيره ويتوهم ذنبا وذلك الاستشعار والتوهم يوجب الحياء من الله سبحانه الخامس ايتاء
الزكوة وهي ركن قويم من اركان الدين واشار الى وجه فضيلتها بكونها فريضة واجبة قال قطب الدين الراوندي اراد بالفريضة السهم المقطوع
من المال للفقراء المستحقين المسمى زكوة فقال وهو عرف شرعي لان الفريضة بمعنى الواجب فان كل العبادات الواجبة كذلك ولان الفرض و
الواجب بمعنى فيكون قوله فريضة واجبة تكرارا واقول ما ذكره وجه حسن وهو اشارة الى بعض اسرارها كما نبينه ولهذه العبادة مع السر
العام الشامل لجميع العبادات وهو الالتفات الى الله ثم محبته اسرار بعضها الاول ان المراد بكلمة الشهادة التوحيد المطلق وافراد المعبود
بالتوحيد للمعبود وذلك لا يتم الا بنفي كل محبوب عداه فان المحبة لا تحتمل الشركة والتوحيد باللسان قليل الفائدة في الباطن وانما تمتحن
درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلائق لانها آلة تمتعهم بالدنيا انسهم بها ونفرتهم عن الموت فامتحنوا بتصديق
دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو معشوقهم كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ولما
فهم الناس هذا المعنى انقسموا اقساما فطائفة اخلصوا وآثروا معشوقهم ووفوا بعهده فبذلوا اموالهم ولم يدخروا منها شيئا حتى قيل لبعضهم
كم تجب من الزكوة في مائتي درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع خمسة دراهم واما علينا فيجب بذل الجميع ومنهم من قعد عن هذه المرتبة وامسكوا
اموالهم وراقبوا مواقيت الحاجة ومواسم الخيرات وجعلوا قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرفوا الفاضل عن
الحاجة الى وجوه البر وهؤلاء لا يقتصرون على واجب الزكوة كالنخعي والشعبي ومجاهد وقيل للشعبي هل في المال حق سوى الزكوة فقال نعم اما
سمعت قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوي القربى الآية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون ولم يجعلوا ذلك مخصوصا بآية الزكوة بل هو
داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته بما يفضل عن مال الزكوة ومنهم من اقتصر على اداء
الواجب من الزكوة من غير زيادة ولا نقصان وهي ادون الرتب وقد اقتصر جميع العوام على ذلك لجهلهم بسر البذل وبخلهم بالمال وضعف حبهم للآخرة
ويلزم من السر تطهير ذوي الاموال عن رذيلة البخل فانها من المهلكات قال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وبيان
كونه مهلكا انه انما يحصل عن محبة المال وقد علمت ان الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما يقرب من احديهما يبعد من الاخرى فكانت محبة
المال صارفة عن التوجه الى الله مبعدة منه وذلك يستلزم الهلاك الاخروي وانما تزول هذه الرذيلة بتعود البذل اذ حب الشيء لا ينقطع — كما بيناه
الا بقهر النفس على مفارقته بالتدريج حتى يصير ذلك عادة فالزكوة بهذا المعنى طهور اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته
بقدر بذله وفرحه واستبشاره بصرفه في جنب الله طاعة وتحببا ومما لا خطر له فكل محبوب عداه عن سمت القبلة السر الثاني شكر النعمة
فان لله على العبد نعمة في نفسه وشكرها العبادات البدنية ونعمة في ماله وشكرها العبادات المالية وابشع احوال الخسة وابعد عن رحمة الله
من ينظر الى الفقير قد ضيق عليه في الرزق ثم اضطر اليه فلم يسمح نفسه بان يؤدي شكر الله على اغنائه عن السؤال واحوج غيره اليه بعشرها
او بربع عشرها السر الثالث يتعلق باصلاح المدن وتدبير احوال اهلها وهو ان جعل الله هذا القرض في اموال الاغنياء شركة للفقراء لان يسد
بها خلتهم والى ذلك الاشارة بكونه فريضة واجبة وفي هذا السر سران احدهما ان يكون ذلك عونا لهؤلاء على عبادة الله كي لا يشتغلوا بالطلب عنها
الثاني ان تنكسر هممهم عن حسد اهل الاموال والسعي بالفساد في الارض فلا ينتظم امر المدينة وتكون قلوبهم ساكنة الى ذلك القدر متعلقة به — الهمم
مستمدة من الله نعمه بالدعاء في حفظه فتقع مع اهل الاموال مجذوبة اليه فيتم بذلك امر المشاركة والمعاونة والانس والمحبة الموجبة للالفة
الموجبة لنظام العالم وقوام امر الدين وبقاء نوع الانسان الى الاجل السادس صوم شهر رمضان وتخصيصه بكونه جنة من العقاب لان
سائر العبادات كذلك لما انه اشدها وقاية وبيان ذلك انه يستلزم قهر اعداء الله التي هي الشياطين المطيفة بالانسان فان وسيلة الشيطان
هي الشهوات وانما تقوى الشهوة وتشتد بالاكل والشرب ولذلك قال رسول الله ص ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه
بالجوع وقال ص لعائشة داومي قرع باب الجنة قالت بماذا قال بالجوع فكان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه و
تضييقا لمجاريه ولما كان العقاب انما يلحق الانسان ويتفاوت في حقه بالشدة والضعف بحسب تفاوت قربه من الشيطان وبعده وكانت هذه
العبادة ابعد بعيد عن الشيطان كان سببها العبد بعيدا عن العقاب فلذلك خصت بكونها وقاية منه واعلم ان هذه العبادة وان كانت
عدمية الا انها ليست عدما صرفا بل عدم ملكة يحرك من الطبيعة تحريكا شديدا يتنبه صاحبه انه على جملة من الامر ليس هو داخله كسبب
ما ينويه من ذلك وانه التقرب الى الله سبحانه كما هو غاية السر العام للعبادات السابع حج البيت واعتماره وقد سبقت منا الاشارة الى اسراره

في الخطبة

١٨ ح

في اسرار بعض العبادات

في الخطبة الاولى والثانية ذكره فيهما كونهما ينفيان الفقر ويغسلان الذنب لجمع فيه بين منفعة الدنيا ومنفعة الاخرة اما منفعة الدنيا فكونهما
ينفيان الفقر وذلك بسبب التجارة الحاصلة فيه في موسم الحج وقيام الاسواق بمكة واما منفعة الاخرة فكونهما يغسلان الذنب عن لوح النفس
كما علمته في اسرار العبادات وهي من المنافع المشار اليها في القران الكريم بقوله ليشهدوا منافع لهم قال اكثر المفسرين هي منافع الدنيا من التجارة
وهو المنقول عن سعيد بن جبير وابن عباس في رواية ابي رزين عنه ومنهم من جعلها عامة في منافع الدنيا والاخرة كالتجارة والثواب وهو المنقول
عن مجاهد وابن عباس في رواية عطاء عنه الثامن صلة الرحم وذكر من فوائدها امرين احدهما كونها مثراة في المال وذلك من وجهين احدهما
ان العناية الالهية قسمت لكل حي قسطا من الرزق ينال به متاع الحيوة الدنيا ويقوم به صورة بدنه فاذا اعدت شخصا من الناس
للقيام بامر جماعة وكفالته بامدادهم ومعونتهم وجب في العناية افاضة ارزاقهم على يديه وما يقوم بامدادهم بحسب استعداده لذلك سواء كانوا ذوي
ارحام او مرحومين في نظره حتى لو نوى قطع احد منهم فربما نقص ما له بحسب نصيب ذلك المقطوع وذلك معنى كونها مثراة للمال الثاني ان
صلة الرحم من الاخلاق الحميدة التي يستمال بها طباع الخلق فواصل رحمه مرحوم في نظر الكل فيكون ذلك سببا للامداد ومعونته من
ذوي الامداد والمعونات كالملوك ونحوهم فكانت صلة الرحم مظنة لزيادة المال والثاني كونها منساة للاجل وهو من وجهين احدهما
ان صلة الرحم توجب تعاطف ذوي الارحام وتوازرهم ومعاضدتهم لواصلهم فيكون عن اذى الاعداء ابعد وفي ذلك مظنة تاخير وطول
عمره الثاني ان مواصلة ذوي الارحام توجب تعلق هممهم ببقاء واصلهم وامداده بالدعاء ويكون دعاؤهم له وتعلق هممهم ببقائه من روابط
بقائه ودوام اجله فكانت مواصلته منساة في اجله التاسع صدقة السر وذكر من فوائدها كونها تكفر الخطيئة وانما خصها بذلك مع ان
سائر العبادات كذلك لكونها ابعد عن الرياء وتخالطها الابتغاء لوجه الله تعالى فكان الاخلاص فيها اتم فكانت اولى بالتقريب من الله و
محو الخطيئة العاشر صدقة العلانية وذكر من فوائدها انها تدفع ميتة السوء وبيان ذلك ان صدقة العلانية تستلزم الشهرة بفعل
الخيرات وتوجب الذكر الجميل للمتصدق ولما كانت ميتات السوء كالحرق والغرق والصلب والقتل ونحو ذلك من الاحوال الشنيعة التي
تكثر نفرة الناس عن الموت عليها وكان قليلا ما يقع شيء منها بقصد من الناس لمن احبوه واشتهر بالرحمة واستجلاب قلوب الفقراء له
والايثار فلا جرم كانت تلك الصدقة مظنة لدفع ميتات السوء الحادي عشر صنائع المعروف وذكر من فوائدها انها تقي مصارع الهوان وتقريره قريب
مما قبله لان اصطناع المعروف مستلزم لالتفاف قلوب الخلق واجتماعهم على محبة المصطنع فقلما يقع مع ذلك في شيء من مصارع هوان ثم لما فرغ
من تعداد كمالات الايمان امر بما يؤكدها في القلوب ويثبته وهي امور احدها الاندفاع في ذكر الله وهو من مؤكدات الايمان بورود عقيبه بكونه
احسن الذكر وذلك لما يستلزمه من الحصول على الكمالات المسعدة في الاخرة والوصول الى الله كما ستبين غايته وفضيلته في موضعه الثاني
الرغبة فيما وعد المتقين من ثواب الاخرة وتوابعه وهو من مؤكدات طاعته والعمل له ولما كان الخلف في خبره تعالى محالا كان وعده اصدق الوعود
الثالث الاقتداء بهدى النبي ص الرابع اتباع سنته ولما كان افضل الانبياء كانت سنته اشرف السنن والاقتداء به واتباع سنته اهدى
الطرق الى الله الخامس تعلم القران وظاهر كونه من مؤكدات الايمان بالله ورسوله واستعار له لفظ الربيع ووجه المشابهة كون القران جامعا
لانواع العلوم الشريفة والاسرار العجيبة اللطيفة التي هي متنزه القلوب كما ان زمن الربيع محل الازهار الرائقة التي هي متنزه النظر ومطرح السرور
السادس الاستشفاء بنوره وظاهر كونه شفاء للقلوب من ظلمة الجهل السابع حسن تلاوته وذلك لان حسن تلاوته مظنة تفهم معانيه و
تدبرها وبحسن تلاوته تظهر فوائده ويحصل منفعة مقصوده ولما يكون انفع القصص اذا تلي حق تلاوته كما سبق بيانه ثم اكد الاوامر المذكورة
بالاعمال التي عددها بما ينبغي ان يعمل على وفق العلم بالتنبيه على نقصان العالم الذي لا يعمل بعلمه مستويا وكذا بينه وبين الجاهل الغافل
عن سواء سبيل الله ووجه التسوية اشتراكهما في ثمرة الجهل وهو الجور عن قصد السبيل وفي عدم الانتفاع بفائدة العلم وثمرته وهي الاعمال
الصالحة ثم جعل حال العالم اخس لثلاثة اوجه احدها ان الحجة عليه اعظم لان للجاهل ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين وليس للعالم
ذلك وروى عن الرسول ص انه قال العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن ادم وعلم في القلب فذلك العلم النافع اي الذي
يستلزم الطاعة بالعمل الثاني ان الحسرة له الزم وذلك لان النفوس الجاهلة غير عالمة بمقدار ما يفوتها من الكمال بالتفصيل فاذا فارقت
ابدانها فهي وان كانت محجوبة عن ثمار الجنة وما اعد الله فيها لاولياء العلماء الا انها لما لم تجد لذتها ولم تطعم حلاوة المعارف الالهية
لم تكن لها كثيرة حسرة عليها ولا اسف على التقصير في تحصيلها بخلاف العارف بها العالم بنسبتها الى اللذات الدنيوية فانه بعد المفارقة
اذا علم وانكشف له ان المفارق له والمانع عن الوصول الى حضرة جلال الله هو تقصيره في العمل بما علم مع علمه بمقدار ما فاته من الكمالات واللذات كان
اسفه وحسرته على ذلك اشد الحسرات وجرى ذلك مجرى من علم قيمة جوهرة ثمينة دنياوية جملة من المال ثم اشتغل عن تحصيلها ببعض
لعب حتى فاتته فانه يعظم حسرته عليها وندمه على التفريط فيها بخلاف الجاهل بقيمتها الثالث انه يكون عند الله الوم واشد بالائمة لبعد
المفارقة مجازي بانقطاع لسان حاله عن العذر في معصيته عن علم وانما يكون الوم لان اقدام العالم على المعصية التي علم قبحها انما يكون عن نفس
في غاية الانقياد للنفس الامارة بالسوء والطاعة لابليس وجنوده طاعة تفضل على طاعة الجاهل وانقياده لقيام الصارف في حق العالم وهو

في ذم الدنيا وتركها

عليه بغيتها وتبرع الداعي اليها عليه وعدم الشارف في حق الجاهل ولا شك ان اشد البلاء ثم اشد الاشد ابتلاء الانبياء ثم الاولياء حضوصا اهل العلم بما ابتلى به صبيا نفسه من الهلاك ظاهرا اذ يكون اللوم عند الله وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلم** اما بعد فاني احذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتحببت بالعاجلة وراقت بالقليل وتحلت بالامال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة حائلة زائلة نافدة بائدة اكالة غوالة لا تعدو اذا تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضاء بها ان تكون كما قال الله تعالى كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا لم يكن امرؤ منها في حبرة الا اعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته من ضرائها ظهرا ولم تطله فيها ديمة رخاء الا هتنت عليه مزنة بلاء وحري اذا اصبحت له منتصرة ان تمسي له متنكرة وان جانب منها اعذوذب واحلولى امر منها جانب فاوبى لا ينال امرؤ من غضارتها رغبا الا ارهقته من نوائبها تعبا ولا يمسي منها في جناح امن الا اصبح على قوادم خوف غرارة غرور ما فيها فانية فان من عليها لا خير في شيء من ازوادها الا التقوى من اقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه كم من واثق بها قد فجعته وذي طمانينة اليها قد صرعته وذي ابهة قد جعلته حقيرا وذي نخوة قد ردته ذليلا سلطانها دول وعيشها رنق وعذبها اجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام واسبابها رمام حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ملكها مسلوب وعزيزها مغلوب وموفورها منكوب وجارها محروب الستم في مساكن من كان قبلكم اطول اعمارا وابقى اثارا وابعد امالا واعد عديدا واكثف جنودا تعبدوا للدنيا اي تعبد واثروها اي ايثار ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ولا ظهر قاطع فهل بلغكم ان الدنيا سخت لهم نفسا بفدية او اعانتهم بمعونة او احسنت لهم صحبة بل ارهقتهم بالقوادح واوهقتهم بالقوارع وضعضعتهم بالنوائب وعفرتهم للمناخر ووطئتهم بالمناسم واعانت عليهم ريب المنون فقد رايتم تنكرها لمن دان لها واثرها واخلد اليها حين ظعنوا عنها لفراق الابد هل زودتهم الا السغب او احلتهم الا الضنك او نورت لهم الا الظلمة او اعقبتهم الا الندامة افهذه تؤثرون ام اليها تطمئنون ام عليها تحرصون فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها فاعلموا وانتم تعلمون بانكم تاركوها وظاعنون عنها واتعظوا فيها بالذين قالوا من اشد منا قوة حملوا الى قبورهم فلا يدعون ركبانا وانزلوا فلا يدعون ضيفانا وجعل لهم من الصفيح اجنان ومن التراب اكفان ومن الرفات جيران فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما ولا يبالون مندبة ان جيدوا لم يفرحوا وان قحطوا لم يقنطوا جميع وهم احاد وجيرة وهم ابعاد متدانون لا يتزاورون وقريبون لا يتقاربون حلماء قد ذهبت اضغانهم وجهلاء قد ماتت احقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم استبدلوا بظهر الارض بطنا وبالسعة ضيقا وبالاهل غربة وبالنور ظلمة فجاؤوها كما فارقوها حفاة عراة قد ظعنوا عنها باعمالهم الى الحيوة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين **اقول** الحبرة السرور والفجعة الرزية وغوالة اي تاخذ على غرة واوبى امرض والغضارة طيب العيش وقوادم الطير مقاديم ريش جناحه واوبقه اهلكه والابهة العظمة ورنق كدر ورمام بالية منقطعة والمحروب مسلوب المال والمنعم ... وعفرتهم والامر اعناله واثقله والقارعة الداهية الشديدة وضعضعتهم اذلتهم والمناسم اخفاف الابل والسغب الجوع والاجنان جمع جنن جمع جنة وهي الستر واعلم ان مدار هذا الفصل على التحذير من الدنيا والتنفير عنها بذكر معايبها وغير ذلك فالاولى استعار لفظ الحلاوة والخضرة المتعلقين الذوق والنظر لما يروق منها ويلذ النفس ووجه المشابهة المشاركة في اللذة الا انهما اخص متعلق هذين الحسين لاكثر الناس دينهما الى ... لانه نادر بواسطتها دون سائر الحواس الثاني وصف الدنيا بكونها محفوفة بالشهوات وفي الخبر حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات قال المحققون وفي ذلك تنبيه على ان النار هي الدنيا وتحتها نعيد الغافر ... قلت ان ذلك غير مفهوم من كلامه واما معنى الخبر فجاز ان يراد فيه النار المعقولة فيكون من باب ... وجاز ان يراد بالنار المحسوسة ويكون المعنى على التقديرين ان النار انما تدخل الانهماك في مشتهيات الدنيا ولذاتها والخروج في اشتغالها عما ينبغي فكانها لذلك محفوفة ومحاطة بالشهوات لا يدخل اليها الا منها واراد بالعاجلة اللذات الحاضرة التي مالت القلوب الى الحيوة الدنيا بسببها فاشبهت المراة المحببة بما لها وجمالها فاستعير لها لفظ التحبب وكذلك قوله راقت بالقليل اي اعجبت بزينتها القليلة بالنسبة الى متاع الاخرة كمية وكيفية وكذلك تحليها بالامال الكاذبة المنقطعة وتزينها بما هو في نفس الامر غرور وباطل فانه لولا الغرور والغفلة عن عاقبتها لما زانت في عيون طالبيها الثالثة استعار لفظها اوصاف الحسان الخدوع وهي كونها غرارة وغوالة اي كثيرة الاستغفال لاهلها والخداع لهم ووصفها بالسبع العقور لكونها اكالة لهم وكنى بالاولين عن كونها كالمخادع في كونها سببا لغفلتهم عما خلقوا لاجله بالاشتغال بها والانهماك في لذاتها وبالاكالة عن كونها كالسبع في افنائهم بالموت وطحنهم تحت التراب الرابعة معنى قوله لا تعدو الى قوله مقتدرا ان غاية صفاتها للراغبين فيها والراضين بها ومواضعها لهم لا يتجاوز المثل وهو ان تزهر في عيونهم وتروقهم محاسنها ثم عن قليل تزول عنهم فكانها لم تكن كما هو معنى المثل المضروب لها في القران الكريم واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء الاية الخامسة كنى بالعبرة عن الحزن المعاقب للسرور وتخصيص البطن بالسراء والظهر بالضراء

بجعل اثره

ويحتمل امرين احدهما ان يريد بطن المجن وظهره وذلك من لبس لامته في حال الحرب ان يلقى الادبار ظهر المجن في حال السلم ان يلقى المجن فيكون بطنه لمن
تجري المثل بين حق المتكرين والمخاصمين سيد وسلم فقيل قلب له ظهر المجن كما قال علي عليه السلام لابن عباس في بعض كتبه اليه قلبت لابن عمك ظهر المجن فكذلك
استعمل ههنا لفظهما للمرء بطنها في اقبالها عليه ولفظ ظهرها في ادبارها عنه وتحاربها له الثاني يحتمل ان يريد بطنها وظهرها وذلك
ان العادة فيمن يلقى صاحبه بالبشر والسرور ان يلقاه بوجهه وبطنه وفيمن يلقاه بالتنكير والادبار ان يلقى بظهره موليا عنه فاستعير لذلك لفظ البطن
وعبر بهما عن اقبالها وادبارها **السادس** انما خص منها بالجناح لان الجناح محل التغير بسرعة فنبه به على سرعة تغيرها وانما خص الجناح
بالقوادم من الجناح لان القوادم هي رأس الجناح وهي الاصل في سرعة حركته وتغيره وهو في مساق ذمها والتخويف منها فحسن ذلك التخصيص
ومراده انه وان حصل فيها امن فهو في محل التغير السريع والخوف الشديد لتخصيصه بالقوادم السابع نبه ان لا خير في شيء من ازوادها الا التقوى استثنى
ما هو المقصد من خلق الدنيا ووجود هذا النوع فيها وهو التقوى الموصل الى الله سبحانه وانما كان من ازواد الدنيا لانه لا يمكن تحصيله
الا فيها وقد سبقت الاشارة اليه في قوله فتزودوا من الدنيا ما تحرزون به انفسكم غدا وظاهر انه لا خير فيما عداه من ازوادها لفنائه ومضرته
في الاخرة الثامن من اقل منها استكثر مما يؤمنه اي من الزهد فيها وقد عرفت كيفية الامان من عذاب الله ومن استكثر منها استكثر مما
يوبقه وهو ملكات السوء الحاصلة عن حب قيناتها وملذاتها الفانية الموجبة للهلاك بعد مفارقتها وزوالها التاسع استعار لفظ
العذب والحلو للذاتها ولفظي الاجاج وهو المالح والصبر المشوب لما فيها من الكدر بالامراض والتغيرات ووجه الاستعارات الاشتراك
في الالتذاذ والايلام العاشر استعار لفظ الغذاء وكنى به عن لذاتها ايضا ولفظ السمام له ووجه الاستعارة ما يستعقب الاكثار من
لذاتها من الهلاك في الاخرة كما يستعقبه شرب السم والسمام جمع سم ثم اعقب التحذير منها بالتنبيه على مصارع السابقين فيها ممن كان
اطول اعمارا واشد بأسا من تغيرها بهم وتنكرها لهم مع شدة محبتهم وتعلقهم بها والسؤال على سبيل الانكار عن دوام سرورها وحسن
صحبتها اياهم وصرح بعدم ذلك بالانكار بقوله بل ارهقتهم بالفوادح واستعار لها لفظ الارهاق والقضقضة والتعفير والوطئ واعانة ريب
المنون عليهم واسند اليها افعال الاحياء ملاحظة لتشبيهها بالمرأة المتزينة لخداع الرجال عن انفسهم واموالهم ونحو ذلك الحادي عشر انها
فرغ من ذمها والتنفير عنها بعد بيان مثالبها استفهم السامعين على سبيل التقريع لهم عن ايثارهم لها بعد هذا الذم واطمينانهم اليها وحرصهم
عليها ثم عاد الى ذمها مجملا بقوله بئست الدار لمن لم يتهمها اي لمن اعتقد نصحها وانها ممدوحة بالذات وركن اليها فانها لذلك الاعتبار
مذمومة في حقه اذ كانت سببا للكد في الاخرة فاما المتهم لها بالخديعة والغرور فانه يكون فيها على وجل منها عاملا لما بعدها فكانت
محمودة له اذ كانت سببا لتزوده للاخرة ثم شرع في الامر بالعمل على وفق العلم بمفارقتها وذلك ان ترك العمل للاخرة انما يكون للاشتغال
بالدنيا فالعالم بضرورة مفارقتها له وما اعد لتارك العمل من العذاب الاليم اذا نبه على تلك الحال كان ذلك صارفا له عنها وسببا
للعمل لغيرها واكد التنبيه على مفارقتها بالتذكير باحوال المفارقين لها بعد مفارقتها المضادة لاحوالهم المعتادة للاحياء الذين الفوها
واستراحوا اليها اذ كان من عادتهم اذا حملوا ان يسموا ركبانا واذا نزلوا ان يسموا ضيفانا واذا تجاوروا ان يجيبوا داعيهم ويمنعون عنه
الضيم وان يفرحوا ان جادهم الغيث ويقنطوا ان يخطوا منه وان يتزاوروا والخلان ويجهلوا عند وجود الاضغان ويحملوا عند
الاحقاد ويخشوا ويرجوا فسلبت عنهم تلك الصفات وعرفوا باضدادها ثم تلك السمات الثانية عشر جاؤها كما فارقوها اي شبه مجيئهم
اليها ووجودهم منها يوم مفارقتهم لها ووجه الشبه كونهم حفاة عراة وهو كناية عن الفقر منها ودل على ذلك استشهاده بالآية الكريمة وهو
قوله لقد ظعنوا عنها والنصب على الحال كما انتصب حفاة عراة والعامل فارقوها ولا يفتقر مثله الى تقدير بعد جاؤها وان قدر بعض الشارحين
قال الامام الوبرة فراقهم من الدنيا ان خلفوا منها ومجيئهم اليها ان دفنوا فيها قال الله تعالى هو الذي خلقكم من تراب ثم فلذلك كانت
الحامل لهذا الامام على هذا التأويل انه لو كان مراده مجيئهم اليها هو دخولهم فيها حين الولادة مع انه في ظاهر الامر هو المشبه ومفارقتهم هي
المشبه به لانعكس الغرض اذ المقصد تشبيه المفارقة بالمجيء وذلك يستلزم كون المشبه هو المفارقة والمشبه به هو المجيء لكن ينبغي ان يعلم ان
المشابهة ان حصلت بين الشيئين في نفس الامر جاز ان يجعل احدهما اصلا والاخر فرعا وجاز ان يقصد اصل المساواة بينهما من غير
ذلك فحمله هنا على الوجه الثاني اولى من التعسف الذي ذكره فاما الابيات فان من فيها لبيان الجنس فلا يدل على المفارقة والانفصال وبالله
التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ذكر فيها ملك الموت وتوفيه الانفس هل يحس به اذا دخل منزلا ام هل تراه اذا توفى احدا
بل كيف يتوفى الجنين في بطن امه ايلج عليه من بعض جوارحها ام الروح اجابته باذن ربها ام هو ساكن معه في احشائها
كيف يصف الهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله **أقول** هذا الفصل من خطبة طويلة ذكره في معرض التوحيد والتنزيه لله تعالى
عن اطلاع العقول البشرية على كنه وصفه فقدم التنبيه بالاستفهام على سبيل الانكار عن الاحساس به في دخوله منازل المتوفين
وذلك قوله هل يحس به الى قوله احدا ونبه بالاستنكار للاحساس به على انه ليس بجسم اذ كان كل جسم من شانه ان يحس باحدى الحواس
الخمس ثم عن كيفية توفيه للجنين في بطن امه وهو استفهام من قبيل تجاهل العارف بالنسبة اليه وذلك قوله بل كيف يتوفى الجنين الى

كما السر ٢٠

فيها وخروجهم منها

في ذم الدنيا وغرورها

قوله في احشائها وجعل الحق من هذه الاقسام في الوسط وهو لجانبتها بانه ربها الشيء الجاهل في محل الحيرة متردد انما بين ان ملك
الموت لا يتمكن الانسان من وصفه بنبه على عظمة الله سبحانه بالنسبة اليه وانه اذا عجز الانسان على وصف مخلوق مثله فبالاولى ان يعجز عن
صفة خالقه ومبدعه الذي هو ابعد الاشياء عنه مناسبة وتقديره انما به ذلك التنبيه ان العبد عاجز عن صفة مخلوق مثله فهو من
صفة خالق ذلك المخلوق ومبدعه اشد عجزا والتفسير اشارة خفية الى حقيقة الموت الى ما هنا باوح من وصف ملك الموت ثم نقول
اما حقيقة الموت فاعلم ان الذي نطقت به الاخبار وشهد به الاعتبار ان الموت ليس الا عبارة عن تغير حال وهو مفارقة الروح لهذا
البدن الجاري مجرى الالة التي تصغر وان الروح باقية بعده كما شهدت به البراهين العقلية من مظانها والاثار النبوية المتواترة
ومعنى مفارقتها له هو انقطاع تصرفها فيه بخروجه عن حد الانتفاع به فما كان من الامور المدركة لها تحتاج في ادراكه الى الة
فهي متعطلة عنه بعد مفارقتها البدن الى ان تعاد اليه في القبر او يوم القيامة وما كان مدركا لها لنفسها من غير الة فهو باق معها
تتنعم به وتفرح او تحزن من غير حاجة الى هذه الالة في بقاء تلك العلوم والادراكات الكلية لها هناك وقد ضرب للمفارقة
التي سميناها بالموت مثال فقيل كما ان بعض اعضاء المريض تتعطل بحسب فساد المزاج يقع فيه او بحسب شدة تعرض لتلك الاعضاء
فتمنع نفوذ الروح فيها فتكون النفس مستعملة لبعض الاعضاء دون ما استعصى عليها منها فكذلك الموت عبارة عن استعصاء جميع
الاعضاء كلها وتعطلها وحاصل هذه المفارقة يعود الى سلب الانسان عن هذه الاعضاء والالات والقينات التي يتوسلون الاهل
والمال والولد ونحوها ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء عن الانسان او يسلب هو عنها اذ كان المولم هو الفراق وقد يحصل ذلك
بنهب مال الرجل وسبي ذريته وقد يحصل بسلبه ونفيه عن ماله واهله فالموت في الحقيقة هو سلب الانسان عن امواله بازعاجه
الى عالم اخر فان كان له في هذا العالم شيء يانس به ويستريح اليه فيعظم خطره عنده يعظم تحسره عليه في الاخرة ويصعب شقاوته في
مفارقته ويكون سبب عظم خطره عنده ضعف تصوره لما اعد للابرار المتقين في الاخرة مما يستحقر في القليل منه اكثر نفائس الدنيا
فاما ان كانت عين بصيرته مفتوحة حتى لم يفرح الا بذكر الله ولم يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلى بينه وبين محبوبه
فقطع علايقه وعوايقه الشاغلة له عنه ووصل اليه وانكشف له هنالك ما كان يدركه من السعادة بحسب الوصف انكشاف مشاهدة كما ينكشف
المستيقظ من نومه صورة ما راه في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واذا عرفت ذلك فاعلم ان ملك الموت عبارة عن الروح المتولي
لافاضة صورة العدم على اعضاء هذا البدن وللحال مفارقة النفس له ولعله هو المتولي لافاضة صورة الوجود عليها لكن باعتبار
الاول يسمى ملك الموت ثم لما كانت النفوس البشرية انما تدرك المجردات ما دامت في هذا العالم وتشبيهها بان تستصحب
القوة المتخيلة معها فتحاكي ما كان محبوبا منها للنفس ومستبشرا بلقائه بصورة بهية كتصورها الجبرئيل في صورة دحية الكلبي
وغيره من الصور البهية الحسنة وما كان مستنكرا محبوبا ومنفورا من لقائه بصورة هائلة لاجرم اختلفت رؤية الناس لملك الموت فمنهم
من يراه على صورة بهية وهم المستبشرون بلقاء الله الذين قلت رغبتهم في الدنيا وودوا الموت ليصلوا الى لقاء محبوبهم
ومقر ثوابه لكونه وسيلة اليه كما روي عن ابرهيم عليه السلام انه لقي ملكا فقال له من انت فقال انا ملك الموت فقال اتستطيع ان تريني
الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم اعرض عني فاعرض عنه فاذا هو شاب فذكر من حسنه وثيابه وطيب ريحه فقال
يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن من البشرى الا حسن صورتك لكان حسبه ومنهم من يراه على صورة قبيحة هائلة المنظر وهم الفجار
الذين اعرضوا عن لقاء الله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها كما روي عن ابرهيم عليه السلام انه قال لملك الموت فهل تستطيع
ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر فقال لا تطيق ذلك فقال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت اليه فاذا
رجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره النار والدخان فغشي على ابرهيم عليه السلام ثم افاق وقد عاد
ملك الموت الى حالته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا هذه الصورة لكفته وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام واحذركم الدنيا فانها منزل قلعة وليست بدار نجعة قد تزينت بغرورها وغرت
بزينتها دار هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحيوتها بموتها وحلوها بمرها لم يصفها الله
لاوليائه ولم يضن بها على اعدائه خيرها زهيد وشرها عتيد وجمعها ينفد وملكها يسلب وعامرها يخرب
فما خير دار تنقض نقض البناء وعمر يفنى فناء الزاد ومدة تنقطع انقطاع السير اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبتكم
واسالوه من اداء حقه ما سالكم واسمعوا دعوة الموت اذانكم قبل ان يدعى بكم ان الزاهدين في الدنيا تبكي
قلوبهم وان ضحكوا ويشتد حزنهم وان فرحوا ويكثر مقتهم انفسهم وان اغتبطوا بما رزقوا قد غاب عن قلوبكم
ذكر الاجال وحضرتكم كواذب الامال فصارت الدنيا املك بكم من الاخرة والعاجلة اذهب بكم من الاجلة وانما
انتم اخوان على دين الله ما فرق بينكم الا خبث السرائر وسوء الضمائر فلا توازرون ولا تناصحون ولا تباذلون ولا

في التحذير من الدنيا

تزاورون ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم وقلة صبركم عما زوي منها عنكم كأنها دار مقامكم وكأن متاعها باق عليكم وما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخاف من عيبه إلا مخافة أن يستقبله بمثله قد تصافيتم على رفض الآجل وحب العاجل وصار دين أحدكم لعقة على لسانه صنيع من قد فرغ من عمله وأحرز رضا سيده

أقول يقال هذا أمر لا يقلقه بضم القاف أي لا يصلح للشيطان والنجعة بضم النون طلب الكلاء واللعقة المرة من اللعق واللعقة بالضم اسم لما تأخذه الملعقة وفي الفصل نكت الأولى التحذير من الدنيا والاسناد راح الحذر كونها بدركو معانيها وذلك من أول الفصل إلى انقطاع النشر فإنما إشارة إلى أنها لا تصلح للاستيطان وطلب الكلاء وكنى بمرعاها ينبغي أن يطلب من الخيرات البنا فيه التي هي محل الأمن والتشرد الدائم ومنافيها إلى أن زينتها سبب لا يستغنا لها الخلائق والاغترار بها سبب لاستحسانها فإن قلت فقد جعل الزينة سببا للغرور والغرور سببا للزينة وذلك دور قلنا إنما جعل الزينة سببا للاستغرار والغرور سببا لاستحسانها وهذا التنبيه لعائبها فلا دور الثانية أنه أهانها نبه على نهائها أي لم تكن الغاية الإلهية إليها بالذات فلم تكن خيرا محضا بل كان كل ما فيها مما يعد خيرا مشوبا بالشر فيها بالعرض وذلك بحسب الممكن فيها وهذه خيرها بالنسبة إلى خير الآخرة الثالثة أنه أدب بأوامر أحدها أن يجعلوا فرائض الله عليهم من جملة ما يطلبونه منه والغرض أن تصير محبوبة لهم كمحبتهم لما يسألونه من مال ونحوه فيواظبوا على العمل بها الثاني أن يسألوه أداء حقه عليهم وذلك بالإعانة والتوفيق والإعداد لذلك كما سألهم أداء حقه والغرض أن يصير الأداء مهما لهم محبوبا إليهم ونحوه في الدعاء المأثور اللهم إني أسألك الشيء من نفسي ما لا أملكه إلا بك فأعطني منها ما يرضيك عني الثالث أن يسمعوا داعي الموت آذانهم أي يقصدون سماع كل لفظ يخوف الموت وذلك بالجلوس في مجالس الذكر ومحاضرة الزاهدين في الدنيا وفائدة ذكر الموت تنغيص اللذات الدنيوية كما قال عليه السلام أكثروا ذكر هادم اللذات الثالثة شرح حال الزاهدين في الدنيا ليهتدي من عساه يجذب بحبل الله إلى كيفية طريقهم فيقتدي بهم فذكر لهم أوصافا الأول أنهم تبكي قلوبهم وإن ضحكوا وذلك إشارة إلى دوام حزنهم لملاحظتهم الخوف من الله فإن ضحكوا مع ذلك فمعاملة مع الخلق الثاني أنهم يشتد حزنهم وإن فرحوا وهو قريب مما قبله الثالث أنهم يكثر مقتهم لأنفسهم فيتركون الالتفات إليها بالزينة وقطعها فيما تدعوهم إليه من متاع الحياة الدنيا الحاضرة وإن غبطهم غيرهم بما قسم لهم من رزق الرابعة تعنيفه للسامعين على ما هم عليه من الأحوال المضرة في الآخرة وذلك بالغفلة عن ذكر الأجل واستحضار للآمال الكاذبة ونحوها من الأحوال المذكورة إلى آخر الفصل ومحل تدركونه وتحرمونه ويفوتكم النصب على الحال وقلة صبركم عطف على وجوهكم أي حتى يتبين ذلك القلق في وجوهكم وفي قلة صبركم عما غيب عنكم منها وقوله وما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه إلى آخره أي ما يمنع أحدكم من لقاء أخيه بعيبه ولا يمنعه عليه إلا الخوف منه أن يلقاه بمثله لمشاركته إياه فيه كما صرح به في قوله تصافيتم على رفض الآجل إلى آخره واستعار لفظ اللعقة لما ينطق به من شعار الإسلام والدين كالشهادتين ونحوهما من دون ثبات ذلك في القلب ورسوخه والعمل على وفقه وصنيع نصب على المصدر أي صنعتم صنيعا مثل صنيع من أحرز رضا سيده بقضاء ما أمره به ووجه التشبيه الاشتراك في الزهد والإعراض عن العمل وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه ونستعينه على هذه النفوس البطاء عما أمرت به السراع إلى ما نهيت عنه ونستغفره مما أحاط به علمه وأحصاه كتابه علم غير قاصر وكتاب غير مغادر ونؤمن به إيمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود إيمانا نفى إخلاصه الشرك ويقينه الشك ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل لا يخف ميزان توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان منه أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ زاد مبلغ ومعاذ منجح دعا إليها أسمع داع ووعاها خير واع فأسمع داعيها وفاز واعيها عباد الله إن تقوى الله حمت أولياء الله محارمه وألزمت قلوبهم مخافته حتى أسهرت لياليهم وأظمأت هواجرهم فأخذوا الراحة بالنصب والري بالظماء واستقربوا الأجل فبادروا العمل وكذبوا الأمل فلاحظوا الأجل ثم إن الدنيا دار فناء وعناء وغير وعبر فمن الفناء أن الدهر موتر قوسه لا تخطي سهامه ولا تؤسى جراحه يرمي الحي بالموت والصحيح بالسقم والناجي بالعطب آكل لا يشبع وشارب لا ينقع ومن العناء أن المرء يجمع ما لا يأكل ويبني ما لا يسكن ثم يخرج إلى الله لا مالا حمل ولا بناء نقل ومن غيرها أنك ترى المرحوم مغبوطا والمغبوط مرحوما ليس ذلك إلا نعيما زل وبؤسا نزل ومن عبرها أن المرء يشرف على أمله فيقتطعه حضور أجله فلا أمل يدرك ولا مؤمل يترك فسبحان الله ما أغر سرورها وأظمأ ريها وأضحى فيئها لا جاء يرد ولا ماض يرتد فسبحان الله ما أقرب الحي من الميت للحاقه به وأبعد الميت من الحي لانقطاعه عنه إنه ليس شيء بشر من الشر إلا عقابه وليس شيء بخير من الخير إلا ثوابه وكل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه فليكفكم من العيان السماع

واهواله

فيها أسر بشره

في ذم الدنيا

ومن الخطبة واعلموا انه ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا فكم من منقوص رابح ومزيد خاسر ان الذي امرتم به اوسع من الذي نهيتم عنه وما احل لكم اكثر مما حرم عليكم فذروا ما قل لما كثر وما ضاق لما اتسع قد تكفل لكم بالرزق وامرتم بالعمل فلا يكونن المضمون لكم طلبه اولى بكم من المفروض عليكم عمله مع انه والله لقد اعترض الشك ودخل اليقين حتى كأن الذي ضمن لكم قد فرض عليكم وكأن الذي قد فرض عليكم قد وضع عنكم فبادروا العمل وخافوا بغتة الاجل فانه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق ما فات اليوم من الرزق رجي غدا زيادته وما فات امس من العمر لم يرج اليوم رجعته الرجاء مع الجائي واليأس مع الماضي فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون **أقول** لا تؤسى اي لا تداوى ولا ينقع لا يسكن عطشه واضحى برز للشمس وفي الخطبة لطائف الاولى انه صدر الخطبة بحمد الله ثم باعتبار احدهما وصله حمد حامديه بافاضة نعمه عليهم كما قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وسره ان العبد يستعد بشكر النعمة الثانية وصله النعم التي يفيضها على عباده بافاضة الاعتراف بها على اسرار قلوبهم وقد علمت ان الاعتراف بالنعم هو حقيقة الشكر فظهر اذن معنى وصله النعم بالشكر وان الشكر و التوفيق له نعم اخرى كما سبقت الاشارة اليه في الخطبة الاولى ويحتمل ان يريد الشكر منه نعم لعباده الشاكرين كما قال تعالى والله شاكر عليم فكأنه ان وصله نعمه بشكره في نهاية التفضل والانعام فان الاحسان المتعارف يستتبع الشكر من المحسن اليه فاما من المحسن فذلك تفضل الخ ورتبة اعلى الثالثة انه نبه بتسويته بين حمده على النعماء وحمده على البلاء تنبيها منه على وجوب ذلك لان النعمة قد تكون بلاء من الله كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والبلاء منه ايضا نعمة يستحق به الثواب الاجل وبسبب النعمة نعم وبهذا الاعتبار يجب الشكر على البلاء كما يجب على النعماء اذ الكل نعمة الرابعة انه نبه على وجوب استعانته على النفوس وذكر ما لاجله الاستعانة عليها وهو كونها ابطاء عما امرت به من سائر الكمالات وذلك لحاجة النفوس الى مقاومة الطبيعة سراعا الى ما نهيت عنه من المعاصي وذلك لموافقتها مقتضى الطبيعة الرابعة تنبيه على وجوب طلب المغفرة من الله لكل ذنب صغير وكبير مما احاط به علمه واحصاه كتابه المبين ولوحه المحفوظ اخبر بالامين علما احاط بكل شيء وكتاب غير مغادر لشيء الخامسة انه خص ايمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود اي وقف على ما وعد به المتقون بعين الكشف لكونه اقوى درجات الايمان فان من الايمان ما يكون بحسب التقليد وعنه ما يكون بحسب البرهان وهو علم اليقين واقوى منه الايمان بحسب الكشف والمشاهدة وهو عين اليقين وذلك هو الايمان الخالص بحسب الاخلاص وفيه يكون نفيه للشرك وبحسب يقينه يعني اعتقاد ان الامر كذا مع اعتقاد انه لا يمكن ان يكون الا كذا يكون نفي الشك وقد علمت انه من اهل هذه المرتبة السادسة كون الشهادتين تصعدان القول وترفعان العمل وذلك ان اخلاص الشهادتين اصل لقبول الاقوال والاعمال الصالحة لا يصعد الى الله قول وعمل الا بكونهما اصلا له واشار الى ذلك بقوله لا يخف ميزان توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان منه وقد اشرنا الى معنى الوزن فيما سبق وسنزيده بيانا ان شاء الله تعالى السابعة اراد بكون تقوى الله هي الزاد اي الزاد المبلغ وان بها المعاد اي المعاد المنجح ولذلك ردفها بقوله زاد مبلغ ومعاد منجح واراد باسمع داع اسمع الداعين اسماعا وتبليغا وهو الرسول صلى الله عليه وآله واراد بخير واع المسارعين الى داعي الله الذين هم افضل القوابل الانسانية الثامنة وصف ما يستلزمه تقوى الله من كونها في اولياء الله ووصف الليالي بالسهر والهواجر بالظماء لكونهما ظرفين فالليالي لقيام الصلوة والنهار للصوم فكان ذلك من باب اطلاق صفة المظروف على الظرف وهو كقولهم نهاره صائم وليله قائم واخذهم الراحة اي في الآخرة بالنصب اي بتعب الابدان من القيام والري من عين تسنيم بالظماء التاسعة استعمل لفظ القضيا والفناء في فبادروا ولاحظوا في التعليل فان استقراب الاجل مستلزم للعمل له ولما بعده وكذلك تكذيب الامل وانقطاعه ملازم لملاحظة الاجل العاشرة ذكر مذام الدنيا اجمالا وهو كونها دار فناء وعناء وغير وعبر ثم اخذ في تفصيل ذلك الاجمال بتفصيل كل جملة وذلك الى قوله ولا مؤمل يترك واستعار لفظ الايتار للدهر ورشح بذكر القوس ووجه الاستعارة ان الدهر كما يرمي بمصائبه المستندة الى القضاء الالهي الذي لا يتغير كما يرمي الرامي الذي لا يخطئ وكذلك استعار لفظ الجراح لنوائب الدهر لاشتراكهما في الايلام ورشح بذكر عدم المداواة وكذلك استعار لفظ الآكل والشارب بملاحظة الشبع والري ووجه المشابهة كونه باقيا على الخلق فيفنيهم كما يأتي الآكل والشارب المذكوران على الطعام والشراب فيفنيانهما واراد بالمرحوم الذي يرى مغبوطا اهل المسكنة والفقر الذي يتبدل فقرهم بالغنى فيغبطون وبالمغبوط الذي يرى مرحوما اهل الغنى المبدل لين بفقر بحسب تصاريف الدهر ونصيبه ومحل الرحمة وقوله ليس ذلك الا نعيما زل اي عن المغبوطين وبؤسا نزل اي بهم الحادية عشر نسب الغرور الى سرورها والظماء الى ريها والضحى الى فيئها واتى بلفظ التعجب وكنى به عن استثمار لذاتها وتعقبها عن الركون الى فنائها والاعتماد عليها ووجه هذه النسبات ان سرورها وفيئها هي الصوارف عن العمل للآخرة و الملفتات عن الاقبال على الله فكان سرورها اقوى سبب للغرور بها وريها وفيئها اقوى الاسباب للظماء منهما فيها من شدة الاحراق والاذى حب لا برادة الى حر الجحيم فلهذه النسبة جاز اضافة الغرور والظماء والضحى الى سرورها وريها وفيئها وقوله لا جائي يرد اي من فات الدهر كالموت والقتل ونحوهما والماضي يرتد اي من الاموات والفائت من القنيات الثانية عشر قوله انه ليس شيء بشر من الشر الا عقابه الى قوله سماعه يحتمل ان يريد الشر والخير المطلقين ويكون ذلك للمبالغة اذ يقال للامر الشريف هذا اشد من الشديد واجود من الجيد

ومنها

في ذم الدنيا

ويحتمل ان يريد بشر الدنيا وخيرها فان اعظم شر في الدنيا مستحقر في عقاب الله واعظم خيرها مستحقر بالنسبة الى ثواب الله ثم اكد ذلك بالتعظيم لاحوال الاخرة بالنسبة الى احوال الدنيا ومصداق كلامه ان اعظم شر يتصوره الانسان بالسماع ويتهول وينكره من يفعله صورة القتل والجراح فاذا وقع في مثل تلك الاحوال وشاهدها واضطر الى المخاصمة والمحاربة سهل عليه ما كان يستصعبه منها وهان في عينه ذلك الروع والخوف وكذلك لا يزال الانسان يتخوف المثول بين يدي الملوك ويتصور عظمتهم وبطشهم الى ان يصل الى مجالسهم فانه يجد من نفسه زوال ذلك الخوف فكانت مشاهدة ما كان يتصوره شرا عظيما اهون عنده من وصفه والسماع له وكذلك حال الخير فان الانسان لا يزال يحرص على تحصيل الدرهم والدينار وغيرهما من سائر مطالب الدنيا ويكون قلبه مشغولا بتحصيله فرحا بانتظار وصوله فاذا وصل اليه هان عليه وهو امر وجداني واما احوال الاخرة فالذي يسمع من شرورها وخيراتها انما يلاحظها بالنسبة الى خيرات الدنيا وشرورها وربما كانت في اعتبار اكثر الخلق اهون من خيرات الدنيا وشرورها لقرب الخلق من المحسوس وقرب الدنيا منهم ودونها دون الاخرة مع قيام البرهان العقلي على ضعف الاحوال الحاضرة من خير وشر بالقياس الى احوال الاخرة فلذلك كان عيانها احوالها اعظم من سماعها واذا كانت الحال كذلك فينبغي ان يكتفي من العيان بالسماع ومن الغيب بالخبر حيث لا يمكن الاطلاع على الغيب ومشاهدة العيان لتلك الاحوال في هذا العالم ثم نبه على افضلية الاخرة بان ما زاد فيها مما يقرب الى الله نعم فانه استلزم نقصان الدنيا من بذل المال والجاه خير من العكس وبيان هذه الخيرية كون خيرات الدنيا في معرض الزوال مشوبة بالاوجاع والاوجال وكون تلك باقية على كل حال مع كونها في نهاية الكمال ثم ضرب المثل بالكثرة المنقوص من الدنيا الرابح في الاخرة وهم اولياء الله واحباؤه الذين اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وبالكثرة المزيد الخاسر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ثم اكد الحث على سلوك طريق الاخرة ببيان اتساعها بالنسبة الى طريق الدنيا فقال ان الذي امرتم به اوسع من الذي نهيتم عنه وذلك ظاهر فان كثيرا مما نهينا عنه حسن الفعل في الحلم والعفو والصبر التي هي من اشرف الاخلاق المحمودة يسعه عنه ثم الظلم وفي العدل وفي الاقتصار على تناول الامور المباحة التي هي اكثر واوسع سعة عنه ثم الكذب الذي هو رأس النفاق وعليه يبتني خراب العالم وفي المعاريض والصدق الذي هو يتضمن في عمارة العالم مندوحة عنه ثم الزنا ولا شك ان في سائر وجوه النكاحات مع كثرتها وسلامتها عن المفاسد اللازمة عن الزنا سعة عنه ثم شرب الخمر التي هي ام الخبائث ومنشأ كثير من الفساد وفي تركها الى ما يقاربها في لذاتها التي تدعي كونها محمودة من سائر الاشربة وغيرها معدل عنها وسعة وكذلك قوله وما احل لكم اكثر مما حرم عليكم فان الواجب والمندوب والمباح والمكروه يصدق على جميعها اسم الحلال وهي اكثر من الحرام الذي هو قسم واحد من الاحكام ثم لما نبه على ... وتدبر المصلحة في ترك المنهي والمحرم اردف ذلك بالامر بتركهما لان العقل اذا لاحظ طريقا مخوفا واحدا بين طرق كثيرة امنة انفعل للعدول عن المخوف فذلك هذا الثالثة عشر التنبيه بالنهي عن ترجيح طلب الرزق على الاشتغال بفرائض الله وعلى ان الاشتغال بها اولى بكون الرزق مضمونا فالسعي في تحصيله يجري مجرى تحصيل الحاصل ثم اردف ذلك بما يجري مجرى التوبيخ للسامعين على ترجيحهم طلب الرزق على الاشتغال بالفرائض فاستثنى ذلك منهم عن اعتراض الشك فيما يقنوه من تكفل الله تعالى بارزاقهم ووعده وضمانه لهم بقوله وفي السماء رزقكم وما توعدون وقوله ... وقد علمت ان الجد في طلب الرزق ينسب الى ضعف التوكل على الله وهو مستند الى ضعف اليقين فيه وسوء الظن به وذلك يستلزم استناد العبد الى نفسه وتوكله عليها وجعلهم في طلب الرزق كمن تيقن المضمون له مفروضا طلبه عليه والمفروض عليه طلبه موضوعا عنه مبالغة في ذم اهتمامهم بفرائض الله عليهم واشتغالهم عنها بطلب الدنيا الرابعة عشر تنبيه على وجوب المحافظة على العمر بالعمل فيه للاخرة وعلى اولوية مراعاته بالنسبة الى مراعاة طلب الرزق بكون العمر لا يرجى عن رجعته ما يرجى من رجعة الرزق فان العمر في نقص بنقصه وما فات منه غير عائد بخلاف الرزق فانه يرجى زيادته وجبران ما نقص منه في الماضي ولما كان العمر الذي من شأنه ان لا يعود ما فات منه ظرفا للعمل ويفوت بفواته وجب تدارك العمل بتداركه وقوله الرجاء مع الجائي يريد الرزق والياس مع الماضي يريد العمر وهو مؤكد لما قبله الخامسة عشر انه ختم بالامر اقتباسا من نور القرآن وخبره الاتيان انما كان الكلام في معرض جذب السامعين الى العمل الذي هو سبب تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة الذي هو جزء من الرياضة من وكان التقوى عبارة عن الزهد في الدنيا الذي حقيقته حذف الموانع الداخلية والخارجية عن القلب الذي هو الجزء الثاني من الرياضة وكان الاسلام هو الدين الحق المركب من هذين الجزئين لا جرم حسن ايراد الامر المشتمل على الامر بالتقوى والموت على الاسلام بعد الامر بالعمل ليكون ذلك امرا باكمال الدين واتمامه وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء اللهم قد انصاحت جبالنا واغبرت ارضنا وهامت دوابنا وتحيرت في مرابضها وعجت عجيج الثكالى على اولادها وملت التردد في مراتعها والحنين الى مواردها اللهم فارحم انين الانة وحنين الحانة اللهم فارحم حيرتها في مذاهبها وانينها في موالجها اللهم خرجنا اليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين واخلفتنا مخايل الجود فكنت الرجاء للمبتئس والبلاغ للملتمس ندعوك حين قنط الانام ومنع الغمام وهلك السوام ان لا تؤاخذنا باعمالنا ولا تاخذنا بذنوبنا وانشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق والربيع المغدق

في الاستسقاء

والنبات المونق سحّا وابلا تحيي به ما قد مات وترد به ما قد فات اللهم سقيا منك محيية مروية تامة عامة طيبة مباركة هنيئة
مريعة زاكيا نبتها ثامرا فرعها ناضرا ورقها تنعش بها الضعيف من عبادك وتحيي بها الميت من بلادك اللهم سقيا منك تعشب
بها نجادنا وتجري بها وهادنا وتخصب بها جنابنا وتقبل بها ثمارنا وتعيش بها مواشينا وتندى بها اقاصينا وتستعين
بها ضواحينا من بركاتك الواسعة وعطاياك الجزيلة على بريتك المرملة ووحشك المهملة وانزل علينا سماء مخضلة مدرارا
هاطلة يدافع الودق منها الودق ويحفز القطر منها القطر غير خلب برقها ولا جهام عارضها ولا قزع ربابها ولا شفان
ذهابها حتى يخصب لامراعها المجدبون ويحيى ببركتها المسنتون فانك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وانت
الولي الحميد قال السيد رضه تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب قوله ع انصاحت جبالنا اى تشققت من المحول يقال انصاح الثوب
اذا انشق وانصاح النبت وصاح وصوّح اذا جف ويبس وقوله وهامت دوابنا اى عطشت والهيام العطش وحدابير السنين
جمع حدبار وهي الناقة التي انضاها السير فشبه بها السنة التي فشا فيها الجدب قال ذو الرمة حدابير ما تنفك الا مناخة على
الخسف او نرمي بها بلدا قفرا وقوله ولا قزع ربابها القزع القطع الصغار من السحاب المتفرقة وقوله ولا شفان ذهابها فان تقديره
ولا ذات شفان ذهابها والشفان الريح الباردة والذهاب الامطار اللينة فحذف ذات لعلم السامع به اقول اعتكرت
وادلهمت والمخائل جمع مخيلة للسحاب التي ترجى المطر والمبتئس الحزين والمنبعق والمنبجس السحاب المنصب بشدة والربيع هنا المطر والسقيا
بالضم الاسم من السقي والمريع المخصب والنجاد جمع نجد وهو ما ارتفع من الارض والضواحي النواحي البارزة اى اهل نواحينا والمرملة قليلة
المطر والمخضلة الرطبة والودق القطر والجهام المظلم الذي لا ماء فيه والخلب التي يكذب الظن فيها والمسنتون الذين اصابتهم
شدة السنة واعلم انه نبه بقوله ندعوك ان لا تؤاخذنا باعمالنا ولا تأخذنا بذنوبنا على ان للذنوب والاعمال الخارجة عن
اوامر الله تأثيرا في رفع الرحمة وسر ذلك ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من قبله وانما يكون ذلك بحسب عدم الاستعداد وقلته
وكثيرا ما ظهر ان المقبلين على الدنيا المرتكبين لمحارم الله معرضون عنه غير ملتفتين لآثار رحمته بل مستعدون لضد ذلك اعني
سخطه وعذابه بحسب استعدادهم بالانهماك في محارمه والجور عن سبيله وحري بمن كان كذلك ان لا تناله بركة ولا يفاض عليه اثر رحمة
ونصب سحا ووابلا على الحال والعامل انشر واراد بالسماء المخضلة هنا السحاب والعرب تقول كل ما علاك فهو سماؤك ومعنى ارساله
ارسال امطاره وادراره ويحتمل ان يريد بالسماء المطر نفسه ونحوه انزل علينا الغيث وقد اقتبس من القرآن الكريم ختام هذا الفصل
ايضا ووجه مناسبته للاستعطاف وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ارسله داعيا الى الحق وشاهدا على الخلق
فبلغ رسالات ربه غير وان ولا مقصر وجاهد في الله اعداءه غير واهن ولا معذر امام من اتقى وبصر من اهتدى **اقول**
الواني الضعيف والمعذر ربما يستعمل بمعنى المقصر واعلم ان الاوصاف التي ذكرها للنبي ص ظاهرة وقد سبقت الاشارة اليها غير مرة
فاما كونه امام من اتقى فلانه سن لاهل التقوى كيفية سلوك سبيل الله التي هي التقوى وقد استعار لفظ البصر له ووجه
المشابهة كونه سببا لاهتداء الخلق الى سبيل الرشاد كما يهتدي صاحب البصيرة في طريقه المحسوس وبالله التوفيق **منها** ولو تعلمون
ما اعلم مما طوي عنكم غيبه اذن لخرجتم الى الصعدات تبكون على اعمالكم وتلتدمون على انفسكم ولتركتم اموالكم
لا حارس لها ولا خالف عليها ولهمت كل امرئ منكم نفسه لا يلتفت الى غيرها ولكنكم نسيتم ما ذكرتم وامنتم ما حذرتم
فتاه عنكم رايكم وتشتت عليكم امركم ولوددت ان الله فرق بيني وبينكم والحقني بمن هو احق بي منكم قوم والله ميامين
الراي مراجيح الحلم مقاويل بالحق متاريك للبغي مضوا قدما على الطريقة واوجفوا على المحجة فظفروا بالعقبى الدائمة
والكرامة الباردة اما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال ياكل خضرتكم ويذيب شحمتكم ايه ابا وذحة قال
السيد رضه الوذحة الخنفساء وهذا القول يومي به الى الحجاج وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره **اقول**
الصعدات جمع صعيد وهو وجه الارض والالتدام ضرب الوجه ونحوه وراي ميمون مبارك وقدما بضم القاف والدال
اى متقدمين ولم ينثنوا والوجيف ضرب من السير فيه قوة والوذحة كما قيل انها كنية للخنفساء ولم ينقل ذلك في المشهور من كتب اللغة
وانما المشهور انها القطعة من بعر الشاة تتعقد على اصواف اذنابها وتتعلق بها وهذا الفصل من خطبة له بالكوفة يستنهض
فيها اصحابه الى حرب الشام ويتبرم من تقاعدهم عن نصرته فنبههم اولا على جهلهم بما سيقع من الفتن في الاسلام مما غاب عنهم
علمه وعلمه هو من الله ورسوله بحيث لو تصوروا ما علمه منها لاحتال كل منهم في الخلاص لنفسه ولهاموا على وجه الارض باكين
من تقصيرهم في اعمالهم على وفق اوامر الله التي بها يكون نظام العالم الحالي بعد الامن من تلك الفتن لو فعلوها ولكنهم نسوا ما ذكروا
به من آيات الله وامنوا التحذير وضلت عنهم اراؤهم الصالحة التي يكون بها نظام امورهم فاستعقب ذلك تشتت امورهم وغلبة
العدو على بلادهم وقيل اراد بما طوي عنهم غيبه هو ما يلقى المقصرون من اهوال الاخرة والاول انسب لسياق الكلام ثم عقب

مخضلة

ايضا

ذلك

ذلك بالتبرم منهم وطلب فراقهم واللحاق باخوانه من اولياء الله مباركي الاراء ثقال الحلوم لا يستخفهم جهل الجهال ملازمي الصدق ونصيحة
من شانهم ترك البغي على انفسهم وغيرهم مضوا على الطريقة الحميدة سالكين المحجة غير ملتفتين عنها فوصلوا الى الثواب الدائم
والنعيم المقيم وعزيمة الظفر تخصيص الحظ بالثواب والعرب تصف النعمة والكرامة بالبرد ثم بين لهم بعض ما سيلحقهم من الفتن العظيمة مما
طوى عنهم غيبه وهي فتنة الحجاج بن يوسف بن الحكم بن ابي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن الاحلاف من ثقيف وكان
ضعيف العين دقيق الصوت والذيال اي طويل الذيل يسحبه تبختراً والميال اي يكثر التمايل كبراً واخبر انه يأكل خضرتهم وكنى بها عما
عليه من الاباحة وسلب النفوس والاموال وحسن الاحوال وبأكله لها عن ازالة ذلك وتغييرها الى اضدادها ولفظ الاكل مستعار
لذلك ووجه الاستعارة ظاهر وكذلك استعار الشحمة لشرائهم وقوتهم ووصف الاذابة لافناء ذلك بالقتل والاهانة ومصداق ذلك
المشهور من فعله باهل العراق كما سبق بيانه في ذكر الكوفة ثم قال ايه ابا وذحة وكلمة ايه من اسماء الفعل الامر يستدعي بها الحديث المعهود من الغير
ان سكنت وان نونت كانت لاستدعاء قول وفعل ما وقيل التسكين للوقف والتنوين للدرج فاما تلقيبه عليه السلام له بابي وذحة
فروي في سبب ذلك انه كان يوماً يصلي على سجادة له فدبت اليه خنفساء فقال نحوها عني فانها وذحة من وذح الشيطان وروي انه قال
قاتل الله قوماً يزعمون ان هذه من خلق الله فقيل له مما هي فقال من وذح ابليس وكانه شبهها بالوذحة المتعلقة بذنب الشاة في
حجمها او شكلها فاستعار لها لفظها ونسبتها الى ابليس لاستقذاره اياها واستنكاره لصورتها او لانها تشوشت في الصلوة
وروى ابو علي بن مسكويه انه رآها فقتلها وقال لعنك الله وذحة من وذح الشيطان ونقل بعض الشارحين [illegible] الجيم
وكنى بذلك عن كونه سفاكاً للدماء قطاعاً للاوداج وفيه بعد **ومن كلام له عليه السلام** فلا اموال بذلتموها للذي
رزقها ولا انفس خاطرتم بها للذي خلقها تكرمون بالله على عباده ولا تكرمون الله في عباده فاعتبروا بنزولكم منازل
من كان قبلكم وانقطاعكم عن اوصل اخوانكم **اقول** مدار هذا الفصل على التوبيخ بالبخل بالاموال والانفس وفي قوله
للذي رزقها وخلقها اسناد راجح حسن فان البخيل انما استشفع بذلك لملاحظة امرين احدهما خوف الفقر والثاني انه كثيراً ما يتوهم
الاستغناء ان لا مستحق المال الا هو فيكون ذلك وامثاله عذراً لهم مع انفسهم في عدم البذل وكذلك الشحيح بنفسه انما شح بها
خوف الموت وان لا يكون له من هذه الحياة عوض يساويها فاذا اعلم ان بذل المال لرازقه اياه ومعطيه ان يكون حسن الظن برازقه
عذره في البخل لعلمه بعوضه خيراً منه وبانه احق منه بكان المال وما ملكه لمولاه وكذلك يزول عذر الشحيح بنفسه لعلمه ان
لبذلها هو الاحق بها وانه القادر على ان يوصله الى ما هو خير له من هذه الحيوة الفانية وفي انقطاع ما بيده هو بعد وان في البخل
بالمال والنفس يكون سهو لما يذلهما في سبيل الله وقوله تكرمون بالله على عباده اي تعززون وتكبرون على الخلق بانكم اهل طاعة الله
وعباده ثم لا تكرمونه فيما هو دعاكم اليه ولا يجيبون داعيه في اكرام عباده والالتفات الى فقرائهم باليسير مما رزقكم ثم امرهم باعتبار
نزولهم منازل الماضين وانقطاعهم عن اوصل اخوانهم تنبيهاً لهم على انهم امثالهم في اللحاق بمن سلف والانقطاع عمن بقي
وروي عن اوصل اخوانكم اي اقربهم اصلا اليكم وفايدة هذا الاعتبار تذكر الموت والعمل لما بعده **ومن كلام له عليه السلام**
انتم الانصار على الحق والاخوان في الدين والجنن يوم البأس والبطانة دون الناس بكم اضرب المدبر وارجو طاعة المقبل فاعينوني
بمناصحة خلية من الغش سليمة من الريب فوالله اني لاولى الناس بالناس **اقول** الجنن جمع جنة وهي ما استترت به من
سلاح وبطانة الرجل خاصته وقد اشتمل هذا الفصل على استمالة طباع اصحابه الى مناصحته في الحرب فمدحهم بكونهم من اهل
الدين ثم بالشجاعة ثم باعلانهم انهم من اهل خاصته الذين يعتمد عليهم في ضرب المدبر وطاعة المقبل وطلب منهم الاعانة بمناصحة
صادقة سليمة من الشك في صحة امامته وانه اولى بالامر من غيره فلذلك اقسم انه كذلك وقد سبق بيانه **ومن كلام له عليه السلام**
وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا ملياً فقال ما بالكم امخرسون انتم فقال قوم منهم يا امير المؤمنين ان سرت سرنا
فقال ما بالكم لا سددتم لرشد ولا هديتم لقصد افي مثل هذا ينبغي لي ان اخرج انما يخرج في مثل هذا رجل ممن ارضاه
من شجعانكم وذوي بأسكم ولا ينبغي لي ان ادع الجند والمصر وبيت المال وجباية الارض والقضاء بين المسلمين والنظر في
حقوق المطالبين ثم اخرج في كتيبة اتبع اخرى اتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ وانما انا قطب الرحى تدور علي
وانا بمكاني فاذا فارقته استحار مدارها واضطرب ثفالها هذا لعمر الله الرأي السوء والله لولا رجائي الشهادة عند
لقائي العدو ولو قد حم لي لقاؤه لقربت ركابي ثم شخصت عنكم فلا اطلبكم ما اختلف جنوب وشمال **اقول** الكتيبة
الجيش والقدح السهم قبل ان يراش والجفير كالكنانة واوسع منها وثفال الرحى الجلد الذي يوضع عليه ليسقط عليه الدقيق ثم
الامر قدرو مدار هذا الفصل على الدعاء عليهم مصدراً بالاستفهام عن حالهم القبيحة التي هم عليها من مخالفته على سبيل الانكار عليهم
ثم عما استأنفوا به من خروجه بنفسه الى الحرب منكراً لذلك ايضاً ثم على الاشارة الى من ينبغي ان يخرج عوضاً له ثم بين وجه المفسدة في خروجه

في الصلح بين الأمير ومعوية

بنفسه وهو تركه للمصالح التي عددها مما يقوم به أمر الدولة ونظام العالم وخروجه على الوجه المذكور وقبح ذلك وشبه خروجه معهم
ما القدح في الجفير ووجه الشبه أنه كان قد نفد الجيش قبل ذلك وأراد أن يجهز من بقي من الناس في كتيبة أخرى فشبه نفسه في خروجه
في تلك الكتيبة وحده مع تقدم إلا بوجاعنه ويحالهما بالقدح في الجفير الفارغ في كونه يتقلقل وفي العرب لقفا المثل يضرب إذا
مشى في حاجة ينوب فيها من هو دونه وهو ترك المهام التي لا تقوم إلا به وترك المهم الفلاني ومشى يتقلقل على كذا ثم استعار لفظ
القطب ملاحظة لدوران الإسلام ومصالحه عليه كأنه قد ولا رحى على قطبها فذلك هو وجه الاستعارة واستلزم ذلك تشبيهه
الإسلام وأهله بالرحى وأنه إذا فارقها لم يجره وجه الحروب اضطربت كاضطراب الرحى وخروج مدارها واستعار لها الحركة المستديرة
إلى السيفية ثم لما بين وجه المفسدة في رأيهم حكم برداءته وأكد ذلك بالقسم البار ثم أقسم أنه لولا رجاؤه لقاء الله بالشهادة في لقاء
العدو ولو قد بله ذلك لقام فلم عنهم ما أسف عليهم ولا طالب للعود إليهم أبدا ثم ما من سوء صنيعهم وكثرة مخالفتهم لأوامره وما
التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** تالله لقد علمت تبليغ الرسالات وإتمام العدات وتمام الكلمات وعندنا أهل البيت
أبواب الحكم وضياء الأمر ألا وإن شرائع الدين واحدة وسبله قاصدة من أخذ بها لحق وغنم ومن وقف عنها ضل وندم
اعملوا ليوم تذخر له الذخائر وتبلى فيه السرائر ومن لا ينفعه حاضر لبه فعازبه عنه أعجز وغائبه أعوز واتقوا نارا
حرها شديد وقعرها بعيد وحليتها حديد ألا وإن اللسان الصالح يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه من لا
يحمده **أقول** صدر الفصل بذكر فضيلته وهي علمه بكيفية تبليغ الرسالات وأدائها وعلمه بإتمام الله نعمه ما وعد به المتقين
في دار القرار فتمام وعده أن لا خلف فيه وتمام أخباره أن لا كذب فيها وتمام أوامره ونواهيه اشتمالها على المصالح الخالصة لعباده وكذا
ينبغي أن يكون أوصياء الأنبياء وخلفاؤهم في أرض الله وعباده ثم أردف ذلك بالإشارة إلى فضل أهل البيت عاما وأراد بضياء الأمر أنوار
العلوم التي ينبني عليها الأمور والأعمال الدينية والدنيوية وما ينبغي أن يهتدي به الناس ويحكم كأنهم من قوانين الشريعة وما يستقيم به
نظام الأمر من قوانين السياسات وتدبير المدن والمنازل ونحوها إذ كان كل أمر شرعي فيه على غير ضياء من الله ورسوله أو أحد أهل بيته
وخلفائه الراشدين فهو محل التيه والزيغ عن سبيل الله ثم استعار لفظ الشرائع وهي موارد الشاربة لأهل البيت ووجه الاستعارة كونهم
موارد لطلاب العلم كما أن الشرائع موارد لطلبة الماء وكونها واحدة إشارة إلى أنهم لا يختلفون في الدين بل لما علموا أسراره لم يختلف
كلمتهم فيه فكلهم كالشريعة الواحدة وكذلك استعار لهم لفظ السبل ووجه المشابهة كونهم موصلين إلى المطالب على بصيرة وقصد كما يوصل
الطريق الواضح وقوله من أخذ بها لحق أي من أخذ عنهم واقتدى بهم لحق بالسابقين من سالكي سبيل الله وندم على تفريطه بتخلفه وقيل
أراد شرائع الدين وسبله قوانينه الكلية فإن أي قانون عمل به منها فإنه مستلزم لثواب الله فهي واحدة في ذلك وموصل إلى الجنة
من غير جور ولا عدول وذلك معنى كونها قاصدة والأول أظهر لكونه في معرض ذكر فضيلتهم ولما كان غرض الخطيب من إفهام فضيلته
قبول قوله شرع في الأمر بالعمل ليوم القيمة والذخائر الأعمال الصالحة ومعنى قوله ومن لا ينفعه حاضر لبه إلى قوله أعوز أي اعتبروا بحال
حضور عقولكم فإنها إن لم ينفعكم الآن كانت أعوز وأعجز عن نفعكم إذا عزبت عند حضور الموت ومقاساة أهواله وما بعده من أحوال
الآخرة ثم أكد التخويف بمناقشة الحساب بالتخويف بالنار وأراد بحليتها من الحديد ما أعد فيها للعصاة من الأغلال والأصفاد والمقامع
والسلاسل التي تشبه الحلية وقوله ألا وإن اللسان إلى آخره تنبيه لهم على طلب الذكر الجميل من الناس في العفو ونحوه على المال وقد سبقت
الإشارة إلى هذا في قوله أما بعد فإن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض **ومن خطبة له عليه السلام** وقد قام رجل من أصحابه فقال
نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فما ندري أي الأمرين أرشد فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال هذا جزاء من ترك
العقدة أما والله لو أني حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا فإن استقمتم هديتكم وإن
اعوججتم قومتكم وإن أبيتم تداركتكم لكانت الوثقى ولكن بمن وإلى من أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي كناقش الشوكة
بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوي وكلت النزعة بأشطان الركي أين القوم الذين
دعوا إلى الإسلام فقبلوه وقرأوا القرآن فأحكموه وهيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللقاح إلى أولادها وسلبوا السيوف أغمادها و
أخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا وصفا صفا بعض هلك وبعض نجا لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون عن القتلى مره العيون
من البكاء خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء صفر الألوان من السهر على وجوههم غبرة الخاشعين أولئك إخواني
الذاهبون فحق لنا أن نظمأ إليهم ونعض الأيدي على فراقهم إن الشيطان يسني لكم طرقه ويريد أن يحل دينكم عقدة عقدة
ويعطيكم بالجماعة الفرقة فاعقلوها فاصدفوا عن نزغاته واقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم على أنفسكم **أقول** الضلع بفتح
الصاد وسكون اللام الميل والهوى والداء الدوي الشديد وصف بما هو من لفظه والدوي اسم فاعل من دوي إذا مرض والنزعة المستقون
والركي جمع ركية وهي البئر ومره جمع أمره وهي العين التي فسدت أي عيونهم مارهة وسنى له كذا أحسنه وسهله وعقلت عليه كذا أي

وشرابها صديد

بكم

ولا يعزون بالموتى

ونفثاته

واعقلوها

حاسند

ج ١٨

في الصلح بين علي ومعوية

حبسته عليه وكان هذا الكلام منه عليه السلام بصفين حين أمرهم بالحكومة بعد أن نهاهم عنها والسبب في ذلك أن معوية لما أحس بالقهر وظهر علي عليه السلام ليلة الهرير
راجع عمرو بن العاص في الرأي فقال الحيلة التي خبأتها لك أما آن لمثل هذا الوقت وهو أن تأمر أصحابك برفع المصاحف على الأرماح ويدعون أصحاب
علي إلى المحاكمة إلى كتاب الله فإنهم إن قبلوا افترقوا وإن لم يقبلوا افترقوا وكان الأشتر صبيحة تلك الليلة قد أشرف على الظفر فلما أصبحوا
رفعوا المصاحف والمصحف الكبير الجامع الأعظم على عشرة أرماح وهم ينادون معاشر المسلمين الله الله في إخوانكم في الدين هلموا إلى كتاب
الله الله الله في النساء والبنات فقال أصحاب علي إخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله فالرأي التنفيس عنهم فغضب
من هذا الرأي فقال إنها كلمة حق يراد بها باطل كما سبق القول فيه فافترق أصحابه فريقين منهم من رأى [illegible] الأمر على الحرب ومنهم
من رأى ترك الحرب والرجوع إلى الحكومة وكانوا أكثر فاجتمعوا إليه فقالوا إن لم تفعل قتلناك كما قتلنا عثمان فرجع إلى قولهم وأمر الأشتر بالكف
عن الحرب ثم كتبوا كتاب الصلح وطافوا به في أصحابه واتفقوا على الحكومة فخرج بعض أصحابه من هذا الأمر فقالوا لو كنت نهيتنا عن الحكومة
ثم أمرتنا بها فما ندري أي الأمرين أرشد فقال هذا دليل على أنك شاك في أمرك فسكت فصفق بإحدى يديه على الأخرى فعل النادم
غضبا من قولهم وقال هذا جزاء من ترك العقدة أي عقدة الأمر الذي عقده وأحكمه وهو الرأي في الحرب والإصرار عليها والذي كان أمرهم
به هو البقاء على الحرب هو المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا من الظفر وسلامة العاقبة وقومكم أي بالقتل والضرب ونحوه وكذلك معنى قوله
تداركتكم وقوله لكانت الوثقى أي الفعلة المحكمة وقوله ولكن بمن أي بمن كنت أستعين عليكم وإلى من أي إلى من أرجع في ذلك وقوله أريد
أن أداوي بكم أي أريد أن أداوي ما بي من بعضكم ببعض وأنتم دائي فأكون في ذلك كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها وهذا
مثل تضربه العرب لمن يستعين في إصلاح من يريد إصلاحه بمن ميله إلى المستعان عليه فقال لا تنقش الشوكة بالشوكة فإن ضلعها معها
يقول لا تستعن ببعضكم في إصلاح بعض كنقش الشوكة بالشوكة ووجه المشابهة أن طباع بعضكم تشبه طباع بعض وتميل إليها كما تشبه الشوكة
وتميل إليها فربما انكسرت معها في العضو واحتاج إلى منقاش آخر ثم رجع إلى الشكاية إلى الله وأراد بالداء الدوي ما هو عليه من عصيان
المخالفين لأمره [illegible] عن [illegible] بالأطباء نفسه فإن داء الجهل وما يستلزمه أعظم من شأن الأدواء المحسوسة ونصل الأطباء النفوس على
الأبدان وهي استعارة تكاد أن تكون حقيقة وكذلك استعارة لفظ النزع له مثل ضرب به لقلة معهم فكأنهم عن الصلح في ضربهم عنه وقد
كل مؤمن حبلهم إليها ثم أخذ في السؤال عن إخوانه من أكابر الصحابة الذين بذلوا أنفسهم في نصرة الدين [illegible] رغبوا عن الدنيا وصنفهم
على سبيل التوجع لفقدهم وهذا كما يقول أحدنا إذا وقع في شدة أين أخي أين عمي ثم وصفهم بالأوصاف الحميدة ترغيبا للسامعين في مثل حالهم
والدعاء عليهم حيث لم يكونوا بهذه الأوصاف وذلك بطريق المفهوم وقوله أولادها نصب بإسقاط الجار إذ الفعل هو وَلَهوا يتعدى إلى
مفعولين بنفسه وفي الخبرة تولها اللقاح بولدها وتوليهم لها بركوبهم إياها عند خروجهم للجهاد وقوله وأخذوا بأطراف الأرض أي أخذوها
بأطرافها وزحفا زحفا وصفا صفا مصدران مؤكدان بمثليهما قاما مقام الحال وقوله لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون عن القتلى كانوا
في تلك الحال غير ملتفتين إلى حميم ولا مراعين ومحافظين على جنودهم حتى يبشرون ببقائهم أو يعزون لموتهم فيعزون عليهم بل يجرون للجهاد في
سبيل الله ولعلهم يفرحون بقتل من يقتلون في سبيله وإن كان والدا أو ولدا أو بالعكس وإنما كان السهر موجبا لصفرة اللون لأنه يهيج الحرارة
ويفسد السحنة ويجفف البدن ويكثر فيه المرة والصفرة من توابع ذلك سيما في الأبدان النحيفة كما عليه أهل الديانة ويكثر [illegible] وغيره
الخاشعين فشقت الزاهدين الخائفين من الله لعدم تحليهم بالدنيا واستعار لفظ الظماء للشوق إليهم ملاحظة لتشبيههم بالماء في شدة
الحاجة إليه فنزل الشوق إليهم والحاجة إلى لقائهم منزلة العطش إلى الماء فأعطاه لفظه وأراد بعقدة الدين ما الحكم منه من قوانينه وقواعده
ويحل الشيطان لها تزيينه ترك قانون فقانون وسنة الإجماع عقدة عقدها الشارع لما يتبعها من المصالح وأكدها فكانت الفرقة
حلا لتلك العقدة ونزغات الشيطان حركاته للإفساد ونفثاته الفاترة الوسوسة في القلوب مرة بعد أخرى وعنى بمن اهتدى إليهم النصيحة منه
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام للخوارج** وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة فقال أكلكم شهد معنا
صفين فقالوا منا من شهد ومنا من لم يشهد قال فامتازوا فرقتين فليكن من شهد صفين فرقة ومن لم يشهدها فرقة
حتى أكلم كلا بكلامه ونادى الناس فقال أمسكوا عن الكلام وأنصتوا لقولي وأقبلوا بأفئدتكم إلي فمن نشدناه شهادة
فليقل بعلمه فيها ثم كلمهم عليه السلام بكلام طويل من جملته أن قال ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكرا و
خديعة إخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم فقلت لكم هذا
أمر ظاهره إيمان وباطنه عدوان وأوله رحمة وآخره ندامة فأقيموا على شأنكم والزموا طريقتكم وعضوا على الجهاد بنواجذكم
ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق إن أجيب أضل وإن ترك ذل وقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وإن القتل ليدور بين الآباء
والأبناء والإخوان والقرابات فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلا إيمانا ومضيا على الحق وتسليما للأمر وصبرا على مضض
الجراح ولكنا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل فإذا طمعنا في خصلة

في كيفية الصلح بينهما

يلم الله بها شعثنا ونتدانى بها إلى البقية فيما بيننا رغبنا فيها وأمسكنا عما سواها **أقول** التنفيس التفريج وأكثر هذا الفصل ظاهر واستبق
وقوله هذا أمر ظاهره إيمان أي رفع أولئك المصاحف وطلبهم الحكومة فإن ظاهره منهم الاجتهاد في الدين بالرجوع إلى كتاب الله وباطنه منهم عدوان أي
حيلة للظلم والغلبة وأوله رحمة منكم لهم رجوعكم إلى قولهم ولعوده ندامة لكم عند تمام الحيلة عليكم فأقيموا شأنكم أي ما كنتم عليه من الاجتهاد في حرب
والتنافي إشارة إلى طالبي الحكومة والمشير عليهم بذلك لو أي هو عمرو بن العاص ولغوجد في أوصاف إبليس وقوله بعد ذلك لقد كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وآله إلى قوله ومضض الجراح استدراج لهم لشرح حال الصحابة من حيث كانوا في الجهاد مع الرسول كذلك على الحالة التي شرحها لعلهم
يتأسون بالماضين فيها وقوله ولكنا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام إلى آخره تنبيه على اعتراض عساهم يقولونه وجواب عنه وهو أن
يقولوا إنما نقاتل إخواننا السابقين ما أصلوا اليقين مما هم عليه من الدين الحق ونفيهم ضلال الكفار والطاعنين لهم فأما نحن فإنما نقاتل
بعضنا بعضا فكيف يجوز لنا قتل قوم مسلمين سئلوا البنا ودعونا إلى المحاكمة إلى كتاب الله فأجاب بما معناه أنا إنما نقاتل في مبدأ
الأمر ومنتهاه دعوة إلى الإسلام ورغبة في رسوخ قواعده ففي المبدأ قاتلنا لتحصيل ما ثبت في الوجود وفي الثاني قاتلنا لحفظ ما هيته
وبقائها بحيث دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل ما دخل فإذا طمعنا في خلة محمودة يجمع الله بها تفرقنا ونتقارب بها إلى
ما بقي فيما بيننا من الإسلام والذين رغبنا فيها وقاتلنا طمعا في تحصيلها وكأنه عنى بالخصلة رجوع محاربيه إلى طاعته واتفاقهم عليه وهذا
الكلام في قوة صغرى قياس ضمير احتج عليهم به وتقدير كبراها أنكم حين قلتم لكم ارفعهم للمصاحف حيلة منهم أجيبونا إلى هذا الجواب وتقدير
الكبرى وكل من أجاب بهذا الجواب فليس له أن ينكر الحكومة إذ كان قد رضي بها فينتج أنه ليس لهم أن يأبوا الحكومة وبالله التوفيق **ومن كلام**
له عليه السلام قاله لأصحابه في ساحة الحرب وأي امرئ منكم أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ورأى من أحد من إخوانه فشلا
فليذب عن أخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله إن الموت طالب حثيث لا يفوته
المقيم ولا يعجزه الهارب إن أكرم الموت القتل والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة على
الفراش **أقول** عليه بشجاعته والتذبيب الذب وقد أمرهم في هذا الفصل بمساعدة بعضهم لبعض في الحرب ومنع بعضهم عن بعض منعا
صادقا كما يمنع عن نفسه وبذلك يكون انعقاد الاجتماع وتعاون الهمم حتى يكون الجميع كنفس واحدة وبذلك يكون الظفر والغلبة واستمال
ذوي النجدة بذكر فضيلة تخصهم دون من يدونهم هذا استثارة لحميتهم وتعطيفا لهم وقوله إن الموت طالب حثيث إلى قوله إن أكرم الموت القتل تسهيل
للقتل والموت بذكر أنه لا بد منه لتسهيل الحرب عليهم وإنما أن أكرم الموت القتل في سبيل الله وذلك لاستلزامه الذكر الجميل في الدنيا والثواب
الدائم في الأخرى ثم أكد ذلك بالقسم أن ألف ضربة بالسيف أهون من ميتة على الفراش وصدق في ذلك في حق من نظر إلى الدنيا بعين الاستخفاف
في جنب نعيم الأبد في الآخرة والذكر الجميل في الدنيا وحصلت له ملكة الشجاعة وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** وكأني
أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب لا تأخذون حقا ولا تمنعون ضيما قد خليتم والطريق فالنجاة للمقتحم والهلكة للمتلوم.
أقول كشيش الضباب صوت جلودها بعضها ببعض عند الازدحام والتلوم الانتظار والتوقف وأشار بهذا الكلام إلى تشبيههم
عند فرهم من العدو ونفضهم الحرب بحيث بعضهم ببعض وأخذون في الهرب الخفي فلا ينتفع بهم في أخذ حق أو دفع ضيم ووصف الكشيش مستعار
لهم باعتبار هيئاتهم في الحيد عن العدو والهرب منه وهو وجه الشبه بكشيش الضباب وقوله قد خليتم والطريق أي وطريق الآخرة فالنجاة للمقتحم
أي مقتحمها والمبادر إلى سلوكها والهلكة للمتوقف عن ذلك والطريق منصوب على المفعول معه **ومن كلام له عليه السلام**
في حض أصحابه على القتال فقدموا الدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس فإنه أنبى للسيوف عن الهام والتووا في أطراف الرماح فإنه أمور
للأسنة وغضوا الأبصار فإنه أربط للجأش وأسكن للقلوب وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها
إلا بأيدي شجعانكم والمانعين الذمار منكم فإن الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفون براياتهم ويكتنفونها حفافيها
ووراءها وأمامها لا يتأخرون عنها فيسلموها ولا يتقدمون عليها فيفردوها أجزأ امرؤ قرنه وآسى أخاه بنفسه ولم يكل قرنه إلى
أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة أنتم لهاميم العرب والسنام
الأعظم إن في الفرار موجدة الله والذل اللازم والعار الباقي وإن الفار لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه من الرائح
إلى الله كالظمآن يرد الماء الجنة تحت أطراف العوالي اليوم تبلى الأخبار اللهم فإن ردوا الحق فافضض جماعتهم وشتت
كلمتهم وأبسلهم بخطاياهم إنهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام
ويندر السواعد والأقدام وحتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر ويرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب وحتى يجر
ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحر أرضهم وبأعنان مساربهم ومسارحهم قال السيد رضي الله عنه الدعق
الدق أي تدق الخيول بحوافرها أرضهم ونواحر أرضهم متقابلاتها يقال منازل بني فلان تتناحر أي تتقابل **أقول**
هذا الكلام والذي يصفقن وأمور أشد حركة ونفوذا والجأش روع القلب واضطرابه عند الخوف والذمار ما وراء الرجل مما يجب

والمنع منه

فإن القتل

يصعقون تم

نسخة ولا تخلوها

عليهما فلانه

لن مه

والله لأنا أشوق إلى لقائهم منهم إلى ديارهم

عليه حمايته

في الصلح والتحكيم

عليه حماية وخفنا فالتشيع جانباه وقماقيم العرب اجوادهم والموجدة الغضب وتسليم اسلمهم للمهلكة والعوالي جمع عالية الرمح وهو ما
دخل منه الى ثلثه والنسيم النفس والمنسر القطعة من الجيش وكذلك الخميس الجيش والنواحر ايضا جمع ناحرة وهي آخر ليلة من الشهر مع يومها
كانها تنحر الشهر المستقبل فيكون مراده بنواحر اضحيتهم اواخرها ولعنان صناديدهم اخطارها وما اعترض منها وصناديدهم رؤساؤهم واحد
صنديد وقد امرهم في مصلحة الحرب وكيفيتها ونظامهم منها بامور اولها الامر بتقديم الدارع وتأخير الحاسر والمصلحة فيه ظاهرة الثاني
العض على الاضراس وحكمته ما سبق في قوله معاشر المسلمين استشعروا الخشية وفي قوله لابنه محمد بن الحنفية تزول الجبال ولا
تزل وقد كرره هنا ايضا الثالث الالتواء في اطراف الرماح وعلته ما ذكروه وهو ان التواء الانسان مع الرمح حال الارسال كان ازيد
ارسالا وذلك لحركة ضد الالتواء مع حركة يده حين الارسال فكانت حركته اشد واقوى نفوذا الرابع غض الابصار و
فائدته ما ذكر من كونه اربط لاضطراب الجأش واسكن وتحقيقه ان مد البصر الى القوم فانه مظنة الخوف والفشل وعلة لاقدام العدو
الخامس اماتة الاصوات وفائدته ما سبق من كونه طرد للفشل اذ كانت كثرة اللغط والصياح علامة الخوف الصايح وذلك مستلزم
لطمع العدو وفيه وجرأته عليه السادس قوله وراياتكم فلا تميلوها فان امالتها مما يظن به العدو ذلتها واضطراب حال منقطع وتقديمها
ولانها اذا ميلت تغيب عن عيون الجيش فربما لا يهتدي كثير منهم للوجه المطلوب السابع ولا تخلوها وسيفسره وهو الظاهر الثامن ولا تجعلوها
الى قوله منكم وذلك لانها اصل نظام العسكر وعليها يدورون وبها يقوى قلوبهم ما دامت قائمة فيجب في ترتيب الحرب ان يكون حاملها اشجع القوم
وقوله فان الصابرين الى قوله فيجيرونها تخصيص لمن يحفظ الراية ويحفها بوصف الصبر على نزول الحقائق اي الشدائد والحظر المنبه
التي لا شك في نزولها كي يبادروا الى حفظها والاحاطة بها رغبة في تلك المحمدة وبين بقوله لا يتأخرون عنها الى قوله فيجيرونها معنى
التخلية التي نهاهم عنها وقوله فيسلموها ويعترونها نصب الفعلان باضمار ان عقيب الفاء في جواب النفي التاسع قوله اجزأ امرؤ قرنه وآسى
اخاه بنفسه وهما لان ماضيان في معنى الامر والتقدير ليجزء امرؤ قرنه وهو خصمه وكفوه في الحرب اي ليقاومه وليواس اخاه بنفسه
في الذب عنه ولا يترك قرنه اعتمادا على اخيه في دفعه فيجتمع على اخيه قرنه وقرن اخيه ثم ذكر عدم الفائدة في الفرار اذ كانت غاية الفرار
السلامة من الموت وهو لا بد منه كقوله تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا واستعار لفظ
سيف الآخرة للموت ووجه المشابهة كونهما مبطلين للحيوة وانما كان سيف الآخرة لانها غايته ثم مدحهم باوصاف يستقبح معها الفرار
وهي كونهم اجواد العرب والسنام الاعظم واستعار لهم لفظ السنام لمشاركتهم اياه في العلو والرفعة ثم اكد تقبيح الفرار بذكر معايبه وانه لا فائدة
فيه ايضا اما معايبه فكونه يستلزم غضب الله فان الفار من الجهاد في سبيله عاص لامره والعاصي له مستحق لغضبه وعقابه ثم كونه مستلزما
للذل اللازم والعار الباقي في الاعقاب هو ظ واما انه لا فائدة فيه فلان الفار لا يزيد في عمره لفراره اذ علمنا بفراره انه لم يبلغ اجله لكنه
له وكان بقاؤه في مدة الفرار من عمره لا زيادة فيه فيحول له يوما في القضاء الالهي لا يحجز بينه وبينه فراره وفيه تخويف بالموت وقوله من رائح
الى الله كالظمآن يرد الماء استفهام عمن يسلك سبيل الله ويروح اليه كما يروح الظمآن استفهاما على سبيل العرض لذلك الرواح ووجه
الشبه القوة في السير والسعي الحثيث واشار بقوله الجنة تحت اطراف العوالي الى ان مطلوبه الرواح الى الله بالجهاد وحث عليه لبيان كون
الجنة وخصها بجهة تحت لان دخول الجنة غاية من الحركات بالرماح في سبيل الله وتلك الحركات انما هي تحت العوالي وقد اطلق لفظ
الجنة على تلك الافعال التي هي غاية منها مجازا تسمية باسم غايتها ثم اعقب ذلك بدعاء الله على محاربيه ان ردوا دعوته الحق بالتفريق
والاهلاك ثم حكم بانهم لن يزولوا عن مواقفهم دون ما ذكره كما على سبيل التهديد والوعيد لهم والطعن الدراك المتدارك وكنى بخروج النسيم
منه عن كونه يخرق في الجوف والامعاء بحيث يتنفس المطعون من الطعنة ودوي النسيم وروي القشيم بالقاف والشين المعجمة وهو اللحم والشحم وهو
بعيد وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في التحكيم انا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط
مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وانما ينطق عنه الرجال ولما دعانا القوم الى ان نحكم بيننا القرآن
لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله وقال سبحانه فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول فرده الى الله ان نحكم بكتابه ورده
الى الرسول ان ناخذ بسنته فاذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن احق الناس به وان حكم بسنة رسول الله فنحن اولاهم
به واما قولكم لم جعلت بينكم وبينهم اجلا في التحكيم فانما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله ان يصلح
في هذه الامة ولا تؤخذ باكظامها فتعجل عن تبين الحق وتنقاد لاول الغي ان افضل الناس عند الله من كان العمل بالحق
احب اليه وان نقصه وكرثه من الباطل وان جر اليه فائدة وزاده فاين يتاه بكم ومن اين اتيتم استعدوا للمسير الى قوم حيارى
عن الحق لا يبصرونه وموزعين بالجور لا يعدلون به جفاة عن الكتاب نكب عن الطريق ما انتم بوثيقة يعلق بها ولا زوافر
عز يعتصم اليها لبئس حشاش نار الحرب انتم اف لكم لقد لقيت منكم برحا يوما اناديكم ويوما اناجيكم فلا احرار صدق عند
النداء ولا اخوان ثقة عند النجاء **اقول** هذا الفصل من كلام له بعد سماعه لامر الحكمين وخدعة عمرو بن العاص لابي موسى

في التحكيم وما يتعلق به

كرتها الامر اشتد عليه واوزع له بكذا فهو موزع اي اغري به ونكب تنتسد بها الكاف جمع ناكب هو العادل عن الطريق كباذل وبذل ونزوا قرارة حول انصاره وعشيرته والحشاش جمع حاشة وهو موقد النار وكذلك الحشاش بكسر الحاء وتخفيف الشين كنائم ونوّم ونيام وقيل هو ما تحش به النار اي توقد والفرج بسكون الراء والشد هو الذي يقال له القتيب منه بوحا بارحا وروي ترحا وهو الحزن وهذا الفصل من اوله الى قوله او لا هم بر جواب له عن شبهة التحكيم للخوارج عن امره بالحرب بعد ان رضي بالتحكيم وتقدير الشبهة انك رضيت بحكم رجلين في هذا الامر وعاهدت على ذلك وكل من رضي بامر وعاهد عليه فليس له ان ينقض بعد ذلك وقدح في صغرى هذه الشبهة بقوله انا لم نحكم الرجال اي لكونهم رجالا وانما حكمنا القرآن لما كان القرآن لا بد له من ترجمان يبين مقاصده وحيث دعانا القوم الى حكم القرآن لم نكن نحن الفريق الكاره لكتاب الله المتولي عنه بعد امره تعالى بالرجوع اليه والى رسوله في الكتاب والسنة فيما اشتبه امره بقوله فان تنازعتم الاية فاذا حكم بالصدق عن علم بكتاب الله فنحن احق الناس به اي وكلاهم بالاتباع عدوا وكلاهم بان نبض على كون الامر لنا كما في قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين الى قوله حتى تفيء الى امر الله وقد كون اولئك بعد عقد الامامة بغاة عليه فوجب بنص الكتاب قتالهم وكذلك الآيات الدالة على وجوب الوفاء بالعهود والعقود وكانه هو اولى بالحق الذي يجب قتالهم عليه وكان الحاكم لهم مخطئا لما في الكتاب فهو غير عامل به فوجب مخالفة حكمه وان حكم بسنة رسول الله فنحن اولى الناس برسول الله بالقرابة والعمل بسنته لموافقتها الكتاب في نصه على وجوب متابعة الامام العادل فكان الحاكم لغيره مخالفا للسنة ايضا فصار حاصل هذا الجواب انا لم نرض بتحكيم رجلين لكونهما رجلين بل ليقضيا بحكمهما بكتاب الله الذي هما ترجمان عنه وهو الحاكم الذي دعانا الخصم اليه وحيث خالفاه لم يجب علينا قبول قولهما وقوله واما قولكم الى قوله لاول البغي فتقدير سؤال الخوارج مع جوابه وذلك انهم حين اتفقوا على التحكيم كتبوا كتاب الصلح وضربوا للحكمين اجلا مدة سنة صورة الكتاب هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب ومعوية بن ابي سفيان قاضى علي بن ابي طالب على اهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين وقاضى معوية بن ابي سفيان على اهل الشام ومن كان من شيعته من المؤمنين والمسلمين انا ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه ولا يجمع بيننا الا اياه وان كتاب الله سبحانه بيننا من فاتحته الى خاتمته نحيي ما احيى القرآن ونميت ما امات القرآن فان وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعاه وان لم يجداه اخذا بالسنة العادلة غير المفرقة والحكمان عبد الله وعمرو بن العاص وقد اخذ الحكمان من علي ومعوية ومن الجندين انهما امينان على انفسهما واموالهما واهلهما والامة لهما انصار وعلى الذي تقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين عهد الله ان يعملا بما يقضيان عليه مما وافق الكتاب والسنة وان الامن والموادعة ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين الى ان يقع الحكم وعلى كل واحد من الحكمين عهد الله ليحكمن بين الامة بالحق لا بما يهوى واجل الموادعة سنة كاملة فان احب الحكمان ان يعجلا الحكم عجلاه وان توفي احدهما فلامير شيعته ان يختار مكانه رجلا لا يألو الحق والعدل وان توفي احد الاميرين كان نصب غيره الى اصحابه ممن يرضون امره ويحمدون طريقته اللهم انا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة واراد فيها الحادا وظلما وشهد فيه من اصحاب علي عشرة ومن اصحاب معوية عشرة فذلك معنى الاجل في التحكيم وتقدير هذا السؤال انك حين رضيت بالتحكيم لم جعلت بينك وبينهم اجلا وما الحكمة في ذلك فاجاب بانما فعلت ذلك ليتبين الجاهل اي وجه الحق ويتثبت العالم اي انه مصيب يخلص من الشبهة ورجا ان هذه الامة بعد الصلح وقوله ولا تؤخذ باكظامها فيعجل الى الحرب فتعمر باخذ الكظم على الاخذ بالعنق وعلى غره وهؤلاء القوم لما اخذوا الاول شبهة عرضت من رفع المصاحف عموا ولم يتثبتوا في امرهم شبهوا من اخذ بمجرى نفسه فلم تمكن من الاستراحة الى التنفس فاستعير وصف الكظم لهم وقوله ان افضل الناس الى قوله وزاده جذب الى الحق وادنى الى الغاية المذكورة وتنفير عن الباطل وان استلزم الغاية المذكورة بذكر الافضلية عند الله وقوله من الباطل متعلق باحب اليه وقوله وان نقصه وكرثه اعتراض بينهما والحكم في هذه القضية صدق اذ كان ملازمة الحق اتقى الخلق والاتقى الافضل عند الله تعالى كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم وقوله فاين يتاه بكم بعد الى غاية يكون هذا التنبيه الذي احدثتم فيه وفيه تنبيه على ان ذلك ليس لعقل لغيرهم ومن اين اتيتم اي من اي وجه دخلت عليكم الشبهة وبيّنه بهذا السؤال تجاهل العارف اذ كان يعلم وجه الداخل عليهم ثم اعقب ذلك لتحقيقهم بالامر بالمسير الى اهل الشام ووصفهم بالجور عن الحق والعمى عنه والاغراء بالجور عن طريق الله مجنبة مثل الجود عندهم ويجفاوه الطباع عن فهم كتاب الله وبنوا الانفاه عنه ونقدهم عن طريقه كل ذلك اغراء بهم وقوله ما انتم بوثيقة اي بعروة وثيقة الى اخره وهو عتاب لهم وتضجر منهم على قلة طاعتهم وقوله يوما اناديكم اي ادعوكم الى النصرة واستغيث بكم يوما اناجيكم اي اعاتبكم واجادلكم على تقصيركم وقوله فلا احرار صدق عند اللقاء لان الحر من شأنه اجابة الداعي والوفاء بالوعد ونسبهم لذلك ولا اخوان ثقة عند النجاء لان اخا الثقة اذا نزل وعوتب من اخيه بعتب وذ اخوة واعتذر اليه رجع الى صفاء الاخوة لكان ثانيهما ونسبهم من ذلك في شيء والله الموفق

ومن كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء اتأمروني ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا اطور به ما سمر سمير وما ام نجم في السماء نجما لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله الا وان اعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا

ويضعه

في بيان كلام صدر منه مع الخوارج

وتضعه في الآخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند الله ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم فإن زلت به النعل يوماً فاحتاج إلى معونتهم فشر خليل وألأم خدين **أقول** لا أطور به أي لا أقربه والسمير الدهر يقال لا أفعله ما سمر سمير أي الدهر كله وكذلك لا أفعله ما سمر ابنا سمير وابناه الليل والنهار والخدين الخليل الصديق والتسوية في العطاء من سنة الرسول صلى الله عليه وآله وكان أبو بكر كذلك على تلك السنة فلما فضل من بعدهما أهل السابقة والشرف في العطاء على غيرهم اعتاد المفضلون بذلك إلى زمانه عليه السلام ولما كان سالكاً مسالك الرسول صلى الله عليه وآله ومقتفياً أثر سنته لم يمكنه إلا التسوية فطلب المفضلون فانهم من التفضيل عنده ولا ينبغي هذا الأمر فقال الكلام فقوله أتأمروني أن أطلب النصر بالجور جواب لمن أشار عليه بالتفضيل وكان المشير قال له إن فضلت هؤلاء كانوا معك فقاتلوا بهم ونصروك فأجابهم بذلك والجور العدول عن سبيل الله بالتفضيل حيث كان خارجاً عن سنة الرسول صلى الله عليه وآله أقسم لا يقرب التفضيل أبداً وأن المال لو كان له لكان من العدل أن يسوي بينهم فيه فكيف والمال مال الله ولهم ووجه ذلك أن التسوية هي العدل الذي يجتمع به النفوس على النصرة وشأنه أن هم على مفارقة العدل ودفعه التفضيل المستلزم لانكسار قلوب المفضولين مع كثرتهم فلو كان المال له مع كونه بطباع البشر المائلة إلى تخصيص دون تخصيص بهوى منهم فكيف والمال لله الذي تساوى نسبة الخلق إليه وما لهم الذي فرضه الله لهم على سواء وهو كالإعداد الحاسم لمادة الطمع في التفضيل ثم نبه على قبح وضع المال في غير أهله وعلى غير وجهه وفي غير أهله هم غير الفقراء والمستحقين وغير وجه حقه الذي لم يفرضه الشارع وأشار إلى وجوه المفاسد في غير أهله تبذير وفي غير وجهه إسراف وعرفت أنهما طرفا الإفراط من فضيلة السخاء وقوله يرفع صاحبه في الدنيا أي يحصل له الثناء بذكر الكرم بين العوام ولمن لا يعرف حقيقة ويضعه في الآخرة إذ كان يترتب على رذيلة وكذلك يكرمه عند الناس ويهينه عند الله وأما حكمه بأن الواضع لماله في غير حقه وعند غير أهله محروم شكرهم ولغيره ودهم على تقدير وقوع الزلة منه التي يحتاج إلى مساعدتهم فيها عدم غير ذلك للإسراف وربما بلغ التجربة وأما سر ذلك فيحتمل أن يكون لأنهم لما كانوا غير أهل لوضع المعروف فلم يكونوا أهلاً للاعتراف به لشدة الجهل وغلبتهم ولاعتقادهم أن المسدي إليهم غير أهل لشكرهم وأنهم على مرتبة ولحوق بالمال منه وأكثر ما يكون عدم الشكر من هؤلاء لنظر كل منهم إلى أن غيره من المسدى إليه من غير أهل وأنه هو أحق فيرى نفسه وإنما مبخوس الحظ من باذل المعروف فلا يزال متسخطاً عاتباً عليه ذاماً للزمان لا يحقق غيره الباذل فإذا أصابه من غيره أدنى معروف لم يصنعه مدح أحد وشكر الناس له ساعة على مدحه وأظهر فضله وفعال الذين يضع المعروف في أهله ذلك كالمستنهض لهذا الباذل إذا كان مزري عليه والعائر له وكفى بزل النعل عن عثراته المصائب وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام أيضاً للخوارج فإن أبيتم إلا أن تزعموا أني أخطأت وضللت فلم تضللون عامة أمة محمد صلى الله عليه وآله بضلالي وتأخذونهم بخطائي وتكفرونهم بذنوبي سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب وقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله رجم الزاني ثم صلى عليه ثم ورثه أهله وقتل القاتل وورث أهله ميراثه وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن ثم قسم عليهما من الفيء ونكحا المسلمات فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم وأقام حق الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ولم يخرج أسماءهم من بين أهله ثم أنتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه وسيهلك في صنفان محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق وخير الناس في حالاً النمط الأوسط فالزموه والزموا السواد الأعظم فإن يد الله على الجماعة وإياكم والفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه وإنما حكم الحكمان ليحييا ما أحيى القرآن ويميتا ما أمات القرآن وإحياؤه الاجتماع عليه وإماتته الافتراق عنه فإن جرنا القرآن إليهم اتبعناهم وإن جرهم إلينا اتبعونا فلم آت لا أبا لكم بجراً ولا ختلتكم عن أمركم ولا لبسته عليكم إنما اجتمع رأي ملئكم على اختيار رجلين أخذنا عليهما ألا يتعديا القرآن فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما فمضيا عليه وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة بالعدل والصمد للحق سوء رأيهما وجور حكمهما

أقول البجر الشر والأمر العظيم والختل الخديعة والصمد القصد وهذا الفصل مشاجرة مع الخوارج وهو منع لشبهتهم التي بها كفروا أصحابه وصورتها أنكم ضللتم بالتحكيم وكل ضال كافر فينتج أنهم كفار وقوله فإن أبيتم إلى قوله وضللت يجري مجرى تسليم جدلي لما منعه أولاً في الفصول السابقة من صغرى شبهتهم وبين أن التحكيم لم يكن منه خطأ ولا ضلالاً فكأنه يقول وهب أني أخطأت كما زعمتم وقوله فلم تضللون عامة أمة محمد صلى الله عليه وآله إلى منع لصغرى هذه الشبهة وقوله وتكفرونهم إلى قوله من لم يذنب منع للكبرى فكأنه يقول هب أنكم ضلالاً فلم تكفرونهم وتقتلون بسبب تكفيرهم المذنب وغير المذنب ثم قوله وقد علمتم إلى قوله من بين أهله استشهاد عليهم بفعل الرسول صلى الله عليه وآله فيمن أخطأ وأذنب ثم لم يكفرهم بذنوبهم بل أجرى عليهم أحكام الإسلام ولم يسلبهم سهمهم والاستشهاد يجري مجرى ذكر مستند المنع والزاني الذي رجمه هو المحصن ولم يمنعه من الإسلام عليه الصلاة عليه وتوريث ماله لأهله وكذلك من أهل الكبائر بالإثم لم يمنعهم ذلك [illegible] وصف المنافي له من الكفر

في اخباره عن الملاحم بالبصرة

عليهم وضمير الاثنين في يحكيا الى السالف والاتي اي لم يمنعهم استحقاق القتل والجلد من حصتهما من الفيء ونحن نكاح المسلمات وضمائر الجمع في قوله فاخذهم الله بذنوبهم الى قوله بين اهله راجعة الى كل من جرى ذكره من المذنبين والكلام المذكور حكاية لحالهم والضمير في اهله يرجع الى الاسلام ثم لما فرغ من بيان غلطهم ذمهم ونبههم الى الانقطاع عن الشبهة اذ كانت وساوسه مبادي الاغلاط والشبه ثم عقب ذلك بالاخبار عن هلاك من سلك طرفي الافراط في حبه او بغضه لخروجهما عن الحق والعدل الى الباطل والجور وافراط الحب ان جعل الها كالمنسوب الى النصيرية ونحوهم من الغلاة وافراط البغض ان نصب له الكفر كالمنقول عن الخوارج وجعل خير الناس فيه حالا النمط الاوسط في المحبة وهم اهل العدل فيه والنمط الاوسط الجماعة من الناس امرهم واحد وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط يلحق بهم التالي ويرجع اليهم الغالي فالتالي هو المقصر او المفرط طرف التفريط والغالي هو العابر الى طرف الافراط وامر بلزوم ذلك النمط ولزوم طريقه السواد الاعظم اي اكثر المسلمين المتفقين على راي واحد ورغب في لزوم طريقهم بان يد الله على الجماعة فتجوز بلفظ اليد في قدرة الله وحراسته للجماعة اذ كانوا امنع وابعد عن الانفعال للعدو وامن من الغلط والخطاء لكثرة ارائهم واتفاقها فلا تكاد تتفق على امر الا مصلحة فيه مع كثرتها واختلافها وحذر من الفرقة والشذوذ عن الجماعة بان الشاذ من الناس اي المنفرد المستبد برايه للشيطان اي محل تطرق الشيطان لانفراده وشبه ذلك بالشاة من الغنم ووجه الشبه كون انفراده محلا لتطرق الهلاك اليه باستغواء الشيطان له كما ان الشاة المنفردة في مظنة الهلاك لانفرادها ووحدتها للذئب ثم امر بقتل من دعا الى هذا الشعار وهو مفارقة الجماعة والاستبداد بالراي وقوله ولو كان تحت عمامتي هذه مبالغة في الكلام كني بها عن اقصى القرب من عنايتي اي ولو كان ذلك الداعي الى هذا الحد من عنايتي به وقبل اراد ولو كان ذلك الداعي انا وقوله وانما حكم الحكمان اعتذار عن شبهة التحكيم واسند اليهما لفظي الاحياء والاماتة مجازا باعتبار كونهما في الاجماع عليه والعمل به مظهرين لمنفعته وفائدته كما يفعل مميت الشيء ومبطل حياته وقوله فلم ات لا ابا لكم بجرا الى اخره لما بين وجه عذره في التحكيم ان يكون فعله ذلك مشتملا على قصد شر او خدعة لهم او تلبيسا عليهم في التحكيم من غير اتفاق منهم ومراجعة لهم بل انما كان ذلك عن اجماع ارائهم على اختيار حكمين اخذت عليهما الشرائط المعدودة في كتاب الصلح وفي نسبة اختيار الحكمين الى ملائهم ونسبة اخذ العهد عليهما في اتباع الكتاب الى نفسه او الى جماعة هو احدهم تنبيه على ان اخذ العهد عليهما كان منه او بشركة دون تعيينهما الحكومة لما نقل انه كان غير راض بنصب ابي موسى تابعا عنه وانما اكره على ذلك وكان ميله واختياره في ذلك لابن عباس وتلخيص الكلام انا انما رضينا بالحكمين بشرط ان يعملا بكتاب الله والمشروط بشرط عدم عند عدم ذلك الشرط لكنهما خالفا الشرط بعد ان سبق استثناؤنا عليهما سوء رايهما وجب مخالفتهما وانتصب سوء رايهما لانه معمول به عن سبق وبالله التوفيق والعصمة

ومن كلام له عليه السلام وهو مما كان يخبر به عن الملاحم بالبصرة

يا احنف كاني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل يثيرون الارض باقدامهم كانها اقدام النعام يومي بذلك الى صاحب الزنج ثم قال عليه السلام ويل لسكككم العامرة والدور المزخرفة التي لها اجنحة كاجنحة النسور وخراطيم كخراطيم الفيلة من اولئك الذين لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم انا كاب الدنيا لوجهها وقادرها بقدرها وناظرها بعينها

اقول الملحمة الوقعة العظيمة وهذا الفصل من خطبة له عليه السلام بالبصرة بعد وقعة الجمل ذكرنا منها فصولا فيما سبق والخطاب مع الاحنف بن قيس لانه كان رئيسا ذا عقل وسابقة في قومه وكان اسمه صخر بن قيس بن معوية بن حصين بن عباد بن مرة بن عبيد بن تميم وقيل اسمه الضحاك وكنيته ابو بحر وبسببه كان اسلام بني تميم حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يجيبوا فقال لهم الاحنف انه يدعوكم الى مكارم الاخلاق وينهاكم عن ملائمها فاسلموا واسلم الاحنف وشهد مع علي عليه السلام صفين ولم يشهد الجمل مع احد الفريقين والضمير في قوله كاني به لصاحب الزنج واسمه علي بن محمد العلوي المنتسب والجيش المشار اليه هم الزنج ووقعتهم بالبصرة مشهورة واخبارهم وبيان احوالهم وتفصيل وقائعهم يشتمل عليها كتاب مفرد في نحو من عشرين كراسة فليطلب عليها من هناك ولما وصف ذلك الجيش بالاوصاف المذكورة فلان الزنج لم يكونوا اهل خيل ولا اجناد من قبل حتى يكون بالاوصاف المشار اليها واثارتهم التراب باقدامهم كناية عن كونهم حفاة



في الاغلب مشققي الاقدام فهي من اعتياد الحفا ومباشرة الارض كالخشب ونحوه وكانت مظنة اثارة التراب عوضا من حوافر الخيل ووجه شبهها باقدام النعام ان اقدامهم في الاغلب قصار عراض منتشرة الصدور ومفرقات الاصابع فهي من عرضها لا يتبين لها طول فاشبهت اقدام النعام في بعض تلك الاوصاف ثم اخبر بالويل لحال البصرة ودورها المزخرفة من اولئك واستعار لدورها لفظ الاجنحة واراد بها القطاميات التي تعمل من الاخشاب والبواري بارزة عن السقوف كالوقاية للمشارف والحيطان عن اثار الامطار وهي تشبه الاشياء في هيئتها وصورتها وصنعها باجنحة كبار الطير كالنسور وكذلك استعار لفظ خراطيم الفيلة للميازيب التي تعمل من الحوص على شكل خرطوم الفيل وتطلى بالقار يكون نحوا من خمسة اذرع او ازيد تدلى من السطح حفظا للحيطان من اذى السيل ايضا وهي اشبه الاشياء في صورتها بخراطيم الفيلة واما وصفه لهم بانه لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم فقال بعض الشارحين اراد بذلك وصف لهم بشدة الباس والحرص على الحرب والقتال وانهم لا يبالون بالموت فلا ياسفون

علي من فقار

في اخبار عن الملاحم بالبصرة

على من نفذ منهم واقوال الاشبه ان ذلك لكونهم لا اصول لهم لاكثرهم من ام او اخت وغيرهم لك ممن عاد فلان بنوح وبدر بيحيى ... ولا اهل
غائبة لكون اكثرهم من بقي في البصرة ممن قتل منهم لا يكون منهم من يندبه ومن غاب لا يكون له من يعضده وقوله فاكانت الدنيا لو جمعها
اشارة الى زهده فيها وتنبيه على ضعتها فيقال كبيت طلاما لوجهه اذا تركته لم التفت اليه وقوله ردها بعينها ... يحتمل انها
عقيدة ... كان مقدار ما فيها يحقر عنده كان البقاء فيها احقر حسب هذه البقاء فيها وكان ... ردها بعينها ...
بالعين التي ان تنظر بها الدنيا من كونها غرارة غدارة خائنة الى غير ذلك من اوصافها وانها مرتعة ... وطريق اليها غير مطاوية لله بها
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** يومي به الى وصف الاتراك كأني اراهم قوما كان وجوههم المجان المطرقة يلبسون
السرق والديباج ويعتقبون الخيل العتاق ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول ويكون المفلت
اقل من المأسور فقال له بعض اصحابه لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلام وقال للرجل وكان كلبيا يا
اخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه وتعالى
بقوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الاية فيعلم ما في الارحام من ذكر او انثى وقبيح او جميل وسخي او بخيل وشقي
او سعيد ومن يكون للنار حطبا او في الجنان للنبيين مرافقا فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه احد الا الله وما سوى
ذلك فعلم علمه الله نبيه صلى الله عليه وآله فعلمنيه ودعا لي بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي **اقول**
المجان بالفتح جمع مجن بكسر الميم وهو الترس والمطرقة بفتح الراء والتخفيف التي تطبق وتخصف كطبقات النعل يقال اطرقت
بالجلد اذا ألبست والسرق بفتح السين والراء شقق الحرير واحدها سرقة قال ابو عبيد هي البيض منها وهو فارسي معرب اصله
سره اي جيد كالاستبرق الغليظ من الديباج ويعتقبون الخيل يحتبسونها ويرتبطونها واستحر القتل وحر اي اشتد واعلم
انه من عادته اذا اراد الاخبار عن امر سيكون فانه يصدره بقوله كاني كما سبق من اخباره عن الكوفة كاني بك يا كوفة وكقوله
كاني به وقد نعق بالشام ونحو ذلك ان مشاهدة بعين بصيرته لما افيض على نفسه القدسية من انوار الغيب على سبيل الالهام
بواسطة الاستاد المرشد تشبه المشاهدة بعين البصر في الجلاء والظهور الخالي عن الشك فلذلك حسن حرف التشبيه صدر له
وضمائر الجمع في الفصل تعود الى الاتراك وشبه وجوههم بالترس المطرقة ووجه الشبه في تشبيهها بالترس الاستدارة والعظم
والانبساط وفي كونها مطرقة الخشونة والغلاظة وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس واما وصفهم باعتياد لبس السرق والديباج واعتقاب الخيل
فاعتبار احوال الترك تشهد بصدقه واما اخباره عن استحرار القتل الى الغاية المذكورة حين ظهورهم فمما تصدقه التواريخ با
الوقائع المشهورة بينهم وبين العرب وغيرهم من المسلمين في ايام عبدالله بن الزبير وفي ايام قتيبة بن مسلم ويكفي في صدق ذلك في
الغاية المذكورة ما شهدناه من وقائع التتار مع المسلمين وقتلهم اياهم بالعراقين وخراسان وغيرهما من البلاد فاما جوابه عليه السلام للكلبي
ان ذلك ليس بعلم غيب انما هو تعلم من ذي علم وتعديده المعلومات بعلم الغيب التي لا يعلمها الا الله سبحانه فحق وصدق
وقد نبهنا على الفرق بين علم الغيب والاخبار عن المغيبات في المقدمات لكن ينبغي ان يعلم ان التعلم الحاصل له من قبل الرسول
ليس على سبيل ان كل ما ألقاه اليه صور جزئية ووقائع جزئية بل معناه هو اعداد نفسه القدسية على طول الصحبة من حيث كان طفلا
الى ان توفي الرسول صلى الله عليه وآله لهذه العلوم بالرياضة التامة وتعليم كيفية السلوك واسباب تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة
حتى استعدت نفسه الشريفة للانتقاش بالامور الغيبية وانتقشت فيها الصور الكلية فامكنه الاخبار عنها وبها ولذلك قال و
دعا لي بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي اي ينضبط قلبي ويشتمل عليه وكنى بالجوانح عن القلب لاشتمالها عليه و...
لو كانت تلك العلوم صورا جزئية لم يحتج الى مثل هذا الدعاء فان فهم الصور الجزئية وضبطها والاخبار عنها ممكن لكل العوام
وانما الصعب المحتاج الى الدعاء بان يعيه الصدر ويستعد الاذهان لقبوله هو القوانين الكلية وكيفية انشعابها وتفصيلها و
اسباب تلك الامور المعدة لادراكها حتى اذا استعدت النفس بها امكن ان تنتقش بالصور الجزئية من مبدئها ومفيضها كما سبقت الاشارة اليه

ومن كلام له عليه السلام في ذكر المكاييل والموازين عباد الله انكم وما تاملون من هذه الدنيا اثوياء مؤجلون
ومدينون مقتضون اجل منقوص وعمل محفوظ فرب دائب مضيع ورب كادح خاسر وقد اصبحتم في زمن
لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان في هلاك الناس الا طمعا فهذا اوان قويت عدته وعمت مكيدته
وامكنت فريسته اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر الا فقيرا يكابد فقرا او غنيا بدل نعمة الله كفرا او
بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا او متمردا كان باذنه عن سمع المواعظ وقرا اين خياركم وصلحاؤكم واين احراركم وسمحاؤكم
واين المتورعون في مكاسبهم والمتنزهون في مذاهبهم اليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنغصة
وهل خلقتم الا في حثالة لا تلتقي بذمهم الشفتان استصغارا لقدرهم وذهابا عن ذكرهم فانا لله وانا اليه راجعون

كلام لأبي ذر

ظهر الفساد فلا منكر مغير ولا زاجر مزدجر افبهذا تريدون ان تجاوروا الله في دار قدسه وتكونوا اعز اوليائه عنده هيهات لا يخدع الله
عن جنته ولا تنال مرضاته الا بطاعته لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به **اقول** انوياء جمع
نوي على فعيل وهو الضعيف والذاب الجد في العمل والكدح العمل والوزر الثقل والحثالة الثفل وكذلك الردي من كل شيء وقد نفر
من الدنيا بذكر عدة من معايبها لهم فلكونهم فيها ضيفانا واستعار لهم لفظ الضيف كذلك لما يأملون منها ووجه الاستعارة مشابهتهم
للضيف في تاجيل الاقامة وانقطاع قصد وقرب رحيله وموجلون ترشيح للاستعارة التابعة لكونهم مدينون فيها واستعار لفظ المدين باعتبار
وجوب الفرائض المطلوبة منهم وعهد الله لما اخذ عليهم ان يرجعوا اليه طاهرين عن نجس الجحد بن وذكر بن المقيضين لما ان شان المدين
ان يقتضي منه الدين ثم لما ذكر كونهم موجلين ومديونين كرر ذكر الاجل بوصف لنقصانه فلا شك في نقصانه الاتي وذكر الامل الذي
خالصه وصالحه هو الدين المقتضي منهم بوصف كونهم محفوظا عليهم يجب به بنقصان الاجل الى العمل ويحفظ العمل الى اصلاحه والاخلاص فيه
واجل وعمل خبران حذف مبتداؤهما اي اجلكم اجل منقوص وعملكم عمل محفوظ ونبه بقوله فرب دائب مضيع ورب كادح خاسر ان العمل
وان قصد فيه الصلاح ايضا الا انه قد يقع على وجه اغلاط فيحصل به كدح وانحراف عن الدين وضلال عن الحق فمضيع العمل ويخسر الكادح كدابة
الحوارج ونحوهم وربما دخل الكادح في قوله تعالى هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
وذلك كبعض اهل الكتاب ونحوهم وقوله قد اصبحتم الى قوله الا شكاية للزمان وذمه وهو كقوله انا قد اصبحنا في زمن كنود
ودهر عنود وذلك لاخذ الزمان في البعد عن وقت ظهور الشريعة وطراوتها وجراءة الناس على هتك الدين وارتكاب مناهي الله وكذا
طمع الشيطان في هلاكهم اي في هلاك دينهم الذي يكون غايته هلاكهم في الآخرة واشار الى ان ذلك الوقت هو اوان قوة مدده وعموم مكيدته
وامكان عمله فيما ظننت بما شاهدوا وما نبه واستعار لفظ الفريسة لطاوعي الشيطان والمنفعلين عنه ووجه الاستعارة ملوقة منهم مرارة
ونصر بعدهم لغايته هلاكهم لا سيما مع فرسية معقولة اضرب بطرفك الى قوله شرح لما اجمله اولا من انه لما اقبال الشر وادبار الخير وكثير
الغني تركه واعراضه عن شكر نعم الله سبحانه وقوله تعالى ايه حالق بالبخل ان البخيل يقصد ببخله حق الله على مستحقه بتوفير المال وكثرة
منه وقوله ابن خيارك الى قوله منها منهم سؤال ان باب تجاهل العارف شبه لهم على ما صاروا اليه من الفناء وفراق الدنيا وعلى انهم لم
يبق فيهم من اولى الاعمال الصالحة احد لعلهم يرجعون الى اولى الاعمال الصالحة والاحرار الكرماء والمتورعون في مكاسبهم
الملازمون للاعمال الجميلة فيها من التقوى في المساعي واخراج حقوق الله والمتزهدون في مذاهبهم المتنعمون عن ولوج ابواب المحارم والشبهات
في مسالكهم وهي كانهم وقوله اليس الى قوله المنغصة سؤال على سبيل التقرير لما نبههم عليه من فراق الدنيا ودنائتها بالتشبيه الى عظيم
ثواب الآخرة وتنغيصها بالآلام ونحوها حتى قال بعض الحكماء ان كل لذة في الدنيا فانما هي خلاص من الم وقوله وهل خلقتم الى قوله عن
ذكرهم سؤال على سبيل التقرير لما ذكره واستعار لفظ الحثالة لاوغاد الناس ورعاعهم وقوله لا يلتقي بذمهم الشفتان اي انهم احقر من ان يشتغل
الانسان بذمهم وانتصب استصغارا وذهابا على المفعول له وحسن اقتباس القرآن فيهما لما ان هذه الحال التي الناس عليها من فقد
خيارهم وبقاء شرارهم مصيبة لحقتهم ومن اداب الله للصابرين على نزول المصائب ان يسلوا انفسهم واحوالهم اليه فيقولوا عندها انا لله وانا
اليه راجعون كما قال سبحانه وبشر الصابرين الآية ثم حكم على سبيل التوجع والاسف بظهور الفساد ونفي المنكر المغير المزدجر عند نهيهما لهم
على انهم وان كان فيهم من ينكر ويزجر الا انه لا يغير ما ينكره ولا يزدجر عن مثله وذلك من قبائح الاعمال والرذائل وقوله افبهذا اي اعمالكم هذه
المدخولة وسيفصلكم مجاورة الله والوصول اليه والمقام معه في جنته التي هي مقام الطهارة عن نجاسات الهيئات البدنية ومقام تنزيه ذات
الله تعالى وطهارتها عن اتخاذ الشركاء والانداد وهو استفهام على سبيل الانكار لذلك عقبه بقوله هيهات الى آخره ولما كان ذلك يجري
مجرى الزهد الظاهر مع النفاق في الباطن اعلم انهم المدخولة من انكار المنكر وارتكابهم نبههم على ان فعلهم كخداع الله عن جنته ورضاه
بان الله لا ينخدع لعلمه بالسرائر وانها لا تنال الا بطاعته اي الطاعة الحقيقية الخالصة دون الظاهرة ثم ختم بلعن الآمرين بالمعروف مع تركهم
للعمل به والناهين عن المنكر المرتكبين له لانهم منافقون مغرورون بالدين يمكرون بهم والنفاق مستلزم اللعن والبعد عن رحمة الله
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لابي ذر لما اخرج الى الربذة يا ابا ذر انك غضبت لله فارج من غضبت له
ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك في ايديهم ما خافوك عليه واهرب منهم بما خفتهم عليه فما احوجهم الى ما
منعتهم واغناك عما منعوك وستعلم من الرابح غدا والاكثر حسدا ولو ان السموات والارض كانتا على عبد رتقا ثم اتقى
الله لجعل الله له منهما مخرجا لا يؤنسنك الا الحق ولا يوحشنك الا الباطل فلو قبلت دنياهم لاحبوك ولو قرضت منها لامنوك **اقول**
ابو ذر اسمه جندب بن جنادة وهو من بني غفار قبيلة من كنانة واسلم بمكة ولم يشهد بدرا ولا الخندق لانه حين اسلم رجع الى بلاد قومه فاقام حتى
مضت هذه المشاهد ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يتولى عليا واهل بيته وهو الذي قال الرسول صلى الله عليه وآله في حقه ما اقلت الغبراء ولا
اظلت الخضراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر وروى ابن المعز عن قال رايت ابا ذر آخذا بحلقة باب الكعبة وهو يقول انا ابو ذر الغفاري من لم

ومن كلام الحكماء ان كل لذة في الدنيا فانما هي خلاص من الم

العمل

مرضاته

عليه

برقني فانا جندب صاحب رسول الله صم سمعت رسول الله صم يقول مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وكان قد اخرجه
عثمان الى الربذة وهي موضع قريب الى المدينة واختلف في سبب اخراجه فروي عن زيد بن وهب انه قال قلت لابي ذر رحمه الله وهو بالربذة ما انزلك
هذا المنزل قال اخبرك اني كنت بالشام في ايام معوية فذكرت قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معوية
هذه نزلت في اهل الكتاب فقلت بل فينا وفيهم فكتب معوية الى عثمان يشكوني في ذلك فكتب الي ان اقدم علي فقدمت عليه فانثال
الناس علي كانهم لم يعرفوني فشكوت ذلك الى عثمان فخيرني فقال انزل حيث شئت فنزلت الربذة وهذا القول من نزه عثمان عن ظلم ابي ذر ونفيه
ان كان خروجه الى الربذة باختياره وقيل بل كان يغلظ القول في انكار ما يراه منكرا في حق عثمان ويقول لم يبق اصحاب محمد على ما عهد وينفر
بهذا القول وامثاله عنه فاخرجه لذلك وخطابه عليه السلام لابي ذر رحمه الله بالقول الثاني فقوله انك غضبت لله شهادة له بان انكاره لما ينكره لما
يقصد به وجه الله تعالى وقوله ان القوم خافوك على دنياهم اي علم الحال الذي اقتضى نفيهم وخفتهم على دينك باجتناب مواقفهم واخذ عطائهم على
غير السنة وقوله فاترك اي اترك لهم دنياهم وارتج بدينك فما احوجهم الى دينك وما اغناك عن دنياهم وقوله ستعلم من الرابح
غدا والاكثر حسدا اي يوم القيمة وظاهر كون تارك الدنيا اربح من المقبل عليها واكثر الحسد من لواحق اكثرهم الربح وقوله ولو ان السموات
الى قوله مخرجا بشارة له بالخلاص مما هو فيه من ضيق الحال بسبب الاخراج وشرط في ذلك تقوى الله اشارة الى قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له
مخرجا قال ابن عباس قرأ رسول الله صم ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيمة وظاهر كون
التقوى عند استشعارها سببا قاطعا الطمع المنقطع من الدنيا وقيناتها وهو مستلزم للخروج من مجاذبة النفس الامارة بالسوء والوقوع في
شبهات الدنيا وهو هي في استلزام الخلاص من غمرات الموت وشدائد يوم القيمة اظهر وكنى عنه بالغايات المذكورة وهي رتق السموات والارض
على العبد عن غايات الشدة مبالغة ترغيب في فضل التقوى ثم امره بالاستيناس بالحق وحده والاستيحاش من الباطل وحده واكد الحصر
في الموضعين بقوله وحده تنفيرا عن ان يستوحش من حق ما فيتركه وينفر عنه وان صعب شق على النفس او يستانس بباطل ما فيفعله او
يسكت عليه وان التذ لها ونبه على علة بغضهم واخافتهم له وهو عدم مشاركته في دنياهم والانفراد بالانكار ومغالظة القول عليهم وكنى بالقرض
من الدنيا عن الاخذ وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** ايتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة الشاهدة ابدانهم والغائبة
عنهم عقولهم اظأركم على الحق وانتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الاسد هيهات ان اطلع بكم سرار العدل او اقيم اعوجاج الحق
اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر
الاصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك اللهم اني اول من اناب وسمع واجاب لم يسبقني الا رسول
الله صلى الله عليه وآله بالصلوة وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل
فتكون في اموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الخائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ولا
المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع والمعطل

كلام

للسنة فيهلك الامة **اقول** اظاركم اعطفكم ووعوعة الاسد صوته وسرار العدل ما خفي منه والنهم الحرص على الدنيا وقد نادى النفوس
بصفة الاختلاف اي اختلاف الاهواء والقلوب المتشتتة المتفرقة عن مصالحها وما خلقت لاجله واراد بغيبة عقولهم ذهولها عن رشدها
واصابة وجه الحق بانصرافها عن دعائه الى ما ينبغي عنه وشبه نفارهم بنفور المعزى من صوت الاسد ووجه التشبيه شدة نفارهم عن الحق
ثم استبعد اظهاره للعدل واقامة الدين بمثلهم على ما هم عليه من قلة طاعتهم ثم عقب ذلك باستشهاد الله سبحانه على ان قصده بمنافسته
في امر الخلافة لم يكن في سلطان ولا لفضل حطام دنيوي ولكن للغاية التي ذكرها من رد معالم الدين وهي الاثار التي يهتدى بها وكذا
سائر ما عدده من المصالح ثم ثلث ذلك استشهادا باستشهاده على انه اول من اناب اي رجع الى الله ثم علم انه كان بعد في حجر نبينا وسمع اي
اطاع الله واجاب اي داعي الله ثم استثنى سبق الرسول صم اليه في الصلوة وذلك مما هو معلوم من حاله وانما يقول خصمه انه حين تبع الرسول
كان طفلا لا اعتداد باسلامه وسند كون ذلك موضعه من الخطبة المسماة بالقاصعة وغرضه من هذا الاستشهاد مع ما بعده من الاشارة الى الرذائل
التي ينبغي ان يكون الامام منزها عنها تنزيه نفسه وتنبيه على ان فيه من الفضائل ما يقابل تلك الرذائل بل يبعد بها ونفيها عن الامام الوالي لامر
المسلمين والاشارة الى وجوه المفاسد اللازمة عنها وتذكيرهم بما علموه من ذلك بقوله فقد علمتم الى اخره اما البخيل فلشدة حرصه على ما في
ايدي الناس من الرعية وقد عرفت ما يستلزمه من نفارهم عنه وعدم انتظام الاحوال واما الجاهل فلانه لجهله بقوانين الدين وتدبير امور العالم
ضال ومضل ويستلزم ضلال من اقتدى به وذلك ضد مقصود الشارع واما الجافي فلان جفاءه يستلزم التفرق والانقطاع عنه وذلك
ضد الالفة والاجتماع المطلوب للشارع واما الخائف من الدول فيختص بعنايته من يخافه دون غيره وذلك ظلم لا ينتظم معه نظام العالم واما
المرتشي في الحكم فلظلمه وذهابه بالحقوق والوقوف بها على الحيف دون المقاطع الحقة فترى احدهم اذا اراد فصل قضية دافع بها طويلا
وصعب الحق وعرض بخوضه واشار بالصلح بين الخصمين مع ظهور الحق لاحدهما وكانت غايته من ذلك تخويف صاحب الحق من فوات الجميع الى

في كلام ثنائه

الصلاح والرضى ببعض حقه مع انه قد يأخذ منه رشوة واتهم وربما كانت فئة المعتد اكثر من تبوء المبطل منهما وهم في ذلك حيل يعرفها من نال منهم والله المستعان على ما يصفون واما المعطل للسنة فلتضييعه قوانين الشريعة واهمالها المستلزم لفساد النظام في الدنيا والهلاك الدائم في الاخرى وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام نحمده على ما اخذ واعطى وعلى ما ابلى وابتلى الباطن لكل خفية والحاضر لكل سريرة العالم بما تكن الصدور وما تخون العيون ونشهد ان لا اله غيره وان محمدا نجيبه وبعيثه شهادة يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان **اقول** الضمير في قوله نحمده يعود الى اسم الله في كلام سابق لم يذكر وقد علم شكر الله تعالى على اخذه وعطائه وعلى ابلائه بالخير وابتلائه بالشر وتنبيه بذلك على وجوب شكر الله تعالى في طرفي السراء والضراء وعطائه الشدة والرخاء فاما وصفه له بالباطن والحاضر والعالم فقد سبق شرحه غير مرة ومصداق الوصفين الاولين قوله تعالى يعلم السر واخفى ومصداق الاخير قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وكذلك سبقت الاشارة الى سر الشهادتين ونجيبه وبعيثه منتجبه ومبعوثه فعيل بمعنى مفعول وقوله شهادة يوافق فيها الى آخره اى شهادة خالصة من النفاق والرياء وبالله التوفيق **منها** فانه والله الجد لا اللعب والحق لا الكذب وما هو الا الموت اسمع داعيه واعجل حاديه فلا يغرنك سواد الناس من نفسك وقد رأيت من كان قبلك ممن جمع المال وحذر الاقلال وامن العواقب طول امل واستبعاد اجل كيف نزل به الموت فازعجه عن وطنه واخذه من مأمنه محمولا على اعواد المنايا يتعاطى به الرجال الرجال حملا على المناكب وامساكا بالانامل اما رأيتم الذين يأملون بعيدا ويبنون مشيدا ويجمعون كثيرا اصبحت بيوتهم قبورا وما جمعوا بورا وصارت اموالهم للوارثين وازواجهم لقوم آخرين لا في حسنة يزيدون ولا من سيئة يستعتبون فمن اشعر التقوى قلبه برز مهله وفاز عمله فاهتبلوا هبلها واعملوا للجنة عملها فان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام بل خلقت لكم مجازا لتزودوا منها الاعمال الى دار القرار فكونوا منها على اوفاز وقربوا الظهور للزيال **اقول** المشبه المعلى والاصل ان الامر [illegible] في احكامه [illegible] مصدر [illegible] الضمير التقوى مؤكد للفعل اى احكموها احكاما وا[illegible] جمع وفز وهي العجلة والضمير في قوله فانه اما ان يرجع الى مذكور سابق او الى معنى كلامه وهو التحذير والانذار وكذلك الذي في قوله وما هو الا الموت يحتمل ان يعود الى ملفوظ به سابق ويحتمل ان يعود الى المعنى بالتحذير منه والانذار به اى وما الذي احذركم وهو منه عليكم الا الموت واسمع واعجل محلهما النصب على الحال من معنى الاشارة وقوله فلا يغرنك الى قوله وامن العواقب اى فلا يغرنك من نفسك الامارة بالسوء وسوسها واستغفالها لك عن ملاحظة الموت برؤية سواد الناس اى كثرتهم اذ كثيرا ما ترى الانسان الميت محمولا فيتدارك من ذلك رقة وخوفا فتدفعها الوسواس الخناس ويأمره باعتبار كثرة المشيعين له من الناس وان يجعل نفسه من الاحياء الكثيرين بملاحظة شبابه وصحته ويأمره باعتبار اسباب موت ذلك الميت من القتل وسائر الامراض وباعتبار زوال تلك الاسباب في حق نفسه وبالجملة فيبعد في اعتباره عنه الموت بكل حيلة فنهى السامعين عن الانخداع للنفس بهذه الخديعة واسند الغرور الى سواد الناس لانه مادته ثم نبههم بقوله وقد رأيت الى قوله يستعتبون على كذب تلك الخدع بمشاهدة هذه والواو في قوله وقد واو الحال ومن في قوله من جمع بدل البعض من الكل من قوله من كان قبلك والمعنى انه كما نزل باولئك الموت وازعجهم عن اوطانهم فكذلك انتم وقوله طول امل نصب على المفعول له اى فعلوا ذلك لاجل طول الامل ويحتمل ان يكون مصدرا سد مسد الحال ويحتمل ان يكون ظرفا والعامل امن وقيل هو بدل من جملة قوله من كان قبلك اى رأيت طول امل من كان قبلك ويروى بطول امل واعواد المنايا النعوش ويتعاطى به الرجال اى يتداوله الحاملون له بعضهم الى بعض والخطاب بالكاف لنوع المخاطب ولتخصص على طريقة قولهم ايا اعني واسمعي يا جارة وقوله اما رأيتم استفهام على سبيل التقرير وانما كانوا لا يستطيعون زيادة في حسنة ولا استعتابا من سيئة لان محل الاعمال هي الدنيا وقد فاتهم ما عندها وقوله فمن اشعر التقوى قلبه اى من الزم تقوى حقيقته وبرزت نور التقوى اى ظهرت عليه آثار الرحمة الالهية في السكينة والوقار والحلم والاناة عن التسرع الى مطالب الدنيا وعلمت رحمته في الآخرة وفاز عمله فيها بالحظ الاوفى ثم امرهم باحكام التقوى اى ان تتقوا الله تقوى حقيقة فانها التي تستحق بها الثواب الدائم وان يعملوا للجنة عملها التي تستحق به ونبههم على وجوب العمل للجنة بالتصريح بما لاجله خلقت الدنيا وانها لم تخلق دارا قامة بل طريقا يعبر بها الى الآخرة كما يعبر المسافرون ويتزودون منها الاعمال الصالحة الموصلة الى الجنة وامرهم ان يكونوا فيها على سرعة في قطع عقباتها وعجلة في الارتحال عنها لان التأني فيها يستلزم الالتفات الى لذاتها والغفلة عن المقصد الحق واستعار له لفظ الظهور وهي الركوب لمطايا الآخرة وهي الاعمال الصالحة وتقريبها للزيال هو الاعتناء بالاعمال المقربة الى الآخرة المستلزمة للبعد عن الدنيا والاعراض عنها ومفارقتها **ومن خطبة له عليه السلام** وانقادت له الدنيا والآخرة بازمتها وقذفت اليه السموات والارضون مقاليدها وسجدت له بالغدو والآصال الاشجار الناضرة وقدحت له من قضبانها النيران المضيئة وآتت اكلها بكلماته الثمار اليانعة **اقول** المقاليد المفاتيح جمع مقلاد بكسر الميم واليانع من الثمار المدرك وهذا الفصل يشتمل على تمجيد الله سبحانه واظهار عظمة سلطانه فانقياد الدنيا والآخرة له بازمتها دخولهما في ذل الامكان والحاجة اليه وقوله وقذفت اليه السموات والارضون مقاليدها كقوله تعالى له مقاليد السموات والارض قال ابن عباس ومقاتل المراد مفاتيح السموات والارض الرزق والرحمة وقال الكلبي المقلاد الخزائن ومقاليد السموات والارض خزائنهما واقول لفظ القذف مجاز في تسليمها وانقيادها بمرما

في كلام التوبيخ

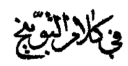
١٩
ج

الحاجة والامكان الى قدرته مع جميع ما هو سبب في وجوده في هذا العالم من موزون بحسب الخلق وكذلك لفظ المفاتيح على رأي ابن عباس استعار للاسباب
المعدّة للارزاق والرحمة وتلك الاسباب كحركات السموات واتصالات بعض الكواكب ببعض وكاستعدادات الارض للنبات وغيره ووجه الاستعارة
ان هذه الاسباب ما عدا منها المواد لا ينحصر فتفتح بها خزائن الجود الالهي كما تفتح الابواب المحسوسة عما فيها وكلها مسلّمة الى حكمه وجريانها بمشيئته وعلى
قول الكلبي فلفظ الخزائن استعار في موادها واستعداداتها ووجه الاستعارة ان تلك المواد واستعداداتها تكون فيها بالقوة والفعل جميع الحوادث
من الارزاق وغيرها كما يكون في الخزائن ما يحتاج اليه ووجود الاشياء والاصلية والاصل لخصوصها وقدرتها تحت قدرته وحاجتها
الى جوده ونسبة فتح النيران اليها لما انها السبب المادي وان كان الفتح حقيقة في فعال السبب الفاعلي على القرب ويجعل ذلك له تعالى لانه الفاعل
الاول وقوله وانت الى اخر مقاله فيكل انذار وامره واحكامه فقد رسم المعتبر عنها بقوله كن واطلاق الكلمات عليها استعارة وجهها نفوذ تلك الاحكام
في المحكومات كنفوذ الاوامر القولية في المامورات وادعيا بيانا لها ودخولها طوعا في الوجود المعتبر عنه بقوله تعالى فيكون وبالله التوفيق والعصمة
منها وكتاب الله بين اظهركم ناطق لا يعيا لسانه وبيت لا تهدم اركانه وعز لا تهزم اعوانه **اقول** هذا الفصل كانه في معرض التوبيخ
على ترك اوامر الله ومخالفة احكامه وتشبيه ان يكونوا اولوا للحال كانه يقول تفعلون كذا وكتاب الله بين اظهركم ناطق وكونه بين اظهركم كناية
عن وجوده بينهم مع ان من شانه ان ينتفع به واستعار لفظ الناطق للكتاب باعتبار ان المكتوب يعبر عن المقصود كما ان الناطق كذلك ولفظ
اللسان وقوله لا يعيا ترشيح للاستعارة كنى بها عن بيان الكتاب على مر الاوقات ويحتمل ان يريد باللسان نفسه مجازا اذ كان هو لسان الكتاب
الذي لا يفتر ولا يقصر عن بيان مقاصده وكذلك استعار لفظ البيت باعتبار كونه حافظا لحافظيه والعاملين به كما يحفظ البيت اهله واركانه
قواعده الكلية التي يبنى عليها نظام العالم من الاوامر والنواهي والمواعظ والحكم وتلك القواعد لا تكاد تنهدم في وقت من الاوقات لانها الحكم
الكلية صالحة لجميع الاوقات وكونه عزا مجاز اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان حفظه والعمل به مستلزما للعز الدائم الذي لا يعرض له
ذل واعوانه هم الله وملائكته ورسله واولياؤه واولئك اعوان لا خوف عليهم ولا انهزام لجميعهم عن امر وبالله التوفيق **منها** ارسله على حين
فترة من الرسل وتنازع من الالسن فقفى به الرسل وختم به الوحي فجاهد في الله المدبرين عنه والعادلين به **اقول** فقفى به اتبع
به من قبله وغرض الفصل الثناء على الرسول صلى الله عليه وآله فقوله ارسله الى قوله الالسن بيان لبعض امارات النبوة فان منها الزمان المتطاول الذي
تندرس فيه الشرائع السابقة والقوانين التي بها نظام العالم ويحتاج الخلق الى قوانين مجددة لنظام احوالهم وتحقيقه بعثة رسول وكان
الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة وعشرين سنة ومنها تنازع الالسن واختلاف الخلق في الآراء والمذاهب وقلة الاتفاق على قانون
شرعي جامع لهم فقوله وقفى به الرسل كقوله تعالى وقفينا من بعده بالرسل وقوله وختم به الوحي كقوله وخاتم النبيين وهذا الختام مستفاد
من الشريعة وليس للعقل في الحكم بانقطاع الرسل فيما بعد مجال اذ ذلك من الامور الممكنة عنده والمدبرون عن الله المعرضون عن اتباع
اوامره ونواهيه والعادلون به الجاعلون له عديلا وهو المثل كالمشركين تعالى عما يقولون علوا كبيرا ونسبة المجاهدة الى الله تعالى استعارة
ووجهها انه تعالى رمى محمد صلى الله عليه وآله المشركين كما يرمي المجاهد بنفسه واعوانه مجاهد به وبالله التوفيق **منها** وانما الدنيا منتهى بصر الاعمى لا
يبصر مما وراءها شيئا والبصير ينفذها بصره ويعلم ان الدار وراءها فالبصير منها شاخص والاعمى اليها شاخص والبصير
منها متزود والاعمى لها متزود **اقول** الشاخص الاول الراحل والشاخص الثاني الذي يرفع بصره الى الشيء ويمده اليه وهذا الفصل
مع قلة الفاظه يشتمل على لطائف فالاولى ان الدنيا منتهى بصر الاعمى شيئا واستعار لفظ الاعمى للجاهل كقوله تعالى لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور ووجه الاستعارة ان الجاهل لا يدرك بعين بصيرته الحق كالاعمى من المبصرات واشار بقوله لا يبصر مما وراءها
شيئا الى جهله باحوال الموت وما بعده من سعادة الاخرة وشقاوتها فان قلت انه اثبت للاعمى العمى واثبت انه يبصر الدنيا وذلك نوع مناقضة
قلت انه لما اراد بالاعمى اعمى البصيرة وهو الجاهل استعارة لم يكن في اثبات البصر الحسي له ونظره الى الدنيا به مناقضة ويحتمل ان يريد ببصيرة الاعمى
عين بصيرته استعارة وكانت منتهى بصر بصيرة الجاهل التصرف في احوال الدنيا وكيفية تحصيلها والتمتع بها دون ان يتعداه غيره لما وراءها من
احوال الاخرة الثانية قوله والبصير ينفذها بصره واستعار لفظ البصير للعالم ونفوذ بصره كناية عن ادراكه ما وراء الدنيا من احوال الاخرة وعلمه
انها دار القرار الثالثة قوله فالبصير منها شاخص اي راحل قد جعلها طريقا له الى الاخرة والاعمى اليها شاخص اي متطلع اليها بعين بصيرته
ووهمه وان كان اعمى عن مصالحه الحقيقية وعن آفاتها وطرقها المخوفة وفي هذه الكلمة مع التي قبلها من اقسام البديع التجنيس التام والمطابقة
بين الاعمى والبصير الرابعة قوله والبصير منها متزود اي بالتقوى والاعمال الصالحة في سفره الى الله تعالى والاعمى لها متزود اي متخذ للذاتها
وقنياتها زادا الى قطعها مدة عمره لو جعل ذلك هو الزاد الحقيقي والكمال الذي ينبغي له وهي من البدائع كالتي قبلها وبالله التوفيق **منها** واعلموا
انه ليس من شيء الا ويكاد صاحبه يشبع منه ويمله الا الحيوة فانه لا يجد في الموت راحة وانما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب
الميت وبصر للعين العمياء وسمع للاذن الصماء وري للظمآن وفيها الغنى كله والسلامة كتاب الله تبصرون به وتسمعون به وينطق
بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله قد اصطلحتم على الغل فيما بينكم ونبت المرعى

علام

فانهم لا يدركون

وتنطقون



قلّ ويحكم تصافيتم على حب الآمال وتدابرتم في كسب الاموال لقد استهام بكم الخبيث وتاه بكم الغرور والله المستعان على نفسي وانفسكم
اقول الذي من آثار الشارحين ما سود واجمع بعضه والعلل لغش والحقد وقد استحلى الحياة ثم لا يشبع منه ويمل ثم علل عدم ملال الحيوة بفقد
الراحة في الموت قال بعض الشارحين ان فقدان الراحة في الموت مخصوص باهل الشقاوة في الآخرة فاما اولياء الله وعباده الصالحون فلهم
في الموت الكبرى كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله وقال بعضهم بل يحمل على العموم مراعاة لظاهر
الكلام وذلك من وجهين احدهما ان بالموت يفوت متجر الآخرة وينقطع الاستعداد لكمال اشرف مما حصل عليه الميت وان كان وليا فلا جرم
لا يجد الراحة التي تلحقه بما يفوتهم من خيرات لكمال الثاني ان النفوس البشرية لما لم يكن معارفها ضرورية بل تدبيرية ولم تتمكن ما دامت في هذه الابدان
من الاطلاع على ما بعد الموت من سعادة او شقاوة ومراتبها لا جرم لا تجد لها راحة تتصورها في الموت قال وذلك لا ينافي الخبر ليس للمؤمن
راحة دون لقاء الله اما على الوجه الاول فان الراحة الحاصلة من الكمال الفائت بالموت لا يحصل له وان حصل على راحة لحسب طاعته
السابقة واما على الثاني فلان المؤمن لا يجد له ما دام في الدنيا راحة في الموت وذلك لا ينافي ان يحصل له الراحة عند لقاء الله كما
نقل ان الحسن عليه السلام لما ان سفرهم الى الآخرة بكى فقال له اخوه الحسين ع ما لي اراك تكاد تجزع مع يقينك بانك تقدم حيث تقدم
على جدك وابيك فقال نعم يا اخي لاشك في ذلك الا اني سالك مسلكا لم اسلكه من قبل واقول ان كان مراده ع بقوله لا يجد في الموت راحة
اي في نفس الموت مع قطع النظر عن غيره من احوال الآخرة فالحق قول من عمم فقدان الراحة في حق الجميع اذ الموت من حيث هو موت لا راحة
فيه لاحد من الناس كافة وان كان مراده فقدان الراحة في الموت وما بعده فالحق التخصيص باهل الشقاوة الدائمة فان شدة محبة الحياة
ونقصانها منها او تزعج بعض ما في الدنيا ذو الراحة في الآخرة ونقصانها فذلك عند اعتبار اهل الدنيا المقبلين عليها بالكلية واهل الآخرة
المقبلين عليها بالكلية ومن بينهم من طبقات السالكين وقوله وانما ذلك اي الامر الذي هو احق بان لا يمل ولا يشبع منه بمنزلة الحكمة اي ما
كان بمنزلة الحكمة والحكمة في لسان الشريعة هي العلم النافع في الآخرة وقد يطلق على علوم اخر من ذلك ثم ذكر لها اوصافا الاول انها حيوة
للقلب الميت وقد مر ان القلب في عرف العارفين هي النفس الانسانية واستعار للحكمة لفظ الحيوة ووجه المشابهة كون الحيوة بها وجود
القلب وبقاؤه كما ان الحكمة بها بقاء الانسان وسعادته في الدارين وكذلك استعار لفظ الميت للقلب الجاهل باعتبار انه غير مطلع على وجوه
مصالحه ومفاسده في الدارين وغير مهتد لانتفاع او دفع ضرر كالميت الثاني استعار لفظ البصر للحكمة ووصف العمياء العين الجاهل
ثم يجوز ان يكون لفظ العين ايضا استعارة في بصيرة الجاهل ويجوز ان يكون المراد حقيقة ووجه الاستعارة الاولى ان بالحكمة يبصر الانسان
مقاصده ويهتدي الى وجوه مصالحه الدنيوية والاخروية كما يهتدي البصير بعينه وجوه مسالكه ومقاصده ووجه الثانية ان بصيرة الجاهل
لا تهتدي لتلك الوجوه كما لا تهتدي العين العمياء الى شيء ووجه الثالثة ان بصر الجاهل تابع لبصيرته فاذا عمي اجتهاده وتصرفاته المنسوبة
الى حس البصر وغيره تابعة لما يتصوره كانت تلك التصرفات غير نافعة في الاكثر بل قد يكون ضارة له فاشبهت عينه الباصرة التي وقع
بها سوء ذلك التصرف لعين العمياء فاستعير لها لفظها وكذلك استعار لفظ السمع ولفظ الصماء للاذن ووجه الاستعارات ما سبق فان
المراد بالسمع ادراك البصيرة والاذن يحتمل ان يراد بها البصيرة استعارة او الاذن المحسوسة وكذلك استعار لفظ الري للحكمة ولفظ الظمآن لما
ووجه الاول ان الحكمة تملأ النفس وتجد بها شفاء لها من داء الجهل كما يملأ الماء جوف الظمآن وينقع غلته ويشفي من الم الظماء ووجه الثانية ان
الجاهل يجد الم الجهل ويكون سببا للموت في الآخرة كما يجد الظمآن الم الظماء الثالث ان فيها الغنى كله والسلامة واراد بالغنى غنى النفس عن
كل شيء وكمالها بها فان غاية الحكمة الوصول الى الحق سبحانه والغرق في بحار معرفته وفي ذلك غنى العارفين عن كل شيء واراد بالسلامة
سلامة النفوس من عذاب الجهل اذ ثبت في اصول الحكمة انه السبب الاكبر في الهلاك الاخروي وقوله كتاب الله خبر مبتدأ اما خبر ثان لذلك
وما كان بمنزلة الحكمة خبر اول لمبتدأ محذوف تقديره وهو كتاب الله ويحتمل ان يكون عطف بيان لما كان بمنزلة الحكمة وذكر له اوصافا
الاول قوله تبصرون به اشارة الى اشتمال الكتاب على الحكمة ووجه شبهه بها فان ابصار الجاهلين لمقاصدهم الدنيوية والاخروية لما فيه
من الحكمة الثاني وكذلك تنطقون به الثالث وتسمعون به الرابع قوله ينطق بعضه ببعض اي يبين بعضه ببعض كالمبين المفسر للمجمل والمقيد
المبين للمطلق والمخصص المبين للعام الخامس ويشهد بعضه على بعض اي يستشهد ببعضه على ان المراد ببعض آخر وهو قريب مما قبله السادس
قوله ولا يختلف في الله اي لما كان مدار الكتاب على بيان القواعد الكلية التي بها يكون صلاح حال نوع الانسان في معاشه ومعاده وكان
غاية ذلك الجذب الى الله سبحانه والوصول الى جواره لم يكن فيه لفظ يختلف في الدلالة على هذه المقاصد بل كله متطابق الالفاظ على
مقصود واحد وهو الوصول الى الحق سبحانه بصفة الطهارة عن نجاسات هذه الدار وان تعددت الاسباب الموصلة الى ذلك المقصود السابع
قوله ولا يخالف بصاحبه عن الله اي لا يجوز بالمهتدين بانواره في سلوك سبيل الله عن الغاية الحقيقية وهو الله سبحانه وقوله قد اصطلحتم
الى آخره توبيخ للسامعين على ارتكاب رذائل الاخلاق واستعار لفظ الاصطلاح لسكوتهم عن انكار بعضهم على بعض ما يصدر عنه من المنكر
كالغش والحقد والحسد واشتراكهم في تلك الرذائل وقوله ونبت المرعى على دمن مثلا للمتصالحين في الظاهر مع غل القلوب فيما بينهم وقد

الروحة

فلانه

مطابقة

في المشاورة

مطابقة المثل ان ذلك الصلح سريع الزوال لا اصل له كالنبت الذي ينبت في الدمن وقوله رضا منهم على حب الامال اشارة الى محبة الصلح
الذي ذكره وحملك تلك سقط حرف العطف هنا وقوله وتغاديتم في كسب الاموال اشارة الى وجه العلل الذي اشار اليه اما الاول فلان الجامع كما
في الظاهر ما يؤمل كل من صاحبه من الانتفاع به او دفع شره فيما هو بصدده من المأمولات الدنيوية وان انطوى له على غل كما هو المشاهد
في زماننا واما الثاني فلان الاحقاد والعداوات اغلب ما تكون على تجاذب اموال الدنيا وقيناتها وقوله لقد استهام بكم الخبيث
اي اشتد عشقه لكم ولازمكم واراد بالخبيث ابليس وذلك تنبيه على ما يظهر منهم من آثار وسوسته وملازمتهم لما ينهون عنه و
كذلك قوله وتاه بكم الغرور اي اشغلكم فتهتم في استغفاله لكم عن سواء سبيل الله والغرور هو الشيطان كما قال تعالى ولا يغرنكم بالله
الغرور ثم ختم بالاستعانة بالله تعالى له ولهم على النفوس الامارة بالسوء اما في حقه ففي دوامها مقهورة لعقله واما في حقهم فبقهرها
وقمعها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** وقد شاوره عمر في الخروج الى غزو الروم بنفسه وقد توكل الله لاهل
هذا الدين باعزاز الحوزة وستر العورة والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون حي لا يموت
انك متى تسر الى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة دون اقصى بلادهم ليس بعدك مرجع
يرجعون اليه فابعث اليهم رجلا محربا واحفز معه اهل البلاء والنصيحة فان اظهر الله فذاك ما تحب وان تكن الاخرى
كنت ردءا للناس ومثابة للمسلمين **اقول** ذلك حين خرج قيصر الروم في جماهير اهلها الى المسلمين وانزوى خالد بن الوليد
فلازم بيته وصعب الامر على ابي عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وغيرهما من امراء سرايا الاسلام والحوزة كالشيء بيضته وجعيثه وكنفه
حفظه ولواءه والمحرب بكسر الميم الرجل صاحب حروب والحفز كذا اي دفعه والحفزة ضمة الحفيزة واظهر الله على فلان نصره عليه والردء العون
والمثابة المرجع وقوله وقد توكل الله الى قوله لا يموت صدر لهذه النصيحة والراي بنيه على وجوه التوكل على الله والاستناد اليه فهذا
وخلاصتها انه ضمن اقامة هذا الدين واعزاز حوزة اهله وكنى بالعورة عن هتك الستر في النساء ويحتمل ان يكون استعارة لما يظهر عليهم
من الذل والقهر لو اصيبوا فضمن سبحانه ستر ذلك بافاضة النصر عليهم وهذا الحكم من قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا
وقوله والذي نصرهم الى اخر الفصل احتجاج في هذه الخطابة يشبه ان يكون تمثيلا وتلخيصه ان الذي نصرهم حال قلتهم حي لا يموت
فهو ينصرهم حال كثرتهم فاصل التمثيل هو حال قلتهم وفرعه حال كثرتهم وحكمه النصر وعلة ذلك الحكم هو حياته الباقية التي لا
يعتريها موت وقوله انك متى تسر الى اخره نفس الراي وخلاصة المشورة بعدم خروجه بنفسه ووجه هذا الراي تجويز النكبة انها
عند ملاقاة العدو ومع انه يومئذ ظهر المسلمين الذين يلجؤون اليه فلو انكسر لم يبق لهم كانفة تقوم بحفظهم ولا جمع يستندون اليه ثم
باخراج من يقوم مقامه من اهل التجربة ممن عرف بكثرة الوقائع والحروب فيكون على بصيرة في امر الحرب وان يضم اليه اهل البلاء اي الخبرة
في النصيحة والمجربون في الوقائع ثم استنتج من هذا الراي انه ان نصر الله المسلمين فذاك الذي تحب وان تكن الاخرى اي الانكسار
وعدم الانتصار كان للمسلمين ظهر يستندون اليه ومآب يأوون اليه **ومن كلام له عليه السلام** وقد وقعت مشاجرة بينه
وبين عثمان فقال المغيرة بن الاخنس لعثمان انا اكفيكه فقال امير المؤمنين عليه السلام يا ابن اللعين الابتر والشجرة التي لا اصل
لها ولا فرع انت تكفيني فوالله ما اعز الله من انت ناصره ولا قام من انت منهضه اخرج عنا ابعد الله نواك ثم ابلغ جهدك
فلا ابقى الله عليك ان ابقيت **اقول** هذه المشاجرة كانت في زمن ثوران الفتنة على عثمان في خلافته وكان الناس يستنفرونه
اليه والابتر كل امر انقطع من الخير اثره والنوى القصد الذي ينويه المسافر من قرب وبعد والنوى لغة في النأي وهو البعد ونبه ذمه
بسقوط الاصل ولعنه واستعار لبيته لفظ الشجرة وكنى بنفي اصلها وفرعها عن سقوط بيته وخذلانه وخفائه بين الناس ثم استفهم
ادعى من الكفاية له استفهاما على سبيل الانكار والاستحقار له وافهمه ان الله لا يعز من هو ناصره وانما يعز الله من نصره او نياه
عنايته ومن لم يعز الله من نصرته كقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ثم دعا عليه
الله مقصده وقوله ابلغ جهدك اي في الاذى فلا ابقى الله عليك ان ابقيت اي لا رعاك ولا رحمك ان راعيتني يقال ابقيت على فلان اذا
راعيته ورحمته **ومن كلام له عليه السلام** لم تكن بيعتكم اياي فلتة وليس امري وامركم واحدا اني اريدكم لله وانتم تريدونني
لانفسكم ايها الناس اعينوني على انفسكم وايم الله لانصفن المظلوم ولاقودن الظالم بخزامته حتى اورده منهل الحق وان كان كارها
اقول الفلتة الامر يقع بغير تدبر ولا روية والخزامة الحلقة من الشعر في انف البعير ومفهوم قوله لم تكن بيعتكم اياي فلتة انها لما كانت
عن تدبر واجتماع راي منكم لم يكن لاحد منكم بعدها ان يخالف او يندم عليها وفيه تعريض ببيعة ابي بكر حيث قال عمر فيها كانت بيعة ابي بكر
فلتة وقى الله شرها وقوله وليس امري وامركم واحدا اشارة الى الاختلاف بين حركاته ومقاصدهم ثم بين الفرق بقوله اني اريدكم لله
اي انما اريد طاعتكم لاقامة دين الله واقامة حدوده وانتم تريدونني لانفسكم اي لحظوظ انفسكم من العطاء والتقريب وسائر منافع الدنيا

الامر

عجل

ثم لما دعاهم بذلك نبههم وطالبهم بالاعانة على نفسه اى بالطاعة له وامتثال اوامره فاقسم لينصفن المظلوم وليقودن الظالم بخزامته واستعار لفظ القود فى تذليل الظالم وانقياده للحق ورشح بذكر الخزامة وكذلك استعار لفظ المنهل للحق ووجه الاستعارة كونه مورد التشفى به للمظلوم كما يشفى به الظمآن العطشان وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** فى معنى طلحة والزبير والله ما انكروا على منكرا ولا جعلوا بينى وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا هم تركوه ودما هم سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم نصيبهم منه وان كانوا ولوه دونى فما الطلبة الا قبلهم وان اول عدلهم للحكم على انفسهم وان معى لبصيرتى ما لبست ولا لبس على وانها للفئة الباغية فيها الحما والحمة والشبهة المغدفة وان الامر لواضح وقد زاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه عن شغبه وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه برى ولا يعبون بعده فى حسى **اقول** النصف النصفة والطلبة بكسر اللام المطلوب والحما الطين الاسود المنتن كما قال تعالى من حما مسنون ويروى الحما بالف مقصورة والحمة بضم الحاء وتخفيف الميم وفتحها اسم للعقرب والمغدفة بالدال والفاء المظلمة يقال اغدف الليل اذا اشتد ظلامه ويروى المغدفة بفتح الدال الخفيفة واصله ان المرأة تغدف وجهها بالقناع وزاح الباطل انحرف ونصابه اصله ومقره والافراط الاملاء والشغب بالتسكين المشاغبة وتهييج الشر والماتح بنقطتين من فوق المستقى وبنقطتين من تحت الذى يملأ الدلو فى البئر والعب الشرب والحسى بكسر الحاء وسكون السين الماء الذى يشربه الرمل فينتهى الى ارض صلبة تحفظه ثم يحفر عنه فيستخرج واعلم ان قوله والله الى قوله ولا لبس على قد تقدم تفسيره فى قوله الا وان الشيطان قد ذمر حزبه فى فصل قبله برواية اخرى فلا حاجة الى اعادته واما قوله وانها للفئة الباغية فيها الحما والحمة فقال بعض الشارحين فى تعريف الفئة بالالف واللام تنبيه على انه كان عليه السلام علم من الرسول صلى الله عليه وآله انه ستبغى عليه فئة من غير تعيين لها فلما خرجت هذه الفئة علمها بامارتها وقد سبق ايضا تفسير الحما والحمة على بعض الروايات واما على هذه الرواية فاستعارة للغل والفساد الذى كان فى صدور هذه الفئة ووجه الاستعارة استلزامه لتكدير الاسلام واثارة الفتنة بين المسلمين كما تكدر الحماة الماء وتخبثه واستلزامه للاذى والقتل كما يستلزم سم العقرب وباشارة الشبهة المغدفة الى شبهتهم فى الطلب بدم عثمان واستعار لها وصف الظلمة لعدم اهتداء اكثر الخلق فيها الى الحق فلو ابتسها كما لا يهتدى فى الليل المظلم وقوله وان الامر لواضح الى قوله شغبه نفى لتلك الشبهة عن نفسه ولا مية وان الحق واضح فى حاله لا اصل للباطل فيه ولا لسان يشغب به ولفظ اللسان استعارة والشغب ترشيح لها وباقى الفصل قد تقدم تفسيره فى الفصل المذكور **منها** فاقبلتم الى اقبال العوذ المطافيل على اولادها تقولون البيعة البيعة قبضت كفى فبسطتموها ونازعتكم يدى فجاذبتموها اللهم انهما قطعانى وظلمانى ونكثا بيعتى والبا الناس على فاحلل ما عقدا ولا تحكم لهما ما ابرما وارهما المساءة فيما املا وعملا ولقد استثبتهما قبل القتال واستانيت بهما امام الوقاع فغمطا النعمة وردا العافية **اقول** العوذ جمع عائذ وهى الناقة الحديثة النتاج والمطافيل جمع مطفل بضم الميم وهى القريبة العهد بالنتاج والتاليب التحريض وابرمت الامر احكمته واستثبتهما بالثاء المعجمة بثلث نقط طلبت رجوعهما ويروى بالتاء من التوبة واستانيت انتظرت وهذا الفصل احتجاج على طلحة والزبير ومن تابعهما على نكث بيعته فقوله فاقبلتم الى قوله فجاذبتموها يجرى مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل الاول وتلخيصها انكم اجتهدتم على فى طلب البيعة حتى بايعتكم واخذت عهودكم وتقدير الكبرى وكل من اجتهد اجتهادكم الى تلك الغاية فيجب عليه الوفاء بالعهد والصغرى مسلمة منهم وبرهان الكبرى الكتاب يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم الاية وقد شبه اقبالهم عليه طالبين للبيعة باقبال مسنات النوق على اطفالها ووجه التشبيه شدة الاقبال والحرص على ما يطلبه وخص المسنات لانها اقوى حنة على اولادها ونصب البيعة على الاغراء وفائدة التكرير فى الاغراء تاكيد الارادة الدالة على شدة الاهتمام بالمامور به وقال بعض الشارحين فائدة التكرار دلالة المنصوب الاول على تخصيص الامر الاول بالحال ودلالة الثانى على تخصيص الامر الثانى بالمستقبل اى خذ البيعة فى الحال وخذها فى الاستقبال قال وكذلك فى قوله الله الله اى اتقوا الله فى الحال واتقوه فى الاستقبال واقول ان ذلك غير مستفاد من اللفظ باحدى الدلالات وقوله اللهم الى قوله على شكاية الى الله منهم فى امور ثلثة قطع رحمه وظلمهما له بمطالبتهما له بغير حق اما عند نكث بيعته ثم جمع الناس على قتاله وقوله فاحلل دعاء عليهما بامور ثلثة ان يحل ما عقدا من العزوم الفاسدة التى فيها هلاك المسلمين وان لا يحكم ما ابرماه من الاراء فى حربه وان يريهما المساءة فى ما املاه وعملاه اى عكس اغراضهما فيهما واستجيب دعاؤه ظاهرا بقتلهما وقوله ولقد استثبتهما الى قوله الوقاع اظهار لعذره من الناس فى حقهما قبل وقاع الحرب بما يبتنى فى حقهما واستعطافهما فى الرجوع الى الحق واستتابته لهما من ذنبهما فى نكث البيعة وقوله فغمطا الى اخره بيان لجوابهم عن اعذاره اليهم وهو مقابلتهم نعمة الله اى قسمتهما من الفىء بالاحتقار لها وعدم النظر عليها اذ كان احد الاسباب الباعثة لهما على ما فعلا هو التسوية بينهم وبين غيرهم فى العطاء وكذلك مقابلتهما السلامة والعافية من الحرب والشقاق وهلاك الدين والنفس فى عاقبته فعلهما بردها لها والاصرار على الحرب والمنابذة من غير نظر فى عاقبة امرهما وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام يومى فيها الى ذكر الملاحم يعطف الهوى على الهدى اذا عطفوا الهدى على الهوى ويعطف الراى على القرآن اذا عطفوا القرآن على الراى **اقول** الاشارة فى هذا الفصل الى وصف الامام المنتظر فى اخر الزمان الموعود به فى الخبر والاثر فقوله يعطف

١٩ ج

في الصفا المسطو

الهوى على الهدى اي يرد النفوس الحائرة عن سبيل الله المتبعة لظلمات اهوائها عن طرقها الفاسدة ومذاهبها الضالة الى سلوك سبيله واتباع
انوار هداه وذلك اذا رأت تلك النفوس عن اتباع انوار هدى الله في سبيله الواضح الى اتباع اهوائها في اخر الزمان وحين ضعفت الشريعة
وتوهمت ان الحق والهدى هو ذلك وكذلك قوله ويعطف الرأي على القرآن اذا عطفوا القرآن على الرأي اي يرد كل رأي عنه الى القرآن فيحملهم
على ما وافقه منها وينفي ما خالفه وذلك اذا تأول الناس القرآن وحملوه على آرائهم وردوه الى اهوائهم كما عليه اهل المذاهب المتفرقة من فرق
الاسلام كل على ما يختار لنفسه وكل يزعم ان الحق الذي يشهد به القرآن هو رأيه وانه لا حق وراءه سواه وبالله التوفيق **منها** حتى تقوم الحرب
بكم على ساق باديا نواجذها مملوءة اخلافها حلوا رضاعها علقما عاقبتها الا وفي غد وسيأتي غد بما لا تعرفون يأخذ الوالي من غيرها
عمالها على مساوي اعمالها وتخرج له الارض افاليذ كبدها وتلقي اليه سلما مقاليدها فيريكم كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب
والسنة **اقول** اخلاف الناقة حلمات ضرعها والافاليذ جمع الجمع لفلذة وهي القطعة من الكبد وجمعها فلذ فقوله حتى تقوم الحرب
بكم على ساق غاية لمحذوف كانه غاية لتقاعدهم عن طاعته في امر الحرب ولقاء العدو كانه يقول انكم لا تزالون متقاعدين حتى يشتد
العدو ويقوم بكم الحرب على ساق وقيامها على الساق كناية عن بلوغها الغاية في الشدة وبدو نواجذها كناية عن انها يستلزمون الشدة والاذى
وهو من اوصاف الاسد عند غضبه لانه حاول ان يستعير لها لفظ الاسد فاتى بوصفه وقال بعض الشارحين بدو النواجذ في الضحك اي
تبلغ بكم الحرب الغاية كما ان غاية الضحك ان تبدو النواجذ وهي اقصى الاضراس فكنى بذلك عن امتلائها هذا وان كان محتملا الا ان
الحرب مظنة اقبال الغضب لا اقبال الضحك فكان الاول انسب وكذلك قوله مملوءة اخلافها استعارة لوصف الناقة للحال المستعد للحرب
استكمالها عدتها وعدتها كاستكمال ضرع الناقة اللبن وقوله حلوا رضاعها استعارة لوصف المرضع لها وكنى بحلاوة رضاعها عن
اقبالها الى اهل النجدة في اول الحرب عليها فكل منهم يعجب ان يباشر فرزه ويستحلي مغالبته كما يستحلي الراضع لبن امه وكذا استعار لفظ العلقم
لعاقبتها ووجه الاستعارة المشابهة بين المرارتين الحسية والعقلية وانتصب الاربعة باديا ومملوءة وحلوا وعلقما احوالا والمرفوعات بعد
كل منها فاعل وانما ارتفع عاقبتها عن علقما مع انه اسم صريح لتضمنه معنى الصفة اقيم مقام اسم الفاعل كانه قال مرة عاقبتها وقوله الا وفي غد اخبار عن تحقق
الامور التي ستكون وقوله وسيأتي غد بما لا تعرفون المراد به تعظيم شأن الموعود وتحقيقه وبيان لفضيلته بعلم ما يجهلونه وهو جملة اعتراضية
كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فقوله وانه لقسم اعتراض وقوله يأخذ الوالي من غيرها عمالها شبيه
ان يكون قد سبق ذكر طائفة من الناس ذات ملك وامرة فاخبر ان الوالي من غير تلك الطائفة ويومي به الى الامام المنتظر يأخذ عمالها
على مساوي اعمالها اي يؤاخذهم بذنوبهم ويعاقبهم وتخرج له الارض افاليذ كبدها استعار لفظ الكبد لما في الارض من الكنوز والخزائن ووجه
مشابهة الكنوز بالكبد في العزة والخفاء [illegible] الافاليذ [illegible] وذكر الارض [illegible]
قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها [illegible] الاخراج فقال بعض المحققين هو اشارة الى ان جميع ملوك الارض تسلم اليه مقاليدها
ما يكنها طوعا او كرها ويحمل اليه الكنوز والذخائر واسند الاخراج الى الارض مجازا لان المخرج اهلها واستبعد ان تكون الارض بنفسها هي المخرجة
لكنوزها ولا لاهل الظاهر ان يقولوا ان المخرج يكون هو الله ويكون ذلك من معجزات الامام ولا مانع وقوله وتلقي اليه سلما مقاليدها اسند
ايضا لفظ الالقاء الى الارض مجازا لان الملقي للمقاليد مسالما هو اهل الارض وكنى بذلك عن طاعتهم وانقيادهم اجمعين له [illegible]
وسلما مصدر سد مسد الحال ثم اخبر انه يريهم عدل السيرة وانه يحيي ميت الكتاب والسنة ولفظ الميت استعارة لما ترك منهما فانقطع اثره
والانتفاع به كما ينقطع اثر الميت فان قلت قوله فيريكم يدل على ان المخاطبين يبقون الى ظهوره مع انكم قلتم انه يكون في اخر الزمان
فكيف وجه ذلك قلت خطاب الحاضرين من الامة كالعام لكل الامة وذلك كسائر خطابات القرآن الكريم مع الموجودين في عصر الرسول فانه
يتناول الموجودين الى يوم القيامة ثم يخرج المخاطبون بدليل العادة اذ من عادتهم ان لا تمتد اعمارهم الى وقت ظهوره فيبقى الموجودون في زمانه
وبالله التوفيق **منها** كأني به قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان فعطف عليها عطف الضروس وفرش الارض
بالرؤوس قد فغرت فاغرته وثقلت في الارض وطأته بعيد الجولة عظيم الصولة والله ليشردنكم في اطراف الارض حتى لا يبقى منكم الا قليل كالكحل
في العين فلا تزالون كذلك حتى تؤوب الى العرب عوازب احلامها فالزموا السنن القائمة والآثار البينة والعهد القريب الذي عليه باقي
النبوة واعلموا ان الشيطان انما يسني لكم طرقه لتتبعوا عقبه **اقول** نعق الغراب ونعق الراعي بغنمه بالعين والغين صاح وفحص الطير
التراب خليه والفحص البحث وكوفان اسم للكوفة وضواحيها النواحي البارزة والضروس الناقة السيئة الخلق تعض حالبها وفغرت فاغرته انفتح فوه واكد
الفعل بذكر الفاعل من لفظه ويسني يسهل والعقب بكسر القاف مؤخر القدم والخبر في هذا الفصل انه سيظهر رجل بهذه الصفات قال بعض
الشارحين هو عبد الملك بن مروان وذلك انه ظهر بالشام حين جعله ابوه الخليفة من بعده وسار لقتال مصعب بن الزبير الى الكوفة بعد
ان قتل مصعب المختار بن ابي عبيدة الثقفي فالتقوا بارض مسكن بكسر الكاف من نواحي الكوفة ثم قتل مصعبا ودخل الكوفة فبايعه اهلها وبعث
الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن الزبير بمكة فقتله وهدم الكعبة وذلك سنة ثلث وسبعين من الهجرة وقتل خلقا عظيما من العرب في وقايع عبد

كلام في حرمة الغيبة

الرحمن بن الاشعث ورمى الناس بالحجاج بن يوسف حتى انفصل لطايفة الأولى اطلاق لفظ الشيخ لظهور امره ودعوته بالشام والحجاز وكذلك استعار
لفظ الفصل لغلبة اهل الكوفة بعضهم على بعض ونقضهم الايمان التي كانوا عليها ثم شبه عطفه وحمله عليها بعطف الناقة الضروس ووجه الشبه
شدة الغضب في الخلق والاذى الحاصل منهما الثانية قرنت الارض بالروس كناية عن كثرة القتلى منها وذلك مما يشهد به التواريخ وفي قرنها استعارة
لبعض اوصاف السبع الضارى كنى بها عن شدة اقدامه على القتل واقباله على الناس بشدة الغضب والاذى وكذلك ثقل وطأته في الارض
كناية عن شدة باسه وتمكنه في الارض الثالثة بعد جولته كناية عن اتساع ملكه وجولان خيله ورجاله في البلاد البعيدة وبعيد
عظيم صيالته ومن رمى بالرمح فيهما حتى بهما ابتداء محذورات بعد ما فرغ من صفات الغاشم بين لهم ما سيفعله معهم من التشريد
والطرد في اطراف البلاد وكرر ذلك بالقسم البار وذلك اشارة الى ما فعله عبد الملك ومن ولي الامر من ولده في باقي الصحابة
والتابعين واحوالهم معهم في الانتقاص والاستخفاف والطرد والقتل ظاهرة وشبه التبقية منهم بالكحل الذي يكون في العين من الكحل
ووجه التشبيه الاشتراك في القلة الخامسة اخبرهم انهم لا يزالون كذلك اى بالحال الموصوفة مع عبد الملك ومن بعده من ولده حتى
تعود الى العرب عوازب احلامها اى ما كان ذهب من عقولها العملية في نظام احوالهم والمراد بهم بنو العباس ومن معهم من العرب ايام
ظهور الدولة كقحطبة بن شبيب الطائي وابنيه حميد والحسن وكبنى رزيق ابى طاهر بن الحسين واسحق بن ابراهيم المصعبى وعدادهم في
خزاعة وغيرهم من العرب من شيعة بني العباس وقيل ان ابا مسلم اصله عربى وكل هؤلاء مستضعفين مقهورين مقموعين في دولة
بني امية لم ينهض منهم ناهض الى ان اتاه الله نعمه عليهم ما كان عزب عنهم من حمياتهم فغاروا للدين وللمسلمين من جور بني مروان واقاموا
الامر وازالوا تلك الدولة فان قلت ان قوله يدل على ان انقطاع تلك الدولة بظهور العرب وعود عوازب احلامها وعبد الملك
مات وقامت بنوه بعده بالدولة ولم يزل الملك عنه بظهور العرب فاين فائدة الغاية قلت ان تلك الغاية ليست غاية لدولة عبد
الملك بل غاية من كونهم لا يزالون مشردين في البلاد وذلك لا ينفيها دوام كما اصله من عبد الملك الا انه استمر في زمن اولاده الى
حين انقضاء دولتهم فكانت غايته ما ذكر وقال بعض الشارحين في الجواب ان ملك اولاده ملكه وما زال الملك عن بنى مروان حتى ثابت
الى العرب عوازب احلامها وهذا جواب من لم يتدبر كلامه ولم يتتبع الفاظ الفصل حتى يعلم ان هذه الغاية لاى شىء منه فليجعلها
ثم امرهم بلزوم سنن الله ورسوله القائمة فيهم من بعده وآثاره البينة فيهم وعهده القريب منهم وتنبيه ووجه عليهم ذلك الامر في الحال عند
نزول تلك الشدايد بهم اى اذا نزل بكم منه ما وصفت فالزموا ما ذكرت ثم نبههم على ما في مهولات المعاصى وفي تسهيل نفوسهم
الامارة بالسوء عليهم طرق المحارم من الحذر وهوان تنقاد لها النفوس الغافلة فتضلها عن سبيل الله وتقودها الضلال الى الهلاك
الاخروى وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** وقت الشورى لن يسرع احد قبلي الى دعوة حق وصلة رحم وعائدة كرم فاسمعوا
قولي وعوا منطقي عسى ان تروا هذا الامر من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى يكون بعضكم ائمة
لاهل الضلالة وشيعة لاهل الجهالة **اقول** هذا من جملة كلام قاله لاهل الشورى وقد ذكرنا طرفا من اخبارها فقوله لن يسرع
احد الى قوله تعزيز لفضيلته ليسمع قوله ولذلك قوله فاسمعوا قولى وعوا منطقى وذكر فضائل ثلثا الدعوة الى الحق الذي
لن يبادر احد اليها الاسرعة وهى ثمرة العدالة وصلة الرحم وعائدة الكرم وهما فضيلتان تحت ملكة العفة والكل امرهم باستماعه ونبههم
على عاقبة امرهم الخلافة وما يقع فيها من الهرج والمرج بعده بناء على ما حضر من الخبط والاختلاط فيها فكانه يقول اذا كان حال هذا
الامر هذه الحال من الخبط ومجاذبة من لا يستحقه والتغلب عليه على اهله فعسى ان تروه بعد هذا اليوم بحال يختصم الناس فيه بالسيوف
وتخان فيه العهود وهو اشارة الى ما علم من حال البغاة والخوارج عليه والناكثين لعهده بعده فقوله حتى يكون بعضهم ائمة لاهل
الضلالة وشيعة لاهل الجهالة غاية للتغالب على هذا الامر واشار بالائمة الى طلحة والزبير وباهل الضلالة الى اتباعهم وباهل الجهالة
الى معوية ورؤساء الخوارج وساير امراء بني امية وبشيعة اهل الجهالة الى اتباعهم وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام**
في النهى عن غيبة الناس وانما ينبغي لاهل العصمة والمصنوع اليهم في السلامة ان يرحموا اهل الذنوب والمعصية ويكون الشكر هو الغالب
عليهم والحاجز لهم عنهم فكيف بالعائب الذي عاب اخاه وعيره ببلواه اما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو اعظم من الذنب الذي عابه
به وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله فان لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو اعظم منه وايم الله لئن لم يكن
عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس اكبر [illegible] يا عبد الله لا تعجل في عيب عبد بذنبه فلعله مغفور له ولا تأمن على نفسك
صغير معصية فلعلك معذب عليه فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه وليكن الشكر شاغلا له على معافاته مما ابتلى به غيره **اقول**
اهل العصمة هم الذين اعانهم الله سبحانه على قهر نفوسهم الامارة بالسوء حتى صارت اسيرة في ايدي نفوسهم العاقلة فعصموا من ارتكاب
على ملكة ترك الذنوب والانزجار عن ولوج ابواب المحارم واولئك هم الذين اصطنع الله اليهم السلامة من الانحراف عن سبيله في
الوقوع في مهاوي الهلاك فينبغي لهم اولا على ما ينبغي لهم وهو ان يرحموا اهل الذنوب وحصول تلك الرحمة منهم باعتبارهم حال العصاة وتوهم

في مهاوى

كلام في الغيبة

في مهاوي الهلاك ومن غاية عباد الله الرحمة لمن يرونه في مهلكة بانقاذه واعانته على الخروج منها وان يكون الشكر هو الغالب عليهم والحاكم لهم وذلك
باعتبارهم عند مشاهدة اهل المعاصي ما انعم الله عليهم من اعانتهم على قمع شياطينهم التي هي مواد الذنوب وقوله فكيف بالعائب شروع في تنبيه
من هو دون اهل العصمة ممن يرتكب كبيرة او صغيرة على ما ينبغي له من ترك الغيبة فكانه قال فهذا هو ما ينبغي لاهل العصمة فكيف يليق بغيرهم
ممن يعيب اخاه ويعيره ببلواه بل ينبغي لمثله ان يترك الغيبة ويشكر الله بالطريق الاولى وذلك باعتبار ستر الله عليه من ذنوبه ما هو اعظم
مما عيّر اخاه به وذلك نعمة الله يجب شكره عليها والشكر بوضع ستر الله عليه الى النعمة المصطنعة عنده وهي باهليه وما عدا ده له والاستفهام على
سبيل الانكار اخذ بتعجب من ذم العائب لاخيه من ذنب يقع في صورة منتجاج عليه في ارتكابه لهذا الذنب وذلك قوله وكيف يذمه
الى قوله ما عند الله فكانه يقول لا يجوز لاحد ان يعيب اخاه لانه اما ان يكون قد ارتكب العائب مثله او اكبر منه او اصغر فان كان
بذنب فقد ركب مثله او اكبر كان له في عيب نفسه شغل عن عيب غيره وان كان ارتكب اصغر منه فهو ممنوع على نفسه بجرأته على الغيبة وقصده
غنه لانها من الكبائر وتمامه قال هي اكبر عند الله مما هو اعظم لان المفاسد التي تشتمل عليها ارتكاب سائر المنهيات وجريمة ومفسدة
الغيبة كلية لانها لما كان من المقاصد المهمة للشارع اجتماع النفوس على هم واحد وطريقة واحدة وهي سلوك سبيل الله بوجوه الاوامر
والنواهي ولن يتم ذلك الا بتعاونهم وتصافيهم في بواطنهم واجتماعهم على الالفة والمحبة حتى يكونوا بمنزلة عبد واحد في طاعة مولاه ولن
يتم ذلك الا بنفي الضغاين والاحقاد والحسد ونحوه وكانت الغيبة من كل منهم لاخيه مثيرة لضغنه ومستدعية منه مثلها في حقه لاجرم
كانت ضد المقصود الكلي للشارع فكانت مفسدة كلية ولذلك اكثر الله تعالى ورسوله من النهي عنها كقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا حتى
استعار لما يقترضه العائب من عرض اخيه لفظ اللحم وزاده تنفيرا وتكريها بصفة الميت فقال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا وقال صلى الله عليه وآله اياكم
والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل يزني فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وعنه صلى الله عليه وآله مررت ليلة اسري بي
فرأيت قوما يخمشون وجوههم باظافيرهم فسألت جبرئيل عليه السلام عنهم فقال هؤلاء الذين يغتابون الناس وفي حديث البراء بن عازب خطبنا رسول الله
حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال الا لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فمن تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه
في جوف بيته ثم نهى عن الاستعجال والتسرع الى العيب ونبه على وجوب ذلك الاحتمال باحتمال ان يكون الذنب الذي يعيب اخاه به مغفورا وان كان
كبيرا وذلك لاحتمال ان يكون حال الذم متمكنا من جوهر نفسه ونهى عن ان يامن على نفسه صغير معصية يرتكبها لاحتمال ان يعذب عليها لصيرورتها
ملكة متمكنة من جوهر نفسه ثم عاد الى الامر بالكف عن العيب باعتبار ما يعلم الانسان من عيب نفسه وان يكون الشكر لله دأبه على السلامة والتوفيق
في مورد الهلكة الذي سلكه صاحب الذنب وابتلاه الله به واعلم ان تعريف الغيبة يعود الى ذكر الانسان بما يكره نسبته اليه مما يعد نقصانا
في العرف ذكرا على سبيل قصد الانتقاص والذم سواء كان ذلك النقصان عدم كمال بدني كالعور والعمى او نفساني كالجهل والشره والظلم او عدم
كمال من خارج كسقوط الاصل ودناءة الاباء واحترزنا بالقيد الاخير في تعريفها وهو قصد الانتقاص عن ذكر العيب للطبيب مثلا او لاستدعاء
الرحمة من السلطان في حق الزمن والاعمى بذكر نقصانهما ثم ان الغيبة قد تكون باللسان وهي الحقيقة وقد تكون بالاشارة وغيرها من سائر
ما يعلم به انتقاص احد والتنبيه على عيبه وتسمى غيبة مجازا ولنتمم مقام الغيبة ولها اسباب غائية احدها شفاء الغيظ فان الانسان
كثيرا ما يشفي غيظه بذكر مساوي من غاظه الثاني ابتياعها والتفاضل كما يقول من يتعاطى الانشاء والشعر كلام فلان ركيك وشعره بارد
الثالث اللعب والهزل وترجية الوقت فيذكر غيره بما يضحك الحاضرين الرابع ان يتنشر من غيره عند رئيس من عند السلطان مثلا فيقصد
بذكر مساويه ليسقط شهادته عنده عليه وقد تكون لها غايات اخر وقد وردت الرخصة في غيبة الفاسق المتجاهر بفسقه كالخمار والمخنث
والعشار الذي ربما يفتخر بعيبه ولا يستحيي منه قال النبي صلى الله عليه وآله من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له لكن تركها الى السكوت اولى وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام ايها الناس من عرف من اخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه اقاويل الرجال اما انه قد يرمي
الرامي وتخطي السهام ويحيك الكلام وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد اما انه ليس بين الحق والباطل الا اربع اصابع فسئل
عليه السلام عن معنى قوله هذا فجمع اصابعه ووضعها بين اذنه وعينه ثم قال الباطل ان تقول سمعت والحق ان تقول رأيت **اقول**
احاك الكلام يحيك اذا عمل واثر وكذلك حاك ويروى يحيل ان يبطل ولا يصيب منه الفضل اي عن التسرع الى التصديق بما يقال في حق
مستور الظاهر المشهور بالصلاح والتدين من العيب القادح في دينه وهو نهي عن سماع الغيبة بعد نهيه عنها نفسها واليها الاشارة بقوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ثم نبه على جواز الخطأ على المتسرعين
الى الغيبة بالمثل فقال اما انه قد يرمي الرامي وتخطي السهام ووجه مطابقة هذا المثل ان الذي يرمي بعيب قد يكون بريئا منه فيكون الكلام
في حقه غير مطابق ولا صائب كما لا يصيب السهم الذي يخطئ الغرض وعلى الرواية بالكاف ويحيك الكلام اي ان السهم قد يخطئ
فلا يؤثر والكلام يؤثر على كل حال وان لم يكن حقا فانه يسود العرض ويلوثه في نظر من لا يعرفه وقوله وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد
يجري مجرى التهديد ويحتقر ذلك القول الكاذب الذي لا يثبت من مال او جاه ونحوهما بالتنبيه الى عظم عقوبة الله وغضبه الباقي فان

الانتهاء آ...

يحيل ل

في الفرق بين الحق والباطل

سمعه وشهادته مستلزمان لعقبته المستلزم لعقوبته وقوله اما انه ليس بين الحق والباطل الا اربع اصابع فتفسير للفصل المذكور وتفسير
ذلك الفصل هو قوله الباطل ان يقول سمعت والحق ان يقول رايت ثم هيهنا لطيفتان فالاولى ان قوله الباطل ان يقول سمعت لا يستلزم
الكلية حتى يكون كل ما سمعه باطلا فان الباطل والمسموع مهملتان الثانية ان الحق ليس هو قوله رايت بل المرئي له والباطل هو قوله سمعت
بل القول المسموع له وانما قوله رايت وسمعت اخبار عن وصول المرئي المسموع الى بصره وسمعه فاقام قوله الخبرين مقام المخبر عنهما مجازا
وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام وليس لواضع المعروف في غير حقه وعند غير اهله من الحظ فيما اتى الا محمدة اللئام وثناء
الاشرار ومقالة الجهال ما دام منعما عليهم ما اجود يده وهو عن ذات الله بخيل فمن آتاه الله مالا فليصل به القرابة وليحسن
منه الضيافة وليفك به الاسير والعاني وليعط منه الفقير والغارم وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب
فان فوزا بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة ان شاء الله **اقول** لما كان لواضع المعروف سواء كان في
اهله او غير اهله ثناء من الناس ومدح له بالكرم والبذل كان ثمرة تمييز وضعه في غير اهله عن وضعه في اهله ان الاول انما يحصل
بر لواضعه الحمد من لئام الناس اي سفلتهم الاراذل والسفهاء والاشرار والجهال لعدم معرفتهم بوضع الاشياء في مواضعها التي
هي مقتضى العقل الذي به نظام امور الدنيا وقوام نوع الانسان في الوجود مع انه في الحقيقة وعند اولي الالباب العارفين بمواقع
المعروف بخيل في جنب الله تعالى واما الثاني فيحصل له الحمد من الكل في الدنيا محمدة مطابقة للحق مع الثواب الجزيل في الاخرى فلاجرم
اشار الى الاول بقوله فليس لواضع المعروف الى قوله وهو عن ذات الله بخيل وقوله ما اجود يده متعلق بمقالة اي تلك هو الامر
الذي يقولونه ما دام منعما عليهم وانما قيد بهذا القيد لان الجاهل قد يعتقد ان ما ينبغي ان يحق له فربما دام حمده بدوام ذلك
الانعام لكن ينقطع بانقطاعه واما الجاهل الشرير فكثيرا ما يعتقد انه انما يبدي اليه لشره وخوف اذاه فربما يشكر المنعم ما دام منعما حتى اذا
انقطع انعامه جعل شره عوض شكره استجلابا لذلك الانعام المنقطع واستعادة له واما الثاني فنبه اولا على مواضع المعروف وامر
بوضعه فيها وذكر منها خمسة الاول صلة الرحم الثاني حسن الضيافة الثالث فك الاسير وهو العاني وانما اختلف اللفظ والرابع اعطاء
الفقير والغارم وهو من عليه دين الخامس الحقوق الواجبة على اهلها كالزكوة والمستحبة كالصدقات والشدائد النوائب الحادثة
من المصادرات والا... التي تهلك بها الاموال بايدي الظالمين والسنتهم والانفاق في ذلك من الحقوق الواجبة على الانسان
والفضائل الجميلة اذ بها تثبت فضيلة الكرم والاشارة الى ذلك بقوله فمن آتاه الله الى قوله ابتغاء الثواب ونبه بهذه الغاية على المعقول
له على ان الانفاق في الوجوه انما يكون وضعا للمعروف في موضعه اذا قصد به وجه الله تعالى فاما اذا قصد به الرياء والسمعة فهو وان
عد في ظاهر الشريعة مجزيا الا انه غير مجز ولا مقبول في باطنها ثم اشار بقوله فان فوزا بهذه الخصال الى اخره الى ما يثمره وضع المعروف في
اهله وهو مكارم الدنيا من الذكر الجميل بين الناس والجاه العريض ودرك فضائل الاخرة وهي درجات الثواب الجزيل الموعود ولواحق
الرضا بل الفضائل النفسانية وانما نكر الفوز لان تنكيره يفيد نوع الفوز فقط الذي يحصل باي شخص كان من اشخاصه وهذا وان كان حاصلا
مع الالف واللام لتعريف تلك الطبيعة الا ان ذلك التعريف مشترك بين تعريف الطبيعة والمعهود الشخصي وهو الفوز المخصوص فلذلك كان الاتيان
به منكرا افصح وابلغ وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام في الاستسقاء الا وان الارض التي تقلكم والسماء التي تظلكم مطيعتان
لربكم وما اصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجعا لكم ولا زلفة اليكم ولا لخير ترجوانه منكم ولكن امرتا بمنافعكم فاطاعتا و
اقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا ان الله يبتلي عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن
الخيرات ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سببا لدرور الرزق
ورحمة الخلق فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين فرحم الله امرءا استقبل
توبته واستقال خطيئته وبادر منيته اللهم انا خرجنا من تحت الاستار والاكنان وبعد عجيج البهائم والولدان راغبين
في رحمتك وراجين فضل نعمتك وخائفين من عذابك ونقمتك اللهم فاسقنا غيثك ولا تجعلنا من القانطين ولا تهلكنا
ولا تهلكنا بالسنين ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا يا ارحم الراحمين اللهم انا خرجنا اليك نشكو اليك ما لا يخفى عليك
حين الجاتنا المضايق الوعرة واجاءتنا المقاحط المجدبة واعيتنا المطالب المتعسرة وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة اللهم
انا نسئلك ان لا تردنا خائبين ولا تقلبنا واجمين ولا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقايسنا باعمالنا اللهم انشر علينا غيثك وبركتك
ورزقك ورحمتك واسقنا سقيا نافعة مروية معشبة تنبت بها ما قد فات وتحيي بها ما قد مات نافعة الحيا كثيرة المجتنى
تروي بها القيعان وتسيل البطنان وتستورق الاشجار وترخص الاسعار انك على ما تشاء قدير **اقول** اقلع عن خطيئته
اذا رجع عنها وتاب والمثاور المواثب والوالهة الفرحى والمه... والواجم الذي اشتد حزنه حتى سكت عن الكلام والنافعة المروية والقيعان
جمع قاع وهو المستوي من الارض والبطنان جمع بطن وهو المنخفض من الارض واعلم انا بينا فيما سبق ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع
وقاع

شرف م

تحملكم ن

اليكم م

المناوب

من جهة انما

من جهته وانما يكون منع الكمالات في هذه الحيوة بعدم الاستعدادات لها فكل مستعد لامر ملاق له وغير بخيل عليه اذا عرفت ذلك فاعلم انه
عليه السلم صدّر هذا الفصل بتنبيه العباد على وجوب الاستعداد لرحمة الله التي ارتفعت عنهم بحبس المطر ونبّه في قوله الا وان الارض الى قوله
وما قد مُنِعتُه فنبّههم اولاً في ذلك التصدير على ان الارض التي هي كالام للنبات والزرع والسماء التي هي كالاب مطيعتان لربهما واشار بهما
الى السحائب والى السموات لكونها محركاتها اسباباً معدة لكل ما في هذا العالم من الحوادث واشار بطاعتهما الى دخولهما تحت حكم القدرة
الالهية واشار بقوله وما اصبحتا الى قوله ترجوانه منكم الى لطيفة وهي الحوادث الحادثة في هذا العالم من الغايات ليست مقصودة
بالذات لها فيكون ذلك منها لاجل توجع للناس ولا لاجل قربة ومنزلة بينهم وبينها ولا لخير ترجوانه منهم كما هو المتعارف من منافع
الناس بعضهم لبعض لان السموات والارض غنيتان عنها لكن لما كانت السموات متحركة وانما طلبا لكمالاتهما اللائقة بهما واهلهما علل
وعلل ومسخرة بامره عرض عن هذه الحركات والاتصالات اعداد الارض لقبول النبات والزرع ووجود الحيوانات التي فيها اذواتها ونموها
وقوام وجودها فكانت مصالح هذه الحيوانات منوطة بتلك الحركات وجارية على وفقها باذن المدبر الحكيم سبحانه والى ذلك اشار
بقوله ولكن الى قوله فقاما وعرضه ما سبق الى فهمنا ان يقرر في النفوس عظمة الله سبحانه وان الارزاق واسبابها منسوبة اليه ومنه
حتى تتوجه النفوس اليه بالاقلاع عن الذنوب التي هي حجب لها عن افاضة الرحمة عليها منه ثم بيّن بعده ان الله سبحانه انما يفعل ما يفعل
من نقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن الخيرات عن الخلق عند اعمالهم السيئة ابتلاء لهم كقوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع
ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين وقد علمت معنى ابتلائه لهم ثم بيّن غاية هذا الابتلاء الالهية من فوائد الابتلاء رفع
حجب النفوس التي هي الذنوب والمعاصي واستعدادها بذلك لقبول رحمة الله بالتوبة والاقلاع منها والازدجار عنها والتذكر للمبدء
الاول وجلالة عظمته وما اعد لاوليائه الابرار في دار القرار وللاشرار في دار البوار ثم بيّن لهم ان الله سبحانه جعل الاستغفار سببا
لدرور الرزق والرحمة ولما كان الاستغفار هو طلب غفر الذنوب وسترها على العبد ان يفتضح بها وذلك انما يكون بمحوها من لوح نفسه
لا جرم كان المستغفر المخلص ماحيا لخطيئته باستغفاره عن لوح نفسه ومن تلك يكمل استعداده لافاضة رحمة الله عليه بانزال البركات
وفي الآخرة برفع الدرجات والى ذلك الاشارة بالشاهد العدل قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الآية
وقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض الآية وقوله ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم
من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقوله وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ثم دعا لمن استقبل توبته وشرع في
الاستعداد بها لمن استقال خطيئته اي طلب الاقالة من الآثام ومعاقبتها اي تبعتها وهو العقاب عليها والمواخذة بها وبادر منيته ودعا بها
قبل ادراكها له بالتوبة كل ذلك تنبيه على الاستعداد وطلبه منهم لانه المطلوب بدونه ولفظ الاقالة استعارة ووجهها ان المخطئ كالعاقد
والملتزم للعقاب حروبي بانه عاجلا لما علم من لستلزام ملك اللذة المنهي عنها للعقاب فهو يطلب الاقالة من هذه المعاهدة كما يطلب المشتري
الاقالة من البيع وقوله اللهم الى آخره لما قدم الامر بالاستعداد لرحمة الله رجع الى استنزالها عليهم فقدم الدعاء وما عادته ان يقدّم بين
يدي الملوك من الكلام المرقق للطباع والموجب للعطف والرحمة فذكر الخروج من تحت الاستار والاكنان التي ليس من شانها ان يفارق
الا لضرورة شديدة وكذلك عجيج البهائم والولدان ووصفوا انها المرتفعة بالبكاء وذكر الغاية من ذلك وهي الرغبة في رحمته والرجاء لفضل
نعمته والخوف من عذابه ونقمته وهذه جهات تستلزم البشرية ثم سأل بعد ذلك المطالب من السقيا وعدم الهلاك بالجدب وان لا يؤاخذهم باعمال
السفهاء من العامة المبعدة عن رحمته كقوله تعالى حكاية عن موسى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ثم عاد الى ذكر شكوى الجدب بذكر اسبابها الحاملة عليها
ليكون اقوم للعذر والمقاحط اماكن القحط او سنى القحط وظاهر كون الجوع والعرى وسائر الاسباب عن القحط فتنة يومئذ ارفق للقلوب ثم يراد
بها ثم عاد الى طلب اجابة دعائه وقوله ولا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقابلنا باعمالنا اي لا تجعل فعلك بنا مقابلا للاعمال السيئة ومشابها
لها ومثلها ثم عاد الى طلب انواع ما يطلب منه سبحانه باتم ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي الختم وهو ظاهر وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
بعث رسله بما خصهم به من وحيه وجعلهم حجة له على خلقه لئلا تجب الحجة لهم بترك الاعذار اليهم فدعاهم بلسان الصدق الى سبيل
الحق الا ان الله قد كشف الخلق كشفة لا انه جهل ما اخفوه من مصون اسرارهم ومكنون ضمائرهم ولكن ليبلوهم ايهم احسن عملا فيكون
الثواب جزاء والعقاب بواء اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا ان رفعنا الله ووضعهم واعطانا وحرمهم
وادخلنا واخرجهم بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح
الولاة من غيرهم **اقول** هذا الفصل منافرة بينه وبين جمع من الصحابة الذين كانوا ينازعونه الفضل والبواء الكفو فقوله بعث رسله
الى قوله سبيل الحق كقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولسان الصدق هو لسان الشريعة الناطق
من مصباح النبوة المشتعل عن نور الحق سبحانه وسبيل الحق هو الطريق الموصلة اليه تعالى التي نطابقت على الهداية اليها السنة الرسل والآذان
وصدر الفصل بذلك لاشتماله على فضيلة الانبياء لينبه عليه فضيلة نفسه وقوله الا ان الله الى قوله بواء كلام يجري مجرى التهديد لمن نافره

في منافرة بينه وبين جميع الصحابة

ما اطلع الله على اسرارهم وان ما كلفهم به انما هو ابتلاء منه لهم ايهم احسن عملا وقد عرفت معنى ابتلاء الله لخلقه مرارا واراد بالكشف الاختبار
والابتلاء ايضا ثم عقب ذلك بالاستفهام عن الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دونه وذلك ان قوما من الصحابة كان منهم من يدعي الافضلية في فن
من العلم فمنهم من كان يدعي انه افرض ومنهم من كان يدعي انه اقرأ ومنهم من كان يدعي انه اعلم بالحلال والحرام ورووا افرضكم زيد بن ثابت
واقرأكم ابي ورووا مع ذلك اقضاكم علي وذلك الاستفهام على سبيل الانكار عليهم ولذلك ردفه بالتكذيب لهم فيما ادعوه من الافضلية
ثم ان كان ما رووه حقا فمعلوم ان القضاء يحتاج الى جميع ما ادعوه من الفضيلة لهم ثبت تقدمه وافضليته لاستجماعه ما تفرق فيهم من الفضائل
وان لم يكن حقا مع ان انوار فضائله مستطيرة في الآفاق فقد ظهر فضله عليهم وذلك وجه التكذيب لهم ثم اشار الى العلة الحاملة
لهم على الكذب فيما ادعوه وهو قوله ان رفعنا الله اي رفع درجاتنا في الدنيا والآخرة على الكافة ووضعهم دوننا وان وما بعدها نصب على المفعول
له واعطانا اي الملك والنبوة وحرمهم ذلك كله وادخلنا بعنايته الخاصة بنا فيما اعطانا واخرجهم من ذلك وقوله بنا يستعطى الهدى وبنا يستجلى
العمى فاستعار لفظ العمى للجهل ورشح بذكر الاستجلاء ولما كانوا عليهم السلام المعدين لاذهان الخلق لقبول انوار الله والمرشدين لنفوسهم الى
سبيل الله لا جرم كان بهم يستعطى الهدى من الله اذ بواسطتهم يفاض على النفوس هداها وبواسطة الفاظهم القوانين الشرعية الكلية و
الجزئية يستجلى الجهل من اذهان الجاهلين وهو كما يدعي عن الاستعداد لها وقوله ان الائمة من قريش الى آخره فلفظ النص المشهور عن الرسول ص الائمة من
قريش وتخصيصه ذلك بهذا البطن من هاشم اما على مذهب الشيعة فهو نص يجب اتباعه كما يجب اتباع نص الرسول ص لاعتقادهم عصمته واما
على مذهب الباقين من المسلمين فواجب الاتباع ايضا لقوله عليه الصلوة والسلام انه مع الحق وان الحق معه يدور حيث دار وهو مراده بذلك البطن
اما على مذهب الاثني عشرية فنفسه مع الاحد عشر من ولده بنص كل منهم على من بعده مع كونهم معصومين واما على مذهب الباقين من الامامية
فكل منهم يحمل هذا الكلام على من اعتقد امامته ولا يصلح على سواهم اي لا يكون لها صالح على يد غيرهم **منها** آثروا عاجلا واخروا آجلا
وتركوا صافيا وشربوا آجنا كأني انظر الى فاسقهم وقد صحب المنكر فألفه وبسئ به ووافقه حتى شابت عليه مفارقه وصبغت به خلائقه
ثم اقبل مزبدا كالتيار لا يبالي ما غرق او كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق اين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى والابصار اللامحة
الى منار التقوى اين القلوب التي وهبت لله وعوقدت على طاعة الله ازدحموا على الحطام وتشاحوا على الحرام ورفع لهم علم الجنة والنار
فصرفوا عن الجنة وجوههم واقبلوا الى النار باعمالهم دعاهم ربهم فنفروا وولوا ودعاهم الشيطان فاستجابوا واقبلوا **اقول** بسئ به الفه
واستأنس به واعلم ان ضمير الجمع في آثروا واخروا وما بعدهما ضمائر مهملة يصدق خلافها على الجماعة وان كان المعني بها بعضهم وهذا الكلام يصدق
على من تخلف من الناس الى زمانه ممن هو غير موفق الطريقة وان كان معدودا من الصحابة بالظاهر كالمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم و
معوية ونحوهم من امراء بني امية ممن آثر عاجل الدنيا وثوابها وعليه واخر آجل ثواب الاخرى فنبذه وراء ظهره وترك ما وعد به من تلك اللذات الصافية
عن كدورات الدنيا ولعل ايثاره الآجنة التي هي اللذات الوهمية الآجنة لشوب الاعراض والامراض والتغير والزوال واستعار لفظ الآجن للذات الدنيا
ملاحظة لتشبيهها بالماء الذي لا يسوغ شربه لتغير طعمه ورشح بذكر الشرب وقوله كأني انظر الى فاسقهم يحتمل ان يريد فاسقا معينا كعبد الملك
بن مروان ويكون الضمير عائدا الى بني امية ومن تابعهم ويحتمل ان يريد مطلق الفاسق اي من يفسق من هؤلاء فيما بعد ويكون بالصفات التي
ذكرها من صحبة المنكر والفه وموافقته لطبعه الى غاية عمره وكنى عن تلك الغاية بشيب المفارق وصبغت به خلائقه اي صار المنكر ملكة له وخلقا
واستعار لفظ الازباد تشبيها له بالبحر الطامي ووجه التشبيه كونه عند غضبه لا يحفل بما يفعله في الناس من المنكرات كما لا يحفل البحر بمن غرق
فيه وكذلك شبهه كثرة في المنكرات والظلامات بوقع النار في الحطب ووجه الشبه كونه لا يبالي بتلك الحركات كما لا تبالي النار بما احرقت ثم اخذ
يسأل عن العقول المستكملة بانوار الله واستعار لفظ مصابيح الهدى اما للائمة الدين او للقوانين الكلية والاستصباح بها الاقتداء بها وعن الابصار
اللامحة لمنار التقوى اي الناظرة الى اعلام التقوى واستعارة لفظ المنار كاستعارة لفظ المصابيح ثم عن القلوب التي وهبها اهلها لله اي جعلوا
هممهم مطالعة انوار كبريائه والتوجه الى كعبة وجوب وجوده وعوقدت على طاعة الله اي اخذ خلفاء الله عليهم العهد بطاعته والمواظبة عليها
ثم عاد الى ذم الباقين وتوبيخهم بازدحامهم على حطام الدنيا واستعار لفظ الحطام لمقتنيات الدنيا ووجه الاستعارة سرعة فنائها وفسادها
كما يسرع فساد ما يبس من النبات وتكسره وتشاحهم على الحرام اي كل واحد يشاح صاحبه على الحرام ويبخل به عليه واشار بعلم الجنة الى قانون الشريعة الهادي
الى الجنة وبعلم النار الى الوساوس المزينة لقينات الدنيا والعلم الاول بيد الدعاة الى الله وهم الرسول ص ومن بعده من اولياء الله من اهل بيته
والتابعين لهم باحسان والعلم الثاني بيد ابليس وجنوده من شياطين الانس والجن الداعين الى النار ثم ذكر انهم صرفوا وجوههم عن الجنة واقبالهم باعمالهم
على النار حين رفع العلمين من قبل الدعاة وانما قال واقبلوا باعمالهم ولم يقل بوجوههم كما قال صرفوا وجوههم لان اقبالهم بوجوه نفوسهم على لذات
الدنيا واقتنائها يستلزم صرفها عن الاعمال الموصلة الى الجنة وذلك يستلزم اعراضها عن الجنة ثم لما كانت الغاية التي يطلبها الانسان من الدنيا
هو الحصول على لذاتها وكانت النار لازمة لتلك الاعمال الموصلة الى تلك الغاية لزوما عرضيا لم تكن النار غاية ذاتية فيقبلوا بوجوههم عليها بل كان
اقبالهم عليها باعمالهم لكانت هي المستلزمة لها ثم اخبر في معرض الذم عن مقابلتهم لدعاء ربهم لهم بالنفار عنه ولدعاء الشيطان لهم باستجابتهم لدعوته

ولا يصلح الولاة من غيرهم صح

في ذم الدنيا ومعايبها

وانما لم التنبيه ففي قوله ودعاهم الى خوف تنبيه ان الرادع لعلم الجنة هو الله بانه خلقها ثم الرادع لعلم النار هو الشيطان بانه وليها ثم وبالله التوفيق ومن
خطبة له عليه السلام ايها الناس انما انتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا مع كل جرعة شرق وفي كل اكلة غصص لا تنالون منها نعمة الا
بفراق اخرى ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهدم آخر من اجله ولا تجدد له زيادة في اكله الا بنفاد ما قبلها من رزقه ولا يحيى له اثر الا
يتجدد له جديد الا بعد ان يخلق له جديد ولا تقوم له نابتة الا وتسقط منه محصودة وقد مضت اصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعد ذهاب
اصله **اقول** الغرض الهدف وغرض هذا الفصل ذم الدنيا وتنفيرها بذكر معايبها لتخف الرغبات فيها وتنصرف الى ما وراءها من الامور الباقية
فاستعار لهم لفظ الغرض ووجه الاستعارة كونهم مقصودين بسهام المنية من شدة الامراض والاعراض كما يقصد الغرض بالسهام واسند الانتضال
الى المنايا مجازا والآلات القاصدة لهم بالامراض هو فاعلها بهم فكان المجاز هاهنا في الافراد والتركيب ثم كنى بالجرعة والاكلة عن لذات الدنيا وبالشرق
والغصص عما في كل منها من شوب الكدر وذلك ان اللذات لا تنفك طبعا من الامراض والمخاوف وسائر المنغصات لها وقوله لا تنالون منها نعمة الا بفراق اخرى
فيه لطف وهو اشارة الى كل نوع من نعمة فانما يتجدد شخص منها ويلتذ به بعد مفارقة مثله كلذة اللقمة مثلا فانها تستدعي فوت اللذة
باختها السابقة وكذلك لذة ملبوس شخصي او مركوب شخصي وسائر ما يعد نعمة ويلتذ بها فانها انما تحصل بعد مفارقة ما سبق من
امثالها بل واعم من ذلك فان الانسان لا يتهيأ له الجمع بين الملاذ الجسمانية في وقت واحد بل ولا اثنين منها فانه حال ما يكون آكلا لا يكون
مجامعا او حال ما هو في لذة الاكل لا يكون يلتذ بمشروب ولا حال ما يكون خاليا على فراش او سرير يكون راكبا للتنزه ونحو ذلك وبالجملة
يكون مشغولا بنوع من الملاذ الجسمانية الا وهو تارك لغيره وما استلزم مفارقة نعمة اخرى لا يعد في الحقيقة نعمة ملتذا بها وكذلك قوله ولا يعمر
معمر منكم الى قوله اجله لان التزيد بالبقاء الى يوم معين لا يحصل له الا بعد انقضاء ما قبله من الايام المحسوبة من عمره فان تقدم من عمره يوما فيكون
لذته في الحقيقة ببقائه مستلزمة لقربه من الموت وما استلزم القرب من الموت فلا لذة فيه عند الاعتبار وكذلك قوله ولا تجدد له زيادة
في اكله الا بنفاد ما قبلها من رزقه اي من رزقه المعلوم المقدر وهو ما وصل الى جوفه مثلا فان ما لم يصل جاز ان يكون رزقا لغيره وقد علمت
ان الانسان لا يأكل لقمة حتى يفنى ما قبلها فهو اذن لا يتجدد له زيادة في اكله الا بنفاد رزقه السابق وما استلزم نفاد الرزق لم يكن لذيذا في الحقيقة
وروي اكله ويحتمل ان يريد انه اذا تجدد لاحد رزق فتوجه فيها طالبا له كان ذلك التوجه مستلزما لانصراف عما قبلها من الجهات وانقطاع
رزقه من جهتها واللفظ مهمل يصدق ولو في بعض الناس فلا يجب الكلية وكذلك قوله ولا يحيى له اثر الا مات له اثر واراد بالاثر الذكر والفعل
فان كان ما يعرف به الانسان في وقت ما من فعل محمود او مذموم او ذكر حسن او قبيح ويحيى له بين الناس يموت منه ما كان معروفا به قبله من
الآثار وينسى وكذلك لا يتجدد له جديد من زيادات بدنه ونقصانه وفائدته الا بعد ان يخلق له جديد يتحلل بدنه ومعاقبة شيخوخته شبابه بدون مستقبل
او فائدته لسائر لقياها وكذلك لا يقوم له نابتة الا بعد ان تسقط منه محصودة واستعار لفظ النابتة لمن ينشأ من اولاده واقربائه ولفظ المحصودة
لمن يموت من آبائه واهله ولذلك قال وقد مضت اصول يعني الآباء ونحن فروعها استفهم على سبيل التعجب عن بقاء الفرع بعد ذهاب اصله
وقد صرح ابو العتاهية بهذا المعنى فقال كل حياة الى الممات وكل ذي جدة يحول كيف بقاء الفروع يوما وقد ذوت قبلها الاصول
منها وما احدثت بدعة الا ترك بها سنة فاتقوا البدع والزموا المهيع ان عوازم الامور افضلها وان محدثاتها شرارها **اقول** المهيع
الطريق الواسع والعوازم جمع عوزم وهي العجوز المسنة والمراد بالبدعة كل ما احدث مما لم يكن على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وقد اشتمل هذا الفصل على ذم
ترك البدعة وبرهان استلزام احداث البدعة لترك السنة ان عدم احداث البدع سنة لقوله عليه السلام كل بدعة حرام فكان احداثها مستلزما لترك
تلك السنة ثم على امرهم بتقوى البدع اي خشية عواقبها ثم بلزوم الطريق الواضح وهي سبيل الله وشرعه واراد بعوازم الامور ما تقدم منها وهو ما كان
عليه عهد النبوة واما جوازمها وهي المقطوع بها دون المحدثات منها التي هي محل الشبهة والشك ورجح الاول المقابلة بمحدثاتها ووصفها
بكونها شرارا لكونها محل الشبهة وخارجة عن قانون الشريعة فكانت مستلزمة للهرج وانواع الشرور وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام**
وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه ان هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة وهو دين الله الذي
اظهره وجنده الذي اعده وامده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث ما طلع ونحن على موعود من الله والله منجز وعده وناصر جنده ومكان
القيم بالامر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه فان انقطع النظام تفرق وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره ابدا والعرب اليوم وان
كانوا قليلا فهم كثيرون بالاسلام عزيزون بالاجتماع فكن قطبا واستدر الرحى بالعرب واصلهم دونك نار الحرب فانك ان شخصت
من هذه الارض انتقضت عليك العرب من اطرافها واقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات اهم اليك مما بين يديك ان
الاعاجم ان ينظروا اليك غدا يقولوا هذا اصل العرب فاذا اقتطعتموه استرحتم فيكون ذلك اشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك فاما
ما ذكرت من مسير القوم الى قتال المسلمين فان الله سبحانه هو اكره لمسيرهم منك وهو اقدر على تغيير ما يكره واما ما ذكرت من عددهم
فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وانما كنا نقاتل بالنصر والمعونة **اقول** اختلف الناقلون لهذا الكلام في الوقت الذي قاله لعمر فيه
فقيل انه قاله في غزاة القادسية وهو المنقول عن المدائني في كتاب الفتوح وقيل في غزاة نهاوند وهو نقل محمد بن جرير الطبري فاما وقعة

في كلامه مع عمر في غزوة القادسية

القادسية فكانت سنة اربع عشرة للهجرة واستشار عمر المسلمين في غزوهم وخروجه فيها بنفسه فاشار عليه علي عليه السلام بالرأي المسطور فاخذ عمر به وعدل عن عزمه
المسير بنفسه وامر سعد بن ابي وقاص على المسلمين ويروى في ذلك ان واقعة القادسية لما قتل رستم امير العسكر من قبل يزدجرد قام برجال من الرجال الواحد
منهم الى جانب الآخر من القادسية الى المداين كلما تكلم رستم بكلمة اداها بعضهم الى بعض حتى يصل الى سمع يزدجرد وقصص الواقعة مشهورة
في التواريخ واما وقعة نهاوند فانه لما اراد عمر ان يغزو العجم وجيوش كسرى قد اجتمعت بنهاوند استشار اصحابه فاشار عثمان عليه بان يخرج
بنفسه بعد ان يكتب الى جميع المسلمين من اهل الشام واليمن والحرمين والكوفة والبصرة ويأمرهم بالخروج واشار علي ع بالرأي المذكور وقال اما
بعد فان هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه لانه الفصل فقال عمر اجل هذا الرأي وقد كنت احب ان اتابع عليه فاشيروا علي برجل اوليه ذلك الثغر
فقالوا انت افضل رأيا فقال اشيروا علي به واجعلوه عراقيا فقالوا انت اعلم باهل العراق وقد وفدوا عليك فرأيتهم وكلمتهم فقال اما والله لاولين
امرهم رجلا يكون غدا اول الاسنة قيل ومن هو فقال النعمان بن مقرن فقالوا هو لها وكان النعمان يومئذ بالبصرة فكتب اليه عمر فولاه امر
الجيش ولنرجع الى المتن فقوله بجنده ايده اي قواه وقوله ان هذا الامر الى قوله للاجتماع صدر الكلام اورده ليبني عليه الرأي خفرة فيه وهو
ان هذا الامر اي امر الاسلام ليس نصره بكثرة ولا خذلانه بقلة وتنبيه على صدق هذه الدعوى بانه دين الله الذي اظهره وجنده
الذي اعده وامده بالملائكة والناس حتى بلغ هذا المبلغ وطلع في آفاق البلاد حيث طلع ثم وعدنا بموعوده هو النصر والغلبة والاستخلاف
في الارض كما قال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية وكل وعد من الله فهو
منجز لعدم الخلف في خبره وقوله والناصر جنده بمنزلة مجرى التنجيز من جملة وعده بنصر جنده وجنده هم المؤمنون فالمؤمنون منصورون
على كل حال سواء كانوا قليلين او كثيرين ثم شبه مكان القيم بالامر بمكان النظام من العقد ووجه التشبيه هو قوله يجمعه ويضمه الى قوله باسره
وقوله لم يجتمع بحذافيره ابدا وذلك انهم عند فساد نظامهم بقتل الامام فلا يقع بهم طمع العدو وظفره فيكون ذلك سبب تشتتهم ثم رفع
عنه الشبهة في عدم الحاجة الى اجتماع كل العرب في هذه الواقعة وذلك لكثرتهم بالاسلام واستقبال الدولة وعزتهم باجتماع الرأي واتفاق القلوب
الذي هو خير من كثرة الاشخاص واراد بالكثرة القوة والغلبة مجازا اطلاقا لاسم مظنة الشيء على الشيء وقوله فكن قطبا شرع
في الرأي الخاص به فاشار عليه ان يجعل نفسه مرجعا للعرب بقوله استدر الرحى بالعرب وقد ورد عليه واستعار له لفظ القطب ولهم لفظ الرحا ورشح
الاستعارة وكون ذلك عن جعل العرب دونه ردءا وحيطة له ولذلك قال واصلهم دونك نار الحرب لانهم ان سلموا وغنموا فذلك
الذي ينبغي وان انهزموا كان هو مرجعا لهم وسندا يقوي ظهورهم بخلاف شخوصه معهم فانهم ان ظفروا فذلك وان انهزموا لم يكن
لهم ظهر يلجاؤون اليه كما سنبينه وقوله فانك ان شخصت الى قوله بين يديك بيان للمفسدة في خروجه بنفسه من وجهين احدهما ان الاسلام
كان في ذلك الوقت غضا وقلوب كثير من العرب ممن اسلم غير مستقرة بعد فاذا انضاف الى من لم يسلم منهم وعلموا خروجه وتركه للبلاد
كثر طمعهم وهلعت قلوبهم على الحرمين وبلاد الاسلام فيكون ما تركه وراءه اهم عنده مما استقبله ويطلبه ويلتقي عليه الفريقان من الاعداء
الثاني ان الاعاجم اذا خرج اليهم بنفسه طمعوا فيه وقالوا المقالة فكان خروجه محرضا لهم على القتال وهو اشد عليه كلبا واقوى فيه
طمعا وقوله فاما ما ذكرت من مسير القوم الى آخره فهو اثر قال له ان هؤلاء الفرس قد قصدوا المسير الى المسلمين وقصدهم اياهم
دليل قوتهم وانا اكره ان يغزونا قبل ان نغزوهم فاجابه بانك ان كرهت ذلك فان الله تعالى اشد كراهية ولو تغلبك على التغيير
والازالة وهذا الجواب يعود على حرف وهو ان مسيرهم الى المسلمين وان كان مفسدة الآن لقاء لهم بنفسه اكبر واذا كان كذلك فينبغي ان يدفع فيه مفسدة
العظمى ويكل دفع المفسدة الاخرى الى الله تعالى فانه كان لها ومع كراهيته لها فهو اقدر على ازالتها وقوله واما ما ذكرت من عددهم الى آخره فهو
انه ذكر كثرة القوم وعددهم فاجابه بتذكيره قتال المسلمين في صدر الاسلام فانه كان من غير كثرة وانما كان بنصر الله ومعونته فينبغي
ان يكون الحال الآن كذلك وهو يجري مجرى التمثيل كما اشرنا اليه في الشورة الاولى وبوعد الله تعالى المسلمين بالاستخلاف في الارض وتمكين
دينهم الذي ارتضى لهم وتبديلهم بخوفهم امنا كما هو مقتضى الآية **ومن خطبة له عليه السلام** فبعث محمدا صلى الله عليه وآله بالحق
ليخرج عباده من عبادة الاوثان الى عبادته ومن طاعة الشيطان الى طاعته بقرآن قد بينه واحكمه ليعلم العباد ربهم اذ جهلوه
وليقروا به بعد اذ جحدوه وليثبتوه بعد اذ انكروه فتجلى لهم سبحانه من غير ان يكونوا رأوه بما اراهم من قدرته وخوفهم في كتابه
من سطوته وكيف محق من محق بالمثلات واحتصد من احتصد بالنقمات وانه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه
شيء اخفى من الحق ولا اظهر من الباطل ولا اكثر من الكذب على الله ورسوله وليس عند اهل ذلك الزمان سلعة ابور من
الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا انفق منه اذا حرف عن مواضعه ولا في البلاد شيء انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر فقد
نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته فالكتاب يومئذ واهله منفيان طريدان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد
لا يؤويهما مؤو فالكتاب واهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم ومعهم وليسا معهم لان الضلالة لا توافق الهدى وان
اجتمعا فاجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة كانهم ائمة الكتاب وليس الكتاب امامهم فلم يبق عندهم منه الا اسمه ولا يعرفون الا

بر ج

الاخطئة وذنوبه ومن قبل ما مثّلوا بالصالحين كل مثلة وسمّوا صدقهم على الله فرية وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة وانما هلك
من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيّب آجالهم حتى نزل بهم الموعود الذي ترد عنه المعذرة وترفع عنه التوبة وتحلّ معه القارعة
والنقمة أيها الناس انه من استنصح الله وفق ومن اتخذ قوله دليلا هدي للتي هي اقوم فان جار الله آمن وعدوه خائف
وانه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله ان يتعظم فان رفعة الذين يعلمون ما عظمته ان يتواضعوا له وسلامة الذين يعلمون ما قدرته
ان يستسلموا له فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الاجرب والبارى من ذي السقم واعلموا انكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا
الذي تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه فالتمسوا ذلك من عند
اهله فانهم عيش العلم وموت الجهل هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين
ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق **اقول** الاوثان الاصنام ونذيره كبته وشلوا نفخ اليم والثنا
اى نكلوا والاسم المثلة بضم الميم وسكون الثاء والقارعة الشديدة من شدائد الدهر ومدار هذا الفصل على بيان بعثة الرسول
وبيان غاية البعثة والسبب المعد للوصول الى تلك الغاية ثم بيان غاية تلك الغاية والاشارة الى البعثة بقوله فبعث الى قوله بالحق
اشار الى غايتها بقوله ليخرج الى قوله الى طاعته وقد علمت ان طاعته سلوك الصراط المستقيم في الدنيا وهو اتباع الدين القيم والعدل
عن طاعة الشيطان التي هي بالخروج الى احد طرفي الافراط والتفريط فاشار الى سبب تلك الغاية بقوله بقران قد بيّنه واحكمه وقد علمت
اشتمال القرآن الكريم على الجواذب الالهية الى طاعة الله وسلوك صراطه المستقيم ثم اشار الى غاية تلك الغاية اعني غاية طاعته
بقوله ليعلم العباد الى قوله اذ انكروه وهي مسئلتان من امهات العلم الالهي فالاولى معرفتهم له بعد جهلهم والثانية الاقرار به بعد
جحدهم له واثباتهم له بعد انكارهم اياه والمعنى واحد وان اختلفت العبارتان وهو التصديق بوجوده الا ان يحمل الاقرار على اللسان
والجحد به ويحمل الاثبات والانكار على اثباته بالقلب بعد الانكار به ويخرج بتغاير المعنيين واشار بتجليه سبحانه في الكتاب الى ظهوره لهم
في تذكيرهم فيه بما اراهم من عجائب مصنوعاته وبما خوفهم به من وعيده وبتذكيرهم انه كيف محق من محق من القرون الماضية
بالعقوبات واحتصد من احتصد منهم بالنقمات كل ذلك الظهور والجلاء من غير رؤيته له اذ تعالى عن ادراك الحواس وقال بعض الفضلاء
يحتمل ان يريد بتجليه في كتابه ظهوره في عجائب مصنوعاته ومكوناته ويكون لفظ الكتاب مستعارا في العلم وجه المشابهة كونه
محلا قابلا للآثار الصنع المختلفة وعجائب الصور المنقوشة فيه كما ان الكتاب محل لنقش الحروف كل ذلك من غير رؤيته بحاسة البصر له
تعالى وتقدس عن ذلك وقوله وانه سيأتي الى قوله المنكر اخبار عن زمان يأتي بعده بالصفات المذكورة وقد دلت بناه وقد مرّ فيه قبلنا
فان خفاء الحق وظهور الباطل عليه امر ظاهر وكون الحق لا شيء اخفى منه والباطل لا شيء اظهر منه على سبيل المبالغة وكذلك لا اكثر من
الكذب على الله وعلى رسوله روى عن شعبة وكان امام المحدثين انه قال تسعة اعشار الحديث كذب وعن الدارقطني ما الحديث الصحيح
الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود وقوله وليس عند اهل الآخرة قد مرّ تفسيره في الفصل الذي بدأ من يتصدى للحكم بين الامة وليس لها
باهل وبنبذ حملة الكتاب له اعراضهم عن تدبره وما فيه والعمل به وتناسي حفظته ايضا بهم عن اوامره ونواهيه وتغافلهم عن اتباعها
وقوله فالكتاب الى قوله وان اجتمعا فاهل الكتاب الملازمون للعمل به وحيث كان اهل ذلك الزمان المشار اليه غير ملتفتين الى الكتاب
كانوا ايضا غير ملتفتين الى اهله ومن يعمل به بل ويقصدون لهم بما يخالفونهم فيه مما يقتضيه احكام الكتاب ويوجبه اتباعه فكان اعراضهم
عنهم ابعادا لهم ونفيا وطردا والطريق الذي اصطحب فيه الكتاب واهله هو طريق الله الواحد ووصف انه الا يؤويهما مؤو من اهل
ذلك الزمان لانهم الا اذا واقفا عرضه لكن ذلك ليس بالكتاب والعامل به بل لموافقتهما العرض وكونهما في الناس اي بوجودهما
وكونهما ليسا فيهم لعدم اتباعهما والعناء فانهما فانشيا فالبس بموجودكانت فانهما الموجودان ينتفع به وكذلك معهم بالمصاحبة
الاتفاقية في الوجود وليسا معهم لان ضلالتهم لا تجامع هدى الكتاب واهله فكانا مضادين لهم وان اجتمعا في الوجود وقوله فاجتمع
القوم على الفرقة اي اتفقوا على مفارقة الاجماع وما عليه الجماعة اما في وقته فكالخوارج والبغاة واما فيما يستقبل من الزمان
بعده فكالاختلاف بالآراء والمذاهب المتفرقة المحدثة في الدين والاجتماع على الفرقة يلازم الافتراق عن الجماعة وقوله كانهم
ائمة الكتاب تشبيه لهم بالائمة في اجرائه على مخالفة ظواهره والاختلاف فيه وتغييره على حسب اغراضهم اذ شأن الامام مع المأموم
ذلك مع انه امامهم الذي يجب ان يتبعوه ويقتفوا اثره واذا خالفوه فنبذوه وراء ظهورهم فلم يبق معهم من متمسكهم به الا اسمه وعلم
خطه وتدبره دون اتباع مقاصده وقوله ومن قبل ما مثلوا بالصالحين اشارة الى زمن بني امية الكائن قبل زمن من يخبر عنهم وتمثيل
بني امية بالصالحين من الصحابة والتابعين وحملهم لهم على المكروه ونسبتهم له الى الكذب على الله وجعلهم في الحسنة عقوبة السيئة
ظاهر منهم ووصفه لمن يأتي في ذلك الزمان بالاوصاف المذكورة لا ينافي وصف من قبله من بني امية بمثل تلك الاوصاف وما
مع الفعل في حكم المصدر ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من قبل وقد ترك وانما اتى بتلك الاوصاف ... في وجوب تقصير الآمال في الدنيا

القوم
ذي صادق
الاقرار به

في بعثة الرسول وغايتها

لاستلزام طلبها الهلاك الاخروي واشار الى القرون الماضية من قبل واراد الهلاك الاخروي وجعل سبب هلاكهم طول املهم في الدنيا
الموجب للاستغراق في لذاتها البعيدة عن الله تعالى مع تغيّب آجالهم عنهم اي غفلتهم وقلة فكرهم فيها وعدم علمهم بتعيينها فان استشعار الاجل
موجب للاقلاع عن الانهماك في اللذات الحاضرة ومنغص لها وقوله حتى نزل بهم الموعود الى آخره ذكر غاية طول املهم والموعود هو الموت
وتردهم عنده المعذرة اي لا تقبل فيه معذرة معتذر وترفع عنه التوبة اي ييأس منها حين نزوله كقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين الاية وتحل معه القارعة اي تنزل به [illegible] الشدائد والاهوال
وتتبعها العقوبات الاخروية ثم عاد الى الرأي الصالح للسامعين فاتبعهم ونبههم على وجوب استنصاحهم اياه [illegible] في قبول
اوامره ونواهيه واتخاذ قوله دليلا الى المطالب المهمة فان استنصاحه يستلزم التوفيق واتخاذه دليلا يستلزم الهداية الى اقوم الطرق
ثم نبّه على حسن جوار الله بالامن الذي هو غاية الجوار وعلى قبح عداوته بذكر الخوف الذي هو غاية عداوة الملوك خصوصا الجبابرة
الجبابرة وملك الدنيا والاخرة واراد بجواره القرب منه بالطاعة وبعداوته البعد عنه بالمعصية ومخالفة اوامره ولا شك في كون الاول امنا
من اهوال الاخرة وفي كون الثاني في محل الخوف والخطر وقوله وانه لا ينبغي الى آخره ارشادهم الى التواضع لله ولمن ارشد الى طريقه
ونهي عن التكبر عليهم والنفار عن قبول الحق منهم وخاطب من يعرف عظمة الله لاستحقاره نفسه عند ملاحظته لعظمته ونسبتها الى جلال
الله فهو اسرع انفعالا واحقر في نفسه ان يتكبر على الله ونبه على حسن التواضع لربه بكون عظمته ورفعة للعالمين بعظمته فانه لما كان هو العظيم
المطلق وكل عظمة ورفعة لعظيم فمستفادة من جوده والقرب منه وكانت العادة جارية من الملوك في حق من يتواضع لهم ويعرفهم حقهم من
الاجلال والاكرام وحسن الانقياد ان يرفعوه ويعظموه فبالحرى ان يكون رفعة المتواضع للملك المطلق والعظيم المطلق لازمة عن التواضع
له وكما ان العادة جارية منهم بسلامة من استسلم لهم عن معرفة باقتدارهم فبالحرى ان يكون سلامة المستسلم لله عن العلم بغلبة قدرته وشمول
سلطانه لازمة عن استسلامه واذا اتصفوا بالتواضع لله ولاوليائه [illegible] لهم الى قبول الحق منهم وعدم النفار منه التشبيه بنفار الصحيح من
الاجرب والبارئ من السقيم ووجه الشبه هو شدة النفار ثم عاد الى تنفيرهم عن ائمة الضلال وذلك بتنبيههم على انهم ليسوا عارفين
بالرشد المعرفة الصحيحة ولا آخذين بميثاق الكتاب ولا متمسكين به الاخذ والتمسك التام ما لم يعرفوا اولئك الضالين وانما شرط معرفتهم
للرشد بمعرفتهم لتاركه لان المعرفة التامة للرشد بل لكل شيء تستدعي معرفة ما عليها من الشكوك والشبهات التي هي سبب التشكيك فيها
وترك العمل على وفقها ولما كان الرشد هو الحق الذي هو عليه [illegible] وكان التاركون له هم مخالفوه وخصومه في الامر من ائمة
الضلال لا جرم كان من تمام معرفة الحق في دينه والرشد الذي بعثوا اليه معرفة خصومه وانهم على [illegible] شبههم [illegible] طالب الحق
معرفته بطريق الرشد فسلكها ونفر عمن نكب [illegible] وكذلك شرط لاخذهم بميثاق الكتاب والعمل بما فيه بمعرفتهم لمن نقضه من خصومه اي الذين
لم يعمل به [illegible] منه لا يتم منهم الا ان يعرفوا شبهتهم [illegible] وهو العامل بخلاف حكمه [illegible] وفق الكتاب [illegible] حتى اذا اطلعوا على كيفية فسادها
وضلالهم بها اخذوا بميثاق الكتاب على بصيرة وعلموا ان ناقضه [illegible] وكذلك شرط [illegible] تمسكهم بالكتاب [illegible]
وانه [illegible] لتحصل النفرة عنه [illegible] التمسك به [illegible] وغاية كل ذلك التنفير عن ائمة الضلال بمعرفتهم ومعرفة ما هم عليه
من الشبه والتنبيه [illegible] على تلك المعرفة [illegible] عند اهلها والاشارة بهم الى نفسه واهل بيته عليهم السلام واستعار لهم
[illegible] عيش العلم اي حياته وموت الجهل ووجه الاستعارة الاولى انهم يكون وجود العلم والانتفاع به كما يكون بحياة الشيء الانتفاع به ووجه
الثانية انهم يكون عدم الجهل وعدم النفع به كما يكون بموت الشيء عدمه وعدم مضرته وقوله هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم اي [illegible] لكم
منطقهم بالحكمة وصمتهم على [illegible] على كمال نفوسهم بالعلوم وصمتهم عن منطقهم فان الصمت المنطيق اللسن ذي الحكمة [illegible]
[illegible] قرائن دالة على حسن منطقه وعلمه بما يقول وكذلك ظاهرهم عن باطنهم وقوله لا يخالفون الدين اشارة الى لزومهم لاوامر الله
وطريق شريعته ولا يختلفون فيه لاستناده الى [illegible] آرائهم على احكامه عن كمال علومهم به فانه لما كان طريقا واحدا واتفقوا على معرفته وجب
ان لا يختلفوا فيه ولا يصل [illegible] عن حكم من احكامه حتى يخالف صاحبه فيه وقوله فهو بينهم شاهد صادق اي شاهد يستدلون
به على الاحكام والوقائع النازلة وغيرهم لا مكذب من حيث هو شاهد وصامت ناطق لكونه حروفا واصواتا وانما ينطق بالسنتهم فهو
بمنزلة الناطق واللفظان استعارة وجهها الافادة مع النطق به وعدمها مع السكوت عنه كافادة الناطق وعدم افادة الصامت

ومن كلام له عليه السلام في ذكر اهل البصرة كل واحد منهما يرجو الامر له ويعطفه عليه دون صاحبه لا يمتّان الى الله بحبل
ولا يمدّان اليه بسبب كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه وعما قليل يكشف قناعه به والله لئن اصابوا الذي يريدون لينتزعن
هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا قد قامت الفئة الباغية فاين المحتسبون وقد سنت لهم السنن وقدم لهم الخبر ولكل
ضلة علة ولكل ناكث شبهة والله لا اكون كمستمع اللدم يسمع الناعي ويحضر الباكي **اقول** [illegible]
[illegible] الضب الحقد والعلل والمحتسبون طالبوا الاجر والثواب اللدم ضرب [illegible] الحزين والضمير في منهما راجع الى

عنها

بالطريق التي / لا تقوم

لينزعن

طلحة والزبير

ج ٢

في بيان القاء الاكناف الوث

لمزلة والزبير والاكرام لهما وذلك حين خرجا الى البصرة مع عائشة وعطفه اليه يجذبه الى نفسه ويزعم انه احق به من صاحبه وقوله لا يمتان الى الله بحبل
بسبب اى لا حجة لهما يستندان الى الله تعالى بها في قتالهما له وهلاك المسلمين فيما بينهم وقوله كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه اى حقد وغل
عليه وعما قليل يظهر وينكشف واستعار لفظ القناع لظاهره الساتر لباطنه وذلك مثل يضرب لمن يبدى الوفق لصاحبه ويظهر له الصداقة مع حسد
وحقد له في الباطن والعرب تضرب بالضب المثل في العقوق فيقال اعق من ضب وذلك انه ربما يأكل حسوله ثم اقسم لئن اصابوا بغيتهم
لينتزعن هذا نفس هذا اى ليسعى كل منهم في قتل صاحبه وهذا انما لانه حينئذ فان العادة جارية بعدم قيام الامر بين اثنين معا وسره
ان الطباع البشرية متشاحة على الكمال ويتفاوت ذلك التشاح بحسب تفاوت النفوس في قوتها وضعفها ولا شئ في نفوس طالبي الدنيا
اعظم من الملك خصوصا في نفس من يعتقد انه يقدر على تحصيل الاخرة فيه ايضا فان تحصيل الدنيا والاخرة هي اكمل الكمالات المطلوبة
للانسان ولا شئ يقاوم هذا المطلوب في النفوس فهي تسعى في تحصيله بكل ممكن من قتل الولد والوالد والاخ ولذلك قيل الملك عقيم وقد نقل
عن هذين الرجلين الاختلاف قبل اصابتهما بغيتهما وقبل وقوع الحرب فاختلفا في الاحق بالتقدم في الصلوة فاقامت عائشة محمد بن طلحة
وعبد الله بن الزبير يصلى هذا يوما وهذا يوما الى ان ينقضى الحرب ثم ان عبد الله بن الزبير ادعى ان عثمان نص عليه بالخلافة يوم الدار واحتج على ذلك
باستخلافه له في الصلوة واحتج تارة بنص صريح ادعاه وطلب طلحة ان يسلم الناس عليه بالامرة وادلى اليها بالتسمية وادلى الزبير اليها باختها
اسماء فامرت الناس ان يسلموا عليهما بالامرة واختلفا في تولى القتال فطلبه كل واحد منهما اولا ثم نكل عنه وتعللا في ظاهره فقوله قد قامت
الفئة الباغية اشارة اليهم وهم الناكثون الذين نقل فيما سبق فيهم الخبر من انه قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين وقوله فاين المحتسبون
وقد سنت لهم السنن اى اين طالبو الثواب من الله بعد وضوح الطريق وروى فاين المحتسبون وقوله وقدم لهم الخبر اى خبرهم الرسول صلى الله عليه وآله عن
فئة باغية وناكثة فبالحرى ان يجد هؤلاء وان يكونوا من اخبر عنهم وقوله ولكل ضلة علة اى لكل خروج عن سبيل الله علة واشار بخروج
هذه الفرقة عن الدين وتلك العلة هي البغي والحسد وكذلك لكل ناكث شبهة تغطى عين بصيرته عن النظر الى وجه الحق كطلبهم بدم عثمان
وقوله والله لا اكون الى اخره اقسم انه لا يكون كمن يسمع سماعه لغلبة هؤلاء وخيلهم عليه ويعدهم اياه لانبائه عنهم ويصبر لهم حتى
يوافوه فيكون في الغفلة كمن يسمع الضرب والبكاء الذي هو مظنة الخطر ثم لا يصدق حتى يجئ لمشاهدة الحال ويحضر الباكي وقد كان
الاولى به ان يكتفى بذلك السماع لظهور دلالته ويأخذ في الاستعداد للعدو والهرب منه

ومن كلام له عليه السلام قبل موته

ايها الناس كل امرئ لاق ما يفر منه في فراره والاجل مساق النفس والهرب منه موافاته كم اطردت الايام ابحثها عن مكنون هذا الامر
فابى الله الا اخفاءه هيهات علم مخزون اما وصيتي فالله لا تشركوا به شيئا ومحمدا فلا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين واوقدوا
هذين المصباحين وخلاكم ذم ما لم تشردوا حمل كل امرئ منكم مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم ودين قويم وامام عليم غفر الله لي
ولكم انا بالامس صاحبكم وانا اليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان تثبت الوطأة في هذه المزلة فذاك وان تدحض القدم فانا كنا في افياء
اغصان ومهاب رياح وتحت ظل غمام اضمحل في الجو متلفقها وعفا في الارض مخطها وانما كنت جارا جاوركم بدني اياما وستعقبون مني
جثة خلاء ساكنة بعد حراك وصامتة بعد نطوق ليعظكم هدوي وخفوت اطراقي وسكون اطرافي فانه اوعظ للمعتبرين من المنطق
البليغ والقول المسموع وداعي لكم وداع امرئ مرصد للتلاقي غدا ترون ايامي ويكشف لكم عن سرائري وتعرفونني بعد خلو مكاني وقيام
غيري مقامي **اقول** اطردت الايام صيرتها طريدة لي وعود الجمل ذهب لوجهه وقد دحضت القدم زلقت واضمحل فني والمخط الاثر وهذا
الفصل محل الوعظ والاعتبار فابتدأ بالتنبيه على الخوف من الموت المقرر مضطجعا ولحسن بقوله في فراره فانه لما كان الانسان دائما فارا من
الموت ومتوقيا له وكان لا بد منه لاجرم كان تصور تلقائه له في فراره والاجل قد يراد به غاية الحيوة الدنيا كما قال تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
وقد يراد به المدة المضروبة للانسان وهي مدة عمره واياها عنى ههنا بقوله والاجل مساق النفس فان مدة بقائها في هذا البدن هو مساقها الى فنائها
لا محل قرارها وقوله والهرب منه موافاته فانه في غاية اللطف وذلك ان الفار من الموت مثلا بالحركات والعلاجات ونحوها يستلزم حركاته في
ذلك فناء الاوقات وتصرمها وقطع تلك الاوقات مستلزم للاقاته وموافاته فاطلق لفظ الموافاة على الهرب مجازا اطلاقا لاسم اللازم على
الملزوم وقوله كم اطردت الايام اى صيرتها طريدة لي اتبع بعضها بعضا بالبحث والتفرس عن مكنون هذا الامر الذي وقع له من القتل وذلك المكنون
هو وقته المعين بالتفصيل ومكانه فان ذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقوله وما تدرى نفس باى ارض تموت
وان كان قد اخبره الرسول صلى الله عليه وآله بكيفية قتله مجملا كما روى عنه انه قال ستضرب على هذه واشار الى هامته فيخضب منها هذه واشار الى لحيته وعنه
انه قال اتعلم من اشقى الاولين قال نعم عاقر الناقة فقال اتعلم من اشقى الاخرين قال لا قال من يضربك ههنا فيخضب هذه واما تحديد وقته
تفصيل الوقت والمكان ونحوهما من القرائن المشخصة وذلك البحث اما بالسؤال من الرسول صلى الله عليه وآله مدة حياته او بالتفحص والتفرس
من قرائن احواله في سائر اوقاته مع الناس فابى الله الا ان يخفى عنه تلك الحال فهيهات اى بعد ذلك العلم فهو علم مخزون ثم شرع في الوصية
مبتدئا بالاهم فالاهم فالاول هو الاخلاص لله بالاعراض عن كل ما سواه وفي ذلك لزوم اوامره ونواهيه وسائر ما نطق به الكتاب العزيز الثاني لزوم سنته

فى الموت واحوال الانسان فى حاله

محمد صلى الله عليه وآله وسلم اماما لها وانما قدم اسم الله وعقبه بما بيّنا ان الواجب فى علم البيان تقديم الاهم ثم اكد القول فى الامر باتباع التوحيد
المطلق والسنة النبوية واستعار لهما لفظ العمودين ورشح بذكر الاقامة ولفظ المصباحين ورشح بذكر الايقاد ووجه الاستعارة فى الاولى ان قيام
الاسلام ونظام امور المسلمين فى معاشهم ومعادهم على توحيد الله ولزوم ما جاء به رسوله كما ان مدار الخيمة وقيامها بالعمد ووجه الثانية
ان توحيد الله والاقتداء بما جاء به رسوله مستلزمان للهداية فى طريقه من ظلمات الجهل فاتبائنا الى جواره فى جنات النعيم وهو المطلوب
الحقيقى كما يهدى المصباح فى الظلام على الطريق الى المطلوب وقوله وخلاكم ذم اى عداكم وهى كلمة تجرى مجرى المثل اى عند لزومكم لتوحيد الله
وسنة رسوله لا ذم عليكم واول من قالها قصير مولى جذيمة حين حث عمرو ابن اخت جذيمة على طلب ثاره من الزباء فقال له عمرو وكيف لى بذلك
والزباء امنع من عقاب الجو فقال قصير اطلب الامر وخلاك ذم وقوله ما لم تشردوا استثناء من نفى لحوق الذم لهم اى اوقدوا واقيموا حين
فما دمتم هذين الامرين اللذين يحفد عليهما التكليف بين لهم بقوله حمل كل امرئ منكم الى قوله الجهلة ان التكليف بذلك يتفاوت بحسب كل
امرئ من العلماء واهل التفاوت ومن هو بصدد العلم يحمل مجهوده وطاقته بالتنبيه على الادلة وتعليمها واما الجهال كالنساء
واهل البادية والزنج ونحوهم من اهل الغباوة فتكليفهم دون ذلك وهو بالمحسوس من الغايات دون الامر بالتفكر فى مقاصدها
ثم ذكر وصف الرحمة للرب لمناسبة ما سبق من ذكر التخفيف عن الجهلة فى التكليف ودين قويم لا عوج فيه ولا زيغ عن القصد الحقيقى وامام عليم
اشارة الى الرسول او العالم بكيفية سلوك طريق الله ومراحلها ومنازلها والهادى فيها بما يقتضيه حكمته من القول والعمل او الى نفسه لكونه
وارث علمه ومسالكه ورب خبر مبتدأ محذوف تقديره وذلك المكلف رب رحيم ويجوز ان يكون فاعلا لفعل مضمر تقديره حمل
وخفف اى يحملكم رب كقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ثم ختم الوصية بالدعاء لهم وله وبطلب المغفرة ثم تمم بالتنبيه لهم على محل
الاعتبار وهو تصرف حال الانسان بحسب الازمان فقد كان بالامس صاحبهم فى الحرب ومنازع الاقران وصاحب الامر والنهى فيهم واليوم
عبرة لهم بحال مصرعه وضعفه عن الحراك وعند المفارقة بالموت وكل هذه التغيرات محل الاعتبار يجب التنبيه لها واراد بعدا ما حقيقة
ان كان قد غلب على ظنه موته فى تلك الواقعة او ما يستقبل من الزمان وان بعد وهذا ارجح لقوله ان ثبتت الوطاة فى هذه المزلة اى ان
يكن لى ثبات فى الدنيا وبقاء فى هذه المزلة اى محل الزوال عن الحياة فذاك المرجو وكنى بثبات الوطاة عما ذكرناه وبدحض القدم عن
عدم ذلك بالموت وقوله فى جواب الشرط فانا كنا فى افياء اغصان الى قوله مخطها اى وان نمت فانا كنا فى كذا وكنى بالامور المذكورة عن
احوال الدنيا وملذاتها وبقائه فيها ومتاعه بها وقيل استعار لفظ الاغصان للاركان من العناصر الاربعة ولفظ الافياء لما استتر به من النفوس
من تركيبها فى هذا العالم ووجه الاستعارة فى الاول ان الاركان فى مادتها كالاغصان للشجرة ووجه الثانية ان الافياء محل الاستراحة واللذة كما
ان الكون فى هذا البدن حين صحة التركيب اعتدال المزاج من هذه الاركان كذلك وكذلك استعار لفظ مهاب الرياح للابدان ولفظ الرياح للنفحات
النفحات الالهية عليها فى هذه الابدان ووجه الاولى قبول الابدان لنفحات الجود كقبول مهاب الرياح لها استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه
الثانية ظاهر مما ذكر وكذلك لفظ الغمام للاسباب العلوية من الحركات السماوية والاتصالات الكوكبية والارزاق المفاضة على الانسان فى هذا
العالم التى هى سبب بقائه ووجهها الاشتراك فى الافاضة والسببية وكنى بظلها عما يستريح اليه منها كما يقال فلان يعيش فى ظل فلان اى فى
عنايته وكنى باضمحلال متلفقها فى الجو عن تفرق الاسباب العلوية للبقاء وفنائها وبعفاء مخطها فى الارض عن فناء آثارها
فى الابدان والضمير فى متلفقها يعود الى الغمام وفى مخطها يعود الى مهاب الرياح وقوله فانما كنت جارا جاوركم بدنى اياما تنبيه على
ان نفسه القدسية كانت متصلة بالملأ الاعلى ولم يكن لها ميل الى البقاء فى الدنيا ومجاورة اهلها فيها فكانت مجاورته لهم ببدنه فقط
وايضا فان المجاورة من عوارض الجسمية فيحتمل ان يكون ذلك تنبيها منه على وجود امر آخر غير البدن وهو النفس وكنى بالايام عن مدة حياته فى
الدنيا وقوله وستعقبون اى توجدون فى عاقبة امرى منى جثة خلاء اى لا روح بها ولا حراك فقد افترقت من تلك المعانى المعهودة لكم من
العقل والنطق والقوة فهى مبدلة للحراك السكون وبالنطق السكوت ثم نبه على امرهم بالاتعاظ بتلك الهيئة وخفوت الاطراف وسكون
الاطراف بالموت وقوله فانه اوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ صادق الحس والفصاحة كلام حق فان الطباع اكثر انفعالا واعتبارا عن مشاهدة
ما فيه العبرة من الوصف له بالقول المسموع ولو بلغ عبارته ثم اخذ فى توديعهم فقوله وداعيكم انشاء الاخير وقوله وداع امرئ مرصد
للتلاقى اى معد ومهيأ للقاء الله وقوله غدا ترون ايامى الى آخره تذكير لهم بفضيلته وتنبيه عليها ليثبت متبعوه على اتباعه والغافلون
عن فضله وعلو منزلته اذا فارقهم وعلى امرهم الظالمون بعده فلا بد ان ينكشف لهم ما كان مغطى عن اعين بصائرهم من لزومه القصد فى سبيل
الله ويعرفون منزلته وعدله حين مشاهدة المنكرات ممن يقوم مقامه خليفة فى الناس وان وقوفه وحرصه على هذا الامر لم يكن
لنيل دنيا الا اقامة سنن العدل ورضا الله تعالى **ومن خطبة له عليه السلام** يومى فيها الى الملاحم واخذوا يمينا وشمالا طعنا فى
مسالك الغى وتركا لمذاهب الرشد فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد فكم من مستعجل بما ان ادركه
ود انه لم يدركه وما اقرب اليوم من تباشير غد يا قوم هذا ابان ورود كل موعود ودنو من طلعة ما لا تعرفون الا وان من ادركها منا

كلف فلا ذم لعلكم
الآن تشردوا اى تتفرقوا
قال انتم عليه ثم ما كان
فلا ذم لهم يلزمهم

وصف فيه فتنة ضالة

يسري فيها بسراج منير، ويحذو فيها على مثال الصالحين ليحل فيها ربقا، ويعتق فيها رقا، ويصدع شعبا، ويشعب صدعا، في سترة عن الناس لا يبصر القائف أثره ولو تابع نظره، ثم ليشحذن فيها قوم شحذ القين النصل، تجلى بالتنزيل أبصارهم، ويرمى بالتفسير في مسامعهم، ويغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح. **أقول**: إبان الشيء بكسر الهمزة وتشديد الباء وقته، والربق بكسر الراء وسكون الباء حبل فيه عدة عرى يشد به البهم، والصدع الشق، والشعب الإصلاح، والشحذ التحديد، والقين الحداد، والغبوق الشرب بالعشي، والصبوح الشرب بالغداة. فقوله: وأخذوا يمينا وشمالا إلى قوله الرشد إشارة إلى من ضل من فرق الإسلام عن طريق الهدى التي عليها الكتاب والسنة وسلكوا طرفي الإفراط والتفريط منها كما قال ع: فاليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة. وقد سبق تفسير ذلك مستوفى، ومسالك الغي أطراف الرذائل من الفضائل التي عددناها كالحكمة والعفة والشجاعة والعدالة وما تحتها، ومذاهب الرشد هي تلك الفضائل، وطعنوا وتركوا مصدران قاما مقام الحال. وقوله: فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد، ذلك الاستعجال إشارة إلى ما كانوا يتوقعونه من الفتن التي أخبر الرسول صلى الله عليه وآله عن وقوعها في المستقبل وكانوا في أكثر الوقت يسألونه عنها فقال: لا تستعجلوا ما هو كائن أي لا بد من وقوعه وهو مرصد معد، ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد أي من الفتن والوقايع. وقوله: فكم من مستعجل إلى قوله لم يدركه، ذم للاستعجال والاستبطاء لهذا المدعو، كقوله: فعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم. وما أقرب اليوم من تباشير غد أي من التبري بعد، كقوله: غدا ما غدا ما أقرب اليوم من غد، وكقوله: وإن غدا للناظرين قريب، ثم أخذ في تقريب ذلك الموعود من الفتن فقال: هذا إبان كل موعود، أي وقت ظهوره ودنو طلوع ما لا تعرفون من تلك الأمور بالتفصيل. وقوله: ألا وإن من أدركها منا، أي من أدرك تلك الفتن من أهل بيته الأئمة الأطهار يسري فيها بسراج منير، واستعار لفظ السراج لكمالات نفسه التي استضاء بها في طرق الله من العلوم والأخلاق الفاضلة، ولفظ المنير ترشيح، وهو كناية عن معرفة الحق وتمييزه من الباطل، وأن تلك الفتن لا توقع له شبهة ولا تأثير لها في عقيدته الصادقة الصافية، بل يتصرف فيها منقادا لأنوار الله على صراط المستقيم لا يلويه عنه ملو، بل يقتفي فيه آثار أئمة الصالحين ويلزم مكارم الأخلاق فيحل ما انعقد فيها وأشكل على الناس من الشبه، ويطلق ربق الشك من أعناق نفوسهم، أو يفك فيها الأسير فيطلق أسرهم ويصلهم ويصدع ما انشعب للناس من ضلال يمكنه صدعه، ويشعب ما انصدع من أحوال الدين ما أمكنه شعبه في سترة عن الناس لا يبصر القائف أثره ولو تابع إليه نظره، وما زالت أئمة أهل البيت عليهم السلام مغمورين في الناس لا يعرفهم إلا من عرفوه أنفسهم حتى لو تعرفهم من لا يريدون معرفته لهم لم يعرفهم. ولسنا نقول لم يعرف أشخاصهم بل لا يعرف أنهم أهل الحق والأحقون بالأمر. وقوله: ثم ليشحذن فيها قوم، أي في أثناء ما يأتي تشحذ أذهان قوم وتعد لقبول العلوم والحكمة كما يشحذ الحداد النصل، ولفظ الشحذ مستعار لإعداد الأذهان، ووجه الاستعارة الاشتراك في الإعداد التام النافع، فهو بمضيه في مسائل الحكمة والعلوم كمضي النصل فيما يقطع به، وهو وجه التشبيه المذكور. ثم أخذ في تفسير ذلك الشحذ والإعداد فقال: تجلى بالتنزيل أبصارهم، أي تعقد بالقرآن الكريم ودراسته وتدبره أبصار بصائرهم لإدراك الحكمة وأسرار العلوم، وذلك أن أسرار التنزيل الإلهي عليها. ويرمى بالتفسير في مسامعهم، أي يلقى إليهم تفسيره على وجهه من إمام الوقت. ثم عبر عن أخذهم الحكمة ومواظبتهم على تلقفها بعد استعدادهم لها بالغبوق والصبوح. ولفظ الصبوح والغبوق مستعاران لكونهما حقيقيين في الشرب المخصوص المحسوس. وهؤلاء المشار إليهم بالاستعداد للحكمة وأخذها هم علماء الأمة من جاء منهم قبلنا ومن في آخر الزمان من المتنبهين لكمالات النفوس السالكين لسبيل الله المرتضين في نظره ونظر الأئمة من ولده بعده. **منها**: وطال الأمد بهم ليستكملوا الخزي ويستوجبوا الغير، حتى إذا اخلولق الأجل واستراح قوم إلى الفتن، وأشالوا عن لقاح حربهم، لم يمنوا على الله بالصبر، ولم يستعظموا بذل أنفسهم في الحق، حتى إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء حملوا بصائرهم على أسيافهم، ودانوا لربهم بأمر واعظهم، حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رص أساسه فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة، وأبواب كل ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة، وذهلوا في السكرة على سنة من آل فرعون، من منقطع إلى الدنيا راكن، أو مفارق للدين مباين. **أقول**: الأمد الوقت، والإشالة الرفع، والوليجة البطانة، وهي خاصة الرجل من أهله وعشيرته، ورص الأساس إحكامه، وماروا تحركوا. وهذا الفصل يستدعي كلاما منقطعا قبله لم يذكره الرضي رض، قد وصف فيه فئة ضالة قد استولت وملكت وأملى لها الله سبحانه. وقوله: وطال الأمد بهم ليستكملوا الخزي، كقوله تعالى: إنما نملي لهم ليزدادوا إثما. وقوله تعالى: وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا. وقوله: حتى إذا اخلولق الأجل، أي صار خلقا، وهو كناية عن بلوغهم غاية مدتهم المكتوبة بقلم القضاء الإلهي في اللوح المحفوظ. وقوله: واستراح قوم إلى الفتن، إشارة إلى من يعتزل الوقائع التي ستقع في آخر الزمان من شيعة الحق وأنصار دينه إليها، أي يجد في اشتغال القوم بعضهم ببعض راحة له في الانقطاع والعزلة والخمول، واشتيالهم عن لقاح حربهم رفعهم لأنفسهم عن تهييجها، واستعار لفظ اللقاح بفتح اللام لإثارة الحرب ملاحظة لشبهها بالناقة. وقوله: لم يمنوا جواب قوله: حتى إذا اخلولق، والضمير في يمنوا قال بعض الشارحين إنه عائد إلى العارفين الذين تقدم ذكرهم في الفصل السابق، يقول: حتى إذا ألقى هؤلاء السلم إلى هذه الفئة الضالة عجزوا واستراحوا من منابذتهم إلى فتنتهم منهم، نهض الله أولئك الذين تقدم ذكرهم بحكمته، وأطلعهم على أسرار العلوم فنهضوا ولم

في وصف فتنة ضالة ومآلها

يمنوا على الله تعالى بالصبر في طاعته وفي رواية بالنصر اى بنصرهم له ولم يستعظموا ما بذلوه من نفوسهم في طلب الحق حتى اذا وافق القدر الذي هو وارد القضاء وتفصيله انقطاع مدة هذه الفتنة وارتفاع ما كان يشمل الخلق من بلائها حمل هؤلاء العارفون بصائرهم على اسيافهم وهذا معنى لطيف يريد انهم اظهروا اعتقاداتهم وما في قلوبهم للناس وكشفوها وجردوها مع تجريد سيوفهم فكانهم حملوها على سيوفهم فترى في غاية الجلاء والظهور كما ترى السيوف المجردة ومنهم من قال يريد بالبصائر جمع بصيرة وهو الدم فكانه اراد طلبوا ثارهم والدماء التي سفكها اهل الفتنة فكانت تلك الدماء المطلوب ثارها محمولة على اسيافهم المجردة للحرب واشار بواعظهم الى الامام القائم والاقرب يحتمل ان يريد بالضمير في يمنوا وما بعده القوم الذين استراحوا الى الفتنة واشتغلوا عن لقاح الحرب في ذلك انهم لم يفعلوا ذلك الا لانهم لم يؤذن لهم في القيام حين استراحتهم والقائهم السلام لهذه الفتنة ولم يتمكنوا من مقاومتهم لعدم قيام القائم بالامر فكانوا حينئذ مسالمين صابرين على مضض من الم المكروه الذي يشاهدونه وغير مستعظمين لبذل انفسهم في نصرة الحق لو ظهر من يكون لهم ظهيرا ويلجاؤن اليه حتى اذا ورد القضاء الالهي بانقطاع مدة بلاء هذه الفتنة وظهور من يقوم بنصر الحق ودعا اليه حمل هؤلاء بصائرهم على اسيافهم وقاموا لربهم بامر من يقوم فيهم واعظا ومخوفا وداعيا وهذا الحمل يرجحه عود الضمير الى الاقرب وهم القوم وقوله حتى اذا قبض الله رسوله الى اخره هذا الفصل منقطع عما قبله لان صريحه ذكر غاية الاقتصاص حال جوقه الرسول ص وحال الناس قبله وبعده ومعه ولعله ملحق بالكلام المتقدم بشيء من ذلك تلك الكلمة الا ان يحمل من طال الامد بهم في الكلام المتقدم على من كان من اهل الضلال قبل الاسلام حتى اذا اخلولق اجلهم واستراح قوم منهم الى الفتن والوقائع بالنهب والغارة واشتغلوا عن لقاح حربهم اى عدوا انفسهم لها كما تعد الناقة نفسها لقبول نتاجها للقاح اى ... فعد ويسمى سالما ويكون الضمير في قوله لم يمنوا راجعا الى ما ذكر سبق للعقائد في هذه الخطبة حين قام الرسول ص فيهم وفيهم الحرب فلم يمنوا على الله بصبرهم معه ولم يستعظموا بذل انفسهم له حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء بدولة الجاهلية والكفر حمل هؤلاء الذين لم يمنوا على الله بصبرهم بصائرهم اى ما كانوا يخفونه من الاسلام في اول على سيوفهم اى كشفوا عقائدهم كما سبق القول فيه او دماء ثاراتهم من الكفار ودانوا لربهم بامر واعظهم وهو الرسول ص وح يضعف قوله حتى اذا قبض الله رسوله فانه لذلك الكلام على هذا التاويل وقوله رجع قوم على الاعقاب الى اخره اما على المذاهب الامامية فاشارة الى عدول الصحابة بالخلافة عنه وعن اهل بيته الى الخلفاء والثلاثة واما على مذهب من صحح امامة الخلفاء الثلاثة فيحتمل ان يريد بالقوم الراجعين على الاعقاب من خرج عليه في زمن خلافته من الصحابة كمعاوية وطلحة والزبير وغيرهم وزعموا ان غيره احق بها منه ومن اولاده والرجوع على الاعقاب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الانقياد للشريعة واوامر الله ورسوله ووصيته باهل بيته وغيلة السبل لهم كناية عن اشتباه طرق الباطل بالحق واسترافي طرق الباطل لهم واهلاكها اياهم وهي الشبه المستلزمة للاراء الفاسدة كما يقال اخذت العرف الطريق الى الحصين وهي مجاز في المفرد والمركب اما في المفرد فلان سلوكهم لسبل الباطل لما كان عن غير علم منهم بكونه باطلا فاشبه الغيلة فاطلق عليه لفظها واما في المركب فلان اسناد الغيلة الى السبل ليس حقيقة اذ الغيلة من فعل العقلاء واتكالهم على الولائج اعتماد كل من راى منهم رايا فاسدا على اهله وخواصه في نصرة ذلك الراى ووصلوا غير الرحم اى غير الرسول ص وتركوا السبب الذي امروا بمودته ولزومه يريد اهل البيت ع وظاهر كونهم سببا لمن اهتدى بهم في الوصول الى الله سبحانه قال الرسول ص خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي حبلان ممدودان من السماء الى الارض لن يفترقا حتى يردا على الحوض واستعار لهم لفظ الحبل والسبب في اللغة الحبل وامرهم بمودته كما في قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقوله ونقلوا البناء عن رص اساسه فبنوه في غير موضعه اشارة الى العدول بامر الخلافة عنه وعن اهل بيته الى غيرهم ووصلة غير الرحم خروج عن فضيلة العدل الى رذيلة الظلم وعدم مودة اولى القربى رذيلة التفريط من تلك الفضيلة الداخلة تحت العفة وكذلك نقل البناء عن موضعه دخول في رذيلة الظلم ثم وصفهم صفا احماليا بكونهم معادن كل خطيئة اى انهم مستعدون لفعل كل خطيئة ومهيئون لها فهم مظانها ولفظ المعادن استعارة وكذلك ابواب كل ضارب في غمرة واستعار لفظ الابواب لهم باعتبار ان كل من دخل في غمرة جهالة او شبهة يشير بها فتنة واستعان بهم لذلك الباب ونساعدوه وحسنوا له رايه به فكانهم بذلك ابواب لمن اراد الباطل يدخل منها وقوله قد ماروا في الحيرة اى ترددوا في امرهم فهم حائرون لا يعرفون جهة الحق فيقصدونه وذهلوا اى غابت اذهانهم في سكرة الجهل فهم على سنة من ال فرعون وطريقته وانما ذكر السنة لا نه يريد بها مشابهتهم في بعض طرائقهم وال فرعون اتباعه وقوله من منقطع الى الدنيا الى اخره تفصيل لهم باعتبار كونهم على سنة من ال فرعون فمنهم المنقطع الى الدنيا المنهمك في لذاتها المكب على تحصيلها ومنهم المفارق للدين المباين له وان لم يكن له دنيا والمفصلة مانعة الخلو بالنسبة الى المشار اليهم ويحتمل ان يريد مانعة الجمع ويشير بمفارق الدين الى من ليس براكن الى الدنيا كثيرة من يدعى الزهد مع كونه جاهلا بالطريق فتراه ينفر من الدنيا ويحسب انه على شيء مع انه جاهل بكيفية سلوك سبيل الله بعقوده يمينا وشمالا لا عنها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** واستعينه على مداحر الشيطان ومزاجره

في الاستعانة بالله ما يدحر الشيطان

٢٠

ج

والاعتصام من حبائله ومخاتله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونجيبه وصفوته، لا يؤازى فضله، ولا يجبر فقده. أضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة والجهالة الغالبة والجفوة الجافية، والناس يستحلون الحريم ويستذلون الحليم، يحيون على فترة ويموتون على كفرة. ثم إنكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت، فاتقوا سكرات النعمة، واحذروا بوائق النقمة، وتثبتوا في قتام العشوة واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها، وظهور كمينها، وانتصاب قطبها، ومدار رحاها. تبدأ في مدارج خفية، وتؤول إلى فظاعة جلية. شبابها كشباب الغلام، وآثارها كآثار السلام، تتوارثها الظلمة بالعهود، أولهم قائد لآخرهم، وآخرهم مقتد بأولهم، يتنافسون في دنيا دنية، ويتكالبون على جيفة مريحة، وعن قليل يتبرأ التابع من المتبوع، والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء، ويتلاعنون عند اللقاء. ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف، والقاصمة الزحوف، فتزيغ قلوب بعد استقامة، وتضل رجال بعد سلامة، وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلتبس الآراء عند نجومها. من أشرف لها قصمته، ومن سعى فيها حطمته، يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة. قد اضطرب معقود الحبل، وعمي وجه الأمر. تغيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظلمة، وتدق أهل البدو بمسحلها، وترضهم بكلكلها، يضيع في غبارها الوحدان، ويهلك في طريقها الركبان، ترد بمر القضاء، وتحلب عبيط الدماء، وتثلم منار الدين، وتنقض عقد اليقين. يهرب منها الأكياس، ويدبرها الأرجاس. مرعاد مبراق، كاشفة عن ساق، تقطع فيها الأرحام، ويفارق عليها الإسلام. بريّها سقيم، وظاعنها مقيم.

عند

أقول: المداحر جمع مدحر وهي الأمور التي يدحر أي يطرد بها، ومخاتله: محال غروره التي يختل الناس بها ويوهمهم أنها نافعة، والبوائق جمع بائقة وهي الداهية، والقتام بفتح القاف: الغبار، والعشوة بكسر العين: الأمر الملتبس على غير بيان ووضوح، والفظاعة: تجاوز الأمر الشديد الحد في المقدار، والسلام بكسر اللام: الحجارة الصم واحدها سلمة بكسر السين، والمريحة: المنتنة، ويتزايلون: يتفارقون، ونجومها: طلوعها، واستشرف لها: انتصب لدفعها، والتكادم: التعاض بأدنى الفم، والعانة: القطيع من حمر الوحش، والمسحل: المبرد، والمسحل أيضاً حلقة تكون في طرف شكيمة اللجام مدخلة في مثلها، والوحدان جمع واحد، والعبيط: الخالص الطري. وصدّر هذا الفصل بالاستعانة بالله تعالى على ما يدحر الشيطان ويزجر به، وذلك هو العبادات والأعمال الصالحة المستلزمة لطرده وزجره، وعلى الاعتصام من حبائله ومخاتله وهو الشهوات واللذات التي يتوصل بها، واستعار لها لفظ الحبائل وهي أشراك الصائد لمشابهتها إياها في استلزام الحصول فيها البعد عن الله والحصول في العذاب. ومن مدائح الرسول صلى الله عليه وآله كونه نجيباً لله أي مختاراً، وروي نجيبه وصفوته أي من خلقه، لا يؤازى فضله أي لا يحصل مثله لأحد، إذ كان كماله في قوتيه النظرية والعملية غير ممكن لأحد من الخلق، ومن كان كذلك لم يجبر فقده، إذ لا يقوم مثله من الناس، وإذ لا مثل له فيهم فلا جبران لفقده. وقوله: أضاءت به البلاد بعد الضلالة، أي ضلالة الكفر، ووصفها بالظلمة لعدم الاهتداء فيها للحق، والوصف مستعار، وكنى بوصف الإضاءة به مستعاراً لاهتداء الخلق به في معاشهم ومعادهم، وإسناد الإضاءة إلى البلاد مجاز. والجهالة الغالبة على أكثر الخلق وأفراد الجهل بالطريق إلى الله تعالى وبكيفية نظام المعاش فيما بينهم وكشفه ذلك بعينه. والجفوة الجافية يريد غلظة العرب وما كانوا عليه من قساوة القلوب وسفك الدماء، ووصفها بما اشتق منها مبالغة وتأكيداً لها، وأراد الجفوة القوية. والناس يستحلون الحريم، الواو للحال، والعامل أضاءت. ويستذلون الحليم، وذلك من عادة العرب إلى الآن استذلال من يعقل منهم ويحلم عن الغارة والنهب وإثارة الفتن، واستضعافهم له، ونسبته إلى الجبن والضعف. ويحيون على فترة أي على حالة انقطاع الوحي والرسل، وتلك حال انقطاع الخير وموت النفوس بداء الجهل. ويموتون على كفرة وهي الفعلة من الكفر لأهل كل قرن حيث لا هادي لهم. ثم أخذ في إنذار السامعين باقتراب حوادث الوقائع المستقبلة التي يرمون بها كما يرمى الغرض بالسهام، واستعار لفظ الغرض لهم. ولما كانت الحادثة تتركب من تقدير قوم وإهلاكهم مثلاً بسبب بعدهم لذلك، وكان أكبر الأسباب المعدة لذلك هي الغفلة عن ذكر الله بالانهماك في نعم الدنيا ولذاتها، استعار للغفلات لفظ السكرات، ثم أمر باتقائها، وحذر من دواهي النقمات بسبب كفران النعم، ثم أمر بالتثبت والتبين على الروية عند اشتباه الأمور عليهم وظهور الشبهة المثيرة للفتن، كشبهة قتل عثمان التي نشأت منها وقائع الجمل وصفين والخوارج. واستعار لفظ القتام لذلك الأمر المشتبه، ووجه المشابهة كون ذلك الأمر لا يهتدى فيه لحاق صوابه كما لا يهتدى القائم في القتام عند ظهوره، ونوضحه اعوجاج الفتنة إتيانها على غير وجهها. ولفظ الجنين يحتمل أن يكون حقيقة، أي عند طلوع ما اجتن منها وخفي عليكم، وكذلك كمينها أي ما كمن منها واستتر، ويحتمل أن يكون استعارة. وموقع قطبها من تدور عليه من البغاة المنافرين استعارة، وانتصابه قيامه لذلك الأمر، وكذلك استعار لفظ الرحى لها ودورانها على من تدور عليه من أنصار ذلك القطب وعسكره الذين تدور عليهم الفتنة. ثم أخبر أنها تبدأ في مدارج خفية، وأراد بالمدارج صدد من ينوي القيام فيها أو يعتقد على إثارتها. وكان هذا إشارة إلى فتنة بني أمية، وقد كان مبدأها شبهة قتل عثمان، ولم يكن أحد من الصحابة يتوهم خصوصية هذه الفتنة، وإنما كانوا علموا من الرسول صلى الله عليه وآله حدوث وقائع وفتن غير معينة الأزمان ولا من يثيرها ويكون قطباً لها، فخفاء مدارجها كإخفاء معاوية وطلحة والزبير وغيرهم لأمورهم وما عزموا عليه من إقامة الفتنة والطمع في الملك والدولة، حتى آل ذلك الطمع إلى الأمور الفظيعة الواضحة بعد الخفاء. واستعار لفظ الشباب لقيامها وظهورها في الناس، ووجه المشابهة السرعة في الظهور، ولذلك أكدها بتشبيه

هي م

الفتن م

يقصد ل

ثم الاستعاذة بالله

ذلك الظهور وتنبيه الغافل اي فتح السر عنه ومع ستر عنها لها آثار في هيكل الاسلام كآثار الحجارة الصلبة في الجلد ووجه الشبه امتدادها للبين والنقطاع المسلمين
كافسا الحجر ما يقع عليه بالرضّ والكسر واستعار بالظلمة التي يتوارثونها الى بني امية بعهد الآباء بينه الى جرم وذكر قوداً وظهم الآخرهم الى اوّلهم في الدخول
في الظلم والفساد الزوا فانه ثلث الفتن واستعار لفظ القود لتهيئة الاول منهم اسباب الملك لمن بعده واقتداء آخرهم باولهم في ذلك مثلما المقود
في يتوارثونها يرجع الى ذلك الفتنة ثم اشار الى صفة حالهم في آثار تلك الفتن وتوارثهم وهي انا انفسنا في الدنيا الدنية في نظر العقلاء او و
استعار لفظ التكالب لمجاذبة بعضهم لبعض عليها كالمجاذبة بين الكلاب على الميتة واستعار لها لفظ الجيفة ورشح بذكر المرجحة للتنفير عنها
ولحجمها كونها مستلزمة للاذى طالبيها مع كونها منها للعقلاء كالهرب من الجيفة المنتنة والاتّزوا معها ثم اخبر بانقضائها عن قليل وكنى بذلك عن
تبرّي التابع من المتبوع والقائد من المقود اي تبرّي كل من الفريقين من الآخر كما قال تعالى اذ تبرّأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله وقالوا
ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا وذلك التبرّي وقيل عند ظهور الدولة العباسية فان العادة جارية بتبرّي الناس من الولاة
المعزولين خصوصا عند الخوف ممن تولّى عزلهم ولتلك وقلتهم فيتباينون بالبغضاء اذ لم يكن الفتنة وعيبتهم الا لغرض دنياوي زال و
يتلاعنون عند اللقاء وقيل في الفتنة يوم القيامة وقوله عن قليل الى قوله عند اللقاء جملة اعتراضية مؤكدة بها معنى يعجبه منهم فكانه قال انهم
على تكالبهم عليها عن قليل يتبرّأ بعضهم من بعض وذلك يزجرهم الى ترك التكالب عليها وقوله ثم ياتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف وكان
هذه الفتنة هي فتنة التتار الداثرة فيها على العرب وقال بعض الشارحين بل ذلك اشارة الى الملحمة الكائنة في آخر الزمان كفتنة الدجال
وكنى عن اهوالها واضطراب امر الاسلام فيها بكونها رجوفا اي كثيرة الرجف وطالعها مقدمتها واوائلها وكنى بقصمها عن اهلاك
الخلائق فيها واستعار لها لفظ الزحوف ملاحظة لشبهها بالرجل الشجاع كثير الزحف في الحرب الى اقرانه اي تمشي اليهم قدما ثم شرع في بيان
افعال تلك الفتنة بالناس من ازاغة قلوب قوم عن سبيل الله تعالى بعد استقامتها عليه وضلال رجال اي هلاكهم في الآخرة بالمعاصي
بعد سلامة منها واختلاف الاهواء عن ارادة الله تعالى هجومها والتباس الآراء الصحيحة بالفاسدة على الناس فلا يعرفون وجه المصلحة من غيره من
يطلع اليها وينهاو سعى في دفعها هلك واستعار لفظ التكادم اما للغالبة منها هذه الفتنة بعضهم لبعض ومغالبتهم لغيرهم وشبه ذلك
بتكادم الحمر في العانة ووجه التشبيه المغالبة مع الايماء اي خلعهم ربق التكليف من اعناقهم وكثرة غفلتهم عما يراد بهم في الآخرة واستعار الحبل
لما كان انبرم من دولة الاسلام واستعار لفظ الحبل للدين وكنى باضطرابه عن عدم استقرار قواعد الدين عند ظهور اول هذه الفتنة وعمي
وجه هذا الامر اي علم الاهتداء الى وجه المصلحة واشار بالحكمة التي تغيض فيها الى الحكمة الخالية التي عليها مدار الشريعة وتعليمها واستعار لفظ
الغيض لعدم ظهورها والانتفاع بها وينطق فيها الظلمة بالامر والنهي وما يقتضيه آراؤهم الحائدة عن العدل واستعار لفظ المسحل لما يؤذى به العرب
واهل البادية ووجه المشابهة اشتراك المبرد ونحوه وما يؤذى به العرب من هذه الفتنة في الايذاء فكانها شجاع ساق عليهم فدقهم بشكيمه
فرسه او نحو ذلك وكذلك استعار لفظ الكلكل لما يدهم البدو ومنها ملاحظة لشبهها بالناقة التي تبرك على الشيء فتضغطه وقوله يضيع في غبارها
الوحدان ويهلك في طريقها الركبان كنى بالركبان عن كثرتها اي لا يقاومها احد ولا يخلص منها الوحدان نعم الركبان ولفظ الغبار مستعار للقليل
من حركة اهلها اي ان القليل من الناس اذا ارادوا دفعها هلكوا في غبارها من دون ان يدخلوا في غمارها اما الركبان وكنى بهم عن الكثير من
الناس فانهم يهلكون في طريقها وعند خوضها وقيل اراد بالوحدان فضلاء الوقت اذ يقال فلان واحد وقته ولفظ الغبار للشبه التي تغطي الحق
عن اعينهم ويكون الركبان كناية عن الجماعة اهل القوة واذا كان هؤلاء يهلكون في طريقها اي عند الخوض لعزائمها فكيف بغيرهم وكنى بمرّ قضائها
عن القتل والاسر ونحوهما وظاكون وارداته الموزبها لنا فيقرّ واردة عن القضاء الالهي معلومة الكون وكذلك استعار وصف الحلب لها ملاحظة
لشبهها بالناقة وكنى بذلك عن سفك الدماء فيها ومنار الدين اعلامه وهم علماؤه ويحتمل ان يريد قوانينه الكلية وثلمها عبارة عن قتل العلماء
وهدم قواعد الدين وترك العمل به وعقد اليقين هو الاعتقاد الموصل الى علم اليقين او الى عين اليقين وهو اعتقاد الشريعة واتصال ذلك الى
جوار الله تعالى والقرب منه ونقضه هو ترك العمل على وفقه ويتبدله والاكياس الذين يهربون منها هم العلماء واهل العقول السليمة وكل هذه الاشارات
معلومة من فتنة من ذكرنا وظاهر كونهم ارجاس لنفوس لشيطان انجاسها بالهيئات البدنية والملكات الرديئة انجاس لابد ان يجمع
الشريعة وكنى عن شدتها وكونها محل المخاوف بوصفي الرعاد والبراق ههنا مستعار من ملاحظة لشبهها بالسحابة كثيرة البروق والرعود بوصف
كشفها عن ساق عن قتالها مجردة كالمتشمر للحرب والكلام مهم وقطع الارحام ويفارق عليها الاسلام واشار بسقيمها الى من يتقلد في
هذه الدولة ولذا انه ذو صلاح بريء من المعاصي والآثام مع كونه ليس كذلك اذ من لطف ان السالم في هذه الفتنة من معصية الله قليل بل اقل من القليل
ولعله عند الاستقراء لا يوجد واشار بظاعنها الى من يتفقد انه متخلف عنها وغير داخل فيها وظاكونه غير منحرف عنها ويحتمل ان يريد به انه من
ارتحل عنها خوفا لا يخرج منها والله الموفق، **منها** بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ الأَيْمَانِ وَبِغُرُورِ الإِيمَانِ فَلا تَكُونُوا
أَنْصَابَ الْفِتَنِ وَأَعْلامَ الْبِدَعِ وَالْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ وَاقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ وَلا تَقْدَمُوا
عَلَيْهِ ظَالِمِينَ وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ وَلا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ الْحَرَامِ فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ وَسَهَّلَ لَكُمْ سَبِيلَ الطَّاعَةِ

عند ظهورها

معقود

تغيرهم

على أنفسهم

١ او ابعال

وفيه ابحاث من العلم الالهي

٢٠ ج

اقول يقال طلّ دم فلان فهو مطلول اذا اهدر دمه ولم يطلب به وتختلون تخدعون والعوج جمع اعوج وهي ايّهم لما انتنا ولما لا لغفرتهم فقوله بين منبل الى
قوله منيهم تشبيهات بكون صفتهم حال المتمسكين بالدين في زمان الفتنة الاولى وقوله يختلون الى قوله وبعهد الايمان صفتهم حال اصحاب هؤلاء
المقتولين اي انهم يخدعون باعطاء الاقسام والعهود الكاذبة وذلك كخداع الحسين عليه السلام عن نفسه ولعلها بروع يختلون ببناء الفاعل
فيكون وصفهم حال اهل الفتنة واتباعهم ثم اخذ في نهي الشامعين ان يكونوا انصارا للفتن التي يدركونها واعلاما للبدع اي رؤساء
الهم فيها ويقتدى بهم كما يشار الى الاعلام المبينة ويقتدى بها وفي الخبر كن في الفتنة كابن لبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب وقوله و
اقدموا على الله مظلومين ليس المراد منه الامر بالظلام فان ذلك طرف التفريط من فضيلة العدالة وهي رذيلة بل المراد انكم اذا كانت لكم مكنة
من الظلم فلا تظلموا ولو استلزم ترك الظلم انظلامكم وهو كسر للنفوس عن رذيلة الظلم خصوصا نفوس العرب فانها اكثر تطاولا الى الظلم و
امنع عن قبول الانظلام ولا انفعال عن عدوان استلزم الظلم كما اشار اليه العربي ولم يكن دعي حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم القوم يظلم
ومدارج الشيطان طرقه وهي الرذائل التي يحسنها ويقود وكذلك مهابط العدوان محاله التي يهبط فيها وهي من طرق الشيطان ولعق الحرام
كناية عمّا يكتسبه الانسان من الدنيا ومتاعها على غير الوجه الشرعي وتشبيها للعق على قلتها وحقارتها بالنسبة الى متاع الآخرة وتنبيه على وجوب
الانتهاء عما نهى عنه بقوله فانكم بعين من حرّم عليكم الخ يقال فلان من فلان بمرأى ومسمع وبعين منه اذا كان مطلعا على امره اي فان الله
حرّم عليكم المعصية واوجب عليكم الطاعة مطلع عليكم وعالم بما تفعلون وذلك ردع لهم من المنهي المحرم ولفظ العين مجاز في العلم **ومن خطبة**
له عليه السلام الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على ازليته وباشتباههم على ان لا شبه له لا تستلمه المشاعر ولا تحجبه
السواتر لافتراق الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب الاحد لا بتأويل عدد والخالق لا بمعنى حركة ونصب والسميع
لا باداة والبصير لا بتفريق آلة والشاهد لا بمماسة والبائن لا بتراخي مسافة والظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة بان من الاشياء
بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الاشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه من وصفه فقد حده ومن حده فقد عده ومن عده فقد ابطل
ازله ومن قال كيف فقد استوصفه ومن قال اين فقد حيّزه عالم اذ لا معلوم ورب اذ لا مربوب وقادر اذ لا مقدور **اقول** المشاعر
الحواس اذ هي محل الشعور وحمد الله تعالى باعتبارات من اوصافه ونحن نفصل ابحاث من العلم الالهي الاول الاشارة الى وجوده تعالى الواجب والناس
ابتاث طريقان احدهما اثبات وجوده بالنظر في نفس الوجود وقسمته الى اقسامه الحاصرة ونقرر بهذه الطريقة ان يقال لا شك في وجود موجود
فذلك الموجود ان كان واجب الوجود فهو المطلوب وان كان ممكنا افتقر الى مؤثر بناء على ان العلة المحوجة الى المؤثر هي الامكان وذلك المؤثر
ان كان ممكنا افتقر الى غيره ولزم التسلسل او الدور وكلاهما باطلان اما الاول فلانه لو افتقر كل واحد من الامرين الى الآخر باعتبار واحد لزم تقدم كل
منهما على المتقدم على نفسه فيلزم تقدمه على نفسه بمراتب واما الثاني فلانه لو كانت سلسلة من علل ومعلولات لا نهاية لها في الوجود لكان
مجموعها ممكنا لافتقاره الى الاجزاء التي هي غيره فمجموعها علة تامة فهي اما نفسه وهو محال بالبديهة او لم يدخل فيه وهو باطل لان العلة التامة
للمركب علة اولى لاجزائه والا لتوقف على علة اجزائه فلم تكن علة تامة له بل هي مع علة اجزائه هف واذا كانت علة المركب علة اولى لاجزائه لزم ان يكون
كون ذلك الجزء المؤثر في المجموع مؤثرا في نفسه اولا وفي علله السابقة فيلزم تقدمه على نفسه بمراتب غير متناهية وذلك باطل بالبديهة فيبقى ان يكون
المؤثر في ذلك المجموع اما امرا خارجا عنه او ما يتركب من الداخل والخارج عنه لكن القسم الثاني ايضا باطل لان الداخل لما كان جزءا من العلة المركبة
فلو تقدم عليها فهي متقدمة على مجموع الممكنات فلها تقدم عليه وعلى اجزائه فيجزئها كذلك فله تقدم على نفسه وعلى علله وهو باطل بمثل الاول لكن
الموجود الخارج عن كل الممكنات لا يكون ممكنا بل واجب الوجود وهو المطلوب وهذه طريقة العلماء الذين يستدلون به على مخلوقاته ويسمونه
برهان اللم واما الطريق الثانية فهي الاستدلال بالنظر في المخلوقات وطبائعها وامكانها وكثرتها وقبولها للتغير والتركيب على مبادئها ثم على
المبدأ الاول جلت عظمته وهي طريقة الطبيعيين وهي التي اشار اليها عليه السلام بقوله الدال على وجوده بخلقه والمتكلمون فرعوا هذه الطريقة الى طرق
احدها انهم استدلوا بحدوث هذه الذوات على امكانها وبامكانها على حاجتها الى موجد ومؤثر وهي طريقة الاشعري وابي الحسين البصري والثانية
من المتكلمين الثانية استدلوا بالحدوث وهذه الذوات فقط على وجود محدث لها من غير نظر الى الامكان وقالوا الاجسام محدثة وكل محدث محدث
والمقدمة الاولى استدلالية والثانية عندهم بديهية الثالثة استدلالهم بامكان الصفات وذلك انهم بينوا ان الاجسام الفلكية والعنصرية
متماثلة ثم قالوا اتصاف بعضها بما اختص به من الصفات ليس للاجسام ذلك التخصيص لذاتها الجسمية ولا للوازمها والا لوجب كل جسم كذلك ولا لعارض
من عوارضها لان الكلام في تخصيص تلك العوارض كالكلام في الاول فيلزم التسلسل ولا للطبيعة كما يقول بعض الناس لانها لا تفعل في المادة
البسيطة كالنطفة مثلا افعالا مختلفة فبقي ان يكون ذلك التخصيص لمدبر حكيم وهو مرادنا بالصانع الرابعة الاستدلال بحدوث الصفات وهو
ظ ونقد برهذه الطرق وما لها وعليها في الكتب الكلامية وينبغي ان يخصص الكلام في قوله علي وجوده بخلقه بالطريقة الاولى لهم والثالثة فانه جعل
الحدوث دليلا على الازلية البحث الثاني في ازليته وبيانه ما ذكره عليه السلام بقوله وبمحدث خلقه على ازليته ونقرر هذه الدلالة انه قد ثبت
موضعه ان جميع المحدثات صادرة عن قدرته وقضيته عنه فلو كان هو لكان محدثا لنفسه وهو باطل بالضرورة البحث الثالث انه لا مثل

في

الصهر ٥

فهد م

الدال م

محدثا م



لم ولا شبيه واليه الاشارة بقوله وباشباههم على ان لا شبيه له واذا اشباههم في الحاجة الى المؤثر والمدبر وتقرير هذه الطريق ان يقول ان
كان تعالى غنيا عن المؤثر فلا شبيه له في الحاجة اليه لكن المقدم حق فالتالي مثله وقيل اراد اشتباههم في الجسمية والجنس والنوع والاشكال
والمقادير والالوان ونحو ذلك لان الجنس لا تحت جنس لتنزهه عن التركيب المستلزم للامكان ولا تحت النوع لافتقاره في التخصيص بالعوارض
الى غيره ولا يدرى ما ذكره لاستلزامها التركيب ايضا فليس بذي شبيه في شيء من الامور المذكورة والاولى في التشبيه البحث الرابع ان
المشاعر لا تستلمه وقد بينا ان استلام المشاعر مستلزم للجسمية والاعراض القائمة بها واذ قد ثبت قدسه تعالى عن الجسمية ولواحقها فقد
تنزه عن ادراك المشاعر له اما البحث الخامس ان السموات لا تحجبه وبيانه ان الحجاب والستر من لواحق ذي الجهة والجسمية واذ تنزه قدسه
عنها فقد تنزه عن الحجب والستر المحسوسين وقوله لافتراق الصانع والمصنوع الى قوله والمربوب تعليل راجع الى الجمل المتقدمة كلها
اي كان لكل من الصانع والمصنوع صفات تخصه ويتميز بها وهي التي يكون بها مفارقا للاخر فالمحدودية والحدوث والاشتباه والملموسية
بالمشاعر والتحجب بالستواتر من لواحق الامور الممكنة المصنوعة ومما ينبغي لها ويليق بها والوجود الازلي الذي لا شبيه له المنزه عن المشاعر
والتحجب بالستواتر من لواحق الصانع الاول الواجب وهو الذي ينبغي له ويليق به وبعينا ذا ما سبق من افتقار الممكنات وازدياد الحاجات
الحدود والنهايات وهو الصانع والمنتسب الصانع غير ... الرب لا يدخل الكثرة في مفهوم الربوبية ... البحث السادس في وحدانيته
وقد سبق برهانها واراد هنا بقوله ليس بمعنى العدد ان وحدانيته ليس بمعنى كونه مبدءا للكثرة تعد به كما يقال هو في اول العدد واحد وقد علمت
فيما سبق ان الواحد يقال بالاشتراك اللفظي على معان عدة عرفتها وعرفت اطلاق الواحد عليه تعالى باي معنى هو وانه لا يجوز ان يكون مبدءا
للعدد بل هو تعالى واحد بمعنى انه لا ثاني له في الوجود وبمعنى انه لا كثرة في ذاته بوجه لا ذهنا ولا خارجا وبمعنى انه تام بنفسه من كل شيء بل كل
ما ينبغي ان يكون له فهو له بالذات وبالفعل البحث السابع في كونه تعالى خالقا لا ... ونزهها عن الحركات والنصب وقد عرفت بيان ذلك في الخطبة الاولى
وهو كونهما من لواحق الاجسام المنزه قدسه عنها البحث الثامن كونه سميعا لا باداة اي لا بسمع وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى البحث التاسع
كونه بصيرا لا بتفريق الالة وتفريقها اما عبارة عن نفث القوة الباصرة وتوزيعها على المبصرات وهذا على قول من جعل الابصار بالة
الشعاع الخارج من العين المتصل بسطح المرئي الظاهر فان توزيعه ... على قول من يقول ان الادراك يحصل بانطباع صورة المرئي
في العين ومعنى التفريق على القول الثاني هو تقليب الحدقة وتوجيهها مرة الى هذا المبصر ومرة الى ذلك كما يقال فلان مفرق الهمة والخاطر
اذا وزع فكره على حفظ اشياء متباينة ومراعاتها كالعلم وتحصيل المال وظاهر تنزهه تعالى عن الابصار بالة الحس لكونها من توابع الجسمية ولواحقها
البحث العاشر كونه تعالى شاهدا اي حاضرا لا بمماسة شيء والمراد تنزه حضوره عن مماثلة حضور الجسمانيات المستلزم للقرب المستلزم لمماسة الاجسام
وتقارب بين من اين فهو تعالى الحاضر بعلمه عند كل شيء والشاهد لكل شيء من غير قرب ولا مماسة ولا اين مكان لتنزهه عن الجسمية ولواحقها
البحث الحادي عشر انه تعالى مباين للاشياء لا بتراخي مسافة اي ان مباينته للاشياء لا تستدعي التميز بالوضع والاين بل بذاته فقط وقد سبق
تقرير ذلك في الخطبة الاولى ايضا البحث الثاني عشر انه الظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة وذلك ان الظاهر من الاجسام ما كان منها مرئيا بحاسة
البصر والباطن منها ما كان لطيفا اما لصغر حجمه او لطافة قوامه كالهواء وظهوره تعالى وبطونه منزه عن هاتين الكيفيتين وقد شرحنا هذين
الوصفين غير مرة البحث الثالث عشر كونه بائنا من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها الى قوله اليه ذكر في بينونته تعالى من مخلوقاته بما ينبغي له
من الصفات وفي بينونتها منه بما ينبغي لها فالذي ينبغي له كونه قاهرا لها قادرا عليها ومستوليا وكونه قادرا على ايجادها واعدامها والذي
ينبغي لها كونها خاضعة بذل الامكان والحاجة لعزته وقهره وراجعة في وجودها وكمالاتها الى وجوده وبذلك حصل التباين بينها وبينه
البحث الرابع عشر تنزهه عن الصفات الزائدة بالقياس الذي ذكره بقوله من وصفه فقد حده ومن حده فقد عده وقد قرر هذا القياس بعينه في
الخطبة الاولى بابلغ تقرير والطف تحقيق غير انه قال هناك ومن اشار اليه فقد حده وقال ههنا ومن وصفه فقد حده لكن المراد بوصفه هنا هو
اشارة الوهم اليه واستثباته بكيفية ذات صفات فيكون معنى العبارتين واحدا وقوله ومن عده فقد ابطل ازله لما كان عده عبارة عن جعله
مبدءا للكثرة معدودا وعن كونه ذا اجزاء معدودة وكان ذلك من لواحق الممكنات والمحدثات المفتقرة الى الغير المنافية للازلية بالذات لا جرم كان
من عده باحد الاعتبارين مبطلا ازله الذي يستحقه لذاته البحث الخامس عشر تنزهه عن ان يسال عنه بكيف لانها سؤال عن الكيفية والصفة
وهو معنى قوله فقد استوصفه وقد بينا تنزهه تعالى عن الكيفيات والصفات البحث السادس عشر تنزهه عن السؤال عنه باين وذلك لانها
سؤال عن الحيز والجهة اللذين هما من لواحق الاجسام وقد بينا تنزهه تعالى عن الجسمية وما ينبغي لها فليس هو سبحانه في مكانه وهو في كل
مكان بعلمه واحاطته البحث السابع عشر كونه تعالى عالما اذ لا معلوم الى قوله مقدور وقد علمت معنى علمه وربوبيته وقدرته وملكيته
الاشارة بانه اذ لا ... الى انه عالم ... على معلوم ولا معلوم ... عند ذلك الاعتبار انه لا معلوم في الوجود سوى ذاته ولا مربوب
ولا مقدور موجود هناك بل هي لاحقة التأخر عن ذلك الاعتبار سواء كانت بعد ذلك محدثة كلها كما عليه المتكلمون او بعضها كما عليه
الاوائل وبالله التوفيق والعصمة منها فقد طلع طالع ولمع لامع ولاح لائح واعتدل مائل واستبدل الله بقوم قوما وبيوم يوما

[illegible] الصانع

وانتظرنا

ج ٢

وانتظروا الغِيَر انتظار المجدب المطر وانما الائمة قوّام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من
انكرهم وانكروه ان الله تعالى خصكم بالاسلام واستخلصكم له وذلك لانه اسم سلامة وجماع كرامة اصطفى الله منهجه وبين حججه من ظاهر
علم وباطن حكم لا تفنى غرائبه ولا تنقضي عجائبه فيه مرابيع النعم ومصابيح الظلم لا تفتح الخيرات الا بمفاتيحه ولا تكشف الظلمات
الا بمصابيحه قد احمى حماه وارعى مرعاه فيه شفاء المشتفي وكفاية المكتفي **اقول** العرفاء جمع عريف وهو النقيب وهو دون الرئيس
واشار بطلوع الطالع الى ظهور الامر والخلافة عليه وانتقالها اليه وبلوغ اللامع الى ظهورها من حيث هي حق له وسطوع انوار العدل بينها
اليه وبلوح اللائح الى ما يجري انتقالها اليه من الفتن والحروب او ظهور ما التي لاحت له ما رأيتها يومئذ وقال بعض الشارحين المراد بالثلثة
معنى واحد وهو انتقال الخلافة اليه فقوله ولعتدل مائل في المائل الى الخلافة فيمن كان قبله في نظره اذ كان اصلحاً ذاته انه اولى بها وان
العدل ان يكون فيه واعتدال ذلك المائل بانتقالها اليه وليستبدل الله بقوم اي من سبق عليه قوما اي هو واصحابه ويوم بيوم يوما كان
عن زمانهم وقوله وانتظروا الغير انتظار المجدب المطر اشارة الى ما كان يتوقعه من انتقال هذا الامر اليه واراد بالغير تغيرات الدهر و
تقلبات الاحوال فان قلت اليس هو المطلق للدنيا فاين هذا القول من طلاقها ثلثا قلت انه طلقها من حيث هي دنيا ولم يردها لذاتها
ولم يطلبها من حيث يعمر بها الآخرة بانكار المنكرات واظهار العدل واقامة عمود الدين وحراسته فان طلبه لها انما كان لذلك كما
سبق في قوله لابن عباس بذي قار وهو يخصف نعله وشبه انتظاره للغير بانتظار المجدب للمطر ووجه الشبه شدة التوقع واشتياقا
ويمكن ان يلاحظ في وجه الشبه لواحق الامرين المنتظرين اذ من لواحق ما انتظره هو عن الغير وانتقال الامر اليه شمول العدل وظهور
الحق في موارده المشبه بوقع المطر في الارض المجدبة واستلزام الخير والبركة ثم شرع في تعريف حال الائمة وما نصبوا له وقوله لا يدخل
الجنة الا من عرفهم وعرفوه معناه ان اهل كل عصر لا يدخلون الجنة الا بمعرفة امامهم ومعرفته لهم واراد الائمة من ولده عليهم السلام ومعرفتهم
معرفة حق ولايتهم وصدق امامتهم وبيان الحصر من وجهين احدهما ان دخول الجنة لا يمكن لاحد من هذه الامة الا باتباع الشريعة
ولزوم العمل بها ولا يمكن الا بمعرفتها ومعرفة كيفية العمل بها ولا يمكن ذلك الا ببيان صاحب الشريعة والقائم بها وارشاده وتعليمه
وذلك لا يمكن الا بمعرفة المأموم للامام وحقية امامته وصدق دعواه لها ومعرفة الامام للمأموم ليهديه فاذن دخول الجنة مستلزم لمعرفة
الامام المأمومين ومعرفتهم له الثاني ان معرفته هو والائمة على ابنه كما هو المشهور المنقول عنه ومعرفة حقية امامتهم وصدق دعواهم
ركن من اركان الدين فلا يدخل الجنة الا من اقامه ومن عرفهم كذلك وجب معرفتهم له بذلك فان قلت فنحن نرى كثيرا من شيعة هؤلاء
الائمة ومحبيهم لا تعرفهم الائمة ولا يرون اشخاصهم قلت لا يشترط في معرفتهم لمحبيهم ومعرفة محبيهم لهم المعرفة الشخصية العينية بل الشرط
المعرفة على وجه كلي وهو ان يعلموا ان كل من اعتقد حق امامتهم واهتدى بما انتشر من هديهم فهو وليهم ومقيم لهذا الركن من الدين فيكونون
عارفين بمن يتولاهم على هذا الوجه ومن يتولاهم عارفا بهم بمعرفة حقية ولايتهم واعتقاد ما يقولون وان لم يشترط المشاهدة والمعرفة الشخصية
واما انه لا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه فهو ايضا حق وذلك ان دخول الجنة مستلزم لمعرفتهم على الوجه الذي قررناه ومنحصر فيه
فكل واحد واحد ممن يدخل الجنة عارف بهم وذلك يستلزم انه لا واحد ممن يدخل الجنة بمنكر لهم لان معرفتهم وانكارهم مما لا يجتمعان
في ملزوم واحد اذا عرفت ذلك فنقول ان من انكرهم فانكروه لا يجوز ان يكون اعم ممن يدخل النار اما اولا فللخبر المشهور من مات ولم
يعرف امام وقته مات ميتة جاهلية دل الخبر على ان انكارهم مستلزم للميتة الجاهلية المستلزمة لدخول النار واما ثانيا فلانه لو كان اعم
لصدق على بعض من يدخل الجنة فبعض المنكر لهم يدخل الجنة فينعكس بعض من يدخل الجنة منكر لهم وقد بينا انه لا واحد ممن يدخل الجنة
بمنكر لهم هف وكذلك لا يجوز ان يكون اخص والا لصدق على بعض من يتولاهم ويعترف بصدق امامتهم انه يدخل النار لكن ذلك باطل
لقول الرسول صلى الله عليه وآله يحشر المرء مع من احب ولقوله لو احب رجل حجرا لحشر معه دل الخبر على ان محبة الانسان لغيره مستلزمة لحشره معه وقد
ثبت انهم عليهم السلام الى الجنة يحشرون فكذلك من احبهم واعترف بحقية امامتهم ودخول الجنة مع دخول النار مما لا يجتمعان فثبت انه لا واحد
ممن يحبهم ويعترف بحقهم يدخل النار فقد ظهر انه يصدق في هذه الكلية ايضا وجه الحصر فيها ثم اخذ في اظهار منة الله تعالى عليهم بالقرآن
الكريم وتخصيصهم به من سائر الكتب واستخلاصه له واعلم انهم لقبوله من سائر الامم ونبه على بعض اسباب الكرامة تعالى لهم به اما من جهة اسمه
فلانه مشتق من السلامة بالدخول في الطاعة واما من معناه فمن وجوه احدها انه مجمع كرامة من الله لخلقه لانه مدار جميع اياته على هداية
الخلق الى سبيل الله القائدة الى الجنة الثاني ان الله تعالى اصطفى منهجه وهو طريقته الواضحة المؤدية للسالكين بالسير السعيد الى رضوان
الله الثالث انه تعالى بين حججه وهي الادلة والامارات ومن التنبيه والتقسيم هنا تقسيم الحجج الى ظاهر علم واشار به الى ظواهر الشريعة واحكامها
الفقهية والادلة لذلك الاحكام وباطن حكم واشار به الى ما يشتمل عليه الكتاب العزيز من الحكمة الالهية واسرار التوحيد وعلم الاخلاق و
السياسات وغيرها الرابع انه لا تفنى غرائبه واراد بالغرائب هنا ابانة الحكمة وبراهينه الغائبة اي القاطعة وعدم فنائها اشارة اما الى
ثباتها واستقرارها على طول المدة وتغير الاعصار واما الى كثرتها عند البحث والتفتيش عنها الخامس ولا تنقضي عجائبه وذلك انه

بزمانهم

ذلك صح

لبعضهم صح

في صفة مطلق الضال ومدة عمره

كلما تأمله الانسان استخرج منه بفكره لطائف عجيبة من انواع العلوم لم يكن عنده من قبل التأدب فيه مرابيع النعم واستعار لفظ المرابيع
وهي الامطار التي تعقب الربيع فتحيي الارض وتنبت الكلأ لما يحصل عليه الانسان من النعم ببركة القرآن ولزوم أوامره ونواهيه وحكمه
واذا بها اما في الدنيا فالنعم التي تحصل ببركته لحامليه من القراء والمفسرين وغيرهم ظاهرة الكثرة واما بالنسبة الى الآخرة فما يحصل
عليه مقتبسوا انواره من الكمالات المسعدة في الآخرة من العلوم والاخلاق الفاضلة اعظم نعمة واتم فضل ووجه الاستعارة ظاهر الثامن
ان فيه مصابيح الظلم واستعار لفظ المصابيح لقوانينه وقواعده الهادية الى الله في سبيله كما يهدي المصباح في الطريق المظلمة التاسع
انه لا تفتح الخيرات الا بمفاتيحه واراد الخيرات الحقيقية الباقية واستعار لفظ المفاتيح لمناهجه وطرقه الموصلة الى تلك الخيرات ووجه
الاستعارة كونها اسبابا موصلة اليها كما ان المفاتيح اسباب موصلة الى الخيرات الخزائن مثلا العاشر ولا تنكشف الظلمات الا بمصابيحه واراد
ظلمات الجهل وبالمصابيح قوانينه كما سبق واستعارة العاشر كونه قد احمى حماه اي هيأه وعرضه لان يحمى كما يقال اقتله فلانا واضربه اذا
هيأته للقتل وعرضته للضرب واستعار لفظ الحمى لحفظه وتدبره والعمل بقوانينه ووجه الاستعارة ان بذلك يكون حفظ الشخص و
حراسته اما في الدنيا من ايدي كثير من الظالمين لاحترامهم حملة القرآن ومفسريه ومن يتعلق به واما في الآخرة فلحمايته حفظته ومتدبريه
والعامل به من عذاب الله كما يحمي الحمى من يلوذ به ونسبة الاحماء اليه مجاز اذ المعرض له ان يتدبر ويعمل به هو الله تعالى ورسوله صلى الله عليه
وآله وسلم وقيل اراد بحماه محارمه واحماه اي منع بنواهيه وزواجره ان تستباح محارمه وهو اخص مما قلناه اولا الحادي عشر وكذلك
ارعى مرعاه اي هيأه لان يرعى واستعار لفظ المرعى للعلوم والحكم والآداب التي يشتمل عليها القرآن ووجه المشابهة ان هذه مراعي
النفوس الانسانية وغذاؤها الذي به يكون نشوها العقلي ونماؤها الفعلي كما ان المراعي المحسوسة من النبات والعشب غذاء للابدان
الحيوانية التي بها يقوم وجودها الثاني عشر ان فيه شفاء المستشفي اي طالب الشفاء منه اما في الابدان فبالتعوذ به مع صدق النية
فيه وسلامة الصدور واما في النفوس فلشفائها به من امراض الجهل الثالث عشر وكفاية المكتفي واراد بالمكتفي طالب الكفاية اما
من الدنيا فلان حملة القرآن الطالبين به المطالب الدنيوية اقدر الناس على الاحتيال به في تحصيل مطالبهم وكفايتهم بها
واما في الآخرة فلان طالب الكفاية مما يكفيه تدبر القرآن ولزوم مقاصده في تحصيل مطلوبه منها وبالله التوفيق **ومن خطبة له** عليه السلام
وهو في مهلة من الله يهوي مع الغافلين ويغدو مع المذنبين بلا سبيل قاصد ولا امام قائد **اقول** هذا الفصل يشتمل على صفة مطلق
الضال واشار بالمهلة الى مدة عمره المضروبة له من الله تعالى ويهوي مع الغافلين الى سقوطه وانحطاطه في سلكهم بسبب جهله وغفلته عما
يراد به واستعار لفظ الهوي لذلك الانحطاط وقال الشارح ووجه المشابهة ان المنهمك في مجاري الغفلة ومسالك الجهل ينحط بها
عن درجة اهل السلامة ويهوي في مهابط الهلاك وهي الرذائل المبعدة عن الله تعالى كما ان الهاوي من علو كذلك ويغدو مع المذنبين على
موافقتهم فيما هم فيه ومسارعته الى المعاصي من غير ان يسلك سبيلا قاصدا للحق ويتبع اماما يقوده اليه من استاد مرشد او كتاب
او سنة وبالله التوفيق **منها** حتى اذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم واستخرجهم من جلابيب غفلتهم استقبلوا مدبرا واستدبروا
مقبلا فلم ينتفعوا بما ادركوا من طلبتهم ولا بما قضوا من وطرهم فاني احذركم ونفسي هذه المنزلة فلينتفع امرؤ بنفسه
فانما البصير من سمع فتفكر ونظر فابصر وانتفع بالعبر ثم سلك جددا واضحا يتجنب فيه الصرعة في المهاوي والضلال
في المغاوي ولا يعين على نفسه الغواة بتعسف في حق او تحريف في نطق او تخوف من صدق فافق ايها السامع من سكرتك
واستيقظ من غفلتك واختصر من عجلتك وانعم الفكر فيما جاءك على لسان النبي الامي صلى الله عليه وآله مما لا بد منه
ولا محيص عنه وخالف من خالف ذلك الى غيره ودعه وما رضي لنفسه وضع فخرك واحطط كبرك واذكر قبرك فان عليه ممرك
وكما تدين تدان وكما تزرع تحصد وما قدمت اليوم تقدم عليه غدا فامهد لقدمك وقدم ليومك فالحذر الحذر ايها المستمع
والجد الجد ايها الغافل ولا ينبئك مثل خبير ان من عزائم الله في الذكر الحكيم التي عليها يثيب ويعاقب ولها يرضى ويسخط انه لا
ينفع عبدا وان اجهد نفسه واخلص فعله ان يخرج من الدنيا لاقيا ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها ان يشرك بالله
فيما افترض عليه من عبادته او يشفي غيظه بهلاك نفس او يعر بامر فعله غيره او يستنجح حاجة الى الناس باظهار بدعة
في دينه او يلقى الناس بوجهين او يمشي فيهم بلسانين اعقل ذلك فان المثل دليل على شبهه ان البهائم همها بطونها وان
السباع همها العدوان على غيرها وان النساء همهن زينة الحيوة الدنيا والفساد فيها ان المؤمنين مستكينون ان المؤمنين
مشفقون ان المؤمنين خائفون **اقول** الجلباب الملحفة والوطر الحاجة والجدد الطريق الواضح واستنجح الحاجة استقضاها
وقصد هذا الفصل صفة حال الغافلين عن احوال الآخرة المشتغلين بطلب الدنيا وفاعل كشف ضمير يعود الى اسم الله تعالى فيما سبق من
الكلام وقد علمت ان النفس لها جهتان جهة تدبير احوالها البدنية بما لها من القوة العملية وجهة استكمالها بقوتها النظرية التي تلقى
بها من العاليات كمالها وعلمت ان بعد رسوخها عن حد الاعتدال في استكمال قوتها العملية تنقطع عن الجهة الاخرى وتكتنفها الهيئات

الدنيا فكون

٢٠

ج

في التفكر في كلام الله ورسوله

البدنية فتكون في غاية منها وحجاب بين الغفلة عن الجهة الأخروية بالانصباب الى ما يقتضيه شأنها بعد خبر أي الدنيا وبحسب انصبابها في هذه الجهة وتمكن تلك الهيئات البدنية منها يكون بعدها عن بارئها ونزولها في دركات الجحيم عن درجات النعيم وبالعكس كما قال صلى الله عليه وآله الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما تقرب من احديهما تبعد من الأخرى وظاهر ان بالموت تنقطع تلك الغفلة وتنكشف تلك الحجب فيومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى حيث يكون ما اثبته له يومئذ من تعلق تلك الهيئات بنفسه وحطها اياه عن درجات الكمال وما شاهده من السلاسل والأغلال هو جزاء معصيتهم المنكشف لهم ولفظ الجلابيب استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه الشبه حجب الغفلة لأعين بصائرهم عن التنور بانوار الله كحجب الوجه بالجلباب المدبر الذي استقبلوه هو العذاب الأخروي والأهوال التي كانت غائبة عنهم والمقبل الذي استدبروه هو ما كانوا فيه من مأمولاتهم واموالهم الدنيوية وظائفهم لم ينتفعوا اذن بما ادركوا من طلباتهم الدنيوية ولا بما قضوا من اوطارهم وحاجاتهم الحاضرة فيها ثم عاد الى التحذير من هذه المنزلة اي الحالة التي هؤلاء الموصوفون عليها من الغفلة فانها مقام صعب ومنزلة قدم وشرك نفسه في التحذير لانه داخل تحت جذب نفوس السامعين الى طاعته ثم امر كلا بالانتفاع بنفسه وشرح كيفية الانتفاع شرح حال البصير لانه لا ينتفع بنفسه الا البصير فذكر امورا فالاول ان يتفكر فيما يسمعه من كلام الله ورسوله والمواعظ البالغة فانه لا ينتفع بها بدون الفكر كما علمت الثاني ان ينظر بعين حسه وبصيرته فيوجه للمقاصد التي تعد فيبصرها ويتبين وليستعمل منها العبر الثالث ان ينتفع بما يذكر من العبر وذلك بالعمل على وفق ما علم وادرك الرابع ان يسلك الصراط المستقيم الذي يحدث به الشريعة وهو الجدد الواضح ويجتنب فيه العدول الى الاطراف فانه من يعرف منه ولو بالنسبة اليسيرة يهوي في مهواة ويضل في مغواة وقد نبهنا كما فيما سلف على ذلك بالمثل الذي ضربه النبي صلى الله عليه وآله حيث قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط ابواب مفتحة وعليها ستور مرخاة وعلى رأس الصراط داع يقول جوزوا ولا تعرجوا قال فالصراط هو الدين وهو الجدد الواضح هنا والداعي هو القرآن والابواب المفتحة محارم الله هي المهاوي والمغاوي هنا والستور المرخاة هي حدود الله ونواهيه ثم نهى ان يعين الانسان على نفسه الغواة باحد امور ان يتعسف في حق اي لا يحملهم على مر الحق وصعوباته فان الحق له درجات بعضها يسهل من بعض فالاستقصاء فيه على غير اهله يوجب نفرتهم ممن يقوله ويأمرهم والعدول عنه ويحتمل ان يريد بالتعسف في الحق التكلف في العمل به مع نوع من التقصير فيه فان الغواة هم تاركو الحق فاذا وجدوا تاركا منه او متكلفا للعمل به مقصرا طمعوا في الامنية الباطلة فكان قد اعانهم على نفسه بذلك وكذلك اذا استواهم الكذب والتحريف في القول او التخوف من الصدق كان ادعى لهم من الطمع في انفعاله بالطمع وادخاله فكان معينا لهم على اغواء نفسه بذلك ثم عاد الى امر السامع بامور احدها الافاقة من سكرة الجهل والتيقظ من الغفلة في الدنيا ولفظ السكرة مستعار ووجه الشبه كون الغفلة مستلزمة لترك اعمال العقل كما ان السكر كذلك الثاني بالاختصار من العجلة واراد بالعجلة سرعة الحركة في طلب الدنيا والاهتمام بها وباختصارها تخفيف تلك الحركة وتقليلها الثالث باعمال الفكر فيما دار على لسان الرسول وكثرة من ذكر الموت وعرض النفوس على دنياها واعمال الفكر في ذلك ان يتبع النظر في حال الموت وما بعده والاعتبار بالاخبار عنه ولا محيص عنه من ذلك الرابع بمخالفة من خالف ذلك ونظر في غيره مما عنده من احوال الدنيا وزينتها وان يدع ذلك المخالف وما رضي لنفسه من الخوض بالامور الفانية عن الامور الباقية وما يستلزم ذلك من الشقاوة الاخروية الخامس ان يضع الفخر ويحط الكبر وقد سبق بيان ما في الكبر من الآفات والفخر مستلزم للكبر اذ كل مفتخر متكبر ومثلا زمان السادس ان يذكر قبره لان في ذكره عزم نافع وقوله فان عليه ممرك تنبيه له على وجوب الذكر له فان السالك لطريق لا بد من سلوكها اذا كان فيها منزل موحش مظلم وجب الاستعداد له بحمل الضوء للاستنارة فيه والانسان في سلوكه لطريق الآخرة لا بد له من المرور بالقبر واحكام الشارع اكثرية ثم نبهه بالمثلين المشهورين كما تدين تدان على وجوب حسن المعاملة مع الله سبحانه اذ كان حسن جزائه بقدر حسن معاملة العبد ومجازيه بقدرها وكذلك قوله كما تزرع تحصد ولفظ الزرع مستعار لما يفعله الانسان ويكسب بنفسه ملكة خير او شر وكذلك لفظ الحصد للحصول على ما تثمره تلك الآثار وتستلزمه من ثواب وعقاب ووجه الاستعارة بين ظاهر وقوله وما قدمت اليوم تقدم عليه غدا ظاهر فان الهيئات النفسانية التي هي ثمرات الافعال المستلزمة للسعادة او الشقاوة وان كانت مستصحبة للنفس مدة بقائها في الدنيا ايضا الا انها لا تنكشف لها الا بعد المفارقة كما سبق بيانه فتكون حالة الانكشاف بمنزلة من قدم على امر لم يكن معه واذا كان كذلك فينبغي للانسان ان يمهد لقدمه اي يوطئ موضع قدمه في الآخرة بطيب الاعمال ويقدم صالحها اليوم فيما منه ثم عاد الى التحذير من حيث هو مقام للموعظة والى امره بالجد في العمل لما بعد الموت والتيقظ من الغفلة ونبهه باقتباس الآية على ان الواعظ الخبير باحوال طريق الآخرة واهوالها ولا يخبرك بحقائق الامور كالعارف بها ثم عاد الى التحذير من بعض الكبائر التي نص القرآن المجيد انها مستلزمة للعقاب لا محالة والذكر الحكيم هو القرآن وقد سبق بيان معنى العزائم منه وقيل هو اللوح المحفوظ واسم ان انه لا ينفع والضمير فيها ضمير الشان وفاعل ينفع ان يخرج ولاقيا نصب على الحال واراد ان من جملة نصوص الله سبحانه التي هي في محكم كتابه العزيز التي باعتقادها والعمل على وفقها يثيب ويرضى وبتركها يعاقب ويسخط انه لا ينفع عبدا خروجه من الدنيا لاقيا ربه باحد الخصال المذكورة وان اجهد نفسه في العمل واخلص فيه احدها الشرك بالله تعالى وقد سبق منا بيان درجات الشرك وبتفاوت قوته وضعفه يكون قوة العقاب وضعفه والنص الدال على مضرته المستلزم للعقاب قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وقوله

في التفكر في صفات الله وكلامه

فيما افترض عليهم من عبادته بمعنى اتخاذه الشرك بالرياء في العبادة لا اتخاذ الاوثان وهذه الافة تلحق النفس تارة من غلبة الجهل عليها واستيلاء الغفلة وترك النظر في المعرفة والتوحيد وتارة من غلبة الشهوة كالمحق بقصد المرائي محبا دنيا لطلب الدنيا الثانية ان يشفي غيظه بهلاك نفس وفي نسخة بنفسه ونفس اعم من ذلك الهلاك تارة في الدنيا كما يستلزمه السعي بالنميمة الى الملوك ونحوه وفي الاخرة باكتساب الاثام المستلزم لشفا الغيظ والنص فيه قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الاية وهذه الافة تلحقها بواسطة القوة الغضبية الثالثة ان يقر بامر فعله غيره اي يتم على غيره بامر فعله ذلك الغير فيستلزم هلاكه وايذاءه ويدخل فيمن يسعى في الارض فسادا والنص عليه قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الاية وروى بعض الشارحين بعر بالعين المهملة قال ومعناه ان يقذف غيره بامر قد فعله هو فيكون غيره مضنونا مقذوفا به والعامل بعر بمعنى العر بعر عرا اي عابه ولطخه بقبيح هذا يكون داخلا في جملة الفاسقين والكاذبين والموذين للمؤمنين بغير ما اكتسبوا وهذه الافة تلحق النفس لشركة من الشهوة والغضب الرابعة ان يستنجح حاجة الى الناس باظهار بدعة في دينه كشاهد الزور لغاية يصل اليها والمرتشي في الحكم والقضاء الخامسة ان يلقى الناس بوجهين ويمشي فيهم بلسانين اي يلقي كلا من المتعادين مثلا بغير ما يلقى به الاخر ليفرق بينهما او بين العدوين ليغري بينهما وبالجملة ان يقول بلسانه ما ليس في قلبه فيدخل في زمرة المنافقين وقد ورد وعيد المنافقين في القران ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وما يقرب ذلك من العقل ان من انتقش لوح نفسه بهيئات السوء ولم يمحها بالتوبة الحقة فهو من اصحاب النار وقوله اعقل ذلك فان المثل اي اعقل ذلك من المثل واحمل عليه ما يشبهه فان المثل دليل على شبهه وذلك المثل قوله ان البهائم الى قوله الفساد فيها فقوله ان البهائم همها بطونها اشارة الى ان الانسان المتبع لشهوته بمنزلة البهيمة في اتباع قوته الشهوية والاهتمام بالطعام والشراب دون المطالب الحقيقية وقوله ان السباع همها العدوان على غيرها اشارة الى ان متبع القوة الغضبية بمنزلة السبع في اتباعها ومحبة الانتقام والغلبة على الغير وقوله وان النساء همهن زينة الحيوة الدنيا والفساد فيها اشارة الى ان النساء مسخرة للقوتين الشهوية ولما كان همهن زينة الحيوة الدنيا والغضبية ولما كان همهن الفساد في الدنيا فالتابع لشهوته وغضبه لاحق بالنساء في ذلك ثم لما حصر منابع الشر في قوتي الشهوة والغضب ذكر المؤمنين بصفات ثلث كل منها يستلزم كسر سورة القوتين وهي الاستكانة لله والخضوع له ثم الاشفاق من غضبه ثم الخوف من عقابه وظاهر كون كل واحد من هذه الصفات جاذبا لهم عن طرف الافراط في القوتين والخروج عن حد العدل فيهما وغاية هذا المثل التنفير عن طاعة الشهوة والغضب والتنبيه على ان الخارج فيهما عن حد العدل الى ما لا ينبغي اما ان يشبه البهيمة او السبع او المراة وكل منهما مما يرغب العاقل عنه وهو الذي امر به لبيبه وانظر الى ما اشتمل عليه هذا الكلام من الاشارة اللطيفة التي يشهد عليه بمشاهدة الحق كما هو واذا اعتبر ذلك وامثاله من الحكم تاملا ونظرت الى انه لم يرجع فيه الى مطالعة كتاب واستفادة بحث علمت انه فيض رباني بواسطة اعداد سيد البشر والانسان المرشد صلى الله عليه واله قال الشارح الفاضل عبد الحميد بن ابي الحديد ره انما رمز بباطن هذا الكلام الى الرؤساء يوم الجمل لانهم حاولوا ان يشفوا غيظهم باهلاكه واهلاك غيره من المسلمين وعيروه عليه السلم بامر هم فعلوه وهو التاليب على عثمن وحصره واستنجحوا حوائجهم الى اهل البصرة باظهار البدعة والفتنة ولقوا الناس بوجهين ولسانين لانهم بايعوه واظهروا الرضا به ثم نكثوا به من وجه اخرى فجعل ذنوبهم هذه بمنزلة الشرك في انها لا تغفر الا بالتوبة قال وهذا معنى قوله اعقل فان المثل دليل على شبهه وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

ناظر قلب اللبيب به يبصر امده ويعرف غوره ونجده داع دعا وراع رعى فاستجيبوا للداعي واتبعوا الراعي قد خاضوا بحار الفتن واخذوا بالبدع دون السنن وارز المؤمنون ونطق الضالون المكذبون نحن الشعار والاصحاب والخزنة والابواب ولا تؤتى البيوت الا من ابوابها فمن اتاها من غير ابوابها سمي سارقا **اقول** الامد الغاية وغوره ونجده منخفضه ومرتفعه وارز بمعنى انقبض وانجمع وناظر قلب اللبيب عين بصيرته وظاهر انه يبصر بها طريقه وغايته التي هي متوجه اليها ومطلوبه منها وغوره ونجده طريقاه للخير والشر وهما النجدان في قوله تعالى وهديناه النجدين وعبارة القران المجيد احضر وهذه العبارة انسب الى الغرض فان الغور هو المنخفض المستفل انسب الى ان يعبر به عن طريق الشر لانها تنحدر الى دركات الجحيم من النجد واشار بالداعي الى الرسول ص وما جاء به القران الكريم والسنة وبالراعي الى نفسه والامر بالاستجابة للاول والاتباع للثاني وظاهر وجوب الاستجابة لله ورسوله لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فيجب اتباع من اوجب اتباعه وقوله قد خاضوا بحار الفتن يحتمل ان يكون اشارة الى قوم معهودين للسامعين كمعوية واصحاب الجمل والخوارج ويحتمل ان يكون منقطعا عما قبله متصلا بكلام لم يحكه الرضي رض والبته بعض الشارحين قال وهو ذكر قوم من اهل الضلال قد كان اخذ في ذمهم وعيبهم ولفظ البحار مستعار لما عظم من الفتن والحروب وقد عرفت وجه الاستعارة وبالبدع ... والبدعة قد يراد بها ترك السنة وقد يراد بها امر اخر يفعل مع ترك السنة وهو الاظهر في العرف ثم التفت الى ذكر فضيلته باستعارة لفظ الشعار لنفسه واهل بيته ووجه المشابهة ملازمتهم للرسول ص واختصاصهم به كما يلزم الشعار الجسد ثم ذكر عنهم اصحابا لانهم ... كونهم خزنة علمه كما نقل عن الرسول ص هو خازن علمي وفي رواية عيبة علمي وقيل خزنة الجنة على معنى ان من جاء يوم القيمة بولايتهم دخل الجنة والا فلا ولفظ الخزنة على التقديرين مستعار ووجه المشابهة تصرفهم في منع العلم

وعطائه

في فضائل اهل البيت

واعطائه او يمنع الجنة بسببهم ولعطائها كما ان الخازن للشيء كذلك ثم كونهم الابواب اي ابواب العلم قال صلى الله عليه وآله انا مدينة العلم وعلي بابها والابواب
الجنة على الاستعارة السابقة وقوله ولا تؤتى البيوت الا من ابوابها فذلك لوجوه احدها العادة الجارية على وفق الحكمة الثاني النص
وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله الثالث ان العرف يسمى من اتاها من غير ابوابها سارقا والمقتبس الحد في مستلزم التزكية ومراده ان
ان من طلب العلم والحكمة واسرار الشريعة فليرجع الينا وبالله التوفيق **منها** فيهم كرائم الايمان وهم كنوز الرحمن ان نطقوا صدقوا
وان صمتوا لم يسبقوا فليصدق رائد اهله وليحضر عقله وليكن من ابناء الآخرة فانه منها قدم واليها ينقلب فالناظر بالقلب
العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله ان يعلم أعمله عليه ام له فان كان له مضى فيه وان كان عليه وقف فان العامل بغير علم كا
كالسائر على غير الطريق فلا يزيده بعده عن الطريق الا بعدا عن حاجته والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح فلينظر ناظر
اسائر هو ام راجع واعلم ان لكل ظاهر باطنا على مثاله فما طاب ظاهره طاب باطنه وما خبث ظاهره خبث باطنه وقد قال الرسول صلى الله
عليه وآله ان الله يحب العبد ويبغض عمله ويحب العمل ويبغض بدنه واعلم ان لكل عمل نباتا وكل نبات لا غنى به عن الماء والمياه
مختلفة فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته وما خبث سقيه خبث غرسه وامرّت ثمرته **اقول** الاشارة الى فضائل اهل البيت
فالاولى فيهم كرائم الايمان اي نفائسه المستلزمة لاشدية القرب من الله تعالى كالاخلاق الفاضلة والاعتقادات الحقة المطابقة لما
عليه الامر نفسه الثابتة وهم كنوز الرحمن اي خزائن علمه وسائر ما امرهم من مكارم الاخلاق الثالثة ملازمة منطقهم للصدق الرابعة اختصاصهم
بالحكمة التي لا يتمكن غيرهم من النطق بها ولا يسبق اليها حال سكوتهم فهم ان نطقوا فبحكمة وان صمتوا فحكمة ووضع للصمت في موضعه وانما
ذكر هذه الفضائل لنفسه واهل بيته جذبا الى استماع قوله ودعوته الى الله ولذلك عقّب بالمثل فليصدق رائد اهله واشار به الى من
يحضره من طلاب الاختيار له فليصدق ومن يغشيه امره انا اهل الحق وينابيع العلوم والحكم والادلاء الى الله كما يصدق الرائد لطلب الكلا
والماء اهله مبشرا بهما وليحضر عقله لما يقوله ليعرف صدق ما ادعيناه ثم شرع فيما ينبغي ان يقوله امثاله وهو التنبيه على احوال الآخرة ولئلا يكون
الغافل من ابنائها ووجه استعارة البنوة ههنا قوله فانه منها قدم واليها ينقلب اي كما ان الابن ينقلب عن الام واليها وطنه ووجه كل
الانسان مبدأه الحضرة الالهية وعنها ينقلب واليها يعود فينبغي ان يكون من ابنائها بالرغبة فيها والوله اليها والعمل لها ثم نبّه الغافل
ذا الفكر السليم الناظر بعين بصيرته على ما ينبغي له ان يبدأ به في حركاته وسكناته وهو ان يتفقد احوال نفسه فيما يهم به ويبعث في طلبه
او تركه ويعلم ان ذلك الخاطر او تلك الحركة مقرب له من الله تعالى فيكون له فينبغي ان يمضي فيها او مبعد له عن رضاه ومستلزم لسخطه فيكون عليه
فيقف عنها ثم شبه الجاهل في حركاته وسكناته بالسائر على غير طريق واشار الى وجه التشبيه بقوله فلا يزيده بعده عن الطريق الا بعدا عن حاجته
اذ كان بعده عن مطلوبه بقدر بعده عن طريق ذلك المطلوب وشبه العامل بالعلم في سلوكه وقربه من مطلوبه ونفر بذلك التشبيه
عن الجهل وزاد في التنفير بقوله فلينظر ناظر اسائر هو ام راجع فانه اذا علم انه سائر وجب ان يعلم كيف يسير ويشتعل مصباح العلم من الضلال
والصرعة في مهاوي الهلاك وقوله واعلم ان لكل ظاهر باطنا الى قوله ويبغض بدنه فاعلم ان هذه القضية الكلية صادقة وذلك انه لما صدر
عن الجود الالهي عالما الغيب والشهادة وان شئت عالم الخلق والامر وان شئت العالم الروحاني والجسماني اقتضت الحكمة الالهية كون عالم
الشهادة طريقا للنفوس البشرية الى عالم الغيب ولولاها لتعذر السفر الى الحضرة الالهية وسلوك طريق التزكية الى الله تعالى فكان جميع ما ظهر في عالم
الشهادة مثالا مناسبا لامر باطن من عالم الغيب هو الطريق اليه والدليل عليه عبرة لنا المفهوم من كلامه عليه السلام هنا تخصيص تلك الكلية
بالصدق فانه اما ان يشير بالظاهر الى الاشخاص الناس او الى عالم الظاهر والباطن اشارة الى الاخلاق واعمال القلوب وما في الآخرة
المختلفة من الخير والشر وقيل اشارة الى ما يجري من الثواب والعقاب في الآخرة وقد دل الاستقراء والقياس على ان حسن الصورة او
حسن الاعمال الظاهرة التي يبدو من الانسان حسن الاخلاق طيب العشرة مستقيم السيرة وعلى ان قبحها يستلزم الاخلاق الذميمة اما الاستقراء
فظاهر واما القياس فلان حسن الاخلاق وقرب النفس من الاستعداد على طلب الحق مقتضى قرب المزاج من الاعتدال وكذلك حسن الصورة
فيترتب قياس هكذا الحسن الصورة معتدل المزاج وكل معتدل المزاج حسن الاخلاق فحسن الصورة حسن الاخلاق وان شئت هكذا معتدل
المزاج حسن الصورة ومعتدل المزاج حسن الاخلاق والقضيتان اكثريتان فان بعض حسن الصورة قبيح الباطن وبعض خبيث الظاهر حسن
الباطن ولذلك استشهد بما رواه عن الرسول صلى الله عليه وآله فان الله يحب العبد من حيث صورته الحسنة لكونها مقتضى الحكمة الالهية والنسب الى الوجود
من الفيض الذي هو خير وهي المنسوبة الى العدم الذي هو الشر المحض ويبغض عمله من جهة ما هو شر وكذلك يحب العمل الحسن الباطن الطيب ويبغض بدنه القبيح لنسبته
الى العدم الذي هو شر وانما النص في دلالة الظاهر على الباطن فما نطق به القرآن الكريم والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج
الا نكدا اي عسرا مشوما قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر بالارض العذبة التربة
وبالارض السبخة المالحة فشبه المؤمن وهو الذي اذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به فبان اثره عليه بحسن الاعمال وطيبها بالبلد الطيب
اذ كان البلد الطيب يمرع ويخصب ويحسن اثر المطر عليه وشبه الكافر الذي يسمع القرآن فلا يؤثر فيه اثرا محمودا بالبلد الخبيث اذ كان لا يمرع

كما

عنه

كل عمل نبات

لبسلم

الى قوله

فيه ذكر خلقة الخفاش

ولا يغضب ولا ينبغي ان يؤثر المطر فيهم واما البغض والحب فقد علمت انهما يعودان في الله سبحانه الى ارادته وكراهته فما كان خيرا محضا او الخير غالب عليه
فهو مراد له بالذات وما كان شرا محضا او غالبا فهو مراد له بالعرض مكروه له بالذات وقوله واعلم ان لكل عمل نباتا استعار لفظ النبات
لزيادة الاعمال ونموها ووجه تلك الاستعارة من كون الماء وكونه سببا لزيادة القابلية للافعال ووجه المشابهة ان الحركات في العبادة انما
انما تكون بالميول القلبية والنيات كما ان حركة النمو للنبات انما تكون بالماء وقوله لاختلاف المياه في الحلاوة والملوحة سبب لاختلاف
استعداد النبات لطيب المغارس والثمار فما طاب سقيه اي نصيبه من الماء طاب غرسه وحلت ثمرته وما خبث سقيه خبثت ثمرته فكذلك ما يشبه النبات وهي الاعمال يكون
طيب ثمارها وهي ثمار الجنة وانواع لذاتها بحسب طيب مادتها من الاخلاص لله وخبثها بحسب خبث مادتها من الرياء وحب الشهرة ويكون ثمرتها الم النار
والالام منها فافهم هذا باب الثمار وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يذكر فيها بديع خلقة الخفاش الحمد لله الذي انحسرت الاوصاف
عن كنه معرفته وردعت عظمته العقول فلم تجد مساغا الى بلوغ غاية ملكوته هو الله الحق المبين احق وابين مما تراه العيون
لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون ممثلا خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير
ولا معونة معين فتم خلقه بامره واذعن لطاعته فاجاب ولم يدافع وانقاد ولم ينازع ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما ارانا
من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل حي وكيف عشيت اعينها
عن ان تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدي به في مذاهبها وتتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها وردعها بتلألؤ ضيائها
عن المضي في سبحات اشراقها واكنها في مكامنها عن الذهاب في بلج ائتلاقها فهي مسدلة الجفون بالنهار على احداقها وجاعلة الليل
سراجا تستدل به في التماس ارزاقها فلا يرد ابصارها اسداف ظلمته ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته فاذا القت الشمس
قناعها وبدت اوضاح نهارها ودخل اشراق نورها على الضباب في وجارها اطبقت الاجفان على مآقيها وتبلغت بما اكتسبته
من المعاش في ظلم لياليها فسبحان من جعل الليل لها نهارا ومعاشا والنهار سكنا وقرارا وجعل لها اجنحة من لحمها تعرج
بها عند الحاجة الى الطيران كانها شظايا الآذان غير ذوات ريش ولا قصب الا انك ترى مواضع العروق بينة اعلاما لها
جناحان لما يرقا فينشقا ولم يغلظا فيثقلا تطير وولدها لاصق بها لاجئ اليها يقع اذا وقعت ويرتفع اذا ارتفعت
لا يفارقها حتى تشتد اركانه ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه فسبحان البارئ لكل شيء على غير مثال
خلا من غيره **اقول** الخفاش مفرد جمعه خفافيش وهو من الخفش وهو ضعف البصر خلقة وانحسرت كلت وردعت كفت والمساغ
المسلك وسبحات اشراقها جلاله وبهاؤه والبلج جمع بلجة وهو اول ضوء الصبح وقد يكون مصدرا والائتلاق اللمعان والاسداف مصدر
اسدف الليل اظلم وغسق الدجنة ظلام الليل ووضح النهار ضوؤه ووجار الضب بيته والشظايا القطع وقد حمد الله تعالى باعتبارات الاول
انحسار الاوصاف عن كنه معرفته ولما كانت ذاته تعالى بريئة من انحاء التراكيب لم يمكن العقول ادراكها بشيء من الاوصاف بالكنه وقد سبق
ذلك مرارا الثاني ردع عظمته العقول عن بلوغ غاية ملكوته وذلك ان ظاهر الادراك للاشياء بحقائقها انما يكون بادراك حقايق عللها واذا استلزمت
عظمته وارتفاعه عن ادراك العقول ردعها عن معرفة كنهه فظاهر انها لا تجد مسلكا الى غاية ملكوته وما عليه نظام الوجود الاعلى والاسفل كما هو
الثالث قوله هو فهو المطلق وهو الذي لا يكون هويته موقوفة على غيره ومستفادة منه فان كل ما كان مستفادا من غيره فما لم يعتبر غيره لم يكن هو فلم
يكن هو هو المطلق وكل ما كان هو هو لذاته فسواء اعتبر غيره او لم يعتبر فهو هو ولكن كل ممكن فوجوده من غيره فكل ما كان وجوده من غيره فخصوصية وجوده
وتعينه من غيره وهو الهوية فاذن كل ممكن فهويته من غيره فلا يكون هو هو لذاته لكن المبدأ الاول هو هو لذاته فلا يكون من غيره فلا يكون
ممكنا فهو واجب لذاته فاذن واجب الوجود هو الذي لذاته هو هو بل نقول انه هو هو لبراءته عن التركيب المستلزم للامكان الرابع تعقيبه لذكر الهوية
باسم الله وذلك لانه لما كانت تلك الهوية والخصوصية عديمة الاسم لا يمكن شرحها الا بلوازمها واللوازم منها اضافية ومنها سلبية واللوازم
الاضافية اشد تعريفا والاكمل في التعريف هو اللازم الجامع لنوعي الاضافة والسلب وذلك هو كون تلك الهوية الها فان الاله هو الذي ينسب
اليه غيره ولا ينسب هو الى غيره فانتساب غيره اليه اضافي وعدم انتسابه الى غيره سلبي فلا جرم عقب ذكر الهوية بما يدل على ذلك اللازم الاكمل في
التعريف من غيره ليكون كالكاشف لما دل عليه لفظ هو وفيه سر آخر وهو انه لما عرف تلك الهوية بلازمها وهو الالهية نبه على انه لا جزء لتلك
الهوية والا لكان التعريف بها اولى ولعدل الى التعريف باللازم فضول الخامس ذكر الحق وهو الثابت الوجود فانه لما اشار الى الهوية وشرح اسمها عقب ذلك
بالاشارة الى كونها حقا موجودا وجودها عند العقول احق وابين مما ترى العيون وذلك لان العلم بوجود الصانع جلت عظمته فطري
للعقول وان احتاج الى تنبيه ما والعلوم التي مستندها الحس قد يقع الغلط فيها بسبب ما يقع للوهم من اشتباه المحسوسات وعدم ضبطها او بسبب
تقصير الحس في كيفية الاداء لصورة المحسوس فكانت المعقولات الصرفة احق بالادراك العقلي لها بذاته السادس ان العقول لم تبلغه بتحديد فيكون
مشبها وهذا شاهد لطيف يدل على كمال علمه عليه السلام وذلك انك علمت في المقدمات ان العقول اذا قويت على الاتصال بالامور المجردة وكانت القوة
المتخيلة بحيث تقوى على استخلاص الحس المشترك وضبطه عن الحواس الظاهرة فان النفس والحال هذه اذا توجهت لاقتناص امر معقول فالمتخيلة

في مخاطبته مع أهل البصرة

١٢ الجزء ب

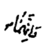
القوى المتناسبة لها فإذا التفتت إلى تلك المعقولات ثم إنها تستعين في ضبط ذلك الأمر بالقوة المتخيلة فتحاكيه بما يشبهه من صور محسوسة ثم تحطه إلى خزانة الخيال فيصير مشاهداً مثلاً إذا عرفت ذلك فنقول لو كان الباري تعالى مما تدركه العقول وتشتمله بحد وصفة لكان استثباتها له على النحو المذكور فيلزم أن يكون مشبهاً بغيره من الأجسام والجسمانيات ليثبت صورته عند الذهن وقد تنزه وتقدس الله عن التشبيه بشيء منها الشائع وكذلك لم تقع الأوهام عليه فتقدره فيكون ممثلاً إذ الوهم لا يدرك إلا المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات ولا بد له في إدراك تلك المدركات من بعث المتخيلة على تشبيهها بمثال من الصور الجسمانية فلو وقع عليه وهم لمثله في صورة حسية حتى أن الوهم إنما يدرك نفسه في مثال من صورة وحجم ومقدار الثالث من خلقه الخلائق على غير مثال [illegible] معين وقد سبق بيانه في الخطبة الأولى وغيرها وتمام خلقه بأمره بلوغه إلى غايته في الكمال الممكن لما خلقت له البراهين العقلية أن كل ما أمكن لشيء وصل إليه من الجود الإلهي المنزه عن البخل والمنع من جهته إذ غاية لطاعته وخضوعه تحت القدرة الإلهية وكذلك إجابته من غير مدافعة وانقياده من غير منازعة ثم شرع في مقصود الخطبة وهو حمد الله تعالى باعتبار بعض لطائف صنعته وعجائب خلقه والتنبيه على غوامض حكمته في خلقة هذا الحيوان المخصوص وبدأ بالتعجب من مخالفتها في قبض أضيائها الأبصار ونفعها مع بسطها لسائر أبصار الحيوانات وإعداده لانبساط النبات ونموه وغيره ثم من بسط الظلام لأبصارها مع قبضه لسائر الأبصار ثم نبه على العلة الطبيعية لذلك وهو عشا عينيها وضعفها أن تستمد من نور الشمس المضيئة نوراً تهتدي به والذي ذكر في علة ذلك الضعف هو إفراط التحلل في الروح الحامل للقوة الباصرة من هذا الحيوان عن الحرارة التي هي الشمس مضيئة لذلك التحلل ضعف فيحتاج معه إلى التعوض عما تحلل فيرجع من العضو الباصر منها طلباً لبدل ما تحلل فيستكمل البدل بقرب الليل لمكان برده وضعف حرارة النهار فتعود الأبصار ووصف عليه السلام هذه الخاصية منها وكيفية حالها في التواء ظلم لياليها ووصف كلامه عليه السلام على فصاحته وقوله وتتصل بعلانية برهان الشمس إلى معارفها في غاية الفصاحة ومعارفها ما عرفته من مذاهبها ووجوه تصرفاتها وتتصل عطف على قوله تستمد وأما إسدالها لجفونها على حدقها فلأن تحلل الروح الحامل للقوة الباصرة سبب النوم فيكون ذلك الإسدال ضرباً من النوم وكثيراً ما يعرض كثيراً من الحيوان بسبب ما ذكرناه واستعار لفظ القناع للشمس ملاحظة لشبهها بالمرأة ذات القناع وكنى بالقناع عن بروزها من حجاب الأرض ثم نبه بتسبيح الله وتعظيمه باعتبار أمر آخر لها على سبيل التعجب وهو خلق أجنحتها من لحمها بلا ريش ولا قصب كسائر أجنحة الطير بل من عروق وروق بسطه وتقبضه على مفاصل مخصوصة من غير رقة توجب له الانشقاق عند الطيران ولا غلظ يوجب الثقل ثم تلث بتعجب ثالث لها مع ولدها وذلك أنه يلصق بها فيرتضعها ولا يفارقها في حال وقوعها وطيرانها حتى يشتد ويمكنه الطيران والتصرف بنفسه وذلك أمر يخالف به سائر الحيوان وهو محل التعجب ثم ختم الفصل بتسبيح الله تعالى باعتبار خلقه لكل شيء من غير مثال سبق من غيره ومن الأمثال العامية قيل للخفاش لماذا لا جناح لك قال لأني تصوير مخلوق فقيل فلماذا لا تخرج نهاراً قال حياء من الطيور يريد أن المسيح صوره وإليه الإشارة بقوله تعالى وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وفي الطير عجائب لا تهتدي لها العقول بل وفي كل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته لطائف وأسرار كالنحل والعنكبوت والنمل تعجز عن إدراكها واستقصاء أوصافها ألباب الألباء وحكمة الحكماء فسبحانه ما أعظم شأنه وأبهر برهانه **ومن خطبة له عليه السلام**

خاطب بها أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه على الله فليفعل فإن أطعتموني فإني حاملكم إن شاء الله على سبيل الجنة وإن كان ذا مشقة شديدة ومذاقة مريرة وأما فلانة فأدركها رأي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت إلي لم تفعل ولها بعد حرمتها الأولى والحساب على الله **أقول** يعتقل نفسه أي ضبطها وحبسها والضغن الحقد والمرجل القدر والقين الحداد وقوله عند ذلك يقتضي أنه سبق منه قبل هذا الفصل ذكر فتن وحروب تقع بين المسلمين وجب على من أدركها أن يحبس نفسه على طاعة الله دون مخالطتها والدخول فيها وسبيل الجنة هو الدين القيم وقد شرط حمله لهم عليه بإطاعتهم له إذ لا رأي لمن لا يطاع ونبه على أن من الدين الحق ما هو ذو مشقة شديدة ومذاقة مريرة كالجهاد وكذلك سائر التكاليف فإنها مشقة ومرارة كناية عن غايته و إدراك رأي النساء لها في حربه بالبصرة وقد علمت أن رأي النساء يرجع إلى أفن وضعف وفي الخبر لا يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة وجاء أنهن ناقصات عقل ودين كما سبق بيان حالهن وأما الضغن فقد نقل له أسباب منها ما كان بينها وبين فاطمة عليها السلام بسبب تزويج الرسول صلى الله عليه وآله بها عقيب موت خديجة أم فاطمة وإقامتها مقامها ومن المعلوم المعتاد ما يقع بين المرأة وابنة زوجها من غيرها من الكدر وكان سبب البغض من المرأة لبنت الزوج حركة المتخيلة فأنزلت البنت مقام الأم التي هي ضرتها وتشبهها بها فيقيمها مقام الضرة وتتوهم فيها العداوة والبغضاء ثم ينشأ ذلك الخيال ويتقوى بأسباب أخرى فيتأكد البغض خصوصاً إن كان للزوج إكرام لبنته كما هو المنقول عن الرسول صلى الله عليه وآله في حق فاطمة وأما من جهة البنت فلتخيلها أنها ضرة أمها وتوهمها بسبب ذلك بغضها لها والباغض للأم باغض للبنت لا محالة ويتأكد ذلك بالميل المنقول عن الرسول صلى الله عليه وآله في حق عائشة وإيثارها على سائر نسائه والنفوس البشرية خصوصاً نفوس النساء تغيظ عليهن ما دون ذلك فكيف بما هو فوقه ولا شك في تعدي ذلك إلى بعلها عليه السلام فإن النساء كثيراً ما يحصل بسببهن الأحقاد في قلوب الرجال وعن بعض الحكماء إذا أتيت حادثة فابحث خصوصاً إن كانت بسبب امرأة فاحمد الله تعالى فإنها أمر عجيب كثيراً ما كانت فاطمة تشكو إلى بعلها من عائشة ومنها ما كان من أمر فدك وغنائمه ونفقة

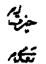
في وصف الايمان والمراد به

ان عليا عم كان من المشيرين بطلاقها تنزيها لعرض الرسول صلعم من اقوال المنافقين وقال له لما استشار انما هي شسع نعلك وقال اسئل الخادم وخوفها فان اقامت على الجحود فاضربها وبلغها كل ذلك الكلام وسمعت اضعافا فزاد الغيظ ثم ما جرت عادة الناس ان يتناقلوه في مثل هذه الواقعة ونقل اليها النساء ان عليا وفاطمة سرا بذلك فتفاقم الامر وغلظ ثم لما نزلت براءتها وصالحها الرسول صلعم ظهر منها ما جرت العادة بظهوره ممن انتصر بعد ظلمه وبنصر بعد غلبه من انبساط اللسان والتبجح بالبراءة من العيب وفلتات القول في اثناء ذلك حتى بلغ ذلك عليا وفاطمة ومنها كون النبي صلعم سد باب ابي بكر من المسجد وفتح باب صهره ومنها بعثه اباها بسورة براءة ثم اخذها منه ودفعها الى علي عم الى غير ذلك من الاسباب الجزئية التي تشهد بها قرائن الاحوال ولا تكاد تتبين بالاقوال فان كل ذلك مما يثير الاحقاد ويؤكد الاضغان وقوله لو دعيت الى آخره كلام حق لكان الباعث لها في حقه دون غيره وقوله ولها بعد حرمتها الاولى وجبرا عنه اراده في الكف عن اذاها بعد اخراجها للانتقام نظره وحرمتها بنكاح رسول الله صلعم وكونها زوجته له وقوله والحساب على الله تنبيه على ان ما سلمها في الدنيا بما فعلت فان الله تعم هو المتولي لحسابها في الاخرة ولعل هذا الكلام منه عم قبل اظهارها للتوبة وعلمه بذلك لانه في معنى اظهار الوعيد لها من الله

منها سبيل ابلج المنهاج انور السراج فبالايمان يستدل على الصالحات وبالصالحات يستدل على الايمان وبالايمان يعمر العلم وبالعلم يرهب الموت وبالموت تختم الدنيا وبالدنيا تحرز الاخرة وبالقيمة تزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين وان الخلق لا مقصر لهم عن القيمة مرقلين في مضمارها الى الغاية القصوى **اقول** ازلفت قدمت وقربت والارقال ضرب من الخبب ومقصر له عن كذا اي لا محبس ومبدء الفصل في وصف الايمان والمراد بالايمان التصديق القلبي بالتوحيد وبما جاء به الرسول صلعم ولا شك في كونه سبيلا ابلج واضح المسلك الى الجنة انوار السراج في ظلمات الجهل ولفظ السراج مستعار والصالحات هي الاعمال الصالحات من العبادات ومكارم الاخلاق التي يعتنيها الترغيب وظ كونها معلولات الايمان وثمرات له يستدل بوجوده في قلب العبد على وجودها استدلالا بالعلة على المعلول ويستدل بصدورها من العبد على وجود الايمان في قلبه استدلالا بالمعلول على العلة واما قوله فبالايمان يعمر العلم فلان الايمان بالتفسير المذكور اذا اعتضد بالبرهان كان علما فهو روح العلوم ويطلق اسم الايمان عليه مع ثمراته وهي الاعمال الصالحة لانها من كمال الايمان ولا تمام له فلا منفعة بدونها فان العلم اذا لم يعتضد بالعمل فهو قليل الفائدة في الاخرة بل لا ثمرة له فهو كالخراب الغير الصالح للاقتناء فكما لا يصلح الخراب للسكنى فكذلك العلم الخالي من الاعمال الصالحة ولذلك قال عم في موضع اخر العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل واما قوله وبالعلم يرهب الموت فلان العلم بالله تعم وغاية خلقه للانسان ومدة حظه ونسبة الدنيا الى الاخرة والعلم باحوال المعاد يستلزم ذكر الموت ودوام ملاحظته وذلك مستلزم لرهبته والعمل له ولما بعده وقوله وبالموت تختم الدنيا ظاهر اذ الدنيا عبارة عما فيه الانسان قبل الموت من التصرفات البدنية وقوله وبالدنيا تحرز الاخرة اشارة الى ان الدنيا محل الاستعداد لتحصيل الزاد ليوم المعاد وفيها يحصل كمال النفوس الذي تحرز به سعادة الاخرة وقد سبق بيانه وقوله وبالقيمة تزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين اشارة لطيفة فذكرناها عجزه وهو ان الموت وطرح جلباب البدن يتبين ما للانسان وما عليه مما قدم من خير او شر وان كانت ثمرة ذلك حاصلا للنفس في الدنيا لان الانسان ما دام مشغولا بالبدن لم يحصل لها عيان طرح البدن والى هذه الاشارة بقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ولفظ الازلاف والبروز يشهد بذلك لان فيه معنى الظهور اي ظهور الادراك انت وقوله وان الخلق لا مقصر لهم عن القيمة الى آخره كلام في غاية الحسن مع غزارة الفائدة وهو اشارة الى انه لا بد لهم من ورود القيمة ومضمارها مدة الحيوة الدنيا وهو لفظ مستعار ووجه المشابهة كون تلك المدة محل استعداد النفوس للسباق الى حضرة الله كما ان المضمار محل استعداد الخيل للسباق وقد سبق بيان ذلك في قوله الا وان اليوم المضمار وغدا السباق وعبر عن حال ذواتهم في سيرهم المتوهم في مدة اعمارهم الى الاخرة وسرعة حثيث الزمان بهم في احوالهم بالارقال والغاية القصوى هي السعادة والشقاوة الاخروية ومنها قد شخصوا من مستقر الاجداث وصاروا الى مصائر الغايات لكل دار اهلها لا يستبدلون بها ولا ينقلون عنها



وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لخلقان من خلق الله تعم لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق وعليكم بكتاب الله فانه الحبل المتين والنور المبين والشفاء النافع والري الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستعتب ولا تخلقه كثرة الرد وولوج السمع من قال به صدق ومن عمل به سبق وقام اليه عليه السلام رجل فقال اخبرنا عن الفتنة وهل سألت عنها رسول الله صلعم فقال عم لما انزل الله سبحانه الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون علمت ان الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلعم بين اظهرنا فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي اخبرك الله بها فقال يا علي ان امتي سيفتنون من بعدي فقلت يا رسول الله اوليس قد قلت لي يوم احد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة فشق ذلك علي فقلت لي ابشر فان الشهادة من ورائك فقال لي ان ذلك لكذلك فكيف صبرك اذن فقلت يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر وقال يا علي ان القوم سيفتنون باموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويأمنون سطوته ويستحلون حرامه



بالشبهات

صفة اهل القبور في القيمة

بالشبهات الكاذبة والاهواء الساهية فيستحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع فقلت يا رسول الله فبأي المنازل انزلهم عند ذلك ابمنزلة فتنة ام بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة **اقول** قصد بهذا الفصل صفة حال اهل القبور في القيمة ومصائر الغايات الجنة والنار وظاهر ان لكل دار منهما اهل لا يستبدلون بها ويجب ان يعنى باهل النار الكفار ليتم قوله لا يستبدلون ولا ينقلون عنها فان العصاة من اهل القبلة وان صح انهم يعذبون لكن ثبت انهم ينقلون عنها وقوله وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى قوله من رزق من بيان كونهما خلقين من خلق الله واعلم ان اطلاق لفظ الخلق على الله استعارة لان حقيقة الخلق انه ملكة نفسانية يصدر عنها الافعال بها افعال خيرية او شرية والله تعالى قدسه تعالى عن الكيفيات والهيئات لم يصدق هذا اللفظ عليه حقيقة لكن لما كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الاخلاق الفاضلة اشبهما ما تعتبره له تعالى من صفات الكمال ونعوت الجلال التي ينسب اليها ما يصدر عنه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والافعال الخيرية التي بها نظام العالم وبقاؤه وكحكمته وقدرته وجوده وعنايته وعدم حاجته مما يتعارف من الاخلاق الفاضلة التي يصدر عنها الافعال الخيرية والشرية فاستعير لها لفظ الاخلاق واطلق عليه واما كونهما لا يقربان من اجل ولا ينقصان الرزق فلان كثيرا من ضعفاء الاعتقاد العقلي يمنعهم عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر توهم لحوق الامرين وخصوصا ترك نهي الملوك من المنكرات ثم شرع في الحث على لزوم كتاب الله باوصاف نبه بها على فضيلته الاول انه الحبل المتين ولفظ الحبل مستعار له ووجه المشابهة كونه سببا لنجاة المتمسك به من الهوى في دركات الجحيم كالحبل لنجاة المتمسك به ورشح بذكر المتانة الثاني كونه نورا مبينا ولفظ النور ايضا استعارة له باعتبار الاهتداء به الى المقاصد الحقيقية في سلوك سبيل الله الثالث كونه الشفاء النافع اي من الم الجهل وكذلك الري النافع اي للعطشان من ماء الحيوة الابدية كالعلوم والكمالات الباقية الرابع كونه عصمة للمتمسك ونجاة للمتعلق ومعناه كالذي سبق في كونه حبلا الخامس لا يعوج فيقام اذ ليس هو كسائر الالات المحسوسة السادس ولا يزيغ فيستعتب اي يطلب منه العتبى والرجوع الى الحق كما يفعله سائر الحكام من الناس السابع كونه لا تخلقه كثرة الرد اي الترديد في الالسنة وولوج الاسماع وهو من خصائص القرآن الكريم فان كل كلام نثر او نظم اذا كثرت تلاوته مجته الاسماع واستهجن الا القرآن الكريم فانه لا يزال غضا طريا يزداد على طول التكرار في كرور الاعصار محبته في القلوب وحسنا ولكن يلوح من سر ذلك كثرة اسراره وغموضها التي لا يطلع عليها الا الافراد مع كونه في غاية من فصاحة الالفاظ وعذوبة المسمع فاما ما حكاه من سؤاله الرسول ص وجواب الرسول له فقد روى كثير من المحدثين عنه ع عن النبي ص انه قال ان الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علي جهاد المشركين قال فقلت يا رسول الله وما هذه الفتنة التي كتب علي فيها الجهاد قال فتنة قوم يشهدون ان لا اله الا الله واني رسول الله وهم مخالفون للسنة فقلت يا رسول الله فعلام اقاتلهم وهم يشهدون كما اشهد قال على الاحداث في الدين ومخالفة الامر فقلت يا رسول الله انك كنت وعدتني بالشهادة فاسال الله ان يعجلها لي بين يديك قال فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين اما اني وعدتك الشهادة وستشهد تضرب على هذا فتخضب هذه فكيف صبرك اذن فقلت يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر هذا موطن شكر قال اجل اصبت فاعد للخصومة فانك مخاصم فقلت يا رسول الله لو بينت لي قليلا فقال ان امتي ستفتن من بعدي فتتأول القرآن وتعمل بالرأي وتستحل الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال فكن حلس بيتك حتى تقلدها فاذا قلدتها جاشت عليك الصدور وقلبت لك الامور فقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم الثانية دون حالهم الاولى فقلت يا رسول الله فبأي المنازل هؤلاء المفتونين بمنزلة فتنة ام بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة يعمهون فيها الى ان يدركهم العدل فقلت يا رسول الله ايدركهم العدل منا ام من غيرنا قال بل منا فبنا فتح وبنا يختم وبنا الف الله بين القلوب بعد الفتنة فقلت الحمد لله على ما وهب لنا من فضله ولم يبق في هذا الفصل غريب ينبه عليه سوى قوله ليس هذا من مواطن الشكر فانك علمت فيما سلف ان الصبر والشكر من ابواب الجنة والمقامات العالية للسالكين الى الله تعالى لكن علمت ان مقام الشكر ارفع من مقام الصبر ولما كان هو ع سيد العارفين بعد سيد المرسلين ص لا جرم كان اولى من صدر عنه هذه الاشارة فاما اخبار الرسول ص بان الناس سيفتنون باموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويأمنون سطوته وسائر ما اخبر به الى قوله بالبيع فكل ذلك مشاهد في زماننا وقبله بقرون واما كون ذلك منزلة فتنة لا منزلة ردة فلبقائهم على الاقرار بالشهادتين وان ارتكبوا من المحارم ما ارتكبوا لشبهة غطت على اعين ابصارهم وبالله التوفيق

ومن خطبة له ع

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره وسببا للمزيد من فضله ودليلا على آلائه وعظمته عباد الله ان الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين لا يعود ما قد ولى منه ولا يبقى سرمدا ما فيه آخر فعاله كاوله متشابهة اموره متظاهرة اعلامه فكأنكم بالساعة تحدوكم حدو الزاجر بشوله فمن شغل نفسه بغير نفسه تحير في الظلمات وارتبك في الهلكات ومدت به شياطينه في طغيانه وزينت له سيئ اعماله فالجنة غاية السابقين والنار غاية المفرطين اعلموا عباد الله ان التقوى دار حصن عزيز والفجور دار حصن ذليل لا يمنع اهله ولا يحرز من لجأ اليه الا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا

في صفة أهل القبور في القيامة

وباليقين تدرك الغاية القصوى عباد الله الله الله في أعزّ الأنفس عليكم وأحبّها إليكم فإنّ الله قد أوضح لكم سبيل الحقّ وأنار طرقه فشقوة لازمة أو سعادة دائمة فتزوّدوا في أيّام الفناء لأيّام البقاء فقد دللتم على الزاد وأمرتم بالظعن وحثثتم على المسير فإنّما أنتم كركب وقوف لا تدرون متى تؤمرون بالمسير ألا فما يصنع بالدنيا من خلق للآخرة وما يصنع بالمال من عمّا قليل يسلبه وتبقى عليه تبعته وحسابه عباد الله إنّه ليس لما وعد الله من الخير مترك ولا فيما نهى عنه من الشرّ مرغب عباد الله احذروا يوماً تفحص فيه الأعمال ويكثر فيه الزلزال وتشيب فيه الأطفال اعلموا عباد الله أنّ عليكم رصداً من أنفسكم وعيوناً من جوارحكم وحفّاظ صدق يحفظون أعمالكم وعدد أنفاسكم لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ولا يكنّكم منهم باب ذو رتاج وإنّ غداً من اليوم قريب يذهب اليوم بما فيه ويجيء الغد لاحقاً به فكأنّ كلّ امرئ منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته ومخطّ حفرته فيا له من بيت وحدة ومنزل وحشة ومفرد غربة وكأنّ الصيحة قد أتتكم والساعة قد غشيتكم وبرزتم لفصل القضاء قد زاحت عنكم الأباطيل واضمحلّت عنكم العلل واستحقّت بكم الحقائق وصدرت بكم الأمور مصادرها فاتّعظوا بالعبر واعتبروا بالغير وانتفعوا بالنذر

أقول الشول النوق التي جفّ لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية الواحدة شائلة على غير قياس والارتباك الاختلاط وحمة العقرب إبرتها وهي محلّ سمّها والرتاج الغلق وقد حمد الله تعالى باعتبارات أحدها جعله الحمد مفتاحاً لذكره في عدّة سور القرآن الثاني كونه سبباً للمزيد من فضله والمراد بالحمد هنا الشكر لقوله تعالى ولئن شكرتم لأزيدنّكم وقد عرفت إعداده لزيادة النعم الثالث دليلاً على آلائه لاختصاص الشكر بمولي النعم وعلى عظمته لاختصاص استحقاقها ذلك لذاته وهو صفة لكلّ نعمة وكان الحمد لا ينبغي إلّا له ثمّ أخذ في الموعظة فنبّه السامعين على فعل الدهر بالماضين ليتذكّروا أنّهم أمثالهم ولاحقون بهم فيتّقوهم وأعرض عنهم وليعلموا ما بعد الموت ثمّ نبّه على حال الدنيا في تقضّيه بأنّ كلّ وقت مضى منه لا يعود وأنّ كلّ وقت منه له أهل ومتاع من الدنيا إنّما يكون في الوجود بوجود ذلك الوقت وظاهر أنّه ينقضي بتقضّيه ولا يبقى سرمداً ما فيه وأنّ آثاره متشابهة آخرها كأوّلها أي يوجد ما يكون بإعداد وقت منه بوجود ذلك الوقت وينقضي بانقضائه فحاله دائماً على وتيرة واحدة وكذلك متشابهة أموره فإنّه كما كان ولا يبعد قوماً للفقر وقوماً للغنى وقوماً للضعة وقوماً للرفعة وقوماً للوجود وآخرين للعدم كلّ هو آخر وهو كذلك متظاهرة أعلامه أي لا لأنّه على شيمة وطبيعة واحدة له التي يعامل الناس بها فكأنّما تجدها متعاضدة يتبع بعضها بعضاً ونسبة هذه الأمور إلى الدهر جرياً على ما في الأوهام وإن كان الفاعل هو الله ثمّ وإنّما الدهر الإعداد كما سبق ثمّ نبّه على قرب الساعة فشبّه حدوها أي سوقها إيّاهم بسوق الزاجر للنوق وحثّه لها وقد عرفت كيفيّة ذلك التشويق وجه الاستعارة فيه كما في قوله وإنّ الساعة من ورائكم تحدوكم وكونها وجه الشبه هو السرعة والحثّ وإنّما خصّ الشول من النوق لخلوّها من العشار فيكون سوقها بعنف وأسرع ولمّا نبّههم على قربها وأنّها تحدوهم نبّههم على وجوب اشتغال كلّ بنفسه إذ كان من شغل بنفسه بغير نفسه عن تحصيل النور يهتدي به في ظلمات طريق الآخرة بل إنّما على أغطية غشية من الهيئات البدنيّة اكتسبها بما اشتغل به من متاع الدنيا والعمل لها وعلمات تلك الأغطية معتقبة لنور البصيرة فلا جرم يتحيّر في تلك الظلمات ويرتبك في مهالك تلك الطريق ومغاويها وتمدّه شياطينه ونفسه الأمّارة في طغيانه وتزيّن له سيّئ أعماله ثمّ ذكر غاية وجود الإنسان بخصّ الجنّة بالسابقين والنار بالمفرطين وقد كان ذكر الجنّة كافياً في الجذب إليها والنار كافياً في الجذب عنها فقرن ذكر الجنّة بفضيلة السبق وذكر النار برذيلة التفريط ليقوى الانبعاث على طلب شرف السابقين والهرب من خسّة المفرطين فالسبق والتفريط علّتان للوصول إلى غايتيهما المذكورتين تهدي إلى طلب أحدهما والهرب من الأخرى بذكر سببيهما ثمّ عاد إلى التنبيه على فضيلة التقوى واستعار لها لفظ الدار الحصينة التي تعزّ من يحصن بها ووجه الاستعارة كونها تحصّن النفس ممّا في الدنيا من الرذائل الموبقة المقتضية لكثير من الهلكات الدنيويّة وأمّا في الآخرة فمن ثمرات الرذائل وملكات السوء المستلزمة للعذاب الأليم ثمّ على رذيلة الفجور وهو طرف الإفراط من فضيلة العفّة واستعار لفظ الدار لعينه بكونها حصناً ذليلاً ووجه الاستعارة كونه مستلزماً للضدّ ما استلزم التقوى ويجب أن يخصّص التقوى هنا بفضيلة القوّة البهيميّة وهي العفّة والزهد لمقابلة الفجور للعفّة ثمّ نبّه على فضيلة أخرى للتقوى وهي كونها قاطعاً لحمة الخطايا ولفظ الحمة مستعار لها باعتبار كونها سبباً مستلزماً للأذى في الآخرة كما يستلزم إبرة العقرب وسمّها الأذى ومن روى حمّة مشدّدة أراد شدّة الخطايا وبأسها لأنّ حمّة الحرّ معظمه وظاهر كون التقوى قاطعاً للبأس من الخطايا وماحياً لها إذ لمّا أشار إلى كون التقوى حاسماً للخطايا وكان بذلك إصلاح القوّة العمليّة أشار إلى أنّ اليقين الذي هو إصلاح القوّة النظريّة سبب لإدراك الغاية القصوى فإنّ الإنسان إذا حصل على كمال القوّة النظريّة باليقين وعلى كمال القوّة العمليّة بالتقوى بلغ الغاية القصوى من الكمال الإنساني ثمّ عقب بتحذير الناس من الله تعالى في أعزّ نفس عليهم وأحبّها إليهم وفي الكلام إشارة إلى أنّ للإنسان نفوساً متعدّدة وهي باعتبار مطمئنّة وأمّارة بالسوء ولوّامة وباعتبار عاقلة وشهويّة وغضبيّة والإشارة إلى الثلث الأخيرة وأعزّها النفس العاقلة إذ هي الباقية بعد الموت ولها الثواب وعليها العقاب وفيها الوصيّة وقد نبّه على الغاية بحفظ كلّ نفسه ما ينفعها في الآخرة وذلك بالاستقامة على سبيل الله ولذلك قال فقد أوضح لكم سبيل

الحقّ وأبان

فيه تنبيه على فضيلة الرسول

بحق وإنا نطوف ونودي إنا ... الآيات والسند ثم نبه على غايتي سبيل الحق وسبيل الباطل بقوله فشقوة لازمة أو سعادة دائمة ثم عاد إلى
الحث على اتخاذ الزاد بعد أن ذكر التقوى منبهاً على أن الزاد هو التقوى كما قال تعالى وتزودوا فإن خير الزاد التقوى وأيام البقاء والحال التي بعد
الموت ودلالتهم على الزاد في الآية التي علمهم الله تعالى بها عليه وأمرهم بالظعن كقوله تعالى سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة الآية وقوله ففروا إلى
الله وبالجملة فكل أمر بالإعراض عن الدنيا والتنفير عنها فهو مستلزم للحث على الظعن والأمر بالمسير عن الدنيا بالقلوب لأن الظعن هنا
هو قطع درجات المعارف والأعمال في سبيل الله وصراطه المستقيم والمسير فيها ويحتمل أن يريد بالحث على المسير حث الليل والنهار بتجاذبهما
على الأعمار فيما سلف فإن حثيثاً نعتاً يجب التنبيه لسوقهما على اتخاذ الزاد لما يسوقان إليه وقوله وإنما أنتم كركب إلى آخره توضيح التشبيه
ظاهر فالأرواح هو النفس والمطايا هي الأبدان والقوى النفسانية والطريق هي العالم الحسي والعقلي والسير الذي ذكره قبل الموت هو تصرف
النفس في العالمين لتحصيل الكمالات المسعدة وهي الزاد لغاية السعادة الباقية وأما السير الثاني الذي هم وقوف ينتظرونه ولا يدرون
متى يؤمرون به فهو الرحيل إلى الآخرة من دار الدنيا وطرح البدن وقطع عقبات الموت والقبر لأن الإنسان لا يعرف وقت ذلك وح يتبين
لك سر هذا الكلام أن قوله وأمرتم بالظعن مع قوله لا يدرون متى يؤمرون بالمسير ليسا متنافيين كما ظنه بعضهم ثم أخذ في تزهيد الدنيا
والتنفير عنها بذكر أن الإنسان غير مخلوق لها بل لغيرها ومقتضى العقل أن يعمل الإنسان لما خلق له وفي تزهيد المال بتنبيه كبير له على
قليل بالموت وبقاء الحساب عليه وتبعاته من عقاب رب العالمين الحاصلة بسبب محبته وجمعه والتصرف الخارج عن العدل فيه لا سيما ... ثم
عقب بالترغيب في وعد الله بأنه ليس منه متروك أي ليس منه عوض وبدل في النفاسة والتنفير عما نهى الله عنه بكونه مرغوباً فيه أي ليس فيه مصلحة
ينبغي أن يجعلها العاقل غاية مقصودة له إذ هو تعالى أعلم بالمصالح فلا يليق بجوده أن ينهى العبد عما فيه مصلحة راجحة ثم عقب بالتحذير من يوم
الوعيد ووصفه بالصفات التي باعتبارها يجب الخوف منه والعمل وهي فحص الأعمال فيه ومناقشة الحساب عليه كقوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون
وظهور الزلزال كقوله تعالى إذا زلزلت الأرض زلزالها وتشييب الأطفال كقوله تعالى يوماً يجعل الولدان شيباً واعلم أن هذه الصفات في يوم القيمة
ظاهرة في الشريعة وقد سلط التأويل عليها بعض من تحذلق فقال إن الفحص عن الأعمال يرجع إلى مطالعة اللوح المحفوظ بها وظهورها للنفس
عند مفارقتها للبدن وإلى انتقاش النفوس بها كما تقدم شرحه كقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً الآية وأما ظهور الزلزال فيحتمل
أن يريد التغير الذي لا بد منه والاضطراب العارض للبدن عند مفارقة النفس والتشويش لها أيضاً على ما تقدم من الإشارة إلى أن ذلك هي القيمة
الصغرى للنفوس ولحد أنها وأما تشييب الأطفال فكثيراً ما يكنى به عن غاية الشدة فيقال هذا أمر تشيب منه النواصي ويهرم فيه الأطفال ولا حال أشد
صعباً ولا أصعب على النفس من حال المفارقة وما بعدها ثم عقب التحذير من المعاصي بالتنبيه على الرصد القريب الملازم وأشار بالرصد إلى الجوارح
كما قال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا الآية والشهادة هنا بلسان الحال والنطق
ببرهان كل عضو لما كان مباشراً لفعل من الأفعال كان حضوره لذلك العضو وما صدر عنه في علم الله تعالى بمنزلة الشهادة القولية بين يديه وكذلك في الله
وأشار بحفاظ الصدق إلى الكرام الكاتبين وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الخطبة الأولى وكونهم لا يستتر منهم ساتر ثم بالتحذير بنقر بغيته وكنى
به عن وقت الموت ثم ببلوغ منزل الوحدة وكنى به عن القبر ووصفه بالأوصاف الموحشة المنفرة المستلزمة للعمل لما بعدها ثم بالصيحة وهي الصيحة
الثانية إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون والنفخة الثانية ونفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم بالقيمة الكبرى وإبراز
فصل القضاء وهو حال تحقق كل نفس ما لا بد لها منه من دوام عذاب ودوام نعيم بحكم القضاء الإلهي وذلك بعد زوال الهيئات الباطلة
الممكنة الزوال من النفوس لأن استكمالها ومحونها تبع لها واضمحلال العلل الباطلة للنفوس واستحقاق الحق بالخالق ورجوع كل إلى
الحضرة ما قدم ثم عاد إلى الموعظة الجامعة الكلية فأمر بالاتعاظ بالعبر بكل ما نبهت تنبيهاً على أحوال الآخرة فهو عبرة والاعتبار بالعبر هي
جمع عبرة ... من التعبر واعتبارها طريق الاتعاظ والانزجار ثم بالانتفاع بالنذر جمع نذير وهو اسم من الإنذار بل كل أمر أفاد تخويفاً بأحوال
الآخرة فهو نذير والانتفاع به حصول الخوف عنه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** أرسله على حين فترة من الرسل وطول
هجعة من الأمم وانتقاض من المبرم فجاءهم بتصديق الذي بين يديه والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن
أخبركم عنه ألا إن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم **أقول** الهجعة النومة والمبرم الحبل المحكم الفتل
وثمرة الفصل التنبيه على فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله والفترة الزمان بين الرسولين وكنى بالهجعة من الأمم عن ... في مراقد الطبيعة وبرد
عما خلقوا لأجله في مدة زمان الفترة وأشار بالمبرم إلى ما كان الخلق عليه من انتظام الحال بالشرائع السابقة وإبرام أمورهم بوجودها وانتقاض
فساد ذلك النظام بتغير الشرائع واضمحلالها والذي صدقه بين يديه هو التوراة والإنجيل كما قال تعالى مصدقاً لما بين يديه من الكتاب وكان أمراً
مستطراً فيهما منه يقال ... بين يديه واستعار لفظ النور للقرآن ووجه الاستعارة ظاهر ثم أمر باستنطاقه وعنى بذلك الاستنطاق استماع ...
عنه إذ هو لسان الكتاب والسنة وكرر ما ... أمره باستنطاقه وبقوله فلن ينطق ونبه على ما فيه من علم الأولين وتعاقب
القرون الماضية وعلم ما يأتي من الفتن وأحوال القيمة وأن فيه دواء دائهم وذلك الداء هو الرذائل المتفشية ودواؤها ذلك الدواء هو ...

في صفة رسول ... زمان الفترة

الفضايل العلمية والعملية التي اشتمل عليها القرآن الكريم ونظام ما بينهم اشارة الى ما اشتمل عليه من القوانين الشرعية والحكمة السياسية التي بها نظام العالم واستقامة امور **منها** فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا وادخله الظلمة ترحة واولجوا فيه نقمة فيومئذ لا يبقى لهم في السماء عاذر ولا في الارض ناصر اصفيتم بالامر غير اهله واوردتموه غير مورده وسينتقم الله ممن ظلم مأكلا بمأكل ومشربا بمشرب من مطاعم العلقم ومشارب الصبر والمقر ولباس شعار الخوف ودثار السيف وانما هم مطايا الخطيئات وزوامل الآثام فأقسم ثم اقسم لتنخمنها امية من بعدي كما تلفظ النخامة ثم لا تذوقها ولا تطعم بطعمها ابدا ما كر الجديدان **اقول** الترحة الحزن والمقر المر والزاملة الجمل يستظهر به الانسان في حمل متاعه ... وسياق الكلام الاخبار عن حال بني امية وما يحدث في دولتهم من الظلم وكنى ببيت المدر والوبر عن البدو والحضر ... عند فعلهم ذلك للتغير وزوال الدولة بعدم العاذر في السماء والناصر في الارض ثم عقب بتوبيخ الناس على اصفائهم بالامر للخلافة غير اهله والخطاب ... العقل بن هو راض به ولذلك ... وذريته وترك الحق من تقاعد عن القيام معه في ذلك القعود عن ردع الظالم وقتاله مستلزم لقوته ويجري مجرى نصرته واعانته على ظلمه وان لم يقصد القاعد عنه ذلك ثم اخبر ان الله سينتقم منهم ومأكلا ومشربا منصوبان بفعل مضمر والتقدير ... مأكلا بمأكل واستعار لفظ العلقم والصبر والمقر لما يتجرعونه من شدائد القتل واهوال العدو ... زوال الدولة وكذلك لفظ الشعار للخوف ورشح بذكر اللباس ولفظ الدثار للسيف ووجه الاستعارة الاولى ... ملازمة الخوف لهم كملازمة الشعار للجسد ... وقال بعض الشارحين انما خص الخوف بالشعار لانه باطن في القلوب والسيف بالدثار لانه ظاهر في البدن كما ان الشعار ما كان يلي الجسد والدثار ما كان فوقه واستعار لهم لفظ المطايا والزوامل ووجه الاستعارة حملهم ثقل الاوزار ... ولفظ ... اشارة الى ترجيح ... وبطلانهم على غير قانون شرعي فيكون خطيئة وآثاما ثم اقسم ليتنخمنها امية من بعده فاستعار لفظ التنخم لزوال الخلافة عنهم ... وكنى بعدم ذوقها وتطعمها عن عدم رجوعها اليهم وما هنا بمعنى المدة والجديدان الليل والنهار وكنى بذلك وهو اخبار منه عما سيكون وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله انه اخبر ان بني امية تملك الخلافة بعده مع ذم منه لهم نحو ما روي عنه في تفسير قوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم قال المفسرون ان الرؤيا انه رأى بني امية ينزون على منبره نزو القردة وهذا اللفظ ... الآية وساءه ذلك ثم قال الشجرة الملعونة بنو امية وبنو المغيرة وروي عنه انه قال اذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباده خولا وكما روي عنه في تفسير قوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر قال الف شهر يملك فيها بنو امية ونحو قوله ابغض الاسماء الى الله الحكم والعاص والوليد والحارث وغير ذلك

ومن خطبة له عليه السلام ولقد احسنت جواركم واحطت بجهدي من ورائكم واعتقتكم من ربق الذل وحلق الضيم شكرا مني للبر القليل واطراقا عما ادركه البصر وشهده البدن من المنكر الكثير **اقول** احاطته بجهده من ورائهم اشارة الى حفظه وحراسته لهم واعتاقهم من ربق الذل وحلق الضيم ... من عدوهم واعزازهم ثم نبههم على شكره للقليل من برهم اي من قليل طاعتهم لله في طاعته واطراقه عن كثير منكرهم مما شاهده منهم ... للعفو فان قلت فكيف يجوز له ان يسكت عن انكار المنكر مع مشاهدته له قلت يحمل ذلك منه على علم التمكن من ازالته بالعنف والقهر ويجوز ان يستلزم ذلك مفسدة اكبر مما هم عليه من المنكر وقد علمت انهم غير معصومين ومحال ان تستقيم دولة اوتتم مملكة بدون الاحسان الى المحسنين من الرعية والتجاوز عن بعض المسيئين وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام امره قضاء وحكمة ورضاه امان ورحمة يقضي بعلم ويعفو بحلم اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطي وعلى ما تعافي وتبتلي حمدا يكون ارضى الحمد لك واحب الحمد اليك وافضل الحمد عندك حمدا يملأ ما خلقت ويبلغ ما اردت حمدا لا يحجب عنك ولا يقصر دونك حمدا لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده فلسنا نعلم كنه عظمتك الا انا نعلم انك حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم لم ينته اليك نظر ولم يدركك بصر ادركت الابصار واحصيت الاعمال واخذت بالنواصي والاقدام وما الذي نرى من خلقك ونعجب له من قدرتك ونصفه من عظيم سلطانك وما تغيب عنا منه وقصرت ابصارنا عنه وانتهت عقولنا دونه وحالت سواتر الغيوب بيننا وبينه اعظم فمن فرغ قلبه واعمل فكره ليعلم كيف اقمت عرشك وكيف ذرأت خلقك وكيف علقت في الهواء سمواتك وكيف مددت على مور الماء ارضك رجع طرفه حسيرا وعقله مبهورا وسمعه والها وفكره حائرا **اقول** امره هو حكم قدرته الالهية وكونه قضاء كونه حكما لازما لا يرد وكونه حكمة كونه على وفق الحكمة الالهية والنظام الاكمل ورضاه يعود الى علمه بطاعة العبد له على وفق امره ونهيه وقوله يقضي بعلم اعادة لمعنى قوله امره قضاء وحكمة يجري مجرى التفسير له وقوله يعفو بحلم فالعفو يعود الى الرضا بالطاعة بعد تقدم الذنب انما يتحقق العفو مع تحقق القدرة على العقاب لذا العجز لا يسمى عفوا فلذلك قال يعفو بحلم ثم عقب بخطاب الله الاعتراف بحمده والحمد له باعتبار ضروب من السراء والضراء اشارة الى حمده على كل حال وهي الاخذ والاعطاء والعافية والابتلاء ثم باعتبار كيفيته وهو كونه ارضى الحمد لله واحبه اليه وافضله عنده اي اشده وقوعا على الوجه اللائق المناسب لعظمته ثم باعتبار كميته وهو كونه يملأ المخلوق ويبلغ ما اراده ثم باعتبار غايته وهو كونه لا يحجب عنه ولا يقصر دونه ثم باعتبار مادته وهو كونه لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده وقد يكون التفصيل في القول في بعض المواضع ابلغ وقعا في النفوس والذ وقد يكون الاجمال الخ

بمشربٍ ، مأكلاً

أقسم

ليتنخمنّها

عن الابنة

الرؤيا

عنك

انفع وابلغ

في الاعتراف بالعجز عن ادراك كنهه

انفع وابلغ ثم شرع في الاعتراف بالعجز عن ادراك كنه عظمته وفي بيانه وجه معرفته الممكنة للخلق وهي اما بالصفات الحقيقية او الاعتبارات السلبية او الاضافية واشار الى الاعتبارات الثلثة فكونه حيا قيوما اشارة الى الصفات الحقيقية وقد عرفت انها تستلزمان الوجود والقيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره وكل قائم بذاته فهو موجود واجب الوجود وكونه لا تأخذه سنة ولا نوم ولا ينتهي اليه نظر عقلي وبصري ولا يدركه بصر اعتبارات سلبية وكونه مدركا للابصار محصيا للاعمال آخذا بالنواصي والاقدام اي محيط القدرة بها اعتبارات اضافية ثم اشار الى استحقار ما عدده مما ادركه بالنسبة الى ما لم يدركه من عظيم ملكوته وما في قوله وما الذي نسمعها منه على سبيل الاستحقار لما استفهم عنه وما الثانية وما في قوله وما يغيب عنا منه بمعنى الذي ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها اعظم والواو فيها للحال ثم عقب الحكم على من فرغ قلبه واعمل فكره ليصل الى كنه معرفته وعلم كيفية نظامه للعالم الاعلى والاسفل برجوع كل من الآلات اذ اكد حسيرا مقهورا عن ابدا لما كلفه اذ ذكرناه من ذلك عقد سبقت الاشارة الى براهين هذه الاحكام عن قريب وبالله التوفيق **منها** يدعي بزعمه انه يرجو الله كذب والعظيم ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله فكل من رجا عرف رجاؤه في عمله وكل رجاء الا رجاء الله فانه مدخول وكل خوف محقق الا خوف الله فانه معلول يرجو الله في الكبير ويرجو العباد في الصغير فيعطي العبد ما لا يعطي الرب فما بال الله عز وجل يقصر به عما يصنع بعباده أتخاف ان تكون في رجائك له كاذبا او تكون لا تراه للرجاء موضعا وكذلك ان هو خاف عبدا من عبيده اعطاه من خوفه ما لا يعطي ربه فجعل خوفه من العباد نقدا وخوفه من خالقه ضمارا ووعدا وكذلك من عظمت الدنيا في عينه وكبر موقعها من قلبه آثرها على الله فانقطع اليها وصار عبدا لها ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كاف لك في الاسوة ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها وكثرة مخازيها ومساويها اذ قبضت عنه اطرافها ووطئت لغيره اكنافها وفطم من رضاعها وزوي عن زخارفها وان شئت ثنيت بموسى كليم الله اذ يقول رب اني لما انزلت الي من خير فقير والله ما سأله الا خبزا يأكله لانه كان يأكل بقلة الارض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه وان شئت ثلثت بداود صاحب المزامير وقارئ اهل الجنة ولقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول لجلسائه ايكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها وان شئت قلت في عيسى بن مريم ع فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن وكان ادامه الجوع وسراجه بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها وفاكهته وريحانه ما تنبت الارض للبهائم ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يذله دابته رجلاه وخادمه يداه فتأس بنبيك الاطهر الاطيب صلى الله عليه وآله فان فيه اسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى واحب العباد الى الله المتأسي بنبيه والمقتص لاثره قضم الدنيا قضما ولم يعرها طرفا اهضم اهل الدنيا كشحا واخمصهم من الدنيا بطنا عرضت عليه الدنيا فابى ان يقبلها وعلم ان الله ابغض شيئا فابغضه وحقر شيئا فحقره وصغر شيئا فصغره ولو لم يكن فينا الا حبنا ما ابغض الله وتعظيمنا ما صغر الله لكفى به شقاقا لله ومحادة عن امر الله ولقد كان صلى الله عليه وآله يأكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه ويكون الستر على باب بيته فيكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة لاحدى ازواجه غيبيه فاني اذا نظرت اليه ذكرت الدنيا وزخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا ولا يعتقدها قرارا ولا يرجو فيها مقاما فاخرجها من النفس واشخصها عن القلب وغيبها عن البصر وكذلك من ابغض شيئا ابغض ان ينظر اليه وان يذكر عنده ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله على مساوي الدنيا وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله اكرم الله محمدا بذلك ام اهانه فان قال اهانه فقد كذب والعظيم وان قال اكرمه فليعلم ان الله قد اهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن اقرب الناس منه فتأسى متأس بنبيه واقتص اثره وولج مولجه والا فلا يأمن الهلكة فان الله تعالى جعل محمدا صلى الله عليه وآله علما للساعة ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة خرج من الدنيا خميصا وورد الآخرة سليما لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله واجاب داعي ربه فما اعظم منة الله عندنا حين انعم علينا به سلفا نتبعه وقائدا نطأ عقبه والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل الا تنبذها عنك فقلت اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى **اقول** المدخول الذي فيه شبهة وريبة وكذلك المعلول والغير الخالص والضمار الذي لا يرجى من الموعود والمقتص المتبع له والقضم الاكل بادنى الفم والهضيم الخميص لقلة الاكل والمحادة المعاداة والرياش الزينة والسرى السير ليلا واغرب اي تباعد ومساق الكلام يقتضي ذم من يدعي رجاء الله ولا يعمل له وتنبيهه ان رجاءه ليس بخالص وتكذيبه وبيان تقصيره في العمل فقوله يدعي بزعمه انه يرجو الله ذكر صورة الدعوى الخالية او الغالبة وقوله كذب والعظيم رد لتلك الدعوى مؤكدا بالقسم البار وانما قال والعظيم دون والله لان ذكر العظمة هنا انسب بالترجية وقوله ما باله الى قوله عرف رجاؤه في عمله قياس من الشكل الثاني بين فيه انه غير راج وتلخيصه ان هذا

اذ كان بخي موجود

لمن تأسى

سبحانه

ورسوله

عني ثم

في بيان العجز عن ادراك كنهه

المدعي للرجاء غير راج ومراده الرجاء التام الذي يجتهد في العمل له ولذلك قال الا رجاء الله فانه مدخول فتبين ان فيه وقفا للحكم على وجود الاثر
غير خالص مع بيان الدليل ان كل من رجا امرا من سلطان او غيره فانه يجد مدة لشانه ويبالغ في طلب رضاه ويكون عمله له ويقصد رقوة رجائه
له وخلوصه ويرى هذا المدعي للرجاء غير عامل فليستدل بتقصيره في الاعمال الدينية على عدم رجائه لخالص في الله وكذا قوله وكل
خوف محقق الا خوف الله فانه معلول توبيخ للسامعين في رجاء الله تعالى مع تقصيرهم في الاعمال الدينية وتقدير الاستثنا الاول مع المستثنى
منه وكل رجاء لراج يعرف في عمله اي يعرف خلوص رجائه فيما يرجوه الا رجاء الراجي لله فانه غير خالص وروى وكل رجاء الا رجاء الله فانه
مدخول والتقدير وكل رجاء محقق او خالص لتطابق الكلمتين على مساق واحد وينبه على الاضمار في الكلمة الاولى قوله في الثانية
محقق فانه يفسر المضمر هناك وقوله يرجو الله في الكبير الى قوله يعطي الرب في قوة قياس ضمير صغراه قوله يرجو الى قوله الصغير وتقدير كبراه
وكل من كان كذلك فينبغي ان يعطي الله الذي هو رب من رجاه من العمل له ما لا يعطي المخلوقين الذين هم عباده والصغرى مسلمة فان
الحس يشهد بالكثرة في اعمال الخلق لما يرجوه بعضهم من بعض بالنسبة الى اعمالهم لما يرجونه من الله تعالى واما الكبرى فبيانها ان المركوز في
الفطر ان المرجو الكبير يستدعي ما يناسبه مما هو وسيلة اليه كمية وكيفية وقوله فيعطي العبد ما لا يعطي الرب نقض للكبرى وقوله
فما بال الله الى قوله بعباده توبيخ وتشنيع على مخالف العمل النتيجة المذكورة وقوله تخاف الى قوله موضعا استفسار عن علة التقصير المذكور
في الرجاء لله والعمل له بالنسبة الى رجاء العباد والعمل لهم استفسارا على سبيل الانكار وتقريعا على ما عساه يجيء من احد العلتين المذكورتين
وهما خوف ان تكون في رجاء الله او ظنه غير اهل للرجاء والامر الاول خطاء عظيم لزم عن التقصير في معرفة الله سبحانه كما هو صراح وانما خص
هاتين العلتين بالذكر لانهما المشهورتان في عدم رجاء الخلق بعضهم لبعض او ضعفه وانتفاؤهما في حق الله تعالى ظاهر فانه تعالى الغني المطلق الذي
لا بخل فيه ولا منع من جهته فان العبد اذا استعد بقوة الرجاء له والعمل لما يرجوه منه وجبت افاضة الجود عليه بما يرجوه فلا يكذب
رجاؤه وهو نعم الموضع التام له وقوله وكذلك ان هو خاف الى قوله يعطي ربه قياس ضمير استثنائي بين فيه قصور خوف الخائف
من الله بالنسبة الى خوفه من بعض عبيده والضمير في عبيده لله وفي خوفه للخائف ويحتمل عوده للعبد والملازمة في الشرطية ظاهرة و
كبرى القياس استثنا نقيض المقدم لينتج عينا لتالي وقوله فجعل الى قوله وعدا توبيخ وتشنيع على من لزم ذلك الاحتجاج وانه من القبيح
المشهور ان يجعل الانسان خوفه من عبده مثله نقدا حاضرا وخوفه من خالقه وعدا غير حاضر وقوله وكذلك من عظمت الدنيا الى
آخره اشارة الى علة ايثار الناس المحبوب الدنيا على ما عند الله تعالى وعدمه وانقطاعهم اليها وصيرورتهم عبيدا لها وذكر جزء العلة الذي
هو عظم الدنيا في اعينهم وتمام هذه العلة خفاء ما تصوروه من الوعد الاخروي بالنسبة الى الدنيا وعلة هذه العلة ان اللذات
العاجلة كما هي وعنوانه اللذات الموعودة وخفوتها الضعيف بحسب الوصف الذي غايته ان يوجب في اذهانهم مثالا ضعيفا وعلة
ما حضرهم الذي ذلك كانت العاجلة اعظم في نفوسهم واكبر وقعا في قلوبهم ولذلك اثروها وانقطعوا اليها فاستعبدتهم
وغاية هذا التوبيخ التنفير عن الدنيا والجذب عنها الى الرغبة فيما عند الله ولذلك عقب بالتنبيه على ترك الدنيا من الرسول
وسائر الانبياء والمرسلين الذين هم القدوة للخلق واعراضهم عنها وعلى كونهم محل الاسوة الكافية لمن تاسى في ذلك ونحوه كقوله تعالى لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة الاية والدليل التام على ذمها وعيبها وكثرة مساويها ومخازيها واشار بقوله اذ قبضت عنه اطرافها
الى معنى قدمه من مقدمات الدليل على حقارتها وعيبها وذلك الى قوله وخاصمه بداه وقبض اطرافها عنه كناية عن منعها عنه
بالكلية لعدم استعداده لها وعن تولية اياها ونوطية جوانبها لغيره كناية عن اعطائه اياها وتذليلها له كالملوك واستعار لفظ العظم
لمنعه منها وكذلك لفظ الرضاع لها ملاحظة لشابهتها بالام والابن ووجه الشابه ظاهر والذي ذكره في قال الله ما سال الاخير الى آخر تفسير
الاية كما نقله المفسرون ايضا وصفاق بطنه هو الجلد الباطن وشفيفه ما رق منه فلم يحجب البصر عن ادراك ما وراءه وتشذب
لحمه تفرقه واستعار لفظ المزامير لاصوات داود عليه السلام ولفظ الادام للجوع والسراج للقمر والظلال لمشارق الارض ومغاربها والفاكهة
والريحان لما تنبت الارض والدابة للرجلين والخادم لليدين ووجه الاولى ما ذكر صوته للمزمار وهي الالة التي يزمر بها في الحسن
روي ان الوحش والطير كانت تقع عليه حال القراءة في محرابه لاستغراقها في لذة صوته ونغمته ووجه الثانية قيام ما يدفع ألم
الجوع كهيئة ما بالادام ووجه الثالثة مشاركة القمر للسراج في الضوء ووجه الرابعة استتاره عن البرد بالمشارق والمغارب كاستتاره
بالظلال ووجه الخامسة لذته اذوقه وشمه بما تنبت الارض كما يلتذ غيره بالفاكهة والريحان ووجه السادسة والسابعة قيامه
استغناءه برجليه ويديه كقيام الدابة والخادم وبالجملة فحال الانبياء المذكورين سلام الله عليهم اجمعين في التقشف وترك
الدنيا والاعراض عنها ظاهر معلوم بالتواتر فاما كون داود قارئ اهل الجنة كما ورد في الخبر فلان كل امر حسن ينسب الى الجنة في
العرف او لانه مع حسنه جاذب الى الجنة وداع الى الله تعالى ولما وصف حالهم عاد الى الامر بالتاسي بالرسول صلى الله عليه وآله لانهم المامورون بوجوب
الاقتداء به صلى الله عليه وآله وسلم وفيه الاسوة الكافية لمن تاسى به ولا تراقبهم بعد ما من سبق وحث على التاسي به بكونه المتاسي المقتص لاثره

احب العباد

١٢ ح

في التأسي بالنبي في ترك الدنيا

حب الجاه الى الله وذلك من قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ثم عاد الى اقتصاص حاله صلى الله عليه وآله في ترك الدنيا
والاقتصار منها على قدر الضرورة لتتبين بما يكون فيه التأسي به وحكى عن ذلك بعضها ثم كنى عن عدم التفاته اليها بعدم اعادتها
طرفه وعن كونه اقل الناس شبعا فيها وعن كونه اخمصهم خاصرة وبطنا روي عنه عليه السلام انه كان اذا اشتد جوعه
يربط حجرا على بطنه ويسميه المشبع مع ملكه قطعة واسعة من الدنيا وروي انه ما شبع آل محمد من لحم قط وان فاطمة وبعلها وبنيها
كانوا يصومون على اقراص من الشعير كانوا يعدونها لافطارهم وربما آثروا بها السائلين وطووا كما نقل انهم فعلوا ذلك ثلث ليال
طووا في ايامها حتى كان ذلك سبب نزول سورة هل اتى في حقهم كما هو المشهور في التفاسير واما قوله وعرضت عليه فابى ان يقبلها
فكما روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال عرضت علي كنوز الارض ودفعت الي مفاتيح خزائنها فكرهتها واخترت الدار الآخرة وقوله وعلم ان الله
ابغض شيئا الى قوله فصغره فبغض الله له عدم ارادتها لاوليائه [illegible] واشارة الى انها مقصود وجودها بالعرض وتحقيرها وتصغيرها
بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة ثم نفر عن محبتها بعد ان اشار الى بغض الله لها وتصغيره اياها بجملة اعتراضية للمحض منها قياس هكذا اقل
ما بيننا محبتنا لما ابغض الله وتعظيمنا لما صغر وكل محبة وتعظيم كذلك فكفى به شقاقا لله ومحادة عن امره فينتج ان في ما فينا من التحاب
يكفينا في مشاقة الله ومحادته ثم اردف ذلك بتمام اوصافه في ترك الدنيا والتكلف لها فقوله ولقد كان يأكل على الارض ويجلس جلسة العبد
كما روي عنه عليه السلام انه قال انما انا عبد آكل اكل العبيد واجلس جلسة العبيد وغاية ذلك هو التواضع وكذلك غاية خصف نعله بيده و
ترقيع ثوبه بيده وركوبه الحمار العاري وارداف خلفه اما امره بتغييب التصاوير فمحافظة من حركة الوسواس الخناس وكما ان الانبياء عليهم السلام
كانوا اكاسير للنفس الامارة بالسوء وقاهرين لشياطينهم كانوا ايضا محتاجين الى مراعاتهم وتفقدهم وتفقد احوال نفوسهم في كل لحظة
وطرفة فانها كاللصوص الخادعين للنفوس المطمئنة متى تركت وغفل عن قهرها والتحفظ منها عادت الى طباعها وقوله فاعرض عن
الدنيا بقلبه الى قوله [illegible] ذكر عنده اشارة الى الزهد الحقيقي وهو حذف الموانع الداخلة النفسية عن النفس وما قبله من الاوصاف اشارة
الى زهده الظاهري وهو حذف الموانع الخارجية عنه ثم عاد الى التذكير بالقدوة التأسي به بالدليل على حقارة الدنيا وخستها فاعاد ذكر ما
هو وخاصته من اهل بيته مع عظيم قدره وزلفته ومنزلته عند الله وانها زويت عنه ولما ذكر تلك المقدمة شرع في الاستدلال بقوله فلينظر ناظر الى
قوله [illegible] الناس الخ وهو قياس شرطي متصل مقدمه حملية وتاليه شرطية منفصلة والحجة اذا كان محمد صلى الله عليه وآله جاع في الدنيا مع خاصته
وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته عنده فلا يخلو فعله بذلك اما ان يكون اكرمه واهانه والقسم الثاني باطل لان [illegible]
نبيا انه صلى الله عليه وآله احق خواص الله واذا كان احقر [illegible] الدنيا لا يقصد باحد من خاصته اذا كان مطيعا له الا اهانه فكيف يصدر ذلك
من جبابرة [illegible] ملك الدنيا والاخرة حكيم الحكماء ورحيم الرحماء في حق احق خواصه واشدهم طاعة له ولا تحمل [illegible] ذلك النص على تكذيب
من قال به واكده بالقسم [illegible] واما القسم الاول وهو انه اكرمه بذلك فمن المعلوم ان الشيء اذا كان عدمه اكراما وكمالا كان وجوده نقصا واهانة
فكان وجود الدنيا في حق غيره [illegible] وزواها عنه مع قرب منزلته [illegible] لغيره وذلك يستلزم حقارتها وبغضها [illegible] عنها ثم عاد
الى الامر بالتأسي به صلى الله عليه وآله في ترك الدنيا تأكيدا لما سبق بعد بيان وجوه التأسي وهو امر في صورة الخبر مع زيادة تنبيه على ان السبيل اليها محل الهلكة
فمن لم يتأس [illegible] عليه السلام في احواله في الدنيا [illegible] الميل الى شيء منها لم يأمن الهلكة اذ قد عرفت ان حب الدنيا رأس كل خطيئة وهي
المجاذبة عن [illegible] الى النعيم الى [illegible] دار الجحيم وقوله فان الله جعل محمدا الى قوله داعيا [illegible] في صورة احتجاج على قوله والا فلا يأمن الهلكة [illegible]
ان الله تعالى جعله علما للساعة وامارة على قربها ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة [illegible] الاخرة ثم خرج من الدنيا بهذه الاحوال المذكورة
المستلزمة للنفار عنها والبغض لها والحذر منها فلو لم يكن الركون اليها وارتكاب ضد هذه الاحوال فيها مظنة الهلكة لما نفر النبي صلى الله عليه وآله ولم
يركن اليها [illegible] نفره عنها فكانت مظنة الهلكة فوجب التأسي به في نفاره عنها والا لم يأمن غير المتأسي به الهلكة وروي علما للساعة بكسر العين
وهو مجاز اطلاقا لاسم السبب على المسبب اذ هو صلى الله عليه وآله سبب للعلم بالساعة وكنى بوضع الحجر على الحجر عن البناء ثم عقب بتعظيم منة الله تعالى على
الناس حين انعم عليهم به سلفا يتبعونه وقائدا يقتفون اثره واردف ذلك بذكر بعض احواله التي تأتي به عليه السلام فيها من ترك الدنيا والاعراض
عن الاستمتاع بها الى غاية ترقيع مدرعته حتى استحيا من راقعها [illegible] الا انبذها [illegible] وهو ابن الحسن وقوله فعند الصباح يحمد القوم
السرى مثل يضرب لمتحمل المشقة ليصل الى الراحة فاصله ان القوم يسيرون في الليل فيحمدون عاقبة ذلك [illegible] ومطابقة الصباح
لمفارقة النفس البدن [illegible] والاعراض عنها واتصالها بالملأ الاعلى بسبب تلك الرياضة الكاملة واشراق انوار العالم العلوي عليها [illegible]
عواقب الصبر على مكاره الدنيا وترك لذاتها ومعاناة شدائد [illegible] ظاهرة [illegible] ومما روي [illegible] فقال يحمد
لها القلب ويقتدي بها المؤمنون [illegible] ما رواه احمد في مسنده عن ابي النوار [illegible] بالكوفة قال جاء [illegible] علي بن ابي طالب عليه السلام الى
السوق ومعه غلام له وهو خليفة فاشترى مني قميصين [illegible] فقال لغلامه اختر ايهما شئت فاخذ احدهما واخذ علي الآخر ثم لبسه ومد يده فوجد
كمه فاضلا فقال اقطع الفاضل فقطعه ثم كفه وذهب وروى احمد ايضا قال لما ارسل عثمان الى علي وجدوه مؤتزرا بعباءة محتجزا بعقال وهو

فيه ذكر ممادح النبي صلى الله عليه وآله

ومن خطبة له عليه السلام

بعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي والمنهاج البادي والكتاب الهادي أسرته خير أسرة وشجرته خير شجرة أغصانها معتدلة وثمارها متهدلة مولده بمكة وهجرته بطيبة علا بها ذكره وامتد منها صوته أرسله بحجة كافية وموعظة شافية ودعوة متلافية أظهر به الشرائع المجهولة وقمع به البدع المدخولة وبين به الأحكام المفصولة فمن يبتغ غير الإسلام دينا تتحقق شقوته وتنفصم عروته وتعظم كبوته ويكن مآبه إلى الحزن الطويل والعذاب الوبيل وأتوكل على الله توكل الإنابة إليه وأسترشده السبيل المؤدية إلى جنته القاصدة إلى محل رغبته أوصيكم عباد الله بتقوى الله وطاعته فإنها النجاة غدا والمنجاة أبدا رهب فأبلغ ورغب فأسبغ ووصف لكم الدنيا وانقطاعها وزوالها وانتقالها فأعرضوا عما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها أقرب دار من سخط الله وأبعدها من رضوان الله فغضوا عنكم عباد الله غمومها وأشغالها لما قد أيقنتم به من فراقها وتصرف حالاتها فاحذروها حذر الشفيق الناصح والمجد الكادح واعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم قد تزايلت أوصالهم وزالت أسماعهم (وانصارهم مر) وذهب شرفهم وعزهم وانقطع سرورهم ونعيمهم فبدلوا بقرب الأولاد فقدها وبصحبة الأزواج مفارقتها لا يتفاخرون ولا يتناسلون ولا يتزاورون ولا يتحاورون فاحذروا عباد الله حذر الغالب لنفسه المانع لشهوته الناظر بعقله فإن الأمر واضح والعلم قائم والطريق جدد والسبيل قصد

أقول أسرته أهله والمتهدل المتدلي وطيبة اسم للمدينة سماها به رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كان اسمها يثرب وروى أن [illegible] سماها خبيثة والمتلافية التي تتلافى [illegible] والكبوة العثرة والوبيل المهلك والكادح الساعي والعامل وخلاصة الفصل ذكر ممادح النبي صلى الله عليه وآله ثم الموعظة الحسنة والتنفير عن الدنيا والنور المضيء نور النبوة والبرهان الجلي المعجزات والآيات الموضحة لنبوته والمنهاج البادي هو شريعته ودينه الواضح والكتاب الهادي القرآن الهادي إلى سبيل الجنة وظاهر كون أسرته خير الأسر ولفظ الشجرة مستعار لأصله وظاهر كون قريش أفضل العرب ولفظ الأغصان مستعار للأشخاص من بيته صلى الله عليه وآله كعلي وأولاده وزوجته وأعمامه وإخوته واعتدال هذه الأغصان تقاربهم في الفضل والشرف وثمارها مستعار لفضائلهم العلمية والعملية وتهدلها كناية عن ظهورها وكثرتها وسهولة الانتفاع بها وذكر مولده بمكة وهجرته بالمدينة في معرض مدحه لشرف مكة بالبيت العتيق وشرف المدينة بأهلها حيث آووه ونصروه وحين هاجر إليها فعلا بها ذكره وانتشر فيها صيته وامتدت دعوته لأنه هاجر إليها وهي بلد مجدب قليل الخصب ضعيفة الأهل مع غلبة خصومه وقوة المشركين عليه في ذلك الوقت ثم إنه مع ذلك علا بها ذكره وانتشر فيها صيته فكان ذلك من آيات نبوته صلى الله عليه وآله والحجة الكافية ما جاء به من الآيات التي قهر بها أعداء الله والموعظة الشافية ما اشتمل عليه القرآن العظيم والسنة الكريمة من الوعد والوعيد وضرب الأمثال والتذكير بالقرون الماضية والآراء المحمودة الجاذبة للناس بأرشد الطرق إلى جناب ربهم وكونها شفاء للقلوب من أدواء الجهل والدعوة المتلافية فإنه استدرك بها ما فسد من نظام الخلق وتلافى بها ما هلك من قلوبهم و[illegible] من الولوج نفوسهم والشرائع المجهولة طرائق دينه وقوانين شريعته التي لم يكن ليهتدي إليها إلا بظهوره والبدع ما كانت عليه أهل الجاهلية من الآثام والفساد في الأرض والأحكام المفصولة ما فصله وبينه لنا من أحكام دين الإسلام ثم من ابتغى غيره دينا عدل عن سواء طريق النجاة فتحققت شقوته في الآخرة وانفصمت عروته أي انقطع متمسك النجاة في يده وعظمت عثرته في سفره إلى الآخرة وكان مرجعه إلى الحزن الطويل على ما فرط في جنب الله ومصيره إلى العذاب المهلك في دار البوار ثم أنشأ يتوكل على الله توكل المنيب إليه أي الملتفت بقلبه عن غيره المسلم بجميع أموره إليه وطلب منه الإرشاد إلى سبيله القاصدة إلى جنته التي هي محل الرغبة إليه ثم عقب بالموعظة فبدأ بالوصية بتقوى الله وطاعته وأطلق عليها لفظ النجاة مجازا إطلاقا لاسم المسبب على السبب المادي لكونها معدة لإفاضة النجاة من عذاب يوم القيامة (بعدة و) وقيل النجاة الناقة التي ينجى عليها فاستعار لفظها للطاعة لأنها كالمطية ينجو بها المطيع من الغضب ولفظ المنجاة إذ هي محل النجاة دائما والضمير في رهب ورغب لله أي فأبلغ في وعيده وأسبغ الترغيب فأتمه ووصف الدنيا بالأوصاف الموجبة للرغبة عنها ثم أمر بالإعراض عن زينتها وعلل حسن ذلك الإعراض بقلة ما يستصحب الإنسان منها إلى الآخرة والمراد الإعراض القلبي الذي هو الزهد الحقيقي وإنما قال لقلة ذلك ولم يقل لعدمه لأن السالكين لا بد أن يستصحبوا منها شيئا وهو ما يكتسبه أحدهم من الكمالات إلى الآخرة لكن القدر الذي يكتسبه المترفون من الكمالات إذا قصدوا بأموالهم وسائر زينة الحياة الدنيا الوصول إلى الله نعم قليل نزر ومع ذلك فهم في غاية الخطر من زلة القدم في كل حركة وتصرف بخلاف أهل التقشف الذين اقتصروا منها على مقدار الضرورة البدنية ويحتمل أن يريد بالقليل الذي يصحبهم منها كالكفن ونحوه وإنما كانت أقرب دار من سخط الله وأبعدها من طاعة الله لأن الميل فيها إلى اللهو واللعب والاستمتاع بزينتها المستلزم لسخط الله أغلب من الانتفاع بها في سلوك سبيل الله وقوله فغضوا أي فكفوا عن أنفسكم الغم لأجلها والاشتغال بها لما تيقنتم من فراقها لأن الغم إنما ينبغي أن يوجد [illegible] ما يبقى ثم حذر منها حذر الشفيق على نفسه الناصح المجد الكادح لها ثم نبه على الاعتبار بما هو مشاهد من مصارع القرون الماضية وأحوالها الخالية من تفرق أوصالهم وزوال أسماعهم وأبصارهم إلى سائر ما عدده من الأحوال التي نزلت بهم واستبدلوا بها عن أحوالهم الدنيوية التي كانوا عليها ثم حذر منها حذر الغالب لنفسه الأمارة بالسوء الناظر بعين عقله المانع شهوته [illegible] نحو ما لحقه الإفراط من فضيلة العفة فإن أمر الدنيا والآخرة واضح لمن اعتبر

خالقها وعلم

ابم

ح

كلام مع بعض أصحابه

ومن كلام له عليه السلام

خالفها وعلم الشريعة الهادي الى الحق قائم والطريق الى الله سهل مستقيم قاصدا اى فلا يكن امرهم عليكم غمة لبعض اصحابه وقد سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وانتم احق به فقال عليه السلم يا اخا بني اسد انك لقلق الوضين ترسل في غير سدد ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة وقد استعلمت فاعلم اما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الاعلون نسبا والاشدون بالرسول صلى الله عليه وآله نوطا فانها كانت اثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحكم الله والمعود اليه يوم القيمة

ودع عنك نهبا صيح في حجراته ... ولكن حديثا ما حديث الرواحل

وهلم الخطب في ابن ابي سفيان فلقد اضحكني الدهر بعد ابكائه ولا غرو والله فيا له خطبا يستفرغ العجب ويكثر الاود حاول القوم اطفاء نور الله من مصباحه وسد فواره من ينبوعه وجدحوا بيني وبينهم شربا وبيئا فان ترتفع عنا وعنهم محن البلوى احملهم من الحق على محضه وان تكن الاخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون

اقول الوضين بطان القتب وحزام السرج والقلق الاضطراب والذمامة بالكسر الحرمة وبروى ماتة الصهر اي وسيلته وهي الصاهرة والنوط التعلق والاثرة بالتحريك الاستبداد والاستيثار والحجرة بفتح الحاء الناحية والجمع حجرات بفتح الجيم وسكونها وهلم تستعمل بمعنى تعال كقوله تعالى هلم الينا وقد تستعمل بمعنى هات كما هي هنا بمعنى كما قال تعالى هلم شهداءكم ولا غرو اى لا عجب والاود الاعوجاج والجدح بالجيم بعد الحاء الخلط والتحويض والتكدير والشرب بالكسر الحظ من الماء والوبي ذو الوباء المرض فاما الجواب بالسكت فانه يقال للرجل اذا لم يكن ذا ثبات في عقله وامور بحيث لا يبالي بما لا يعنيه او بضع سؤاله في غير موضعه ويستعمل انه قلق الوضين واصله ان الوضين اذا قلق اضطرب القتب فلم يثبت فظاهر حال من لا يثبت في مقاله وحركاته فضرب مثالا له وكذلك قوله وترسل في غير سدد اي تتكلم في غير موضع الكلام لا على استقامة وهذا تاديب له وقوله ولك بعد ذلك الى قوله استعلمت بداءة للعذر في حسن جوابه فان الصاهرة حق وللسائل على المسئول حق الاسترشاد والسؤال فاما كونه صهرا فلان زينب بنت جحش زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت اسدية وهي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة وامها اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وهي عمة رسول الله قالوا والصاهرة المشار اليها هي هذه ونقل القطب الراوندي ان عليا عليه السلم كان متزوجا لامعنى له لانه ليس كل ما لم يبلغنا من حاله لا يكون حقا الا انه لا يصل الخبر بنا وقوله اما الاستبداد شروع في الجواب والضمير في انها يعود الى معنى الاثرة في الاستبداد والقوم الذين سخوا اعليها نفسا الائمة من تقدم عليه في الامامة وعندي عزامهم فيها قالوا المراد بهم اهل الشورى بعد مقتل عمر وقوله والحكم الله والمعود اليه اى المرجع في يوم القيمة في معنى التظلم والتشكي والعود مصدر بمعنى المصير اليه فاما البيت فهو لامرئ القيس واصله انه نزل في اجنا الفرب بعد قتل ابيه فنزل على رجل من بني جديلة طي يقال له طريف فاحسن جواره فمدحه واقام معه ثم انه خاف ان لا يكون له منعة فتحول عنه ونزل على خالد بن سدوس بن اصمع النبهاني فاغارت بنو جديلة عليه وهو في جوار خالد فذهبوا بابله فلما اتاه الخبر ذكر ذلك لخالد فقال له اعطني رواحلك الحق عليها فارد عليك ابلك ففعل فركب خالد في اثر القوم حتى ادركهم فقال يا بني جديلة اغرتم على ابل جاري قالوا ما هو لك بجار قال بلى والله وهذه رواحله فرجعوا اليه فانزلوه عنهن وذهبوا بهن وبالابل فقال امرء القيس القصيدة التي اولها البيت فدع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل والنهب هنا ما ينهب وحجراته جوانبه وحديث الثاني مبتدأ والاول خبره وما للتنكير وهي التي اذا دخلت على اسم زادته ابهاما كقوله لامر ما جدع قصير انفه والمعنى دع ذكر الابل فانه مفهوم ولكن حديث الرواحل حديث ما اى حديث مبهم لا يدرى كيف هو وذلك انه قيل ان خالدا هو الذي ذهب بالرواحل فكان عنده اللبس في امرها فاما استشهاده عليه السلم في استشهاده النصف الاول من البيت ووجه مطابقته لما هو فيه ان السابقين من الائمة دان كانوا قد استبدوا بهذا الامر فحديثهم مفهوم اذ لهم الاحتجاج بالقدم في الاسلام والهجرة وقرب المنزلة من الرسول وكونهم من قريش فدع ذكرهم وذكر نهبهم هذا المقام فيما سبق ولكن هات ما نحن فيه الان من خطب معوية بن ابي سفيان والخطب هو الحادث الجليل واراد هات ذكر خطبه فحذف المضاف للعلم به واشار به الى الاحوال التي ادت الى ان كان معوية منازعا له في هذا الامر مع بعده منه حتى صار قائما عند كثير من الناس مقامه وقوله فلقد اضحكني الدهر بعد ابكائه اشارة الى غبنه ممن تقدم عليه في هذا الامر وضحكه بعد ذلك تعجب مما حكمت به الاوقات واقتضته ثم قال ولا عجب اى ذلك انه يحل عن التعجب ثم اخذ في استعظامه فقال يا له خطبا يستفرغ العجب اى يفنيه حتى صار كلا عجب وهو من باب الاغراق والمبالغة كقول ابن هانئ فسرت في الميدان يوم طرادهم فعجبت حتى كدت لا اتعجب ويحتمل ان يكون قوله ولا غرو والله اى لا انظر الا الى حقيقة الدنيا وتصرف احوالها فيكون قوله بعد ذلك فيا له استيناف لاستعظام هذا الامر وكونه يكثر الاعوجاج ظ فان كل امر فيه بعد عن الشريعة ازداد الامر اعوجاجا وقوله حاول القوم الى قوله ينبوعه فالقوم قريش ومصباح انوار الله خاصة الرسول صلى الله عليه وآله من اهل بيته وكنى بينبوعه استعارة لهم باعتبار كونهم معدنا لهذا الامر ولوازمه ووجه الاستعارة من ظاهر وبينهم حاولوا ان اللة هذا الامر عن مستقره ومعدنه الاحق به وهو بيت الرسول صلى الله عليه وآله ثم استعار لفظ الشرب للوجه الى ذلك الامر ولفظ الجدح للكدر الواقع بينهم والجاذبة لهذا الامر واستعار وصف الوبي باعتبار كونه سببا للهلاك والقتل بينهم وقوله فان ترتفع الى اخره اى فان يجتمعوا على وترتفع بيني وبينهم ما ابليناه من هذه المحن والاخرى اسلك بهم محض الحق وان ابوا الا البغاء على مام عليه فلا اسف عليهم واقتبس الاية المشتملة

فدع ذ ر

فان م

هنا له

بعير ر

في بني اسد ان ابي بكر ... واتباعه على انه ... لم يبلغنا ... الا كما ...

ودع ذ ر

حاولوا استفاقه م

على تأديب نفسه وتوطينها على ترك الأسف عليهم ان لم يؤمنوا وعلى تهديدهم ووعيدهم باطلاع الله على اعمالهم السيئة

ومن خطبة له عليه السلام

الحمد لله خالق العباد، وساطح المهاد، ومسيل الوهاد، ومخصب النجاد، ليس لأوليته ابتداء، ولا لأزليته انقضاء، هو الأول لم يزل
والباقي بلا أجل، خرت له الجباه، ووحدته الشفاه، حد الأشياء عند خلقه لها إبانة له من شبهها، لا تقدره الأوهام بالحدود
والحركات، ولا بالجوارح والأدوات، لا يقال له متى، ولا يضرب له أمد بحتى، الظاهر لا يقال مما، والباطن لا يقال فيما، لا شبح فيتقضى
ولا محجوب فيحوى، لم يقرب من الأشياء بالتصاق، ولم يبعد عنها بافتراق، لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة، ولا كرور لفظة
ولا ازدلاف ربوة، ولا انبساط خطوة في ليل داج، ولا غسق ساج، يتفيأ عليه القمر المنير، وتعقبه الشمس ذات النور في الكرور
والأفول، وتقليب الأزمنة والدهور، من إقبال ليل مقبل، وإدبار نهار مدبر، قبل كل غاية ومدة، وكل إحصاء وعدة، تعالى
عما ينحله المحددون من صفات الأقدار، ونهايات الأقطار، وتأثل المساكن، وتمكن الأماكن، فالحد لخلقه مضروب، وإلى غيره
منسوب، لم يخلق الأشياء من أصول أزلية، ولا من أوائل أبدية، بل خلق ما خلق فأقام حده، وصور ما صور فأحسن صورته، ليس لشيء
منه امتناع، ولا له بطاعة شيء انتفاع، علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين، وعلمه بما في السماوات العلى كعلمه بما في
الأرضين السفلى. **أقول**: الساطح الباسط، والمهاد الأرض، والوهاد جمع وهدة وهي المكان المطمئن، والنجاد جمع نجد وهو المكان المرتفع
وازدلاف الربوة تقدمها والساجي الساكن، ويتفيأ القمر ذاهبا ومجيئه حالة أخذه في التزايد وأخذه في التنقص الى المحاق
والمجد المؤثل والثبت المؤثل الأصيل القديم. وقد اشتملت الخطبة من علم التوحيد على مباحث ... باعتباراتها الأول قوله
خالق العباد الى قوله النجاد اشارة الى كونه مبدأ لجميع الموجودات وبيانه ان لفظ العباد يشتمل على من في السماوات ومن في الأرض
لقوله تعالى ان كل من في السماوات والأرض الا آتي الرحمن عبدا ويدخل في ذلك الأجسام الفلكية لكونها أجساما للملائكة وساطح المهاد
اشارة الى خلق الأرض وجعلها مهادا للمخلوق من الحيوان ومسيل الوهاد ومخصب النجاد اشارة الى ايجاده لسائر ما ينتفع به الخلق في
الدنيا اذا عرفت ذلك فقد اشتملت هذه الألفاظ على ايجاده لجميع الموجودات الممكنة وقد ثبت ان خالق جميع الموجودات الممكنة لا يكون
ممكنا فاستلزم ذلك كونه تعالى واجب الوجود. الثاني من الاعتبارات السلبية كونه تعالى لا ابتداء لأوليته أي لا حد لكونه أولا للأشياء
تقف عنده أوليته وينتهي بها والا لكان محدثا فكان ممكنا فلم يكن واجب الوجود هف. الثالث ولا انقضاء لأزليته أي لا غاية ينتهي
عندها وينقضي والا لقبل العدم فلم يكن واجب الوجود هذا خلف وقوله هو الأول لم يزل والباقي بلا أجل تأكيد لهذين الاعتبارين
الثاني والثالث بعبارة الاثبات. الرابع خرت له الجباه ووحدته الشفاه وهو اشارة الى كمال الوهيته واستحقاقه للعبادة. الخامس
انه لا يشبه شيئا اذ كل شيء ما عداه محدود ويقدره العقل والوهم ويشبهه بمحدود ويحيطان به وهو لا شيء منه كذلك اذ كل وهم قدره
بحد أو بحركة أو جارحة أو أداة كما هو مقتضى الوهم في ادراكه لما يدركه فقد ضل ضلالا بعيدا عن صورته وقد سبقت الاشارة الى ذلك
السادس انه منزه عن لحوق الزمان فلا يقال له متى ولا غاية للزمان فلا يضرب له أمد بحتى. السابع كونه ظاهرا ومع غاية ظهوره
لا مادة له ولا أصل يستفاد منه فلا يقال مما هو موجود. الثامن كونه باطنا ومع غاية بطونه وخفائه لا حيز له فيقال فيم بطن وخفي
كسائر الخفيات من الأجسام والجسمانيات وقد سبق بيان كونه تعالى باطنا وظاهرا عن قرب. التاسع كونه ليس بشبح فيلحقه التغير والانقضاء
العاشر ولا محجوب فيحويه الحجاب اذ التحيز والشخص والحجاب من لواحق الأجسام التي تنزه قدسه عنها. الحادي عشر من الاعتبارات النسبية
الاضافية كونه تعالى قريبا من الأشياء لا بالالتصاق. الثاني عشر كونه بعيدا منها لا بالافتراق وقد عرفت معنى قربه وبعده في الخطبة الأولى
ولما كان الالتصاق والافتراق من لواحق الأجسام الأجرام نزه قربه وبعده من الأشياء عنهما. الثالث عشر كونه لا يخفى عليه من عباده
شخوص لحظة الى قوله وادبار نهار مدبر اشارة الى احاطة علمه بكل المعلومات وشخوص اللحظة مد البصر بلا حركة جفن وكرور اللفظة رجوعها
وازدلاف الربوة تقدمها وأراد الربوة المتقدمة أي في النظر والبادية عند مد العين فان الربى أول ما يقع في العين من الأرض
والضمير في عليه للغسق وقوله وتعقبه الشمس تعقبه بفتح التاء من الثلاثي كقوله تعالى له معقبات ويروى يعقبه والضمير المنصوب
فيه للقمر وقوله من اقبال ليل متعلق بتقليب والمعنى ان الشمس تعاقب القمر فتطلع عند افوله وتطلع عند افولها. الرابع عشر كونه قبل كل غاية
ومدة وكل احصاء وعدة لأنه تعالى خالق الكل ومبدؤه فوجب تقدمه وقبليته. الخامس عشر تنزهه وتعاليه عما نحله المشبهة و
المنحرفون ... اوهامهم في جنابه المقدس من صفات المقادير كالأقطار والنهايات والجوانب واضافة البيوت وقدمها والاستقرار في
المساكن والتمكن في الأماكن فانما هي حدود ولواحق تتقيد بها ذوات الأجسام فان كل تلك الحدود مضروبة لخلقه ومنسوبة اليهم. السادس
عشر كونه خالقا لا من مادة عنه من غير أصول أزلية ولا أوائل أبدية لها أي أولية سابقة ومعنى هذا الكلام انه لم يخلق ما خلق على
مثال سبق يكون أصلا لا أول له يحتذيه وقيل معناه انه ليس لما خلق أصل أزلي أبدي خلق منه من مادة وصورة كما نقله
... ولا من أوائل أبدية وقوله بل خلق ما خلق فأقام حده أي بل هو المخترع لا فأقام حدوده وهي من المقادير والأشكال

والنهايات والاجال والغايات على وفق الحكمة الالهية وكذلك صوّر ما صوّر فاحسن صوره اى رتبه على وجه الاحكام والاتقان السابع عشر كونه
ليس لغيره منه امتناع اشارة الى كمال قدرته واحاطة علمه الثامن عشر كونه لا امتناع له بطاعة شيء لان الامتناع من لوازم الحاجة المنتفية
عنه وهو اشارة الى وصف الغنى التاسع عشر كونه علمه بالاموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في
الارضين السفلى وهو اشارة الى ان علمه غير مستفاد من غيره ولا يلحقه تغير وتجدد فلا يتجدد له علم لم يكن بل علمه تعالى ازلى ابدى تام
لا يلحقه نقصان نسبة جميع الممكنات اليه على سواء وقد علمت تحقيقه في المباحث الالهية في مظانها وبالله التوفيق **منها** ايها
المخلوق السوي والمنشاء المرعي في ظلمات الارحام ومضاعفات الاستار بدئت من سلالة من طين ووضعت في قرار مكين
الى قدر معلوم واجل مقسوم تمور في بطن امك جنينا لا تحير دعاء ولا تسمع نداء ثم اخرجت من مقرك الى دار لم تشهدها
ولم تعرف سبل منافعها فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي امك وعرّفك عند الحاجة مواضع طلبك وارادتك هيهات
ان من يعجز عن صفات ذي الهيئة والادوات فهو عن صفات خالقه اعجز ومن تناوله بحدود المخلوقين ابعد **اقول**
السوي المستوي والمرعي المعتنى بامره والخطاب للانسان وتنبيهه بكونه سويا مرعيا على وجود خالقه الحكيم اللطيف وقدرته وفي
كيفية تخليق الانسان وتصويره شيئا فشيئا الى حال كماله وصنعه وكيفية تقلبه في تلك الاطوار خلقة خلقة وباستفهامه عن هداه
لاجترار غذائه من ثدى امه ومن عرّفه عند الحاجة مواضع طلبه وهى الاثداء اى على وجود خالقه هذه الحجج حاجا فيه هذا القدر
من العلم بالصانع امر ضروري في النفوس وان احتاج الى ادنى تنبيه وما وراء ذلك من معنى صفات الكمال ونعوت الجلال فامور لا تطلع عليها
العقول البشرية بالكنه وانما تطلع منها على اعتبارات واضافات الى خلقه ويحتاج فيها الى الدليل والبرهان وقد اشار الى ذلك
من قبل ونبه على بعد ادراكها والعجز عنها بقوله هيهات الى قوله والادوات اى من يعجز عن صفات نفسه في حال تخليقه والاطلاع
على منافع جوارحه واعضائه مع كونها محسوسة مشاهدة له فهو عن صفات خالقه التي هي ابعد الاشياء عنه مناسبة اعجز وعن ادراكه
بالمقايسة والتشبيه بحدود المخلوقين وصفاتهم ابعد وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما اجتمع الناس اليه وشكوا
ما نقموه على عثمان وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم فدخل على عثمن فقال ان الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم
والله ما ادري ما اقول لك ما اعرف شيئا تجهله ولا ادلك على امر لا تعرفه انك لتعلم ما نعلم ما سبقناك الى شيء فنخبرك
عنه ولا خلونا بشيء فنبلغكه وقد رايت كما راينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحبنا وما ابن ابي قحافة
ولا ابن الخطاب باولى بعمل الحق منك وانت اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وشيجة رحم وقد نلت من صهره ما لم ينالا
فالله الله في نفسك فانك والله ما تبصّر من عمى ولا تعلّم من جهل وان الطرق لواضحة وان اعلام الدين لقائمة فاعلم ان
افضل عباد الله عند الله امام عادل هُدي وهَدى فاقام سنة معلومة وامات بدعة مجهولة وان السنن لنيرة لها اعلام
وان البدع لظاهرة لها اعلام وان شر الناس عند الله امام جائر ضلّ وضُلّ به فامات سنة ماخوذة واحيا بدعة متروكة
واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور
كما تدور الرحى ثم يرتبط في قعرها واني انشدك الله ان تكون امام هذه الامة المقتول فانه كان يقال
يقتل في هذه الامة امام يفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة ويلبس امورها عليها ويبث الفتن فيها فلا يبصرون الحق من
الباطل يموجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا فلا تكونن لمروان سيقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السن وتقضي العمر
فقال له عثمان كلم الناس في ان يؤجلوني حتى اخرج اليهم من مظالمهم فقال عليه السلام ما كان بالمدينة فلا اجل فيه وما
غاب فاجله وصول امرك اليه **اقول** استسفروني جعلوني سفيرا اى رسولا والوشيجة عروق الشجرة والسيقة بتشديد الياء
ما يسوقه العدو في غارته من الدواب وجلال السن علوه وحاصل الكلام استعتابه باللين من القول فاثبت له مساواته في العلم
اى باحكام الشريعة والسنن المتداولة بينهم في زمان الرسول صلى الله عليه وآله والظهور على كل ما ظهر عليه منها من مرئي ومسموع والصحبة المساوية
لصحبته وذكر ان الشيخين ليسا باولى منه بعمل الحق ثم فضله عليهما بقرب الوشيجة من رسول الله صلى الله عليه وآله والصهورة من دونهما ولفظ
الوشيجة مستعار لما بينه وبينهم من القرابة فاما كونه اقرب وشيجة منهما فلكونه من ولد عبد مناف دونهما ثم حذره الله وعقب
التحذير بتنبيهه على انه غير محتاج الى تعليم فيما يراد منه ووضوح طريق الشريعة وقيام اعلام الدين ثم نبهه على افضلية الامام العادل
بالصفات المذكورة وعلى قيام اعلام السنن وقيام اعلام البدع ليقتدي بتلك ويتنكب عن هذه ثم على حال الامام الجائر يوم القيامة بما
نقل من الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وآله ثم ناشده الله تعالى محذرا له ان يكون الامام المقتول في هذه الامة وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله
اخبر بذلك بهذه العبارة التي نقلها بعد قوله يقال او بما يناسبها ثم نهاه ان يكون سيقة لمروان بن الحكم اى يصرفه حسب مقاصده
بعد ما وعظه معظم السن وتقضى عمره وقد كان مروان من اقوى الاسباب الباعثة على قتل عثمن وكان يعكس الاراء التي يشار على عثمن

فيه ذكر عجائب خلقة الطاووس

بما سنّ علي عليه السلام وعمر مع كونه بغيضا الى المعتبرين من الصحابة وكونه طريدا لرسول الله صلى الله عليه وآله لد[illegible] وقوله في جوابه ما كان بالمدينة فأجل
الى الحزم كلام جزل حاسم لما عساه يكون منهما لطمع من طلب التأجيل لان الحاضر لا معنى لتأجيله والغائب لا عذر في تأخيره بعد بلوغ امره اليه
واعطاه او زاده من اموال بيت المال على غير وجهه وقد سبق في الفصول المتقدمة من امر عثمان مع الصحابة وما نقموه عليه ما فيه كفاية وبالله
التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقة الطاوس ابتدعهم خلقا عجيبا من حيوان وموات وساكن وذي حركات وأقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفة به ومسلّمة له ونعقت في اسماعنا دلائله على وحدانيته وما ذرأ من مختلف صور الاطيار التي اسكنها اخاديد الارض وخروق فجاجها ورواسي اعلامها من ذوات اجنحة مختلفة وهيئات متباينة مصرّفة في زمام التسخير ومرفرفة في مخارق الجو المنفسح والفضاء المنفرج كوّنها بعد إذ لم تكن في عجائب صور ظاهرة وركّبها في حقاق مفاصل محتجبة ومنع بعضها بعبالة خلقه ان يسمو في السماء خفوفا وجعله يدفّ دفيفا ونسقها على اختلافها في الاصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه ومنها مغموس في لون صبغ قد طوّق بخلاف ما صبغ به ومن اعجبها خلقا الطاوس الذي اقامه في احكم تعديل ونضّد الوانه في احسن تنضيد بجناح اشرج قصبه وذنب اطال مسحبه اذا درج الى الانثى نشره من طيّه وسما به مطلا على رأسه كأنه قلع داري عنجه نوتيه يختال بالوانه ويميس بزيفانه يفضي كافضاء الديكة ويؤرّ بملاقحه أرّ الفحول المغتلمة في الضراب أحيلك من ذلك على معاينة لا كمن يحيل على ضعيف اسناده ولو كان كزعم من يزعم انه يلقح بدمعة تسفحها مدامعه فتقف في ضفّتي جفونه وان انثاه تطعم ذلك ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب تخال قصبه مداري من فضة وما انبت عليها من عجيب داراته وشموسه خالص العقيان وفلذ الزبرجد فان شبّهته بما انبتت الارض قلت جنى جني من زهرة كل ربيع وان ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحلل او مونق عصب اليمن وان شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات الوان قد نطّقت باللجين المكلّل يمشي مشي المرح المختال ويتصفّح ذنبه وجناحه فيقهقه ضاحكا لجمال سرباله واصابيغ وشاحه فاذا رمى ببصره الى قوائمه زقا معولا بصوت يكاد يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجّعه لان قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية وله في موضع العرف قنزعة خضراء موشّاة ومخرج عنقه كالابريق ومغرزها الى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية او كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال وكأنه متلفّع بمعجر اسحم الا انه يخيّل لكثرة مائه وشدة بريقه ان الخضرة الناضرة ممتزجة به ومع فتق سمعه خطّ كمستدقّ القلم في لون الاقحوان ابيض يقق فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق وقلّ صبغ الا وقد اخذ منه بقسط وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه فهو كالازاهير المبثوثة لم تربّها امطار ربيع ولا شموس قيظ وقد يتحسّر من ريشه ويعرى من لباسه فيسقط تترى وينبت تباعا فينحتّ من قصبه انحتات اوراق الاغصان ثم يتلاحق ناميا حتى يعود كهيئته قبل سقوطه لا يخالف سالف الوانه ولا يقع لون في غير مكانه واذا تصفّحت شعرة من شعرات قصبه ارتك حمرة وردية وتارة خضرة زبرجدية واحيانا صفرة عسجدية فكيف تصل الى صفة هذا عمائق الفطن او تبلغه قرائح العقول او تستنظم وصفه اقوال الواصفين واقل اجزائه قد اعجز الاوهام ان تدركه والألسنة ان تصفه فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلّاه للعيون فادركته محدودا مكوّنا ومؤلّفا ملوّنا واعجز الألسن عن تلخيص صفته وقعد بها عن تأدية نعته وسبحان من ادمج قوائم الذرة والهمجة الى ما فوقهما من خلق الحيتان والفيلة ووأى على نفسه ألّا يضطرب شبح مما اولج فيه الروح الا وجعل الحمام موعده والفناء غايته **أقول**

والاخاديد شقوق الارض وشعابها والفجاج جمع فج وهي الطريق بين الجبلين والعبالة ملاءة الجسد ونسقها نظمها ومخارق [illegible]
الحبلاء ويدفّ [illegible] والازّ النكاح والحركة فيه والملاقح آلات اللقاح واعضاء التناسل والاغتلام شدة
الشبق والقلع الداري الشراع المنسوب الى دارين وهي جزيرة من سواحل القطيف من بلاد البحرين يقال ان الطيب كان يجلب اليها من الهند
وهي الآن خراب لا عمارة بها ولا ساكن وفيها آثار قديمة وعنجه عطفه والنوتي ربان السفينة وضفّتا جفونه جانباها والمنبجس المنفجر
والمداري جمع مدرى وهي خشبة ذات اطراف كاصابع محدّدة الرؤوس ينقّى بها الطعام وداراته الخطوط المستديرة بقصبه والعقيان الذهب
وفلذ جمع فلذة وهي القطعة والزبرجد قيل هو الزمرد وقيل يطلق على [illegible] والجنى [illegible] وقيل يعني المجنيّ وهو الملتقط والعصب برود تعمل باليمن
والمضاهاة المشابهة [illegible] ونطّقت في اللجين اي شدّت فيه ورصّعت والوشاح سير ينسج من اديم ويرصّع بالجواهر فتجعله
المرأة على عاتقها الى كشحها وزقا صاح والمعول الصارخ والديكة الخلاسية هي المتولدة بين الدجاج الهندي والفارسي وحمش [illegible]
والظنبوب حرف الساق والصيصية الهنة التي في مؤخر رجل الديك والقنزعة الشعر المجتمع في موضع من الراس والوسمة بكسر السين
وسكونها شجر العظلم يختضب به والاسحم الاسود والمتلفّع الملتحف واليقق خالص البياض ويأتلق يلمع والبصيص البريق وتترى [illegible]

منها شى عقيب بشى وأدمجه الحكمة والقدرة التامة العظيمة والهمجة فأثار صغيرة كالبعوضة ومقصود الخطبة التنبيه على عجائب صنع الله لغاية الالتفات
اليه والتفكر في ملكوته وقد عرفت معنى الابتداع وأراد بالموات ما لا حياة له والساكن كالأرض وذو الحركات كالأفلاك وشاهد البينات ما ظهر
للعقول من لطائف المخلوقات فاستدللت بها على لطف صنعته وكمال قدرته فانقادت لتلك الدلائل والطرق الواضحة الى معرفته والاقرار
به والتسليم لامره واستعار لفظ النعيق في الاسماع لظهور تلك الدلائل في صماخ العقل وما الاولى مفعول لانقادت والضمير في له يرجع الى ما وفيه
ولد الشاهد الى الله تعالى ودلائله يحتمل العود الى كل واحد منهما وما الثانية محلها الجر بالعطف على الضمير المضاف اليه في دلائله اي نعقت
في اسماعنا دلائله على وحدانيته ودلائل ما خلق وقد عرفت فيما سبق كيفية الاستدلال بكثرة ما خلق واختلافه في وحدانيته والاطيار التي سكنها
اخاديد الارض كالقطا والصدا والتي اسكنها حزون فجاجها كالقبج التي اسكنها رؤوس الجبال كالعقبان والصقور ثم اخذ يصف اختلافها بالاجنحة
في هيئاتها وكيفيات خلقها تحت تصريف قدرته وحكمته ثم اشار الى اعتبار تكوينها واحداثها في عجائب صورها والوانها وتركيب
خلقها من غير الجثة فمنع سموه في الهواء كالنعام ثم نبه على حكمته في تنسيقها بمختلف الالوان والاصباغ فمنها مغموس في قالب لون واحد
قد طوق بخلاف ما صبغ به كالفواخت وشرع في التنبيه بخلق الطاوس على لطف الصنع لاشتماله على جميع الالوان وكيفية صفة
شأنها فانه ولا ابلغ منه ولا اجمع لتفاصيل الحكمة الموجودة في هذا الموصوف من غيره فقد يحتاج بعض الفاظه الى بيان فاراد بقصب
قصب ريش ذنبه وجناحيه واشار بها ضبط اصولها بالاعصاب والعظام وشرح بعضها البعض ووصفه لجنسه ودرجه الى الانثى حال ارادة
السفاد وصف من شاهد واستثبت الهيئة واحسن بتشبيهه الذنب عند ارادة السفاد بالقلع الداري فانه في تلك الحال لم ينبسط ريشه ثم
ثم يرفعه وينصبه فيصير كهيئة الشراع المرفوع ووجه التشبيه زيادة على ذلك اشار اليها بقوله عنجه نوتيه وذلك ان الملاحين يجذبون
الشراع تارة بالجذب وتارة بالارخاء وتارة يحولونه يمينا وشمالا وذلك بحسب انصرافهم من بعض الجهات الى بعض فاشبههم هذا الطائر
عند حركته لارادة السفاد ونقل يتصرف بحسبه ونحوله جعل في ذلك هيئة لا يثبت وجه الشبه كما هو الامر شاهدا لها
مع مشاهدة المشبه به ولذلك قال يخال من ذلك على معاينته لا كمن يحيل على ضعيف اسناده وانما خص البدين بالذكر لانها كانت لم تنسى
القديم في زمانه حيث كانت معروفة وقوله ولو كان كزعم من يزعم الى قوله المنبجس اي لو كان حاله في النكاح كزعم من يزعم وهو اشارة الى زعم قوم
ان الذكر تدمع عينه فتقف الدمعة بين اجفانه فتأتي الانثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة وروي تنشجها اي تنشفها من الدمعة اي تعض بها ويجار
فيها وهو ما لم يحل ذلك وانما قال ليس ذلك باعجب من مطاعمة الغراب لان العرب تزعم ان الغراب لا يسفد ومن امثالهم اخفى من سفاد الغراب
ويزعمون ان اللقاح من مطاعمة الذكر والانثى وبايصال جزء من الماء الذي في قانصته اليها وهي ان يضع كل منهما منقاره في منقار
صاحبه ويتزاقا وذلك مشاهد في السفاد في كثير من الطير كالحمام وغيره وهذا وان كان ممكنا في بعض الطير كالطاوس والغراب غير ان ذلك
بعيد على ترتيب نقل الشيخ في الشفاء ان القبجة تحبلها ريح تهب من ناحية الحجل ومن سماع صوته قال والنوع المسمى ما لا فنايا الصيني
بافواههما ثم يتشابك فذلك سفادهما ونقل الجاحظ في كتاب الحيوان ان الطاوسة قد تبيض من الريح بان تكون في سفالة الريح فوق
الذكر فيحمل ريحه فتبيض منها قال وبيض الريح قل ان يفرخ واقول قد يوجد في الدجاج ذلك الا انه قل ما يفرخ كما ذكره ثم شبه قصب ذنبه
بالمداري من الفضة ومن شاهد صورته وتمام ذنبه مع بياض اصول ريشه وتفرقها عند نشره للسفاد عرف موضع التشبيه المذكور ووقعه
وكذلك شبه الخطوط الصفر المستديرة على رؤوس ريش الذنب بخالص العقيان في الصفرة الفاقعة مع ما يعلوها من التزويق وما في وسط
تلك الدارات من الدوائر الخضر بقطع الزبرجد في الخضرة واستعار لها لفظ الشموس ملاحظة لمشابهتها لها في الاستدارة والاستنارة
ثم قال وان شبهته بما انبتت الارض الى قوله كل ربيع ووجه الجمع اجتماع الالوان مع نضارتها وبهجتها وكذلك وجه الشبه في تشبيهه بموشي الحلل
او المعجب من برود اليمن وكذلك ان شاكلته بالحلي ووجه شبهه بالفصوص المختلفة الالوان المنطقة في الفضة اي المرصعة في صفائح الفضة
والكلل الذي جعل كالاكليل بتلك الترصيع ثم حكى صورة مشيته وصوته كالقهقهة عند نظره الى حسن سرباله واعجابه بجمال كسوته ولفظ
الضحك والقهقهة والسربال مستعار وكذلك حاله في نظره الى قوائمه فانه يصيح كالمتوجع من قبح ساقيه ودقتهما ويخضع وينقمع بعد تعظمه وتبجحه
لنفسه ووجه تشبيه قوائمه بقوائم الديكة الخلاسية الدقة والطول والنتو ونتوء العرقوب ثم اخذ في وصف صيصيته وفسر عنه وهي رؤوس
يسيرة طوال في موخر راسه بنحو الثلث بارزة عن ريش راسه خضر موشاة ثم اخذ في وصف عنقه وشبه مخرجه بالابريق ووجه الشبه الهيئة
المعلومة المشاهدة وكذلك مغرزه من راسه الى حيث بطنه تشبيه في لونه بصبغ الوسمة في السواد المشرق او بحريرة السوداء الملبسة مرآة في سوادها ويخالطه
بصيص لمزاجها او الخضرة الاسود الا ان ذلك السواد لكثرة مائه وشدة بريقه يخيل للناظر انه ممتزج بخضرة ناظر ثم وصف الخط الابيض عند مخط عينه
وشبهه في دقته واستوائه بخط القلم الدقيق وفي بياضه بلون الاقحوان ثم اجمل صفته بالالوان فقال وقل صبغ الا وقد اخذ منه بقسط وعلاه
اي وزاد على الصبغ بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ولفظ الديباج مستعار لريشه ثم رجع الى تشبيهه بالازاهير المبثوثة على كمال قدرة
منابتها بانها مع ذلك لم تربها امطار ربيع اي يتفضل على تلك الالوان امطار ربيع ولا شموس قيظ لانه لما خيل انها ازاهير وكان من شان

شواهد ل
حزون ر
لطيف ر
ضعيف ر
نشجها ر
موقعه
تشبيهه
صيصيته
ذات صقال

في احوال اخرى للطاوس

الازاهير المختلفة لانها لا تكون الا في زمن الربيع بامطاره وحرارة الشمس المعدة لنور ارادات يتبين عظمة صانعها بانواع كونها ازاهير خلقتها
بغير مطر ولا شمس ثم اخبر عن حالة اخرى هي محل الاعتبار في حكمة الصانع وقدرته وهو انه يحسر ويعرى من ذلك الريش الحسن شيئا بعد
شيء ثم ينبت جميعا كل ريشة موضع ريشة بلونها الاول من غير زيادة او نقصان حتى كانها هي وشبهه في سقوطه تباعا بتحات اوراق
الشجر من الاغصان ونباتها ثم نبه على وجوه حكمة الصانع في الشعرة الواحدة من شعرات ريشه بانك اذا تاملتها ارتك في شفافيتها
وشدة بصيصها تارة حمرة كحمرة الورد وتارة خضرة كخضرة الزبرجد وتارة صفرة كصفرة الذهب ثم عقب ذلك الوصف البليغ باستبعاد وصول
الفطن العميقة الى صفته هنا واراد العجز عن وصف علل هذه الالوان واختلافها واختصاص كل من مواضعها بلون غير الاخر وعلل هيئاتها
وساير ما عدده فان اقل جزء منه مما تحير الاوهام في ادراك علته وقصرت الالسن عن وصفه ويحتمل ان يريد العجز عن استثبات جزئيات
اوصافه الظاهرة وتشريحها فان ما ذكره وان كان في غاية البلاغة الا ان فيه وراء ذلك جزئيات لم يستثبتها الوصف وهو الاقرب
ويؤيده تنزيهه لله تعالى باعتبار قهره للعقول عن وصف هذا المخلوق الذي جلاه واظهره للعيون فادركته محدودا وملونا ومؤلفا
مكونا واعجز الالسن عن تلخيص صفته وقعد بها عن تادية نعته ثم نزهه باعتبار امر اخر وهو احكامه قوائم الذرة والهمجة وساير ما فوقهما كالحيتان
وكبار حيوان البر كالفيلة ثم باعتبار حكمه وتقديره على كل حي منها ضرورة الموت وتنبيه فيه على انه هادم اللذات واعلم انه قد ذكر
للطاوس احوال اخرى يخصه اكثرها قالوا انه غاية ما يعيش خمسا وعشرين سنة ويبيض في السنة الثالثة من عمره ويبيض في السنة
مرة واحدة اثنتي عشرة بيضة في ثلثة ايام ويحضنها ثلثين يوما فتفرخ فتحت ريشه عند سقوط ورق الشجر وينبت مع ابتداء نباته
ورقه ما اخرج الى الدنيا من شهواتها ولذاتها وزخارف مناظرها ولذهلت بالفكر في اصطفاق اشجار غيبت عروقها في كثبان
المسك على سواحل انهارها وفي تعليق كبائس اللؤلؤ الرطب في عساليجها وافنانها وطلوع تلك الثمار مختلفة في غلف
اكمامها تجنى من غير تكلف فتاتي على منية مجتنيها ويطاف على نزالها في افنية قصورها بالاعسال المصفقة والخمور
المروقة قوم لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتى حلوا دار القرار وامنوا نقلة الاسفار فلو شغلت قلبك ايها المستمع بالوصول
الى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة لزهقت نفسك شوقا اليها ولتحملت من مجلسي هذا الى مجاورة اهل القبور
استعجالا بها جعلنا الله واياكم ممن يسعى بقلبه الى منازل الابرار برحمته **اقول** عزفت زهدت وانصرفت والكبائس جمع
كباسة وهي العذق والعساليج الغصون واحدها عسلوج وكذا الافنان جمع فنن والاكمام جمع كم بكسر الكاف وهي غلاف الطلع
والعسل المصفق المصفى وقوله فلو رميت ببصر قلبك استعارة لطيفة اي لو نظرت بعين بصيرتك وفكرت في معنى ما وصف لك من شان
الجنة المجيد لنبت من بدائع ما اخرج الى الدنيا من متاعها الى شيء من متاع الجنة الا نسبة وهي انك اذا لاحظتها نفسك عزفت واعرضت
عن متاع الدنيا وما يعجبها فيها لذة وغلبت بفكرها في اصطفاق الاشجار الموصوفة فيها وتمايل اغصانها ثم وصفها اشجارها وانهارها
وساير ما عدده من متاع الجنة وصفا لا مزيد عليه فهذه هي الجنة المحسوسة الموعودة وانت بعد ما عرفت من قواعد التاويل وحقائق الفاظ
العرب ومجازاتها واستعاراتها وتشبيهاتها وتمثيلاتها وساير ما علمناه لك في صدر الكتاب من قواعد علم البيان كان لك مع ذلك
ذوق طرف من العلم الالهي امكنك ان تحمل هذه الجنة المحسوسة مثلا ومثالا للجنة المعقولة ومتاعها كما ذكرنا فنقول مثلا اشجار الجنة
استعارة للملائكة السماوية والاصطفاق ترشيح لتلك الاستعارة وكثبان المسك استعارة للمعارف والكمالات التي لهم من واهب الجود
وهم مغمورون فيها وحيث وجدوا لها ومنها كما تنبت الاشجار في الكثبان ولفظ الانهار استعارة للملائكة المجردين عن التعلق بالاجرام الفلكية باعتبار
كون هذه الملائكة اصولا ومبادي للملائكة السماوية كما ان الانهار مبادي مدد لحياة الاشجار واسباب لوجودها واللؤلؤ الرطب
والثمار استعارة لما يفيض من تلك الارواح من العلوم والكمالات على النفوس القابلة لها من غير بخل ولا منع فهي ثمارها وتاتي على منية
مجتنيها بحسب استعداده لكل منها والقوة المتخيلة تحاكي تلك الافاضات في هذه العبارات والظواهر المحسوسة المعدودة وتكسوها صورة
ما هو مشتهى المتخيل كل بحسب شهوته ولذلك كان في الجنة كل ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ويتامل حضوره فيحضر لها عند ارادتها
اياه وكذلك لفظ العسل والخمر استعارة لتلك الافاضات المشتهاة الملذة للنفس بحسب محاكاة المتخيلة لها في صورة هذا المشروب المحسوس
المشتهى لبعض النفوس في صورة محسوسة وقوله قوم لم تزل الكرامة الى قوله الاسفار استعار لفظ التمادي للذي هو من افعال العقلاء لدوام
الكرامة عليهم واستظلالهم لها في الدنيا الى غاية حلولهم دار القرار وحصول الكرامة لهم هناك وامنهم من نقلة الاسفار ثم عقب بتشويق المستمع
الى ما هناك فلو شغلت قلبك اي اخذت في اعداد نفسك للوصول الى ما يهجم عليك اي يفاض عليك من تلك الصور البهية البهجة
لزهقت نفسك اي مت شوقا اليها ورحلت الى مجاورة اهل القبور استعجالا لما يهجم الى ما اشتاق اليه ثم ختم الخطبة بالدعاء لنفسه وللسامعين
ان يجعلهم الله تعالى لسلوك سبيله وقطع منازل طريقه الموصلة الى منازل الابرار وهي درجات الجنة ومقاماتها وبالله التوفيق **ومن**
كلام له عم ليتاس صغيركم بكبيركم وليرؤف كبيركم بصغيركم ولا تكونوا كجفاة الجاهلية لا في الدين يتفقهون ولا عن الله

منها في صفة الجنة فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك عن بدائع

خضرة

وقوله

يعقلون

كلام في ابتداء خلافته

كقيض بيض في أداح يكون كسرها وزرا ويخرج حضانها شرا **أقول** قيض البيض كسره تقول قضت البيضة كسرتها وانقاضت تصدعت
من غير كسر وتقيضت تكسرت فلقا والأداح جمع أدحي أفعول من الدحو وهو الموضع الذي تفرخ فيه النعامة فقد أمر صغيرهم بالتأسي بكبيرهم
لأن الكبير أكثر تجربة وعلما وأكيس وأحزم فكان بالقدوة أولى وأمر كبيرهم أن يرأف بصغيرهم لأن الصغير مظنة الضعف وأهل لأن يرحم
ويعذر لقلة عقليته للأمور وإنما بدأ بأمر الصغير لأنه أحوج إلى التأديب والغاية من هذا الأمر انتظام أمورهم وحصول ألفتهم بما أمرهم
به ثم نهاهم أن يشبهوا جفاة الجاهلية في عدم تفقههم في الدين وعدم عقليتهم لأوامر الله فيشبهون إذن ببيض الأفاعي في أعشاشها
ووجه الشبه أنها إن كسرها كاسر أثم لأنه أذى الحيوان به وقتله لأنه يظن ببيض القطا فيأثم كاسره وإن لم يكسر يخرج حضانها شرا إذ
يخرج أفعى قاتلا فكذلك هؤلاء إذا أشبهوا جفاة الجاهلية لا يحل لأحد أذاهم وإهانتهم لمكان ظاهر الإسلام عليهم وإن أهملوا وتركوا على
ما هم عليه من الجهل وقلة الأدب خرجوا شياطين وبالله التوفيق **منها** افترقوا بعد ألفتهم وتشتتوا عن أصلهم فمنهم آخذ بغصن
أينما مال مال معه على أن الله سيجمعهم لشر يوم لبني أمية كما تجتمع قزع الخريف يؤلف الله بينهم ثم يجعلهم ركاما كركام السحاب ثم يفتح
لهم أبوابا يسيلون من مستثارهم كسيل الجنتين حيث لم تسلم عليه قارة ولم تثبت عليه أكمة ولم يرد سننه رص طود ولا
حداب أرض يذعذعهم الله في بطون أوديته ثم يسلكهم ينابيع في الأرض يأخذ بهم من قوم حقوق قوم ويمكن لقوم في ديار
قوم وايم الله ليذوبن ما في أيديهم بعد العلو والتمكين كما تذوب الألية على النار أيها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق
ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ولم يقو من قوي عليكم لكنكم تهتم متاه بني إسرائيل ولعمري
ليضعفن لكم التيه من بعدي أضعافا بما خلفتم الحق وراء ظهوركم وقطعتم الأدنى ووصلتم الأبعد واعلموا أنكم إن اتبعتم
الداعي لكم سلك بكم منهاج الرسول وكفيتم مؤونة الاعتساف ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق **أقول** القزع قطع السحاب
المتفرقة ومستثارهم موضع ثورانهم والقارة الأكمة والحداب جمع حدب وهو ما ارتفع من الأرض والذعذعة التفريق [illegible]
وتهنوا تضعفوا وتوهين الباطل إضعافه والفادح المثقل والإشارة في هذا الفصل إلى أصحابه وأصلهم الذي تشتتوا عنه هو [illegible]
بعد ألفتهم هو افتراقهم إلى خوارج وغيرهم بعد اجتماعهم عليه وقوله فمنهم آخذ بغصن أي يكون منهم من يتمسك بمن خلفه بعده من ذرية
الرسول ص أينما سلك سلك معه كالشيعة وتقدير الكلام ومنهم من ليس كذلك إلا أنه استغنى بالقسم الأول لدلالته على الثاني وقوله على
أن الله سيجمعهم أي من كان على عقيدته منهم ومن لم يكن لشر يوم يكون لبني أمية وشبه جمعهم وتأليفه بينهم بجمع قزع السحاب في
الخريف لتراكمهم بذلك الجمع كتراكم ذلك القزع ووجه الشبه الاجتماع بعد التفرق والأبواب التي يفتحها لهم إشارة إما إلى وجوه الآراء التي
تكون أسباب الغلبة والانبعاث على الاجتماع أو أعم منها كسائر الأسباب للغلبة من إعانة بعضهم لبعض بالأنفس والأموال وغير ذلك
واستعار لخروجهم لفظ السيل وشبهه بسيل جنتي مأرب وهما جنتا سبأ المحكي عنهما في القرآن الكريم فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم
بجنتيهم جنتين الآية ووجه الشبه الشدة في الخروج وإفساد ما يأتون إليه كقوة ذلك السيل حيث لم يسلم عليه مرتفع من الأرض ولم يرده طود
وجبل مرصوص أي شديد الالتصاق ثم قال يذعذعهم الله في بطون أوديته ثم يسلكهم ينابيع في الأرض وهو من ألفاظ القرآن
والمراد كما أن الله ينزل من السماء ماء فيكنه في أعماق الأرض ثم يظهر منها ينابيع إلى ظاهرها كذلك هؤلاء القوم يفرقهم الله في بطون الأودية
وغوامض الأرض ثم يظهرهم بعد الاختفاء فيأخذ بهم من قوم حقوق آخرين ويمكن قوما من ملك قوم وديارهم ثم أقسم ليذوبن ما في أيدي
بني أمية بعد علوهم وتمكنهم كما تذوب الألية على النار ووجه الشبه الفناء والاضمحلال ومصداق هذا الإخبار ما كان من أمر
الشيعة الهاشمية واجتماعها على إزالة ملك بني أمية من كان منهم ثابتا على ولاء علي وأهل بيته ومن حاد منهم عن ذلك في أواخر أيام مروان
الحمار عند ظهور الدعوة الهاشمية ثم عاد إلى توبيخ السامعين بالإشارة إلى سبب الطمع فيهم ممن دونهم في القوة والمنزلة وقوي عليهم
الإشارة إلى معاوية وأصحابه وذلك السبب هو تخاذلهم عن نصرة الحق وتضاعفهم عن إضعاف الباطل وهو في معرض التوبيخ واللائمة لهم ثم
شبه تيههم بمتاه بني إسرائيل ووجه الشبه تحيرهم في التعسف والذلة والمسكنة لهم حيث لم يجتمعوا على العمل بأوامر الله [illegible] بالتيه وضرب
عليهم الذلة والمسكنة ثم أخبرهم بمضاعفة أمرهم في التخاذل وهو إضعاف التيه والتفرق بعده لانقطاعهم عن الحق ومقاطعة بعضهم [illegible]
وقربه من الرسول ص ووصلهم لمعاوية وغيره مع بعده عنه ثم أخذ في إرشادهم وجذبهم إلى اتباعه فقال إن اتبعتم الداعي وعنى نفسه
سلك بكم منهاج الرسول ص وطريقته وكفيتم مؤونة الاعتساف في طرق الضلال وألقيتم ثقل الأوزار في الآخرة عن أعناق نفوسكم
وظاهر كونها فادحة ويحتمل أن يريد بالثقل الفادح الآثام مع ما يلحقهم في الدنيا من الخطوب الفادحة بسبب عصيان الإمام
والخروج عن أمره وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** في أول خلافته إن الله سبحانه أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير
والشر فخذوا نهج الخير تهتدوا واصدفوا عن سمت الشر تقصدوا الفرائض الفرائض أدوها إلى الله تؤدكم إلى الجنة إن الله حرم حراما
غير مجهول وأحل حلالا غير مدخول وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها

اللهم

بماه

مع م

تقصدوا

فيه اعتذار تأخير قصاص عثمن

فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق ولا يحل اذى المسلم الا بما يجب بادروا امر العامة وخاصة احدكم وهو الموت فان الناس امامكم وان الساعة تحدوكم من خلفكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم آخركم اتقوا الله في عباده وبلاده فانكم مسؤلون حتى عن البقاع والبهائم اطيعوا الله ولا تعصوه واذا رايتم الخير فخذوا به واذا رايتم الشر فاعرضوا عنه **اقول** اصدفوا اعدلوا وتقصد وا تهتدوا ومعاقدها مواضعها وصدر الفصل بالتنبيه على فضيلة الكتاب في كونه هاديا الى طريق الخير والشر ثم امر باخذ طريق الخير لكونه طريق الهدى الى المطالب الحقيقية الباقية وبالاعراض عن طريق الشر وسمته لاستلزام الاعراض عنه لزوم طريق الحق والاستقامة فيه ثم امر باداء الفرائض لانها اقوى طرق الخير ولذلك قال تؤدكم الى الجنة لان الجنة منتهى الخير كله ثم بين ان الله حرم حراما غير مجهول بل هو في غاية الوضوح وكذلك احل حلالا غير مدخول اى لا عيب فيه ولا شبهة فلا عذر لمن ترك وفضل حرمة المسلم على كل حرمة لم يعرض من عرضه وماله وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها اى ربطها بهما فاوجب على المخلصين الموحدين المحافظة على حقوق المسلمين ومراعاتها مواضعها وقرن توحيده بتلك حتى صار فضلها كفضل التوحيد ثم عرف المسلم ببعض صفات المسلم الحق وهو من سلم المسلمون من يده ولسانه الا ان تكون يده بحق ولسانه بحق وهو لفظ الخبر النبوي ثم قوله لا يحل اذى المسلم الا بالحق اورده تاكيدا ثم عقب بتنبيههم على امر العامة وخاصة احدهم وهو الموت اى ذلك الامر هو الموت وانما كان مع عمومه لكل الحيوان خاصة احدهم لان له مع كل شخص خصوصية وكيفية تخالف ما له مع غيره وامرهم بمبادرته اى بمبادرة العمل له ولما بعده قبل سبقه اليهم ونبههم على ان الناس امامهم اى قد سبقوهم الى الآخرة وان الساعة تحدوهم من خلفهم وامرهم بالتخفيف الحاقا بهم بهم وحثهم على ذلك بقوله فانما ينتظر باولكم آخركم اى للسابقين الى الآخرة للاحقين منكم لتبعث الكل جميعا وقد سبقت الاشارة هذه الالفاظ بعينها وشرحها مستوفى ثم امرهم بتقوى الله في عباده بلزوم خوفه في مراعاة ما ينبغي لكل حال مع غيره وفي بلاده المهالك في الارض ونبه على وجوب ذلك باستيعاب كل عمل وان قل للسؤال عنه ومناقشة الحساب عليه حتى عن البقاع فيقال لم استوطنتم هذا المكان وزهدتم في ذلك وعن البهائم فيقال لم ضربتم هذه وقتلتم هذه ولم اجعتموها والى الاشارة بقوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون وقوله ولتسئلن يومئذ عن النعيم قيل هو شبع البطن وبارد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق وقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا فيقال له اشغلت قلبك وسمعك وفي الخبر الصحيح النبوي ان الله عذب انسانا في هرة حبسها في بيت واجاعها حتى هلكت ثم اجمل القول بعد تفصيله وامر بطاعة الله ونهى عن معصيته وارشد الى الاخذ بالخير عند معرفته والاعراض عن الشر عند رؤيته

ومن كلام له عليه السلام بعدما بويع بالخلافة وقد قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوما ممن اجلب على عثمن فقال يا اخوتاه اني لست اجهل ما تعلمون ولكن كيف لي بقوة والقوم المجلبون على حد شوكتهم يملكوننا ولا نملكهم وها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم والتفت اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤا وهل ترون موضعا لقدرة على شيء تريدونه وان هذا الامر امر جاهلية وان لهؤلاء القوم مادة ان الناس من هذا الامر اذا حرك على امور فرقة ترى ما ترون وفرقة ترى ما لا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا فاصبروا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق مسمحة فاهدؤا عني وانظروا ماذا ياتيكم به امري ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة وتسقط منة وتورث وهنا وذلة وسامسك الامر ما استمسك واذا لم اجد بدا فآخر الدواء الكي **اقول** اجلب عليه جمع وشوكتهم قوتهم والعبدان بتشديد الدال وتخفيفها وكسر العين وضمها جمع عبد والتفت انضمت ويسومونكم يكلفونكم ومسمحة مسهلة والالف في اخوتاه هي المنقلبة عن ياء النفس المضاف اليه والهاء للسكت واعلم ان هذا الكلام اعتذار منه في تاخير القصاص من قتلة عثمن وقوله اني لست اجهل ما تعلمون دليل على امكان ذلك في نفسه وحاصل هذا العذر عدم التمكن كما ينبغي ولذلك قال وكيف لي بقوة والقوم على حد شوكتهم وصدق قوله ظاهر فان اكثر اهل المدينة كانوا من المجلبين عليه وكان من اهل مصر ومن الكوفة خلق عظيم حضروا من بلادهم وقطعوا المسافة البعيدة لذلك وانضم اليهم اعراب اجلاف من البادية وعبدان المدينة فكانوا في غاية من شدة الشوكة حال اجتماعهم وثائرة ثورة واحدة ولذلك قال وانهم يجتمعون الى قوله يسومونكم ما شاؤا وروي انه جمع الناس ووعظهم ثم قال لتقم قتلة عثمن فقام الناس باسرهم الا القليل وكان ذلك الفعل منه استشهادا على صدق قوله والقوم على حد شوكتهم ومع تحقق هذه الحال لا يبقى موضع قدرة على شيء من امرهم ثم قال على سبيل قطع لجاج الطالبين مطالبا مخاطبا لهم ان هذا الامر امر الجاهلية اى امر المجلبين عليه اذ لم يكن قتلهم اياه بمقتضى الشريعة اذ الصادر عنه من الاحداث لا يجب فيها قتل وان لهؤلاء مادة اى معينين وناصرين ثم قسم حال الناس على تقدير الشروع في امر القصاص الى ثلثة اقسام وهو احتجاج منه على الطالبين وتضعيف لرايهم بقياس ضمير من الشكل الاول مركب من شرطيتين متصلتين صغراهما قوله ان هذا الامر اذا حرك كان الناس فيه على امور وتقدير الكبرى واذا كان الناس فيه على امور لم تتمكن من اتمامه وفعله فينتج ان هذا الامر اذا حرك لا يتم فعله ثم عدد تلك الامور وهي ان فرقة ترى

كونه مصيباً كما رأى الطالبون وفرقة ترى انه مخطئ وهما نصا القصاص منهم وفرقة لا ترى هذا ولا ذاك بل تتوقف كما جرى ذلك في امر
التحكيم ثم امرهم بالصبر الى غاية مهلة تهدأ الناس ثم تبين لهم انه لا مصلحة في تحريك الامر فان الحقوق عند هدوء الناس واستقرار
القلوب اسهل ماخذا وقوله فاهدأوا عني وانظروا ماذا يأتيكم به من امري يدل على ترصده وانتظاره للفرصة من هذا الامر ثم خوفهم
من الاستعجال بفعل يضعف شوكة الدين ويورث وهنه فانه لو شرع في عقوبة الناس والقبض عليهم لم يؤمن من تجدد فتنة اخرى
اعظم من الاولى وهو غالب الظن فكان الاصوب في التدبير والذي يقتضيه العقل والشرع الامساك الى حين سكون الفتنة وتفرق
اوشاب الشعوب ورجوع كل قوم الى بلادهم وربما كان ع ينتظر مع ذلك ان يحضر بنو عثمن للطلب بدمه ويعينون قوما باعيانهم بعضهم
للقتل وبعضهم للحصار كما جرت عادة المتظلمين الى الامام ليتمكن من العمل بحكم الله فلم يقع الامر كذلك وعصى معوية واهل الشام والتجاء
اليه ورثة عثمن وفارقوا حوزة امير المؤمنين ع ولم يطلبوا القصاص طلبا شرعيا وانما طلبوه مغالبة وجعلها معوية عصبية جاهلية
ولم يأت احد منهم الامر من بابه وقبل ذلك ما كان من امر طلحة والزبير ونقضهما البيعة ونهبهما اموال المسلمين بالبصرة وقتلهما الصالحين
من اهلها وكل تلك الامور التي جرت مانعة للامام عن التصدي للقصاص ولذلك قال ع لمعوية في بعض كلامه فاما طلبك بدم
عثمن فادخل في الطاعة وحاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله وسنة رسوله فاما قوله وسامسك الامر ما استمسك الى آخره
فاعلم ان هذا الكلام انما صدر عنه ع بعد اكثار القول عليه في امر عثمن واضطراب الامر من قبل طلحة والزبير ونكثهما بسبب الشبهة للبيعة
مع كونهما من اكابر الصحابة وتشتت قلوب كثيرة من المسلمين عنه ع اشار بعض الصحابة باخذ القصاص من قتلة عثمن تسكينا للفتنة
طلحة والزبير ومعوية لغلبة الظن ع بحال الفتنة واضطراب امر الشام فقال الكلام اى قد ابديت هذا العذر فان لم يقبلوا امضي في سبيل مسلك
الامر اي امر الخلافة بجهدي فاذا لم اجد بدا اي من قتال من بغى وسيكت فاخر الدواء الكي اي الحرب والقتال لانها الغاية التي ينتهي
امر العصاة اليها ومداواة امراض قلوبهم كما ينتهي مداواة المريض الى ان يكوى وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

عِنْدَ مَسِيرِ أَصْحابِ الْجَمَلِ إِلَى الْبَصْرَةِ إِنَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولاً هادِياً بِكِتابٍ ناطِقٍ وَأَمْرٍ قائِمٍ لا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلّا هالِكٌ وَإِنَّ الْمُبْتَدَعاتِ الْمُشَبَّهاتِ
هُنَّ الْمُهْلِكاتُ إِلّا ما حَفِظَ اللهُ وَإِنَّ في سُلْطانِ اللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ فَأَعْطُوهُ طاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلا مُسْتَكْرَهٍ بِها وَاللهِ لَتَفْعَلُنَّ
أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللهُ عَنْكُمْ سُلْطانَ الْإِسْلامِ ثُمَّ لا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً حَتّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلى غَيْرِكُمْ إِنَّ هؤُلاءِ قَدْ تَمالَؤُوا عَلى سَخْطَةِ
إِمارَتي وَسَأَصْبِرُ ما لَمْ أَخَفْ عَلى جَماعَتِكُمْ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلى فَيالَةِ هذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظامُ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّما طَلَبُوا هذِهِ الدُّنْيا
حَسَداً لِمَنْ أَفاءَها اللهُ عَلَيْهِ فَأَرادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلى أَدْبارِها وَلَكُمْ عَلَيْنا الْعَمَلُ بِكِتابِ اللهِ وَسِيرَةِ رَسُولِهِ وَالْقِيامُ بِحَقِّهِ وَالنَّعْشُ النعش ر.
لِسُنَّتِهِ **اقول** يأرز ينحاز وينقبض تمالؤوا اجتمعوا والفيالة الضعف والنعش الرفع وقوله ان الله بعث الى قوله هالك تنبيه
للفضل بالامور الجامعة للمسلمين التي هي اصول دولتهم ونبه كثيرهم بها ليرجعوا اليها وامر قائم مستقيم وقوله لا يهلك عنه الا هالك اي
لا يهلك من مخالفته الا اعظم هالك كما يقال لا يعلم هذا الفن من العلم الا عالم اي من بلغ الغاية من العلم وقوله وان المبتدعات المشبهات هن
المهلكات الا ما حفظ الله لما خالفها الكتاب والسنة الجامعين لحدود الله وحفاظها ولزوم الهلاك الاخروي عنه وقوله الا ما حفظ الله استثناء
من المهلكات اي الا ما حفظ الله منها بالعصمة عن ارتكابها اذ لا تكون مهلكة الا لمن ارتكبها والمشبهات ما اشبه السنن وليس منها وروي
المشبهات بتشديد الباء وفتحها وهو ما شبه على الناس ولبس وروي المشتبهات اي الملتبسات وسلطان الله هو سلطان الاسلام وفي نسخة
واراد سلطان دين الله ويحتمل ان يريد بسلطان الله نفسه لكونه خليفة له في ارضه وانما اضافها اليه اعزازا به وظاهر انه منعة وعصمة لهم منعه
فان الذي يضرهم وهم قليلون حتى يتوهم بنا الاولى انه يضرهم على كثرتهم ثم شرط طاعته في العضد والدخول في امر سلطانه ولذلك قال فاعطوه
طاعتكم غير ملومة اي غير ملوم صاحبها بالنسبة الى النفاق والرياء ولا مستكره عليها وروي غير ملوية اي معوجة ثم اكد في وعيدهم ان لم يطيعوه
بنقل الله عنهم سلطان الاسلام من غير ان يرده اليهم ابدا حتى يصير الامر الى غيرهم واراد الخلافة ثم ان جعلنا حتى ومابعدها غاية لنقل السلطان
عنهم لم يبعد منها عوده اليهم وان جعلناها غاية من عدم نقله اليهم فهم منها ذلك فان قلت لم قال لا يرجع اليهم ابدا وقد عاد بالدولة العباسية
قلت اجيب من وجوه الاول ان القوم الذين خاطبهم من اصحابه بهذا الخطاب لم ترجع الدولة اليهم ابدا فان اولئك بعد انقضاء دولة بني امية لم يبق
منهم احد ثم لم يرجع الى احد من اولادهم اصلا الثاني انه قيد بالغاية فقال لا يصير اليكم حتى يصير في قوم اخرين وقد انتقل بانتقاله الى بني امية الثالث
قال بعض الشارحين انما قال لان الشرط لم يقع وهو عدم الطاعة فان اكثرهم اطاعه طاعة غير ملومة ولا مستكره بها الرابع قال قوم اراد بقوله
ابدا المبالغة كما تقول لغريمك لاحبسنك ابدا والمراد بالقوم الذين يارز اليهم هذا الامر بنوامية كانوا لواقع وقوله ان هؤلاء قد تمالؤوا اشارة الى
طلحة والزبير وعايشة واتباعهم واومى الى ان مسيرهم لسخطهم من امارته الا ما اظهروه من الطلب بدم عثمن ثم وعد بالصبر عليهم ما دام لا يخاف
على حوزة الجماعة واخبر انهم ان بقوا على ضعف رأيهم في مسيرهم ومخالفتهم قطعوا نظام المسلمين وفرقوا جماعتهم وقوله انما طلبوا الى قوله
عليه بيان لعلة سخطهم لامارته وهي الحسد على الدنيا لمن افاءها الله عليه والاشارة الى نفسه الرسول ص وقوله فارادوا رد الامور على ادبارها

كلام من بعيع كليب قبل وقعة الجمل

اي ارادوا الخروج عن هذا الامر يعني امر اهل بيت الرسول لخرجنا اخرجوه اولا او صرفوا هذا الامر عنهم بعد ما قبلنا الذي كان علينا من ديارة عنهم ثم اخبرهم انه عليه

الحق ان اطاعوه الطاعة غير المدخولة وهي ان يعمل فيهم بكتاب الله وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله والقيام بحقوقه التي اوجبها واقامة سننه وذلك هو

الواجب على الامام وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** قاله لكليب الجرمي قبل وقعة الجمل بايع فقال اني رسول قوم ولا احدث

حدثا دونهم حتى ارجع اليهم فقال له ارأيت لو ان الذين وراءك بعثوك رائدا تبتغي لهم مساقط الغيث فرجعت اليهم واخبرتهم عن

الكلاء والماء فخالفوا الى المعاطش والمجادب ما كنت صانعا قال كنت تاركهم ومخالفهم الى الكلاء والماء فقال له عليه السلام فامدد

اذن يدك فقال الرجل فوالله ما استطعت ان امتنع عند قيام الحجة علي فبايعته عليه السلام **اقول** الجرمي منسوب الى بني جرم وكان

من قوم من اهل البصرة بعثوه اليه ليستعلم حاله هو على حجة ام على شبهة فلما رآه وسمع لفظه لم يتخالجه شك في صدقه فبايعه وكان

بينهما الكلام المنقول ولا الطف من التمثيل الذي جذبه به فالاصل في هذا التمثيل هو حال الرائد المخاطب وحكم انه الماء والكلاء على تقدير كونه

رائدا لهما والفرع هو حال النبي وحكم انه للعلم والفضائل والهداية عنده والحكم في الاصل هو مخالفة اصحابه الى الماء والكلاء على تقدير

وحكم انه لهما ومخالفة اصحابه له وعلة ذلك الحكم في الاصل هو وجدانه للكلاء والماء ولما كان المشبه لهذه العلة هو وجدانه للفضائل في

العلوم التي هي غذاء النفوس ومادة حياتها كما ان الكلاء والماء غذاء الابدان ومادة حياتها وجب لهذا الرائد في الفرع وهو حال الرجل

انه للعلم والفضل والهداية وجب عن تلك العلة مثل الحكم في الاصل وهو مخالفة اصحابه الى الفضل والعلم والهداية عنده ولزوم ان يبايع

ولذلك قال فامدد يدك اذن وهو تمثيل لا تكاد النفس السليمة عند سماعه ان تقف دون الانفعال عنه والاذعان له ولذلك اقسم

الرجل انه لم يستطع الامتناع عند قيام هذه الحجة فبايع وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما عزم على لقاء القوم بصفين اللهم رب

السقف المرفوع والجو المكفوف الذي جعلته مغيضا لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ومختلفا للنجوم السيارة وجعلت

سكانه سبطا من ملائكتك لا يسأمون من عبادتك ورب هذه الارض التي جعلتها قرارا للانام ومدرجا للهوام والانعام

وما لا يحصى مما يرى وما لا يرى ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للارض اوتادا وللخلق اعتمادا ان اظهرتنا على عدونا فجنبنا

البغي وسددنا للحق وان اظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة اين المانع للذمار والغائر عند نزول الحقائق

من اهل الحفاظ العار وراءكم والجنة امامكم **اقول** مغيضا لهما اي مغيبا والسبط القبيلة وقد دعا الله سبحانه باعتبار كونه ربا للسماء

والارض وباعتبار ما فيهما من الآيات لينبه على كمال عظمته وعظيم لطفه بخلقه وهذا الدعاء مما تستعد به القلوب والابدان لاستفاضة الغلبة

والنصر على العدو والسقف المرفوع السماء وكذلك الجو المكفوف وقد مرت الاشارة الى ذلك في الخطبة الاولى وكونه مغيضا لليل والنهار

لان الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس الى وجه الارض يكون سببا لغيبوبة الليل واستلزام حركته لحركتها عن وجه الارض يكون سببا لغيبوبة

النهار فكان كالمغيض لهما فاستعار لفظ المغيض وكونه محلا لجري الشمس والقمر ومحل اختلاف النجوم السيارة ظاهر فلبس فيه دلالة على ان

النجوم تتحرك فيه بل انها من دون حركته والطائفة من الملائكة اشارة الى الارواح الفلكية المحركة لاجرامها وقد سبقت الاشارة اليهم وبيان

انهم لا يسأمون من الخطبة الاولى ثم دعاه باعتبار كونه ربا للارض وباعتبار ما بسطها لاجله من كونها قرارا للانام ومدرجا للهوام والانعام

وما لا يحصى مما يرى ولا يرى من انواع الحيوان قال بعض العلماء من اراد ان يعرف حقيقة قوله ما يرى وما لا يرى فليوقد نارا صغيرة

في فلاة في ليلة صيفية وينظر ما يجتمع عليها من غرائب انواع الحيوان العجيبة الخلق لم يشاهدها هو ولا غيره واقول يحتمل ان يريد بقوله وما

لا يرى ما ليس من شأنه ان يرى اما لصغره او لطافته ثم باعتبار كونه ربا للجبال وقد علمت معنى كونها اوتادا للارض فاما كونها اعتمادا للخلق

فلانهم قد يبنون بها المساكن ويقوم فيها من المنافع ما لا يقوم في الاودية لكثير من الاشجار والثمار ولانها معادن الينابيع ومنابع المعادن

اذن معتمد للخلق في مرافقهم ومنافعهم ثم سأل على تقدير نصره ان يجنبه البغي وهو العبور الى طرف الافراط من فضيلة العدل لان النصر مظنة الاستشفاء

على فضيلة العدل وهو الحق وعلى تقدير اظهار عدوه عليه الشهادة والعصمة من فتنة الغير والانقهار فان المغلوب اذا كان معتقدا انه على الحق

قلما يسلم من التسخط على القضاء والتعتب على ربه وتقول كثير من الناس عند نزول البلاء بهم فكونه فتنة اي ضلالا عن الله ولذلك سأل العصمة

من تلك الفتنة وامثالها استثبانا لنفسه على الحق وتاديبا للسامعين ثم اخذ في الغادمان بتحضيض الاتباع اصحابه في الحرب كما رتبته

بحرها عليهم من الاستفهام عن حامي الذمار والذي تصيبه الغيرة من اهل المحافظة عند نزول الحقائق اي عظائم الامور وشدائدها

ثم قال النار وراءكم اي ان رجوعكم انهزاما وهربا من العدو مستلزم لدخولكم النار واستحقاقكم لها والجنة امامكم اي في اقدامكم على

العدو والتقدم الى منازلته وهو كلام في غاية الوجازة والبلاغة **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الذي لا توارى عنه سماء سماء

ولا ارض ارضا **اقول** حمد الله تعالى باعتبار احاطة علمه بالسموات والارضين واستلزام ذلك تنزيهه تعالى عن وصف المخلوقين اذ كانوا

في ادراكهم لبعض الاجرام السماوية والارضية محجوبين عما وراءها علمه تعالى هو المحيط بالكل الذي لا يحجبه السواتر ولا يخفى عليه السرائر

منها وقال لي قائل انك يا ابن ابي طالب على هذا الامر لحريص فقلت بل انتم والله لاحرص وابعد وانا اخص واقرب وانما طلبت

فيما يذكر جرى له يوم الشورى

بعد قول

خطا لي وانتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه فلما قرعته بالحجة في الملأ الحاضرين هب كأنه لا يدري ما يجيبني به اللهم إني
أستعديك على قريش ومن أعانهم فإنهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي أمرا هو لي ثم قالوا ألا إن في الحق
أن نأخذه وفي الحق أن نتركه **أقول** هذا الفصل من خطبة يذكر فيها ما جرى له يوم الشورى بعد مقتل عمر والذي قال له
القول هو سعد بن أبي وقاص مع روايته فيه أنت مني بمنزلة هارون من موسى وهو محل التعجب فأجابه بقوله بل أنتم والله أحرص وأبعد
أي أحرص على هذا الأمر وأبعد من استحقاقه وهو في صورة احتجاج بقياس ضمير من الشكل الأول مسكت للقائل بل صغراه ما ذكر وتقدير كبراه وكل من كان
أحرص على هذا الأمر وأبعد منه فليس له أن يعير الأقرب إليه بالحرص عليه وقوله وأنا أخص وأقرب صغرى قياس ضمير احتج به على أولويته بطلب هذا
الأمر وتقدير كبراه وكل من كان أخص وأقرب إلى هذا الأمر فهو أولى بطلبه وروي أن هذا الكلام قال يوم السقيفة وأن الذي قال له إنك على
هذا الأمر لحريص هو أبو عبيدة بن الجراح والرواية الأولى أظهر وأشهر وروي عوض بهت هب أي تنبه كأنه كان غافلا لا ذاهلا عن الحجة فاستيقظ
من غفلته ثم أخذ في استعانته بالله على قريش ومن أعانهم عليه وشكا أمورا منها قطع رحمه فإنهم لم يراعوا قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومنها
تصغير عظيم منزلته بعدم التفاتهم إلى ما ورد من النصوص النبوية في حقه ومنها اتفاقهم على منازعته أمرا هو له أي الذي يرى أنه أحق به منهم و
قوله ثم قالوا إلى آخره أي إنهم لم يقتصروا على أخذ حقي ساكتين عن دعوى كونه حقا لهم ولكنهم أخذوه مع دعواهم أن الحق لهم وأنه يجب علي
أن أترك المنازعة فيه فليتهم أخذوه معترفين أنه حقي فكانت المصيبة أهون وروي نأخذه ونتركه بالنون في الكلمتين وعليه نسخة الرضي
والمراد إنا نتصرف فيه كما نشاء بالأخذ والترك دونك وهذه شكاية يتظاهر لا تأويل فيها **منها** في ذكر أصحاب الجمل فخرجوا يجرون
حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما تجر الأمة عند شرائها متوجهين بها إلى البصرة فحبسا نساءهما في بيوتهما وأبرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما في
جيش ما منهم رجل إلا وقد أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعا غير مكره فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها فقتلوا
طائفة صبرا وطائفة غدرا فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلا واحدا معتمدين لقتله بلا جرم جره لحل لي قتل ذلك الجيش كله إذ
حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد دع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم **أقول** حرمة الرجل جناه و
مقصود الفصل إظهار عذره في قتال أصحاب الجمل وذكر لهم ثلث كبائر من الذنوب تستلزم إباحة قتالهم وقتلهم الأولى خروجهم بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله
وحبيسه يجرونها كما تجر الأمة عند شرائها مع حبسهما لنسائهما ومخالفتهما [illegible] وضمير التثنية في حبسا لطلحة والزبير ووجه الشبه
انتهاك الحرمة وتعريضها في إخراجها وفي ذلك جرأة على رسول الله صلى الله عليه وآله وروى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوما لنسائه وهن
عنده جميعا ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثير كلهم في النار وتنجو بعد ما كادت
وروى حميد بن حبيب بن عمير قال لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة طرقت ماء الحوأب وهو ماء لبني عامر بن صعصعة فنبحتهم
الكلاب فنفرت صعاب إبلهم فقال قائل منهم لعن الله الحوأب فما أكثر كلابها فلما سمعت عائشة ذكر الحوأب قالت أهذا ماء الحوأب قال نعم فقالت
ردوني ردوني فسألوها ما شأنها وما بدا لها قالت إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول كأني بكلاب الحوأب قد نبحت بعض نسائي ثم قال لي يا حميراء إياك
أن تكونيها فقال الزبير مهلا يرحمك الله فإنا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة فقالت أعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على
ماء الحوأب فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابيا جعلا لهم جعلا فحلفوا لها وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوأب فكانت هذه
أول شهادة زور عملت في الإسلام فسارت عائشة لوجهها فأما قوله في الخبر وتنجو بعد ما كادت فقالت الإمامية معناه تنجو من القتل بعد
ما كادت أن تقتل وقالت السنة معناها تنجو من النار بالتوبة بعد ما كادت أن تدخلها بما فعلت الثانية نكثهم لبيعته وخروجهم عليه
بعد الطاعة في جماعة ما منهم إلا من أخذ بيعته الثالثة قتلهم لعامله بالبصرة وخزان بيت مال المسلمين بها بعضهم صبرا أي بعد الأسر حبس
وغدرا أي بعد إعطائهم الأمان وخلاصة القصة ما روي أن طلحة والزبير وعائشة لما انتهوا في مسيرهم إلى حفر أبي موسى قريبا من البصرة كتبوا
إلى عثمن بن حنيف الأنصاري وهو يومئذ عامل علي عليه السلام على البصرة أن أخل لنا دار الإمارة فلما قرأ كتابهم بعث إلى الأحنف بن قيس وإلى حكيم
بن جبلة العبدي فأقرأهما الكتاب فقال الأحنف إنهم إن جاءوا إليه الطلب بدم عثمن وهم الذين ألبوا على عثمن وسفكوا دمه وأراهم والله
لا يزايلونا حتى يلقوا العداوة بيننا ويسفكوا دماءنا وأظنهم سيركبون منك خاصة ما لا قبل لك به والرأي أن تتأهب لهم بالنهوض
إليهم فيمن معك من أهل البصرة فإنك اليوم الوالي عليهم وأنت فيهم مطاع فسر إليهم بالناس وبادرهم قبل أن يكونوا معك في دار واحدة
فيكون الناس لهم أطوع منهم لك وقال حكيم مثل ذلك فقال عثمن بن حنيف الرأي ما رأيتما لكني أكره الشر وأن أبدأهم به وأرجو العافية
والسلامة إلى أن يأتيني كتاب أمير المؤمنين ورأيه فأعمل به فقال له حكيم فأذن لي حتى أسير إليهم بالناس فإن دخلوا في طاعة أمير
المؤمنين وإلا نابذتهم على سواء فقال عثمن ولو كان ذلك لي لسرت إليهم بنفسي فقال حكيم أما والله لئن دخلوا عليك هذا المصر لينقلن
قلوب كثير من الناس إليهم وليزيلنك عن مجلسك هذا وأنت أعلم فأبى عليه عثمن ثم كتب علي عليه السلام إلى عثمن بن حنيف لما بلغه مسير القوم
إلى البصرة من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عثمن بن حنيف أما بعد فإن البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا إلى مصرك وساقهم الشيطان

فقتلوا
عليهم
لينتقلن

فيه ما جرى يوم الشورى

للطلب الا برضى الله بيوا تقوا ... باسا واشد تنكيلا فاذا اتوا عليك فادعهم الى الطاعة والرجوع الى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا عليه
فان اجابوا فاحسن جوارهم ما داموا عندك وان ابوا الا التمسك بحبل النكث والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم
وهو خير الحاكمين وكتبت كتابي هذا من الربذة وانا معجل المسير اليك ان شاء الله وكتب عبيد الله بن ابي رافع في سنة ست وثلثين فلما
وصل الكتاب الى عثمن بعث ابا الاسود الدؤلي وعمران بن الحصين اليهم فدخلا على عائشة فسألاها عما جاء بهم فقالت القيا طلحة والزبير
فقاما ولقيا الزبير فكلماه فقال جئنا لنطلب بدم عثمن وندعو الناس ان يردوا امر الخلافة شورى ليختار الناس لانفسهم فقالا له ان
عثمن لم يقتل بالبصرة لتطلب دمه فيها وانت تعلم قتلة عثمن واين هم وانك وصاحبك وعائشة كنتم اشد الناس عليه واعظمهم اغراء بدمه
فاقيدوا من انفسكم واما اعادة امر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم عليا طائعين غير مكرهين وانت يا ابا عبد الله لم يبعد العهد بقيامك
دون هذا الرجل يوم مات رسول الله ص وانت اخذ قائم سيفك تقول ما احد احق بالخلافة منه وامتنعت من بيعة ابي بكر فاين ذلك
الفعل من هذا القول فقال لهما اذهبا الى طلحة فقاما الى طلحة فوجداه خشن الملمس شديد العريكة قوي العزم في اثارة الفتنة فانصرفا
الى عثمن بن حنيف فاخبراه بما جرى وقال له ابو الاسود يا ابن حنيف قد اتيت فانفر وطاعن القوم وجالدهم واصبر وابرز لهم مستلئما
وشمر فقال ابن حنيف اي والحرمين لافعلن وامر مناديه فنادى في الناس السلاح السلاح فاجتمعوا اليه واقبلوا حتى انتهوا الى
المربد فملأه مشاة وركبانا فقام طلحة فاشار الى الناس بالسكوت ليخطب فسكتوا بعد جهد فقال اما بعد فان عثمن بن عفان
كان من اهل السابقة والفضيلة ومن المهاجرين الاولين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ونزل القران ناطقا بفضلهم واحد الائمة
الوالين عليكم بعد ابي بكر وعمر صاحبي رسول الله ص وقد كان احدث احداثا نقمناها عليه فاتيناه واستعتبناه فاعتبنا فعدا عليه
امرؤ ابتز هذه الامة امرها غصبا بغير رضى ولا مشورة فقتله وساعده على ذلك قوم غير اتقياء ولا ابرار فقتل محرما بريا تائبا وقد
جئنا ايها الناس نطلب بدمه وندعوكم الى الطلب بدمه فان نحن امكننا الله من قتلته قتلناهم به وجعلنا هذا الامر شورى بين المسلمين
وكانت خلافة رحمة للامة جميعا فان كل من اخذ الامر من غير رضى من العامة ولا مشورة منها ابتزازا كان ملكه ملكا عضوضا وحدثا (نسخه)
كبيرا ثم قام الزبير فتكلم بمثل كلام طلحة فقام اليهما ناس من اهل البصرة فقالوا لهما الم تبايعا عليا فيمن بايعه ففيم بايعتما ثم نكثتما فقالا
ما بايعناه وما لاحد في اعناقنا بيعة وانما استكرهنا على بيعته فقال ناس قد صدقا ونطقا بالصواب وقال اخرون ما صدقا ولا اصابا
حتى ارتفعت الاصوات فاقبلت عائشة على جملها فنادت بصوت مرتفع ايها الناس اقلوا الكلام واسكتوا فاسكت الناس لها فقالت ان
امير المؤمنين عثمان قد كان غير وبدل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قتل مظلوما تائبا وانما نقموا عليه ضربه بالسوط وتاميره الشبان
وحمايته موضع الغمامة فقتلوه محرما في حرمة الشهر وحرمة البلد ذبحا كما يذبح الجمل الا وان قريشا رمت غرضها بنبالها وادمت افواهها
بايديها وما نالت بقتلها اياه شيئا ولا سلكت به سبيلا قاصدا اما والله ليرونها بلايا عقيمة تنبه النائم وتقيم الجالس وليسلطن
عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم سوء العذاب ايها الناس انه ما بلغ من ذنب عثمن ما يستحل به دمه مصتموه كما يماص الثوب الرحيض
ثم عدوتم عليه فقتلتموه بعد توبته وخروجه من ذنبه وبايعتم ابن ابي طالب بغير مشورة من الجماعة ابتزازا وغصبا اتروني اغضب
لكم من سوط عثمن ولسانه ولا اغضب لعثمن من سيوفكم الا ان عثمن قتل مظلوما فاطلبوا قتلته فاذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثم اجعلوا
الامر شورى بين الرهط الذين اختارهم امير المؤمنين عمر بن الخطاب ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمن قال فماج الناس واختلطوا
فمن قائل يقول القول ما قالت ومن قائل يقول وما هي من هذا الامر انما هي امرأة مأمورة بلزوم بيتها وارتفعت الاصوات وكثر
اللغط حتى تضاربوا بالنعال وتراموا بالحصا ثم تمايز الناس فرقتين فرقة مع عثمن بن حنيف وفرقة مع طلحة والزبير ثم اقبل من المربد يريد
ان عثمان بن حنيف فوجدوه واصحابه قد اخذوا بافواه السكك فمضوا حتى انتهوا الى مواضع الدباغين فاستقبلهم اصحاب ابن حنيف
فشجرهم طلحة والزبير واصحابهما بالرماح فحمل عليهم حكيم بن جبلة فلم يزل هو واصحابه يقاتلونهم حتى اخرجوهم من جميع السكك ورماهم النساء من
فوق البيوت بالاحجار فاخذوا الى مقبرة بني مازن فوقفوا بها مليا حتى ثابت اليهم خيلهم ثم اخذوا على مسناة البصرة
حتى انتهوا الى الزابوقة ثم اتوا سبخة دار الرزق فنزلوها فاتاهما عبد الله بن حكيم التميمي لما نزلا السبخة بكتب كتباها اليه فقال لطلحة
يا ابا محمد اما هذه كتبك الينا فقال بلى فقال فكتبت امس تدعونا الى خلع عثمن وقتله حتى اذا قتلته اتيتنا ثائرا بدمه فلعمري ما هذا
رايك ولا تريد الا هذه الدنيا مهلا اذا كان هذا رايك فلم قبلت من علي ما عرض عليك من البيعة فبايعته طائعا راضيا ثم نكثت بيعتك
ثم جئتنا لتدخلنا في فتنتك فقال ان عليا دعاني الى بيعته بعدما بايع الناس فعلمت اني لو لم اقبل ما عرضه علي لم يتم لي ثم يغري
بي من معه اصبحا من غد فصفا للحرب وخرج اليهما عثمن في اصحابه فناشدهما الله والاسلام واذكرهما بيعتهما ثلثا فشتماه شتما قبيحا
وذكرا امه فقال للزبير اما والله لولا صفية ومكانها من رسول الله ص فانها ادنتك الى الظل وان الامر بيني وبينك يا ابن الصعبة
يعني طلحة اعظم من القول لاعلمتكما من امركما ما يسوءكما اللهم اني قد اعذرت الى هذين الرجلين ثم حمل عليهم واقتتل الناس قتالا شديدا

ثم تحاجزوا واصطلحوا على ان يكتب بينهم كتاب صلح هذا ما اصطلح عليه عثمن بن حنيف الانصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة علي بن ابيطالب وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما ان لعثمن بن حنيف الانصاري دار الامارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر وان لطلحة والزبير ومن معهما ان ينزلوا حيث شاؤا من البصرة ولا يضار بعضهم بعضا في طريق ولا سوق ولا فرضة ولا مشرعة ولا مرفق حتى يقدم امير المؤمنين علي بن ابيطالب فان احبوا دخلوا فيما دخلت فيه الامة وان احبوا الحق كل قوم بهواهم وما احبوا من قتال او سلم او خروج او اقامة وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه واشد ما اخذه على نبي من انبيائه من عهد وذمة وختم الكتاب ورجع عثمان حتى دخل دار الامارة وامر اصحابه ان يلحقوا باهلهم ويداووا جراحاتهم فمكثوا كذلك اياما ثم خاف طلحة والزبير من مقدم علي وهما على تلك القلة والضعف فراسلوا القبائل يدعونهم الى الطلب بدم عثمن وخلع علي ونفيه على ذلك الازد وضبة وقيس عيلان كلها الا الرجل والرجلين من القبيلة كرهوا امرهم فتواروا عنهم وبايعهما هلال بن وكيع ومن معه من بني عمرو بن تميم واكثر بني حنظلة وبني دارم فلما استوثق لهما امرهما خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر في اصحابهما وقد البسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالثياب فانتهوا الى المسجد وقت صلوة الفجر وقد سبقهم عثمان بن حنيف اليه واقيمت الصلوة فتقدم عثمن ليصلي بهم فاخره اصحاب طلحة والزبير فجاءت الشرط حرس بيت المال واخروا الزبير وقدموا عثمن فغلبهم اصحاب الزبير فقدموه واخروا عثمن فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع فصاح بهم اهل المسجد الا تتقون الله اصحاب محمد قد طلعت الشمس فغلب الزبير فصلى بالناس فلما انصرف من صلوته صاح باصحابه المستلحمين ان خذوا عثمن فاخذوه بعد ان تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما فلما اسر ضرب ضرب الموت ونتفت حاجباه واشفار عينيه وكل شعرة في راسه ووجهه واخذوا السيابجة وهم سبعون رجلا فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف الى عائشة فاشارت الى ابان ولد عثمان ان اضرب عنقه فان الانصار قتلت اباك واعانت على قتله فنادى عثمن يا عائشة ويا طلحة ويا زبير ان اخي سهل بن حنيف خليفة علي بن ابي طالب على المدينة واقسم بالله ان قتلتموني ليضعن السيف في بني ابيكم واهليكم ورهطكم ولا يبقي منكم احدا فكفوا عنه وخافوا من قوله فتركوه وارسلت عائشة الى الزبير ان اقتل السيابجة فانه قد بلغني الذي صنعوا بك قيل فذبحهم والله كما يذبح الغنم ولي ذلك عبد الله ابنه وهم سبعون رجلا وبقيت منهم بقية مستمسكون ببيت المال قالوا لا نسلمه حتى يقدم امير المؤمنين فسار اليهم الزبير في جيش ليلا فاوقع بهم واخذ منهم خمسين اسيرا فقتلهم صبرا فحكى ان القتلى من السيابجة يومئذ اربع مائة رجل وكان غدر طلحة والزبير بعثمن بن حنيف بعد عهدهم في بيعتهم على [illegible] وكانت السيابجة اول قوم ضربت اعناقهم من المسلمين صبرا وخيروا عثمن بن حنيف بين ان يقيم او يلحق بعلي فاختار الرحيل فخلوا سبيله فلحق بعلي ع فلما رآه بكى وقال له شيخا وجئتك امرد فقال علي ع انا لله وانا اليه راجعون قالها ثلثا فذلك معنى قوله فقدموا على عمالي بها وخزان بيت مال المسلمين الخ ثم اقسم ع انهم لو لم يصيبوا اي يقتلوا من المسلمين الا رجلا واحدا متعمدين قتله بغير جرم لحل لي قتل ذلك الجيش كله واو زائدة فان قلت المفهوم من هذا الكلام تعليل جواز قتله لذلك الجيش كله بعدم انكارهم للمنكر فهل يجوز قتل من لم ينكر المنكر قلت اجاب الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد عنه فقال انه يجوز قتلهم لانهم اعتقدوا ان ذلك القتل مباح مع انه مما حرمه الله فيجري ذلك مجرى اعتقادهم اباحة الزنا وشرب الخمر واجاب القطب الراوندي بان جواز قتلهم لدخولهم في عموم قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الاية وان هؤلاء القوم قد حاربوا رسول الله لقوله صلعم حربك يا علي حربي وهم سعوا في الارض بالفساد واعترض المجيب الاول عليه فقال الاشكال انما هو في تعليله لقتل الجيش المذكور بكونهم لم ينكروا على من قتل رجلا واحدا من المسلمين فالتعليل بعدم انكار المنكر لا بعموم الاية واقول الجواب الثاني اسد والاول ضعيف لان القتل وان وجب على من اعتقد اباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة كشرب الخمر والزنا فلم قلتم انه يجب على من اعتقد اباحة ما علم تحريمه من الدين بالتاويل كقتل هؤلاء القوم لمن قتلوا وخروجهم لما خرجوا له فان جميع ما فعلوه كان بتاويل لهم وان كان معلوم الفساد فظهر الفرق بين اعتقاد حل الخمر والزنا وبين اعتقاد هؤلاء لاجل ما فعلوه واما الاعتراض على الجواب الثاني فضعيف ايضا لان له ان يقول ان قتل المسلم الذي لا ذنب له عمدا اذا صدر من بعض الجيش ولم ينكروا الباقون مع تمكنهم وحضورهم وكان ذلك قرينة دالة على الرضا من جميعهم والراضي بالقتل شريك القاتل خصوصا اذا كان معروفا بصحبته والاتحاد به كاتحاد بعض الجيش ببعض فكان خروج ذلك الجيش على الامام العادل محاربة لله ورسوله وقتلهم لعامله وخزان بيت مال المسلمين ونهبهم له وتفريق كلمة اهل المصر وفساد نظامهم سعيا في الارض بالفساد وذلك عين مقتضى الاية وقوله دع الخ اي لو كان من قتلوه من المسلمين واحدا لحل لي قتلهم فكيف وقد قتلوا منهم عدة مثل عدتهم التي دخلوا بها البصرة وما تعبدية زائدة والمماثلة هنا في الكثرة وصدق ع فانهم قتلوا من اولياء وخزان بيت المال بالبصرة خلقا كثيرا كما ذكرناه على الوجه الذي ذكره بعضهم غدرا وبعضهم صبرا وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم

امين وحيه وخاتم رسله وبشير رحمته ونذير نقمته ايها الناس

فكتبت مر

وتقدم الزبير

فيه ذكر مدائح الرسول

إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه فإن شغب شاغب استعتب فإن أبى قوتل ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى يحضرها عامة الناس ما إلى ذلك سبيل ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها ثم ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار ألا وإني أقاتل رجلين رجلا ادعى ما ليس له وآخر منع الذي عليه أوصيكم بتقوى الله فإنها خير ما تواصى العباد به وخير عواقب الأمور عند الله وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر والصبر والعلم بمواضع الحق فامضوا لما تؤمرون به وقفوا عند ما تنهون عنه ولا تعجلوا في أمر حتى تتبينوا فإن لنا مع كل أمر تنكرونه غيرا ألا وإن هذه الدنيا التي أصبحتم تتمنونها وترغبون فيها وأصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له ولا الذي دعيتم إليه ألا وإنها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها وإن غرتكم منها فقد حذرتكم شرها فدعوا غرورها لتحذيرها وأطماعها لتخويفها وسابقوا فيها إلى الدار التي دعيتم إليها وانصرفوا بقلوبكم عنها ولا يخنن أحدكم خنين الأمة على ما زوي عنه منها واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه ألا وإنه لا يضركم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم ألا وإنه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر

أقول صدر هذا الفصل من مدائح الرسول صلى الله عليه وآله فشهادته بكونه أمينا على التنزيل من التحريف والتبديل لعصمته وشهادته بكونه خاتم النبيين وكونه بشيرا بحسن الثواب الجزيل ونذيرا بنقمته بالعذاب الوبيل وقوله تعالى إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ثم أردفه ببيان أحكام الأول بيان أحكام الذي هو أحق بهذا الأمر وهو الأحق بهذا الأمر أقوى الناس عليه فهو الأكمل قدرة على السياسة والأكمل علما بمواقعها وكيفياتها وكيفية تدبير المدن والحروب وذلك يستلزم كونه أنصح الناس والثاني أعلمهم بأوامر الله تعالى ونواهيه الأعلم بأوامر الله يستلزم الأعلم بأصول الدين وفروعه لبصيرته بالأعمال ومواضعها وبشرائطها أشد حفاظا على مراعاة حدود الله والعمل بها وذلك يستلزم كونه أزهد الناس وأعفهم وأعدلهم ولما كانت هذه الصفات مجتمعة لديه كان إشارة إلى نفسه وروي عوض أعلمهم الثاني في بيان حكم الشاغب للأمر بعد انعقاده بغيره وهو أنه يستعتب أي أنه يعاتب ويطلب منه العتبى والرجوع إلى الحق والطاعة بلين القول فإن أبى قوتل وذلك الحكم مقتضى قوله تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما الآية الثالث بيان كيفية انعقاد الإمامة بالإجماع فبين بقوله ولعمري إلى قوله فما إلى ذلك سبيل أن الإجماع لا يعتبر فيه دخول جميع الناس حتى العوام إذ لو كان ذلك شرطا لأدى إلى أن لا ينعقد إجماع قط فلم يصح إمامة أحد لتعذر اجتماع المسلمين بأسرهم من أطراف الأرض بل المعتبر في الإجماع اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد صلى الله عليه وآله على بعض الأمور وهم العلماء وقد كانوا بأسرهم مجتمعين حين بيعته فإن قلت احتجاجه بالإجماع لا يتعرض لنفي النص ولا لإثباته بل يجوز أن يكون النص موجودا وإنما احتج عليهم بالإجماع إنما احتج على القوم بالإجماع على بيعته ولو كان له مستند آخر من نص أو غيره لكان احتجاجه بالنص أولى فلم يعدل إلى دعوى الإجماع فليس لأحد منهم بعد انعقادها أن يرجع ولا لمن عداهم من العوام ومن غاب عنها أن يختار غير من أجمع هؤلاء عليه فإن قلت إنه لا اتفاقهم على العمل فيمن سبق من الأئمة ولأنه يحتمل أن يكون سكوته عنه لعلمه بأنه لا يلتفت إلى ذكره على تقدير وجوده لأنه لما لم يلتفت إليه في سبق الأمر حين موت الرسول صلى الله عليه وآله فبالأولى أن لا يلتفت إليه الآن وقد طال الأمد وبعد العهد فلم يكن في ذكره فائدة الرابع بيان من يجب قتاله وهو أحد رجلين الأول رجل خرج على الإمام العادل بعد تمام بيعته وادعى أن الإمامة حق له وقد ثبتت بالإجماع على غيره وأنها ليست له والثاني رجل خرج عن الإمام ولم يمتثل له في شيء من الأحكام والأول إشارة إلى أصحاب الجمل والثاني إلى معاوية وأصحابه ثم عقب بالوصية بتقوى الله وأنها خير زاد عند الله تستعقبه الآثار من حركاته وسكناته ولما كان كذلك كان خير ما تواصى به عباد الله وقوله وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة فجعله إعلاما لأصحابه بحكم البغاة من أهل القبلة على سبيل الإجمال والحوالة بالتفصيل على أوانه حال الحرب فقد كان الناس قبل حرب الجمل لا يعرفون كيفية قتال أهل القبلة ولا كيف السيرة فيهم إلى أن علموا ذلك منه وقد نقل عن الشافعي أنه قال لولا علي ما عرف شيء من أحكام أهل البغي وقوله ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر أي أهل البصائر والعقول الراجحة والصبر على المكاره وعن التسرع إلى الوساوس والعلم بمواضع الحق وذلك أن المسلمين عظم عندهم حرب أهل القبلة وأكبروه والمقدمون منهم عليه إنما أقدموا على خوف وحذر فنبه أن هذا العلم لا يدركه كل أحد بل من ذكره وروي العلم بفتح اللام وذلك ظاهر فإن حامل العلم عليه مدار الحرب وقلوب العسكر منوطة به فيجب أن يكون بالشرائط المذكورة ليضع الأشياء مواضعها ثم أمرهم بقواعد كلية يحتاج غيرهم إليها في الحرب وهي أن يمضوا فيما يؤمرون به ويقفوا عند ما ينهون عنه ولا يعجلوا في أمر إلى غاية أن يتبينوا ما يخبرهم ولا يسرعوا إلى إنكار أمر فعله أو يأمرهم به حتى يسألوه عن فائدته وبين أنه كان له عند كل أمر ينكرونه تغييرا أي قوة على التغيير إن لم يكن في ذلك الأمر مصلحة في نفس الأمر وفائدة أمرهم بالتثبت عند استنكار أمر أنه يحتمل أن لا يكون ما أنكروه منكرا في نفس الأمر فيحكمون بكونه منكرا لعدم علمهم بوجهه ويسرعون إلى إنكاره بلسان أو يد فيقعون في الخطأ قال بعض الشارحين ويحتمل أن قوله إن لنا عند كل أمر تنكرونه تغييرا إيماء إلى أنه ليس كعثمان في صبره على ارتكاب الناس لما كان ينهاهم عنه بل يغير كل ما ينكره المسلمون ويقتضي العرف والشرع تغييره ثم أخذ في التنفير عن الدنيا بأمور الأول التنفير عن تمنيها والرغبة فيها وعن الغضب لفوتها

فقوتل

عباد الله

إنا أرسلناك

أعلمهم

[illegible]

والوضع مجيء صوبها لكونها ليست الدار والمنزل الذي خلقوا له ودعوا اليه واستلزم ذلك التنفير والتنبيه على فنائها وزوالها واهمل له الثاني نفي عنها بفنائها عنهم وفنائهم عنها الثالث انه لا فائدة فيها فانها وان كانت لغرور والخداع بما فيها ما تعتقد خيرا كما لا فائدة فيها ما يفيد ذلك وهو الخير بما فيها من الآفات والتغيرات المتعددة شرا فينبغي ان يتركوا خيرها القليل لشرها الكثير واطماعها الحق بقول ليتباعدوا الى الخير الخالص والدار التي دعوا اليها وخلقوا لاجلها وينصرفوا بقلوبهم عنها اي يزهدوا الزهد الحقيقي فيها فان الزهد الظاهري مع الحنين اليها ذي منها عن حد كم غير منتفع وخص بالحنين لان الحنين اكثر ما يسمع من الاشد لان العادة ان تضرب في نوق فيكثر حنينها ودوي حنين بالخاء والجيم والحنين كالبكاء في الانف والزم بالزهد الحقيقي امر بالصبر على طاعة الله وعبادته والمحافظة على اوامركما يزهدوا فيها والزهد يكون حذف الموانع الداخلة والخارجية بالطاعة والعبادة يكون تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وهما جزءا الرياضة والسلوك لسبيل الله ورغب في الصبر على طاعة الله بان فيها استتمام نعمة الله وظاهرات تمام الله سبب عظيم لافاضة نعمة الدنيا وخيرة الاخرة ثم اكد الامر بالمحافظة على ما قام من الدين بانه لا مضرة في ترك شيء من الدنيا في تضييعها مع المحافظة على الدين لما في المحافظة على الدين من الخير الدائم التام الاخروي الذي لا نسبة لخير الدنيا اليه وبانه لا منفعة في المحافظة على ما فيها اي في الدنيا مع تضييع الدين واهماله وذلك امر معروف ثم ختم بالدعاء لهم ولنفسه بان الله يقلوبهم الى الحق اي الهامهم الطلب وهداهم اليه وجذبهم الى سلوك سبيله ثم الهامهم على طاعته وعن معصيته وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

في معنى طلحة بن عبيد الله قد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب وانا على ما قد وعدني ربي من النصر والله ما استعجل متجردا للطلب بدم عثمان الا خوفا من ان يطالب بدمه لانه مظنته ولم يكن في القوم احرص عليه منه فاراد ان يغالط بما اجلب فيه ليلتبس الامر ويقع الشك ووالله ما صنع في امر عثمان واحدة من ثلاث لئن كان ابن عفان ظالما كما كان يزعم لقد كان ينبغي له ان يوازر قاتليه وان ينابذ ناصريه ولئن كان مظلوما لقد كان ينبغي له ان يكون من المنهنهين عنه والمعذرين فيه ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له ان يعتزله ويركد جانبا ويدع الناس معه فما فعل واحدة من الثلاث وجاء بامر لم يعرف بابه ولم تسلم معاذيره **اقول** هذا الفصل من كلام قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير الى البصرة وتهديدهم له بالحرب وتهنئة عنه كف وزجر والمعذرين المخفف المعتذرين عنه وبالتشديد المظهرين للعذر مع انه لا عذر وركد سكن فقوله وقد كنت الى قوله النصر جواب لتهديدهم وقد مرت هذه الالفاظ بعينها مشروحة الا ان هناك واني على يقين من ربي وهنا وانا على ما وعدني ربي من النصر وذلك الذي هو عليه هو اليقين بالنصر على لسان الرسول صلى الله عليه وآله والواو في قوله وما اهدد للحال وكان تامة وقوله والله ما استعجل الى قوله ويقع الشك اشارة الى شبهتهم في الخروج الى البصرة وهي الطلب بدم عثمان ثم الى معارضة هذه الشبهة وهي ان خروجه لذلك ليس الا خوفا من ان يطالب بدمه لانه مظنة ذلك وقد مر الاشارة الى دخول طلحة في تحريض الناس على قتل عثمان وجمعهم في داره وروي انه منع الناس من دفنه ثلاثة ايام وان حكيم بن حزام وجبير بن مطعم استنجدا بعلي في دفنه فاقعد لهم طلحة في الطريق ناسا يرمونهم بالحجارة فخرج به نفر من اهله يريدون به حائطا في المدينة يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلما صار هناك رجم سريره وهموا بطرحه فارسل اليهم علي عليه السلام يكفهم عنه حتى دفن بحش كوكب وروي انه جادل في دفنه بمقابر المسلمين وقال ينبغي ان يدفن بدير سلع يعني مقابر اليهود وبالجملة فهو كما قال عليه السلام لم يكن في القوم احرص منه على قتله لكنه اراد ان يغالط بما اجلب فيه من الطلب بدمه ليلتبس الامر ويقع الشك في دخوله في قتله وقوله والله ما صنع في امر عثمان الى اخره صورة احتجاج عليه وقطع لعذره في الخروج والطلب بالدم بقياس شرطي منفصل وتقريره ان حاله في امر عثمان وخروجه في طلب دمه لا يخلو من امور ثلاثة فانه اما ان يعلم انه كان ظالما او يعلم انه كان مظلوما او يشك في الامرين ويتوقف فيهما فان كان الاول فقد كان الواجب عليه ان يساعد قاتليه ويوازرهم وينابذ ناصريه لوجوب انكار المنكر عليه وقد عكس الحال لانه نابذ قاتليه وثار في طلب دمه مع ناصريه ممن نوهم فيه ذلك وان كان الثاني فقد كان يجب عليه ان يكون ممن يكف الناس عنه ويعتذر عنه فيما فعل لوجوب انكار المنكر ايضا مع انه ممن وازر عليه الناس واظهر احداثه وعظمها كما هو المنقول المشهور عنه وان كان الثالث فقد كان الواجب عليه ان يعتزله ويسكن عن الخوض في امره ولم يفعل ذلك بل ثار في طلب دمه فكان في هذه الاحوال الثلاثة محجوجا في خروجه ونكثه للبيعة فانه انما جاء بامر من ذلك امر لا يعرف بابه اي وجه دخوله فيه ولم يسلم له فيه معاذيره وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

ايها الغافلون غير المغفول عنهم والتاركون المأخوذ منهم ما لي اراكم عن الله ذاهبين والى غيره راغبين كانكم نعم اراح بها سائم الى مرعى وبي ومشرب دوي انما هي كالمعلوفة للمدى لا تعرف ماذا يراد بها اذا احسن اليها تحسب يومها دهرها وشبعها امرها والله لو شئت ان اخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت ولكن اخاف ان تكفروا فيّ برسول الله صلى الله عليه وآله الا واني مفضيه الى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق ما انطق الا صادقا ولقد عهد الي بذلك كله وبمهلك من يهلك ومنجى من ينجو ومآل هذا الامر وما ابقى شيئا يمر على راسي الا افرغه في اذني وافضى به الي ايها الناس اني والله ما احثكم على

في ذكر المواعظ والنصائح

طاعة الله وان تستهلكم الدنيا فانها كم عن معصيته الا وانما هي فتنكم فيها **اقول** السائم الراعي والوبي محل الوباء والدوي محل الداء والمدى جمع مدية وهي السكين والخطاب عام وكونهم غافلين اي عما يراد بهم من امر الآخرة وغير مغفول عنهم اي ان اعمالهم محصلة في اللوح المحفوظ وتاركين اي لما امروا به من الطاعة المأخوذ منهم اي منتقص من اعمارهم وقيل انهم الذين يؤخذ من مالهم ثم نبههم على ذهابهم عن الله وهو التفاتهم عن طاعته ورغبتهم في غيره وهو الحيوة الدنيا وزينتها ثم شبههم في ذلك بالنعم التي اراح بها راعيها الحرص على كثير الوباء والداء ووجه الشبه انهم لغفلتهم كالنعم ونفوسهم الامارة بالسوء القائدة لهم الى المعاصي كالراعي القائد الى المرعى الوبي ولذات الدنيا ومشتهياتها وكون تلك اللذات والمشتهيات محل الآثام التي هي مظنة الهلاك الاخروي والداء الدوي تشبه المرعى الوبي والمشرب الدوي وقوله وانما هي كالمعلوفة تشبيه لحالهم بمعلوفة النعم ووجه الشبه تعلفهم بملذات الدنيا من المطاعم والمشارب كالنعم المعتني بعلفها وكون ذلك لشأن غايته الموت تشبيه غاية المعلوفة وهي الذبح وكونهم غافلين من غاية الموت وما يراد بهم تشبيه غفلة النعم عن غايتها من الذبح وكونهم يظنون ان الاكساب الاحسان اليهم ببسط اللذات لهم في بعض الاوقات دائم في جميع اوقاتهم وان شبعهم في هذه الحيوة ورغدهم هو غايتهم التي خلقوا لاجلها وتمام امرهم شبيه غفلة النعم في حال حضور علفها في بعض الاوقات عما بعده من الاوقات وتوهمها ان تلك غايتها التي خلقت لاجلها ووجه هذا التشبيه مركب من هذه الوجوه ثم اقسم انه لو شاء لاخبر كل رجل منهم بموضع تصرفاته ومع كانه وجميع احواله وهو كقول المسيح ع وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم وقد علمت مكان تلقنه العلم وسببه في خواص الانبياء والاولياء ع في مقدمة الكتاب وقوله ولكن اخاف ان تكفروا في برسول الله اي اخاف ان تغلوا في امري وتفضلوني على رسول الله بل كان يخاف ان يكفر ولعنه بالله كما ادعت النصارى في المسيح حيث اخبرهم بالامور الغائبة ثم قال الا واني مفضيه الى الخاصة اي اهل العلم والثبات من اصحابه ممن ذلك يؤمن الكفر منه وهكذا شان العلماء واساطين الحكمة ورأيهم ان لا يضعوا العلم الا في اهله هذا مع ان من الناس من يدعي فيه النبوة وانه شريك محمد في الرسالة ومنهم من ادعى انه الله وهو الذي ارسل محمدا الى غير ذلك من الضلال وفيه يقول بعض شعرائهم ومن اهلك عادا وثمودا بدواهيه ومن كلم موسى فوق طور اذ يناديه ومن قال على المنبر يوما وهو راقيه سلوني ايها الناس فحاروا في معانيه وقول الآخر انما خالق الخلائق من زعزع اركان خيبر جذبا قد رضينا به اماما ومولى وسجدنا له الها وربا ثم اقسم انه ما نطق الا صادقا فيما يخبر به من هذه الامور واخبار الرسول ص عهد اليه بذلك وبمهلك من يهلك الى قوله وافضى به الي اي القاه الي واتاني به وذلك لتعليم ما يكون على وجه جزئي اعني ان يخبره بوقعه واضعه ومنه ما يكون على وجه كلي اي يلقي اليه اصولا كلية يستعد ذهنه بها لاستفاضة الصور الجزئية من واهب الصور كما سبق تقريره ومما نقل عنه من ذلك في بعض خطبه التي يشير فيها الى الملاحم يومي به الى القرامطة ينتحلون لنا الحب والهوى ويضمرون لنا البغض والقلى وآية ذلك قتلهم وراثنا وهجرهم احداثنا وصح ما اخبر عنه لان القرامطة قتلت من آل ابي طالب خلقا كثيرا واسماؤهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصبهاني قال بعض الشارحين ومن هذه الخطبة وهو يشير الى السارية التي كانت يستند اليها في مسجد الكوفة كاني بالحجر الاسود منصوبا هيهنا ويحهم ان فضيلته ليست في نفسه بل في موضعه واسه يمكث هيهنا مدة ثم هيهنا مدة واشار الى مواضع ثم يعود الى ماواه ويأم مثواه ووقع من القرامطة في الحجر الاسود بموجب ما اخبر به ع واقول في هذا النقل نظر لان المشهور ان القرامطة نقلوا الحجر الاسود الى ارض البحرين وبنوا له موضعا وضعوه فيه بقي الى الآن بالكعبة وبقي هناك مدة ثم اعيد الى مكة وروي انه مات في الحجر بخمسة وعشرين بعيرا وعاد به الى مكة بعير ليس بالقوي و ذلك من اسرار دين الله تعالى ولم ينقل انهم نقلوه مرتين والله اعلم

ومن خطبة له عليه السلام انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله واقبلوا نصيحة الله فان الله تعالى قد اعذر اليكم بالجلية واتخذ عليكم الحجة وبين لكم محابه من الاعمال ومكارهه منها لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه فان رسول الله ص كان يقول ان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات واعلموا انه ما من طاعة الله شيء الا يأتي في كره وما من معصية الله شيء الا يأتي في شهوة فرحم الله رجلا نزع عن شهوته وقمع هوى نفسه فان هذه النفس ابعد شيء منزعا وانها لا تزال تنزع الى معصية في هوى واعلموا عباد الله ان المؤمن لا يصبح ولا يمسي الا ونفسه ظنون عنده فلا يزال زاريا عليها ومستزيدا لها فكونوا كالسابقين قبلكم والماضين امامكم قوضوا من الدنيا تقويض الراحل وطووها طي المنازل واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل والمحدث الذي لا يكذب وما جالس هذا القرآن احد الا قام عنه بزيادة او نقصان زيادة في هدى ونقصان من عمى واعلموا انه ليس على احد بعد القرآن من فاقة ولا لاحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من ادوائكم واستعينوا به على لاوائكم فان فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال فاسألوا الله به وتوجهوا اليه بحبه ولا تسألوا به خلقه انه ما توجه العباد الى الله بمثله واعلموا انه شافع مشفع وقائل مصدق وانه من شفع له القرآن يوم القيمة شفع فيه ومن محل به القرآن يوم القيمة صدق عليه فانه ينادي مناد يوم القيمة الا ان كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن فكونوا من حرثته واتباعه واستدلوه

للنعم

يومن ذلك الكفر

حجبت بالـ

في المواعظ والرضاع

واستغشوا فيه / النهاية

على ذكركم واستنصحوه على أنفسكم واتهموا عليه آراءكم واغتشوا فيه أهواءكم العمل العمل ثم النهاية النهاية والاستقامة الاستقامة ثم الصبر الصبر والورع
الورع إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم وإن لكم علماً فاهتدوا بعلمكم وإن للإسلام غاية فانتهوا إلى غايته واخرجوا إلى الله بما افترض عليكم
من حقه وبين لكم من وظائفه أنا شاهد لكم وحجيج يوم القيامة عنكم ألا وإن القدر السابق قد وقع والقضاء الماضي قد تورد وإني متكلم بعدة
الله وحجته قال الله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقد
قلتم ربنا الله فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج أمره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ثم لا تمرقوا منها ولا تبتدعوا فيها ولا تخالفوا عنها فإن
تستبدعوا
أهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيامة ثم إياكم وتهزيع الأخلاق وتصريفها واجعلوا اللسان واحداً وليختزن الرجل لسانه فإن هذا
اللسان جموح بصاحبه والله ما أرى عبداً يتقي تقوى تنفعه حتى يختزن لسانه فإن لسان المؤمن من وراء قلبه وإن قلب المنافق من وراء
لسانه لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه فإن كان شراً واراه وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له و
خيراً أبداه وإن كان
ماذا عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه فمن استطاع أن يلقى الله سبحانه
منكم
وهو نقي الراحة من دماء المسلمين وأموالهم سليم اللسان من أعراضهم فليفعل واعلموا عباد الله أن المؤمن يستحل العام ما استحل عاماً أول
ويحرم العام ما حرم عاماً أول وإن ما أحدث الناس لا يحل لكم شيئاً مما حرم عليكم ولكن الحلال ما أحل الله والحرام ما حرم الله فقد جربتم الأمور
وضرستموها ووعظتم بمن كان قبلكم وضربت الأمثال لكم ودعيتم إلى الأمر الواضح فلا يصم عن ذلك إلا أصم ولا يعمى عنه إلا أعمى ومن لم
ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء من العظة وأتاه التقصير من أمامه حتى يعرف ما أنكر وينكر ما عرف وإنما الناس رجلان متبع
شرعة ومبتدع بدعة ليس معه من الله سبحانه برهان سنة ولا ضياء حجة فإن الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن فإنه حبل الله المتين
وسببه الأمين وفيه ربيع القلب وينابيع العلم وما للقلب جلاء غيره مع أنه قد ذهب المتذكرون وبقي الناسون والمتناسون فإذا
الأمين ، نسخه
رأيتم خيراً فأعينوا عليه وإذا رأيتم شراً فاذهبوا عنه فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول يا ابن آدم اعمل الخير ودع الشر فإذا أنت جواد قاصد ألا وإن
الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله قال الله سبحانه إن الله لا يغفر أن يشرك
به وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً القصاص هناك شديد
ليس هو جرحاً بالمدى ولا ضرباً بالسياط ولكنه ما يستصغر ذلك معه فإياكم والتلون في دين الله فإن جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما
تحبون من الباطل وإن الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيراً ممن مضى ولا ممن بقي يا أيها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس طوبى
لمن لزم بيته وأكل قوته واشتغل بطاعة ربه وبكى على خطيئته فكان من نفسه في شغل والناس منه في راحة **أقول** الظنون المتهمة و
الزاري العائب وتقويض البناء نقضه واللأواء الشدة ومحل به السلطان كاده وقال فيه ما يضره وتوردت الخيل البلد دخلتها قطعة
قطعة وتهزيع الأخلاق تكسيرها وتغييرها وضرسته الأمور أحكمته تجربة ثم أمر السامعين أن ينتفعوا ببيان الله في كتابه وعلى لسان رسوله ويتعظوا
بمواعظه ويقبلوا نصيحته فيما لاحظوا وإنما عدّه باسم الله مع مجاورته للتعظيم ثم أشار إلى وجه وجوب الامتثال عليهم وهو إعذاره
إليهم بالجلية أي إظهاره لما هو موضوع لعذره من الآيات والنذر الجلية الواضحة والمحاذر بحججه ببعث الرسل وبيان محابه من الأعمال الصالحات
ومكارهه من المحرمات في كتابه العزيز لغاية اتباع محابه واجتناب مكارهه ثم نبه على ما في الطاعة وامتثال التكاليف من المشقة والمكروه كون
الخير ونعم ما تضمنه الخير وإنما لم ينبه على المشقة مجردة بل قرنها بذكر الجنة وجعلها محجوبة بها لتحصل الرغبة في الجنة فيتم السعي في قطع تلك الحجب المكروهة
وكذلك قرن ذكر الشهوات بذكر كونها محفوفة بها النار تنفيراً عنها ثم مهّد تسهيل المكاره التي تشتمل عليها الطاعات بذكر الجنة وتحقير الشهوات
التي بها الجذب عنها بذكر النار وصرح بأنه ما من طاعة إلا تأتي في كره ولا معصية إلا تأتي في شهوة وقد عرفت سر ذلك وأن النفس بالقوة الشهوية تطوع
منها للعقل خصوصاً فيما هو أقرب إليها من اللذات المحسوسة التي يجمعها العقاب عليها ثم عقب ذلك بالدعاء بأن يرحم الله امرءاً نزع من شهوته أي امتنع
من الانهماك فيها وقمع نفسه الأمارة بالسوء فإنها أبعد شيء منزعاً عن الله ثم فسر منزعها الذي تنزع إليه وهي المعصية في هواها وما تميل إليه ثم نبه
على حال المؤمن الحق وهو تهمة نفسه في جميع أوقاته من صباح ومساء وأنه لا يزال عاتباً عليها ومراقباً لأحوالها ومؤاخذاً لها بالزيادة في الأعمال
الصالحة وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ثم أمرهم أن يكونوا كالسابقين من أكابر الصحابة الماضين أمامهم إلى الجنة في الإعراض عن الدنيا واستعار
لفظ التقويض والطي لقطعهم علائق الدنيا ورحيلهم إلى الآخرة كما يقوض الراحل متاع السفر ويطوي حبله للرحيل ثم عقب بذكر القرآن و
ما يجده ترغيباً في الاقتداء به واستعار وصف الناصح له ووجه الاستعارة أن القرآن يرشد إلى وجوه المصالح كما أن الناصح كذلك ووصفه بكونه لا
غش معه وكذلك كونه هادياً لا يضل أي طريق الله ونفى أي لا يضل أي لا يضل غيره وكذلك استعار وصف المحدث له ووصفه بكونه لا يكذب ووجه
الاستعارة اشتماله على الأخبار والقصص الصحيحة وما منه واستعار ذلك كالمحدث الصادق وكنى بمجالسة القرآن عن تلاوته وقراءته لا سيما
منهم ولذكره عنهم فإن فيه من الآيات الباهرة والنواهي الزاجرة ما يزيد بصيرة المستبصر من الهدى وينقص من عمى الجهل ثم نبههم على أنه
لا بس بعده على أحد فقر أي ليس بعد نزوله للناس وبيانه الواضح حاجة بالناس إلى بيان حكم في صلاح معاشهم ومعادهم ولا لأحد قبله من غنى

في فضل القرآن وفضل حامليه

اى قبل نزوله لا غنى عنه للنفوس الجاهلة واذ كان بهذه الصفة امرهم باتخاذه شفاء وعدة لادوائهم اى ادواء الجهل وان يستعينوا به على شدائدهم ولأوائهم الحادث بسبب الهوى منه بحسب تركهم الاعمال الصالحة الدنيوية والاخروية ثم عدّ اكبر ادواء الجهل واخاذ ذكر كونه شفاء منها اولها الكفر بالله وهو عدم القوة النظرية من قوى النفس عن معرفة صانعها ومبدعها الى غاية انكاره او اتخاذ ثان له او الحكم عليه بصفات المخلوقين المحدثين والثاني النفاق وهو لازم لرذيلة الكذب المقابلة لفضيلة الصدق ثم لرذيلة الغدر المقابلة لفضيلة الوفاء وقد سبق بيان حال النفس عند هاتين الرذيلتين الثالث الغي وهو رذيلة التفريط من فضيلة الحكمة الرابع الضلال وهو الانحراف عن فضيلة العدل والى كونه شفاء الاشارة بقوله ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل فما جلاؤها يا رسول الله قال تلاوة القرآن وذكر الموت وقد علم اشتماله على ذكر الموت في مواضع كثيرة ثم امرهم ان يسألوا به والمراد انكم اعدوا انفسكم وكلفوها الاستنزال المطالب من الله بما اشتمل عليه القرآن من الكمالات النفسانية وتوجهوا اليه بمحبته لا موجبته استكمل بما فيه تحسن توجيه الى الله وقوله ولا تسألوا به خلقه اى لا تجعلوا تعلمكم له لطلب الرزق به من خلق مثلكم فانه لم ينزل لذلك وقوله فانه ما توجه العباد الى الله بمثله وذلك لاشتماله على جميع الكمالات النفسانية من العلوم ومكارم الاخلاق والنهي عن جميع الرذائل الموبقة ثم استعار لفظي الشافع والمشفع ووجه الاستعارة كون تدبره والعمل بما فيه ماحيا لما يعرض للنفس من الهيئات الردية من المعاصي وذلك مستلزم لمحو غضب الله كما يمحو الشفيع المشفع اثر الذنب عن قلب المشفوع اليه وذلك سر الخبر المرفوع ما من شفيع من ملك ولا نبي ولا غيرهما افضل من القرآن وكذلك لفظ القائل المصدق ووجه الاستعارة كونه ذا الفاظ اذا نطق بها لا يمكن تكذيبها كالقائل الصادق ثم افاد معنى كونه شافعا مشفعا يوم القيمة ثم استعار لفظ المحل للقرآن ووجه الاستعارة ان لسان حال القرآن شاهد في علم الله وحضرة ربوبيته على من اعرض عنه بعد استماعه ومخالفته لما اشتمل عليه وتلك شهادة لا يجوز عليها الكذب فيجب ان يصدق فاشبه الساعي الى السلطان في حق غيره بما يضره وقوله فانه لا ينادي مناد يوم القيمة الى آخره فالمنادي هو لسان حال الاعمال والحرث كل عمل تطلب غايته وتستخرج ثمرته والابتلاء هيهنا ما يلحق النفس على الاعمال وعواقبها من العذاب بعد الخروج فيها عن طاعة الله وظاهر ان حرث القرآن والبحث عن مقاصده لغاية الاستكمال به بريء من لواحق العقوبات ثم حثهم على ان يكونوا من حرثته واتباعه وان يستدلوه اى يتخذوه دليلا قائدا الى ربهم وان يستنصحوه على انفسهم اى يتخذوه ناصحا على نفوسهم الامارة بالسوء لكونها هي الغاشة لهم بقودها الى معصية الله وكون القرآن زاجرا لهم عما تأمرهم به تلك النفوس فيجب ان تقبل نصيحته عليها وكذلك اتهموا عليه ارائكم اى اذا رأيتم رأيا يخالف القرآن فاتهموا ذلك الرأي فانه صادر عن النفس الامارة بالسوء وكذلك قوله واستغشوا فيه اهواءكم وانما قال هيهنا استغشوا وقال في الآراء اتهموا لان الهوى هو ميل النفس الامارة من غير رجوع الى العقل فاذا حكمت النفس عن متابعتها بحكم فهو غش صراح واما الرأي فقد يكون بمراجعة العقل وحكمه وقد يكون به وبدونه فجاز ان يكون حقا وجاز ان يكون باطلا فكان بالتهمة اولى ثم امر بلزوم العمل الصالح ثم بحفظ النهاية المطلوبة منهم بالعمل والتوجه اليها منه اى راعوا عاقبتكم ونهاية اعمالكم وغاياتها فان الامور بخواتيمها ثم امر بالاستقامة اى على العمل ثم بالصبر عليه وحقيقته مقاومة الهوى لئلا ينقاد الى قبائح اللذات فيخرج عن الصراط ثم بالورع وهو لزوم الاعمال الجميلة وانما عطف النهاية والصبر بثم لتأخر نهاية العمل عنه وكون الصبر امرا عدميا فهو في معنى التراخي والتنقل عن العمل الذي هو معنى وجودي بخلاف الاستقامة على العمل فانها كيفية له والورع فانه جزء منه وكرر تلك الالفاظ للتأكيد والنصب في جميعها على الاغراء ثم اشار الى ان تلك النهاية هي النهاية التي لهم وامرهم بالانتهاء اليها وهي الامر الذي خلقوا لاجله اعني الوصول الى الله طاهرين عن دنس الشيطان وهو لفظ الخبر النبوي ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم غاية فانتهوا الى غايتكم فان المراد بالغاية والنهاية واحد والمراد بالمعالم حظائر القدس ومنازل الملائكة وكذلك ان لكم علما فاهتدوا بعلمكم اى الى تلك النهاية واستعار لفظ العلم لنفسه ثم اخبر ان الاسلام غاية لهم وامرهم بالانتهاء اليها وتلك الغاية هي النهاية المشار اليها وقوله واخرجوا الى الله الى قوله وظائفه فالمعنى اخرجوا من حقه فيما افترض عليكم وحققه في فرائضه ووظائفه لا اخلال بها بوجه ثم ترغيبهم في طاعته واتباع اوامره بكونه شاهدا لهم يوم القيمة ومحتجا قال بعض الشارحين وانما ذكر الاحتجاج وان كان ذلك الموقف ليس موقف محاجة لانه اذا شهد لهم فكانه اثبت الحجة لهم فاشبه المحاج واقول لما كان امام كل قوم هو المخاطب عنهم والشهيد لهم كما قال تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقوله ويوم نبعث من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم وكان ذلك الموقف هو موقف السؤال والجواب كان ذلك معنى المحاجة والمجادلة فالخلوص من الاسولة باجوبتها يشبه غلبة المسؤول بالحجة وهو البرهان المطابق العادة بان البرهان يكون عند المحاجة وكذلك الانقطاع من الجواب يشبه كون المسؤول محجوجا وهذا الاحتجاج والشهادة مقالية عند القائلين بحشر الاجساد وحالية عند غيرهم ثم اخبر ان القدر السابق في علم الله قد وقع والقضاء الماضي اى التام قد تورد اى دخل في الوجود شيئا فشيئا وقد علمت فيما سلف ان القضاء هو العلم الالهي بما يكون وما هو كائن وان القدر تفصيله الواقع على وفقه لكنه اشار بوقوع القدر هنا الى وقوع خاص هو خلافته وما يلزمها من الفتن والوقايع ويحكى ان هذه الخطبة من اوايل الخطب التي خطب بها ايام بويع بعد قتل عثمان قال بعض الشارحين وفي هذا الكلام اشارة الى ان الرسول اخبره ان الامر سيصل اليه في آخر وقته واقول لا شك ان وقوع هذا الامر

من القدر بان ثبتوا على وجوه القضاء وليس للفظ اشعار بها قال هذا الفاضل المكان ثم عطا لطف كل واقع في الوجود بقضاء من امر الله وقد رد وقوله فاني متكلم بعدة الله وحجته اي ما وقع هذه الاثر الى فاني متكلم بكم وعدة الله سلو عد به عباده الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على ساوك سبيله بما عنده من تنزل الملائكة عليهم ونفي الخوف والحزن والبشارة بالجنة واما حجته التي تكلم بها فقوله وقد قلتم ربنا الله اي عرفتم بالربوبية فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج امره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته اي التي هي عن علم والخالصة من الرياء والنفاق من غير ان تمرقوا منها اي تخرجوا فيها الخذلان والتشدد بالطرف الافراط الذي هو ثمرة الجهل ولا تعدوا فيها بدعة ولا تخالفوا عنها وتحيدوا يمينا وشمالا فانهم في مهاوي الهلاك فانكم متى فعلتم ذلك فقد تم شرط استحقاقكم لانجاز عدته المذكورة فان ذلك الشرط مركب من الاعتراف بربوبيته والاستقامة على الامور المذكورة فيجب ان تفاض تلك العدة ومع فوات جزء من ذلك الشرط لا ينفع المشروط فلم يتحقق الموعود به وذلك معنى كون اهل المروق منقطعا بهم اي لا يجدون بلاغا يوصلهم الى المقصد لان ذلك الشرط هو البلاغ الى المقصد الحقيقي ثم شرع في النهي عن النفاق لان تضريع الاخلاق تغييرها ونقلها من حال الى حال وهو معنى تصريفها وذلك هو النفاق اي ان المنافق لا يلزم خلقا واحدا بل تارة يكون صادقا وتارة كاذبا وتارة وفيا واخرى غادرا ومع الظالمين ظالم ومع اهل العدل عادل ولذلك قال واجعلوا اللسان واحدا وهو شروع في الوصية بحال اللسان وعدله اي لا يكون لحد كم ذا لسانين وهو المنافق ثم امر بخزنه واستلزم النهي عن امور وهي الفضل من القول ووضعه في غير مواضعه والغيبة والنميمة والسعاية والسباب والقذف ونحوه وكلها رذائل في طرف الافراط من فضيلة العدل وقوله فان هذا اللسان جموح بصاحبه تعليل لذلك النهي واشارة الى خروجه بصاحبه عن فضيلة العدل الى الرذائل التي هي موارد الهلكة في الاخرة والدنيا كما ان الفرس الجموح مخرج بصاحبه الى الهلاك ولفظ الجموح مستعار له بهذا الاعتبار ثم اقسم انه لا يرى متقيا ينفعه تقواه الا يخزن لسانه وهو حق لان التقوى النافع هو التقوى التام وخزن اللسان وكفه عن الرذائل المذكورة جزء عظيم من التقوى لا يتم بدونه ومهما اذن لا ينفع الا بتمامه بعد على ما ينبغي عند ارادة القول من التثبت والتأمل لما يراد النطق به وعلى ما لا ينبغي من القول بغيره جعله الفكر وقرن الاول بالايمان ترغيبا فيه والثاني بالنفاق تنفيرا عنه وقوله لان المؤمن الى قوله وما ذا عليه بيان العلة في كون اللسان وراء وامامه وتخصيصه هذا البيان الواو في الموضعين كما بين البلاغة لان لسان المؤمن تابع لقلبه ولا ينطق الا بعد تقديم الفكر فيما ينبغي ان يقوله وقلب المنافق وفكره متأخر فكان لفظ الوراء استعارة من المعنى المحسوس للمعقول فاما الخبر النبوي المذكور فهو استشهاد على ان الايمان لا يتم الا باستقامة اللسان على الحق وخزنه عن الرذائل التي عددناها وذلك عين ما ادعاه في قوله ان التقوى لا ينفع الحديث حتى يخزن لسانه فاما برهان الخبر فهو ان استقامة القلب عبارة عن التصديق بالله ورسوله واعتقاد حقيقة ما وردت به الشريعة من المأمورات والمنهيات وذلك عين الايمان وحقيقته فاذن لا يستقيم الايمان حتى يستقيم القلب وانه لا يستقيم القلب حتى يستقيم اللسان لان استقامة اللسان على الامر بالشهادتين ولوازمها وعلى الامساك عما لا ينبغي من الامور المعدودة من لوازم استقامة القلب حكما على غير المرتبك الامور والفاعل بها بعد الايمان الكامل لا يستقيم امره من دون لازمه وقوله فمن استطاع الى قوله فليفعل امر بالاجتهاد في لقاء الله نقي على احوال وهي نقاء الراحة من دماء المسلمين واموالهم وارادة السلامة من القتل النفس واموالهم وارادة السلامة من الظلم وان يكون الانسان سليم اللسان من اعراضهم وارادة الكف عن الغيبة والسب وشرط ذلك بالاستطاعة لعسره وشدته وان كان واجب الترك على كل حال واشدها الكف عن الغيبة فانه يكاد ان لا يستطاع والحق هذا اشار الرسول صلى الله عليه وآله المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه فالاسلم هو من يديه سلامة دمائهم واموالهم وبلسانه سلامة اعراضهم واعم من ذلك وقال بعض الحكماء من علم ان لسانه جارحة من جوارحه اقل من اعمالها واستقبح ان يحرك بها كما يستقبح ان يحرك راسه او منكبه دائما وقوله واعلموا الى قوله حرم عليكم قال بعض الشارحين هو اشارة الى ان ما ثبت من طريق النص هو العادة التي شهد بها النص في زمان الرسول صلى الله عليه وآله لا يجوز ان ينقض بالقياس والاجتهاد بل كل ما ورد به النص يتبع فيه مورد النص فما كان حلالا بمقتضى النص وعمومه في العام الماضي فهو في هذا العام حلال وكذا في الحرام ومحصول هذا الكلام يقتضي عدم جواز نسخ النص وتخصيصه بالقياس وهو مذهب الامامية لاعتقادهم بطلان القول بالقياس المتعارف ومذهب جماعة من الاصوليين مع اعترافهم بحجية القياس ومن يجوز تخصيصه به يحمل هذا الكلام على قبول عدم القياس في نسخ النص من كتاب او سنة وما احدثه الناس اشارة الى القياس وقوله ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله تاكيد لاتباع النص فيما كان عليه الصحابة من الدين مما هو معلوم بينهم دون ما احدث من الاراء والمذاهب وقوله وقد جربتم الامور وضرستموها الى قوله الامر الواضح اشارة الى وجوه العلم وطرقه ووجه انتصابها بما قبله انهم اذا كانوا قد احكموا الامور تجربة ووعظوا بمن كان قبلهم وضربت لهم الامثال ودعوا الى الامر الواضح وهو الدين وطرائقه فلا بد ان تكون نفوسهم قد استعدت بذلك لعلم الاحكام الشرعية ومقاصدها من الكتاب والسنة وعادات الرسول والصحابة وانه لا يخفى عليهم ما ابتدع بعدهما وان كل بدعة حرام فضلا ان ترفع حكم نص او سنة سبق العلم بهما ولا ينتفع بهذه المواعظ والامثال والدعوة الى الدين الا اصم اي هو شديد الصمم كما يقال ما يجهل بهذا الامر الا جاهل اي اشد الناس جهلا وكذلك لا يعمى عنه اي لا يعمى عنه بصيرة الا بصيرة اشد عماها وقوله ومن لم ينفعه الى قوله من امامه كلام حق وذلك ان الانسان في مبدأ الفطرة خال

في فضل العزلة ولزوم البيت

عن العلوم وانما خلقت له هذه الآلات البدنية لتنصنع بها صور المحسوسات ومعانيها ويتنبه لما كان غريبها ومتباينات فيحصل له التجربة ويتنبا
العلوم النظرية والمكتسبة فمن لم ينتفع بالبلاء اي بامتحان العلوم الامور وتجاربها وهو اشارة الى اعتبار الامور والتفكر فيها والابتلاء بها
كالوقوع في المكاره ومشاهدة الاعمال لم يستفد منها علما فقط انه لا ينفعه العظة لان العظة فرع تصفح الامور واعتبار آيات الله منها ومحال ان يحصل
فرع من دون اصله ثم بين انه المفضوح كال نفسه ووجوه مصالحه ويحتمل ان لا يريد بالعظة الاتعاظ بل الموعظة وذلك ان الموعظة انما تنفع
لان البلاء والمكاره والوقائع النازلة اقوى فعلا في النفس واكثر تاثيرا فاذا لم ينتفع بها ولم يستفد منها علما فبالاولى ان لا ينتفع بالموعظة
وقوله من امامه رذالة الكمالات التي يتوجه اليها بوجه عقله نقصه لنقصان تجربته ووقوف عقله فاشبه فوته له مع طلبه لها ايثار النقصان
له من امامه وقوله حتى يعرف ما انكر وينكر ما عرف اشارة الى غاية نقصانه وهي الاختلاط والحكم على غير بصيرة فانه يجهل فيما انكره
جهله انه عارف بحقيقته وما هو ينكره ما كان يعرفه ويحكم بعضه بخبال نظره عليه ثم قسم الناس الى قسمين فقسم متبع شرعه اي طريقه
ومنهاجا وهو منهاج الدين وقسم مبتدع بدعة بغير برهان سنة من الله يعتمد عليه ولا ضياء حجة يقوده في ظلمات الجهل ليهتدوا بافضل
القسمين وقوله ان الله سبحانه لم يعظ احدا بمثل هذا القرآن رجوع الى مدائح القرآن واستعار له الفاظا الاول لفظ الحبل ووصفه بالمتين
وقد عرفت وجه هذه الاستعارة مرارا الثاني قوله سبب الامين الثالثة لفظ الربيع ووجهها ان القلوب تحيى به كما تحيى الانعام بالربيع
الرابع لفظ الينابيع ووجهها ان العلوم عند تدبره والفهم عنه يفيض عنه وينتفع بها كما يفيض الماء عن الينابيع الخامس لفظ الجلاء
ووجهها ان الفهم عنه يكشف عن القلوب صداء الجهل كما يجلو الصيقل المرآة فان قلت قال وليس للقلب جلاء غيره مع ان سائر العلوم
جلاء له فالجواب من وجهين احدهما ان العلوم النافعة للقلب هي المعدة لسلوك سبيل الله والوصول الى الغاية من الكمال النفساني كالعلوم
الالهية وعلم الاخلاق واحوال المعاد ولا علم منها الا وفي القرآن اصله ومادته وهو مقتبس من القرآن الثاني ان هذا الكلام صدر عنه ولم
يكن في ذلك الزمان علم مدون ولا استفادة للمسلمين الا من القرآن الكريم فلم يكن اذن جلاء للقلب غيره وقوله انه قد ذهب المتذكرون اي
المتدبرون لمقاصد القرآن وبقي الناسون له والمتناسون المتعمدون للتشاغل والدنيا المجاذبة الى الله وهو في معنى التوبيخ لهم ثم
امرهم باعانة من يعمل الخير على فعله ووجوه الاعانة كثيرة ثم بالاعراض عن الشر وانكاره عند رؤيته واستشهد على وجوب امتثال الامر بالخبر النبوي
وقد نبه بالخبر على وجوب عمل الخير والانتهاء عن الشر باستلزام ذلك لكون فاعله جوادا قاصدا واستعار وصف الجواد القاصد ووجه
المشابهة ان العامل الخير المنتهي عن الشر مستقيم على طريق الله فلا يعرج في طريقه ولا اعوجاج فيكون سيره في سلوك سبيل الله اسرع
سير كالجواد من الخيل المستقيم على الطريق ثم قسم الظلم الى ثلثة اقسام الاول الذي لا يغفر اصلا وهو ظلم النفس بالشرك بالله وبرهانه
النص والمعقول اما النص فقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به واما المعقول فلان المغفرة عبارة اما عن محو آثار الجرائم عن الواح النفوس
او عما يلزم ذلك من ستر الله على النفوس ان تحترق بنار جهنم والهيئات البدنية التي تحجب نفوس المشركين عن معرفة الله كيفيات
متمكنة من تلك النفوس قد صارت ملكات لا يمكن زوالها مع مكثهم بالمعارف الالهية فهم في العذاب ما كانوا في سلاسل
تلك الهيئات واغلالها مكبلون فاذن لا يتحقق المغفرة في حقهم لعدم تخلصهم منها وحجابهم عنها وهي عصمة المعرفة الثاني ظلم لا يترك اي
لابد من اخذ فاعله بالعقوبة والقصاص به وهو ظلم العباد بعضهم لبعض واليه الاشارة بقوله يوم يقتص للجماء من القرناء وهذا الظالم
ان كانت له مسكة بعصم عصمة النجاة من المعارف الالهية وجب خلاصه من العذاب بعد حين لكن يتفاوت مكثه بحسب تفاوت شدة تمكن
تلك الهيئات الرديئة من نفسه وضعفها واليه اشار الخبر النبوي يخرجون من النار بعد ما يصيرون حمما وفحما والثالث الظلم الذي يغفر ولا يطلب
وهو ظلم العبد نفسه عند ارتكابه بعض صغائر الزلات وهي التي لا يكتسب النفس منها هيئة رديئة باقية بل حالة يسرع زوالها واليه الاشارة بقوله
تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي حال كونهم ظالمين ثم اخذ في التحذير من الظلم بذكر شدة القصاص في الآخرة ووصف انه
ليس جرحا بمدية ولا ضربا بسوط كالقصاص في الدنيا ولكنه ما يستصغر ذلك معه من العقوبات بالنار المشهورة اوصافها وروي عن الرسول صلى الله عليه
انه كان جالسا مع اصحابه فسمع هدة فقال هذا حجر ارسله الله تعالى من شفير جهنم فهو يهوي فيها منذ سبعين خريفا حتى بلغ الآن قعرها فهذه
اوصافها المحسوسة اعلم ان لهذا الخبر تماما بما يكشف سره وهو ان الراوي قال فسمعنا بعد ذلك صيحة وصراخا فقلنا ما هذا فقالوا
فلان المنافق مات وكان عمره يومئذ سبعين سنة فقال بعض من تلطف ان المراد بجهنم المشار اليها هي الدنيا ومتاعها وبالحجر هو ذلك
المنافق استعارة ووجه المشابهة ان ذلك المنافق لم ينتفع بوجوده مدة حيوته ولم تكسب نفسه خيرا فاشبه الحجر في ذلك وارسال الله تعالى
له هو ان قضى عليه بما استعد له من اتباع هواه فيها والانهماك في شهواتها والتيه عن سبيله المشار اليه بقوله يضل من يشاء وشفيرها
هو اولها بالنسبة اليه وذلك حين استعداده للانهماك فيها وادراك الامور الفانية له في طريق الضلال من متاعها ولذاتها وهويه
فيها سبعين خريفا هو انهماكه فيها مدة عمره وبلوغه قعرها هو وصوله بموته الى غاية العذاب بسبب ما اكتسب منها من ملكات السوء كما
ارسانا الاخيرة ... عن التلون في دين الله وكنى عن منافقة بعضهم لبعض فان ذلك يستلزم التفرقة ولذلك قال فان جماعة فيما تكرهون

عنها

علم

الظلم

من الحق

من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل اي فان الاجتماع على الحق المكروه اليكم كالحرب مثلا خير لكم من الافتراق في الباطل المحبوب عندكم كمتاع الدنيا ثم تمم النهي عن الفرقة وقال فان الله لم يعط احدا بالفرقة خيرا لا من الماضين ولا من الباقين ولما كان الخير في الاجتماع والالفة والمحبة حتى يصير الناس كرجل واحد وبه يتم نظام العالم لا جرم كان في الفرقة اضداد ذلك وكذلك ما روي عن الرسول صلى الله عليه وآله من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وقد سبق بيان فضيلة الاجتماع ثم اعاد النهي عن الغيبة للناس بذكر معايبهم وبه من عسى ان يستحق من نفسه بان لكل عيبا ينبغي ان يشتغل به وطوبى فعلى من الطيب والواو منقلبة عن ياء وقيل هي اسم شجرة في الجنة وعلى التقديرين مبتدأ ثم نبه على فضل العزلة ولزوم البيت للاشتغال بطاعة الله والبكاء على الخطيئة والندم عليها وقوله وكان من نفسه في شغل الى آخر ما ذكره ثمرة العزلة واعلم ان الناس قد اختلفوا في ان العزلة افضل ام المخالطة ففضل جماعة من مشاهير الصوفية والعارفين العزلة منهم ابرهيم بن ادهم وسفيان الثوري وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمان الخواص وبشر الحافي وفضل الآخرون المخالطة ومنهم الشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وابن عيينة وابن المبارك واحتج الاولون بالنقل والعقل اما النقل فقوله صلى الله عليه وآله لعقبة بن عامر الجهني لما سأله عن طريق النجاة فقال ليسعك بيتك امسك عليك دينك وابك على خطيئتك وقيل له صلى الله عليه وآله اي الناس افضل فقال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال صلى الله عليه وآله ان الله يحب العبد التقي الخفي واما العقل فيقولون في العزلة فوائد مطلوبة لله لا توجد في المخالطة فكان اشرف منها الفراغ لعبادة الله والذكر له والاستيناس بمناجاته والاستكشاف لاسراره في امور الدنيا والآخرة من ملكوت السموات والارض ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعبد بجبل حراء ويعتزل به حتى اتته النبوة واحتج الآخرون بالقرآن والسنة اما القرآن فقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ومعلوم ان العزلة تنفي تألف القلوب وتوجب تفرقها واما السنة فقوله صلى الله عليه وآله المؤمن الف مالوف وقوله من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وما روي ان رجلا اتى جبلا يتعبد فيه فجاء به اهله الى رسول الله صلى الله عليه وآله فنهاه عن ذلك وقال له ان صبر المسلم في بعض مواطن الجهاد يوما واحدا خير له من عبادة اربعين سنة واقول ان كلا الاحتجاجين صحيح لكن ليس افضلية العزلة مطلقا ولا افضلية المخالطة مطلقا بل كل في حق بعض الناس بحسب مصلحته وفي بعض الاوقات بحسب ما تشتمل عليه من المصلحة واعلم انه من اراد ان يعرف مقاصد الانبياء عليهم السلام في اوامرهم ونواهيهم فينبغي ان يعرف طرفا من قوانين الاطباء ومقاصدهم من العبارات المطلقة فانه كما ان الاطباء المعالجون للابدان بانواع الادوية والعلاجات الغاية بطبيعتها على صلاحها او رجوعها الى العافية من الامراض البدنية كذلك الانبياء عليهم السلام ومن يقوم مقامهم فانهم اطباء النفوس المبعوثون لعلاجها من الامراض النفسانية كالجهل وسائر رذائل الاخلاق بانواع الكلام من الآداب والمواعظ والنواهي بل الضرب والقتل وكما ان الطبيب قد يقول الدواء الفلاني نافع من المرض الفلاني ولا يعني به في كل الامزجة بل في بعضها كذلك الانبياء والاولياء اذا اطلقوا القول في شيء انه نافع كالعزلة مثلا فانهم لا يريدون انها نافعة لكل انسان وكما ان الطبيب قد يصف لبعض المرضى دواء ويرى شفاءه فيه ويرى ان ذلك الدواء بعينه لمريض آخر كالسم القاتل وربما الحجر بعينه كذلك الانبياء قد يرون ان بعض الامور دواء لبعض النفوس فيقتصرون عليه وقد يرون ان بعض الاوامر صالح لبعض النفوس كالامر بالعزلة والحث عليها لبعض الناس وقد يرون ان ذلك لا يصلح بعينه مضرا لغيرها مهلكا لنفس فيامرونها بضد ذلك كالامر بالمخالطة والمعاشرة واكثر ما يختار العزلة لمن بلغ رتبته من الكمال في قوتيه النظرية والعملية واستغنى عن مخالطة كثير من الناس لان اكثر الكمالات الانسانية من العلوم والاخلاق انما تحصل بالمخالطة خصوصا اذا كان ذلك الانسان الغير المامور بالعزلة خاليا عن غاية يحتاج ان يكتسبها واكثر ما يختار المخالطة والاجتماع لتحصيل الالفة والاتحاد بالمحبة والاتحاد غايتان كليتان احدهما حفظ اصل الدين وتقويته بالجهاد والثانية تحصيل الكمالات التي بها نظام امر الدارين لان اكثر العلوم والاخلاق تستفاد من العشرة والمخالطة كما بيناه وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلم في معنى الحكمين فاجمع رأي ملائكم على ان اختاروا رجلين فاخذنا عليهما ان يجعجعا عند القرآن ولا يجاوزاه وتكون ألسنتهما معه وقلوبهما تبعه فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما والاعوجاج دأبهما وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رأيهما وجور حكمهما والثقة في ايدينا لانفسنا حين خالفا سبيل الحق وأتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم **اقول** هذا الفصل من خطبة خطبها بعد ما لم يعد امر الحكمين والاعيا تفهيم العزم وبجعجعا يحبسا نفسهما عند القرآن والخطاب لمن انكر عليه رضاه بالتحكيم بعد الرضا به وقد حكى فيه اجماع رأي جماعتهم على اختيار الرجلين وهما ابو موسى الاشعري وعمرو بن العاص واخذه عليهما ان يحبسا نفسهما على العمل بالقرآن فلا يجاوزاه وتكون ألسنتهما وقلوبهما معه والملا نعطف القلوب على الميول الارادية مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب كقوله تعم وقد صغت قلوبكما وذلك هو شرط رضاه عليه السلم بالتحكيم ثم حكى خروجهما عما اشترط عليهما وتيههما عن الكتاب وتركهما الحق مع ابصارهما له وخروجهما عن فضيلة العدل بحسب الهوى الى رذيلة الجور والاعوجاج عن طريقة الحق وقوله وقد سبق استثناؤنا الى آخره لذكر سبق الشرط في الحكم بالعدل وسوء رأيهما منصوب لانه مفعول سبق وتقدير النظر

خطبة في اول خلافته بعد مقتل عثمان

اهلينا الا انفسنا اى انا على برهان وثقة من امرنا وليس بلازم لنا حكمهما لانهما خالفا الشرط واتيا بما لا يعرف من الحكم المعكوس وقد حكينا فيما سبق طرفا من حال التحكيم وخداع عمرو بن العاص لابي موسى الاشعري وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** لا يشغله شان عن شان ولا يغيره زمان ولا يحويه مكان ولا يصفه لسان ولا يعزب عنه عدد قطر الماء ولا نجوم السماء ولا سوافي الريح في الهواء ولا دبيب النمل على الصفا ولا مقيل الذر في الليلة الظلماء يعلم مساقط الاوراق وخفي طرف الاحداق واشهد ان لا اله الا الله غير معدول به ولا مشكوك فيه ولا مكفور دينه ولا مجحود تكوينه شهادة من صدقت نيته وصفت دخلته وخلص يقينه وثقلت موازينه واشهد ان محمدا عبده ورسوله المجتبى من خلائقه والمعتام لشرح حقائقه والمختص بعقائل كراماته والمصطفى لكرائم رسالاته والموضحة به اشراط الهدى والمجلو به غربيب العمى ايها الناس ان الدنيا تغر المؤمل لها والمخلد اليها ولا تنفس بمن نافس فيها وتغلب من غلب عليها وايم الله ما كان قوم قط في غض نعمة من عيش فزال عنهم الا بذنوب اجترحوها لان الله ليس بظلام للعبيد ولو ان الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا الى ربهم بصدق من نياتهم وولهٍ من قلوبهم لرد عليهم كل شارد واصلح لهم كل فاسد واني لاخشى عليكم ان تكونوا في فترة وقد كانت امور مضت ملتم فيها ميلة كنتم فيها عندي غير محمودين ولئن رد عليكم امركم انكم لسعداء وما علي الا الجهد ولو اشاء ان اقول لقلت عفا الله عما سلف **اقول** هذه الخطبة خطب بها بعد مقتل عثمان في اول خلافته والدخلة بالكسر والضم باطن الشيء والمعتام المختار وعقائل الشيء نفائسه واشراط الهدى علاماته والغربيب الاسود والمخلد اليها المسلم اليها امره ولا تنفس لا تضن وتبخل وغض النعمة طريها وصدر الخطبة بالاشارة الى اعتبارات توحيدية الاول انه لا يشغله شان عن شان وذلك لان الشغل عن الشيء انما يتصور للقاصر في العلم وقد ثبت انه تعالى عالم محيط بكل مقدور ومعلوم فاذن لا يشغله مقدور عن مقدور ولا معلوم عن معلوم وقد قررناها بين المسلمين في الكتب الكلامية والحكمية الثاني لا يغيره زمان واذ ثبت انه تعالى خالق الزمان ولا زمان يلحقه فلا تغير يلحقه بتغيره ولانه واجب الوجود ولا شيء من المتغير في ذاته او صفاته بواجب الوجود فلا شيء منه يلحقه التغير الثالث ولا يحويه مكان لبراءته عن الجسمية ولواحقها وكلما كان كذلك فهو بريء عن المكان ولواحقه فينتج انه بريء من المكان ولواحقه الرابع ولا يصفه لسان اى لا يعبر اللسان عن حقيقة وصفه وبيان ما هو وذلك لانه تعالى منزه عن وجوه التراكيب فيحال ان يقع العقول على حقيقة وصفه فكيف باللسان الذي هو المعبر عنها الخامس ولا يعزب عنه عدد قطر الماء الى قوله الاحداق وهو اشارة الى احاطة علمه المقدس بكليات الامور وجزئياتها وهذه مسئلة عظيمة حارت فيها العقول وقد اشرنا اليها في المختصر الموسوم بالقواعد الالهية ثم عقب هذا التنزيه بالشهادة بكلمة التوحيد وذكر لله تعالى احوالا شهد بوحدانيته عليها الاول كونه غير معدول به اى لا عديل له ولا مثل الثاني ولا مشكوك فيه اى في وجوده فان ذلك ينافي الشهادة بالوحدانية الثالث ولا مكفور دينه لان الجحود لدينه يستلزم النقصان في معرفته فكان الاعتراف به كمال المعرفة والشهادة بوحدانيته الرابع ولا مجحود تكوينه اى ايجاده للموجودات وكونه ربا لها ثم عقب وصف المشهود له بحال تلك الشهادة باوصاف الشاهد بها باعتبار شهادته وهو كونه صادق النية في تلك الشهادة اى باعتقاد جازم وصافي الدخلة اى نقي الباطن من الرياء والنفاق وخالص اليقين بوجود المشهود له وكمال وحدانيته من الشكوك والشبهات فيه وثقيل الموازين بكمال تلك الشهادة والقيام بحقوقها من سائر الاعمال الصالحة الواردة فيها باحثها وذكر للمشهود برسالته اوصافا احدها كونه مجتبى من الخلائق ومصطفى منهم وذلك يعود الى كرامه واعداده نفسه لقبول انوار النبوة الثاني والمعتام لشرح حقائقه اى لايضاح ما خفي من الحقائق الالهية والشرعية التي يبينها الثالث المختص بنفائس كراماته وهي الكمالات النفسانية من العلوم ومكارم الاخلاق التي اقتدر معها على تكميل الناقصين الرابع والمصطفى لكرائم رسالاته اى لرسالاته الكريمة وتعددها باعتبار تعداد نزول الاوامر عليه فان لكل امر امر بتبليغه الى الخلق رسالة كريمة الخامس الموضحة به اعلام الهدى وهي قوانين الشريعة ودلالات الكتاب السادس والمجلو به غربيب العمى واستعار لفظ الغربيب لشدة ظلمة الجهل ولفظ الجلاء لزوال تلك الظلم بانوار النبوة ثم انذر الناس ونبههم على معايب الدنيا ومذامها منها انها تغر المؤمل لها والراكن اليها وذلك ان المؤمل لبعض مطالبها لا يزال يتخيل له امارات خيالية على مطالب وهمية وانها ممكنة التحصيل فيغتر بذلك فيوجب له مد الامل وقد يخترم دون بلوغها وقد ينكشف بطلان تلك الامارات بعد العناء الطويل ومنها انها لا تنفس على من نافس فيها ولحبها امل يتيم به الى الهالك وترميه بغرائب من النوائب ومنها انها تغلب من غلب عليها اى من ملكها واخذها بالغلبة فتوقعه في تهب بقهره ويغلبه والاوصاف المذكورة التي من شانها ان تكون للعدو القوي الداهي نبه بها على كونها تغر المؤمل لها وتغلب مغالبها ولا تنفع على محبها مستعار ووجه المشابهة استلزام الكون فيها والاغترار بها ومحبتها والتملك لها الهلاك فيها وعنها في الآخرة كاستلزام الغرور بالعدو الداهي الذي لا يحب احدا والركون اليه الهلاك ثم اخذ في التنبيه على وجوب شكر المنعم واستدراكها بالفزع الى الله وانهم ان زوال النعمة عنهم ليس الا بذنوب اجترحوها وذلك اشارة الى ان الذنوب بعد

جواب للذعلب في سؤال عن ربه

لزوال النعم وحلول النقم لانهم لو استحقوا الصالحة لتتم مع الذنوب لكان منعهم اياها منعا للمستحق المستعد وذلك عين الظلم وهو من الجود الالهي محال كما قال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم اي يستعدوا للتغيير بالمعاصي وقوله ولو ان الناس الى قوله كل فاسد اشارة الى ان الفزع الى الله بصدق النية وتوله القلب بحيرة وذهوله عن كل شئ سوى الله بعد الاعداد لذلك الا فاضة الخاطر سواء كانت عود نعمة او دفع نقمة او ستر اثبات ورد لها على عدو وقد ذلك انزل اي من النعم واصلاح الفاسد اي من شأن الاحوال وقوله واني لاخشى ان تكونوا في فترة كني بالفترة عن مرحلة الجاهلية كناية بالمجاز اطلاقا لاسم الظرف على المظروف اي اخشى ان يكون احوالكم احوال الجاهلية في التعصب الباطل بحسب الاهواء المختلفة وقوله وقد كانت امور الى قوله محمودين فالت الامامية تلك الامور التي مالوا فيها هي تقدمهم عليه من سبق من الائمة وقال غيرهم هي حركاتهم وميلهم عليه بتغابهم عثمن وفلتة الشورى واختيارهم له وما جرى فيها من الاقوال والافعال وقوله ولئن رد عليكم امركم اي صلاح احوالكم واستقامة سيرتكم التي كنتم عليها في زمن الرسول صلى الله عليه وآله انكم لسعداء عند الله في الدنيا وما علي الا الجهد اي في عود ذلك الامر عليكم وقوله ولو شاء ان اقول لقلت يفهم منه انه لو قال لكان مقتضى قوله تشنيعا على من تقدم عليه الظلم له وتخطئتهم في التقدم عليه وذكر معايب تقتضى وجوب التحرز في نظره ونقد الكلام ويكون لا اقول فلم اكن من اهل القول وقوله عفا الله عما سلف اشارة الى مسامحته لهم بما سبق منهم من الخطاء ومجاز بان يقول الانسان مثل ذلك فيما تسامح به عن غيره من الذنوب واحسن العبارات في ذلك لفظ القرآن الكريم فيقتبس في الكلام وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام

قاله لذعلب اليماني وقد سأله هل رأيت ربك فقال أفأعبد ما لا أرى قال وكيف تراه قال لا تراه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان قريب من الاشياء غير ملامس بعيد منها غير مباين متكلم لا بروية مريد لا بهمة صانع لا بجارحة لطيف لا يوصف بالخفاء كبير لا يوصف بالجفاء بصير لا يوصف بالحاسة رحيم لا يوصف بالرقة تعنو الوجوه لعظمته وتجب القلوب من مخافته

اقول تعنو تخضع وتجب القلوب تخفق والفصل فصل شريف من التوحيد والتنزيه فقوله أفأعبد ما لا ارى استفهام على سبيل الانكار لعبادة ما لا يدرك وفيه ازراء على السائل وقوله لا تدركه العيون الى اخره تنزيه له عن الرؤية بحاسة البصر وشرح لكيفية الرؤية الممكنة ولما كان تعالى منزها عن الجسمية ولواحقها من الجهة وتوحيد البصر وانه اكده وانما يرى بالبصيرة بحسب ما يمكن لبصيرة العقل الادراك ونزهه عن ذلك واثبت له ضده فقال لا تدركه العيون الى قوله بحقائق الايمان اركانه وهي التصديق بوجود الله ووحدانيته وسائر صفاته واعتبارات اسمائه الحسنى وتقدس جلاله ثم اعتبارات بعد ذكرها احدها كونه قريبا من الاشياء ولما كان المفهوم من القرب لغة الملامسة والاتصال وهما من عوارض الجسمية نزهه تعالى عنها فقال غير ملامس فاخرجت هذه القرينة ذلك عن حقيقته الى مجازه وهو اتصاله بالاشياء وقربه منها بعلمه المحيط وقدرته التامة الثاني كونه بعيدا ولما كان البعد يستلزم المباينة وهي ايضا من لواحق الجسمية نزهه عنها بقوله غير مباين وقد سبق بيان ذلك مرارا فكان بعده عنها اشارة الى مباينته لها بالكمال عن مشابهة شئ منها الثالث كونه متكلما بلا روية وكلامه يعود الى علمه بصور الاوامر والنواهي وسائر انواع الكلام عند قوم والى المعنى النفساني عند الاشعري والى خلقه الكلام في جسم النبي عند المعتزلة وقوله بلا روية تنزيه له عن كلام الخلق لكونه تابعا للافكار والروي والتراجيع وكونه مريدا بلا همة تنزيه عن مثلية ارادتنا في سبق العزم والهمة لها الخامس صانع بلا جارحة وهو تنزيه لصنعه عن صنع المخلوقين لكونه بالجارحة التي هي من لواحق الجسمية السادس كونه لطيفا لا يوصف بالخفاء واللطيف يطلق ويراد به رقيق القوام ويراد به صغير الحجم المستلزم للخفاء وعدم اللون من الاجسام والحكم من الصنعة وهو تعالى منزه عن اطلاقه باحد هذه المعاني لاستلزام الجسمية والامكان فبقي اطلاقها عليه باعتبارين احدهما تصرفه في الذوات والصفات تصرفا خفيا بفعل الاسباب المعدة لها لافاضة كمالاتها والثاني جلالة ذاته وتنزيهها عن قبول الادراك البصري السابع رحيم لا يوصف بالرقة تنزيه لرحمته عن رحمة الخلق الاستلزامها رقة الطبع والانفعال النفساني وقد سبق بيان كونه تعالى رحيما الثامن كونه عظيما تخضع الوجوه لعظمته اذ هو الاله المطلق لكل موجود وممكن فهو العظيم المطلق الذي تفرد باستحقاق ذلك الكل وتخضع له وتجب القلوب وتنظر اليها من هيبته عند ملاحظة كل منها ما يمكن له من تلك العظمة

ومن كلام له عليه السلام

في ذم اصحابه احمد الله على ما قضى من امر وقدر من فعل وعلى ابتلائي بكم ايتها الفرقة التي اذا امرت لم تطع واذا دعوت لم تجب ان امهلتم خضتم وان حوربتم خرتم وان اجتمع الناس على امام طعنتم وان اجئتم الى مشاقة نكصتم لا ابا لغيركم ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم الموت او الذل لكم فوالله لئن جاء يومي وليأتيني ليفرقن بيني وبينكم وانا لصحبتكم قال وبكم غير كثير لله انتم اما دين يجمعكم ولا حمية تشحذكم او ليس عجبا ان معوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء وانا ادعوكم وانتم تريكة الاسلام وبقية الناس الى المعونة او طائفة من العطاء فتفرقون عني وتختلفون علي انه لا يخرج اليكم من امري رضى فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه وان احب ما انا لاق الي الموت قد دارستكم الكتاب وفاتحتكم الحجاج وعرفتكم ما انكرتم وسوغتكم ما مججتم لو كان الاعمى يلحظ او النائم يستيقظ واقرب بقوم من الجهل بالله قائدهم معوية ومؤدبهم ابن النابغة

اقول الخور الضعف ويحتمل ان يكون من الخوار وهو الصياح والجبن حين تمرد

وهما ولم ب

لكم ند

لطيف

وارد بحقائق الايمان

اللفظ منها

اضحلنا منه

جميته

تتمة رواية نوافي البلاغة

ومعيتهم ونكص رجع على عقبه القالي المبغض والطغام اوغاد الناس والكريهة شدة الحرب وبغضة النعام ومحبة الفا بعض حيه وفي قد حمد الله تعالى على ما قضى وقدر

ولما كان القضا هو الحكم الالهي بما يكون قال على ما قضى من الامر لا نا لامرا تم ان يكون ضلالا ولما كان القدر هو تفصيل القضا وتبيانه الاتيا

على نفسه قال وقدر من فعل وقوله وقعلى ابتلائي بكم تخصيص لبعض ما قضى وقدر وقوله اذا امرت الى قوله نكصتم شرح لوجوه الابتلاء بهم

حاصلها يعود الى عدم طاعتهم له في جميع ما يريده منهم مما ينتظم به حالهم وقوله الى مشاقة اي الى مشاقة عدو وقوله لا ابا لغيركم دعاء بالذل

لغيرهم وفيه نوع تلطف لهم والاصل لا اب والالف مزيدة اما لاشتقاله توالي اربع حركات فاشبعوا الفتحة فانقلبت الفا اوانه قصد الاضافة

واتوا باللام للتاكيد ثم اقسم ان جاء يومه اي فقدوه ليفرقن بينهم وبينه وهو بهم قال لهم يعني فراقه وانتقاله لموته بعده وقوله ور

ليا بيني حشو لطيف واي بمؤكده لان اتيان الموت امر محقق وكانه ردبها ما يقتضيه من الشك تحت هذه الحشوة ثم بعدها

ثم اخذ في التضجر منهم واخبرهم انه لصحبتهم مبغض وانه غير كثير بهم لان الكثرة انما تراد للمنفعة بحيث لا منفعة فكانه لا كثرة وقوله لله انتم

جملة اسمية فيها معنى التعجب من حالهم ومثله لله ابوك وشهد رك ثم اخذ في استفهامهم عما يدعوه ان يوجد فيهم وهو الدين والحمية

والانفة ومن شان الدين ان يجمع على انكار المنكر والحمية ان تشحذ وتثير الهمم الغضبية لطفا وقدر العد واستفهامهما على سبيل العتب

والانكار عليهم وقوله اوليس عجبا الى قوله ونتخالفون على استفهام للتقرير التعجب من حاله معهم في تفرقهم عنه حتى عند الدعوة الى

العطاء ومن حال معوية مع قومه في اجتماعهم عليه من غير معونة ولا عطاء فان قلت المشهورات معوية انما استجلب من استجلب من العرب

بالاموال والرغائب فلم قال فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء قلنا ان معوية لم يكن يعطي جنده على جهة المعونة والعطاء المتعارف بين

الجند وانما كان يعطي رؤساء القبايل من اليمن وساكني الشام الاموال الجليلة ليستعبدهم بها واولئك الرؤساء يدعون اتباعهم من العرب فيطيعونهم

فصادق اذن انه يتبعونه على غير معونة وعطاء واما هو عليه السلام فانه كان يقسم بيوت الاموال بالسوية بين الاتباع والرؤسا على وجه الرزق

والعطاء ولا يرى لذي شرف على مشروف فضلا وكان اكثر من يقعد عن نصرته من الرؤساء لما يعجلونه انفسهم من المساواة بينهم وبين

الاتباع واذا احس الاتباع بذلك تخاذلوا ايضا متابعة لرؤسائهم والمعونة هي ما يطلق للجند في وقت الحاجة لترميم اسلحتهم واصلاح

دوابهم وهو خارج عن العطاء المفروض شهرا فشهرا واستعارهم لفظ التريكة ووجه المشابهة انهم خلف الاسلام وبقية اهله كالبيضة التي

تتركها النعامة وقوله انه لا يخرج الى قوله فترضونه اي انه لا يخرج اليكم من امري امر من شأنه ان يرضى به او يسخط منه فترضونه وتجتمعون

عليه بل لا بد لكم من التفرق والخلاف عليه والحالين ثم نبههم على سوء صنيعهم معه بان احب الاشياء اليه الموت وقد لاحظ هذه الحال

ابو الطيب فقال كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان تكن امانيا تمنيتها لما تمنيت ان ترى صديقا فاعيا او عدوا

مداجيا وقوله قد دارستكم الكتاب الى قوله مجيجه اشارة الى وجوه الامتنان عليهم وهو مدارستهم الكتاب اي تعليمه ومفاتحتهم الحجاج

اي محاورتهم وتعريفهم وجوه الاحتجاج وتعريفهم ما انكروه اي الامور المجهولة لهم وتسويغهم ما مجوه واستعار وصف التسويغ اما لاعطائه

لهم العطايا والارزاق التي كانوا يمجونها من بعد غيره لو كان كمعوية واما لادخاله العلوم في افواه اذهانهم وكذلك لفظ المج اما لحرمانهم

من غيره او لعدم العلوم عن اذهانهم وبعدها اذهانهم عنها فكانهم القوها لعدم حصولها للاساغة ووجه الاستعارة تبرز وقوله لو كان الاعمى

الى قوله ليستيقظ اشارة الى انهم جهال لا يلحظون باعين بصائرهم ما اتاهم من العلوم وغافلون لا يستيقظون من سنة غفلتهم بما ايقظهم

به من المواعظ وغيرها ولفظ الاعمى والنائم مستعاران والقوم في قوله واقرب بقوم هم اهل الشام وهو تعجب من شدة قربهم من الجهل بالله



اذكان قائدهم في الطريق معوية ومؤدبهم ابن النابغة اي عمرو بن العاص وهو يتبعهم المنافقين واهل الغدر والخداع واذا كان الرئيس

القايد والمؤدب في تلك الطريق من الحيل والفجور بحال الرجلين المشار اليهما فما اقرب اتباعهما من البعد عن الله والجهل به واقرب صيغة

التعجب وفائدهم معوية جملة اسمية محلها الجر صفة لقوم وفصل بين الموصوف والصفة بالجار والمجرور كما في قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون

ومن اهل المدينة مردوا على النفاق فجملة مردوا الرفع صفة لمنافقون وفصل بينهما بقوله ومن اهل المدينة والغرض من ذكرهم ووصفهم بما

وصف التنفير عنهم ومن كلام له عليه السلام لرجل من اصحابه وقد ارسله ليعلم له علم قوم من جند الكوفة هموا باللحاق بالخوارج وكانوا

على خوف منه فلما عاد اليه الرجل قال له امنوا فقطنوا ام جبنوا فظعنوا فقال الرجل بل ظعنوا يا امير المؤمنين فقال بعدا لهم كما بعدت

ثمود اما لو اشرعت الاسنة اليهم وصبت السيوف على هاماتهم لقد ندموا على ما كان منهم ان الشيطان اليوم قد استفلهم وهو غدا متبرء

منهم ومتخل عنهم فحسبهم بخروجهم من الهدى وارتكاسهم في الضلال والعمى وصدهم عن الحق وجماحهم في التيه اقول فقطنوا اقاموا وبعدا

بالكسر هلكت واشرعت الرمح سددته وصوبته نحو من تريد ضربه واستفلهم اي طلب منهم التفرق والهزيمة وزينها لهم والفل التفرق

والانهزام والارتكاس الرجوع في الشيء مقلوبا والفصل مشتمل على السؤال عن ظعنهم واقامتهم وعلتهما وهما الامن والجبن ثم على الدعاء

عليهم بالهلاك وانتصب بعدا على المصدر ثم على ما لو فعل لكان سببا لندمهم على ما فعلوا وهو الهجوم عليهم بالقتل والاذلال على

ما كان منهم من التوقف بالولاء الشيطان ثم على حاله لحوقهم لهم وهي استفلال الشيطان لهم وتعريفه لجاعنهم وروي استفزهم اي استخفهم

وروى ستقلهم

واستفلهم اي استقلهم ورضي عنهم وهي فوق الهوينى بذنوله وهو غدا متبرئ منهم ومتخل عنهم اي تاركهم فان التبري في مقابلة سنتها وذلك كقوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الى قوله اني بريء منكم وقوله فحسبهم بخروجهم من الهدى اي يكفيهم ذلك عذابا وشرا والباء في بخروجهم زائدة كهي في قوله تعالى وكفى بالله شهيدا وارتكاسهم في الضلال والعمى رجوعهم الى الضلال القديم وهو الجهل الذي كانوا عليه بعد خروجهم منه بهدايته وصدهم عن الحق بالخروج عن طاعته وجماحهم في تيه الجهل والهوى بعد الاستقرار في بينة العلم والعقل ولفظ الجماح مستعار لخروجهم عن فضيلة العدل الى رذيلة الافراط منها كما سبق والغلو في طلب الحق الى حد الجور عن الصراط المستقيم وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

روي عن نوف البكالي قال خطبنا بهذه الخطبة امير المؤمنين عليه السلام بالكوفة وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف وفي رجليه نعلان من ليف وكأن جبينه ثفنة بعير فقال الحمد لله الذي اليه مصائر الخلق وعواقب الامر نحمده على عظيم احسانه ونير برهانه ونوامي فضله وامتنانه حمدا يكون لحقه قضاء ولشكره اداء والى ثوابه مقربا ولحسن مزيده موجبا ونستعين به استعانة راج لفضله مؤمل لنفعه واثق بدفعه معترف له بالطول مذعن له بالعمل والقول ونؤمن به ايمان من رجاه موقنا واناب اليه مؤمنا وخنع له مذعنا واخلص له موحدا وعظمه ممجدا ولاذ به راغبا مجتهدا لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركا ولم يلد فيكون موروثا هالكا ولم يتقدمه وقت ولا زمان ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان بل ظهر للعقول بما ارانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم فمن شواهد خلقه خلق السموات موطدات بلا عمد قائمات بلا سند دعاهن فاجبن طائعات مذعنات غير متلكئات ولا مبطئات ولولا اقرارهن له بالربوبية واذعانهن له بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه ولا مسكنا لملائكته ولا مصعدا للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه جعل نجومها اعلاما يستدل بها الحيران في مختلف فجاج الاقطار لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس ان ترد ما شاع في السموات من تلألؤ نور القمر فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ولا ليل ساج في بقاع الارضين المتطاطئات ولا في يفاع السفع المتجاورات وما يتجلجل به الرعد في افق السماء وما تلاشت عنه بروق الغمام وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الانواء وانهطال السماء ويعلم مسقط القطرة ومقرها ومسحب الذرة ومجرها وما يكفي البعوضة من قوتها وما تحمل الانثى في بطنها والحمد لله الكائن قبل ان يكون كرسي او عرش او سماء او ارض او جان او انس لا يدرك بوهم ولا يقدر بفهم ولا يشغله سائل ولا ينقصه نائل ولا ينظر بعين ولا يحد باين ولا يوصف بالازواج ولا يخلق بعلاج ولا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس الذي كلم موسى تكليما واراه من آياته عظيما بلا جوارح ولا ادوات ولا نطق ولا لهوات بل ان كنت صادقا ايها المتكلف لوصف ربك فصف جبرئيل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مرجحنين متولهة عقولهم ان يحدوا احسن الخالقين وانما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والادوات ومن ينقضي اذا بلغ امد حده بالفناء فلا اله الا هو اضاء بنوره كل ظلام واظلم بظلمته كل نور اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي البسكم الرياش واسبغ عليكم المعاش فلو ان احدا يجد الى البقاء سلما او لدفع الموت سبيلا لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام الذي سخر له ملك الجن والانس مع النبوة وعظيم الزلفة فلما استوفى طعمته واستكمل مدته رمته قسي الفناء بنبال الموت واصبحت الديار منه خالية والمساكن معطلة وورثها قوم آخرون وان لكم في القرون السالفة لعبرة اين العمالقة وابن العمالقة واين الفراعنة وابناء الفراعنة اين اصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين واطفؤوا سنن المرسلين واحيوا سنن الجبارين واين الذين ساروا بالجيوش وهزموا الالوف وعسكروا العساكر ومدنوا المدائن

وابناء العمالقة

اقول نقل الجوهري في الصحاح ان نوفا البكالي بفتح الباء وتخفيف الكاف كان صاحب علي عليه السلام ونقل عن ثعلب انه منسوب الى بكالة قبيلة وقال القطب الراوندي وهو منسوب الى بكال وبكيل وبكال شيء واحد وهو اسم حي من همدان وبكيل اكثر وقال الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد والصواب غير ما قالاه وانما هو بكال بكسر الباء من حمير فمنهم هذا الشخص وهو نوف بن فضالة صاحب علي عليه السلام والاقوال محتملة واما جعدة بن هبيرة فهو ابن اخت امير المؤمنين عليه السلام ام هانئ بنت ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم وابوه هبيرة بن ابي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهو صحابي وثفنة البعير واحدة الثفنات وهي ما يقع على الارض من اعضائه والخنوع والخضوع وشيئا وزنه يختلف عليه وموطدات ممهدات والتلكؤ التوقف والطواعية الطاعة والفجاج الطرق بين الجبال والادلهمام شدة الظلمة والسجف الستور والحندس بكسر الحاء الليل شديد الظلمة والسفع الجبال والسفعة سواد مشرب بحمرة وهو لون الجبال غالبا لاكثر واليفاع المرتفع من الارض والجلجلة صوت الرعد وتلاشى اضمحل والانواء جمع نوء وهو سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته كل ليلة الى ثلاثة عشر يوما وهكذا كل نجم منها الى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فان

عمران بن مخزوم

في عجز البشر عن وصف ما له

لها اربعة عشر يوماً ومرجعتين منها الى الجنة بعث واركانه للبأس والطعمة الماكلة فقوله الحمد لله الى قوله الاله حمد له باعتبار كونه
منتهى جميع آثاره في عالمي الخلق والامر انتهاء في اوليتها بالصنع والابداع وانتهاء في آخريتها لانه غاية مطلوب السالكين وهو
الباقي بعد كل شيء منها باعتبار وجوب وجوده فهو مستحق البقاء لذاته وهي الممكنة والمستحقة للفناء باعتبار كونه ممكنات لها ولما
كان الحمد قد يكون لاداء حق ما يستحق من النعم وقد يكون للاستزادة منها كان قوله نحمده الى قوله اداء اشارة الى ما سبق من انواع
نعم الله وهي عظيم نعمه من الخلق والايجاد على وفق الحكمة والمنفعة ثم بآثاره بها في متقن صنعه ومحكمه وعلى السنة رسله لسوقنا
في صراطها المستقيم الى جنات النعيم وهدايتنا اليها ثم بافاضة بوادي فضله وامتنانه بكفايتنا في حيوتنا الدنيا ثم بافاضة
اسباب معاشنا ومعادنا وكان قوله والى ثوابه الى قوله موجبا نظر اشارة الى ما نستزيده منها وهو القرب من ثوابه الاخروي
لاستكمال النفس بذلك وحسن مزيده من نعمه الحاضرة كما قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم ثم اردف ذلك بشكر الطلب لمعونته أشبهها
بالصفات المذكورة الى قوله العقول فان استعانة من هذه صفته تكون اقرب الاستعانات الى اجابة المستعان بالمعونة لقوتها
باستجماعها حق الرجاء والامل له تعالى وحسن اليقين في نيل رتبه على نيل النفع ودفع الضر والشكر والاذعان بالطاعة المتبدر
القولية ثم اردف ذلك بالاقرار بالايمان الكامل وهو ايمان من استكمل الاوصاف المعدودة انفا وهي رجاء المطالب العالية
منه حال اليقين التام باتمام املها والرجوع اليه عن جميع القرطات في سائر المهمات حال الايمان به والخضوع حال انقياده لعزته
ثم الاخلاص له حال توحيده ثم تعظيمه حال تمجيده والتوكل عليه حال الرغبة اليه والاجتهاد فيها وقطات ذلك الايمان كامل ثم اخذ
في تنزيهه تعالى باعتبارات سلبية واضافية هي غاية الواصفين منها انه لم يكن له والد فيكون له شريك في العزة اذ العادة ان يكون
والد لغيره عزيزا ومنها انه لم يلد فيكون موروثا هالكا وهو تنزيه له عن صفات البشر اذ العادة ان الاولاد يموت الوالد فيرثه ولده
برهانهما انهما من لواحق الحيوانية المستلزمة للجسمية المنزه قدسه عنها ومنها انه لم يتقدمه وقت ولا زمان واقتضت جزء الزمان
واذ كان خالق الوقت والزمان فبالحري ان يتقدمهما ومنها انه لم يتعاقب عليه الزيادة والنقصان لان الزيادة والنقصان من لواحق الممكن
المستلزم للامكان المنزه قدسه عنه ومنها انه ظهر للعقول في علامات التدبير وهي الاحكام والاتقان في مصنوعاته الموجودة على وفق

التفسير الكبير

القضاء المحكم فمن جملتها خلق السموات كقوله تعالى ان في خلق السموات والارض لايات وقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض فقد
مرتبا كونهما بلا عمد وقيامهما بلا سند في الخطبة الاولى ودعاؤه من حكم سلطان القدرة الالهية عليهن واجابتهن دعوته لهن في الوجود
عن ذلك الحكم وطوعهن واذعانهن من غير تلكؤ ولا تباطؤ في اجابتهن خضوعهن في رق الحاجة والامكان لواجب وجوده
وسلطانه وقوله ولولا اقرارهن الى قوله والعمل الصالح من خلقه كلام حق فان الاقرار بالربوبية له راجع الى شهادة حال الممكن بالحاجة
الى الرب والانقياد لحكم قدرته وظاهر انه لولا امكانها وانفعالها عن قدرته وتدبيره لم يكن فيها عرش ولم يكن اهلا لهبوط تدبير احوال
الملائكة وسكانها ولم تكن قابلة لصعود الملائكة بالكلم الطيب والاعمال الصالحة للخلق وقد سبقت الاشارة الى بيان الصعود الافلاك
عنها في الخطبة الاولى بحسب الامكان ولفظ الدعاء والاقرار والاذعان مستعارة ويحتمل ان يكون حقا بقوله تعالى ثم لطوا الى ان لها ارواحا
مدبرة عاقلة وقوله وجعل نجومها الى قوله الاقطار اشارة الى بعض غايات وجود النجوم وقد سبق بيان ذلك وقوله لم يمنع الى قوله
والقمر استعار لفظ السجف والجلابيب للسواد من سواد الليل ووجه الاستعارة ظاهر وخص القمر بالذكر لكونه من الايات العظيمة والمقابلة
بين الضياء والظلمة مقابلة العدم والملكة وكل منهما يوجد بوجود سببه ويعدم بعدم سببه فلا يكون رفع احدهما بالاخر ظاهر
اذن ان نور القمر والنجوم لا يمنعه من الوجود والتحقق ظلمة الليل بل يتعاقبان بحسب تعاقب سببهما المنتهية الى قدرة الصانع الحكيم
جلت قدرته وقوله فسبحان الى قوله في بطنها تنزيه له بحسب احاطة علمه بحسب كليات الاشياء وجزئياتها والمتطامنات مهابط الارض

تمام

الاسفل وتجلجل به الرعد اشارة الى تسبيحه في قوله تعالى ويسبح الرعد بحمده وذلك التسبيح يعود الى شهادته بلسان حاله في ذلك الصوت على كمال
قدرة مسخر السحاب والمعد لنضو به وقد عرفت سببه وما تلاشت عنه بروق الغمام الى ما لم ينكشف للابصار باضاءتها وانما خص

ومن القدر

ذلك حقه ما اضاءته لان العلم بما كان اشرف لتعلقه الا بد لم ذكر اصناف المخلوقين دون ما تضيئه لان الكل لم يوانما اضاف العواصف
الى الانواء لان العرب تضيف الاثار العلوية من الرياح والامطار والحر والبرد اليها ثم عاد الى حمده تعالى باعتبار تفرده في الوجود على سائر
مخلوقاته وقد عرفت ما يقال في الكرسي والعرش ثم نزهه تعالى باعتبارات سلبية الاول انه لا يدرك بوهم الثاني انه لا يحد ببعض اي
لا يحد بفهم والفهم من صفات العقل وقد مرت الاشارة الى عجز العقول والاوهام عن وصفه تعالى الثالث انه لا يشغله سائل لاحاطة علمه
وقدرته وقد سبق بيانه الرابع انه لا ينقصه نائل لان النقصان يوجب حوزي الحاجة وقد تنزه قدسه تعالى عنها الخامس كونه
يبصر بعين اي ادراكه ليس بحاسة البصر وان كان بصيرا بذلك لتنزه قدسه عن الحواس السادس انه لا يحد باين اي لا تحده العقول
بالامكنة ويحيط به باعتبارها لبراءته عن التحيز وهو نفي الكمية المتصلة عنه السابع انه لا يوصف بالازواج وهو نفي الكم المنفصل عنه

في عجز القوة البشرية عن وصف كماله

سمى ابليس بها اشتقاقية وبعد ذلك امن لا يتحاشى بعلاج تعزية لصنعه عن وساطة الآلة والحيلة كالآنوار ولذا اصبح الصنايع الذاسع ولا بد ترك بالحواس

لتخصيص ادراكها الاجسام وكيفياتها وتنزهه عن الجسمية ولواحقها الغاشية لا يقاس بالناس تنزيها عن التشبيه بخلقه في كلامهم كما يتوهم

اهل التجسيم الحادي عشر كونه متكلما بلا آلة حروف ولا لهوات وهو تنزيه له عن حال البشرية وعلمت في المقدمات كيفية سماع الانبياء

الوحي فاما قوله واراه من آياته عظيما فقيل اراد آياته في كلامه لا بصيرة من قوله تكليما وقوله بلا جوارح اعراض عن غيرها مناسب الذي رآه من تلك

الآيات ما روي انه كان يسمع الصوت من جهاته الست لا على حد سماع البشر من جهة مخصوصة ولم يدر كوقع السلاسل العظيمة على

الحصا الاصم وفي هذه الكيفية سر لطيف وكونه يسمع من الجهات الست اشارة الى ان الكلام كان بائنا فهل نفس في لوح خيالا من جهة

بل نسبة الجهات الست اليه على سواء في عدم سماعه منها فلا جرم قيل يسمعه الجهات الست هو اولى من ان يقال يسمع لا من جهة لبعد ذلك

عن افهام الخلق فاما كونه كوقع السلاسل فهو اشارة الى عظمته بالنسبة اليه مشبهة باشد الاصوات وقيل اراد بها الآيات التسع

كانشقاق البحر وقلب العصا ثعبانا وغيرهما ثم نبه على عجز القوة البشرية عن وصف كماله تعالى بقوله بل ان كنت صادقا الى قوله احسن

الخالقين وهي سورة ... قال سلطاننا في مفصل ... على عجز من ... وصف ربه كما هو ... ان كنت صادقا فانت المتكلف

لوصف ربك في وصفه فوصف بعض خلقه وهو جبرئيل وميكائيل وجنود ملائكته المقربين ونتيج باستثنائه ونقيض لتبين لكنك

لا يمكنك وصف هؤلاء بالحقيقة فلا يمكنك وصفه تعالى بيان ان الملائكة ان وصفهم اذا كان يمكنا فوصف بعض آثاره اسهل عليك

واما بطلان التالي فلان حقيقة جبرئيل وميكائيل وسائر الملائكة المقربين غير معلومة لاحد من البشر ومن عجز عن وصف بعض آثاره

فهو عن وصفه اعجز وعجزت لقدس مقام الطهارة عن الشهوات البدنية والتعلقات الخالية عن شوائب النفس الامارة بالسوء ومتسعا

لفظا الموجبين لخضوعهم تحت سلطان هيبته وعظمته وتولهم عقولهم حيرتها وتشتتها عن ادراك حقيقته بحيث تعف عند عظمته ثم

نبه على ما بعد ذلك من حيث الوصف وهو ذوو الهيئات والآلات التي تجري فيها وتحيط بها الافهام من جهتها وما الجهة الفناء فيقتضي

اذا بلغ امد حده وتقف الافهام على تلك الحالة بحالة الى اجزائه فيطلع على كنهه منها ثم عقب ذلك التنزيه بتوحيده ونفي الكثرة عنه بجر

قوله اضاء بنوره كل ظلام فان الظلام اما محسوس فاضاءه بانوار الكواكب او معقول وهو ظلام الجهل فاضاءه بانوار العلم والشرايع ونور

واظلم بنوره كل نور اذ جميع الانوار المحسوسة والمعقولة لغيره مضمحلة في نور علمه وظلام بالنسبة الى ضيائه براهينه في جميع مخلوقاته

الكاشفة عن وجوده وكمال جوده ثم شرع في الموعظة مبتدئا بالوصية باعتبار سلب مرتين مما سبب البقاء في الحيوة الدنيا وهما الملبوس

والمطعوم ويحتمل ان يريد المعاش سائر اسباب البقاء وثنى بذكر انه لا سبيل الى البقاء ودفع الموت تخويفا به ولنحتج عليه بقياس شرطي

متصل لو ان احدا يجد سبيلا الى دفع الموت لوجده سليمان ثم ونفيه بالاستثناء لكنه لم يجده فلن يجده احد بعده اما الملازمة فلان

سليمان كان اقوى سلطان وجد في العالم لاعتبار احكمه على ملك الجن والانس مع النبوة وعظم الزلفة عند الله فكان اولى من غيره

لو كان يمكن دفعه واما بطلان التالي فالسمع الى استوفى طعمته واستكمل مدته فلو وجد لما مات فخالد فقد عجز بنفسه فقوله فلو ان الى

قوله سبيلا هو مقدم الشرطية وقوله لكان ذلك الى قوله **منقول** هو التالي وقوله الذي الى قوله لو لقربنا لوجده

الملازمة وقوله فلما استوفى الى قوله وورثها قوم آخرون هو بيان بطلان التالي ولفظ القسي وانتبل استعارة لمرامي الامراض واسبابها هي

بنيان الموت ووجوهها ظاهر ثم شرع في التنبيه على الاعتبار باحوال القرون السالفة واستفهم عن قرب قرب تنبيها على فنائهم واستفهامها على فنائهم

واستفهامها على سبيل التقرير والعمالقة اولاد عوذ بن ارم بن سام بن نوح وكان الملك باليمن والحجاز وما تاخم ذلك من الاقاليم من اولاده عملاق

طسم وجديس وكانا العرب والملك بعد عملاق بن لاوذ في طسم فلما ملكهم عملاق الى ابي واكثر العيث والفساد في الارض حتى كان يطأ العروس

ليلة هداها الى بعلها وان كانت بكرا افتضها قبل وصولها اليه ففعل ذلك بامراة من جديس فغضب لها اخوها وتابعه قومه على الفتك

بعملاق وحي طسم واهل بيته فصنع اخوها طعاما ودعا عملاق الملك اليه ثم وثب به وبطسم فاتى على رؤسائهم ونجا منهم رباح بن مرة فصار

الى ذي جيشان بن تبع الحميري ملك اليمن فاستغاث به واستنجده على جديس فسار الى حمير بالجيوش وهي قصبة اليمامة فاستاصلهم

جديسا وخرب اليمامة فلم يبق لجديس باقية ولا لطسم الا اليسير منهم ثم ملك بعد طسم وجديس وبار بن اميم بن لاوذ بن ارم بوادي واهل فنزل

بارض وبار وهي المعروفة الان برمل عالج فبغوا في الارض حينا ثم افناهم الله ثم ملك بعد وبار عبد ضخم بن اسف بن لاوذ فنزلوا بالطائف

حينا ثم بادوا واما الفراعنة فهم ملوك مصر فمنهم الوليد بن ريان فرعون يوسف ومنهم الوليد بن مصعب فرعون موسى ومنهم فرعون

الاعرج الذي غزا بني اسرائيل واخرب بيت المقدس واما اصحاب مدائن الرس فقيل انهم اصحاب شعيب النبي وكانوا عبدة اوثان ولهم مواش

واما رسيسون منها والرس بئر عظيمة حولها انخسفت بهم وهم حولها وقيل الرس قرية باليمامة كان يسكنها قوم من بقايا ثمود فبغوا فاهلكوا

وقيل الرس اصحاب الاخدود وقتلوا الاخدود وقيل الرس نهر عظيم في اقليم الباب والابواب مبدأه من مدينة طرابزون ينتهي الى نهر

الكر فيختلط به حتى يصب في بحر الخزر وكان هناك ملوك اولوا بأس وقدرة فاهلكهم الله ببغيهم والله اعلم قوله **منها** فلا ليس للحكمة

بنفوسهم

زينة

دخل

صمم

غ

اصنام

في بيان مواعظ لبعض اصحابه

جُنّتها واخذها بجميع ادبها من الاقبال عليها والمعرفة بها والتفرغ لها فهي عند نفسه ضالّته التي يطلبها وحاجته التي يسأل عنها فهو مغترب اذا اغترب الاسلام وضرب بعسيب ذنبه والصق الارض بجرانه بقية من بقايا حججه خليفة من خلائف انبيائه ثم قال عليه السلام ايها الناس اني قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ بها الانبياء اممهم واديت اليكم ما ادت الاوصياء الى من بعدهم وادبتكم بسوطي فلم تستقيموا وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا لله انتم اتتوقعون اماما غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السبيل الا انه قد ادبر من الدنيا ما كان مقبلا واقبل منها ما كان مدبرا وازمع الترحال عباد الله الاخيار وباعوا قليلا من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى ما ضر اخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين الا يكونوا اليوم احياء يسيغون الغصص ويشربون الرنق قد والله لقوا الله فوفاهم اجورهم واحلهم دار الامن بعد خوفهم اين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق اين عمار واين ابن التيهان واين ذو الشهادتين واين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وابرد برؤسهم الى الفجرة ثم ضرب بيده الى لحيته فاطال البكاء ثم قال اوه على اخواني الذين تلوا القرآن فاحكموه وتدبروا الفرض فاقاموه احيوا السنة واماتوا البدعة دعوا للجهاد فاجابوا ووثقوا بالقائد فاتبعوه ثم نادى باعلى صوته الجهاد الجهاد عباد الله الا واني معسكر في يومي هذا فمن اراد الرواح الى الله فليخرج قال نوف وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف ولقيس بن سعد في عشرة آلاف ولابي ايوب الانصاري في عشرة آلاف ولغيرهم على اعداد اخر وهو يريد الرجعة الى صفين فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله فتراجعت العساكر فكنا كالاغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان **اقول** جرانه صدره وعسيب ذنبه منبته واستوسق الامر انتظم واجتمع وازمع صمم عزمه والرنق بالسكون الكدر وابرد بريدا ارسل واوه ساكنة الواو مكسورة الهاء كلمة توجع والاختطاف والتخطف الاخذ بسرعة والاشارة الى العارف منكم وقال بعض الاماثل الاشارة الى الامام المنتظر وليس بواضح من هذا الكلام ولفظ الجنة مستعار للاستعداد للحكمة بالزهد والعبادة الحقيقيين والمواظبة على العمل باوامر الله ووجه الاستعارة ان بذلك الاستعداد يأمن من اصابة سهام الهوى وتورث دواعي الشهوات القائدة الى النار كما يأمن لابس الجنة من اذى الضرب والجرح واخذه لها بجميع ادابها من الاقبال عليها والمعرفة بها اي بقدرها والتفرغ لها عن العلائق الدنيوية بالزهد من جملة الاستعداد لها ايضا واستعار لها لفظ الضالة لمكان انشاده لها وطلبه كما تطلب الضالة من الابل والبهائم والاشارة بقوله ع الحكمة ضالة المؤمن وقوله فهو مغترب اذا اغترب الاسلام اشارة الى اخفائه نفسه وايثاره العزلة عند اغتراب الاسلام وضعفه وظهور البدع والمنكرات كما اشار اليه سيد المرسلين ص بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ واستعار لفظ العسيب والذنب والجران ملاحظة لشبهه بالبعير البارك وكنى بذلك عن ضعفه وقلة نفعه فان البعير اقل ما يكون نفعه حال بروكه وقوله بقية من بقايا حججه اي خلفائه اذ العلماء والعارفون حجج الله في الارض على عباده وكونه خليفة من خلفاء انبيائه لقوله ص العلماء ورثة الانبياء وقوله ايها الناس الى قوله تستوسقوا تذكير بموعظته لهم واعذار اليهم باداء ما كلف به في حقهم مما كلفت به الانبياء مع اممهم والاوصياء الى من بعدهم ومعاتبة لهم وتوبيخ على عدم استقامتهم واجتماعهم على اوامره مع تأديبهم بالضرب والحث بالزواجر وقوله لله انتم الى قوله السبيل استفهام لهم عن توقعهم اماما هاديا مرشدا غيره استفهاما على سبيل الانكار لوجود سبيل ذلك الامام واكد ذلك الانكار المفهوم من الاستفهام بقوله الا انه قد ادبر من الدنيا ما كان مقبلا اي من الخير وصلاح اهلها واقبل منها ما كان مدبرا اي من الشرور التي ادبرت بمقدم الرسول ص وظهور الاسلام وازمع الترحال عباد الله الاخيار المتوقع فيهم امام كسلمة في الهداية لسبيل الله وازماعهم للترحال كناية عن اقتضاء الزمان لفنائهم من الدنيا والرحيل عنها ثم استعار لفظ البيع لتعويضهم بالقليل الفاني من متاع الدنيا الكثير الباقي من متاع الآخرة ثم اخذ في التذكير بمعنى ضرر الموت وعدم الحيوة عن اخوانه من الصحابة الذين قتلوا بصفين وزهد في تلك الحيوة بكونها محل تجرع الغصص وشرب الكدر من الآلام والاعراض ومشاهدة المنكرات ولما زهد في تلك الحيوة نبه على ما لهم في عدمها من الفائدة وهي لقاء الله وتوفيته لاجورهم على الاعمال الصالحة وحلولهم في دار الامن اي الجنة بعد خوفهم من فتن اهل الضلال ثم اخذ في الاستفهام عمن ركب طريق الحق ومضى عليه مستصحبا له استفهاما على سبيل التوجع لفقدهم والتوحش لفراقهم ثم عين من اكابرهم فذكر عمار بن ياسر وفضله في الصحابة مشهور وابوه عربي قحطاني وامه امة لابي حذيفة بن المغيرة المخزومي ولدت عمارا فاعتقه ابو حذيفة فمن هناك كان عمار مولى لبني مخزوم اسلم هو وامه سمية وعذبهما بنو مخزوم في الله فاعطاهم عمار ما ارادوا بلسانه مع اطمينان قلبه بالايمان فنزلت فيه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وهاجر الى ارض الحبشة وصلى القبلتين وهو من المهاجرين الاولين وشهد بدرا والمشاهد كلها وابلى بلاء حسنا ثم شهد اليمامة فابلى فيها ايضا ويومئذ قطعت اذنه وعن ابن عباس في قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس قال هو عمار بن ياسر وعن عائشة انها قالت ما من احد من اصحاب محمد ص اشاء ان اقول فيه الا قلت الا عمار بن ياسر فاني سمعته صلى الله عليه وآله يقول انه ملئ ايمانا الى اخمص قدميه وعنه ص عمار جلدة ما بين عيني تقتله الفئة الباغية لا انالها الله شفاعتي وعنه ص من ابغض عمارا ابغضه الله واما ابن التيهان بياء مشددة مفتوحة نقطتين من تحت ويروى بتخفيفها ساكنة فهو من الانصار كنيته ابو الهيثم واسمه مالك بن

وقيل اسمه

في وصف القرآن وفضائله

ج ٣ ب

وقيل بل اسم ابيه عمرو بن الحرب وهو ابن التيهان كان احد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا والمشهور انه ادرك صفين مع علي ع وقتل بها وقيل توفي في
زمان الرسول ص واما ذو الشهادتين فكنيته ابو عمارة واسمه خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمي الانصاري من الاوس جعل رسول الله
شهادته بشهادة رجلين لقضية مشهورة وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد وكانت راية بني خطمة من الاوس يوم الفتح بيده وشهد صفين
مع علي ع فلما قتل عمار قاتل هو حتى قتل معه ونظراؤهم من اخوانه اي الذين قتلوا بصفين معه من الصحابة كابن بديل وهاشم بن عتبة
ونحوهما وتعاقدهم على المنية اتفاقهم على المقاتلة الى غاية ان يقتلوا وروى تعاهدوا والفجرة الذين حملت رؤسهم اليهم امراء الشام
ثم اخذ في التشكي والتوجع على فقدهم ثم اشار الى فضائلهم التي هي غاية الشريعة المطلوبة منهم فمنها تلاوة القرآن واحكامه بفهم معانيه ومقاصده
ومعاينه والتدبر للغرض اي فهمها لاجلها للعبادات واقامتها والمواظبة عليها نظرا الى اسرارها واحياء السنن النبوية واماتة البدع
المخالفة لها واجابتهم للدعوة الى الجهاد لاقامة الدين ووثوقهم بالمتبع سبيل الله يعني نفسه واتباعهم له اذ هو الوصلة الى الله المخرج الى الجهاد
الذي هو سبيل الموصل اليه والى ثوابه وقيس بن سعد الخزرجي صحابي كنيته ابو عبد الملك روى عن رسول الله ص احاديث وابوه سعد
من رؤساء الخزرج وهو سعد بن عبادة الذي حاول قوم اقامته خليفة بعد رسول الله ص وكان قيس هذا من كبار شيعة علي ع ومحبيه وشهد معه
حروبه كلها وكان مع الحسن ابنه ونقم عليه صلحه لمعوية واما ابو ايوب الانصاري فهو خالد بن سعد بن كعب الخزرجي من بني النجار شهد العقبة
وبدرا وسائر المشاهد وعليه نزل رسول الله ص لما خرج من بني عمرو بن عوف حين قدم المدينة مهاجرا فلم يزل عنده حتى بنى مسجده
ومساكنه ثم انتقل اليها وشهد مع علي مشاهده كلها الجمل وصفين وكان على مقدمته يوم النهروان وبالله التوفيق **ومن خطبة**
له عليه السلام الحمد لله المعروف من غير رؤية والخالق من غير منصبة خلق الخلائق بقدرته واستعبد الارباب بعزته وساد العظماء
بجوده وهو الذي اسكن الدنيا خلقه وبعث الى الجن والانس رسله ليكشفوا لهم عن غطائها وليحذروهم من ضرائها وليضربوا لهم
امثالها وليبصروهم عيوبها وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرف مصاحها واسقامها وحلالها وحرامها وما اعد الله سبحانه للمطيعين
منهم والعصاة من جنة ونار وكرامة وهوان احمده الى نفسه كما استحمد الى خلقه وجعل لكل شيء قدرا ولكل قدر اجلا ولكل
اجل كتابا **اقول** المعروفية لغة تحمد الله باعتبار كونه معروفا بآثاره عند العقول المعرفة المنزهة عن ادراك الحس المختص بالاجسام
ولواحقها ثم باعتبار كونه خالقا وموجدا للاشياء المنزه عن المتاعب لاستلزامها الآلات المستلزمة للجسمية التي من شانها الضعف والعناء
والعوز ثم نبه على انشاء الخلائق والنعم الفائضة الى قدرته ليعتبر السامعون نسبتها اليه وباعتبار استعباده الارباب على كمال العزة المطلق
الواجبي المستلزم لخضوع كل موجود في ذل الامكان والحاجة اليه وبسيادته للعظماء على كمال عظمته وجوده الواجبي المطلق المستلزم لفقر كل
اليه ورغبته له ثم نبه باسكانهم الدنيا وبعثه رسله الى الجن والانس منهم كما قال يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم
آياتي الآية على كمال لطفه بخلقه وحكمته في ايجادهم في الدنيا وغاية ذلك ان يكشفوا لهم ما يغطي بحجب الدنيا عن اعين بصائرهم من احوال الآخرة التي خلقوا
لها وان يحذروهم بالضرب من ضر الدنيا وعوائدها وضرب الامثال بتنبيهها كما في القرآن الكريم انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه الآية وامثالها وان
يبصروهم عيوبها وان يهجموا عليهم بما في تصاريفها من العبرة وهي الصحة والسقم وما احل وحرم على طريق الابتلاء به وحلالها عطف على تصرف
ويحتمل ان يكون عطفا على اسقامها باعتبار ان الحلال والحرام من تصاريف الدنيا وبيانه ان كثيرا من المحرمات لبني كانت حلالا لمن قبله
وبالعكس وذلك تابع لمصالح الخلق بمقتضى تصاريف اوقاتهم واحوالهم التي هي تصاريف الدنيا وقوله وما اعد الله عطف على
معتبر او على عيوبها اي يبصرونهم ما اعد الله للمطيعين والعصاة الى آخره وقوله احمده الى نفسه كما استحمد الى خلقه اي احمده حمدا يكون في
الكيفية والكمية على الوجه الذي طلب الحمد لنفسه من خلقه وقوله جعل لكل شيء قدرا كقوله تعالى قد جعل الله لكل شيء قدرا اي مقدارا
من الكيفية والكمية ينتهي اليه وحدا يقف عنده ولكل قدر اجلا اي لكل مقدار وقتا يكون انقضاؤه فيه وفناؤه ولكل اجل كتابا اراد
بالكتاب العلم الالهي المعبر عنه بالكتاب المبين واللوح المحفوظ المحيط بكل شيء وفيه رقم كل شيء وبالله التوفيق **منها** في ذكر القرآن فالقرآن آمر
زاجر وصامت ناطق حجة الله على خلقه اخذ عليه ميثاقهم وارتهن عليه انفسهم اتم نوره واكرم به دينه وقبض نبيه ص وقد فرغ الى الخلق
من احكام الهدى به فعظموا منه سبحانه ما عظم من نفسه فانه لم يخف عنكم شيئا رضيه او كرهه الا وجعل له علما باديا وآية محكمة تزجر عنه او تدعو
اليه فرضاه فيما بقي واحد واعلموا انه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم وانما تسيرون
في اثر بين وتتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم قد كفاكم مؤونة دنياكم وحثكم على الشكر وافترض من السنتكم الذكر واوصاكم
وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه فاتقوا الله الذي انتم بعينه ونواصيكم بيده وتقلبكم في قبضته ان اسررتم علمه وان اعلنتم كتبه وقد
وكل بكم حفظة كراما لا يسقطون حقا ولا يثبتون باطلا واعلموا ان من يتق الله يجعل له مخرجا من الفتن ونورا من الظلم ويخلده فيما
اشتهت نفسه وينزله منزل الكرامة عنده في دار اصطنعها لنفسه ظلها عرشه ونورها بهجته وزوارها ملائكته ورفقاؤها رسله
فبادروا المعاد وسابقوا الآجال فان الناس يوشك ان ينقطع بهم الامل ويرهقهم الاجل ويسد عنهم باب التوبة فقد اصبحتم في مثل ما سال

من دينه ولم
يترك شيئا
وسخطه فيما بقي واحد

في وجوه تحصل بها تقوى الله وخشيته

اليه الوحشة ممن كان قبلكم وانتم بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم وقد اوذنتم منها بالارتحال وامرتم فيها بالزاد واعلموا انه ليس لهذا
الجلد الرقيق صبر على النار فارحموا نفوسكم فانكم قد جربتموها في مصائب الدنيا افرأيتم جزع احدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تدميه والرمضاء
تحرقه فكيف اذا كان بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان اعلمتم ان مالكا اذا غضب على النار حطم بعضها بعضا لغضبه واذا زجرها
توثبت بين ابوابها جزعا من زجرته ايها اليفن الكبير الذي قد لهزه القتير كيف انت اذا التحمت اطواق النار بعظام الاعناق ونشبت
الجوامع حتى اكلت لحوم السواعد فالله الله معشر العباد وانتم سالمون في الصحة قبل السقم وفي الفسحة قبل الضيق فاسعوا في فكاك
رقابكم من قبل ان تغلق رهائنها اسهروا عيونكم واضمروا بطونكم واستعملوا اقدامكم وانفقوا اموالكم وخذوا من اجسادكم فجودوا
بها على انفسكم ولا تبخلوا بها عنها فقد قال الله سبحانه ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له وله اجر كريم فلم يستنصركم من ذل ولم يستقرضكم من قل استنصركم وله جنود السموات والارض وهو العزيز الحكيم واستقرضكم وله
خزائن السموات والارض وهو الغني الحميد وانما اراد ان يبلوكم ايكم احسن عملا فبادروا باعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره رافق
بهم رسله وازارهم ملائكته واكرم اسماعهم عن ان تسمع حسيس نار ابدا وصان اجسادهم ان تلقى لغوبا ونصبا ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم اقول ما تسمعون والله المستعان على نفسي وانفسكم وهو حسبنا ونعم الوكيل **اقول** اليفن الشيخ الكبير
والقتير الشيب ولهزه خالطه والجوامع جمع جامعة وهي الغل لجمعها الايدي الى الاعناق واللغوب التعب وقد وصف القرآن الكريم بالصفات
المتغايرة لاختلاف الاعتبارات فالامر مع الزاجر واطلاقهما عليه من باب اطلاق اسم السبب على المسبب اذ الامر والناهي هو الله تعالى والصامت
مع الناطق واطلاق لفظ الناطق عليه مجاز اذ الناطق هو المتكلم به من باب اسم المتعلق على المتعلق وكونه حجة الله على خلقه لاشتماله على
وعدهم ووعيدهم وبيان غاية وجودهم والمطلوب منهم والاعذار اليهم ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وانه خلاصة ما بعث
الرسول به وقد بعث رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكانه اقوى المعجزات التي بها ثبت نبوة الرسول
على الخلق في صدقه وقد اخذ عليهم ميثاقه الضمير في اخذ لله وفي ميثاقه للكتاب ذلك الاخذ هو خلقهم وبعثهم الى الوجود الى ان يعملوا
بما اشتمل عليه الكتاب من مطالب الله الحقة وهو ما اشار اليه القرآن الكريم واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الاية والتقدير
اخذ عليهم ميثاقه في العمل بما فيه وقوله وارتهن عليه انفسهم اي جعل انفسهم رهنا على العمل بما فيه والوفاء به فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن
اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما واتم به نوره اي نور هداية الخلق والنور المتمم هو نور النبوة وهو اشارة اليه بقوله تعالى
يريدون ان يطفئوا نور الله ويأبى الله الا ان يتم نوره واطفاؤه بما كانوا يقولون من كونه معلم مجنون وساحر كذاب وكون القرآن
اساطير الاولين اكتتبها وكذلك اكرم به دينه وقوله وقبض نبيه الى قوله به كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم الاية واحكام الهدى بيان طرقه وكيفية سلوكها
وتثبيتها في قلوب المؤمنين ثم امر بتعظيم الله سبحانه ونعم ما يقال عظمت من فلان كما يقال عظمته وما هنا مصدرية اي عظموه كتعظيمه نفسه
اي اطلبوا المناسبة في تعظيمكم له كتعظيمه نفسه ثم اشار الى مصدر وجوب تعظيمنا له وهو قوله لم يخف عنكم شيئا من دينه بل كشف لنا و
بينه بالجميع بقدر الامكان ولم يترك شيئا من مرضيه ومكارهه الا نصب عليه علما ظاهرا واية واضحة من كتابه يشتمل على امره بما يرضيه او زجره
عما يكرهه وقوله فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد اشارة الى ان المرضي له من الاحكام او المسخوط فيما مضى هو المرضي والمسخوط
فيما بقي من الاوقات واستقبل من الزمان وحكمه في كونه مرضيا او مسخوطا واحد في جميع الاوقات لا يتغير ولا ينقص وفيه ايماء الى
ان رفع شيء من الاحكام السابقة بالقياس والراي لا يجوز كما سبق بيان مذهبه في ذلك وقوله فانه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من
كان قبلكم الى قوله قبلكم تأكيد وتقرير لما سبق اي ان ما سخطه ونهى عنه الصحابة مثلا فلن يرضى عنكم بفعله فليس لكم ان تجوزوه
وتحلوه باجتهاد وكذلك ما رضيه لهم وامرهم به فلن يسخط عليكم بفعله حتى تحرموه باجتهاد منكم ويحتمل ان يريد بقوله فرضاه فيما بقي
واحد اي فيما بقي من الاحكام الجزئية التي لم يدل النص عليها بالمطابقة بل يحتاج الى اجتهاد في الحاقها بالمنصوص وادراجها تحت
النصوص ومعنى وحدة رضاه وسخطه فيها ان الحكم المطلوب والمكروه فيها واحد لا يجوز الاختلاف فيه حتى يحكم احد المجتهدين
في الشيء الواحد بالحل ويحكم الآخر فيه بالحرمة ويختلف الفتاوى في تلك القضية اما مخطئ او مرضي ويكون ذلك نهيا منه
عن الاختلاف في الفتيا كما علمت تفصيله فيما سبق من الفصول ويكون قوله واعلموا انه لن يرضى عنكم الى قوله قبلكم في معنى النهي
عن رفع الاحكام الشرعية بالاجتهاد والقياس كما قررناه وقيل معناه النهي عن الاختلاف في الفتيا ايضا اي انه لن يرضى عنكم بالاختلاف
الذي سخطه ممن كان قبلكم كما اشار اليه تعالى بقوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وكذلك لن يسخط عليكم بالاتفاق
والاجتماع المرضي ممن كان قبلكم وقيل بل المراد انه لن يرضى عنكم بشيء سخطه ممن كان قبلكم من الاعتقادات الباطلة في المسائل
الالهية ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم من الاعتقادات الحقة فيها ويكون ذلك مختصا بالاصول دون الفروع و
قوله وانما تسيرون في اثر بين الى قوله قبلكم اشارة الى ان الادلة واضحة وقد تكلم بها الاولون قبلكم فانتم تتكلمون بها وترددونها

الرمضاء

فيضاعفه

باقوالهم

وسخطه فيما بقي واحد

في التنبيه على التقوى وخشية الله

ج ٣ ص

ويرجع القول المرتقى منه وقوله فقد كفاكم مؤنة دنياكم كقوله نعم وآمن كل ما ساء المقوم ولاة الكلفة ايراد ما خلقها وايجادها وانما يرزه بكل ما كتب
له في اللوح المحفوظ وحثه على الشكر في تكرارا وامره به ونقل عن الحسن البصري انه قال ان الله كفانا مؤنة دنيانا وحثنا على القيام
بوظائف دينيا ادينه كفانا مؤنة دنيانا وحثنا على القيام بوظائف دينيا وهو اشارة منه الى شدة التحفظ في الدين والاحتراز
عليه وقوله وافترض من السنتكم الذكر ولما كان لكل من الجوارح عبادة كانت العبادة المفروضة باعتبار اللسان الذكر وقد علمت كلها
انه باب عظيم من ابواب السلوك الى الله بل هو روح العبادات اذ كل عبادة لم ينتفع بالذكر فهي خداج ثم نبه على التقوى وخشية الله
نعم فيها ثم بكونها منتهى رضاه وحاجته من خلقه ولفظ الحاجة مستعار اذ نزه قدسه تعالى عنها ووجه المشابهة للمحتاج هو
الحث والطلب المتكرر منه حتى كانه محتاج الى عبادة العباد وتقويهم ولما استلزمت التقوى الحقيقية الوصول الى الله لا جرم كانت
منتهى رضاه من خلقه ثم امرهم بها بعد التنبيه عليها ونبه على الوجوه التي لاجلها يحصل تقوى الله وخشيته وهي كونهم بمنزلة بحيث
يعلم ما يعملون ولفظ العين مجاز في العلم اطلاقا لاسم السبب على المسبب لما استلزامها اياه وكون نواصيهم بيده اي في قدرته وان
النا صية اشارة الى ان عظمة الانسان واشرف ما فيه مملوك والبد مجاز في القدرة اطلاقا لاسم السبب القابلي على المسبب وكون
كون تقلبهم في قبضته اي تصرفهم في حركاتهم وسكناتهم بحسب تصريف قدرته وحكمه لا خروج عنه في شيء وقوله ان اسر
كقوله نعم يعلم ما يسرون وان اعلنوا كتبه الى قولنا اطلاقا وقد سبقت الاشارة الى الكتبة غير مرة ثم اكد القول في التقوى بقوله واعلموا
الى قوله من الفتن وهو لفظ القرآن وقوله من الفتن تفسير لقوله مخرجا ونورا من الظلم اي من ظلم الجهل بانوار العلوم الحاصلة عن
الاستعداد بالتقوى وقوله ويخلده فيما اشتهت نفسه كقوله نعم وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ومنزل الكرامة هو المنزل المبارك
المامور بطلبه في قوله نعم وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين والدار التي اصطنعها لنفسه كناية عن الجنة ونسبها
الى نفسه تعظيما لها وترغيبا فيها وظل حسن تلك الدار انفسه فان الجنة المحسوسة اشرف دار وتنسب الى اشرف المخلوقات واما المعقولة فتعود
الى درجات الوصول والاستغراق في المعارف الالهية التي بها السعادة والبهجة واللذة التامة وهي جامع الاحتبا المعقلي لمنازل
اولياء الله وخاصته ومقامات ملائكته ورسله من المعارف فان الملك العظيم اذا عرف عنايته الى بناء دار وسكنها هو وخاصته
ان يقال انها تختص بالملك واشرفها هاهنا الكلام يدل على انها في السموات وان العرش عليها وفي هذه الكلمة لطيفة وذلك ان
ان العرش يطلق ويراد به الفلك التاسع ويطلق ويراد به العقل الاول باعتبار احاطة علمه بجميع الموجودات وباعتبار احاطة قدرته
الاول جلت عظمته ويطلق ويراد به سلطانه وعظمته واستعار لفظ الظل للعرش بالمعنى الاول باعتبار ان حركة الفلك من الاسباب المعدة
لوصول النفوس البشرية والفلكية الى كمالها بالمعارف الالهية التي بها مخرج منار الجهل كما ان بالظل يكون الاخذ من حرارة الشمس وبالمعنى
ايم هي ان المعارف الالهية المفاضة على اسرار المستعدين من قبل ذلك الملك المقدس يكون بها الراحة الكبرى كما يكون بالظل ثم وبالمعنى الثالث
ان سلطانه نعم وعلوه هو المستولي على كل سلطان والعالي عليه اعلو المطلق واذ هو مبدأ راحة جميع النفوس بجميع كما لاتها العقلية فهو
ظلها الذي لمن يليها واطلاق لفظ الظل على النعمة والسلطان في العرف ظاهر يقال انا في ظل فلان وفي ظل الملك وعدله اذا كان في نعمة
منه وعنايته وقوله ونورها بهجته فيه بهجته ثم نعود الى بنائه كالمشرق في اقطار العالمين على اسرار النفوس وظاهر كونه نور الحسنة الذي تنتهي منه
ابصار البصائر وينتهي في الابتهاج به الملائكة المقربون وقوله وزوارها ملائكته ورفقاؤها رسله فيه لطيفة وذلك انه لما كانت النفوس
البشرية مضطرة كانت متفاوتة المنازل في الكمال وممكن هاذلك عبر عن الرسل بالرفقاء في الجنة لسكانها وما خالفت انواع الملائكة للسمان
والمجردين عن علائق الاجسام في الحقائق وتفاوتت في الكمالات لا جرم خصص الملائكة بكونهم زوارها اي زوار ساكنيها انكان الرفيق
الصق واقرب من الزائر وعبر بتلك الزيارة عن حضور الملأ الاعلى عند النفوس الكاملة عند انقطاعها عن العلائق الحسية والتفاتها
عنها ولما كان ذلك الحضور غير دائم بل بحسب قبلت للنفس اشبه الزيارة فاستعير لفظها وانما كان الملك هو الزائر دون النفس لان صورته ومثاله
هو الواصل الى النفس عند استعدادها للصورة من فيض واهب الصور ثم عاد الى التذكير بامر المعاد فامرهم بالمبادرة الى المعاجلة الى ما يصلح ويخلص
من اهوال مشاق القربات الى الله وكذلك مسابقة الاجال وقوله فان الناس يوشك ان ينقطع بهم الامل اي امل الدنيا والبقاء فيها ولاجل
ذلك الانقطاع وهو يجب ان يلتفت الى صلاح المعاد ويرهقهم الاجل اي يلحقهم فلاجل ذلك اللحوق يجب ان يسارع الى العمل لما ينبغي ويسد
عنهم باب التوبة بادراك الاجل فيجب مبادرتها وقوله فقد اصبحتم الى قوله قبلكم اي اصبحتم في حال الحيوة والصحة والامن و بناء الاسبا
التي بمثلها من كان قبلكم الرجعة عليها اليها ويمكنكم معها العمل وقوله وانتم بنو سبيل الى قوله بالزاد فالواو في وانتم للحال واستعار لهم وصف
بنو السبيل لكونهم في هذه الدار بالعرض بقصد بهم العناية الالهية دارا اخرى ويحثهم بالشريعة عن الرحيل عن الدنيا فهم فيها كالمسافرين
فابواب مدنهم هو ما اشتهر واقرب الابواب الى الدنيا الارحام التي منها يخرجون اليها وابواب الخروج منها هي الموت ولفظ السفر مستعار شبهوا
بغرب من الحقيقة وظاهر ان دار الا ينبغي للانسان فيها بل يكونه اوفق الطريق دار اخرى لا يتسبب بدار السالك الى تلك الدار و نبه على انهم

كلام لامير المؤمنين في وصف المتقين

فيها بالرحيل ضمنا لتصبروا عن الركون اليها والتجافى عنها وحثا على امرهم باتخاذ الزاد فيها تنبيها على ان هناك غاية لها يجب ان يستعد للسلوك اليها
فيها ولفظ الزاد مستعار للتقوى لله وطاعته التي هي زاد النفوس الى حضرة رب العالمين وقوله واعلموا الى قوله نفوسكم تذكير بالوعيد على المعا
دام لهم يرحموا نفوسهم وذلك بالاعمال الصالحة واتباع اوامر الشرع وقوله فانكم قد جربتموها الى قوله شيطان تنبيه على قوة الاحتجاج على وجوب تلك
الرحمة وتلخيصه انكم جربتم انفسكم في هذه الامور الحقيرة فجزعتم وكل من جزع من امثال هذه فبالاولى ان يجزع من كونه بين طابقين من نار
ضجيع حجر وقرين شيطان من قوله فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون وهم الشياطين وقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا فهو له قرين الى قوله ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون وقوله اعلموا ان مالكا الى قوله زجرته من صفات
النار المحسوسة ذكرها للتخويف والتحذير وقوله ايها اليفن الكبير الى قوله السواعد خطاب للشيخ الكبير لانه اولى بالاقلاع عن المعصية
لقربه من الاخرة وسؤال عن حاله سؤال تقريع وتوبيخ على المعصية واطواق النار المحسوسة ظاهرة واطواقها المعقولة تمكن الهيئات الردية
من اعناق النفوس واغلالها من سواعدها ثم اخذ في التحذير من الله لغاية العمل بها بغنيمة حال الصحة والفسحة قبل الخوف ومضايقها
ثم في الامر بالسعي لغاية فكاك رقابهم من النار قبل ان تغلق رهائنها باثامها وقد علمت وجه الاستعارة هنا للرهن ثم الامر بالتهجد
كنى به عن قطع الليل بالعبادة كقوله تعالى ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وانما خص الليل لانه مظنة الخلوة بالله والفراغ من الناس
ولان النهار محل عبادة اخرى كالجهاد والكدح للعيال ثم بتضمير البطون وكنى به عن صيام النهار ثم باستعمال اقدامهم وكنى به عن القيام في
الصلوة ثم بانفاق اموالهم وكنى به عن الصدقات والزكوات في سبيل الله ثم بالاخذ من اجسادهم وكنى به عن اذابتها بالصيام والقيام
للصلوات وايثار التقشف المستلزم للاعراض عن زينة هذه الاجساد المستلزم لذلك حب الدنيا والاقبال على لذاتها ولا شك ان الاخذ
من الجسد بهذه العبادات جود على النفس لما كان الخير والقرب من الله تعالى ولذلك قال فجودوا بها على انفسكم ولا تبخلوا بها عنها وفي
ذكر ان اتعاب الجسد جود على النفس ترغيب فيه ثم استشهد بالايتين على وعد الله بالنصر لمن نصره وبمضاعفة الاجر لمن اقرضه بعد
امره بنصر الله بامتثال اوامره وبقرضه بالصدقات ووجه استعارة لفظ القرض كثرة الاوامر الالهية الطالبة للصدقات فاشبهت
طلب المحتاج المستقرض وفائدة هذه الاستشهادات الى قوله ايكم احسن عملا اعلامهم بانه الغني المطلق عن عباده فيما طلبه منهم من نصره وقرضه
وبيان ان غاية العناية الالهية منهم بذلك هو الابتلاء وقد علمت ابتلاء الله تعالى لخلقه غير مرة ثم اعاد الامر بالمبادرة الى الاعمال للاخرة
لغاية الكون مع جيران الله في جنته مرافقة رسله كما قال حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ومرافقة
رسله كقوله تعالى اولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ومزاورتهم للملائكة
كقوله تعالى يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وتكرمه اسماعهم ان تسمع حسيس نار ابدا كقوله تعالى لا يسمعون
حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون وصيانة اجسادهم ان تلقى لغوبا ونصبا كقوله تعالى لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب
وقوله ذلك فضل الله الاية اقتباس للاية ووجه الاقتباس ظاهر وقوله اقول الى اخره خاتمة الخطبة وفيها الاستعانة بالله على النفوس الامارة
بالسوء في قهرها وتطويعها للنفوس المطمئنة فانه نعم المعين ونعم الوكيل **ومن كلام له عليه السلام** قاله للبرج بن مسهر الطائي وقد قال بحيث
يسمعه لا حكم الا لله وكان من الخوارج اسكت قبحك الله يا اثرم فوالله لقد ظهر الحق فكنت فيه ضئيلا شخصك خفيا صوتك حتى اذا نعر
الباطل نجمت نجوم قرن الماعز **اقول** هو البرج بالباء المضمومة والجيم وقبحه الله نحاه عن الخير والاثرم ساقط الثنية والضئيل الصغير
الحقير النحيف ونعر صاح ونجم طلع وكان البرج شاعرا مشهورا من شعراء الخوارج نادى بشعارهم بحيث يسمعه ع فزجره وقبحه ودعاه باقبح اسمائه
له وانتقاصا كما هو العادة في اهانة ذوي العاهات بذكرها ثم كنى بضؤلة شخصه عند ظهور الحق عن خفائه في زمن العدل من الجماعة
وخمول ذكره وظهور الحق زمان قوة الاسلام وقبل ظهور الفتن وقوة الباطل وبخفاء صوته عن عدم الالتفات الى اقواله واستعار
لفظ النعير لظهور الباطل ملاحظة لشبهه في قوته وظهوره بالرجل الصائح بكلام عن جرأة وشجاعة وشبه ظهوره بين الناس
وارتفاع ذكره عند ظهور الباطل وقوته بظهور قرن الماعز في السرعة اي طلعت بلا شرف ولا شجاعة ولا قدم بل على غفلة كما
قرن الماعز ومن البلاغة تشبيه من يراد اهانته بالمهين الحقير وتشبيه من يراد تعظيمه بالعظيم الخطير وبالله التوفيق **ومن خطبة
له عليه السلام** روي ان صاحبا لامير المؤمنين عليه السلام يقال له همام كان رجلا عابدا فقال له يا امير المؤمنين صف لي المتقين حتى
كاني انظر اليهم فتثاقل عن جوابه ثم قال له ع يا همام اتق الله واحسن فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فلم يقنع همام بذلك
حتى عزم عليه فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي واله ثم قال ع اما بعد فان الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم امنا
من معصيتهم لانه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من اطاعه فقسم بينهم معايشهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم فالمتقون فيها
هم اهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع غضوا ابصارهم عما حرم الله تعالى عليهم ووقفوا اسماعهم على
العلم النافع لهم نزلت انفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت في الرخاء لولا الاجل الذي كتب الله لهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة عين

وقد مر في باب ان للنار سبع طبقات وهي دركاتها وضجيع حجر من قوله تعالى وقودها الناس والحجارة وقرين شيطان م

والملائكة

بحيث يسمعه

في صفات المتقين وفضائلهم

شوقاً الى الثواب وخوفاً من العقاب عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في اعينهم فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة واجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وانفسهم عفيفة صبروا اياماً قصيرة اعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة يسرها لهم ربهم ارادتهم الدنيا فلم يريدوها واسرتهم ففدوا انفسهم منها اما الليل فصافون اقدامهم تالين لاجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً يحزنون به انفسهم ويستثيرون به دواء دائهم فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً وتطلعت نفوسهم اليها شوقاً وظنوا انها نصب اعينهم واذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في اصول آذانهم فهم حانون على اوساطهم مفترشون لجباههم واكفهم وركبهم واطراف اقدامهم يطلبون الى الله تعالى في فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء ابرار اتقياء قد براهم الخوف بري القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم امر عظيم لا يرضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم متهمون ومن اعمالهم مشفقون اذا زكي احدهم خاف مما يقال له فيقول انا اعلم بنفسي من غيري وربي اعلم بي مني بنفسي اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني افضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون فمن علامة احدهم انك ترى له قوة في دين وحزماً في لين وايماناً في يقين وحرصاً في علم وقصداً في غنى وخشوعاً في عبادة وتجملاً في فاقة وصبراً في شدة وطلباً في حلال و نشاطاً في هدى وتحرجاً عن طمع يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل يمسي وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر يبيت حذراً ويصبح فرحاً حذراً لما حذر من الغفلة وفرحاً بما اصاب من الفضل والرحمة ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب قرة عينه فيما لا يزول وزهادته فيما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل تراه قريباً امله قليلاً زلـله خاشعاً قلبه قانعة نفسه منزوراً اكله سهلاً امره حريزاً دينه ميتة شهوته مكظوماً غيظه الخير منه مأمول والشر منه مأمون ان كان في الغافلين كتب في الذاكرين وان كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه بعيداً فحشه ليناً قوله غائباً منكره حاضراً معروفه مقبلاً خيره مدبراً شره في الزلازل وقور وفي المكاره صبور وفي الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا يأثم فيمن يحب يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ ولا ينسى ما ذكر ولا ينابز بالالقاب ولا يضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق ان صمت لم يغمه صمته وان ضحك لم يعل صوته وان بغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له نفسه منه في عناء والناس منه في راحة اتعب نفسه لآخرته واراح الناس من نفسه بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ليس تباعده بكبر وعظمة ولا دنوه بمكر وخديعة قال فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها فقال امير المؤمنين ع اما والله لقد كنت اخافها عليه ثم قال هكذا تصنع المواعظ البالغة باهلها فقال له قائل فما بالك انت يا امير المؤمنين فقال ويحك ان لكل اجل وقتاً لا يعدوه وسبباً لا يتجاوزه فمهلاً لا تعد لمثلها فانما نفث الشيطان على لسانك **اقول** ومن ههنا اختلفت نسخ النهج فكثير منها تكون هذه الخطبة فيها اول المجلد الثاني فبعد الخطبة المسماة بالقاصعة ويكون عقيب كلامه للبرج بن مسهر الطائي قوله ومن خطبة له ع الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد وكثير من النسخ تكون هذه الخطبة فيها متصلة بكلامه ع للبرج بن مسهر وبآخر تلك الخطبة فيكون بعد قوله ومن كلام له ع وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله ويتصل ذلك الى تمام الخطبة المسماة بالقاصعة ثم يليه قوله باب المختار من كتب امير المؤمنين ورسائله وعليهما [illegible] كالامام قطب الدين ابي الحسن الكيدري والفاضل عبد الحميد بن ابي الحديد ووافقتهم في هذا الترتيب لغلبة الظن باعتمادهم على النسخ الصحيحة اما همام هذا فهو همام بن شريح بن يزيد بن مرة بن عمرو بن جابر بن عوف الاصهب كان من شيعة علي ع واوليائه ناسكاً عابداً وتثاقله ع عن جوابه لما راى من استعداد نفسه لاثر الموعظة وخوفه عليه ان يخرج به خوف الله الى انزعاج نفسه وصعوقها فامره بتقوى الله اي في نفسه ان يصيبها فادح بسبب سؤاله واحسن اي احسن اليها بترك تكليفها فوق طوقها ولذلك قال ع حين صعق همام اما والله لقد كنت اخافها عليه بحيث لم يقنع همام الا بما سال وعزم عليه بذلك اي الح عليه في السؤال واقسم اجابه فان قلت كيف جاز منه ع ان يجيبه مع غلبة ظنه بهلاكه وهو كالطبيب يعطي كلاً من المرضى بحسب احتمال طبيعته من الدواء قلت لم يكن يغلب على ظنه ع الا الصعقة عن الوجد الشديد فاما ان تلك الصعقة فيها موته فلم يكن مظنوناً له وانما قدم بيان كونه تعالى غنياً عن الخلق في طاعتهم وآمناً منهم في معصيتهم لانه لما كانت اوامره ونواهيه باسرها او اكثرها يعود الى الامر بتقواه او طاعته وكان ما شرعت فيه الخطبة ما يقرب الى البشر بالتقوى وهو في معرض صفة المتقين تنزيهاً عما خطر ببعض اوهام الجاهلين ان لله تعالى في تقواه وطاعته منفعة وله بمعصيته مضرة فصدر الخطبة بتنزيهه تعالى عن الانتفاع والتضرر وقدم برهان ذلك عن نزهه وقوله فقسم الى قوله مواضعهم تقرير وتاكيد لكمال غناه عنهم لانه اذا كان وجوده هو مبدأ خلقهم و قسمة معايشهم ووضعهم من الدنيا في مراتبهم ومنازلهم من غني وفقير وشريف ووضيع فهو الغني المطلق عنهم واليه الاشارة بقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ثم اخذ في غرض الخطبة وهو وصف المتقين فوصفهم بالتفصيل فقال فالمتقون فيها هم اهل الفضائل اي الذين استجمعوا الفضائل المتعلقة باصلاح قوتي العلم والعمل ثم شرع في تفصيل تلك الفضائل وسنها فالاولى الصواب في القول وهو فضيلة العدل المتعلقة باللسان وحاصله ان لا يسكت عما ينبغي ان يقال فيكون مفرطاً

افضل م

يمسي م

فنفسه م

الصحيحة

تكليفها

في صفات المتقين واهل السداد

ولا يقول ما ينبغي ان يسكت عنه فيكون مفرطا بل يضع كلا من الكلام في موضعه اللائق به وهو اخص من الصدق والجواز ان يصدق الانسان
فيما لا ينبغي من القول الثانية وملبسهم الاقتصاد اى العدل في الملبوس فلا يلبس ما يلحقه به رخصة المترفين ولا ما يلحقه باهل الخسة والدناءة
مما يخرج به عن عرف الزاهدين في الدنيا الثالثة ومشيهم التواضع والتواضع ملكة تحت العفة وهو العدل بين رذيلتي المهانة والكبر ومشى
المتواضع مستلزم للسكون والوقار ومن تواضع بعضهم الرابعة غض الابصار عما حرم الله وهو ثمرة العفة الخامسة وقفهم اسماعهم على سماع
العلم النافع وهو فضيلة العدل في قوة السمع والعلوم النافعة هو كمال القوة النظرية من العلم الالهي وما يناسبه وما هو كمال القوة
العملية وهي الحكمة العملية كما سبق بيانها السادسة نزول انفسهم منهم في البلاء كنزولها في الرخاء اى لا تقنط من بلاء ينزل بها ولا يبطر
برخاء يصيبها بل مقامها في الحالين في مقام الشكر والذي صفة مصدر محذوف والضمير العائد اليه محذوف ايضا والتقدير نزلت كالنزول
الذي نزلته في الرخاء ويحتمل ان يكون المراد بالذي الذين فحذف النون كما في قوله تعالى كالذي خاضوا ويكون المقصود تشبيههم حال
نزول انفسهم منهم في البلاء بالذين نزلت انفسهم منهم في الرخاء والمعنى واحد السابعة غلبة الشوق الى ثواب الله والخوف من عقابه على نفوسهم
الى غاية ان ارواحهم لا تستقر في اجسادهم من ذلك لولا الآجال التي كتبت لهم وهذا الشوق والخوف اذا بلغ الحد المذكور فانه يستلزم دوام
الجد في العمل والاعراض عن الدنيا ومبدؤهما تصور عظمة وعده ووعيده وبحسب قوة ذلك التصور يكون قوة الخوف والرجاء وهما بابان
عظيمان للجنة الثامنة عظم الخالق في انفسهم وذلك بحسب الجواذب الالهية الى الاستغراق في معرفته ومحبته وبحسب تفاوت ذلك الاستغراق
يكون تفاوت تصور العظمة وبحسب تصور عظمته يكون تصورهم لاصغرية ما دونه ونسبته اليه في اعينهم وقوله فهم والجنة كمن قد راها الى
قوله معذبون اشارة الى ان العارف وان كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدته بعين بصيرته لاحوال الجنة وسعادتها واحوال النار و
شقاوتها كالذين شاهدوا الجنة بعين حسهم وتنعموا فيها وكالذين شاهدوا النار وعذبوا فيها وهي مرتبة عين اليقين وبحسب هذه المرتبة كان
شدة شوقهم الى الجنة وشدة خوفهم من النار التاسعة حزن قلوبهم وذلك ثمرة الخوف الغالب العاشرة كونهم مامونى الشر وذلك ان مبدأ
الشرور محبة الدنيا واباطيلها والعارفون بمعزل عن ذلك الحادية عشر نحافة اجسادهم ومبدأ ذلك كثرة الصيام والسهر وجشوبة المطعم
وخشونة الملبس وهجر الملاذ الدنيوية الثانية عشر خفة حاجاتهم وذلك لاقتصارهم من حوائج الدنيا على القدر الضروري من ملبس وماكل و
لا اخف من هذه الحاجة الثالثة عشر عفة انفسهم وملكة العفة فضيلة القوة الشهوية وهي الوسط بين رذيلتي خمود الشهوة والفجور
الرابعة عشر الصبر على المكاره ايام حياتهم من ترك الملاذ الدنيوية واحتمال اذى الخلق وقد عرفت ان الصبر مقاومة النفس الامارة بالسوء
لئلا ينقاد الى قبائح اللذات وانما ذكر قصر مدة الصبر واستعقابه للراحة الطويلة ترغيبا فيه وتلك الراحة السعادة في الجنة قال تعالى وجزاهم
بما صبروا جنة وحريرا الاية وقوله تجارة مربحة استعار لفظ التجارة لاعمالهم الصالحة وامتثال اوامر الله ووجه المشابهة كونهم متعوضين بمتاع
الدنيا وبحركاتهم في العبادة متاع الاخرة ورشح بلفظ الربح لافضلية متاع الاخرة وزيادته في النفاسة على ما تركوه وقوله ذلك يسره الله
لهم اسناد لاعدادهم بالجواذب الالهية الخامسة عشر عدم ارادتهم الدنيا مع ارادتها لهم وهو اشارة الى الزهد الحقيقي وهو ملكة تحت العفة
وكنى بارادتها عن كونهم اهلا لان يكونوا فيها رؤساء واشرافا كالقضاة والوزراء ونحو ذلك وكونها بمعرض ان تصل اليهم لو ارادوها ويحتمل
ان يريد ارادة اهل الدنيا فحذف المضاف السادسة عشر افتداء من اسرته لنفسه منها وهو اشارة الى من تركها وتمكن منها بعد ان تمكنت
منه فك بذلك الترك والاعراض والتمرن على طاعة الله اغلال الهيئات الرديئة المكتسبة منها من عنقه ولفظ الاسر استعارة في تمكن تلك
الهيئات من نفوسهم ولفظ الفدية استعارة لتبديل ذلك الاستمتاع بها بالاعراض عنها والمواظبة على طاعة الله وانما عطف بالواو في قوله
ولم يريدوها وبالفاء في قوله ففدوا لان زهد الانسان في الدنيا كما يكون متاخرا عن اقبالها عليه كذلك قد يكون متقدما عليه لقوله عليه السلام
ومن جعل الاخرة اكبر همه جمع الله عليه همه واتته الدنيا وهي راغمة فلم يحسن العطف هنا بالفاء واما الفدية فلما لم يكن الا بعد الاسر حسن
عطفها بالفاء السابعة عشر كونهم صافين اقدامهم بالليل يتلون القرآن ويرتلونه الى قوله اذانهم وذلك اشارة الى تطويع نفوسهم
الامارة بالسوء بالعبادات وشرح لكيفية استشفائهم بالقرآن العزيز وفائدة ترتيلهم له تفهم مقاصده ويحزنون به انفسهم
من جملة استشفائهم لادوائهم ولما كان دائهم هو الجهل وسائر الرذائل العملية كان دواء الجهل بالعلم ودواء كل رذيلة الحصول على الفضيلة المضادة
فهم يتلون القرآن يستبشرون بالقرب من الخوف من الرذائل وباقي الكلام شرح لكيفية التحزين والتشويق وقوله فهم حانون على اوساطهم
ذكر لكيفية ركوعهم وقوله مفترشون لجباههم الى قوله اقدامهم اشارة الى كيفية سجودهم وذكر الاعظم السبعة وقوله يطلبون الى قوله رقابهم
اشارة الى غايتهم من عبادتهم تلك الثامنة عشر من صفاتهم النهارية كونهم حكماء والحكمة الشرعية وما فيها من كمال القوة العلمية والعملية لكونها النهار
بين الضحى والتاسعة عشر كونهم حلماء والحلم فضيلة تحت ملكة الشجاعة هي الوسط بين رذيلتي المهانة والافراط في الغضب وانما خص الليل بالصلوة لكونها
اولى من النهار كما سبق الثانية عشر كونهم علماء واراد كمال القوة النظرية بالعلم النظري وهو معرفة الصانع وصفاته العشرون كونهم ابرارا والبر هو
اثر العفيف المقابل للفاجر الحادية والعشرون كونهم اتقياء المراد بالتقوى ههنا الخوف من الله وقد قدم ذكر العفة والخوف وانما كررها هنا في عداد
كونهم

وهو فضيلة م

العفة

والاستمتاع بها

من وعيد الله لعقابه لان لهم الدنيا ... العلم الذي هو دواء الجهل وكذا كل فضيلة بحث القرآن عليها فهي دواء لما يضادها

صفاتهم

في صفات المرسل في اداء رسالته

صفاتهم بالنهار وذكرها هنا الذي في صفاتهم الطلقة قوله وقد براهم الخوف الى قوله عظيم شرح لفعل الخوف لغالبيهم وانما نسب الخوف ذلك لاشتغال
النفس المدبرة للبدن بما هي النظر في صلاح البدن ووقوف القوة الشهوية والغاذية عن اداء بدل ما يتحلل ويشبه الخوف لم يبري القدح
ووجه التشبيه شدة النحافة ويتبع ذلك تغير السحنات والضعف عن الانفعالات النفسانية من الخوف والحزن حتى يحسبهم الناظر مرضى
وان لم يكن بهم مرض ويقول قد خولطوا اشارة الى ما يعرض لبعض العارفين عند اتصال نفسه بالملا الاعلى واشتغالها عن تدبير البدن وضبط
حركاته ان يتكلم بكلام خارج عن المتعارف مستبشع بين اهل الشريعة الظاهرة فينسب لذلك [illegible] الى الاختلاط والجنون وتارة الى الكفر والخروج
عن الدين كما نقل عن الحسين بن منصور الحلاج وغيره وقوله ولقد خالطهم امر عظيم وهو اشتغال اسرارهم بملاحظة جلال الله وملاحظة انوار الملا
الاعلى الثابتة والغشيات كونهم لا يرضون القليل الى قوله الكثير وذلك لتصورهم شرف غاياتهم المقصودة باعمالهم وقوله فهم لانفسهم متهمون
الى قوله مما لا يعلمون فهم لانفسهم متهمون من اعمالهم يعودون الى شكهم فيما يحكم به اوهامهم من حسن عباداتهم وكونها مقبولة او واقعة على
الوجه المطلوب الموصل الى الله تعالى فان هذا الوهم يكون مبدا العجب بالعبادة والتقاصر عن الازدياد من العمل والتشكك في ذلك وتهمة
النفس بانقياد [illegible] في ذلك الحكم للنفس الامارة يستلزم خوفها ان يكون تلك الاعمال قاصرة عن الوجه المطلوب وغير واقعة عليه باعث على العمل
وكاسر للعجب وقد عرفت ان العجب من المهلكات كما قال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكذلك خوفهم من تزكية
الناس لهم هو من الدواء لما ينشا عن ذلك التزكية من الكبر والعجب بما يزكون به فيكون جواب احدهم عند تزكيته اني اعلم بنفسي من غيري
الى اخره ثم شرع بعد ذلك في علاماتهم التي يجعلها يعرف احدهم والصفات الشاقة وان كان كثير منها مما يختص احدهم ويعرف به الا ان بعضها
قد يدخله الرياء ولا يدخل على التقوى الحقة مجمعها ههنا ونسقها فالاولى القوة في الدين وذلك ان يقاوم في دينه الوسواس
الخناس ولا يدخل من خداع الناس وهذا انما يكون في الدين العالم الثانية الحزم في الامور الدنيوية لئلا تتشبث فيها [illegible] اللين
للخالق ومعاملة [illegible] عليهم كما في المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتلفظ وهي فضيلة العدل في المعاملة مع الخلق وقد علمت ان اللين
قد يكون للتواضع المطلوب بقوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقد يكون عن مهانة وضعف يقين والاول هو المطلوب
وهو المقارن للحزم في الدين ومصالح النفس والثاني رذيلة ولا يمكن معه الحزم لانفعال المهين عن كل جاذب الثالثة الايمان في اليقين
ولما كان الايمان عبارة عن التصديق بالصانع وبما ورد به الشريعة وكان ذلك التصديق قابلا للشدة والضعف فتارة يكون عن
التقليد وهو الاعتقاد المطابق لا لموجب وتارة يكون عن العلم وهو الاعتقاد المطابق لموجب وتارة يكون عن العلم وهو الاعتقاد المطابق
لموجب هو الدليل وتارة عن العلم به مع العلم بانه لا يكون الا كذلك وهو علم اليقين ومحققوا السالكين لا يقفون عند هذه المرتبة بل يطلبون
عين اليقين بالمشاهدة بعد طرح حجب الدنيا والاعراض عنها اراد ان علمهم علم يقين لا يتطرقه الوهم [illegible] الرابعة الحرص في العلم والازدياد منه
الخامسة مزج العلم وهو فضيلة القوة الملكية بالحلم وهو من فضائل القوة السبعية السادسة القصد في الغنى وهو فضيلة العدل
في استعمال متاع الدنيا وحذف الفضول عن قدر الضرورة السابعة الخشوع في العبادة وهو من ثمرة الفكر في جلال المعبود وملاحظة
عظمته الذي هو روح العبادة الثامنة التجمل في الفاقة وذلك بترك الشكوى الى الخلق والطلب منهم واظهار الغنى عنهم وينشا عن القناعة
والرضا بالقضاء وعلو الهمة ويعين على ذلك ملاحظة الوعد الاجل وما اعد للمتقين التاسعة وكذلك الصبر في الشدة العاشرة الطلب في
الحلال وينشا عن العفة الحادية عشرة النشاط في الهدى وسلوك سبيل الله وينشا عن قوة الاعتقاد فيما وعد المتقون وتصور شرف
الغاية الثانية عشرة عمل الصالحات على وجل اي خوف ان يكون على غير الوجه اللائق فلا يقبل كما روى عن زين العابدين عليه السلام انه كان في التلبية
وهو على راحلته فخر مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك فقال خشيت ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك الثالثة عشرة ان يكون همهم عند
المساء الشكر على ما رزقوا بالنهار وان لم يرزقوا ويصبحوا وهمهم الذكر لله ليذكرهم ويرزقهم من الكمالات النفسانية والبدنية كما قال تعالى
فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون الرابعة عشرة ان يبيت حذرا ويصبح فرحا الى قوله الرحمة تفسير للحذر والفرح وما به الفرح والبيان مفصل
تخصيص البيات بالحذر والصباح بالفرح كما يقول الحذر [illegible] ويصبح حذرا فرحا وكذلك تخصيص الشكر بالمساء والذكر بالصباح
يحتمل ان لا يكون مقصودا الخامسة عشرة قوله ان استصعبت الى قوله تحب اشارة الى مقاومته لنفسه الامارة بالسوء عند استصعابها
عليه وقهره لها على ما تكره وعدم مطاوعته في ميولها الطبيعية ومحابها السادسة عشرة ان يرى قرة عينه فيما لا يزول من الكمالات النفسانية
الباقية كالعلم والحكمة ومكارم الاخلاق المستلزمة للذات الباقية والسعادة الدائمة وقرة عينه كناية عن اللذة وابتهاجه لاستقرارها
لقرار العين وبردها برؤية المطلوب وزهادته فيما لا يبقى من متاع الدنيا السابعة عشرة ان يمزج العلم بالحلم فلا يجهل ولا يطيش والقول
بالعمل فلا يقول ما لا يفعل فالاثام مع عدم العرفان ويقف دونه ولا ينهى عن منكر ثم يفعله ولا يعد فيخلف فيدخل في مقت الله كما قال تعالى كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون الثامنة عشرة قصر امله وقربه وذلك لكثرة ذكره الموت والوصول الى الله التاسعة عشرة قلة زلله
قد عرفت ان زلل العارفين يكون من باب ترك الاولى لان صدور الخيرات عنهم صار ملكة والجواذب فيهم الى الزلل والخطيئات نادرة

في شرح حال الرسل في اداء رسالته

تكون لحضرته منهم او سهو ولا شك في قلة العشرون خشوع قلبه عن حضور عظمة المعبود وجلاله الحادية والعشرون فراغ نفسه ينشأ من ملاحظة حكمه
في قدرته وقسمة الارزاق وبعين عليها حضور فوايدها العاجلة وغاياتها في الآخرة الثانية والعشرون قلة الاكل وذلك لما يحصل في البطنة
من ذهاب الفطنة وزوال الرقة وحدوث القسوة والكسل عن العمل الثالثة والعشرون سهولة امره اي لا يتكلف لاحد ولا يكلف احدا الرابعة
والعشرون حزم دينه فلا يهمل منه شيئا ولا يطرق اليه خللا الخامسة والعشرون موت شهوته ولفظ الموت مستعار لخمود شهوته عما حرم عليه
ويعود الى العفة السادسة والعشرون كظم غيظه وهو من فضائل القوة الغضبية السابعة والعشرون كونه مأمول الخير وذلك لاكثرية خيريته
مأمون الشر وذلك لعلم الخالق بعدله وصدعه للشر الثامنة والعشرون قوله ان كان من الغافلين اي ان راه الناس من اهل الغفلة

الى قوله الغافلين

عن ذكر الله لتركه الذكر باللسان كتب عند الله من الذاكرين لاشتغال قلبه بالذكر وان تركه بلسانه وان كان من الذاكرين بلسانه بينهم
فظاهر انه لا يكتب من الغافلين والذكر لله مدائح كثيرة وهو باب عظيم من ابواب الجنة والاتصال بجناب الله وقد اشرنا الى فضيلته
التاسعة والعشرون عفوه عمن ظلمه والعفو فضيلة تحت الشجاعة وخص من ظلمه لتحقق عفوه مع قوة الداعي الى الانتقام
الثلاثون ويعطي من حرمه وهي فضيلة تحت السخاء الحادية والثلاثون ويصل من قطعه والمواصلة فضيلة تحت العفة الثانية والثلاثون
بعيد فحشه واراد بعد الفحش عنه انه قلما يخرج في اقواله الى ما لا ينبغي الثالثة والثلاثون لين في القول صدقه مجاوز الناس ومعظم
ومعاملتهم وهو من اجزاء التواضع الرابعة والثلاثون غيبة منكره وحضور معروفه وذلك لزهده وحدود الله الخامسة والثلاثون اقبال
خيره وادبار شره وهو كقوله الخير منه مأمول والشر منه مأمون ويحتمل باقبال خيره اخذه في الازدياد من الطاعة وشيمه ومنها ويفقد
يكون ادباره عن الشرور من استقبل امرا سعى فيه بعيدا عما يضاده مدبر عنه السادسة والثلاثون وقار في الزلازل وكنى بها عن
الامور العظام والفتن الكبار السالمة لاضطراب القلوب واحوال الناس والوقار ملكة تحت الشجاعة السابعة والثلاثون كثرة صبره
في المكاره وذلك عن ثباته وعلو همته عن احوال الدنيا الثامنة والثلاثون كثرة شكره في الرخاء وذلك لمحبة المنعم الاول جلت قدرته
فيزداد شكره في رخائه وان قل التاسعة والثلاثون كونه لا يحيف على من يبغض وهو سلب الحيف والظلم مع قيام الداعي اليهما وهو
البغض لمن يتمكن من حيفه وظلمه الاربعون كونه لا ياثم فيمن يحب وهو سلب رذيلة الفجور عند ما يتباع الهوى فيمن يحب اما باعطائه ما
لا يستحق او يدفع ما يستحق عليه عنه كما يفعله قضاة السوء وامراء الجور فالمتقي لا ياثم بشيء من ذلك مع قيام الداعي اليه وهو المحبة لمن يحب بل يكون
على فضيلة العدل في الكل على السواء الحادية والاربعون اعترافه بالحق قبل ان يشهد عليه وذلك لتحرزه في دينه من الكذب اذ الشهادة
انما يحتاج اليها مع انكار الحق وذلك كذب الثانية والاربعون كونه لا يضيع امانته ولا يفرط فيما استحفظه الله من دينه وكتابه وذلك
لورعه ولزوم حدود الله الثالثة والاربعون ولا ينسى ما ذكر من آيات الله وعبره وامثاله ولا يترك العمل بها وذلك لما له ومنه ملاحظتها
وكثرة اخطارها بالبال والعمل لغايتها المطلوبة منه الرابعة والاربعون ولا ينابز بالالقاب وذلك لملاحظة النهي في الذكر الحكيم عن التنابز
بالالقاب ولسر ذلك النهي وهو كون ذلك مستلزما لاثارة الفتن والتباغض بين الناس والفرقة المضادة لمطلوب الشارع الخامسة
والاربعون ولا يضار بالجار لملاحظة وصية الله تعالى به والجار ذي القربى والجار الجنب ووصية رسول الله في المرفوع ما زال يوصيني
بالجار حتى ظننت انه سيورثه ولغاية ذلك وهي الالفة والاتحاد في الدين السادسة والاربعون ولا يشمت بالمصائب وذلك لعلمه
باسرار القدر وملاحظة لاسباب المصائب انه في معرض ان تصيبه فيتصور امثالها في نفسه فلا يفرح بنزولها على غيره السابعة
والاربعون انه لا يدخل في الباطل ولا يخرج عن الحق اي لا يدخل فيما يبعد عن الله تعالى من باطل الدنيا ولا يخرج عما يقرب اليه من طاعته
الحقة وذلك لنور شرف غايته الثامنة والاربعون كونه لا يغمه صمته لوضعه كلا من الصمت والكلام في موضعه وانما يلزم
الغم الصمت عما ينبغي من القول وهو وضع الصمت في غير موضعه التاسعة والاربعون كونه لا يعلو ضحكه وذلك لغلبة ذكر الموت وما بعده
على قلبه وفيما نقل من صفات الرسول ص كان اكثر ضحكه التبسم وقد يفتر احيانا ولم يكن من اهل القهقهة والكركرة وهما كيفيتان
للضحك الخمسون صبره في البغي الى غاية انتقام الله له وذلك منه نظر الى ثمرة الصبر والى الوعد الكريم بذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب

عليه

به ثم بغي عليه لينصرنه الله الآية وقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين الحادية والخمسون كون نفسه منه في عناء اي نفسه الامارة
بالسوء لمقاومته لها وقهرها ومراقبته اياها والناس من اذاه في راحة لذلك الثانية والخمسون كون تباعده عمن تباعد عنه زهده
فيما ايدي الناس ونزاهته عنه لا عن كبر وتعظيم عليهم وكذلك دنوه ممن دنا منه عن لين ورحمة منه لهم لا بمكر بهم وخديعتهم عن بعض
المطالب كما هو عادة الخبيث المكار وهذه الصفات والعلامات قد يتداخل بعضها بعضا ولكن تورد بعبارة اخرى ويذكر
مفردة ثم يذكر ثانيا مركبة مع غيرها وبالجملة فهذه الخطبة من جليل وبليغ وصفه ولذلك فعلت بهمام ما فعلت فاما جوابه ع
لمن سأله بقوله وكيف انت لكل اجل وقتا لا يعدوه اي ينتهي اليه ويكون غاية له لا يتجاوزها ولا يتأخر عنها والضمير في يعدوه
للاجل وسببا لا يتجاوزه اي لذلك الاجل سبب اي علة فاعلة لا يستعدها الى غيرها من الاسباب فمنها ما يكون موعظة بالغة

في احوال المنافقين وشرح المرسل

فهو جواب مقنع للسامع مع انه صدق وحق وهو اشارة الى السبب الاخير لنفاقهم عند سماع المواعظ البالغة وهو الاجل المحكوم
به للقضاء الالهي واما السبب القريب للفرق بينه وبين همام ونحوه فقوة نفسه القدسية على قبول الواردات الالهية ومنوده
بها وبلوغ رياضتها حد السكينة عند نزولها واكثرها وضعف نفس همام عما ورد عليه من خوف الله ورجائه ولم يجب بمثل هذا الجواب
لاستلزامه تفضيل نفسه او لقصور فهم السائل وبهيه له عن مثل هذا السؤال والتعنيف عنه وكونه من نفثات الشيطان لوضعه
في غير موضعه وهو من اثار الشيطان وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يصف فيها المنافقين نحمده
على ما وفق له من الطاعة وذاد عنه من المعصية ونسأله لمنته تماما وبحبله اعتصاما ونشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله
عبده ورسوله خاض الى رضوان الله تعالى كل غمرة وتجرع فيه كل غصة وقد تلون له الادنون وتألب عليه
الاقصون وخلعت اليه العرب اعنتها وضربت الى محاربته بطون رواحلها حتى انزلت بساحته عداوتها من ابعد
الدار واسحق المزار اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحذركم اهل النفاق فانهم الضالون المضلون والزالون المزلون
يتلونون الوانا ويفتنون افتنانا ويعمدونكم بكل عماد ويرصدونكم بكل مرصاد قلوبهم دوية وصفاحهم نقية يمشون
الخفاء ويدبون الضراء وصفهم دواء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء حسدة الرخاء ومؤكدوا البلاء ومقنطوا
الرجاء لهم بكل طريق صريع والى كل قلب شفيع ولكل شجو دموع يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء ان سألوا
الحفوا وان عذلوا كشفوا وان حكموا اسرفوا قد اعدوا لكل حق باطلا ولكل قائم مائلا ولكل حي قاتلا ولكل باب
مفتاحا ولكل ليل مصباحا يتوصلون الى الطمع باليأس ليقيموا به اسواقهم وينفقوا به اعلاقهم يقولون فيشبهون
ويصفون فيموهون قد هونوا الطريق واضلعوا المضيق فهم لمة الشيطان وحمة النيران اولئك حزب الشيطان الا
ان حزب الشيطان هم الخاسرون **اقول** ذاد طرد والغمرة من كل شيء معظمه واسحق المزار ابعده والسحق بضم السين البعد وكذلك
بضم الحاء ويعمدونكم يهدونكم ويفدحونكم والعماد الامر الفادح ويرصدونكم يقعدون لكم المراصد وينتظرونكم والضراء ما
واراك من الشجر الملتف والالحاف الاستقصاء في السؤال والشجو الحزن والاعلاق جمع علق وهي السلعة النفيسة والتمويه التزيين بالباطل
واضلعوا المضيق ضلاعا اي عوجوه واما لوه وهو ضلع اي مائل وضلع بفتح اللام اي معوج خلقة واللمة بالتخفيف الجماعة وحمة النيران
بالتشديد معظم حرها وبالتخفيف سم العقرب وقد حمد الله ثم باعتبارين وهما التوفيق لطاعته التي هي سبب الفوز الاكبر والطرد عن معصيته التي
هي سبب الخسران وذلك الذود اما بالنواهي او بحسم اسباب المعاصي وعدم الاعداد لها والكل منه سبحانه ثم سأله ان يتم لنا تمام ما شكره من النعمة
نظرا الى قوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم والاعتصام بحبله المتين وهو الدين القويم الذي من تمسك به عصم من الهوى في مهاوي الهلاك
ودركات الجحيم واردف ذلك بالشهادة بالرسالة وشرح حال الرسول صلى الله عليه وآله في اداء رسالته واستعار لفظ الغمرة لعظم الشدائد والمكاره والمنكآت
المجتمعة عليه ملاحظة لشبهها بغمرة الماء ورشح بذكر الخوض وكنى به عن مقاساته للمتاعب الكثيرة وملاقاته للنوائب من المشركين
في بدء دعوته وكنى بالغصص عن عوارض الهموم لديه من ملاقاة تلك المكاره وكنى بتلون الادنين له عن تغير قلوب قرابته عليه بضروب
التغيرات وتألب الاقصين عليه اجتماع الاباعد عنه من العرب وانضمامهم من اقصى البلاد الى حربه وقوله وخلعت اليه العرب الى قوله رواحلها
مثلان كنى بهما عن المسارعة الى حربه لان الفرس والخيل اذا خلعت اعنتها او القى عنها والرواحل اذا ضربت بطونها وهيئتها الى انهم
اتوه فرسانا وركبانا مسرعين الى حربه وقوله حتى انزلت بساحته عداوتها اي حربها وشرها وعنى بها التي هي ثمرة العداوة واطلق لفظ
العداوة على الحرب مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب ومن طالع كتب السير علم ما لاقى رسول الله صلى الله عليه وآله في ذات الله سبحانه من المشاق كاستهزاء
قريش به في اول الدعوة ورميهم اياه بالحجارة حتى ادموا عقبيه وصياح الصبيان به وفرث الكرش على رأسه وفتل الثوب في عنقه وحصره هو
واهله في شعب بني هاشم سنين عدة محرمة معاملتهم ومبايعتهم ومناكحتهم وكلامهم حتى كادوا يهلكون جوعا لولا بعض من كان يحنو عليهم
لرحم او لسبب اخر فكان يسرق لهم القليل من الدقيق او التمر فيلقيه اليهم ليلا ثم ضربهم لاصحابه وتعذيبهم بالجوع والوثاق في الشمس وطردهم
اياهم عن شعاب مكة حتى خرج بعضهم الى الحبشة وخرج هو مستجيرا منهم تارة بثقيف وتارة ببني عامر وتارة بربيعة الفرس وبغيرهم ثم اجمعوا
على قتله والفتك به ليلا حتى هرب منهم لائذا بالاوس والخزرج تاركا اولاده واهله ناجيا بحشاشة نفسه حتى وصل الى المدينة فناصبوه
الحرب ورموه بالكتائب وضربوا اليه اباط الابل حتى اكرمه الله تعالى برضوانه وامد دينه واظهره ثم عقب ذلك بالوصية بتقوى الله والتحذير من
المنافقين وتعديد مذامهم ليعرفوا فيجتنبوا ويحصل النفار عنهم فانهم الضالون اي المنحرفون عن سبيل الله لعدم الاهتداء اليها المضلون
لغيرهم عنها بالشبهات الباطلة وكذلك الزالون والمزلون وكنى بتلونهم الوانا عن تغيرهم في اقوالهم وافعالهم من حال الى حال بحسب اغراضهم
الفاسدة فيلقون كل احد بوجه ولسان غير الاخر وكذلك تفننهم اي تشعب اقوالهم وافعالهم بحسب تشعب اغراضهم واراد بعمادهم لهم قصدهم
بكل مكروه على الوجه الحيلة ودوية قلوبهم ونقية صفاحهم اشتمال نفوسهم على ادواء النفاق من الحسد والحقد والمكر والخداع وغيرها واعمال الحيلة

في توحيد الله وتمجيده

مع اظهار البشاشة وعدم الصد اقرارا بالمحبة والتهنية لهم وهذا من افعال اهل النفاق وهو ان يظهر الانسان بلسانه امرا حسنا محمودا ويبطن خلافه واراد بصفاحهم وجوههم وبنقائهم سلامتها عن شرهم وقوله يمشون الخفاء كناية عن كون مكرهم القولية والفعلية فيما يريدون في خفاء ايضا انا وكذلك قوله ويدبون الضراء والخفاء والضراء منصوبا على الظرف وفيهما مثلان لمن يختل صاحبه ويخدعه وقوله وصفهم دواء الى قوله الداء العياء اي اقوالهم اقوال الزاهدين العابدين من الموعظة والامر بالتقوى وطاعة الله التي هي دواء الغي والضلال وشفاء منهما وافعالهم افعال الفاسقين الضالين من معصية الله التي هي الداء الاكبر الذي يعيي الاطباء وقوله حسدة الرخاء اي ان راوا لاحد رخاء حسدوه ومؤكدو البلاء اي ان راوا به بلاء اكدوه بالسعاية به والزيادة عليه ومقنطو الرجاء اي اذا رجا راج امرا في طلبه ان يقنطوه ويوئسوه ويمكن شان المنافق الكذاب ان يبعد القريب ويقرب البعيد وقوله لهم بكل طريق صريع كناية عن كثرة من يقتلونه او يؤذونه بحيلهم ومكرهم وكون بالطريق اما عن كل مقصد يقصدونه او عن كل حيلة احتالوها ومكر مكروه فانه لا بد ان يستلزم اذى وقوله والى كل قلب شفيع اي ان من شان المنافق ان يتصل الى كل قلب بغير وجه الاخر فيكون صديق الكل حتى المتعاديين ليتوصل بذلك الى ما يريد من الفتن وايقاع الشر بينهم وهو في نفس الامر عدو الكل وكذلك لهم لكل شجو دموع كناية عن توجعهم لكل شجو وتوصلهم بذلك الى اغراضهم وان كان اهل الشجو اعداء وقوله يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء اي يثني احدهم على الاخر ليثني الاخر عليه ويترقب كل منهم الجزاء من صاحبه وقوله ان سألوا الحفوا اي الحوا في السؤال وهو من المذام كما قال لا يسألون الناس الحافا وقوله وان عذلوا كشفوا اي اذا عذل احدهم كشف لك عيوبك في ذلك العذل وجبهك بها وربما ذكرها بحضرة من لا تحب ذكرها معه وليسوا كالناصحين الذين يعرضون بالذنب عند العتاب او يعرضونها بالطف دون التصريح وان حكموا اسرفوا اي اذا ولي احدهم ولاية اسرف فيها بالظلم والانهماك في ماكله ومشربه وعنى بقوله الذي الى حد الافراط من فضيلة العدل وذلك للجهل بالعواقب وتصوره ان لا غاية اشرف مما هو فيه قد اعدوا لكل حق باطلا اي من الشبه ما يموهون عليه ويغطونه بها ولكل حي قاتلا اي سببا يميتونه به ولعل الحي اعم من الانسان هنا اي لكل امر صحيح يقوم اذا اراد ولعله ولكل باب مفتاحا من الحيل والخديعة ولفظ المفتاح مستعار ولكل ليل مصباحا ولفظ الليل مستعار لما اشكل من الامور والظلم وكذلك لفظ المصباح للراي الذي يدخلون به في ذلك الامر ويهتدون الى وجهه كراي عمرو بن العاص على معوية ليلة الهرير برفع المصاحف ودعوتهم اهل العراق ان يحاكموهم الى كتاب الله فلم يكن لذلك المشكل الا ذلك الراي اصعب يتوصلون الى الطمع باليأس اي باظهار اليأس عما في ايدي الناس والزهد فيه كما كثير من زهاد الوقت ووصفهم بهذا الشيء بصفة ابلغ ما يكون في وصف النفاق والحيلة وقوله ليقيموا به اسواقهم استعار لفظ الاسواق لاحوالهم في معاملة الخلق من اخذ واعطاء فان فعلهم ذلك يجعلها بين الناس رائجة عليهم وكذلك ينفقوا به اعلاقهم ولفظ الاعلاق مستعار لما يزعمون انه نفيس من ارائهم وحركاتهم الخارجة عن اوامر الله وقوله يقولون الى قوله فيموهون اي يموهون باقوالهم المشبهة القلوب ويموهون عليهم الباطل بصورة الحق وقوله قد هونوا الطريق اي قد عرفوا كيف يسلكون في مقاصدهم من الاراء والحيل واضلعوا المضيق اي عوجوا مضايقها وكنى بمضايقها عن دقائق المداخل في الامور وبتعويجها عن انهم اذا ارادوا الدخول في امر مضيق اظهروا انهم يريدون غيره تعمية على الغير ان يقف على وجه الحيلة فيفسد مقصودهم وقوله فهم لمة الشيطان اي جماعته واتباعه وحمة النيران استعار لفظ الحمة لهم ووجه المشابهة سببها للاذى البالغ وكذلك حمة التخفيف

ومن خطبة له ع الحمد لله الذي اظهر من اثار سلطانه وجلال كبريائه ما حير مقل العقول من عجائب قدرته وردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته واشهد ان لا اله الا الله شهادة ايمان وايقان واخلاص واذعان واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله واعلام الهدى دارسة ومناهج الدين طامسة فصدع بالحق ونصح للخلق وهدى الى الرشد وامر بالقصد صلوات الله وسلامه عليه واله واعلموا عباد الله انه لم يخلقكم عبثا ولم يرسلكم هملا علم مبلغ نعمه عليكم واحصى احسانه اليكم فاستفتحوه واستنجحوه واطلبوا اليه واستمنحوه فما قطعكم عنه حجاب ولا اغلق عنكم دونه باب وانه لبكل مكان وفي كل حين واوان ومع كل انس وجان لا يثلمه العطاء ولا ينقصه الحباء ولا يستنفده سائل ولا يستقصيه نائل ولا يلويه شخص عن شخص ولا يلهيه صوت عن صوت ولا تحجزه هبة عن سلب ولا يشغله غضب عن رحمة ولا تولهه رحمة عن عقاب ولا يجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون قرب فنأى وعلا فدنا وظهر فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن لم يذرأ الخلق باحتيال ولا استعان بهم لكلال اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها الزمام والقوام فتمسكوا بوثائقها واعتصموا بحقائقها تؤل بكم الى اكنان الدعة واوطان السعة ومعاقل الحرز ومنازل العز في يوم تشخص فيه الابصار وتظلم له الاقطار وتعطل فيه صروم العشار وينفخ في الصور فتزهق كل مهجة وتبكم كل لهجة وتذل الشم الشوامخ والصم الرواسخ فيصير صلدها سرابا رقرقا ومعهدها قاعا سملقا فلا شفيع يشفع ولا حميم يدفع ولا معذرة تنفع

اقول مقل العين شحمها والهمهمة حديث النفس مع صوت خفي لا يفهم والطامسة كالدارسة والحباء النوال وذرا خلق والمعقل الحما الملجأ والصروم جمع صرم وهي القطعة من الابل نحو الثلاثين والعشار النوق التي عليها بعد طروق الفحل عشرة اشهر والشم الشوامخ الجبال العالية ومعهدها ما كان مسكونا منها والقاع الخالي والسملق الصفصف المستوي ليس بعضه ارفع

في كلمة التوحيد وما يعتبر فيها

من بعض وقد حمد الله تعالى باعتبار اظهاره حسن آثار ملكه وسلطانه لنا اظهره من ملكوت السموات والارض وترتيب افلاكها على احسن النظام الاتم بما هو
محل العجب العجيب الذي يحار ايضا ابصار البصائر في كيفيته وقصور العقول عن الاحاطة وفيه تنبيه على النظام الاكمل بل كل مخلوق منها ضوء محل ذلك العجيب والحيرة
ولفظ المثل مستعار وتنبيه ذلك الى جلال كبريائه مناسبا لجلالة السلطان والعظمة والكبرياء بما يناسب صدور الآثار العظيمة العجيبة المحكمة عنها ورد
خطرات هماهم النفوس اى ما يخطر للنفوس فتهم به وتعصرها استعار لها الاطلاق عجزها عن ادراك حقيقته وقد سبق ذلك غير مرة ثم شهد
بكلمة التوحيد معتبرا فيها اربعة امور احدها كونها شهادة ايمان اى يطابق القول فيها للعقد القلبي الثاني وايقان اى يكون اعتقادها
يقينا وهو اعتقاد ان لا اله الا هو مع اعتقاد انه لا يمكن ان يكون ذلك العقد الا كذا الثالث والاخلاص وهو ان يجرد عن ذلك المعتقد
كل امر عن مدخلية الاعتبار او الالحاظ معه غيره الرابع والاذعان والاذعان ثمرة ذلك الاخلاص وكماله ويتفاوت بتفاوته ويعود الى سائر
الطاعات والعبادات التي هي من حقوق تلك الكلمة وتوابعها ثم اردفها بالشهادة وذكر الاحوال التي كان الناس عليها حين الرسالة تماما هي سره ومن
تنبيها على فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله واستعار اعلام الهدى للائمة الذين الهادين الى سبيل الله ولفظ المناهج لقوانين الشريعة التي تسلك فيها الى سبيل
الاحكام ولفظ الدروس لها وطموسها لانتهاء لاجل النبوة والوحي واعلام المحال مضيع ... ما جاء به من الحق مما طلب عن الباطل ونصح الخلق
ليردهم عن غوايتهم الى صراط الله وهداهم الى الرشد بعد سلوكه امره بالعدل والاستقامة عليه ثم نبه الناس بعين ما الا على ان خلق الله لهم
لم يكن خاليا عن غاية وانهم لم يرسلوا في الدنيا مهملين عن امر يراد منهم كانهما ثبته لهم على علمه بمبالغ نعمه عليهم كمية وكيفية واحصائه لها ذلك
ليبعثهم على شكرها ولذلك قال فاستفتحوا اى اطلبوا منه ان يفتح عليكم ابواب بركاته وعضوو واستنجحوا اى اطلبوا منه نجاح حاجاتكم واطلبوا
اى اطلبوا الهداية الى حضرته ووجوه مرضاته واستمنحوا ان يعطيكم كالكم كل ذلك بالشكر وسائر العبادات التي بها الاستعداد الافاضة جمته
وقوله فما يقطعكم عنه حجاب الى قوله لكل اظهار لوجوده كالدرر وعظمته وتنزيه له عن صفات المخلوقين المحتاجين وتقريب له من عباده
ليطلبوا منه وليه ويستنجحوه وتستفتح اما الحجاب فلعدم جسميته ... وانهم لم يكن لهم بصيرة اقل الحجاب دونه ولا باب كان بكل مكان في حالة واحدة اى بعلمه المحيط
لاستحالة ذلك المتحيزه مع كل حين واوان بمعنى مساواته وجوده لوجود الزمان لا بمعنى الظرفية لما لمتنزهه تعالى عن لحوق الزمان المالحقه
مراتب من المعلولات ومع كل انس وجان بعلمه وهو معكم اينما كنتم وقوله لا يثلمه العطاء الى قوله نائل فاستيفاء السائل له بلوغ الجود منه منقضى
مقدوره وبرهان تلك الاحكام ان الثلم والنقصان والاستيفاء والاستقصاء على المقدور يستلزم انتهائه والحاجة المستلزمين للامكان
ولا شيء من واجب الوجود بممكن وكل من تعتقد هذه الاحوال ممكن فواجب الوجود لا تلحقه هذه الاحوال وكذلك قوله لا يلويه شخص عن شخص
اى لا يصرفه الى قوله عقاب برهان هذه الاحكام ان العروف واللهو تستلزمان الغفلة عن امر والعطلة لغيره لعدم الغفلة عنه وكان حجر البشر
ومنعها لها عن سلب نعمة اخرى وشغل الغضب له عن الرحمة مستلزمان فيضيق القدرة وضعفها وتعلمها بمحل حيثيا وكذلك يستلزم النقصان
المستلزم للحاجة والامكان المنزه قدس الله تعالى عنه وكذلك توليه الرحمة عن العقاب يستلزم رقة الطبع ورحمة النفوس البشرية المستلزمة للعوارض
الجسمية وجل الله منزه عنها وقوله ولا تجنه البطون عن الظهور يعني ان ظهوره وحجب احدهما لا يحجبه بطون حقيقته عن العقول ومغفاته
عن العيون عن ظهوره للبصائر في صور آثاره وملكوت خلق قدرته الثاني انه ليس ثم شيء حتى يخفى منه عن الظهور على الاشياء والاطلاع عليها
ولا يقطعه الظهور عن البطون اى لا يقطعه كونه ظاهرا او عالما بالامور الظاهرة عن ان يكون باطنا لا يطلع العقل عليه او عن علمه ببواطن
الامور وخفايا حقائقها وقوله قرب اى بعلمه وقدرته من الاشياء قرب العلة من المعلول فنأى اى بعد بحقيقته عن ادراك العقول والحواس وقوله
وعلا فدنا فعلوه شرفه بالقياس الى ادراك شرف العلة على المعلول ودنوه منها قربه وقوله وظهر فبطن وبطن فعلن تأكيد لما قبله وقد سبق
بيانه غير مرة وقوله لم يذرء الخلق باحتيال الى قوله لكلال تنزيه لايجاده لآثاره عن استخراج الحيل والجالة وجوه الذرائع في استخراجها ثم عن
الاستعانة بغيره في شيء من آثاره ثم عن مبدأ الاستعانة وهو الكلال والاعياء لاستلزام ذلك تناهي القوة المستلزمة للجسمية واذ قدم
تنزيه الحق سبحانه عما لا ينبغي له وعصمه بما ينبغي له شرع في الوصية بتقواه ثم في التنبيه على فضائلها واستعار لفظ الزمام لها باعتبار كونها قائدة
للعبد الى طريق الحق مانعة له عن الجور الى طرق الباطل كالزمام للناقة واراد بكونها قواما كونها مقيمة للعبد في سلوك سبيل الله ايضا
اقامة للمصدر مقام اسم الفاعل وقوله فتمسكوا بوثائقها اى بما يوثق منها وهو سائر انواع العبادات التي هي اجزاؤها والتمسك بها هو
الى لزومها والمواظبة عليها واعتصموا بحقائقها اى بالخالص منها دون المشوب بالرياء والنفاق فان الالتجاء الى خالصها هو المخلص
من عذاب الله وقوله تؤل بكم الجزم نقل لكونه جواب الامر بالتمسك والاعتصام واكنان الدعة مواطن الراحة من الآلام الحسية والعقلية في
غرفات الجنة ومنازلها وهي وطان السعة اى من ضيق الابدان وصلت بيوت النيران وهي معاقل الحرز اذ المعتقل من عذاب الله وهي منازل
العز في جوار الله وقوله في يوم متعلق بتؤل واليوم يوم القيمة وسائر ما عدده من صفات ذلك اليوم مما نطق به الكتاب الكريم كقوله تعالى انما يؤخرهم
ليوم تشخص فيه الابصار وقوله واذا العشار عطلت وقوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض وقوله ويسئلونك عن
الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها ... الآية وقوله فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقوله فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم

وتستنجحوه

في التنبيه على قبول قول الله ورسوله

بعض أهوال القيامة المحسوسة وأما المعقولة فقال بعض السالكين إن الإنسان إذا حضرته الوفاة شخص بصر عقله إلى ما انكشف له من الأطوار الأخروية وأظلمت عليه أقطار الدنيا وغاب عنها ما كان يشاهده وتعطلت عنه عشائره وناداه داعي الأجل إلى الآخرة فزهقت نفسه وأجابت الداعي وبكت لحيته ودكت شوامخ الجبال وزوالها في نظره لعظمة الله عند مشاهدة كبريائه فتصير لا نسبة لها في نظره إلى ما شاهده من عظيم ملكوته فكأنها انمحقت وغابت وصارت في نظره كالسراب لتزول الذي لا أصل له بعد ما كان يراها عليه من العلو والعظمة وكذلك ينقطع نظره عن عالم الأجسام والحيثيات عند التوجه إلى عالم الملكوت وكذلك يرى ما كان معهودًا منها كالقاع الصفصف لاستيلاء سلطان الله وقهره و ح تنقطع عن الشفيع الشافع والصديق الدافع والعذر النافع وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** بعثه حين لا علم قائم ولا منار ساطع ولا منهج واضح أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحذركم الدنيا فإنها دار شخوص ومحلة تنغيص ساكنها ظاعن وقاطنها بائن تميد بأهلها ميدان السفينة تصفقها العواصف في لجج البحار فمنهم الغرق الوبق ومنهم الناجي على متون الأمواج تحفزه الرياح بأذيالها وتحمله على أهوالها فما غرق منها فليس بمستدرك وما نجا منها فإلى مهلك عباد الله الآن فاعملوا والألسن مطلقة والأبدان صحيحة والأعضاء لدنة والمنقلب فسيح والمجال عريض قبل إرهاق الفوت وحلول الموت فحققوا عليكم نزوله ولا تنتظروا قدومه

أقول الساطع المرتفع والوبق الهالك والمستدرك المتدارك والإرهاق الإلحاق وقد ذكر البعثة حين ظهور الأحوال التي كان العالم عليها ليبيّنها على فضلها وفضيلة الرسول صلى الله عليه وآله فقوله حيث لا علم قائم استعار لفظ العلم والمنار للهداة إلى الله الداعين إليه وعدمهم فيما مر وسطوعه لعدم زمان الفترة وقوله ولا منهج واضح أي لا طريق إلى الله خالص عن شوب الأباطيل يتبع ثم عقب بالوصية بتقوى الله ثم بالتحذير من الدنيا وقرنها بذكر عيوبها للتنفير عنها وكونها دار شخوص إشارة إلى ضرورة الارتحال عنها بالموت ومحلة تنغيص أي تنغيص لذاتها بالآلام والأمراض حتى قيل إن اللذة فيها إنما هي الخلاص عن الألم وقوله ساكنها ظاعن وقاطنها بائن كالتفسير لقوله دار شخوص فقوله تميد بأهلها إلى قوله إلى مهلك صورة لها ولأحوال أهلها فيها فمثّلها بالسفينة عند عصف الريح ومثّل تصرفاتها وتغيّراتها بميدان السفينة ومثّلهم فيها بالأمراض والحوادث التي هي مظنة الهلاك بالأحوال التي تلحق أهل السفينة عند هبوب الريح العاصف حال كونها في لجج البحار ومثّل انقسامهم عند بعض تلك الحوادث ونزولها بهم إلى ميت بها لا يرجى لها عودة ولا يستدرك لها فارطة بانقسام ركاب السفينة عند عصف الريح عليها إلى غريق هالك وإلى ناج ومثّل الناجي من بعض الأمراض التي يعقبه ما حرمونه إلى مرض آخر وإلى غير ذلك من أهوال الدنيا في تلك المدة ما إلى أن لحقه الموت بالآخرة بالناجي من الغرق الذي تحمله الأمواج وتدفعه الرياح ويقاسي أهوال البحر وشدائده ثم بعد خلاصه منه لا بد له من وقت هو أجله ومرض هو الهلاك أي محل هلاكه ثم أمر بالعمل وذكر الأحوال التي يمكن فيها ومعها العمل تنبيهًا على انتهاز الفرصة فتلك الأحوال صحة الألسن وإمكان ذكر الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر الكمالات المتعلقة بها وكذلك صحة الأبدان ولدونة الأعضاء ومطاوعتها للعمل قبل يبسها بالسقم والأمراض وفسح المنقلب وهو محل التصرف والتقلب فكنى به عن وقت الصحة والشبيبة وقرب منه عرض المجال وكنى بها الأجل وحلول الموت تحذيرًا منه وجذبًا إلى العمل بما بعده ثم أمرهم أن يحققوا نزوله قبل نزوله أي يتذكروه ويخطروا ببالهم أنه حق وقد ردوا أنه واقع ليكونوا أكد في العمل ولذلك قال صلى الله عليه وآله من ذكرها دم اللذات ونهاهم عن انتظاره فإن ذلك مستلزم لانتظارهم إلى أن يتوقع بعد عنهم وذلك يوقعهم في التكاسل عن العمل وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أني لم أردّ على الله ولا على رسوله صلى الله عليه وآله ساعة قط ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال وتتأخر الأقدام نجدة أكرمني الله بها ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه لعلى صدري وقد سالت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعواني فضجت الدار والأفنية ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه فمن ذا أحق به مني حيًّا وميتًا فانفذوا على بصائركم ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم فوالذي لا إله إلا هو إني لعلى جادة الحق وإنهم لعلى مزلة الباطل أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم **أقول** الهينمة صوت خفي يسمع ولا يفهم وحاصل الفصل التنبيه على فضيلته لغاية قبول قوله فيما يأمرهم فذكر منها أنه لم يرد على الله وعلى رسوله في وقت قط فيما صدر من الأمر عنهما واستشهد على ذلك بما علم منه المستحفظون من الصحابة وهم العلماء وأهل الدين الذين استحفظوا كتاب الله ودينهم أي جعلوا حفظة لهم وأودعوا إياه وقال بعض الشارحين وفيه إيماء إلى ما كان يفعله بعض الصحابة من الشرع بالقول والاعتراض على الرسول صلى الله عليه وآله في مواضع كما نقل عن عمر يوم الحديبية عند سطر كتاب الصلح أنه أنكر ذلك وقال لرسول الله ألسنا على الحق قال بلى قال أوليسوا الكاذبين قال بلى قال فكيف نعطي الدنية في ديننا فقال صلى الله عليه وآله أنا أعلم بما أومر به فقام عمر فقال لقوم من الصحابة ألم يكن قد وعدنا الله بدخول مكة وها نحن قد صددنا عنها ثم ننصرف بعد أن أعطينا الدنية في ديننا والله لو وجدت أعوانًا لم أعط الدنية أبدًا فقال له أبو بكر ويحك الزم غرزه فوالله إنه لرسول الله صلى الله عليه وآله وإن الله لا يضيعه ثم قال له أقال لك إنه سيدخل مكة هذا العام فقال لا قال فسيدخلها فلما فتح النبي

مكة وأخذ

في بيان فضيلة قوله ولقد واسيته

مكة واخذ مفاتيح الكعبة بعناده فقال هذا الذي وعدتم به وهما مواساته لرسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه وهو ثباته الخصيص به في تلك المواطن فمنها
معه يوم احد وفر الناس ويروي المحدثون ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما ارتث يوم احد ونادى الناس قتل محمد رأته كتيبة من المشركين وهو
صريع بين القتلى الا انه حي فصمدت له فقال لعلي اكفني هذه فحمل عليها فهزمها وقتل رئيسها ثم صمدت له اخرى فقال يا علي اكفني
هذه فحمل عليها وقتل رئيسها ثم صمدت له ثالثة فكذلك فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول قال لي جبرئيل يا محمد هذه المواساة
فقلت وما يمنعه وهو مني وانا منه فقال جبرئيل وانا منكما وروى المحدثون ان المسلمين سمعوا ذلك اليوم هاتفا من قبل
السماء ينادي لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي فقال الرسول صلى الله عليه وآله الا تسمعون هذا صوت جبرئيل وكذلك ثبت معه يوم
حنين في نفر يسير من بني هاشم بعد ان ولى المسلمون الادبار وحامى عنه وقتل قوما من هوازن بين يديه حتى ثابت اليه الانصار وانهزمت
هوازن وغنمت اموالها واما يوم خيبر فقصته مشهورة وذلك قوله ولقد واسيته الى قوله الاقدام وقوله نجدة اكرمني الله بها فالنجدة
فضيلة تحت الشجاعة وقد يعبر بها عن الشجاعة ومنها حاله عند ما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله من توليه امره ومباشرة ما يختص به من الاحوال
حال وفاته من وضع راسه على صدره وقيل انه كان راسه على ركبتيه وعلى ذلك يكون في صدره كناية عليه
الاشبه انه اراد تسييله حين اشتد وجعه ثم تسيلان نفسه في كفه وامرها على وجهه واراد بنفسه دمه فقيل ان رسول الله
قاء وقت موته دما يسيرا وان عليا عليه السلام مسح بذلك الدم وجهه ولا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز ان يخص دم الرسول صلى الله عليه وآله كما روي
ان ابا طيبة الحجام شرب دمه حين حجمه فقال اذن لا يبجع بطنك وكذلك توليه لغسله باعانة الملائكة وكان هو الذي يغسله
والفضل بن عباس يصب الماء عليه وروي انه عصب عيني الفضل حين صب الماء ونقل عنه عليه السلام انه قال لا يبصر عورتي غيرك الا عمي
وروي انه قال فما قلبت عضوا الا وانقلب لا اجد له ثقلا كان معي من يساعدني عليه وما ذلك الا الملائكة وحيا وميتا
منصوبا على الحال من الضمير المجرور في به واما دفنه فتنازع القوم فيه انه يلحد او يضرح فارسل العباس الى ابي عبيدة بن الجراح وكان
يحفر لاهل مكة ويضرح لهم على عادتهم وارسل الى ابي طلحة الانصاري وكان يلحد لاهل المدينة على عادتهم فقال اللهم اخر لنبيك
فجاء ابو طلحة فلحد له وتنازعوا فيمن يدخل القبر معه فقال علي عليه السلام لا ينزل معه احد غيري وغير العباس ثم اذن في نزول الفضل
واسامة بن زيد ثم ضجت الانصار وسألوا ان ينزل منهم رجل فانزلوا اوس بن خولي وكان بدريا وقد عبر بالضجيج عن الضجة لكونه
اعم من النوح والتحسر واما ضجيج الدار والافنية باصوات الملائكة فملاء يهبط منهم وملاء يصعد بحيث لا يفارق هينمتهم
سمعه في حال صلواتهم عليه الى ان واراه في ضريحه فقد عرفت كيفية سماع البشر لاصوات الملائكة في مقدمات الكتاب وكذلك صلوات
تعود الى وسائطهم في افاضة الرحمة من الله ثم على العباد وكذلك عرفت معنى الصعود والهبوط منهم فيما سبق واعلم ان حمل الكلام على
ظاهره عند الامكان اولى من التعسف في التأويل وذكر هذه الفضيلة بمقدمة المقام انه يجري مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل
الاول استدل به على انه لا احق منه به وتقدير كبراه وكل من كان كذلك من محمد صلى الله عليه وآله فهو احق به حيا وميتا ينتج انه لا احق به منه واراد
انه لا احق بالمنزلة والقرب منه في حيوته بالاخوة والوزارة وبعد موته بالوصية والخلافة اذ لا يريد انه احق بذاته فينبغي ان يريد كونه
احق بمرتبته ومنزلته وكلامه بعده ثم عقب ذكر فضيلته بامرهم ان ينفذوا في جهاد عدوهم على بصائرهم اي عقايدهم انه على الحق وان عدوهم
على الباطل واكد ذلك العقائد بالقسم البار انه فيما يامرهم به على طريق الحق وان خصومه على مزلة الباطل وذكر الجادة للحق جريا
البيوت والمزلة للباطل تنفيرا عنه وكان الباطل لا طريق واضحة له بعلم او برهان صادق كما عليه الطريق الحق وبانتهاء الكلام خاتمة
الخطبة وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام يعلم عجيج الوحوش في الفلوات ومعاصي العباد في الخلوات واختلاف
النينان في البحار الغامرات وتلاطم الماء بالرياح العاصفات واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله نجيب الله وسفير
وحيه ورسول رحمته اما بعد فاني اوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم واليه يكون معادكم وبه نجاح طلبتكم و
اليه منتهى رغبتكم ونحوه قصد سبيلكم واليه مرامي مفزعكم فان تقوى الله دواء داء قلوبكم وبصر عمى افئدتكم
وشفاء مرض اجسادكم وصلاح فساد صدوركم وطهور دنس انفسكم وجلاء عشاء ابصاركم وامن فزع جاشكم
وضياء سواد ظلمتكم فاجعلوا طاعة الله شعارا دون دثاركم ودخيلا دون شعاركم ولطيفا بين اضلاعكم و
اميرا فوق اموركم ومنهلا لحين وردكم وشفيعا لدرك طلبتكم وجنة ليوم فزعكم ومصابيح لبطون قبوركم وسكنا
لطول وحشتكم ونفسا لكرب مواطنكم فان طاعة الله حرز من متالف مكتنفة ومخاوف متوقعة واوار نيران
موقدة فمن اخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوها واحلولت له الامور بعد مرارتها وانفرجت عنه
الامواج بعد تراكمها واسهلت له الصعاب بعد انصابها وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها وتحدبت عليه
الرحمة بعد نفورها وتفجرت عليه النعم بعد نضوبها ووبلت عليه البركة بعد ارذاذها فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته

في إحاطة علمه بجزئيات الوجود

ووعظكم برسالته وامتنّ عليكم بنعمته فعبّدوا انفسكم لعبادته واخرجوا اليه من حقّ طاعته ثمّ انّ هذا الاسلام دين الله تعالى
الذي اصطفاه لنفسه واصطنعه على عينه واصفاه خيرة خلقه واقام دعائمه على محبّته اذلّ الاديان بعزّته ووضع الملل برفعه
واهان اعداءه بكرامته وخذل محادّيه بنصره وهدم اركان الضلالة بركنه وسقى من عطش من حياضه واتأق الحياض
بمواتحه ثمّ جعله لا انفصام لعروته ولا فكّ لحلقته ولا انهدام لاساسه ولا زوال لدعائمه ولا انقلاع لشجرته ولا انقطاع
لمدّته ولا عفاء لشرائعه ولا جذّ لفروعه ولا ضنك لطرقه ولا وعوثة لسهولته ولا سواد لوضحه ولا عوج لانتصابه
ولا عصل في عوده ولا وعث لفجّه ولا انطفاء لمصابيحه ولا مرارة لحلاوته فهو دعائم اساخ في الحقّ اسناخها وثبّت
لها اساسها وينابيع غزرت عيونها ومصابيح شبّت نيرانها ومنار اقتدى بها سفّارها واعلام قصد بها فجاجها
ومناهل روي بها ورّادها جعل الله فيه منتهى رضوانه وذروة دعائمه وسنام طاعته فهو عند الله وثيق الاركان
رفيع البنيان منير البرهان مضيء النيران عزيز السلطان مشرف المنار فشرّفوه واتّبعوه وادّوا اليه حقّه وضعوه
مواضعه ثمّ انّ الله سبحانه بعث محمّدا صلّى الله عليه وآله حين دنا من الدنيا الانقطاع واقبل من الآخرة الاطّلاع و
اظلمت بهجتها بعد اشراق وقامت باهلها على ساق وخشن منها مهاد وازف منها قياد في انقطاع من مدّتها واقتراب
من اشراطها وتصرّم من اهلها وانفصام من حلقتها وانتشار من سببها وعفاء من اعلامها وتكشّف من
عوراتها وقصر من طولها جعله الله سبحانه بلاغا لرسالته وكرامة لامّته وربيعا لاهل زمانه ورفعة لاعوانه وشرفا
لانصاره ثمّ انزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصابيحه وسراجا لا يخبو توقّده وبحرا لا يدرك قعره ومنهاجا لا يضلّ
نهجه وشعاعا لا يظلم ضوؤه وفرقانا لا يخمد برهانه وتبيانا لا تهدم اركانه وشفاء لا تخشى اسقامه وعزّا لا تهزم
انصاره وحقّا لا تخذل اعوانه فهو معدن الايمان وبحبوحته وينابيع العلم وبحوره ورياض العدل وغدرانه و
اثافيّ الاسلام وبنيانه واودية الحقّ وغيطانه وبحر لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها الماتحون ومناهل لا
يغيضها الواردون ومنازل لا يضلّ نهجها المسافرون واعلام لا يعمى عنها السائرون وآكام لا يجوز عنها القاصدون
جعله الله تعالى ريّا لعطش العلماء وربيعا لقلوب الفقهاء ومحاجّ لطرق الصلحاء ودواء ليس بعده داء ونورا ليس
معه ظلمة وحبلا وثيقا عروته ومعقلا منيعا ذروته وعزّا لمن تولّاه وسلما لمن دخله وهدى لمن ائتمّ به وعذرا لمن
انتحله وبرهانا لمن تكلّم به وشاهدا لمن خاصم به وفلجا لمن حاجّ به وحاملا لمن حمله ومطيّة لمن اعمله وآية لمن توسّم
وجنّة لمن استلأم وعلما لمن وعى وحديثا لمن روى وحكما لمن قضى **أقول** التجيج رفع الصوت والنينان جمع
نون وهو الحوت والجأش القلب ... والشمس في غروب غابت ... عطفت وحنت والرذاذ
ضعيف المطر ... ذللوا والمحاذ ... وأتأق الحياض ملأها والمواتح المستقون والوعوثة كثرة توجب صعوبة المشي
كما في الرمل والوضح البياض والعوج بالفتح فيما له ساق ... وبالكسر فيما ليس كذلك كالطريق والعصل الاعوجاج
ساخ غاص والسنخ الاصل وانتشر ... والبحبوحة ... وسطها والغيطان المواضع المطمئنة من الارض والمحاجّ جمع محجّة وهي جادّة
الطريق والمعقل الملجأ والفلج الفوز والمتوسّم المتفرّس واستلأم لبس لأمة الحرب وهي الدرع وقصد ... الفصل تنبيه على
احاطة علمه بجزئيات الوجودات على اختلافها وكثرتها ... عليها حين ... اليه من جذب الارض
وقلّة العشب ... تضرع اليه بالعجيج ليكون ... الى ذلك ... وبعلمه بمعاصي العباد في الخلوات ... في الحلو
التي هي مظنّتها واختلاف النينان بالبحر ... وتلاطم الماء ... ثمّ عقب بشهادة الرسالة ثمّ بالوصيّة بتقوى الله
وقرّبها باعتبارات من صفاتها ... توجب الفزع اليه ... منتهى ... والعقلي كقوله تعالى
خلقكم اوّل مرّة واليه ترجعون ... واليه منتهى ... فانّه تعالى
غاية الكلّ واليه ... يقال فلان مرمى ... المهمّات ... واذا مسّكم الضرّ فاليه تجأرون
ثمّ باعتبارات من صفة التقوى توجب الفزع اليها ... وهي كونها دواء داء قلوبكم وقد عرفت كونها دواء للادواء الرذائل التفسانيّة
وبصر عمى افئدتكم ... وشفاء مرض اجسادكم وذلك انّ التقوى تستلزم قلّة الاكل والشرب واستعمالها بقدر
الحاجة كما قال في صفات المتّقين ... وقد علمت انّ ما يحدث ... من الامراض للبدن ... ولذلك قال المعدة بيت
الادواء ... ودواء ... من الغلّ والحسد والخبث ... المخالفة لاوامر الله فانّ التقوى تستلزم نفي ذلك
كلّه ... الصدر ... منه لانّ مبادئ ذلك ... والمتّقون بمعزل عن ذلك ...
... من نجاسات الرذائل المهلكة ... لكن ... كونها دواء ...

في احاطة علمه بالجزئيات

في الاول ملاحظة كون الرذائل امراضا تؤدي الى الهلاك الشديد وفي الثاني اعتبار كونها نجاسات تمنع من دخول حظيرة القدس ومقعد الصدق و وجلاء عشا ابصاركم وفيه استعارة لفظ العشا لما يعرض عن ظلمة الجهل وسائر الرذائل من عدم ادراك الحقايق ويروى عشا بالغين المعجمة وهو الظلمة المتوهمة من الجهل التي هي حجاب العقل وبهذا الاعتبار فهي التقوى جلاء لتلك الظلمة لما تستلزمه من اعداد النفس لكمال وكونها هي الجلاء مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب وامن فزع جاشكم اذ قد علمت انها الامان من عذاب الاخرة وقد يكون بها الامان من فزع الدنيا لان اكبر مخاوف الدنيا الموت ومما يؤدي اليه والمتقون العارفون تعزل عنهم تقية الموت بل عسى ان يكون محبوبا لهم لكونه وسيلة لهم الى لقاء الخالص محبوبهم واليه الاشارة بقوله تع يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين دلت الاية على ان الصادق في دعوى الولاية يتمنى الموت وكذلك قوله تع قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ح وضياء سواد ظلمتكم واستعار لفظ الظلمة للجهل لتغطيته للقلب ورشح بذكر السواد لاستلزام الظلمة السواد وهو كقوله وجلاء عشاء ابصاركم وراعى في هذه القرائن كلها المضادة ثم اكد الوصية بطاعة الله تع واوامر احدها ان يجعلوها شعارا دون دثار وكنى بذلك عن ملازمتهم لها كما يلزم الشعار الجسد ثم عن كونها في باطن دون الظاهر فقط فقوله دون دثار الثاني كذا امرهم بلطفها بامرهم باتخاذها دخيلا تحت الشعار لامكان ذلك فيها دون الشعار المحسوس ثم فسر ذلك بقوله لطيفا بين اضلاعكم وكنى بلطفها عن اعتقادها وعقليتها وبكونها بين اضلاعهم عن بداعها القلوب الثالث ان يجعلوها امرا واستعار لها لفظ الامير باعتبار اكرامهم لها وتقديمها على سائر مهماتهم الرابع ان يجعلوها منهلا لحين ورودهم اي يوم الفزع واستعار لفظ المنهل لها باعتبار ان التقوى والطاعة مظنة التروي من شراب الابرار يوم القيمة كما ان موارد الابل مظنة ريها الخامس ان يجعلوها شفيعا الى الله ووسيلة لمطالبهم منه وظاهر كون المطيع يستعد بطاعته لما بينه وبين الله تع ولفظ الشفيع مستعار للوسيلة والقرينة السادس جنة ليوم فزعهم وظاهر كون الطاعة ساترا يوم القيمة من الفزع الاكبر من عذاب الله السابع مصابيح لبطون قبورهم وقد عرفت كيفية اعداد الطاعة لقبول الانوار العلوية والاسرار الالهية المخلصة من ظلمة القبور والعذاب الاخروي وفي الخبر ان العمل الصالح يضيء قبر صاحبه كما يضيء المصباح الظلمة واستعار لها لفظ المصابيح لاستلزامها الانارة الثامن وكذلك سكنا لطول الوحشة في القبور وتسلية النفوس كما روي ان العمل الصالح والخلق الفاضل يراه صاحبه بعد الموت في صورة شاب حسن الصورة والثياب طيب الريح فيسلم عليه فيقول له من انت فيقول انا خلقك الحسن او عملك الحسن حاصله يعود الى كون الطاعة سببا للاستيناس من وحشة الاخرة وذلك ان الوحشة انما تعرض في المكان لمن كان غافلا عنه وغير متوقع له ولا متهيئ للانتقال اليه ومطمئن بوطنه الاول وبجاهله ويجاعله كل الانس فاما اهل الطاعة فانهم ابدا متفكرون فيما ينتقلون اليه مستذكرون له انفون بالنسبة اليه وملتفتون اليه فانهم ابدا فرحهم دائما بلقائه واعتقادهم في الدنيا انهم كاهلها بايدانهم مجاورون منهم ومهربون والى العزلة منقطعون فبالحري الا تعرض لهم وحشة وان تكون طاعاتهم سببا لعدم الوحشة لو عساها تعرض لهم ولما كان الانسان في الدنيا لا يتصور ما بعد الموت بالحقيقة لا جرم لا بد له من وحشة ما الى الانوار الالهية والانس بالرفيق الاعلى مزيلا لها التاسع وكذلك نفسا لكرب مواطنكم اي سعة وروحا لما يعرض من كرب منازل الاخرة واهوالها العاشر كونها حرزا من متالف مكتنفة وتلك المتالف الرذائل الموبقة التي هي محال الهلاك والتلف فاكتنافها احاطتها بالنفس بحيث لا يكفها الا طاعة الله وسلوك سبيله والمخاوف المتوقعة مخاوف الاخرة وحرزها الحادي عشر كون التقوى مسلية لبعد الشدائد عن المتقي بعد دنوها منه كثيرا ما يعبر بالتقوى عن الطاعة وان كانت حقيقتها في بعض المواضع اما في بعد شدائد الاخرة فظاهر واما في الدنيا فلان المتقين هم اسلم الناس من شرور الدنيا لبعدهم عن مخالطاتهم ومجاذباتهم لمتاع الدنيا وبغضهم لها اذ كانت محبتها والحرص عليها منبعا لجميع الشرور والشدائد الثاني عشر كونها مسلية لمحال الامور بعد امرارها اما امور الاخرة فكالتكليف عليهم الوارد لها بالعبادات وظاهر انها عند المتقين احلى والذ من كل شيء بعد مرارتها في بدء سلوكهم وثقلها عليهم وعلى غيرهم من الجاهلين واما المر من امور الدنيا فكالفقر والعري والجوع وكل ذلك عند المتقين وهو احلى في نفوسهم واثر من كل شعار وان كان مرا في بدء سلوكهم وقبل وصولهم الى ثمرات التقوى الثالث عشر انفراج الامواج عنه بعد تراكمها واستعار لفظ الامواج للهيئات الرديئة وملكات السوء التي اذا كانت وتوالت على النفس اغرقتها في بحار عذاب الله وظاهر كون لزوم التقوى سببا لتفريجها باستعداد النفوس بها لملك الهيئات فيمحي من لوحها ما ان كرثها الرابع عشر كون لزومها سببا للتسهيل مستعار للامور على النفس بعد انعابها لها وذلك ان المتقين عند ملاحظة نجاتهم من تقويهم يسهل عليهم كل صعب من امور الدنيا مما يشتد على غيرهم كالفقر والمرض وكل شديد وكذلك يسهل عليهم كل صعب من مطالب الاخرة بعد انعاب تلك المطالب لهم قبل تصورها التام في اول التكليف الخامس عشر كونه سببا لهطل الكرامة عليهم والكرامة تعود الى الكمالات النفسانية الباقية والاستاذ بها والحظوة في افاضتها عليهم مشابهتها بالغيث فاستعار لها لفظ الهطل واسنده اليها وكذلك لفظ القحوط وكنى به عن منعهم اياها حال عدم التقوى لها السادس عشر كونه سببا لتعطف الرحمة الالهية وافاضة الكمال عليهم بعد نفورها عنهم لعدم الاستعداد لها ولفظ التحدب مستعار للارادة او لاثر الرحمة وكذلك لفظ النفور لعدم اثرها في حقهم قبل ذلك السابع عشر كونه سببا لتفجر النعم بعد نضوبها ولفظ التفجر مستعار لانتشار وجوه افاضات النعم الدنيوية والاخروية كما قال تع ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وكذلك لفظ النضوب لعدمها قبل الاستعداد لها ملاحظة لشبه النعم بالماء في الاستعداد الثامن عشر كونه سببا لوبل البركة بعد ارذاذها ولفظ الوبل مستعار للبسط الكثير من البركة بعد الاستعداد بالتقوى ولفظ الرذاذ للقليل

في بيان نبذ من صفاته

قبل ذلك لا استعدادا ملاحظة لشبيهها بالغيث اي بغيه وظاهر كون التنوع بحسب المزيد المفيض على كل من كان له بعض الكمالات كمن يستعد بالعلوم وفنون العبادات ثم ذلك
ثم بعد الفراغ من فضايلها والترغيب فيها من الملاحمة اعاد الامر بها ورغب فيها باعتبار انها من نعام المنعم هي كونه تعالى انعمها لهم ووعظهم اي جانبها لهم الى جنته
مهيئا لهم ذكرا منه ووعاظا لهم برسالته اليهم ممتنا عليهم بنعمته كقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم في غير موضع من كتابه ثم امرهم بتبعيد انفسهم تذليلها للعبادة
والخروج اليه من حقه الذي يطلبه منهم هو طاعته ثم ذكر الاسلام وفضائله وعنايته وهو كالسبب لطاعته وعبادته مكانه قال والخروج اليه من حق طاعته الذي هو
الاسلام فانه وذكر له فضايل فاكونه اصطفاه لنفسه طريقا الى معرفته وسبيل ثوابه كونه اصطنعه على عينه هي كناية عن تمام عنايته به وكانه للصنع بها
من عملك له وتشاهد بعينه ولفظ العين مجاز في العلم وعلى تقدير الحال اي على علم منه بشرفه ووجه الحكمة فيه نحو قوله تعالى ولتصنع على عيني ج واصفاه خيرة خلقه
اي اصطفى للبعثة به والبشر خلقه محمد صلى الله عليه وآله واقام دعائمه على محبته ولفظ الدعائم مستعار لاهل الاسلام او لاركانه ووجه الشبه قيامه بهم في الوجود كقيام
البيت الذي هو بدعائمه فكانه على الحال والضمير في محبته لله اي اقام دعائمه حال المحبة وقيل لله كما تقول بنى الله تعالى على محبته هي اذل الاديان بعزه وذل
الاديان تعود الى عدم الالتفات اليها فيكون مجازا من باب اطلاق اسم السبب على المسبب او تذلل اهلها فيكون من باب حذف المضاف وظاهر ان عز الاسلام سبب لذلك ج و
وكذلك وضع الملل برفعه وكذلك اهان اعداءه وهم المشركون والمكذبون له من الملل الاخر اي اهانهم بالقتل واخذ الجزية والصغار لهم وكرامته اجلاله لا اجلال
اهله وتعظيمهم في النفوس ج وخذل محاديه بنصره اي بنصر اهله في القرائن الاربع المضاف العز للذل والرفع للوضع والكرامة للاهانة والنصر للخذلان ط وهدم
اركان الضلالة بركنه ولو كانت الضلالة تعود الى العقايد الضالة في الجاهلية والى اهل الضلالة وهو مستعار ووجه الاستعارة قيام الضلالة بتلك العقائد
او باهلها كقيام ذي الاركان بها وكذلك لفظ الهدم لزوال الضلالة بقوة الاسلام واهله ج وسقى من عطش من حياضه فاستعار السقي لافاضة علوم الدين على الخلق اوهم
وكما استعار لفظ العطش لما كان عليه من الجهل البسيط عدم العلم وكذلك استعار لفظ الحياض لعلماء الاسلام الذين هم عيبة حياضه لتروي العطاش من العلوم
والحكمة الدينية ج واتأق الحياض بمواتحه واستعار لفظ المواتح اما للائمة من العرب الاول الاخذين للاسلام من رسول الله الذي هو الينبوع او لانكار العلماء وسلوكهم
وبحثهم عن الدين واحكامه واستفادتهم بها ووجه الاستعارة كونهم مستخرجين للعلم والدين منه كما يستخرج المائح الماء من البئر ولفظ الحياض للمستفيدين
جعله بحيث لا ينفصم عروته ولفظ العروة مستعار لما يتمسك الانسان به منه ورشح بذكر الانفصام ولما كان المتمسك به ناجيا من الهلاك الاخروي والشرور الدنيوية
للملل السابقة وكان عدم الانفصام ملزوما لامر المتمسك به اي هذا الى كتبه عن دوام النسل به ج ولا فك لحلقته كناية عن عدم انتهاء اهله وجماعته ولدوامه ولا
انهدام لاساسه واستعار لفظ الاساس للكتاب والسنة اللذين هما اساس الاسلام ولفظ الانهدام لاضمحلالهما ولا زوال لدعائمه استعار لفظ الدعائم
لعلمائه او للكتاب والسنة وقوانينهما اراد بعدم زوالها عدم انقراض العلماء او عدم القوانين الشرعية ج ولا انقلاع لشجرته استعار لفظ الشجرة كاصله
واركانه وهو كقوله ولا انهدام لاساسه ج ولا انقطاع لمدته اشارة الى بقائه الى يوم الدين ج ولا عفاء لشرائعه وشرايعه قوانينه واصوله
هو كقوله لا انقلاع لشجرته ط ولا جذ لفروعه اي لا ينقطع التفريع عليه بل كل ذهن سليم فكر في اصوله وهي الكتاب والسنة استخرج منها ما
لم يستخرج غيره ج ولا ضنك لطرقه وكني بعدم الضيق عن عدم صعوبة قوانينه على اهل التكليف والاولى الضيق هو مشقة السالكين بها الى الله كما
قال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة ج ولا وعوثة لسهولته كناية عن كونه في غاية العدل بين الصعوبة وبين السهولة المفرطة كما عليه كثير الاديان
السابقة من التشديد والتخفيف في سلوكها مع ذلك تصريح بانها غاية السهولة لكنها طريق بعد حصول المطالب الحقيقية والوصول الى التوصل لها لعنى منها
فكانت في سهولتها هذه الوعوثة ج ولا سواد لوضحه استعار لفظ الوضح لصفائه عن كدر الباطل الذي هو سواد الواح نفوس الكافرين
ج ولا عوج لانتصابه واستعار لفظ الانتصاب للاستقامة في ادائه الى الله تعالى اذ هو الصراط المستقيم في الدنيا كذلك ولا عصل في عوده كذلك ولا
وعث لفجه ج ولا انطفاء لمصابيحه عبر بالمصابيح عن علمائه استعارة وبعدم انطفائها عن عدم خلو الارض منهم ج ولا مرارة لحلاوته وذلك ان حلاوة
الاسلام الحقيقي في قلوب المتقين لا يشوبها مرارة من مشقة تكليف ونحوها لما يتصورونه من شرف غايتهم ج فهو دعائم اي فالاسلام دعائم وذلك اشارة
الى تعريفه باجزائه وهي كالشهادتين والعبادات الخمس كما ورد في الخبر بني الاسلام على خمس وقوله اساخ في الحق اسناخها اشارة الى كونه تعالى بناها على
اسرار من الحق عميقة لا يصل اليها الا العباد بخلوصهم واسرار العبادات ط قوله وينابيع غزرت عيونها اشارة الى تعريفه من قبل ما ذكره
الكتاب والسنة واستعارتها لفظ الينابيع نظرا الى فيضان العلوم الاسلامية النقلية والعقلية عنهما كفيضان الماء عن الينابيع ولفظ
العيون لما صدرا عنه وهو علم الله تعالى ونفوس ملائكته ونبيه صلى الله عليه وآله وظاهر غزارة تلك العلوم وكثرتها ج ومصابيح
شبت نيرانها اشارة الى ما فيه ايضا باعتبار ان في الكتاب والسنة دلالة احكامها وبراهينها واستعار لفظ المصابيح باعتبار كونها تضيء
الطريق لخابطها الى الله وشبوبها بذكر اضرام نيرانها وعبر به عن غاية اضاءتها ط ومنار اقتدى بها سفارها واعلام قصد بها فجاجها اشارة
الى تلك المآخذ باعتبار ان فيها امارات على احكام الله الظنية يهتدي بها المسافرون السالكون الى قصدها والقاصدون لطرقها
التي هي منصوبة عليها ط ومناهل روي بها ورادها استعار لفظ المناهل لتلك المواد ايضا باعتبار كونها من العلم لواردها ومقتبسيها
كما روي وراد الحياض منها ج جعل الله فيه منتهى رضوانه وغير ذلك نحو قوله تعالى واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا و
قوله ان الدين عند الله الاسلام ولان فيه اتم وسيلة الى غاية الكمالات الانسانية التي هي منتهى ما يرضاه الله ويحبه من عباده

وفضيلته م

الملاقم

تروّى

في تعداد فوائد البعثة

لـ وفي ذروته ودعائمه أي الدعائم التي جعلها الله عز وجل له في إصلاح خلقه وهي الشرائع وقوانينها وظاهر أن الأنوار التي بها الإسلام والهداية شرفها وأعلى منها في سائر الشرائع فهو كالذروة لها له وسنامًا طاعته ولفظ السنام مستعار للمجموع مما اشتمل عليه من البيانات والهدايات ووجه المشابهة شرفها أيضًا وعلوها بالنسبة إلى الطاعات السابقة عليه كشرف السنام بالنسبة إلى الأعضاء لو فهو عند الله وثيق الأركان والأركان من أجزائه وقد أوثقها شرفه إلى بنائها على الأسرار الحقيقية والعلم التام و لوا صفوها بكيفية وضعها وكذا فائدتها بحيث لا يمكن انفصامها ولا زوالها تتبع البينات التي ما ارتقى إليه أهله من الهدى والفضيلة وظ علو قدره وقدر أهله وتعظيمهم في النفوس على سائر الأديان وأهلها لح منير البرهان وأراد برهانه الذي دعا الخلق إليه وهو القرآن وسائر المعجزات ولا شك في إنارتها وإضاءتها في أقطار العالم واهتداء أكثر الخلق بها لط مضيء النيران واستعار لفظ النيران لأنواره من العلوم والأخلاق المضيئة على علمائه وأئمته م عزيز السلطان وزاد قوته وعز أهله ودولته ومنعه من التجاء إليه مر ما مشرف المنار وكنى به عن علو قدر علمائه وأئمته وانتشار فضلهم والهداية بهم مب معوز المثال أي يعجز الخلق آثاره وما فيه من كنوز الحكمة ولا يمكنهم استقصاء ذلك مثل معوز المنال أي يعجز الناس إتيانه بالإتيان بمثله أو باستقصاء حكمه وثمراته ومعوز المثال وهو ظاهر لما بين فضيلته أمر بتعظيمه واتباعه وأداء حقه وهو العمل بموجبه واعتقاد شرفه وكونه مؤديا إلى الجنة بوضعه مواضعه وهي القلوب لا الألسن والشعار الظاهرة فقط لما فرغ من ذلك شرع في فضائل من بعث به الأكرم نعمة من الله بعد نعمه وفيه ذكر مبدأ أحوال الدنيا حين البعثة ليظهر شرفها فا كونها قد دنا انقطاعها وأقبل الآخرة واطلاعها وقد بينا ذلك في قوله ألا وإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع وعلى الجملة فيحتمل أن يريد قرب انقطاع الدنيا كل أمة منهم وحضور آخرتهم بموتهم وانقراضهم ولفظ الاطلاع استعارة كما سبق ب كونها قد أظلمت بهجتها بعد إشراق وأراد إشراق بهجتها بأنوار الأنبياء السابقين وحضانة الشرائع وظلامها حين بعثة الرسول صلى الله عليه وآله باندراس تلك الآثار وفسادها ج قيامها بأهلها على ساق كناية عن ظهور شدتها وإثارة الفتن بين أهلها وما كانت العرب عليه من الخبط والاختلاط في الحروب والغارات المؤدية إلى الفساد د خشونة مهادها منها وكنى به عن عدم الاستقرار بها وطيب العيش فإن ذلك إنما يتم وهنالك بنظام الشرائع والنواميس الإلهية ه وإزافها قبلها أي قرب منها انقياد للانقطاع والزوال والانخراط في سلك التقضي واقتراب علامات ذلك منها وعلامات زوالها هي علامات الساعة وأشراطها وكذلك تصرم أهلها وانفصام حلقتها وكنى بالحلقة عن نظامها واجتماع أهلها بالنواميس وانفصامها عن فساد ذلك النظام بانتشار أسبابه عن فشا أسباب ذلك النظام فإن أسباب التصرف والتأخر فيها وإنما يتم بالنواميس الشرعية وقوانينها واستعار لفظ الأعلام للعلماء والصلحاء بها وكان عليهم العفا ح وكشف عوراتها عن وجوه المشتاقين فيها وكشفها عن ظهور زهاتها بعد الخفاء وكذلك قصر من طولها فإن الدنيا إنما يكون طولها وقوام مدتها عند صلاحها بالشرائع فإذن قصرها يكون عند فسادها وعدم النظام الشرعي ثم رجع إلى تعديد فوائد بعثة الرسول فإن الله تعالى جعله بلاغا لرسالته وهو كقوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وكرامة لأمته لكونه داعيا لهم إلى الكرامة الباقية التامة وسبب الكرامة ج وربيعا لأهل زمانه واستعار لفظ الربيع له ووجه المشابهة كونه محيي المسلمين وعلمائهم وسبب انتعاشهم من العلم والحكمة كما أن الربيع سبب لحياة الحيوان بمراعيها ونعتهم وسمنهم د ورفعة لأعوانه أي لأعوان الله وأنصاره المسلمين فقط كونه سبب رفعهم وشرفهم ثم عقب بذكر بعض الأنوار التي بعث بها وهو الكتاب العزيز وعدد فضائله فا كونه نورا لا تطفى مصابيحه والمراد بنوره العلم والحكم المشتمل عليها واستعار لفظ المصابيح إما لما اشتمل من علوم وحكم فاهتدى بها الناس أو لما لعلمائه وحاملي فوائده ب كونه سراجا لا يخبو توقده وأراد أنه لا ينقطع هداية الناس بنوره فهو كالأول ج وبحرا لا يدرك قعره ولفظ البحر مستعار له باعتبارين أحدهما عموم أسراره بحيث لا يحيط بها الأفهام ولا تصل إلى أغوارها العقول كما لا يدرك الغائص قعر البحر العميق والثاني كونه معدنا لجواهر العلوم النفيسة والفضائل كما أن البحر معدن الجواهر د ومنهاجا لا يضل نهجه والمراد كونه طريقا واضحا لمن سلك سبيل الله وفهم مقاصده لا يضل قصده ه وشعاعا لا يظلم ضوءه أي لا يغطي الحق الوارد به ظلام شبهة ولا تدليس باطل ولفظ الشعاع والضوء والظلمة مستعار و وفرقانا لا يخمد برهانه أي يفرق بين الحق والباطل لا يجحد ولفظ الخمود مستعار ملاحظة لشبه البرهان بالنار في الاستنارة والظهور فنسب إليه وصفها ز وبنيانا لا تهدم أركانه واستعار لفظ البنيان المنتظم من الكتاب ووضعه في القلوب وتبع بذكر الأركان لاستلزام البنيان إياها ح وشفاء لا تخشى أسقامه كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقط كونه تدبره وأسراره شفاء للنفوس من أمراض الجهل ورذائل الأخلاق وذلك شفاء لا تخشى أسقامه وذلك أن الفضائل النفسانية إذا صارت ملكات لم تزل ولم تتبدل بأضدادها ولا كان أيضا شفاء للأبدان كاسبوط وعز الأنصاره نصاره ى وحقا لا تخذل أعوانه وأنصاره وأعوانه هم المسلمون المعتزون به والمخصوصون إليه العاملون على تقرير السالكون به إلى الله وظاهر أن أولئك الأنصار الأعوان لا تخذلهم أحد ولا يغلبهم أبدا يا فهو معدن الإيمان الذي يستنبط منه الإيمان الكامل بالله ورسوله وما جاء به وكونه كون اعتقاد حقيته وتفهم مقاصده والعمل بها واسطة عقد الإيمان يب وينابيع العلم وبحوره ولفظ الينابيع استعارة له باعتبار كونه محل بعض العلوم

والضمير في دعائمه

والشرائع

المعززون به

في تعداد فوائد البعثة

الغيث وما استفاد منها مج ورياض الهدى ووفد اليه والقطان مستعار لما ينبغي باعتبار كونه موردا يوصل عشاق الهدى بكليته فهو مورده الذي لا يعوق
عن سنن الحق الى ان يبلغ به صاحبه الشأن يل والباب الى الاسلام وبنيانه والقطان مستعار له باعتبار كونه اصلا للاسلام يبنى عليه
ويقوم كما ان الاثاث للفوائد والبنيان انما يحمل عليه كل يل وادين الحق وغيطانه والقطان مستعار له باعتبار كونه مقعدا للحق وسطه
له كالاودية والغيطان مطان الكلاء والماء يو ويجري لا يستنزف المستنزفون يز وعيون لا ينضبها الماتحون كما ذكر واستعار لفظ العيون
له باعتبار اخر وهو كونه لا ينفد مواليده والفوائد المستنبطة منه مج ومناهل لا يغيضها الواردون مختص لتصويب العيون لامكان
ذلك فيها دون البحر والورود بالمناهل لكونه اسهل وهو الوارد لغاية وورود الماء يط ومنازل لا يضل نهجها المسافرون اي مقامات من العلوم
اذا نزلتها العقول المسافرة الى الله لا تضل لاستنارتها وشهرة صناعتها ك وكذلك واعلام لا يعمى عنها السائرون كما وكذلك ذكر الاجوع عنها
القاصدون واستعار لفظ الاعلام والاكام للادلة والامارات فيه على طريق الحق فهو احكام باعتبار كونها هادية اليه كالعلامة للاعلام
والجبال على الطرق كب جعله الله ريا لعطش العلماء استعار لفظ الري له باعتبار كونه رافعا لالم الجهل عن النفوس كما يدفع الماء الم العطش
ولفظ العطش للجهل البسيط ولاستعداد الطالبين للعلوم واشتياقهم الى الاستفادة واطلق لفظ الري على المرتبة مجاز اطلاقا لاسم
اللازم على ملزومه مج وربيعا لقلوب الفقهاء ولفظ الربيع مستعار له باعتبار كونه مرعى لقلوب الفقهاء ويستثمرون منه الاحكام ويبهجها
كالربيع للحيوان كد ومحاج لطرق الصلحاء وظاهر كونه طريقا واضحا للصالحين الى الله كه ودواء ليس بعده داء كقوله شفاء لا يخشى سقامه
كو ونورا ليس معه ظلمة اي لا ينقص مع هداية الى الاحكام ظلمة على البصيرة وهو كقوله وسراجا لا يظلم ضوءه كز وحبلا وثيقا عروته استعار
لفظ الحبل له والعروة لما يستمسك به منه وكنى بوثاقة عروته عن كونه منجيا لمن تمسك به كح ومعقلا منيعا ذروته استعار لفظ المعقل له
باعتبار كونه ملجأ من الجهل ولوازمه وهو العذاب ورشح بذكر الذروة وكنى بمنعتها عن كونه حرزا يمنع من لجأ اليه كط وعزا لمن تولاه اي
اتخذه وليا يلتجئ اليه ويقتفي ابدا اموره ولا يخالفه وظاهر كونه سبب عزه في الدارين ل وسلما لمن دخله اي امنا ودخوله الخوض في تدبر معانيه
واقتباسها وبين لك الاعتبار يكون مأمنا من عذاب الله ومن الوقوع في الشبهات التي هي مهاوي الهلاك لا وهدى لمن ائتم به ولوطك بر وعذرا
لمن انتحله اي من نسبه الى نفسه بدعوى حفظه او تفسيره ونحو ذلك معتذرا بذلك من تكليف لا يليق به او بشق عليه كان عذرا منجيا له
وهذا كما تقول لمن يقصد اذى انا ناذي لا ينبغي لك ان تؤذيني فانه من حملة القرآن الكريم او ممن يعلم علومه فيكون ذلك سبب الترك اذاه
لج وبرهانا لمن تكلم به لد وشاهدا لمن خاصم به له وفلجا لمن حاج به النكته مقاومة واطلق لفظ الفلج عليه من جهة ما يحتج به اطلاقا
لاسم الغاية على ذي الغاية اذ غاية الاحتجاج به الفوز والشاهد والحجة اعم من البرهان لو وحاملا لمن حمله اي يحمل يوم القيمة حملته وحفظته الا ان غير
بجملة لهم عن ابخاتهم من العذاب اطلاقا لاسم السبب على المسبب لز ومطية لمن اعمله استعار لفظ المطية باعتبار كونه منجيا لهم كقوله حاملا
ولفظ الاعمال لتتبع قوانينه والمواظبة عليها المنجية من العذاب كما ينجي اعمال المطية في الطريق لبعيد لح واية لمن توسم وذلك باعتبار اشتماله
وقصصه فان فيها ايات وعبرا كما قال تعالى ان في ذلك لايات للمتوسمين لط وجنة لمن استلأم اي لبس لامته والجنة كالدرع واستعار لفظ
الجنة له وغايته من استعد بعلمه من عذاب الله وكني باستلامه عن تلك الاستعداد به م وعلما لمن وعى اي حفظ وفهم مقاصده ما وحديثا لمن
روى وذلك باعتبار ما فيه من القصص واخبار القرون الماضية فان اصدق حديث يروى منها ما اشتمل عليه القرآن ويحتمل ان يريد بكونه
حديثا كونه قولا وكلاما ليس لمن نقله كما قال تعالى الله الذي نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني ويكون فائدة هو الوصف انه فيه
عبرة لمن اراد ان يحدث بحديث غيره مما لا يفيد فائدته فينبغي ان يعدل اليه ويشتغل بتلاوته والتحدث به مب وحكما لمن قضى اي فيه الاحكام التي
يحتاج اليها القضاة ورؤي وحكما اي حاكما ترجع اليه القضاة ولا يخرجون عن حكمه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** كان يوصي
به اصحابه تعاهدوا امر الصلوة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقربوا بها فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا الا تسمعون
الى جواب اهل النار حين سئلوا ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين وانها لتحت الذنوب حت الورق وتطلقها اطلاق
الربق وشبهها رسول الله صلعم بالحمة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى ان يبقى عليه من الدرن
وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ولا قرة عين من ولد ولا مال يقول الله سبحانه رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكان رسول الله صلعم نصبا بالصلوة بعد التبشير بالجنة لقول الله سبحانه وامر اهلك
بالصلوة واصطبر عليها فكان يأمر بها اهله ويصبر عليها نفسه ثم ان الزكوة جعلت مع الصلوة قربانا لاهل الاسلام فمن اعطاها طيب
النفس بها فانها تجعل له كفارة ومن النار حجازا ووقاية فلا يتبعنها احد نفسه ولا يكثرن عليها لهفه فان من اعطاها غير طيب النفس
بها يرجو بها ما هو افضل منها فهو جاهل بالسنة مغبون الاجر ضال العمل طويل الندم ثم اداء الامانة فقد خاب من ليس من اهلها انها
عرضت على السموات المبنية والارضين المدحوة والجبال ذات الطول المنصوبة فلا اطول ولا اعرض ولا اعلى ولا اعظم منها ولو امتنع
شيء بطول او عرض او قوة او عز لامتنعن ولكن اشفقن من العقوبة وعقلن ما جهل من هو اضعف منهن وهو الانسان انه كان ظلوما جهولا

ذلك م

على ذي الغاية م

كذا في الاصل
ليس نقله

ان الله

في بعض وصاياه لاصحابه

ان الله سبحانه لا يخفى عليه ما العباد مقترفون في ليلهم ونهارهم لطف به خبرا واحاط به علما اعضاؤكم شهوده وجوارحكم جنوده وضمائركم عيونه
وخلواتكم عيانه اقول الربق جمع ربقة وهي الحلقة في الحبل والحمة بالجيم الحفيرة يجتمع فيها الماء ودرن الجلد والسنة واحد والاندفاع الوسخ
والتهوين التداعي لا تتزايل الا كثرة وحاصل الفصل الوصية بالمحافظة على امور ثلثة والحث عليها اولها الصلوة فامر بتعاهد امرها
والمحافظة عليها وذلك باعتقاد الاهمية لا لاحوال من حال الصلوة ومراقبتها حاذرا ان تدخلها نزغات الشيطان برياء فيها او النقصان عنها
ثم بالمحافظة على اوقاتها واداء اركانها كما هي ثم بالاستكثار منها والتقرب بها الى الله لكونها افضل العبادات والقرب اليه ثم اشار الى
فضيلتها ووجه وجوبها احدها قوله فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وهو لفظ القران الكريم وموقوتا مفروضا وقيل منجما في كل وقت
صلاة معينة الثاني الجذب بالتذكير بالتنبيه على استلزام تركها الدخول النار بقوله الا تسمعون الى قوله من المصلين الثالث انها لتحت
الذنوب حت الورق وهو تشبيه المعقول بالمحسوس ووجه الشبه وكذلك وتطلقها اطلاق الربق اي تطلق اعناق النفوس من اغلالها كما
تطلق الربقة من عنق الشاة الرابع تشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله لها بالحمة تكون على باب الرجل وصورة الخبر فيه انه اخرجه ابن حبان بسند
منها كل يوم خمس مرات فلا يبقى عليه من درنه شيء فقالوا نعم قال فانها الصلوات الخمس الخامس التنبيه على رجال من المؤمنين
وهم الموصوفون في الاية بعد بما السادس نصب الرسول عليه السلام فيها والمراد بالمواظبة عليها تعبد بتبشيره بالجنة وذلك قوله وأمر اهلك
بالصلوة واصطبر عليها وامثال ذلك لا اخر نفسه والزم امته وروي انه صلى الله عليه وآله قام في الصلوة حتى تورمت قدماه فقيل له في ذلك فقال افلا
اكون عبدا شكورا وذلك من وضع الكلام على كثرة فوائدها وقوة فضيلتها واعلم انه قد ورد في فضلها اخبار كثيرة بعد تاكيد القران الكريم
بها وقد بينا ذلك واشرنا الى فضيلتها اشارة مستوفاة في الفصل الذي اوله ان افضل ما يتوسل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان
به وبرسوله الثانية مما امر بالمحافظة عليه الزكوة وهي قرينة الصلوة في الذكر في الكتاب العزيز وفي الفضيلة فلذلك قال جعلت مع الصلوة
ثم اشار الى سرها وهو كونها قربانا لاهل الاسلام وسنبين ذلك واشار بقوله فمن اعطاها الى قوله طول الاسف الى شرط كونها مقربة الى الله
تعالى وهو ان تكون معطاة بطيب النفس بها سرها وقد عرفت في الفصل وعلمت ان مراتب الناس في السخاء والبخل من اقصى الى اقصى مراتب الواجب من الزكوة من غير زيادة ولا نقصان ومنهم العوام الجهال كثيرا لا يبذلون ويحبون المال وبيبلغ لديهم من ضعف حبهم بلا حرة فقال لعلم ان بيسا لكونها
فيجعلكم تخافوا وطهارة الذين وكونها من استنزل على المال ومحاسبهم وقربهم من الله ورجاهم بفقد طيب نفسهم من بذل المال والاكثر من عند
محبته وهذا الفرق اقرب من المقصر منهم على اداء الواجب فقط ثم منهم الى فعل ذلك الحق بطيب نفس ومنهم من الى مؤد لزم بما العبد ونكد
النفس يبذله ويلهف عليه وانتظار جزاء له وباعتبار القسمين الاولين مع القسم الاول من هذه الفرق يكون بذل المال في الزكوة قربة الى الله تعالى وهو
الذي اشار اليه امير المؤمنين بقوله ان الزكوة الى قوله وقاية ومن كان قد خص الزكوة هنا وانما يكون قربة الاستلزامه رفض هذا المحبوب الذي هو
بالذات جميع الكمالات الدنيوية وجميعها مانع من رغبته في محبة الله ورضوانه فيهما عنده ونكون كفارة ماحيا لرذيلة البخل بما يستلزم من الدنو
ويكون حجابا بين العبد وبين عذاب الله اذ قد علمت ان مبدء العذاب الاخروي حب الدنيا واعظمه حب المال فاذا كان بذل المال مستلزما
لزوال حبه كان بذلك الاعتبار حجابا من العذاب ووقاية منه واما ايتاء الزكوة على الوجه الثاني فهو المذموم والمنهي عنه بقوله ولا يكثرن لهفه
عليها وقد امر بها في قوله فلا يتبعها احد نفسه ويلزم باذلها على ذلك الوجه التقاصر الزكوة وهي الجهل بالسنة والسنة في ادائها ان يؤدي
بطيب نفس وسماح وان يكون مغبونا في الاجر فان اداءها على وجه توقع جزائها الاعلى وجه القربة الى الله غير مستلزم لرضوانه وذلك هو
الغبن وان حصل له جزاء غير رضوان الله على كل جزاء غير رضوان الله ناقص من ذلك فاحش بالنسبة اليه وان يكون ضال العمل وهو اعطاؤه ذلك
المال وبذله على غير وجهه ومقصده بغير سبيل الهدى الى رضوان الله وان يكون طويل الاسف اي في محبة المال وفيما يرجوه من الجزاء الثالث
مما اوصى به اداء الامانة وهي التي اشار القران الكريم اليها بقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الاية وقد بينا فيما سلف انها
تعود الى العبادة والطاعة المطلوبة منا لانسان بما هو انسان وظاهر ان تلك العبادة لا يمكن من غيره فانه انما حملها من حيث خلق
مستعدا لها دين وبيان ذلك ان مخلوقات الله اما جمادات او ذات حيوة ذوات الحيوة اما الملائكة والحيوان الارضي والحيوان الارضي اما اعجم
او ناطق فالحيوان منها وهو الانسان هو اهل العمارة للدارين والكون فيها وهو الواسطة بين خلقين وضيع وهو الحيوان الاعجم وشريف وهو
الملك وقد جمع قوى العالمين فهو كالحيوان في الشهوة والغضب وقوة التناسل وسائر القوى البدنية المختصة بالحيوان وكالملك في القوة
المجردة والعقل والعلم والعبادة وسائر الكمالات النفسانية ووجه الحكمة في ذلك انه لما اقتضت عناية الجبار لهذه العبادة المخصوصة ان يجعل
في الارض خليفة لعمارتها جمع له بين القوتين فانه لو كان كالبهائم خاليا عن تعقل لم يكن اهلا لمعرفته وعبادته الخاصة ولو خلق كالملك معرى عن
الشهوة والغضب وسائر القوى البدنية لم يصلح لعمارة ارضه وخلافته فيها واليه اشار بقوله للملائكة اني اعلم ما لا تعلمون فاذن هذه العبادة الخاصة
وهي الامانة المشار اليها لا يصلح لها الا الانسان ولا يمكن من غيره وقد علمت فيما سلف ان اباء السموات والارض والجبال عن حملها يعود الى امتناع
قبولها بلسان حال قصورها وعدم صلاحيتها لها واشفاقها من عقوبة الله على التقصير عن اداء حقوقها كما اشار اليه امير المؤمنين بقوله اشفقن

العرق

عليها

فان الحصول

في ذم معوية في غدره

من العقوبة ولم يكن ذلك اباء استكبار بل خضوعها تحت ذل الحاجة اليه ولفظ الاشفاق مجاز في ثمرته وهو الامتناع وذلك ان السلطان مثلا اذا كلف
بعض رعيته حمل امانة وتكليف تحتمها فخاف ذلك المكلف العقوبة على تقصيره في اداء تلك الامانة فان خوفه يستلزم تركه وامتناعه من حملها
فكان الامتناع من الامانة مسببا عن الاشفاق فاطلق الاشفاق هنا على اباء السموات والارض والجبال من حملها مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب
وقيل ان ذلك الاباء والاشفاق على وجه التقدير وانما جئ بلفظ الواقع لان الواقع ابلغ من المقدر اي لو كانت هذه الاجرام عقلاء ثم عرضت عليها
وظائف الدين عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر اجسامها وشدتها ولامتنعت من حملها اشفاقا من القصور عن اداء حقها ثم ان مخاطبة الجماد و
الاخبار عنها نظرا الى قرينة الحال طريقة مشهورة للعرب مستحسنة في لغاتهم كقولهم يا دار ما صنعت بك الايام ونحوه بل مخاطبة بعض الجمادات
لبعض بلسان احوالها كقولهم قال الحائط للوتد لم تشقني قال سل من يدقني ونحو ذلك كثير فاما قوله وقد خاب من ليس من اهلها فذلك
الخيبة تعود الى الحرمان بثمرة هذه العبادة وما يستلزمه من الحصول على الكمال واراد انه ليس من اهلها وذكر كون السموات مبنية والارض مدحوة
والجبال باطوالها وعرضها وعلوها وعظمها تنبيه للانسان على جرأته على المعاصي وتضييع هذه الامانة اذ اهل لها وحملها وتعجب منه
في ذلك فكانه يقول اذا كانت هذه الاجرام العلوية التي لا اعظم منها قد امتنعت من حمل هذه الامانة حين عرضت عليها فكيف حملها من هو
اضعف منها وقوله ولو امتنع شيء الى قوله لامتنع اشارة الى ان امتناعهن لم يكن لعزة وعظمة لجبروت ولا استكبار على الطاعة له والا لو
كان ذلك لكانت اولى بالمخالفة عن كل شيء لاعظمية اجرامها على كل المخلوقات بل انما ذلك عن ضعف واشفاق من خشية الله وعقلن ما
جهل الانسان قيل ان الله تعالى عند خطابه لهن خلق فيها فهما وعقلا وقيل ان اطلاق العقل مجاز في سببه وهو الامتناع عن قبول هذه الامانة
كلفظ الاشفاق فان عقلية المكلف العقوبة على التقصير في تكليف يخير فيه ويخاف التقصير يستلزم تركه اذ ذلك التكليف وسفاهته ولم
يكن لها عقل من حيث هي اجرام اطلق لفظ العقل على لازمه وثمرته وهو الامتناع والاباء مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب كاطلاق لفظ
الارادة على ميل الحائط في قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض واقول يحتمل ان يعود الضمير في اشفقن وعقلن الى من يعقل من الملائكة السماوية
اذ لكل جرم سماوي ملك يدبره وهو كالنفس له لامكان ذلك فيها دون سائر الاجرام الارضية وما حمله الانسان هو عظمة الله وغايته هذه
الامانة وتقصيره في اداء واجباتها المستلزم للعقوبة واستحقاق سخط الله وكونه جهولا اي كثير الجهل بما سر به هذه الامانة والعظمة كما
يستلزم معظمها وتركها وعن الوعيد الوارد على التقصير فيها وقوله ان الله لا يخفى عليه الى قوله تنبيه لهذا الظلوم الجهول على احاطة
علم الله تعالى بجميع احوال الانسان بامره في ليله ونهاره وانه لطيف الخبرة امره فهو ينفذ علمه في البواطن كما يقع على الظواهر وقوله اعضاؤكم شهوده
اي شهود له عليكم من قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وجوارحكم جنوده وذلك باعتبار كونها معينة عليهم
وضمائركم عيونه اي طلائعه وجواسيسه كقوله تعالى وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين وتلك الشهادة والاعانة بلسان الحال وقد عرفت
كيفية انطاق الجوارح وشهادة الجوارح وشهادة النفوس على انفسها وكنى بالخلوات عما يفعل فيها من معاصي الله مجازا وانما خصصها لانها
مظنة المعصية ويحتمل ان يريد بالخلوة مصدر قولك خلوت خلوة لا المكان فيكون حقيقة وظاهر كونها عيانا لله اي معاينة له وكل ذلك تنبيه
وتنفير عن تحريك الجوارح والخلوة بها فيما لا ينبغي من المعاصي وبالله التوفيق والعصمة **ومن كلام له عليه السلام** والله ما معوية بادهى
مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس ولكن كل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة ولكل غادر لواء يعرف به يوم
القيمة والله ما استغفل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة **اقول** الدهاء استعمال العقل والرأي فيما يراد فعله مما لا ينبغي مع اظهار ارادة

الحيلة

خيره ويسمى صاحبه داهيا وداهية والغدر خبيثا ومكارا ومحتالا وهو داخل تحت رذيلة الجربزة وهي طرف الافراط من فضيلة الحكمة العملية ويستلزم
رذائل كثيرة كالكذب والغدر وهو رذيلة المقابلة لفضيلة الوفاء بالعهد الذي هي ملكة العفة والفجور المقابل لفضيلة العفة فقوله ما معوية
بادهى مني اي ليس باقدر مني على فعل الدهاء واكن ذلك القسم البار وقوله ولكنه يغدر ويفجر اشارة الى لوازم الدهاء التي لاجلها تركه وهو الغدر
وبواسطته الفجور فان الوفاء لما كان نوعا تحت العفة كان الغدر الذي هو رذيلته نوعا تحت ما يقابل العفة وهو الفجور ولذلك نفى الدهاء
عن نفسه لكراهية الغدر ونفيه عن نفسه لان نفي اللازم مستلزم لنفي الملزوم ثم جعل الغدر اوسط في اثبات الفجور لمعوية بقياس ضمير من
الشكل الاول فقوله ولكنه يغدر في قوة صغرى القياس وقوله ويفجر في قوة النتيجة فكانه قال ولكنه يغدر فهو يفجر ونبه على الكبرى بقوله
وكل غدرة فجرة ضابط الترتيب هكذا ولكنه يغدر وكل غدرة فجرة وعلى كبراه بقوله وكل فجرة كفرة واذ ثبت في القياس الاول انه فاجر
واستلزم قوله وكل فجرة كفرة ان كل فاجر كافر فثبت بهاتين المقدمتين انه كافر فهو ذو غدرة وفجرة وكفرة وهو كثير الغدر والفجور
والكفر وبذلك صرح في اثبات المطلوب قال بعض الشارحين وجه لزوم الكفر ان الغادر على وجه استباحة ذلك واستحلاله كما
هو المشهور من حال عمرو بن العاص ومعوية في استباحة ما علم تحريمه بالضرورة من دين محمد صلى الله عليه وآله وهو معنى الكفر ويحتمل انه يريد كفر نعم الله
وسترها باظهار معصيته كما هو المفهوم اللغوي من لفظ الكفر وانما وحد الكفر تبعا للغدرة والغدر فيكون ادعى الى التنفير
عن الغدر اذ هو في معرض التنفير عنه وقوله ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة لفظ الخبر النبوي وفيه تنفير عن رذيلة الغدر وقوله

والله ما استغفل

وانما استغفل بالمكيدة لغرضه ما كتبنا لما ذكره من معرفته بوجوه الآراء وكيفية الدهاء فان من يكون كذلك لا يجد غفلة عما يعمل عليه من الحيلة
والمكيدة وقوله ولا استغمز بالشديدة اي لا يطلب غمزي واضعافي فاني لا اضعف عما الاقي به من الشدائد وروى بالراء اي لا استجهل
بشدائد المكائد وهذا القول صدر منه كالجواب لما كان يجمعه من اقوال الجاهلين بحاله ونسبتهم له الى قلة التدبير وسوء الرأي
ونسبة معاوية الى استخراج وجوه المصالح والآراء الصحيحة في الحروب وغيرها واعلم ان الجواب عن هذا الخيال المبتدع فيهم ما زعموا حال
معاوية وغيره ممن ينسب الى جودة الرأي وبيان انما التفاوت بينهم وبينه وذلك راجع الى حرف واحد وهو انه ع كان ملازما في جميع
حركاته قوانين الشريعة مدفوعا الى اتباعها ورفض ما العادة ان يستعمل في الحروب من التدبير من الدهاء والخبث والمكر والحيلة والاجتهاد
في النصوص وتخصيص عمومها بالآراء وغير ذلك مما لم يرخص فيه الشريعة وكان غيره يعمل بجميع ذلك سواء وافق الشريعة او لم يوافق
فكانت وجوه الحيل والتدبير عليهم اوسع وكان مجالها عليه اضيق ونقل عن ابي عثمن عمرو بن بحر الجاحظ في هذا المعنى كلام طويل حاصله
ان قال ربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل والتحصيل والفهم والتمييز وهو من العامة ويظن انه من الخاصة يزعم ان معاوية كان ابعد غورا واصح فكرا
واجود روية من علي بن ابي طالب عليه السلام وليس الامر كذلك وسأومي الى موضع غلطه وذلك ان عليا ع كان لا يستعمل في حروبه الا ما يوافق الكتاب والسنة
وكان معاوية يستعمل ما يخالفهما كاستعمال ما يوافقهما ويسير في الحرب بسيرة ملك الهند اذا لاقى كسرى وكان علي يقول لاصحابه لا تبدؤهم
بالقتال حتى يبدؤكم ولا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تفتحوا بابا مغلقا هذه سيرته في ذي الكلاع وفي ابي الاعور السلمي وفي
عمرو بن العاص وفي حبيب بن مسلمة وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والاتباع واصحاب الحروب انما يقصدون الوجه الذي به هلاك الخصم
وينظرون وجه الفرصة سواء كان مخالفا للشريعة كالتحريق والتغريق ودفن السموم والتضريب بين الناس بالكذب والقاء الكتب في العسكر
او موافقا لها فمن اقتصر في التدبير على الكتاب والسنة فقد منع نفسه الطويل العريض من التدبير وما لا يتناهى من المكائد والصدق
والكذب اكثر من الصدق وحده والحلال والحرام اكثر من الحلال وحده فعلي كان ملجما بلجام الورع عن جميع القول الا ما فيه لله رضى
وممنوع اليدين من كل بطش الا ما احل الله والكتاب والسنة دون اصحاب الدهاء والمكر والمكائد فلما رأت العوام نوادر معاوية في المكائد
وكثرة مغايبه في الخدع وما اتفق له وتهيأ على يده ولم يروا مثل ذلك من علي ظنوا لقصور فهمهم ان ذلك من رجحان عند معاوية ونقصان في علي
ثم انظر بعد ذلك كله هل يعد لمعاوية من الخدائع اكثر من رفع المصاحف ثم انظر هل خدع بها الا من عصى رأي علي وخالف امره من اصحابه
فان زعمت انه قد نال ما اراد من الاختلاف على علي فقد صدقت ولكن ليس ذلك محل النزاع ولم يختلف في غرارة اصحاب علي و
عجلتهم وتسرعهم وتنازعهم وانما كان البحث في التمييز بينه وبين معاوية في الدهاء والمكر وصحة العقل والرأي فهذا خلاصة كلام من
تامله بعين الانصاف علم صحته وصدقه ومن هذا يتبين لك الجواب عن كل ما نسب اليه من التقصير في خلافته كعدم اقراره لمعاوية على الشام
في اول خلافته ثم تعزيره بعد ذلك لما يستلزم تقريره له من الظلم وكشبهة التحكيم وكنسبتهم له الى التوحش لبعض اصحابه حتى فارقوه الى
معاوية كاخيه عقيل ومثل عزة النجاشي ومصقلة بن هبيرة وكتركه لطلحة والزبير حتى فارقاه وخرجا الى مكة واذن لهما في العمرة وذهب عنه
الرأي في ارتباطهما عنده ومنعهما من البعد عنه وامثال ذلك فان الاجوبة عند اعتبارها لا ترى في جميع ما نسب اليه يقتضي موافقته
للشريعة وعدم خروجه عنها وتفصيل الاجوبة عن ذلك مما يخرج عن الغرض وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** ايها الناس
لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة اهله فان الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل ايها الناس
انما يجمع الناس الرضا والسخط وانما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا فقال سبحانه فعقروها
فاصبحوا نادمين فما كان الا ان خارت ارضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في الارض الخوارة ايها الناس من سلك الطريق
الواضح ورد الماء ومن خالف وقع في التيه **اقول** السكة الحديدة تكون في رأس خشبة الفدان تشق بها الارض وخوارها
صوتها في الارض والارض الخوارة الضعيفة وحاصل الفصل ترغيب اصحابه السالكين لطريق الهدى في البقاء على ما هم عليه بذكر كونه
طريق الهدى ومن العادة ان يستوحش الناس من الوحدة وقلة الرفيق في الطريق الطويل الصعب فنهى عن الاستيحاش في تلك الطريق وكنى
به عما عساه يعرض لبعضهم من الوسوسة بانهم ليسوا على حق لقلتهم وكثرة مخالفيهم لان قلة العدد في الطريق مظنة الهلاك والسلامة
مع الكثرة ويجوز ذلك تنبيههم على انهم في طريق الهدى وان كانوا قليلين وقوله فان الناس اجتمعوا الى قوله طويل تنبيه على علة قلة اهل
الهدى وهو اجتماع الناس على الدنيا واستعار لها لفظ المائدة ملاحظة لشبهها بها في كونها مجمع اللذات وكنى عن قصر مدتها
بقصر شبعها وعن استعقابها للانهماك فيها للعذاب الطويل في الاخرة بطول جوعها ولفظ الجوع مستعار للحاجة الطويلة بعد الموت
الى المطاعم الحقيقية الباقية من الكمالات النفسانية الفانية بسبب الغفلة في الدنيا فلذلك نسب الجوع اليها ويحتمل ان يكون مستعارا
لما تتلهف عليه النفس وتتاسف بعد الفناء من اللذات الدنيوية التي لا تحصل عليها بعد الموت ثم طول جوعها امتناعها وراعى المقابلة
في الجوع بازاء الشبع والطول بازاء القصر وقوله ايها الناس الى قوله السخط اي انما يجمع الناس في عذاب الله رضاهم بالمنكرات ومعاصي الله

في ثمود وعقر الناقة

وان لم يباشرها اكثرهم وتحقّقها لما بين الاعمال ومصداق ذلك فضّل ثمود بعمومهم العذاب لهم بفعل عاقر الناقة فانهم باسرهم ما فعلوا ذلك مع نسبة الفعل الى جميعهم كما قال فعقروها الآية وعمّهم العقوبة لما عمّوه بالرضى والقسمة في عموم بقوله الرجل الى العقر لكن دل عليه قوله عقر اي لما عموا فعله برضاهم به ولهذا الاشارة بقوله تعالى واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة وظاهر ان الراضي بفعل شريك فاعله وفي قوته وكذلك انما يجمع الله الناس في رحمته باجماعهم على الرضا بعمله والسخط لكاره فقوله فما كان الا ان خارت ارضهم الى قوله الخوارة تفسير للعذاب اللاحق لهم المشار اليه بقوله فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب وذكر في القرآن الكريم ابهم في قوله فاخذتهم الرجفة فبيّن عليه السلام كيفية ذلك وشبّه صوت ارضهم في خسوفها وذهابها في الارض بصوت السكة المحماة في الارض عند الحرث بها وانما زادها صفة المحماة تنبيها على قوة تصويتها وسرعة غوصها لان المحماة يكون لها في الارض نشيش زائد على ما يقتضيه حركتها ويعينها المحمي على النفوذ فاما قصة ثمود فالمنقول انهم خلفوا عادا في الارض بعد هلاكهم فاكثروا وعمّروا اعمارا طويلة حتى كان الرجل يبني المسكن المحكم فيهدم في حياته فنحتوا البيوت في الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا عن امر الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذّرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون فقالوا اخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم من السنة تدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك بعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال نعم فخرج معهم ودعوا اربابهم وسألوها فلم تجب فقال كبيرهم واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يسمونها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ عليهم المواثيق بذلك ثم صلّى ودعا ربه فتمخضت الصخرة كما تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما يطلبون وعظما وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به رئيسهم ونفر من قومه ومنع اعقابا ناس من رؤسائهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يوم شربها وضعت راسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون فاذا وقع الحر تصيّفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزيّنت لهم عقرها امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما كانت كثيرة المواشي لما اضرّت بمواشيهما فعقرها قدار الاحمر واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا يقال له غارة فرغا ثلثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وهي مسودة ثم يغشاكم العذاب فلما راوا العلامات هموا بقتله فانجاه الله الى ارض فلسطين فلما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة وخسف شديد وزلزال فتقطعت قلوبهم فهلكوا والله اعلم

والتوفيق هذا اخر المجلد الثاني من هذا الكتاب وفرغ من تسويده العبد الاقل الحاج ميرزا محمد الخوانساري

الحمد لله الهادي الى السداد ... شرح ... للعالم الرباني والفاضل ... كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ... المصنف شرح ... ضحى يوم يكشنبه سادس عشر شهر رجب المرجب من شهور سنة ١٢٧٩

كلامه عند دفن سيدة النساء



بسم الله الرحمن الرحيم

ومن كلام له عليه السلام روي عنه انه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله عند قبره السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عنها تجلدي الا ان لي في التاسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك انا لله وانا اليه راجعون فلقد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة اما حزني فسرمد واما ليلي فمسهد الى ان يختار الله لي دارك التي انت بها مقيم وستنبئك ابنتك فاحفها السؤال واستخبرها الحال هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم فان انصرف فلا عن ملالة وان اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين **اقول** مسهد مؤرق واحفها السؤال استقص عليها فيه فاما قوله عن سيدة النساء فقد جاء في الخبر انه راها تبكي عند موته فقال لها اما ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الامة وروي انه قال سادات نساء العالمين اربع خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران والسلام منه عليه السلام على الرسول كعادة الزائرين لكن الزيارة اهليته وعنها كالسلام لها في الدنيا ارهاله اي في منازل الجنة واما سرعة لحاقها به فقد ذكرنا الخبر من سرعة لحاقها به وقيل بعده ستة اشهر وقيل ثلاثة اشهر ثم اخذ في الشكوى اليه كالمتألم له من قلة صبره ورقة تجلده وتحمله للمصيبة بها وفي قوله صفيتك تنبيه على ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله من التفضيل والمحبة والاكرام وقوله الا ان لي الى قوله موضع تعز كالعذر والتسلية واذ كانت هذه المصيبة عظيمة فهل لها الصبر وبقي لها التجلد فان الصبر بعد تلك العظمى وكما صبر في تلك على كونها اشد فلان اصبر على هذه اولى وان التاسي لا يقتدى بالصبر في هذه المصيبة كالصبر في تلك وقوله فلقد وسدتك الى قوله نفسك كالشرح للمصيبة ومقاساته لها عند اللحد وعند فيضان نفسه بين صدره ونحره وكالتذكير لنفسه بها وقوله فانا لله وانا اليه راجعون امتثال لقوله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقوله ولقد استرجعت الوديعة الى قوله الرهينة استعار لفظ الوديعة والرهينة لتلك النفس ووجه الاستعارة الاولى ان النفوس في هذه الابدان تشبه الودائع والامانات في كونها سترجع الى مالكها في وجوب المحافظة عليها من المهلكات ويحتمل ان يريد ما هو المتعارف بين الناس من كون المرأة وديعة الرجل كما يقال النساء ودايع الكرام ووجه الثانية ان كل نفس رهينة على الوفاء بالميثاق والعهد الذي اخذ عليها حين الاهباط الى عالم الحس والخيال ان ترجع اليه سالمة من سخطه عاملة بما امرها غير مخترمة من صراط الوضوح على لسان رسوله فان وفت بعهدها خرجت من وثاق الرهن وعتق رقابها كما قال تعالى ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما وان نكثت وارتكبت ما نهيت عنه بقيت رهينة بعملها كما قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة والرهينة تصدق على الذكر والانثى وقد سبقت الاشارة وقوله اما حزني الى قوله مقيم صورة الوعد فاما على سبيل الشكاية وكنى بالدار عن الجنة لانه ممن بشر بها وقوله وستنبئك ابنتك الى قوله الذكر رمز للشكاية الى الرسول صلى الله عليه وآله ممن تقدمه بعده فيما كان يعتقده حقا له من الخلافة ونحلة فدك لفاطمة عليها السلام مع نوع من الاستنصار والغلظة عليهم في القول على قرب عهدهم بالرسول وطراوة ما الذكر الذي هو القرآن الكريم وذكره الكريم وقوله والسلام عليكما الى آخره صورة وداع المحبين الناصحين بمجاري العادة وقوله فان انصرف الى قوله الصابرين تنزيه لنفسه عما عساه يعرض لبعض من يلازم القبور لشدة الجزع والاسف عن وهم انه لا عوض عن تلك الفائت والاجر على التعزي والصبر عند وعد الله به الصابرين على نزول المصائب هو صلوات ورحمة في قوله تعالى الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** ايها الناس انما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم اسراركم واخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل ان تخرج منها ابدانكم ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم ان المرء اذا هلك قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدم لله اباؤكم فقدموا بعضا يكن لكم ولا تخلفوا

كلا يكون

ج ٥

كلا فيكون عليكم **أقول** حاصل الفصل التنفير عن الدنيا والترغيب في الآخرة بذكر الغاية من وجودهما فكون الدنيا مجازا اي سبيلا
منها الى الآخرة سلوكا اختياريا كسلوك عباد الله الصالحين اليها او اضطراريا كعبور الكل الى الآخرة بالموت وهو دار او هنا الاضطرار
وهاتان القرينتان كالمقدمة لقوله فخذوا من ممركم لمقركم وقوله ولا تهتكوا الى قوله اسراركم اي لا تجاهروه بالمعصية فانه اذا كان
يعلم اسراركم فهو يعلم ظواهركم اولى وقوله واخرجوا الى قوله ابدانكم امرهم بالزهد في الدنيا قبل الموت وكنى عنه باخراج القلوب
القلوب منها يقال خرج فلان عن كذا واخرج نفسه من كذا اذا اعرض عنه وتبرأ منه وقوله ففيها اختبرتم اشارة الى فضيلة الدنيا
الاخيرة منها وقد عرفت معنى الاختبار ولغيرها خلقتم اي لتحصيل السعادة في الآخرة بالذات او للشقاوة لمن حرمها بالعرض وقوله
ان المرء الى قوله قدم اي ما ترك من متاع الدنيا او ما قدمه من الاعمال الصالحة وانما قرن ذكر الناس وما يسألون عنه بذكر
الملائكة وما يسألون عنه لينبه على شرف الاعمال المسعدة في الآخرة على متاع الدنيا لكون الاول مطلوب الملائكة وما تعتني
بالفحص عنه وكون الثاني معتنى الناس الغافلين وفي لفظ ما ترك وما قدم لطف تنبيه على ان متاع الدنيا مفارق ومتروك والاعمال
الصالحة مقدمة باقية نافعة للمرء في معاده فينبغي ان تكون العناية بها دون المفارق المتروك وقوله لله اباؤكم كلمة تقولها العرب
لتعظيم المخاطب بنسبة او نسبة ابيه الى الله يقال لله انت ولله ابوك وقيل اللام للتعجب اي لله صيرا اباكم لكن بذلك يخرج الكلام
عن معنى التعجب والاستعظام وقوله فقدموا بعضا الى اخره اي فقدموا بعضا من متاع الدنيا كالصدقة فانها تكن لكم ثوابها في
الآخرة كقوله صلى الله عليه وآله يا ابن آدم ليس لك من دنياك الا ثلث ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فابقيت ولا تخلفوها
باسرها لغيركم فيكون عليكم وزرها عليكم وقد علمت كيفية استلزام الصدقة والزكوة ونحوها للملكات الفاضلة والثواب
الاخروي واستلزام البخل وادخار المال للشقاوة الاخروية وانما خص البعض بالتقديم لان تحريم الورثة لا يجوز ونهى عن
تخليف الكل لان ترك الزكوة والصدقة لا يجوز ويكن لكم قرضا ويكن عليكم كلا وهو كقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا
ولفظ القرض مستعار ووجه الاستعارة ان القرض يستلزم في العادة الطلب من المقرض وشكره للمقرض واداءه اليه فاشبه ذلك
امر الله تعالى بالزكوة والصدقة وشكر الله للمنفقين في سبيله وجزاءه للمتصدقين في الآخرة باضعاف ما بذلوه وانفس كمية وكيفية
والكل الذي لا منفعة فيه مع وجود مضرته ولما كان حفظ المال وتخليفه بعد الموت كذلك لا جرم كان كلا وبالله التوفيق **ومن**
كلام له عليه السلام كان كثيرا ما ينادي به اصحابه تجهزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل واقلوا
العرجة على الدنيا وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد فان امامكم عقبة كؤودا ومنازل مخوفة مهولة لا بد
من الورود عليها والوقوف عندها واعلموا ان ملاحظ المنية نحوكم دانية وكأنكم بمخالبها وقد نشبت فيكم وقد دهمتكم
فيها مفظعات الامور ومعضلات المحذور فقطعوا علائق الدنيا واستظهروا بزاد التقوى وقد مضى شيء من هذا الكلام
فيما تقدم بخلاف هذه الرواية **أقول** العرجة والتعريج الاقامة على المكان والاحتباس والعقبة الكؤود الشاقة المصاعد والملاحظ
وهو مصدر او محل اللحظ وهو النظر بمؤخر العين والنشب محدده ومفظعات الامور عظائمها وشدائدها المجاوزة حد المقدار
المعتاد ومعضلات المحذور ما ثقل منها واعيا رده وامر الفصل على الامر بالتجهيز من الدنيا وهو الاستعداد للسفر الى الله بما يحتاج
اليه المسافرون الى حضرته من الزاد المبلغ وهو التقوى والرحيل يحتمل ان يريد به السفر بالموت فيكون المنادي حوادث الايام الدالة
بتغيرها على الامر بالانهدام ويحتمل ان يريد به السفر الى الله بالرياضة الكاملة والمنادي بذلك هو الرسول والكتاب العزيز
واولياء الله ثم على الامر باقلال التعريج على الدنيا اي بقلة الالتفات اليها الا على القدر الضروري منها وهو الزهد ثم بالانقلاب عنها
بصالح ما يحضرهم في الدنيا ويمكنهم اعداده والاستعداد به وهو الاعمال الصالحة والتقوى وقوله فان امامكم عقبة كؤودا استعار
لفظ العقبة بوصف الكؤود ووجه المشابهة شدة الملاقاة وقطع منازلها في حال تألم النفوس الى حال الموت واراد بالمنازل المخوفة
المهولة منازل الآخرة بعد من القبور وسائر ما يرد على النفوس من الشقاوة والاهوال الاخروية ولما كان لا بد من ورود تلك المنازل و
الوقوف عندها الى حين عبورها خصوصا لاصحاب الملكات الرديئة والعلائق الدنيوية البدنية فان وقوفهم بتلك المنازل اطول وشدائدها
فيها اهول وقوله واعلموا فيكم احدا بعض لوازم الاستعارة وهو الملاحظة ونسبها وكنى بذلك عن قربها من الموت لا ينقطع منهم ودنوه
وابتداء عقربته منهم وكنى بالمخالب لتشبهها كناية عن لحوق الآفات والامراض المهلكة لهم ومعنى التشبيه هاهنا تشبيه المقدر بالقريب
وتوعدهم بلحوق الموت بهم وتشبيه بمخالب المنية فيهم بوقوع ذلك السبع والباء في بمخالبها للالصاق والواوات في قوله وقد نشبت
وقوله وقد دهمتكم الى قوله المحذور كناية عن لحوق شدايد الموت ومشقات الظهور الحاله وهي الذنوب وقطعوا علائق الدنيا
امر بالزهد الحقيقي فيها او الحقيقة منها بترك الفضول والاستكثار من متاعها واستظهروا بزاد التقوى اي تحذروه ظهيرا لكم على مشقة
السفر الى الآخرة وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشاورتهما

عندها صح
نسخة بدل
معضلات نسخة
جمع ملحظ

الى قوله م

قوله د م

كلام له مع طلحة والزبير بعد بيعته

والاستعانة في الامور بهما لقد نقمتما يسيرا وارجأتما كثيرا الا تخبراني اي شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه ام اي قسم استأثرت
عليكما به ام اي حق رفعه الي احد من المسلمين ضعفت عنه ام جهلته ام اخطأت بابه والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في
الولاية اربة ولكنكم دعوتموني اليها وحملتموني عليها فلما افضت الي نظرت الى كتاب الله وما وضع لنا وامرنا
بالحكم به فاتبعته وما استسن النبي صلوات الله عليه وآله وسلم فاقتديته فلم احتج في ذلك الى رايكما ولا الى
راي غيركما ولم يقع حكم جهلته فاستشيركما واخواني من المسلمين ولو كان ذلك لم ارغب عنكما ولا عن غيركما واما
ما ذكرتما من امر الاسوة فان ذلك امر لم احكم انا فيه برايي ولا وليته هوى مني بل وجدت انا وانتما ما جاء به
رسول الله قد فرغ منه فلم احتج اليكما فيما قد فرغ الله من قسمه وامضى فيه حكمه فليس لكما والله عندي ولا
لغيركما في هذا عتبى اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق والهمنا واياكم الصبر ثم قال صلى الله عليه رحم الله رجلا راى حقا
فاعان عليه او راى جورا فرده وكان عونا بالحق على صاحبه **اقول** نقمتما انكرتما واستأثر استبد والاربة الحاجة وافضت
الى الحاجة وصلت والعتبى الرجوع عن الاساءة واعلم ان الرجلين كانا يؤملان الامر لانفسهما فلما صار اليه عليه السلام
عادا الى رجاء ان يداخلهما في امره وان يؤثرهما في العطاء على غيرهما كما فضل بعض الائمة من قبله واذ يشاركهما في كثير الاراء
المصلحية محبة منهما للجاه ونظرا الى محلهما وشرفهما لكن الرجل لما حمل طبيعة الكتاب العزيز والسنة النبوية وكان هو
القوي على تفريع الاحكام منهما دون غيره وصاحب اسرارهما كاملا من جميع اكابر الصحابة والخلفاء السابقين اليه في كثير الاحكام
لا جرم لم يكن به حاجة الى الاستشارة فيما يقع اليه من الوقائع واشار بالتسوية لكنه نقماه الحق ترك مشورتهما وتسويتهما بغيرهما
في العطاء فان ترك كان عندهما صعبا فهو لكونه عنده غير حق في غاية من السهولة والكثير الذي ارجيا ما اخراه من حقه
ولم يوفياه اياه وذكر كثيرا اهل الثناء مثلث نقط واشار به الى ما يعود الى صلاح المسلمين من الاراء التي ينبغي ان يتحدث فيها او
يحتمل ان يريد ان الذي ابدياه ونقماه بعض ما في انفسهما وفي تحت ذلك على ما في انفسهما اشياء كثيرة وراء ما ذكراه لم
يقولاه وقوله الا تخبراني الى قوله بابه استفسار عن الحق الذي نقماه تركه واشار الى وجوه الحق بحسب ان المتعارف العادة والمختصة
ان الذي نقماه على تركه اما ان يكون متعلقا بهما او بغيرهما من المسلمين والاول اما ان يكون فيما استاثر به او غيره من الحقوق
دفعكما عنه ظلما والثاني اما ان يكون تركه مني ضعفا او جهلا به او خطأ لدليل الحكم فيه والاستفهام في الاقسام كلها استفهام
انكار لها مستند منع انكاره لها ظاهر فان التسوية في العطاء سنة الرسول صلى الله عليه فيجب اتباعها والاستشارة في الحوادث فهو
انما يجب مع عدم الحكم في الواقعة ومع جهله ولم يكن عليه السلام فاقدا لاحكام الوقائع الواردة عليه لاجامعها ولا كان ليترك
حقا لاحد من المسلمين عن ضعف منه لانه كان خليفة الوقت ولا عن جهل بحكم ولا عن دليله لانه كان اعلم الامة باحكام الله ولما كان
الذي نقماه عليه في تلك الحال من الاقسام المذكورة انما هو ترك مشورتهما والتسوية في العطاء بينهما وبين غيرهما اشار الى الجواب
الاول بقوله والله ما كانت الى قوله ولا عن غيركما فقوله والله الى قوله عليها كالمقدمة في الجواب لكاسرة من توهمهما رغبته
في الخلافة ومحبته الملك والسلطان لا يستبد عليهما ونحو ذلك فانه اذا انكسر ذلك الوهم لم يتوقع طلبه الملك ولا يتراءى الا نصرة الحق
فاشبه كما صرح هو به في غيره موضع وقد تندفع شبهتهما عنه وقوله فلما افضت الى قوله فاقتديته وجه الجواب ودليله على صغرى القياس
فيه وخلاصته اني لما حكم بالكتاب فاتبعته واقتدى بالسنة وتقدير الكبرى وكل من فعل ذلك فلا حاجة به في الحكم الى راي وقوله
فلم احتج الى قوله غيركما كالنتيجة وقوله ولا وقع حكم جهلته احد الاقسام التي استفهم عنها سبيل الانكار وكذا قد صرح بانكاره
هيهنا ومنعه على تقدير دعواهم لزم تسليمه وتسليم حاله انه لو وقع لم يكن يرغب عنهما ولا عن غيرهما من المسلمين في الاستشارة
الامر الثاني مما نقماه عليه وقوله فاما ما ذكرتما من الامر الاسوة اي تسويتكما بغيركما في العطاء واجاب عنه بقوله فان ذلك امر الى قوله حكمه
وقوله ولا وليته هوى مني اي لم يفعل الحاكم في ذلك هواي وترددي ولا وليته هوى مبني على ان يكون هو متولا له ومقتضاه ان حكمي بالتسوية
في القسمة لم يكن عن راي مني ولا هوى اتبعته ولكن وجدت انا وانتم ما قد فرغ الله منه اي من القضاء به في اللوح المحفوظ وانزل الوحي بالامر
الثابت الذي لا يحتاج الى اجتهاد او تكميل مما فرغ منه ونسبة الفراغ الى الله مجاز لما نسبه ما قضاه بفعل العبد الذي فرغ من عمله وقوله فلم
احتج اليكما الى قوله حكمه اي لما وجدت ذلك لم ارسل اليكما بما يرضيكما مع مخالفته لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فلم احتج اليكما اي في الارشاد الى
احكام الله بعد فراغه منها وقوله فليس لكما الى قوله عتبى لازم ينتج من سياسته في الجوابين فانه لما ثبت انه لا حق لهما فيما نقماه عليه لم يكن
عليه ان يتعتب ثم اخذ في الدعاء لهما ولنفسه بان يأخذ الله بقلوبهم الى الحق والهامهم الصبر عن الميول لما اطلق وعلى الحق ثم دعا برحمة الله لرجل
راى حقا ووجد له راغبا فاعان على العمل به او راى جورا وظلما فرده واعان على صاحبه باطلها الى ذلك وبالله التوفيق **ومن كلام**
له عليه السلام وقد سمع قوما من اصحابه يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين اني اكره لكم ان تكونوا سبابين

ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقلتم مكان سبكم إياهم اللهم احقن دماءنا
ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من
لهج به. **أقول** نهيه عن سبهم وحاصل الفصل تأديب قومه وإرشادهم إلى السيرة الحسنة ومجانبتهم عن تعوّد
جريهما مجرى كلام الصالحين ونبه بكراهته للسب والنهي عنه على تحريمه ونحوه أسوة الرسول ما بعث لعانا ولا سبابا وقوله
اللهم إني أتبرأ إذا دعوت على إنسان فاجعل ذلك له لا عليه واهده إلى صراط المستقيم وقوله لو وصفتم إلى قوله في العذر أي لو عدلتم
عن السباب إلى وصف أعمالهم وتذكيرهم بكونهم ظالمين لكم وضالين عن السبيل ذكرا على وجه النصيحة والهداية لهم ثم قلتم مكان
سبكم إياهم هذا الدعاء لكان أصوب في القول مما ذكرتموه من رذيلة السباب ولأن تذكيرهم بأحوالهم وتنبيههم إياهم فائدة
وهي رجاء أن يعودوا إلى الحق وكان ذلك أبلغ في العذر إليهم من غيره لكم أن تقولوا بعد ذلك لكم نصحناهم وطلبنا منهم
الفيء فلم يستجيبوا وقوله وقلتم عطف على قوله وصفتم ولو مقدرة عليه وجوابها مقدر بعد تمام الدعاء وحذفه لدلالة لو
الأولى عليها والتقدير لو قلتم هذا الدعاء لكان أصوب وأبلغ في العذر والدعاء الذي علمهم إياه مطابق لصورة حال الحرب
واشتمل على طلب حقن الدماء هو المخوف الحاضر وعلى طلب علته وهي إصلاح ذات البين أي ما بيننا وبينهم من الأحوال الموجبة
للافتراق حتى يكون أحوال ألفة واتفاق ولما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولك سقني ذا إنائك أي
ما في إنائك من الشراب وقيل ذات البين حقيقة الفرقة أي أصلح حقيقة الفرقة بيننا وبينهم وبدلها بالألفة ثم على طلب
العلة الحاسمة للفرقة الموجبة لإصلاحها وهي هدايتهم من ضلالتهم بمعرفة من جهل الحق له وارعواء من غيّهم وهي طرف
التفريط من فضيلة الحكمة وعدوانهم وهو طرف الإفراط من فضيلة العدل وقد كانت الرذيلتان في أصحاب معاوية فإنه
لما قصرت وظيفتهم عن وجه الحق وملئت عليهم الشبهة بغوا وتعدوا وتجاوزوا العدل أنهم وتعوضوا الغي وهو عين التقصير
عباراتها. **وقال عليه السلام** وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فإنني أنفس
بهذين يعني الحسن والحسين عليهما السلام على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلعم قوله ع املكوا عني
هذا الغلام من أعلى الكلام وأفصحه. **أقول** املكوه شدوه واضبطوه ويهدني يكسرني ونفست بالكسر أنفس بالفتح أي
أضن وأبخل ولما كان وجود الولد المشفق مما يشد القوة ويقوي النفس خصوصا مثل الحسن ع كنى بقوله لا يهدني على
تقدير هلاكه عن إضعاف ركنه وانكسار نفسه به ثم نبه على علة أخرى لوجوب المحافظة عليه مع أخيه عليهما السلام وهي
المحافظة على نسل الرسول. **وقال عليه السلام** لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة أيها الناس إنه لم يزل أمري معكم
على ما أحب حتى نهكتكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وهي لعدوكم أنهك لقد كنت أمس أميرا فأصبحت
اليوم مأمورا وكنت أمس ناهيا فأصبحت اليوم منهيا وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون
أقول نهكتكم أخلقتكم وقوله على ما أحب أي من الطاعة لي ولفظ النهك مستعار للحرب استعارة لفظ الإخلاق لها ملاحظة
لشبههم بالثوب الذي أخلقه اللابس باستعماله في كونها سببا لذلك الإضعاف أي إلى أن أبلغتكم إلى تلك الغاية وقوله
أخذت منكم وتركت كما يؤخذ من الشيء أي من قوتكم وهو كالعذر لهم وأردفه بقوله وهي لعدوكم أنهك لكي لا يتخاذلوا
بعد أنها أنهك لهم ثم أخذ في التشكي منهم إليهم وعتابهم على عصيانهم له وحملهم عليه بالرجوع إلى التحكيم صار مأمورا لهم
ومنهيا بعد كونه آمرا لهم وناهيا وذلك من معكوس الحكم وضلال البغي فيهم وقوله وقد أحببتم البقاء أي بترك القتال وهو كالتوبيخ
لهم على ذلك وقوله فليس لي أن أحملكم على ما تكرهون تأكيد على ذلك وإن كان له ذلك بحسب المصلحة والشرع وبالله التوفيق. **ومن**
كلام له عليه السلام بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي يعوده وهو من أصحابه فلما رأى سعة داره
قال ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا أما أنت إليها في الآخرة أحوج وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة تقري فيها
الضيف وتصل فيها الرحم وتطلع منها الحقوق مطالعها فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة فقال له العلاء يا أمير
المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد قال وما له قال لبس العباء وتخلى عن الدنيا قال علي به فلما جاء قال يا عدي
نفسه لقد استهام بك الخبيث أما رحمت أهلك وولدك أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها أنت أهون
على الله من ذلك قال يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك قال ويحك إني لست كأنت إن
الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره. **أقول** استهام بك
أدهشك وذهب بك في الهيام وهو الذهاب في التيه وجشوبة المأكل غلظه وخشونته وقيل الطعام الجشب الذي لا إدام معه
ويتبيغ يهيج وقد استفهم عن غرضه توبيخا واستفهام توبيخ وإنكار لما أن ذلك يستلزم الزهد في الدنيا والحرص في الآخرة ثم

أو لعم — ولا لأن سبهم — في بعض أيام صفين ابنه الحسن — الناس — يعوده — كنت — فقال — أن — الحق

كلام له بالبصرة وقد دخل على العلاء

عن كونها موضع إنها في الآخرة استفهام تثبيت وتقرير بأنها ذات لو كنت انفقت منها تجد على فضائها من بذلها في سبيل الله

اولى بكنت اليه احوج منها وفي رواية باثبات الهمزة مع ما في قوله ما انت وقوله وبلى ان شئت بلغت بها الآخرة الى وجوه استعمالها في طاعة

الله والتقرب بها مع قرى الضيف فيها وصلة الرحم وتعهد وجوه البر المتعلقة بها ومطالع الحقوق وجميعها الشرعية المتعلقة بها كالزكوة

والصدقة وغيرهما وظاهر كونها مبلغا الى الآخرة عند اخراج تلك الحقوق منها وفيها ومقربا الى الله وقوله على بربيع بن بنيتنا قط

الامر اي جيئوا به وعلى تصغير عاصم واصله عدو يحذفوا احدى الواوين فقلبوا الثانية ياء تخفيفا وادغموا فيها ياء التصغير ولفظ

صغر استصغار اله باعتبار ان شيطانه لبعده الى كبره بل قاده الى امر ان كان خارجا به عن الشريعة الا انه يبين السلام وقد

دخل عليه بالخدعة في راى الصالحين وكان شيطانه مبتلك الاعتبار صغيرا بالنسبة الى شيطان الخ وهو باعتبار القيادة لذلك

الوسواس عاصم وقيل بل صغره من حيث خفائه بفعله ذلك لكونه عن جهله ونفسه انما منعه من هذه الطريقة لكونهم يترك الدنيا على

الترك بل كان لشاركه هواه تعقله وكان تركه كان مستلزما الاهمال حقوق تجب عليه في الشريعة وتلزمه وقبح قوله لقد استهام

بك الخبيث على ان فعله ذلك كان عن مشاركة الشيطان ولم يكن عن عقلية خالصة وهو له اما رحمت اهلك وولدك على الخفية

اللازمة له من قبلهم وتعدا اهلها بعقله ذلك بقوله يرى الله الى قوله ذلك في مقام التوبيخ له على ذلك الترك وهو كقوله تعالى

قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الاية والحاصل الكبير ان ترك الدنيا بالكلية ليس هو مطلوب

الشارع منه من الزهد فيها والتخلي عنها لان الشارع يراعي نظام العالم باشتراك الخلق في عمارة الدنيا وتعاونهم على الصنائع

بقاء النوع الانساني وترك الدنيا واهمالها بالكلية يعدم ذلك النظام وينافيه بل الذي يامر به الشارع القصد في الدنيا

واستعمال متاعها على القوانين الشرعية التي ندب بها الرسل والوقوف فيها عند الحدود المضروبة في شرائعهم ودون تعديها كما

اشار اليه من منع هذا الرجل واما السالكون من الصوفية بعد عصر الصحابة على الطريقين فمنهم من يختار التقشف وترك

الطيبات وهجر اللذات باسا ومنهم من يوثر الترف والذي يفعله المحققون من السالكين من التقشف فلا ينافي الشريعة العلم

باسرارها وطريقهم اقرب الى السلامة من طريق المترفين لكون الترف مجال الشيطان وقد كان سلوك الرسول صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام

وجماعة من اكابر الصحابة اميل الى طريق التقشف لكن من مشاركتهم لاهل الدنيا في تدبير احوال المدن وصلاح العالم

غير منقطعين عن اهلها كالمعتزلين فاما اعتراض عاصم على علي عليه السلام في لبسه لباس خشنه في ترك الدنيا عليه وتقديره

انك ان افتنيني عن ذلك فكيف بك اي تكتفي وكيف بما ارى من هذه الحال وانت المقتدى به او فكيف اصنع بك مع

الحال التي انت عليها وانما ينبغي لي ان اقتدي بك فاجابه بجواب قاطع بين فيه الفرق بينه وبينه وهو ان انما فعلت

ذلك لكوني اماما وكل امام فرض الله عليه ان يقدر نفسه بضعفة الناس اي ليتوجيا به في تحالهم كيلا يهيج بالفقير فقره

فينقطع عن علمه فيكفر او يفسق وقد كانت عليه السلام كيل الخلافة كان الجواب الحق هو ما قلناه من كون هذه الطريق اسلم واما

الفرق بينهما فيرجع الى ان عاصما سلك على غير علم بكيفية التساوي مع ترك الحقوق التي تلزمه لاهله ولذلك كانت حاله

التي فارقها اولى به وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن احاديث البدع وعما في ايدي الناس من اختلاف الخبر فقال عليه السلام ان في ايدي الناس حقا وباطلا وصدقا وكذبا وناسخا ومنسوخا وعاما وخاصا ومحكما ومتشابها وحفظا ووهما ولقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيبا فقال من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وانما اتاك بالحديث اربعة رجال ليس لهم خامس رجل منافق مظهر للايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج يكذب [على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدا فلو علم الناس انه منافق كاذب] لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله رآه وسمع منه ولقف عنه فياخذون بقوله وقد اخبرك الله عن المنافقين بما اخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك ثم بقوا بعده صلوات الله عليه وآله فتقربوا الى ائمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان فولوهم الاعمال وجعلوهم [حكاما] على رقاب الناس فاكلوا بهم الدنيا وانما الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم الله فهذا احد الاربعة ورجل سمع من رسول الله صلوات الله عليه وآله شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا فهو في يديه يرويه ويعمل به ويقول انا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فلو علم المسلمون انه وهم فيه لم يقبلوه منه ولو علم هو انه كذلك لرفضه ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا يامر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم او سمعه ينهى عن شيء ثم امر به وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فلو [علم] انه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون اذ سمعوه منه انه منسوخ لرفضوه وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله مبغض للكذب خوفا من الله وتعظيما لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يهم بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه فحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه وعرف المتشابه ومحكمه وقد كان يكون من رسول الله

الهزم — نفسه — فهم — فحاصله انه — على رسول الله متعمدا فلو علم الناس انه منافق كاذب لم — حكاما — علم انه

في الأحاديث المبتدعة بعد الرسول

السّلام الكلام له وجهان فكلام خاصّ وكلام عامّ فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله تعالى به ولا ما عنى به رسول الله صلى الله عليه وآله فيحمله السامع ويوجّهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من أجله وليس كلّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يسأله ويستفهمه حتّى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابيّ والطاري فيسأله حتّى يسمعوا وكان لا يمرّ بي من ذلك شيء إلّا سألت عنه وحفظته فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم. **قوله** (أحاديث البدع) أي الأحاديث المبتدعة بعد الرسول صلى الله عليه وآله المقولة عنه وما يبتني عليها من الأعمال المبتدعة في الدين عن رأيهم ومتوهّم معتقدهم وإنّما استفهم لتفصيله عنه تناول خبر عنه وهم بالكسر وبالفتح غلط ذهب وهمه إلى شيء وهو يريد غيره وحسب محمّد أخذ عنه جانبا وقوله (إنّ في أيدي الناس) إلى قوله (وحفظا ووهما) تعديد لأنواع الكلام الواقع إلى الناس نقلا عن الرسول صلى الله عليه وآله والصدق والكذب من خواصّ الخبر والحقّ والباطل أعمّ منهما لصدقهما على الأمر ويقال على الناسخ والمنسوخ والعامّ والخاصّ والمحكم والمتشابه وقد مضى تفسير هذه المفهومات وأمّا الحفظ فهو لما حفظ عن رسول الله كما هو والوهم ما غلط فيه مثلا أنّه عامّ وهو خاصّ أو أنّه ثابت وهو منسوخ إلى غير ذلك وقوله قد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده إلى قوله النار فذلك الكذب نحو ما روي أنّ رجلا سرق رداء الرسول صلى الله عليه وآله وخرج إلى قوم فقال هذا رداء محمّد أعطانيه لتمكّنوني من تلك المرأة واستنكروا ذلك فبعثوا من سأل الرسول صلى الله عليه وآله عن ذلك فقام الرجل الكاذب فشرب ماء فلدغته حيّة فمات وكان النبيّ صلى الله عليه وآله حين سمع بتلك الحال قال لعلي عليه السلام خذ السيف وانطلق فإن وجدته وقد كفيت فاحرقه بالنار فجاء وأمر بإحراقه فكان ذلك سبب الخبر المذكور واعلم أنّ العلماء ذكروا في بيان أنّه لا بدّ أن يكذب عليه دليلا فقالوا قد نقل عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال سيكذب عليّ فإن كان الخبر صادقا فلا بدّ أن يكذب عليه وإن كان كاذبا فقد كذب عليه ثمّ شرع في تقسيم رجال الحديث وتقسيمهم إلى أربعة أقسام ودلّ على الحصر بقوله ليس لهم خامس ووجه الحصر في الأقسام الأربعة أنّ الناقل للحديث عنه صلى الله عليه وآله المتّسمين بالإسلام إمّا منافق أو لا والثاني إمّا أن يكون قد وهم فيه أو لا والثاني إمّا أن لا يكون قد عرف ما يتعلّق به من شرائط الرواية أو يكون فالأوّل وهو المنافق ينقل كما أراد سواء كان أصل الحديث كذبا وإن له أصلا حرّفه وزاد فيه ونقص بحسب هواه فهو [illegible] ضالّ مضلّ عمدا أو قصدا والثاني يروي كما فهم وهم فهو ضالّ مضلّ سهوا والثالث يروي ما سمع فضلّ وأضلّ لغرضه والرابع يؤدّي كما سمع وكما هو فهو هاد مهديّ فأشار إلى القسم الأوّل بقوله رجل منافق إلى قوله فهو أحد الأربعة فقوله متصنّع بالإسلام أي مظهر شعار أهله وقوله لا يتأثّم أي لا يعرف بأنّه إثم أو لزوم العقاب عليه في الآخرة فلا يجد منه ووجه دخول الشبهة في قبول قوله كونه ظاهر الإسلام والصحبة للرسول صلى الله عليه وآله وسماع قوله مع كون الناس لا يعلمون باطنه ونفاقه وما أخبره الله تعالى عن المنافقين في أنّه في الدرك الأسفل من النار وما وصفهم به تعالى بقوله ثمّ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول الله الآية دلّت على وصفهم بالكذب في مفاد عقائدهم لا لسنتهم في استشهاده بأنّه رسول حقّ ومن كان يعتقد أنّه رسول فإنّه مظنّة الكذب عليه وأئمّة الضلالة بنو أميّة ودعاتهم إلى النار ودعاؤهم إلى اتّباعهم فيما يخالف الدين وذلك الاتّباع مستلزم لدخول النار والزور والبهتان إشارة إلى ما كانوا يتقرّبون به إلى بني أميّة من وضع الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله في فضائلهم والحاقهم على ذلك الأجر من أولئك الأئمّة وتوليتهم الأعمال والأمراء على الناس قوله وإنّما الناس مع الملوك إلّا من عصمه الله إشارة إلى علّة فعل المنافق لما يفعل فهو أنّ حبّ الدنيا هو الغالب على الناس من المنافقين وغيرهم لقربهم من المحسوس وجهلهم بأحوال الآخرة وما يراد بهم من قدم الحيوة إلّا من هداه الله فعصمه بالجذب في طريق هدايته إلى الحقّ عن اتّباع الأمور الباطلة وفيه إيماء إلى قلّة الصالحين كما قال تعالى إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وقوله وقليل من عبادي الشكور وإنّما قال ثمّ بقوا بعده عليه السّلام ثمّ حكى حالهم مع أئمّة الضلال وإن كانت الأئمّة المشار إليهم لم يوجدوا بعد إمّا لتنزيل ما لا بدّ منه من ذلك المعلوم له منزلة الواقع وإشارة إلى من نبغ منهم بعد الرسول صلى الله عليه وآله وتقرّب إلى معاوية لأنّه أدرك أيّام ضلاله وأشار إلى القسم الثاني بقوله ورجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا لم يحفظه إلى قوله لرفضه وذلك أن يسمع من الرسول صلى الله عليه وآله كلاما فيتصوّر منه معنى غير ما يريده الرسول صلى الله عليه وآله لا يحفظ اللفظ بعينه فيورده بعبارة هو الدالّة على ما تصوّره من المعنى فلا يكون قد حفظه وتصوّره على وجهه المقصود للرسول فوهم فيه ثمّ لم يتعمّد كذبا بل وهم فهو في يده يرويه ويعمل به على وفق ما تصوّره منه ويسنده إلى الرسول صلى الله عليه وآله وعلّة دخول الشبهة على المسلمين فيه هو عدم علمهم بوهمه وعلّة دخولها عليه في الرواية والعمل هو وهمه حين السماع حتّى لو علم ذلك لترك روايته والعمل به وأشار إلى القسم الثالث بقوله ورجل سمع إلى قوله لرفضه وعلّة دخول الشبهة على الراوي وعلى المسلمين واحدة وهو عدم علمهم بأنّه منسوخ وأشار إلى القسم الرابع بقوله وآخر رابع إلى قوله ومحكمه فقوله وعرف الخاصّ والعامّ فوضع كلّ شيء موضعه أي عمل بالعامّ فيما عدا صورة التخصيص وقوله وقد كان يكون من رسول الله صلّى الله عليه وآله الكلام إلى قوله من أجله تنبيه على منشأ القسم الثالث وداخل فيه فإنّ منهم من كان يسمع الكلام ذا الوجهين منه خاصّ ومنه عامّ

كقوله إن المنافقين

في وصيته بعد منصرفه من صفين

يريد أن الحد فيها مختص بالأحوال وشمع القاتل دون الخاص فينقل القاتل بوجه على غير معرفة معنا أو لأنه خرج على سبيل الخاص من قوله وهو مقصود عليه وانتقل بسببه فيتفقد بها ما أراده فإنا أنا ولي دمي فإن شئت أقمت القصاص وإن شئت عفوت مان أعف فالعفو لي قربة وإن أفن فالفناء ميعادي فإن شئتم فاقتلوا قاتلي وإن شئتم أن تعفوا فالعفو لكم حسنة فاعفوا لكنه ذكر قسمي بقائه وفنائه ثم عقبهما بذكر حكميهما مقرونين واقتصر لأنه في معرض الندب إلى العفو ترغيبا ثم أقسم أنه ما من بغتة الموت وارد كرهه ولا طالع أنكره وصدقه في ذلك ظاهر فإنه كان سيد الأولياء بعد سيد الأنبياء ومن خواص أولياء الله شديد محبة الله والشوق البالغ إلى ما أعده لأوليائه في جنات عدن ومن كان كذلك كيف يكره وارد الموت الذي هو باب وصوله إلى محابه وأشرف مطالبه التي فلح وفقه في السعي لها وهي المطالب الحقة الباقية وكيف ينكره وهو دائم المرصد له والاشتغال بالذكر له ثم شبه نفسه في هجوم الموت عليه ووصوله بسببه إلى ما أعد له من الخيرات الباقية بالقارب الذي ورد الماء ووجه الشبه استقرابه لتلك الخيرات ووثوقه بها وأنسه لها بسببها أمات الدنيا وشدائد الموت كما يستسهل القارب عند وروده الماء ما كان يجده من شدة العطش وتعب الطريق ويغتر بما إلى تشبيه تلك الخيرات بالماء وكذلك شبه نفسه بالطالب الواجد لما يطلبه ووجه الشبه كونه قرة عينا بما ظفر به من مطالبه الأخروية كما يطيب نفس الطالب المتمني به إذا وجده و ظاهر أن طيب النفس وبهجتها بما تصيبه من مطالبها إنما تتفاوت المطالب في العزة والنفاسة ولما كانت المطالب الأخروية أهم المطالب وأعظمها وأدومها وأعزها جوهرا أوجب أن يكون بهجته بنفسه بها وقرة عينه بما أصابه منها أتم كل بهجة بمطلوب ثم اقتبس لو ثبت من شأنها تعالى وهو أن مطلوبه منها وأنها خير أن مطلوبه في الدنيا لم يكن إلا ما عند الله الذي هو خير للأبرار من كل مطلوب يطلب وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلام** بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفين هذا ما أمر به علي أمير المؤمنين في أمواله ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويعطيني الأمنة منها وإنه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف وينفق منه في المعروف فإن حدث بحسن حدث وحسين حي قام بالأمر بعده وأصدره مصدره وإن لابني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي وإني إنما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله وقربة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وتكريما لحرمته وتشريفا لوصلته ويشترط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله وينفق من ثمره حيث أمر به وهدي له وأن لا يبيع من أولاد نخيل هذه القرى ودية حتى تشكل أرضها غراسا ومن كان من إمائي اللاتي أطوف عليهن لها ولد أو هي حامل فتمسك على ولدها وهي من حظه فإن مات ولدها وهي حية فهي عتيقة قد أفرج عنها الرق وحررها العتق قال السيد قوله عليه السلام في هذه الوصية ألا يبيع من نخلها ودية فإن الودية الفسيلة وجمعها ودي وقوله عليه السلام حتى تشكل أرضها غراسا هو من أفصح الكلام والمراد به أن الأرض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير الصفة التي عرفها بها فيشكل عليه أمرها ويحسبها غيرها **أقول** روينا هذه الوصية بروايات مختلفة بالزيادة والنقصان وقد حذف السيد منها فصولا ولنورد ما برواية يغلب على الظن صدقها عن عبد الرحمن بن الحجاج قال بعث إلي بهذه الوصية أبو إبراهيم هذا ما أوصى به وقضى في ماله عبد الله علي ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويصرفني به عن النار يوم تبيض وجوه وتسود وجوه أن ما كان لي بينبع من مال يعرف لي فيها وما حولها صدقة ورقيقها غير أبي رباح وأبي نيزر وجبير عتقاء ليس لأحد عليهم سبيل فهم موالي يعملون في المال خمس حجج وفيه نفقتهم ورزقهم وأرزاق أهاليهم ومع ذلك ما كان بوادي القرى كله مال بني فاطمة ورقيقها صدقة وما كان لي بديمة وأهلها صدقة غير أن رقيقها لهم مثل ما كتبت لأصحابهم وما كان لي بأذينة وأهلها صدقة والفقيرين كما قد علمتم صدقة في سبيل الله وأن الذي كتبت به من أموالي هذه صدقة واجبة بتلة حيا أنا كنت أو ميتا تنفق في كل نفقة ابتغي بها وجه الله في سبيل الله ووجهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب القريب والبعيد أنه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف وينفقه حيث يريد الله في كل محلل لا حرج عليه فيه وإن أراد أن يبيع نصيبا من المال فيقضي به الدين فليفعل إن شاء لا حرج عليه فيه وإن شاء جعله من الملك وإن ولد علي وأموالهم إلى الحسن بن علي وإن كانت دار الحسن غير دار الصدقة فبدا له أن يبيعها فليبعها إن شاء لا حرج عليه فيه فإن باع فإنه يقسمها ثلاثة أثلاث فيجعل ثلثا في سبيل الله ويجعل ثلثا في بني هاشم وبني المطلب ويجعل الثلث في آل أبي طالب وأنه يضعهم حيث يريد الله ثم يتصل بقوله وإن حدث بحسن حدث وحسين حي فإنه إلى حسين بن علي وإن حسينا يفعل فيه الذي أمرت به حسنا من مثل الذي كتب للحسن وعليه مثل الذي على الحسن ثم يتصل بقوله وإن الذي لبني فاطمة إلى قوله وتشريفا لوصلته ثم يقول وإن حدث بحسن وحسين حدث فإن الآخر منهما أن ينظر في بني علي فإن وجد فيهم من يرضى بهديه وإسلامه وأمانته فإنه يجعله إليه إن شاء وإن لم ير فيهم بعض الذي يريد فإنه يجعله في رجل من بني فاطمة يجعله إلى من يرضى بهديه وإسلامه وأمانته وإنه شرط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله وينفق من ثمره حيث أمره الله من سبيل الله ووجوهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب و

نفقتهم

القريب والبعيد

كلام له في اعمال الصدقات

والقريب والبعيد وان لا يبيع من اولاد نخيل هذه القرى الى اخره ثم يقول لا سبيل لاحد عليها سبيل هذا ما قضى علي في امواله هذه
يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله والدار الاخرة لا يباع منه شيء ولا يوهب ولا يورث والله المستعان على كل حال ولا يحل لامرئ مسلم
يؤمن بالله واليوم الاخر ان يغير شيئا مما اوصيت به في مالي ولا يخالف فيه امري من قريب او بعيد وشهد هذا ابو سمر بن ابرهة
وصعصعة بن صوحان وسعيد بن قيس وهياج بن ابي الهياج وكتب علي بن ابي طالب بيده لعشر خلون من جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين
يوثق بدينه وخلقه والامثل الاشق ويجعلها حرة واكثر هذه الوصية واضح عن الشرح عبارات فيها نكت الاولى جواز الوصية والوقف
على هذا الوجه وتعليم الناس كيفية ذلك الثانية قوله ياكل منه بالمعروف اي على سبيل الاقتصاد والكفاية يحل له من غير اسراف و
تبذير ولا بخل وتقتير ينفق منه في المعروف اي في وجوه البر المتعارف عن المنكر في الدين الثالثة قوله فان حدث بحسن
حدث كناية عن الموت والامر يحتمل ان يريد به امره بما امره به وصيا من تنفيذه واجرائه في موارده ويحتمل ان يريد به جملة الامور
التي امر بالتصرف فيها وبها الرابعة الضمير في قوله بعد الحسن في ما صدره للامر الذي يقوم به فاما الضمير الذي في مصدره فيحتمل
وجهين احدهما عوده الى الحسن وتقديره واصدر الحسين الامر كما اصدر الحسن له وبقي في المال كقضائه واصدر الامر الى ما
كقوله والله انبتكم من الارض نباتا اي انباتا ويحتمل ان يكون المصدر بمحل الاصدار اي واصدره في محل اصداره الثاني ويحتمل
ان يعود الى الامر الذي يقضي به ويكون المعنى ويضع كل شيء موضعه الخامسة قوله ان يترك المال على اصوله كناية عن عدم
اخراجه ببيع او هبة او بوجه من وجوه التمليكات السادسة قوله وان لا يبيع من اولاد نخيل هذه القرى ودية حتى تشكل ارضها
غراسا والحكمة في ذلك وجهان احدهما ان الارض قبل ان تشكل غراسا ربما يموت فيها ما يحتاج الى الخلف فينبغي ان لا يباع
من فسيلها شيء حتى تكمل غراسا وتنبت بحيث لا يحتاج الى شيء الثاني ان النخل قبل ان تشكل ارضها يكون بعد غير مستحكم
الجذع ولا مشتدة فلو قلع فسيلها من تحتها ضعفت جدا حتى لا تكاد تنجب فاما اذا قويت واستد ساقها لم يكن في قلع
فسيلها كثير مضرة وذلك حين تشكل ارضها وتكامل غراسها والمنير على الناظر حسب ما فسره السيد السابعة هي
ما الطواف على اماء عن نكاحهن وكن يومئذ سبع عشرة منهن امهات اولاد احياء معهن ومنهن حبالى ومنهن لا ولد لها
فقضى فيهن ان حدث به حادثة الموت ان من كانت منهن ليس لها ولد ولا حبلى فهي عتيق لوجه الله لا سبيل لاحد عليها
ومن كان منهن لها ولد او هي حبلى فتمسك على ولدها وهي من حظه اي تلزم بحسب ثمنها من حصته وينعتق عليه فان
مات ولدها وهي حية فهي عتيق لا سبيل لاحد عليها وقضاؤه ان يكون ام الولد الحي محسوبة من حظ ولدها وتعتق من
ولد ما من اماء بعد موته بناء على مذهبه في بقاء ام الولد على الرق بعد موت سيدها المستولد ويصح بيعها وهو
مذهب الامامية وقول قديم للشافعي وفي الجديد انها تعتق بموت سيدها المستولد ولا يجوز بيعها وعليه
فقهاء الجمهور حتى لو بيعت فقضى قاض بصحة بيعها فالمختار من مذهب الشافعي انه ينقض قضاؤه وبالله التوفيق

ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكرنا منها جملا ليعلم
بها انه كان يقيم عماد الحق ويشرع امثلة العدل في صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها انطلق على تقوى الله
وحده لا شريك له ولا تروعن مسلما ولا تجتازن عليه كارها ولا تاخذن منه اكثر من حق الله في ماله فاذا قدمت على الحي
فانزل بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم ثم امض اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ولا تخدج بالتحية لهم
ثم تقول عباد الله ارسلني اليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في اموالكم فهل لله في اموالكم من حق فتؤدوه
الى وليه فان قال قائل لا فلا تراجعه وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه او توعده او تعسفه او ترهقه فخذ ما
اعطاك من ذهب او فضة فان كانت له ماشية او ابل فلا تدخلها الا باذنه فان اكثرها له فاذا اتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط
عليه ولا عنيف به ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنها ولا تسوءن صاحبها فيها واصدع المال صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن
لما اختار ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن لما اختاره فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء
لحق الله في ماله فاقبض حق الله منه فان استقالك فاقله ثم اخلطهما ثم اصنع مثل الذي صنعت اولا حتى تاخذ حق
الله في ماله ولا تاخذن عودا ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار ولا تامنن عليها الا من تثق بدينه رافقا بمال
المسلمين حتى يوصله الى وليهم فيقسمه بينهم ولا توكل بها الا ناصحا شفيقا وامينا حفيظا غير معنف ولا مجحف ولا
ملغب ولا متعب ثم احدر الينا ما اجتمع عندك نصيره حيث امر الله به فاذا اخذها امينك فاوعز اليه ان لا يحول بين
ناقة وبين فصيلها ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها ولا يجهدنها ركوبا وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها وليرفه على
اللاغب وليستان بالنقب والظالع وليوردها ما تمر به من الغدر ولا يعدل بها عن نبت الارض الى جواد الطرق وليروحها في

في كيفية استعمال الصدقات وما يلحق بها

في الشاغات وليمهلها عند النطاف والأعشاب حتى تأتينا بإذن الله بُدَّناً منقيات غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك إن شاء الله. أقول روّعه أفزعه ولا تخرج التخيير أي لا تنقصها [illegible] ولا تخرج بالتخيير [illegible] التخاير أي اقل فطرها وانعم الراي قال النعم والعسف الأخذ بشدة وعلى غير وجه والإرهاق تكليف العسر والماشية الغنم والنعم العنيف الذي لا رفق وعنده المال الصدع بين متمته بقسمين والعود المسن من الإبل وهو الذي جاوز في السن البازل والهرمة العاجزة السن والمكسورة التي انكسرت إحدى قوائمها والمهلوسة التي بها الهلاس وهو السل والعوار بالفتح العيب قد يضم والمجحف الذي يسوق المال سوقاً عنيفاً يذهب بالجهد والملغب المتعب واللغوب الإعياء وأوعرت به مكاناً أي [illegible] حال بين الشيئين حجز المصر حلب كل ما في الضرع من اللبن والتمصر حلب بقايا اللبن فيه والترفيه الإراحة والاستيناء أي ترفقوا وتعقب لتعبه وهي أخفاف والغدر جمع غدير الماء والنطاف المياه القليلة والأعشاب جمع عشب وهو الكلأ والبدن السمان الواحد بادن والمنقيات التي صارت من سمنها ذات نقي وهو مخ العظام وشحم العين والنقو كل عظم ذي مخ وهذه الوصية مشتملة على تعليم عامله على جباية الصدقات قوانين العدل في أهلها ومداراتهم وأمره على الشفقة والرفق بهم واعلم أن الرفق بالرعية وإن كان من أهم المطالب للشارع مع الاستئلاف قلوبهم واختيارهم عليه على ما جاء به من الحق إلا أنه هاهنا أهم والحاجة إليه أشد لأن ذلك العرض هنا أخذ بعض ما هو عزيز عند الناس من أيديهم وهو المال ومشاركتهم فلو نفاوتهم هنا أقرب إلى النفار فما يدعوك إليه من سائر التكاليف وهم إلى المداراة والرفق أشد حاجة فلذلك كثرت وصيته العامل بالرفق بهم والمساهلة معهم حفظاً لقلوبهم وفي الوصية مواضع الأول أمره بالانطلاق معتمداً على تقوى الله عز وجل شريك في تقواه غيره ولا موجه بنية في انطلاقه إلى جهة لأن تركه فيه حركة بهيمة من جملة العبادات أو البر بالإخلاص الثاني لا يفزع مسلماً كما هو عادة الولاة الظالمين وأن لا يجتاز عليه كارهاً أي لا يجتاز رشياً من أهله أو ماشيته وهو كاره لاختياره ودعوة ولا يجتاز الحيمي فلا يمر على أرض إنسان ومواشيه [illegible] لم يرد عليها أو بها وانتصب كارهاً على الحال من الضمير المجرور الثالث أمره إذا نزل بقبيلة أن ينزل بمائهم لأن من عادة العرب أن تكون مياههم بارزة عن بيوتهم وأن لا تخالط بيوتهم لأن ذلك من الشفقة عليهم والتكلف والرابع قوله ثم امض إليهم الى قوله ولا تشوّن صاحبها فيها لأديب له إنما ينبغي أن يفعل في حقهم مما يشتمل المصلحة وتعليم لأسباب الشفقة عليهم من الإرفاق كالسكينة والوقار والقيام فيهم من الأقوال كالسلام وأداء الرسالة الأقوال كاتمام التحية والرفق في القول ومنه أن لا يكون أن لا يخيف المسلم ولا يتوعده ولا يعسفه ولا يرهقه عسراً ولا يدخل المواشي من غير إذنه ولا يدخلها دخول متسلط ولا جبار ولا عنيف وأن لا ينفر بهيمة ولا يفزعها ولا يسوء صاحبها فيها فيضرب بحق وما في ذلك كله من أذى صاحبها وتنفير قلبه الخامس تعليم للشارع الخامس ثم علل نهيه عن دخولها بغير إذن صاحبها فإنا أكثرها له والكلام في قوة صغرى قياس ضمير من الشكل الأول نتيجته حسن هذا النهي وتقدير كبراه فكل من كان أكثر المال له فهو أولى بالتصرف والحكم والمال الحكم وأن لا يقع تصرف غيره فيه ودخوله إلا بإذنه السادس قوله واصدع المال الى قوله في ماله تعليم لكيفية أخذ الصدقة التي في الإبل والماشية وهو أن يفرق الإبل والماشية عند اختلاط الكل فرقتين ثم يخيّره فإن اختار قسماً فلا يعارضه فيه وليس له أن يتبع نظر الخروج كذلك يقسم الصدع الباقي بنصفين ولا يزال يفعل كذلك حتى ينتهي إلى حد المال الذي يعنى أنه مقدار الواجب من حق الله تعالى من ذلك المال ومعه يقابل فيوفيه مقدار الواجب ويدفعه ويجعل لرب المال اختيار أحد الصدعين والأول أن استعفا من أخذ ذلك القسم تسكيناً للقلب وجبر أن تنقص ما له السابع نهاه أن يأخذ في مال الله ما كان بأحد الصفات المذكورة كالعود والهرمة والمكسورة والمهلوسة والمعيبة وكاد ونحوه مراعاة لحق الله تعالى وجبر الحال مصارفه وهم الأصناف الثمانية الذين عدهم الله تعالى في كتابه الكريم من الفقراء والمساكين وغيرهم قال قطب الدين الراوندي ره يعلم من كلامه أن الزكاة يأمر بإخراج كل واحد من هذه الأصناف المعتبرة من المال لا يحتمل أن يصدع بصدعين إن شاء من أنه يقبضها أن يأمن عليها ويوكل بحفظها ويسوقها إلا من يثق بدينه وأمانته وإنما من نفسه يحفظه حتى يسلمه إلى وليهم يعني نفسه ويكون نائباً عن الله ورسوله شفيقاً أي على ما يقوم عليه وأميناً حفيظاً عليه غير ضعيف ولا مجحف ولا متعب له وذلك من الأمور اللازمة في حفظ الواجب في حق الله تعالى الثامن أمره أن يحمل إليه ما يجتمع معه ولا يؤخره لأمرين أحدهما الحاجة إلى صرفه في مصارفه الثاني الخوف من تلفه بأحد أسباب التلف قبل الانتفاع به التاسع إشارة إلى الوصية بحال البهائم وهو أن يأمر أمينه عند تسليم المال أن لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يحلب جميع لبنها لأن ذلك مضر بالولد ولا يجهد بها ركوباً ويحصّلها بين صواحبها لأن ذلك ما يضر بها والعدل بينها في ذلك بما قيل معرض رياح الركوب وهو أنه من الشفقة الطبيعية وكذلك الترفيه على اللاغب والثاني بالناعب والضالع وكذلك أن يوردها ما يمر من الماء ولا يعدل بها وأن يروحها في ساعات الرواح للغاية التي ذكرها وهو أن يأتي بحال السمن والراحة وإنما قال لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه وإن كان ذلك معلوماً من حاله لأن ذلك أبلغ في الوصية بحال الحافر بها

ج ٢

في عهد وقع منه الى بعض عماله الامراء في الصدقات

الى بعض الاوهام الفاسدة ان ذلك لغرض يختص به مخالف السنة ثم رغبه في ذلك بكونه اعظم للاجر عند الله واقرب لهداه
ورشده بطريق الله وهو ظاهر لما انه اعظم للاجر فلكونه اكثر مشقة واكثرية الثواب تابعة لاكثرية المشقة واما انه اقرب لرشده فلان كل
في ذلك على اثره ثم ولعله انما بعداه الذي لم يكن مما يكن فابر وبالله التوفيق ومن عهد له عليه السلام الى بعض عماله وقد
بعثه على الصدقة آمره بتقوى الله في سرائر اموره وخفيات اعماله حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه وآمره ان لا يعمل بشيء من طاعة
الله فيما ظهر فيخالف الى غيره فيما اسر ومن لم يختلف سره وعلانيته وفعله ومقالته فقد ادى الامانة واخلص العبادة وآمره
ان لا يجبههم ولا يعضههم ولا يرغب عنهم تفضلا بالامارة عليهم فانهم الاخوان في الدين والاعوان على استخراج الحقوق وان لك في
هذه الصدقة نصيبا مفروضا وحقا معلوما وشركاء اهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة وانا موفوك حقك فوفهم حقوقهم والا تفعل فانك
من اكثر الناس خصوما يوم القيامة وبؤسا لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل
ومن استهان بالامانة ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد احل بنفسه في الدنيا الذل والخزي وهو في الآخرة اذل واخزى وان اعظم
الخيانة خيانة الامة وافظع الغش غش الائمة والسلام اقول يقال جبهته بالمكروه اذا استقبلته به وعضهه عضها رميته بالبهتان والكذب
والفاقة والبؤس الشدة والفظع الشدة وقد امره باوامر بعضها يتعلق بامر حق الله وبعضها باحوال الرعية والشفقة عليهم لبقاء
نظام حالهم وتدبير امورهم فالذي يتعلق بحق الله سبحانه امران احدهما ان يتقيه فيما استتر من اموره ويخفى من اعماله وهي التقوى الحقة
المنتفع بها وقوله حيث اشارة الى موضع اسرار العمل واخفاء الامور والى بقوله لا شهيد غيره ولا وكيل دونه في معرض الوعد
له والتخويف باطلاعه تعالى على سرائر العباد وخفيات اعمالهم وتوليه لها دون غيره وبين لكونه هو الشهيد دون غيره على
عظمته مع ... لما عسى ان تحكم به اوهامهم من السرائر بالامور الخفية لا يطلع عليها غيره من هي له الثاني ان يوافق في طاعته
لله تعالى ما اظهره منها وما ابطنه ويخلص اعماله الظاهرة من الرياء والسمعة وذلك قوله وامره ان لا يعمل الى قوله فيما اسر وفي
قوله يعني الذي ويحتمل ان تكون مصدرية وفيما ظهر اي ... من طاعة الله وقوله ومن لم يختلف الى قوله العبادة ترغيب لما
امره به من عدم اختلاف السريرة والعلانية والفعل والقول بكون ذلك مستلزما للاخلاص في عبادة الله ولاداء الامانة التي دفعها
عباده على السنة رسله وائمة دينه وظاهر كون ذلك مستلزما لثواب الله والامن من سخطه واما ما يتعلق باحوال الرعية و
الشفقة عليهم فمنه ما يتعلق بجانب ارباب الاموال التي يستحق عليهم الصدقة ومنه ما يتعلق بارباب الصدقة المستحقين لها
اما الاول فان لا يلقاهم بمكروه ولا يرميهم ببهتان وكذب وان لا يعرض عنهم ويترفع عليهم تفضيلا لنفسه بالامارة ونصب تفضيلا
على المفعول له وقوله فانهم الاخوان الى قوله الحقوق اشارة الى الحجة بقياس ضمير من الشكل الاول ليستلزم حسن الانتهاء على امره
بالانتهاء عنه من جبههم والمذكور في قوة صغرى وتقدير الكبرى وكل من كان اخا في الدين وعونا على استخراج الحقوق فلان
الحقوق لطالبيها انما تحصل بهم ... تحصيلها منهم انما يتم بالشفقة عليهم وان لا يفعل معهم شيء مما نهى عنه فان كل
تلك الامور مما ينفر طباعهم ويشتت نظام شملهم ومنه يكون قلة مال الصدقة والمستحقة عليهم ويحتمل ان يدخل هؤلاء
الجند ايضا واما ما يتعلق بالمستحقين للصدقة فان يوفيهم حقوقهم منها واشار الى الحجة على وجوب ذلك عليه بقوله وان لك
الى قوله وانا موفوك حقك فهو في قوة صغرى ضمير من الشكل الاول تقدير كبراه وكل من كان له نصيب مفروض وحق معلوم في شيء وله
شركاء فيه بصفة الفقر والمسكنة وهو مستوف لحقه منه فواجب عليه ان يوفي شركاءه حقوقهم اما الصغرى فظ واما الكبرى فاشار الى
بيانها بقياس آخر من الشكل الاول مركب من متصلتين فاشار الى الصغرى بقوله والا فانك الى قوله يوم القيامة ونبه على الكبرى بقوله وبؤسا
الى قوله وابن السبيل وهي قوتها اذ الاصناف المذكورون من مستحقي الصدقة هم الخصوم وهم اكثر الناس وكان الاوسط متحدا وصار
تقدير القياس والا توفهم حقهم فانك من خصومة اكثر الناس اي الفقراء والمساكين ... هم الاصناف المذكورة عند الله وهو يوم
القيامة فبؤسا له عند الله يوم القيامة وينتج متصلة تركيبا من مقدم الصغرى وتالي الكبرى وهي الا توفهم حقهم فبؤسا لك وهو في معرض
التهديد يفيد التنفير عن ظلمهم والاستبداد عليهم بشيء من الصدقة وشركاء عطف على قوله حقا معلوما واهل المسكنة صفة له وبؤسا
نصب على المصدر واما الاصناف المستحقين للصدقات فهم الثمانية المعدودة في القرآن الكريم بقوله انما الصدقات للفقراء الى قوله
وابن السبيل فاما الفقير فقال ابن عباس في جماعة من المفسرين انه المتعفف الذي لا يسأل والمسكين هو الذي يسأل وعن الاصمعي ان
الفقير هو الذي له ما ياكل والمسكين هو الذي لا شيء له واما العاملون عليها فهم السعاة في جباية الصدقات ويعطيهم الامام منها
بقدر اجور امثالهم واما المؤلفة قلوبهم فكانوا قوما من اشراف العرب يتألفهم رسول الله ص في مبدأ الاسلام ويعطيهم سهما من الزكوة
ليدفعوا عنه قومهم ويعينوه على العدو كالعباس بن مرداس وعيينة بن حصن وغيرهما ثم استغنى المسلمون عن ذلك عند قوتهم
واما في الرقاب اي في فداء الرقاب فقال ابن عباس يريد المكاتبين وكانوا يعطون سهما ليعتقوا به واما الغارمون فهم الذين

عهد له الى محمد بن ابي بكر

لزمتهم الديون في غير معصية ولا اسراف واما في سبيل الله فهم الغزاة والمرابطون واما ابن السبيل فهو المنقطع به في السفر ويعطى من الصدقة
وان كان غنيا في بلده وقد ذكر منهم هاهنا في معرض الحث على الشفقة والرحمة لهم خمسة وهم الفقراء والمساكين ويدخل فيه السائلون ثم
المدفوعون ويشبه ان يعنيهم كالعاملين عليها وسماهم مدفوعين باعتبار انهم يدفعون لجباية الصدقات ولانهم اذا اتوا الى من
زكوه عليه منعوا واهل عليه زكوة ام لا دفعهم عن نفسه وذكرهم هاهنا بهذا الوصف لكونه يعطف(?) بذا الفهار وكونه في معرض الامر
بالشفقة عليهم قال بعض الشارحين اراد بهم الفقراء السائلين لكونهم يدفعون عند السؤال ثم الغارم وابن السبيل ولم يذكر هاهنا الا
الخمسة او الاربعة لكونهم يضعف حالا من الباقين وقوله انها الى قوله ولخزي يشبه ان يكون كبرى قياس ضمير احتج به في معرض
الوعيد والتخويف عن الخيانة على لزوم الذل والخزي لمن الدارين على تقدير ان لا يوفيهم حقوقهم وتقدير القياس وان لا يوفيهم فقوم
مكن منهما بالامانة ولعلها في الخيانة عن نفسه ونفسك وذيلك عنها وكل من كان كذلك فقد احل بنفسه في الدنيا الذل وهو
في الآخرة اذل واخزى وعن احل بنفسه اي ترك ما ينبغي لها وراحل نفسه اي اثبتها الجمها والدال على هاتين الروايتين مبتدأ وخبره
في الدنيا والخيانة اعم من الغش وهو رذيلة تضاد فضيلة الامانة والغش رذيلة يقابل فضيلة النصيحة وهما داخلان تحت رذيلة
الفجور وقوله وان اعظم الخيانة الى آخره تنبيه على عظم الخيانة هيهنا اذ كانت خيانة كلية عامة اضر بها لاكثر المسلمين ومستلزمة
لغش الامام الذي هو افضل الناس وائتمانه بالتصحيح فاذا كان مطلق الخيانة ولو في حق الخالق ولحقير الاشياء منهيا عنها ويستحق
العقاب والخزي عليها فبالاولى مثل هذه الخيانة العظيمة وكل ذلك في معرض الوعيد والتنفير عن الخيانة والاستهانة بالامانة وبالله
التوفيق **ومن عهد له عليه السلام الى محمد بن ابي بكر** لما قلده مصر فاخفض لهم جناحك والن لهم جانبك وابسط لهم
وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم فان الله يسائلكم معشر
عباده عن الصغيرة من اعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة فان يعذب فانتم اظلم وان يعف فهو اكرم واعلموا عباد الله ان المتقين
ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا اهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم اهل الدنيا في آخرتهم سكنوا الدنيا بافضل
ما سكنت واكلوها بافضل ما اكلت فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون واخذوا منها ما اخذه الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا
عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح اصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم وتيقنوا انهم جيران الله غدا في آخرتهم لا ترد لهم دعوة ولا
ينقص لهم نصيب من لذة فاحذروا عباد الله الموت وقربه واعدوا له عدته فانه ياتي بامر عظيم وخطب جليل بخير لا يكون معه شر ابدا
او شر لا يكون معه خير ابدا فمن اقرب الى الجنة من عاملها ومن اقرب الى النار من عاملها وانتم طرداء الموت ان اقمتم له اخذكم وان فررتم
منه ادرككم وهو الزم لكم من ظلكم الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم فاحذروا نارا قعرها بعيد وحرها
شديد وعذابها جديد دار ليس فيها رحمة ولا تسمع فيها دعوة ولا تفرج فيها كربة وان استطعتم ان يشتد خوفكم من
الله وان يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما فان العبد انما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وان احسن الناس ظنا بالله
اشدهم خوفا لله واعلم يا محمد بن ابي بكر اني قد وليتك اعظم اجنادي في نفسي اهل مصر فانت محقوق ان تخالف على نفسك وان
تنافح عن دينك ولو لم يكن لك الا ساعة من الدهر ولا تسخط الله برضا احد من خلقه فان في الله خلفا من غيره وليس من الله خلف
في غيره صل الصلاة لوقتها المؤقت لها ولا تعجل وقتها لفراغ ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال واعلم ان كل شيء من عملك تبع لصلاتك
اقول قلده الامر جعله في عنقه كالقلادة واللفظ مستعار وحظي من كذا اي صار له منه حظوة وهي المنزلة والحظ الوافر و
الجبابرة البالغون في التكبر والمتجر الرابح ما يربح وهو ما يطلب من ربحه والخلف العوض وهذا الفصل من العهد ملتقط من كلام طويل
يدور على امور الاول وصيته لمحمد بكارم الاخلاق في حق رعيته وذكر اوامر احدها امره بخفض الجناح قيل واصله ان الطائر يبسط
جناحيه ويخفضهما لجمع فرخه بينهما ليضمها للشفقة عليهم فاستعمل كناية عن التواضع الكاين عن الرحمة والشفقة كما قال تعالى واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقد بينا ان التواضع ملكة تحت فضيلة العفة الثاني امره بالانة جانبه كناية عن الرفق بهم في الاقوال
والافعال وترك الغلظة عليهم والجفاوة في حقهم في كل الاحوال وهو قريب من التواضع ومن لوازمه الثالث امره ان يبسط لهم وجهه و
هو كناية عن لقائهم بالبشاشة والطلاقة من غير تقطيب وعبوس وهو من لوازم التواضع ايضا الرابع ان يواسي بينهم في النظر واللحظة
وهي كناية عن الاستقصاء في العدل بينهم في جليل الامور وحقيرها وقليلها وكثيرها وقوله حتى لا يطمع الى
قوله عليهم بيان وجه الحكمة في امره بالمساواة بينهم في اللحظة والنظرة على حقارتهما فان قلت فلم خص العظماء بالطمع
في الحيف والضعفاء بالياس من العدل قلت لان العادة ان الولاة والامراء انما يخصون بالنظرة والاقبال بالبشاشة الاغنياء
والعظماء دون الضعفاء وذلك التخصيص مستلزم لطمعهم ان يحاف لهم والاعراض عن الضعفاء مستلزم لياسهم من العدل في
حقهم والضمير في قوله عليهم يرجع الى العظماء الثاني الوعيد للعباد بسؤال الله لهم عن صغير اعمالهم وكبيرها وظاهرها ومستورها

اهلها(?)

الموت

والاعلام بانهم(?)

في ان مواد الاجرام الارضية والسماوية الماء

ولاعلام بانهم مظنة عذاب لتبدلهم نعمة بمعصية والتمادي في الظلم قال الراوندي المراد بالظلم الظلم قلت ويحتمل ان يكون قد سمّاها بمجازاتهم
به من العذاب بمجازاتهم ظلما مجازا للمشابهة الظلم في الكيفية والصورة كما سمّى في القصاص اعتداء في قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم ثم نبّه بقوله فضلهم فضلا ان فعل التفضيل باعتبار كونهم مبتدئين بالمعصية وكذلك الاعلام بانه تعالى مظنة الكرم
والعفو عنهم الثالث اعلامهم بما ينبغي لهم من استعمال الدنيا والتنبيه على كيفية استعمالها الواجب بوصف حال المتقين فيها لتبعثه
بحالهم وهي ما اخبر عنهم بقوله ذهبوا بعاجل الدنيا الى قوله ولا ينقص لهم نصيب من لذة وخلاصة حالهم المذكورة انهم اكثر فائدة
من اهل الدنيا اذ يصلون اللذة في دنياهم على افضل ما حصل لاهلها من لذاتهم بها مع زيادة الفوز الاكبر في الآخرة بما وصل فيها
المتقون فاعلم ان الذي يشير اليه من عاجل الدنيا في حق المتقين الذين شاركوا اهلها فيها وحظوا بما لم يحظ بواحدة منه
الجبابرة المتكبرون هو ما حصلوا عليه من لذات الدنيا اللباب لهم بعد ضرورتهم وحاجتهم كما روي عنه في صفتهم بلفظ
اخر شاركوا اهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم اهل الدنيا في آخرتهم اباحهم الله في الدنيا ما كفاهم وبه اغناهم قال الله عز اسمه
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية سكنوا من الدنيا بافضل ما سكنت واكلوها بافضل ما اكلت شاركوا
اهل الدنيا دنياهم فاكلوا معهم من طيبات ما يأكلون وشربوا من طيبات ما يشربون ولبسوا من افضل ما يلبسون وتزوجوا من
افضل ما يتزوجون وركبوا من افضل ما يركبون اصابوا لذة الدنيا مع اهل الدنيا وهم فيها جيران الله عليه غدا يتمنون عليه فيعطيهم ما
يتمنون لا يرد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيبا من لذة فاما وجه كونهم اكلوها على افضل ما اكلت وسكنوها بافضل ما سكنت
فلانهم استعملوها على الوجه الذي ينبغي لهم وبقدر ما ينبغي باستعمالها عليه وظاهر ان ذلك الوجه افضل الوجوه واما انهم شاركوا
اهل الدنيا في طيباتها فظاهر بل نقول ان لذتهم بما استعملوا منها اتم واكمل وذلك ان كل ما استعملوه منها من مأكول ومشروب
ومنكوح ومركوب انما كان عند الحاجة والضرورة اليه وقد علمت ان الحاجة الى الملذ اذا كانت اشد واقوى كانت اللذة به عند
حصوله اتم واعلى وذلك من الامور الوجدانية فثبت انهم حصلوا منها ما لم يحصل به المترفون ولهذا وانها ما اخذه الجبابرة المتكبرون
مع ما فضلوا به من الحصول على الآخرة التي لم يشاركهم اهل الدنيا فيها لقوله ثم من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة
من نصيب وبما الزاد المبلغ لهم الى ساحل العزة وحضرة الجلال فهو التقوى كما استقصينا به كما قال الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى وقد
علمت معنى كونه زادا مجازا واستعار للتقوى والمتاجر لفظ المتجر باعتبار كون الغاية المقصودة منها استخراج ثواب الله المشبه بالثمن والربح بذلك
الربح فيتعقل مقصورا على التشبيه فلا يحمل ذلك فيما هذه امورة السببية فليعتبر الناس في ذلك كل اصحاب رسول الله الى آخره جواب سؤال مقدر
كان يرى فكيف يقع الاشتباه عليهم في قوله مع كثرتهم وتواضعهم فلا يسألونه فاجاب انهم لم يسألوا اما بجهلهم كانوا لا يسألونه لعظمته
في قلوبهم وانما كان يسأله الرجل كانوا يحبون ان يجيء الاعرابي او الطاري فيسأله حتى يسمعوا وفتح لهم باب السؤال وبنيه على انه
كان يستقصي في سؤاله صلى الله عليه وآله عن كل ما يشتبه ويحفظ جوابه ويرجع الناس الى فضيلته والاقتباس من انواره ومن خطبة
له عليه السلام وكان من اقتدار جبروته وبديع لطائف صنعته ان جعل من ماء البحر الزاخر المتراكم المتقاصف يبسا جامدا ثم فطر
منه اطباقا ففتقها سبع سموات بعد ارتتاقها فاستمسكت بامره وقامت على حده يحملها الاخضر المثعنجر والقمقام المسخر قد ذل لامره
واذعن لهيبته ووقف الجاري منه لخشيته وجبل جلاميدها ونشوز متونها واطوادها فارساها في مراسيها والزمها قرارتها
فمضت رؤوسها في الهواء ورست اصولها في الماء فانهد جبالها عن سهولها واساخ قواعدها في متون اقطارها ومواضع انصابها
فاشهق قلالها واطال انشازها وجعلها للارض عمادا وارزها فيها اوتادا فسكنت على حركتها من ان تميد باهلها واجمدها بعد رطوبة
اكنافها فجعلها لخلقه مهادا وبسطها لهم فراشا فوق بحر لجي راكد لا يجري وقائم لا يسري تكركره الرياح العواصف وتمخضه الغمام الذوارف
ان في ذلك لعبرة لمن يخشى اقول الزاخر صفة تراد امواجه وتلاطمها وكسر بعضها بعضا والمثعنجر السيال الكثير الماء والقمقام البحر
قيل سمي بذلك لاجتماعه وجبل خلق والجلاميد الصخور واحدها جلمود وانهد رفع واساخ ادخل والانصاب جمع نصب وهو ما انتصب منها والانشاز
جمع نشز وهو العالي وارزها اثبتها اي ركزها وغرزها وارزها مخففا اي اثبتها وعليه نسخة الرضي والاولى اصح والمهد واكنافها
اقطارها وتكركره ترددها وتصرفه وقد اشار في هذا الفصل الى ان اصل الاجرام الارضية والسماوية وما بينهما هو الماء ووصف كيفية
خلقها عنه وكيفية خلقة الارض والسماوات والجبال وقد تقدم بيان كل ذلك مستقصى في الخطبة الاولى ونبه في هذا الفصل على فوائد الاولى
انه لما كانت هذه الاجرام في غاية القوة والعظم مع ما فيها من عجائب الصنع وبدائعه ما يبهر العقول ويعجزها عن كيفية صنعه
جزم نسبتها الى اقتدار جبروته وعظمته وبديع لطائف صنعته تنبيها بالاعتبار الاول على انه الاعظم المطلق وبالثاني على لطفه
وحكمته التامة وكنى باليبس الجامد عن الارض والتاسية الضمير في منه للبحر وفي حده لامر الله اي امره وقيامها على حده كناية عن وقوفها
على ما حد من المقدار والشكل والهيئة والنهايات ونحوها وعدم خروجها عن ذلك وتجاوزها له والضمير المنصوب في يحملها المعنى

ج ٢

مما حظي به

يتمنونه

من م

احاده م

ان جعل م البحر

حركتها ... او تسيخ بحملها او تزول عن مواضعها فسبحان من امسكها بعد موجان مياهها

صدري

كلام له يستنهض فيها الى الجهاد

البنيان الجامد وقوام الارض وكان في المعيدها وما يعده في ارسائها وما يعده تلجيبا وفي جبالها وسهولها واقطارها الذي بعض في قواعدها وقلالها واذ شانها الجبال وقد عرفت كيفية ذلك الخلق فيما احكامه في الخطبة الاولى من قوله ثم زيد بالريح وارتفاعه الى الجو الواسع وتكوين السماوات عنه الى قوله فجرى لا امرها وارزقها لمن يشاء من امره بحت الامكان والخالق الى قدرته وبضربها له وهو من باب الاستعارة الرابعة قوله على حركتها اي حال حركتها على تهيئ الحال وقوله يسيح بجمعها يفهم منه انه لولا الجبال كونها اوتاد الارض لمادت وساخت باهلها فاما كونها ما نعاها من الميدان فقد عرفت وجهه في الخطبة الاولى واما كونها تسيخ لولاها فلانها اذا مادت انقلبت باهلها فغاص او بعضها لكدم طبيعة وذلك مراده بسيخها فالمانع بها من الميدان هو المانع بها ان تسيخ او ترسول عن موضعها الخامس انشائها بجماعها بعد رطوبة اكنافها الى ان اصلها من زبد الماء كما اشير اليه من قبل ويحتمل ان يشير بذلك الى ما كان معمورا بالماء منها ثم بسال الماء عنه الى مواضع اسفل منه فخلا وجف وهي مواضع كثيرة مسكونة وغير مسكونة السادس قوله تخضر النجام الذي تراوت انشائه الى ان اتى المراد وقع فيه المطر بزوغ ويخص بعضه كثيرا وذلك التحريك في المطر ما يكثر ونحو ذو لكثرة اقتران المطر بالرياح فتوجه واقبلها تحريكا له الرياح الجنوبية لا نكشافها وقد شاهدنا ذلك كثيرا السابع لما عدد المخلوقات المذكورة وتعريف القدرة الربانية لها قال ان في ذلك لعبرة لمن يخشى تنبيها على وجوه الاعتبار فيها لمن يخشى الله واراد العلماء لاختصاص الخشية فيهم بقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم اللهم ايما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة فابى بعد سمعه لها الا النكوص عن نصرتك والابطاء عن اعزاز دينك نستشهدك عليه يا اكبر الشاهدين شهادة ونستشهد عليه جميع ما اسكنته ارضك وسماواتك ثم انت بعد المغني عن نصره والآخذ له بذنبه **اقول** النكوص الرجوع على الاعقاب وهذا الفصل من خطبة كان يستنهض بها اصحابه الى جهاد اهل الشام قال بعد تقاعد اكثرهم عن صوته استشهد فيه الله تعالى وملائكته وعباده على من سمع مقالته العادلة المستقيمة التي هي طريق الله العادلة بالناس الى الرشاد في دينهم ودنياهم غير المفسدة لهم وهي دعوته اياهم الى جهاد اعداء الدين والبغاة عليه ثم اعرض عنها وقعد عن نصرته وتباطى عن اعزاز دينه واتى الا التاخر عن طاعته وفي ذلك الاستشهاد ترغيب الى الجهاد وتنفير عن التاخر عنه اذ كان كالاعلام لله تعالى بحال المتخاذلين عن نصرة دينه وتعريفهم عما انزلهم به من الذنب عنه تنفيرا لهم لهم لذلك بالفزع الى طاعته وكذلك في وصفه لمقالته بالعدل والاصلاح ترغيب في سماعها والاصغاء اليها وفي قوله ثم انت بعد اى بعد الشهادة عليه المغني لنا عن نصره تنبيه على عظمة ملك الله وتحقير للنفوس المتخاذلة عن نصرة الدين وفي قوله والآخذ له بذنبه تذكير بوعيد الله وان في ذلك التخاذل ذنب عظيم يؤخذ به العبد وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين الغالب لمقال الواصفين الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين الباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ولا علم مستفاد المقدر لجميع الامور بلا روية ولا ضمير الذي لا تغشاه الظلم ولا يستضيء بالانوار ولا يرهقه ليل ولا يجري عليه نهار ليس ادراكه بالابصار ولا علمه بالاخبار **اقول** حمد الله تعالى باعتبارات اضافية وسلبية اولها العلي عن شبه المخلوقين اي في ذاته وصفاته وافعاله واقواله وقد علمت كيفية ذلك من غير مرة الثاني الغالب لمقال الواصفين وذلك الغلب اشارة الى عجزهم عن احاطة الاوصاف به ووقوفهم دونها وعدم القدرة على ذلك منه وقد اشرنا الى ذلك مرارا الثالث الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين باعين بصائرهم وابصارهم الرابع الباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين وقد عرفنا هذين الوصفين وفائدة قوله بجلال عزته انهم يبطون عن الفكر بما عنيناه بحلال عزته وعن غير انها تناله بافكارهم وصغرها وانما قال فكر المتوهمين لان النفس الانسانية ما دامت ملتفتة الى تناول الامور المعقولة المجردة لا بد ان تستعين بالقوة المتخيلة بمتابعة الوهم في ان تصور تلك الامور بصور خيالية مناسبة لتشبيهها بها وتحطها الى الخيال وقد علمت ان الوهم انما يدرك ما كان متعلقا بمحسوس او متخيل من المحسوسات فكل امر يتصوره الانسان وهو في هذا العالم سواء كان في ذات الله سبحانه او صفاته او غير ذلك فلابد ان يكون مشوبا بصورة خيالية او متعلقا بها وهو تعالى منزه بجلال عزته عن تكيف تلك الفكر له وباطن عنها الخامس العالم المنزه في كيفية علمه عن اكتساب له بعد جهل او ازدياد منه بعد نقصان او استفادة له عن غيره كما عليه علم المخلوقين السادس المقدر لجميع الامور اي الموجد لجميع الامور على وفق قضائه كل بمقدار معلوم تنزه فيه عن التفكر والضمير واراد بالضمير ما اضمر من الروية السابع الذي لا تغشاه الظلم ولا يستضيء بالانوار لتنزهه عن الجسمية ولو احقها الثامن ولا يرهقه اي لا يدركه ليل ولا يجري عليه نهار وذلك لتنزهه عن لحاظة الزمان التاسع ليس ادراكه بالابصار اي بالقوة الباصرة لتنزهه عن الحاجة الى الالات والادوات العاشر ولا علمه بالاخبار اي ليس علمه كعلم مقامنا لنقدسه عن حاجة السمع

وانما توبنو

في بعض فضائل النبي

ج ٢

وبالله التوفيق منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله ارسله بالضياء وقدمه في الاصطفاء فرتق به المفاتق وساور به المغالب وذلل به الصعوبة وسهل به الحزونة حتى سرّح الضلال عن يمين وشمال اقول السافرة الواضحة وسرّح فرق وقد اشار الى بعض فضائل النبي ص وبعض فوائده فمن فضائله ارساله بالضياء ولفظ الضياء مستعار لانوار الاسلام الهادية في سبيل الله ومنها تقديمه على سائر الانبياء في الفضيلة وان كان الكل منهم مصطفى ومن فوائده كونه رتق به الفاتق وكنى بها عن امور العالم المتفرقة وبسبب الحرب زمان الفترة ورتقها بركاته بجمعها ونظمها بعد تفرقها كناية بالمستعار ومنها كونه ساور به المغالب اسند المساورة الى الله مجازا باعتبار امره للنبي بالدين عن امره واثباته مغالبة من المشركين وعنادهم ومنها كونه ذلل به الصعوبة اي صعوبة اهل الجاهلية وانقيادهم لدين الله ومنها كونه سهل به الحزونة اي حزونة طريق الله لهداية فيها الى غاية ان سرّح الضلال والجهل عن يمين النفوس وشمالها وهو اشارة الى القائمة وذلك التفريط والافراط عن ظهور النفوس كتسريح صاحب الحمل عن ظهر الدابة وهو من الطف الاستعارات وابلغها وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام اشهد انه عدل عدل وحكم فصل واشهد ان محمدا عبده وسيد عباده كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما لم يسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر الا وان الله قد جعل للخير اهلا وللحق دعائم وللطاعة عصما وان لكم عند كل طاعة عونا من الله يقول على الالسنة ويثبت الافئدة فيه كفاء لمكتف وشفاء لمشتف واعلموا ان عباد الله المستحفظين علمه يصونون مصونه ويفجرون عيونه يتواصلون بالولاية ويتلاقون بالمحبة ويتساقون بكاس روية ويصدرون بريّة لا تشوبهم الريبة ولا تسرع فيهم الغيبة على ذلك عقد خلقهم واخلاقهم فعليه يتحابون وبه يتواصلون فكانوا كتفاضل البذر ينتقى فيؤخذ منه ويلقى قد ميزه التخليص وهذبه التمحيص فليقبل امرؤ كرامة بقبولها وليحذر قارعة قبل حلولها ولينظر امرؤ في قصير ايامه وقليل مقامه في منزل حتى يستبدل به منزلا فليصنع لمتحوله ومعارف منتقله فطوبى لذي قلب سليم اطاع من يهديه وتجنب من يرديه واصاب سبيل السلامة ببصر من بصّره وطاعة هاد امره وبادر الهدى قبل ان تغلق ابوابه وتقطع اسبابه واستفتح التوبة واماط الحوبة فقد اقيم على الطريق وهدي نهج السبيل اقول نسخ ازال وغيّر والعاهر الزاني ويصدق على الذكر والانثى وكذلك الفاجر والكفاء الكفاية والكفاءة والروية بالكسر الفعلة من الري هي الهيئة التي عليها المروي والريبة الشك والتهمة والغيبة ذكر الغير بما يكره والتمحيص الابتلاء والاختبار والقارعة الشديدة من شدائد الدهر وبها سميت القيامة واماط ازال والحوبة الاثم واطلق لفظ العدل على العادل مجازا اطلاقا لاسم المصدر على فاعله ومعناه انه عادل بالنظر الى علمه وقضائه الذي لا يقضي في ملكه بامر الا وهو على وفق النظام الكلي والحكمة البالغة ويدخل في ذلك جميع افعاله واوضاعه فانه لا يصدر منها شيء الا وهو كذلك وانما الجزئيات المعدودة شرورا وصورة جور في هذا العالم فانها اذا اعتبرت كانت شرورا بالنسبة مع ذلك هي من لوازم الخير والعدل لا بد منها ولا يمكن ان يكون العدل والخير بدونها كما لا يمكن ان يكون للانسان انسانا الا وهو بحيث يغضب ويلزمها الفساد والشر الجزئي ولما كان الخير اكثر وكان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شرا كبيرا في الجود والحكمة وجب وجود تلك الشرور الجزئية لوجوب ملزوماتها واشار بقوله عدل الى عدله وبقوله فصل الى قضائه بالفصل وبقوله في وصف الرسول ص سيد عباده الى قوله انا سيد ولد ادم ولا فخر وقوله كلما نسخ الله الخلق فرقتين فنسخ الخلق قسمهم كل قرن وفرقهم الى خبيث وطيب والقسمة بعد المقسوم الى الذي خالفه عاداه وقوله جعله في خيرهما اشارة الى ما روي عنه ص قال المطلب ابن ابي وداعة قال رسول الله ص انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فانا خيركم بيتا وخيركم نفسا وقوله لم يسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر اي لم يضرب فيه العاهر بسهم ولم يكن للعهر في اصله شركة يقال ضرب في كذا بنصيب اذا كان له فيه شرك وهو اشارة الى طهارته من قبل اصليه عن الزنا كما روي عنه ص لم يزل ينقلني من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال ص لما خلق الله ادم اودع نوري في جبينه فما زال ينقله من الاباء الاخيار الى الامهات الطواهر حتى انتهى الى عبد المطلب وقال ص ولدت من نكاح لا من سفاح وقوله الا وان الله الى قوله عصم ترغيب للسامعين ان يكونوا اهل الخير ودعائم الحق وعصم الطاعة وكذلك قوله وان لكم الى قوله من الله ثم جذبهم الى الطاعة بذكر المعونة وكانه عنى بالعون القران الكريم وقوله يقول على الالسنة ويثبت الافئدة تفصيل لوجوه العون منه فعونه من جهة القول على الالسنة وعده للمطيعين بالثواب العظيم على الطاعة ومدحهم وتبشيرهم بالجنة والرضوان منه على السنة الرسل فان كل ذلك مقو على الطاعة ومعين عليها واما تثبيت الافئدة فمن جهة الاستعداد للطاعة لله والاستلاحة بانواره من كتابه العزيز واستكشاف اسراره كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله لذلك لنثبت به فؤادك وكذلك ما ترتيل الايات في القران الكريم من المواعظ والزواجر المخوفة بما يوجب الفزع الى الله وتثبت

فيض صمد الله بضرب النعم

القلوب على طاعته الخالص منها وقوله فيه كفا لمكتفي اي في ذلك لقول لطائفه الاكتفا اي من الكمالات النفسانية وشفا لمن طلب
الشفاء من امراض الرذائل او بقدر ثم نبه على عباد الله الصالحين بصفاتهم ليقتفوا آثارهم فيكونوا منهم فاعلمهم انهم هم الذين
استحفظهم على اسرار خلقه من صفاتهم امور احدها انهم يصونون ما وجب صونه من غير اهله لئلا يضيعوا اسراره الا في اهله الثاني
يحجبونه عن عيونه ولفظ العيون مستعار اما المعاونة وهي اذهانه الثلاثة الاوليا وائمة العلما وانما الاصول للحلية وحملة التي علومها
ويكون لفظ النحر مستعار لافادتها ولفرقتها وتفصيلها الثالث ويتواصلون بالولاية التي نصرة بعضهم لبعض في دين الله
واقامة ناموس شرعه الرابع ويتلاقون بالمحبة فيه التي هي مطلوب الشارع من شريعته حتى يصير واكنفس واحدة الخامس ويتساقون
بكاس روية واستعار لفظ الكاس للعلم اي يستفيد بعضهم من بعض ورشح بذكر الروية واراد بها تمام الافادة السادس ويصدرون
بريه اي يصدر كل منهم عن الآخر بفائدة قد ملات نفسه كالاول ولفظ الري مستعار السابع كونهم لا تشوبهم الريبة اي لا يتداخل
بعضهم شك في بعض ولا يتهم بعضا او ديبوا ما طن لزم قال بحسد الثامن ولا تسرع فيهم الغيبة وانما نفى عنهم سرعة الغيبة لان فيهم
من ليس بمعصوم فلم يكن نفيها عنهم بالكلية مما يستبعد توهمها منهم ويحتمل ان يريد انهم لقلة عيوبهم لا يكاد احد يسرع فيهم
بغيبة التاسع كونهم على ذلك عقد الله خلقهم اي على ذلك الوصف الكمال قد خلقهم على وفق قضائه لهم بذلك واحدهم
عليه اي وعلى ما عقد خلقهم عليه من الكمال يتحابون وبه يتواصلون العاشر كونهم في ذلك كتفاضل البذر اي فكانوا في تمييزهم
بالقياس الى الناس كتفاضل البذر واشار الى وجه الشبه بقوله ينتقى الى قوله التخليص وتقريره انهم خلاصة الناس ونقاوتهم الذي
صفاهم منهم وميزهم عنهم تخليص عناية الله لهم فاشبه بجملتهم هذا البذر الذي طرفه وخلصه بيد الزارع وانتقاه واختاره باوامره كرامته في
الآخرة عودا الى التقسيم والموعظة واراد كرامة الله لهم كما قال تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن والقارعة التي حذر منها قبل
حلولها قارعة الموت ثم امر ان يعتبر امرء قصر ايام حياته وقلة مقامه في منزل يستلزم الاقامة القليلة فيه هذه الغاية وهي ان يستبدل
به منزلا اخرى يجعل محل عبرة اقامة القصيرة في الدنيا المستلزمة لانتقاله عنها الى الآخرة فان في تصوره قلة المقام في هذا المنزل
للعبور الى منزل آخر عبرة تامة ويحتمل ان تكون حتى غاية من امره بالنظر في القضاء اي فلينظر في ذلك المنزل ليستبدل به غيره
اذ كان كذلك فينبغي ان يعمل لذلك المنزل المحول اليه ولمعارف منتقله اي لمواضع التي يعرف انتقاله اليها وطوبى مثل من الطيب
قلبوا اياه ضاد واو للصفة ويلها وقيل هي اسم شجرة في الجنة وقلب سليم اي لم يتدنس برذيلة الجهل المركب ولا بنجاسات الاخلاق
الرديئة ومن يهديه اشارة الى الشيعة والائمة الذين ومن يرديه في مهاوي الهلاك المنافقون وائمة الضلال والمضلون لسبيل السلام
ويقونه على سبيل الله عند خدوده بهدايته من هداه وطاعته لها وامره نبلوغها ومبادرته لهداه مسارعته اليه قبل غلق ابوا
واستعار لفظ الابواب له ولائمة الذين قبله ورشح بذكر الغلق واراد به عدمهم او موت الطالب وكذلك استعار لفظ الاسباب
لهم بوجه الاستعارة كونهم وصلا الى المراد كالحبال بذكر القطع واراد به موتهم واستفتاح التوبة استقبالها والنزوع فيها واماطة
الحوبة ازالة الاثم عن لوح نفسه بتوبته وقوله فقد اقيم الى آخره اشعار منه بانه من اعلام الله وهم العلماء والكتاب المنزل والسنة النبوية
والهداية بها الى واضح سبيله ليقتدي الناس بها ويسلكوا على بصيرة وبالله التوفيق والعصمة **وكان من دعائه عليه السلام**
كان يدعو به كثيرا الحمد لله الذي لم يصبح بي ميتا ولا سقيما ولا مضروبا على عروقي بسوء ولا مأخوذا باسوء عملي ولا مقطوعا
دابري ولا مرتدا عن ديني ولا منكرا لربي ولا مستوحشا من ايماني ولا ملتبسا عقلي ولا معذبا بعذاب الامم من قبلي
اصبحت عبدا مملوكا ظالما لنفسي لك الحجة علي ولا حجة لي لا استطيع ان آخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني
اللهم اني اعوذ بك ان افتقر في غناك او اضل في هداك او اضام في سلطانك او اضطهد والامر لك اللهم اجعل
نفسي اول كريمة تنتزعها من كرائمي واول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي اللهم انا نعوذ بك ان نذهب عن
قولك او نفتتن عن دينك او تتابع بنا اهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك **قوله** الدابر بقية الرجل ونسله
والدابر الظهر والالتباس الاختلاط والاضطهاد الظلم والتتابع التهافت في الشر والقاء النفس فيه وقد حمد الله تعالى على ما نسبه
من النعم اعترف بها وعد منها عشرة وهي الحياة والصحة والسلامة من آفات العروق وامراضها ومن الاخذ بالجريرة وقطع النسل
ويحتمل ان يريد بالدابر الظهر وكنى بالقطع عن الرمي بالدواهي العظيمة التي من شأنها قصم الظهر وقطع القوة ثم عن الارتداد ثم عن
جحود ربوبية الله ثم عن الاستيحاش من الايمان استثقاله والنفرة عنه ثم عن اختلاط العقل ثم من التعذيب بعذاب الامم الماضية
بالصواعق والخسف ونحوها وعقب ذلك الحمد بالاقرار على نفسه بصفات الخضوع والذلة المساوية لاستنزال الرحمة وعد منها
خمسة وهي كونه عبدا مملوكا لله تعالى ثم كونه ظالما لنفسه ثم معترفا بحجة الله عليه مقطوع الحجة في نفسه ثم كونه معترفا بعجزه ان
ان يأخذ الا ما قسم الله له وسأله ان يحول لمداراته لا احد ان يتقي من المضار الا ما وقاه الله اياه ثم لما اعتبر مساويه ... لا

في بيان حقوق الرعية على الإمام وحقوقه عليهم

٢٠٦ ج

بقبول الرحمة من الله استعاذ به من أمور وهي أن يفتقر في غناه ثم أي أن يفقره مع أثر الغنى المطلق وأن يذل في هداه أي مع أن له الهدى الذي لا ضلال معه وأن يظلم في سلطانه أي مع أن له سلطان الله وأن يضطهد والأمر له ثم سأله أن يجعل نفسه أول كريمة ينتزعها من كرائمه وأراد بكرائمه قواه النفسانية والبدنية وأعضاءه وغرضه من السؤال أن يمتعه بجميعها سليمة من الآفات إلى حين الممات فتكون نفسه أول منتزع من كرائمه قبل أن يفقد شيء منها ونحوه قول الرسول اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني أي اجعلهما باقيين صحيحين إلى حين وفاتي واستعار لفظ الوديعة للنفس باعتبار أنها في معرض الاسترجاع كالوديعة ثم استعاذ من الذهاب عن قوله تعالى والافتتان عن دينه وقد روي الافتتان بالبناء للفاعل ويكون الفتنة من النفس الأمارة وروي يفتتن بالبناء للمفعول فيكون استعاذ من الفتنة بالغير من الانخراط في سلك الأهواء وبناء بعضها في مرامي الشقاوة دون الهدى الذي جاءت به الكتب الإلهية من عند الله وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام خطبها بصفين** أما بعد فقد جعل الله لي عليكم حقاً بولاية أمركم ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم فالحق أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف لا يجري لأحد إلا جرى عليه ولا يجري عليه إلا جرى له ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسعاً بما هو من المزيد أهله ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ في وجوهها ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها إلا ببعض وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل فجعلها نظاماً لألفتهم وعزاً لدينهم فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وأدى الوالي إليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على أذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء وإذا غلبت الرعية واليها أو أجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثر الإدغال في الدين وتركت محاج السنن فعمل بالهوى وعطلت الأحكام وكثرت علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطل ولا لعظيم باطل فعل فهنالك تذل الأبرار وتعز الأشرار وتعظم تبعات الله سبحانه عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه فليس أحد وإن اشتد على رضاء الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحق بينهم وليس امرؤ وإن عظمت في الحق منزلته وتقدمت في الدين فضيلته بفوق أن يعان على ما حمله الله من حقه ولا امرؤ وإن صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له فقال عليه السلام

إن من حق من عظم جلال الله في نفسه وجل موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه وإن أحق من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف إحسانه إليه فإنه لم تعظم نعمة الله على أحد إلا ازداد حق الله عليه عظماً وإن من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفخر ويوضع أمرهم على الكبر وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أني أحب الإطراء واستماع الثناء ولست بحمد الله كذلك ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا علي بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من التقية في حقوق لم أفرغ من أدائها وفرائض لا بد من إمضائها فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي ولا التماس إعظام لنفسي فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما عليه أثقل فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره يملك منا ما لا نملك من أنفسنا وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى **أقول** الإدغال إدخال الفساد في الأمر ومحاج السنن وجوهها وطرقها وأجحف بهم ذهب بأصولهم والإدغال الإفساد واقتحمته دخلت فيه بالاحتقار والازدراء واستحقرته واستضعفته أصغر... والبادرة الحدة وغرض الفصل جمع كلمتهم وائتلافهم على أوامره فأشار أولاً إلى أن لكل منه ومنهم على الآخر حقاً يجب أن يخرج من عهدته هو عليهم حق ولايته لأمرهم وحقهم عليه حق الرعية على الوالي وهو مثله في وجوب مراعاته وفي استلزام اللوازم التي سيذكرها وقوله فالحق أوسع إلى قوله قضائه تقرير لوجوب حقه عليهم وكالتوبيخ لهم على قلة الإنصاف فيه ومعناه أنه إذا أخذ الناس في وصف الحق وبيانه كان لهم في ذلك مجال واسع لسهولته على ألسنتهم وإذا حضر التناصف بينهم وطلب منهم إنصاف

في حقوق الامام على الرعية وبالعكس

عليهم الجلال لشدته العمل بالحق وصعوبته الانصاف لاستلزامه ترك بعض المطالب المحبوبة لهم واطلاق التغير والضيق على الحق استعارة
ملاحظة لشبهه بما يتوهم فيه من اتساع للقول وضيقه عن العمل بالمكان الذي يجمع لشيء او يضيق عما هو اعظم منه وقوله لا يجري
لاحد الا جرى عليه تقرير الحق عليهم وتوطين لنفوسهم عليه ولا يجري عليه الا جرى له تسكين لنفوسهم بذكر الحق لهم ثم اعاد
تقرير الحق عليهم بحجة في صورة متصلة وهي لو كان لاحد ان يجري له الحق ولا يجري عليه لكان الله تعالى هو الاولى بذلك
ذلك لكونه خالصا لكبريائه بقوله لقدرته الى قوله صروف قضائه اي لكونه قادرا على عباده وعدلا لا ينتقص منهم مع كونه
لا يتحقق عليه شيء لهم لعدله فيهم في كل ما جرت به صروف قضائه التي هي من قضائه كان اولى بخلوص ذلك له ثم من استثناء نقيض
التالي بقوله ولكنه تعالى جعل لنفسه على عباده حقا هو طاعتهم له ليثيبهم بذلك
حقا يكون جزاء طاعتهم له فقد ثبت انه لم يخلص ذلك لله تعالى بل كما اوجب على عباده حقا له اوجب على نفسه لهم حقا فاذن
لا يجري لاحد حق الا يجري عليه وهو نقيض المقدم وفي قوله مضاعفة الثواب الى قوله تنبيه لهم على ان الحق الذي اوجبه على
نفسه لهم مما اوجب لهم على انه ليس بحق وجب عليه بل تفضل منه عليهم بما هو اهله من مزيد النعم ليتخلقوا باخلاق الله في اداء ما وجب عليهم
من الحق بالفضل بوجوهه وبقابلوا انما التفضل بمزيد الشكر وتلك المضاعفة كما في قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
ونحوه وقوله ثم جعل سبحانه الى قوله ببعض كالمقدمة لما يريد ان يبينه من كون حقه عليهم واجبا من قبل الله تعالى وهو حق من
حقوقه ليكون ادعى لهم الى ادائه وبين فيها ان حقوق الخلق بعضهم على بعض بل من حقوق الله تعالى من حيث ان حقه على عباده هو الطاعة
واداء تلك الحقوق طاعات لله كحق الوالد على ولده وبالعكس وحق الزوج على الزوجة وحق الوالي على الرعية وبالعكس وقوله
تتكافأ في وجوهها اي جعل كل وجه من تلك الحقوق مقابلا لمثله فحق الوالي وهو الطاعة من الرعية مقابل بمثله منه
وهو العدل فيهم وحسن السيرة وكلاهما لا يوجب كل من الحقين الا بالآخر ثم قال واعظم ما افترض الله من تلك الحقوق حق الوالي
على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة وقوله فجعلها نظاما الى قوله عند اشارة الى لوازم حق الوالي على الرعية وحق الرعية
على الوالي اذا ادى كل الى كل حقه فانه ان الله تعالى جعل تلك الحقوق سببا لالفتهم وقد بينا فيما سلف غير مرة ان الفتهم من اعظم
مطالب الشارع وانها مطلوبة من اجتماع الخلق على الصلوة في المساجد في كل يوم خمس مرات وفي كل اسبوع مرة في المسجد في كل
مدينة وفي الاعياد والسنة وصفة الاجتماع في طاعة الامام العادل عن وجوب الالفة والمحبة في الله حتى يكون الناس كلهم
كرجل واحد عالم بما يصلحه ويسعى له وبما يفسده ويجتنب عنه ثم جعل تلك الحقوق عزا لدينهم وذلك لان الاجتماع اذا كان
سببا للالفة والمحبة كان سببا عظيما للقوة وقهر الاعداء واعزاز الدين ثم اكد القول بان اصلاح الرعية منوط بصلاح
الولاة وهو امر قد شهدت به العقول وتوافقت عليه الاراء المحققة واليه اشار القائل لا يصلح الرعية الا استقامة الرئيس وقول الآخر
تهدى الامور باهل الرأي ما صلحت فان تولت فبالاشرار تنقاد وكذلك صلاح حال الولاة منوط بصلاح الرعية واستقامتهم في
طاعتهم ونفاذ احوالهم بعضا ومخالفتهم لها فاذا ادى كل من الوالي والرعية الحق الى صاحبه عز الحق بينهم ولم يكن لمخالفته من لوازم
ذلك قيام مناهج الدين وطرقه والاستقامة على قوانينه والعمل بها واعتدال معالم العدل ونظامه بحيث لا جور فيها وجريان
السنن على وجوهها ومسالكها بحيث لا تحريف فيها ولا تغيير وصلاح الزمان بذلك ونسبة الصلاح اليه مجاز اذ الصلاح في الحقيقة
يعود الى حال اهل الزمان وانتظام امورهم في معاشهم ومعادهم وانما يوصف بالصلاح والفساد باعتبار وقوعهما فيه وكونه من الاسباب
المعدة لهما ومن لوازم ذلك الطمع في بقاء الدولة ويأس مطامع الاعداء في فسادها وهدمها وقوله واذا غلبت الى قوله عند
العباد اشارة الى ما يلزم عصيان الرعية للامام وحيفه هو عليهم واجحافه بهم في الفساد فاختلاف الكلمة وكنى به عن اختلاف الاراء
والتفرق بسببه ثم ظهور معالم الجور وعلاماته وهو ظاهر لعدم العدل بسبب ذلك ثم كثرة الفساد في الدين وذلك لتبدد الاهواء
وتفرقها عن الامام العادل الجامع لها واخذ كل فيما يشتهيه مما هو مفسد للدين ومخالف له ثم ترك محاج السنن وطرقها من الظالم
لجوره ومن الرعية لتبدد نظام ارائهم ثم العمل بالهوى وعلته ما مر ثم تعطيل الاحكام الشرعية وهو لازم للعمل بالهوى ثم كثرة علل
النفوس وعللها امراضها بملكات السوء كالغل والحسد والعداوات والعجب والكبر ونحوها وقيل عللها وجوه ارتكابها المنكرات
في كل منكر بوجه وعلة ورأي فاسد ثم فلا يستوحش بعظيم حق عطل وذلك لاذن بتعطيله ولا لعظيم باطل فعل وكذلك لاعتياده
الاتفاق عليه وكونه مقتضى الاهوية فهنالك تذل الابرار لذلة الحق المعطل الذين هم اهله وكان عزهم به وتعز الاشرار
لعزة الباطل الذي هم عليه بعد ذلهم بعزة الحق وتعظم تبعات الله على العباد اي عقوباته بسبب خروجهم عن طاعته ولما بين لوازم طاعته
وعصيانه قال فعليكم بالتناصح في ذلك اي في ذلك الحق وحسن التعاون عليه وقوله فليس احد الى قوله من الطاعة له تاكيد
للامر بالمبالغة في طاعة الله اي فليس لاحد من الناس يبلغ بطاعة الله ما هو اهله منها وان اشتد حرصه على رضاه بالعمل وطال

فيه اجتهاده

في حقوق الإمام على الرعية وعليه

فيه اجتهاده ولكن على العباد من ذلك مبلغ جهدهم في النصيحة والتعاون على اقامة حق الله بينهم بقدر الامكان لانه لا يقدر ان يعمل ما لا يحققه
هو بنفسه فان ذلك غير ممكن وقوله ولكن امرؤ وان عظمت الى قوله رحمه الله نعم من حقه اى انه وان بلغ المرء اى درجة كانت من طاعة الله
فهو محتاج الى ان يعان عليها ولسنا هو بان يعان على ما حمله الله منها وذلك لتكليف الله تعم بها عند عجز جميع المكلفين والوسع
في بعض العبادات قد يكون مشروطا بمعونة الغير فيها فلا ينبغي احد منهما وقوله ولا امرؤ وان صغرته النفوس الى قوله او يعان عليه اي
انه لا ينبغي ان يزدرى احد عن الاستعانة في ما عظم اشتراك ان يعان عليها فانه وان احتقرته النفوس فليس بدون ان يعين على طاعة الله
واداء حقه ولو بقبول الفتيا او نحوها ارشادا ونواعلها باعطاء ما يسد خلتهم او يدفع عنهم ضررا كالجاه ولفظ الاقتحام يفيد مثل ان
يكون الكل كنفس واحدة وقوله ان اكثر عليه الثناء حاصله التأديب على الاطراء والنهي عن الغلو في الثناء على الانسان في وجهه
بالفضائل وان كانت فيه وسره ان ذلك يستلزم في كثير من الناس الكبر والعجب بالنفس والعمل فقوله ان من حق من عظم الى قوله احسانه
اليه مقدمة في الجواب بين فيها ان من عظمت نعم الله عليه ولطف احسانه اليه فحقه ان يصغر عنده كل ما سواه قياس
من الشكل الاول وتقديره صغراه ان من عظمت نعم الله عليه ولطف احسانه اليه فهو احق الناس بتعظيم جلال الله في نفسه والجلال
موضعه من قلبه وتقدير كبراه وكل من كان احق بذلك فمن حقه ان يصغر كل ما سواه عنده وتدل على الكبرى بقوله لعظم ذلك
اى لعظم جلال الله في قلبه يجب ان يصغر عنده كل شيء سواه وهذه المقدمة وان كانت ظاهرة الا ان الاشارة الحاضرة تبهل الانفس
وذلك ان اعظم نعم الله في الدنيا خلافة المسلمين وفي الاخرة ما هو عليه من الكمالات النفسانية فكان احق الناس بتعظيم
جلال الله في نفسه فكان بذلك من حقه ان يصغر كل ما سوى الله في قلبه ثم قال ومن اسخف حالات الولاة الى قوله الكبر اي
فكانه قال ومن كان من حقه ان يصغر كل ما سوى الله في قلبه فكيف يليق به ان يحب الفخر او يضع امره على الكبر اللذين لا يليقان
الا بعظمة الله ويظن به ذلك ويعامل بما يعامل به الجبابرة من الخطاب وصرح بان المراد نفسه في قوله وقد كرهت الى اخره وقوله
ولو كنت احب ان يقال ذلك يجري مجرى تسليم الجدل اي وهب اني احب ان يقال ذلك في باعثا ما فيه من اللذة لكني لو كنت كذلك لتركته
بالقصد الى اخره وهو الانحطاط والتضاءع عن تناول ما الله احق به من العظمة والكبرياء ونبه بذلك على ان الاطراء يستلزم التكبر
والتعظيم فكان تركه له وكراهته لكونه مستلزما لهما وقوله وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء يجري مجرى تمهيد العذر
لمن اثنى عليه فكانه يقول وانت معذور في ذلك حيث رايتني جاهدا في الله وحثثت الناس على ذلك ومن عادة الناس ان يستحلوا
الثناء عند ان يبلوا بلاء حسنا في جهاد او غيره من انحاء الطاعات ثم اجاب عن هذا العذر في نفسه بقوله فلا تثنوا علي بجميل ثناء
الى قوله من امضائها فلا تثنوا علي لاجل ما ترونه مني من طاعة الله فان ذلك انما اخراج لنفسي الى الله من حقوق الباقية علي لم
افرغ بعد من ادائها وهي حقوق نعمه ومن فرائضه التي لا بد من المضي فيها وكذلك اليكم من الحقوق التي اوجبها الله علي لكم من النصيحة في
الدين والارشاد الى الطريق الاقصد والتعليم لكيفية سلوكه وقد خط الراجح من التقية باتمام والعفو فان الذي افعله
من طاعة الله انما هو اخراج لنفسي الى الله واليكم من بقية الحقوق فيما يجب علي من الحقوق فاذا كان انما يعبد الله غير ملتفت في شيء
من عبادته راجعا حقه الى احد سواه خوفا منه او رغبة اليه وكانه قال لم افعل شيئا الا وهو حق واجب علي واذا كان كذلك فكيف
استحق ان يثنى علي لاجله ثناء جميلا وقابل بهذا التعظيم بقوله من باب التواضع للحق وتعليم كيفية وكسر للنفس عن محبة الباطل والميل
اليه وقوله فلا تكلموني الى قوله بعد ارشادهم الى ما ينبغي ان يكونوا عليه من السيرة عنده ونهاهم عن امور فالاول ان لا يكلموه بكلام الجبابرة
لما فيه من اغراء النفس والامر لئلا يحبا فيكون ذلك منهم وضعا للشيء في غير موضعه الثاني ان لا يتحفظوا منه بما يتحفظ به عند اهل
البادرة وسرعة الغضب من الملوك وغيرهم فذلك التحفظ كتكلف ترك المسارة والحديث اجلالا وخوفا منه او كترك مشاورته
واعلامه ببعض الامور وكالقيام بين يديه فان ذلك التحفظ قد يفوت به مصالح كثيرة ولانه مما يغري النفس بحب الفخر والتجبر
لانه وضع للشيء في غير موضعه الثالث ان لا يخالطوه بالمصانعة والنفاق خوفا من فساد الدين والدنيا الرابع ان لا يظنوا به استثقالا
لحق يقال له وان كان فيه مرارة واستعار لفظ المرارة لشدة الحق وصعوبته على الطبع عليه السلام يلتزم قبول الحق كيف كان
على ان يظنوا به انه يلتمس الاعظام لنفسه وذلك لتنزيهه عن هوى اهله دون رؤية الله تعالى وقوله فانه من استثقل الى قوله اثقل ضمير
منبه من الشكل الثاني بين انه لا يستثقل قول الحق له وعرض العدل عليه ولا يظن من ظن ذلك به والمذكور هو صغرى القياس
وتلخيصها ان من استثقل قول الحق ان يعرض العدل عليه كان العمل بالحق والعدل عليه اثقل وتقدير الكبرى
لا شيء من العمل بهما يثقل علي فاما الصغرى فظاهرة لان تكلف فعل الحق اصعب على النفس من سماع وصفه واما الكبرى فلانه
يعمل بهما من غير تكلف ولا استثقال كما هو المعلوم من حاله فينتج انه لا شيء من قول الحق له وعرض العدل عليه يثقل عليه ولا
يكفوا عن قول حق ومشورة بعدل لما في الكف عن ذلك من المفسدة وقوله فاني لست الى قوله مني من قبيل التواضع ايضا اعتبارا لهم على

ح

[illegible]

داود

[illegible]

الأنبياء عليهم السلام بعد بقول الحق وفي قوله الآن يكفي الله من نفسي أي من نفسي الأمارة بالسوء ما أهوى نوى متى علي من نفسي وكفاية من شر وردها وهواها العصمة الحاصلة من الله تعالى ثم وقوله فإنما أنا وأنتم الى قوله ولا يبعد بالأنفس وعيد وتهديد لمن لم يقبل لعظته وتذكير لهم كونهم عبيدا لله من أنفسنا ودعاويها وخواطرها إذ الكمال منه وهو وسيلة النجاة والاستعداد له بقوله وأخرجنا مما كنا فيه أي من الضلالة في الجاهلية ومن يعلي بها عن أمر ذلك الحق وسلوك سبيل الله الى ما صلحنا عليه أي من الهدى وسبيل الله والبصيرة لما ينبغي من مصالح الدارين وذلك ببعثة الرسول وظهور نور النبوة عنه **ومن كلام له عليه السلام** اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم قد قطعوا رحمي وأكفؤوا إنائي وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به من غيري وقالوا ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه فاصبر مغموما أو مت متأسفا فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد إلا أهل بيتي فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى وجرعت ريقي على الشجى وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم وآلم للقلب من حز الشفار وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدمة إلا أني ذكرته ههنا لاختلاف الروايتين **أقول** استعدى ما يستغيثك الاسم العدوى وهو الإعانة وإكفاء الإناء كبّه والرافد المعاون والقذى ما يسقط في العين ونحوها والشجى ما يعرض في الحلق عند الغم والحزن من الأثر ويكون الإنسان كالمغصص بلقمة ونحوها والعلقم شجر مر والشفار جمع شفرة وهي السكين وغرض الفصل التظلم والتشكي والاستعانة بالله على قريش فيما دفعوه عنه من حق الإمامة الذي هو أولى به وكنى عن ذلك بقطع الرحم وكذلك كنى بقلب إنائه عن اجتماعهم ونفرتهم عنه فإن ذلك من لوازم قلب الإناء كما أن من لوازم تنفيرهم له وتنفيرهم إياهم واجتماعهم عليه وقوله أجمعوا الى قوله غيري قالت الشيعة الإشارة بالمجمعين إلى قريش حين وفاة الرسول وذلك لعين أنه كان هو أولى منهم بالخلفاء الثلاثة قبله وقال غيرهم بل الإشارة بالمجمعين إليهم وقت الشورى واتفاقهم بعد الترديد الطويل على عثمان فلا يدخل الشيخان إلا ولا في هذه الشكاية والقول الثاني ضعيف لأنه صرح بمثل هذه الشكاية من الأئمة الثلاثة قبله في الخطبة الشقشقية كما بيناه وبالجملة فمراده من هذا الكلام وأمثاله بعد استقراء أقواله وتصفح أحواله لا يخفى على عاقل ويشبه أن يكون صدور هذا الكلام منه حين خروج طلحة والزبير إلى البصرة تظلما عليهما فيكون المفهوم من قوله وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به من غيري إنكارا لاجتماعهم منازعته في ذلك الحق فإنه إذا كان أولى به ممن سبق من الأئمة قبلهم لتقدمهم ونقدمهم في الإسلام فكيف هؤلاء مع كونهم أدون حالا منهم وهو كقوله فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر وقوله وقالوا ألا إن في الحق الى قوله متأسفا حكاية لقولهم بلسان حالهم إلا أنهم قالوا ذلك وقوله فنظرت الى آخره قد مضى تفسيره إلا أن الإمام الحسن من التابعين وغيره ومن طالب الدنيا المتقدم علم التفاوت في الروايتين وبهذا الفصل **ومن كلام له عليه السلام** في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام فقدموا على عمالي وخزان بيت مال المسلمين الذي في يدي وعلى أهل مصر كلهم في طاعتي وعلى بيعتي فشتتوا كلمتهم وأفسدوا علي جماعتهم ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدرا وطائفة عضوا على أسيافهم فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين **أقول** كنى بعضهم على أسيافهم أي لزوموها وأشار بأهل مصر إلى البصرة وبالذين قدموا على عماله الى طلحة والزبير وعائشة وأتباعهم فأما حالهم مع عماله وما فعلوه بهم وبخزان بيت المال بالبصرة فقد تقدم ذكره مستوفى وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل لقد أصبح أبو محمد بهذا المكان غريبا أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب أدركت وتري من بني عبد مناف وأفلتتني أعيار بني جمح لقد أتلعوا أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله فوقصوا دونه **أقول** هو عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية شهد واقعة الجمل فقتل بها وقد كانت عقاب الجمل فأصيبت باليمامة في ذلك اليوم وعرفت بخاتمه وكان يدعى يعسوب قريش والأعيار جمع عير وهو سائر القوم وأراد بهم رجع قبيلة وأتلعوا مدوا أعناقهم كالمتطلعين إلى الأمر ووقصوا كسرت أعناقهم وأبو محمد كنية طلحة وفي الفصل إشارات فالأولى أن قتله عليه السلام لمن قتل من الفئة الباغية ومن قتل من عسكره لم يكن إلا إقامة للدين ونظام العالم فإن قلت أن قتل هؤلاء على كثرتهم فساد محض قلت لما فساد إلا أنه جزئي بالنسبة إلى صلاح جميع المسلمين في مصر حين وبالنسبة إلى صلاح بلاد المسلمين وصلاحها مو بصورة جزئية من الفساد المصلحة كلية وإذ في الحكمة نحو قطع عضو فاسد لإصلاح باقي البدن الثانية قوله تحت بطون الكواكب كناية لطيفة عن القتلى إني كنت أكره أن يكونوا بهذه الحال التي ألقوا فيها بحيث لا كن ولا ظل يواريهم الثالثة لقائل أن يتوهم أنه عليه السلام أدركت وتري من بني عبد مناف والوتر الحقد وهو رذيلة فكيف يجوز منه أن ينسبه على نفسه ويقول قد أدركته والجواب أن الحقد هو حقيقته بقاء صورة الموذي في الخيال وتمني أن ينال الغضب منه وذلك في الدين لا يكون رذيلة ولا يكون الحق به ونصرته مكروها هذا وإن طلحة والزبير كانا من شجرة عبد مناف من قبل الأب إلا أن أبا الزبير من بني عبد العزى بن قصي بن كلاب وأما طلحة فمن بني سعد بن تيم بن مرة وكان فيه زعماء أمير المؤمنين ممن نجا من بني جمح عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف وعبد الرحمن

جمح

في كلام له بعد تلاوة ألهاكم التكاثر

بن صفوان قيل وكان مروان بن الحكم منهم اخذ اسيرا يوم الجمل واستشفع بالحسنين عليهما السلام وقد وصفوهم لقيا اعيان بني جمح وهم اليتامى
ايتم والخامسة اقلاع رقابهم استعارة كنى بها عن نظائرهم لارتحالا فزع كونهم البسوا اهلها ووضعهم كما يترعرع بهم دون تلك الامر
ويقتولهم عنده ومن كلام له عليه السلام قد احيا عقله وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع
كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه بطمانينة
بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه تعالى اقول هذا الفصل من اجل كلام له في وصف السالك
المحقق الى الله وفي كيفية سلوكه الحق وافضل اموره فاشار باحياء عقله الى صرف همته في تحصيل الكمالات العقلية من العلوم
والاخلاق واحياء عقله النظري والعملي بها بعد الرياضة بالزهد والعبادة واشار بإماتة نفسه الى قهر نفسه الامارة بالسوء و
تطويعها بالعبادة للنفس المطمئنة لا يكون لها تصرف على حد طباعها الا باشارة العقل ورسمه فكانت في حكم الميت عن الشهوات
والميول الطبيعية الذي لا تصرف له من نفسه وقوله حتى دق جليله اي حتى انتهت به اماتته لنفسه الشهوية الى ان دق جليله وكنى بجليله
عن بدنه فانه اعظم ما يرى منه ولطف غليظه اشارة الى لطف بدنه ايضا ويحتمل ان يشير به الى لطف قواه النفسانية بسبب الرياضة
وكسر الشهوة فان اعطاء القوة الشهوية مقتضى طباعها من الانهماك في الماكل والمشارب مما يثقل البدن ويكدر الحواس ولذلك
قيل البطنة تذهب الفطنة وتورث القسوة والغلظة فاذا قصرت على حد العقل بها لطفت الحواس عن الابخرة المتولدة عن
الامتلاء بالطعام والشراب ولطف الملطف ذلك ما غلظ من جوهر النفس بالهيئات البدنية المكتسبة من متابعة النفس الامارة
بالسوء كلطف المرآة بالصقال حتى يصير ذلك اللطف سببا لانفعالها بجمالها واستشرافها للانوار من الملا الاعلى وقوله
ولمع له لامع كثير البرق اشار باللامع الى ما يعرض للسالك عند بلوغ الارادة بالرياضة به حدا ما من الخلسات الى الجناب
الاعلى فيظهر له انوار الهية لذيذة شبيهة بالبرق في سرعة لمعانه واختفائه وتلك اللوامع مسماة عند الامعان في الرياضة ويحتمل
ان يكون قد استعار لفظ اللامع للعقل الفعال ولمعانه ظهوره لكن للعقل الانساني وكثرة برقه اشارة الى كثرة فيضانه الانوار
التشبيه بالبرق عند الامعان في الرياضة وقوله فابان له الطريق اي ظهر له بسبب تلك ان الطريق الحق الى الله هي ما هو
عليه من الرياضة وسلك به السبيل اي كان سببا لسلوكه في سبيل الله تعالى وقوله وتدافعته الابواب اي ابواب الرياضة وهي ابواب
الجنة اعني تطويع النفس الامارة والزهد الحقيقي والاسباب الموصلة اليهما كالعبادات وترك الدنيا فان كل تلك ابواب يصير بها
السالك حتى ينتهي الى باب السلامة وهو الباب الذي اذا دخله السالك تحقق فيه السلامة من الانحراف عن سلوك سبيل الله تعالى ثم
ان تلك هي الطريق وتلك الباب هو الوقفة التي اشرنا اليه وهو اول منزلة من منازل الجنة العقلية وقوله وثبتت رجلاه الى قوله
والراحة في قرار الامن متعلق بثبتت وهو اشارة الى الطور الثاني للسالك ما دام في مرتبة الوقت فانه يعرض له عند لمعان
تلك البروق في سره اضطراب الشوق فلقد يحس بها خلسة لان النفس اذا فاجاها امر عظيم اضطربت وتقلقلت فاذا كثرت تلك الغواشي
الفتها بحيث لا تنزعج عنها ولا تضطرب بورودها عليها البدن بل تسكن وتطمئن لثبوت قدم عقله في درجة علي من درجات الجنة التي
هي قرار الامن والراحة من عذاب الله وقوله بما استعمل الى آخره فالجار والمجرور متعلق بثبتت ايضا اي ثبتت رجلاه بسبب استعمال قلبه وفكره
في طاعة الله وارضاه ربه بذلك الاستعمال وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام قاله بعد تلاوة الهاكم التكاثر حتى زرتم
المقابر يا له مراما ما ابعده وزورا ما اغفله وخطرا ما افظعه لقد استخلوا منهم اي مدكر وتناوشوهم من مكان
بعيد افبمصارع آبائهم يفخرون ام بعديد الهلكى يتكاثرون يرتجعون منهم اجسادا خوت وحركات سكنت ولان يكونوا
عبرا احق من ان يكونوا مفتخرا ولان يهبطوا بهم جناب ذلة احجى من ان يقوموا بهم مقام عزة لقد نظروا اليهم بابصار العشوة
وضربوا منهم في غمرة جهالة ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية والربوع الخالية لقالت ذهبوا في الارض ضلالا
وذهبتم في اعقابهم جهالا تطؤون في هامهم وتستنبتون في اجسادهم وترتعون فيما لفظوا وتسكنون فيما خربوا وانما الايام
بينكم وبينهم بواك ونوائح عليكم اولئكم سلف غايتكم وفراط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر
ملوكا وسوقا سلكوا في بطون البرزخ سبيلا سلطت الارض عليهم فيه فاكلت من لحومهم وشربت من دمائهم فاصبحوا في
الاهوال ولا يحزنهم تنكر الاحوال ولا يحفلون بالرواجف ولا ياذنون للقواصف غيبا لا ينتظرون وشهودا لا يحضرون
وانما كانوا جميعا فتشتتوا والافا فافترقوا وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم عميت اخبارهم وصمت ديارهم ولكنهم سقوا
كاسا بدلتهم بالنطق خرسا وبالسمع صمما وبالحركات سكونا فكانهم في ارتجال الصفة صرعى سبات جيران لا يتانسون
واحباء لا يتزاورون بليت بينهم عرى التعارف وانقطعت منهم اسباب الاخاء فكلهم وحيد وهم جميع وبجانب الهجر وهم اخلاء

في بيان المحاجة مع اهل البغي

لا يتعارفون لليل صباحا ولا لنهار مساء اي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا شاهدوا من اخطار دارهم افظع مما خافوا ورأوا من اياتها اعظم مما قدروا فكلتا الغايتين مدت لهم الى مباءة فاتت مبالغ الخوف والرجاء فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا ولئن عميت اثارهم وانقطعت اخبارهم لقد رجعت فيهم ابصار العبر وسمعت عنهم اذان العقول وتكلموا من غير جهات النطق فقالوا كلحت الوجوه النواضر وخوت الاجسام النواعم ولبسنا اهدام البلى وتكاءدنا ضيق المضجع وتوارثنا الوحشة وتهكمت علينا الربوع الصموت فانمحت محاسن اجسادنا وتنكرت معارف صورنا وطالت في مساكن الوحشة اقامتنا ولم نجد من كرب فرجا ولا من ضيق متسعا فلو مثلتهم بعقلك او كشف عنهم محجوب الغطاء لك وقد ارتسخت اسماعهم بالهوام فاستكت واكتحلت ابصارهم بالتراب فخسفت وتقطعت الالسنة في افواههم بعد ذلاقتها وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها وعاث في كل جارحة منهم جديد بلى سمجها وسهل طرق الافة اليها مستسلمات فلا ايد تدفع ولا قلوب تجزع لرأيت اشجان قلوب واقذاء عيون لهم في كل فظاعة صفة حال لا تنتقل وغمرة لا تنجلي فكم اكلت الارض من عزيز جسد وانيق لون كان في الدنيا غذي ترف وربيب شرف يتعلل بالسرور في ساعة حزنه ويفزع الى السلوة ان مصيبة نزلت به ضنا بغضارة وشحاحة بلهوه ولعبه فبينا هو يضحك الى الدنيا وتضحك اليه في ظل عيش اذ وطئ الدهر به حسكه ونقضت الايام قواه ونظرت اليه الحتوف من كثب فخالطه بث لا يعرفه ونجي هم ما كان يجده وتولدت فيه فترات علل انس ما كان بصحته ففزع الى ما كان عوده الاطباء من تسكين الحار بالقار وتحريك البارد بالحار فلم يطفئ ببارد الا ثور حرارة ولا حرك بحار الا هيج برودة ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع الا امد منها كل ذات داء حتى فتر معلله وذهل ممرضه وتعايا اهله بصفة دائه وخرسوا عن جواب السائلين عنه وتنازعوا دونه شجي خبر يكتمونه فقائل يقول هو لما به وممن لهم اياب عافيته ومصبر لهم على فقده يذكرهم اسى الماضين من قبله فبينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الاحبة اذ عرض له عارض من غصصه فتحيرت نوافذ فطنته ويبست رطوبة لسانه فكم من مهم من جوابه عرفه فعي عن رده ودعاء مؤلم بقلبه سمعه فتصام عنه من كبير كان يعظمه او صغير كان يرحمه وان للموت لغمرات هي افظع من ان تستغرق بصفة او تعتدل على عقول اهل الدنيا أقول المرام المطلوب والزور الزائرون والخطر الاشراف على الهلاك وافظعه اشده الذي جاوز الحد في شدته واستخلوا اي اتخذوا والتخلية الذكر وتناوشهم تناولهم والتناوش التناول والحجى والحجا العقل وهو العقل والعشوة ركوب الامر على جهل به ويرتعون يتنعمون والفارط السابق الى الماء والمورد وجلبات الفخر جماعاته والسوقة جمع سوقة وهي الرعية والبرزخ ما بين الدنيا والاخرة من وقت الموت الى البعث والفجوات جمع فجوة وهي المتسع من الارض والضمار الغائب الذي لا يرجى ايابه ويجعلون يتأولون والولوج الدخول ويا دون يهلكون والنخاع الصفرا نشاوهما السيا الوتم واصلها الواحد وافظع اشد والمباءة الموضع والايات العبر وتكاءدنا شق علينا وصعب وتهكمت تهدمت والارتساخ الثبات في قرارها والهوام واستكت انسدت وذلاقة اللسان حدته وسهولة الكلام به وهمدت سكنت وبليت ومات واشجان جمع شجن وهو الحزن والاقذاء الانيق المعجب للناظر والغضارة طيب العيش ولين الجانب والكثب القرب والبث الحال والنجي الهم وعن الفترة والقار البارد وذو الفضل وابدى فالاول اللام في قوله الدام لجر النفخة كقولهم يا لله ويا للماء والجار والمجرور في محل النصب لانه المنادى ويروى بامراما ورامياً وزوراً وخطراً منصوبات على التمييز والغرض التعجب من بعد ذلك المرام وهو التكاثر فان الغاية المطلوبة منه لا يدركها الانسان لان كل غاية يبلغها فوقها غاية اخرى فلا يدركها عنده فنطمع اليها وذلك التعجب من شدة غفلة الزوار اي الزائرين المقابر ولان الكلام خرج بسبب الامر وظاهر غفلة الانسان عما بين يديه ويتقدم ذلك تربانه عليه غفلة عظيمة وهي محل التعجب من فظاعة الخطر والاشراف على شدائد الاخرة فان كل خطر دنيا وتبصر في جنبه والضمير في قوله استخلوا الاحياء وفي منهم للاموات وعنى بالذكر ما سلفوه من الاثار التي هي محل العبرة وقوله اي مدكر استفهام على سبيل التعجب من ذلك الذكر في اخبار الاجر للعبرة والا ينظروا منا وشوهوا من مكان بعيد اي تركهم ما ينتفعون به وقوله من جهة الانتفاع به ونسوا وهم من جهة بعيدة والذكر تناولوه هو افتخاركل منهم بما به يتولونه ومكاثرته بالماضين من قومه الذين هم بعد الموت ابعد الناس عنه واللذين كمالاتهم ابعد الكمالات عنه وكنى بالمكان البعيد عن ذلك لانه فان الامور وكانهم في ابعد الاشياء عن الاحياء والانبياء لذلك استفهم من ذلك استفهام انكار وتوبيخ فقال افبمصارع ابائهم يفخرون الى قوله سكنت وذلك لانه محل الافتخار بهم نكاياتهم يذكرهم اذ الفخر ذا ادعوهم بعد عونهم ويحتمل ان يكون ذلك مستفهما عنه ايضا على سبيل الانكار وان لم يكن حرف الاستفهام والتقدير ايفخرون منهم بفخرهم اجسادا خوت وقوله ولان يكونوا عبرا احق من ان يكونوا مفتخرا مؤكد لتوبيخهم على ترك العبرة بالذكر الذي هو خير النفع واخذهم باوجه التعبيد وهو الافتخار وكنى بقوله لان يهبطوا بهم جناب ذلة اي الاعتبار بهم فانه يستلزم الخشوع لعزة الله والخشية منه وذلك اولى بالعقل والتدبير من ان يقوموا بهم مقام عزة بالمفاخرة والمكاثرة واضاف

ج ٢

في بيان احتجاجه مع اهل البغي

الابصار الى المشوه لتشبيهها البهائم اي نظروا اليها بابصار قلوب غطى عليها الجهل باحوالهم فما تعرف تلك الاحوال حقها الرجال زعامهم وقوله
استنطقوا الى قوله لقالت اي لو طلبت منها النطق لقالت بلسان حالها كذا وكذا الى قوله وتنكتون فيها خربوا ويحتمل ان يكون في
الفصل كلمة معقولا لقبلت لسان حال تلك الديار والضلال النضيح في قوله ضلالا الا رجعها الاعطى الحال الذي هبوا في الارض فالكين وذهبتم
جاهلين باحوالهم تطون رؤسهم وتستنبتون الاشجار في اجسادهم وتلك في المواضع التي يلبث فيها الاجساد واستعار لفظ البوكي
والنواح لايام الحيوة ملاحظة لتشبيهها في مفارقتهم لها بالامهات التي فارقها اولادها بالموت وقوله واولئك سلف غايتكم وفراط
مناهلكم السابقون لكم الى غايتكم وهي الموت وما بعده والى مناهلكم وهي تلك الموارد ايضا ومقاوم جمع مقام لان القعود
وملوكا سوقا نصب على الحال وبطون البرزخ ما غاب بطن منه عن علومنا ومشاهدتنا والسبيل هو مسالك القدر الى غاياتهم
الاخروية من سعادة او شقاوة وتشبيه الاكل والشرب الى الارض مجاز بمجاز يقارب الحقيقة في كثرة الاستعمال وانما سلب عنهم الشعور
الفزع من ورود اهوال الارض عليهم والحزن من تغير الاحوال بهم والحفلة بزلزال الارض وسماع الرياح القاصفة ولانتظار الكون وذلك
من توابع الحيوة وصفاتها فان قلت فهذا ينافي ما نقل من عذاب القبر فانه يستلزم الفزع والحزن قلت انما سلب عنهم الفزع والحزن من
احوال الدنيا المشاهدة لنا وكذلك الحفلة باصواتها وسماعها وعذاب القبر ليس من ذلك القبيل بل من احوال الاخرة واهوالها ولا يلزم
من سلب الفزع الخاص سلب العام ونبه على تغيبهم وشهودهم ليس كيفية اهل الدنيا وشهودهم اذ كان الغائب في الدنيا من شانه
ان ينتظر والشاهد فيها حاضر وهم شاهدون بابدانهم مع صدق الغيبة عليهم عنا اي بانفسهم ولما امتنع ذلك الحضور لا جرم صدق
انهم غيب لا ينتظرون وشهود لا يحضرون وقوله وما عن طول عهدهم الى قوله سكوتا اي عدم علمنا باخبارهم وعميم ديارهم فقد
ندائنا ليس لاجل طول عهد بيننا وبينهم ولا لبعد محلهم ومستقرهم فان البعد حال الموت وهو بعد مطروح الجسد شاهدنا
نعي علينا الجنازة ولا يسمع ندا ونادي باره ولكن ذلك لاجل انهم سقوا كاسا المنية فبدلتهم بالنطق خرسا وبالسمع صمما
بالحركة عن النوم ونحر الشبيه علم الحركات والسماع والنطوق الحد المشاهدة من المستغرق في نومه ثم نبه على انهم في احوالهم الاخروية
تجاورهم مع وحدتهم وتقاطعهم ليس كتلك الاحوال في الدنيا اذ من شان الجيران فيها ان يانس بعضهم ببعض والاحباب ان يتزاوروا
والوصل ان لا يكون في جماعتهم ... بالجوار الى تقاربها بدانهم في القبور وبالمحابة التي كانوا عليها من لحاقهم الدنيا وهجرهم
الى عدم تزاورهم وكذلك تحليلهم الحافا كانوا عليه من المودة في الدنيا وكونهم لا يتعارفون لليل صباحا ولا لنهار مساء لكون الليل
والنهار من لواحق الحركات الدنيوية الغائبة عنهم فتساوى الليل والنهار بالنسبة اليهم وكذلك قوله اي الجديدين الى قوله سرمدا
والجديدان الليل والنهار لتجدد كل منهما ابدا واستعار وصف الظعن لانتقالهم الى الدار الاخرة وكون ذلك الجديد الذي ظعنوا فيه
سرمدا عليهم ليس حقيقة لعدم عوده بعينه بل شابه السرمدية الابدية لكونه حرا من الزمان الذي يلزمه السرمدية لذا تحقيقه وقوله
شاهدوا الى قوله غايتوا اشارة الى صعوبة اهوال الاخرة وعظم احوالها بالنسبة الى ما يخاف منها في الدنيا وذلك لعرفه بلسان
الشريعة الحقة وناكد باستقراء اللذات والالام العقلية ونسبتها الى الحسية ثم ان الخوف والرجاء لامور الاخرة انما يبعثان بحسب
وصف تلك الامور وانما يعقل من تلك الاوصاف ما كان منها مناسبة وشبيها بالامور المخوفة والمرجوة في الدنيا فيقصر وذلك
على قياس هذه فذلك سبب سهولتها علينا وضعف خوفنا منها وهما شاهدوا اخطار تلك الدار شاهدوا الشد
ما يخافه الان ويصوره ونقدره بافهامنا فلا جرم لما وصل السابقون شاهدوا افظع مما خافوا ولو امكنهم النطق لعبروا بصفة ما شاهدوا
منها بعجزوا عن شرحها وقوله وكلتا الغايتين اي غاية المؤمنين والكافرين من سعادة وشقاوة مدت اي مدت لهم اجل ثم موت غير الى غاية
يرجع وهو الجنة او النار وذلك المرجع يفوت مبالغ خوفنا ورجائنا اي هو اعظم مما نخافه ونرجوه واسند المد الى الغاية مجازا وقوله
ولئن عميت الى قوله النطق من افصح الكلام وابلغه وليصفنا العبر البصائر التي يعتبر بها وانا لمعقول مجاز باحوالهم التي من
شانها ان تسمع اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقوله وكلمتهم من غير جهات النطق اي من غير افواه والسنة لحاجتهم ولكن بالسنة احوالهم
وقوله فقالوا الى قوله مشبها اشارة الى ما تنطق به السنة احوالهم ويحكيه منها حال القبور عوض خلق جديد واستعار لفظ
الاهدام للتغير النفسي والتفريق العارض لجسم الميت لمشابهتها العظم البالي ويحتمل ان يريد بها الاكفان والمضجع القبر
الوحشة القبر واستعار لفظ التوارث لكون تلك الوحشة كانت لابائهم قبلهم فحصلت لهم بعدهم والربوع الصموت القبور وكذا
مساكن الوحشة ومعارف صورهم ما كان معروفا منها في الدنيا وقوله فلو مثلتهم بعقلك اي تخيلت صورهم واستحضرتها في خيالك
وكشف عنهم محجوب الغطاء لك اي ما حجب بالغطية التراب التواتر لاجسادهم عن بصرك والواو في قوله وقد ارتسخت الحال
استعادة الجيوم وانشاء الجملة لي يدا لتلى مجازا ومستتبعا لحال المحاورج العامل حاشر في قوله

او وحشة

لو احس بقوله ثم في كل مقامه عند حاله لا تشغل بغمرة الاشجان ووصفنا اجمالنا فانه لا مزيد عليه في البلاغة الذي به واراد بالغمرة
من الفظاعة ما يصيبهم من الشدائد والفكر ضيل يعني معنوي اي مغفل به بالترف وقوله ونزع الى السلوة اي عن المصيبة لتا له
الى المسرات والتنزهات وضحكه الى الدنيا كناية عن غرارته اخبر بها وبما فيها من اللذات وتنافيه امثاله عليها الان غاية المبتهج بالشيء
ان يضحك له وكذلك ضحك الدنيا مجاز في اقبالها عليه واطلاق اسم السبب الغائي على مسببه ووصل بينا بينه والالف عوض ما
القصة والعيش والغفول الذي يكثر الغفلة فيه لطيبه واستعار لفظ الحسك للآلام والامراض ومصائب الدهر ورشحها بالتشابه
استلزامها للاذى كما يستلزم الحسك له ورشح بذكر الوطي استعارة ووصف النظر الاقبال الحتوف اليه لاستعداد لها فاستعار
في ذلك الراصد المترقب للصوت اليه نظر لتفقيده والبث الحزن من الهم الخالي التي لا يجدها الانسان عند عدم الموت من الوسواس
والتخيلات والهموم والاحوال التي لم تكن تعرض له وقوله بحشيه فترات علل آنس ما كان لصحته وانتصاب آنس على الحال وما بعض الزمان
وكان ناشر وبصحته متعلق ببارد والا ثور حرارة الى قوله ذات داء اشارة الى لوازم العلاج عند سقوط العلة من المرض الحارة والتا
المقاوم لها وليس العلاج بالبارد هو المثير للحرارة ولا بالعكس لان الدواء معين للطبيعة على مقاومة المرض فلا يكون مثيرا
له لكن مع ذلك العلاج وذلك لا غاية لغلبة الحرارة والبرودة ويظهر بسبب ذلك اي الدواء وكذلك قوله ولا اعتدل بممازج لتلك
الطبائع الا امد منها كل ذات داء اي ولا اعتدل المريض في علاجه نفسه بما يمازج تلك الطبائع من الحرارة والبرودة والرطوبة
واليبوسة الا كان مادة وكذا منها والمراد مادته على الحقيقة لما كان يغلب معه المرض على القوة فكانه مادة له فنسب اليه وهي مواد
عرفية يقال كثيرا والكلام فيها على التعارف وقوله حتى فتر معلله غاية تلك اللوازم ومعلله طبيبه وممرضه وخرسهم عن جواب السا
اشارة الى سكوتهم عند السؤال عن حاله وذلك انهم لا يخبرون عن عافيته لعدمها ويكره نفوسهم الاخبار بما هو عليه من الحال
لشكها عليهم فيكون شانهم في ذلك السكوت وحال الشجى للحزن في فوته فذلك شجى الخبر وقوله وسارعوا الى قوله من قبله
اشارة الى ما يجاوره اهل المريض المشرف على الموت من احواله وصورة ما اعتاده مجاريتهم يقولونه وقوله فبينا كان الى صفة حال
الاخذ في الموت بعينها للناس وقوله وان الموت لهو ذلك الغراب وكونها اقطع من ان يحيط بها وصف الانسان فيتفهم بها
على الانسان كما يجري عليهم ويعلم ذلك على سبيل الجملة والحدس والقياس الى الامراض الصعبة التي تمارسها الناس ويشتد عليهم
عليهم فيعرف عند مقاساتها ومعاناة شدائدها وكان صلى الله عليه وآله يقول في سكرات موته اللهم اعني على سكرات الموت وما يخبر
عليه الرسول صلى الله عليه وآله بحاله ايضا انه بالغاية الاعلى فلا شك في شدته وما شاء الله توفيق **ومن كلام له عليه السلام** قاله عند
تلاوته قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ان الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة وتبصر
به بعد العشوة وتنقاد به بعد المعاندة وما برح لله عزت آلاؤه في البرهة بعد البرهة وفي ازمان الفترات عباد
ناجاهم في فكرهم وكلمهم في ذات عقولهم فاستصبحوا بنور يقظة في الاسماع والابصار والافئدة يذكرون بايام الله ويخوفون
مقامه بمنزلة الادلة في الفلوات من اخذ القصد حمدوا اليه طريقه وبشروه بالنجاة ومن اخذ يمينا وشمالا ذموا اليه
الطريق وحذروه من الهلكة وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات وادلة تلك الشبهات وان للذكر لاهلا اخذوه من
الدنيا بدلا فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه يقطعون به ايام الحيوة ويهتفون بالزواجر عن محارم الله في اسماع الغافلين و
يأمرون بالقسط ويأتمرون به وينهون عن المنكر ويتناهون عنه فكانما قطعوا الدنيا الى الآخرة وهم فيها فشاهدوا ما وراء
ذلك فكانما اطلعوا غيوب اهل البرزخ في طول الاقامة فيه وحققت القيامة عليهم عداتها فكشفوا غطاء ذلك لاهل الدنيا حتى
كانهم يرون ما لا يرى الناس ويسمعون ما لا يسمعون فلو مثلتهم لعقلك في مقاومهم المحمودة ومجالسهم المشهودة وقد
نشروا دواوين اعمالهم وفرغوا لمحاسبة انفسهم على كل صغيرة وكبيرة امروا بها فقصروا عنها او نهوا عنها ففرطوا فيها وحملوا ثقل
اوزارهم ظهورهم فضعفوا عن الاستقلال بها فنشجوا نشيجا وتجاوبوا نحيبا يعجون الى ربهم من مقام ندم واعتراف لرايت اعلام
هدى ومصابيح دجى قد حفت بهم الملائكة وتنزلت عليهم السكينة وفتحت لهم ابواب السماء واعدت لهم مقاعد الكرامات
في مقام اطلع الله عليهم فيه فرضي سعيهم وحمد مقامهم يتنسمون بدعائه روح التجاوز رهائن فاقة الى فضله واسارى
ذلة لعظمته جرح طول الاسى قلوبهم وطول البكاء عيونهم لكل باب رغبة الى الله منهم يد قارعة يسألون من لا يضيق لديه
المنادح ولا يخيب عليه الراغبون فحاسب نفسك لنفسك فان غيرها من الانفس لها حسيب غيرك **اقول** الوقرة الثقل
من الوقر وهو الصمم والعشوة الغفلة من العشا وهو ظلمة العين بالليل دون النهار والبرهة المدة الطويلة من الزمان ويهتفون يصيحون
والبرزخ ما بعد الموت من مكان وزمان والنشيج الصوت في ترديد النفس عند البكاء والمنادح جمع مندح وهو المتسع وقوله ان الله

كلام له عند تلاوته رجال لا تلهيهم

قال ولا الجهاد

سبحانه الى قوله بعد المعاندة اشارة يستحق الاشارة الى الذكر وتعظيمه وتنبيه على ان الذكر هو القرآن الكريم لقوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه
ونحوه ويحتمل هو اشارة الى تحميده تعالى وتسبيحه وتكبيره وتهليله والثناء عليه ونحو ذلك اما فضيلته فمن القرآن وقوله فاعمل ابن آدم عملا
انجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله الا ان تضرب بسيفك الى ان ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثلثا او
قوله من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله ونحو ذلك فاما فائدته فاعلم ان المؤثر من الذكر والنافع منه ما كان على
الدوام او في اكثر الاوقات مع حضور القلب بدونهما فهو قليل الجدوى وبذلك الاعتبار هو المقدم على سائر العبادات بل هو روح العبادات
العملية وغايتها ولما كان يوجب الانس بالله وذلك ان المريد في مبدأ امره يكون متكلفا الذكر لصرف قلبه
ولسانه عن الوسواس فان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ومما ينبه على ذلك ان احدنا يمدح بين يديه شخص ويذكر بحميد
الخصال فيحبه ويعشقه بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر اضطر الى كثرة الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر
ذكره ومن اكثر من ذكر شيء وان كان متكلفا احبه وقد شاهدنا ذلك كثيرا فكذلك اول ذكر الله متكلف الى ان يثمر الانس به والحب له ثم
يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الثمرة ثمرا وذلك كما قال بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس
والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة حتى يصير التكلف طبعا ثم اذا حصل الانس بالله انقطع عن غير الله وما سوى الله هو الذي
يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا المحبوب المذكور فيتمتع به ويتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة
عنه من اسباب الدنيا محجوبا بها اذا عرفت ذلك فقوله جعله جلاء اشارة الى فائدته وهي استعداد النفوس لجلائها على الوجه الذي
ذكرناه لمحبة المذكور والاعراض عما سواه واستعار لفظ الجلاء لازالته كل ما سوى المذكور عن لوح القلب بالذكر كازالة الصدأ عن المرآة بالصقال
وتجوز بلفظ السمع في افهامها لما ينبغي ان يسمع من اوامر الله ونواهيه وسائر كلام الوعظ وكذلك بلفظ البصر في
ادراكها الحقائق وما ينبغي لها ولفظ الوقرة لعدم ذلك الادراك اطلاقا لفظ المجاز لاسم السبب على المسبب وانقيادها له
للحق وسلوك طريقه بعد المعاندة فيه والانحراف عنه وقوله وما برح الى قوله عقولهم اشارة الى انه لم يخل الدهر وازمان الفترات
عن عباد لله واولياء له الهمهم معرفته وناجاهم في افكارهم وعقولهم صور الحق بكيفية الهداية اليه مكاشفة وتلك الافاضة
والالهام هو المراد بالمناجاة والتكلم منه وقوله فاستصبحوا الى قوله والافئدة اي استضاؤوا بمصباح نور اليقظة واليقظة
في الافئدة فطانتها واستعدادها الكامل لما ينبغي لها من الكمالات العقلية ونور تلك اليقظة هو ما يفاض عليها بسبب استعدادها
بتلك الفطانة ويقظة الابصار والاسماع بتنبههما للامور النافعة المحصلة منها عبرة وكالانتفاع بسماع النافع من الكلام
فيها وانوار اليقظة فيما يحصل بسبب تلك الابصار والسماع من انوار الكمالات النفسانية ثم شرع في وصف حالهم في هديهم لسبيل الله
بايام الله وهي كناية عن شدائده النازلة بالماضين من الامم وامثالها ويحتمل ان يكون مجازا لاسم المحل على الحال
مقام الله كناية عن عظمته وجلاله المستلزمة للهيبة والخوف وشبههم بالادلة في الفلوات ووجه الشبه كونهم هداة في سبيل
الله كما يهدي الادلة وكما ان الادلة يحمدون لمن اخذ القصد في الطريق طريقه ويبشرونه بالنجاة ويحذرونه عنها يمينا وشمالا ويذمون اليه الطريق
ويحذرونه من الهلكة كذلك هؤلاء الى الله من سلك سبيل الله القصد حمدوا اليه طريقه وبشروه بالنجاة من اهوال الاخرة ومن
انحرف عنها يمينا وشمالا اي سلك احد طرفي الافراط والتفريط ذموا اليه مسلكه وحذروه من الهلكات الابدية وقوله كانوا كذلك
وصفناهم واستعار لفظ المصابيح باعتبار اضاءتهم بعلومهم ولفظ الادلة باعتبار هدايتهم الى الحق وتنزههم عن شبهات الباطل
وقوله وان للذكر لاهلا الى قوله في ايام الحياة فاهله هو من ذكرنا انهم اشتغلوا به حتى احبوا المذكور وتنزهوا عما عداه من المحبوبات
الدنيوية وان حب محبة المذكور وذكره وملازمته حتى اتخذوه بدلا من متاع الدنيا ولذاتها لم تشغلهم عنه تجارة ولا بيع
به ايام حياتهم الدنيا وقوله ويهتفون الى قوله ويأتمرون اشارة الى وجوه طاعتهم شكرا لعبادتهم لله وهي من ثمرات الذكر
ومحبة المذكور لان من احب محبوبا سلك مسلكه ولم يخالف رسمه فكان له في تلك الابتهاج واللذة وقوله فكانما قطعوا الى قوله
[illegible] في نفسهم بالله وما جاءت به كتبه ورسله وتحققهم لاحوال القيامة ووعدها ووعيدها بعين اليقين فرفع
الدنيا من احوال اهل البرزخ وطول الاقامة فيه فكشفوا غطاء تلك الاحوال لاهل الدنيا بالعبارات الواضحة والكنايات اللائقة حتى
كانهم في مسمعهم لها عن صفاء اسرارهم وصفاء جواهر نفوسهم بالرياضة التامة يرون بابصارهم ما لا يرى ويسمعون ما لا يسمع
الناس اذ يخبرون عن مشاهدات ومسموعات الابد بها الناس لما كان السبب في قصور النفوس عن ادراك احوال الاخرة هو تعلقها
بهذه الابدان واشتغالها بتدبيرها والانغماس في الهيئات الدنيوية المكتسبة منها وكان هؤلاء قد [illegible] تلك الهيئات
عن الواح نفوسهم بمداومة ذكر الله وملازمة الرياضة التامة حتى صارت نفوسهم كمرآة مجلوة محاذية بها شطر الحقائق الالهية فتجلت
ما انتقشت بها لا جرم شاهدوا ما بين النقيضين سبيل النجاة وسبيل الهلاك وما بينهما فسلكوا على بصيرة ووعظوا الناس على يقين ولهذا

كلام له عند تلاوته آية رجال

عن امور شاهدوها بأعين بصائرهم وسمعوا بآذان عقولهم فكانهم في وضوح تلك لهم وظهوره واخبارهم عنه قد شاهدوا ما شاهده الناس
بحواسهم وشاهدوا ما لم يشاهده الناس وسمعوا ما لم يسمعوه وقوله فلو مثلتهم بعقلك استحضر صورهم وانهماكهم في مقاماتهم المحمودة
ومجالسهم المشهودة وهي مقامات العبادة ومجالسها وقد نشروا دواوين اعمالهم بافكارها ويتخيلونها لصوت لا يعمل وبعضهم المشبهة تعقيح
الاوزان والواو في قوله وفرغوا للمحاسبة انفسهم على كل صغيرة وكبيرة ليستدل بها على فضيلة المحاسبة ولما كان معناها استكمال محاسبة
يكون النظر معه في رأس المال في الربح والخسران ليتبين له الزيادة والنقصان وان كان من فضل حاصل استوفاه وان كان من خسران طالبه بقضائه
وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك العبد يعامل نفسه والبضاعة ورأس مالها الفرائض وربحها النوافل والفضائل والخسران المعاصي وموسم هذه
التجارة جملة النهار فينبغي ان يكون للعبد في اخر كل نهار ساعة يطالب فيها نفسه ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها فان كان قد ادى الفرائض
على وجهها ولم ... فيها من اصلها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها
ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرطها كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة
والنقصان كذلك ينبغي ان يتقي غبينة النفس ومكرها فانها مخادعة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عما تكلم به طول نهاره وليتولى
من حسابها بنفسه ما سيتولاه غيره في محفل القيمة وكذلك عن نظره وخواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه وحتى عن سكونه
وسكوته فاذا عرف انها ادت الحق في الجميع كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر بها الباقي ويقرره عليها ويكتبه على صحيفة قلبه ثم ان النفس
غريم يمكن ان يستوفى منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا
بعد تحقيق الحساب وتمييز باقي الحق الواجب عليه ثم يشتغل بعده بالمطالبة وينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وفي جميع
الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فاذا هو ستون سنة فحسب ايامها فاذا
هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتي القى الملك باحد وعشرين الف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا
يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى وهكذا ينبغي ان تكون المحاسبة ولو رمى العبد بكل معصية حصاة في داره لامتلأت داره في مدة
يسيرة من عمره ولكنه يتساهل في حفظها والملكان يحفظان عليه كما قال تعالى احصاه الله ونسوه واذا عرفت ذلك فقوله وفرغوا
لذلك تبين نفسهم الى قوله ندم واعتراف اشارة الى حال وجدانهم عند محاسبة انفسهم لتقصيرها والحسرات في ... التي بها اطاعوا
ربهم ونحيبهم وضجيجهم في التندم والاعتراف بالذنب اشارة الى حالهم في تدارك ذلك الحسرات بالشروع في الجبران فاول مقاماتهم
التوبة ولوازمها المذكورة ثم العمل وقوله لرأيت الى قوله الراغبون وصف احوالهم المحمودة واللام في قوله لرأيت جواب لو في قوله فلو مثلتهم واستعار
لهم لفظ الاعلام والمصابيح باعتبار كونهم ادلة الى طريق الله تعالى وذوي انوار يستضاء بها فيها وحفوف الملائكة بهم كناية عن اجلالهم واعظامهم بسبب
ذلك لكمال استعدادهم لقبول الانوار عن الله بواسطة ملائكته الكروبيين وفيضها عليهم عنهم وفي ذلك الاشارة الى اكرامهم ... وفي
قوله وتنزلت عليهم السكينة اشارة الى مواضع استعداد نفوسهم لافاضة السكينة عليها وهي المرتبة الثالثة من احوال السالك بعد الطمأنينة
وذلك ان تكثر تلك البروق واللوامع التي كانت مستبشرة حتى يصير ما كان مخوفا منها مألوفا وكانت تحصل له السكينة فيصير حصولها
بمشيئته وارادته وفتح ابواب السماء لهم اشارة الى فتح ابواب سماء الجود الالهي بافاضة الكمالات عليهم كما قال تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ومقاعد الكرامات
مراتب الوصول اليها وتلك المقاعد التي اطلع الله عليهم فيها ورضي سعيهم بالاعمال الصالحة المبلغة اليها وحمد مقامهم فيها وقوله يتنسمون بدعائه
روح التجاوز اي يرجونه ويتوقعون بدعائهم ... وزره ... ذنوبهم لانه لا يحصل تقصيرهم فيما عساهم قصروا فيه سببا للانقطاع فيطلبون عند ذلك
في بدء المسرة وكنى بلفظ الاسارى ... مقام الذلة ... كالاسير بالنظر الى العظمة من اسره وقوله قد جرح الى قوله
عيونهم فذلك الجرح من لوازم اطلاعهم على خيانة انفسهم وخشيتهم في مقاماتهم لها بعد محاسبتها وقوله لكل باب الى قوله قارع اشارة الى قرعهم
لكل باب من ابواب الرغبة الى الله الى توجيه اسرارهم وعقولهم الى القبلة الحقيقية استشرافا لانوار الله واستماعا للجود وقوله يسأل من الى قوله
المنادح اشارة الى سعة جوده وفضله انه اكرم الاكرمين ليتبين انه لحق سؤالهم واعطاء سؤلهم وانه اولى من توجه اليه في اسداء المعروف وقوله فحاسب نفسك لنفسك
الى اخره اي فتولى انت حساب نفسك فان حساب غيرها من النفوس يتولاه غيرك وانت لم تحاسبها ... واسرع الحاسبين وذلك في معنى تعديد
الانسان على ترك محاسبة نفسه وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ادحض
مسؤول حجة واقطع مغتر معذرة لقد ابرح جهالة بنفسه يا ايها الانسان ما جرأك على ذنبك وما غرك بربك وما انسك بهلكة
نفسك اما من دائك بلول ام ليس من نومتك يقظة اما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرها فلربما ترى الضاحي لحر الشمس فتظله او ترى
المبتلى بألم يمض جسده فتبكي رحمة له فما صبرك على دائك وجلدك على مصابك وعزاك عن البكاء على نفسك وهي اعز الانفس
عليك وكيف لا يوقظك خوف بيات نقمة وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته فتداو من داء الفترة في قلبك بعزيمة ومن
كرى الغفلة في ناظرك بيقظة وكن لله مطيعا وبذكره آنسا وتمثل في حال توليك عنه اقباله عليك يدعوك الى عفوه ويتغمدك

ازهادهم وما ثبت فيها من انعام ومشتهيات تتبع نفوسهم الامارة

بفضله وانت

كلام له عند تلاوته يا ايها الانسان

خ ٢

بفضله وانت متوثب على معصيته فتعالى من قوي ما اكرمه وتواضعت من ضعيف ما اجرأك على معصيته وانت في كنف ستره مقيم
وفي سعة فضله متقلب فلم يمنعك فضله ولم يهتك عنك ستره بل لم تخل من لطفه مطرف عين في نعمة يحدثها لك او سيئة
يسترها عليك او بلية يصرفها عنك فما ظنك به لو اطعته وايم الله لو ان هذه الصفة كانت في متفقين في القوة متوازيين
في القدرة لكنت اول حاكم على نفسك بذميم الاخلاق ومساوي الاعمال وحقا اقول ما الدنيا غرتك ولكن بها اغتررت ولقد
كاشفتك العظات وآذنتك على سواء ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقص في قوتك اصدق واوفى من ان تكذبك
او تغرك ولرب ناصح لها عندك متهم وصادق من خبرها مكذب ولئن تعرفتها في الديار الخاوية والربوع الخالية لتجدنها
من حسن تذكيرك وبلاغ موعظتك بمحلة الشفيق عليك والشحيح بك ولنعم دار من لم يرض بها دارا ومحل من لم يوطنها محلا
وان السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم اذا رجفت الراجفة وحقت بجلائلها القيامة ولحق بكل منسك اهله وبكل معبود
عبدته وبكل مطاع اهل طاعته فلم يجز في عدله وقسطه يومئذ خرق بصر في الهواء ولا همس قدم في الارض الا بحقه فكم حجة
يوم ذاك داحضة وعلائق عذر منقطعة فتحر من امرك ما يقوم به عذرك وتثبت به حجتك وخذ ما يبقى لك مما لا تبقى
له وتيسر لسفرك وشم برق النجاة وارحل مطايا التشمير اقول ادحض ابطل وابرح جهالة بنفسه بالغ في تحصيل جهالة لها

الشحيح

وانجبر بذلك والبلول الصحة والضاحي البارز للشمس والمضض الوجع والالم والسطوة البطش والقهر والسطوة المرة منه والجمع سطوات والتجلد
التقوي والتصبر والورطة الهلاك وتعدك تتوعدك والكنف الجانب والجلائل الكبار والمنسك موضع العبادة واصله كل
موضع يتردد اليه ويقصد والتحري طلب الاحرى والاولى وشم برق النجاة اي انظر اليه فقوله ادحض خبر مبتدأ مضمر والتقدير انسان

فصل

عند سؤال ربه له ما غرك بربك الكريم ادحض مسؤول حجة واشد انقطاعا في عذره بما لقنه من تجهيل نفسه وكثرة ابتهالها في متابعة
هواها وتركها عن الاصلاح والمنصوبات الثلاثة تمييز وقوله يا ايها الانسان الى قوله بنفسك استفهامات عن اسباب جرأته على الذنوب

بهلكة

واستباعه وغفلته عن بلية وعن اسباب اتيانه بهلكة نفسه بتوريطها في المعاصي استفهاما على سبيل التقريع والتوبيخ ويحتمل
ان يكون قوله ما انسك تعجبا وكذلك الاستفهام عن داء الجهل ويقظة من نوم الغفلة لنفسه كما يرحم غيرها
الا ان الاستفهامات الثلاثة الاولى يطلب فيها تصور تلك الاسباب وفهم حقيقتها على سبيل تجاهل العارف وفي هذه الثلاثة الاخيرة
يطلب فيها التصديق ثم نبه على وجوب رحمته لنفسه كما يرحم غيرها بقوله فلربما ترى الضاحي الى قوله تعتز له وهي في قوة صغرى
قياس احتج به وتقديره انك ترحم من تراه في حر الشمس فتظله او مبتلى بالم فتبكي رحمة له وكل من كان كذلك فاولى ان يرحم نفسه
باتقائها بلا ذنوب فينتج انك اولى ان ترحم نفسك من دائها وقوله فما صبرك الى قوله الا تنفس عليك استفهام عن اسباب صبره
على دائه وتجلده على مصائبه التي لحقته بسبب تلك الذنوب وتعزيره على البكاء على اعز الانفس عليه استفهام توبيخ وكلام بعد
تلك الاسباب ظاهر ثم نبه بقوله وكيف لا يوقظك الى قوله سطواته على بعض اسباب اليقظة لعظمة الله عن الغفلة عنها وهي خوف بيات نقمته
ان يبغتها بياتا كقوله تعالى افأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون وتذكر سطوات الجبار بيقظته وقهره وهي بحال المعاصي
واسبابها والتورط فيها لحصول السلوك المستلزم للهلاك الاخروي وقوله فتداو الى قوله بيقظة تنبيه على الدواء من الفترة في القلب عن
ذكر الله وهو العزيمة على طاعته والاجماع على ملازمة ذكره ومن نوم الغفلة في ظاهر القلب عن ذلك باليقظة ثم امره بتبعات ان يكون
ذلك لتعهد عليه وذلك ليقظته دوما طاعة الله وتحصيل الاذى بدوام ذكره وقوله تمثل الى قوله يصرفها عنك تنبيه له على
ضروب نعم الله عليه ومقابلته لها بالكفران والمعصية لعله يتذكر او يخشى فامره ان يتمثل في نفسه حال اعراضه عن ربه وانهماكه في
معصيته اقباله عليه بضروب من دعوته له وكلامه على السنة خواص رسله الى عفوه وتغمده اياه بفضله واقامته في كنف ستره وتقلبه
في سعة فضله لم يمنعه فضله ولا هتك عنه ستره لما قابل تلك النعم بالكفران والمعصية بل لم يخل من لطفه مقدار طرفة عين في ذلك اللطف
في نعمة يحدثها له او سيئة يسترها عليه او بلية يصرفها عنه فاحسن بهذا التنبيه فانه انبه شيء بضروب هذه النعم في حال الاقبال
على المعصية من اقوى الجوانب الى التشبه وانما قال تمثل لان الحاضر في الذهن ليس هو نفس اقبال الله على العبد بل مثاله
ويدعوه في موضع الحال وكذلك الواو في قوله وانت المتلازمان فضله كان عليك حال معصيتك له كثيرا كما تقدم بيانه فظاهر الاولى
ان يتم فضله عليك حال طاعتك اياه وتحسين ظنك به وقوله وايم الله الى قوله الاعمال اي لو كان هذا الوصف الذي ذكرناه من اقبال الله
عليك بضروب نعمه ومقابلتك له بالاعراض عنه والاقبال على معاصيه وصف شخصين من الناس في القوة والقدرة والمنزلة وكنت انت
المسيء منهما لكان فيما ينبغي لك من الحياء ان لا تقدر ان تكون اول حاكم على نفسك بنقيصها وذميم اخلاقها ومقابح اعمالها وهو موضع تعجب
يعير عليه مساوي اعماله من ذلك اي يتقدم في قياس ضمير من الشكل الاول ذكر في الكلام صغراه وبعضها انك
على نفسك بنقيصها على تقدير ان يكون موصوفا بهذا الوصف وكل من كان كذلك فاولى بان يكون اول حاكم عليها

كلام له عند تلاوة القرآن

بتقصيرها على تقدير ان يكون موليه تلك النعم خالقه وما لك قد وبخ ان الاولى بك ان يكون اول خاكم على نفسك بتقصيرها على تقدير ان يكون مولي تلك النعم خالقك وما لك ذلك فوكل وحفنا اقول ما الدنيا غرتك ولكن اغتررت بها فقد منعتك عبرا ان يجيب الناس سو الزعم ايام تقول ما غرك بربك وهو كثير في كلامهم ان الدنيا هي الغاره وكما نسب القران الكريم الهاكم وقول ومنها كم يجوز ان ينسب اليها الاغترار حقيقة اكن لما كانت سببا ماديا لكل اغترار بها جاز ان ينسب اليها الاغترار مجازا وصدق قوله ايهم ولكن بها اغتررت وقوله ولقد كاشفتك العظات نبه بها على نسبة الاستغرار اليها بتشبيه ضده اليها وهو التبصير لما كاشفته بالواعظ وهي تحال الايقاظ من تصاريفها وعبرها وتجارفها باعلام على عدل منها انطلقت لذلك التغير والاعلام وعلى ذلك التصريف ولم يمكن ان يكون لا كذلك فلم يكن تصاريفها بل تجوزا عليك وقوله ما تعدك الى قوله تغرك بنيانه تاكيد لنصيحتها وتخويفها واستعار لفظ الوعد لاشعارها في تغيرها لها بما يتوقع من مصائبها كما ان الوعد اشعار باعطاء مطلوب واستعمل الوعد في مكان الوعيد مجاز اطلاقا فالاسم احد الضدين على الاخر كتسمية الشيء جزاء وكذلك استعار لها لفظ الصدق والوفا لما لخطر لشبهها بالصادق الوفي في انه لا بد من ايقاع ما وعد به وقوله اصدق واوفى مع قوله من ان تكذبك وتغرك من باب اللف والنشر وفيه المقابلة وقوله ورب الى قوله مكذب تقرير لبعض لوازم الغفلة عليه وهي تهمة الناصح منها وتكذيب اصدق خبرها واطلق لفظ التهمة والمكذب مجازا في عدم الالتفات الى نصيحتها بتصاريفها وما يعلم من صادق تغيراتها وهكذا باعتبار ذلك منها اطلاقا لاسم ذي الغاية على غايته وكانت غاية التهمة والتكذيب عدم الالتفات الى المتهم والمكذب والاعراض عنها وقوله ولئن تعرفتها الى قوله بل صورتها كخيابته فيه على صدقها في نصيحتها كي تستنصح ولا تتهم وهو بقياس شرطي متصل وتقريره ولئن تعرفتها اي طلبت معرفة حالها في نصيحتها وغشها من الديار الخاوية والربوع الخالية لا لام لسان القبر والقرون الماضية لتعرفنها بمنزلة الشفيق عليك والشحيح بك ووجه شبهها بذلك حسن تذكرها لك وبلاغ موعظتك وعبرتك منها كما ان الناصح الشفيق عليك وبيان الملازمة بحال الوحدة بعد تعرفها والاستثناء في هذه المتصلة لعين المقدم لينتج عين التالي وقوله ولنعم الى قوله محلا مدح للدنيا باعتبار استعمالها على الوجه المقصود لعناية الالهية وهو الاعتبار بها دون دعوى الرضا بها لذاتها واتخاذها وطنا ودارا قامة واسم نعم هو دار من لم يرض والمخصوص بالمدح هو الدنيا ودارا ومحلا منصوبان على التمييز يقومان مقام اسم الجنس الذي هو اسم نعم اذا حذف وههنا مسئلتان احديهما ان اسم الجنس الذي هو اسم نعم ربما يكون مضافا في العادة الى ما فيه الالف واللام كقولك نعم صاحب القوم وقد اضافه ههنا الى ما ليس فيه الالف واللام وقد جاء مثله في الشعر كقوله فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم الثانية انه جمع بين اسم الجنس والنكرة التي تبدل منه وقد جاء مثله في قوله فنعم الزاد زاد ابيك زادا وانما اضاف دارا الى من لم يرض بها ومحلا الى من لم يوطنها لان الدنيا انما يكون دارا محمودة باعتبار كونها دار من لم يرض بها ولم يوطنها لاستلزام عدم رضاه بها الانتفاع بالعبرة بها واتخاذ زاد التقوى واولئك هم المتقون السعداء بها ويحتمل ان يكون دارا ومحلا منصوبين على التمييز عن قوله لم يرض بها ولم يوطنها وقوله ان السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم بخبر سعادتهم بها استثمارهم بكمالات السعادة في الاخرة منها وان يحصل ذلك الا بالهرب منها اليوم وكنى بالهرب منها عن الاعراض عن الحقيقة عن لذاتها والتباعد عن اقتنائها لذاتها لاستلزام الهرب عن الشيء التباعد عنه وان زهد فيه ظاهر ان التبعيد عنها بالقلوب الا ما دعت الضرورة اليه واتخاذها مع ذلك سببا الى الاخرة من اسباب الشقاوة ومستلزماتها كما اشار اليه سيد المرسلين في تحاله منها بقوله ما انا والدنيا انما مثلي فيها كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فنزل فقعد في ظلها ساعة ثم راح وتركها وقوله اذا رجفت على الوقت المذكور الدلول عليه بقوله غدا وهو يوم القيمة تقع يوم ترجف الراجفة هي النفخة الاولى في الصور وهي صيحة عظيمة بها تزلزل اضطرابا كالرعد يصعق فيها الخلائق وتتبعها الرادفة وهي النفخة الثانية تردف الاولى وجلائل القيمة محالها الجاليلة العظيمة وقوله لحق بكل منسك اهله اشارة الى لحوق كل نفس يوم القيمة بمعبودها ومطاعها وما اقتدت به من امر دنيوي او اخروي فاتبع عليه عمله ونحوه اشار الرسول يحشر المرء مع من احب ولو احب احدكم حجرا لحشر معه وقوله ولم يجز الى قوله حضر تقرير لعدله تعالى في ذلك اليوم والمعنى ان كل حركة ولو طرفة عين في الهواء او همس قدم في الارض فانها لا تجزي في عدله الا بحقها الاجزاء على معشر ثم اشار الى كثرة الحجج الباطلة يومئذ والاعذار المنقطعة ترغيبا في تحصيل الكمالات لبرهانية ولزوم امارات المرسلين والاولياء الابرار في سلوك سبيل الله وانما ذكر تحارف لك اليوم ما امره بعد ذكر السعداء فيه وتعيين انهم هم الهاربون من الدنيا اليوم رغبا الى الاقتداء بهم في ذلك الهرب لتفيرنك السعادة ثم امره بطلب الاس من امور به عذره في تلك اليوم وتثبت به حجته في محفل القيمة وذلك الامر هو ما اشرنا اليه من البرهان واقتفاء اثار المرسلين وكذلك امره ان ياخذ ما يبقى له من الكمالات المسعدة في الاخرة مما لا يبقى له وهو الدنيا ومتاعها وقد بينا كيفية ذلك الاخذ غير مرة وان سير سفره اي بسفره الى الله بالرياضة بالزهد والعبادة وان يشيم برق النجاة اي يوجه سره الى الله تعالى بعد الزهد الحقيقي والعبادة الكاسرة للنفس الامارة بالسوء لتشرق لوامع الانوار الالهية وبروقها التي هي بروق النجاة وابواب السلامة كما اشار اليه فيما قبل هذا الفصل بفصلين بقوله وتدافعته الابواب الى باب السلامة في سلوك سبيل الله والابتهال في العمل المابعد الموت واستعار لفظ المطايا للالات والعمل ولفظ الارحال للاعمال وبالله التوفيق

في بيان التبري من الظلم

ومن كلام له عليه السلام والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهّدا أو أجرّ في الأغلال مصفّدا أحبّ إليّ من أن ألقى الله سبحانه وتعالى ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشيء من الحطام وكيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها والله لقد رأيت عقيلا وقد أملق حتى استماحني من برّكم صاعا ورأيت صبيانه شعث الألوان من فقرهم كأنّما سوّدت وجوههم بالعظلم وعاودني مؤكّدا وكرّر عليّ القول مردّدا فأصغيت إليه سمعي فظنّ أنّي أبيعه ديني وأتّبع قياده مفارقا طريقتي فأحميت له حديدة ثمّ أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضجّ ضجيج ذي دنف من ألمها وكاد أن يحترق من ميسمها فقلت له ثكلتك الى نار سجرها جبّارها لغضبه أتئنّ من الأذى ولا أئنّ من لظى وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنئتها كأنّما عجنت بريق حيّة أو قيئها فقلت أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك محرّم علينا أهل البيت فقال لا ذا ولا ذاك ولكنّها هديّة فقلت هبلتك الهبول أعن دين الله أتيتني لتخدعني أمختبط أنت أم ذو جنّة أم تهجر والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعليّ ولنعيم يفنى ولذّة لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين **أقول** السعدان نبت شوكي ذو حسك لها ثلث أرؤس محدّدة على أيّ وجه وقعت من الأرض كان لها رأسان قائما و المصفّد الموثوق بالغلّ والقيد ونحوهما والقفول الرجوع من السفر والإملاق الافتقار والاستماحة طلب السماح وهو العطاء والعظلم نبت ما العرب ليس بالنيل وقيل نبت أخضر يصبغ به والدنف شدّة المرض والميسم المكواة وسجرها وقدها وأحماها وشنئتها أبغضتها وهبلته الهبول ثكلته الثواكل والخبط المعرض كالجنون ولبسه والمختبط الذي يطلب معروفك من غير سبب بينك وبينه من رحم أو معرفة سابقة أو سنا معروف لك عنده والجنّة الجنون والهجر الهذيان وجلب الشعيرة قشرها وغرض الفصل التبرّي من الظلم وذلك أنّه عليه السلام كان يأتيه فيسأله العطاء وهو لم يكن يستبقي لنفسه شيئا ولا يرى أن يعطي من بيت المال أحدا دون غيره فيجره وربّما كان في غاية الحاجة فينسبه إلى الظلم والتخصيص بالمال دونه فنبّه بهذا الكلام على ما نسب إليه من ذلك فقوله والله إلى قوله الحطام بيان لمقدار نفرته عن الظلم ونفايته على تقديره أي لاختار الأمرين المذكورين على الظلم مع ما يستلزمان من الألم والعذاب بما يستلزم الظلم من عذاب الله أشدّ خصوصا في حقّ من نظر بعين بصيرته تفاوت العذابين وكذلك لبيان اتّباع بالعظم الباء ولفظ الحطام مستعار لمتاع الدنيا باعتبار حقارته وإصلاحه ما تكسّر من نبت الأرض وبطالما وقاصيا حال الآن وقوله وكيف إلى قوله حلولها استفهام عن وجه ظلمه لأحد استفهام إنكار على من نسب إليه ذلك مع ذكر سببين مستلزمين للتنفّر من الظلم وهما الرجوع إلى البلى من السفر في الدنيا وطول الحلول في الثرى وقوله والله لقد رأيت عقيلا إلى قوله لظى تنبيه لنفي الظلم عنه بسلوكه في المحافظة على بيت المال ومراعاة العدل إلى الحدّ الذي فعله مع أخيه عقيل على شدّة فاقته وفاقة عياله وكونه ذا حقّ في بيت المال ومعلوم أنّ من لم تدعه هذه الأسباب الثلاثة وهي الأخوّة والفاقة والحقّ الموجود لذي الفاقة إلى أن يدفع إليه ما يعصمه خوفا من تبعة الظلم فهو أنزه الناس أن يظلم أو يحوم حول الظلم بوجه واستعار لفظ السمع لما يوهم من استماعه لكلامه في العطاء للأخ الفقير بما يعود من الدين بسبب الظلم في عطيته على غير الوجه الشرعي وقياده ما يقوده به من الاستعطاف والرحم وطريقه العدل وإنّما أحمى له الحديدة لينبّهه بها على الأخرويّة ولذلك احتجّ عند أنينه منها بقوله أتئنّ من حديدة إلى قوله لغضبه وعبر الاحتجاج أنّا إذا كنت تئنّ من هذه فبالأولى أن تئنّ من نار النار وغاية ذلك أن تترك الظلم بطلبها لا يستحقّه لاستلزام الأنين من نار الله ترك الظلم ولمّا نبّه عليه وجوب ترك الظلم تلا الطلب عقبه بالاحتجاج لنفسه على وجوب تركها للظلم بإعطائه بقوله أتئنّ من الأذى ولا أئنّ من لظى أي إذا كنت تئنّ من الأذى فبالأولى أن أئنّ من لظى وإنّما قال ولا أئنّ من لظى مع أنّ لظى غير حاصلة الآن تنزيلا للمتوقّع الذي لا بدّ منه بسبب الظلم منزلة الواقع ليكون أبلغ في الموعظة وإنّما أضاف الإنسان إلى الحديدة للإشارة إلى أنّ أحماها هو المتولّي لأمر تلك الحديدة ضعيف ما أضافه إليها وكذلك أضاف النار إلى جبّارها وإنّما قال للعبه تنبيها وتحقيرا لما فعل لغرض أن يكبر فعل الجبّار من سجرها وكذلك جعل العلّة الحاملة على سجرها إنّما هو غضب الجبّار تعظيما لشأنه وقوله وأعجب من ذلك إلى قوله أم تهجر أي وأعجب من عقيل وحاله طارق طرقنا والطارق الآتي ليلا وكنى بالملفوفة في وعائها عن الهديّة قيل كان شيئا من الحلواء كالفالوذج أو الخبيص ونحوه ونبّه بقوله شنئتها على بغضه للأمور اللذيذة الدنيويّة ونفرته عنها لما فيها ووجه تشبيهها بما عجن بريق الحيّة أو قيئها هو ما في تصوّره في قبولها من الفساد وما قصد بها مهديها في طلب الميل إليه المستلزم للظلم والجور عن سبيل الله فإنّ المقصد الذي اشتمل عليه كالسمّ المهلك وأمّا وجه كون الهديّة أعجب من عقيل فلأنّ عقيلا جاء بثلث وسائل كلّ منها يستلزم العاطفة عليه وهي الأخوّة والفاقة وكونه ذا حقّ في بيت المال ومهدي الهديّة إنّما أدلى بهديّته فأمّا قوله في جوابه فقلت له إلى قوله أهل البيت فإنّه أراد بحصر وجوب البرّ في العرف لأنّ التقرّب إلى الله ببذل المال يكون إمّا صلة رحم أو لا والثاني فإمّا على وجه الصدقة والزكاة الواجبة ولم يذكر الهديّة لأنّه لم يكن في وهم عاقل قبولها منه لها خصوصا زمان خلافته وذلك أنّ مطلوب العاقل منه بالهديّة إمّا حقّ أو باطل والحقّ لا يحتاج فيه إلى الهديّة والباطل لا يفعله بوجه ولذلك لمّا قال له الطارق إنّها هديّة ردعه عليه ونسبه إلى الجنون عنهم والهذيان فلمّا احتجّ عليه وجوب البرّ الباطل فيمين منها وقوله فذلك محرّم علينا أهل البيت وأراد الصدقة والزكاة وأمّا صلة الرحم فلم يحتج إلى إبطالها لأنّ الطارق لم يكن ذا رحم له وقول الطارق

في بيان التحذير ذم الدنيا

وذلك يجري مجرى ابطال المحسوس ابراز قسم رابع هو الهدية وقوله هبلتك الهبول الى قوله تهجر جواب لقوله ولكنها هدية فرد عليه فيها فهمه من
بالهدية وهو خداعه عن دينه اذ الهدية الغرض منها صنو استغرار ومخادع وذكر المخادع عن الدين تنفيرا لصاحب الهدية عن فعله ذلك ولما كان
ذلك الامر لو تم الغرض منه استلزم نقصان الدين كالخداع عن الدين فاطلق عليه لفظ الخداع استعارة وقوله امختبط ام ذو جنة ام تهجر استفهام
على سبيل الانكار والتوبيخ على ذلك الخداع بعد تقريره عليه اذ كان المخادع لمثله عن دينه لا يكون الا لاحد الوجوه المذكورة غالبا ولا
يتصور ان يصدر منه ذلك الخداع عن روية صحيحة وقد ذكر وجوه الخروج عن الصواب مما يتعلق بالعقل وقوله والله الى قوله ما فعلته يحتمل
ان يكون رد الوسواس طائفة منه يعتبر به تفعل طاعة الله الحرام بتلك الهدية وابطال لان ذلك الوهم عنه والاقاليم السبعة اقسام الارض وهو دليل
على غاية العدل وقوله وان دنياكم الى قوله لا تقضمها دليل على غاية الزهد منه في الدنيا كقوله في الشقشقية ولالفيتم دنياكم هذه اهون
عندي من عفطة عنز وقوله ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى استفهام انكار لملائمة نعيم الدنيا ولذاتها الزائلة الفانية والمعنى ان حال
علي منافية لذلك النعيم واختياره لمضادة تلك اللذة ثم تعوذ بالله من سبات العقل وهي احتياره لتلك اللذات ولان تلك النعيم مبله
في مطاوعة النفس الامارة بالسوء ومن قبح الزلل وهو قبحا حسن الانحراف عن سبيل الله الموقع في المهاوي المهالك واستعان به على دفع
ما تعوذ به منه وبالله التوفيق والعصمة **ومن دعاء له عليه السلام** اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالإقتار فأسترزق
طالبي رزقك وأستعطف شرار خلقك وأبتلى بحمد من أعطاني وأفتتن بذم من منعني وأنت من وراء ذلك كله ولي الإعطاء
والمنع إنك على كل شيء قدير **أقول** اليسار الغنى والإقتار ضيق الرزق والفقر وحاصل الفصل الالتجاء الى الله في طلب الغنى وعدم الابتلاء
بالفقر ولوازمه واعلم ان الغنى المطلوب للائمة هو ما يدفع ضرورة حاجته بحسب الاقتصاد والقناعة لا المفهوم المتعارف بين ارباب الدنيا من جمع المال
وادخاره والاتساع به فوق الحاجة وطالب الغنى على الوجه الاول محمود وعلى الوجه الثاني هو المذموم والفقر هو ما احتاج الانسان معه الى سؤال
الناس ويلزمه بذل الاعتبار ولوازم صون الوجه عن وجهه وعبادة ذوذلها ابتذال الجاه ونقصان الحرمة ولما كان الجاه والغنى كالملازمين
لا يليق احدهما الا بالآخر جعل من لوازم الجاه والفقر لازما لابتذال الغنى ولا وجوب فلان بهما اشار ابو الطيب بقوله فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده والجاه ايضا له اعتبارات فما اريد لله منه كان شرفا مبرورا وعزا في دينه وابين للاستعانة به على دعوة
الله ونظام عنده فهو الجاه المحمود الذي سأل انه يحفظ عليه بالغنى عن الناس وهو الذي امتن الله به على الانبياء في قوله لمريم ان الله يبشرك
بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة وما اريد به الا الفخر والتكاثر في الدنيا فهو المذموم والثاني لوازمه استرزاق الخلق
الذين من شأنهم ان يبالوا الرزق لان يطلب منهم وفي ذلك من الذل والخضوع للمطلوب منه ومهانة النفس واشتغالها عن التوجه الى
المعبود بالحق ما ينبغي الاستعاذة بالله منه ومن ادعية زين العابدين اللهم تمدحت بالغنى عن خلقك وانت اهل الغنى عنهم ونسبتهم الى الفقر وهم اهل
الفقر اليك فمن حاول سد خلته من عندك ورام صرف الفقر عن نفسه بك فقد طلب حاجته في مظانها واتى طلبته من وجهها ومن
توجه بحاجته الى احد من خلقك او جعله سبب نجحها دونك فقد تعرض للحرمان واستحق من عندك فوت الاحسان وانما حكم عليه باستحقاق
فوت الاحسان لعدم استعداده لتنبيهات الله بالتوجه الى غيره واشتغال نفسه بذلك الغير ونبه بقوله طالبي رزقك على عدم اهليتهم لان
يطلب منهم لشأنه استعطاف شرار خلقه وظاهر ان المحتاج قد يدعو الى ذلك والتجربة تقتضي بان طالب العطاء من الاشرار محتاج اليهم
لينال معروفهم والمروءة طعم العلقم ويتخلى منه الصبر لرابع الابتلاء والافتتان بذم المانع وذلك مستلزم للصرف عن الله والتوجه
الى القبلة الحقيقية والى قوله وانت الحال اي لا تبذل جاهي بالافتقار فالحق بسببه ما يلحق من الكلمات المعدودة وانت من وراء
ذلك كله ولي من اعطى ومنع بان تعطي وتمنع لقدرتك على كل شيء ومفهوم كونه وراء ذلك كله احاطته وكونه مسند الغنى واهله
المحتاج اليهم من الخلق واولى بالفقر ولوازمه لقدرته على صرفه والاغناء عن الخلق لانه كونه محيطا وكونه مسندا استلزم ان الوراثيه
فالمستند والوراء المعقول للمعقول والمحسوس للمحسوس وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** دار بالبلاء محفوفة وبالغدر
معروفة لا تدوم أحوالها ولا تسلم نزالها أحوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والأمان منها معدوم وإنما
أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد
مضى قبلكم ممن كان أطول منكم أعمارا وأعمر ديارا وأبعد آثارا أصبحت أصواتهم هامدة ورياحهم راكدة وأجسادهم بالية
وديارهم خالية وآثارهم عافية فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المسندة والقبور اللاطئة
الملحدة التي قد بني على الخراب فناؤها وشيد بالتراب بناؤها فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل محلة موحشين وأهل فراغ
متشاغلين لا يستأنسون بالأوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تزاور
وقد طحنهم بكلكله البلى وأكلتهم الجنادل والثرى وكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه وارتهنكم ذلك المضجع وضمكم ذلك
المستودع فكيف بكم لو تناهت بكم الأمور وبعثرت القبور هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا

في بيان التحذير من الدنيا

يقرءون **أقول** السمادة المرة والشهدة القطعة من العسل هذا اضطرب لترى وعفت الآثار انمحت والقبور جمع قبر وهو مكروه ساذه صغيرة والكلكل الصدر وبعثرت القبور وبحثرتها اخراج ما فيها وبثها يقال بعثر الرجل متاعه اذا فرقه وقلب اعلاه اسفله وغرض الفصل التنفير من الدنيا الكدية والاشتغال بها عن الله والتنفير عن ذلك بذكر معايبها والجذب الى سنتها الى الوجه المطلوب الذي لاجله وجدت فقوله دار خبر مبتدا محذوف وهو الدنيا وذكر من معايبها عدة احدها كونها مفرونة بالبلاء لما الما فكنى عن ذلك بالحفوف لان هو الاحاطة من الجوانب لانه الثاني كونها معروفة بالغدر واستعار لفظ الغدر لتغيرها عما يتوهم الانسان دوامها عليه في حقه من احوالها المعجبة له كالمال والصحة والشباب فكانه في مدة بقاء تلك الاحوال عليه قد اخذ منها عهدا فكان لتغيرها عنه لما المستلزم لزوال تلك الاحوال عنه اشبه شيء بالغدر وكما كان كثير منها صار معروفا به الثالث كونها لا تدوم احوالها وذلك بعينها لاستلزام زوالها من اولها الى آخرها الخامس اختلاف احوالها واحوال خبر مبتدا محذوف وتقديره احوالها احوال كذلك وشابهها تصرف نازلها وهو تغير احوالها تارة بعد اخرى وسابعها كون العيش فيها مذموما فلما كان العيش فيها كناية عن الالتذاذ بها والتنعم فيها واستلزام ذلك للعاقبة المهلكة الاجر لزم له لتم ولانه مشوب بتكدير الامراض والاعراض فلا يزال مذموما في الالسنة حتى في لسان صاحبه السابع انها منذ سيعانه بعض مراتب الكدر وثامنها عدم الامان فيها اي من مخاوفها وما يلزم بعض فانها من البلاء وكل ذلك من ضرورتها واختلاف استعدادات القوابل فيها عن حركات الافلاك وكواكبها وكون المبادي العالية مفيضة على كل قابل منها ما استعد له وتاسعها كون اهلها فيها اغراضا مستهدفة واستعار لفظ الاغراض ورشح بذكر الاستهداف وكذلك لفظ السهام الرمي لايقاع المصائب بهم ورشح بذكر السهام وعاشرها كونها معهم على سبيل من قد مضى من القرون الخالية ممن كان اطول اعمارا واعمر ديارا وابعد آثارا اي كانت آثارهم لا يقدر بانيها ولا تنال لعظمها وكونها معهم على ذلك السبيل اشارة الى اقبالها كما فنا اولئك والحاقهم باولئك وقوله اصبحت ديارهم الى قوله والثرى تفصيل لاحوال اولئك وهو عند السامعين بكونها لهم انكان سبيل الدنيا مع الجمع واحدا وركود الرياح كناية عن سكون احوالهم وخمول ذكرهم بعد العظمة في الصدور وقوله في ابنى الخراب فناؤها اعلى خراب ما كان معمورا من الابدان والمساكن وطاء ان القبور اسسته على ذلك وبنيت عليه وداعي في قوله فناؤها وبناؤها وهو مغترب وهو مفترب الجمع التوازنى مع المغايرة بين القرينتين الاخريين وارادان ساكنها وان اقرب محله فهو غريب عن اهله وقوله بين قوم وحشيين وفتشاغلين وكونهم لا يستأنسون بالاوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران على ان احوالهم من تجاورهم وفراغهم ليس كاحوال الدنيا المالوفة لهم يعرفون بها ويعرفونها ثم اشار الى عدم علة المزاورة واستعار لفظ الطحن لافناء البلى لاجسادهم ورشح بلفظ الكلكل وكذلك لفظ استعار لفظ الاكل لافنائها وقوله وكان قد صرتم الى قوله المستودع فكان المختتم من القبول واسمها ضمير الشأن والتقدير فيشبه كم قد صرتم الى مصيرهم واحوالهم ويقرب من ذلك لان مشابهة الاحوال المستلزمة نقصها من بعض انفسكم بذلك المضجع اي صار لكم دارا قامة واتخذكم سكانا مقيمين بها اطلق عليه لفظ المستودع باعتبار كونهم سيخرجون منه يوم البعث وقوله فكيف بكم الى قوله القبور سوى ذلك لم تعرفنه خالطهم عند مشاهدتهم امورهم واحوالهم في يوم البعث سوء العذاب بل التذكير بتلك الاحوال والتخويف الاهوال ليذكر ولينتهوا اليه غواني العمل وذكر منها امرا واحدا هو اطلاع النفوس على ما قدمت واسلفت في الدنيا من خير وشر فالرد الى الوليّ الحق الرجوع اليه كل ما كان يغتر من دعوى مقصد سائر الا بالحبل المعروف وبالله التوفيق **ومن دعاء له عليه السلام** اللهم انك آنس الآنسين لاوليائك واحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك تشاهدهم في سرائرهم وتطلع عليهم في ضمائرهم وتعلم مبلغ بصائرهم فاسرارهم لك مكشوفة وقلوبهم اليك ملهوفة ان اوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك وان صبت عليهم المصائب لجاؤا الى الاستجارة بك علما بان ازمة الامور بيدك ومصادرها عن قضائك اللهم ان فههت عن مسئلتي او عميت عن طلبتي فدلني على مصالحي وخذ بقلبي الى مراشدي فليس ذلك بنكر من هداياتك ولا ببديع من كفاياتك اللهم احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك **أقول** الفهاهة العي والعمه التحير تعد ضرع الى الله تعالى باعتبارات من الصفات الاضافية والحقيقية باعتبار الكمال تحتهم انسه وتقبله وقوله ان اوحشتهم الغربة انسهم ذكرك اي الغربة في هذه الدار كما هنا لهم لحصول الاستيناس من نجيهم به والاذكار الغيبي الكونهم انبياؤهم وقوله وان صبت الى قوله بك اعتبار التحقق توكلهم عليه في دفع ما يكرهون من مصائب الدنيا عندنزولها بهم اذ سبق عيد الكونه تعالى حضر من توكل عليه لكفاية المتوكلين لجاؤهم الى الاستجارة به وتوجيه وجوه نفوسهم اليه ثم في دفع المكروه نفعه وهو التوكل الخالص وقوله علما الى قوله قضائك مفعول لاجله ونبه علمهم بان الامور كلها مربوطة باسبابها منتهية في سلسلة الحاجة الى قضائه وان مصادرها واسبابها القريبة منتهية الى قضائك وهو حكم علمه تعالى به ومنه كانت سببا لما هو مصادر لتلك المصائب كان لجاؤهم في الاستجارة به ويحتمل ان يكون علما مصدرا سد مسد الحال وهو مستلزم لكونهم في عبادتهم واحوالهم منقطعين اليه عن غيره ونسب ولفظ الازمة مستعار للاسباب الامور ووجه المشابهة كونها مناطا لها وبها يجوز نظام وجودها كالازمة وكذلك لفظ اليد مجاز في القدرة وقوله اللهم الخ شروع في المطلوب على وجه كلي وهو طلب الدلالة على مصالحه مع اعتراف وجذب قلبه بالهداية الى مواضع رشده من العقائد والآراء الصحيحة التامة على تقدير ان عي عن مسئلته او تحير في وجه معرفة مصالحه وقوله فليس ذلك الى قوله كفاياتك استعطاف بما في العادة وان يستعطف به اهل العواطف والرحمة من الكلام اي ان هدايتك لخلقك الى وجوه مصالحهم وكفايتك لهم ما يحتاجون

احتجاج على من خالف من اهل البغي

اليه امورهما ان تزجرن خامسه بهما والفهما منك عباد ذلك وقوله اللهم احملني اه سؤال ان يحمله تعالى على عفوه عما سواه منها
من رضى من ذنب لا يحمله على عدله فيجزيه بما فعل جزاء تاما ويعفو به وهو من اللطف ما تعده به النفس لاستنزال الرحمة الالهية
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لله بلاد فلان فلقد قوم الاود وداوى العمد واقام السنة وخلف الفتنة
ذهب نقي الثوب قليل العيب اصاب خيرها وسبق شرها ادى الى الله طاعته واتقاه بحقه رحل وتركهم في طرق متشعبة
لا يهتدي بها الضال ولا يستيقن المهتدي **اقول** الاود العوج والعمد مرض يصيب الانسان واصل سنام البعير من الحمل ونحوه مع صحة
ظاهره وقوله لله بلاد فلان لفظ يقال في معرض المدح كقولهم لله دره وشابه واصله ان العرب اذا ارادوا مدح شي وتعظيمه
نسبوه الى الله تعالى هذا اللفظ ويروى لله بلاء فلان اي عمله الحسن في سبيل الله والمنقول ان المراد بفلان عمر وعن القطب
الراوندي انه انما اراد بعض اصحابه في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وقوع الفتن وانتشارها وقال ابن ابي الحديد ان ظاهر الاوصاف
المذكورة في الكلام يدل على انه اراد رجلا ولي امر الخلافة مثل قوله قوم الاود وداوى العمد ولم يرد عثمان لوقوع الفتنة
وتسعيرها بسببه ولا ابا بكر لقصر مدة خلافته وبعد عهده عن الفتن فكان الاظهر انه اراد عمر ولو قيل انه لابي بكر اشبه
نعم انا ذكره في خلافة عمر تشنيعها به في خطبته المعروفة بالشقشقية كما سبقت الاشارة اليه وقد وصفه بامور احدها انه قوم
الاود وهو كناية عن تقويمه لاعوجاج الخلق عن سبيل الله الى الاستقامة فيها الثاني مداواته العمد واستعار لفظ العمد
للامراض النفسانية باعتبار استلزامها للاذى كالعمد ووصف المداواة لما اعتبره تلك الامراض بالمواعظ البالغة والزواجر
القولية والفعلية الثالث اقامته للسنة ولزومها الرابع تخليفه للفتنة اي موته قبلها او ... كون ذلك مدحا له باعتبار
عدم وقوعها بسببه وفي زمنه لحسن تدبيره الخامس نسبه بها بنقي الثوب واستعار لفظ الثوب لعرضه ونقاه لسلامته عن الذم
السادس قلة عيوبه السابع اصابة خيرها وسبق شرها والضمير في الموضعين يحتمل ان يرجع الى المعهود مما هو فيه من الحال اي
اصاب ما فيها من الخير المطلوب هو العدل وما امر به الله ان يكون تاما الثواب الجزيل في الآخرة والشرف الجليل في الدنيا وسبق شرها
اي مات قبل وقوع الفتنة فيها وسفك الدماء لاجلها الثامن اداؤه الى الله طاعته التاسع اتقاؤه له بحقه اي ...
خوفا من عقوبته العاشر رحيله الى الآخرة تاركا للناس بعده في طرق متشعبة من الجهالات لا يهتدي فيها من ضل عن سبيل الله ولا يستيقن
المهتدي في سبيل الله انه على سبيله لاختلاف طرق الضلال وكثرة المخالف له اليها او لوارد في قوله وتركهم الحال واعلم
ان الشيعة قد اوردوا هاهنا سؤالا فقالوا ان هذه المدائح التي ذكرها عليه السلام في حق احد الرجلين تنافي ما اجمعنا عليه
من تخطئتهم واخذهما لمنصب الخلافة فاما ان لا يكون هذا الكلام من كلامه عليه السلام او ان يكون اجماعنا خطأ ثم اجابوا من
وجهين احدهما الامر الثاني المذكور فانه جاز ان يكون ذلك المدح منه عليه السلام على وجه استصلاح من يعتقد صحة
خلافة الشيخين واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام الثاني انه جاز ان يكون مدحه ذلك كالمدح لهما في معرض توبيخ عثمان بوقوع
الفتنة في خلافته واضطراب الامر عليه واستيثاره ببيت مال المسلمين هو وبنو ابيه حتى كان ذلك سببا لثوران المسلمين من
الامصار اليه وقتلهم له ونبه على ذلك بقوله وخلف الفتنة وذهب نقي الثوب قليل العيب اصاب خيرها وسبق شرها وقوله
وتركهم في طرق متشعبة اه فان مفهوم ذلك ان الوالي بعد هذا الموصوف قد اتصف باضداد هذه الصفات والله
اعلم **ومن كلام له عليه السلام** في وصف بيعته وقد تقدم مثله بالفاظ مختلفة وبسطتم يدي فكففتها ومددتموها
فقبضتها ثم تداككتم علي تداك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووطئ الضعيف
وبلغ من سرور الناس ببيعتهم اياي ان ابتهج بها الصغير وهدج اليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت عن ساقها الكعاب
اقول التداك الازدحام والهيم العطاش والتحامل تكلف المشي مع مشقة والكعاب الجارية حين نهد ثديها وحسرت
كشفت وجهها وحاصل الفصل الاحتجاج على من خالفه من اهل البغي فذكر حال الناس في بيعتهم له وكيفيتها الدالة على شدة حرصهم
عليه واختيارهم له واجبارهم على تسليم الامر اليه وشبه ازدحامهم عليه بازدحام الابل العطاش يوم ورودها على الحياض
ووجه الشبه شدة الازدحام ويمكن ان يلاحظ في وجه هذا التشبيه كون ما عنده من الفضائل الجمة العلمية والعملية تشبه الماء
وكون المزدحمين عليه في حاجتهم وتعطشهم الى استفادة تلك الفضائل الا انه لغلبتهم كالعطاش من الابل حين ورودها وقوله
الى قوله ووطئ الضعيف كقوله في الشقشقية حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي وباقي الفصل ظاهر وهو في قوة صغرى قياس
من الشكل الاول وتقديرها انكم بالغتم في طلبكم لي وحرصكم على بيعتي الى هذه الغاية حتى اجبتكم وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك
فليس له ان ينكث بعد ذلك وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** فان تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد
وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة بها ينجح الطالب وينجو الهارب وتنال الرغائب فاعملوا والعمل يرفع والتوبة تنفع

والدعاء يسمع والحال هادئة والأقلام جارية وبادروا بالأعمال عمراً ناكساً ومرضاً جالساً وموتاً خالساً فإن الموت هادم لذاتكم ومكدّر شهواتكم ومباعد طيّاتكم زائر غير محبوب وقرن غير مغلوب وواتر غير مطلوب قد أعلقتكم حبائله وتكنّفتكم غوائله وأقصدتكم معابله وعظمت فيكم سطوته وتتابعت عليكم عدوته وقلّت عنكم نبوته فيوشك أن تغشاكم دواجي ظلله فقد أتاكم بغتة فأسكت نجيّكم وفرّق نديّكم وعفّى آثاركم وعطّل دياركم وبعث ورّاثكم يقتسمون تراثكم بين حميم خاصّ لم ينفع وقريب محزون لم يمنع وآخر شامت لم يجزع فعليكم بالجدّ والاجتهاد والتأهّب والاستعداد والتزوّد في منزل الزاد ولا تغرّنكم الدنيا كما غرّت من كان قبلكم من الأمم الماضية والقرون الخالية الذين احتلبوا درّتها وأصابوا غرّتها وأفنوا عدّتها وأخلقوا جدّتها أصبحت مساكنهم أجداثاً وأموالهم ميراثاً لا يعرفون من أتاهم ولا يحفلون من بكاهم ولا يجيبون من دعاهم فاحذروا الدنيا فإنها غدّارة خدوع معطية منوع ملبسة نزوع لا يدوم رخاؤها ولا ينقضي عناؤها ولا يركد بلاؤها أقول

الحابس المانع والخالس المختطف والتكنّف الإحاطة والطيّات جمع طيّة بالكسر وهي منزل السفر والواتر الذي يوجب لغيره الوتر وهو الذحل والحقد والغوائل المصائب بالإتيان على غرّة جمع غائلة والمعابل جمع معبلة بكسر الميم وهي نصل طويل عريض وعدوته [illegible] ونبا السيف إذا لم يؤثر في الضريبة والظلل جمع ظلّة وهي السحاب والاحتدام شدّة الحرارة والغيظ والإرهاق الإعجال [illegible] والنجيّ القوم يتناجون والنديّ القوم يجتمعون في النادي وهو المجمع ولا يحفلون لا يبالون والاحتفال بالشيء الاعتناء به وفي الفصل مقاصد الأول التنبيه على فضيلة تقوى الله بأوصاف الأول كونها مفتاح سداد ولما كان السداد هو الصواب والعدل في القول والعمل وكان ذلك هو غاية الدين لطريق السلوك إلى الله وكانت تقوى الله تعود إلى الخشية المستلزمة للإعراض عمّا سواه استعار لها لفظ المفتاح باعتبار كونها سبباً للاستقامة على صواب القصد في صراط الله المستقيم إلى ثوابه المقيم الذي أفضل المطالب كما أن المفتاح سبب الوصول إلى ما يحرز من الأموال النفيسة الثاني كونها ذخيرة معاد لما ثمرتها من الاستعداد بخشية الله وما يستلزمه من الكمالات النفسانية من أنفس الذخائر المنتفع بها في المعاد الثالث كونها عتقاً من كل ملكة استعار لفظ العتق لخلاص النفس العاقلة من استيلاء حكم شياطينها المطيعة بها كخلاص العبد من استيلاء سيده ثم جعل التقوى نفسها عتقاً مجازاً إطلاقاً لاسم السبب على المسبب إذ كانت التقوى سبباً لذلك الخلاص المستعار له لفظ العتق الرابع ونجاة من كل هلكة أطلق عليها لفظ النجاة مجازاً كالعتق لكونها سبباً لنجاة النفس من الهلكات الأخروية وعقوبات الآثام وربما كانت التقوى سبب النجاة من مخاوف دنيوية لولاها لحقت الخامس بها ينجح الطالب أما الثواب لله في الآخرة فظاهر وأما في الدنيا فلما نشاهد من اتّخاذ كثير من الناس شعار المتّقين [illegible] إلى مطالبها ونجاح مساعيهم وأمثال الدنيا عليهم [illegible] وينجو الهارب أي من عذاب الله وهو [illegible] التابع وتنال الرغائب وهو كقوله وينجح المطالب وفي كل قرينتين من القرائن الست من أول الفصل السجع المتوازي المقصد الثاني التنبيه على وجوب العمل المطلوب لله ومبادرته باعتبارات الأول أنهم في وقت العمل وإمكان رفعه إلى الله دون ما بعد الموت والواو في قوله والعمل للحال الثاني في وقت قبول التوبة منهم والإقلاع من عقوبات الآثام الثالث ووقت استماع الدعاء وقوله فإن شيئاً من ذلك لا ينفع بل لا يمكن بعد الموت الرابع والحال هادئة أي حال الإنسان في الدنيا فإن حال الإنسان حين الموت وما بعده في غاية الاضطراب الخامس والأقلام جارية أي أقلام الحفظة وفائدة الإعلام بالعمل في حال جريان الأقلام التنبيه على وقت الأعمال الخيرية وإمكانها حين تكتب وترفع إلى الله أي فاعملوا في الحال المذكورة ما دامت أقلام الكرام الكاتبين جارية لتكتب أعمالكم المقصد الثالث حثّهم على المبادرة إلى الأعمال الخيرية باعتبارات أحدها أن أعمارهم التي هي محلّ الأعمال

في معرض الانتكاس والرجوع الى الحالة المنافية للتكليف وهي الهرم المستلزم لضعف العقل والبدن ونقصانهما والرجوع
الى حال الطفل في ذلك كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق فينبغي ان يبادر ذلك بالاعمال الصالحة الممكنة
فيها الثاني ان ابدانهم في معرض التغير والتبدل بالصحة التي هي مظنة العمل بها وهو مظنة بطلان العمل وامتناعه فينبغي
ان يبادر الصحة بالعمل قبل حلول غيره بالمرض الثالث ان يبادر بما هو اعظم من ذلك وهو الموت الذي لا بد منه واستعار
لفظ الخالس له باعتبار اخذه للاعمار على غرة وغفلة من اهلها كالخالس المختلس الذي يأخذ الشيء من يد غيره ثم نبه على وجوب العمل بالموت
ولما صبغه ما ارصاه من التخويف احدها كونه هادم اللذات الدنيوية وهو ظاهر ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله اكثروا
من ذكر هادم اللذات الثانية كونه مكدر الشهوات الثالث كونه مباعدا لطياتهم واستعار لفظ
الطيات لمنازل السفر الى الآخرة فالموت عن الدنيا فاهلها فاتت الآخرة ابعد منزلهم عن الدنيا الرابع استعار
لفظ الزائر باعتبار هجومه على الابدان ولما كان من شان الزائر ان يكون محبوبا ميزه بكونه غير محبوب لحصول النفرة
عنه وتفرغ الى العمل له الخامس استعار لفظ القرن بوصف كونه غير مغلوب لتشبهه بالاستعداد له السادس استعار
لفظ الواتر بوصف كونه غير مطلوب اي من شانه ان يوتر القلوب ولا يمكن ان يطلب بوتره ولا ينتصف منه ملاحظة
لشبهه بالرجل البالغ في الشجاعة بحيث لا يغلب السابع استعار لفظ الحبائل للاوصاب والامراض البدنية التي هي
داعية الموت ومؤدية اليه كحبائل الصائد ورشح بوصف الاعلاق الثامن وكنفتكم غوائله اي احاطت بكم مصائبه
التاسع استعار لفظ المعابل للآفات الداعية الى الموت ايضا باعتبار كونها مؤدية اليه فالمعابل كالنصال ورشح بذكر
الاقصاد العاشر استعار لفظ السطوة له ملاحظة لشبهه بالسلطان القاهر او السبع الضاري في قوة اخذه و
شدة بطشه الحادي عشر وكذلك لفظ العدوة له باعتبار كون اخذه على غير حق له كالظالم فان قلت اذا كانت
حقيقة الظلم هي الاخذ بغير حق وهذا الحد صادق في فعل الموت فيجب ان يكون اطلاق لفظ العدوة هنا حقيقة لا
استعارة قلت لفظ الاخذ انما يصدق حقيقة على ذي الحيوة وان سلمنا صدقه على غيره لكن الاخذ بغير حق
ليس هو حقيقة الظلم بل الاخذ بغير حق لمن يكون من شانه ان يكون له حق وذلك مختص بالعقلاء وسلب الحق عمن له
اللفظ حقيقة هو سلب للمكروه وعامة اللفظ مستعار هو السلب للطول الثاني عشر وكذلك لفظ النبوة لعدم تاثيره ملاحظة
لشبهه بالسيف القاطع ووصفها بالقلة اي في كل ثلث قراهم من هذه النبع النجع المتوازي الثالث عشر استعار
لفظ الظلل للامراض والعلل الداعية الى الموت استعارة لفظ المحسوس بالبصر للمتخيل ملاحظة لشبهها بالسحاب
المظل ووصفها بالدواجي اذ كان الكلام في معرض التخويف والسحاب المظلم اشد رهبة في القلوب من غيره ويقرب
من هذه قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله وهو شروع في التخويف بنزول الموت الرابع عشر وكذلك
استعار وصف الاحتدام لعلله ملاحظة لشبهها في نزولها بالرجل المستشيط غضبا في قوة الاخذ الخامس عشر استعار
لفظ الحنادس لما يتوهمه الانسان من الظلم في غمرات الموت وسكراته السادس عشر وكذلك لفظ الغواشي لما يعرض
عند سكرات الموت من العوارض لما تغمر من الادراك المغشية السابع عشر واليم ارهاقه اي اعجاله الوله الثامن عشر
ودجو طباقه استعار لفظ الاطباق لحالاته المتزايدة وسكراته المتضاعفة التي تتضاعف بازدياد الآلات ادراكه بعد او انقطاعه
عن المدركات الدنيوية وباعتبار انقطاع الادراك بسبب تلك الحالات ووصفها بالدجو وشدة الظلمة ويحتمل ان يريد بها
باطباقه اطباق القبور الحاصلة التاسع عشر استعار لفظ المذاق لوجدانه باعتبار المشاركة في الادراك باعتبار
لفظ الحنادس لما يتوهمه الانسان من الظلم في غمرات الموت وسكراته السادس عشر وكذلك لفظ الغواشي
لما يعرض عند سكرات الموت من العوارض لما تغمر من الادراك الغشية السابع عشر واليم ارهاقه اي اعجاله الوله
الثامن عشر ودجو طباقه استعار لفظ الاطباق لحالاته المتزايدة وسكراته المتضاعفة بازدياد الآلات ادراكه بعد
او انقطاعه عن المدركات الدنيوية باعتبار انقطاع الادراك بسبب تلك الحالات ووصفها بالدجو وشدة الظلمة
ويحتمل ان يريد باطباقه اطباق القبور الحاصلة شدة ايلامه ووصفه بالجشوبة العشرون وفي التخويف بانها
بغتة وكان هي المخففة من كان والاسم ضمير الشان ولما كانت كاف التشبيه وكان التشبيه يستلزم
المقارنة بين المشبه والمشبه به في وصف ما وهو خبر التشبيه كان المشبه هنا هو حال الموت من جهة ما هو منظر لا بد منه والمشبه

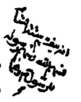
منه
به هو باعتبار الابانة

في صفة الزهاد

بعضهم باعتبار انهم ذهبوا وماتوا فانهم ووجه الشبه هو القرب اي قرب المنتظر الذي لا بد منه من لواحق الموجود وهو كل ما هو آت قريب [illegible]
منه مع كونه من لوازمه المخوفة وهي اسكات الناطقين وتفريق المجتمعين وتعفية الآثار وتعطيل الديار وبعث الوراث لاقتسام التراث واسند
البعث باعتبار انه سبب بلا واسطة لانبعاث دواعي الورثة الى اقتسام التراث لزوما عرضيا وقوله بين حميم متعلق باتاكم يعني مع ما بعده من الافعال
اي كانه قد اتاكم بغتة فتفعل بكم ما فعل من اسكات الناطقين وغيره على المنع ولم يعد وشامت لا يجزع عليه ثم اردف ذكر الموت ولوازمه
بالحث على العمل والجد فيه والتاهب للاستعداد لنزول الموت وما بعده والتزود اي بالتقوى في منزل الزاد وهو الدنيا لانها المنزل الذي
لا يمكن تحصيل الزاد الى الآخرة الا فيه ولذلك اضافه اليه ثم بالنهي عن الانخداع لغرور الدنيا كانخداع السابقين والقرون الماضين واستعار
لفظ الدر لمنافع الدنيا وخيراتها ولفظ الاخلاف لجهاتها واقسامها اي الذين فازوا بخيراتها وحصلوا عليها ولذلك استعار لفظ الغرة لغفلة
حوادثها التي مدة استمتاعهم بها فكانها غافلة عنهم لا ترميهم بشيء من المصائب فلما حدث ذلك منها اخذ وانما الخلف [illegible] وحصلوا على المسلو [illegible]
لما تعد فيها من ماكول وملبوس وغيرهما مما ينتفع به فينفق وكان احوالهم تجد بها كناية عن استمتاعهم بما اخذوا منها من صحة ومال وغيرها الى
انقضائه وانتهاء مدته وقوله كانهم لم يبقوا من محاسنها شيئا الا اخلقوه ولا وصف حالهم فيها بما وصفنا ورفعت ذلك بذكر غاياتهم منها وهي
الاحوال المذكورة بقوله اصبحت مساكنهم اجداثا الى قوله رعام وخلاصة الكلام انكم لا تغتروا بالدنيا كما اغتر بها من كان قبلكم فان اولئك
مع انهم كانوا اشد منكم واعز نها وحصلوا منها على ما حصلوا من خيراتها كانت غاياتهم منها ان وصلوا الى ما وصلوا من العدم فكذلك انتم بطريق الاولى
ثم اكد التحذير منها بذكر اوصافها المنفرة عنها فاستعار لها لفظ الغرارة باعتبار كونها سببا ماديا للاغترار كما سبق ولما كان الخادع هو المشوه
بامر ظاهره مصلحة وباطنه مفسدة وكان ظهور زينة الحيوة الدنيا للناس بسبب الرأي الفاسد في انفسهم باتباعها وكانت تلك الزينة واتباعها سببا
للفتنة بها عن سبيل الله الذي هو عين المفسدة يشبه المفسدة في باطن الرأي لاجرم اشبه ظهور زينتها الخادع فاستعار لها لفظ الخادع بذلك
الاعتبار وكذلك استعار لفظ المعطية ولفظ المنوع باعتبار كونها سببا ماديا للانتفاع بما فيها من خيرات وسببا ماديا للمنع وكذلك لفظ الملبسة
النزوع وراعى في هاتين القرينتين المقابلة وفائدته انه لما فيهما التنفير منها بتوهم ما فيها من خيراتها ما يسطيه اولاد ذلك اكده بقوله لا تدوم رخاؤها الى
آخره ولما كان رخاؤها من صحة وشباب ومال وجاه ونحوها من سائر اللذات لسبب حوادث مشروطة باستعدادات لا تفي لهم
ومدات محدودة مضبوطة كثرة حادثة وغيرها ومستريحة التغير او بطيئة لا جرم كان من شأن ذلك انه لا يدوم التغير والانقطاع وظاهر انه لا ينقطع رخاؤها
حال لا تجالا من مستلزم لعدم انقضاء عنائها وشقائها ولا توازيل بلائها واستعار لبلاء الدنيا وعيش عدم الركود ملاحظة لشبهه بالريح الراكد عن حركته
لكونه دائما فيهما في صفة الزهاد كانوا قوما من اهل الدنيا وليسوا من اهلها فكانوا فيها كمن ليس منها عملوا فيها بما يبصرون وبادروا فيها ما
يحذرون تقلب ابدانهم بين ظهراني اهل الآخرة ويرون اهل الدنيا يعظمون موت اجسادهم وهم اشد اعظاما لموت قلوب احيائهم
اقول ظهراني بفتح النون والاشارة الى بعض صالحي الذين درجوا قبله وقوله كانوا قوما الى قوله وما فيها تنبيهان فالامر فيها التناقض يكون فيه
علة ان الطرفين لا يناقضا واختلاف فيهما يحتمل ان يكون الموضوع او بالاثنان فانهم من اهل الدنيا بابدانهم ومشاركتهم لهم في الحاجة
اليها وليسوا من اهلها بقلوبهم اذ خرجوا عن ملاذها ونعيمها واستغرقوا في محبة الله ونسوا ما عداه ولو تاثر الابرار في دار القرار فهم ابدا مطلعون ببصائرهم
لاحوال الآخرة يعيون بصائرهم كما قال عليه السلام فيما قيل في صفتهم فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون
من كان كذلك فحضوره القلبي انما هو في تلك الدار فكان بالحقيقة من اهلها وقوله عملوا فيها بما يبصرون اي كان سعيهم وحركاتهم البدنية والنفسانية
في سبيل الله ببصيرة ومشاهدة لاحوال تلك الطريق وما تفضي اليه من السعادة الباقية وعلم بما يستلزمه الانحراف عنها من الشقاوة الابدية
والبلاء المستمر ما مصدرية ويحتمل ان تكون بمعنى الذي اي بالذي يبصرونه ويشاهدونه من تلك الاحوال فان علمهم اليقين بها هو السبب
والحامل لهم في تلك الطريق وعلى سلوكها وقوله وبادروا فيها ما يحذرون اي سابقوا والمبادرة المسابقة والعاجلة وهي مفاعلة من الطرفين والمراد انهم
سابقوا ما يحذرون من عذاب الله المتوعد به في الآخرة كانهم سابقوه الى انفسهم وهم سابقوه الى الحيلولة بينها فسبقوه الى النجاة انكاثوا الكبير
لطاياتها ومسكين بعصمها وهي اوامر الله وحدوده وقوله تقلب الى قوله الآخرة اي تتقلب ويجوز فتحها التاء بين تخفيفا فالمعنى ان ابدانهم معاشرة
اهل الآخرة والعاملين لها دون اهل الدنيا وقيل يحتمل ان يريد باهل الآخرة سائر الناس لان مستقرهم الاصلي ودار قرارهم هي الآخرة كما قال تعالى
وان الآخرة هي دار القرار والمعنى انهم مع الناس بابدانهم فقط فهي تتقلب بينهم واروا حم في مقام آخر وقوله يرون الى آخره الغرض التفرقة بينهم وبين اهل
الدنيا الا يرون ان ورائهم كالانفر فكانوا فلين من احوال الآخرة من سعادة او شقاوة فكان اعظم محبوباتهم بقاء اجسادهم وتكميلها واعظم
شيء عندهم نقصانها وموتها اما المتقون فهم وان كانوا يرون ذلك الا انهم يرونا انهم افضل مما يرون وهو ان موت قلوب وفقدها لما
للحيوة بالعلم والحكمة اعظم من موت اجسادهم وذلك لعلمهم بفناء الحيوة البدنية وانقطاعها وكدرها بعوارض الامراض وسائر المنغصات
وبقاء الحيوة النفسانية وشرفها وكمالها وصفائها عن الاكدار ولا كدر لها وانما قال قلوب احيائهم ولم يقل قلوبهم لان موت القلوب قد يكون
حقيقة بموت الابدان وقد يكون مجازا وذلك بفقدان العلم ونور الحكمة مع حيوة ابدانها فكان ذكر الاحياء كالقرينة المعينة للمراد به

في بيان خطبة خطبها بذي قار

الموت مجازاً والضمير في قوله احياءهم يعود الى اهل الدنيا لان موت القلوب هو الواقع بهم حال حيوة ابدانهم ويحتمل عوده الى قوله وهم الذين
هو صبيحة المتقين وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** خطبها بذي قار وهو متوجه الى البصرة ذكرها الواقدي في كتاب الجمل
فصدع بما امر به وبلّغ رسالة ربّه فلمّ الله به الصدع ورتق به الفتق والّف به بين ذوي الارحام بعد العداوة الواغرة في الصدور
والضغائن القادحة في القلوب **اقول** ذو قار موضع قريب من البصرة وفيه كانت وقعة العرب مع الفرس قبل الاسلام والصدع
الشق والواغرة ذات الوغر وهي شدة توقد الحر وفي الصدر عن العداوة والضغن وتوقد من الغيظ وعداوة واغرة شديدة والضغائن الاحقاد
والاشارة الى اوصاف الرسول صلى الله عليه وآله فالاول استعار له لفظ الصدع بما امر به من تبليغ الوحي ووجه المشابهة انه شق بما جاء به الرسالة عصا الكفر
كلمة اهله وفرق ما اتصل من اعتقاد الجهل على نفوس الكافرين وحجب الغفلة التي رانت على قلوبهم كما يصدع الحجر بالمعول ونحوه الثاني ذكر تبليغه
رسالة الله وذكر في معرض مدحه لكونه اداها لعظم تبليغها وقدرها وذلك فضيلة تحت ملكة العفة الثالث كونه لم الله به الصدع ورتق به
الفتق واستعار لفظي الصدع والفتق لما كان بين العرب من الافتراق وتشتت الاهواء واختلاف الكلمة والعداوات والاحقاد حتى ان احدهم كان
يقتل اباه وابنه وذوي رحمه لهوى نفسه ومما صنع بجميله الجمع الشعث منه صلى الله عليه وآله الرابع تاليفهم والفة بين قلوبهم حتى جعل ذلك في معرض امتنانه
عليه اذ يقول والّف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الّف بينهم الآية استعار لفظ القادحة للضغائن
لاستلزامها اثارة الغضب والفتن والشرور كما يثير القادح النار وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** كلم به عبد الله بن زمعة وكان من
شيعته وذلك انه قدم عليه في خلافته فطلب منه مالاً فقال عليه السلام ان هذا المال ليس لي ولا لك وانما هو فيء للمسلمين وجلب اسيافهم فان
شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم والا فجناة ايديهم لا تكون لغير افواههم **اقول** هو عبد الله بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن
اسد بن عبد العزى بن قصي من كلاب وكان من اصحابه عليه السلام وشيعته وطلب المال المحاوب وروى بالحاء وجناة التمر ما يجنى منه وظاهر الكلام يقتضي انه استماحه
مالا فاعتذر اليه ووجه العذر انه لم يكن يجمع لنفسه مالا وانما يجمع له مما كان لبيت مال المسلمين من فيئهم وهو جلب اسيافهم من مال الكفار
غنيمة ونطق القرآن الكريم بقسمه خمسين من ذكر في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين و
ابن السبيل والاخماس الاربعة الباقية للغانمين الذين باشروا القتال فعند الشافعي للفارس ثلاثة اسهم وللراجل سهم وعند ابي حنيفة للفارس
سهمان وللراجل سهم وهو مذهب اهل البيت عليهم السلام ويحمل منعه اياه من الخمس على انه طلب من مال الغانمين او على ان الخمس كان قد قسم او على انه
لم يكن من المساكين وهم اهل الفاقة والفقر ولا ابن سبيل وهو المنقطع في سفره واما سهم الله فاجمع المفسرون على ان ذكر الله هنا للتعظيم وان
اختلفوا في قسمة الخمس فمنهم من قال يقسم خمسة اقسام لان سهم الله وسهم الرسول للرسول فهو قسم واحد وهو المروي عن ابن عباس وقتادة وجماعة
من اهل التفسير ومنهم من قال يقسم اربعة اقسام ومنهم من قال ثلاثة اقسام والمروي عن اهل البيت عليهم السلام بعده مع سهم ذوي القربى للقائم مقامه
ينفقها على نفسه واهل بيته من بني هاشم والثلاثة الاسهم الباقية لليتامى والمساكين وابناء السبيل من اهل بيت الرسول لا يشركهم فيها باقي الناس



عوضاً من الصدقات المحرمة عليهم والائمة الاربعة على ان سهم الرسول صلى الله عليه وآله كان يصرف بعد عهده الى الامام بعده من مصالح المسلمين من السلاح والكراع
فانه لم يكن له ان يعطيه من سهم الرسول وظاهر انه ليس من ذوي القربى ولا اليتامى واما منعه من الاخماس الاربعة فلانها كانت للمقاتلة خاصة
ولم يكن هو منهم ولذلك قال له وانما هو فيء للمسلمين وجلب اسيافهم فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم وقد نطق كلامه هنا بان الفيء
والغنيمة واحد وان كان قد يخصص الفيء عند بعضهم بما اخذ من مال الكفار بغير قتال وهو قول الشافعي والمروي في اخبار الامامية وقوله
والا فان لا يكون قد شركتهم واستعار لفظ الجناة لما اكتسبوه بايديهم من ذلك المال ملاحظة لشابهته باقتطاف الثمر واجتنائها وهو من
افصح الاستعارات ويجري مجرى المثل يضرب لمن يطلب مشاركة غيره في ثمرة عمل عمله ذلك الغير وتعب فيه ولما كان قوله والا دالا على مقدمة
شرطية متصلة وتقديره والا يكن فقد شركتهم في حربهم فنبه بقوله فجناة ايديهم الى الحرم على تاليها اذ كان مفهوم هذا القول والا على
استعماله عنه الجانب ضعيفا ما جنته يد الجاني فكانه قال والا تشركهم في حربهم فلا يكون لك نصيب فيما كسبته ايديهم والفاء جواب الشرط المقدر
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** الا وان اللسان بضعة من الانسان فلا يسعده القول اذا امتنع ولا يمهله النطق اذا
اتسع وانا لامراء الكلام وفينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت غصونه واعلموا رحمكم الله انكم في زمان القائل فيه بالحق قليل
واللسان عن الصدق كليل واللازم للحق ذليل اهله معتكفون على العصيان مصطلحون على الادهان فتاهم عارم وشائبهم آثم
وعالمهم منافق وقارنهم مماذق لا يعظم صغيرهم كبيرهم ولا يعول غنيهم فقيرهم **اقول** روي ان امير المؤمنين عليه السلام قال هذا الكلام
في واقعة اقتضت ذلك وهي انه امر ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومي يوما ان يخطب الناس فصعد المنبر فحصر فلم يستطع الكلام فقام عليه السلام
وتسنم ذروة المنبر وخطب خطبة طويلة ذكر الرضي رحمه الله منها هذا الفصل والبضعة القطعة وتنشبت تعلقت وتهدلت تدلت والعارم
الشرس سيء الاخلاق والمماذق الذي يمزج الود ولا يخلصه وهو نوع من النفاق والضمير في يسعده ويمهله للسان وفي امتنع واتسع
للانسان والمعنى ان اللسان لما كان آلة للانسان يتصرف بتصريفه اياه فاذا امتنع الانسان عن الكلام لشاغل او عذر لم يسعده اللسان

اثتر ادم

في بيان سبب اختلاف الناس في الصور والأخلاق

خ ٢٠٧

القول ولم يواتره واذا دعاه الداعي الى الكلام وحضره واقتنع الانسان له لم يمهله النطق الى ان يسارع اليه ويحتمل ان يقول الضمير في امتنع الى القول وفي اتسع الى النطق اي فلا يبعد القول اللسان اذا امتنع القول من الانسان ولم يحضره لوهم ونحوه او حصره وعيّ ولم يمهله النطق اذا اتسع عليه وحضره وقوله وانا لامراء الكلام استعار لفظ الامراء لنفسه واهل بيته ملاحظة لكونهم مالكين لازمة الكلام يتصرفون فيه تصرف الامراء في ممالكهم واستعار لفظ العروق لاصول الكلام واصوله ومكاناته المتمكنة نحو قواعدهم واستعار لفظ التشبث وكذلك استعار لفظ الغصون لما امكنهم من شعبه وفروعه وقوله وشبه بذكر انتهى قيل لانه من شأن الغصن ذلك ثم عقب بذكر الزمان واهله وشبه ان يكون هذا فصلا منقطعا عما قبله وذكر اوصافا فاحدها قلة القائلين فيه بالحق وذلك عن التمرد الا الاحق لاهل الزمان فيه ففقدت ما قلناه في كون الزمان سببا ما للشر والخير عنده وقوله ان الناس انا قد اصبحنا في دهر عنود وعنه من كون اللسان فيه كليلا عن الصدق والسبب القريب للوصفين استيلاء الجهل والظلم على اكابره واهل الدنيا فيه الثالث ذكر الملازمين الحق فيه وهو لائم عن قلتهم وضعفهم بالنسبة الى الباقين والرابع كون اهله معتكفين على العصيان وذلك للاكثرين من الناس الخامس كونهم مصطلحين على الادهان الصانعة باللسان دون الانفاق بالقلوب ويحتمل ان يريد بالادهان الغش وهو اعم السادس فتيهم عاجب اصنافهم فتناهم شرهم الاخلاق المتوقدة على عدوبهم وشابهم اثم الجهل وغفلتهم عما يراد بهم وغاية منافرة لاستعمال الفطنة في طرق الشر والاعراض عن ولد الله وطريق الاخرة وعالمهم منافق يظهر الورع للناس ويبطن الشر السابع كونهم لا يعظم صغيرهم كبيرهم وذلك لعدم تعودهم على الادب الشرعية وعدم التفاتهم اليها الثامن ولا يعول غنيهم فقيرهم ويضعفهم بالجفاوة والبخل بالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام

رواه ابو محمد اليماني عن احمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية قال كنا عند امير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال انما فرق بينهم مبادي طينهم وذلك انهم كانوا فلقة من سبخ ارض وعذبها وحزن تربة وسهلها فهم على حسب قرب ارضهم يتقاربون وعلى قدر اختلافها يتفاوتون فتام الرواء ناقص العقل وماد القامة قصير الهمة وزاكي العمل قبيح المنظر وقريب القعر بعيد السبر ومعروف الضريبة منكر الجليبة وتائه القلب متفرق اللب وطليق اللسان حديد الجنان اقول دعلب واحمد وعبد الله ومالك من رجال الشيعة ومحدثيهم والفلقة القطعة والشيء الشق من الشيء والرواء المنظر الجميل وسبر الرجل سيره الخبرة بباطنه وغوره والضريبة الخلق والطبيعة والجليبة ما يجلبه الانسان ويتكلفه في الكلام اشارة الى السبب المادي لاختلاف الناس في الصور والاخلاق فقوله انما فرق بينهم الى قوله يتفاوتون اشارة الى الطينة التي اشار الى جمع الله سبحانه في قوله في الخطبة الاولى ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنها بالماء حتى خلصت الى آخر الفصل وقد عرفت والمعنى ان تفاوتهم في الصور والاخلاق تابع لتقارب طينهم وتقارب مباديهم التي هي السهل والحزن والسبخ والعذب وتفاوتهم فيها تابع لتفاوت طينهم ومباديها لكونه فاعل التأويل ما مر المبادي هاهنا الى الطين اضافة بمعنى اللام اي المبادي لطينهم والاشارة بطينهم الى اصولهم وهي الممتزجات المتنقلة في اطوار الخلقة كالنطفة وما قبلها من موادها وما بعدها من العلقة والمضغة والعظم والمزاج الانساني القابل للنفس المدبرة قالوا ولما كانت مبادي تلك الطين في ظاهر كلامه عليه السلام هي السبخ والعذب والسهل والحزن كان ذلك كناية عن الاجزاء العنصرية التي هي مبادي الممتزجات ذوات الامزجة كالنبات والغذاء والنطفة وما بعدها اذ كل ممتزج منها لا بد فيه من اجزاء متفاعلة تحصل بواسطتها استعدادها وتفاعلها اذ ومزاج هو نطفة وغيرها فاختلاف الاجزاء المتفاعلة المستعدة للمزاج مزاج هي مبادي تلك الامزجة والممتزجات ولما كانت التسخينة والعذوبة والسهولة والحزونة امورا تلحق الممتزجات الارضية التي هي مبادي الطين ولها اثر في اختلاف مزاجية سائر الامزجة المركبة منها وكان اختلاف استعدادات تلك الامور الممتزجة لقبول الامزجة التي هي السبب في اختلاف الامزجة وكان اختلاف الامزجة واستعداداتها لقبول الاخلاق والصور هو السبب في اختلاف الاخلاق والصور لا جرم كان السبب في تفرق الناس في اختلافهم وخلقهم انما هو لاختلاف مبادي طينهم وقد علمت مما سلف في الخطبة الاولى لم تخصيصه بعض الاجزاء العنصرية المركبة عنها ويحتمل ان يشير بالسبخ والعذب والسهل والحزن الى الاجزاء الارضية من حيث هي ذوات امزجة متعادلة الكيفيات فالسبخ كناية عن الحار اليابس منها والعذب كناية عن الحار الرطب والسهل كناية عن البارد الرطب والحزن كناية عن البارد اليابس قالوا وعلى هذا التأويل قول الرسول صلى الله عليه وآله ان الله سبحانه لما اراد خلق آدم امر ان يوخذ قبضة من كل ارض فجاء بنو آدم على قدر طينها الاحمر والابيض والسهل والحزن والطيب والخبيث فالقبضة من كل ارض اشارة الى الاجزاء الارضية المذكورة وكون الناس مختلفين عنها بالابيض والاحمر اشارة الى اختلاف خلقهم وكونهم مختلفين بالسهولة والحزونة والطيب والخبيث اشارة الى اختلاف اخلاقهم عن اختلاف تلك الاستعدادات اذ الانسانية على كل مزاج في اطوار خلقهم قالوا وقد بان من ذلك معنى قوله وهم على حسب قرب ارضهم يتقاربون اي على حسب قرب مبادي طينهم المذكورة وتشابهها في استعداداتها واعدادها يتقاربون ويتشابهون في الصور والاخلاق وعلى قدر اختلاف تلك المبادي وتباينها في ذلك يتفاوتون ويتضادون في اخلاقهم ومباين خلقهم قالوا ويجب التأويل هنا لانا لو حملنا الكلام على ظاهره لاقتضى ان كلا منهم قد خلق من الطين فقوله فتام الرواء الى آخره تفصيل لهم في تفاوتهم وذكر اقساما سبعة وقد عداه بالاقسام التي تضاد خلقها لاخلاقها او يعض خلافها لبعض وهي سبعة الاول من استعد لمزاجه



في كلام كلمة عند غسل الرسول

لقبول صورة كامل بحسنه وعقل ناقص فهو داخل في نهاية الغباوة الثاني المستعد لامتداد القامة وحسنها ايضا لكنه ناقص في همته فهو داخل
في رذيلة الجبن وكلاهما يشتركان في حال القد ظاهرها باطنهما وتنبيها وثانيهما ان الاستعداد الباطن الثالث المستعد لقبح صورة القامة وحسن
باطنه باعتدال المزاج ونفسه المستلزم للاعمال التراكيب الرابع قريب القعر اي قصيرها بعيد الشبر اي داهية بعيد اختبار باطنه والوقوف على اسراره
وحال القد ظاهرها هذين القسمين لباطنهما ظاهر الخامس معروف القعر بينه ومنكر الجليل اي يكون الخلق معروفا يتكلف ضده فيستنكر منه
ويظهر عليه تكلفه كان يكون مستعدا للجبن فيتكلف التشجع او بخيلا فيتكلف السخاء فيستنكر منه ما لم يكن معروفا منه فهي وهذه هي الاقسام
الخمسة والقسم الاول والثالث قليلان فان الاغلب على المستعد بحسن الصورة وجمالها واعتدال الخلقة ان يكون حظه ذكيا لدلالة تلك الاعراض
على استواء التركيب واعتدال المزاج والاغلب على المستعد لقبح الصورة عكس ذلك واما القسم الثاني والرابع فهو اكثر فان الاغلب على طويل القامة نقصان
العقل والبلادة ويتبع ذلك فتور العزم وقصور الهمة وعلى القصير الفطنة والذكاء وحسن الاراء والتدابير وقد نبه بعض الحكماء على علة ذلك فقال
حين سئل ما بال القصار من الناس ادهى واحذق قال لقرب قلوبهم من ادمغتهم ومراده ان القلب لما كان مبدأ الحار الغريزي وكانت الاعراض النفسانية
من الفطنة والفهم والاقدام والتوقد وحسن الظن وجودة الرجاء والتوقي والنشاط وجودة الاخلاق وقلة الكسل وقلة الانفعال عن الاشياء وكان ذلك
يدل على الحرارة وتوفرها واضداد هذه الامور يدل على البرودة كان قرب القلب من الدماغ في القصير لكونه سببا لتوفر الحرارة في الدماغ وجودة
استعداد القوى النفسانية للاعراض المذكورة وكان بعده منه في الطويل سببا لقلة الحرارة فيه وضعف استعداد القوى النفسانية لتلك
الاعراض واستعدادها لاضدادها وان كانت الحرارة ليست هي كمال السبب المادي والقسم الخامس اكثري وذلك لمحبة النفوس للكمالات
فترى البخيل يحب ان يعد كريما فيتكلف الكرم والجبان يحب ان يعد شجاعا فيتكلف التشجع وقد راعى في هذه القرائن المطابقة فالتام بازاء الناقص
وماد القامة بازاء القصير والزاكي بازاء القبيح والقريب بازاء البعيد والمعروف بازاء المنكر واما القسمان الباقيان فاحدهما تائه القلب متفرق القلب
وهم العوام والرعاع اتباع كل ناعق التائهون في تيه الجهل المتفرقة اهواؤهم بحسب كل سانح من المطالب الدنيوية والخواطر الشيطانية والثاني
طليق اللسان حديد الجنان وهو اللسن الذكي وهذان القسمان مخالفان للاقسام الاولى في مناسبة ظاهرهما لباطنهما وراعى في كل قرينتين
من هذين القسمين السجع المتوازي وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه بابي انت
وامي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والانباء واخبار السماء خصصت حتى صرت مسليا عمن
سواك وعممت حتى صار الناس فيك سواء ولولا انك امرت بالصبر ونهيت عن الجزع لانفدنا عليك ماء الشؤون ولكان الداء
مماطلا والكمد محالفا وقلا لك ولكنه ما لا يملك رده ولا يستطاع دفعه بابي انت وامي اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك

اقول روى عوض الانبياء الانباء وهي الاخبار والشؤون مواصل قطع الرأس المشعوب بعضها مع بعض وعليها الماء والعرب تقول ان
الدموع تجيء منها وقال ابن السكيت الشأنان عرقان ينحدران من الرأس الى الحاجبين ثم الى العينين والكمد الحزن المكتوم والمحالف الملازم والبال
القلب وقوله بابي انت وامي يتعلق بمحذوف تقديره افديك وانما قال انه لقد انقطع بموتك الى قوله السماء لانه صلى الله عليه وآله خاتم الانبياء
واراد باخبار السماء الوحي قال اهل التأويل ولفظ السماء مستعار للعالم العلوي من سماء عالم الغيب ومقامات الملأ الاعلى وقوله خصصت الى قوله
سواء اي خصصت في مصيبتك من حيث انها مصيبة خاصة عظيمة لا يصاب الناس في الحقيقة بمثلها فلذلك كانت مسلية لهم عن المصائب من
سواك وعممتهم بمصيبتك حتى استووا فيها واضافها اليه وان كانت المصيبة لكونها بسببه وقوله ولولا الى قوله وقلا لك اشارة الى ما يقتضي ترك البكاء
الكثير ومماطلة الداء وملازمة الحزن وهو امره بالصبر في مواطن المكروه والنهي عن الجزع عند نزول الشدائد وكنى عن كثرة البكاء بانفادنا
ماء الشؤون وبالداء عن الم الحزن بفقده صلى الله عليه وآله واستعار له لفظ المماطل لان الحزن والم لبثه وتمكنه لا يكاد يفارق مع ان من
عادته ان يفارق فهو كالمماطل المفارق والضمير في قوله وقلا لك يعود الى نفاد ماء الشؤون الذي دل عليه انفدنا والكمد المحالف ولما كان
هو الداء المماطل اي بعينه الاثنين ويحتمل ان يعود الى الداء المماطل والحزن الملازم ترجيحا للقرب والضمير في قوله ولكنه ما لا يملك يعود
الى الموت في قوله بموتك وتقديره ولكن الموت الذي لاجله البكاء والحزن ما لا يملك رده ولا يستطاع دفعه فلم يكن في البكاء والجزع فائدة
وكان لزوم الصبر اولى ثم عاد الى التفدية وهي كلمة معتادة للعرب تقال لمن يعز عليهم فان قلت كيف تحسن التفدية هنا بعد الموت وهي غير ممكنة قلت
انه لا يشترط في الاتيان بها في عرفهم امكان الفدية اذ ليس الغرض منها تحقيق الفدية بل تخييل الفدية وايهامها الا الاستعطاف وتخييل المقول له انه
عزيز في نفس القائل الى غاية انه يرخص من ابيه وامه بحيث يفديه بهما وظاهر ان ايهامها يفعل في الطبع ميلا من المقول له ثم سأل ان يذكره عند ربه
وان يجعله من باله اذ هو السابق اليه مع كونه رئيس الخلق ومقدمهم فكان اولى من يسأل ذلك منه واراد اذكرنا عنده بما نحن عليه من طاعته
فهو كامير بعثه الملك الى اهل مدينة ليصلح حالهم وينظمهم في سلك طاعة الملك بالترهيب من وعيده والترغيب فيما عنده من الكرامة فلا بد
ان يعلم طاعة المطيع وعصيان العاصي اذا حان رجوعه الى حضرة الملك حتى عقلاؤهم واهل الطاعة منهم ان يذكر طاعتهم عند الملك
بين يديه فيتقربون الى قلب اميرهم ويتوددون بجعلهم من بالذي من همته يقال هذا من بال فلان اي مما بباله ومنه يحمل

كلام له عند غسل الرسول

الشؤون والعيون

ايهاما يعقل

ان يريه من مهمات الملك شعانون الصاد وقبض صلى الله عليه وآله بعد الهجرة بعشر سنين وكان مولده عام الفيل وبعث وهو ابن اربعين سنة وبقى بمكة
الكعبة وهاجر الى المدينة وهو ابن ثلث وخمسين سنة فكان سنه يوم قبض ثلثا وستين سنة وقيل انه ولد يوم الاثنين ودخل المدينة يوم
الاثنين وتوفي ليلة الاربعاء بحجرة عائشة وفيها قبض وتولى تغسيله علي عليه السلام والعباس بن عبد المطلب وولده الفضل وقد اشرنا الى ذلك كيفية دفنه

وقبض يوم الاثنين

في قوله ولقد علم المستحفظون والله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد
ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده وباشتباههم على ان لا شبه
له الذي صدق في ميعاده وارتفع عن ظلم عباده وقام بالقسط في خلقه وعدل عليهم في حكمه مستشهد بحدوث الاشياء على
ازليته وبما وسمها به من العجز على قدرته وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه واحد لا بعدد دائم لا بامد وقائم لا
بعمد تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة وتشهد له المرائي لا بمحاضرة لم تحط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها واليها حاكمها ليس
بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيما ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيدا بل كبر شانا وعظم سلطانا
واشهد ان محمدا عبده ورسوله الصفي وامينه الرضي صلى الله عليه وآله ارسله بوجوب الحجج وظهور الفلج وايضاح المنهج فبلغ الرسالة صادعا
بها وحمل على المحجة دالا عليها واقام اعلام الاهتداء ومنار الضياء وجعل امراس الاسلام متينة وعرى الايمان وثيقة **اقول**
المشاهد المحاضر والمجالس والمرائي جمع مرآة بفتح الميم وهي المنظر يقال فلان حسن في مرآة العين وفي رأي العين اي في المنظر والفلج الظفر
واصله الشكون والامراس جمع مرس بفتح الراء جمع مرسة وهي الحبل وقد حمد الله تعالى باعتبارات من التنزيه الاول كونه لا تدركه الشواهد
واراد الحواس وسماها شواهد لكونها تشهد ما تدركه وتحضره وقد علمت تنزيهه عن ادراك الحواس مرة الثاني ولا تحويه المشاهد
وقد علمت تنزيهه عن الامكنة والاحياز الثالث ولا تراه النواظر اي نواظر الابصار وانما خصص البصر بالذكر بعد ذكر الشواهد لانه
تنزيهه عن سائر الحواس ووقوع الشبهة وقوتها في اذهان كثير من الخلق في جواز ادراكه بهذه الحاسة حتى ان مذهب كثير من العوام انه يرى
تعالى عن ذلك ضلال بل كفر تعالى الله عما يقول العادلون الرابع ولا تحجبه السواتر وقد علمت ان السواتر الجسمانية انما تعرض للاجسام وعوارضها
وعلمت تنزيهه تعالى عن ذلك الخامس كونه دالا على قدمه بحدوث خلقه واعلم انه جعل حدوث خلقه هنا دالا على امرين احدهما قدمه تعالى
والثاني وجوده وقد سبق تقرير ذلك في قوله عليه السلام الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبحدث خلقه على ازليته غير انه جعل هناك
الدليل على الوجود هو نفس الخلق وجعله هنا هو الحدوث ولما كان مجرد الوجود للممكنات وخلقها يدل على وجود صانع لها فاولى
ان يدل حدوثها عليه وقدمه وازليته واحد السادس كذلك تقرير قوله وباشتباههم على ان لا شبيه له في الفصل المذكور السابع
الذي صدق في ميعاده وصدقه تعالى يعود الى مطابقة ما نطقت به كتبه على السنة رسله الصادقين عليهم السلام للواقع في الوجود وما وعد به اما
في الدنيا كما وعد رسوله والمؤمنين بالنصر والاستخلاف في الارض كقوله وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها الآية وقوله وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض واما في الآخرة كما وعد عباده الصالحين بما اعد لهم في الجنة من الثواب الجزيل والخلف
في الوعد كذب وهو على الله سبحانه محال وهو كقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد الثامن وارتفع عن ظلم عباده وهو تنزيه له عن حال
لملوك الارض الذين من شأنهم ظلم رعيتهم اذا ارادت ذلك او لحاجتهم وان غيته منفعة او لدفع ضرر او ثأر وكل ذلك من توابع الامزجة
وعوارض البشرية المحتاج الى تحصيل الكمال الحقيقي او الوهمي وجناب الحق تعالى منزه عن ذلك التاسع وقام بالقسط في خلقه فيما امر بالقسط وهو
العدل فيهم لجواز الاحكام في خلقه وانه على وفق الحكمة والنظام الاكمل الكلي وهو ايضا وكذلك عدل عليهم في حكمه العاشر كونه مستشهدا بحدوث
الاشياء على ازليته الاستشهاد الاستدلال وكرره هنا تاكيدا باختلاف العبارة الحادي عشر وبما وسمها به من العجز عن قدرته العجز عبارة عن عدم القدرة
عما من شأنه ان يقدر ولا يقال للجماد انه عاجز وقد علمت ان كل موجود سواه فهو موصوف وموسوم بعدم القدرة على ما يختص به
قدرته تعالى من الموجودات بل بعدم القدرة على شيء اصلا اذ كل موجود فهو منتهى في سلسلة الحاجة اليه وهو تعالى مبدأ وجوده وسائر ما يعد
سببا له فانما هو واسطة معدة كما علم تحقيقه في موضعه فاذن لا قدرة في الحقيقة الا له ووجه الاستدلال انه لو كان موسوما بالعجز
عن شيء لما كان مبدأ لكل موجود فهو ثابت القدرة تاما الثاني عشر وبما اضطرها اليه من الفناء دوامه واضطراره لها الى الفناء

لكنه مبدء ح

حكم قدرته القاهرة على ما استعد منها للعدم باضافة صورة العدم عليه حين استعداده لذلك تاليا وفق قضائه تعالى بذلك وهو المشار اليه بقوله
ثم نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ووجه الاستدلال انه تعالى لو كان مضطرا الى الفناء كسائر الاشياء لكان
جائز الفناء فكان ممكنا لكن التالي باطل فهو واجب الوجود لذاته الثالث عشر كونه تعالى واحدا لا بعدد اي انه ليس واحدا بمعنى انه مبدأ الكثرة ويكون عادا
لها ومكيالا وقد سبق بيان ذلك وبيان اطلاق جهة الوحدة عليه باي معنى هو وغيره فلا معنى للاعادة الرابع عشر كونه دائما لا بامد وقد سبق
ايضا بيان ان كونه دائما بمعنى ان وجوده مساوق لوجود الزمان اذ كان تعالى هو موجد الزمان بعد مراتب من خلقه ومساوقه للزمان لا يقتضي
كونه في الزمان لما كان الامد هو نهاية من الزمان ومنتهى الزمان الذي المقدر به لذي الزمان من زمانه ثبت انه تعالى منزه عن زمانه

يعرض له الامد ثبت انه دايم الامد له الخامس عشر كونه قايما اي الابعد ثابت الوجود من غير استناد الى سبب يحتاج عليه وبقيه في الوجود كسابر الموجودات
الممكنة وذلك هو معنى كونه واجب الوجود وقد اشرنا الى برهان ذلك في قوله الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وكثير من قراين هذا الفصل
موجود هنا السادس عشر كونه تتلقاه الاذهان لا بمشاعره وتلقي الاذهان له يعود الى استقبالها وتقبلها لما يمكنها ان يتصوره من صفاته
السلبية والاضافية وكون ذلك لا بمشاعره اي ليس تلقيها لتلك التصورات من طريق المشاعر وهي الحواس ولا على نحو شعورها بما
تشعر به منها بل تتلقاها على وجه اعلى واشرف تتعقل منزها ومبرى عن علايق المواد مجردا عن ادراك الحواس وتوابع ادراكاتها من الوضع والاين
والمقدار واللون وغير ذلك السابع عشر كونه تشهد له المرائي لا بمحاضرة اشارة الى كون المرائي والنواظر طرقا للعقول الى الشهادة بوجوده
ثم في اثار قدرته ولطايف صنعته وما يدرك بحس البصر منها ولوضوح العلم بها وشهادة العقول بوجوده في المدركات بهذه
الابصار كانه تعالى مشاهد لها فيها وان لم تكن هذه الالة محاضرة له ولا تتعلق ادراكها به ويحتمل ان يريد بالمرائي المرئيات التي هي
مجال ابصار الناظرين ومواقعها وذلك لان وجودها وما اشتملت عليه من الحكمة شاهد بوجود الصانع سبحانه من غير حضوره ومحاضرة
حسية كما عليه الصناع في صنايعهم من محاضرتها ومباشرتها الثامن عشر كونه لم تحط به الاوهام اولى بل لما كانت انما تتعلق بالمعاني
الجزئية المتعلقة بالمحسوسات والمواد الجسمانية فتنزيهه تعالى عن احاطة الاوهام برهانه قياس هكذا لا شيء من الوهمي واجب الوجود متعلق
بمادة ووضع وكل مدرك للوهم فهو متعلق بهذه مادة ووضع ينتج لا شيء مما هو واجب الوجود بمدرك للاوهام اصلا فضلا ان يحيط به
وقد مر ذلك مرارا التاسع عشر كونه تعالى تجلى لها وبها امتنع منها لانه لا تدرك الا ما كان معنى جزئيا في محسوس فمعنى تجليه لها هو ظهوره لها في
صورة وجود ساير مدركاتها من جهة ما هو صانعها وموجدها اذ كانت الاوهام عند اعتبارها الاحوال انفسها من وجوداتها وعوارض وجوداتها
والتغيرات اللاحقة لها شاهدة لحاجتها الى موجد ومقيم ومغير بمساعدة العقول على ذلك وان ادراكها لذلك في انفسها على حد جزئي مخالف
لادراك العقول وكانت مشاهدة له بحسب ما طبعت عليه وبقدر امكانها وهو متجل لها كذلك والباء في بها للسببية اذ وجودها هو السبب المادي
في تجليه لها ويحتمل ان يكون بمعنى في اي تجلى لها في وجودها وبل هذا الاضراب مما امتنع منها من الاحاطة به والاثبات لما امكن ووجب
من تجليه لها العشرون وبها امتنع اي لما خلقت قاصرة عن ادراك المعاني الكلية وعن التعلق بالمجردات كانت بذلك سبب الامتناعه عن ادراكها
له وان كان لذلك الامتناع اسباب اخر اولاها كونه تعالى بريا عن انحاء التراكيب ويحتمل ان يريد بقوله بها اي بها لما اشتملت عليه تلك الصور وكان
هو نعم ممتنع الادراك بالكلية عرفت عند توجهها اليه وطلبها لمعرفته بالعجز عن ادراكه امتنع عنها فبها اي بما عرفتها امتنع منها الحادي والعشرون كونه
اليها حاكمها اي جعلها الحكم ابطال بينة عند رجوعها من توجهها في طلبه مضيفة تخلف العقول حسيرة معترفة بانه لا ينال بجولان اعمال كنه
معرفته ولا يخطر ببال اولى الرايات خاطر من تقدير جلال عزته بحاجتها واستغنائه ونقصانها وكماله ومخلوقيتها وخالقيته الحكم في ذلك بما فيها
من صفات الصنع وعدمه من صفات الصانعية واتفقت العقول في ذلك الاحكام واسناد المحاكمة اليها مجاز كما نسبه ما ذكرناه وقال بعض الشارحين
اراد بالاوهام ههنا العقول وظاهر انها لا تحيط به لكونه غير مركب محدود وتجليه لها هو كشف ما يمكن ان يصل اليه العقول من صفاته الاضافية
والسلبية وقوله وبها امتنع منها اي بالعقول ونظرها علم انها لا تدركه واليها حاكمها اي جعل العقول المدعية انها احاطت به وادركته كالخصم
له سبحانه ثم حاكمها الى العقول السليمة الصحيحة فحكمت له العقول السليمة على المدعية لما ليست مما لها وما ذكره هذا الفاضل يحتمل الا ان اطلاق
لفظ الاوهام على العقول انما يجاز بقرينة وعند من يجعلها غير مختصة وقال غيره اراد لم تحط به اهل الاوهام فحذف المضاف
وعند تامل ما بيناه يلوح انه هو مراده او قريب منه هذه الالفاظ التي من لطايف اشاراته والاطلاع على سر الحكمة الثاني والعشرون
كونه ليس بذي كبر الى قوله تجسيما الكبير يقال للعظيم الحجم المقدار ويقال لعالي السن من الحيوان ويقال العظيم القدر رفيعه ومراده نفي
الكبر عنه بالمعنى الاول اذ من لوازم ذلك كون الكبير ممتدا في الجهات الثلث طولا وعرضا وعمقا فيحصل التكبير الجسمي وقد تقدم تقريره عن
ذلك وتقدسه عن الكبر بالمعنى الثاني ظاهر ونصب تجسيما مصدرا في موضع الحال اي فكبر مجسما اوجسمته وانما اسند الامتداد الى النهايات
لانها غايات الطبيعة بالامتداد يقف عندها وينتهي بها فكانت من الاسباب الغائية فلذلك اسند اليها وكذا اسناد التكبير اليها اذ كان
التكبير من لوازم الامتداد اليها الثالث والعشرون كونه لا بذي عظم الى قوله تجسيدا والعظيم يقال على ما يقال عليه الكبير بالمعنى الاول و
الثالث دون الثاني ومراده سلب العظيم عنه بالمعنى الاول الماتم واسناد التناهي الى الغايات نظرا اذ كانت سببا للوقوف فيها انقطع والتها بليغ
وكذا اسناد التعظيم اليها كاسناد التكبير ان اسند التناهي اليه مجازا الرابع والعشرون كونه كبير شانا الخامس والعشرون كونه عظم سلطانا
لما سلب الكبر والعظم عنه بالمعنيين الاولين اشار الى ان اطلاقهما عليه بالمعنى الثالث ونصب شانا وسلطانا على التمييز فهو الكبير شانا اذ لا شان
اعلى من شانه والعظيم سلطانا اذ لا سلطان ارفع من سلطانه وهو مبدء شان كل ذي شان ومنتهى سلطان كل ذي سلطان لا اله الا هو
الكبير المتعال ذو الكبرياء والعظمة والجلال ثم انه اردف تمجيده تعالى بما عرفه لما هو الكلمة المتممة لكلمة الاخلاص من الشهادة التي هي مبدء لكمال
القوة العملية من النفوس البشرية بعد كمال قوتها النظرية بالشهادة الاولى وهو كونه صلى الله عليه وآله عبده صفيا لله وامينا على وحيه ومرتضى

لله

ومنها في صفة عجيب خلق اصناف من الحيوان

لان الله تعالى ايده بذلك بالاشارة الى كونه رسولا والى وجوه ما ارسل به وهو وجوب الحجج ولا ادلة اما المعجزات وما هو اعم من ذلك مما يصلح ان يكون حجة لله على خلقه في تكليفهم ان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ويدخل في ذلك دلائل الاحكام وطرق الدين التفصيلية وكونه ارسل بوجوبها اي وجوب قبولها على الخلق ووجوب العمل على وفقها وظهور الفلج وهو الظفر والفوز على سائر الاديان والظفر باهلها و بالمعاندين بالله والجاحدين له وايضاح المنهج وهي طريق الله وشريعته وكونه موضحا لها ومبينا والى ذلك الاشارة بقوله تعالى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فالهدى هو ايضاح المنهج وقوله ليظهره على الدين كله اشارة الى بعض غايات بعثته وهي المراد بظهور الفلج وروي بضم الفاء واللام وهو بضم الفاء وسكون اللام الفوز ويجوز ضم اللام للشاعر والخطيب وقوله فبلغ الرسالة صادعا اظهارها والجاهر بها وقد علمت ان اصل الصدع الشق فكانه شق بالجاهر بها عصا المشركين وفرق ما اجتمع من شرهم وحمله على المحجة وهي طريق الله وشريعته ودعوته اليها وجذب الخلق الى سلوكها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن ثم بالسيف لمن لم تنفعه المجادلة ولذلك اراد بالاعلام الاهتداء ادلته وهي المعجزات وقوانين الدين الكلية وكذلك منار الضياء فانه لما اظهارها والقاها الى الخلق ولفظ المحجة و الاعلام والمنار مستعارة كما سبق تقريره وصادعا والانتصاب على الحال واستعار لفظ الامراس والعرى لما يتمسك به من الدين والآيات ووجه منكر الوثاقة والقوة افتراسا وبجعله كذلك الى تثبيت قواعد الاسلام وعقدها في قلوب الخلق واضحة جلية بحيث تكون عصمة التمسك بها في طلب النجاة من مخاوف الدارين وسببا لا ينقطع دون الغاية القصوى وبالله التوفيق **منها في صفة عجيب خلق اصناف من الحيوان**

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ وَالْأَبْصَارَ مَدْخُولَةٌ أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَصُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا وَفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ وَلَا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ لَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أُكُلِهَا وَفِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ وَلَمْ يُعِنْهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ كَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَالرِّيَاحُ وَالْمَاءُ فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ وَجَحَدَ الْمُدَبِّرَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ وَلَمْ يَلْجَؤُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا وَعَوْا وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا. وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِصْبَعًا مُسْتَدِقَّةً فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَيُعَفِّرُ لَهُ خَدًّا وَوَجْهًا وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْمًا وَضَعْفًا وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفَسِ وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى وَالْيَبَسِ قَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا فَهَذَا غُرَابٌ وَهَذَا عُقَابٌ وَهَذَا حَمَامٌ وَهَذَا نَعَامٌ دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثِّقَالَ فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا وَعَدَّدَ قِسَمَهَا فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا **أقول** الدخل العيب

والبشر ظاهر الجلد والجامس الجامد والشراسيف اطراف الاضلاع المشرفة على البطن والضرب الارض اللينة والحدقة سواد العين والقمرة بياض فيها وضيا وهما يقال حصد قرضه مضيقه واجلبوا جمعوا والنزوات الوثبات والنفس(?) المنزع في العمر وهو التراب وقوله ولو فكروا الى قوله مدخولة وضع حرف لو ليدل على امتناع الشيء لامتناع غيره لكن الاغلب عليه ان يستعمل للدلالة على امتناع اللازم لامتناع ملزومه وذلك على وجهين احدهما ان يكون ذلك اللازم مساويا للملزوم اما حقيقة او وضعا والثاني ان يكون الملزوم علة لذلك ليلزم من رفع الملزوم رفع اللازم ويكون الاستدلال بها مما اذا لم يكونا كذلك جاز ان يستدل بها على امتناع الملزوم لامتناع لازمه كما في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقد استعمله عليه السلم هنا بالوجه الثاني من الوجهين الاولين واستدل على ان الخلق لم يرجعوا الى طريق الله عنهم وعدم الايمان ولم يخافوا من وعيده بعذاب الحريق في الاخرة لانهم لم يفكروا فيما عظم من قدرته في خلق مخلوقاته وعجائب مصنوعاته وما جسم من نعمته على عباده ويحتمل ان يريد بالقدرة المقدور مجازا اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق وكان ذلك من باب الاستدلال بعدم العلة على عدم المعلول لكون الفكر في ذلك سببا عظيما في الجذب لهم الى اتباع شريعته وسلوك سبيله اليها واليه الاشارة بقوله تعالى اولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله

كذلك

لما اوعوا

في بيان صنعة عجيب خلق اصناف الحيوان

من شيء وقوله او لم يروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها الاية ونحوه وقوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور مع قوله بيان لعدم تعقل المذكورين منهم وهو الفكر
واشار الى ما فيها بوجه ما ينافي وجود شرطها الذي كون القلوب عليلة وكون الابصار معيبة بما فيها من حجبها وسلامتها الذين فيما يتراءان
في وجود الفكر الصحيح ومع وجود المنافي يحصل قلوبهم وسلامة ابصار بصائرهم لا يحصل الصحيح الذي هي شرط الفكر فلا يحصل معلوله وهو
الفكر فلا يحصل
الرجوع الى الله وعلل القلوب وما يحجب ابصار البصائر من العيوب تعود الى الجهل والعشية النباتات الدنية والاخلاق الرديئة الذين اكتسبت
من جواذب الشهوات الى خسايس اللذات المغطية لانوار البصائر الحاجبة عن ادراك واضح الطريق الحق وقوله افلا ينظرون الى قوله الآية تنبيه
لهم على بعض مخلوقاته ومصنوعاته التي اشار الى عظمتها القدرة فيها والحسن البديع الترتيب البديع الحسن فانك علمت ان الخطيب
اذا اراد ان يقول في امر تعظيما اولا على سبيل الاجمال بقول كلي ليستعد السامعون بذلك لما يريد قوله وبيانه ثم يشرع في تفصيله ولما
اراد ان ينبه على عظمة الله بتفصيل بعض مخلوقاته كالنمل والجراد ونحوه اشار اولا الى عظيم القدرة ووبخ السامعين على اغفالهم الفكر
فيها ليعلم انه يريد ان ينبه على تفصيل امرهم ثم تلاه بالتنبيه على لطيف الصنع في صغير ما خلق وكيف احكم خلقه واتقن تركيبه على صغر وفلق
له البصر وسوى له العظم ولم يبين الى ان استعمل بذلك لتعظيم انه القلوب واقبلت بانها مفاد النفوس فذلك ما ذكر النملة وذلك قوله
انظروا الى النملة الى قوله تعالى وهيئتها كيفيتها التي عليها صورتها وصورة اعضائها وظاهرها ان الانسان لا يدركها بلحظ البصر الى ان يسير
اليها بعناية ولا يكاد عند مراجعة فكره واستدلاله فوق يعلم حقيقتها وكيفية خلقها وتشريح اعضائها بنظر في
ذلك والباء في قوله بمستدرك يتعلق بينال ولا ينبغي ان يفهم من قوله ولا ينال بمستدرك الفكر اي في صورتها الظاهرة التي يدركها
البصر فربما يسبق ذلك الى بعض الافهام لمكان العطف بل ما ذكرناه من شرح حقيقتها فانه ليس حظ الفكر ان يدرك صورتها المحسوسة
بالبصر بل ان يبحث عن عجائب صنعها ليستدل بذلك على حكمة صانعها وجلالة عظمته ومحل قوله لا يكاد تنال يحتمل ان يكون نصبا على الحال
والعامل انظروا ويحتمل ان يكون مستانفا وكيف في محل الجر بدلا من النملة ويحتمل ان يكون كلاما مستانفا وفيه معنى التعجب وكيف
صبت اي القيت على رزقها ونقلت عليه بعد ابنوالهام وقيل ذلك على العكس اي صب عليها رزقها ولفظ الصب مستعار لحركتها في طلب الخطا
ورعيت
لتشبيهها بالماء المصبوب فان قلت كيف جعل دبيبها على الارض محل التعجب الفكر مع سهولته ووجوده لسائر الحيوان قلت لم يجعل محل التعجب
هو دبيبها من حيث هو دبيب فقط بل مع الاعتبارات الاخر المذكورة فانك اذا اعتبرتها من حيث هي في غاية اللطافة ثم اعتبرت قوامها وحركات
مفاصلها ونقصها ونفعها وبعد ذلك من سبات الحس لو نسبتها الى جرمها الى اجزاء المسافة التي تقطعها بالجزء من حركتها وكذلك
انصبابها على رزقها بعد ادراكها له ونقلها الى جحرها وغير ذلك من الاعتبارات المذكورة فانك اذا اعتبرت ذلك منها وجدت
نفسك منه تعجبا وتفكرا في لطف جزئيات صنعها وحكمة خالقها ومدبرها وقوله تجمع في جحرها لبردها اي في الصيف للشتاء وفي
تصدرها اي في ايام وردها وتمكنها من الحركة لايام صدرها ورجوعها عن الحركة للعجز فانها تعجز في ايام الشتاء عن ملاقاة البرد وتطلب
بطن الارض لكون الحرارة فيه ومن العجائب التي حكاها اهل التجارب من افعال النمل والهاماتها ما حكاه ابو عثمن عمرو بن بحر الجاحظ
في كتاب الحيوان بعجيب هدايتها انه قال ان النملة تدخر في الصيف للشتاء فتقدم في ايام المهلة ولا تضيع اوقات امكان الجمع ويبلغ من تفقدها
وحسن تدبيرها والنظر في عواقب امورها انها تخاف على الحبوب التي ادخرتها للشتاء ان تعفن وتسوس في بطن الارض فتخرجها الى ظهرها لتنشرها
وتعيدها اليها جفافها ويضربها النسيم فينفي عنها العفن والفساد قال وربما اختارت اكثر ان يكون ذلك العمل ليلا لانه اخفى في القمر
لانها فيه انشط وان كان مكانها نديا وخافت ان تنبت الحبة نقرت موضع القطمير من وسطها لعلمها انها من ذلك الموضع تنبت وربما فلقت
الحبة بنصفين فاما ان كان الحب من الكزبرة فانها تفلقه ارباعا لان انصاف حب الكزبرة تنبت من بين جميع الحب فهي بهذا الاعتبار مجاوزة
لفطنة جميع الحيوان قال ونقل الى بعض من اثق به انه احتفر بيت النمل فوجد الحبوب التي جمعتها كل نوع وحده قال ووجدنا في بعضها ان
بعض الحبوب فوق بعض وبينها فواصل حايلة من التبن ونحوه ثم ان لها مع لطافة شخصها وخفة جسمها في الشم والاسترواح ما ليس لشيء من
الحيوان وعند ذلك انه ربما سقط من يد الانسان جرادة او عضو منها الى موضع ليس بقربه ذر ولا عهد له بذلك المكان فلا يلبث ان يقبل
ذرة قاصدة الى تلك الجرادة فتروم حملها فاذا اعجزتها بعد ان تبلى عذرا مضت الى جحرها راجعة فلا يلبث الانسان ان يجدها قد اقبلت
وخلفها كالخيط الاسود من اخواتها حتى يتعاونوا عليها فيحملونها فاعجب من صدق شمها لما لا يشمه الانسان الجايع ثم انظر الى بعد همتها في
جرأتها على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة واضعافها وليس من الحيوان ما يحمل اضعاف وزنه مرارا كثيرة كالنملة قال والذي
ينبه على علاقتها لاخواتها واشعارها بمثل ما اشرنا اليه قصة سليمان عليه السلام مع النمل حيث حكى القرآن الكريم عنها قالت نملة يا ايها النمل
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها فان القول المشار اليه منها وان لم يحمل على حقيقته
فهو محمول على مجازه وهو اشعارها لاخواتها بالحال المخوفة للنمل من سليمان وجنوده قال ومن عجيب ما يحكى عن النمل ما حكي
عن بعض من يعالج الاصطرلاب انه اخرج طوقا من صفر من الكرة ووضعه على الارض ليبرد فاشتمل على نملة فكانت كلما طلبت جانبا

في بيان صفة عجيب خلق أصناف من الحيوان

ج

عنه لتخرج منها الحرارة فكانت مضغوطة في بعض الجوانب استقرت ثم ماتت فوجدت هناك فاستقرت في موضع محل الشركاء من نقطة
المركز وما ذاك الا اللطف حسها بقوته وفهمها ان ذلك الموضع هو ابعد الاماكن عن الخط المحيط قال ومن عجائبها انها الهمها ان الارض
تحبل ولا جرادة ولا حفصا ولا عجوفا لم يكن بها حبل بعضها وقطع يدا ورجل فاذا وجدت شيئا من ذلك وجدت عليها حتى لوان
حبة بها عفرتها وخدش ثم كانت من ثعابين معر لو ثبت عليها الذرة حتى ياكلها ولا تكاد الحبة تسلم من الذر اذا كان بها ادنى عفر
كل ذلك من الالهامات التي اذا فكر اللبيب فيها كادت تحكم بكونها اعلم بمواضع معاشها وتدبير احوال وجودها من كثير من الناس
ذات الانسان قد عمل ذلك التدبير ولا يضبطه وتثبت فيه على ما نحن نحتاجه وقوله مكفول برزقها مرزوقة بنصب على الحال بعد قوله رزقها وفقها
اي موافق ومطابق لقوتها وعلى قدر كفايتها ويروى مكفول برزقها مرزوقة بوفقها ثم ذكر بقدرته التي قهرها فاشار الى انه لا يغفلها
اي لا يتركها من لطفه وعنايته فانه باعتبار ما هو منان على خليقته لا يحرمها بحكمته اهمال بعضها فان شيئا يتوقف بعضه الوجود ويمكن لا يحرمها
باعتبار كونه ديانا اي مجازيا وجعل كونها ذاهنا انها حيث دخلت في الوجود نظاما للامر وقامت فيه منفعة لغيرها وجب في الحكمة
الالهية جزاؤها ومقابلتها بما يقوم بوجودها فلا يكون تحرمه ومنه مادة بقائها على وفق تدبيره ولو كانت في الصفا اليابس والحجر الجامد
بل يفتح لها ابواب معاشها في كل مكان ثم نبه على مجال السرى للفكر في النملة فيها مجاري اكلها وما كان بتلك المجاري كالحلق والامعاء
ومنها علوها وسفلها وعلوها ما يكون ثلاثم نقيض سفلها وهو راسها وما يليه الى الجزء المتوسط منها وسفلها هو ما يليه وفي الجوهر من طرفها الاخر
ومنها ما اشتمل عليه جوفها من شراسيف بطنها او ما يقوم مقامها فاطلق عليه شراسيف بالمجاز ومنها ما في راسها من عينها واذنها
التعجب
وهي محل القوة التي سمعها فان كل ذلك على غاية صغره ولطافته محل التعجب ومحل النظر اللطيف المستلزم للشهادة بحكمة الصانع ولطف
تدبيره الذي يقضي الانسان من تامله عجبا والعنا هاهنا بمعنى ذا اي لا دين عجيبا ويحتمل ان يكون بمعنى المرتاي لقضيت عجبه
من شدة تعجبك ويكون عجبا نصبا على المفعول له ثم نبه على مجال الفكر ووجوه الحكمة فيها اردف ذلك بتنزيه صانعها وتعظيمه
وقرن ذلك التعظيم والتنزيه فنسبه الى بعض صنعه بها وهو اقامتها على قوائمها وبناها على دعائمها واراد بدعائمها ما يقوم به بدنها
من الامور التي مقام النظام والعصب والاوتار ونحوها لتحصل التنبيه على عظمته من لطف تلك القوائم واعتبار صنعته تلك الدعائم مع ما
ركب فيها من لطائف الصنعة ووضعها من عجائب الحكمة من غير ان يشركه في فطرتها فاطر ولا يعينه على خلقها قادر فسبحانه
ما اعظم شانه وابهر برهانه وقوله ولو ضربت الى قوله النخلة اي لو سارت نفسك في طرق فكرها ومذاهب نظرها وهي الادلة واجزاء الادلة من
المقدمات واجزائها المستنبطة من عالم الخلق والامر لتصل الى غايات فكرك في الموجودات لما دلتك الا على ان خالق النملة على غاية صغرها
وخالق النخلة على عظمها وطولها واحد وهو المدبر الحكيم وقوله لدقيق تفصيل كل شيء الى قوله حي اشارة الى وسط الحجة على ما ادعاه من اشتراك
النملة والنخلة في الاستناد الى صانع واحد مدبر حكيم ومعنى ما ذكرناه ان لكل شيء من الموجودات الممكنة تفصيل لطيف دقيق واختلاف شكل
وهيئة ولون ومقدار ووجوه من الحكمة تدل على صانع حكيم خصصه بها دون غيره وتقرير الحجة ان وجود النملة والنخلة اشتمل كل منهما على
دقيق تفصيل الخلقة وغامض اختلاف شكل وهيئة وكل ما اشتمل على ذلك فله صانع مدبر حكيم خصصه بذلك فينتج انهما يشتركان في الحاجة
الى صانع مدبر حكيم خص كلا منهما بما اشتمل عليه وهذه الحجة هي المسماة في عرف المتكلمين بالاستدلال بامكان الصفات كما بيناه قبل في قوله
ما شئوم
الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وقوله وما الجليل واللطيف الى قوله سواء تاكيد لما ادعاه من الدعوى وكاسر لما عساه يعرض لبعض الاوهام من استبعاد
تساوي الخلقة العظيمة والخلقة اللطيفة الحقيرة كالنملة الى صانع واحد فاشار الى ان كل المخلوقات وان تباينت اوصافها وتفاوتت صورها
واشكالها فانه لا تفاوت بالنظر الى قدرته وكمالها من ان يفيض عنه صورة النخلة او صورة الذرة وليس بعضها بالنسبة اليه اولى واقرب من
بعض ولا هو اقوى على بعضها من بعض والا لكان تناقض في ذاته وكان بما هو اولى به مستفيدا كمالا وهو غير معقول وقد ثبت تنزيه جنابه
المقدس عن ذلك في مظانه من الكتب الحكمية والكلامية بل ان كان فيها تفاوت واختلاف فمن جانب القابل واختلاف استعداد المواد
بالشدة والضعف والاقدم والاحدث على ما اشرنا اليه غير مرة واللطيف ها هنا يراد به صغر الخلقة كما قد يراد به رقيق الصفة وعدم تعلق البصر بالشفاف
كالهواء والاول هو مراده ولذلك جعله مقابلا للجليل وقوله وكذلك السماء الى قوله والماء فالمشبه به هو الامور المتضادة السابقة والمشبه هو السماء
والهواء والرياح والماء ووجه الشبه هو حاجتها في خلقها وتركيبها واحوالها المختلفة والمتفقة الى صانع حكيم واشار الى الامور الاربعة المتقابلة
لو لا حاجتها الى قدرته باعتبار كليتها ومن جهة تضادها لا ترتبها ارادته على كمال قدرته واشار الى ثابتة وهي السماء وما عداها من الاعتبار
تضادها بالاعتبار ما اشتمل عليه كل منها من الحكمة والمنفعة وكونها مواد الاجسام المركبات والهواء اعم من الرياح لتخصيص معنى الرياح بالحركة
دون الهواء وقوله فانظر الى الشمس الى قوله المختلفات امر باعتبار حال ما عدا من المخلوقات وما اختص به كل منها من الصفات والاشكال والمقادير
والاضواء والالوان والمنافع الى غير ذلك مما يدل على حاجة كل منها الى مخصص حكيم يخصصه بما هو اليق او في الحاجة الله وفيه ولانه
استعداد وبعد اشتراك جميعها في الجسمية وهو امر نهضوا بالحجة التي ذكرناها في كل واحد من الامور المذكورة ولما كان حال اكثر هذه الانعام

في بيان ضرب تنبيه خلق أصناف الحيوان

الذكورة مفتقر الى تقديم تقديم النظر البصري لغاية التفكر والاعتبار فيها امر ببرو انما وجوه الاعتبارات فاكثر من ان تحصر فانك اذا اعتبرت في حال
الشمس والقمر في عظم اجرامهما وانتشار الضياء منهما وحركاتهما وتنقلهما في منازلهما وما تستلزمه تلك الحركات من التاثيرات والاعدادات
لوجود المركبات العنصرية من المعادن والنبات والحيوان ثم اعتبرت ما ينفصل به واحد منهما عن الاخر من الجرم وزمان السير وكون القمر يستفيد
النور من الشمس وغير ذلك مما لا يعلم تفصيله الا الله سبحانه وكذلك اذا نظرت الى النبات والشجر وجواهرها واشكالها واختلاف اجزائها في
الالوان والمقادير والثمار وما يستلزمه من المنفعة لوجود الحيوان والمضرة لبعضها الى غير ذلك مما نبه عليه فيما سلف وكذلك الماء في كونه على غاية
من الرقة واللطافة وكون الحجر يعكس الوصفين مع ان اكثر المياه انما تنبع من الاحجار ثم نظرت الى المنافع الموجودة فيهما والمضار العارضة عنهما
وكذلك النظر الى هذا الليل والنهار وعدم اختلافهما في هذا العالم وتعاقبهما وما يستلزمه من المنفعة المختصة بكل منهما مما امتن الله به على
عباده بها حيث قال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقال ينبت لكم به الزرع والزيتون
الاية وقال قتل الانسان ما اكفره الى قوله متاعا لكم ولانعامكم الى غير ذلك من الايات وقال انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض
وقال وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا الى قوله الفافا وكذلك اذا اعتبرت تفجر فيه الانهار وما تستلزمه من المنفعة كما قال تعالى
مرج البحرين يلتقيان وقال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وكذلك اذا اعتبرت كثرة الجبال وتطاولها وعرضها وطولها وما اشتملت عليه
من معادن الجواهر وغيرها وكذلك تفرق اللغات واختلاف الالسنة وحدث ذلك التكون والاختلاف شاهد بوجود صانع حكيم وتقريرها
كما علمت ان نقول ان هذه الاجسام كلها مشتركة في الجسمية واختصاص كل منها بما يتميز به من الصفات المتعددة ليس لجسميته ولوازمها والا
وجب لكل منها ما وجب للاخر ضرورة اشتراكها في علة الاختصاص فالامتياز به حق وكذا لشيء من عوارض الجسمية لان الكلام في اختصاص
كل منها بتلك العوارض كالكلام في الاول فيلزم التسلسل فيتعين ان يكون لامر خارج عنها هو الفاعل الحكيم المخصص لكل منها بما هو من الحكمة
والمصلحة وقد تقرر بهذه الحجة مرارا ثم لما نبه على وجود الصانع سبحانه ابتدأ ذلك بالدعاء على من جحده او الاخبار عن حلول الويل له
قال سيبويه الويل مشترك بين الدعاء والخبر ونقل عن عطاء بن يسار ان الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حره ونعتها
ما لا ينتهي والمضري انكر والله يدعو العالم معاقبة الامر وما يشتمل عليه من المصلحة ويعود الى القضاء والقدر وهو الموجد على وفق ذلك العلم
كما سبق بيانه وهنا خبر الدعاء على الجاحدين بعد ايضاح الحجة عليهم هو الترتيب الطبيعي والاشارة بالجاحد الى صنف من العرب انكروا الخالق
والبعث وقالوا ان الدهر المفني كما حكينا عنهم في الخطبة الاولى وهم الذين اخبر القران المجيد عنهم بقوله ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا
وما يهلكنا الا الدهر وقوله زعموا الى قوله صانع اشارة الى شبهتهم وهي من باب التمثيل فالاصل فيها هو النبات والفرع انفسهم
والحكم هو ما توهموه من كونهم بلا صانع كان النبات بلا زارع ولعل الجامع في اعتبارهم هو اختلاف الحياة والموت عليهم كما اشار اليه القران
الكريم حكاية عنهم نموت ونحيا ونحوه من الامور المشتركة وان كانوا لا يلتفتون الى الجامع اذ مراعاة هذه الامور وتحقيق اجزاء التمثيل
من صناعتهم عنها بمعزل وقد علمت ان التمثيل بعد تمام اجزائه انما يفيد ظنا يختلف بالشدة والضعف وعلمت وجوه الفساد فيه وقوله
ولم يلجأوا الى قوله جاحدين انكار عليهم لما ادعوه وانهم لم ياتوا فيه بحجة ولا يحققوا برهانا ويحتمل ان يكون قوله وهل يكون الى قوله جاحدين
تنبيها على وجود صانع له بحكم المدعى وهو كون خلقهم وخلقة النبات شاهدة بوجود صانع لها وذلك التنبيه بالاشارة الى الوسط قياسا
من الشكل الاول وكبراه في صورة الاستفهام وتقديره القياس انهم صنعه وكل شيء هو صنعه بلا صانع ينتج فلا شيء منها بلا صانع
وهو نقيض المدعى ولما كانت الكبرى ضرورية اقتصر على التنبيه عليها بامتناع وجود البناء من غير بان والجناية من غير جان فان ترجيح
احد طرفي الممكن على الاخر من غير مرجح محال بالبديهة ويمتنع في فطر الصبيان والبهائم اذ كان الحمار عند صوت الخشبة يعدو خوفا
من الضرب وذلك لما تقرر في فطرته ان حصول صوت الخشبة بدون فاعل محال ثم لو سلم لهم ثبوت الحكم في الاصل وهو كون النبات
بلا زارع فلم كان عدم الزارع يدل على ان النبات لا فاعل له وانما يلزم ذلك ان لو كان الفاعل انما هو الزارع وذلك من الاوهام الظاهرة
لكن بها بادنى تامل ولهذا استعقب بالتنكير اذ كان الزارع ليس له الا اعداد المادة الارضية للنبات واما وجود الزرع والنبات فمستند الى مبدأ
حكيم منزه عن الحس والمحسوس لا تدركه الابصار ولا تكتنفه الاوهام والافكار سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله وان
شئت قلت في الجرادة الى قوله مستدقة تنبيه اخر على وجود الصانع الحكيم جلت عظمته في وجود بعض جزئيات مخلوقاته وصغيرها
وهي الجرادة وان شئت قلت فيها ما قلت في النملة وغيرها من الابنية كاشفا عن وجوه الحكمة فيها بحيث يشهد ذلك بوجود صانع
حكيم فنبه على بعض دقائق الحكمة في خلقها وهي خلق العينين الحمراوين مع كون حدقتيها قمراوين واستعار لفظ السراج للحدقتين
باعتبار الضوء النارية والاضاءة ثم خلق السمع الخفي اي عن اعين الناظرين وقيل اراد بالخفي اللطيف السامع لخفي الاصوات فوصفه
بالخفاء مجازا اطلاقا للاسم المقبول على قابله ثم فتح الفم السوي فعيل بمعنى مفعول اي المسوى والتسوية التعديل بحسب المنفعة الخاصة
بها ثم خلق الحس القوي واداتها قوتها الوهمية ونحوه يدرك بها فيما الهم اياه من وجوه معاشها وتصرفها فيقال لفلان حس عارف

اذاكان

في بيان صفة عجيب خلق اصناف من الحيوان

نكتة

اذ كان مخططا وقد كان تم خلق اثنا بين واستعار لفظ المجلين لبدنها ووجه الشبه مشوهيهما ومحشونهما وقرن بذكر اثنا بين والطليين
ذكر غايتهما وهما القرض والقبض ومن لطيف حكمة تعالى في الرجلين ان جعل بعضهما الذين تقع عليهما اعتمادها وجلوسها شوكا كالمنشار ليكون
لها معينا على التحصن وغاية ان بنيها عند جلوسها وعمدة لها عند الطيران وقوله ترهبها الزراع الى قوله شهواتها اى تنها اذا توجهت بسبب كونها
من ابناء نوعها الى بقعة وهجمت على زرعها واشجارها اتلفته ولم يستطع احد دفعها حتى لو ان ملكا من الملوك اجلب عليها بخيله
ورجله ليحمي بلاده منها لم يمكن من ذلك وفي ذلك تنبيه على عظمة الخالق سبحانه وتدبير حكمته اذ كان بعث ضعيف خلقه على قوى خلقه
وهو تضعيف من اسباب لغلبة ما لا استطاع دفعه معها حتى ترد ما تريد ووروده وتقضى منه شهواته فيحل بالخيبة منه من حل الخيبة من عجائب
الخواص الموجود في الجراد انها تلتمس لبيضها الموضع الصلد والصخور الملس ثقة بانها اذا ضربت فيها باذنابها انفرجت لها ومعلوم ان ذلك
ليس بقوة ان ليس في ذنب الجرادة من القوة ان يخرق الحجر الذي يعجز عنه المعول بحيث قوته لولا خاصية لها هناك ثم اذا ضربت في تلك البقاع وألقت
بيضها وانضمت عليها تلك الاخاديد التي احدثتها وصارت لها كالافاحيص صارت حاضنة لها ومربية وحافظة ووقاية حتى اذا انها
وقت دبيب الروح خرجت من البيض صهبا الى البياض ثم تصفر وتتلون فيه خطوط الى السواد ثم يصير فيه خطوط سود وبيض ثم يبدو
حجم جناحه ثم يستقل فيموج بعضه في بعض قيل ان الجراد اذا اراد الخضرة ودونه نهر جار صار بعضه جسرا لبعض ليعبر اليها فمن الناس
من جعل ذلك حيلة لها الهمت اياها وقال قوم وقال اوائل الرجل الاوله من الذباب اذا اراد الخضرة فلا يجد بد عليها الا بالعبور اليها عبر فانها
صارت تلك القطعة فوق الماء طافية صارت كالترعة لتاني التي بعدها الخضرة كالارض وربما نقل لها خواص اخرى لا تنال ولمها
في بصيرة وقوله وخلقها كله لا يكون اصبعا مستدقة تعزيرا والحال اى ان تمام خلقها على ما وصفت واودعها من عجائب الصنع ما ذكرت
بحيث يخاف منها الزراع مع ان خلقها كله دون الاصبع المستدقة وهذه الكلمة مستلزمة لتمام التعجب من خلق الله فيها الامور الموصوفة
حتى لو قدرنا انها وصفت لمن لم يرها فربما اعتقد ان لها خلقا عظيما تشتمل على هذه الاوصاف ولم يكن عنده تعجب حتى تبين مقدار
خلقها وصغر صورتها لما بين بعض صنائعه في الدقة وكونها مدبرة بارادة عظمته تعالى وبركته باعتبار كونه معبودا لمن في السموات ومن في
الارض فله يسجدون طوعا وكرها كل بخضوعه وسجوده لا يمكن من غيره مع اشتراك الكل في الدخول تحت ذل الحاجة الى كمال قدرته
وخضوع الامكان بين يدي رحمته ولتبين الاشارة بقوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وكذلك قوله وعنت الوجوه
وعجبا فما كان ذا وجه وخد حقيقة فلفظا التعفير صادق عليه حقيقة وما لم يكن التجود صادق عليه استعارة لخضوعه الخاص به ولفظ
التعفير والخد والوجه تشبيهات على ان موضوع السجود في اللغة هو الخضوع وكذلك اطلاق اعطاء القياد ووصف الرهبة والخوف ونصبهما
على المفعول له فقوله والطير مسخرة لامره كقوله تعالى والطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله وكونها مسخرة يعود الى حولها تحت حكمه
تصرف قدرته فيها قدرته وعلما والخاص تخصيصا وتبيينا واحصاء الريش منها والنفس اعتبار تسخيرها تحت تصرف قدرته تعالى بعلمه وارسا
اى تثبيتها على قوائمها في الندى كطير الماء والنبس كطير البر باعتبار دخولها تحت قدرته وخلقها كذلك وتقديره لاقواتها وما يصلح
منها وما يكفيه باعتبار دخولها تحت قدرته وعلمه اذ كان التقدير هو انزال تلك المقادير واعدادها على وفق العلم الالهي واحصاء انها
باعتبار علمه تعالى وقوله فهذا غراب الى قوله نعام تفصيل لانواعها ولم يرد الجنس بالاصطلاح الخاص بل اللغوي وهو النوع في الصنع التي
دعا مع كل قرينين من الارتع التسع المتوازيه وقوله دعا كل طائر باسمه فالدعاء استعارة في امر كل نوع بالدخول في الوجود بعد ما عرفت
ان ذلك الامر يعود الى حكم القدرة الالهية العظيمة عليه بالدخول في الوجود ووجه الاستعارة ما يشترك فيه معنى الدعاء والامر من طلب
دخول مهية المطلوب بالدعاء والامر في الوجود وهو كقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضيهن الاية
ولما استعار لفظ الدعاء رشح بذكر الاسم لان الشيء انما يدعى باسمه ويحتمل ان يريد بالاسم اللغوي وهو العلامة فان لكل نوع من الطير صفة
وسمة ليست للاخر ويكون المعنى انه تعالى اجرى عليها حكم القدرة بما لها من السمات والخواص في العلم الالهي واللوح المحفوظ وقال بعض
الشارحين ما وردت الاخبار من ذلك ان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ كل لغة تواضع عليها العباد في المستقبل وذكر الاسماء التي تواضعوا
عليها وذكر لكل اسم مسماه فلما اراد خلقها نادى كل نوع باسمه فاجاب دعوته واسرع في اجابته واعلم انك اذا تاملت حكمة الصانع في
خلق الطائر شاهدت عجبا حين اقتضت الحكمة الالهية ان يكون طائرا في الجو خفف جسمه وادمج خلقه فاقتصر من القوائم على اثنين
ومن الاصابع على اربع ومن منفذين للزبل والبول على منفذ ثم خلقه تعالى على جؤجؤ محدد ليسهل عليه خرق الهواء كما يجعل صدر السفينة
بهذه الهيئة ليشق الماء في جناحيه وذنبه ريشات طوالا لينهض بها الى الطيران وكسى جسمه كله ريشا ليتداخله الهواء فيقله ولما
كان طعامه الحب او اللحم يبلعه بلعا من غير مضغ نقص من خلقه الاسنان وخلق له منقارا صلبا واعانه بفضل حرارة في جوفه تستغني
بها عن المضغ ثم خلقه تعالى يبيض بيضا ولا يلد لكيلا يثقل بكون الفراخ في جوفه عن الطيران وجعل عوض استعداد الولد في البطن
استعداده في البيضة بحرارة الحضن بمشاركة من الذكر والانثى في ذلك من العناية الالهية بدوام نسله وبقاء ان الهم لطفه عطفه حتى

في بيان خطبة خطبها في التوحيد

فيلتقط الحب فيغذي فرخه بعد استقراره في حوصلته ليلين به واذا فكرت في الحوصلة وجدتها كالمخلاة المعلقة امامه فيوعي فيها
ما لابد من الطعم ثم يفيضه الى القانصة على مهل وذلك ان مسلك الطعم الى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعم الا قليلا قليلا فلو كان
هذا الطائر لا يلتقط حبة ثانية حتى تصل الاولى الى القانصة لطال ذلك عليه فخلق تعالى له الحوصلة لذلك ثم انظر الى الريش الذي تراه في الطواويس
والدراريج وغيرها على استواء وتقابل على نحو ما يخط بالاقلام وكيف انظر الى العمود الجامع للريشة الذي يجري مجرى الجلد وله الممد للريشة
والمنبت لها وخلق عصبي الجوهر صلبا متينا ليحفظ الريش ويمسكه لصلابته فسبحان الذي خلق الازواج كلها واحصى كل شيء عددا واحاط
بكل شيء علما وقوله وانشأ السحاب الى آخره اشارة الى كمال قدرته خلقه السحاب الثقال بالماء وارسال ديمها وهي امطارها وتعدد
قسمها وصونها بحيث يصيب كل بلد وارض منها من القسم وظاهر انه تعالى الارض ويعدد قسمها وهي ما يصيب كل بلد وارض منها من القسم
وظاهر انه تعالى الارض نباتها لتبلد بعد الجفاف لتخرج منها النبات بعد الجدب والية الاشارة بقوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء
الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد

قال السيد رضي الله عنه وتجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لا تجمعه خطبة ما وحده من كيفه ولا حقيقته اصاب من مثله
ولا اياه عنى من شبهه ولا صمده من اشار اليه وتوهمه كل معروف بنفسه مصنوع وكل قائم في سواه معلول فاعل لا
باضطراب آلة مقدر لا بجول فكرة غني لا باستفادة لا تصحبه الاوقات ولا ترفده الادوات سبق الاوقات كونه والعدم
وجوده والابتداء ازله بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له وبمضادته بين الامور عرف ان لا ضد له وبمقارنته بين الاشياء
عرف ان لا قرين له ضاد النور بالظلمة والوضوح بالبهمة والجمود بالبلل والحرور بالصرد مؤلف بين متعادياتها مقارن
بين متبايناتها مقرب بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها لا يشمل بحد ولا يحسب بعد وانما تحد الادوات انفسها وتشير
الآلات الى نظائرها منعتها منذ القدمة وحمتها قد الازلية وجنبتها لولا التكملة بها تجلى صانعها للعقول وبها امتنع عن نظر
العيون لا يجري عليه السكون والحركة وكيف يجري عليه ما هو اجراه ويعود فيه ما هو ابداه ويحدث فيه ما هو احدثه اذا
لتفاوتت ذاته ولتجزأ كنهه ولامتنع من الازل معناه ولكان له وراء اذ وجد له امام ولالتمس التمام اذ لزمه النقصان
واذا لقامت آية المصنوع فيه ولتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه وخرج بسلطان الامتناع من ان يؤثر فيه ما يؤثر في غيره
الذي لا يحول ولا يزول ولا يجوز عليه الافول لم يلد فيكون مولودا ولم يولد فيصير محدودا جل عن اتخاذ الابناء وطهر عن
ملامسة النساء لا تناله الاوهام فتقدره ولا تتوهمه الفطن فتصوره ولا تدركه الحواس فتحسه ولا تلمسه الايدي فتمسه
لا يتغير بحال ولا يتبدل في الاحوال ولا تبليه الليالي والايام ولا يغيره الضياء والظلام ولا يوصف بشيء من الاجزاء
ولا بالجوارح والاعضاء ولا بعرض من الاعراض ولا بالغيرية والابعاض ولا يقال له حد ولا نهاية ولا انقطاع ولا غاية
ولا ان الاشياء تحويه فتقله او تهويه او ان شيئا يحمله فيميله او يعدله ليس في الاشياء بوالج ولا عنها بخارج يخبر لا بلسان ولهوات
ويسمع لا بخروق وادوات يقول ولا يلفظ ويحفظ ولا يتحفظ ويريد ولا يضمر يحب ويرضى من غير رقة ويبغض ويغضب من غير
مشقة يقول لما اراد كونه كن فيكون لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع وانما كلامه سبحانه فعل منه انشاه ومثله لم يكن
من قبل ذلك كائنا ولو كان قديما لكان الها ثانيا لا يقال كان بعد ان لم يكن فتجري عليه الصفات المحدثات ولا يكون بينها
وبينه فصل ولا له عليها فضل فيستوي الصانع والمصنوع ويتكافأ المبتدع والبديع خلق الخلائق على غير مثال خلا
من غيره ولم يستعن على خلقها باحد من خلقه وانشأ الارض فامسكها من غير اشتغال وارساها على غير قرار واقامها
بغير قوائم ورفعها بغير دعائم وحصنها من الاود والاعوجاج ومنعها من التهافت والانفراج ارسى اوتادها وضرب
اسدادها واستفاض عيونها وخد اوديتها فلم يهن ما بناه ولا ضعف ما قواه هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته
وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته والعالي على كل شيء منها بجلاله وعزته لا يعجزه شيء منها طلبه ولا يمتنع عليه فيغلبه ولا
يفوته السريع منها فيسبقه ولا يحتاج الى ذي مال فيرزقه خضعت الاشياء له وذلت مستكينة لعظمته لا تستطيع الهرب
من سلطانه الى غيره فتمتنع من نفعه وضره ولا كفؤ له فيكافيه ولا نظير له فيساويه هو المفني لها بعد وجودها حتى يصير
موجودها كمفقودها وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها باعجب من انشائها واختراعها وكيف ولو اجتمع جميع حيوانها
من طيرها وبهائمها وما كان من مراحها وسائمها واصناف اسناخها واجناسها ومتبلدة اممها واكياسها على احداث
بعوضة ما قدرت على احداثها ولا عرفت كيف السبيل الى ايجادها ولتحيرت عقولها في علم ذلك وتاهت وعجزت
قواها وتناهت ورجعت خاسئة حسيرة عارفة بانها مقهورة مقرة بالعجز عن انشائها مذعنة بالضعف عن افنائها
وانه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان

ومن خطبة خطبها في التوحيد

ولا حين ولا زمان عدمت عند ذلك الآجال والأوقات وزالت السنون والساعات فلا شيء إلا الله الواحد القهار الذي إليه مصير جميع الأمور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها وبغير امتناع منها كان فناؤها ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها لم يتكاءده صنع شيء منها إذ صنعه ولم يؤده منها خلق ما برأه وخلقه ولم يكونها لتشديد سلطان ولا لخوف من زوال ونقصان ولا للاستعانة بها على ند مكاثر ولا للاحتراز بها من ضد مثاور ولا للازدياد بها في ملكه ولا لمكاثرة شريك في شركه ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها ثم هو يفنيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتدبيرها ولا لراحة واصلة إليه ولا لثقل شيء منها عليه لا يمله طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها لكنه سبحانه دبرها بلطفه وأمسكها بأمره وأتقنها بقدرته ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها ولا استعانة بشيء منها عليها ولا لانصراف من حال وحشة إلى حال استئناس ولا من حال جهل وعمى إلى حال علم والتماس ولا من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة ولا من ذل وضعة إلى عز وقدرة **أقول** الضعة أي الضعة وترفع نفسه والوضوح والوضح البياض والبهق السواد والجرح هنا الحرارة والصرد البرد والأفول الغيبة والولوج الدخول والخلل مصدر والأود الاعوجاج والتناهي الفناء والأسداد جمع سد وهو كل ما حال بين شيئين وخد شق ومرجها ما يرتع منها في مراتعها ومعاطنها وسائمها ما أرسل منها للرعي وأسناخها أصولها والبلادة ضد الذكاء والأكياس والذكاء والفهم وتكاءده الأمر شق عليه وصعب وآده الثقل أثقله والدوائب واعلم أن مدار هذه الخطبة على التوحيد المطلق والتنزيه المحقق وقد أشار إلى توحيده ثم تنزيهه باعتبارات من الصفات الإضافية والسلبية قوله ما وحده من كيفه دلت هذه الكلمة بالمطابقة على سلب التوحيد له تعالى عمن وصفه بكيفية وبالالتزام على أنه لا يجوز تكييفه لمنافاة ذلك التوحيد الواجب له ولنشير إلى معنى الكيفية ليتبين أنه لا يجوز وصفه بها فنقول أما رسمها فقيل إنها هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة إلى أمر خارج عنه ولا قسمة في ذاته ولا نسبة واقعة في أجزائه وبهذه القيود يفارق سائر الأعراض وأما أقسامها فأربعة لأنها إما أن تكون مختصة بالكم من جهة ما هو كم كالتثليث والتربيع وغيرهما من الأشكال للسطوح وكالاستقامة والانحناء للخطوط وكالفردية والزوجية للأعداد وإما أن لا تكون مختصة به وهي إما أن تكون محسوسة كالألوان والطعوم والحرارة والبرودة وهذا ينقسم إلى راسخة كصفرة الذهب وحلاوة العسل وتسمى كيفيات انفعالية إما لانفعال الحواس عنها وإما لانفعالات حصلت في الموضوعات عنها أو غير راسخة إما سريعة الزوال كحمرة الخجل وتسمى انفعالات لكثرة انفعالات موضوعاتها بسرعة تغيرها وهذا قسم ثالث وإما أن لا تكون محسوسة وهي إما استعدادات إما لكمالات كالاستعداد للمقاومة والدفع وإما للانفعال وتسمى قوة طبيعية كالمصحاحية والصلابة أو لنقائص مثل الاستعداد لسرعة الإذعان والانفعال وتسمى ضعفا ولا قوة طبيعية كالممراضية واللين وإما أن لا يكون استعدادا لكمالات ونقائص بل يكون في أنفسها كمالات ونقائص وهي مع ذلك غير محسوسة بذواتها فما كان منها ثابتا يسمى ملكة كالعلم والعفة والشجاعة وما كان سريع الزوال يسمى حالا كغضب الحليم ومرض المصحاح فهذه أقسام الكيفية إذا عرفت ذلك فنقول لما قلنا إنه يلزم من وصفه بالكيفية عدم توحيده لما بيناه في الخطبة الأولى من قوله فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه وكما سبق تقريره فيلزم أن من وصف الله سبحانه فقد ثناه فتبين أن من كيفه لم يوحده لأن توحيده والتثنية مما لا يجتمعان الثاني ولا حقيقته أصاب من مثله أي جعل له مثلا وذلك لأن كل ما له مثل فليس بواجب الوجود لذاته لأن المثلية إما أن يتحقق من كل وجه فلا تعدد إذن لأن التعدد يقتضي التغاير بأمر ما وذلك ينافي الاتحاد والمثلية من كل وجه هف وإما أن يتحقق من بعض الوجوه وحينئذ ما به التماثل إما الحقيقة أو جزؤها أو أمر خارج عنها فإن كان الأول كان ما به الامتياز عرضيا للحقيقة لازما أو زائلا لكن ذلك باطل لأن المقتضي لذلك العرضي إما المهية فيلزم أن يكون مشتركا بين المثلين لأن مقتضى المهية الواحدة لا يختلف فما به الامتياز لأحد المثلين عن الآخر حاصل للآخر هف أو غيرها فتكون ذات واجب الوجود مفتقرة في تحصيل ما تميزها عن غيرها إلى غير خارجي هذا خلف وإن كان ما به التماثل والاتحاد جزءا من المثلين لزم كون كل منهما مركبا فكل منهما ممكن هف ويبقى أن يكون التماثل بأمر خارج عن حقيقتهما مع اختلاف الحقيقتين لكن ذلك باطل إما أولا فلامتناع وصف واجب الوجود بأمر خارج عن حقيقته لاستلزام إثبات الصفة له تثنيته وتركيبه على ما مر وأما ثانيا فلأن ذلك الأمر الخارجي المشترك إن كان كمالا لذات واجب الوجود فواجب الوجود لذاته مستفيد للكمال من غيره هف وإن لم يكن كمالا كان إثباته له نقصا لأن الزيادة على الكمال نقص فثبت أن كل ما له مثل فليس بواجب الوجود لذاته فالطالب لحقيقته إذا أصاب ما له مثل فقد أصاب ما ليس بواجب الوجود لذاته فلم يصب صانع العالم وهو مقصوده لكن نفى التمثيل له تعالى في مقام التوحيد لينبه الطالب لمعرفته تعالى الثالث ولا إياه عنى من شبهه ومعنى هذه القرينة كالتي قبلها الرابع ولا صمده من أشار إليه وتوهمه وذلك لأن الإشارة إليه إما حسية أو عقلية فالأولى مستلزمة للوضع والجهة والتشكل والتحيز كما علم في غير هذا الموضع وذلك على الواجب الوجود مح وأما الثانية فقد علمت أن النفس

في بيان خطبة خطبها في التوحيد

الا انا نبهنا وان في عالم القربة انا نوجه لا اقتناص امر معقول من عالم الغيب فلا بد ان نستتبع القوة الخيالية والوهمية الاستعانة
بهما على استثبات المعنى المعقول وضبطه فاذن فيحتمل ان يشير بالعقل الانساني الحقي من المعاني الالهية الا ان يكون من لزوم
الخيال واستتباعه نحو كيفية يكون عليها لكن قد علمت تنزيهه تعالى عن الكيفيات والصفات والحدود والاطراف فكان
المشير اليه والمدعي للاصابة بحقيقته قاصدا في تلك الاشارة الى ذي كيفية وحال ليس هو واجب الوجود فلم يكن قاصدا للواجب الوجود
وقد بينا فيما سلف امتناع الاشارة اليه الخامس قوله كل معروف بنفسه مصنوع صغرى ضمير من الشكل الاول يستغنى بها عن
ذكر الدعوى لدلالتها عليها وهي انه تعالى ليس معلوما بنفسه اي ليس معلوم الحقيقة بالكنه وتقدير الكبرى ولا شيء مما هو مصنوع
بالله العالم واجب الوجود لذاته انتج بيانها انه لا شيء من المعلوم بنفسه بواجب الوجود واله العالم دائما وينعكس لا شيء من واجب
الوجود معلوم بنفسه او من الشكل الثاني ويكون تقدير الكبرى ولا شيء مما هو واجب الوجود بمصنوع وينتج النتيجة المذكورة
وينعكس ويحتمل ان يبين المطلوب المذكور بقياس استثنائي متصل ويكون المقدمة المذكورة تنبيها على ملازمة المتصلة وبيانا
لها وتقديرها لو كان تعالى معلوما بنفسه لكان مصنوعا لان كل معلوم بنفسه مصنوع لكن التالي باطل فالمقدم كذلك فاما بيان ان كل معلوم
بنفسه مصنوع فهو ان كل معلوم بحقيقته فانما يعلم من جهة اجزائه وكل ذي جزء فهو مركب فكل المعلوم الحقيقة فهو مصنوع واما
بطلان التالي فلانه تعالى لو كان مصنوعا لكان ممكنا مفتقرا الى الغير فلا يكون واجب الوجود لذاته هف السادس وكل قائم في سواه
معلول كالمقدمة التي قبلها في انها يحتمل ان تكون صغرى قياس ضمير من الشكل الاول او الثاني يدل به على انه تعالى ليس بقائم في سواه
فهو معلول ولا شيء من المعلول بواجب الوجود او لا شيء من واجب الوجود بمعلول فينتج انه لا شيء من القائم في سواه بواجب
الوجود وينعكس كنفسها الى لا شيء من واجب الوجود بقائم في سواه ويحتمل ان يكون كبرى القياس لا حاجة الى عكس النتيجة ويحتمل
ان يكون ذكرها تنبيها على ملازمة قياس استثنائي اي لو كان قائما في سواه لكان معلولا لكن التالي باطل فالمقدم كذلك وبيان
الملازمة ان القائم بغيره مفتقر الى محل وكل مفتقر الى غيره ممكن وكل ممكن معلول في وجوده وعدمه واما بطلان التالي فلانه لو
كان معلولا لما كان واجب الوجود السابع فاعل لا باضطراب آلة اما انه فاعل فلانه موجد العالم واما انه منزه في فاعليته عن اضطراب
الآلة فلتنزهه عن الآلة التي هي من عوارض الاجسام وقد سبق بيانه الثامن مقدر لا بجول فكرة ومعنى كونه مقدرا كونه معطيا لكل موجود
المقدار الذي يستحقه من الكمال الوجودي ولواحق الوجود كالاجل والرزق ونحوهما على وفق القضاء الالهي وكون ذلك لا بجول
فكرة لان الفكر من لواحق النفوس البشرية المدبرة لبدنها فقدسه تعالى عن ذلك التاسع كونه غنيا لا باستفادة وكونه غنيا يعود
الى عدم حاجته في شيء ما الى شيء ما اذ لو حصل له شيء باستفادة من خارج كما يراه الاغنياء لزم كونه ناقصا بذاته مفتقرا الى ذلك
المستفاد موقوفا على حصول سببه فكان ممكنا هف وهو منزه عن الغنى المشهور المتعارف العاشر كونه لا تصحبه الاوقات وذلك
ان الصحبة الحقيقية تستدعي المعية والمقارنة اللذين هما من لواحق الزمان الذي هو من لواحق الحركة التي هي من لواحق الجسم المتأخر
وجوده عن وجود بعض الملائكة المتأخر وجوده عن وجود الصانع الاول جلت عظمته فكان وجود الزمان والوقت متأخرا عن
وجوده تعالى بمراتب من الوجود فلم تصدق صحبة الاوقات لوجوده ولا كونها ظرفا له والا لكان مفتقرا الى وجود الزمان فكان
يمتنع استغناؤه عنه لكنه سابق عليه فوجب استغناؤه عنه نعم قد يحكم الوهم بصحبة الزمان للمجردات ومعيته لها حيث تقيسها الى
الزمانيات اذ كان لا يعقل المجردات الا كذلك الحادي عشر كونه لا ترفده الادوات وذلك ان المفتقر الى المعونة باداة وغيرها ممكن لذاته
فلا يكون واجب الوجود نعم هو خالق الادوات فكان سابقا عليها في تأثيره فكان غنيا عنها فيمتنع عليه الحاجة الى الاستعانة بها الثاني
عشر سبق الاوقات كونه اي وجوده وقد مر بيانه الثالث عشر والعدم وجوده اي وسبق وجوده العدم وبيانه انه تعالى لما خالف سائر
الموجودات الممكنة فانها محدثة فيكون عدمها سابقا على وجودها ثم ان لم يكن كل وجودها وعدمها بالنسبة الى ذاتها على سواء
كما بين في مظانه ولها من ذواتها انها لا تستحق وجودا وعدما لذواتها وذلك عدم سابق على وجودها فعلى كل تقدير فوجودها
يكون مسبوقا بعدم بخلاف الموجود الاول جلت عظمته فانه لما كان واجب الوجود لذاته كان لما هو هو موجودا فكان يستحق لعدم
له لحال الامكان وجوده سابقا على العدم المعتبر لغيره من الممكنات ولان عدم العالم مثلا ووجوده كان مستندا الى عدم الداعي الى ايجاده
المستند الى وجوده فكان وجوده تعالى سابقا على عدم العالم ثم بين الرابع عشر الابتداء ازله وذلك ان الازل عبارة عن عدم الاولية
والابتداء وذلك السلب لحق واجب الوجود لما هو هو بحسب الاعتبار العقلي وهو بيان في كونه الابتداء والاولية لوجوده تعالى فاستحال
ان يكون له مبدا اذ الامتناع اجتماع النقيضين بل سبق الازلية ابتداء فما كان له ابتداء وجود من الممكنات اذ هو مبدأ مادة
مصدرها الخامس عشر بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له وذلك انه تعالى لما خلق المشاعر واوجدها وهو المراد بتشعيره لها امتنع ان
يكون له مشعر وحاسة والا لكان وجودها له اما من غيره وهو محال او لا فلانه مشعر المشاعر واما ثانيا فلانه يكون محتاجا في كماله الى

غيره وهو ناقص

في بيان خطبة خطبها في التوحيد

غيره فهو ناقص بما أنه مخلوق وإما منه فهو مختص به تعالى لأنها إن كانت من الآلات الوجودية بحيث كان وجود آلة من حيث هو فقد كمال الإمكان ناقصا بما أنه مخلوق وإن لم يكن كمالا كان إثباتها له نقصا لأن الزيادة على الكمال نقصان فكان إيجاده لها مستلزما لنقصانه وهو محال السادس عشر بمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له لأنه لما كان خالق الأضداد فلو كان له ضد لكان خالقا لنفسه ولضده وذلك محال ولأنك لما علمت أن المضادة من باب [illegible] وعلمت أن المضاف ينقسم إلى حقيقي وغير حقيقي فالحقيقي هو الذي لا تعقل ماهيته إلا بالقياس إلى غيره وغير الحقيقي هو الذي له في ذاته مهية غير الإضافة تعرض لها الإضافة وكيف ما كان لا بد من وجود الغير حتى يوجد المضاف من حيث هو مضاف فيكون وجود أحد المتضايفين متعلقا بوجود الآخر فلو كان لواجب الوجود ضد لكان متعلق الوجود بالغير فلم يكن واجب الوجود لذاته هف ولأن الضدين هما الأمران الوجوديان اللذان يتعاقبان على محل واحد ويمتنع اجتماعهما فيه فلو كان بينه وبين غيره مضادة لكان محتاجا إلى محل يتعاقب هو وضده عليه وقد ثبت أنه تعالى غني عن كل شيء السابع عشر بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له وبرهانه أما أولا فلأنه تعالى خالق المقترنات ومبدأ المقارنة بينها فلو كان تعالى مقارنا لغيره لكان خالقا لنفسه ولقرينه وهو محال ولأن المقارنة من باب المضاف ويتبين امتناعه بعين ما تقدم الثامن عشر كونه تعالى مضادا بين الأمور المتضادة تأكيدا لقوله بمضادته الأشياء فمنها النور والظلمة ويبنى كونهما ضدين على خلاف بين العلماء مبني على كون الظلمة أمرا وجوديا أو عدميا والأقرب أنها أمر وجودي مضاد للنور وقال بعضهم إنها عبارة عن عدم الضوء عما من شأنه أن يضيء وليست على هذا القول عدما صرفا فجاز أن يطلق عليها أنها ضد مجازا ومنها البياض والسواد والجمود والبلل أي اليبوسة والرطوبة والحرارة والبرودة ومضادته بينها خلقه لها على ما هي عليه من الطبائع المتضادة التاسع عشر كونه مؤلفا بين متعادياتها في أمزجة المركبات من العناصر الأربعة فإنه جمع بينها على حد الامتزاج حتى حصل منها كيفية متوسطة على ما مر بيانه في الخطبة الأولى العشرون كونه مفرقا بين متدانياتها أي بالموت والفناء لهذه المركبات في هذا العالم إشارة إلى استناد فسادها إليه أيضا فهو مسبب الأسباب فعلها وعند الطائفة في هذه القرائن فإن التأليف بإزاء المعاداة والتفرقة بإزاء المباينة والقرب بإزاء البعد والتفريق بإزاء التداني الحادي والعشرون كونه تعالى لا يشمله حد والمراد إما الحد الاصطلاحي فلما ظهر من كونه تعالى لا جزء له إذ لا حد إلا لمتكثر وتحقق حقيقته بحد وأما الحد اللغوي وهي النهاية التي تحيط بالجسم مثلا فيقف عندها وينتهي بها وذلك من لواحق الكم المتصل والمنفصل وهما من الأعراض ولا شيء من واجب الوجود بجسم ولا عرض ولا محل لهما فامتنع أن يوصف بالنهاية وأما وصفه بعدم النهاية فعلى سبيل سلب النهاية عنه مطلقا سلب عرض مضاف كالعقل مثلا لا على سبيل العدول بمعنى أن له معروض النهاية ولا نهاية له لكن ليست النهاية بحاصلة له الرابع والعشرون كونه لا يحسب بعد أي لا يلحقه الحساب والعد فيدخل في جملة المحسوبات المعدودة وذلك لأن العدد من لواحق الكم المنفصل الذي هو العدد كما هو معلوم في مظانه والكم عرض وقد ثبت أنه تعالى ليس بعرض ولا محل له واستحال أن يكون معدودا وقوله وإنما تحد الأدوات أنفسها فالأدوات إشارة إلى الآلات البدنية والقوى الجسمانية وقد ثبت أنها لا تتعلق ولا تدرك إلا ما كان جسما أو جسمانيا على ما علم في موضعه فمعنى قوله إنما تحد الأدوات أنفسها أي إنما تدرك الأجسام والجسمانيات ما هو مثلها من الأجسام والجسمانيات وشكل الشيء هو هو في النوع أو الجنس ويحتمل أن يدخل في ذلك النوع والفكر لامتناع انفكاكه عن الوهم والخيال حين توجهه إلى المعقولات لما بينا من حاجته إليهما في التصوير والشبح فكان لا يتعلق إلا بما له صورة وجسم أو جسماني وإذا ثبت ذلك فقوله وتشير الآلات إلى نظائرها وقوله منعتها منذ القدمة وحمتها قد الأزلية وجنبتها لولا التكملة الضمائر المتصلة بالأفعال الثلاثة تعود إلى الآلات والأدوات وهي مفعولات أول لها والقدمة والأزلية والتكملة مفعولات ثانية ومنذ وقد ولولا محلها الرفع بالفاعلية ومعنى الكلام الأول أن إطلاق لفظة منذ على الآلات والأدوات في مثل قولنا هذه الآلات وجدت منذ كذا يمنع كونها قديمة لأن وضعها لابتداء الزمان وكانت لإطلاقها عليها متعينة الابتداء ولا شيء من القديم بمتعين الابتداء فيلزم أنه لا شيء من هذه الأدوات بقديم وكذلك إطلاق لفظة قد عليها يحميها ويمنعها من كونها أزلية إذ كانت قد تفيد تقريب الماضي من الحال فإطلاقها عليها كما في قولك قد وجدت هذه الآلة وقت كذا يحكم بقربها من الحال وعدم أزليتها ولا شيء من الأزلي يحكم بقربه من الحال تقريب من الحال فلا شيء من هذه الآلات بأزلي وكذلك إطلاق لفظ لولا على هذه الآلات يجنبها التكملة إذ كان وضع لولا دالا على امتناع الشيء لوجود غيره فإطلاقها عليها في مثل قولك عند نظرك إلى بعض الآلات المستحسنة والخلقة العجيبة والأذهان المتوقدة ما أحسنها وأكملها لولا أنها كذا مبدل لها على امتناع كمالها لوجود نقصان فيها [illegible] من الكمال المطلق وإنما أشار إلى حدوثها ونقصانها ليؤكد كونها غير متعلقة بحقه سبحانه وأنها في البعد بعيد عن تقديره والإشارة إليه إذ كان القديم الكامل في ذاته إنما هي صفات تدل على الأشياء عن مناسبته الحدوث إنما صح ذاته فكيف يمكن أن يدركه ويلحق بإدراكه ذلك وقال بعض الشارحين المراد بالأدوات والآلات أهلها وقد روي برفع القدمة والأزلية والتكملة على الفاعلية والضمائر المتصلة بالأفعال مفعولات أول ومنذ وقد ولولا مفعولات ثانية ويكون المعنى أن قدمه وأزليته وكماله منعت الأدوات والآلات من إطلاق منذ وقد ولولا عليه سبحانه لأنها على الحدوث والابتداء المنافيين للقدم والأزلية وكماله والرواية الأولى أوجه وما في نسخة الرضي رضي الله عنه بخطه وقوله بها تجلى صانعها للعقول أي بوجود هذه الآلات

ومن خطبة خطبها في التوحيد

ظهوره وجوده تعالى للعقول اذ كان وجودها مستلزما لوجود صانعها بالضرورة واحكامها واتقانها شاهد بعلمه وحكمته شهادة تضطر اليه الحكم
بها العقول وكل مخصص منها بما تخصصت به من الكمالات شاهد بارادته وكمال عنايته فيكون ما شهد به وجودها من وجود صانعها اجلى
واوضح من ان يقع فيه شك او يلحقه شبهة ويتفاوت ذلك الظهور والتجلي بحسب تفاوت صفاء النفوس وجلائها فمنهم من يراه بعد
ومنهم من يراه مع ومنهم من يراه قبل ومنهم من يراه لا شيء معه واولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقوله وبها امتنع
عن نظر العيون اي بايجادها وخلقها بحيث تدرك بحاسة البصر علم انه تعالى يمتنع ان يكون مثلها وبيانه ان الآلات انما كانت
متعلقة لحس البصر باعتبار انها ذوات وضع وجهة ولون وغيره من شرائط الرؤية ولما كانت هذه الامور ممتنعة في حقه تعالى لاجرم امتنع ان يكون
محلا لنظر العيون وقال بعض الشارحين في بيان ذلك انما كانت المشاعر والحواس التي هي الالات المشار اليها اكملت عقولنا وبعقولنا
استخرجنا الدليل على انه لا يصح رؤيته فاذن بخلقه هذه الادوات والالات لنا عرفناه عقلا وعرفنا انه يستحيل ان يعرف بغير العقل الخامس
والعشرين كونه تعالى منزها ان يجري عليه السكون والحركة وقد اشار عليه السلام الى بيان امتناعهما عليه من اوجه احدها قوله وكيف يجري عليه ما هو
اجراه وهو استفهام على سبيل الاستنكار لجريان ما اجراه عليه وعوده ما ابداه واحداثه ما احدثه وحدوث ما احدثه وبيان بطلان ذلك
ان الحركة والسكون من آثاره سبحانه في الاجسام وكل ما كان من آثاره يستحيل ان يجري عليه ويكون من صفاته اما المقدمة الاولى فظاهرة
واما الثانية فلان المؤثر واجب التقدم بالوجود على الاثر فذلك الاثر اما ان يكون معتبرا في صفات الكمال فيلزم ان يكون تعالى باعتبار ما هو
موجد له ومؤثر فيه ناقصا بذاته مستكملا بذلك الاثر والنقص عليه تعالى محال وان لم يكن معتبرا في صفات كماله فله الكمال المطلق بدون ذلك
الاثر فكان اثباته صفة له نقصانا في حقه لان الزيادة على الكمال المطلق نقصان وهو عليه تعالى محال الثاني لو كان كذلك للزم التغير في ذاته تعالى ولحوق
الامكان له ودل على ذلك بقوله اذا لتفاوتت ذاته اي تغيرت بطريان الحركة عليها تارة والسكون اخرى لان الحركة والسكون من الحوادث
المتغيرة فيكون تعالى بقوله لتعاقبهما محلا للحوادث في التغير فكان متغيرا لكن التغير مستلزم للامكان فالواجب لذاته ممكن لذاته هف الثالث
لو كان كذلك للزم تجزيه التجزية والتركيب لكن التالي باطل والملازمة فلان الحركة والسكون من عوارض الجسم الخاصة به فلو
اتصف تعالى بهما لكان جسما وكل جسم فهو مركب قابل للتجزية واما بطلان التالي فلان كل مركب مفتقر الى اجزائه وممكن فالواجب ممكن
هف الرابع انه لو كان كذلك للزم ان يبطل من الازل معناه اما على طريق المتكلمين فظ لان الحركة والسكون من خواص الاجسام الحادثة فكان
الموصوف بهما حادثا فلو كان تعالى موصوفا بهما لبطل عن الازل معناه ولم يكن ازليا واما على راي الحكماء فلانه تعالى لكونه واجب الوجود
لذاته يستحق الازلية ويكون الممكن ممكنا لذاته فهو مما لا يستحق الازلية لذاته بل الازلية لعلته وتمامها اذ لا حق له لو توقفت علته على امر
مؤثر فيها لزم حدوث الممكن ولم يكن له من ذاته الا كونه لا يستحق لذاته وجودا ولا عدما وهو معنى الحدوث الذاتي عندهم فعلى هذا
لو كان تعالى قابلا للحركة والسكون لكان جسما ممكنا لذاته فكان مستحقا للحدوث الذاتي فاذا فلم يكن مستحقا للازلية فانه فيبطل
من الازلية معناه وهو استحقاقه الازلية لذاته لكن التالي باطل الخامس انه لو كان كذلك للزم ان يكون له وراء اذ وجد له امام ووجه
الملازمة انه لو جرت عليه الحركة لكان له امام يتحرك اليه فيلزم ان يكون له وراء اذ له امام لانهما اضافتان لا تنفك احدهما عن الاخرى
لكن ذلك محال لان كل ذي جهتين فهو منقسم وكل منقسم فهو ممكن على ما مر السادس لو كان كذلك لالتمس التمام اذ لزمه النقصان وبيان الملازمة
ان جريان الحركة عليه مستلزم للتوجه بها الى غاية اما جلب منفعة او دفع مضرة اذ من لوازم حركات العقلاء ذلك وعلى التقديرين
فهو كمال مطلوب له لنقصانه اللازم لذاته لكن النقصان بالذات والاستكمال بالغير مستلزم للامكان فالواجب ممكن هف السابع لو كان
كذلك لقامت آية المصنوع فيه وبيان الملازمة انه يكون قادرا على الحركة والسكون فقد جرى عليهما ما اجرى من خلقه والا لافتقر ايجاده لها الى
قدرة اخرى سابقة عليها ولزم التسلسل ولكان قادرا قبل ان كان قادرا وهو محال الان فهو اذن مفتقر في كماله الى غيره فهو مصنوع
وفيه آيات الصنع وعلامات التاثير وليس هو بواجب الوجود هف الثامن لو كان كذلك لتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه وذلك لانه يكون
مصنوعا على ما مر وكل مصنوع فيستدل به على صانعه كما هو المشهور في الاستدلال بوجود العالم وحدوثه على وجود صانعه ولانه يكون حينئذ
فيكون مصنوعا فكان دليلا على الصانع لكنه هو الصانع الاول للكل وهو المدلول عليه فاستحال ان يكون دليلا من حيث آثار الصنع فيه
فاستحال ان يكون قابلا للحركة والسكون فاستحال ان يجريا عليه فانظر الى هذه النفس الملكية له عليه السلام كيف يفيض منها هذه الاسرار
الالهية صفوا من غير تعلم من اولياء الصنائع العقلية ومدارسة البحث في هذه الدقائق الالهية واما قوله وخرج بسلطان الامتناع الى قوله
غيره فقد يسبق الى الوهم عطفه على الاول وظاهر انه ليس كذلك بل هو عطف على قوله امتنع اي بها امتنع عن نظر العيون وخرج بسلطان
ذلك الامتناع اي امتناع ان يكون مثلها في كونها مرئية للعيون ومحالا للنظر اليها عن ان يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من المرئيات وهي
الاجسام والجسمانيات وظاهر انه لما امتنع عن نظر العيون ان لم يكن جسما ولا قائما به فخرج بسلطان استغنائه في ذلك الامتناع عن ان
يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من الاجسام والجسمانيات وعن قبول ذلك وقال بعض الشارحين انه عطف على قوله تجلى اي بها تجلى للعقول

في بيان خطبة خطبها في التوحيد

ج

وفي بيان بطلان الامتناع كونه مثلا لها اي يكون واجب الوجود ممتنع العدم عن ان يكون ممكنا فيقبل الوجود كما يقبل الممكنات السادس والعشرون
كونه لا يحول اي لا ينتقل ويتغير من حال الى حال لما علمت من استلزام التغير للامكان الممتنع عليه السابع والعشرون ولانه الذي لم يولد
الثامن والعشرون وكذلك لا يجوز عليه الافول والغيبة بعد الظهور لما يستلزم من التغير ايضا التاسع والعشرون كونه لم يلد فيكون مولودا ولم
يولد فيكون محدودا فالجملة الاولى تشتمل على دعوى والاشارة الى البرهان وهو في صورة قياس استثنائي تقديره لو كان له ولد
لكان مولودا فتكون الجملة الثانية وهي قوله ولم يولد في قوة استثناء نقيض التالي وقوله فيكون محدودا في قوة قياس استثنائي
يدل على بطلان التالي في الجملة الثانية تقديره لانه لو كان مولودا لكان محدودا واعلم انه يحتمل ان يريد بقوله مولودا ما هو المتعارف فيكون قد سلك
في ذلك مسلك الخطابة والظاهر في بادي النظر بحسب الاستقراءات كل ما له ولد فانه يكون مولودا وان لم يجب في ذلك في العقل وقد اخذ
ان الاستقراء مما يستعمل في الخطابة ويحتج به فيكون مقنعا اذ كانت غايتها الاقناع ويحتمل ان يريد بها ما هو اعم من المفهوم المتعارف
اعني التولد عن اخر مثله من نوعه فان ذلك غير واجب كما في اصول انواع الحيوان الحادثة فحينئذ يكون بيان الملازمة الاولى على الاحتمال
الاول ظاهرا واما على تقدير الثاني فنقول في بيانها ان مفهوم الولد هو الذي يتولد وينفصل عن اخر مثله من نوعه لكن اختصاص النوع
الواحد لا يتعين في الوجود بمتشخص الا بواسطة المادة وعلائقها على ما علم ذلك في مظانه من الحكمة وكل ما كان ماديا وله علائق مادية
كان متولدا عن غيره وهو مادته وصورته واسباب وجوده وتركيبه فتم بيان الملازمة الثانية في برهان بطلان التالي فلانه لما لزم من
كونه ذا ولد ان يكون مثلا كما في النوع لغيره حيث انه متولد عن مادته وصورته ومركب عنهما وعن جزئين باحدهما يشارك [illegible] وبالاخر ينفصل
عن الاخر فهو اذن منقسم الى محدود وهي اجزاؤه التي يقف عندها وينتهي في التحليل اليها فثبت انه لو كان مولودا لكان محدودا لانه
لو كان مولودا لكان [illegible] محدودا باطل [illegible] لكن كل محدود على الاعتبار مركب وكل مركب ممكن [illegible] فاذن ليس هو
بمحدود فليس هو بمولود فليس [illegible] وان شئت ان تجعل القضيتين في قوة قياس حملي مركب عن شرطيتين متصلتين والنتيجة
فيها في جزء تام [illegible] لو كان تعالى ذا ولد لكان مولودا لكان محدودا والنتيجة لو كان تعالى ذا ولد لكان محدودا ثم يستنتج من استثناء
نقيض التالي [illegible] المطلوب وبيان الملازمتين ونقيض التالي [illegible] ما سبق الثلاثون كونه جل عن اتخاذ الابناء اي علا وتقدس
عن ذلك وهو تاكيد لما سبق وبيانه انه [illegible] عن [illegible] الاجسام التي في معرض الزوال [illegible] التغير والاضمحلال الحادي
والثلاثون كونه طهر عن ملامسة النساء وذلك لما [illegible] الملامسة الجسمية والتركيب الذي تنزه قدسه عنه وطهارته [illegible] والتقدس
عن [illegible] الثاني والثلاثون كونه [illegible] الاوهام [illegible] الاوهام [illegible] التالي
[illegible] علمت ان الوهم [illegible] المعاني المتعلقة بالمادة [illegible] المتعلقة بالمحسوسات [illegible]
ان يستعمل المتخيلة في تقديره [illegible] مخصوص وكمية معينة وهيئة معينة ويحكم بانها مبلغه [illegible] الاوهام [illegible]
معين [illegible] واما بطلان التالي فلان المقدر [illegible] مركب يحتاج الى المادة والتعلق بالغير وقد سبق بيان امتناعه الثالث
والثلاثون كونه لا يتوهمه الفطن فتصوره [illegible] العقول [illegible] في تحصيل الوسط في المطالب [illegible] لا يتوهمه الفطن لان القوة
العقلية [illegible] في تحصيل المطالب العقلية المجردة لابد لها من استتباع الوهم والمتخيلة والاستثبات بها في [illegible] الشبح المتصور
بصورة [illegible] الخيال على ما علم ذلك في موضعه ولذلك [illegible] كانت رؤية النبي جبرئيل في صورة دحية الكلبي وكذلك المعاني التي [illegible]
في النوم من الحوادث فانها لا يتمكن من استثباتها عند اقتباسها من عالم الغيب [illegible] الخيال [illegible] في صورة [illegible] مشاهدة كما
علمت ذلك في صدر الكتاب فظهر ان معنى قوله لا يتوهمه الفطن فتصوره اي [illegible] لكان [illegible] الوهم فكان [illegible] يصوره
بصورة خيالية لكنه تعالى منزه عن الصورة فكان منزها عن ادراكهما الرابع والثلاثون لا تدركه الحواس فتحسه [illegible] الحواس [illegible]
عليه انها تحسه ولزم كونه محسوسا وبيان ذلك ان الادراك وان كان [illegible] الاجسام لكن باضافته الى الحواس صار [illegible]
فان قلت انه لا معنى للاحساس الا ادراك الحواس فيكون [illegible] لا تحسه الحواس فتحسه وذلك تكرار [illegible] قلت ليس مقصوده انه
يلزم من معنى الاحساس بل مراده ان الذي [illegible] الحواس هو [illegible] بالاحساس فيكون [illegible]
لو ادركته الحواس [illegible] الاسم ولزم من صدق [illegible] عليه كونه محسوسا واما الزم ذلك لكون
الاحساس شعورا [illegible] من الادراك [illegible] ليس بمحسوس
فلانه ليس بجسم ولا جسماني وكل محسوس فاما جسم وجسماني [illegible] الخامس والثلاثون كونه لا تلمسه الايدي فتمسه اي
[illegible] وكونه لو كان [illegible] المس [illegible] مشتمل عليه [illegible] الجسمية والمسه [illegible]
عليه [illegible] السادس والثلاثون كونه لا يتغير بحال [illegible] ولا يتبدل في الاحوال اي لا ينتقل من حال
الى حال وقد سبق بيان ذلك الثامن والثلاثون كونه لا تبليه الليالي والايام [illegible] لانه تعالى ليس بزماني [illegible] الزمان حتى

ولو كان مولودا

ومن خطبة خطبها في التوحيد

ثلثه واما ثانيا فلان تحول الاحوال اليه تغير في ذاته وقد علمت امتناع التغير عليه واما ثالثا فلان البالي من الامور المادية وكل ذي مادة فهو
مركب على ما مر التاسع والثلاثون كونه لا يعتوره الفناء والظلام وذلك لامتناع التغير عليه الاربعون كونه لا يوصف بشيء من الاجزاء لان كل
ذي جزء مفتقر الى جزئه الذي هو غيره فكان مفتقرا الى غيره فكان ممكنا في ذاته هف الحادي والاربعون كونه لا بالجوارح والاعضاء لما مر
من الحقيقة والتركيب في الجزئية الثاني والاربعون كونه لا بعرض من الاعراض اقول الاعراض تحصر في تسعة اجناس كما هو معلوم في مظانه و
ذلك ان كل الموجودات سوى الله تعالى مقسوم بعشرة اقسام واحد منها جوهر والتسعة الباقية اعراض ويظهر بتقسيم هكذا كل ما عداه سبحانه
في وجوده نائب على ما بينه البراهين القاطعة فهي اما ان تكون بحيث اذا وجدت كان وجودها لا في موضوع وهذا المعني بالجوهر
او يكون وجودها في موضوع وهو المعني بالعرض ونعني بالموضوع المحل الذي لا يتقوم بما يحل فيه بل يتقوم حقيقته كما كانت قبل حلوله
كالجسم الذي يحله السواد ثم العرض ينقسم الى اقسام التسعة وهي الكم والكيف والمضاف والاين ومتى والوضع والملك وان يفعل
وان ينفعل وتسمى هذه الاقسام مع القسم العاشر وهو الجوهر المقولات العشر والاجناس العالية ولنرسم كل واحد منها ليظهر انه تعالى
منزه عن الوصف بشيء منها فنقول اما الجوهر فقد عرفت رسمه واما الكم فرسمه بانه العرض الذي يقبل لذاته المساواة واللامساواة و
التجزي ويقبل الجوهر بسببه هذه الصفات واما الكيف فقد عرفته وعرفت اقسامه واما الاضافة فهي حالة للجوهر تعرض بسبب كون غيره
في مقابلته ولا يعقل وجودها الا بالقياس الى تلك الغير كالابوة والبنوة وقد عرفتها وعرفت ايضا اقسامها من قبل واما الاين فهي حالة
وهيئة تعرض للجسم بسبب نسبته الى المكان وكونه فيه وليس هو النسبة نفسها واما متى فهي حالة تعرض للشيء بسبب نسبته الى زمانه وكونه
فيه او في طرفه وهو الان واما الوضع فهو هيئة تعرض للجسم بسبب نسبة اجزائه بعضها الى بعض ونسبة مختلف الاجزاء الى اجزائها بالقياس
الى سائر الجهات كالقيام والقعود واما الملك فقد عرفت بانه نسبة الى ملاصق ينتقل بانتقال ما هو منسوب اليه كالتسلح والتقمص
واما ان يفعل فهو كون الشيء بحيث يؤثر في غيره ما دام مؤثرا فيه كالقطع حالة التأثير واما ان ينفعل فهو كون الشيء متأثرا عن
غيره ما دام متأثرا كالقطيع اذا عرفت ذلك فنقول اما البرهان الجملي على امتناع اتصافه تعالى بهذه الاعراض واستحالة كونه موضوعا
لها فانما سنبينه من قوله فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه وكذا ما بيناه من استلزام وصفه بشيء حصول التغير
في ذاته وامتناع التغير عليه واما التفصيلي فاما امتناع وصفه بالكم فلانه لو صح عليه الكم لصدق عليه قبول المساواة والمقابلة
والتجزي وكلما قبل التجزية كان متكثرا وقابلا للكثرة وقد ثبت انه تعالى واحد من كل وجه فيمتنع عليه الكم واما امتناع وصفه بالكيف
فقد علمته في اول الخطبة وكذا امتناع وصفه بالمضاف واما وصفه بالاين فلانه يستلزم ان يكون متحيزا او حالا في المتحيز لكونه كالحاصل فكونه
في المكان هف واما وصفه بمتى فقد عرفت انه تعالى ليس بزماني فاستحال ان يوصف بالنسبة الى زمان يكون فيه واما وصفه بالوضع
فلان الوضع من خواص المتحيزات فان الجسم المتناهي يحيط به سطح واحد او سطوح ينتهي عندها فيكتنفه حد او حدود بها يكون
له شكل وهيئة لكنه تعالى ليس بمتحيز فاستحال ان يكون ذا وضع واما الملك فلانه ايضا من خواص الاجسام المحاط بها اذ ما ليس بجسم ولا
محاط به لشيء ينتقل بانتقاله وقد تنزه تعالى عن الجسمية وان يحيط به شيء واما ان يفعل فلان الفعل لا يصدق عليه الا على نحو الابداع
ومحض الاختراع والابداع هو ان يكون للشيء وجود من غيره متعلق به فقط دون توسط مادة او آلة او زمان والفعل اعم من الابداع
اذ المفهوم من الفعل هو ان يوجد بسبب وجوده شيء آخر سواء كان ذلك السبب حركة من الفاعل او آلة او مادة او زمانا وقصدا اختياريا
فيقال للنجار انه فاعل وللسرير انه فعل ويقال لما لا يتوسط بشيء من ذلك بل بطبع وتولد كالشمس فانها فاعلة للتنوير والنور فعلها فالفعل
اذن ينقسم الى ما يكون بقصد واختيار والى ما لا يكون كذلك بل يصدر عنه لانه ذات تفيض عنها ذلك الشيء ثم ان كان غاية ما يفيضانه
الشيء عنه سميت تلك الافاضة جودا والفاعل بتلك الاعتبار جوادا وان لم يكن غاية ما به سميت تلك الافاضة طبعا وتولدا كفيضان
النور عن الشمس فالفاعل اما ان يفعل بالقصد والعزم او بالجود المحض او بالطبع المحض والباري تعالى لا يجوز ان يفعل لغرض لان الغرض
والقصد ان كان اولى به لذاته كان ذاته مستكملة بتلك الاولوية ناقصة بعدمها هف وان لم تكن اولى به كان ترجيحا من غير
مرجح ثم لا يجوز ان يكون اولى به بالنظر الى عبده لان تلك الاولوية وعدمها ان كانا بالنسبة اليه على سواء فلا ترجيح وان لا على سواء فيعود
حديث النقصان والكمال فكان تعالى منزها عن الفعل بهذا الوجه بل انما يصدق عليه على وجه الابداع بجوده المحض وفي هذا المقام
بحث طويل ليس هذا موضعه واما وصفه بان ينفعل فلان الانفعال يستلزم التغير في ذاته المستلزم للامكان وقد تنزه قدسه
عنه الثالث والاربعون ولا بالغيرية ولا بالابعاض اي ليس له ابعاض يغاير بعضها بعضا لان ذلك مستلزم للتجزية والتركيب الممتنعين عليه
وامتناع اللازم يستلزم امتناع الملزوم الرابع والاربعون ولا يقال له حد ولا نهاية لان الحدود والنهايات من عوارض الاجسام ذوات
الاوضاع ولواحقها على ما سبق الخامس والاربعون وكذلك ولا انقطاع ولا غاية اي لا انقطاع لوجوده ولا غاية له وذلك لان الانقطاع
عند الغايات من لواحق الامور الزمانية المحدثة الكائنة الفاسدة وقد بينا امتناع كونه تعالى زمانيا وكونه ماديا ولا انه تعالى ولا يجب

في بيان المقولات العشر

الوجود

الوجود فتفصيل الصفة الحقيقية الصفاتية او بينها هي وجوده وينقطع عنه فانه السادس والاربعون ولان الاشياء بقوته فناؤه او ففوته وروي
ما بدا لنا منصوبا وعليه فسره المرتضى رحمه الله وذلك باعتبار ان حقيقتها في جواب النفي وروي مرفوعا على الصفة والمعنى انه ليس له
مكان يجوز فيه ويرتفع بارتفاعه وينخفض بانخفاضه لما انه خال عن لواحق الجسمية وكذا وان شيئا ما له فيمسك او يبعد انه السابع
والاربعون انه لا يجري الاشياء بوالج ولا عنها بخارج لانه الدخول والخروج من لواحق الاجسام وهو ليس بجسم ولا جسماني فهما مساويان
عن سلبا مطلقا لا السلب المقابل للملكة الثامن والاربعون كونه يخبر بلا لسان ولهوات لان اللسان واللهوات من لواحق الاجسام ه
تعالى المنزه قدسه عنها والسلب هاهنا كالذي قبله والاخبار هو النوع الاكثر من الكلام ولذلك خصه هنا بالذكر وزعم الاشعرية
ان الخبر هو اصل الكلام كله والبه يرجع انواعه كالامر والنهي والاستفهام والتمني والترجي وغيرها ثم اختلف المتكلمون في حقيقة
الكلام فاتفقت المعتزلة على انه المركب من الحروف والاصوات وجمهور الاشعرية على ان وراء الكلام اللساني معنى قائم بالنفس يعبر عنه بالكلام النفسي
ولفظ الكلام حقيقة فيه وفي اللساني مجاز ومنهم من جعله حقيقة في اللساني مجازا في النفساني ومنهم من جعله مشتركا بينهما فكون الله متكلما
يعود الى خلقه الكلام في جسم الشيء عند المعتزلة وعند الاشعرية انه معنى قائم به سبحانه غير الاصوات والحروف المسموعة الدالة عليه ويسمونه
معنى كلامه نعم التاسع والاربعون انه يسمع بلا خروق وادوات اي ليس بالصماخ الذي هو الة السمع لما انهما من خواص الانسان المنزه قدسه تعالى عن الالات
الجسمانية وقد كان هذا البرهان كافيا في منع اطلاق السميع عليه تعالى لما ورد الاذن الشرعي باطلاقه عليه ولم يمكن حمله على ظاهره وحقيقته
وجب صرفه الى مجازه وهو العلم بالمسموعات اطلاقا لاسم السبب على المسبب اذ كان السمع من اسباب العلم فاذن كونه سميعا يعود الى علمه
بالمسموعات الخمسون يقول ولا يتلفظ واطلاق لفظ القول عليه كاطلاق الكلام فاما التلفظ فلما كان عبارة عن اخراج الحروف
من الة النطق وهي اللسان والشفة لاجرم لم يصدق في حقه لعدم الالة هنالك وكان الشارع لم ياذن في اطلاقه عليه تعالى لما ان
دلالته على الالة لكونه اقوى من الكلام والقول الحادي والخمسون كونه يحفظ ولا يتحفظ وحفظه يعود الى علمه بالاشياء ولما كان
المعروف من العادة ان الحفظ يكون بسبب التحفظ وكان ذلك في حقه تعالى محالا لاستلزامه الالات الجسمانية لاجرم احترز عنه وقال
بعض الشارحين انما يريد بالحفظ انه يحفظ عباده ويحرسهم ولا يتحفظ منهم اي لا يحتاج الى حراسة نفسه منهم وهذا بعيد الارادة
هنا الثاني والخمسون يريد ولا يضمر وارادته تعود الى اعتبار كونه عالما بما في الفعل من الحكمة والمصلحة الذي هو مبدأ فعله ولا فرق
في حقه تعالى بين الارادة والداعي ولما كان المتعارف من الارادة انها ميل القلب نحو ما يتصور كونه نافعا ملذا وذلك الميل من الضمائر
المستكنة في القلب لاجرم كان اطلاق الارادة في حقه يستلزم تصور الاضمار ولما تنزه سبحانه عن الاضمار لاجرم احترز عنه في اطلاق المريد
عليه تعالى فكان ذلك الاحتراز كالقرينة الصارفة للفظ عن حقيقته الى مجازه وهو الاعتبار المذكور الثالث والخمسون كونه يحب ويرضى
من غير رقة والمحبة منه تعالى ارادة هي مبدأ فعل ما فمحبته للعبد ارادته لثوابه وتكميله وما هو خير له واما من العبد فهي ارادة تقوى او تضعف
بحسب تصور المنفعة واللذة واعتقاد كمالها ونقصانها ومحبته لله هي ارادة طاعته واما الرضا فقريب من المحبة ويشبه ان يكون اعم منها
لان كل محب راض بما احبه ولا ينعكس ورضاه تعالى عن العبد يعود الى علمه تعالى بموافقته لامره وطاعته له والمفهوم منه في حق العبد هو
سكون نفسه بالنسبة الى موافقة وملاءمة عند تصور كونه موافقا وملائما ولما كان الرضا والمحبة من الانسان لغيره
يستلزم الرقة القلبية له والانفعال النفساني عن تصور المعنى الذي لاجله حصلت المحبة والميل اليه والداعي الى الرضا عنه وكان
الباري سبحانه منزها عن الرقة والانفعال المنزه هو عن توابعها لاجرم احترز بقوله من غير رقة الرابع والخمسون ويبغض ويغضب
من غير مشقة فالبغض منه تعالى للعبد يعود الى كراهته له ويعود الى كراهته لثوابه وكراهته يعود الى علمه بعدم استحقاقه للثواب لانه
لا مصلحة في ثوابه ويلزمها ارادة اهانته وتعذيبه والبغض من العبد هو كراهته للغير وميل نفسه عنه لتصور كونه مضرا او هو
ويلزم من ذلك النفرة الطبيعية منه وثوران القوة الغضبية عليه وارادة اهانته واما الغضب فيعود منه تعالى الى علمه بمخالفة امره
وعدم طاعته له والمفهوم منه في حق العبد ثوران النفس وحركة قوتها الغضبية عن تصور المؤذي والضار لارادة دفعه والانتقام منه
ولما كان البغض والغضب يستلزمان ثوران دم القلب وكان ذلك في النفس يستلزم مشقة وكلفة لاجرم احترز عنهما في اطلاق لفظ
البغض والغضب عليه فقال من غير مشقة واعلم ان الاطلاق لفظ المحبة والرضا على ما ذكرناه من الاعتبار انه في حقه مجاز اذ كانت حقيقته
الرضا هي سكون النفس الانسانية والمحبة ميلها الى النافع فاطلاقهما على العلم اطلاق لاسم الملزوم على اللازم وكذلك اطلاق لفظي
البغض والغضب في حقه تعالى على علمه المخصوص الخامس والخمسون يقول لما اراد كونه كن فيكون لا بصوت يقرع ولكنه هو علمه بما في وجوده من الحكمة
وقوله كن اشارة الى حكم قدرته الازلية عليه بالايجاد ووجوب الصدور عنه تمام مؤثريته وقوله فيكون اشارة الى وجوده ودلالة
على اللزوم وعدم التاخر والتراخي بالفاء المقتضية للتعقيب بلا مهلة السادس والخمسون لا بصوت يقرع اي ليس قوله ذلك
للسمع فيقرعه قرعا لما الصوت عند التحقيق كيفية تحدث في الهواء عن قلع او قرع وقوعها يصل الى الصماخ او جسم اخر هو وصفه

في بيان خطبة له في التوحيد

بشدة وعنف وذلك حال تعرض الاجسام فلو كان تعالى لا يسمع لكان جسما لكن التالي باطل فالمقدم كذلك السابع والخمسون وكلامه
يسمع اي مما بين في القرينة الاولى انه لا يسمع له يقرع بصوت بين في القرينة انه لا يخرج منه الصوت لان النداء صوت مخصوص
والصوت مستلزم الصوت هو جسم لما مر من استلزام الصوت القرع او القلع المستلزم من الجسمية وقوله وانما كلامه تعالى الى قوله
كائنا فاعلم ان هذا الكلام ما استفادت المعتزلة منه كون كلامه تعالى محدثا وفيه تصريح بغير ما ذهبوا اليه ومعنى قوله فعل
انشاه اي اوجده في لسان النبي وانما قوله ومثله فاراد صورته في لسان النبي وسوى مثاله في ذهنه وقال بعض الشارحين مثله
لجبرئيل في اللوح المحفوظ حتى بلغه محمدا صلى الله عليه وآله وسائر الرسل عليهم السلام وقد يقوله لم يكن من قبل ذلك كائنا على انه حادث مسبوق الوجود
بالعدم واشار بقوله ولو كان الى قوله ثانيا الى برهان حدوثه وهو قياس استثنائي متصل ولو كان كلامه تعالى قديما لكان
كلامه الها ثانيا له لكن التالي باطل فالمقدم كذلك اما بيان الملازمة فلانه لو كان قديما لكان اما واجب الوجود واما ممكن الوجود
فالتالي باطل لانه لو كان ممكنا مع انه موجود في الازل لكان وجوده مفتقرا الى مؤثر فذلك المؤثر ان كان غيره تعالى فهو محال لوجهين
احدهما انه يلزم افتقاره تعالى في تحصيل صفته الى غيره وهو محال الثاني انه يلزم ان يكون في الازل مع الله غيره يكون مستندا اليه حصول
تلك الصفة فيكون الها ثانيا بل هو اولى بالالهية فهذا محال وان كان المؤثر في كلامه ذاته فهو محال ايضا لان المؤثر واجب التقدم بالوجود
على الاثر فالكلام اما ان يكون من صفات كماله او لا يكون فان كان الاول فتاثيره فيه ان كان وكل كمال له حاصل له بالفعل فقد
كان وصف الكلام حاصلا له قبل ان كان حاصلا هف وان كان تاثيره في حال ما هو خال عن صفة الكلام فقد كان خاليا عن صفة
كماله فكان ناقصا بذاته وهذا محال واما ان لم يكن الكلام من صفات كماله كان اثباته له في الازل اثباتا لصفة زائدة على الكمال نقصان
فتعين انه لو كان قديما لكان واجب الوجود لذاته فكان الها ثانيا واما بطلان التالي فلما بينا من كونه تعالى واحدا فثبت بطلان المقدم
الواضح انه لا يجوز ان يكون كلامه قديما الثامن والخمسون لا يقال الى قوله لم يكن اشارة الى تنزيهه عن مجرى الحدث لان كون الشيء بعد ان لم يكن
هو معنى حدوثه وقوله لم يجر عليه الصفات المحدثات فانها في جواب انفي لتقدير الشرط اي لو صدق عليه انه محدث لجرت عليه الصفات
المحدثة والا لكانت صفاته قديمة فكان الموصوف بها قديما هف والتقدير لكن لا يجوز الصفات المحدثة له باطل فكونه محدثا باطل واشار
الى بطلان التالي بقوله لا يكون بينها وبينه فصل الى قوله والبديع والتقدير انه لو جرت الصفات المحدثات عليه على تقدير كونه
محدثا لكانت ذاته مساويا لها في الحدوث المستلزم للامكان المستلزم للحاجة الى الصانع فلم يكن بينها وبينه فصل في ذلك ولا له عليها
فضل لاشتراكهما في الحاجة وقوله فيستوي الى قوله المبدع اشارة الى ما يلزم ذلك المساواة من المحال اذ كان استواء الصانع والمصنوع
محال ايضا واصل البديع من الفعل ما لم يسبق فاعله الى مثله وسمي الفعل الحسن بديعا لمشابهته ما لم يسبق اليه في كونه محل التعجب والمبدع
هو فاعل البديع والمصدر الابداع وقد عرفت معناه فيما قبل وفي نسخة الرضي المبدع بفتح الدال وهو البديع بالمعنى الذي ذكرناه ويكون مراده
بالبديع الصانع وهو فعيل بمعنى فاعل كقوله تعالى بديع السموات والارض وانما ثبت انه لا يجري عليه الامور المحدثة ولواحق الحدوث
من سبق العدم والتغير والامكان والحاجة الى المؤثر وغير ذلك مما يلزم المحال المذكور ولا هو التغير الاولى بخط الرضي رضي الله عنه التاسع والخمسون
كونه تعالى خلق الخلائق الى قوله غيره وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى وهو تنزيه له عن صفات الصانعين من البشر فان صنايعهم تحتذي
مثلة سبقت من غيرهم او حصلت في اذهانهم الستون كونه لم يستعن على خلق ما خلق باحد من خلقه والا لكان ناقصا بذاته مفتقرا الى ما كان هو
مفتقرا اليه وهو محال الحادي والستون كونه انشا الارض فامسكها اي اوجدها فقامت في حيزها بما اقتضته قدرته ولما كان شان من
يمسك شيئا ويحفظه من سائر الفاعلين لا يخلو عن كلفة ومشقة في حفظه واشتغال بحفظه عن غيره من الافعال نزه حفظه تعالى لها عما
حفظ غيرها ويحفظه من تلك الكلفة والاشتغال بحفظها الثاني والستون كونه ارساها اي ثبتها في حيزها على غير قرار اعتمدت عليه امسكها
وكل من رفعها بغير عماد بل بحسب قدرته فما ذكر الثالث والستون كونه حصنها من الاود والاعوجاج اي من الميل الى احد جوانب العالم عن
المركز الحقيقي وذلك بما ثبت في موضعه من الحكمة الرابع والستون كونه منعها عن التهافت والانفراج اي جعلها كرة واحدة ثابتة في حيزها
ومنعها ان يتساقط قطعا او يتفرج بعضها عن بعض الخامس والستون كونه ارسى اوتادها اي ثبتها فيها واوتادها جبالها وقد مر بيان في الخطبة
الاولى معنى كونها اوتادا لها السادس والستون كونه ضرب اسدادها واراد باسدادها ما احاط بها من الجبال والتي تجري بين بقاعها و
بلادها السابع والستون كونه استفاض عيونها واستفاض بمعنى فاض كما قال تعالى وفجرنا الارض عيونا وقد سبقت الاشارة الى ذلك الثامن
والستون كونه خد اوديتها اي شقها ويحتمل جبالها وتلالها وقوله فلم يهن ما بناه ولا ضعف ما قواه تنزيه بعد تنزيه بما عدد من الاثار
اشارة الى كمال هذه المخلوقات تعرف بها ليتبين عظمة الله سبحانه بالقياس اليها التاسع والستون كونه هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته واشار
بقوله هو الى هويته التي هي محض الوجود الحق الواجب لما لم يكن تعريف تلك الهوية الا بالاعتبارات الخارجة عنها اشار اليها بكونه
ظاهرا عليها اي غالبا قاهرا لها ولما كان الظهور يحتمل الظهور الحسي الاجرامي قيده بسلطانه وعظمته اذ كان ظهوره عليها ليس ظهورا مكانيا

والزيادة على الكمال نقص

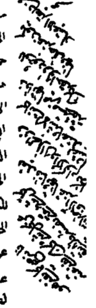
حسيا

في بيان خطبة خطبها في التوحيد

حسيا بل بحجر ملكه واستيلاء قدرته وعظمة سلطانه السبعون قوله وهو الباطن لها اي الداخل في بواطنها بعلمه ولما كان البطون يحتمل البطون
الحسي قيده بقوله بعلمه بها له عن سوء الأوهام واحكام الاوهام والفهم بحسب قوله عليها ولها يعود الى الارض ما فيها ما بناه وسواه الحادي
والسبعون كونه عاليا على كل شيء اي من الارض وسائر مخلوقاته شرفها بجلاله وعزته بجلاله وعزته بالنسبة اليها هو اعتبار كونه متعاليا
منزها عن كل ما لها من الصفات المحدثة والكمالات المستفادة من الغير المستلزمة النقصان الذاتي ولما كانت هذه الاعتبارات التي
تنزه عنها في حضيض النقصان كان هو باعتبار تنزيهه عنها في اوج الكمال الاعلى فكان غالبا عليها بذلك الاعتبار ولا تزيغ الى خالقها
وموحدها ما فيه صولة عليها بجلال سلطانه وعزته عن خضوع الحاجة وذلتها الثاني والسبعون كونه لا يعجزه شيء منها طلبه الى قوله فيسبقه
وذلك لكونه تام واجب الوجود تام العلم والقدرة لا نقصان فيه باعتبار وكون كل ما عداه مفتقرا في وجوده وجميع احوال وجوده اليه
فلا جرم لم يتصور ان يعجزه شيء طلبه او يمتنع عليه شيء بقوة فيغلبه او بقوة سريع يحركه فيسبقه لما يستلزمه ذلك العجز عن الحاجة والامكان
الممتنعين عليه الثالث والسبعون كونه لا يحتاج الى ذي المال فيرزقه لما يستلزمه الحاجة من الامكان وكل ذلك نفي الاحوال البشرية عنه
الرابع والسبعون قوله خضعت له الاشياء الى قوله لعظمته فخضوعها وذلها يعود الى دخولها في ذل الامكان تحت سلطانه وانقيادها في اسر الحاجة
لذ وانها اليه واستنادها لا انتهائها الى وجوده فهو النافع لها ما فيه كالانتهائها والضار لها بمنع ذلك فان قلت ان النفع لا يهرب منه ولا يمتنع فكيف
ذكره هنا قلنا المراد منه سلب قدرته عليها على تقدير امتناعها منه وهذا كما تقول لمن عجز عنك ان فلانا لما لا يقدر على نفع ولا ضر ولان
النفع جاز ان يمتنع منه لا نفعه واستغنا بالغير ولا شيء من الموجودات يمتنع من سلطانه ونفعه باستغنائه عنه وانفعه ونحوها الخامس والسبعون
كونه لا كفو له فيكافيه اي ليس له مثل فيقابله ويفعل بازاء فعله وقد علمت تنزيهه تعالى عن المثل وكذلك لا نظير له فيساويه السادس والسبعون
هو المفني لها الى قوله كمفقودها عرف هويته باعتبار كونه معدما للاشياء بعد وجودها وقد ورد في القرآن الكريم اشارات الى ذلك كقوله
تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده ومعلوم ان الاعادة انما تكون بعد العدم وقوله اذا السماء انفطرت واذا
الكواكب انتثرت وامثالها وقد جمعت الانبياء على ذلك وعلم بالضرورة من دين محمد انه سيكون وهو الذي عليه جمهور المتكلمين والخلاف
في جواز خراب العالم مع الحكماء فانهم اتفقوا على ان الاجرام العلوية والعقول والنفوس الملكية وكذلك هيولى العالم العنصري واجرام العناصر
وما ثبت قدمه امتنع عدمه لا لذاته بل لدوام علته وجوده وما عدا ذلك فهو حادث وليس كله مما يفاد بالاتفاق بل الخلاف وقع فيما
الانسان البدني فانكره بعضهم والاسلاميون منهم قالوا ليس للعقل في الحكم بوجوده او لا وجوده مجال بل انما يعلم بالسمع فالمعتمد فيه السمع ثم انهم
على القول بامتناع اعادة المعدوم فان امكن الجمع بين القول بامتناع اعادة المعدوم فليكن ما ذهب اليه ابو الحسين البصري من المعتزلة وهو تفرق
الاجزاء بتبدد به وينفرق بحيث يخرج عن حد الانتفاع بها ولا يدخل في العدم الصرف لكن في ذلك نظر لان بدن زيد مثلا ليس عبارة عن
تلك الاجزاء المتبددة المتفرقة فقط فان القول بذلك مكابرة للعقل بل عنها مع سائر الاعراض والتأليفات المخصوصة والاوضاع فاذا عدم
البدن وتفرق فلا بد ان يعدم تلك الاعراض وتنتفي حينئذ يلزم فناء البدن من حيث هو ذلك البدن فعند الاعادة ان اعيد بعينه وجب اعادة
تلك الاعراض بعينها فلزمت اعادة المفروض العدم وان لم يعد بعينه كان غيره فيكون الثواب والعقاب على غيره وذلك مكذب للقرآن
الكريم في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى اللهم الا ان يقال ان الانسان المثاب والمعاقب هو النفس الناطقة وهذا البدن كالآلة فلا يعد
لم يلزم عوده بعينه بل جاز عود مثله لكن هذا انما يستقيم على مذهب الحكماء القائلين بالنفس الناطقة واما على رأي ابي الحسين البصري
فلا ومذهب اكثر المحققين من علماء الاسلام يؤول الى هذا القول وقوله وليس فناء الدنيا الى قوله اختراعها دفع لما يعرض لبعض الاذهان
من التعجب بفناء هذا العالم بعد ابتداعه وخلقه بالتشبيه على حال انشائه واختراعه اي ليس عدمه وفناؤه ما خلق الى العدم بعد وجوده
باعجب من صيرورته الى الوجود بعد العدم عنها اذ كانت كلها ممكنة قابلة للوجود والعدم لذواتها بل صيرورتها الى الوجود المشتمل على اتقان
الخلقة واسرار الحكمة التي لا يهتدي لها ولا يقدر على شيء منها اعجب واغرب من عدمها الذي لا كلفة فيه وقوله وكيف ولو اجتمع الى قوله افنائها
تأكيد لان كون عدمها بعد وجودها اعجب من ايجادها بالتنبيه على عظم مخلوقاته ومكوناته وما اشتملت عليه من اسرار الحكمة المنسوبة
الى قدرته والعقول وكيف يكون عدمها اعجب وفي ايجاد اضعف حيوان واصغر مخلوق كالبعوضة من العجائب والغرائب والاعجاز ما تعجز
عن تكوينه واحدا ثم قدرة كل من تنسب اليه القدرة وتقصر عن معرفة الطريق الى ايجادها الباب الالباء وتحير في كيفية خلقها حكمة
الحكماء ويقف دون علم ذلك وتبيانه عقول العقلاء وترجع خاسئة حسيرة مقهورة معترفة بالعجز عن الاطلاع على كنه صنعه في انشائها
مقرة بالضعف عن افنائها فان قلت كيف تقر العقول بالضعف عن افناء البعوضة مع امكان ذلك وسهولته قلت ان العبد اذا نظر الى
نفسه بالنسبة الى قدرة الصانع الاول جلت عظمته وجد نفسه عاجزة عن كل شيء الا باذن الهي وانه ليس له الا الاعداد لحدوث ما ينسب
اليه من الآثار فاما نفس وجود الاثر فمن واهب العقل عز سلطانه فالعبد العاقل لما قلناه يعترف بالضعف عن ايجاد البعوضة واعدامها
وما هو ابين من ذلك عند مقايسته نفسه الى موجده وواهب كماله كما عرفت ذلك في موضعه فان الله سبحانه كما خلق للعبد قدرة على

في بيان خطبة خطبها في التوحيد

الفعل والترك والايذاء والاضرار بغيره كما خلق للبعوضة قدرة على الامتناع والهرب عن عدوها بالطيران وغير ذلك ان توقعه ولا يتمكن من
دفعها عن نفسه فكيف يستسهل لها قبل افنائها من غير معونة صانعها له عليه وقوله وانه سبحانه يعود بعد فناء الامور اشارة الى كونه
باقيا ابديا بعد فناء الاشياء وحده لا شيء معه منها كما كان قبل وجودها كذلك بريئا عن لحوق الوقت والمكان والحين والزمان وقوله
يعود فيه اشعار بتغير من حال سبقت الى حالة لحقت وهما يعودان الى ما يعتبر انه ابدا انه من حالة تقدمه على وجودها وحالة تأخره
عنها بعد عدمها وهما اعتباران ذهنيان يلحقانه بالقياس الى مخلوقاته وقوله عدمت عند ذلك الى قوله الساعات ظاهر لان كل ذلك
اجزاء للزمان الذي هو من لواحق الحركة التي هي من لواحق الجسم فيلزم من عدم الاجسام عدم عوارضها وقوله فلا شيء الى قوله الامور اي
لا شيء يبقى بعد فناء العالم الامور وذكر الواحد ليبقى اشتراكه والقهار باعتبار كونه قاهرا لها بالعدم والفناء وكونه اليه مصير جميع الامور
فمعنى مصيرها اليه اخذه لها بعد هبته لوجودها وقوله بلا قدرة الى قوله فناؤها اشارة الى انه لا قدرة لشيء منها على ايجاد نفسه ولا
على الامتناع من لحوق الفناء له وقوله ولو قدرت الى قوله بقاؤها استدلال بقياس شرطي متصل على عدم قدرة شيء منها على الامتناع
من الفناء وانما خص الحكم بالاستدلال دون الاول لكون الاول ضروريا وبيان الملازمة ان الفناء مهروب منه لكل موجود فامكان
الامتناع منه مستلزم للداعي الى الامتناع المستلزم للامتناع منه المستلزم للبقاء واما بطلان التالي فلما ثبت من تعين فنائها فلزم ان لا
يكون لها قدرة على الامتناع وقوله لم يتكاءده الى قوله خلقه ظاهر لان المشقة في الفعل وثقله انما يعرض لذي القدرة الضعيفة من
الحيوان لنقصانها وقد ثبت تنزيهه عن لحاق النقصان اللازمة للامكان والحاجة الى الغير وقوله ولم يكونها الى قوله سلطان اشارة الى نفي
وجوه الاغراض المتعارفة للفاعلين في ايجاد ما يوجد وهو واحد منه ونفي تلك الاغراض عن فعله في ايجاده ما اوجده واعدامه ما اعدمه من الاشياء
اما الاغراض المتعلقة بالايجاد فهي اما جلب منفعة كتشديد السلطان وجمع الاموال والقنيات وتكثير الجند والعدة والازدياد في الملك
باخذ الحصون والقلاع ومكاثرة الشريك في الملك كما يكابر الانسان غيره ممن يشاركه في الاموال والاولاد او دفع مضرة كالتخوف من العدم
والزوال فيخلقها ليتحصن بها من ذلك او خوف النقصان فيخلقها ليستكمل بها او خوف الضعف عن مثل مكاثر فيخلقها ليستعين بها عليه ونحو
ضد يقاومه فاوجدها ليحترز منه ويدفع مضرته او لوحشة كانت له قبل ايجادها فاوجدها ليدفع ضرر استيحاشه بالانس بها وكذلك
الاغراض المتعلقة بعدمها اما الى دفع المضرة كرفع السأم اللاحق له من تصريفها وتدبيرها والثقل في شيء منها عليه والملال من
طول بقائها فيدعوه ذلك الى افنائها او جلب المنفعة كالراحة والوصول اليه فان جلب المنفعة ودفع المضرة من لواحق الامكان المنزه
قدسه عنه وقوله لكنه سبحانه الى قوله اقتدر فتدبيرها بلطفه اشارة الى ايجاده لها على وجه الحكمة والنظام الاتم الاكمل الذي ليس في
الامكان ان يكون بما لها احد اتم منه ولا الطف وامساكها بامره اياها في الوجود بحكم سلطانه وافنائها بقهره احكامها على وفق منفعتها
وان كان عن قدرة فهي في نوع له بوجوه الحكمة كل ذلك لمحض الجود من غير غرض من الاغراض المذكورة يعود اليه وقوله ثم يعيدها بعد
الفناء تصريح باعادة الاشياء بعد فنائها وفناؤها اما عدمها كما هو مذهب من جوز [illegible] او تفرقها وخروجها عن
حد الانتفاع بها كما هو مذهب ابي الحسين البصري من المعتزلة وقوله من غير حاجة الى اخره ذكر وجوه الاغراض المحتملة في الاعادة والاشارة
الى نفيها عنه تعالى وهي اما كالحاجة اليها والاستعانة ببعضها على بعض او الانصراف من حال وحشة الى حال استئناس او انصراف من حال
جهل وعمى فيه الى حال علم والتماس او كذلك من فقر وحاجة الى غنى وكثرة او من ذل وضعة الى عز وقدرة وقد عرفت ان كل هذه الاغراض من
دفع المضرة المنزه قدسه تعالى عنها وقد بينا فيما سلف البرهان الاجمالي على تنزيهه تعالى في افعاله من الاغراض بل ايجاده بما يوجد لمحض الجود
الالهي الذي لا بخل فيه ولا منع من جهته وهو الجواد المطلق والملك المطلق الذي يعطي ما ينبغي لا لغرض ويوجد ما يوجد لا لفائدة تعود
اليه ولا غرض وهو مذهب جمهور اهل السنة والفلاسفة والخلاف فيه مع المعتزلة فان قلت ظاهر كلامه تصريح بان الدنيا كما تفنى تعاد
الذي حدث به التنزيل وهو محل الخلاف بين جمهور المتكلمين والحكماء وهو اعادة الابدان البشرية قلت الكلام تام في قوله يعيدها سواء كان راجعا
الى الدنيا او الى الامور في قوله مصير جميع الامور فانه مهمل كما يرجع الى الكل جاز ان يرجع الى البعض وهي الابدان البشرية قال بعضهم ان
للسالكين في هذا الكلام تاويلا عقليا وان جزموا بكون مراده ع هو ما ذكرناه من الظاهر فانهم قالوا يحتمل ان يشار بقوله وانه يعود سبحانه
الى قوله الامور الى حال العارف اذا وصل الى الوصول التام حتى غاب عن نفسه فلحظ جناب الحق سبحانه بعد حذف كل قيد وتبرى عن
درجة الاعتبار وملاحظة جلال الواحد الحق فليس الا هو وقوله ثم يعيدها بعد الفناء اي لعودها الى اعتبار اذهان العارفين لها
عند رجوعهم من الجناب المقدس الى الجنبة السافلة واشتغالهم بمصالح ابدانهم والكل منسوب الى تصريفه قدرته بحسب استعداد الاذهان
لقبولها دون فنائها وقد علمت من بيان هذه الخطبة صدق كلام السيد الرضي رضي الله عنه في مدحها حيث قال وتجمع هذه الخطبة
من اصول العلم ما لا تجمعه غيرها فانها بالحقيقة علم التوحيد كاملة في علم التنزيه والتقديس لجلال الواحد الحق جلت عظمته وبالله
التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلام** يختص بذكر الملاحم الا بابي وامي هم من عدة اسماؤهم في السماء معروفة وفي الارض



مجهولة الا فتوقعوا ما يكون من ادبار اموركم وانقطاع وصلكم واستعمال صغاركم ذاك حيث يكون ضرب السيف على المؤمن
اهون من الدرهم من حله ذاك حيث يكون المعطى اعظم اجرا من المعطي ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمة والنعيم
وتحلفون من غير اضطرار وتكذبون من غير احراج وذلك اذا عضكم البلاء كما يعض القتب غارب البعير ما اطول هذا العناء
وابعد هذا الرجاء ايها الناس القوا هذه الازمة التي تحمل ظهورها الاثقال من ايديكم ولا تصدعوا على سلطانكم فتذموا
غب فعالكم ولا تقتحموا ما استقبلكم من فور نار الفتنة واميطوا عن سننها وخلوا قصد السبيل لها فقد لعمري يهلك
في لهبها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم انما مثلي بينكم مثل السراج في الظلمة يستضيء به من ولجها فاسمعوا ايها الناس وعوا
واحضروا اذان قلوبكم تفهموا **اقول** ... وصفوا ... تصدعوا تتفرقوا وغب كل شيء عاقبته وفور النار غليانها وارتفاع
شررها واطلق عليها ... عند السلوك القصد والاتجاه اقول في التحذير من الفتن ... فقوله بابي وامي
البابا ... وقد سبقت الاشارة الى مثله في قوله مخاطبا الرسول صلى الله عليه وآله عند موته ... صلى الله عليه وآله
اشارة الى ما ... فيما يستقبل من الزمان بالنسبة الى زمانه وفي الكشيعة ... من ولده عليهم السلام وقوله اسماؤهم في
السماء معروفة اشارة الى علو درجتهم في الملأ الاعلى واشتهار اسمائهم وصفاتهم الفاضلة في ديوان الصديقين وفي الارض مجهولون
بين اهل الدنيا الذين يعرفون الناس بعدد ما كان ... الصالحين بحجب ... والاعراض عن الدنيا وذلك يستلزم
قلة مخالطة اهلها ومكاثرتهم وهو مستلزم لجهلهم بهم وعدم معرفتهم لهم ثم شرع في التنبيه على الاحوال المستقبلة المنافية لصالح العالم التي
يجمعها سوء التدبير وتفرق الكلمة وهي ادبار الامور ... وانقطاع ما اتصل من وصلهم واسبابهم والوصل جمع وصلة وهي الامور
الحاصلة لاسبابهم في المعاش والمعاد بوجود الرسول صلى الله عليه وآله ونحوه ثم استعمال صغارهم والاذلهم فانه من جملة اسباب الفساد ومن اسباب صلاح العالم
استعمال اهل الشرف واكابر الناس على الاعمال وعن كلامه في ذلك قوله لمالك الاشتر في عهده اليه ... الى العمال وتوخ منهم اهل
التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقا واصح اعراضا واقل في المطامع اشرافا وابلغ في
عواقب الامور نظرا وصغار الناس مظنة اضداد الامور المذكورة وبسببها يكون خراب العالم وهذا ... ثم اشار الى اوقاتها وعلامات
وقوعها فمنها حيث يكون ضرب السيف على المؤمن اهون واقل عنده مشقة من المشقة الحاصلة له في اكتساب درهم حلال وذلك لان
المكاسب يكون قد اختلطت وغلب الحرام الحلال فيها والمراد بقوله من الدرهم اي من كسب الدرهم ... ومنها حيث يكون المعطى
اعظم اجرا من المعطي وذلك لان اكثر من يعطي ويتصدق يكون ماله مشوبا بالحرام فيقل اجره ولان اكثرهم يقصد باعطائه الرياء والسمعة
والهوى لنفسه او لخطرة من خطرات وسواسه من غير خلوص لله سبحانه في ذلك واما المعطى فقد يكون فقيرا مستحقا للزكوة فلعياله لا يلزمه
ان يبحث عن اصل ما يعطاه فاذا اخذه لسد خلته كان في ذلك اعظم اجرا من معطيه ولان المعطي قد يكون اكثر ما ينفق من ماله في غير طاعة
الله في الوجوه المحظورة فاذا اخذ الفقير منه على وجه الصدقة فقد فوت على المعطي صرف ماله في تلك الوجوه فكان للفقير بذلك المنة عليه وكان
سببا في منعه عن صرف ماله فيما لا ينبغي فكان اعظم اجرا منه ومنها حيث تسكرون من غير شراب فاستعار وصف السكر لهم باعتبار غفلتهم عما
ينبغي لهم اللازمة عن ابطارهم واستغراقهم في اللذات الحاضرة كما يلزم السكر الغفلة عن المصالح وقرينة الاستعارة قوله من غير شراب بل من النعمة
فان السكر حقيقة انما يكون عن الشراب ومنها حيث يحلفون من غير اضطرار الى اليمين بل لغفلة عن عظمة الله سبحانه حتى يتوصلوا باليمين
الى حسن المطالب ومنها حيث يكذبون من غير احراج اي من غير ان يحرجكم الى الكذب ضرورة بل يصير الكذب ملكة وخلقا ومنها اذا عضكم
واستعار لفظ العض لايلام البلاء الذي ينزل بقلوبهم وشبهه بعض القتب لغارب البعير ووجه المشابهة هو شدة الايلام وهذا
التشبيه هو استعارة العض للبلاء وقوله ما اطول هذا العناء وابعد هذا الرجاء كلام منقطع عما قبله كما هو عادة الرضي رضي الله عنه في التقاط
في الوصول ... بعضها ببعض ووجدت هذا الفصل بخطه في حاشية نسخة الاصل وظاهره يقتضي انه ذكرهما كان متصلا بالكلام
بنال شيعته من البؤس والقنوط ومشقة انتظار الفرج وان قوله ما اطول الى قوله الرجاء كلام شيعته فعلى هذا يكون المعنى انهم يصابون
بالبلاء حتى يقولوا ما اطول التعب الذي نحن فيه وما ابعد رجانا الخلاص منه بقيام القائم المنتظر ويحتمل ان يكون الكلام متصلا ويكون
قوله ما اطول هذا العناء كلاما مستانفا في معنى التوبيخ لهم على اعراضهم عنه واقبالهم على الدنيا واتعابهم انفسهم في طلبها وتنفيرا لهم عنها
بذكر طول العناء في طلبهم وبعد هذا الرجاء الذي يرجونه منها فظاهر ان متاعب الدنيا لطالبها اطول المتاعب ومطالبها لراجيها ابعد
المطالب كما قال من قبل من ساعاها فاتته وكما قال الرسول صلى الله عليه وآله من جعل الدنيا اكبر همه فرق الله عليه همه وجعل فقره بين عينيه ولم يأته
منها الا ما كتب له وهذا الكلام يقتضي ان الحريص لطلب الدنيا لا يزال ملاحظا للفقر ومستحضرا له فهو عامل له على التعب في تحصيلها او
الكدح لها ويحتمل ان يريد بالعناء المشار اليه عناءه في جهاده اياهم الى الله ودعوته لهم الى الاخرة في اكثر اوقاته لا يرجعون الى دعوته ولا
ينفقون على كلمته وظاهر انه عناء طويل وتعب عظيم وبالرجاء المشار اليه رجاؤه لصلاحهم واستبعد تمام تقويمهم واستعار لفظ الازمة

وفي بعض النسخ ... هذا العناء وابعد هذا الرجاء ... [illegible]

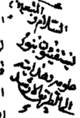
في بيان خطبته المشتملة على الوصية

للآراء الفاسدة المتبعة والأهواء القائدة لهم الى المآثم ووجه المشابهة كونها قائدة لهم كما تقود الأزمة الجمال ولفظ الإلقاء للإعراض عن تلك
الآراء الباطلة وترك العمل بها ولفظ الظهور لأنفسهم ولفظ الأثقال المعقول من أثقال الذنوب ووجه المشابهة الأولى كونها
لا أثقال الخطايا والأوزار كما يحمل الظهور الأثقال المحسوسة كما قال تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقوله وليحملن أثقالهم وأثقالا
مع أثقالهم ووجه الاستعارة الثانية أن الملكات الردية الحاصلة من اقتراف المآثم تثقل النفوس عن النهوض الى حظائر القدس
ومنازل الأبرار كما تثقل الأثقال المحسوسة الظهور الحاملة لها فلما استعار لفظ الإلقاء والأزمة اللذين من شأنهما أن يكونا
بالأيدي رشح بذكر الأيدي فقال عن أيديكم والحاصل أمرهم بترك الآراء الفاسدة ونهاهم عن متابعتها ونبه على وجوب
تركها بأنهم إذا التزموها وعملوا على وفقها قادتهم الى حمل أثقال الخطايا ثم أردف ذلك بالنهي عن التفرق عنه بعد تقديم النهي عن
اتباع الآراء الفاسدة المستلزمة للهلاك تنبيها على أن تمامهم في التصدع عنه وعن ظل الأمام المحمودة وقوله فتذموا غب فعالكم تنفير
عن التفرق عنه بذكر ما يلزمه من العاقبة المذمومة وهي غلبة العدو عليهم واستيلاؤه على أحوالهم وتعويضهم عن عزهم ذلا وعن نعمتهم
بؤسا ونقمة والفاء في جواب النهي أي أن تصدعتم عن سلطانكم ذممتم غب فعالكم ثم أردف النهي عن التفرق عنه بالنهي عن
اقتحام ما استقبلوا من الفتنة المنتظرة تنبيها على أن التفرق عنه سبب للدخول في نار الفتنة وتنفيرا عن الفتنة بكونها اقتحاما
لنار الفتنة وتسرعا الى دخولها ولفظ النار مستعار لأحوال الفتنة من الحروب والقتل والظلم ووجه المشابهة كونها مستلزمة للأذى
كالنار ووصف الاقتحام لها لفعل التفرق عنه ووجه الاستعارة إسراع تفرقهم عنه الى الوقوع في الفتنة كإسراع المقتحم ورشح باستعارة
النار بالفور مبالغة في التنفير ثم أمرهم بالنهي عن قصدها وطريقها والتخلية وقصد السبيل لها أي خلوا لها قصد سبيلها ولا تعرضوا
لها وتهيجوها فتكونوا حطبا لنارها ثم أقسم ليهلكن فيها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم وذلك في الصدق وهو من كراماته وإخباره عما
سيكون فإن الدائرة في دولة بني أمية كانت على من التزم دينه واشتغل بعبادته ويدرؤون من وافقهم على أباطيلهم وأجاب من هم و
تقربوا الى قلوبهم بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وظلم العباد كما تقف عليه من أخبارهم في قتل كثير من أولياء الله وذرية رسوله وصحابته
رضوان الله عليهم ونفيهم وتقريبهم للمنافقين وتوليتهم الأعمال واعلم أنه ليس مراده أنه يهلك فيها كل مؤمن ولا يسلم فيها الا غير مسلم بل القضيتان
مهملتان والغرض منه أن أكثر من يهلك فيها المؤمنون وأكثر من سلم فيها المنافقون ومن ليس له قوة في الإسلام ولفظ اللهب ترشيح
لاستعارة لفظ النار ثم مثل نفسه بينهم بالسراج في الظلمة وأشار الى وجه المشابهة بقوله فيستضيء به من ولجها ونفذ بعبارات
الطالبين للهدى يتوسمونه عليه كما يهتدي الساكن في الظلمة بالسراج وهذا التمثيل يستلزم تشبيه أحوالهم بالظلمة وتشبيههم بالعمورين فيها
لولا وجوده عليه السلام بينهم وقد علمت في المقدمات حقيقة التمثيل ثم تمم فضيلة هذا التمثيل المذكور بأمرهم بالاستماع فقوله وأن يحضروا
قلوبهم لما يلقيه اليهم من الحكمة والموعظة الحسنة كما هو المعلوم من حال الخطيب استعار لفظ الآذان هنا للقلوب ووجه الاستعارة
أن الأذن لما كانت مدركة للأقوال شبه بها أفهام القلوب المدركة لأقواله وطلب إحضارها إذ كان هو المنتفع بها دون إحضار
الآذان المحسوسة وطلب إحضار العقول وتوجيهها الى الفكر فيما تسمع مستلزم لحصول الفهم وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

أوصيكم أيها الناس بتقوى الله وكثرة حمده على آلائه إليكم ونعمائه عليكم وبلائه لديكم فكم خصكم بنعمة وتدارككم برحمة
أعورتم له فستركم وتعرضتم لأخذه فأمهلكم وأوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه وكيف غفلتكم عما ليس يغفلكم وطمعكم
فيمن ليس يمهلكم فكفى واعظا بموتى عاينتموهم حملوا الى قبورهم غير راكبين وأنزلوا فيها غير نازلين كأنهم لم يكونوا للدنيا عمارا
وكأن الآخرة لم تزل لهم دارا أوحشوا ما كانوا يوطنون وأوطنوا ما كانوا يوحشون واشتغلوا بما فارقوا وأضاعوا ما اليه
انتقلوا لا عن قبيح يستطيعون انتقالا ولا في حسن يستطيعون ازديادا أنسوا بالدنيا فغرتهم ووثقوا بها فصرعتهم فسابقوا
رحمكم الله الى منازلكم التي أمرتم أن تعمروها والتي رغبتم فيها ودعيتم اليها واستتموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته والمجانبة
لمعصيته فإن غدا من اليوم قريب ما أسرع الساعات في اليوم وأسرع الأيام في الشهر وأسرع الشهور في السنة وأسرع
السنين في العمر **أقول** أعورتم أبديتم عوراتكم والعورة السوءة وكل ما يستحيى منه والفصل يشتمل على الوصية بأمور أولها تقوى الله
تعالى فإنها العمدة الكبرى فيما يوصى به ثم بكثرة حمده تعالى على آلائه اليهم ونعمائه عليهم وبلائه لديهم وقد علمت معنى بلائه وأنه يكون بالخير و
الشر كما قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة وأردف ذلك بتعريفهم تخصيصه إياهم بنعمة نعم عليهم وتداركهم برحمة والرحمة كما يراد بها صفة الله
تعالى عليهم وتداركهم برحمته والرحمة كما يراد بها صفة الله تعالى كذلك يراد بها آثاره الحسنة الخيرية كما هو المراد هنا في حق عباده وأتى بلفظ
كم للتكثير ثم أردفه بذكر ضروب الرحمة والنعمة فمنها ستره عليهم حيث يجاهرونه بالمعصية التي ينبغي أن يستحيوا منها ويوافقهم
لما يرى منه ويسمع ومنها إمهاله لهم أن يبادرهم بالنقمة ويعاجلهم بالعقوبة حيث تعرضوا للأخذ بارتكاب مناهيه ومخالفة أوامره
ثم أوصاهم بذكر الموت
وإقلال الغفلة عنه وذلك لما يستلزم ذكره من الانزجار عن المعاصي وذكر المعاد الى الله سبحانه

تفهموها



وبعد ووعيده والتنفير عن الدنيا وتنغيص لذاتها كما قال الرسول صلى الله عليه وآله اكثروا من ذكر هادم اللذات وانما استلزم ذكره ذلك
لكونه ما بيناه عدا العقل عند الوهم على ضرورته ووقوعه مع متباعد الحصول على ما فيه من المشقة الشاقة ثم استفهم عن غفلتهم عنه وطمعهم فيه
مع كونه لا يغفلهم ولا يمهلهم استفهام توبيخ على ذلك ولاجل ما فيه من شدة الاعتبار قال فكفى بموت عاينتموه ثم الى قوله فضرعتهم وفي
هذا الفصل زيادة موعظة على ذكر الموت وهي شرح احوال من عاينتموه من الموتى وذكر منها احوالا احدها كيفية حملهم الى قبورهم غير
راكبين مع كونهم في صورة ركوب منقولين وشبه انزالهم الى القبور على غير عادة النزول المتعارف المقصود فكانهم في تلك
الحال مع طول مدتهم في الدنيا وعمارتهم لها وسكونهم اليها لم يكونوا لها عمارا وكان الاخرة لم تزل لهم دارا ووجه التشبيه الاول
انقطاعهم عنها بالكلية وعدم خبرهم فيها فاشبهوا لذلك من لم يكن فيها ووجه الثاني كون الاخرة هي مستقرهم الدائم الثابت
الذي لا معدل لهم عنه فاشبهت في ذلك المنزل الذي لم يزل له دارا الثالث ايحاشهم ما كانوا يوطنون من منازل الدنيا و
مساكنها الواسعة ايطانهم ما كانوا يوحشون من القبور التي هي اول منازل الاخرة الخامس اشتغالهم بما فارقوا وذلك لان النفوس
الزاكية الى لذاتها العاشقة لها المقبلة على الاشتغال بلذاتها تمكن في جواهرها ذلك العشق لها وتصير محبتها ملكة وخلقا
فيحصل لها بعد المفارقة لما اجتنبه من العذاب به والشقا الاشتياق الى النزاع اليه وعدم التمكن من الحصول عليه اعظم شغل له
واقوى شاغل واصعب بلاء ما اي بلاء هل فيه كل مرضعة عما ارضعت وتضع فيه كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى ولكن عذاب الله شديد السادس اضاعتهم ما اليه انتقلوا من دار الاخرة وضيعوا ما اعتنهم لما تركهم الاسباب الموصلة
الى ثوابها والمنجية من عقابها السابع كونهم لا يستطيعون الانتقال عما حصلوا عليه من الافعال القبيحة التي الزمتهم العذاب
واكسبت نفوسهم ملكات السوء وذلك لان الانتقال عن ذلك لا يمكن الا في دار العمل وهي الدنيا الثامنة وكذلك لا من حسن يستطيعون
ازديادا اي من الاعمال الحسنة الموجبة للملكات الخيرية والثواب الدائم كما قال تعالى حكاية عنهم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما
تركت كلا انها الاية التاسع انهم انسوا بالدنيا حتى غرتهم العاشرة كونهم وثقوا بها حتى صرعتهم والسبب في الاغترار بها وغرورها
لهم حصول لذاتها المحسوسة مع قربها من الحس وهو مستلزم لمحبتها المستلزم للغفلة عما وراءها وهو مستلزم
للوثوق وهو مستلزم لصرعهم فيها وبحال الهلاك حيث لا يقال عثرة ولا ينفع ندامة واعلم ان ذكر الموت وان كان يستلزم الاتعاظ
والانزجار الا ان شرح الاحوال التي تعرض للانسان بعده ابلغ في ذلك لما ان كل حال منها منفور عنها طبعا وان كانت مما يحصل
المغفرة عنها لكونها حال الذي عرض الميت والمقرون بالوهم والمكروه مكروه وموهم ومنفور عنه طبعا الثالث امرهم بعد على طريق الوصية ان
يسابقوا الى منازلهم التي امروا ان يعمروها والتي رغبوا فيها ودعوا اليها وهي منازل الجنة ومراتب الابرار فيها وعمارتها بالاعمال الصالحة
الموافقة للمقتضى النواميس الالهية وتحصيل الكمالات النفسانية بشرعها والمعنى ليسابق بعضكم بعضا الى منازلكم ومراتب درجاتكم من الجنة
وعمارتها بتحصيل الكمالات النفسانية وعموا فقد الشرائع الالهية واليه الاشارة بقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
السموات والارض اعدت للمتقين والترغيب فيها بقوله تعالى والدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون ونحوه الرابع امرهم بالصبر
على طاعة الله وعلى مجانبة المعصية ورغب بكونه سببا ليستتم به نعمة الله عليهم وما كان استلزامه لها كالثمرة له وكانت ثمرة الصبر حاله
قدمها ليحلوا الصبر بذكرها وقوله فان غدا من اليوم قريب تخويف من الساعة وقربها ولم يرد بغد ولا اليوم حقيقتهما بل اراد بغد القيمة
وباليوم مدة الحيوة كقوله فيما سبق لان اليوم المضمار وغدا السباق وهو يجري مجرى المثل كقولهم غدا ما غدا اقرب اليوم من غد وقوله
ما اسرع الساعات في اليوم الى اخره بيان للقرب لغد الذي كنى به عن القيمة من اليوم فان الساعات سريعة الاتيان والانقضاء وسرعتها
مستلزم لسرعة مجئ اليوم وانقضائه وسرعته مستلزم لسرعة مجئ الشهر وانقضائه المستلزمين لسرعة مجئ السنة وانقضائها المستلزمين
لسرعة انقضاء العمر للعالمين وبه يكن انقضاؤه بالقيمة فاذن الساعات مستلزمة لسرعة انقضاء العمر وقرب غاية من يومه والحق في الكلام
لفظ التعجب تاكيدا لبيان تلك السرعة وهو كلام شريف بالغ في الفصاحة والموعظة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور الى اجل معلوم فاذا كانت لكم براءة
من احد فقفوه حتى يحضره الموت فعند ذلك يقع حد البراءة والهجرة قائمة على حدها الاول ما كان لله في اهل الارض حاجة من مسرها
ومعلنها واقر بها فهو مهاجر ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها اذنه ووعاها قلبه ان امرنا صعب مستصعب لا يحتمله
الا عبد امتحن الله قلبه للايمان ولا يعي حديثنا الا صدور امينة واحلام رزينة ايها الناس سلوني قبل ان تفقدوني فلـ
انا بطرق السماء اعلم مني بطرق الارض قبل ان تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها وتذهب باحلام قومها **اقول** العواري
بالتشديد يجمع عارية كانها منسوبة الى العار اذ في طلبها عار والبراءة التبري وتشغر برجلها ان تخلت عن مدبرها وفي الفصل مسائل
الاولى قوله من الايمان الى قوله الى اجل معلوم قسمة الايمان الى قسمين ووجه الحصر فيهما ان الايمان لما كان عبارة عن التصديق بوجود الصانع

في بيان قسمة الايمان الى قسمين

سبحانه وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال والاعتراف بصدق رسوله ص وما جاء به فتلك الاعتقادات ان بلغت حد الملكة في النفوس
فهي الايمان الثابت المستقر في القلب وان لم تبلغ حد الملكة بل كانت بعد حالات في معرض التغير والانتقال فهي العواري المتزلزلة واستعار
لفظ العواري باعتبار كونها في معرض الزوال كما ان العواري في معرض الاسترجاع والرد وكنى بكونها بين القلوب والصدور عن كونها
غير مستقرة في القلوب ولا متمكنة من جواهر النفوس وقال بعض الشارحين اراد ان من الايمان ما يكون على سبيل الاخلاص ومنه ما يكون
على سبيل النفاق وقوله الى اجل معلوم ترشيح لاستعارة العواري اذ كانت من شأنها ان تستعار الى وقت معلوم ثم ترد فكذلك ما كان
بمعرض الزوال والتغير من الايمان وهذه القسمة الى هذين القسمين هي الموجودة في نسخة الرضي رحمه الله وفي نسخ كثير من الشارحين ونسخ كثيرة
معتبرة ونقل الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد ره في النسخة التي شرح الكتاب عليها ثلثة اقسام هكذا فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا
في القلوب ومنه ما يكون عواري في القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور الى اجل معلوم ثم قال في بيانها ما معناه
خلاصته ان الايمان اما ان يكون ثابتا مستقرا في القلوب بالبرهان وهو الايمان الحقيقي او ليس بثابت بالبرهان بل بالدليل الجدلي
كايمان كثير ممن لم يحقق العلوم العقلية ويعتقد ما يعتقده من اقيسة جدلية لا تبلغ درجة البرهان وقد سماه عواري في القلوب اي
انه وان كان في القلب الذي هو محل الايمان الحقيقي الا ان حكمه حكم العارية في البيت فانها بعرضية الخروج منه واما ان لا يكون مستندا
الى برهان ولا الى قياس جدلي بل على سبيل التقليد وحسن الظن بالاسلاف او بامام يحسن الظن به وقد جعله عواري بين القلوب
والصدور لانه دون الثاني فلم يجعله حالا في القلب لكونه اضعف مما قبله واقرب الى الزوال ثم رد قوله الى اجل معلوم الى القسمين الاخيرين
لان من ثبت ايمانه بالقياس الجدلي قد يبلغ الى درجة البرهان اذا انعم النظر ورتب المقدمات اليقينية ترتيبا منتجا وقد يضعف
مقدمات نظره فينحط الى درجة المقلد فيكون ايمان كل منهما الى اجل معلوم لكونه في معرض الزوال واقول ان صحت هذه الرواية فالمعنى
يعود الى ما قلناه من القسمة فان العلم بما يستلزمه البرهان او غيره من الايمان ان بلغ الى حد الملكة فهو الثابت المستقر والا فهو العارية و
الذي اراه ان القسم الثاني تكرار وقع من قلم الناسخ سهوا والله اعلم الثانية قوله فاذا كانت لكم براءة الى قوله حد البراءة معلوم معناه
اي لكم اذا اردتم التبري من احد من اهل الكبائر فقفوه اي اجعلوه موقوفا الى حال الموت ولا تسارعوا الى البراءة منه قبل الموت فان
اشد الكبائر واعظمها الكفر وجائز من الكافر ان يسلم فاذا بلغ منتهى الحيوة وحدها ولم يقلع عن كبيرته فعند ذلك الحد هو حد البراءة الذي
يجوز ان يوقعوها معه اذ ليس بعد الموت حالة ترجى وينتظر قال بعض الشارحين والبراءة التي اشار اليها هي البراءة المطلقة لا كل براءة
اذ يجوز لنا ان نبرأ من الفاسق وصاحب الكبيرة في حيوته براءة مشروطة اي ما دام مصرا على كبيرته الثالثة قوله والهجرة قائمة على حدها
الاول لما كانت حقيقة الهجرة ترك منزل الى منزل آخر لم يكن تخصيصها عرفا بهجرة الرسول ص ومن تبعه وهاجر اليه من مكة الى المدينة مخرجا
لها عن حقيقتها وحدها اللغوي اذ كان يعم كل من ترك منزله الى منزل آخر مهاجرا اذا عرفت ذلك فقوله ع مراده من بقائها والهجرة على
حدها بقاء صدقها على من طلب الايمان الائمة من اهل بيته في طلب دين الله وتعرف كيفية السلوك لصراطه المستقيم كصدقها على من هاجر
الى الرسول ص وفي معناها ما نزل النبأ طالب الحق وبيان هذا الحكم بالمنقول والمعقول اما المنقول فمن وجهين احدهما قوله تعالى ومن يهاجر
في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة فقال عنى من فارق وطنه وعشيرته في طلب دين الله وطاعته مهاجرا وقد علمت في اصول الفقه
ان من للعموم فوجب ان يكون كل من سافر لطلب دين الله من معادنه مهاجرا الثاني قول الرسول ص المهاجر من هاجر ما حرم الله عليه وظاهر ان
من هاجر معصية الائمة الى طاعتهم والاقتداء بهم فقد هاجر ما حرم الله عليه فكان اسم الهجرة صادقا عليه واما المعقول فلان المفارق لوطنه
الى الرسول ص مهاجر فيجب ان يكون المفارق لوطنه الى من يقوم مقامه من ذريته الطاهرين مهاجرا لصدق حد الهجرة في الموضعين ولان
المقصود من الهجرة ليس الا اقتباس الدين ومعرفة كيفية سبيل الله وهذا المقصود حاصل ممن يقوم مقام الرسول ص من الائمة الطاهرين
بحيث لا فرق الا النبوة والامامة ولا مدخل لاحد هذين الوصفين في تخصيص معنى الهجرة بمن قصد الرسول ص دون من قصد الائمة فوجب
عموم صدقه على من قصدهم فان قلت هذا معارض بقوله ص لا هجرة بعد الفتح حتى شفع عمه العباس في نعيم بن مسعود الاشجعي ان يستثنيه
فاستثناه قلت يحمل ذلك على ترك الهجرة من مكة بعد فتحها الى المدينة توفيقا بين الدليلين وسلب الخاص لا يستلزم سلب العام فاعلم ان
فائدة هذا القول الدعوة الى الرحيل واقتباسه منه ومن اهل بيته عليهم السلام من كون الهجرة والتشديد بها وما يستلزمه من الفضيلة على
التارك لاهل ومعطنه اليهم طلبا للدين منهم ليلحق بالمهاجرين وان في مراتبهم وثوابهم الرابعة قوله ما كان لله في الارض الى قوله ومعلنها قال
قطب الدين الراوندي رحمه الله ما هيهنا نافية اي لم يكن لله في اهل الارض ممن اسر دينه او اعلنه واظهره حاجة ومن هنا لبيان الجنس وانكر
الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد كون ما نافية وقال يلزم منه كون الكلام منقطعا بين كلامين متواصلين وجعلها هو بمعنى المدة اي الهجرة
قائمة على حدها ما دام لله في اهل الارض ممن اسر دينه او اعلنه حاجة اي ما دامت العبادة مطلوبة لله تعالى من اهل الارض بالتكليف وهو
كقولك في الدعاء اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي ويكون لفظ الحاجة مستعارا في حقه تعالى باعتبار طلبه للعبادة بالاوامر وغيرها كالطلب

ذي الحاجة

للتاسع

ذى الحاجة لها واقول انه غير بعيد ان يكون ما فيه مع اتصال الكلام بما قبله وجهه انه لما رغب الناس في طلب الدين والعبادة فكأنه اراد ان يرفع حكم الوهم بما عساه يحكم به عند تكرار طلب الله للدين والعبادة من حاجته تعالى اليهما من خلقه حيث كرر طلبهما منهم بتواتر الرسل و
الاوامر الشرعية ويصير معنى الكلام ان الهجرة باقية على حدها الاول تصدقها على المسافرين لطلب الدين فينبغي ان يهاجروا في طلبه الى ائمة
الحق وليس ذلك لان الله تعالى الى اهل الارض من سريته واظهره حاجة فانه تعالى الغنى المطلق الذى لا حاجة به الى شئ الخامسة قوله
تقع اسم الهجرة الى قوله قلبه اشارة بالحجة في الارض الى امام الوقت لانه حجة تعالى ارضه على عباده يوم القيمة وشاهد عليهم وهذا
الكلام تفسير لقوله تعالى اسم الهجرة وبيان لمن تصدق عليه شرط صدقها على الانسان بمعرفة الامام وفهمه وذلك لان الامام هو الحافظ للدين
ومعلمه الذى يجب اخذه عنه فيكون صدقه لذلك مشروطا بمعرفته فان اطلاق اسم الهجرة عليه مشروط بمعرفة امام الوقت فلذلك
قال لا يقع اسم الهجرة على احد الا بمعرفة الحجة في الارض فمن عرفها واقر بها فهو مهاجر يحتمل ان يريد به ان شرط اطلاق اسم المهاجرة
على الانسان مشروط بمعرفة امام الوقت المستلزمة للسفر اليه كما هو الظاهر من لفظ المهاجرة ويحتمل ان يريد ان مجرد معرفة الامام والاقرار
بوجوب اتباعه والاخذ عنه وان كان بالاخبار عنه دون المشاهدة كاف في اطلاق اسم الهجرة على من عرفه كذلك دون السفر اليه كما كفى
في اطلاقه على ترك ما حرم الله بمقتضى قول الرسول صلى الله عليه وآله والمهاجرين من ترك ما حرم الله عليه وقوله ولا يصدق اسم الاستضعاف على من بلغته
الحجة اى اخبار الحجة فيحذف المضاف ويحتمل ان يريد بالحجة نفس الاخبار التى ينقل عن الامام ويجب العمل بها قال قطب الدين الراوندى ويمكن
ان يشير بهذا الكلام الى احد ايتين احديهما قوله تعالى ان الذين توفيهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماويهم جهنم فيكون مراده على هذا انه لا يصدق اسم الاستضعاف على من عرف الامام وبلغته
احكامه ووعاها قلبه وان بقى في وطنه ولم يتجشم السفر الى الامام كما صدق على هؤلاء المذكورين في الاية والثانية قوله تعالى بعد ذلك الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم فيكون مراده على هذا ان من عرف
الامام وسمع مقالته ووعاها قلبه لا يصدق عليه الاستضعاف كما صدق على هؤلاء اذ كان المفروض الى الموجودين في عصر الرسول صلى الله عليه وآله ايمانهم
بالايمان ومن بعدهم بل يقنع منه بمعرفته والعمل بقوله بعد المهاجرة اليه بالبدن واقول يحتمل ان يريد بقوله ذلك انه لا عذر لمن بلغته
دعوة الحجة وسمعها في تأخره عن النهوض والمهاجرة اليه مع قدرته على ذلك ولا يصدق عليه اسم الاستضعاف كما يصدق على المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان حتى يكون ذلك عذرا له بل يكون في تأخره ملوما مستحقا للعذاب كالذين قالوا انا كنا مستضعفين في الارض
ويكون مخصوصا بالقادرين على النهوض كما قلناه دون العاجزين فان اسم الاستضعاف صادق عليهم وهذا الاحتمال مما يكون جائز الارادة
من هذا الكلام على تقدير ان يكون اطلاق اسم المهاجر على الانسان في الكلام المتقدم مشروطا بمعرفة الامام بالمشاهدة والسفر اليه اذ لو جاز
عليه ان يطلق عليه المهاجر مع عدم السفر الى الامام لما كان ملوما في تأخره عنه السادسة قوله ان امرنا صعب مستصعب فامرهم شانهم وما هم عليه
من الكمال الخارج عن كمالات من عداهم من الامة والاطوار التى تختص بها عقولهم ووراء عقول غيرهم فيكون لهم عن تلك القدرة على ما لا يقدر
عليه غيرهم والادراكات الغيبية بالنسبة الى غيرهم والاخبار عنها كالوقايع التى حكى عنها ثم وهو على ما في قوله وكالاحكام والقضايا التى
اختصوا بها ونقلت عنهم فان هذا الشان صعب في نفسه لا يقدر عليه الا الانبياء واوصياء الانبياء ومستصعب فهمه على الخلق معجوز عن احتمال
ما يلقى منه من الاشارات والاخبارات عما سيكون والقدرة على ما يخرج عن وسع مثلهم ولا يحمله ويقبله الا نفس عبد امتحنها الله للايمان
كقوله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اى عرفها بالامتحان والابتلاء بالتكاليف العقلية والنقلية لحصول الايمان الكامل واليقين
بالله ورسوله وكيفية سلوك سبيله وتحلت بالكمالات العلمية والفضائل الخلقية حتى عرفت مبادى كالانهم ومقادير ها وكيفية صدور
مثل هذه الغرايب عنها فلا يستنكروا ما يأتون به من قول وفعل وتلقاه ما لتكذيب كما كانت جماعة من اصحابه يغفلون ذلك معه فيما كان
يخبر به عن الفتن حتى تم ذلك منهم فقال يقولون يكذب فانهم يعنى من كذب على الله وانا اول من امن به او على رسوله وانا اول من
صدقه كما حكيناه ذلك فيما سبق بل يحتمل كل ما يأتون به على وجهه ويسنده الى مبدائه ويفرح بوصول ما يرد عليها من اسرارهم الالهية
فاولئك وامثالهم هم اصحاب الصدور الامنة التى يلقى ما يلقى اليهما من تلك الاسرار ويصونها عن الاذاعة الى من لا ينتفع بها او ليس اهل لها
وذوو الاحلام الرزينة التى لا يستفزها سماع تلك الغرايب ومشاهدتها منهم فيحملهم ذلك على اذاعتها واستنكارها بل
يحملها على الصواب ما وجدت لها محملا فاذا عجزت عن معرفتها ثبتت فيها وامنت بها على سبيل الاجمال وفوضت علم كيفيتها الى الله سبحانه واراد
قلوب صدور امينة او اصحاب صدور امينة واصحاب احلام رزينة فحذف المضاف ويحتمل ان يكون قد اطلق اسم الصدور والاحلام
مجازا عن اهلها اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق ونقل عنه مثل هذا الكلام في غير هذا الموضع من جملة خطبته له ان قريشا طلبت السعادة فشقيت
وطلبت النجاة فهلكت وطلبت الهدى فضلت الم يسمعوا ويحهم قوله تعالى الذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم فاين المعدل
والمنزع عن ذرية الرسول الذين شيد الله بنيانهم فوق البنيان واعلى رؤسهم فوق رؤسهم واختارهم عليهم الا ان الذرية افنان انا شجرتها

ودوحنا تا سائقها وأنا من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء كنّا أظلالاً تحت العرش قبل خلق البشر وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر أشباحاً عالية لا أجساماً
نامية إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يعرف كنهه إلا ثلاث ملك مقرّب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان فإذا انكشف لكم سرّ أو وضح لكم أمر فاقبلوه
وإلا فاسكتوا تسلموا وردّوا علمنا إلى الله فإنكم في أوسع مما بين السماء والأرض وفي قوله وأنا من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء وقوله كنا أظلالاً
إلى قوله نامية إشارة لطيفة أما الأول فأشار إلى أن الكمالات التي حصلت لنفسه القدسية بواسطة كمالات نفس النبي صلى الله عليه وآله فأشبه اقتباسها
منه وبه الضوء عن الضوء كشعلة مصباح اقتبست من شعلة مصباح أكبر وأعلى من العادة في عرف المجردين من أولياء الله وكثيراً ما يمثل النفوس
الشريفة والعلوم بالأنوار والأضواء لمكان المشابهة بينهما في حصول الهداية عنها مع لطفها وصفائها وأما الثاني فيحتمل أن يكون
قد أشار بكونهم أظلالاً تحت العرش قبل خلق البشر أشباحاً خالية الأجسام إلى وجودهم في العلم الكلي فإنه قد يعبر عنه في بعض المواضع بالعرش
واستعار لفظ الأظلال لهم باعتبار كونهم مرجعاً للخلق وملجأً كالأظلال وقد سبقت الإشارة إلى ذلك وقريب منها بيان أوضح في الخطبة
الأولى السابعة أيها الناس وقال سلوني قبل أن تفقدوني في الحقول الأرض أجمع الناس على أنه لم يقل أحد من الصحابة وأهل العلم سلوني
غير علي عليه السلام ذكر ذلك ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب وأراد بطرق السماء وجوه الهداية إلى معرفة منازل سكان السماوات من الملأ الأعلى ومراتبهم
من حضرة الربوبية ومقامات أنبياء الله وخلفائه من حظائر القدس مع انتقاش نفسه القدسية عنهم بأحوال الفلك ومدلولاتها
والأمور الغيبية مما يتعلق بالفتن والوقائع المستقبلة إذ كان له عليه السلام الاتصال التام بتلك المبادئ فبالحري أن يكون علمه بما هنا أتم
وأكمل من علمه بطرق الأرض إلى منازلها وقد سبق مثله لقوله سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فتنة تضل مائة
وتهدي مائة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وقد حمله قوم على وجه آخر وقالوا أراد بطرق السماء الأحكام الشرعية والفتاوى الفقهية
أي أنا أعلم بها من الأمور الدنيوية فعبر عن تلك بطرق السماء لكونها أحكاماً إلهية وعبر عن هذه بطرق الأرض لأنها من الأمور الأرضية ونحوه
ما نقل عن الإمام الوبري ثم قال أراد أن علمه بالدين أوفر من علمه بالدنيا وقوله قبل أن تشغر برجلها فتنة إلى آخره أراد فتنة بني أمية وحكامهم
العادلة عن العدل وما يجري الناس في دولتهم من البلاء وكنى بشغر رجلها عن خلو تلك الفتنة عن مدبر يدبرها ويحفظ الأمور وينظم
الدين حين وقوع الجور وقوله تطأ في خطامها استعارة لوصف الناقة التي أرسل خطامها وخلت عن القائد في طريقها فهي تخبط
في خطامها وتعثر فيه وتطأ من تصيب من الناس على غير نظام عن حالها وهذا هو وجه الاستعارة إذ كانت هذه الفتنة تقع في الناس
على غير قانون شرعي ولا طريق مرضي ولا قائد ينتظم أمور الخلق فيها وغيره وقوله ويذهب بأحلام قومها قال بعض الشارحين أي تحير
أهل زمانها وتدهلهم لشدة نهاية حتى لا يثبتون فيها بل تطيش ألبابهم فلا يهتدون إلى طريق التخلص منها ووجه السلامة فيها ويحتمل
أن يريد بذلك أنها تخيفهم أهل زمانها فيأتون إليها سراعاً ويخبطون عن كونها لغفلتهم عن وجه الحق فيها وشدة وقوعها على
الناس وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** أَحْمَدُهُ شُكْراً لِإِنْعَامِهِ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ عَزِيزِ
الْجُنْدِ عَظِيمِ الْمَجْدِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَنْ دِينِهِ لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذَلِكَ
اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَالْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ
وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَغَمَرَاتِهِ وَامْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ
وَمُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الْأَرْمَاسِ وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ وَهَوْلِ الْمُطَّلَعِ وَرَوْعَاتِ الْفَزَعِ وَاخْتِلَافِ
الْأَضْلَاعِ وَاسْتِكَاكِ الْأَسْمَاعِ وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ وَخِيفَةِ الْوَعْدِ وَغَمِّ الضَّرِيحِ وَرَدْمِ الصَّفِيحِ فَاللَّهَ اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ
بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى سِرَاطِهَا وَكَأَنَّهَا
قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا وَانْصَرَفَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى وَشَهْرٍ انْقَضَى
فَصَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً وَسَمِينُهَا غَثّاً فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ الْمَقَامِ وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا عَالٍ لَجَبُهَا سَاطِعٍ لَهَبُهَا
مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا بَعِيدٍ خُمُودُهَا ذَاكٍ وُقُودُهَا مَخُوفٍ وَعِيدُهَا عَمٍ قَرَارُهَا مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا حَامِيَةٍ قُدُورُهَا
فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ وَاطْمَأَنَّتْ
بِهِمُ الدَّارُ وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً تَخَشُّعاً
وَاسْتِغْفَاراً وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً تَوَحُّشاً وَانْقِطَاعاً فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَآباً وَالْجَزَاءَ ثَوَاباً وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا فِي مُلْكٍ دَائِمٍ وَ
نَعِيمٍ قَائِمٍ فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا
أَسْلَفْتُمْ وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ الْمَخُوفُ فَلَا رَجْعَةً تَنَالُونَ وَلَا عَثْرَةً تُقَالُونَ اسْتَعْمَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ
وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ الْزَمُوا الْأَرْضَ وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ
وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً

وقع

تودع اجره على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام اصلاته بسيفه فان لكل شئ مدة واجلا

اقول الوظيفة ما يقدر للانسان في كل يوم من طعام او رزق او عمل وغيبته بصرفه والمعقل الملجأ وقفوفه اعلاه ومهده له اى اتخذه له مهادا وهو الفراش والارماس جمع رمس وهو القبر والابلاس الانكسار والحزن والمطلع الاطلاع من اشرف الى سفل وهوله خوفه وفزعه والروعة الفزعة واستكاك الاسماع صممها والضيقة الحجازة العراض يردمها سد القبر والسنن الطريقة والقرن الحبل يقرن به البعيران واشراطها علاماتها وازفت دنت وافراطها مقدماتها ومنه افراط الصبح اوائل تباشيره والكراث الحافظ والكف الابل والضنك الضيق والكلب الشر والجلب الصوت والساطع المرتفع وسعيرها لهيبها وتاججها اشتداده وحرة وقودها ايقم الواو وهو الحدث وذكاه مقصور اشتعاله وفظاعة الامر شدته ونحاوره تدلقه والزمر الجماعات واحدها زمرة والزجر بعد واطمانت سكنت والمثوى المقام والماب المرجع ومعديتون مجزيون واصلاته بسيفه تجرده بعد علم انه اعلم انه احمد الله على نعمائه ونصب شكرا على المصدر عن قوله احمد من غير لفظه اذ المراد بالحمد هنا الشكر بقرينة ذكر الانعام ثم اردفه بطلب المعونة على ما وصف عليه من حقوقه وواجباتها ونوافلها كالصلوات والعبادات التي رتبها منهم شكر النعمائه واذا اعتبرت كانت نعما يستحق الشكر لما يستلزمه المواظبة عليها من السعادة الحقيقية الباقية كما سبق بيانه وقوله عزيز الجند نصب على الحال والاغنا عن معصية والعامل استعينه وكذلك قوله عظيم المجد اى استعينه على اداء حقوقه حال ما هو بتينك الاعتبارين فانه باعتبار ما هو عزيز الجند عظيم المجد يكون مالك الملك قديرا على ما يشاء فكان مبدأ الاستعانة به على اداء وظائف حقوقه ثم اردفه بشهادة برسالة نبيه صلى الله عليه وآله وذكر احواله التي كانت مبادي لظهور الدين الحق ليقتدي السامعون به صلى في تلك الاحوال وهي دعوته الى الدين ومقاهرته لاعدائه وهم الكفار على اصنافهم ونصب جهادا على انه مصدر سد مسد الحال ونصب الصادر عن قوله قاهر من غير لفظه اذ في قاهر معنى جاهد وعن دينه متعلق بجهادا او بالاعداء الاقرب ويحتمل التعلق بقاهر وقوله لا يثنيه اى لا يصرفه عن دعوته ومقاهرته لاعدائه اجتماع الخلق على تكذيبه والتماسهم لاطفاء نوره ولفظ النور مستعار لما جاء به من الكمالات الهادية الى سبيل الله ثم لما نبههم على تلك الاحوال التي مبادئها تقوى الله تعم امرهم بالاعتصام بها فاعتصموا بتقوى الله كما اعتصموا بدينكم بها في اظهار دينه ومواظبته على ذلك ولا تخافوا من عدو ومع كثرتكم كما لم يخف هو مع وحدته فان للتقوى حبلا وثيقا عروته من تمسك به واعتصم لم يضره عدو ومعقلا منيعا ذروته من لجأ اليه لم يصل اليه سوء ولفظ الحبل والمعقل مستعارات للتقوى وقد سبق بيان هذه الاستعارات ثم اكد ذلك الامر بالامر بمبادرة الموت وغمراته ومعنى مبادرته مسابقته الى الاستعداد بالاعمال الصالحة كانهم تسابقوا الموت وغمراته وما يلحقهم من العذاب فيه وفيما بعده الى الاستعداد بالاعمال الصالحة ليحصلوا بها ملكات صالحة يكون مهادا له قبل حلوله بهم كيلا يجدهم فدحا ويجعلونها عدة لانفسهم قبل نزوله عليهم بالتقوى بها كيلا يوثر في نفوسهم كثير اثر كالتذلل بعلائقهم الى نفسهم لينقطعهم عن ذلك الاستعداد فيكون سببا لوقوع العذاب بهم وقوله فان الغاية القيامة تذكير بذكر الغاية وتذكير بما هو لها الموعودة اى فان غايتكم القيامة لا بد لكم منها ولما كانت تلك الغاية هي لانه الموت كما قال عم من مات فقد قامت قيامته فكان امره بالاستعداد للموت امرا بالاستعداد لها ولذلك اتى بعد الامر لا [استعداد له] له بقوله فانها تنبيها على وجوب ذلك الاستعداد بصغيرة وكبيرة ونفسه الكبرى وكل من كانت غايته القيامة فواجب ان يستعد لها وقوله وكفى بذلك اى بذكر الموت وغمراته والقيامة واهوالها وخص من عقل لكونه المقصود بالخطاب الشرعي ومعتبرا اى محلا للاعتبار والعلم وقوله كون الموت وتزوله هذه البنية الشامخة التى احكم بنيانها وصنعت بالوضع العجيب والترتيب اللطيف هدمها واعظا بليغا يزجر النفوس عن متابعة هواها ومعنى نقضه منه على ان وراء هذا الوجود وجودا اعلى واشرف منه لولا ما عطلت هذه البنية الحكمة المتقنة ولكان ذلك يعد احكامها واتقانها سفها ينافي الحكمة كان الانسان اذا بنى دارا و احكمها وزينها بزينة الالوان المعجبة فلما تمت وحصلت غايتها عمد اليها فهدمها فانه يعد في العرف سفيها عابثا اما لو كان عرضه من ذلك الوصول الى غاية يحصل بوجودها وقتا ما ثم يستغني عنها جاز هدمها فكذلك هذه البنية لما كانت الغرض منها استكمال النفوس البشرية بالكمالات التي يستفاد من جهتها وهي العلوم ومكارم الاخلاق ثم الانتقال عنها الى عالمها جاز لذلك خرابها وفسادها بعد حصول ذلك الغرض منها وقوله وقبل بلوغ ما تعلمون عطف على قوله قبل نزوله وقوله من ضيق الارماس الى الصفيح تفصيل لما يعلمونه من احوال الموت واهواله وظاهرات القبور وضيقه بالقياس الى مواطن الدنيا فان للنفوس عند مفارقتها غما شديدا وحزنا قويا على ما فاتته وما لاقته من الاهوال التي كانت غافلة عنها وان لما اشرفت عليه من احوال الآخرة هولا وفزعا تطير منه الالباب وفي المرفوع واعوذ بك من هول المطلع وانما حسن اضافة روعات الى الفزع وان كان الروع هو الفزع باعتبار تعددها وهى من حيث هى احاد مجموع افراد مهية الفزع فجاز اضافتها اليها واختلاف الاطلاع كناية عن ضغطة

الغير انه يحصل بسببها انه اخل للاطلاع واختلافها واشتكال الاسماع لها بها بشدة الاصوات الهائلة ويحتمل ان يريد بها الكو
والمخاوف الخيفة والوعد لان الوعد قد يستعمل في الشر والخير عند ذكرهما قال ولا تعد الى الخير والشر مقبل فاذا اسقطوا ذكرهما
قالوا في الخير العدة والوعد وفي الشر الايعاد والوعيد وههنا وان سقط ذكرهما الا ان قوله خيفة تدل على وجود الشر فكان
كالقرينة وعن الضجيج النم الحاصل والوحشة المتوهمة اذ كان للنفوس من الهيئات المتوهمة كونها مقصورة مضيقا عليها بعلائق
البدن الى الدنيوية وسائر ما ذكره من الاهوال وانما عد هذه الاهوال لكون الكلام في معرض الوعظ والتخويف وكون هذه
الامور مخوفة منفورا عنها طبعا ثم اكد ذلك التخويف بالتحذير من الله وعلل ذلك التحذير بكون الدنيا ماضية على سنن اى طريقة
واحدة لا يختلف حكمها فكما كان من شانها ان اهلكت القرون الماضية وفعلت بهم وباثارهم ما فعلت وصيرتهم الى الاحوال
التي عددناها فكذلك فعلها بكم وقوله وانتم والساعة في قرن كناية عن قربها القريب منهم حتى كانهم معها في قرن واحد و
قوله وكانها قد جاءت باشراطها تشبيه لها في سرعة مجيئها بالتي جاءت وحضرت ولكن ذلك التشبيه بهذا القيد لتحقق المجي
وعلاماتها كظهور الدجال ودابة الارض وظهور المهدي وعيسى عليهما السلام الى غير ذلك وكذلك قوله وازفت بافراطها ووقفت
بكم على صراطها الى قوله وسمينها غثا اى تحقق وقوفها بكم على صراطها وهو الصراط المعهود فيها متوقع منها من هذه الاحوال
في حقكم حالها في ايقاعها بكم وتحقيقها فيكم واستعار لفظ الكلاكل وهو الصدر الثقيل ووصف الاناخة لحوقها بتلك الاهوال
عليهم ملاحظا في ذلك تشبيها بالناقة بما حسن تعديد الكلاكل لها باعتبار تعدد اهوالها الثقيلة النازلة بهم ولما كانت
الافعال من قوله وانا خت الى قوله وصار سمينها غثا معطوفا بعضها على بعض دخلت في حكم التشبيه اى وكانت الدنيا قد انصرفت
باهلها وكانكم قد اخرجتم من حضنها الى الاخرة الافعال والمشبه الاول هو الدنيا باعتبار حالها الحاضرة والمشبه به انصرافها باهلها وزوالهم
ووجه الشبه سرعة المضي اى كانها من سرعة احوالها الحاضرة كالتي وقع المشبه به انصرافها وكذلك الوجه في باقي التشبيهات واستعار
لفظ الحضن لها ملاحظا لشبهها بالام التي تحضن ولدها فينتزع من حضنها والسمين والغث يحتمل ان يريد بهما الحقيقة ويحتمل
ان يكني به عن ما كثر من لذاتها وخيراتها وتغير ذلك بالموت وزواله وقوله في موقف ضنك يتعلق بقوله عادوا والموقف هو موقف القيامة
وظاهر ان كل جديد للدنيا يومئذ رث وكل سمين كان بها غث وضيق الموقف اما لكثرة الخلق يومئذ وازدحامهم واما لصعوبة الوقوف
به وطوله مع ما يتوقع اهله الموت لانفسهم من نزول المكروه بهم والامور المشتبهة العظام اهوال الاخرة واشتباهها كونها ملتبسة بتحير
في وجه الخلاص منها والاعتبار بحكم بكونها عظيمة وما كونها نارا شديدة الشرر فمن نطق القران الكريم باكثر مما وصفها به وههنا
من علو اصواتها وسطوع لهبها وتغيظ زفيرها كقوله تعالى اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ وقوله سمعوا
لها تغيظا وزفيرا ولفظ التغيظ مستعار للنار باعتبار حركتها بشدة وعنف كالغضبان او باعتبار استلزام حركتها للاذى والشر وقوله
عم قرارها اسند العمى الى قرارها مجازا باعتبار انه لا يهتدي فيه لظلمته او لان عمقها لا يوقف عليه لبعده ولما استعار لفظ العمى رشح بذكر
الفقد ورعظ فظاعة تلك الامور وشدتها وكل تلك الامور عددها في معرض التخويف لكونها مخوفة منفرة لما يلزم عنه من ترك
التقوى واتباع الهوى ثم ساق الاية اقتباسا وشرع بعدها احوال المتقين في الاخرة اللازمة عن تقويهم وهي امنهم من العذاب و
انقطاع العقاب عنهم وابعادهم عن النار واطمئنان الدار التي هي الجنة بهم ورضاهم بها مثوى وقرارا ترغيبا في التقوى بذكر لوازمها
ثم اردف ذلك بصفات المتقين ايضا مما هو ظاهر لا يعرفها فقال هم الذين كانت اعمالهم في الدنيا زاكية اى طاهرة من الريا والشرك الخفي واعينهم
باكية اى من خشية الله وخوف عقابه وحرمانه وكان ليلهم في دنياهم نهارا اى كونه محل حركاتهم في عبادة ربهم وتخشعهم له واستغفارهم
اياه فاشبه النهار الذي هو محل حركات الخلق ولهذا الشبه استعار لفظ النهار لليل وكذلك استعار لفظ الليل للنهار ووجه الاستعارة
كون النهار محلا لتوحشهم من الخلق وانقطاعهم عنهم واعتزالهم اياهم كالليل الذي هو محل انقطاع الناس بعضهم عن بعض وافتراقهم في
تحصيل الرزق بحيلة كان للتشبيه رفع نهار في القرينة الاولى ورفع ليل لها الثانية ووجه التشبيه هو ما ذكرناه وكانه يقول فلما
استعدوا بتلك الصفات للحصول على الفضايل والكمالات واستوجبوا رضى الله تعالى عنهم جعل الله لهم الجنة مرجعا ومآبا وما اعد
فيها من جزاء النعيم ثوابا وكانوا احق بها واهلها وهو اقتباس وقوله في ذلك الى قوله قائم اي مقيم تفسير الجزاء ثم اكد الامر بالتقوى
بوعايتها في عباده ونرى بتجنبها بعض لوازمها وذلك ان فوز الفائزين انما يكون بالتقوى ولزوم الاعمال الصالحات والطالبين
هم الذين لا يحق معهم منهم الخارجون عن التقوى الخاسرون وانما يلحقهم الخسران بالخروج عنها وقوله بادروا اجالكم باعمالكم كقوله بادروا
الموت اي وسابقوا اجالكم الاعمال الصالحات الى الاستعداد بها قبل ان يسبقكم الى انفسكم فيقطعكم عن الاستعداد وتحصيل الازواد
ليوم المعاد ونبههم بقوله فانكم الى قوله قدمتم على ذلك ثم بذنوبهم لسان القدر والجزاء عليها في القيامة ليبادروا الى تداركها بالاعمال
الصالحة وللسلامة من الجزاء عليها ولفظ المرتهن مستعار للنفوس لانها باعتبار تقيدها بالسيئة واطلاقها بالحسنة كتقيد الرهن

في حمده تعالى ونبيه باعتبار ... لا ينبغي الا له

المتعارف بما طلبه من المال وافتكاكهم اذا اسروا والثاني لفظ الجزاء على العقاب مجاز اطلاقا لاسم احد الضدين على الآخر وقوله لكان نكد

معيشة من كان قبلكم التشبيه وانما ضمير الشأن والمقصود تشبيه حالهم بشأنهم المحاضر بحال من قبلهم في الخوف وهو ان ... وخففه

في حقهم الذي يليه ما يترتب عليه من عدم تبديلهم للرجعة وانما لهم العشرة ثم عقب بالدعاء لا لنفسه ولعلم استجابة الله اياه في طاعته وطاعة

رسوله ونبذ لك لاستعمال بتوفيقهم لاسباب الطاعة ومما لا وهم الهادي فاضطروا والطاعة على تمام العقلية والدينية وحوارحهم التي

بينها تكون السعادة القصوى ثم عقب بذلك لاستعمال من ذلك من الاعتبارات التي بعدها عقوبات الضعيفة وجعلها من صفات

كاله كما سبق بيانه في الخطبة الاولى ثم عقب وعظهم وتحذيرهم والدعاء بأمرهم ان يلزموا الارض ويصبروا على ما يلحقهم من بلاء اعدائهم

وتخافيهم في العقيدة كالخوارج والبغاة على الامام بعده من ولده والخطاب خاص بمن يكون بعده بدلالة سياق الكلام ولزوم الارض

كناية عن الصبر في مواطنهم وقعودهم عن النهوض لجهاد الظالمين في زمن عدم قيام الامام الحق بعده ثم قوله ولا تحركوا بايديكم وسيوفكم وهوى

السنتكم نهي عن الجهاد من غير امر احد من الائمة من ولده بعده وذلك عند عدم قيام من يقوم منهم لطلب الامر فانه لا يجوز جهاد ... كما

الاشارة من امام الوقت وهوى السنتهم ميلها الى السب والشتم موافقة الهوى لنقض النفوس والباء في بايديكم زائدة ويحتمل ان يكون

مفعول تحركوا محذوفا تقديره شيئا ولا تحركوا هوى السنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم من ذلك الجهاد وقوله فانه من مات منكم الى

قوله بسيفه بيان لحكمهم في زمن عدم قيام الامام الحق بعده لطلب الامر وتنبيه لهم على ثمرة الصبر وهو ان من مات منهم على معرفة حق ربه و

حق رسوله واهل بيته والاعتراف بكونهم ائمة الحق والاقتداء بهم لحق بدرجة الشهداء ووقع اجره على الله بذلك استحق الثواب منه على ما نوى

من الاعمال والصبر على المكاره من الاعداء وقامت نيته انه من انصار الامام لو قام لطلب الامر وانه معينه مقام تجريده بسيفه معه في استحقاق

الاجر وقوله فان لكل شيء مدة واجلا تنبيه على ان لكل من دولة العدل والباطل ودولة الحق العادلة مدة تنقضي بانقضائها واجلا تنتهي

به فاذا حضرت مدة دولة عدل وظهر ذلك وقت قيامكم في رفعها فلا تستعجلوا ابرهذا هو المتبادر الى الفهم من هذا الكلام والخطبة من فصيح

خطبه ع وقد اخذ ابن نباتة الخطيب كثيرا من الفاظها في خطبه كقوله شدت بكلكلها عليكم ساطعا لهبها متغيظا زفيرها متأجج سعيرها

الى قوله فظيعا موردها وكقوله هول المطالع وروعات الفزع الى قوله ودم الصفيح فانه اخذ كل هذه الالفاظ وقطع بها كلامه وبالله التوفيق

والعصمة **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الفاشي حمده والغالب جنده والمتعالي جده احمده على نعمه التوام وآلائه العظام

الذي عظم حلمه فعفا وعدل في كل ما قضى وعلم ما يمضي وما مضى مبتدع الخلائق بعلمه ومنشئهم بحكمه بلا اقتداء ولا تعليم

ولا احتذاء لمثال صانع حكيم ولا اصابة خطاء ولا حضرة ملاء واشهد ان محمدا عبده ورسوله ابتعثه والناس يضربون

في غمرة ويموجون في حيرة قد قادتهم ازمة الحين واستغلقت على افئدتهم اقفال الرين اوصيكم عباد الله بتقوى الله

فانها حق الله عليكم والموجبة على الله حقكم وان تستعينوا عليها بالله وتستعينوا بها على الله فان التقوى في اليوم الحرز

والجنة وفي غد الطريق الى الجنة مسلكها واضح وسالكها رابح ومستودعها حافظ لم تبرح عارضة نفسها على الامم الماضين

والغابرين لحاجتهم اليها غدا اذا اعاد الله ما ابدى واخذ ما اعطى وسأل عما اسدى فما اقل من قبلها وحملها حق حملها

اولئك الاقلون عددا وهم اهل صفة الله سبحانه اذ يقول وقليل من عبادي الشكور فاهطعوا باسماعكم اليها والظوا

بجدكم عليها واعتاضوها من كل سلف خلفا ومن كل مخالف موافقا ايقظوا بها نومكم واقطعوا بها يومكم واشعروها

قلوبكم وارحضوا بها ذنوبكم وداووا بها الاسقام وبادروا بها الحمام واعتبروا بمن اضاعها ولا يعتبرن بكم من اطاعها الا

فصونوها وتصونوا بها وكونوا عن الدنيا نزاها والى الآخرة ولاها ولا تضعوا من رفعته التقوى ولا ترفعوا من رفعته

الدنيا ولا تشيموا بارقها ولا تسمعوا ناطقها ولا تجيبوا ناعقها ولا تستضيئوا باشراقها ولا تفتنوا باعلاقها فان برقها خالب

ونطقها كاذب واموالها محروبة واعلاقها مسلوبة الا وهي المتصدية العنون والجامحة الحرون والمائنة الخؤون والجحود

الكنود والعنود الصدود والحيود الميود حالها انتقال ووطأتها زلزال وعزها ذل وجدها هزل وعلوها سفل دار حرب

وسلب ونهب وعطب اهلها على ساق وسياق ولحاق وفراق قد تحيرت مذاهبها واعجزت مهاربها وخابت مطالبها فاسلمتهم

المعاقل ولفظتهم المنازل واعيتهم المحاول فمن ناج معقور ولحم مجزور وشلو مذبوح ودم مسفوح وعاض على يديه وصافق

بكفيه ومرتفق بخديه وزار على رأيه وراجع عن عزمه وقد ادبرت الحيلة واقبلت الغيلة ولات حين مناص هيهات

هيهات قد فات ما فات وذهب ما ذهب ومضت الدنيا لحال بالها فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين اقول

الفاشي الذائع والمنتشر والجد هاهنا العظمة ومنه حديث انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا اي عظم والتوام جمع توام

وحقيقته الولد يقارنه اخوه في بطن واحد قال الخليل اصله ووأم على وزن فوعل فابدلوا من احدى الواوين تاء كما قالوا تولج من

ولج والآلاء النعم واحدها الى بالفتح وقد يكسر كحرف الجر والضرب ... والحكمة ما يمنع العقل من الجهل والغمرة الشدة ... والحين بالفتح

في حمده سبحانه باعتبارات لا ينبغي الا له

الضلال والرين الطبع وغلبة الذنوب حتى تغطي عن التبصرة والمنابر الدنيا في ولما جها يضيق واسكن ارسل معروف وقد وهطع اسرع واكبوا على كذا
واقبل عليه بدوام والوكظة المداومة وروى لظوا اي الزموا ولزوم اثنى في معنى المداومة عليه والكشف انما يلي الجسد تحت الدثار وهو العلاة
والرخص الغسل والترجح تزيد وهو المباعد عما يوجب الذم والولد جمع والد وهو الجزع من شدة الوجد والشيم النظر الى البرق انتظار سحابه
الناعق الصائح واعلانها نعاقيبها جمع علق وهو الشيء النفيس وبرق خالب خلب لا مطر معه والحرب ماخوذ بكليته والتصدية التصفيق
والصوت كثيرة العنت وهو الاعتراض والعنون ايضا الدابة المتقدمة في السير والجموح الدابة التي تغلب الفارس فلا يملكها والحرون التي
اذا اشتد بها الشوق وقف والمائية الكاذبة والكنود الكفور للنعمة والعنود المائل عن الطريق وعن المرعى والصلد المركد والجحود البصا
المائلة والمبود المتمائلة والحرب بفتح الحاء سلب المال والسلب ما يسلب من درع ونحوه في الحرب والعطب الهلاك والشاق الشدة والسياق نزع
الروح والمشيرات مصدر نسا فرسوها وسياقا والعاقل الحصون وما يلجا اليه ولفظتهم القتهم والجباول جمع جامد وهي الحيلة والمعقور المجروح
والجزور المقطوع والشلو العضو من اللحم بعد الذبح واشلاء الانسان اعضاؤه المتفرقة في البلاد ومسفوح مسفوك والكيلة الاخذ على غرة
والمناص مصدر قولك ناص ينوص نوصا اي فر وراغ ولات حرف سلب قال الاخفش شبهوها بليس واضمروا فيها اسم الفاعل قال ولا
يكون لات الا مع حين وقد يحذف حين كما حذف في قول مازن بن مالك حنت ولات هنت بحن و حنين وهو يريد ولات حين وقال بعضهم
ولات حين مناص برفع حين واضمر للخبر وقال ابو عبيدة هي لا والتاء انما زيدت في حين وان كتب مفردة كما قال ابو وجزة العاطفون
تحين ما من عاطف وقال المورج زيدت التاء في لات كما زيدت في ثمت وربت والبال الحال في الشان والامر والبال ايضا القلب وقد
حمد الله سبحانه باعتبارات لا ينبغي الا له لمحمده الاول التناسي حمده اي في جميع خلقه ومخلوقاته اذ كان شيء منها لا يخلو من نعمة له واظهرها
وجوده فلا يخلوا من حمده بلسان الحال او المقال وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون الثاني الغالب جنده وجند الله
ملائكته واعوان دينه من اهل الارض كقوله تعالى ولله جنود السموات والارض وقوله تعالى بجنود لم تروها وظاهر كونهم الغالبون لقوله وان
جندنا لهم الغالبون وقوله فان حزب الله هم الغالبون وفي هذه القرينة جذب للسامعين الى نصرة الله ليكونوا من جنده وتثبيت لهم على
ذلك الثالث المتعالي جده اي علاؤه وعظمته كقوله تعالى وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وهذه القرينة تناسب ما قبلها لما في ذلك
من ابهام العاجز الى الجند والنصرة وفي التنابية تعاليه وعظمته عن كل حال يحكم بها في حقه الرابع لذلك الابهام ثم عقب ذلك بسبب الحمد
وهو نعمه التوام والاؤه العظام ومعنى كونها تواما انها يزاد منها على العبد وتواترها فانه ما من وقت يمر عليه الا وعنده انواع من نعم الله
تعالى لا تكاد تحصى الرابع من الاعتبارات الذي عظم حلمه فعفا فالحلم في الانسان فضيلة تحت الشجاعة وهو معها انفعال النفس عن
الواردات المكروهة المرتبة لها واما في حق الله تعالى فيعود الى عدم انفعاله عن مخالفة عبيده لاوامره ونواهيه وكونه لا يستفزه عند مشاهدة
المنكرات منهم غضب ولا يحمله على المسارعة الى الانتقام منهم مع قدرته انه على كل مقدور وحيث لا طيش والفرق بينه تعالى وبين العبد
في هذا الوصف ان سلب الانفعال عنه سلب مطلق وسلبه عن العبد عما من شانه ان يكون له ذلك الشيء فكان عدم الانفعال عنه
تعالى ابلغ واتم من عدمه عن العبد وبذلك الاعتبار كان اعظم ولما كان الحلم يستلزم العفو عن الجرائم والصفح عنها مع امهاله للعبد مع عدم مؤاخذته
بجرائمه فعفا فلذلك ذكره ووصفه لعظمة الحلم بذكر العفو وعطفه بالفاء الاستعقاب الملزوم لازمه بلا مهلة الخامس وعدل في كل ما قضى
ولما كان العدل عبارة عن التوسط في الافعال والاقوال بين طرفي التفريط والافراط كان في كل ما قضاه تعالى وحكم عليه بوقوعه او عدم وقوعه
جاريا على وفق الحكمة والنظام الاكمل لما بين ذلك في مظانه من العلم الالهي لا جرم لم يكن ليقع في الوجود شيء من افعاله او اقواله المنسوبة الى احد
طرفي التفريط والافراط بل كان على حاق الوسط منها وهو العدل وقيل قضى بمعنى امر كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وهو داخل
فيما قلناه فان ما امر بايجاده او نهى عنه داخل فيما حكم عليه بوقوعه او عدم وقوعه السادس وعلم ما يمضي وما مضى شانه الى احاطة علمه
بكل الامور مستقبلها وماضيها وكليها وجزئيها وقد اشرنا الى ذلك فيما قبل السابع مبتدع الخلائق بعلمه ظاهر الكلام مشعر بان العلم هنا
سبب الابتداع من خلقه ولا شك ان السبب متقدم على المسبب فيجب ما هو سبب هذا هو مذهب جمهور الحكماء والخلاف فيه مع المتكلمين انهم
قالوا ان العلم تابع للمعلوم والتابع يمتنع ان يكون سببا فابناء على انهم ارادوا بالاستصحاب وعلى الرأي الاول للتسبب ونحن اذا حققنا القول
وقلنا انه لا صفة له ثم تزيد على ذاته وعلمه وقدرته وارادته شيئا واحدا وانما تختلف بحسب اعتبارات تحدثها عقولنا الضعيفة قياسا
الى مخلوقاته كما سبق بيانه في الخطبة الاولى لم يبق تفاوت في ان يسند الخلق الى ذاته او الى علمه او الى قدرته او غيرهما واما بيان
ان العلم تابع للمعلوم حتى يمتنع ان يكون سببا له او متبوعا حتى لا يمتنع ذلك فيما حقق في مظانه والمسالة محل الخبط فيها بينهم ويحتمل ان يريد
بالابداع احكام الاشياء واتقانها بحيث يكون محل التعجب يقال هذا فعل بديع ومنظر بديع اي معجب حسن فظاهر ان ذلك منسوب الى
العلم ولذلك يستدل باحكام الفعل واتقانه على علم فاعله الثامن ومنشئهم بحكمه اي بحكمته وهو قريب من الذي قبله ويحتمل
ان يريد بحكمه قدرته على الموجودات بالوجود وهو ظاهر وقوله بلا اقتداء ولا تعليم اي لم يتبع مبدعا في ابداعه وانشائه للخلائق على وجه اقتداه

ج ٩ م

في حمد الله باعتبارات لا ينبغي الا له

بغيره ممن سبقه الى ذلك ولا على وجه التعلم منه والاقتداء لهم من التعلم وقوله ولا اصاب بخطأ اى لم يكن انشاؤه للخلق ولا اتقانه على سبيل الاضرار والخطأ من غير علم منه ثم علمه بعد ذلك فاسند ذلك فعله واحكم فاصاب جهة المصلحة فيه والاصابة فيه بمعنى الله الا ان الاصابة من لواحق ذلك الخطأ ومثل هذا اعرض من المتكلمون على انفسهم حيث اسندوا الى كونه تعالى عالما بكل معلوم فقالوا انه تعالى علم بعض الاشياء الا من طريق اصلا الا من حسن لا نظر واسند لا لا توجب ان يعلم سائرها كذلك لانه لا تخصيص ثم سالوا انفسهم فقالوا لم زعمتم ذلك ولم لا يجوز ان يكون فعل افعاله مضطر ثم ادركها فعلم كيفية صنعها بطريق كونها ثم ركبها فاحكمها بعد اختلالها واضطرابها ثم اجابوا عن ذلك بانه لا بد ان يكون قبل ذلك عالما بمفرداتها من غير طريق فوجب ان يعلمها باسرها كذلك لعدم التخصيص وهذا الجواب فاسد لان مفرداتها ان لم تكن من فعله كالاجزاء التى لا تتجزى على راى المتبين والمتكلمين فى علمه بها بل فيما كان من فعله ولا يلزم من العلم بمفردات الفعل العلم بالفعل وان كانت من فعله فقولكم لا بد ان يكون عالما بمفرداتها قبل فعلها مصادرة على المطلوب والجواب الحق انه لو علمها بعد ان لم يعلمها لكان علمه بها حادثا فى ذاته فكان محلا للحوادث وهو محال كما سبق وقوله ولا حضره ملا اى لم يكن خلقه لما خلق بحضوره جماعة من العقلاء بحيث يشير كل منهم عليه برايه ويعينه بقوله فى كيفية خلقه حتى يكون اقرب الى الصواب لان كل جماعة فرضت فهى من خلقه فالابدان ينفذ بعض الامور لا بحضرة ملاهم ولان ذلك يستلزم حاجته الى المعين والظهير وذلك يستلزم الامكان المنزه قدسه عنه واليه الاشارة بقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا وكل ذلك تنزيه لفعله كيفيات افعال عباده ثم اردف ذلك باقتصاص حوال الخلق حال انبعاث الله رسوله صلى الله عليه وآله والواو فى قوله والناس للحال اى والناس حينئذ يضربون عن عقيدته فى جهالة وهو كناية عن تفرقهم على جهل منهم بما ينبغى لهم من وجوه التصرف ويحتمل ان يريد ويتيهون فى شدة وذلك ان العرب كانت فى شدة من ضيق المعاش والنهب والغارات وسفك الدماء كما قال ع فيما قبل ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله نذيرا للعالمين واميناً على التنزيل وانتم معشر العرب على شر دين وفى شر دار الفصل وكنى بقوله ويموجون فى حيرة كناية عن ترددهم فى حيرة الضلال والجهل او فى حيرة من الشدائد المذكورة وقوله قد قادتهم ازمة الحين اى قد تداعوا للموت والفناء من كثرة الغارات وشدائد سوء المعاش وظلم بعضهم لبعض لان الناس اذا لم يكن بينهم نظام عدل ولم يجر فى امورهم قانون شرعى اسرع فيهم ظلم بعضهم لبعض واستلزم ذلك فناؤهم ولما استعار لفظ الازمة رشح بذكر القود وقوله واستغلقت الى قوله الردى اراد رين الجهل وتغطيته لقلوبهم عن انوار الله تعالى والاستضاءة باضواء الشريعة واستعار لفظ الاقفال لغواشى الجهل والهيئات الرديئة المكتسبة من الاقبال على الدنيا ووجه المشابهة ان تلك مانعة للقلب حاجبة له عن قبول الحق والاهتداء به كما تمنع الاقفال ما تغلق عليه من التصرف ورشح بذكر الاستغلاق واما الرين فلفظ الاستعارة لان ذلك لو كان اخذا فى الزيادة ومنتقلا من حال الى حال فكان فيه معنى الطلب للتمام ثم عقب بالوصية بتقوى الله على جرى عادته لانها راس كل مطلوب ورغب فيها بكونها حق الله عليهم اى الامر المطلوب له المستحق عليهم وبكونها موجبة على الله حقهم وهو جزاء طاعتهم له الذى اوجبه على نفسه ولزم من كمال جوده افاضة الخيرات بحسب استعداد لها بالتقوى ثم اشار الى ما ينبغى للمتصف الى التقوى وهو ان يستعين على قطع عقباتها بالله والانقطاع اليه ان يعينه عليها ويوفقه فان الانقطاع الى معونته والالتفات اليه مادة كل مطلوب ثم الى غايتها وهو الاستعانة بها على الله تعالى ولما كان المطلوب منه الوصول الى محل عزته والنظر الى وجهه الكريم والسلامة من غضبه وعقابه جيبا به وهو تعالى الحاكم الاول كانت التقوى اجل ما يستعان به لحصول تلك المطالب وكان التعبد من استعان بها على دفع شدائد يوم الاخرة فانه لا خلاص منها الا بها ثم عقب ذكرها ببيان ما يستلزمه من الامور المرغوب فيها منها كونها فى اليوم اى فى مدة الحيوة حرزا وجنة اى من المكاره الدنيوية لقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له من امره مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه وفى غدا اى فى يوم القيمة الطريق الى الجنة وهو ظاهر ومنها كون سالكها راضيا وظاهرا ت الشارع صلى الله عليه وآله اوضح طرق التقوى وكشف سبلها حتى لا يجهلها الا جاهل ومنها كون سالكها رابحا واستعار لفظ الربح لما يحصل عليه المتقى من ثمرات التقوى فى الدنيا والاخرة ووجه الاستعارة انه يحصل كانه بتقواه لنفسه يشبه راس ماله يستفيد الثواب كما يستفيد التاجر مكاسبه ومنها كون مستودعها حافظا والمستودع بالفتح قابل الوديعة وبكسرها فاعلها والمراد على الرواية بالفتح كون قابلها حافظا لما اودع فيها من ... او يكون حافظ بمعنى محفوظ وعلى الثانية فالمستودع لها اما الله سبحانه اذ هى الامانة التى عرضها على السموات والارض فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان والظاهر كونه تعالى حافظا على العبد المستودع احواله فيها من تفريطه وتقصيره او امانته ومحافظته عليها واما الملائكة التى هى وسائط بين الله تعالى وبين خلقه وظاهر كونهم حفظة كما قال تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله لم تبرح عارضة نفسها الى قوله الغابرين كلام لطيف واستعار وصف كونها عارضة نفسها وجه الاستعارة كونها مهيئة لان تقبل ويقصد ان ينتفع بها كالمراة الصالحة التى تعرض نفسها للتزويج والاستمتاع بها ثم علل كونها لم تبرح كذلك بحاجة الخلق اليها غدا اى يوم القيمة ثم عنيا فيها بكونها محتاجا اليها ويحتمل ان يدخل ذلك فى وجه التشبيه وقوله اذا اعاد الى قوله اسكن

كالقرينة المرجحة لعدم حقيقته الى مجازه وهو يوم القيمة وتعيين له باتم الوصف الذي يشيب فيه ما كان ابيض من الخلائق ويأخذ فيه
ما كان اعظام من الوجود الدنيوي ولواحقه ويقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وفي الحديث ان الله تعالى يجمع كل ما كان في الدنيا
من الذهب والفضة فيجعلها امثال الجبال ثم يقول هذا فتنة بني ادم ثم يسوقها الى جهنم فيجعلها مكاوي لجباه المجرمين وجباههم ومنها ما اشكى
اليهم وبينهم من تحسر فيسأل لمن ادخرها لم ادخرها ولم ينفقها في وجوهها المطلوبة لله ويسأل من انفقها في غير وجهها فيقول اذهبتم
طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها ويجازي الاولين بادخارها كما قال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم الاية ويجازي الاخرين بصرفها في غير وجهها كما قال فاليوم تجزون ما كنتم
تعملون وقوله فما اقل من قبلها يعجب من قلة من قبل التقوى بينهم وحملها حق حملها اي اخذها وحفظها بشرائطها واستعد بها البرى
اما نبه الله فيها اذ هي الامانة المعروضة ثم حكم بكون قابلها وحاملها هم اقل الناس عددا وانهم اهل صفة الله اي الذين وصفهم الله
تعالى بقوله وقليل من عبادي الشكور ثم امرهم فيها باوامر احدها ان يقطعوا باسماعهم اليها اي يسرعوا الى سماع وصفها وشرحها ليعرفوها
فيعملوا على بصيرة الثاني ان يواكظوا عليها بجدهم اي يداوموا عليها ويلازموها باجتهاد منهم وروي وانقطعوا باسماعكم اليها اي انقطعوا
عن علائق الدنيا واستصحبوا اسماعكم الى سماع وصفها فكان احد الروايتين تصحيف الاخرى لان النون والقاف اذا تقاربا اشبها
الهاء في الكتابة الثالث ان يعتاضوها لخلفها عن كل محبوب في الدنيا سلف منهم ونعم الخلف مما سلف اذ كانت المطالب الحاصلة بها انفس
المطالب وهي السعادة الابدية ومخلفا مصدر وسد مسد الحال الرابع ان يعتاضوها من كل مخالف لهم موافقا والمراد ان كل من كان
موافقا لك ثم خالفك في امر من الامور فينبغي ان يكون على طريق الحق والتقوى في ذلك الامر ولا يميل مثل مخالفك فان التقوى
نعم العوض ممن خالفك ونحوه ما قال افلاطن الحكيم سقراط حبيبنا والحق حبيبنا واذا اختلفا كان الحق احب الينا الخامس ان
يوقظوا بها نومهم قال بعض الشارحين اراد ان يوقظوا بها نوامكم فاقام المصدر مقام اسم الفاعل لجاز للمبالغة من التضاد في [illegible]
قلت ويحتمل ان يريد بقوله ايقظوا اي اطردوا بتقوى الله نعاسا ذهب بنومكم في ليلكم واحيوه بها فاستعمل لفظ الايقاظ لافادة
ذلك المعنى اذ كان الامر بايقاع احد الضدين في محل يستلزم الامر بنفي الضد الاخر عن ذلك المحل مجازا من باب اطلاق اسم
الملزوم على لازمه لما فيه من التضاد ويحتمل ان يريد بالنوم نوم الغفلة والجهل وبايقاظ الناس منهم تنبيههم بها من رقدة
الطبيعة واعدادهم باجزاء العبادة وقوانينها للحصول الكمالات العلمية والعملية على سبيل الاستعارة ووجهها ظاهر مما سبق السادس
وان يقطعوا بها يومهم اي يقطعوا بالاشتغال بها نهارهم السابع ان تشعروها قلوبهم اي يجعلوها شعار القلوب و
يلبسوها اياها كما يلبس الشعار ولفظ الشعار مستعار لها ووجه الاستعارة كون التقوى الحقيقية تلازم النفس وتتصل بالقلب
كما يتصل الشعار بالجسد ويحتمل ان يريد اجعلوها الازيد لقلوبكم ليتميز بها عن قلوب الظالمين ويحتمل ان يريد اشعروها قلوبكم
اي اعلموها واجعلوها شاعرة بها فيها اصلها ولوازمها الثامن ان يرحضوا بها ذنوبهم اي يغسلوها بالاشتغال بالتقوى
ولفظ الرحض مستعار باعتبار كون التقوى ماحية لما دون الذنوب للهيئات السيئة عن الواح النفوس كما يمحو الغسل
درن الثوب بالماء [illegible] التاسع ان يداووا بها الاسقام اي اسقام الذنوب وامراض القلوب كالجهل والشك والنفاق والرياء
والحسد والكبر والبخل وجميع رذائل الاخلاق التي هي في الحقيقة الاسقام المهلكة ولاشتمال التقوى على جميع الاعمال الجميلة
والملكات الفاضلة كانت دواء لهذه الاسقام وشفاء لا يعقبه داء العاشر ان يبادروا بها الحمام اي يبادروه ويسابقوه بها
وقد سبق بيانه في الخطبة الشقشقية الحادي عشر ان يعتبروا بمن اضاعها اي ينظروا في حال الاشقياء منهم ممن اضاع التقوى و
تفكروا في حاله كيف ضاع منها الامر لم يبق له فيما تركه ما طلب ولم يدرك ما فيه رغب ثم حصل بعد الهلاك على سوء المنقلب فيحصلوا
من ذلك عبرة لانفسهم فيحملوها على التقوى خوفا مما نزل بمن اضاعها من الخيبة والحرمان والرجوع الى دار الهوان الثاني عشر ان
يجعلوا انفسهم عبرة لمن اطاعها اي انقاد للتقوى ودخل فيها واطاع موجبها فحذف المضاف والمراد نهيهم ان يدخلوا في زمرة
من اضاعها فيكونوا عبرة لمن اطاعها فنهي عن لازم الاضاعة وهو اعتبار غيرهم بهم وصورة ذلك النهي وان كانت متعلقة بغيرهم الا
انه كناية عن نهيهم عما يستلزم عبرة الغير بهم وهو اضاعة التقوى لان النهي عن اللازم يستلزم النهي عن الملزوم وهذا كما تقول
لمن تنصحه لا يضحك الناس منك اي لا تفعل ما يستلزم ذلك ويوجبه منهم الثالث عشر ان يصونوها وصيانتها شدة التحفظ
فيها من خلطها بريا او سمعة ومزجها بشيء من الرذائل والمعاصي الرابع عشر ان يصونوا بها اي يتحفظوا بها عن الذنوب والرذائل
ومواتها ويتنزهوا بالاستعداد بها من لحوق العذاب في الاخرة الخامس عشر ان يكونوا عن الدنيا نزاها اي متنزهين عما حرم الله
عليهم وكرهه مما يوجب لهم الذم عاجلا والعقاب اجلا وهو امر بالتقوى ايضا السادس عشر ان يكونوا الى الاخرة ولاها اي محبين
من شدة الشوق اليها وذلك مستلزم للامر بالتقوى مع الانقطاع عن الدنيا الى الاعمال الصالحة لانها هي السبب في محبة الاخرة

والرغبة الثامنة فيما عند الله السابع عشرة لا يضعوا من رفعته التقوى وهو صفة لما يعقول كذبه والاستهزاء به او يفعل كضربه وفعل
ما يستلزم اهانته او ترك قول او ترك فعل يستلزم ذلك ولما كان كل ذلك منافيا للتقوى وداخلا في ابواب الرذائل الاخروية
عن لازمه وهو وضع من رفعته التقوى لاستلزام رفع اللازم رفع الملزوم الثامن عشرة لا يرفعوا من رفعته الدنيا واراد من كان ذا نعمة
ووجاهة عند الخلق بسبب الدنيا والمتناشى منها والتقدير من رفعته اهل الدنيا فحذف المضاف واسند الرفع الى الدنيا
مجازا لان الرفع والتعظيم لهم الثاني ولما كان من رفعته الدنيا خاليا عن التقوى كان الميل اليه واحترامه ومحبته يستلزم المحبة
للدنيا والميل اليها وكان منهيا عنه وكان الاعراض عنه وعدم توقيره نهيا عن الدنيا واهلها وهو من جملة التقوى فكان مامورا
به التاسع عشر نهى عن شيم بارقها استعار لفظ البارق لما يلوح للناس من الدنيا من مطامعها ومطالبها ووصف الشيم لتوقع
تلك المطالب وانتظارها والتطلع اليها على سبيل الكناية عن كونها كالسحابة التي يلوح بارقها فيتوقع منها المطر العشرون وعن سماع
ناطقها وكنى بناطقها عن مادحها وما كشف وصفها وزينتها من قول وفعل او زينة او متاع وبسماعه عن الاصغاء والميل اليه وتصديق
مقاله وتصويب شهادته فانها هي التي ينبغي ان يقتدى ويدخر ويتخذ بها الى غير ذلك فان كل ذلك سبب للعدول عن التقوى
طريق الاخرة الى طرق الهلاك الحادي والعشرون وعن اجابة ناعقها وكنى بناعقها عن الداعي اليها والجاذب مما ذكرنا وباجابته
عن موافقته ومتابعته الثاني والعشرون والاستضاءة باشراقها واستعار لفظ الاشراق لوجوه المصالح الداعية اليها والآراء
الهادية الى طرق تحصيلها وكيفية التمتع فيها ووصف الاستضاءة للاهتداء بتلك الآراء في طلبها ووجه المشابهة ان تلك الآراء يهتدى
بها في تحصيلها كما يهتدى بالاشراق المحسوس وهذه القرينة غير بينة المعنى من القرينتين قبلها ويحتمل ان يريد باشراقها ما يبتهج به من زينتها
ومتاعها وبالاستضاءة بذلك الابتهاج والالتذاذ على سبيل الاستعارة ووجهها ما ذكر زينتها للضيا في كونه سببا لمد الالتذاذ
باسطها الثالث والعشرون ومن الفتنة باعلاقها واعلاقها ما يعد منها نفيسا من قنياتها ومتاعها وهو مستلزم للنهي عن محبة الدنيا
والاهتمام بها لان ذلك هو الفاتن لهم والمضل عن سبيل الله وهو سبب الاثم ومحنتهم والبه الاشارة بقوله تعالى انما اموالكم واولادكم
فتنة قال المفسرون بلاء ومحنة عن الآخرة والاثم بسبب المال والولد وتقع في العظائم وتناول الحرام الا من عصمه الله وعن ابي بريدة قال
كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطبنا يوما فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر فحملهما فوضعهما
بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى نزلت اليهما
ورفعتهما ثم اردف ذلك بتعداد معايب واوصاف لها منفرة عنها معللا ايضا ما سبق من نواهيه عنها فقوله فان برقها خالب تعليل لنهيه
عن شيم بارقها واستعار وصف الخلب للبارق اللائح من مطامعها ووجه المشابهة كون مطامعها واما لها غير مدركة وان ادرك بعضها
ففي معرض الزوال كان لم يحصل فاشبهت البرق الذي لا ماء فيه وان حصل معه شيء فغير منتفع به فلذلك لا ينبغي ان يشام بارقها
وقوله ونطقها كاذب تعليل لنهيه عن سماع نطقها اي النطق الحاصل من سعتها من مادحها وانها مما ينبغي ان يطلب ويدخر ووصف
نفسها ولسان حالها الذي تغر به الاوهام الفاسدة وكونه كذبا كناية عن عدم مطابقة ذلك الوصف بحالها في نفس الامر
قوله واموالها محروبة كالتعليل لنهيه عن الاستضاءة باشراقها اي لا ينبغي ان تستعمل الآراء الحسنة والحيل في تحصيل اموالها اولا
يحب زينتها واموالها ويبتهج بها فانها ماخوذة ومتى لم واعلاقها مسلوبة تعليل لنهيه عن الافتتان باعلاقها ويحتمل
ان تكون هذه القرينة مع التي قبلها تعليل للنهي عن الفتنة باعلاقها ثم اردف تلك الاوصاف بالتنبيه على اوصاف اخرى ونقايص
لها استعارات تنفر بها عنها احدها انها المتصدية العنون قال بعض الشارحين هو استعارة ووصف للمرأة الفاجرة التي من شانها
التعرض للرجال لتخدعهم عن انفسهم ويحتمل ان يكون استعارة لوصف الفرس والناقة التي تمشي في الطريق معترضة خابطا وقوله الضوء
استعارة لوصف الدابة المتقدمة في السير كنى بها عن لحوق الدنيا بالدابة تكون كذلك ووجه المشابهة في الوصف الاول ان الدنيا
في تغيير حالها واحوالها غير مضبوطة ولا جارية مع الابناء على حال واحد فاشبهت الناقة التي تعترض في طريقها وتمشي على غير استقامتها
ووجهها في الثاني ان مدة الحيوة الدنيا في غاية الاسراع وشدة السير باهلها الى الاخرة فاشبهت السريع من الدواب المتقدمة في سيرها
الثاني الجامحة الحرون استعار وصف الجماح لها باعتبار كونها لا تملك لاهلها ولا تنقاد لهم كما لا ينقاد الحرون لراكبها وكذلك وصف
الحرون باعتبار عدم انقيادهم لاهلها وعدم قدرتهم على تصرفهم فيها احوج ما يكونون اليها الثالث المائنة الخؤون فاستعار وصف
الكاذبة لها باعتبار عدم مطابقة لغرورها للناس بزينتها ومتاعها وتوهمهم عن ذلك بقاؤها ونفعها لما عليه الامر في نفسه اذ كان
عن قليل ينكشف كذبها فيما غرتهم به وكذب وهما منهم فيها وكذلك وصف الخؤون باعتبار عدم وفائها لمن غرته وخدعته عن نفسه
بزينتها فكانها لذلك اعطته عهدا بدوامها له فخانته بزوالها عنه ولم تف بعهدها الرابع والجحود الكنود واستعار لها هذين
الوصفين ملاحظة لشبهها بالمرأة التي تكفر نعمة زوجها وتشكر صنيعه وبكون من شانها الغدر وذلك ان الدنيا من شانها انها تفر

عمن رغب فيها وسوّلها واجتهد في عمارتها وزخارفها وزينتها ويكون سبب ذلك الاكرام تنقلها عنه الى غيره الخامس لعنوّ الصد عند
فاستعار وصف العنوّ لها باعتبار بعدها عن حال استقامتها على الاحوال المطلوبة للناس واعراضها عن سنن مقصودهم منها
كالناقة التي تجمح عن المرعى العنان للابل وشرودها عنا بنا وكذلك تصدّ عنه باعتبار كثرة اعراضها عمن طلبها ورغب فيها السادس الجحود
الموتور فاستعارة وصف الجحود ظاهرة واما وصف الموتور فباعتبار نزوعها في ميلها بالتشبيه الى بعض اشخاصها السابع من حال
الى حال فاستعارة لهم وتارة عليهم ويحتمل ان لا يكون فيه اعتبار قيد التردد بل اراد مطلق الحركة استعارة لكثرة تغيرها وانتقالها
حالها انتقال اخبارا عن حالها بانها انتقال اي من شخص الى آخر ومن حال الى حال وطلبها كما قال بعض الشارحين يجوز ان
يريد بان شيمتها وسجيتها الانتقال والتغير ويحتمل ان يعنى بالحال الحاضرة من الزمان وهو الآن ويكون مراده ان الذي يحكم
عليه العقلاء بالحضور منها ليس بحاضر بل هو سيال متغير لا ثبوت له في الحقيقة كما لا ثبوت للماضي والمستقبل الثامن و
وطأتها زلزال استعار لفظ الوطأة لاصابتها بعض اشخاصها ووجه الاستعارة استلزام اصابتها بذلك مما اتفق اصابته
والثقل عليه كما يستلزم وطأة الثقيل من الحيوان ذلك واستعار لفظ الزلزال لاضطراب احوال من تصيبه بمكروهها كاضطراب
الارض بالزلزال التاسع وعزها ذل اي العز الحاصل عنها لاهلها بسبب كثرة قنياتها كعزة ملوكها ومنفعتهم ذل في الآخرة واطلق
عليه لفظ الذل اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه او تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه اذ كان العز بالدنيا واموالها مستلزما للانحراف
عن الدين والتقوى الحقة وذلك مستلزم للذل الاكبر عند لقاء الله واليه الاشارة بقوله تعالى حكاية عن المنافقين لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ونقل المفسرون ان القائل له
عبد الله بن ابي والاعز يعني نفسه والاذل يعني رسول الله صلعم فرد الله تعالى عليه بقوله فلله العزة ولرسوله الآية العاشر وجدها هزل
استعار لفظ الجد وهو القيام في الامر بعناية واجتهاد لاقبالها على بعض اهلها بخيراتها كالمعتني المجتهد في اصلاح شانه ولادبارها
عن بعضهم واصابتها اياه بمكروهها كالعدو والقاصد لهلاكه عدوه واستعار لجدها لفظ الهزل الذي هو ضده ووجه الاستعارة
كونها عند اقبالها على الانسان كالمعتنية بحاله وعند اعراضها عنه وقصده بالمصائب كالقاصد له الذي شرع انتقالها
عن تلك الحال الى ضدها فهي في ذلك كالهازل اللاعب ويحتمل ان يريد بجد اهلها هزل اي عنايتهم بها واجتهادهم في تحصيلها
يشبه الهزل واللعب لسرعة تغيره والانتقال عنه بزوالها فاستعار له لفظه الحادي عشر وعلوها سفل اي العلو الحاصل بسببها
او علو اهلها على بعضهم بزخارفها وقنياتها والفخر به يتبعه سفل لاستلزامه التسفل والانحطاط المرتبة في الآخرة بين اهلها وهو كقوله
كقوله وعزها ذل الثاني عشر كونها دار حرب كقوله اموالها محروبة واراد كونها مظنة ان تسلب قنياتها عن اهلها بالموت وغيره
واستعار لفظ السلب لما فيها من القنيات ووجه المشابهة كون ما فيها يسلب عن اهلها في كل زمان ويصير الى من بعدهم كما الحرب
وكذلك ونهب وعطب الثالث عشر كون اهلها على ساق اي على شدة ونهوض اذ كل ما عاد من اوصافها من الحرب والسلب والعطب
والعطب شدائد عليها اهلها وقال قطب الدين الراوندي اراد بكونها على ساق ان بعضهم يتبع اثر بعض الى الآخرة فاشبه ذلك
قولهم فلان تبع ثلاثة بنين على ساق اي ليس بينهم انثى وانكره ابن ابي الحديد وكنى بالساق عن الامر الشديد قال بعض الشارحين
ويحتمل ان يكون مصدر قولك ساقه سياقا اي انهم مسافون الى الآخرة وتحاق بفتح اللام اي يلحق بعضهم بعضا في الموت والعدم
وفراق يفارق بعضهم بعضا وهو كقولهم ابنا مولود يولد ومفقود يفقد ويحتمل ان يريد بالتحاق لحاق الاحياء بالموتى في العدم
الرابع عشر كونها قد تحيرت مذاهبها ولم يرد بمذاهبها طرقها المحسوسة ولا الاعتقادات بل الطرق العقلية في تحصيل خيرها والـ
دفع شرها واسند الحيرة الى المذاهب مجازا اقامة للحال القابلة مقام العلة الفاعلة اذ الاصل تحير اهلها في مذاهبها الخامس عشر
واعجزت مهاربها اي واعجزت من طلبها فحذف المفعول لان الغرض ذكر الاعجاز ومهاربها مواضع الهرب من شرورها السادس
عشر وخابت مطالبها استعار وصف الخيبة للطالب ووجه المشابهة عدم حصولها بعد ظهورها للاوهام وتعلق الامال بها
فاشبهت من وعد بحصول شيء لم يف به ثم عقب بذكر بعض خيانتها بمطالبها وهي اسلام المعاقل لهم واستعار لها لفظ الاسلام
باعتبار كونها لا تحفظهم من الرزايا ولا تحصنهم من سهام المنايا فاشبهت في ذلك من اسلم الملتجي اليه وخلى عنه لعدوه ولكون
ذلك لازما عطفه بالفاء وكذلك لفظ المنازل لهم مستعار باعتبار خروجهم منها بالموت فهي كالالفاظ الملقية لهم ثم قسمهم باعتبار الحوف
شرها لاحيائهم وامواتهم الى اصناف فاحدها ناج معقور واراد الباقين فيها وكنى بالمعقور عن من رمته باصابتها المتشبهة للعقر
الثاني ولحم مجزور واراد منهم من صار لحما مجزورا الثالث وشلو مذبوح واراد ذي شلو مذبوح اي قد صار بعد الذبح اشلاء متفرقة
ويحتمل ان يكون مذبوح صفة للشلو واراد بالذبح مطلق الشق كما هو في اصل اللغة الرابع ودم مسفوح اي وذي دم مسفوح
الخامس وعاض على يديه وهو كناية عن ندم الظالمين بعد الموت على التفريط والتقصير اذ كان من شان النادم ذلك السادس و

في بيان الخطبة القاصعة

وصافق بكفيه أي ضارب إحداهما على الأخرى ندما التاسع وكذلك من يفعل الحداثة فعل النادم الثامن ولذلك وزاد على ذلك برأيه ولابد الذي النفوس له السعي في جمع الدنيا والالتفات إليها بكليته حتى لزم من ذلك الإعراض عن الآخرة فخاف من سيئ ما كسب إذا انكشف له بعد الموت لزوم العقاب وظهرت له سلاسل الهيئات البدنية وأغلالها في عنقه وعلم أن كل ذلك ثمرة ذلك الرأي الفاسد فندم عليه وعابه وما نكره التاسع وراجع عن عزمه أي ما كان عزم من عمارة الدنيا والسعي في تحصيلها وبالموت انحل ذلك العزم ويرجع عنها وقوله وقد أدبرت الحيلة الواو للحال من الضمير في رجع أي وراجع عن عزمه حال ما قد أدبرت حيلته وهذه الحال مفسرة لمثلها من الضمائر المرفوعة في فاض وصافق وعم نعق وزاد وقوله وأقبلت الغيلة أي أخذتهم إلى جهنم وأهلكتهم فيها على غرة منهم بتلك الأخذ وقال بعض الشارحين يحتمل بالغيلة الشر ويحتمل الغائلة وقوله ولات حين مناص في موضع الحال والعامل أدبرت وأقبلت الهاء للتأنيث وأما الشرح لات ليس لهم وقت فرار ولا تأخر عنه كقوله تعالى كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص أي فنادوا مستغيثين حال ما ليس الوقت وقت تخلص وفرار وقوله هيهات هيهات أي بعد الخلاص والفرار وأتى به مكررا للتأكيد وهو في مقابلة قول الكفار المنكرين لأحوال المعاد هيهات هيهات لما توعدون وكالجزاء الذي بعد الموت وقوله قد فات ما فات أي فات ما كنتم فيه من أحوال الدنيا التي يتمنون الرجعة إليها فلا رجوع لها ونحوه قوله تعالى قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا الآية وقوله ومضت الدنيا لحال بالها كلمة تجري بها من يعني أي يعمر بالمضي أي مضت عنهم الدنيا لحال بالها ونحوه قوله حتى إذا أمضى لأول سبيله وقوله لامضى لشأنه اللام للغرض فكأنه استعار لفظ البال بمعنى القلب لها لحظة لشبهها بمن يمضي لغرض نفسه وما هو مقلبه ويحتمل أن يريد بالبال الحال بعينه وجوز الإضافة لاختلاف اللفظين وقال بعض الشارحين أراد بحال بالها ما كانت عليه من رخائها وسهولتها على أهلها وقوله وأقبلت الآخرة أي بشدتها وصعوبتها ثم ختم بالآية اقتباسا والمعنى أنهم لما ركنوا إلى الدنيا فعلت بهم ما فعلت وحصلوا على ما حصلوا عليه من البلاء فقدوا ولم تعلم بشأنهم فما بكت عليهم السماء والأرض قال بعض المفسرين أراد أهل السماء وهم الملائكة وأهل الأرض فحذف المضاف وهو كناية عن كونهم لا يستحقون أن يتأسف عليهم الآن يبكون وقيل أراد المبالغة في تحقير شأنهم لأن العرب كانت تقول في عظيم القدر يموت بكته السماء والأرض فنفى عنهم ذلك وأراد أنهم ليسوا ممن يقال فيهم مثل هذا القول وعن ابن عباس رضي الله عنه لما قيل له أتبكي السماء والأرض على أحد فقال نعم يبكيه مصلاه في الأرض ومصعد عمله في السماء فيكون نفي البكاء عنهم كناية عن أنه لم يكن لهم في الأرض موضع عمل صالح حتى يكون له مصعد إلى السماء فلم تبك عليهم ونحوه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من مسلم إلا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه إلى الأرض فإذا مات بكيا عليه فذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض واعلم أن إطلاق لفظ البكاء على السماء والأرض مجاز في فقدهما لما ينبغي أن يكون منهما من مصالح المؤمنين إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام ومن الناس من يسمي هذه الخطبة القاصعة وهي تتضمن ذم إبليس على استكباره وتركه السجود لآدم وأنه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية وتحذير الناس من سلوك طريقته وفيها فصول

الفصل الأول

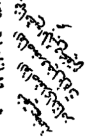
قوله الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه وجعلهما حمى وحرما على غيره واصطفاهما لجلاله وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس اعترضته الحمية فافتخر على آدم بخلقه وتعصب عليه لأصله فعدو الله إمام المتعصبين وسلف المستكبرين الذي وضع أساس العصبية ونازع الله رداء الجبرية وادرع لباس التعزز وخلع قناع التذلل ألا ترون كيف صغره الله بتكبره ووضعه بترفعه فجعله في الدنيا مدحورا وأعد له في الآخرة سعيرا ولو أراد الله سبحانه أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه ويبهر العقول رواؤه وطيب يأخذ الأنفاس عرفه لفعل ولو فعل لظلت له الأعناق خاضعة ولخفت البلوى فيه على الملائكة ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله تمييزا بالاختبار لهم ونفيا للاستكبار عنهم وإبعادا للخيلاء منهم

أقول نقل في سبب هذه الخطبة أن أهل الكوفة كانوا في آخر خلافته قد فسدوا وكانوا قبائل متعددة فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة أخرى فيقع به أدنى مكروه فيعتزي إلى قبيلته وينادي باسمها مثلا يا للنخع أو يا لكندة نداء عاليا يقصد به الفتنة وإثارة الشر فيتألب عليه فتيان القبيلة التي قد مر بها وينادون يا لتميم ويا لربيعة فيضربونه فيمر إلى قبيلته ويستصرخ بها وتسل بينهم السيوف وتثور الفتنة ولا يكون لها أصل في الحقيقة ولا سبب يعرف وكثر ذلك منهم فخرج إليهم على ناقة فخطبهم هذه الخطبة إذا عرفت ذلك فنقول القصع ابتلاع الماء والجرة وقصعت الرجل قصعا صغرته وحقرته وقصعت هامته إذا ضربتها ببسط كفك وقصع الله شبابه إذا بقي فيه فهو مقصوع لا يزداد وأصل هذه الكلمة للتصغير والتحقير والجبرية والجبروت الكبر وادرع لبسه كالدرع والدحر الطرد ويخطف بالكسر يخطف أخذا البصر بسرعة استلابا ويبهر العقول أي يغلب نوره أنوارها ويمحو فيه والرواء المنظر الحسن والعرف

في بيان الخطبة القاصعة

للملائكة وعجزوا عن ذلك لما لا يعلمونه كما قال لهم في جواب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها إني أعلم ما لا تعلمون وكما علم آدم الأسماء وأمره بعرضها
عليهم فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا وكان تكليف النفس بما يطلع على سره ويعلم
وجه الحكمة فيه أسهل عليها من تكليفها بما يجهله فلو خلقه من نور مناسب لخلقهم لعلموا نوعيته وسر خلقه فلم يشق عليهم التكليف
بالسجود له ويؤيد هذا الوجه قوله ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله وفي هذا الاستثناء تنبيه على عدم إرادة
خلق آدم من نور وذلك العدم هو نقيض مقدم تنبيه القياس المذكور اللازم عن استثنائه نقيض تاليها ولتقدير التنبيه أنه لو أراد
خلقه من نور لظلت الأعناق له خاضعة ولخفت البلوى على الملائكة لكنه لم يكن الأمر كذلك فاستلزم أنه لم يرد خلقه من نور فكان
معنى قوله ولكن الله يبتلي خلقه أنه لم يرد خلقه من نور بل أراد أن يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله وهو تكليفهم بالسجود لآدم مع
جهلهم بأصل ذلك التكليف والغرض منه أو جهلهم بآدم وسر خلقته الذي هو أصل لذلك التكليف ونصب قوله تمييزا ونفيا
رابعا على المفعول له أي ليميز بذلك التكليف وبما يستلزم من الذلة والانقياد والخضوع المطيع من العاصي ولينفي رذيلة
الكبر والخيلاء عنهم وبالله التوفيق **الفصل الثاني** في أمر السامعين بالاعتبار بحال إبليس وما لزمه من اللعن وبطلان
أعماله الصالحة في المدة المتطاولة بسبب التكبر والعصبية الفاسدة والتحذير من سلوك طريقته واقتفاء أثره في الكبر ولوازمه من الرذائل
التي عددناها وذلك قوله عم فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد وكان قد عبد الله ستة
آلاف سنة لا يدرى أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته
كلا ما كان الله ليدخل الجنة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا إن حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد وما بين الله
وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى حرمه الله على العالمين فاحذروا عباد الله أن يعديكم بدائه وأن يستفزكم
بخيله ورجله فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد وأغرق لكم بالنزع الشديد ورماكم من مكان قريب وقال رب
بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين قذفا بغيب بعيد ورجما بظن غير مصيب صدقه به أبناء الحمية
وإخوان العصبية وفرسان الكبر والجاهلية حتى إذا انقادت له الجامحة منكم واستحكمت الطماعية منه فيكم فنجمت
الحال من السر الخفي إلى الأمر الجلي استفحل سلطانه عليكم ودلف بجنوده نحوكم فأقحموكم ولجات الذل وأحلوكم ورطات
القتل وأوطؤوكم إثخان الجراحة طعنا في عيونكم وحزا في حلوقكم ودقا لمناخركم وقصدا لمقاتلكم وسوقا بخزائم
القهر إلى النار المعدة لكم فأصبح أعظم في دينكم حرجا وأورى في دنياكم قدحا من الذين أصبحتم لهم مناصبين وعليهم متألبين فاجعلوا
عليه حدكم وله جدكم فلعمر الله لقد فخر على أصلكم ووقع في حسبكم ودفع في نسبكم وأجلب بخيله عليكم وقصد برجله
سبيلكم يقتنصونكم بكل مكان ويضربون منكم كل بنان لا تمتنعون بحيلة ولا تدفعون بعزيمة في حومة ذل وحلقة
ضيق وعرصة موت وجولة بلاء فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية وأحقاد الجاهلية فإنما تلك الحمية
تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته ونزغاته ونفثاته واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم وإلقاء التعزز تحت
أقدامكم وخلع التكبر من أعناقكم واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم إبليس وجنوده فإن له من كل أمة
جنودا وأعوانا ورجلا وفرسانا ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمه من غير ما فضل جعله الله فيه سوى ما ألحقت العظمة
بنفسه من عداوة الحسد وقدحت الحمية في قلبه من نار الغضب ونفخ الشيطان في أنفه من ريح الكبر الذي أعقبه الله
به الندامة وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة ألا وقد أمعنتم في البغي وأفسدتم في الأرض مصارحة لله بالمناصبة
ومبارزة للمؤمنين بالمحاربة فالله الله في كبر الحمية وفخر الجاهلية فإنه ملاقح الشنآن ومنافخ الشيطان التي خدع
بها الأمم الماضية والقرون الخالية حتى أعنقوا في حنادس جهالته ومهاوي ضلالته ذللا عن سياقه سلسا في قياده
أمرا تشابهت القلوب فيه وتتابعت القرون عليه وكبرا تضايقت الصدور به ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم
الذين تكبروا عن حسبهم وترفعوا فوق نسبهم وألقوا الهجينة على ربهم وجاحدوا الله على ما صنع بهم مكابرة لقضائه
ومغالبة لآلائه فإنهم قواعد أساس العصبية ودعائم أركان الفتنة وسيوف اعتزاء الجاهلية فاتقوا الله ولا
تكونوا لنعمه عليكم أضدادا ولا لفضله عندكم حسادا ولا تطيعوا الأدعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم وخلطتم
بصحتكم مرضهم وأدخلتم في حقكم باطلهم وهم أساس الفسوق وأحلاس العقوق اتخذهم إبليس مطايا ضلال وجندا
بهم يصول على الناس وتراجمة ينطق على ألسنتهم استراقا لعقولكم ودخولا في عيونكم ونفثا في أسماعكم فجعلكم
مرمى نبله وموطئ قدمه ومأخذ يده **أقول** القصع ابتلاع الماء والجرة وقصعه صغره وحقره وقيل في معنى تسميتها
بذلك أنه ع خطب بها على الكوفة وهو على ناقة تقصع بجرتها واعلم أن مدار هذه الخطبة على النهي عن الكبر والفخر ووجه

وأوراكم



في بيان الخطبة القاصعة

المشاهدة كونها مظنة وجود البغضاء بين الناس وسببا لانه كان الفخر سببا للقاح واما على نفخ الكبر فكونه سببا له فاستعارة الاثمار للفخر
بلحاظ المشاهدة المذكورة ثم انه اخبر بذلك المصدر نفسه عن الفخر حيث جعله خبرا فكانه قال فان الفخر نفخ الشيطان وملقح الشنآن
نفسه لتبيين الفخر بل من ثماره ولوازمه فكان اطلاقا لاسم السبب على المسبب وهو في الدرجة الثانية واما ذكره بلفظ الجمع نظرا الى
تكثر معنى الفخر في موارده وهي اذهان المتكبرين ومنافخ الشيطان جمع منفخ مصدر نفخ وظاهر ان افراد مهية الفخر المنتشرة في الازمنة
نفثات ونفخات من ابليس في العروق للمتكبر والمترفع قدره فقد نفخ الشيطان في انفه ووصف تلك المنافخ بانها اللاتي خدع بها
الامم الماضية والقرون الخالية وصورة الخداع ههنا كونه اراهم الباطل في صورة الحق كتزيينه الكبر وتحسينه للوازمه وتخييل
ان ذلك هو الاصلح او لا نفع معه او في نفس الامر ليس بحق حتى كان ذلك سببا لارتكابهم في ظلمات الجهالات ومهاوي
الضلالات واستعار وصف الاعناق لما يتوهم من شدة دخولهم في ظلمات الجهالات بغية سيرهم فيها وكذلك لفظ الحنادس
لما يتخيل من الظلمة الجهل ولفظ المهاوي مستعار لما يتخيل من كون الضلالة وطرقها محال للهوى عن افق الكمال ومدارج الشقاء
واضافة الجهالة والضلالة اليه اضافة للمسبب الى السبب سلسا جمع سلس وهما سهلا الانقياد وانتصابهما على الحال من الضمير
في اعتنقوه اي سرعوا سهلي الانقياد لسوقه وقوله امرا منصوب بفعل مضمر تقديره فاعتمدوا امرا تشابهت قلوبهم فيه و
تتابعت القرون الماضية منهم على اعتماده وهو الفخر ونفخ الشيطان والاعتناق في جهالته وضلالته وكبرا عطف عليه وكونه
ضاقت الصدور عن كثرة وعظمته ثم عقب بالتحذير من طاعة ساداتهم وكبرائهم تذكيرا بما نبه عليه القرآن الكريم من ذم
المطيعين لساداتهم وكبرائهم على طاعتهم فيما حرم الله عليهم واخرجهم عن سبيل الله وذلك قوله تعالى حكاية لما يقولونه
يوم القيمة ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا التابعين على
متابعتهم في قوله حكاية عنهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وقوله الذين تكبروا عن حسبهم
وترفعوا عن نسبهم بحسبهم ونسبهم اشارة الى الطين والصلصال من الحماء المسنون والماء المهين الذي هو اصلهم وما كان من شأنه
ان لا يفتخر به ولا يتكبر لمن هو اصله لانهم تكبروا وافتخروا عن ذلك الاصل وترفعوا عليه وتركوا ما ينبغي لهم من النظر اليه والتواضع
لحسبه لانه اشار القائل ما بال من اوله نطفة وجيفة آخره يفخر لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر وقوله والقوا الهجينة
على ربهم اي نسبوا ما في الانسان من القبائح بزعمهم الى ربهم كما قال بعض الشارحين كان يقول احدهم في الافتخار على غيره انا
عربي وانت عجمي فان ذلك عيب وانما هو من خلق الله فهو عيب على الله ونسبه للقبيح اليه وهم في ذلك مقتفون لآثار ابليس حيث قال
ما يفيد انه خلقته من صلصال فكان ذلك عيبا لخالق الله ونسبه للفعل القبيح وقوله وجاحدوا الله ما صنع بهم ووجه الجاحدة
هنا انهم لما غفلوا عن الله نعمه وجحدوا ولحقهم لم يشكروا على نعمائه وصنيعه بهم ولما كان الشكر يعود الى الاعتراف بالنعمة كان الجحد
والانكار منهم عبارة عن عدم ذلك الاعتراف لغفلتهم ولانه فان الشكر كما يكون بالاعتراف بالنعمة كذلك يكون بالاتيان بما يوافق
ذلك الاعتراف ويدل عليه من الاقوال والافعال لتصالحه الطاعة للمنعم والموافقة لاوامره ونواهيه ونهيا ان شكرا ايضا فكان كالتصريح
على تركهما وعدم الاتيان بهما جحدا لنعمة الله وذلك هو جحادتهم فاما مجاحدة الله لهم فيعود الى ما يتخيل من انكاره عليهم وتقريره
عليهم صنعه بهم وتذكيره نعمه في حقهم وما قصد تقريره ويحتمل ان تكون بمعنى الذي يعاقب من الصلاة محاجة في ما صنعه بهم
وقوله مكابرة لقضائه اي مقابلة لحكمه عليهم بوجوب شكره ولزوم طاعته ترددا في ذلك الحكم وانكاره وعدم الانقياد له وحقيقة المكابرة
بعود الى المقابلة بالقول في الامر لمنازعة فيه على وجه المغالبة والتكبر من الطرفين وهي هنا ترشيح لاستعارة المجاحدة وكذلك المغالبة
لا ايثار المتقين فيهما على المفعول له والغاية هنا الشبه الغاية من الجاحدة والصفة غاية على الحقيقة وبيان ذلك ان لما كان من لوازم
المجاحدة والكفران لنعمة زوالها وانقطاعها كانوا بفعلهم تلك المجاحدة وذلك الكفران كالمغالبين للنعم والقاصدين لزوالها و
عدمها اذ كان زوالها لازما لفعلهم وقوله فانهم الحاقولة الجاهلية تشبيه على حال رؤسائهم من رذائل العنعنة واستعار لفظ الاساس
للكبر لما كان مبدا للعصبية واصلا لها ولفظ القواعد لهم اعتبارا بقيام الكبر بهم وثباته فيهم كما يقوم الاساس بقواعده وهي العمود
ونحوها وكذلك استعار لفظ الاركان لاحوال الفتنة ولتعاضهما ولفظ الدعائم لهم باعتبار قيام الفتن بهم واعتمادها عليهم كما
تعتمد اركان البيت وجوانبه عليها ثم استعار لفظ السيوف لهم باعتبار فرقهم عزوتهم وعصبيتهم فتل الاغترار فيما يجري لهم كسيوف
السيوف وصرامتها في مضاربها قال بعض الشارحين ويحتمل ان يريد واصحاب سيوف عزاء الجاهلية وذلك عند قولهم يا آل فلان
كانوا في سبيل الحفظة والاعتزاء منهي عنه لكونه مبدا للفتن وروى ان ابي بن كعب سمع رجلا يقول يا آل فلان فقال اعضضت
ابن ابيك فقيل له يا ابا المنذر ما كنت فاحشا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا
تكنوا والعزاء الاسم من الاعتزاء ثم عاد الى الامر بتقوى الله نعمه بتضادها فلا يجامعها من كفرانها ومقابلتها بما يزيلها على التقوى اسلام

ح ٩٠٢

الانقطاع خ ل

نعم

على الكفر منهم بالنعم اشارة في التقوى الى الحيلة و التقوى

في بيان الخطبة القاصعة

بتبديل النعمة نقمة وكذلك قوله ولا لفضله عندكم حسادا استعار لفظ الحساد هاهنا باعتبار كفرهم بالنعم المنزل لحساد النعمة باعتبار حسدهم
المزيل لها وقوله ولا تطيعوا الادعياء قال بعض الشارحين مراده بالادعياء الذين ينتسبون الى الاسلام ظاهرا وهم منافقون قلت و
يحتمل ان يريد بهم حقيقة الادعياء وهم الذين ينتسبون الى غير آبائهم ممن لا دين له وقد تواس في قبيلته التي انتسب اليها ثم وصفهم
فقال الذين شربتم بصفوكم كدرهم فاستعار لفظ الصفو وهو خالص الشراب اما لخالص دينهم وايمانهم او لخالص دينكم وصافيها ولفظ الكدر
للنفاق وسائر الرذائل النفسانية التي تخالط ايمانهم كالحسد ونحوه فتكدره بكدره ويتسبب في ذلك ما صفا من دينه لسبب ثوران
الفتنة عنها ورشح بذكر الشرب والمعنى انكم مزجتم بايمانكم نفاقهم فشربتموه كما يمزج بالماء الشراب فيساغ برواية ما قال شربتم بصفوكم
كدرهم ولم يقل بكدرهم صفوكم لان الغرض ان يعيب عليهم شرب الكدر بالقصد الاول ولا يتم ذلك الغرض الا بهذه العبارة والباء هنا للمصاحبة
وكذلك قوله وخلطتم بصحتكم مرضهم واراد بمرضهم نفاقهم وكبرهم وسائر الرذائل النفسانية فيهم وبالصحة سلامة نفوس المؤمنين بايمانهم
عن شوب تلك الرذائل ووجه تخلطهم ايمانهم بها وكذلك قوله وادخلتم في حقكم باطلهم واراد بالحق الايمان والجد في العمل الصالح او ما
يستحقونه من الملك والخلافة في الارض وبالباطل ولبس الكذب والنفاق واللعب وسائر الرذائل او ما لا يستحقونه من امر الدنيا وذلك الخلط والادخال
بسبب تخاذلهم عن نصرته وعدم اجتماعهم على ما ينبغي لهم من طاعته ثم عاد الى صفتهم وذلك لكبرهم باوصاف الاول استعار لهم لفظ الاساس باعتبار كونهم اصلا
للفسوق يقوم بهم كما يقوم البناء باساسه الثاني لفظ الاحلاس باعتبار ملازمتهم للعقوق وقطع الرحم كما يلازم حلس البعير ظهره وروى
اساس بسكون السين بوزن احلاس وهو جمع اسس كحمل واحمال وهو الاس الثالث كون ابليس اتخذهم مطايا ضلال فاستعار لهم لفظ
المطايا باعتبار كونهم اسبابا موصلة الى الضلال لمن اتبعهم واعتمد اقوالهم نيابة عن ابليس كما تؤدي ذلك المطايا الى من يركبها الناس يقودها
في طرق الضلال الرابع كونهم جندا به يصول على الناس وذلك باعتبار كونهم جاذبين للخلق الى طريقه داعين لهم الى هلاك الابد
من جهته الخامس كونهم تراجمة ينطق على السنتهم ولفظ التراجمة مستعار لهم باعتبار نطقهم بما يريده ابليس من الوساوس للناس فاشبهوا
التراجمة له ثم اشار الى كيفية اتخاذهم مطايا وجندا وتراجمة فقال استراقا لعقول الناس بالاقوال الكاذبة والافعال الباطلة والمغالطات
المضلة حتى مالت الى محبة الدنيا وباطلها والتفات الهم اليها عما لاجله خلقوا واليه دعوا ومنها دخولا في عيونهم بزينة الحيوة الدنيا وسائر
ما يجذب اليها من جهة حسن المبصر ومنها النفث في اسماعهم والقاء الوساوس والاقوال الواصفة للدنيا وباطلها والمنفرة عن الآخرة
وسائر ما يجذب عن الافق الاعلى من الجواذب المتعددة وانتصب استراقا ودخولا ونفثا على المصدر كل عن فعله اى يسترق عقولكم استراقا
وكذلك الاخران وقوله فجعلكم مرمى نبله اى غرضا واستعار لفظ النبل لجزئيات وساوسه المردية لكل من اصابته الى مهاوي الهلاك
كما يردي النبل من رمي به ولفظ المرمى باعتبار كونهم مقصد الوساوس كالهدف وكذلك استعار لهم لفظ الموطئ باعتبار كونهم مظنة اذلاله
واهانته ورشح بذكر القدم اذ الموطئ حقيقة في موطئ ابرهوا القدم وكذلك استعار لفظ الماخذ باعتبار كونهم مقتنصين في حبائل
وساوسه ورشح بذكر اليد اذ من شان الماخوذ ان يكون اخذه باليد. **الفصل الثالث** في امرهم بالاعتبار بحال الماضين وما
اصاب الامم المستكبرين منهم من باس الله وصولاته ووقائعه ومثلاته وبحال الانبياء على جلالة قدرهم في التواضع لمن ارسلوا اليه
من المتكبرين وحال اختبار الله تعالى خلقه باحوال بعضهم ببعض وبيان ان اختبار الله للمتواضعين له وتمييزهم من المستكبرين عن عبادته الى غير
ذلك وذلك قوله فاعتبروا بما اصاب الامم المستكبرين من قبلكم من باس الله وصولاته ووقائعه ومثلاته واتعظوا بمثاوي
خدودهم ومصارع جنوبهم واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر فلو رخص الله عز وجل في الكبر
لاحد من عباده لرخص فيه لخاصة انبيائه وملائكته ولكن الله كره اليهم التكابر ورضي لهم التواضع فالصقوا بالارض خدودهم
وعفروا في التراب وجوههم وخفضوا اجنحتهم للمؤمنين وكانوا اقواما مستضعفين قد اختبرهم الله بالمخمصة وابتلاهم بالمجهدة
وامتحنهم بالمخاوف ومخضهم بالمكاره فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد جهلا بمواقع الفتنة والاختبار في مواضع
الغنى والاقتار فقد قال سبحانه وتعالى أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون فان الله
سبحانه يختبر عباده المستكبرين في انفسهم باوليائه المستضعفين في اعينهم ولقد دخل موسى بن عمران ومعه اخوه هرون
صلوات الله عليهما على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبايديهما العصي فشرطا له ان اسلم بقاء ملكه ودوام عزه فقال
الا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل فهلا القي عليهما اساورة
من ذهب اعظاما للذهب وجمعه واحتقارا للصوف ولبسه ولو اراد الله سبحانه بانبيائه حيث بعثهم ان يفتح لهم كنوز
الذهبان ومعادن العقيان ومغارس الجنان وان يحشر معهم طير السماء ووحوش الارضين لفعل ولو فعل لسقط البلاء
وبطل الجزاء واضمحلت الانباء ولما وجب معانيها ولكن الله سبحانه جعل رسله اولي قوة في عزائمهم وضعفة فيما ترى
الاعين من حالاتهم مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى وخصاصة تملأ الابصار والاسماع اذى ولو كانت الانبياء عليهم

ج ٩ ص

أهل قوة لا ترام وعزة لا تضام وملك تمد نحوه أعناق الرجال وتشد إليه عقد الرحال لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار وأبعد لهم من الاستكبار ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم أو رغبة مائلة بهم فكانت النيات مشتركة والحسنات مقتسمة ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون الاتباع لرسله والتصديق بكتبه والخشوع لوجهه والاستكانة لأمره والاستسلام لطاعته أمورا له خاصة لا يشوبها من غيرها شائبة وكلما كانت البلوى والاختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم عليه السلام إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياما ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجرا وأقل نتائق الدنيا مدرا وأضيق بطون الأودية قطرا بين جبال خشنة ورمال دمثة وعيون وشلة وقرى منقطعة لا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف ثم أمر سبحانه آدم وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه فصار مثابة لمنتجع أسفارهم وغاية لملقى رحالهم تهوي إليه ثمار الأفئدة من مفاوز قفار سحيقة ومهاوي فجاج عميقة وجزائر بحار منقطعة حتى يهزوا مناكبهم ذللا يهللون لله حوله ويرملون على أقدامهم شعثا غبرا له قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم وشوهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم ابتلاء عظيما وامتحانا شديدا واختبارا مبينا وتمحيصا بليغا جعله الله سببا لرحمته ووصلة إلى جنته ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات وأنهار وسهل وقرار جم الأشجار داني الثمار ملتف البنى متصل القرى بين برة سمراء وروضة خضراء وأرياف محدقة وعراص مغدقة ورياض ناضرة وطرق عامرة لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء ولو كانت الأساس المحمول عليها والأحجار المرفوع بها بين زمردة خضراء وياقوتة حمراء ونور وضياء لخفف ذلك مصارعة الشك في الصدور ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب ولنفى معتلج الريب من الناس ولكن الله سبحانه يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبدهم بألوان المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره إخراجا للتكبر من قلوبهم وإسكانا للتذلل في نفوسهم وليجعل ذلك أبوابا فتحا إلى فضله وأسبابا ذللا لعفوه فالله الله في عاجل البغي وآجل وخامة الظلم وسوء عاقبة الكبر فإنها مصيدة إبليس العظمى ومكيدته الكبرى التي تساور قلوب الرجال مساورة السموم القاتلة فما تكدي أبدا ولا تشوي أحدا لا عالما لعلمه ولا مقلا في طمره وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الأيام المفروضات تسكينا لأطرافهم وتخشيعا لأبصارهم وتذليلا لنفوسهم وتخفيضا لقلوبهم وإذهابا للخيلاء عنهم لما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه بالتراب تواضعا والتصاق كرائم الجوارح بالأرض تصاغرا ولحوق البطون بالمتون من الصيام تذللا مع ما في الزكاة من صرف ثمرات الأرض وغير ذلك إلى أهل المسكنة والفقر انظروا إلى ما في هذه الأفعال من قمع نواجم الفخر وقدع طوالع الكبر

لذمر

قوله المثلات العقوبات والمثاوي جمع مثوى وهو المقام والتكابر التعاظم والتعفير إلصاق الخد وغيره بالعفر وهو التراب والمخمصة المجاعة والجهد المشقة والإقتار الفقر والأساورة جمع أسورة جمع سوار ويجوز أن يكون جمع أساور وقال أبو عمرو بن العلاء هو جمع إسوار وهو السوار والذهبان جمع ذهب كخرب لذكر الحبارى وخربان والعقيان خالص الذهب واضمحل فني والأنباء الأخبار والخصاصة الجوع والسوء الخلط والوعر المكان الصعب والنتائق جمع نتيقة فعيلة بمعنى مفعولة من نتق إذا جذب وسميت المدن والأماكن المشهورة والمرتفعة نتائق لارتفاع بنائها وشهرتها وعلوها عن غيرها من الأرض كأنها جذبت ورفعت والقطر الجانب والدمثة اللينة والوشلة قليلة الماء والمثابة المرجع والمنتجع اسم المكان من الانتجاع وهو طلب الكلأ والماء والمفاوز الفلوات الواسعة والقفار جمع قفر وهي المفازة التي لا نبت فيها ولا ماء والسحيقة البعيدة والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين الجبلين ويهللون يرفعون أصواتهم بالتلبية والإهلال رفع الصوت والرمل بالتحريك الهرولة والأشعث أغبر الرأس منتفش الحال والنبذ الإلقاء والسرابيل القمصان والتشويه تقبيح الخلقة والتمحيص الابتلاء والاختبار وأصله التخليص والتمييز والمشاعر مواضع المناسك والقرار المستقر من الأرض والجم الكثير والبنى جمع بنية بالضم والأرياف جمع ريف بالكسر وهي الأرض ذات الزرع والخصب والمحدقة المحيطة والمغدقة كثيرة الماء والخصب والمعتلج اسم المفعول من الاعتلاج وهو التغالب والاضطراب يقال اعتلجت الأمواج إذا التطمت واضطربت وفتحا فعل بمعنى مفعول أي مفتوحة موسعة وذللا سهلة ووخامة الظلم وباؤه وسوء عاقبته والمصيدة بكسر الميم الشبكة وما يصاد به والمساورة المواثبة وأكدى الحافر إذا بلغ في حفره إلى موضع صلب لا يمكنه حفره وأكدت المطالب إذا صعبت في وجه طالبها فعجز عنها وأشوت الضربة تشوي إذا لم تصب المقتل يقال أشواه يشويه إذا رماه فلم يصب مقتله والطمر الثوب الخلق وعتاق جمع عتيقة وهي كرائم الوجوه وحسانها والقمع الرد والنواجم الطوالع جمع ناجمة والقدع الكف واعلم أنه عليه السلام أمرهم بالاعتبار بما أصاب المتكبرين من سابق الأمم من عقوبات الله ووجه الاعتبار أن يفكر العاقل في حال أولئك فيرى ما أصابهم إنما هو بسبب استكبارهم عن طاعة الله والترفع على عباده كما أشار إليه تعالى قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم إلى قوله فأخذتهم الرجفة

المحيطة

في بيان الخطبة القاصعة

فاصبحوا في ديارهم جاثمين ونحو من القرآن كثير فينتقل ذهنه منه الى بعضه وبغيض حال استكباره على استكبار ابليس وما يلزمه من امثال العقوبات
بهم الثاني ان يتعظوا بتساوي خدودهم ومصارع جنوبهم اي يلحظوا مقاماتهم من التراب ومحال انضراعهم في القبور ليحصل لهم بذلك
الانزجار عن الكبر اذ كانت غاية ما ينتهي بذلك الهوان والذل في تلك المساوي ومحل المصارع الثالث ان يستعيذوا بالله من لواقح
الكبر واستعار اللواقح لما يستلزم الكبر من اسباب ثورانه واستعاذة كثيرة كما استعاذ من طوارق الدهر وقوله
فلو رخص الله الى قوله التواضع استدلال على تحريم الكبر مطلقا وانه لا يرخص فيه لاحد من خلق الله بقياس شرطي متصل ووجه الملازمة
فيه ان الانبياء خواص الله واحباؤه واهل طاعته فلو كان له فيه رخصة لم يجعلها الا لهم وتقدير الاستثناء فيه لنقيض التالي لكنه
لم يرخص فيه لهم فينتج انه لم يرخص فيه لاحد من عباده لكنه حذف هنا استثناء النقيض واستثنى بعض لوازمه وهو تكريهه التكابر اليهم
وذلك بوعيده للمستكبرين على الكبر ثم برضى التواضع لهم وذلك بامرهم فيه كما قال تعالى واخفض جناحك للمؤمنين ونحوه وقوله
فالصقوا الى قوله مستضعفين اشارة الى امتثالهم لما امرهم به من التواضع وموافقتهم له فيما رضيه لهم فالصاق خدودهم بالارض
وتعفير وجوههم اشارة الى معاملتهم له في عبادته مع انفسهم وخفض اجنحتهم للمؤمنين وكونهم اقواما مستضعفين اشارة الى
معاملتهم له في خلقه ولفظ الاجنحة مستعار من الطائر لجانب الانسان وجانبه باعتبار ما هو محل البطش والقوة وخفض الجناح
كناية عن لين الجانب وقال ابن عباس في قوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين اي ارفق بهم ولا تغلظ عليهم قال والعرب تقول
لمن كان ساكنا وقورا انه خافض الجناح وقوله قد اختبرهم الى قوله بالمكاره اشارة الى ابتلائهم بانواع الشقاوة الدنيوية
من الجوع والمشاق والمخاوف والمكاره والتنفير بها عن الدنيا للاقبال عليه تعالى ومحبته لما عنده من الثواب الجزيل وقد علمت معنى
ابتلائه تعالى لعباده واختباره لهم غير مرة وقوله فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد الى قوله الاقتار اي لا تعتبروا رضاه تعالى
عن عباده باعطائه لهم المال والولد وسخطه عليهم بمنعهم ذلك وكانه جواب اعتراض مقدر كان قائلا قال فاذا كانوا هؤلاء خواصه
واهل طاعته ورضاه فلم امتحنهم بالشدائد وابتلاهم بالمخاوف والمكاره ولم يعطهم الاموال والاولاد كما قال فرعون لموسى ع فلولا القي
عليه اسورة من ذهب وكما قالت كفار قريش او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها فاجاب بان ذلك توهم للجهل بمواقع الفتنة
والاختبار في مواضع الغنى والاقتار اي ان الاختبار كما يكون بالفقر والمشاق والمكاره كذلك يكون بالمال والولد وليس المال
والولد وليس المال والولد من الخيرات التي تعجل في الدنيا لمن يعطيها كما يزعمون واستشهد على ذلك بقوله تعالى ايحسبون
انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون اي يحسبون انا نتعجل في تقديم ثواب اعمالهم لرضانا عنهم ببسطنا لهم
الرزق واكثار اموالهم واولادهم بل لا يعلمون ان ذلك استدراج لهم من الله ومحنة وبلاء وجهلا نصب على المفعول له وقوله فان الله
سبحانه يختبر عباده المستكبرين الى قوله في اعينهم كلام منقطع يبتدئ على ابتداء ويكون متصلا بما قبله وتفصيل الرضى ذكره بينه وبين
ما قبله بصفة لكنه بيان لنوع اخر من ابتلاء الله تعالى لعباده المستكبرين في انفسهم واختبارهم لاوليائه المستضعفين و
هم الانبياء في اعينهم اي في اعين المتكبرين فهو في معنى قوله ما قبله وفيه تنبيه على بعض اسراره تعالى في خلقه لسان انبيائه و
اوليائه مستضعفين وهوان مبتلى بهم المستكبرين من عباده في الارض كما سيشير اليه في الحكمة في خلقهم كذلك ثم ضرب مثل
ذلك الابتلاء في موسى وهرون عليهما السلام حين دخلا على فرعون يدعوانه الى الله تعالى وذلك قوله ولقد دخل الى قوله والذلة
روى الطبري في تاريخه ان موسى وهرون قدما مصر حين بعثهما الله الى فرعون فمكثا سنتين يغدوان على بابه ويروحان
يلتمسان الاذن عليه فلا يعلم بهما ولا يجترئ احد ان يخبره بشانهما وكانا يقولان في الباب انا رسول رب العالمين الى فرعون حتى
دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال ايها الملك ان ببابك رجلا يقول قولا عجيبا ويزعم ان له الها غيرك فقال ادخلوه
فدخل وبيده عصاه ومعه اخوه هرون فقال انا رسول رب العالمين وذكر تمام الخبر وصورة قصتهما ومحاورتهما مستوفى في القرآن
الكريم كسورة الشعراء والقصص وغيرهما والذي ذكره ع منها واضح بين وقال كعب كان موسى ع من رجال شنوءة وكان آدم طوالا
وكان اخوه هرون اطول منه واكثر لحما واشد بياضا واغلظ الواحا واسن من موسى بثلث سنين وكانت في جبهة هرون شامة
وفي طرف ارنبة موسى شامة وعلى طرف لسانه شامة ولم يعرف احد قبله ولا بعده كذلك قال وهي العقدة التي ذكرها واسمه
الوليد بن مصعب وانكر غيره ذلك وقالوا هو غيره وفرعون يوسف قبل موسى وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة وبقي موسى بعده
ثلث سنين ومات في سنه يوم مات فاما شرطهما له بقاء ملكه باسلامه فلما علمه من كون النواميس الشرعية والتمسك بها
والعمل بمقتضاها ناظمة لحال ابناء النوع الانساني وسببا للتعاون لصلاح معاشهم ومعادهم وبانتظام شمل مصالحهم باستعمال
تلك القوانين تكون بقاؤهم وثبات دولهم وملكهم ودوام عزهم فاما استنكاره لشرطهما له دوام العز والملك باسلامه
وتعجبه منهما في ذلك فمستنده لاعتقاده الجهل ان مبدأ التمكن من ذلك الشرط والقدرة على الوفاء به هو الغنى وجمع المال

الله ثم قال فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر اكثر من اربع مائة سنة و

فلذلك

في بيان الخطبة القاصعة

فلذلك اختبرهما من حيث كانا بزي الفقر والذل ولبس الصوف ولم يبن عليهما ثمار الغنى والمال وهو التحلي باساورة الذهب فكان اعظام الذهب
ولبسه الذي هو شعار الغنى واحتقار الصوف ولبسه مما هو شعار الفقر سببا حاملا له على ذلك الاستكبار والتعجب قوله ولو اراد
الله سبحانه بانبيائه الى قوله معاينها قياس شرطي من الشكل الاول من متصلتين احديهما قوله ولو اراد الله الى قوله لفعل والثانية
قوله ولو فعل لسقط البلاء الى اخره والنتيجة انه لو اراد الله بانبيائه ذلك لزمت المحالات المذكورة بيان الملازمة في الصغرى ان
الامور المعدودة وهي فتح كنوز الذهب ومعادنه ومغارس الجنان وحشر الطير والوحش امور ممكنة في انفسها والله سبحانه قادر على
جميع الممكنات وعالم بها فلو حصل مع قدرته عليها ارادته وقوعها عن قدرته كان مجموعها مستلزما لوقوعها عنها واما الكبرى فانه
جعل مقدمها وهو فعله لتلك الامور ملزوما لامور خمسة احدها انه كان يسقط البلاء اي ذلك البلاء المشار اليه وهو بلاء
المتكبرين بالمستضعفين من اولياء الله وهو ظاهر اذ لا مستضعف حينئذ وذلك ان الانبياء ع كانوا ينقطعون الى الدنيا
ح عن جناب الله فينقطع عنهم الوحي كما سيشير اليه ع وح ينقطع الابتلاء بهم وبما اتوا به من التكليف وكذلك يسقط بلاء الانبياء
بالفقر والصبر على اذى المتكبرين من المكذبين لهم بانواع الضرب والقتل الثاني وكان يبطل الجزاء اي جزاء العبادات والطاعات اما
لسقوط البلاء بها ولان الطاعات اذن تكون عن رهبة او رغبة فيسقط الجزاء الاخروي عليها وكذلك يبطل جزاء الانبياء الذي
كانوا يستحقونه بحسب فقرهم وصبرهم عليه الثالث وكان يضمحل الانباء اي الاخبار الواردة من قبل الله تعالى على السنة رسله والوحي
اليهم وذلك لما علمت ان الدنيا والاخرة ضرتان بقدر ما يقرب من احدهما يبعد عن الاخرى والانبياء ع وان كانوا اكمل الخلق
نفوسا واقواهم استعدادا لقبول الكمالات النفسانية كما اشرنا اليه الا انهم يحتاجون ايضا الى الرياضة التامة بالاعراض عن الدنيا
وطيباتها وهو الزهد الحقيقي والى تطويع نفوسهم الامارة بالسوء لنفوسهم المطمئنة بالعبادة التامة كما هو المشهور من احوالهم فان
رسول الله ص كان يربط على بطنه الحجر من الجوع ودفعه المشبع لا لانه كان لا يقدر على شيء ياكله وكان يرقع ثوبه لا لعدم
قدرته على ثوب يلبسه وكان يركب الحمار العاري ويردف خلفه لا لعجزه عن فرس يركبه وغلام يمشي معه وكيف وقد روي
وبيده هذه القطعة العظيمة من المعمورة بل ذلك وامثاله مما يحكيه عنه ع في اخر هذه الخطبة لزهادته في الدنيا واعراضه عن متاعها
في اخر هذه الخطبة وزينتها لانه ص وجد من الكمالات العقلية والموعودة ما هو اشرف واعلى من هذه الكمالات الحسية الفانية وعلم
ان الوصول الى تلك الكمالات لا يتم ولا يتحقق الا بالاعراض عن هذه فرفض بها ما هو اخس لتحصيل ما هو اشرف ولذلك قام
في العبادة حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله الم قد بشرك الله بالجنة فلم تفعل ذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا وذلك
لعلمه ان الاستعداد بالشكر يقتضي كمالا اعلى وازيد مما اوتي واذا كان حال اشرف الانبياء واكملهم كذلك فما ظنك بسائرهم ع ونعلم
ان تركهم للدنيا وعدم اشتغالهم بها شرط في بلوغهم درجات الوحي والرسالة وتلقي اخبار السماء وانهم لو خلقوا منغمسين في الدنيا
وفتحت عليهم ابوابها فاشتغلوا بغيتها لانقطعوا اليها عن حضرة جلال الله واضمحل بسبب ذلك عنهم الانباء وانقطع عنهم الوحي
وانحطوا عن مراتب الرسالة وقال بعض الشارحين اراد باضمحلال الانباء سقوط الوعد والوعيد والاخبار عن احوال الجنة
والنار واحوال القيامة وهو لازم من لوازم سقوط النبوة فيكون راجعا الى ما قلناه الرابع وكان لا يجب للقابلين اجور المبتلين
اي القابلين كلام الانبياء لانه اذا سقط البلاء عنهم لم يكن لهم اجر المبتلين وكذلك لا يجب للقابلين النبوة منهم اجور المبتلين بالتكذيب
والاذى الخامس وكان لا يستحق المؤمنون ثواب المحسنين بمجاهدة الشيطان عنها لعدم تطهيرها عن الرذائل وتحليتها بالفضائل
وذلك لان ايمانهم بهم يكون عن رغبة او رهبة كما علمته لا عن حقيقة واخلاص لله السادس ولا لزمت الاسماء معانيها وروي بنصب
الاسماء على ان تكون هي المفعول ومعانيها الفاعل والمعنى انه لم تكن المعاني لازمة للاسماء فمن سمي بها مثلا من سمي مؤمنا لا يكون
معنى الايمان الحق لازما لاسمه حينئذ لان ايمانه يلبسا انه وقع عن رغبة او رهبة وكذلك من سمي مسلما او زاهدا بل من سمي نبيا
او رسولا لا يكون في الحقيقة كذلك لانقطاع النبوة والرسالة عنه وفي نسخة الرضي ره برفع الاسماء والمراد انها كانت تنفك
عنها فتصدق الاسماء بدون مسمياتها وهو كالاول وبيان هذه اللوازم ظاهر وكبرى القياس في النتيجة انه متصلة مقدمها
قوله لو اراد الله الى قوله الاربعين وتاليها قوله لسقط البلاء الى قوله معانيها وحاصل النتيجة انه كان يلزم من ارادته تعالى بانبيائه
تلك الامور وقوع جميع هذه المفاسد ثم يرجع البيان الى استثناء نقيض تالي هذه النتيجة لاستثناء نقيض مقدمها وهو ان
هذه المفاسد لم توجد وليست مما ينبغي ان توجد فلذلك لم يرد بهم تلك الامور وقوله ولكن الله سبحانه جعل رسله الى قوله
الاذى كالاستثناء لنقيض مقدم النتيجة المذكورة ذكره بعد بيان انه لما كان الله تعالى كما لم يرد بعث انبيائه على تلك الوجه اراد بعثهم على
هذا الوجه وهو ان جعلهم اصحاب قوة في عزائمهم واجماع على انفاذ امره وتبليغ رسالات ربهم ولذلك سموا اولوا
العزم لضاعف عزائمهم وقوتهم في دين الله بالقتال والجهاد والصبر على الاذى وجعلهم مع ذلك ضعفة فيما ترى الاعين من حالهم

في بيان الخطبة القاصعة

من المسكنة والذل والفقر والقناعة والصبر على العري والجوع واتساعا وصفت الملائكة القناعة بهما استلزامها القوة عنائهم وغناهم عن
حاجتهم الى شيء من متاع الدنيا بحيث لا تمتد عيونهم ولا عيونهم الى شيء من زينتها وفيئاتها فكانها قد امتلأت فلا تتسع لشيء
من دونه مطلبه وكذلك الخصاصة ضد الغنى استلزامها الفقر الاذى في اسماعهم وابصارهم الجوع المفرط مستلزم لاذى فان من
المؤمنين لضلال الارواح الحاملة لها وضعفهما فكان الاذى حشو ابصارهم واسماعهم بحيث لا يتسع لغيره كل ذلك طلب لكمال الاستعداد
لما علمت ان البطنة تذهب الفطنة وتورث القسوة وتزيل الرقة وتستلزم رذائل كثيرة لا تزول الا بالخصاصة والقناعة فضيلة
من العفة وقوله ولو كانت الانبياء مقتضية متصلة اخرى هي كبرى قياس من الشكل الاول ايضا متصلتين مقدم الصغرى منهما هو
مقدم كبرى القياس الاول وهو قوله ولو فعل وتنبه على تاليها بعد تمام هذه الكبرى وتقديرها الكلام ولا ترفع لو فعل بانبيائه لما
ذكرناه لكانوا اهل قوة لا ترام وعزة لا تضام وملك تمد نحوه الاعناق ولو كانوا كذلك لكان في كونهم كذلك مفاسد احدها ما اشار
عليه من العز والملك اهون على الخلق واسهل من حيث ان اعتبارهم لا يدعوهم اليه اسهل ولجاءهم اليه [illegible] اسرع لانكانت الملوك
في انفسها الخلق اهلا لان يطاعوا فلا تضعف عليهم اجابتهم كما تضعف اجابة الفقير على من يدعونه من المتكبرين الثاني وابعد لهم عن
الاستكبار [illegible] لان الملوك ابعد من ان يتكبر عليهم الناس وبها يعتوا من كل منهم فح لم يكن للخلق ثواب من ترك رذيلة الكبر في
مجاهدة نفسه في ترك الرذيلة الثالث لكانوا منقادين رهبة قاهرة لهم اي على الايمان او رغبة مائلة بهم اليه فلم يكن نياتهم ولا حسناتهم
خالصة لله بل هي مشتركة ومقتسمة بعضها لله وبعضها للرغبة وبعضها للرهبة وح لا يكون لهم ثواب من جاهد ابليس فقهره ونحو ذلك
وسوسته المجاذبة عن سبيل الله واستعد بذلك للخيرات الباقية وقوله وتمد نحوه اعناق الرجال وتشد اليه عقد الرحال كنايتان
عن قوته وعظمته لان الملك لما كان عظيما امتدت اليه الآمال فيه وتوجهت نحوه وامتدت اعناق الرجال اليه بالرجاء وشدت عقد الرحال اليه وقوله ولكن
الله سبحانه الى قوله شائبة كالمقدمة الصغرى في بيان القسم الاخير من التالي اي ليس مما ينبغي ان يكون ويريده الله تعالى كانه قال لو جعل الله
تعالى الانبياء اهل الملك والعز لكان ايمان الخلق بهم اما لرغبة او رهبة فكانت النيات والايمان والعبادة منهم مشتركة غير خالصة لله
وذلك مفسدة ليس مما ينبغي ان تكون ولا ان يريده الله تعالى لانه تعالى انما اراد ان يكون ايمانهم بالرسل واتباعهم [illegible]
من كتبه وامرها يمن الخشوع لوجهه والاستكانة لامره والاستسلام لطاعته امورا له خاصة لا يشوبها من غيرها شائبة رغبة ورهبة
وتقدير الكبرى وكلما اراد الله الخاصة له فليس مما ينبغي ان يكون مشتركا بينه وبين غيره ولا مشوبا بشائبة رغبة او رهبة وقوله وكلما
كانت البلوى الى قوله اجزل يحتمل ان يكون كبرى قياس بين بها ان الاجزاء الثلاثة للتالي وهو قوله لكان ذلك اهون على الخلق ليس
مما ينبغي ان يكون وتقدير البيان ان ذلك مستلزم كون الاعتبار معه اهون على الخلق وان يكونوا معه ابعد عن الاستكبار وان يؤمنوا
عن رغبة او رهبة وهذه الامور ليس مما ينبغي ان تكون وانما قلنا ذلك لان نقايضها وهي مشقة الاعتبار على الخلق وقربهم من
الاستكبار وخلوص ايمانهم لله مما ينبغي ان يكون وذلك لان مع هذه الامور يكون البلوى والاختبار عليهم اعظم وذلك هو صغرى
القياس ثم نقول وكلما كانت البلوى والاختبار لهم اعظم كانت المثوبة والجزاء على الايمان والطاعة موافقة لتلك البلوى اجزل
فينتج انه مع مشقة الاعتبار والقرب من الاستكبار واخلاص الايمان تكون المثوبة لهم والجزاء على الايمان والطاعة اجزل ويحتمل ان يكون
من تمام الايمان البيان الاول كانه قال ويكثر نعم ان تكون هذه الامور خالصة له لا يشوبها شائبة وكذلك الاخلاص وان كانت
فيه مشقة وكانت البلوى فيه عظيمة الا انه كلما كانت البلوى اعظم كان الثواب فيها اجزل ثم ردف ذلك بالتنبيه على صدق هذه
القضية بالمثال وذلك قوله الا ترون الى قوله وصله الى جعله [illegible] بالاحجار التي بني بها البيت الحرام وقوله جعله للناس قياما اي مقيما
لامر الناس في الاخرة يقال فلان قيام اهله وقوام بيته اذا كانت به استقامة احوالهم وكون مكة اقل بقاع الارض مدرا لان الحجر اغلب عليها
[illegible] البيت في معرض الذم لانها ايضا مما لا يزكو بها الدواب لا تسمن ذوات الحافر ويشح فيها وتتعب في المشي بها قال الشارح
والمراد بالخف والحافر والظلف دوابها وهي الجمال والخيل والغنم والبقر مجازا اطلاقا لاسم الجزء على الكل او على تقدير ارادة المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه والمراد بكونها لا تزكو اي لا تسمن وتزيد للجدب وخشونة الارض والضمير في به راجع الى [illegible] او عن
الموصوف فانه اراد بوادا او بقاع الارض حجرا كما قال ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم وقوله ثم امر ادم وولده
ان يثنوا اعطافهم نحوه قد دل كلامه عليه ان البيت الحرام كان منذ ادم والتواريخ شاهدة بذلك وقال الطبري روي عن ابن عباس
ان الله تعالى اوحى الى ادم لما اهبطه الى الارض ان لي حرما حيال عرشي فانطلق فابن لي بيتا فيه ثم طف به كما رايت ملائكتي يحفون بعرشي فهنالك
استجيب دعاءك ودعاء من يحف به من ذريتك فقال ادم اني لست اقوى على بنائه ولا اهتدي اليه فبعث الله تعالى ملكا فانطلق به نحو مكة فكان
ادم كلما راى روضة او مكانا يعجبه سأل الملك ان ينزل به هناك ليبني فيه فيقول له الملك ليس ههنا حتى اقدمه مكة فبنى البيت
من خمسة جبال طور سينا وطور زيتون ولبنان والجودي وبنى قواعده من حراء فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فاراه

المناسك

او مشوبا بغيره [illegible]

فينتج انه لو فعل بانبيائه ما ذكرناه لزمت مفاسد [illegible] احدها ذلك

فينتج ان ايمانهم ما [illegible] ليس مما ينبغي ان يكون مشتركا

في بيان الخطبة الصغرى

٣٠ ج

المناسك كلها التي يفعلها الناس اليوم ثم تقدم به مكة وطاف بالبيت اسبوعا ثم رجع الى ارض الهند وقيل انه حج من ارض الهند على رجليه الى الكعبة
اربعين حجة وروى عن وهب بن منبه ان آدم لما اهبط قال يا رب اما لارضك هذه عامر يسبحك فيها ويقدسك غيري فقال الله
انى ساجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدسني وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكري يسبحني فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وساجعل
من تلك البيوت بيتا اخصه بكرامتي واوثره باسمي فاسميه بيتي وعليه وضعت جلالي وخصصته بعظمتي وانا مع ذلك في كل شيء ومع كل
شيء اجعل ذلك البيت حرما امنا يحرم بحرمته من حوله وما حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه بحرمتي فقد استوجب كرامتي ومن اخاف
اهله فقد اباح حرمتي واستحق سخطي واجعله بيتا مباركا ياتيه بنوك شعثا غبرا على كل ضامر من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا
ويعجون بالتكبير عجيجا من اعتمده لا يريد غيره ووفد الي وزارني واستضاف بي اسعفته بحاجته وحق على الكريم ان يكرم وفده
واضيافه تعمره يا آدم ما دمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ثم امر آدم ان ياتي البيت الحرام فيطوف
به كما كان يرى الملائكة تطوف حول العرش وبقي اساسه بعد طوفان نوح فبواه الله لابراهيم فبناه ولنرجع الى المتن فنقول اذكر بيتا معظما
نحوه من اطرافه ثم اليه وقصدهم له وقوله وضا مثابة لتنجع اسفارهم اي مرجعا للناس يرجع من اسفارهم اي لطلب المغفرة والخصب كما
قال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وكقوله تعالى ليشهدوا منافع لهم ويذكروا وذلك انه مجمع الخلق وبه يقام الموسم ايام الحج
فيكون فيه التجارات والارباح كما اشرنا اليه في الخطبة الاولى وكذلك كونه غاية لملتقى رحالهم اي مقصد القصد وقوله تهوي اليه
ثمار الافئدة اي تميل وتنبسط بهوى الافئدة ميولها وحنينها الا انه لما كان الذي يميل الى الشيء ويحبه كانه يسقط اليه لا يملك
نفسه استعير لفظ الهوى الحركة الى المحبوب والنهي اليه واما ثمار الافئدة فقال بعض الشارحين ثمرة الفؤاد سويداء القلب ولذلك
يقال للولد ثمرة الفؤاد واقول يحتمل ان يكون لفظ الثمار مستعارا للخلق باعتبار ان كلا منهم محبوب لاهله وابائه فهو كالثمرة الحاصلة
لافئدتهم من حيث هو محبوب لهم كانت منه ثم وحبهم له فاذا ثمرته من حيث انها افادت تربيته والعناية به حتى استوى انسانا
كاملا ويحتمل ان يريد ثمار الافئدة الاشياء المحبة المجتبية من كل شيء كما قال تعالى يجبى اليه ثمرات كل شيء وحسن اضافتها الى الافئدة
انها لما كانت محبوبة ومطلوبة للافئدة التي هي محبتها كما تحصل الثمرة عن اصلها اضيفت اليها والاضافة يكفي فيها ادنى سبب
ونحوه قوله تعالى واجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات ولما استعار لفظ الهوى رشح بذكر المهاوي اذ من شان
الهوي ان يكون له موضع وعميقة الفجاج كما قال تعالى ياتين من كل فج عميق ووصفها بالعمق باعتبار طولها والانحدار فيها من اعالي البلاد
الى مكة ووصف الجزائر بالانقطاع لان البحر يقطعها عن سائر الارض والبحار ويحيطها وحتى غاية من قوله تهوي بمعنى الى ان
كنى بهزها مناكبهم عن حركاتهم في الطواف بالبيت اذ كان ذلك من شان المطوف به وهزه والجمع ذلل والنصب على الحال من الضمير في تهز
وقال بعضهم يحتمل ان يكون من مناكبهم وكذلك موضع يهللون النصب على الحال وكذلك شعثا وغبرا من الضمير في يرملون وكنى بنبذهم السرابيل
وراء ظهورهم عن طرحها وعدم لبسها وتشويههم باعفاء الشعور محاسن خلقهم لان حلق شعر المحرم او نظفه والتنظيف عنده حرام يجب منه
الفدية وظاهر ان اعفاء الشعور يستلزم تقبيح الخلقة وتشويهها وتغيير ما هو معتاد من تحسينها بحلقه وازالته وقوله ابتلاء وامتحانا
واختبارا وتمحيصا منصوبات على المفعول له والعامل فيه قوله امر الله ادم ويحتمل ان يكون على المصدر لكل من فعله وعقد بعده الالفاظ
وان كانت مترادفة على معنى واحد تاكيدا وتقريرا لكون الله تعالى شدد عليهم في البلوى بذلك ليكون استعدادهم بذلك التقوى العظيم الثواب
اتم واشد فيكون الجزاء لهم افضل واجزل ولذلك قال جعله سببا لرحمته ووصلة الى جنته اي سببا معدا لافاضة رحمته يستلزم الوصول
الى جنته وقد تاكد هذا المثال صدق قوله وكلما كانت البلوى والاختبار اعظم كان الثواب اجزل لان الله سبحانه لما اختبر عباده بامر
الحج ومناسكه التي يستلزم شقاء الابدان واحتمال المشاق الكثيرة المتعبة في الاسفار من المسافات البعيدة وترك مفاخر الدنيا
عنده ونزع التكبر حتى كانه لم يوضع الا لخلع التكبر من الاعناق مع ما في جزئيات مناسكه ومباشرتها من المشاق المتكلفة مع كونه كما ذكر احجارا
لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر لا جرم كان الاستعداد به لقبول اثار الله وافاضة رحمته اتم من اكثر وجوه الاستعدادات لسائر العبادات
فكان الثواب عليه والرحمة النازلة بسببه اتم واجزل وقوله ولو اراد الله الى قوله ضعف البلاء صغرى قياس ضمير استثنائي حذف
استثنائيه وهي نتيجة قياس اخر من متصلتين تقديره صغراهما انه لو اراد ان يضع بيته الحرام بين هذه المواضع الحسنة البهجة لفعل وتقدير
الكبرى ولو فعل لكان يجب منه تصغير قدر الجزاء على قدر ضعف البلاء وتقدير استثناء هذه المتصلة لكنه لا يجب منه ذلك ولا يجوز
لان مراد العناية الالهية مضاعفة الثواب وبلوغ كل نفس غاية كمالها وذلك لا يتم الا بكمال الاستعداد بالشدائد على المشاق فلا اذن
لم يرد ان يجعل بيته الحرام في تلك المواضع لاستلزامها ضعف البلاء وكنى بدنو الثمار عن سهولة تناولها وحضورها وبالتفاف البنى
عن تقارب بعضه من بعض والبرة واحدة البر وقد يقام مقام اسم الجنس فيقال هذه برة حسنة ولا يراد بها الحبة الواحدة والغضا
الثمرة لطالان وصفها بعد الخضرة النضرة وقوله ولو كانت الاساس الى قوله من الناس في تقدير قياس ضمير استثنائي كالذي قبله

في بيان الخطبة القاصعة

وتخصيصه انه تعالى لو جعل الاساس المحمول عليها بيته الحرام من هذه الاحجار المنيرة المضيئة لخفف ذلك مضارعة الشك في الصدق ولو ابرزه
شك الخلائق في صدق الانبياء وعدم صدقهم وشكهم في ان البيت بيت الله وابلغ انه على تقدير كون الانبياء على الحال المشهور من الفقر
والذل وكون البيت الحرام من هذه الاحجار المعتادة يقوى الشك في كونهم رسلا من عند الله وفي كون البيت بيتا له وعلى تقدير
كونهم في الملك والعز وكون البيت من الاحجار النفيسة المذكورة ينبغي ذلك الشك اذ يكون ملكهم ونفاسة تلك الاحجار من
الامور الجاذبة اليهم والداعية الى محبتهم والمسارعة الى تصديقهم والحكم بكون البيت بيت الله لمناسبته في كماله ما ينسبه الانبياء الى
الله سبحانه من الوصف بالكمال طرفي النقيض لكون الخلائق اميل الى المحسوس واستعار لفظ المضارعة هنا للمقاربة بين الشك وصدق الانبياء
والشك في كذبهم فان كلا منهما يترجح على الاخر وكذلك كان وضع مجاهدة ابليس عن القلوب لان الايمان بكونه بيت الله ينبغي حينئذ والعضد
اليه لا يكون عن مجاهدة ابليس في تصديق الانبياء في ذلك وفي وجوب عبادة الله بل لعزة البيت وحسن بنيانه وميل النفوس الى
شريف جواهره لكن هذه الامور وهي مضارعة الشك ومجاهدة ابليس ومعالج الريب لا تخف ولا تنفى لكونها مرادة من الحكمة الالهية
لاعداد النفوس بها لنيل الكمالات الباقية واستعدادات الاثابة فلذلك لم يجعل بيته من تلك الاحجار النفيسة وقوله
ولكن الله يختبر عباده الى قوله المكاره استثناء لعلة النقائض المذكورة فيقوم مقام استثناء مضارعة الشك ومجاهدة ابليس من جملة انواع
الشدائد والوان المجاهد والمشاق والمكاره لعباده بها علة لوجودها وقوله اخراجا للتكبر الى قوله العفو اشارة الى كونها اسبابا غائية
من العنايات الالهية لاعداد النفوس لاخراج الكبر منها واسكان التذلل والتواضع فيها والى كونها اسبابا معدة لفضله و
عفوه واستعار لفظ الابواب لها باعتبار الدخول منها الى رضوان الله وثوابه ولفظ الذلل لكون الدخول منها الى ذلك سهلا للمستعد
لها ثم عاد الى التحذير من الله في البغي والظلم وعاقبته وحاصل الكلام انه جعل البغي محل الهلاك عنده وسوء عاقبة الكبر محل التحذير
من الله تعالى وذلك باعتبار وعيده ثم عند التلبس بالبغي والظلم في تلك الحال الى ما يستلزمه من الهلاك في الاخرة وما يستلزمه الكبر من
سوء العاقبة والضمير في قوله فانها قال السيد فضل الله الراوندي رحمه يعود الى الجملة من البغي والظلم والكبر وانما جرها ذكر وقال
غيره الضمير للكبر وانما انثه باعتبار جعله مصيدة للكبر باعتبار انه يصير الداخل فيه من حزب ابليس وفي قبضته كالشبكة وحبائل الصائد
ووصفها بالعظم باعتبار قوته وكثرة ما يستلزمه من انواع البلاء وكذلك استعار له لفظ المكيدة الكبرى باعتبار ما هو سبب قوي في جذب
الخلائق الى الباطل وصدهم عن طريق الله كالحبالة وكذا عدو واستعار لفظ وصف المساورة له باعتبار مواثبته النفوس ومقابلته لها بالكبر
وذلك انه تارة يلقي اليها تحسين الكبر وتزيينه فينفعل عنه وتقبل الكبر وذلك هي المساورة من جانبه وتارة تقوى النفس عليه فترده
وسوسته بعزه وذلك هو الشبه من قبلها ثم شبه مساورته للقلوب بالكبر بمساورة السموم القاتلة للطبيعة البدنية وكنى عن وجه
التشبيه بقوله فما يكدي ابدا ولا يشوي احدا اي ان مساورته بالكبر لا تكاد تبطل بل يلها ما ثبتا دائما من العقول ويمنع تأثيرها في النفوس
كما لا يكاد يقاوم مواثبة السموم القاتلة من طبائع الحيوان ولا تكاد تخطئ المقاتل كما لا تخطئ السموم وحي كانها في الابدان مقاتلها
ويحتمل ان يكون وجه الشبه كون مساورته بالكبر قوية كمساورة السموم للابدان ويكون قوله لا يكدي ابدا ولا يشوي احدا استعارة
لوصفي السم الذي لا يكاد يدفع وهو القاتل ولا يخطئها لتلك المساورة باعتبار انها لا تخطئ بسمها القلوب سيما الكبر والبغي وشبهها
ما يلقي من الوساوس المهلكة وقوله لا عالما لعلمه ولا مقلا في طمره اي ان هذه الرذيلة تؤثر في نفس العالم على علمه والفقير في فقره فلا
يرده العالم بعلمه انها رذيلة ولا المقل الفقير في طمره لما نافاه حال فقره وقلته وعدم الكبر وقوله وعن ذلك ما حرس الله الى قوله تذللا
تنبيه على الامور التي حرس الله تعالى بها عباده من هذه الرذيلة وجعلها اسبابا للاحتراز من نزغات الشيطان بها واشار الى ثلاثة منها وهي
الصلوات والزكوة ومجاهدة الصيام في الايام المفروض صومها اما الصلوات فلكونها باجزائها واوضاعها منافية للكبر اذ كان
مدارها على تضرع وخضوع وخشوع وركوع وكل واحد من هذه الاجزاء بكيفياته وهيئاته موضوع على التذلل والتواضع والاستسلام
لعزة الله وعظمته وتصور كماله وتذكر وعده ووعيده وهول الموقف بين يديه وكل ذلك ينافي الكبر والتكبر والتعظم والى ذلك
اشار بقوله تسكينا لاطرافهم وتخشيعا لابصارهم الى قوله تصاغرا ونصب تسكينا وتصغيرا وتخشيعا وتذليلا وتخفيضا واذهابا على
المفعول له والعامل ما دل عليه قوله حرس من معنى الامر اي حرسهم بهذه وامرهم بكذا وكذا وانتصب تواضعا وتصاغرا والعاملان
المصدران تعفيرا والصاقا فاما الزكوة فوجه منفعتها في دفع هذه الرذيلة امران احدهما انها شكر النعمة المالية كما ان العبادات البدنية
شكر للنعمة البدنية وظاهر ان شكر النعمة مناف للتكبر على المنعم والاستنكاف عن عبادته الثاني ان من وجبت عليه الزكوة بمقدور
قدرة موجبها وسلطانه وقهره على اخراجها فينفعل عن حكمه وينتهي بنهيه وامره مع تصوره لعظمته المطلق وذلك مناف للتكبر و
الاستنكاف عن عبادته واما مجاهدة الصيام فلما فيها من المنفعة الشاقة ومكابدة الجوع والعطش في الايام الصيفية كما كنى عنه
بقوله والصاق البطون بالمتون من الصيام والادمان في كل تلك الاحوال متصور لجلال الله وعظمته وانه انما يفعل ذلك امتثالا

لوبعثه

في بيان الخطبة القاصعة

للجبابرة وخضوعا لعزة سلطانه وذلك مناف للكبر والترفع وقد علمت ما في الصوم من كسر الشهوة الداعية الى السوء كما قال ﷺ ان الشيطان ليجري
من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان وسيلة الشيطان هي الشهوات ومبدأ الشهوات وقوتها الغذاء وقلة الاكل والشرب
يضيق مجاريه ويقهره ويكسر نواجم وسوسته ثم يزايل عن العبد ويسكن بسكونها الاطراف التي يبدأ بها الوساوس ويخشع الابصار
ويذلل النفوس ويخفض القلوب وقوله وما في الزكوة الى قوله الفقير اشارة الى سر من اسرار الزكوة وهو ظ وقد ذكرنا اسرارها مستقصا
في الفصل الذي اوله ان افضل ما توسل به المتوسلون الى الله امر باعتبار ما في هذه الافعال اي التي تقع في الصلوة والزكوة والصيام
من تعفير عتائق الوجوه والصاق كرائم الجوارح ومس الايدي والارجل ولحوق البطون بالمتون الى غير ذلك من الافعال المستلزمة
للتواضع والتذلل تاكيدا لما قرره اولا من كون هذه العبادات حارسة لعباد الله عن مصائد الكبر وبالله التوفيق الفصل الرابع
في توبيخهم على العصبية من غير سبب يعرف او حجة يقبلها عقل وامرهم بالتعصب لمحامد الاخلاق ومكارمها وتحذيرهم من العقوبات النازلة
بمن قبلهم من الامم والنظر في ما قبلهم وغير ذلك من الامور والمواعظ وذلك قوله ولقد نظرت فما وجدت احدا من العالمين يتعصب
لشيء من الاشياء الا عن علة تحتمل تمويه الجهلاء او حجة تليط بعقول السفهاء غيركم فانكم تتعصبون لامر ما يعرف له سبب ولا علة
اما ابليس فتعصب على آدم لاصله وطعن عليه في خلقته فقال انا ناري وانت طيني واما الاغنياء من مترفة الامم فتعصبوا
لآثار مواقع النعم فقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فان كان لا بد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الاخلاق
ومحامد الافعال ومحاسن الامور التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل بالاخلاق الرغيبة
والاحلام العظيمة والاخطار الجليلة والآثار المحمودة فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام والطاعة للبر والمعصية
للكبر والاخذ بالفضل والكف عن البغي والاعظام للقتل والانصاف للخلق والكظم للغيظ واجتناب الفساد في الارض واحذروا
ما نزل بالامم قبلكم من المثلات بسوء الافعال وذميم الاعمال فتذكروا في الخير والشر احوالهم واحذروا ان تكونوا امثالهم فاذا
تفكرتم في تفاوت حاليهم فالزموا كل امر لزمت العزة به حالهم وزاحت الاعداء له عنهم ومدت العافية فيه بهم وانقادت
النعمة له معهم ووصلت الكرامة عليه حبلهم من الاجتناب للفرقة واللزوم للالفة والتحاض عليها والتواصي بها واجتنبوا كل
امر كسر فقرتهم واوهن منتهم من تضاغن القلوب وتشاحن الصدور وتدابر النفوس وتخاذل الايدي وتدبروا احوال الماضين
من المؤمنين قبلكم كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء الم يكونوا اثقل الخلائق اعباء واجهد العباد بلاء واضيق اهل الدنيا
حالا اتخذتهم الفراعنة عبيدا فساموهم سوء العذاب وجرعوهم جرع المرار فلم تبرح الحال بهم في ذل الهلكة وقهر الغلبة لا يجدون
حيلة في امتناع ولا سبيلا الى دفاع حتى اذا رأى الله سبحانه جد الصبر منهم على الاذى في محبته والاحتمال للمكروه من خوفه
جعل لهم من مضايق البلاء فرجا فابدلهم العز مكان الذل والامن مكان الخوف فصاروا ملوكا حكاما وائمة اعلاما وبلغت
الكرامة من الله تعالى لهم ما لم تذهب الآمال اليه بهم فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء مجتمعة والاهواء مؤتلفة والقلوب
معتدلة والايدي مترادفة والسيوف متناصرة والبصائر نافذة والعزائم واحدة الم يكونوا اربابا في اقطار الارضين وملوكا على
رقاب العالمين فانظروا الى ما صاروا اليه في آخر امورهم حين وقعت الفرقة وتشتت الالفة واختلفت الكلمة والافئدة وتشعبوا
مختلفين وتفرقوا متحاربين قد خلع الله عنهم لباس كرامته وسلبهم غضارة نعمته وبقي قصص اخبارهم فيكم عبرا للمعتبرين منكم
فاعتبروا بحال ولد اسمعيل وبني اسحق وبني اسرائيل فما اشد اعتدال الاحوال واقرب اشتباه الامثال تأملوا امرهم في حال
تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة اربابا لهم يحتازونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق وخضرة الدنيا الى منابت
الشيح ومهافي الريح ونكد المعاش فتركوهم عالة مساكين اخوان دبر ووبر اذل الامم دارا واجدبهم قرارا لا يأوون الى جناح دعوة
يعتصمون بها ولا الى ظل الفة يعتمدون على عزها فالاحوال مضطربة والايدي مختلفة والكثرة متفرقة في بلاء ازل واطباق
جهل من بنات موءودة واصنام معبودة وارحام مقطوعة وغارات مشنونة فانظروا الى مواقع نعم الله تعالى عليهم حين بعث
اليهم رسولا فعقد بملته طاعتهم وجمع على دعوته الفتهم كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها واسالت لهم جداول نعيمها
والتفت الملة بهم في عوائد بركتها فاصبحوا في نعمتها غرقين وفي خضرة عيشها فكهين قد تربعت الامور بهم في ظل سلطان
قاهر وآوتهم الحال الى كنف عز غالب وتعطفت الامور عليهم في ذرى ملك ثابت فهم حكام على العالمين وملوك في اطراف
الارضين يملكون الامور على من كان يملكها عليهم ويمضون الاحكام فيمن كان يمضيها فيهم لا تغمز لهم قناة ولا تقرع لهم
صفاة الا وانكم قد نفضتم ايديكم من حبل الطاعة وثلمتم حصن الله المضروب عليكم باحكام الجاهلية فان الله سبحانه قد
امتن على جماعة هذه الامة فيما عقد بينهم من حبل هذه الالفة التي ينتقلون في ظلها ويأوون الى كنفها بنعمة لا يعرف
احد من المخلوقين لها قيمة لانها ارجح من كل ثمن واجل من كل خطر واعلموا انكم صرتم بعد الهجرة اعرابا وبعد الموالاة احزابا ما

في بيان الخطبة القاصعة

تتعلقون من الاسلام الا باسمه ولا تعرفون من الايمان الا رسمه تقولون النار ولا العار كأنكم تريدون ان تكفئوا الاسلام على
وجهه انتهاكاً لحريمه ونقضاً لميثاقه الذي وضعه الله لكم حرماً في ارضه وامناً بين خلقه وانكم ان لجأتم الى غيره حاربكم
اهل الكفر ثم لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا مهاجرين ولا انصار ينصرونكم الا المقارعة بالسيف حتى يحكم الله تعالى بينكم
وان عندكم الامثال من بأس الله تعالى وقوارعه وايامه ووقائعه فلا تستبطئوا وعيده جهلاً باخذه وتهاوناً ببطشه
ويأساً من بأسه فان الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين ايديكم الا لتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلعن السفهاء
لركوب المعاصي والحلماء لترك التناهي الا وقد قطعتم قيد الاسلام وعطلتم حدوده وامتم احكامه **قوله** التمويه
التلبيس وتخليط الباطل بالصدق وتخليطه والحجر العقل والمجدا جمع ماجد وهو كريم الآباء شريفهم والنجدا جمع نجيد وهو ذو النجدة
وهي الشجاعة واليعاسيب افاضل القبائل وساداتها والتحاشد والتحاض التحاث والفقرة الواحدة من خرزات الظهر ويروى وفقرهم جمع
فقرة والمنة القوة والتضاغن الحقد والتشاجر التنازع والتدابر التقاطع والتخاذل عدم التناصر والعقبا الحمل والجهد المشقة
وسيمتكم اوليتكم اياه والمراد بضم الميم شجر اذا اكلت منه الابل قلصت عنه مشافرها والترافد التعاضد والتعاون وغضارة
النعمة طيبها والاحتياز الانقطاع عن الشيء والاخذ عنه والريف الارض ذات الزرع والخصب ومهافي الريح جمع مهفاة وهي محل هفو
الريح اي حركتها وهبوبها ونكد المعاش قلته وشدته والعالة جمع عائل وهو ذو العيلة وهي الفقر والوبر الحف وفي بعض النسخ
دبر وبر والدبر الجرح في ظهر البعير والازل الضيق والموؤدة البنت تدفن في التراب حية وشن الغارة فرقها من كل جانب والفكه
طيب النفس والسرور والفكه الاشر البطر وتربعت اقامت واصله الاقامة في الربيع ويحتمل ان يريد تمكنت كالمتربع بجلسته المخصوصة
بكونها ذات تمكن والذرى جمع ذروة وهي اعلى الجبل وعطفت عليه وتعطفت اذا اشفقت عليه والتفت الملة باحسانه والخفض اللين
والقدر والاعراب سكان البادية وكفاء الاناء قلبه لوجهه وانتهاك الحرمة اخذها بما لا يحل والمقارعة المضاربة فقوله ولقد
نظرت الى قوله يعلله بشيء في معرض التوبيخ لهم على تعصبهم الباطل الذي ثور بينهم الفتن مع انه لم يكن لامر يعرف من وجوه المنفعة والمصلحة
الحاملة عليه ولفظ الا يقتضي حصر وجدانه لمن يتعصب لشيء في وجدانه متعصباً عن علة تحمل تشبيه الامر على اهل الجهل بسبب
يلتبس بها صحيحاً للتعصب وعن حجة المنصوب بعقول السفهاء فيقبلها وهذا هو مقتضى العقل اذ كان الترجيح من غير مرجح محالاً في بداية
العقول وتقدير الكلام ما وجدت احداً يتعصب الا وجدته يتعصب عن علة وقوله غيركم استثناء من معنى الاثبات في الجملة المفيدة
للحصر كأنه قال وجدت كل احد يتعصب عن علة الا انتم وقوله تتعصبون لامر ما يعرف له سبب ولا علة اي سبب يحمل التمويه على الجهلاء او علة
ملتصق بعقول السفهاء ولم يرد نفي مطلق السبب اذ سبب تعصبهم وثوران الفتنة بينهم هو الاغراض التي كان بينهم وكان يقع من جهالهم
كما ذكرناه في سبب الخطبة لكنه نزلها لضعفها هنا منزلة العدم ثم اخذ في تفصيل وجوه العصبية واسبابها فبدأ بذكر مبدء العصبية لابليس
وسبب عصبيته لاصله افتخاره بلطف جوهره وشرفه اذ النار اشرف من الطين مع تعلله بسبب البشرية ووضع آدم على هذه الخلقة وخلقته
التي وضع عليها خلقته فلذلك فضل نفسه قياساً للفرع على الاصل في الشرف والخسة فقال انا ناري وانت طيني ولذلك قيل اول
من قاس ابليس ثم بعصبية الاغنياء والجهال عن شرفة الامم لكونهم بالاسنة الباين في العصبية واشار الى علة تعصبهم وهي آثار مواقع
النعم ومواقعها هي الاموال والاولاد وسائر ما ينتفع به كما قال تعالى حكاية عنهم نحن اكثر اموالا واولادا وآثار تلك المواقع هي الغنى
والترفه بها والتنعم لاجلها وكان تعصبهم لذلك وفخرهم به ويجب ان يعلم ان الاموال والاولاد نفسها ليست نعماً مطلقاً لان النعمة
من الامور الاضافية انما يقال بالنسبة الى منعم ومنعم عليه وليس كل مال وكل ولد باعتبار ذاته بل انما يطلق عليهما لفظ النعمة
باعتبار انتفاع الانسان بهما حتى لو كانا سبباً لهلاكه واذا لم يكونا بذلك الاعتبار الا نقمة عليه وفتنة له فلذلك جعلهما مواقع النعم
اي محال قابلة لكونها نعماً ويحتمل ان يريد بالنعم الاموال والاولاد ومواضعها وقوعها فانه كثيراً ما يريد بالمفعول المصدر وآثارها هي الغنى
والترفه كما قدمناه ثم انه لما وبخهم على التعصب الباطل نبههم على مواقع العصبية وما ينبغي ان يكون له وهي مكارم الاخلاق ومحامد
الافعال ومحاسن الامور التي تفاضلت فيها اهل المجد والشرف والنجدة من بيوتات العرب وسادات القبائل و[illegible] قوله
بالاخلاق متعلقة بتفاضلت فان المذكورين تفاضلوا في محاسن الامور بالاخلاق الرغيبة اي المرغوب فيها وقد علمت فيما سبق
اصول الاخلاق الفاضلة وما تحتها من انواعها والحلم ملكة تحت الشجاعة وهي الاناءة والثبات عند الغضب وموجباته والمفاضلة
بالاخطار الجليلة مراعاة المراتب المجودة ومنازل الشرف بالمحافظة على تلك الاخلاق المحمودة وملازمتها وكذلك المفاضلة بالآثار
المحمودة يعود الى ملازمة الافعال الجميلة الموافقة للاخلاق المناسبة كفعل البذل عن السخاء وكفعل القرب عن الارتقاء للعدل
الى ما ثم امرهم بعد التنبيه على تلك المكارم بالعصبية لها فقال فتعصبوا لخلال الحمد واشار الى تفصيلها فمنها حفظ الجوار وهي
فضيلة تتشعب عن فضيلتين لان حفظه يكون بالكف عن اذاه وذلك فضيلة تحت العدل ويكون بالاحسان اليه وبعضا نفقة وسيله

ومواساته

في بيان الخطبة الفاضلة

٣٠ ج

ومواساة ذوي الفاقة وهو تحت العفة ومنها الوفاء بالذمام وهو تحت العفة ومنها الطاعة المشار اليها الاولى ان يريد بالبر هنا ما اراد به القرآن الكريم بقوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله الى قوله واولئك هم المتقون ولكن البر من اتقى فان المراد في هاتين الآيتين بالبر كمال الايمان والتقوى والاعمال الجميلة ومعنى طاعة البر التلبس بهذه الافعال جميعها انسا واعتقادا وجوز ان يحتمل ان يريد طاعة البر بالبر ضد الاثم الآية كما تقدم بعضه بطلق البر ويراد به العفة بين الاحتساب مقابلة الفجور ويحتمل ان يريد هنا ما يقابل العقوق وهو الشفقة على ذوي الرحم والاحسان الى الوالدين وهو داخل تحت العفة ومنها العصبية للكبر والمراد بعصبيته الكبر مجانبته مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب ومعصية الامر بالكبر وهو كناية عن التواضع وهو فضيلة تحت العفة والعصبية هنا في مقابلة الطاعة ومنها الاخذ بالفضل والرد لاستكمال الفضيلة لزومها ويحتمل ان يريد بالفضل التفضل على الغير والاحسان اليه والاخذ به فيكون امرا بالاحسان والجود وهو فضيلة تحت العفة ومنها الكف عن البغي ويعود الى فضيلة العدل ومنها تعظيم القتل وهو كناية عن تركه وتركه الا بحقه فيما يراه من وفيه التقاء ثم الوعيد عليه في الآخرة ويعود الى فضيلة العدل ايضا وكذلك الانصاف للخلق وهو لزوم العدل في معاملاتهم ومنها كظم الغيظ وهو فضيلة تحت فضيلة الشجاعة ومنها اجتناب الفساد في الارض وهو من لوازم فضيلة العدل ايضا امر بلزوم مكارم الاخلاق والاعمال الجميلة ونفره بالتنفير عن الكون على الضد من رذائلها ونقائضها وذلك التنفير بتذكيرها هنا فيمن قبلكم من الامم الماضين وما اصابهم من عقوبات الله بسبب سوء اعمالهم وذميم افعالهم وتحذيرهم ان يكونوا امثالهم فيصيبهم ما اصاب اولئك من باس الله وامرهم ان يتذكروا احوالهم في الخير والشر حين كانوا في طاعة انبيائهم والالفة الجامعة بينهم وحالهم في الشر حين انقلبوا الى ضد ذلك الحال حين خالفوا ما اصلح الاعمال وحال الفوائد بهم الانفعال وحذرهم ان يكونوا امثالهم اي في ذلك الانقلاب واشتبال الشر بالخيرات بان يرموا عند تفكرهم في تفاوت حاليهم كل امر رمت العزة به سابقهم وزالت الاعداء عنهم ومدت العافية فيه بهم وانبسطت للاستعطاب اي مدة مستصحبة لهم وفي تحت الرضى وبه مدت بالفتح على البناء للفاعل كقولك مد الماء اي جرى وسال وكذلك انقادت النعمة له لك الامر معهم اي بسببه اذ كان سببا معدا لافاضة النعم عليهم ووصلت الكرامة عليه حبلهم واستعار لفظ الوصل لاجتماعهم من كرامة الله لهم حال كونهم على ذلك الامر ورشح بذكر الحبل وقوله من الاجتناب الى قوله والتواصي بها وذلك لزوم الالفة سببا للامور التي عددها وقوله وتجنبوا الى قوله والتخاذل الايدي اي وتجنبوا كل من اشتد كونه لتلك الامور التي اوجبت لهم العزة والكرامة سببا للكسر فقرهم ووهن قوتهم وهو التضاغن والتشاحن والتقاطع والتخاذل لانها امور مضادة للالفة ومنافية لها فكانت مضادة لما ينتج من الالفة وللتخاذل المطلق واضافه الى الايدي كناية لان الاغلب ان يكون التناصر بالايدي وهؤلاء الذين امر باجتناب حالهم لا يريد بهم امة معينة بل الحال عام في كل امة سبقت فان كل امة ترافدت ايديهم وتعاونوا وتناصروا كان ذلك سببا للعزة لهم ودفع الاعداء عنهم وكل قوم افترقوا وتفاقمت العداوات لزم ذلك ذلهم وقهر الاعداء لهم وقوله وتدبروا احوال الماضين من المؤمنين الى قوله القوم امرهم باعتبار هذه الاحوال فيمن هو اخص وهم المؤمنون من الماضين في ازمان الانبياء السابقين فانهم حيث كانوا مع كل نبي في مبدأ امرهم في حال التمحيص والاستخلاص لقلوبهم بالبلاء اثقل اهل الارض اعباء قد اتخذتهم الفراعنة عبيدا يسومونهم سوء العذاب ويكون كيوسف مع فرعون زمانه وكموسى وهرون ومن آمن معهما من بني اسرائيل مدة امرهم فانهم كانوا حال التمحيص والابتلاء بالاضعاف في ذكرها فقد اتخذتهم الفراعنة عبيدا يسومونهم سوء العذاب ويجرعونهم المرار فلم يزالوا كذلك مقهورين حتى اذا رأى الله استعدادهم بالصبر على دينه لافاضة رحمته عليهم افاضها عليهم وجعل لهم من مضايق البلاء فرجا فابدلهم بالعز مكان الذل والامن مكان الخوف كما امتن عليهم في كتابه حيث قال واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ فرقنا بكم البحر الآية وقيل ذلك ما كان للمؤمنين مع نوح وابراهيم وغيرهما فاما كونهم ملوكا وحكاما وائمة اعلاما وبلوغهم الكرامة من الله ما لم يبلغ الآمال بهم فان موسى عليه السلام بعد هلاك فرعون ملكا مصر واستقر لهما الملك الدين وكطالوت وداود وبعد مجاهدتهم جالوت وقتله وذلك ان طالوت لما جاوز النهر هو ومن معه للقتال جالوت كان معه داود فرماه من مقلاعه بحجر فقتله وانكسر اصحابه كان الملك والغلبة لطالوت واصحابه وكان الملك بعده لداود كما قال تعالى وآتاه الله الملك والحكمة وكذلك لم يزل الملك والنبوة في سليمان وولده واولادهم الى ان خرج من ولده فقطعت الملوك في بيت المقدس لضعف وفسد وا ثم لم يكن بها من اشار اليه ملك الجزيرة وكان يسكن برية سنجار وكان بخت نصر كاتبه فارسل الله تعالى عليه ريحا فاهلكت جيشه وافلت هو وكاتبه فقتله ابنه فغضب له بخت نصر فاغزاه حتى قتله وملك بعده وكان ذلك قبل ملك بخت نصر وقوله فانظروا حيث كانوا الى قوله للمعتبرين منكم امرهم باعتبار حالهم في الفتهم واجتماعهم واشارة الى ان المستلزم لتلك الخيرات كلها انما كان هو الالفة والاجتماع وبعد تفرقهم وتشتت الفتهم واختلاف كلمتهم وافتراقهم فخلع الله عنهم لباس كرامته وسلبهم غضارة نعمته وبقي قصص اخبارهم عبرة للمعتبرين وهو اشارة الى ان المستلزم لتلك الشرور هو ما حصلوا عليه من الفرقة واختلاف الكلمة وذلك مما دل على كل فرقة فرقة وامة امة امنوا وبحفظهم الجامعة من

في بيان الخطبة القاصعة

الفراعنة والجبابرة ثم صبروا فانتصروا على اعدائهم واراد باعتدال القلوب استقامتها على الحق وقوله والسيوف متناصرة اي بعضها ناصرا لبعض واراد اهل السيوف
فحذف المضاف ويحتمل ان يكون قد استعار وصف التناصر لها باعتبار كونها اسبابا يقوى بعضها بعضا فصارت كالجماعة التي ينصر
بعضها بعضا ونفوذ البصائر خروقها حجب الشبهات عن الحق واصابة البينة واتحاد العزائم اتفاق الارادات الجازمة على طلب الحق ومختلفين متعادين
مصنوا ابن على الحال وكل موضع قوله قد خلع وكل عبرة وقوله فاعتبروا بحال ولد اسمعيل وبني اسحق واسرائيل ع الى قوله وصفناه امرهم
باعتبار احوال ولد اسمعيل اشارة الى العرب من ال قحطان وال معد ومن بني اسحق اولاد روم بن عيص بن اسحق وبنو اسرائيل وهو يعقوب
بن اسحق فاما حال تشتتهم وتفرقهم واستيلاء الاكاسرة والقياصرة عليهم وفعلهم بهم ما ذكره فتفرق في كلمة العرب قبل ظهور محمد عليه السلم
امرها معلوم لكل من طالع كتب السير وبسبب ذلك كانت الاكاسرة اربابا لهم يختارونهم ويبعدونهم عن ريف الافاق وبحر العراق
وحضرة الدنيا الى البادية واما حال بني اسحق واسرائيل في ذلك فنحو ما جرى لاولاد روم بن عيص من اختلاف النسطورية واليعقوبية
والملكانية حتى كان ذلك سببا لضعفهم واستيلاء القياصرة عليهم في الروم وعلى بني اسرائيل في الشام وازعاج بخت نصر لهم عن
بيت المقدس حتى غزاهم المرة الثانية كما اشار اليه القران الكريم بقوله فاذا جاء وعد الاخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد الاية
وقد كان غزاهم مرة اولى حين احدثوا وعبروا فرغبوا الى الله ثم تابوا فرده عنهم وهي المرة الاولى التي حكى الله تعالى بقوله فاذا جاء
وعد اوليهما الاية ثم احدثوا بعد ذلك فبعث الله اليهم ارميا فقام فيهم بوحي الله فضربوه وقيدوه وسجنوه فغضب الله عليهم فبعث
اليهم عند ذلك بخت نصر فقتل منهم وصلب واحرق وجدع وباع ذراريهم ونساءهم وصارت منهم طايفة الى مصر ولجأ الى ملكها
منها الية بخت نصر فاسر ولم يبق من بني اسرائيل الا الذين فروا منهم ارتحلوا الى الحجاز كيهود خيبر وبني قريظة والنضير وواد
القرى فيقال اذا عرفت ذلك فنقول التدبر لرباعتبار رجالهم وتأمل امرهم في حال تشتتهم وتفرقهم قبل بعثة الرسول ص وقبل الاعدائهم
ما كانوا فيه عاودين كيف فرج الله عنهم من تلك الشدايد بظهور محمد ص نبيا واعلات غايته من امره باعتبار حال المؤمنين من الامم
الماضية قبلهم لانتهائهم في الصبر على المكاره ولزوم الافتقار والاجتماع مع ذلك وانتظار الفرج به وقوله فما اشد اعتدال الاحوال
التي تفاوتها ارادان احوالكم الشبيه المساواة لاحوالهم وكذلك ما اقرب اشتباه الاحوال اي ان احوالكم شديدة المماثلة لاحوالهم لانكم
امثالهم وهو اشارة الى وجه علة الاعتبار فانهم اذا كانوا امثالهم واعتدلت احوالهم وتشابهت امورهم وجب اعتبار حالهم بحالهم ولذلك
الفاء للتعليل وقوله تأملوا امرهم في حال تشتتهم الى اخر الكلام اشارة الى حال شدتهم ورخائهم ليتنقل اذهان السامعين الى
اثبات تلك الحال لانفسهم فالماضون اصل لذلك الاعتبار والسامعون فرعه وحكم الاصل احوالهم الخيرية والشرية وعلة ذلك الحكم
كونهم امثالهم وقوله ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة اربابا لهم اي مالكون لامورهم يحتازونهم اي كانت القياصرة يحتازون بني
اسرائيل وبني اسحق والاكاسرة يحتازون بني اسرائيل ويمنعونهم من اعمال العراق فصار الجميع مطرودا للجميع عن حضرة الافاق وجنات الشام
وبحر العراق وارادوا دجلة والفرات وقوله الى منابت الشيح ومهافي الريح كناية عن البرية وظاهر انها محل نكد العيش وضيقه كما وصفهم عليه السلام
بوصف معاشهم في الفصول السابقة وتخصص الاكاسرة فهو جمع كسرى بملوك الفرس والقياصرة بملوك الروم فهو جمع على غير قياس
كنى بالدبر والوبر عن الجمال وهو ايماء الى فقرهم وضيق معاشهم لان رعي الجمال واستعمالهم الوبر واكله بالدم من لوازم الفقر وضيق الحال
وعلى الرواية الثانية فالدين كناية عن الفقر ايضا وظاهر انهم اذل الامم لكان اهل البادية ليسوا اصحاب حصون وقلاع يعتصمون بها ولكان
بعضهم حصون نفسه يحميهم عن امثالهم فيما يجري بينهم من الغارات وليس لك ما يدفع عدوا اذا قوي او يحمل حصارا وقوله ولجأ بهم قرارا
اي مستقرا اذ كانت البادية لا تناسب الى المدن في الخصب واستعار لفظ الجناح لما ينهض به يدعونهم ويقوى اذا دعوا وكنى بذلك عن كونهم
لا يأوون الى من يجيب دعوتهم فيعتصمون به وكذلك استعار لفظ الظل لما يستلزمه الالفة من التعاون والتعاضد والتناصر ووجه المشابهة
هو ما يستلزمه هذه الامور من الراحة والسلامة من حرارة نار العدو والحرب كما يستلزم الظل من الراحة من حر الشمس وقوله فالاحوال
مضطربة شرح لحالهم يومئذ وكونهم على غير جماعة وكنى باختلاف ايديهم عن عدم اتفاقهم على التناصر وبتفرق كلمتهم عن عدم الفتهم
واختلافهم على جهة الجهل واضافة بلاء الى الازل بمعنى من وكذلك اضافة اطباق وقد علمت ان للجهل صفات وقد كان تقدم كون بعضها
فوق بعض اولا عدم العلم بالحق وفوقها الاعتقاد بغير الحق وفوقها اعتقاد شبهة يقوي ذلك ويعضده مع تجويز نقيضه
وفوقها اعتقاد تلك الشبهة جزما وفي نسخة الرضي ره واطباق بكسر الهمزة على انه مصدر لغوي المعنى وجهل مطبق عليهم وقوله من بنات
تفصيل للوازم ذلك الجهل وذكر منها اربعة انواع احدها وأد البنات واشار اليه القران الكريم واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت
قيل كان ذلك في بني تميم وقيس واسد وهذيل وبكر بن وائل قالوا والسبب في ذلك ان رسول الله ص دعا عليهم فقال اللهم اشدد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاجدبوا سبع سنين حتى اكلوا الوبر بالدم وكانوا يسمونه العلهز فوأدوا البنات
لاملاقهم وفقرهم ويؤيد ذلك قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وقيل قوم بل كان وأدهم للبنات انفة وذلك ان تميما منعت

النعمن

فى بيان الخطبة القاصعة

النعمن الا انه سئم من السنين فوجد لهم اخاه الريان بن المنذر وجعل من معه من بكر بن وائل فاستاق النعم وسبا الذراري وفي ذلك بنو
تميم الى النعمن فاستعطفوه فرد عليهم واعاد عليهم السبي فقال كل امرأة اختارت اباها ردت اليه وان اختارت صاحبها تركت عليه فكلهن
اخترن اباهن الا ابنة لقيس ثم الا وادها ففعل ذلك ثم اقتدى به كثير من بني تميم الثاني في عبادة الاصنام وقد كان لكل قبيلة صنم
يعبدونه فكان لهذيل سواع ولبني كلب ود ولمذحج يغوث وكان بدومة الجندل ولذي الكلاع نسر ولهمدان يعوق ولثقيف
اللات والعزى لقريش وبني كنانة وللاوس والخزرج مناة وكان هبل على الكعبة واساف ونائلة على الصفا والمروة ومن فوائد
جهلهم المشهورة ان بني حنيفة اتخذوا في الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم اصابتهم مجاعة فاكلوه فقال بعضهم في ذلك
اكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة الثالث قطع ارحامهم وقد كان احدهم يقتل اباه
واخاه عند الحمية لادنى سبب كما هو معلوم من حالهم الرابع الغارات والحروب كيوم ذي قار وكايام حرب بكر وتغلب ابني وائل و
كحرب داحس والغبراء الى ذلك من الايام المشهورة ووقائعهم في الحروب والغارات اكثر من ان تحصر وكل ذلك من لوازم الجهل وقوله
فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم امر باعتبار حالهم عند مقام محمد ص وبعثته فيهم بعد تلك الاحوال المشروحة والضمير في عقد وجمع
راجعان الى الله تعالى لشهادة القران الكريم بنسبة الالفة بينهم اليه في قوله لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله
الف بينهم انه عزيز حكيم ومعنى عقده لطاعتهم جمعها بعد الانتشار ونظمها بعد التفرق اذ كانت طاعاتهم في الجاهلية موافقة
لاهوائهم المختلفة بحسب [illegible] واستعار لفظ الجناح لما اسبغت عليهم رحمة الله من النعمة وجعلهم بهم من الكرامة ورشح بذكر النشر
وكنى به عن عمومهم بها وكذلك استعار لفظ الجداول ومعنى الانهار لانواع نعيمها ووصول الخيرات التي جرت عليهم من الكمالات النفسانية
والبدنية ملاحظة لشبه تلك الطرق والاسباب بالجداول في جريان الماء بها ورشح بذكر الاسالة وقوله والتفت الملة بهم في عوائد
بركتها اي اجتمعت بهم والقتهم في منافعها التي حصلت ببركتها يقال التف بفلان في موضع كذا اي لقيته وقيل [illegible] في موضع عوائد
نصب على الحال اي الحال كونها كذلك ولفظ الالتفاف كناية عن ورودها عليهم وتلبسهم بها ولذلك استعار لفظ الغرق ملاحظة لشبههم
بالغرقى في شمول نعمة الدين لهم وعمر نعمة الاسلام اياهم حتى كانهم لاستيلائها عليهم كالغرقى فاستلزم ذلك الملاحظة تشبيهها
بالبحر اللجي وكنى بخضرة عيشها عن سعة المعاش بسبب الملك وطيبه واراد بالسلطان هنا اما الحجة والبرهان والاقتدار والغلبة
والدولة واستعار لفظ الظل لما يستلزمه ذلك السلطان من النعمة اي وعكفت بهم الامور والاسباب التي اعدتهم لنعمة الله في
ذلك الظل وكذلك قوله وآوتهم الحال اي الجأتهم وضمتهم الحال التي كانوا عليها الى عز غالب وهو عز الاسلام ودولته ملاحظة
لتشبيهها بالجبل المنيع في علوه ومنعته وكذلك استعار لفظ التعطف لاقبال السعادات الدنيوية والاخروية عليهم بالاسلام
الذي هو الامور ولاحظ في ذلك مشابهتها لذي اقبال متعطف ذي الرحمة والشفقة على غيره وقوله فهم حكام الى قوله [illegible]
فاكتفى بكونهم لا [illegible] لقوتهم وعدم انقيادهم للغير ولذلك لا تغمزهم صفات ويجريان مجرى المثل ثم عقب بتوبيخهم على قلة
طاعتهم واستعار لفظ الحبل لما انتظم بينهم من طاعتهم [illegible] وكنى بوصف نقض الايدي عن خروجهم من الطاعة وشدة اطراحهم لها
كثيرا من احكامها وكذلك استعار لفظ الحصن للاسلام ووجه المشابهة كونه حافظا لهم من اعدائهم الظاهرة والباطنة كالحصن الحصين
على اهله ورشح بذكر المضروب وكذلك استعار لفظ الثلم لكسرهم الاسلام باحكام الجاهلية وتخالفهم لكثير من احكامه وفرع عن ذلك
المخالفة بما يستلزمه ذلك الثلم وقوله وان الله سبحانه قد امتن الى قوله كل خطر تنبيه لهم على لزوم حبل الالفة والتمسك به والتعهد
الذي امتن الله تعالى به في عقد حبل الالفة التي لا يعرف احد لها قيمة لا لقيمتها باعتبار ما استلزمه من المنافع العظيمة ودفع المضار
وعلل عدم معرفة الخلق قيمتها بكونها ارجح من كل ثمن واجل من كل خطر وهي صغرى قياس ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك لم يعرف احد
قيمته وصدق الصغرى اذ كانت تلك الالفة والاجتماع على الدين سببا عظيما في استعدادهم لسعادتي الدنيا والاخرة وقوله واعلموا
الى قوله بين حلقة توبيخ لهم بانتقالهم عن الاحوال والاقوال الاسلامية الى الاحوال الجاهلية اي قد صرتم بعد كونكم مهاجرين اعرابا
ولما كانت الاعراب انقص رتبة من المهاجرين واهل المدن لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن الفضائل النفسانية وتعلمها وعن سماع
الفاظ الرسول ص ومجالسته واقتباس الاداب من اهل الحضارة كما قال تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا الاية لاجرم وبخهم بصيرورتهم
كذلك وليس كل الاعراب بالصفة المذكورة لقوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر الاية وكونهم بعد الموالاة احزابا فالاحزاب
الفرق [illegible] ينقسم لمخالفة الرسل واوصيائهم ويجتمع لمخالفتهم وظاهر ان هؤلاء كذلك لانقسامهم وتشعبهم الى ناكثين ومارقين وقاسطين
ومنافقين ومحاربتهم له حتى ليس لهم اذن جامع في الاسلام يتعلقون به الا اسم الاسلام ولا يعرفون من الايمان الا رسمه واثره وشعاره
الظاهر بالشهادتين وحضور الصلاة دون الشرائط الحقيقية وقوله تقولون النار ولا العار كلمة يقولها اهل الكبر والانفة يختار
الانوف والضيم لانفسهم او لقومهم في الاستنهاض الى الاقتدار النار ولا العار منصوبان بفعلين مضمرين تقديرهما ادخلوا النار ولا

ومنشره

ونقيتهم ند

في بيان الخطبة القاصعة

يجعلوا الغارة تشبههم في حالهم وقولهم ذلك بمن يقصد ان يقلب الاسلام على وجهه وكونه بذلك عن اسناده كناية بالمستعار ملاحظة
لشبهه بالاناء يقلب فيخرج ما فيه عن الانتفاع به ووجه التشبيه المذكورات افعالهم المذكورة كما نقل من نقضه ذلك من عرى
الاسلام لارادة اسناده وقوله انتهاكا ونقضا منصوبان على المفعول له والعامل قوله لتفتنوا وتصلوا وان عما يتبين عقيب كل فعل
نسبه اليهم بعينه فيما ذكرها هيهنا ومنها مواثيقها اخذ عليهم فيه واسلموا عليه من جزئيات وهي الايمان التصادق بالله ورسوله وما جاء
به من القوانين الشرعية ثم وصف ذلك الميثاق بكون الله قد وضعه لهم حرما في ارضه يمنعهم من كل عدو وامنا بين خلقه
لمن دخله واراد بحمل امن بحذف المضاف ويجوز بلفظ الامن في الامن اطلاقا لاسم الحال على المحل وقوله وانكم الى قوله بنيكم نجد
من الاعتماد على غير الاسلام والالتجاء اليه من شجاعة او حمية او كثرة في قبيلة مع الخروج عن طاعة سلطان الاسلام والتفرق فيه فان
ذلك يستلزم طمع الكفار فيهم وعدم نصرة الملائكة والمهاجرين والانصار لهم اما الاول النصرة كانت مخصوصة بوجود الرسول
والاجتماع على طاعته وقد زالت بفقده او لانها مشروطة بالاجتماع على الدين والالفة فيه والذب عنه فاذا فات الجميع
وحاربهم الكفار لم يكن لهم ناصر من الملائكة لعدم اجتماعهم على الدين ولا من المهاجرين والانصار لفقدهم وهذا اللازم
محذوف ينبغي ان يحذر منهم فالملزوم وهو الالتجاء الى غير الاسلام يجب ان يكون كذلك والضمير في قوله لبرحم فيمينا
يعود اليه الى الاسلام وقال بعض الشارحين الضمير في قوله يعود الى الله والاول اليق بسياق الكلام والنصب في جبرئيل وميكائيل
على انهما اسمان ملاحظا فيهما التنكير ولذلك نعتهما بعد لا بالنكرتين ويعضد ونكم هو خبرها مفسر المثلة عقيب ما يكون فيها
وقوله الا المقارعة بالسيف استثناء منقطع وحكم الله الذي يحصل غاية المقارعة هو اما قهر الصورة النصر على احد الفريقين
والاستيلاء على الاخر وقوله وان عندكم الامثال الى قوله ووقايعه تذكيرهم بما ضرب الله لهم من الامثال بالقرون الماضية وما
اصابهم من باس الله وقوارعه وهي الدواهي العظام وايامه وهي كناية عن الايام التي وقع بهم فيها عقوباته وباسه حين استعدوا
لذلك بمعصيته وكفر ايديهم بذلك انما لعلمه اوامره وقوله فلا تستبطئوا الى قوله باسه لهذا بدا لهم ايضا وتوعد بقرب العقوبة
على المعصية واطلاق لفظ الاستبطاء هيهنا مجاز لان الاستبطاء للشيء استبعاد لوقوعه مع انتظار وتوقعه المستلزم لطلبه وطلب
تحقق الوعيد ليس من مقاصد العقلاء حتى ينهون عنه لكن لما كان الانسان اذا هم بالمعصية فقد يستبعد تحقق الوعيد
وعذابها فيكون ذلك مما يقوى مقتضى داعيته وشهوته لفعلها كان ذلك الاستبعاد سببا لوقوعها بالمعصية ولما كان ذلك
الاستبطاء اطلق عليه اطلاقا لاسم الجزء على الكل فيكون التهديد والتوبيخ عليه ابلغ ولان الذي يقدم على المعصية مع علمه بما
يستلزم من الاعداد لنزول العذاب يناسب في الحقيقة من يستبطئ العقوبة ويطلب تعجيلها بفعله وكانوا بمعصيتهم كالمستبطئين
للوعيد فالحق في حقهم لفظ الاستبطاء ونهاهم عنه ونصب جهلا وتهاونا وياسا على المفعول له لصلوح الثلاثة علة لاغاية كلا
لاستبطاء الوعيد بمعنى استبعاده لان جهل العبد بكيفية اخذه ثم له بالموت واهواله وشدائد الاخرة مما يستبعد معه وقوع تلك
الامور في حقه كما هي وكذلك تهاونه بسطوته ملائم ولعدم علمه بما في ذلك ابسط من الاستدراج مما يحمله على استبعاد وعيده
ويغره بالمعصية وكذلك باسه من باسه بسبب تلك الجهل وذلك ابسط مما يحمله على ذلك الاستبعاد ايضا وقوله وان الله الى قوله
التناهي شبههم على ان لعن الله للقرن الماضين ايديهم قبل الاسلام كان لاثر ما سنا وبالتركهم الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر مخصوصا فيه وكانت لعنة الله لعنتهم لسفهائهم وتابعيهم عقوبتهم لركوبهم المعاصي المنكرة واما الحكماء منهم ولذوي العقول
فلعدم انكارهم وتناهيهم عما شاهدوه وتمردوا على المنكر وذلك اللعن في قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على
لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه وينبههم بقوله الا وقد
قطعتم قيد الاسلام الى قوله الحكماء على انهم من جملة من اتصف بذلك الملزوم اعني ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وركوب
المعاصي فلزمهم الدخول في زمرة من لعنه الله بذلك الترك وغاية هذا التنبيه الجذب عن ركوب المعاصي الى الانتهاء والتناهي
عنها واستعار لفظ قيد الاسلام للالفة والاجتماع عليه وعلى امتثال اوامر الله فيه باعتبار كون ذلك حافظا للاسلام
عليهم ومانعا له من التشرد والذهاب كما يمنع الجمل قيده من التشرد والتشتت وحدود الله احكامه التي حدها للناس
ومنعهم من تجاوزها وتعطيلهم لها باطراحها وتجاوزها وكذا فاتت احكامه عدم العمل بها ووصفها بالاماتة مستعار لتركها
واهمالها لاعتبار انهم اخرجوها بذلك الاهمال عن انتفاعهم بها كما ان ميت الشيء يخرجه عن حد الانتفاع وبالله التوفيق **الفصل**
الخامس في اقتصاصه عليه السلام لحاله في تكليفه وموافقته لاوامر الله وبلائه الحسن في سبيله ومتبرجاته مع رسول الله صلعم
والتنبيه على موضعه منه وكيفية تربيته له من اول عمره والاشارة الى قوته في دين الله وذلك قوله الا وقد امرني الله بقتال اهل
البغي والنكث والفساد في الارض فاما الناكثون فقد قاتلت واما القاسطون فقد جاهدت واما المارقة فقد دوخت واما

في بيان الخطبة القاصعة

شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ورجة صدره، وبقيت بقية من أهل البغي، ولئن أذن الله في الكرة عليهم لأديلن منهم إلا ما يتشذر في أطراف الأرض تشذرا. أنا وضعت بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر، وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل. ولقد قرن الله سبحانه به من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره. ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم علما من أخلاقه ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة. ولقد سمعت رنة الشيطان لعنه الله حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك وزير، وإنك لعلى خير. ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله لما أتاه الملأ من قريش فقالوا له: يا محمد إنك قد ادعيت عظيما لم يدعه آباؤك ولا أحد من أهل بيتك، ونحن نسألك أمرا إن أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب. فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله: وما تسألون؟ قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك. فقال صلى الله عليه وآله: إن الله على كل شيء قدير، فإن فعل الله ذلك لكم أتؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا: نعم. قال صلى الله عليه وآله: فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير، وإن فيكم من يطرح في القليب، ومن يحزب الأحزاب. ثم قال عليه الصلوة والسلام: أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بإذن الله. فوالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دوي شديد وقصف كقصف أجنحة الطير، حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفة، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله، وببعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينه صلوات الله عليه وآله، فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علوا واستكبارا: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها، فأمرها بذلك فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشده دويا، فكادت تلتف برسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا كفرا وعتوا: فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره صلى الله عليه وآله فرجع، فقلت أنا: لا إله إلا الله، إني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من أقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقا لنبوتك وإجلالا لكلمتك. فقال القوم كلهم: بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا؟ يعنوني. وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم سيما الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار، عمار الليل ومنار النهار، متمسكون بحبل الله القرآن، يحيون سنن الله وسنن رسوله صلى الله عليه وآله، لا يستكبرون ولا يعلون، ولا يغلون ولا يفسدون، قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في العمل.

أقول: النكث نقض العهد، والقسوط الجور والعدول، ودوّخت القوم غلبتهم وقهرتهم، والردهة نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء، والصعقة الغشية من صيحة ونحوها، والوجبة واحدة الوجيب وهو اضطراب القلب، والرجة واحدة الرج وهي الحركة والزلزلة، والكرة الرجعة، ولأديلن منهم أي لأقهرنهم ولأكونن ذا الدولة منهم وغلبة عليهم، والتشذر التفرق، والكلاكل الصدور، والنواجم جمع ناجمة وهو الطالع الخارج، ويكنفني في فراشه أي يحفظني فيه ويحوطني، ويلقمني، وعرفه رائحته، والخطلة السيئة والقبيحة من قول وفعل، والعظيم المعظوم، وحراء بالمد والكسر جبل بمكة يذكر ويؤنث ويصرف ولا يصرف، والرنة صوت يصدر عند حصول المكاره كالحزن ونحوه، والقليب البئر قبل أن تطوى يذكر ويؤنث، وقال أبو عبيدة هي البئر القديمة العادية، والدوي صوت خفيف كالريح والنحل، والقصف صوت جناح الطير واصطفاقه في الهواء، والسيما مقصور ويمد وهو العلامة والأثر في الشيء يعرف به، والمنار الأعلام، والغلول من المغنم يقال غل غلولا إذا خان فيه، قال أبو عبيد يقال منه يغل بالضم، ومن الحقد يغل بالكسر، ومن الخيانة المطلقة أغل يغل. واعلم أنه عليه السلام نبه في هذا الفصل على أن قتاله لهذه الفرق كان بأمر الله على لسان رسوله صلى الله عليه وآله، وذلك لأن أمرها من القرآن الكريم من قوله تعالى: فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، ومن السنة ما هو خاص وهو من أوامر الله أيضا، وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين، فكان الناكثون أصحاب الجمل لنكثهم بيعته، وكان القاسطون أهل الشام، والمارقون الخوارج بالنهروان، والفرق الثلاث يصدق عليهم أنهم أهل البغي، والقاسطون لخروجهم عن سنن العدل إلى طرف الظلم والجور، وتخصيص كل فرقة منهم بما سميت به عرف شرعي، فأما وصف الخوارج بالمارقين فمستنده قول الرسول صلى الله عليه وآله لذي الثدية: يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وقد ذكرناه قبل، والضئضئ الأصل، وهذا الخبر من أعلام نبوته صلى الله عليه وآله. وأما القاسطون فقد جاهدت، وأما المارقة فقد دوخت

٣٠ ج

على ان هذه الخطبة من اخر خطبه عليه السلام بعد وقايع صفين والنهروان واما شيطان الردهة فالاشبه ان المراد به ذو الثدية من الخوارج لما ورد
في الحديث ان النبي ص ذكره فقال شيطان الردهة يحتدره رجل من بجيلة واما كونه شيطانا فباعتبار كونه رئيسا في الضلال واما نسبته الى
الردهة فيشبه ان يكون لما روي انه حين طلبه ع في القتلى وجده في حفرة دالية فيها خرير الماء فنسبه رسول الله ص اليها لما كان يعلم من
كيفية حاله في قتله وروي عن زيد بن وهب قال قال لي علي ع في ذلك اليوم بقتل القوم اربعة الاف من الخوارج احدهم ذو الثدية فلما
طحن القوم ورام اخراج ذي الثدية فاتعبه امرني ان اقطع اربعة الاف قصبة وركب بغلة رسول الله ص ثم امرني ان اضع على كل رجل منهم
قصبة فلم ازل كذلك وهو راكب خلفي والناس حوله حتى بقيت في يدي واحدة فنظرت اليه وقد اربد وجهه وهو يقول والله ما كذبت
ولا كذبت فاذا خرير ماء في حفرة عند موضع دالية فقال لي فتش هذا ففتشته فاذا قتيل قد صار في الماء واذا رجله في يدي
فجذبتها وقلت هذه رجل انسان فنزل عن البغلة مسرعا فجذب الرجل الاخرى وجررناه فاذا هو المخدج فكبر ثم سجد وكبر الناس
باجمعهم واما الصعقة التي اشار اليها فهي ما اصاب ذا الثدية من الصعق والموت بضربته ع حتى استلزم ذلك ما حكاه من سماع لوجبة
صدره ووجيب قلبه وقال بعضهم المراد بالصعقة هنا الصاعقة وهي صيحة العذاب وذلك انه روي ان عليا ع لما قابل القوم صاح
بالقوم فكان ذو الثدية ممن هرب من صيحته حتى وجد قتيلا في الحفرة المذكورة وقال بعضهم يحتمل ان يشير بالشيطان الى ابليس
المغالطة كما اشرنا اليه في الخطبة الاولى وهو القوة الوهمية فاستعار لفظ الردهة وهي النقرة في الجبل للبطن الاوسط من الدماغ الذي
هو محل تلك القوة لمكان المناسبة وقد يعبر بالجبل عن الدماغ في عرف المجربين وعن القوى فيه وبالجن الشياطين تارة وبالملائكة اخرى
ولما كانت الانبياء ع والاولياء قد يشاهدون الامور المجردة والمعاني المعقولة كالملائكة والجن والشياطين في صور محسوسة بسبب استعانتهم
من القوة المتخيلة كما علمت في المقدمات وكما ستشير اليه عن قريب احتمل ان يقال انه ع راى الشيطان المذكور بصورة محسوسة
ذات صدر وقلب وانه لما كان في مقام العصمة وملكة النفس على الشيطان وقهره وابعاده سمع من الجناب الالهي صيحة العذاب ارسلت
على الشيطان فسمع لها وجيب قلبه ووجبة صدره كما سمعت رنته فيما حكيته في الكلام والله اعلم واما البقية من اهل البغي فمعاوية
ومن بقي من جند الشام حيث وقفت الحرب بينهم وبينه بمكيدة التحكيم وحكمه بانه ان اذن الله سبحانه في ان ترجع اليهم ليغلبنهم وليكونن
الدائرة عليهم تقديره ومن توعد ثم من قوله ومن بغي عليه لينصرنه الله وقوله يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم وقوله ان تنصروا الله
ينصركم لكنه لما لم يكن باذن الله عز وجل توفيقه اسباب العود اليهم بما منعها من القصر في الاجل وغيرها واستعمل ما هيهنا بمعنى من لما
لاسم الفاعل على الخاص وتكون بمعنى الذي وقوله وانا وضعت بكلكل العرب الى اخره تنبيه على فضيلته في شجاعته والقصد لغايته ان
يحقر اعدائه ويقوى به قلوب اوليائه لا على سبيل الفخر المجرد فان تلك رذيلة قد نهى في الخطبة على النهي عنها واستعار لفظ الكلكل
لجماعة من اكابر العرب الذين قتلهم في صدر الاسلام وفرق جمعهم ووجه المشابهة كونهم محل قوة العرب ومقدمهم كما ان الصدر
من الحيوان كذلك ومن روى بكلاكل بلفظ الجمع فهو ايضا استعارة لسادتهم واشرافهم ممن قاتلهم وقتلهم ووجه الاستعارة ما ذكرناه و
يحتمل ان يكون مجازا من باب اطلاق اسم الجزء على الكل والباء في قوله بكلكل زائدة والمراد بوضعهم اذلالهم واهانتهم يقال وضعه
فاتضع اذا غض منه وحط منزلته ويحتمل ان يكون للالصاق اي فعلت بهم الوضع والاهانة وكذلك استعار لفظ القرون لاكابر
ربيعة ومضر ممن قاتلهم وقتلهم ووجه الاستعارة كون كل واحد منهم لقبيلته كالقرن يظهر فيها فيصول به ويمنع من عدوها كذي القرن
من الحيوان بقرنه واراد بالنواجم من علا منهم وظهر امره وشجاعته كالاكابر وكنى بذلك عن قتلهم وقتاله للاكابر من مضر معلوم في بدء الاسلام
فاما القرون من ربيعة فاشارة الى من قتله منهم في وقايع الجمل وصفين بنفسه وجيشه كما يقف على اسمائهم من يقف على تلك الوقايع
وقوله وقد علمتم موضعي الى اخره شرح لتربية الرسول ص له من اول عمره واعداده وسلوكه لتربيته الكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق
الفاضلة وعد احوال التربية التي هي وجود ذلك الاستعداد واسبابه احدها القرابة واشار بها الى نسبة القريب منه وكان ابن عمه نسبا و
ابواهما اخوان لاب وام دون غيرهما من بني عبد المطلب الا الزبير الثانية المنزلة الخصيصة به واشار بها الى ما شرحه من فعله به ص وهو
وضعه له في حجره وليدا وسائر ما ذكره وسبب ذلك ما روي عن مجاهد قال كان من نعمة الله على علي ع ما صنع الله له واراد به من الخيرات
ان قريشا اصابتهم ازمة شديدة وكان ابو طالب ذا عيال كثيرة فقال رسول الله ص لعمه العباس وكان ايسر بني هاشم يا عباس ان اخاك ابا
طالب كثير العيال وقد ترى ما اصاب الناس من هذه الازمة فانطلق بنا نخفف عنه من عياله فاخذ من بنيه واحدا وتاخذ واحدا فنكفلهما عنه
فانطلقا اليه وقالا له فقال ان تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما فاخذ رسول الله ص عليا ع واخذ العباس جعفرا فكفلاهما وقد كان
ابو طالب كفل رسول الله ص دون غيره من اعمامه ورباه في حجره ثم حماه من المشركين في مبدء امره وعضده عند ظهور دعوته وذلك مما
يؤكد اختصاصه منه ع عنده ومن المنزلة الخصيصة به ما كان بينهما من المصاهرة التي افضت الى النسل الاطهر دون غيره من الاصهار وفي
معنى قوله كان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ما رواه الحسن بن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام قال سمعت زيدا ابي يقول كان رسول الله ص يمضغ اللحمة

في بيان الخطبة القاصعة

والثمرة حين يلينها ويجعلها في فم علي ع وهو صغير في حجره الثالث انه ع لم يجد له كذبة في قول ولا خطلة في فعل وذلك لما استعد به من تربيته صلى الله عليه
واله وسائر مقدمات الرياضة واعراضها الاستيلاء وقوته العاقلة على قوتي شهوته وغضبه وقهر نفسه الامارة التي هي مبدأ الخطأ الاقوال
وخطل الافعال حتى حصلت له عن ذلك ملكة في ترك الرذائل واجتناب الاثم والمعاصي فصار له ذلك خلقا وطبعا وان اتفق معه
العصمة في حقه ع وفي حق من ادعيت له العصمة من اولاده يعود الى هذه الملكة فليس لاستكبارها في حقهم ع معنى واشار بالملك
الذي قرنه الله به الى جبرئيل ع او العقل الفعال كما عرف قوم وقيل اراد به اشارة الى توليه تربيته بنفسه القدسية بافاضة العلوم
ومكارم الاخلاق وسائر الطرق الموصلة الى الله سبحانه من حين صغره ص بحسب ما استعد له مزاجه وقوة عقله الطفولية ثم اشار
في ذكر معرض احواله معه الى تربية الملك له ص ليعلم انه حصل بتعبيته له على تلك المكارم ومما روي في خبر مصاحبة الملك وعصمته به
ما روى الباقر محمد بن علي ع انه قال وكل الله بمحمد صلى الله عليه واله ملكا عظيما منذ فصل عن الرضاع يرشده الى الخيرات ومكارم
الاخلاق ويصده عن الشر ومساوي الاخلاق وهو الذي كان يناديه السلام عليك يا محمد يا رسول الله وهو شاب لم يبلغ درجة
الرسالة بعد فيظن ان ذلك من الحجر والارض فيتامل فلا يرى شيئا وروي انه ص قال لما ذكرونا ابن سبع سنين وقد بنى ابن جدعان
دارا بمكة فجئت مع الغلمان ناخذ التراب والمدر في حجورنا فننقله فملات حجري ترابا فانكشفت عورتي فسمعت نداء من فوق راسي
يا محمد ارخ ازارك فجعلت ارفع راسي فلا ارى شيئا الا اني اسمع الصوت فتماسكت ولم ارخه فكان انسانا ضربني على ظهري
فخررت لوجهي فانحل ازاري فسترني وسقط التراب الى الارض فقمت الى دار عمي ابي طالب ولم اعد الرابع اشار الى اتباعه له
وملازمته اياه بقوله ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه ووجه الشبه في اتباعه كونه لا ينفك عنه كالفصيل لامه الخامس اشار
الى ثمرة ذلك الاتباع بقوله يرفع لي في كل يوم علما من اخلاقه ويامرني بالاقتداء به واستعار لفظ العلم لكل من اخلاقه باعتبار
كونه هاديا الى سبيل الله كما يهدي العلم السادس انه كان يجاور في كل سنة بحراء فيراه دون غيره وروي في الصحاح انه ص كان
يجاور بحراء في كل سنة شهرا وكان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره وانصرف الى مكة وطاف بها سبعا
قبل ان يدخل بيته حتى جاءت السنة التي اكرمه الله فيها بالرسالة فجاء في حرا في شهر رمضان ومعه اهله خديجة وعلي ع وخادم
وروى الطبري وغيره ان رسول الله ص قبل مبعثه كان اذا حضرت الصلوة يخرج الى شعاب مكة ويخرج معه علي ع مستخفيين من
ابي طالب ومن سائر اعمامه وقومه يصليان الصلوة فاذا امسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله ثم ان ابا طالب عثر عليهما يوما
وهما يصليان فقال لرسول الله ص يا ابن اخي ما هذا الذي اراك تدين به فقال يا عم هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين
ابينا ابراهيم بعثني الله رسولا الى العباد وانت يا عم احق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى واحق من اجابني اليه واعانني
عليه فقال ابو طالب يا ابن اخي اني لا استطيع ان افارق ديني ودين ابائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص اليك شيء تكرهه
ما بقيت وروي انه قال لعلي يا بني ما هذا الذي تدين به فقال يا ابت امنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به وصليت لله
معه قال فقال له اما انه لا يدعو الا الى خير فالزمه السابع اشار الى كونه اول من اسلم من الذكور بقوله لم يجمع بيت واحد
الى قوله وانا ثالثهما وقد مضى منه ع مثل ذلك حيث قال اكذب على الله وانا اول من امن به وقوله فلا تتبروا مني فاني ولدت
على الفطرة وسبقت الى الاسلام والهجرة وروى الطبري في تاريخه عن عباد بن عبد الله قال سمعت عليا ع يقول انا عبد الله واخو
رسول الله وانا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي الا كاذب مفتر صليت قبل الناس بسبع سنين وفي رواية اخرى انا الصديق
والفاروق الاول اسلمت قبل اسلام ابي بكر وصليت قبل صلوته بسبع سنين وروى ذلك جم من وجوه احدها عن ابن مسعود
قال قدمت الى مكة فانتهينا الى العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ عطار جالس الى زمزم ونحن عنده اذ اقبل رجل من باب الصفا عليه
ثوبان ابيضان عليه وفرة جعدة الى انصاف اذنيه اشم اقنى ادعج العينين كث اللحية ابلج براق الثنايا ابيض تعلوه حمرة وعلى يمينه غلام
مراهق او محتلم حسن الوجه تقفوهم امراة قد سترت محاسنها فقصدوا نحو الحجر فاستلمه الرجل ثم الغلام ثم المراة ثم طافوا بالبيت ثم استقبلوا
الحجر وقام الغلام الى جانب الرجل والمراة خلفهما فاتوا باركان الصلوة مستوفاة فلما راينا ما لا نعرفه بمكة قلنا للعباس انا لا نعرف
هذا الدين فيكم فقال اجل والله فسالنا عن هؤلاء فعرفنا اياهم ثم قال والله ما على وجه الارض احد يدين بهذا الدين الا هؤلاء
الثلثة وروى مثله عن عفيف بن قيس الكندي وروي عن معقل بن يسار قال كنت عند النبي ص فقال لي هل لك ان نعود فاطمة فقلت
نعم يا رسول الله فقمنا فدخلنا عليها فقال لها ص كيف تجدينك قالت والله لقد طال سقمي واشتد حزني وقال لي النساء زوجك
ابوك فقيرا لا مال له فقال لها اما ترضين اني زوجتك اقدم امتي سلما واكثرهم علما وافضلهم حلما قالت بلى رضيت
يا رسول الله وروى هذا الخبر عن ابي ايوب الانصاري وعن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام والسدي وابن عباس وجابر بن
عبد الله الانصاري واسماء بنت عميس وام ايمن الثامن روي عن ابي رافع قال اتيت ابا ذر بالربذة اودعه فقال لي ستكون فتنة فاتقوا

في بيان الخطبة القاصعة

وعليكم بالقمح على بن ابي طالب فاتبعوه فاني سمعت رسول الله صلعم يقول له انت اول من امن بي واول من يصافحني يوم القيمة وانت الصديق
الاكبر وانت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وانت يعسوب المؤمنين الرابع عن ابي ايوب الانصاري ان رسول الله
صلى الله عليه وآله قال لقد صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين وذلك انه لم يصل معي رجل فيها غيره واعلم انه ربما اعترض
بعض الجهال فقال ان اسلامه عليه السلام لم يكن معتبرا لكونه كان دون البلوغ فيجاب عنه من وجوه احدها الاسلم انه كان بعد البلوغ
ومستند هذا المنع وجوه احدها ما رواه شداد بن اوس قال سالت خباب بن الارت عن سن علي يوم اسلم قال اسلم وهو ابن خمس عشرة
سنة وهو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ الثاني ما رواه ابو قتادة عن الحسن ان اول من اسلم علي بن ابي طالب وهو ابن خمس عشرة
سنة الثالث ما حكي عن حذيفة بن اليمان قال كنا نعبد الحجارة ونشرب الخمر وعلي من ابناء اربع عشرة سنة يصلي مع رسول الله
ليلا ونهارا وقريش يومئذ تسافهه ما يدفعنا الا علي الثاني ان المتبادر الى الفهم من اطلاق لفظ المسلم والكافر انما
هو البالغ دون الصبي والمبادرة الى الذهن دليل الحقيقة فلو اخبر انه ممن يرجع الى الاطلاق حكم بانه اسلم على ان ذلك يشهد
بكونه بالغا عاقلا لما يفعله خصوصا في البلاد الحارة مثل مكة فان العادة في المزاج الصحيح فيها ان يبلغ صاحبه فيما دون خمس
عشرة سنة مع احتلام وهو ابن اثنتي عشرة سنة الثالث وهو الحاسم لمادة الاشكال انه اما ان يكون اسلم وهو بالغ او لم يكن
او لم يكن فان كان الاول فقد حصل الغرض وان لم يكن فلا معنى للكفر في حقه اذ كان مولودا على الفطرة فمعنى الاسلام في حقه
اذن دخوله في طاعة الله ورسوله والاستسلام لاوامرهما فله اذن الاسلام الفطري والايمان الخالص لتوارده على نفس قدسية
لم تتدنس بادناس الجاهلية وعبادة الاصنام والاعتقادات الباطلة المضادة للحق التي صارت ملكات في نفس من اسلم بعد
ما طال عمره فكان ايمانه بالله ورسوله واردا على نفس صاف لوحها عن كدر الباطل فهي المستعدة بالحق متمثلة به وكانت غاية اسلام
غيره ان يمحوا على طول الرياضة من نفوسهم الاثار الباطلة وملكات السوء فاين احدهما من الاخر انشا الله وقوله يرى نور الوحي
والرسالة واشم ريح النبوة وسماعه رنة الشيطان وهذه على مرتبة الاولياء واستعار لفظ النور لما يشاهده بعين بصيرته بالقلب
من اسرار الوحي والرسالة وعلوم التنزيل ودقائق التاويل واشراقها على لوح نفسه القدسية ووجه الاستعارة كون هذه العلوم و
الاسرار هاديا في سبيل الله الى الخروج عن ظلمات الجهل كما يهدي النور من الطرق المحسوسة ورشح تلك الاستعارة بذكر الرؤية لان النور حظ
البصر وكذلك استعار لفظ الريح لما ادركه من مقام النبوة واسرارها ورشح بذكر الشم لان الريح حظ القوة الشامة واما سماعه لرنة
الشيطان فقد علمت كيفية سماع الانسان لصوت الملك والشيطان وكيفية رؤيته لصورته وان ذلك باستعانة من النفس بالقوة
المتخيلة في المناسبة لمعاني المعقولة وحطها الى لوح الخيال مشاهدة للحس المشترك مسموعة فقد استلزمت هذه الاشارة انه ع
استعد لسماع صوت الشيطان في حزنه حين ايس من اتباع الخلق له وانقيادهم لامره وهو معنى عبادته اذ اصل العبادة الخضوع
وكيفية ذلك ان نفسه القدسية تصورت معنى الشيطان مقرونا بمعنى الياس والحزن وكسته المتخيلة صورة حزين صارخ و
حطته الى لوح الخيال فصار مسموع الرنة ويؤيد ذلك قوله صلعم حين سأله عن ذلك انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك
لست بنبي فانه شهد له في ذلك بالوصول الى مقام سماع الوحي وكلام الملك وصوت الشيطان وسائر ما يراه صلعم ويسمعه لما
قويت عليه نفسه القدسية الا كونه نبيا فان مقام النبوة لا يتحقق للانسان الا بالشرط الذي شرحنا اليه في المقدمات ونحن نعلم ما
بين النبي وغيره من سائر النفوس الكاملة وهو كون الانسان مخاطبا من السماء باصلاح امر ابناء نوعه في معاشهم ومعادهم وذلك
مقام اعلى واكمل من كل مقام يبلغه انسان بعقوبته وروي عن الصادق انه قال كان علي ع يرى مع النبي صلعم قبل الرسالة الضوء ويسمع
الصوت وقال له الرسول صلعم لولا اني خاتم الانبياء لكنت شريكا في النبوة فان لا تكن نبيا فانت وصي نبي ووارثه بل انت سيد
الاوصياء وامام الاتقياء ثم لما نفى عنه مقام النبوة جبره بمقام الوزارة اشارة الى انه الصالح لتدبير احوال الخلق في معاشهم
ومعادهم من وزارته صلى الله عليه وآله وهو المعين له على ذلك ثم شهد له بانه على خير واشار به الى ما هو عليه من الطريقة
المحمودة وما ستفاد السيرة في خدمته وتربيته وذلك خير كثير وفي مسند احمد بن حنبل عن علي ع قال كنت مع رسول الله صلعم صبيحة
الليلة التي اسري به فيها وهو بالحجر يصلي فلما قضى صلاته وقضيت صلاتي سمعت رنة شديدة فقلت يا رسول الله ما هذه
الرنة فقال الا تعلم هذه رنة الشيطان علم اني اسري بي الليلة الى السماء فايس من ان يعبد في هذه الارض واما حديث الوزارة
فروي انه لما نزل قوله وانذر عشيرتك الاقربين دعاني رسول الله صلعم وامرني ان اصنع صاعا من طعام واجعل عليه رجل
شاة واملاء له عسا من لبن ففعلت ما امرني به ثم امرني بجمع بني عبد المطلب فجمعتهم يومئذ وهم اربعون رجلا فيهم اعمامه ابو طالب
وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا دعا بالطعام الذي صنعته فوضعته ثم تناول مضغة من لحم فشقها باسنانه ثم القاها
في نواحي الصحفة وقال كلوا باسم الله فاكلوا حتى ما بهم الى شيء من حاجة والذي نفس محمد بيده ان كان الرجل الواحد منهم لياكل

جواب اعتراض بعض الجهال على [illegible] اسلام امير

ماقدمته

في بيان الخطبة القاصعة

ما قدمته لجميعهم ثم قال اسق القوم فاتيتهم بعس فشربوا منه حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله
ثم قال لهم يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شابا في العرب جاء قومه بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد امرني الله
ان ادعوكم اليه فايكم يوازرني على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها جميعا فقلت انا واني لاحدثهم سنا
وارمصهم عينا واعظمهم بطنا واحمشهم ساقا انا يا رسول الله اكون وزيرك عليه فاعاد القول فامسكوا واعدت ما قلت فاخذ برقبتي
ثم قال لهم هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع
لابنك وتطيع الثاني عشر كونه مع من صحبه لما اتاه الملأ من قريش وسألوه ما سألوا من دعوة الشجرة وتصديقه له في ذلك واعلامه
به وقد علمت فيما سلف ان نفوس الانبياء عليهم السلام لها تصرف في هيولى عالم الكون والفساد فيستعد عن نفوسهم لقبول الامور
الخارقة للعادات الخارجة عن وسع غيرهم من ابناء نوعهم وصورة الحال في سؤالهم وكيفية دعوته صلى الله عليه وآله للشجرة و
اجابتها وتكذيبهم بذلك وتصديقه بتصديقه له مستوفى في كلامه وذلك من قوله ولقد كنت الى قوله يعنونني فاما حكمه
صلى الله عليه وآله بانهم لا يفيئون الى خير وان منهم من يطرح في القليب ومنهم من يحزب الاحزاب فمن عجائب الله التي اطلعه
عليها واقتضاه له فعلمه بحسبه في تدبير الحال شيئه القدسية والقليب هو قليب بدر وممن طرح فيه عتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية
بن عبد شمس وابو جهل والوليد بن المغيرة وغيرهم طرحوا فيه بعد انقضاء الحرب وكان ذلك الخبر من اعلام نبوته وممن حزب الاحزاب
هو ابو سفيان وعمرو بن عبد ود وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وغيرهم واما حديث الشجرة فمشهور مستفاض رواه
المحدثون في كتبهم وذكره المتكلمون في معجزاته ومنهم من روى ذلك مختصرا انه دعا شجرة فاقبلت تخد الارض خدا ونقله
البيهقي في كتاب دلائل النبوة واما نداؤه للشجرة وقوله لها ان كنت تؤمنين بالله الى قوله باذن الله فقد علمت ان الخطاب مخصوص
في عرف العقلاء بمن يعقل لكنه صلى الله عليه وآله لما وجد نفسه القدسية من اعداد الشجرة لما يروم منها وعلم انها لجنبة الاستعداد لذلك
القبول امر الله بما اراد منها خاطبها خطاب من يعقل استعارة ملاحظة لشبهها بمن يعقل في اجابته نداءه وفائدة ذلك
الخطاب ان يكون وجود ما رام منها عقيب خطابه اغرب في نفوس الحاضرين وابلغ واعجب فاذا كان وقوع تلك الحال بها غريبا
كان كونها على تلك الحال وفق خطابه ومقاصده لها اغرب لزيادة ايهام كونها سمعت ذلك النداء وعقلت ذلك الخطاب مع انها
ليس من شأنها ذلك والتعجب في نفوس السامعين ولذلك خرج هذا عن كونه سفها وعبثا وقال الامام الوبري ونحو ذلك
قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي واعلم ان ذلك على راي الاشعرية ظاهر لان البنية المخصوصة ليست شرطا
في حصول الحيوة وما يكون مشروطا بها من السمع والفهم فلذلك جاز ان يكون الله تعالى خلق في الشجرة علما وسمعا قبلت بها
خطابه وقال الامام الوبري الخطاب في الاصل لله تعالى فكانه قال اللهم ان كانت هذه الشجرة من آثارك الشاهدة بوجودك
وانت مرسلي فاجعل ما سألت منها شاهدا على صدق دعواي ولما كانت الشجرة محل ما سأل من الله خاطبها لذلك فعلى هذا
يكون مجازا من باب اقامة السبب مقام السبب قال ويحتمل ان يكون الخطاب في الاصل للملائكة الموكلين بالشجر قوله واني لمن قوم
الى قوله لا يأثم كناية عن بلوغهم في طاعة الله لغاية المطاوعة منه فانه لم يقف دون غاية منها لعوق يلام على التقصير فيها وقوله سيماهم
سيما الصديقين الى آخر الصفات فالقوم هم المتقون الذي سأله همام عن صفتهم والصفات المذكورة بعض صفاتهم و
قد سبقت مستوفاة في خطبته مفردة وذكر منها هاهنا عشرا احدها ان علامتهم علامة الصديقين وهم الملازمون للصدق
في اقوالهم وافعالهم طاعة لله تعالى وقد عرفت علاماتهم في خطبة همام الثانية وكلامهم كلام الابرار من الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر والذكر الدائم لمعبودهم الحق الثالث كونهم عمار الليل وكنى بعمارتهم له عن قيامهم فيه بالعبادة روي ان احدهم كان
اذا كسل عن العمل علق نفسه بحبل حتى يصبح عقوبة لها الرابع استعار لفظ المنار لهم باعتبار كونهم يهدون الخلق الى
طريق الله كالمنار على الطريق المحسوس وكذلك لفظ الحبل للقرآن باعتبار كونه سببا للتعلية ومشبهته الى الترقي من ماء
الحيوة الباقية كالعلوم والاخلاق الفاضلة كالحبل الذي هو سبب للارتواء والاستقاء من الماء او باعتبار كونه عصمة لمن تمسك
به صاعدا من دركات الجهل الى فضاء درجات العقل كالحبل يصعد فيه من السفل الى العلو ولفظ القرآن مجرور بعطف
البيان الخامس وكنى باستعارة وصف احياء السنن لهم باعتبار اقامتها والعمل بها السادس عدم الاستكبار والعلو منهم ولما كان
الاستكبار بغي الانسان رذيلة كان عدمه فضيلة السابع عدم الغلول وهو فضيلة لكون الغلول مستلزما لرذائل كالشره
والخيانة والحرص والدناءة وغيرها وكان عدمه كمالا الثامن كونهم لا يفسدون ولما كان كل فساد مستلزم رذيلة او رذائل
كالزنا لرذيلة الفجور وكالقتل المستلزم لرذيلة الظلم وكان سائرها كان عدمها كمالا التاسع كون عقائد قلوبهم في الجنان

المستلزم صح

وذلك انك علمت ان اعلى غرفات الجنان ودرجاتها هو المعارف الالهية والفقه بمقاعد الصدق عند المليك المقتدر

وذلك من مقامات العارفين واولياء الله الصديقين العاشرة كون تعبدهم في العمل قالوا وفي قوله ولعبادهم يحتمل ان تكون بمعنى
اى ان قلوبهم في الجنة مما يكون اجسادهم مستغرقة بالحركات والسكنات في الاعمال الصالحات فاولئك الذين صدقوا واولئك هم
المفلحون ومن كلام له عليه السلام قاله لعبد الله بن العباس وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصور يسأله فيها
الخروج الى ماله بينبع ليقل هتف الناس باسمه للخلافة بعد ان كان سأله مثل ذلك من قبل فقال عليه السلام يا ابن
عباس ما يريد عثمان الا ان يجعلني جملا ناضحا بالغرب اقبل وادبر بعث الي ان اخرج ثم بعث الي ان اقدم ثم هو
الآن يبعث الي ان اخرج والله لقد دفعت عنه حتى خشيت ان اكون آثما اقول ينبع قرية صغيرة من اعمال المدينة
وهتف الناس صياحهم ونداؤهم باسمه والناضح الجمل يستقى عليه والغرب الدلو العظيمة وسبب الرسالة ان القوم الذين
حصروه كانوا يكثرون نداءه والصياح برفعه ويعتبون على احداثه من تفريق بيت المال على غير مستحقه ووضعه في غير موضعه وسائر
الاحداث التي ذكرنا انها نسبت اليه واستعار لفظ الجمل الناضح ورشح بذكر الغرب واشار الى وجه المشابهة بقوله اقبل وادبر وقوله
بعث الي قوله اخرج شرح لكيفية تصريفه في حال حصره وعلة تنحيته الناس له وبعثه الى الينبع امره كما اشرنا اليه من قبل
وقد كان قصده بذلك الرسالة من بين سائر الصحابة لاحد امرين احدهما اعتقاده انه كان اقرب الجماعة والناس له اطوع وان
قلوب الجماعة معه والثاني انه كان يعتقد ان له شركة مع الناس في فعلهم به وكانت بينهما هناة فكان بعثه له من بين الجماعة
متعينا لانهم ان رجعوا بواسطته فهو الغرض وان لم يرجعوا حصلت بعض المقاصد ايضا وهو تأكد ما نسب اليه من المشاركة في امره
وبقاء ذلك حجة عليه لمن بعده ممن يطلب بدمه حتى كان بسبب هذا الغرض الثاني ما كان من الوقائع بالبصرة وصفين وغيرهما
وقوله والله الى آخره يحتمل وجوها احدها ما قال بعض الشارحين اني بالغت في الذب عنه حتى خشيت لكثرة اجتهادي ان اكون
آثما في الذب عنه والاجتهاد في ذلك والثاني يحتمل ان يريد اني خشيت الاثم في تغريري بنفسي لان دفع الجمع العظيم في هذا الامر
العظيم مظنة الخوف على النفس فيكون الاقدام عليه مظنة اثم الثالث يحتمل انه يريد انه خشي الاثم من الافراط في حقهم كان يعنف
احدهم بسوطه ويغلظ له في القول والشتم وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام اقتص فيه ما كان منه بعد هجرة النبي
صلى الله عليه وآله ثم لحاقه به فجعلت اتبع مأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله فاطأ ذكره حتى انتهيت الى العرج في كلام طويل قال السيد
الرضي رضي الله عنه قوله فاطأ ذكره من الكلام الذي رمى به الى غايتي الايجاز والفصاحة واراد اني كنت اعطى خبره صلى الله عليه وآله من بدء خروجي
الى ان انتهيت الى هذا الموضع فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة اقول هذا الفصل من كلام يحكي فيه ما كان جرى من حاله
في خروجه من مكة الى المدينة بعد ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك انه صلى الله عليه وآله لما عزم على الهجرة اعلم عليا عليه السلام بخبره وامره ان
يبيت على فراشه خدعة للمشركين الذين كانوا عزموا على قتله في تلك الليلة وايهاما لهم انه لم يبرح فلا يطلبونه حتى يبعد مسافته عنهم وان
يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس فان جماعة من اهل مكة استودعوه ودائع لما رأوا من امانته
وكانوا قد اجمعوا على ان يضربوه باسيافهم من ليلته جماعة من بطون مختلفة ليضيع دمه بين بطون قريش فلا يطلبه بنو عبد
مناف وكان ممن اجمع على ذلك النضر بن الحرث من بني عبد الدار وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام وزمعة بن الاسود بن عبد
المطلب الثلاثة من بني اسد بن عبد العزى وابو جهل بن هشام واخوه الحرث وخالد بن الوليد بن المغيرة الثلاثة من بني مخزوم ونبيه
ومنبه ابنا الحجاج وعمرو بن العاص الثلاثة من بني سهم وامية بن خلف واخوه ابي من بني جمح فنما هذا الخبر من الليل الى عتبة بن
ربيعة فلقي قوما منهم ونهاهم عن ذلك قال ان بني عبد مناف لا تسكت عن دمه ولكن صفدوه في الحديد واحبسوه في دار من
دوركم وتربصوا به ان يصيبه من الموت ما اصاب امثاله من الشعراء وكان عتبة بن ربيعة سيد بني عبد شمس فاحجم ابو جهل واصحابه
تلك الليلة عن قتله احجاما ثم تسوروا عليه وهم يظنونه في الدار فرأوا انسانا مسجى بالبرد الحضرمي فلم يشكوا انه هو فكانوا يهمون
بقتله ثم يحجمون لما يريد الله من سلامة علي عليه السلام ثم قال بعضهم لبعض ارموه بالحجارة فرموه فجعل علي يتضور منها ويتأوه تأوها خفيا
ولا يعلمهم بحاله خوفا على رسول الله صلى الله عليه وآله ان يطلب فلم يزالوا كذلك حتى اصبحوا فوجدوه عليا ثم تخلف عليه السلام بعده بمكة ثلاثا
نقضا ما امره به ثم لحق به فجاء الى المدينة راجلا قد تورمت قدماه فصادف رسول الله صلى الله عليه وآله نازلا بقباء على كلثوم بن الهدم
فنزل معه في منزله ثم خرج معه من قبا حتى نزلا بالمدينة على ابي ايوب الانصاري فقوله فجعلت اتبع مأخذ رسول الله اي الجهة
والطريق التي اخذ فيها وسار حتى انتهيت الى الموضع المعروف بالعرج وقوله فاطأ ذكره استعار وصف الوطي لوقوع ذهنه على ذكره
بين الناس في تلك الطريق كوقوع القدم على الارض ووجه المشابهة ان الخبر عنه صلى الله عليه وآله وذكره طريق الحركات فكما ان القدم تنتقل الى غرضه
كما كان المحسوس طريق الحركات فيه الى الوصول اليه وقيل انه يبتدئ ذكره ما ذكره لي حتى يصفه من حال الطريق الى ان انتهى
الى لفظه وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام فاعملوا وانتم في نفس البقاء والصحف منشورة والتوبة مبسوطة والمدبر يدعى

ينبع

والمسير

٣٠ ج

والمسيئ يرجى قبل ان يخمد العمل وينقطع المهل وينقضى الامد ويسد باب التوبة وتصعد الملئكة فاخذ امرؤ من نفسه لنفسه واخذ
من حي لميت ومن فان لباق ومن ذاهب لدائم امرؤ خاف الله وهو معمر الى اجله ومنظور الى عمله امرؤ الجم نفسه بلجامها وزمها
بزمامها فامسكها بلجامها عن معاصى الله وقادها بزمامها الى طاعة الله **اقول** يقال فلان في نفس من امره اى في سعة
والفصل في غاية الفصاحة وقد امرهم بالعمل حال ما هم في مهلته على الاحوال التي اشار اليها احدها كونهم في نفس البقاء و
سعته فان الموت مستلزم لانقطاع العمل وعدم امكانه الثاني كون الصحف منشورة اى صحف الاعمال فانها انما تطوى بانقطاع
الاعمال بالموت وقد عرفت معنى الاشارة الى الصحف ونشرها الثالث كون التوبة مبسوطة واستعار لفظ البسط ملاحظة لشبهها
بالبساط في كونها ممدودة القبول غير ممنوع منها في عرض العمر ليطاها من ارادها كالبساط وانما تطوى بالموت كما قال تعالى وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار والرابع حال كون
المدبر يدعى اى حال كون المدبر عن طاعة الله المعرض عنها يدعى اليها من الانبياء والرسل والنواميس الالهية وذلك منقطع
بالموت الخامس حال كون المسيئ يرجى اى يرجى صلاحه وعوده وذلك حال البقاء في الدنيا ولما ذكر هذه الاحوال للترغيب في العمل
عليها والتذكير بكونها الان يمكن معها اردفها باحوال تمتنع معها العمل بتغيرها وهي خمود العمل واستعار لفظ الخمود له ووجه الملاحظة
لتشبيهه بالماء في جموده عن الجريان وكذلك انقطاع المهل وانقضاء المدة اى مدة البقاء وسد ابواب التوبة ولفظ الابواب مستعار لطرق
الاعتبار التي يرجع منها الى الله تعالى وكذلك الملائكة اى الكرام الكاتبين فان الملائكة الموكلين تضبط اعمال كل شخص يصعدون
الى السماء بعد بطلان الاعمال وقوله فاخذ امرؤ من نفسه امر في صورة الخبر اى فليأخذ المرء من نفسه اى بعض نفسه بالاجتهاد والنصب
في العبادة فانما اجزاء البدن ويأخذ ان من النفس لانها مشتهيا تها البدنية ويجوز ان يريد بالنفس هنا الشخص والاخذ
منه ظ وقوله لنفسه اى ليكون ذلك كمالا لنفسه وذخرا لها في معادها وقوله فاخذ من حي لميت الى قوله امرؤ امرؤ في صورة الخبر
وفاعل اخذ هو قوله امرؤ والحي والميت هو المرء نفسه اى فليأخذ امرؤ من نفسه باعتبار ما هو حي لنفسه باعتبار ما يصير اليه من حال
الموت وقوله من فان لباق اى فليأخذ من الامر الفاني وهو الدنيا ومتاعها للامر الباقي وهو النعيم الباقي الابدي في الاخرة ومعنى ذلك الاخذ
ان الانسان يكتسب من الدنيا ومتاعها الفاني كمالا باقيا يوصل الى نعيم دائم وذلك بالصدقات والزكوات والانفاق في وجوه البر والقربات
وكذلك قوله ومن ذاهب لدائم ثم اخذ في وصف ذلك المرء كانه يسأل عنه فقال امرؤ خاف الله في حال ما هو معمر الى اجله ومنظور الى عمله اي
بقاية اجله وكونه عمله منظورا اليه للثواب ومرجى له تخويفا من هجوم الاجل وحثا على صالح الاعمال ثم اتى بقرائن كثيرة لما ذكر علمها وعلم بها وقوله
امرؤ الجم نفسه بدل من امرؤ الاول واستعار لفظ اللجام للزهد الحقيقي والعفة ووجه المشابهة ما نعين للنفس الامارة من جماحها
في تيه الهوى ومعاصى الله كما يمنع اللجام الدابة عن الجماح ورشح بذكر الالجام وكنى به عن ردع النفس بالزهد واشار الى ذلك الوجه
من المشابهة بقوله فامسكها بلجامها عن معاصى الله وكذلك استعار لفظ الزمام للعبادة باعتبار ما هي قائدة للنفس الامارة بالسوء
الى موافقة النفس المطمئنة في طاعة الله كما قال تعالى ثم قادها بزمامها اذ علمت ان العبادة انما وضعت لتطويع النفس الامارة للعقل
وانقيادها لحضرة واجتذابها خلفه عند توجهه الى المقاصد القدسية الى حضرة ذي الجلال والاكرام او الى ذلك الوجه من
المشابهة اشار بقوله وقادها بزمامها ورشح بذكر الزمام والقود وكنى بهما عن انقياد العبادة وتطويعها للنفس لها وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام في بيان الحكمين وذم اهل الشام جفاة طغام عبيد اقزام جمعوا من كل اوب وتلقطوا من كل
شوب ممن ينبغي ان يفقه ويؤدب ويعلم ويدرب ويولى عليه ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين والانصار ولا الذين تبوءوا
الدار الا وان القوم اختاروا لانفسهم اقرب القوم مما تحبون وانتم اخترتم لانفسكم اقرب القوم مما تكرهون وانما عهدكم بعبد الله
بن قيس بالامس يقول انها فتنة فقطعوا اوتاركم وشيموا سيوفكم فان كان صادقا فقد اخطأ بمسيره غير مستكره وان كان كاذبا
فقد لزمته التهمة فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن عباس وخذوا مهل الايام وحوطوا قواصي الاسلام الا ترون الى
بلادكم تغزى والى صفاتكم ترمى **اقول** الجفاة جمع جاف وهو غليظ الطبع قاسي القلب والطغام اوغاد الناس وارذالهم والاقزام
جمع قزم بفتح الزاي وهو الرذال الدني من الناس ويطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى ويقال جاؤا من كل اوب اي من كل
ناحية والشوب الخلط ويدرب يعود بالعادات الجميلة ويجرب الامور وتبوّؤا الدار نزلوا وشيمنا السيف غمدناه ويصدق الفصل
بذكر مذام اهل الشام تنفيرا عنهم ووصفهم بكونهم عبيدا اما لانهم عبيد الدنيا واهلها او لان منهم عبيدا والقاظ مهمل يفيد
بالبعض والمرفوعات الاربعة الاولى اخبار المبتدأ محذوف اي هم جفاة ومحل قوله جمعوا الرفع صفة لاقزام ويحتمل ان يكون
خبرا خامسا وكذلك قوله ممن ينبغي وقوله ليسوا وقوله يولى عليه ويؤخذ على يديه كناية عن كونهم سفهاء لا يصلحون لان
يأتوا امرا ويفوض اليهم بل ينبغي ان يحجر عليهم ويمنعون من التصرف لعداوتهم وسفههم وذكر كونهم ليسوا من المهاجرين والانصار

في بيان مدائح آل محمد

في معرض الذم لهم لكون ذلك تنقيصا لهم من تلك الجهة بالنسبة الى المهاجرين والانصار وكذلك نفى كونهم ليسوا من الذين تبوؤا الدار واراد
بالدار مدينة الرسول ص والذين تبوؤها هم الانصار من اهلها الذين اسلموا بها قبل هجرة الرسول اليهم بسنتين وابتنوا بها المساجد
واليهم اشار تعالى في كتابه العزيز واثنى عليهم فقال والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الآية الى قوله
فاولئك هم المفلحون وفي نسخة الرضي ره تبوؤا الدار فقط وفي ساير النسخ والايمان ووصف الايمان بكونه متبوءا لهم مستعارا
ملاحظة لشبهه بالمنزل باعتبار انهم ثبتوا عليه واطمأنت قلوبهم به ويحتمل ان يكون نصب الايمان هنا كما في قوله ورأيت
زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا اي لازموا الايمان كما اراد الشاعر ومعتقلا رمحا وقوله الا وان القوم الى قوله تكرهون
والقوم هم اهل الشام والذي اختاروه لانفسهم وكان اقرب القوم مما يحبون هو عمرو بن العاص فانهم اختاروه للحكومة وعولوا
عليه من قبلهم وكونه اقرب القوم مما يحبون لكثرة خداعه ومعرفته بميله الى معوية وعطائه والذي مما يحبونه مما هو اقرب اليه
هو الانتصار على اهل العراق وصيرورة الامر الى معوية والذي اختاره اهل العراق للحكومة هو ابو موسى الاشعري وكان اقرب
القوم مما يكرهون من صرف الامر عنهم وكونه اقرب الى ذلك لما [illegible] ولانه كان منحرفا عن علي ع وذلك انه كان
في زمن الرسول ص واليا من قبله على زبيد من عمال اليمن ثم ولاه عمر البصرة لما عزل المغيرة عنها فلما عزله عثمن سكن بالكوفة
فلما كره اهلها سعيد بن العاص ودفعوه عنها ولوا ابا موسى وكتبوا الى عثمن يسألونه ان يوليه فاقره على الكوفة فلما قتل عثمن عزله
علي ع فلم يزل واجدا لذلك عليه حتى كان منه ما كان في الكوفة وقوله وانما عهدكم بعبد الله الى آخره احتجاج عليهم في اختيارهم
لعبد الله بن قيس وهو ابو موسى الاشعري للحكومة وصورة الاحتجاج ان ابا موسى كان يقول لكم يا اهل الكوفة عند مسيري الى اهل



البصرة انها فتنة من الفتن التي وعدنا بها وامرنا بالفرار منها فقطعوا اوتار قسيكم واغمدوا سيوفكم فلا يخلو اما ان يكون صادقا في ذلك
لزمه الخطأ بمسيره معنا غير مستكره الى فتنة امرنا بالاعتزال عنها وحضوره صفوف اهل العراق وتكثيره سوادهم وان كان كاذبا فقد
لزمته التهمة فيما يكذب به وعلى التقديرين لا ينبغي ان يعتمد عليه في هذا الامر الجليل والقول ومما يناسب هذا الاحتجاج
ما روي عن سويد بن غفلة قال كنت مع ابي موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمن فروى لي خبرا قال سمعت رسول الله ص
يقول ان بني اسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكمين ضالين ضلا واضلا من اتبعهما ولا ينفك امر امتي مختلف
حتى يبعثوا حكمين يضلان ويضلان من اتبعهما فقلت له احذر يا ابا موسى ان تكون احدهما قال فخلع قميصه وقال ابرأ الى الله
من ذلك كما ابرأ من قميصي هذا فنقول لا يخلو اما ان يكون صادقا في ذلك الخبر او كاذبا فان كان صادقا فقد اخطأ في دخوله
في الحكومة وشهد على نفسه بالضلال والاضلال وان كان كاذبا فقد لزمته التهمة فلا ينبغي ان يعتمد عليه في هذا الامر وقوله
فادفعوا صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن عباس كناية عن جعله مقابلا له في الحكومة دافعا له عما يريد ولما قدح في ابي موسى
اشار الى عدم صلاحيته لهذا الامر كان رأيه ان يبعث الحكم من قبله عبد الله بن عباس فابى قومه عليه وروي بعبارة اخرى انه
قال لهم لما الحوا في بعث ابي موسى وتضمينه حكما ان معوية لم يكن ليختار لهذا الامر احدا هو اوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وانه
لا يصلح للقرشي الا قرشي وهذا عبد الله بن عباس فارموه به فان عمرا لا يعقد عقدة الا حلها ولا يبرم امرا الا نقضه ولا ينقض
امرا الا ابرمه فقال الاشعث ومن معه لا والله لا يحكم فيها مضريان ابدا حتى تقوم الساعة ولكن يكون رجل من مضر
ورجل من اليمن فقال ع اني اخاف ان يخدع يمانيكم فان عمرو بن العاص ليس من الله في شيء فقال الاشعث والله لئن يحكمان ببعض ما نكره
واحدهما من اليمن احب الينا من ان يكون ما نحب وهما مضريان فقال ع قد ابيتم الا ابا موسى فاصنعوا ما شئتم اللهم اني ابرأ
اليك من صنيعهم وقوله وخذوا مهل الايام امرهم باغتنام مهل الايام وفسحتها عما ينبغي ان يعملوا فيها ويدبروه من احوالهم على
وفق الآراء الصالحة وكذلك امرهم بحياطة قواصي الاسلام وهي اطراف العراق والحجاز والجزيرة وما كان في يده ع من البلاد ثم استثار
طباعهم وحميتهم الى ذلك بتنبيههم على ان بلادهم تغزى وصفاتهم ترمى وكنى بصفاتهم عن حوزتهم التي استقروا عليها من بلاد
الاسلام واصل الصفاة الحجر الاسود الاملس لا ينبت فيها النبات بل تكسر وتقرع فاشبهها الحوزة في منعها فيقال لا ترمى
صفاتهم ولا تقرع صفاتهم ويكنى بذلك عن منعتهم وقوتهم فلذلك كنى برمي صفاتهم بالطمع فيهم وقصد العدو لبلادهم وقد منها
بالكتائب وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يذكر فيها آل محمد عليهم السلام هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن
علمهم وصمتهم عن حكم منطقهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه هم دعائم الاسلام وولائج الاعتصام بهم عاد الحق في نصابه وانزاح الباطل عن
مقامه وانقطع لسانه عن منبته عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل **اقول**
الولائج جمع وليجة بمعنى مفعولة وهي الموضع يعتصم به الداخل والنصاب الاصل وذكر لهم اوصافا احدها عيش العلم اي حيوته
وقد جعل لهم حيوة ملاحظة لشبهه بالحي في وجوده والانتفاع به ثم اطلق عليهم لفظ الحيوة مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب

الثاني

في بيان خطبة يحث فيها أصحابه على الجهاد

الثاني كونهم موتى الجهل جعل الجهل موتا استعارة باعتبار عدم انتفاعهم واطلاق لفظه مجازا بهم كالذي مضى الثالث كونهم يخبر حلمهم عن علمهم بمواقع الحلم وفي ذلك اشارة الى تلازم فضيلتي الحلم والعلم فيهم فانهم لا يحلمون الا عن علم بمواقع الحلم الرابع كونهم يخبر صمتهم عن حكم منطقهم اذا تكلموا لان من علم مواقع السكوت وما ينبغي ان يسكت عنه وذلك تستلزم حكمة نفوسهم في منطقهم اذا تكلموا لان من علم مواقع السكوت وما ينبغي ان يسكت عنه علم مواقع المنطق وما ينبغي ان يسكت عنه ولو لم يعلم ذلك لجاز ان يتكلم بما لا ينبغي وذلك هو موضع السكوت فلا يكون عالما بمواضع السكوت وقد فرض كذلك هف الخامس كونهم لا يخالفون الحق اي تعلمهم بروعطر قدره وذوقهم له فلا يتجاوزون الى رذيلة الافراط ولا يقفون دونه في مقام رذيلة التفريط السادس كونهم لا يختلفون فيه لعلمهم بحقيقته السابع كونهم دعائم الاسلام واستعار لهم لفظ الدعائم باعتبار حفظهم له بعلمهم وحراسته وقيامهم في الوجود بهم كما يحفظ البيت بالدعائم ويقوم بها الثامن استعار لهم لفظ الولايج باعتبار كونهم مرجعا للخلق يعتصمون بعلمهم وهدايتهم واتباعهم من الجهل ولواحقه وغائلته في الآخرة كما يعتصم بالوليجة من يدخلها التاسع كونهم بانهم عاد الحق الى نصابه اي بولايتهم وخلافتهم عاد الحق الى اهله وانزاح الباطل عن مقامه وهو اشارة الى ان الاحكام كانت قبله في ايام عثمان جارية على غير قانون شرعي لما نقل عنه من الاحداث واستيلاء بني امية في زمانه على بيت مال المسلمين واكلهم له بغير حق كما سبق شرحه فعاد بولايتهم كل حق الى اهله وهو اصله ومستقره والحق اذا كان في غير اهله فهو الباطل ومقامه غير اهله وبولايتهم انزاح الباطل عن مقامه وانقطع لسانه اي تلك ان الناصر للباطل والناطق به واستعار وصف الانقطاع له باعتبار سكونه ملاحظة لشبهه بالمنقطع في عدم القول وقوله من منبته تاكيد لذلك الانقطاع العاشر كونهم عقلوا الدين عقل رعاية ووعاية لا عقل سماع ورواية وذلك انك علمت ان للادراك مراتب ادناها تصور الشيء بحسب اسمه واعلاها تصور الشيء بحسب حقيقته وكنهه وواسطها تعقله بحسب صفاته ولوازمه الخاصة به وبها مع بعض لوازمه فكان عقلهم للدين وعلمهم به على اكمل المراتب وهو عقل الرعاية والرعاية له اي اسنده وتذكره والاحتياط له وليس مما يمر حفظ اسمه وسماع الفاظه فقط وقوله فان رواة العلم كثير الى اخره اي ليس كل من روى العلم وسمعه كان عالما به وراعيا له فان ذلك اعم من العالم مرادا عام لا يستلزم الخاص وفيه ذلك على ان مثلهم في رعاية العلم واستجماع الفضائل وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام يحث فيه اصحابه على الجهاد والله مستاديكم شكره ومورثكم امره وممهلكم في مضمار محدود لتتنازعوا سبقه فشدوا عقد المآزر واطووا فضول الخواصر لا تجتمع عزيمة ووليمة ما انقض النوم لعزائم اليوم وامحى الظلم لتذاكير الهمم **اقول** المضمار الذي تضمر فيه الخيل قيل انها اربعون يوما وقد يبق بيانه والتنازع التجاذب في الخصومة والسبق ما يرجع منه والفضل في غاية من مفاضة والحزام الذي بحث على الاستعداد ليوم لقاء

وقوله والله مستاديكم شكره طالب منكم شكره على نعمه وذلك في اوامر القرآن كثير كقوله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وقوله واشكروا لي ولا تكفرون ومورثكم امره اي سلطانه في الارض الذي كان فيمن سلف من اهل طاعته من الامم السابقة كقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية وقوله واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم الاية وقوله وممهلكم الى قوله سبقه استعار لفظ المضمار لمدة الحيوة الدنيا ووجه المشابهة ان الناس يستعدون في مدة حياتهم بالرياضات والمجاهدة في سبيل الله وتحصيل الكمالات النفسانية للغاية السبق الى حضرة جلال الله كما تضمر الخيل لغاية السبق واشار الى علمه بذلك الامهال وهي نتائج السبق اليه ثم كرره وما يعرض للسالكين في حال عدم اهتمامهم لانفسهم بالرياضات وغيرهم واستمرارهم في طاعة الله من منافسة بعضهم لبعض في التقدم بالفضيلة وسبقه بذلك وحرص كل امرئ منهم ان يكون هو الاكمل ليفوز بقصب السبق الى حضرة قدسه تعالى والمنافسة في الفضائل والحيطة بها محمودة لانها الغاية الى كماله وذلك هو مقتضى مطلوب الشارع من امته ويحتمل ان يريد بالسبق ما يستبق اليه من الفضيلة او الجنة كما سبقت الاشارة الى مثل ذلك ولفظ التنازع ترشيح لاستعارة المضمار والسبق لان من شان ذلك التنازع على السبق والتجاذب على الفوز بالسبقة وخلاصة المعنى انه تعالى امهلكم في الدنيا للاستعداد فيها والتجاذب للسبق اليه وقوله فشدوا واعقدوا المآزر كناية عن الامر بالتشمير والاجتهاد في طاعة الله والاستعداد بها بعد ان بين ان ذلك الغاية من الامهال في الدنيا انكان من شان من يهتم بالامر ويخرج فيه ان يشد عقد ميزره كيلا يشغله عما هو بسبيله ودخوله واطووا فضول الخواصر كناية عن الامر بترك ما يفضل عن متاع الدنيا على قدر الحاجة من الوان الطعوم والملابس وسائر قنيات الدنيا واصل ذلك ان فضول الخواصر والبطون لاحتمال ان يتسع لما فوق قدر الحاجة من الماكول فذلك الفضل الشبع فوق الحاجة وفضول الخواصر وكني بطيها عما ذكرناه من لوازم ذلك الطي وترك تلك الفضول وقوله لا تجتمع عزيمة ووليمة اراد بالعزيمة الى شيء الفضائل الى التشابه والعزيمة هي الارادة الجازمة للامر بعد اختياره وكني بالوليمة وهي طعام العرس ونحوه عن خفض العيش والدعة لاستلزام الوليمة ذلك والمعنى ان العزيمة على تحصيل المطالب الشريفة وكرائم الامور ينافي الدعة وخفض العيش ولا تحصل مع الهوينا لما تستلزمه تحصيل تلك

في باب كتابه الى اهل الكوفة

المطالب التي عزم عليها من المشاق والمتاعب لنفسه وكذا البدن بالرياضات والمجاهدات المنافية للدعة والراحة ويقرب منه قول بعضهم لن تنالوا
حتى تشقوا مما تحبون ثم اكد ذلك بقوله وما انقض النوم لعزائم اليوم . لان الانسان يعزم في النهار على السير في الليل ليقرب المنزل فاذا
جاء الليل نام الى الصباح فانتقض بذلك عزمه وفيه مثلا لمن يعزم على تحصيل الامور الكبار والسعي فيها ثم يلتزم الاناءة والدعة ويريد
انكم مع هذه الدعة وحب الراحة من المتاعب للجهاد لا يتم لكم ما تريدون وما تعزمون عليه من تحصيل السعادة في دنيا واخرة وكذلك قوله
وامحى الظلم لتذاكر الهمم واصله ان الرجل يعزم في مطالبه على السير بالليل فاذا جن الظلام ادركه الكسل وغلب عليه النوم عن
تذكار مطالبه وقصر عنها فكان الظلام سببا لما يمحو تلك التذكار من نوح الذكر فضربه مثلا لمن يدعوه الداعي الى امر ويهتم به
ثم يعرض له امر فيصرفه عنه وهو كالذي قبله وبالله التوفيق تمت وهذا آخر الخطب والاوامر ويتلوه المختار من الكتب والرسائل انشاء
الله فيه عونه وعصمته وتوفيقه وهدايته **باب المختار** من كتب امير المؤمنين ع ورسائله الى اعدائه وامراء بلاده ويدخل في ذلك
ما اختير من عهوده الى عماله ووصاياه لاهله واصحابه **ومن كتاب له عليه السلم** الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة
من عبد الله علي امير المؤمنين الى اهل الكوفة جبهة الانصار وسنام العرب اما بعد فاني اخبركم عن امر عثمان حتى يكون سمعه
كعيانه ان الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين اكثر استعتابه واقل عتابه وكان طلحة والزبير اهون سيرهما فيه
الوجيف وارفق حدائهما العنيف وكان من عائشة فيه فلتة غضب فاتيح له قوم فقتلوه وبايعني الناس غير مستكرهين
ولا مجبرين بل طائعين مخيرين واعلموا ان دار الهجرة قد قلعت باهلها وقلعوا بها وجاشت جيش المرجل وقامت الفتنة على
القطب فاسرعوا الى اميركم وبادروا جهاد عدوكم ان شاء الله عز وجل **اقول** كتب هذا الكتاب حين نزل بماء العذيب متوجها
الى البصرة وبعثه مع الحسن ع وعمار بن ياسر وعيانه رؤيته والوجيف ضرب من السير فيه سرعة واضطراب والعنيف ضد الرفق والفلتة
البغتة من غير تروّ وأتيح قدر وقلع المنزل باهله اذا نبا بهم فلم يصلح لاستيطانهم وقلعوا به اذا لم يستقروا فيه ولم يثبتوا وجاشت القدر غلت
والمرجل القدر من نحاس واعلم انه صدر الفصل بمدحهم جذبا لهم الى ما يريد منهم من نصرته على اهل البصرة واستعار لهم لفظ الجبهة
باعتبار انهم بالنسبة الى الانصار كالجبهة بالنسبة الى الوجه في العزة والشرف والعلو وكذلك استعار لفظ السنام باعتبار علوهم
وشرفهم في العرب بالاسلام والقوة كما ان السنام كذلك وعلو في الجمل وقال قطب الدين الراوندي المراد بجبهة الانصار جماعتهم وسنام العرب
خيارهم ومن ينتفع منهم حقيقة في الموضعين والمعنى قريب مما قلناه الا ان اللفظين ليسا حقيقة لان من علامات الحقيقة السبق الى الفهم
ولا واحد من المعنيين المذكورين يسبق من هذين اللفظين الى الفهم ثم ثنى بذكر الشبهة التي جعلها اصحاب الجمل واهل الشام من آراء الفساد
في الارض حجة لهم حتى كانت مبدأ لكل فتنة نشأت في الاسلام وهي شبهة قتل عثمن مع الجواب عنها وهو قوله اما بعد الى قوله من امر عثمن
شأنه وحاله التي جرت له وقوله حتى يكون سمعه كعيانه كناية عن تمام ايضاح ذلك الامر لمن لم يشهده من اهل الكوفة وقوله ان الناس
طعنوا عليه اشارة الى مبدأ قتله وهو طعن الناس عليه بالاحداث التي نقموها منه يقال طعن فيه بالقول وطعن عليه اذا ذكر له عيبا وقد
ذكرنا تلك المطاعن وهذا القول كالمقدمة للجواب عن نسبته الى قتله وكذلك قوله فكنت رجلا الى قوله عتابه كصغرى قياس ضمير من الشكل
الاول مبين فيه انه ابرء الناس من دم عثمن ومعنى قوله اكثر استعتابه اي اكثر طلب العتبى منه والرجوع الى ما يرضى به القوم منه واقل
عتابه اي ذكر ما اجده منه قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة وانما كان يقل عتابه لانه ع كان يخاطبه فيما هو اهم من
ذلك وهو ارضاؤه للقوم واستعتابه لهم ليدفعوا عنه ويطفئوا نار الفتنة او لان حوله جماعة كمروان وغيره فكان ع اذا عاتبه وصفا
ما عيبا اكدته تلك الجماعة وقيل اراد اني كنت اكثر طلب رضاه واقل لائمته وتقدير كبرى القياس وكل من كان من المهاجرين بالصفة
المذكورة معه فهو ابرء الناس من دمه واقوامهم عذرا في القعود عن قتله وقوله وكان طلحة والزبير الى قوله غضب كصغرى قياس ضمير
ايضا من الاولى الزم فيه القوم السائرين الى حربه وهم طلحة والزبير وعائشة عذر ما نسبوه اليه من الدخول في دم عثمن وكنى بقوله اهون سيرهما
فيه الوجيف الى قوله العنيف عن قوة سعيهما في قتله وشدة تالبهما عليه وقد ذكرنا طرفا من حال طلحة معه وجمعه للناس في داره ومنعه من
ذويه وروي ان عثمن قال وهو محصور ويلي على ابن الحضرمية يعني طلحة اعطيته كذا وكذا بهارا ذهبا وهو يروم دمي يحرض علي اللهم لا
تمتعه به ولقه عواقب بغيه وروي انه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة الى دار بعض الانصار واصعدهم الى سطحها
وتسوروا منها عليه وروي ان مروان قال يوم الجمل والله لا اترك ثاري من طلحة وانا اراه ولاقتلنه بعثمن ثم رماه بسهم فقتله واما الزبير
فروي انه كان يقول اقتلوه فقد بدل دينكم فقالوا له ان ابنك يحامي عنه بالباب فقال والله ما اكره ان يقتل عثمن ولو بدئ بابني و
حالها في التحريض مشهور واما عائشة فروي انها كانت تقول اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا واما الغضب الذي وقع منها فلتة فحقه
فالسبب الظاهر فيه هو انتقاصه مال المسلمين من ابيه وبني ابيه وهو السبب العام في قيام الناس عليه ونقمتهم منه وسائر الاحداث مقويات
لذلك وروي انه صعد المنبر يوما وقد عرضت المصحف باهله فتدلت بها من وراء ستر وفيها نعلان وقميص وقالت هذان نعلا رسول الله صلعم

وقميصه

في باب كتاب كتبه لشريح بن الحارث قاضيه

ج ٢٠١

في القول

وقضيته بعد لم تبل وقد مثلت دينه وغيرت سنته واغاظت له فاغلظ لها وكان ذلك القول منها من اشد ما حرض الناس على قتله والجملة
حال لهؤلاء الثلاثة في التحريض على قتله كان اشهر من ان يحتاج الى ذكر وتقدير كبرى القياس وكل من كان كذلك كان اولى بان لا يدخل
في دمه والسبب التحريض عليه وقوله فبايع له قوم فقتلوه ثم سند نسبته لاجتماع الناس على قتله الى التقدير الالهي ليستغرب
اذهان السامعين بهذه النسبة الصادقة عن نسبة ذلك اليه وافاد القطب الراوندي في قوله ثم انه انما بنى الفعل للمفعول ولم يقل
اتاح الله له او اتاح الشيطان ليرضى بذلك الفريقان وقوله وبايعني الى قوله مخيرين صح عنه بيان من غيرهم من خروج اصحاب الجمل عن
طاعة الله ودخولهم في رذيلة الغدر ونكث العهد المستلزم لدخولهم في عموم قوله تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض الاية وقوله فمن نكث فانما ينكث على نفسه الاية وتقدير الكبرى وكل من
بايعه الناس طائعين مخيرين فلا يجوز لهم ان ينكثوا بيعته ويحاربوه وللاثنين المذكورين وفي نسخة الرضي ره مستكرهين بكسر
الراء بمعنى كارهين يقال استكرهت الشيء اي كرهته وقوله واعلموا الى قوله المرجل اعلام لاهل الكوفة باضطراب حال المدينة
واهلها حين علموا بمسير القوم الى البصرة للفتنة وغرض ذلك الاعلام ان يهيئوا لهم احوالهم المؤمنين وقيل يحتمل ان يريد بدار
الهجرة دار الاسلام وبلادها وكنى بقلعها باهلها وقلعهم بها عن اضطراب امورهم بها وعدم استقرارها لهم من ثوران هذه
الفتنة واستعار لفظ الجيش ملاحظة لشبهها بالقدر في حال غليانها فان اضطراب الناس وحركاتهم من هذه الفتنة تشبه
ذلك وكنى بينهم بذكر الفتنة والحرب وقيامها على قطبها ليستعدوا لها وينفروا اليها ولذلك ردفه بالامر بسرعة المسير الى اميرهم
يعني نفسه وان يبادروا جهاد عدوهم وذكر لفظ القطب وقيامها عليه شبهها بالرحى على المقصود وعلمت وجه استعارة الرحى للحرب
هو مشابهتها في دورانها على من تدور عليه كما تشتمل دوران الرحى على الحب بالطحن وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم**
اليهم بعد فتح البصرة وجزاكم الله من اهل مصر عن اهل بيت نبيكم احسن ما يجزي العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته فقد
سمعتم واطعتم ودعيتم فاجبتم **اقول** يشبه ان يكون الخطاب لاهل الكوفة ومن ههنا لبيان الجنس من الضمير المنصوب في
جزاكم وقد دعا الله لهم ان يجزيهم بنصرة اهل بيت نبيه احسن الجزاء وشكرهم لنعمته من حجته عليهم بطاعته وقوله فقد سمعتم اي امر الله
واطعتموه ودعيتم الى نصرة دينه فاجبتم داعيه وانما حذف المفعولات هنا لان الغرض ذكر الافعال دون نسبتها الى المفعول لانها
او للعلم بها **ومن كتاب له عليه السلم** كتبه لشريح بن الحارث قاضيه روي ان شريح بن الحارث قاضي امير المؤمنين عليه الصلوة
والسلم اشترى وكان اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا فبلغه عليه السلم ذلك فاستدعاه وقال له بلغني انك ابتعت
دارا بثمانين دينارا وكتبت كتابا واشهدت شهودا فقال شريح قد كان ذلك يا امير المؤمنين قال فنظر عليه السلم اليه نظر
مغضب ثم قال له يا شريح اما انه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسئل عن بينتك حتى يخرجك منها شاخصا و
يسلمك الى قبرك خالصا فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك او نقدت الثمن من غير حلالك فاذا
انت قد خسرت دار الدنيا ودار الاخرة اما انك لو كنت اتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتابا على هذه
النسخة فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوقه والنسخة هذه بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت قد ازعج للرحيل اشترى منه دارا من دار الغرور من جانب الفانين وخطة الهالكين
وتجمع هذه الدار حدود اربعة الحد الاول ينتهي الى دواعي الافات والحد الثاني ينتهي الى دواعي المصيبات والحد الثالث
ينتهي الى الهوى المردي والحد الرابع ينتهي الى الشيطان المغوي وفيه يشرع باب هذه الدار اشترى هذا المغتر بالامل من هذا
المزعج بالاجل هذه الدار بالخروج من عز القناعة والدخول في ذل الطلب والضراعة فما ادرك هذا المشتري فيما اشترى من درك
فعلى مبلبل اجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة ومزيل ملك الفراعنة مثل كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن جمع المال على
المال فاكثر ومن بنى وشيد وزخرف ونجد وادخر واعتقد ونظر بزعمه للولد اشخاصهم جميعا الى موقف العرض والحساب
وموضع الثواب والعقاب اذا وقع الامر بفصل القضاء وخسر هنالك المبطلون شهد على ذلك العقل اذا خرج من اسر الهوى
وسلم من علائق الدنيا **اقول** هو شريح بن الحرث الكندي استقضاه عمر على الكوفة ولم يزل بها بعد ذلك قاضيا خمسا وسبعين
سنة لم يتعطل فيها الا سنين وقيل اربع سنين استعفى الحجاج فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير فاعفاه والبينة الحجة وشخص من
البلد وحل عنها والخطة بالكسر الارض يخطها الرجل ويعلمها بخطه ليبني بها دارا ومنه خطط الكوفة والبصرة والمردي المهلك
والضراعة مصدر قولك ضرع ضراعة اي ذل وخضع والدرك التبعة واصل البلبلة الاضطراب والاختلاط وافساد الشيء بحيث
يخرج عن حد الانتفاع وكسرى لقب ملك الفرس كاسم الجنس لكل ملك منهم وكذلك قيصر لملك الروم وتبع ملوك اليمن وحمير
ابو قبيلة من اليمن وهو حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وشيد رفع البناء وزخرف زين البناء بالزخرف ونجد تزيين

في كتاب كتبه لشريح بن الحارث

ارضه والتجدد للتزين بالفرش كالبسط ونحوها والعقد المال والضيعة اقتناؤها وغرض الفصل التنفير عن متاع الدنيا وعن الركون الى فضولها وبذا صل تقبيحه باستثبات الامر منه بقوله بلغني الى قوله شهودا وكان في قول شريح قد كان ذلك اثر ما امره في تنفيره من محبته هذه الدار واقتنائها بذكره الموت وعدم بقائه وانه يخرج منها ويخلص فيسلمه الى ... الصالح ... من تلك الدار وعن كل ضيعة اقتنائها من الدنيا ثم خوفه من دخلة ثمنها ولن يكون فيه شائبة حرام ولذلك نبه على الاحكام مما يستلزم ذلك من خسران الدنيا بالموت وخسران الاخرة وعقبتها باعتبار الرمية من الآثام باكل الحرام وابتعته واشتريته بمعنى وروى لما محققه فان قلت فكيف قال فما فوقه ومعلوم انه لم يرغب فيها بدرهم فما الاولى ان لا يرغب فيها بما فوقه قلت لما كان الدرهم هنا اقل ما يحسن ... تلك برغبة اهل وكان الغرض انك لو اتيتني عند شرائك هذه الدار لما شريتها ذيك اصلا لم يحسن ان يذكر له الدرهم فما فوقه ونحوه قول المتنبي ومن جسدي لم تترك السقم شعرة فما فوقها الا وفيها له فعل وكان قياسه ان يقول فما دونها واعلم ان في التسمية نكتا احدها انه وصف المشتري بصفة العبودية والله لتكسر ما عساه يعرض لنفسه من العجب والفخر بشراء هذه الدار الثاني اطلق لفظ الميت على من سيموت يعني البايع ... تنزيلا لما بالفعل منزلة ما بالقوة وتنزيلا للمتوقع منزلة الواقع لغرض التحذير من الموت و ازعاجه للرحيل الى الاخرة اما ترشيح للاستعارة او اشارة الى ايقاظه وتنبيهه بالاعراض والامراض وكل مذكر له من العبر الثالث كنى بدار الغرور عن الدنيا باعتبار غرور الخلق بها وغفلتهم عما ورائها وقوله من جانب الفانين اخص من دار الغرور وكذلك خطة الهالكين اخص من جانب الفانين على ما جرت العادة من كتب البيع من الابتداء بالاعم والانتهاء في تخصيص المبيع الى امر بعينه وان لم يكن هنا غرض في ذكر التخصيص في ذكر الفانين والهالكين والتذكير بحالهم وان هذه الدار من جانب كانوا يسكنونه وخطة كانت لهم الرابع اشار الى حدودها الاربعة وجعلها كنايات عما يلزمها من الامور المنفرة عنها وينتهي اليه منها فجعل الحد الاول ينتهي الى دواعي الافات واشار بها الى ان تلك الدار لما كانت يلزمها كالات لا بد منها وعلامات كالمرأة والخادم والدابة وما يلزم اولئك ويكون بسببهم من الاولاد والاتباع والقينات وسائر فضول الدنيا التي يبعد بعضها المحاج الى بعض حتى يكون اغنى الناس فيها اكثرهم حاجة وفقرا فكان كل واحد من هذه الامور في معرض الافات كالامراض والموت كانت تلك الامور هي دواعي الافات التي تقود اليها وتستلزمها وهي مما ينتهي اليه الدار وتستلزمه وانما جعله حدا اول لانها اول اللوازم التي يحتاج اليها الدار وتقود اليها والحد الثاني ما ينتهي اليه ويلزمها من دواعي المصيبات واشار بها الى الامور الاولى التي يحتاج الدار اليها وتستلزمها لكن باعتبار كونها مستلزمة لما يعرض لها من الافات لما يلحق بسبب تلك من المصيبات فان كل واحد منها لما كان في معرض الافة كان المفتقر اليه في معرض نزول المصيبات به وكان داعيا له وقائدا اليها والاستلزام دواعي الافات لدواعي المصيبات ردفها بها وجعلها حدا ثانيا ويحتمل ان يكون تسميتها في الموضعين دواعي باعتبار ان شهواتها تدعو الى فعلها وايجادها وذلك الايجاد يلزمه الافات والمصيبات والحد الثالث ما ينتهي اليه ويلزمها الهوى المردي واتباعه لكان اقتناء الدار في الدنيا مستلزما لمحبتها ومحبة كمالاتها وسائر الميول الشهوانية بغير هدى من الله وهو المراد بالهوى وكونه مرديا في حضيض جهنم ومهلكا فيها وجعل الهوى هو الحد الثالث لكون تلك الدار وكمالاتها وما تدعوا اليه كلها امورا مستلزمة للهوى والميول الطبيعية المهلكة التي لا تنال يتاكد بعضها بالبعض ويدعو بعضها الى البعض والحد الرابع ما ينتهي اليه الى الشيطان المغوي وانما جعله هو الحد الاخير لانه الحد الابعد الذي ينتهي اليه تلك الحدود والدواعي وهو بعد الحد الثالث اذ كان الشيطان من جهة الغواية مبدأ ميل النفس الى الدنيا واتباعها على ما تقتضيه هواها واغواؤه يعود الى القائه الى النفس ان الاصلح لها كذا مما هو جاذب عن سبيل الله واشار بقوله ومنه شرع باب هذه الدار الى كونه مبدأ باغوائه الدواعي اليها باعتبار المستلزمة للدخول في شرائها واقتنائها وما يستلزمه ويدعو اليه والدخول في متاع الدنيا وباطلها فالشيطان كالحد وما صدر عنه وانفتح بسببه من الدخول في امر الدار وشرائها كالباب فانظر الى ما اشتمل عليه هذا الترتيب في كلامه من الحكمة التي بها تميز عن كلام من سواه وهو في غاية التنفير عن الدنيا وسد ابواب طلبها والحث الحاثة نعم والارشاد الى لزوم الزهد الحقيقي الخامس وصف المشتري بالمغتر بالامل باعتبار ان نظره الى امله في الدنيا هو الذي استلزم غفلته عن الاخرة وما خلق لاجله وكان ذلك الاغترار سبب شرائه تلك الدار وجعل الثمن هو الخروج عن عز القناعة والدخول في ذل الطلب والضراعة باعتبار استلزام شرائه لذلك كما يستلزمه الثمن ووجه استلزامه لما ذكر ان تلك الدار كانت بالنسبة الى حال شريح فضلة زائدة على قدر الحاجة وكل فضل اقتناه الانسان زيادة على قدر ضرورته فقد خرج به عن حد القناعة اذ القناعة هي الرضا والاقتصار على مقدار الحاجة من المال وما يحتاج اليه وعلمت ان القناعة مستلزمة لقلة الاحتياج الى الخلق والغنى عنهم وبحسب الغنى وقلة الحاجة يكون عز القناعة والخارج عن القناعة خارج عن عزها وداخل في ذل الطلب والضراعة للخلق لانه باعتبار ما هو خارج عن القناعة يكون كثير الحاجة الى الخلق وباعتبار ذلك يكون داخلا في الذل والضراعة اليهم وغاية ذلك التنفير عن اقتناء

فقوله

في بيان ما كتبه إلى الأشعث بن قيس

فضول الدنيا مما يستلزمه من ذل الحاجة إلى الخلق الشاردة عن الله تعالى لتبعد الأزمة في هذا البيع بملك الموت قطعا الأمل الدرك وتذكيرا بالموت لغاية العمل والاقتصار على قدر الحاجة من متاع الدنيا وكونه مبلبل أجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة ومزيل ملك الفراعنة لسلبه نفوسهم وفي تخصيص تلك مثل هؤلاء الملوك بلفظة الموت لهم في معرض تعليق الدرك به تنبيه لهذا المشتري على وجوب تقصير الأمل بمثل هذه الأذن ونحوه من الأمثال المتعلقة بمطالب المنقطعة بالموت فإنه إذا كان قد قطع آمال مثل هؤلاء ولم يدركوا معه شيئا فبالأولى أمثالهما الفاخمة التي يعتقوله ونظر بن عمه للولد أي نظر في جمع المال لولده ورآه مصلحة له بظنه وزعمه والباء للسببية إذ كان نطق وجود الرأي الأصلح سببا له أشار منه ذكر أشخاصهم ومنها وهو موقف العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب ترهيبا من تلك الأمور والمقامات وترغيبا في العمل للآخرة والأمن من شرورها أشار سعد قوله إذا وقع الأمر بفصل القضاء أي إذا وقع أمر الله في محفل القيامة بفصل القضاء وقطع الحكم بين أهل الحق والباطل منهم وربح المحقون وخسر هنالك المبطلون وهذا الختام مقتبس من القرآن الكريم العاشرة قوله في الشهادة على ذلك العقل الحاكم في غاية الشرف وذلك أن الشاهد بما ذكره في هذا الكتاب من أوصاف المبيع بعين وحد والمبيع ومن يلحقه دركه وغير ذلك مما عدده ليس إلا صرف العقل المبرأ عن خطر الوسواس المطلق من أسر الهوى السالم من محبة الدنيا وما يتعلق بها إذ كان بتجرده من هذه العلائق صافيا من كدر الباطل فيرى الحق كما هو أهله ويحكم به فأما إذا كان أسيرا في يد الهوى مقهورا تحت سلطان النفس الأمارة لم يكن نظره إلى الحق بعين صحيحة بل بعين عشت ظلمات الباطل أنوارها فلذلك لم يشهد بمحض الحق إذ لم يره من حيث هو حق خالص بل شهد بالباطل في صورة الحق كشهادته بالمصلحة في اقتناء الدنيا نظر العاقبة للولد أو خوف الفقر ونحوه مما يباح لأجله الطالب في الشرع ولو نظر إلى الحق بعين الصدق لعلم أن الجمع للولد ليس تكليفا له لأن رازق الولد هو خالقه وأن الجمع لخوف الفقر تعجيل فقر واشتغال عن الواجب عليه بغيره وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام**

إِلَى بَعْضِ أُمَرَاءِ جَيْشِهِ فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِي نُحِبُّ وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ **أقول** روي أن الأمير الذي كتب إليه هو عثمان بن حنيف عامله على البصرة وذلك حين نهضت أصحاب الجمل إليها وعزموا على الحرب فكتب عثمان إليه يخبره بحالهم فكتب عليه السلام إليه كتابا فيه الفصل المذكور وقوله فهذا أي نهض والشقاق التأخر والقعود واستعار لفظ الظل لما يستلزمه الطاعة من السلامة والراحة عن حرارة الحرب ومتاعبها التي هي ثمرات الشقاق كما يستلزم الظل الراحة من حر الشمس وقوله وإن توافت بهم الأمور أي تتابعت بهم المقادير وأسباب الشقاق والعصيان إليها واعلم أنه لما كان مقصوده ليس الاجتماع الخلق على طاعته لكنه ليسلك بهم سبل الحق كما هو مقصود الشارع نبه على ذلك بقوله فإن عادوا إلى قوله يحب فقوله يعود إلى المصدر الذي دل عليه عادوا أي فعودهم فذاك الذي نحب حصر محبوبه في عودهم أي لا نحب إلا ذلك ولذلك أمره بمحاربة العصاة والاستعانة بمن أطاعه عليهم على تقدير مشاقتهم وعصيانهم وعلل تعيين المنهوض المطيعين دون المتكارهين والمنقادين دون المتقاعسين بأن المتكاره في ذلك مغيبه خير من مشهده وقعوده أغنى من نهوضه وذلك لما يقع بسبب المتكاره من تخاذل الناس عند رؤيته كذلك وإفساد أمرهم بحاله حتى ربما لا يكتفي بعدم منفعته بل يكون إفساده في الحرب مما يستلزمه من هلاك المسلمين وكون ذلك منه ونحوه كما وقف بسببه كثير من الصحابة والتابعين عن وقائع الجمل وصفين والنهروان فيكون في حضوره عالم المنفعة ومفسدة هي تخاذل الناس بسببه بخلاف مغيبه إذ ليس فيه إلا عدم الانتفاع برؤيته فمغيبه خير من شهوده وكلاهما مقصود وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس وهو عامله على** أَذْرَبِيجَانَ وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ وَالسَّلَامُ **أقول** روي عن الشعبي أن عليا عليه السلام لما قدم الكوفة وكان الأشعث بن قيس على ثغر أذربيجان من قبل عثمان بن عفان فكتب إليه بالبيعة وطالبه بالمال أذربيجان مع زياد بن مرحب الهمداني وصورة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس أما بعد فلولا هنات كن منك كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس ولعل آخر أمرك يحمد أوله وبعضه بعضا إن اتقيت الله إنه قد كان من بيعة الناس إياي ما قد بلغك وكان طلحة والزبير أول من بايعني ثم نقضا بيعتي عن غير حدث وأخرجا عائشة فساروا بها إلى البصرة فصرت إليهم في المهاجرين والأنصار فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه فأبوا فأبلغت في الدعاء وأحسنت في البقية واعلم أن عملك ليس لك بطعمة ولكنه أمانة وكتب عبد الله بن أبي رافع في شعبان سنة ست وثلاثين والمسترعي من جعله راعيا والطعمة المأكلة والرعية المرعية فعيلة

في باب كتابه الى معوية مع جرير

يعني مفوضا اليه وافتات نفسا استبد بالامر والمخاطرة التقدم في الامور العظام والاشراف بها على الهلاك والوثيقة ما يوثق
به من الدين وقوله وان عملك الى قوله بوثيقة اشارة الى قياس ضمير من الشكل الاول بين فيه انه ليس له ان يستبد في رعيته بامر
من الامور دون من استرعاه ولا ان يخاطر في شيء من اموره ولا بشيء من مال رعيته الا بوثيقة ممن ائتمنه على البلاد واسترعاه العباد
تدل على الصغرى بقوله وان عملك الى قوله لمن فوقك وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس له ان يستبد بامر دون من ائتمنه و
استرعاه ولا يخاطر الا بوثيقة تخلصه ويثق بها ثم بين له بعض ما لا يجوز له الاستبداد به والمخاطرة فيه وهو ما في يده من مال البلاد
ونبهه على وجوب حفظه بامرين احدهما انه مال الله الذي افاءه على عباده المؤمنين والثاني انه من خزانه عليه الى غاية ان يحمله اليه
ومن شان الخازن الحفظ وعدم التصرف فيما يخزنه الا باذن آمره ويثق المحفوظ بريته وقد كان الاشعث مفوضا من علي عليه السلام حين ولي
الامر وحاز مالا بانه لا يبغي العمل في بيت المال لهنات سبقت منه في الدين وفي حقه قد اشرنا الى بعضها فيما سبق وقوله وما بيدك
ما على تمام الحاتم الدعوة لتسكينه فقال ولعلي لا اكون شر ولاتك لك اي شر من ولي عليك واتى بلفظ الترجي ليقيمه بين طوري الخوف
والرجاء وانما يكون شرا له لانه عليه لو خالف الدين والاشعث يعلم ذلك منه فكان ذلك جاذبا له الى لزوم الدين وروي انه لما
اتاه كتاب علي عليه السلام دعا بثقاته وقال لهم ان عليا اتاني بكتاب قد اوحشني وهو آخذي بمال آذربيجان على كل حال وانا الحق بمعوية فقال
له اصحابه الموت خير لك من ذلك تدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنبا لاهل الشام فاستحيا من ذلك وبلغ قوله اهل الكوفة فكتب
اليه علي كتابا يوبخه فيه ويامره بالقدوم عليه وبعث به حجر بن عدي الكندي فلامه حجر على ذلك وناشده الله وقال له اتدع قومك
واهل مصرك وامير المؤمنين وتلحق باهل الشام ولم يزل به حتى اقدمه الى الكوفة فعرض علي عليه السلام اثقاله فوجد فيها مائة الف درهم و
روي اربع مائة الف فاخذها وكان ذلك بالنخيلة فاستشفع الاشعث بالحسن والحسين عليهما السلام وبعبد الله بن جعفر فاطلق له
منها ثلثين الفا فقال لست بزائد درهما واحدا وايم الله لو تركتها لكان خيرا لك وما اظنها تحل لك ولو تيقنت ذلك لما
بلغتها عندي فقال الاشعث خذ من خدعك ما اعطاك وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم الى معوية** انه بايعني القوم
الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين
والانصار فان اجتمعوا سموه اماما كان ذلك لله رضى فان خرج من امرهم خارج بطعن او بدعة ردوه الى ما خرج منه فان ابى قاتلوه
على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ولعمري يا معوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرأ الناس من دم عثمان و
لتعلمن اني كنت في عزلة عنه الا ان تتجنى فتجن ما بدا لك والسلام **اقول** هذا الفصل من كتاب كتبه الى معوية مع جرير بن عبد
الله البجلي حين نزع من همدان وصدره اما بعد فان بيعتي بالمدينة لزمتك وانت بالشام لانه بايعني القوم ثم يتلو قوله وولاه الله
ما تولى تمام الاية ويتصل بها ان قال وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء
الحق وظهر امر الله وهم كارهون فادخل يا معوية فيما دخل فيه المسلمون فان احب الامور الي فيك العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تعرضت
له قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله
واما تلك التي تريدها فانها خدعة الصبي عن اللبن ثم يتصل بقوله ولعمري الى قوله ابرأ الناس من دم عثمان ثم يتصل به واعلم انك من الطلقاء
الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد ارسلت اليك والى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من اهل الايمان والهجرة
فبايع ولا قوة الا بالله العزلة الاسم من الاعتزال والتجني ان يدعي عليك ذنبا لم تفعله فقوله اما بعد الى قوله الشام صورة الدعوى
وقوله لانه بايعني الى قوله عليه صورة صغرى قياس ضمير من الشكل الاول يستنتج منه ملزوم تلك الدعوى لغاية صدقها بصدق
ملزومها وتقدير الكبرى وكل من بايعه هؤلاء القوم فليس لمن شهد بيعتهم ان يختار غير من بايعوه ولا للغائب عنها ان يرده فينتج انه
ليس لاحد ممن حضر او غاب ان يرد بيعتهم له وذلك يستلزم كونها لازمة لمن حضر او غاب وهذه النتيجة هي قوله فلم يكن الى قوله يرد وانما
وقوله وانما الى قوله تولى تقرير لكبرى القياس بحصر الشورى والاجماع في المهاجرين والانصار لانهم اهل الحل والعقد من امة
محمد صلعم فاذا اتفقت كلمتهم على حكم من الاحكام كاجتماعهم على بيعته وتسميته اماما كان ذلك اجماعا حقا هو رضى الله اي مرضي له وفي
سبيل المؤمنين الذي يجب اتباعه فان خالف امرهم وخرج عنه بطعن فيهم او فيمن اجمعوا عليه كخلاف معوية وطعنه فيه بقتل عثمان
ونحوه او ببدعة كخلاف اصحاب الجمل ونكثهم في نكث بيعته ردوه الى ما خرج عنه فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين
حتى يرجع اليه وولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا ثم اقسم انه على تقدير نظره بعقله دون هواه يجده ابرأ الناس
من دم عثمان وانه كان حين قتله في عزلة عنه وعرى الملامة واضحة فان القتل اما بفعل او بقول ولم ينقل عن علي عليه السلام في امر عثمان الا انه
لزم بيته واعتزل عنه بعد ان دافع عنه طويلا بيده ولسانه فلم يمكن الدفع وقوله الا ان تتجنى الى آخره استثناء منقطع اي الا ان
تدعي علي ذنبا لم افعله فادع ما تدعي وما بدا لك ظاهر من خيالك من الذنوب والجنايات فان ذلك باب مفتوح لكل احد يحل

ما النصب

في جواب معوية اليه عليه السلام

ما انتصب بالمفعول له يعلمه انه حجة عليهم بالاجماع والاختيار هنا على حسب اعتقاد القوم انه لا تتم نصب الامام اذ لم يكن عندهم انه منصوص عليه داود وغير ذلك لم نسلم له وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام له ايضا اما بعد فقد اتتني منك موعظة موصّلة ورسالة محبّرة نمّقتها بضلالك وامضيتها بسوء رايك وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده قد دعاه الهوى فاجابه وقاده الضلال فاتبعه فهجر لاغطا وضل خابطا ومن هذا الكتاب لانها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر ولا يستانف فيها الخيار الخارج منها طاعن والمروّي فيها مداهن اقول هذا جواب كتاب كتبه اليه معوية بصورته من معوية بن ابي سفيان الى علي بن ابي طالب اما بعد فلو كنت على ما كان عليه ابو بكر وعمر اذن ما قاتلتك ولا استحللت ذلك ولكنه انما افسد عليك بيعتي خطيئتك في عثمان بن عفان وانما كان اهل الحجاز الحكام على الناس حين كان الحق فيهم فلما تركوه صار اهل الشام الحكام على اهل الحجاز وغيرهم من الناس ولعمري ما حجتك على اهل الشام كحجتك على اهل البصرة ولا حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير لان اهل البصرة قد كانوا بايعوك ولم يبايعك اهل الشام وان طلحة والزبير بايعاك ولم ابايعك واما فضلك في الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وموضعك من بني هاشم فلست ادفعه والسلام فكتب عليه السلام جوابه من عبد الله علي امير المؤمنين الى معوية بن صخر اما بعد فانه اتاني كتابك كتاب امرئ الى قوله خابطا ثم يتصل به فقال زعمت انما افسد علي بيعتك خطيئتي في عثمان ولعمري ما كنت الا رجلا من المهاجرين اوردت كما اوردوا واصدرت كما اصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى واما زعمت ان اهل الشام الحكام على اهل الحجاز فهات رجلين من قريش الشام يقبلان في الشورى او تحل لهما الخلافة فان زعمت ذلك كذبك المهاجرون والانصار والا فانا آتيك بهما من قريش الحجاز واما ما ميزت بين اهل الشام واهل البصرة وبينك وبين طلحة والزبير فلعمري ما الامر في ذلك الا واحد ثم يتصل به قوله لانها بيعة عامة الى آخره ثم يتصل به واما فضلي في الاسلام وقرابتي من الرسول وشرفي في بني هاشم فلو استطعت دفعه لفعلت والسلام واما قوله اما بعد فقد اتتني الى قوله بسوء رايك فهو مقصود بكتاب اخرجه جوابا عن كتاب كتبه اليه بعد الكتاب الذي ذكرناه وذلك انه لما وصل اليه هذا الكتاب من علي عليه السلام كتب اليه كتابا يعظه فيه وصورته اما بعد فاتق الله يا علي ودع الحسد فانه طالما لم ينفع به اهله ولا تفسد سابقة قديمك بشره من حديثك فان الاعمال بخواتيمها ولا تلحدن بباطل في حق من لا حق لك في حقه فانك ان تفعل ذلك لا تضلل الا نفسك ولا تمحق الا عملك ولعمري ان ما مضى لك من السوابق الحسنة لحقيقة ان تردك وتردعك عما قد اجترأت عليه من سفك الدماء واجلاء اهل الحق عن الحل والحرام فاقرأ سورة الفلق وتعوذ بالله من شر ما خلق ومن شر نفسك الحاسد اذا حسد فقفل الله بقلبك واخذ بناصيتك وعجل توفيقك فاني اسعد الناس بذلك والسلام اما بعد فقد اتتني منك موعظة الى قوله سوء رايك ثم يتصل به وكتاب ليس ببعيد الشبه منك حملك على الوثوب على ما ليس لك فيه حق ولولا علمي بك وما قد سبق من رسول الله صلى الله عليه وآله فيك مما لا مرد له دون انفاذه اذن لوعظتك لكن عظتي لا تنفع من حقت عليه كلمة العذاب ولم يخف العقاب ولا يرجو لله وقارا ولم يخف له حذارا فشانك وما انت عليه من الضلالة والحيرة والجهالة تجد الله في ذلك بالمرصاد من دنياك المنقطعة وتمنيك الاباطيل وقد علمت ما قال النبي صلى الله عليه وآله فيك وفي امك وابيك والسلام ومما ينبه على ان هذا الفصل المذكور ليس من الكتاب الاول ان الاول لم يكن فيه ذكر موعظة حتى يذكرها في جوابه عليه السلام بل السيد رضي الله عنه اضافه الى هذا الكتاب كما هو عادته في عدم مراعاة ذلك في امثاله ولنرجع الى المتن فنقول المحبرة المزينة والتنميق التزيين بالكتابة وهجر يهجر هجرا اذا هذى وخلط في منطقه واللغط الصوت والجلبة واصل الخبط الحركة على غير نظام ومنه خبط عشواء للناقة التي ضعف بصرها والمروي المفكر والمداهن المصانع ولظهار الوصف بالامر مع اضمار دخل فيه الفصل من باب المنافرات واراد بكونها موصلة اي ملفقة من كلام الناس ملفقة وقد سبقت الكتابة ونسب تنميقها الى ضلالة لان موعظته وتكلفه اياها لتلبيسه عن اعتقاده انه على طرف الحق وان عليا مخطئ كما زعم وظاهر ان ذلك الاعتقاد ضلال عن سبيل الله وجب تكلف تلك الموعظة ولانه لما كان جاهلا باسباب الكلام ومواضعه ومواضعه وجاءت موصلة ملفقة بحسب ذلك الجهل ظهر عليها اثر التكلف في التنميق فاسند به على ضلالة واستعار لفظ البصر للعقل باعتبار انه نور يدرك به صور المعقولات كما يدرك البصر به صور المحسوسات ثم سلبه عنه البصر الذي يهديه به الى سبيل الله اذ كان عقله قد قصر عن ادراك حقائق الدين ومقاصده ووجوه المصالح الكلية المطلوبة للشارع فلم يكن له بصر يهديه في تلك الامور ولا له قائد من امام حق ورأي صالح يرشده الى سبيل الله فلاجرم كان مجيبا لهواه اذ دعاه منقادا للضلالة واراء الجائرة المخطئة لوجه المصلحة المطلوب لله ثم فاتبعها واستلزم ذلك ان يهجر فيقول ما لا ينبغي من القول لاغطا ويجلب وان يضل عن سبيل الله خابطا في البيعة لا يتقي مصارع الهوان في دين الله ولاغطا وخابطا حالان وقوله لانها فالضمير قبل الذكر لانه ضمير البيعة كقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ويحتمل ان يرجع الى ما علم من حالها في قوله فلعمري ما الامر في ذلك الا واحد اما شان اهل البصرة وشان اهل الشام وشان طلحة والزبير بمعنى الا واحد والمعنى انها كما لزمت اولئك فقد لزمتكم ايضا ثم اشار الى الحجة في ذلك بقياس ضمير من الشكل الاول صغراه وهي كونها بيعة واحدة باتفاق المهاجرين والانصار

الذين هم أهل الحل والعقد من أمة محمد صلى الله عليه وآله وتعقد بكثرتهم لكل بيعة وقعت كذلك فلا ينبغي فيها نظر ولا يستأنف فيها اختيار وهيأ الكبرى لشيء من حال الأئمة الثلاثة قبله أنه لم يكن لأحد أن يستأنف في بيعتهم نظراً ولا يستأنف خياراً بعد أن عقدها المهاجرون والأنصار لأحدهم ثم أشار إلى حكم من لم يدخل في بيعته وهم قسمان لأن من لم يدخل فيها إما أن يخرج عنها أو يقف فيها فحكم الخارج عنها أن يكون طاعناً في صحتها وانعقادها فيجب أن يجاهد ويقاتل حتى يرجع إليها إذ هي سبيل المؤمنين كما سبق وحكم الواقف فيها الذي في صحتها أن يرد إلى ما هو موقع من التعاني ومستلزم للشك في سبيل المؤمنين ويجوب اتباعه وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية أما بعد فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل وخذه بالأمر الجزم ثم خيّره بين حرب مجلية أو سلم مخزية فإن اختار الحرب فانبذ إليه وإن اختار السلم فخذ بيعته والسلام

أقول روي أن جريراً أقام عند معاوية حين أرسله حتى اتهمه الناس وقال قد وقف جرير ههنا لا يقيم بعده إلا مخدوعاً أو عاصياً وأبطأ جرير حتى أيس منه فكتب إليه بعد ذلك بهذا الكتاب فلما انتهى إليه أتى معاوية فأقرأه إياه وقال يا معاوية إنه لا يطبع على قلب إلا بذنب ولا يشرح صدر إلا بتوبة ولا أظن قلبك إلا مطبوعاً أراك قد وقفت بين الحق والباطل كأنك تنتظر شيئاً في يد غيرك فقال معاوية ألقاك بالفصل في أول مجلس إن شاء الله ثم أخذ في بيعة أهل الشام فلما انتظم أمره لقي جريراً وقال له الحق بصاحبك وأعلمه بالحرب فقدم جرير إلى علي عليه السلام والبجلي منسوب إلى بجيلة قبيلة والمجلية من الإجلاء وهو الإخراج عن الوطن قهراً والمخزية المهينة والمذلة وروي مجزية بالجيم أي كافية والحرب والسلم مؤنثان لكونهما في معنى المحاربة والمسالمة والنبذ الإلقاء والرمي وحاصل الأمر أمر جرير بحمل معاوية على فصل الأمر وقطعه وجزم الحال معه بتخييره في أحد أمرين أما حرب يكون معها الإجلاء وأما سلم يكون فيها ذليلاً مقهوراً وفي ذكر الإجلاء والذلة تنبيه على التقدير من تخويف وتهديد بيسير اشعار بأنه في الأمر ظاهر عليهم غالب قاهر لعله يتذكر أو يخشى ثم أمره على تقدير اختيار الحرب أن ينبذ إليه بالإعلام بها ... أو عهد إليه بأنه قاعد على ... ويجهر له بذلك من غير مداهنة ومداراة كقوله تعالى وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء وعلى تقدير اختياره للسلم يأخذ بيعته

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية فأراد قومنا قتل نبينا واجتياح أصلنا وهمّوا بنا الهموم وفعلوا بنا الأفاعيل ومنعونا العذب وأحلسونا الخوف واضطرونا إلى جبل وعر وأوقدوا لنا نار الحرب فعزم الله تعالى لنا على الذب عن حوزته والرمي من وراء حرمته مؤمننا يبغي بذلك الأجر وكافرنا يحامي عن الأصل ومن أسلم من قريش خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه أو عشيرة تقوم دونه فهو من القتل بمكان أمن وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا احمرّ البأس وأحجم الناس قدّم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حرّ السيوف والأسنة فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر وقتل حمزة يوم أحد وقتل جعفر يوم مؤتة وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة ولكن آجالهم عجّلت ومنيته أجّلت فيا عجبا للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي ومن لم تكن له سابقة كسابقتي التي لا يدلي أحد بمثلها إلا أن يدعي مدع ما لا أعرفه ولا أظن الله يعرفه والحمد لله على كل حال وأما ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك فإني نظرت في هذا الأمر فلم أره يسعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك لا يكلفونك طلبهم في بر ولا بحر ولا جبل ولا سهل إلا أنه طلب يسوؤك وجدانه وزور لا يسرك لقيانه والسلام لأهله

أقول هذا الفصل من كتاب كتبه إلى معاوية جواب كتاب إليه وصورة كتاب معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله اصطفى محمداً بعلمه وجعله الأمين على وحيه والرسول إلى خلقه واجتبى له من المسلمين أعواناً أيده بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام فكان أفضلهم في الإسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة من بعده وخليفة الخليفة من بعد خليفته والثالث الخليفة عثمان المظلوم فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت عرفنا ذلك في نظرك الشزر وقولك الهجر وفي تنفسك الصعداء وإبطائك عن الخلفاء وفي كل ذلك تقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى تبايع وأنت كاره ثم لم تكن لأحد منهم أشد حسداً منك لابن عمك عثمان وكان أحقهم أن لا تفعل ذلك به لقرابته وصهره فقطعت رحمه وقبحت محاسنه وألبت عليه الناس وبطنت وظهرت حتى ضربت إليه آباط الإبل وقيدت إليه الخيل العتاق وحمل عليه السلاح في حرم رسول الله فقتل معك في المحلة وأنت تسمع في داره الهائعة لا تردع عن نفسك فيه بقول ولا فعل وأقسم قسماً صادقاً لو قمت فيما كان من أمره مقاماً واحداً تنهنه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً ولمحا ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغي عليه وأخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين إيواؤك قتلة عثمان فهم عضدك وأنصارك ويدك وبطانتك وقد ذكر لي أنك تنصل من دمه فإن كنت صادقاً فأمكنا من قتلة عثمان نقتلهم به ونحن من أسرع الناس إليك وإلا فإنه ليس لك ولا لأصحابك إلا السيف والذي لا إله غيره لنطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال والبر والبحر حتى يقتلهم الله أو لنلحقن أرواحنا بالله والسلام ثم دفع الكتاب إلى أبي مسلم الخولاني فقدم به الكوفة فكتب عليه السلام جوابه من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فإن أخا خولان قدم علي بكتاب منك تذكر فيه محمداً صلى الله عليه وآله وما أنعم الله عليه من الهدى

في كتاب كتبه عليه السلام الى معاوية بن ابى سفيان

والوحي فالحمد لله الذي صدقه الوعد وتمم له النصر ومكن له في البلاد واظهره على اهل العداوة والشنآن من قومه الذين وثبوا به
وشنعوا له واظهروا له التكذيب وبارزوه بالعداوة وظاهروا على اخراجه وعلى اخراج اصحابه والبوا عليه العرب وجامعوهم على حربه
وجهدوا عليه وعلى اصحابه كل الجهد وقلبوا له الامور حتى ظهر امر الله وهم كارهون وكان اشد الناس عليه ألبا اسرته والادنى فالادنى
من قومه الا من عصم الله منهم يا ابن هند فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبا ولقد اقدمت فافحشت اذ طفقت تخبرنا عن بلاء الله تعالى
في نبيه محمد صلى الله عليه وآله وفينا فكنت في ذلك كجالب التمر الى هجر او كداعي مسدده الى النضال وذكرت ان الله اجتبى له من المسلمين اعوانا ايدهم
به فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام وكان افضلهم في الاسلام كما زعمت وانصحهم لله ولرسوله الخليفة الصديق
وخليفة الخليفة الفاروق ولعمري ان مكانهما في الاسلام لعظيم وان المصاب بهما لجرح في الاسلام شديد يرحمهما الله وجزاهما باحسن
ما عملا وعرانك تذكرت امرا ان تم اعتزلك كله وان نقص لم يلحقك ثلمه وما انت والصديق فالصديق من صدق بحقنا وابطل باطل عدونا
وما انت والفاروق فالفاروق من فرق بيننا وبين اعدائنا وذكرت ان عثمان كان في الفضل ثالثا فان يك عثمان محسنا فسيلقى ربا غفورا
لا يتعاظمه ذنب ان يغفره ولعمري اني لارجو اذا اعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الاسلام ونصيحتهم لله ولرسوله ان يكون نصيبنا
في ذلك الاوفر ان محمدا صلى الله عليه وآله لما دعا الى الايمان بالله والتوحيد كنا اهل البيت اول من آمن به وصدق ما جاء به فلبثنا احوالا
مجرمة وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا ثم يتصل به قوله فاراد قومنا الى قوله نار الحرب ثم يتصل به ان قال وكتبوا علينا
بينهم كتابا لا يواكلونا ولا يشاربونا ولا يناكحونا ولا يبايعونا ولا نأمن فيهم حتى ندفع اليهم النبي صلى الله عليه وآله فيقتلونه ويمثلوا به فلم نكن
نأمن فيهم الا من موسم الى موسم ثم يتصل به قوله فعزم الله الى قوله بمكان امن ثم يتصل به ان قال فكان ذلك ما شاء الله ان يكون
ثم امر الله رسوله صلى الله عليه وآله بالهجرة ثم امره بعد ذلك بقتال المشركين ثم يتصل به قوله فكان صلى الله عليه وآله اذا احمر البأس الى قوله الحرب ثم يتصل به ان قال
والله ولي الاحسان اليهم والامتنان عليهم بما قد اسلفوا من الصالحات فما سمعنا باحد هو انصح لله في طاعة رسوله ولا اطوع لرسول
الله صلى الله عليه وآله في طاعة ربه ولا اصبر على الاذى والضراء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبي صلى الله عليه وآله من هؤلاء النفر الذين سميت لك وفي
المهاجرين خير كثير نعرفه فجزاهم الله باحسن اعمالهم ثم ما انت والتمييز بين المهاجرين الاولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم
هيهات لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها الا تربع ايها الانسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك
وتتأخر حيث اخرك القدر فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر وانك لذهاب في التيه رواغ عن القصد الا ترى غير
مخبر لك لكن بنعمة الله احدث ثم يتصل به اول الكلام المذكور في كتابه الى معوية وهو من محاسن الكتب الى قوله عليه السلام توكلنا ثم يتصل به
قوله من ذلك الكتاب وذكرت انه ليس لي ولا لاصحابي الا السيف الى آخره ثم يتصل به قوله ولعمري الى آخره وهذا خبط عجيب من السيد رحمه الله مع وجود
كتبه عليه السلام في كثير من التواريخ ولنرجع الى الشرح فنقول الاجتباء الاستصفاء والهوم العضو والحلس كساء رقيق يجعل تحت قتب البعير
والوعر الصعب المرتقى والحوزة الناحية وحوزة الملك بيضته والحلفاء المتعاهدون على العون والاحجام التأخر عن الامر واحد جبل بالمدينة
ومؤتة بالضم اسم ارض بادنى البلقاء دون دمشق والادلاء بالشيء التقرب به ونزع عن الامر انتهى عنه والغي الضلال والشقاق الخلاف
والزور الزائرون واعلم انه عليه السلام اجاب عن كل فصل من كلام معوية بفصل فهذا الفصل يشتمل على ذكر بلائه وبلاء من قرب منه من
بني هاشم وفضيلتهم في الاسلام والكلام في جواب تفضيل معوية لغيره عليه حيث قال في صدر كتابه في ذكر محمد صلى الله عليه وآله واجتباء الله
من المسلمين اعوانا ايده بهم الى قوله والثالث الخليفة المظلوم عثمان فصدر هذا الفصل من قوله ولعمري اني لارجو الى قوله
الاوفر ايماء الى انه افضل الجماعة لان النصيب الاوفر من الثواب اذا كان على قدر الفضيلة كان مستلزما للافضلية وقوله
ان محمدا الى قوله ومنيته اخرى شرح لفضيلته وفضيلة اهل بيته وتقرير لما اشار اليه من دعوى الافضلية وهو يجري مجرى قياس
ضمير من الشكل الاول وتقريره ان هذه الحال المشروحة من كوننا من آمن بالله وصدق ما جاء به وصبرنا على الاذى
ومجاهدة اهل الشرك مع رسول الله صلى الله عليه وآله الى الغاية المذكورة وقد سبقت منا الاشارة الى انه اول من عبد الله تعالى مع الرسول
هو وخديجة ومن لحق بهم من المسلمين وانهم بقوا على ذلك عدة سنين يتعبدون في شعاب مكة بعضها سرا وكانت المشركون يتأذون
في اذاهم وقيل ان المشركين بعد ظهور النبي صلى الله عليه وآله بالنبوة لم تنكر عليه قريش حتى سب آلهتهم فانكروا عليه وبالغوا في اذاه واغروا
به صبيانهم فرموه بالحجارة حتى ادموا عقبه وبالغوا في اذى المسلمين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالخروج الى الحبشة فخرج في الهجرة الاولى
احد عشر رجلا منهم عثمان بن عفان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وخرجت قريش في طلبهم ففاتوهم
فخرجوا في طلبهم الى النجاشي فلم يمكنهم منهم ولم يزالوا مبالغين في اذى الرسول صلى الله عليه وآله ويعملون الحيلة في هلاكه روى احمد في مسنده
عن ابن عباس قال ان الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى لو قد رأينا محمدا
قمنا اليه قيام رجل واحد فلا يفارقه حتى نقتله قال فاقبلت فاطمة حتى دخلت عليه صلى الله عليه وآله فاخبرته بقولهم وقالت له

في كتاب كتبه الى معوية

لو قد رأوك الفتاوت ولبخز عنهم رجل الا وقد عرف نصيبه من ذلك فقال يا بنية ادني وضوءا فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رآوه
خفضوا ابصارهم ثم قالوا ها هو ذا ثم لم يقم اليه منهم احد فاقبل صلى الله عليه وآله حتى قام على رؤوسهم فاخذ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال
شاهت الوجوه فما اصاب رجلا منهم شيء منه الا قتل يوم بدر كافرا فذلك معنى قوله فاراد قومنا اهلاك نبينا واجتياح اصلنا
الى قوله نار الحرب وقوله هموا بنا الهموم اي ارادوا بنا الارادات والافاعيل اراد ايقاع الشر بهم والافعال القبيحة اراد بالهموم الاحزان
اي هموا ان يفعلوا بنا ما يوجب الاحزان وقوله ومنعونا العذب اي طيب العيش واستعار لفظ الاحلاس لالزامهم الخوف واشعارهم
اياه ملاحظة لمشابهته بالحلس في لزومه لهم وكذلك استعار لفظ النار للحرب ملاحظة لشبهها بالنار في الاذى والافناء لما يقع فيها ورشح
بذكر الايقاد واما قوله واضطرونا الى جبل وعر وقوله وكتبوا علينا بينهم كتابا فروي انه لما اسلم حمزة وعمر وحمى النجاشي من عنده من المسلمين
وحامى ابو طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وفشا الاسلام في القبائل فاجتهد المشركون في اطفاء نور الله واجتمعت قريش وائتمروا بينهم
ان يكتبوا كتابا يتعاهدون فيه على ان لا ينكحوا الى بني هاشم وبني المطلب ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم فكتبوا بذلك وتعاهدوا
وتواثقوا عليها وعلقوها في جوف الكعبة توكيدا لذلك الامر على انفسهم فلما فعلوا ذلك انحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى ابي طالب
فدخلوا معه في شعبه وخرج من بني هاشم ابو لهب الى المشركين وظاهرهم وقطعوا عنهم الميرة والمادة فحصروهم في ذلك الشعب اول سنة سبع
من النبوة فكانوا لا يخرجون الا من موسم الى موسم حتى بلغهم الجهد وسمع اصوات صبيانهم من وراء الشعب من شدة الجوع فمن قريش من سره
ذلك ومنهم من ساءه فاقاموا على ذلك ثلاث سنين حتى اوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وآله ان الارضة قد اكلت صحيفتهم ومحت منها ما كان
فيه ظلم وجور وبقي منها ما كان ذكر الله فاخبر بذلك عمه ابو طالب فامره ان ياتي قريشا فيعلمها بذلك فجاء اليهم وقال ان ابن اخي
اخبرني بكذا وكذا فان كان صادقا فانزعتم عن سوء رايكم وان كان كاذبا دفعته اليكم فقتلتموه واستحييتموه فقالوا قد انصفتنا
فارسلوا الى الصحيفة فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وآله فسقطت في ايديهم وعرفوا انهم بالظلم والقطيعة فذلك معنى قوله واضطرونا الى جبل
وعر الحاجزة وقوله فعزم الله لنا اي اراد لنا الارادة الجازمة منه واختار لنا ان نذب عن حوزة الاسلام ونحمي حرمه ان ينتهك ونكف
عن حماها بالرمي من ورائها وقوله مؤمننا الى قوله عن الاصل وكنا باجمعنا نذب عن دين الله ونحمي رسوله فكان من آمن منا يريد
بذلك الاجر من الله ومن كان حينئذ على كفره كالعباس وحمزة وابي طالب على قولهم فانهم كانوا يحمون عن رسول الله صلى الله عليه وآله مراعاة لاصلهم
وقوله ومن اسلم من قريش الى قوله قالوا وفي قوله من الحال اي كنا على تلك الحال من الذب عن دين الله حال ما كان من اسلم
من قريش عدا بني هاشم وبني عبد المطلب خالين مما نحن فيه من البلاء المبين من الخوف والقتل فمنهم من كان له حلف وعهد
من المشركين يمنعه ومنهم من كان له عشيرة تحفظه وبذلك يظهر فضله عليه السلام وفضيلة بني هاشم وبني المطلب وبلاؤهم في حفظ رسول
الله ثم لما امر الله بقتال المشركين كان يقدم اهل بيته فيقي بهم اصحابه حر السيوف واسنة الرماح وكنى باحمرار الباس عن شدة الحرب
اذ الباس فيها مستلزم لظهور حمرة الدماء وان كان استعمال هذا اللفظ مشهورا بحيث لا يلاحظ فيه الكناية ومنه موت احمر كناية عن شدته
وقالت في الحرب ايكم وما يستلزم ظهور الدماء بين يديه ثم سميت ها هنا واما عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب فقتله عتبة بن ربيعة
وذلك انه لما التقى المسلمون والمشركون ببدر برز عتبة بن ربيعة واخوه شيبة وابنه الوليد وطلبوا المبارزة فخرج اليهم رهط من
الانصار فقالوا ترجعوا اكفاءنا من اهلنا المهاجرين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله قم يا حمزة قم يا عبيدة قم يا علي فبارز عبيدة وهو اسن القوم
عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد فقتل علي وحمزة قرنيهما واختلف عبيدة وعتبة ضربتين فكلاهما اثبت صاحبه
وكر حمزة وعلي باسيافهما على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة فجاءا به الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قطعت رجله ومخها يسيل فقال يا
رسول الله الست شهيدا قال بلى فقال ابو عبيدة لو كان ابو طالب حيا لعلم اني احق بما قال فيه حيث يقول ونسلمه حتى نصرع
حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل واما حمزة بن عبد المطلب فقتله وحشي يوم احد بعد وقعة بدر في سنة ثلث من الهجرة
وكان سببها انه لما رجع من حضر بدرا من المشركين الى مكة وجدوا العير التي قدم فيها ابو سفيان موقوفة في دار الندوة فمشت اشراف
قريش ومشى الى ابي سفيان فقالوا نحن طيبو الانفس بان نجهز بربح هذه العير الى محمد فقال ابو سفيان انا اول من اجاب الى ذلك
ومعي بنو عبد مناف فباعوها فكانت الف بعير وكان المال خمسين الف دينار فسلم الى اهل العير رؤس اموالهم وعزلت الارباح وبعثوا
الرسل الى العرب يستنفرونهم فاجتمعوا في ثلثة الاف فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلثة الاف بعير وهمت جماعة باب رسول
الله صلى الله عليه وآله ورأى في نومه كانه في درع حصينة وكان سيفه ذو الفقار قد انفصم وكان بقرا تنحر وكانه مردف كبشا فقال اما الدرع
فالمدينة واما البقر فقتل بعض اصحابه واما انفصام سيفه فمصيبة في نفسه والكبش كبش الكتيبة نقتله ان شاء الله فكان المصيبة ان رماه عتبة
بن ابي وقاص بحجر فدق رباعيته وهشم انفه وكلم وجهه وقيل الذي فعل ذلك عمرو بن قميئة وكان ذلك اليوم صعبا على المسلمين

ودر

٢٨١

في كتاب كتبه الى معاوية

وروي ان هندا قامت في ذلك اليوم في نسوة معها تمثل بقتلى المسلمين وتجدع الآذان والآنوف حتى اتخذت منها قلائد وبقرت عن كبد حمزة ولاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها وفيه سمي معوية بابن آكلة الأكباد واما جعفر بن ابي طالب فقتل في وقعة موتة و كانت هذه الوقعة في جمادى الاولى سنة ثمان من الهجرة وكان من سببها ان رسول الله صلعم بعث الحرث بن عميرة الازدي الى ملك بصرى فلما نزل موتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله صلعم قبل ذلك فشق عليه صلعم ذلك فبعث بالمسلمين وعسكر في ثلثة آلاف وقال الامير زيد بن حارثة فان قتل فجعفر بن ابي طالب فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون منهم رجلا وامرهم ان يأتوا مقتل الحرث بن عمير ويدعوا من هناك الى الاسلام فان اجابوا والا قاتلوهم فسمع العدو بهم فجمعوا لهم وجمع لهم شرحبيل اكثر من مائة الف فمضوا الى موتة فوافاهم المشركون فاخذ اللواء زيد فقاتل حتى قتل ثم اخذه جعفر فقاتل حتى قطعت يداه وقيل ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد في احد نصفيه احد وثمانون جرحا وسماه رسول الله صلعم ذا الجناحين يطير بهما في الجنة لقطع يديه يومئذ وقوله واراد من لو شئت ذكرت اسمه الى قوله الحرث اشارة الى نفسه انه كان لكل امرئ يوطئه فان لجالجلهم فلا ليسنا خرون ساعد ولا ينفذ معون عليا اشار الى دليل افضليته واهل بيته ارتفع بالتعجب من الدهر حيث اسنى في اعداده وفضله الى ان صار بحيث يقرن في الذكر والمرتبة بمن ليس له مثل سابقته في الفضيلة التي لا يتقرب بها احد الى الله بمثلها وقوله الا ان يدعي مدعي ما لا اعرفه واراد بالمدعي معوية وبما لا يعرفه ما عساه يدعيه من الفضيلة في الدين والسابقة في الاسلام وقوله ولا اظن الله يعرفه نفي ظن معرفة الله لذلك المدعي فضيلة يعرفها نفي ايهم عن نفسه طريق معرفة الله لها وهو اشارة الى انه لا وجود لتلك الفضيلة وما لا وجود له امتنع ان يعرفه الله نعم وجوده ولما اشار الى الفضيلة وعدم الفضيلة لنا فره حسن ان ذا فر يحمد الله فحمده على كل حال والاستثناء هنا منقطع لان الدعوى ليست من جنس الشاهقة واما جوابه لسؤاله قتلة عثمان فحاصله يعود الى انه فكر في امرهم فراى انه لا يسعه تسليم المعترفين بذلك الى معوية ولا الى غيره وذلك من وجوه احدها ان تسليم الحق الى ذي الحق عند المنازعة انما يكون بعد تعيين المدعى عليه و ثبوت الحق عليه وانما يكون ذلك بعد مرافعة الخصمين الى الحاكم واقام البينتين بالدعوى والاغراض من المدعى عليه و معلوم ان معوية ومن طالب بدم عثمن لم يفعل شيا من ذلك ولذلك قال ع لمعوية في موضع اخر واما طلبك الي قتلة عثمن فادخل فيما دخل الناس فيه ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على الحق الثاني ان القوم الذين رضوا بقتله او شركوا في ذلك كانوا اهل من الكثرة وفيهم المهاجرون والانصار كما روي ان ابا هريرة وابا الدرداء اتيا معوية فقالا له علام تقاتل عليا وهو احق بالامر منك لفضله وسابقته فقال لست اقاتله لاني افضل منه ولكن ليدفع الي قتلة عثمن فخرجا من عنده واتيا عليا فقالا له ان معوية يزعم ان قتلة عثمن عندك في عسكرك فادفعهم اليه فان قاتلك بعد هذا علمنا انه ظالم لك فقال علي احتلم احضر قتل عثمن يوم قتل ولكن هل تعرفان من قتله فقالا بلغنا ان محمد بن ابي بكر وعمارا والاشتر وعدي بن حاتم و عمرو بن الحمق وفلانا وفلانا ممن دخل عليه فقال علي فامضيا اليهم فخذوهم فاقبلا الى هؤلاء النفر فقالا لهم انتم من قتلة عثمن وقد امر امير المؤمنين باخذكم فقال فوقعت الصيحة في العسكر بهذا الخبر فوثب من عسكر علي اكثر من عشرة الف رجل في ايديهم السيوف وهم يقولون كلنا قتلة فبهت ابو هريرة وابو الدرداء ثم رجعا الى معوية وهما يقولان لا يتم هذا الامر ابدا فاخبراه بالخبر واذا كان القاتلون والمعصوبون لهم بهذه الكثرة فكيف يمكنه ع تسليمهم وتمكين احد منهم الثالث انه كان في جماعة الصحابة المشهود لهم بالجنة من يرى ان عثمن كان يستحق القتل باحداثه كما روي ان نصر بن مزاحم ان عمارا قام في بعض ايام صفين قام في اصحابه وقال امضوا معي عباد الله الى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم انما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالاحسان فقال هؤلاء الذين لا يبالون لو سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين لم قتلتموه فقلنا لاحداثه ما احدث شيئا و ذلك لانه كان امكنهم من الدنيا فهم ياكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدمت عليهم الجبال فاذا اعرف شل هذا الرجل على جلالة قدره بالمشاركة في قتله وحال ذلك باحداثه احتمل ان يقال انه ع فكر في هذا الامر فراى ان هذا الجمع العظيم من المهاجرين والانصار والتابعين لا يجوزان يقتلوا برجل واحد احدث احداثا نقموها عليه جملة المسلمين وقد استعتب فلم يرجع فادى ذلك الى قتله ولم يسعه تسليمهم الى من يطلب بدمه لما يستلزم ذلك من ضعف الدين وهدم ركن منه ثم انقسم عمود دالة بين طالبي القوم ان لم يرجع عن ضلاله الى طريق الحق عن طرق الباطل ويترك الخلاف ليكونوا هم الطالبين له ومحل يطلبونك النصب مفعولا ثانيا لتعرف بمعنى تعلم وياتي الكلام من تمام التهديد ومراده بالزوار الصدر الذي يليك ورد ضميرهم في تعيانهم يحتمل ان يريد الزائرين وافرد الضمير نظرا الى افراد اللفظ وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلم الى معوية وكيف انت صانع اذا تكشفت عنك جلابيب ما انت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها وخدعت بلذتها دعتك فاجبتها وقادتك فاتبعتها وامرتك فاطعتها وانه يوشك ان يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن فاقعس عن هذا الامر

(حاشية: ولقوله ما نفى بذلك المدعي — فقال الواحد)

في باب كتابه الى معوية

وخذ اهبة الحساب وشمّر لما قد نزل بك ولا تمكّن الغواة من سمعك والا تفعل اعلمك ما اغفلت من نفسك فانك
مترف قد اخذ الشيطان منك ماخذه وبلغ فيك امله وجرى منك مجرى الروح والدم ومتى كنتم يا معوية
ساسة الرعية وولاة امر الامة بغير قدم سابق ولا شرف باسق ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء واحذرك
ان تكون متماديا في غرة الامنية مختلف العلانية والسريرة وقد دعوت الى الحرب فدع الناس جانبا واخرج
اليّ واعف الفريقين من القتال ليعلم اينا المرين على قلبه والمغطى على بصره فانا ابو حسن قاتل جدك و
خالك واخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب القى عدوي ما استبدلت دينا ولا استحدثت
نبيا واني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه مكرهين وزعمت انك جئت ثائرا بدم عثمن ولقد
علمت حيث وقع دم عثمن فاطلبه من هناك ان كنت طالبا فكاني قد رايتك تضج من الحرب اذا عضتك ضجيج
الجمال بالاثقال وكاني بجماعتك تدعوني جزعا من الضرب المتتابع والقضاء الواقع ومصارع بعد مصارع
الى كتاب الله عز وجل وهي كافرة جاحدة او مبايعة حائدة **أقول** اول هذا الكتاب من عبد الله علي امير المؤمنين الى
معوية بن ابي سفيان سلام على من اتبع الهدى فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فانك قد رايت من الدنيا وتصرفها
باهلها فيما مضى منها وخير ما بقي من الدنيا ما اصاب العباد الصادقون فيما مضى منها ومن يقس الدنيا بشان الآخرة يجد
بينهما بونا بعيدا واعلم يا معوية انك قد ادعيت امرا لست من اهله لا في القدم ولا في البقية ولا في الولاية ولست تقول فيه بامر بين
يعرف لك به اثرة ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ولا عهد من رسول الله صلعم ثم يتصل بقوله فكيف انت الفصل
والجلابيب الملاحف وتبهجت تحسنت وتزينت ويوشك يقرب ووقفه على دنية اي اطلعه عليه والمجن الترس ويروى
مجن وتقاعس تاخر والاهبة العدة وهو ما يهيا للامر ويستعد به وشمّر ثوبه رفعه والاغفال الاهمال والترك والمترف
الذي اطغته النعمة والباسق العالي والمتمادي في الامر بطول المدة فيه والغرة الغفلة والامنية ما يتمنى والرين التغلب
والتغطية والمرين على قلبه من غلبت عليه الذنوب وغطت عين بصيرته الملكات الرديئة والشدخ كسر الشيء الاجوف والثائر
الطالب بالدم والضجيج الصياح والحائدة العادلة وقوله فكيف استفهام عن كيفية صنعه عند مفارقة نفسه لبدنه استفهام تنبيه
له على غفلته عما يلحقه من احوال الآخرة وتذكيرا بها واستعار لفظ الجلابيب للذات الحاصلة في الدنيا بمتاعها وزينتها ووجه الاستعارة كون
تلك اللذات ومتعلقاتها احوالا ساترة بينه وبين ادراك ما وراءها من احوال الآخرة كما يستر الجلباب ما وراءه ورشح الاستعارة
بذكر التكشف ولفظ ما اجمل بينه بقوله من دنيا مع سائر صفاتها وهي تحسنها وزينتها واسند اليها التبهج مجازا اذ الفاعل
لها ذات يتبهج ليس نفسها بل الله تعالى وفي قوله وخدعت مجاز في الافراد والتركيب اما في الافراد فلان حقيقة الخدعة ان يكون من
الانسان لغيره فاستعملها ههنا في كون الدنيا سببا لما فيها من اللذات موهمة لكونها مقصودة باللذات وانها كمال حقيقي مع انها
ليست كذلك وذلك يشبه الخدعة واما في التركيب فلان كونها موهمة لذلك ليس من فعلها بل من اسباب اخرى منتهى الى الله سبحانه
وكذلك التجوز في قوله ودعتك فاتبعتها وامرتك فاطعتها فان الدعاء والقود والامر لها حقائق معلومة لكن لما كانت تصورات كمالها
اسبابا جاذبة لها اشبهت تلك التصورات الدعاء في كونها سببا جاذبا الى الداعي فاطلق عليها لفظ الدعاء وكذلك اطلق على تلك
التصورات لفظ القود والامر باعتبار كونها اسبابا مستلزمة لاتباعها كما ان الامر والقود يوجبان الاتباع واما في التركيب
فلان تلك التصورات التي اطلقنا عليها لفظ الدعاء والقود والامر مجازا ليس فاعلها وموجدها هو الدنيا بل واهب العلم ولما
كانت اجابة الدنيا واتباعها وطاعتها معاصي تخرج الانسان بها عن حدود الله ذكرها في معرض التوبيخ له وقوله وانه يوشك
تذكير بقرب اطلاعه على ما يخاف من اهوال الآخرة والوصول اليه اللازم عن لزوم المعاصي وهو في معرض التخويف له والتنفير عن اصراره
على معصية الله بادعاء ما ليس له اي يقرب ان يطلعك مطلع على ما لا بد لك مما تخاف من الموت وما يستلزمه من معاصيك من الخوف
العذاب وظاهر ان تلك امور غفلت عنها العصاة في الدنيا ما داموا في حجب الابدان فاذا نزعت عنهم تلك الحجب اطلعوا على ما
قدموا من خير او شر وما اعد لهم بسبب ذلك من سعادة او شقاوة كما اشار اليه سبحانه بقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية
وقد قرنت الاشارة الى ذلك بعبرة منه وذلك المطلع والموقف هو الله سبحانه ويحتمل ان يريد به نفسه عم على سبيل التوعد له
بالقتل المستلزم لذلك الاطلاع ان دام على عناده وظاهر ان تلك الامور التي تقف عليها لا ينجيه منها منج ثم اردف ذلك بالتوبيخ والنهي
بالعرض له منها وهو امره بالتاخر عن امر الخلافة ثم اردف ذلك بما يستلزم التخويف والتهديد فامره باخذ الاهبة للحساب و
الاستعداد له بعدته وهي طاعة الله وتقواه ومجانبة معاصيه وبالتشمير لما قد نزل به وكنى بالتشمير عن الاستعداد ايضا
وما نزل به اما الموت او القتل وما بعده تنزيلا لما لا بد من وقوعه وهو في مظنة الوقوع منزلة الواقع ويحتمل ان يريد به الحرب

التي يريد ان يوقعها به ثم نهاه عن تمكين الغواة من سمعه وكنّى بهم عن اصحابه الذين كانوا يشيرون عليه بالآراء المستلزمة للبقاء على المعصية اذ من شأن الغاوي الاغواء والغواة كعمرو بن العاص ومروان فمن كان يعتضد بهما في رأيه وقوله والّا تفعل اى ان لم تفعل ما امرتك به اعلمك ما اغفلت من نفسك ومفعول تركت ضمير ما وقوله من نفسك بيان لذلك الضمير وتفسير لما اغفله نفسه تركها عداه ذخلها بما يخلصه من اهوال الحرب وعذاب الآخرة وهو ما يلزمه من طاعة الله واقتناء الفضائل النفسانية ونهيهم من ذلك الاعلام الذي توعده بالاعلام بالفعل فان مضمونه التهديد بالحرب والقتال فيستلزم اعلامه ما اغفل من نفسه من طاعة الله المستلزمة للراحة وقوله فانّك الى قوله العزم وصف له بما يستلزم اعلامه بالفعل ما اغفل من نفسه فالترف مستلزم لتجاوز الحد الذي ينبغي ويتركه وذلك الحد فضيلة العفة ويكون الشيطان قد اخذ منه مأخذه وبلغ فيه امله وجرى منه مجرى الروح والدم في القرب يستلزم وصفه بكل الرذائل المستلزمة لاعراضه عن الفضائل ثم اخذ في استفهامه عن وقت كونه امير ساسة الرعية وولاة امر الامة استفهاماً على سبيل الانكار لذلك والتقريع بالخمول والقصور عن رتبة الملوك والولاة ذو القدم الشاهق كناية عن التقدم في الامور الاهلية لذلك وشبه بقوله بغير قدم سابق على ان سابقة الشرف والتقدم في الاسلام شرط لذلك الاهلية في المتعارف وهو في قوة صغرى ضمير من الشكل الاول تقديرها وانتم بغير قدم سابق وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس باهل لسياسة الرعية وولاة امر الامة ينتج انكم لستم لذلك وهو عين ما سنكره بفيصه وظاهر انهم لم يكن فيهم من اهل الشرف اهل لذلك ثم استعاذ من لزوم ما سبق من استفهامه على ان معاوية في معرض ذلك ويقصد به ما هو عليه من تغلب الاطماع والاماني الدنيوية والثاني كونه مخالف للعلانية والسريرة وكنى بذلك عن النفاق وغرضه التحذير مما يستلزمه من لزوم الشقاء في الآخرة وقد كان معاوية دعاه الى الحرب اجاب بالجواب وسكت وهو قوله فدع الناس ... وانتصب جانباً على الظرف وانما جعل مبارزته له سبباً لعلمه بانه مغطى على قلبه وبصره بصيرته بحجب الدنيا وجلابيبها لما كان من لوازم العلم باحوال الآخرة وفضلها على الدنيا ايثار عند المبارزة في طلبها والتأدي الى القتل حتى ربما تكون محبة القتل من لوازم ذلك العلم ايضاً وقد كان ع يعلم من حاله انه لا يثبت له وهو منه محب للبقاء في الدنيا فلذلك دعاه الى المبارزة ليعلمه بما هو عليه وقوله فستعلم ايّنا ظالم الحق وطريق الآخرة في قتاله وان حجب الشهوات الدنيوية قد غطت عين بصيرته عن احوال الآخرة وطلبها فكان فراره مستلزماً لعدم علمه بالآخرة المستلزم للرين على قلبه وغطائه عليه وفي ذلك تهديد وتحذير وكذلك في اعتزاله وانذاره ثم رتب كونه قاتل من قتل من اهله شدخاً يوم بدر في معرض التخويف والتحذير بقوله بصيبتهم اصابهم انا صاحبهم على العصبية وصاحب المقتول هو حنظلة ابو عتبة بن ابي ربيعة فانه كان ابا هند وخاله الوليد بن عتبة واخوه حنظلة بن ابي سفيان قتلهم جميعاً يوم بدر وكذلك قتل كثيراً غيرهم ذلك السيف والقلب معي القى بهما عدوّي وبكونه لم يستبدل ديناً ولا نبياً وانه على المنهاج الذي تركوه طائعين ودخلوه مكرهين وهو طريق الاسلام الواضح كل ذلك في معرض التخويف والتحذير والتوبيخ بالنفاق ثم اشار الى الشبهة التي كانت سبباً لثوران الفتن العظيمة وانشعاب مراد الدين وهي شبهة الطلب بدم عثمان التي كانت عمدته في عصيانه وضلاله واشار الى الجواب عنها بوجهين احدهما انه ع ليس من قتلة عثمان فلا مطالبة عليه وانما تتوجه المطالبة على قاتليه وهو يعلمهم الثاني المنع بقوله ان كنت طالباً فانما ايقاع الشك هنا بان في لوازم عدم تسليم كونه طالباً بدم عثمان ثم عقب بتخويفه بالحرب وما يستلزمه من التقلل الى الغايات المذكورة وههنا ثلاثة تشبيهات احدها المدلول عليه بقوله فكاني قد رايتك والمشبه به هنا نفسه ع في حال كلامه هذا والمشبه هو ايضاً نفسه لكن من حيث هو ذو رؤية محققة وتحقيق ذلك ان نفسه لكمالها واطلاعها على الامور التي سيكون كانت مشاهدة لها ووجه التشبيه بينهما انتهاؤها الى حالتها جلاء المعلوم وظهوره له في الحالتين الثاني قوله تضج ضجيج الجمال بالاثقال ووجه الشبه شدة تبرمه وضجره من ثقلها كما تبرم الجمل المثقل بالحمل ومجيجه كناية عن تبرمه واستعار لفظ العض ملاحظة لشبهها بالسبع العقور ووجه المشابهة استلزام ذلك الانفعال للالم كاستلزام العض له الثالث قوله وكاني بجماعتك والمشبه هنا ايضاً نفسه والمشبه به ما دلت عليه بالالصاق كانه قال كاني متصل او ملتصق بجماعتك حاضر معهم ومحل بهم في النصب على الحال والعامل ما في كان من معنى الفعل اى اشبه نفسي بالحاضر حال دعائهم له وجزعاً مفعول له ويجوز بلفظ القضاء في المقضي من الامور التي توجد عن القضاء الالهي اطلاقاً لاسم السبب على المسبب وقوله ومصارع بعد مصارع والمصرع هنا مصدر اى جزعاً من مصارع تلحق بعضهم بعد بعض وتلحقهم بعد مصارع ابائهم الشانئة وقد كان اطلاعه على دعائهم له الى كتاب الله تعالى وقوعه من اياته الباهرة والواو في قوله وهي الحال والعامل فيه يدعوني والكافرة الجاحدة المحقة من جملة اشارة الى المنافقين منهم وقد كان منهم جماعة كذلك والمبايعة الحائدة الذين بايعوه وعدلوا عن بيعته الى معاوية والسلام

ومن وصية له عليه السلام

وصّى بها جيشاً بعثه الى العدو فاذا نزلتم بعدو او نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الاشراف او سفاح الجبال او اثناء الانهار كيما

نزلة د — بالقول — اهلا م — في القضاء الالهي — لفعلها م

فصل ملتقط من كتاب كتبه الى زياد بن النضر

يكون لكم ردءا ودونكم مردا ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد او اثنين واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة او امن واعلموا ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم واياكم والتفرق فاذا نزلتم فانزلوا جميعا واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا واذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة ولا تذوقوا النوم الا غرارا او مضمضة **اقول** هذا الفصل ملتقط من كتاب كتبه عليه السلام الى زياد بن النضر الحارثي حين سرحه على مقدمته الى الشام من النخيلة لما اراد الخروج من الكوفة اليها وكان قد بعث معه شريح بن هانى واختلفا فكتب كل منهما اليه يشكو من صاحبه فكتب عليه السلام اليهما اما بعد فاني قد وليت زياد بن النضر مقدمتي وامرته عليها وشريح على طائفة منها امير فان جمعكما باس فزياد على الناس وان افترقتما فكل واحد منكما امير على الطائفة التي وليته عليها واعلما ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم فاذا انتما خرجتما من بلادكما ودنوتما من بلاد عدوكما فلا تسأما من توجيه الطلائع ومن نفض الشعاب والشجر والخمر في كل جانب الى المساء الا على تعبية فان دهمكم داهم او غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبية ثم يتصل بقوله فاذا نزلتم الى قوله امن ثم يتصل بقوله واياكم والتفرق فاذا نزلتم فانزلوا جميعا واذا رحلتم فارحلوا جميعا واذا غشيكم الليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والترسة ورماتكم تكون من وراء ترستكم ورماحكم وما اقمتم فكذلك فافعلوا كيلا يصاب لكم غفلة ولا يلفى لكم غرة فما من قوم يحفون عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل او نهار الا كانوا كانهم في حصون واحرسا عسكركما بانفسكما واياكما ان تذوقا نوما حتى تصبحا الا غرارا او مضمضة ثم ليكن ذلك شأنكما ودأبكما حتى تنتهيا الى عدوكما وليكن عندي كل يوم خبركما ورسول من قبلكما فاني ولا شيء الا ما شاء الله حثيث السير في آثاركما عليكما في حربكما بالتؤدة واياكما والعجلة الا ان تمكنكما فرصة بعد الاعذار والحجة واياكما ان تقاتلا حتى اقدم عليكما الا ان تبدءا او يأتيكما امري ان شاء الله ولنرجع الى الشرح فنقول العين الجاسوس والطليعة الجيش الذي يبعث ليطلع على العدو ونفض الشعاب استقراؤها والخمر ما واراك من شجر وجبل ونحوهما والكمين الواحد والجمع يستخفون في الحرب حيلة للايقاع بالعدو والكتيبة الجيش والتعبية جمعه واعداده والدهم العدد الكثير والمعسكر بفتح الكاف موضع العسكر والاشراف جمع شرف بفتح الراء وهو المكان العالي وقبلها بضمتين وسكون هو قدامها وسفح الجبل اسفله حيث يسفح فيه الماء واثناء الانهار جمع ثني وهو منعطفها والردء العون في المقاتلة والرقباء الحفظة على صياصي الجبال وهي اعاليها واطرافها والهضاب جمع هضبة وهي الجبل المنبسط على وجه الارض وكفة بالكسر اي مستديرة والغرار النوم القليل والمضمضة حركة النعاس في العين وهو كناية عن قلة النوم ايضا والترسة جمع ترس واعلم ان صدر الكتاب ظاهر الا ان فيه نكتة وهي انه كرر لفظ الاعقب النهي عن تسيير الكتائب وفيها هيئة ان الحصر في الاولى فيفيد حصر السير في الوقت المشار اليه واما الثانية فيفيد حصره في حال التعبية وفي هذا الكتاب من تعليم كيفية الحرب قوانين كلية عظيمة النفع يستلزم استعمالها الظفر بالعدو وتفصح عن تكذيب من ادعى انه لا علم له بالحرب كما حكاه عن قريش فيما مضى وفي هذا الفصل جملة منها احدها ان يختاروا المعسكر عند منازلة العدو قدام الاماكن العالية وسفاح الجبال واثناء الانهار وكشف عن العلة في ذلك ووجه المصلحة فيه بقوله كيما يكون ردءا اي تكون هذه الاماكن حافظة لكم من ورائكم مانعة من العدو ان يأتيكم من تلك الجهة وبذلك كانت معينة الثاني ان يكون مقاتلتهم من وجه واحد فان لم يكن فمن وجهين حيث يحفظ بعضهم ظهر بعض وسره انه يستلزم البقاء على الجمعية واما المقاتلة من وجوه كثيرة فمستلزمة للتفرق والضعف الثالث ان يجعلوا لهم حفظة في الاماكن العالية وعلته ذكرها وهو ان لا يأتيهم العدو من مكان يخافون منهم او يأمنون على غرة وغفلة من الاستعداد له الرابع ان يعلموا ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم فلا يهملوا التأهب عند رؤية المقدمة والطليعة وان قل عددهم لان رؤيتهم تستعقب هجوم العدو وقربه الخامس التحذير من التفرق ومن لوازمه الامر بالاجتماع حالتي النزول والارتحال وسره ظاهر السادس ان يجعلوا الرماح مستديرة عليهم وان لا يستغرقوا في النوم كما يفعله العادمون سرهما الحراسة والحفظ خوف هجوم العدو على الغرة وحال النوم **ومن وصية له عليه السلام** لمعقل بن قيس الرياحي حين انفذه الى الشام في ثلاثة الاف مقدمة له اتق الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه ولا تقاتلن الا من قاتلك وسر البردين وغور بالناس ورفه بالسير ولا تسر اول الليل فان الله تعالى جعله سكنا وقدره مقاما لا ظعنا فارح فيه بدنك وروح ظهرك فاذا وقفت حين ينبطح السحر او حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله تعالى فاذا لقيت العدو فقف من اصحابك وسطا ولا تدن من القوم دنو من يريد ان ينشب الحرب ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب الحرب حتى يأتيك امري ولا يحملنكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم **اقول** روى انه عليه السلام بعثه من المدائن في ثلاثة الاف فقال له امض على الموصل حتى توافيني بالرقة ثم قال له اتق الله الفصل فخرج حتى اتى الحديثة وهي اذ ذاك منزل الناس انما بنى الموصل بعد ذلك محمد بن مروان ثم مضوا حتى لقوهم بالرقة والبردين الغداة والعشي وكذا الابردان والتغوير

منقطعها

مقاما

الناس فيه

الهبوط

كتاب كتبه الى امراء جيشه

القيلولة معروف اي نوم الغايرة وهي القايلة نصف النهار والترفيه الاراحة والسكن ما يسكن فيه واليه والظعن الارتحال والانجاح
الاتساع والانبساط وانشبت الشيء بالشيء علقته والشنآن البغض والعداوة وهذا كان معقل بن قيس متوجها لمستقر الى الله ثم
في جهاد اعدائه امره بتقوى الله الذي هو خير زاد في الطريق اليه ونبه بقوله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه على ما به يحصل
جذبه الى التقوى والتخويف من لقاء الله الثانية تسهيل الجهاد عليه فانه لما كان مقصده ان الجهاد طاعة مقربة الى الله ثم اشعره
بوجوب القتال ليستعد بذلك الطاعة التي هو بصددها لما يضطر اليه من لقائه الثالثة امره بتقوى الله خوف بعد تحذره القتال ثم
ليكون اسرع الى ما امره به وبينها بعد من الامور المذكورة في وصيته منها ان لا يقاتل الا من قاتله فان قتال غير المقاتل ظلم ومنها
ان يسير طرفي النهار ليبردهما ويغور في وسطه لما يستلزمه القايلة من شدة الحر والمتاعب فيهم ولن يرفق في السير بالحق الضعيف
القوي ولا يظهر التعب على الناس لحاجتهم الى فضل القوة واستجمامها وان لا يسير في اول الليل لان الله جعله سكنا ومناما
ليستراح فيه من المتاعب ويسكن اليه بعد النفرة عنها ولم يجعله محل الظعن وامره وان يريح فيه بدنه وينفح ظهره اي خيله واطلق
عليه لفظ الظعن مجازا اطلاقا لاسم المظروف على الظرف ولن يجعل سيره بعد توقف في ليله حين ينبطح السحر وحين ينفجر الفجر لانها
مظنة طيب السير وان يقف من اصحابه عند لقاء العدو وسطا ليكون نسبة الطرفين في الرجوع اليه والاستمداد سماع اوامره على سوا
ومن النواهي ان لا يدنو من القوم دنو من يريد انشب الحرب الاراده ايقاع الفتنة ليكون اعذر عند الله والى القوم في دعائهم الى الحق ولا
يتباعد عنهم تباعد اشعر بخوف وهيبة من عدوه لئلا يطمع فيه العدو وضرب له في هذين النهيين غاية هي ورود امره عليه واحدها
دان لا يحملهم بغضهم وعداوتهم على قتالهم قبل دعائهم الى الامام الحق والاعذار اليهم فان ذلك يكون قتالهم على ذلك الوجه لغير الله بل بمجرد
الهوى والعداوة فيخرج من كونه طاعة وبالله التوفيق **ومن كتاب له** الى امير من امراء جيشه وقد امرت عليكما وعلى من في حيزكما مالك
بن الحارث الاشتر فاسمعا له واطيعا واجعلاه درعا ومجنا فانه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطوه عما الاسراع اليه
احزم ولا اسراعه الى البطوء عنه امثل **اقول** الاميران المشار اليهما هما زياد بن النضر وشريح بن هاني وذلك انه وجههما على مقدمته
له في اثني عشر الفا فلقيا ابا الاعور السلمي في جند من اهل الشام فكتبا اليه يعلمانه بذلك فارسل الى الاشتر فقال له ان زياد بن
النضر وشريحا ارسلا الي يعلماني انهما لقيا ابا الاعور في جند من اهل الشام بسور الروم فنبأني الرسول انه تركهم متوافقين فالنجا
النجا اليهم فاذا اتيتهم فانت عليهم واياك ان تبدأ القوم بقتال الا ان يبدؤك حتى تلقاهم وتسمع منهم ولا يجرمنك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم و
الاعذار اليهم مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحا وقف من اصحابك وسطا ولا تدن منهم دنو من يريد ان ينشب
الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب الناس حتى اقدم عليك فاني حثيث السير اليك ان شاء الله وكتب اليهما اما بعد فاني امرت عليكما
الفصل والسقطة الزلة والحزم ضبط الرجل امره واخذه باولى الاراء واقواها الى الصواب الامثل الاقرب الى الخير وقد امرهما بامرين
منها ان يسمعا امره فيما يراه اصلح ويطيعا امره في ذلك ليكون به نظام امورهم في القاعدة وهو المستلزم لظفرهم وان يجعلاه درعا
ومجنا في الحرب والراي فانه ممن لا يخاف ضعفه في حرب ولا زلته في راي ولا بطوءه عما الاسراع اولى بالرأي من الافعال ولا اسراعه فيما
البطوء عنه اولى بالتدبير واقرب الى الخير بل يضع كل شيء موضعه ولفظ الدرع والمجن مستعار لان اعتبارهما وغايتهم من شر عدوهم كما يقي
الدرع والمجن صاحبهما وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلام** لعسكره قبل لقاء العدو بصفين لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم
فانكم بحمد الله على حجة وترككم اياهم حتى يبدأوكم حجة اخرى لكم عليهم فاذا كانت الهزيمة باذن الله فلا تقتلوا مدبرا ولا
تصيبوا معورا ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء باذى وان شتمن اعراضكم وسببن امراءكم فانهن ضعيفات القوى والانفس والعقول
ان كنا لنؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وان كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر او الهراوة فيعير بها وعقبه
من بعده **اقول** روي انه عليه السلام كان يوصي اصحابه في كل موطن يلقون العدو فيه بهذه الوصية الهزيمة الهرب والمعور الذي
امكن من نفسه واعور الفارس ظهر فيه موضع خلل للضرب فهو معور والجهز على الجريح قتله والهيج الشيء اثارته والفهر الحجر المستطيل الاملس
والهراوة خشبة كالدبوس والعقب الولد ذكرا وانثى وقد وصى في هذا الفصل بامور احدها ان لا يقاتلوهم الى ان يبدؤهم بالقتال
واشار الى ذلك انه يكون حجة ثابتة عليهم وارى بالحجة الاولى الى قوله تعالى فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء
الى امر الله وظاهر ان هؤلاء بغاة على الامام الحق فوجب قتالهم واما الثانية فهي تركهم حتى يبدأوا بالحرب وبيان هذه الحجة من
وجهين احدهما انهم اذا بدأوا بالحرب فقد تحقق دخولهم في حرب الله وحرب رسوله لقوله صلى الله عليه وآله حربك يا علي حربي وتحقق
سعيهم في الارض بالفساد بقتلهم النفس التي حرم الله ابتداء بغير حق وكل من تحقق دخوله في ذلك دخل في عموم قوله تعالى انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله الاية الثاني ان البادي بالحرب معتد ابتداء وكل معتد كذلك يجب الاعتداء عليه لقوله تعالى فمن
اعتدى عليكم الاية فوجب الاعتداء عليهم اذا بدأوا بالحرب الثاني وصاهم على تقدير وقوع الهزيمة منهم باذن الله ان لا يقتلوا

من كتاب كتبه الى امرا جيشه

مدبرا اى موليا هاربا ولا يصيبوا معورا وهو الذى امكنهم الفرصة فى قتله بعد انكسار العدو وكالمعور من الصيد وقيل المعور
المريب وهو الذى وقع فيه الشك انه محارب ام لا اى لا تقتلوا الا من علمتم انه محارب لكم الثالث لا تجهزوا على جريح وهذه الامور الاربعة
المنهى عنها فيهما هى من احكام الكفار حال الحرب مفترقة بين هؤلاء البغاة وبينهم فيها وان اوجب قتالهم وقتلهم ويلحق بذلك من احكامهم
ما نقله بعض من تمام هذا الفصل بعد قوله ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتم الى رحال القوم فلا
تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا الا باذن ولا تاخذوا شيئا من اموالهم ثم يتصل بقوله ولا تهيجوا النساء ولم يرد بذلك ان لا تبتدئوا بشر وهن
ما دون ذلك بل يبلغن الغاية المذكورة من شتم الاعراض وسب الامراء وعلل اولوية الكف عنهن بكونهن ضعيفات القوى اى ضعيفات القوة
عن مقاومات الرجال وحربهم وسلاحهن الضعيف والعاجز لسانه وبكونهن ضعيفات الانفس اى لا صبر لنفوسهن على البلاء فيجتهدن
فى دفعه بما امكن من سب غيره وبكونهن ضعيفات العقول اى لا قوة لعقولهن ان ترى عدم الفائدة فى السب والشتم وانه من رذايل
الاخلاق والذى يستلزم زيادة الشرور واثارة الطباع التى يراد تسكينها وكفها وقوله وان كنا الى اخره تنبيه على الامر بالكف عنهن لانه
اذا امر بالكف عنهن حال كونهن مشركات ففى حال اظهارهن الاسلام اولى والواو فى وانهن للحال وقوله وان كان الرجل الى اخره
تنبيه على ما فى اذاهن من المفسدة وهى المثبتة اللازمة له فى حال الجاهلية لعقبه من بعده وذلك يقتضى نهاهن فى معرض النهى عنه
وتناولها بالفهر او الهراوة كناية عن ضربه بها وان فى قوله وان كنا وفى قوله وان كان هى المخففة من المثقلة ولذلك لزم اللام خبرها وابنها
ومن ان النافية وكان يقول عليه السلام اذا لقى العدو محاربا اللهم اليك افضت القلوب ومدت الاعناق وشخصت
الابصار ونقلت الاقدام وانضيت الابدان اللهم قد صرح مكنون الشنان وجاشت مراجل الاضغان اللهم انا نشكو اليك
غيبة نبينا وكثرة عدونا وتشتت اهوائنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين اقول روى انه كان
اذا اشتد القتال ذكر اسم الله حين يركب ثم يقول الحمد لله على نعمه علينا وفضله العظيم سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون ثم يستقبل القبلة ويرفع يديه ويقول اللهم اليك نقلت الاقدام الفصل الى قوله خير الفاتحين ثم يقول سيروا
على بركة الله ثم يقول الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر يا الله يا احد يا صمد يا رب محمد بسم الله الرحمن الرحيم
ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اياك نعبد واياك نستعين اللهم كف عنا ايدى الظالمين فكان هذا شعاره بصفين وافضت
خرجت اليه عن كل شىء ووصلت اليه خالصة سرها وشخوص البصر ارتفاعه نحو الشىء بحيث لا يطرف وانضاء الابدان هزالها
وصرح ظهر وهو فعل لازم والشنان العداوة والبغضاء ومكنونه المستور منه والمراجل القدور وجيشها غليانها والضغن الحقد
والفتح الحكم والفاتح الحاكم ولما كان مراده مع جهاد اعداء الله عبادة له ومن كمال العبادات ان تشفع بذكر الله وتوجه السر اليه
اذ كان ذلك هو سر العبادة وفايدتها الاخروية كان يرى فى جهاده التضرع والالتفات الى الله بهذا الفصل وامثاله مع ما يستلزمه
من طلب النصر والاعداد له فاشار بافضاء القلوب اليه الى اخلاصها له فى تلك الحال وبمد الاعناق وشخوص الابصار الى ما يستلزم الاخلاص
من الهيئات البدنية وبنقل الاقدام وانضاء الابدان الى ما كان فى ذلك السفر وما يستلزمه من المتاعب تماما لوجهه وغاية الوصول
الى مرضاته واشار الى علة قتالهم فى معرض الشكاية الى الله تعالى وهى تصريحهم بما كان مستقرا فى صدورهم فى حياة الرسول صلى الله عليه وآله من العداوة
والبغضاء وبجيش اضغانهم السابقة بما فعل بهم يوم بدر واحد وغيرهما من المواطن ولفظ المراجل مستعار ووجه المشابهة غليان ما
فى قلوبهم من الاحقاد كغليان المراجل ولفظ الجيش ترشيح ثم لما كانت غيبة النبى صلى الله عليه وآله وفقده هو السبب الذى يستلزم تصريح الشنان وظهور
الاضغان وكثرة العدو وتفرق الاهواء لا جرم شكى الى الله من فقده وما يستلزمه من هذه الشرور ثم ساله ان يحكم بينه وبينهم بالحق
اقتباسا من القرآن الكريم لما ان ايقاع الحكم الحق بينهم يستلزم نصره عليهم وظفره بهم اذ كان هو المحق فى جهاده وبالله التوفيق
وكان عليه السلام يقول لاصحابه عند الحرب لا تشتدن عليكم فرة بعدها كرة ولا جولة بعدها حملة واعطوا السيوف
حقوقها ووطئوا للجنوب مصارعها واذمروا انفسكم على الطعن الدعسى والضرب الطلحفى واميتوا الاصوات فانه اطرد
للفشل فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر فلما وجدوا اعوانا عليه اظهروه اقول
الفرة المرة من الفرار والكرة المرة من الكر وهو الرجوع على العدو والجولة الدورة والمصارع مواضع الصرع للقتلى وذمرته اذمره
اى حثثته والدعسى منسوب الى الدعس وهو الاثر والطلحفى الشديد والياء للمبالغة والنسمة الخلق وقوله لا تشتدن عليكم
الى قوله حملة اى اذا رايتم فى فراركم مصلحة فى خدعة العدو وكالتجاذب له من ذلك حيث يتمكن منه ويقع الفرصة فتكروا عليه حينئذ
فلا تشتدن عليكم الفرة ووجه الشدة هنا ان الفرار بين العرب صعب شديد لما يستلزمه من العار والسبة فاشار الى وجه تسهيله
عليهم بانه اذا كان بعده كرة فلا باس به لما فيه من المصلحة ويحتمل ان يريد انكم اذا اتفق لكم ان فررتم مرة فعقبتموها بكرة فلا تشتدن
عليكم تلك الفرة فتفشلوا وتجبنوا فان تلك الكرة كالماحية لها وفيه تنبيه على الامر بالكرة على تقدير الفرة وكذلك قوله ولا جولة بعدها حملة

الهراوة

الحملة

فى جواب كتاب كتبه معاوية اليه

ويحتمل ان يريد فلا تبسطن عليكم قوم من عدوكم بعدها اكره منه عليكم فان تلك الكرة لما كانت عقيب الفرة لم تكن الا عن قلوب مدخولة
ونيات غير صحيحة وانما قدم الفرة فى هذا الاحتمال لان مقصوده تحقير تلك الكرة بذكر الفرة وكان ذكرها اهم فلذلك قدمت وكذلك
قوله ولا جولة بعدها حملة ثم امرهم باوامر احدها ان يعطوا السيوف حقوقها وهو كناية عن الامر بفعل ما ينبغى ان يفعل ولفظ الحقوق
مستعار لما اتصل اليه السيوف من الافعال التى ينبغى ان تفعل بها الثانى ان يوطنوا الجنوب مصارعها اى يتخذوا مصارع جنوبهم
اوطانا لها وهو كناية عن الامر بالعزم الجازم على القتل فى سبيل الله والاقدام على اهوال الحرب اذ كان اتخاذ المصارع اوطانا للجنوب
مستلزما لذلك العزم والاقدام وروى وطئوا بالياء الثالث ان يختشوا انفسهم على الطعن الدعسى اى يظهر اثره والضرب الشديد
اى يحملوها على ذلك ويبعثوها بالدواعى الصادقة التى فيها رضى من تذكرونه وعد الله عباده الصالحين الرابع ان يميتوا الاصوات
اى لا يكثروا الصياح فانه من علامات الفشل وعدمه يكون علامة للثبات المنافى للجبن والصياح فاشبه وقد سبقت الاشارة
الى ذلك ثم اقسم بما يقيناه من قسم الامارات القوم لم يسلموا بقلوبهم حين اظهروا الاسلام فى زمن رسول الله صلعم بالسنتهم ولكنهم
استسلموا خوفا من القتل واسروا الكفر فلما وجدوا عليه اعوانا اظهروه وهو اشارة الى المنافقين من بنى امية كعمرو بن العاص
ومروان ومعوية وامثالهم وروى مثل هذا الكلام لعمار بن ياسر رضى الله عنه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم الى معوية**
جوابا عن كتاب منه اليه واما طلبك الى الشام فانى لم اكن لاعطيك اليوم ما منعتك امس واما قولك ان الحرب قد اكلت
العرب الا حشاشات انفس بقيت الا ومن اكله الحق فالى الجنة ومن اكله الباطل فالى النار واما استواؤنا فى الحرب
والرجال فلست بامضى على الشك منى على اليقين وليس اهل الشام باحرص على الدنيا من اهل العراق على الاخرة واما
قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا ابو سفيان كابى طالب ولا
المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل ولبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى فى
نار جهنم وفى ايدينا بعد فضل النبوة التى اذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل ولما ادخل الله العرب فى دينه افواجا
واسلمت له هذه الامة طوعا وكرها كنتم ممن دخل فى الدين اما رغبة واما رهبة على حين فاز اهل السبق بسبقهم وذهب
المهاجرون الاولون بفضلهم فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا ولا على نفسك سبيلا والسلام **اقول** روى ان معوية
استشار عمرو بن العاص فى ان يكتب الى على كتابا يسأله فيه الشام فضحك عمرو وقال اين انت يا معوية من خدعة على قال السنا
بنى عبد مناف قال بلى ولكن لهم النبوة دونك وان شئت ان تكتب فاكتب فكتب معوية اليه مع رجل من السكاسك يقال له عبد
الله بن عقبة اما بعد فانى اظنك لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم يجنها بعض على بعض وانا وان كنا قد غلبنا
على عقولنا فقد بقى لنا منها ما نندم به على ما مضى ونصلح به ما بقى وقد كنت سألتك الشام على ان لا يلزمنى لك طاعة ولا
بيعة وابيت ذلك على فاعطانى الله ما منعت وانا ادعوك اليوم الى ما دعوتك اليه امس فانى لا ارجو من البقاء الا ما ترجو ولا
اخاف من القتل الا ما تخاف وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال واكلت الحرب العرب الا حشاشات نفس بقيت وانا فى الحرب
والرجال سواء ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل الا فضل لا يستذل به عزيز ولا يسترق به حر والسلام فلما
قرء على عم كتابه تعجب منه ومن كتابه ثم دعا عبد الله بن ابى رافع كاتبه وقال له اكتب اليه اما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر انك لو
علمت وعلمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعض على بعض فانا واياك فى غاية لم نبلغها بعد واما طلبك الى الشام الفصل
الحشاشة بقية الروح والطليق الاسير الذى اطلق من اسره وخلى سبيله والصريح الرجل خالص النسب واللصيق الدعى الملصق بغير ابيه
والمدغل الذى اشتمل باطنه على فساد كنفاق ونحوه وسلف الرجل اباؤه المتقدمون وخلفه من يجيء بعده ونعشنا رفعنا
والفوج الجماعة وقد اجاب عم عن امور ادعيت تضمنها كتاب معوية احدها انه استعطفه الى التقية واستدرجه لوضع الحرب لقوله
انك لو علمت الى قوله ما بقى وفيه اشعار بالجزع من عض الحرب والخوف من دوامها فلما برم بقوله وانا واياك فى غاية لم نبلغها
بعد ويفهم منه التهديد بسبقاء الحرب الى الغاية منها وهى الظفر به وهلاكه وهو مستلزم للتخويف والتهويل عليه ومنع ما طلب من
التقية ووضع الحرب الثانى انه سال اقراره على الشام مع نوع من التبجح الموهم لعدم الانفعال والضراعة وذلك فى قوله وقد
كنت سألتك الشام الى قوله امس وقوله فانى لا ارجو الى قوله ما تخاف اشارة الى كونهما سواء فى رجاء البقاء والخوف من
القتل ومقصود ذلك ان يوهم انه لا انفعال له عن ملك الحرب بكم وقوله وانا ادعوك الى ما دعوتك اليه امس اى من طلب اقراره
على الشام وذلك انه عم حين بويع بالخلافة كان معوية سأله ان يقره على امرة الشام ونقل عن ابن عباس انه قال له عم ولّه
شهرا واعزله دهرا فانه بعد ان يبايعك لا يقدر على ان يعدل الى شام غيرك ولا بد ان يجور فتعزله بذلك فقال عم كلا وما كنت
متخذ المضلين عضدا وروى ان المغيرة بن شعبة قال له عم ان لك حق الطاعة والنصيحة اقرر معوية على عمله والعمال على اعمالهم

في ترجيح فضيلة علي على معوية من عدة وجوه

حتى اذا اتتك طاعتهم وبعد الجنود استبدلت او تركت فقال ع حتى انظر فخرج من عنده ثم عاد اليه من الغد فقال اني اشرت عليك امس
براي وان الراي ان تعاجلهم ما لم تزعج فيعلم الشامي من غيره وتستقبل امرك ثم خرج من عنده فجاء ابن عباس فاخبره بما اشار اليه المغيرة
من الرايين فقال اما امس فقد نصحك واما اليوم فقد غشك فقد كان الراي الدنيا وهي للخالص في حفظ الملك فذلك لكنه لم
يكن ليبيننا هل في شيء من امر الدين لصلاح وان قل وان كان اقرار معوية وامثاله على الاعمال تستلزم العدول في كثير من تصرفاتهم
عن سبيل الله لاجرم لم يروا اقراره على العمل مع علمه بما يستلزمه ولما كان منعه اولا انما هو خالصا لله عن مشاركة الهوى والميول
الطبيعية لم يكن سؤاله ثانيا واستعطافه اياه مقربا له الى اجابته خصوصا وقد حدثت تلك الحروب الشديدة من العرب ما احدث
وقتل من المهاجرين والانصار وساير العرب من قتل بل اجابه بعين ما اجابه اولا من الرد والمنع في قوله فلم اكن لاعطيك اليوم
ما منعتك امس اذ العلة في المنع قائمة في كل حين وزمان وهي المحافظة على دين الله اما انت حفظ الرجال والتبقية على الاحياء
لحفظ الاسلام وتقوية امره واجب فلا جرم استعطفه واستند رجعه الى التبقية المبقية عليهم للتنبيه على ذلك بقوله وقد والله
الى قوله بقيت فاجابه الا ومن اكله الحق فالى النار وهو كبرى قياس حذف صغراه للعلم بها وتقديرها ان هؤلاء الاحياء
الذين قتلناهم انما قتلهم الحق اي كان قتلهم بحق لبغيهم وتقدير هذه الكبرى وكل من قتله الحق فمصيره الى النار فينتج ان مصير
من قتل من هؤلاء الى النار ثم هذه النتيجة تنبيه على الجواب وهي قوة صغرى قياس ضمير تقدير كبراه وكل من كان من اهل
النار فلا يجوز التبقية عليه ولا الاسف لفقده الرابع قوله رهم بقوله واما في الحرب والرجال سواء على ترهيب لا ينفعل
عن هذه الحروب وان اشتدت وان الفتنة والهلاك ان جرى فعلى العسكرين وفيه نوع تخويف وتهويل فاجابه
بقوله فلست بامضى الى قوله الاخرة ووجه كون الاول جوابا انه يقول انك في طلبك لما انت طالب له على شك من استحقاقه
وانا على يقين في ذلك وكل من كان في شك من امره فليس بامضى في حربه وثباته عليه ممن هو على يقين في امره ينتج انك لست
امضى في امرك على الشك مني على اليقين في امري وبعضهم من ذلك انه يقول انا امضى في امري واولى بالغلبة لكوني على
بصيرة ويقين ومرجح تكذيب المساواة بينهما لكون المتيقن ارجح في فعله من الشاك ووجه كون الثاني جوابا انه يقول ان اهل
الشام يطلبون بقتالهم الدنيا واهل العراق يطلبون بقتالهم الاخرة وليس اهل الشام باحرص على مطلوبهم من الدنيا
من اهل العراق على مطلوبهم من الاخرة وبعضهم من ذلك انه يقول بل اهل العراق احرص على الاخرة من اهل الشام على الدنيا
لشرف الاخرة وليقينهم حصولها وانقطاع الدنيا وشك اهل الشام في حصولها كما قال تعالى فانهم يألمون كما تألمون وترجون من
الله ما لا يرجون ومرجح تكذيب المساواة في الحرب والرجال لشرف اهل الاخرة على اهل الدنيا ولكون الاحرص اولى بالغلبة والقهر
الخامس ترتبه بقوله ونحن بنو عبد مناف الى اخره على مساواته له في الشرف والفضيلة وهو في قوة صغرى قياس ضمير من الاول
وتقدير كبراه وكل قوم كانوا من بيت واحد فلا فضل لبعضهم على بعض ولا فخر فاجابه ع بالفرق بينهما بعد ان سلم له الاشتراك
بينهما في كونهما من بني عبد مناف وذكر الفرق من وجوه خمسة بدئ فيها بالامور الخارجية اولا من الكمالات وعقبها برذائل خصمه
متدرجا منها الى الاقرب فالاقرب فالاول شرفه من جهة الاباء المنتهين الى عبد مناف وذلك ان سلسلة ابائه ع ابو طالب
عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وسلسلة اباء معوية ابو سفيان بن حرب بن امية بن عبد مناف وظاهر ان كل واحد من
الثلاثة اشرف ممن هو في درجته من اباء معوية وقد ذكرنا طرفا من فضلهم على غيرهم الثاني شرفه من جهة هجرته مع الرسول ص وخسة
خصمه من جهة كونه طليقا وابن طليق وهذه فضيلة وان كانت خارجية الا انها تستلزم فضيلة نفسانية وهي حسن الاسلام والنية
الصادقة الحقة وكذلك ما ذكر من رذيلة خصمه مستلزمة عرضت له الا ان هذه الفضيلة والرذيلة اقرب من الاعتبارين الاولين لكونهما
حقيقيتين للاباء وهميتين للابناء دون هاتين الثالث كون شرفه من جهة صراحة النسب وخسة خصمه من جهة كونه دعيا وهذا
الاعتبار وان اقرب مما قبلهما لكونهما اعتبارين لازمين لهما دون الاولين الرابع شرفه من جهة كونه محقا فيما يقوله ويعتقده وخسة
خصمه من جهة كونه مبطلا وهذان الاعتباران اقرب لكونهما من الكمالات والرذائل الذاتية دون ما قبلهما الخامس شرفه من جهة
كونه مؤمنا والمؤمن الحق هو المستكمل للكمالات الدينية النفسانية وخسة خصمه من جهة كونه مدغلا اي خبيث الباطن مشتملا
على النفاق والرذائل الموبقة وظاهر ان هذين الاعتبارين اقرب الكمالات والرذائل الى العبد وانما بدا بذكر الكمالات والرذائل
الخارجية لكونهما اتم شهرة عند الخصم واظهر للخلق من الامور الداخلية ثم لما ذكر الرذائل المتعلقة بخصمه اشار الى كونه في افعاله
ورذائله خلفا لسلف هوى في نار جهنم ثم رتب ذمه على ذلك وقوله ولبئس الخلف الى قوله جهنم في قوة كبرى قياس استغنى
بفهومها عن صغراه وتقديرها فانت خلف تتبع سلفا وكل خلف تتبع في افعاله ورذائله سلفا هوى في نار جهنم وكل
من كان كذلك فبئس الخلف السادس ان معوية لما ادعى ما يلزمه من المساواة في الفضل في قوله وليس لبعض على بعض فضل واستثنى

من ذلك

في كتابه الى عبد الله العباس

من ذلك فقال الا فضلنا لكم ابتداء الى عز بن ولا تنزل في بحر اشارة الى كبرى لم هي كالجواب لذلك وهو قوله وفي ايدينا بعد فضل
النبوة الى قوله الذليل وظاهر ان هذا الفضل الذي حصل في هذا البطن من هاشم هو سبب اذلال الاعزاء وانعاشهم وتقويتهم الاذلاء
واسترقاقهم الاحرار وذلك فضل عريق غير بنو امية وغيرهم فاذن قوله وليس لبعضنا على بعض فضل الا فضل لا يستدل به الى الجزء
قول باطل ثم اردف هذه الفضيلة بذكر رذيلة لخصمه بالنسبة الى فضيلة شملت كثيرا من العرب وتلك هي دخولهم في الاسلام لا لله بل
اما لرغبة او رهبة على حين فاز اهل السبق بسبقهم الى الله وحصل المهاجرون والانصار ما حصلوا عليه من الفضائل المسعدة ثم
لما ظهر هذه الفرقة من نقصانه وذلك خصمه نهاه عن امرين احدهما ان لا يجعل للشيطان في نفسه نصيبا وهو كناية عن النهي عن اتباعه
للهوى والثاني ان لا يجعل له عليه سبيلا وهو كناية عن النهي عن تمكينه من فتح باب الوسوسة عليه وفي النهي تنبيه على انه قد
جعل للشيطان في نفسه نصيبا وله عليه سبيلا وان ذلك النهي في معرض التوبيخ له على ذلك وبالله التوفيق **ومن كتاب له ع**
الى عبد الله بن العباس وهو عامله على البصرة واعلم ان البصرة مهبط ابليس ومغرس الفتن فحادث اهلها بالاحسان اليهم
واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم وقد بلغني تنمرك لبني تميم وغلظتك عليهم وان بني تميم لم يغب لهم نجم الا طلع لهم
آخر وانهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا اسلام وان لهم بنا رحما ماسة وقرابة خاصة نحن مأجورون على صلتها و
مأزورون على قطيعتها فاربع ابا العباس رحمك الله فيما جرى على يدك ولسانك من خير وشر فانا شريكان في ذلك وكن
عند صالح ظني بك ولا يفيلن رأيي فيك والسلام **أقول** روي ان ابن العباس كان قد اضر ببني تميم حين ولي البصرة
من قبل علي ع للذي عرفهم به من العداوة يوم الجمل لانهم كانوا من شيعة طلحة والزبير وعائشة فحمل عليهم ابن عباس فاقصاهم وتنكر عليهم و
عيرهم بالجمل حتى كان يسميهم شيعة الجمل والانصار عسكر وهو اسم جمل عائشة وحزب الشيطان فاشتد ذلك على نفر من شيعة علي من
بني تميم منهم جارية بن قدامة وغيره فكتب بذلك جارية الى علي ع يشكو اليه ابن عباس فكتب الى ابن عباس اما بعد فان خير الناس عند
الله غدا اعملهم بطاعته فيما عليه وله واقولهم بالحق وان كان مرا الا وانه بالحق قامت السموات والارض فيما بين العباد فلتكن سريرتك
فعلا وليكن حكمك واحدا وطريقتك مستقيمة واعلم ان البصرة مهبط ابليس الفصل والتنمر تنكر الاخلاق وتغيرها والوغم الحقد
والماسة القريبة ومأزورون اي يلحق بنا الوزر وهو الاثم واربع اي توقف وتثبت وتفيل الراي يفيل اي ضعف واخطأ واعلم انه ع
كنى بكون البصرة مهبط ابليس عن كونها منشأ الآراء الباطلة والاهواء الفاسدة الصادرة عن ابليس المستلزمة لاثارة الفتن وكأنها
لان مهبط ابليس مستقره ومحل نزوله واراد مهبطه من الجنة واستعار لفظ المغرس للبصرة باعتبار كونها محلا تنشأ فيه الفتن الكثيرة
كما ان مغرس الشجر من الارض محل النشوء والنماء قال بعضهم وفي قوله مهبط ابليس نوع لطف فان الوهم الذي هو ابليس النفس لما قلنا
اذا انفرد بحكمه عن تدبير العقل وخرج عن موافقة العقل العملي فيما يراه ويحكم به فقد هبط من عالم الكمال وموافقة العقل وتلقي
اوامره العالية التي هي ابواب الجنة الى الجهة السافلة ومشاركة الشهوة والغضب في حكمه باصلحية الآراء الفاسدة ولما احاط القضاء
الالهي بما يجري من اهل البصرة من نكث بيعته واثارة الفتنة وكانوا ممن عزلوا عقولهم عن الآراء المصلحية راسا واهبط ابليس وجنوده ما رضيهم فادخلهم
الآراء الباطلة في صور الحق فلحقوا بهم فكان منهم ما كان ونزل بهم ما نزل من سوء القضاء ودرك الشقاء فكانت بلدتهم لذلك مهبط
ابليس ومغرس الفتن الناشئة عن وسوسته وآرائه الفاسدة ثم امره ان يحادثهم بالاحسان اليهم اي يتعهدهم بذلك وان يحل عقد الخوف عن قلوبهم
واستعار لفظ العقدة لما لزمهم من الخوف المستفاد من الغلظة عليهم وكثرة الاذى لهم ووجه المشابهة كون ذلك الخوف ملازما لهم معقودا بقلوبهم
كالعقدة في الحبل ونحوه ورشح بلفظ الحل وكنى به عن ازالة الخوف عنهم وغرضه من هذه الاوامر انه لا ينفر قلوبهم منه فيثوروا ضغائنهم فيعاودوا
الخروج عن طاعته واثارة الفتنة ثم اعلمه بما يريد انكاره عليه مما بلغه من تنمره لهم واردف ذلك بذكر احوال لهم تجب مراقبتهم وحفظ قلوبهم
لاجلها احدها انهم لم يغب منهم سيد الا قام لهم آخر مقامه واستعار لفظ النجم ووجه المشابهة كون سيد الجماعة وكبيرهم قدوة يهتدى
به ويقتدون بآرائه في الطرق المصلحية ورشح بذكر المغيب والطلوع الثاني انهم لم يسبقوا وجهين احدهما انه لم يسبقهم احد الى الثار بذحل ويحتمل
والاخذ بحقد حيث كانوا في جاهلية او اسلام لشرف نفوسهم وقلة احتمالهم للاذى وذلك ان المهين الحقير في نفسه لا يكاد يغضب ويحقد
مما يفعل من الاذى وان غضب في الحال الا انه لا يدوم ذلك الغضب ولا يصير حقدا الثاني يحتمل ان يريد انهم لم يسبقوا باسقاط حقد من عدو
وذلك لقوتهم وبحدتهم الثالث انهم بينهم وبين هاشم قرابة قريبة الى جد قبل ذلك لقرابة لاجتماعهم عند الياس بن مضر لان هاشم بن عبد
مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وتميم بن
مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وزاد ترغيبا في مواصلتهم وصلتهم بكون صلتهم مستلزمة للاجر في الآخرة وتركها مستلزم للوزر وقال
مأزورون والاصل موزورون فقلب ليحاذي قوله مأجورون وفي الحديث ارجعن مأزورات غير مأجورات ثم اردف ذلك الاوامر
التي يقتضي الرفق بهم بالامر بالتوقف والتثبت فيما يجري على يده ولسانه من فعل وقول هو خير وشر لان التثبت في الامور اولى باصابة وجه

ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عماله

من المفضل زوارا وادما باشر ملابسه بحطوط عيشه من عفو ثم غطيته او نو لثبة وقولها فاشر كاد في ذلك كالتعليل لحسن امره له بالتثبت في ذلك لاشتمالها

على امر مله فكل حسنة او سيئة يعيدها في كلام ينفذه عليه السلام شركه في الصدقة انهم لنسب البعيد نسبتها القريب وابو العباس كنية

عبد الله بن العباس والعرب تدعوهم تكرمة والكنى قال الكبندجين تعاريه لاكرمه لما كان عليه السلام قد استصلحه للولاية وروى امر الماليها

امره ان يلازم ظنه الصالح فيه ولا يكشف عن ضعف ذلك الرأى وعدم مطابقته فيه بسوء صنيعه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام**

الى بعض عماله اما بعد فان دهاقين اهل بلدك شكوا منك قسوة وغلظة واحتقارا وجفوة فنظرت فلم ارهم اهلا لان يدنوا

لشركهم ولا ان يقصوا ويجفوا لعهدهم فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول لهم بين القسوة والرافة و

امزج لهم بين التقريب والادناء والابعاد والاقصاء ان شاء الله **اقول** الدهقان معرب يحتمل الصرف ان كان نونه اصلية والا

فلا ينصرف للوصف والالف والنون الزايدتين والقسوة غلظ القلب وشدته واقصا ابعده والجفا ضد البر والجلباب الملحفة والمداولة

فعليك كل واحد من القسوة والرافة على الاخر والاخذ بكل منهما مرة بعد الاخرى وهو كالمداراة والمنقول ان هؤلاء الدهاقين كانوا مجوسا

فلما شكوا اليه غلظة عامله فكر في امورهم فلم يرهم اهلا للادنى الخالص لكونهم مشركين ولا اقصائهم لكونهم معاهدين فان ادناهم وكرامهم

خالصا هضم ونقيصة في الدين واقصائهم بالكلية ينافي معاهدتهم بالعدل فيهم ومعاملتهم باللين المشوب بعض الشدة كل في موضعه

وكان استعمال القسوة مرة والرافة اخرى والمزج بين التقريب والابعاد اما في طرف اللين والرافة والتقريب من استقرار قلوبهم في اعمالهم و

زراعاتهم التي بها صلاح المعاش وفي مزجها بالشدة والقسوة والابعاد من كسر عاداتهم ودفع شرورهم ولما انهم لطاعتهم في الدين

واستلزم ذلك نهيه عن استعمال الشدة والقسوة والابعاد في حقهم دائما او اللين والرافة والادنا خالصا واستعار لفظ الجلباب لما امره

بالاتصاف به وهو الهيئة المتوسطة من اللين المشوب باليسير بين اللين الخالص والشدة الصرفة ورشح بذكر اللين وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام الى زياد بن ابيه وهو خليفة عبد الله بن العباس وكرمان وانى اقسم بالله قسما صادقا لئن بلغنى انك

خنت من فيء المسلمين شيئا صغيرا او كبيرا لاشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الامر والسلام **اقول**

زياد هذا هو زياد بن سمية ام ابى بكرة دعى ابى سفيان قد يعدد في اولاده من غير صريح بنوة وروى ان اول من دعاه ابن ابيه عائشة حين

سئلت لمن يدعى وكان كاتب المغيرة بن شعبة ثم كتب لابى موسى ثم كتب لابن عامر ثم كتب لابن عباس وكان مع على عليه السلام فولاه فارس فكتب

اليه معوية يتهدده فكتب له اليه اتتوعدني وبيني وبينك ابن ابى طالب اما والله لئن وصلت الى لتجدني احمر ضرابا بالسيف ثم ادعاه معوية

اخا له وولاه بعد على عليه السلام البصرة واعمالها وجمع له بعد المغيرة بن شعبة العراقين وكان اول من جمعا له والشدة الحملة والوفر المال والضئيل

الحقير وحاصل الفصل تحذير زياد من خيانة شيء مما يليه من مال المسلمين ووعيده ان وقعت منه بالعقوبة عليها وكنى عنها بالشدة ووصف

شدة تلك الشدة باستلزامها امورا ثلثة منها سلب الكمالات الدنيوية والاخروية احدها نقصان ماله وقلته والثاني نقصان جاهه وكنى

عنه بقوله ضئيل الامر وهما سالبان لكمال الدنيوي والثالث ثقل ظهره بالاوزار والتبعات وهو دال على سلب كمال الاخروي فان قلت كيف

يريد ثقل الظهر بالاوزار وليس ذلك بسبب شدته عليه وانما الاوزار من اكتساب نفسه قلت ان مجموع هذه الامور الثلثة وهي سلب ماله و

جاهه مع ثقل ظهره بالاوزار حال الشديد عليها وهي حالة مخوفة مكروهة خوفه بها ولا شك ان تلك الحالة من فعله وان لم يكن بعض اجزائها

من فعله او نقول الثلثة احوال متعددة والحال لا يلزم ان يكون من فعل ذي الحال ويحتمل ان يكون ثقل الظهر كناية عن الضعف وعدم

النهوض بما يحتاج اليه ويهماته بدعك ضعيف الحركة في الامور والله اعلم **ومن كتاب له عليه السلام اليه ايضا فدع الاسراف مقتصدا**

واذكر في اليوم غدا وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل ليوم حاجتك اترجو ان يعطيك الله اجر المتواضعين

وانت عنده من المتكبرين وتطمع وانت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والارملة ان يوجب لك ثواب المتصدقين وانما

المرء مجزي بما اسلف وقادم على ما قدم والسلام **اقول** التمرغ التمعك والتقلب فقد امره في هذا الفصل باوامر احدها ترك

الاسراف وهو رذيلة الافراط من فضيلة الاقتصاد المتوسط بينه وبين الاجحاف بالنفس والاضرار بها وهو طرف التفريط من هذه الفضيلة

والامر بترك الاسراف مستلزم للامر بهذه الفضيلة لان الامر لا ينبغى على حاله امر بتلك الحالة الثاني ان يذكر في اليوم غدا اى يذكر في حاضر

اوقاته مستقبلها من يوم القيمة فان في ذلك زجرا للنفس وانكسارا عن الاسراف في الدنيا والاشتغال بها الثالث ان يمسك من المال

بقدر ضرورته وهو تفسير للاقتصاد في تناول الدنيا وحفظها الرابع ان يقدم الفضل منها ليوم حاجته وهو يوم القيمة وما بعد الموت وفيه

استدراج للانفاق في سبيل الله فان كل عاقل يعلم ان اسلاف ما لا يحتاج اليه من فضول المال في سبيل الله لتقدمه لما يحتاج اليه

في وقت حاجته من اكبر المصالح المهمة ثم استفهم على سبيل الانكار عن رجائه ان يؤتيه الله ثواب المتواضعين حال ما هو مكتوب في علمه من المتكبرين

تنبيها له على ان ثواب كل فضيلة انما ينال باكتسابها والتخلق بها لا مع الكون على ضدها فمن لم يحصل الخلق بفضيلة التواضع لم ينل

ثوابها ولن يحصل التخلق بها الا بعد الانحطاط عن درجات التكبر فهو ازن من التواضع وكذلك استفهم عن طمعه في ثواب المتصدقين

حال اقرانه

حال افتنا انه لما قال وشعر به منه الضعيف حال الارملا استفهام منكر لذلك الطمع على تلك الحال فان ثواب كل حسنة بعد بعدها ومن لوازمها فان كل حسنة يصيبها ومن لوازمها ويتبعه على ذلك بقوله وانما المرء مجزى بما اسلف الى آخره وفيه قوله قادم على ما قدم من محاسن الكلام وفيه لا سقا

ومن كتاب له عليه السلام

الى عبد الله بن العباس وكان عبد الله يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلام اما بعد فان المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وليكن اسفك على ما فاتك منها وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا وليكن همك فيما بعد الموت **اقول** الدرك اللحوق ولا تأس لا تحزن وحاصل الفصل النهي عن شدة الفرح بما يحصل من المطالب الدنيوية وشدة الاسف على ما يفوت منها وتنبيه على ما ينبغي للانسان ان يسر بحصوله ويأسف لفقده مما لا ينبغي له فاشار الى الاول بقوله فان المرء الى قوله ليدركه وهو خبر في معنى النهي ولفظ ما في الموضعين مهمل يراد به المطالب الدنيوية وينبه بقوله ما لم يكن ليفوته على ان ما يحصل من مطالب الدنيا امر واجب في القضاء الالهي وصوله الى من يحصل له فهو كالحاصل فلا ينبغي ان يشتد فرحه عند حصوله وبقوله ما لم يكن ليدركه على ان ما يفوت منها فهو امر واجب فوته فلا اسف عليه مما لا يجدي نفعا بل هو مزعج عاجل ثم خصصه بالخطاب على سبيل الوصية والموعظة وفصل له ما ينبغي ان يسر ويأسف عليه مما لا ينبغي له فاما ما ينبغي ان يسر به فهو ما ناله من آخرته وما ينبغي ان يأسف عليه فهو ما فاته منها واما ما ينبغي ان لا يفرح به مما ناله من دنياه لما عرفت من وجوب فنائها وكون الفرح منها مستلزما للبعد عن الآخرة وما ينبغي ان لا يأسف عليه مما لم ينله منها لكون البعد مستلزما للقرب من الآخرة فان قلت كيف قال بما نلت من آخرتك ومعلوم انه لا ينال شيء من الآخرة الا بعد الموت قلت يحتمل وجهين احدهما لا نسلم ان من مطالب الآخرة لا يحصل الا بالموت بعد الموت فان الكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق الفاضلة والفرح بها من الكمالات الاخروية وان كان الانسان في الدنيا الثاني يحتمل ان يريد فليكن سرورك بما نلت من اسباب آخرتك فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وكذلك بين له ما ينبغي ان يكون همه متوجها نحوه ومشغلا به وهو ما بعد الموت من احوال الآخرة من سعادة واتمام لسبوغ تحصيلها او شقاوة لازمة يعمل للخلاص منها وبالله التوفيق

ومن كلام له

قاله قبيل موته لما ضربه ابن ملجم لعنه الله وصيته وصيتي لكم ان لا تشركوا بالله شيئا ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين وخلاكم ذم انا بالامس صاحبكم واليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان ابق فانا ولي دمي وان افن فالفناء ميعادي وان اعف فالعفو لي قربة وهو لكم حسنة فاعفوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله ما فجأني من الموت وارد كرهته ولا طالع انكرته وما كنت الا كقارب ورد وطالب وجد وما عند الله خير للابرار قال السيد وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب الا ان فيه ها هنا زيادة اوجبت تكريره **اقول** هذا الفصل قاله في بعض ايام مرضه قبل موته وسيأتي شرح حال مقتله ووصيته في فصل اطول من هذا واليق بذكر الحال عنده انشاء الله تعالى وفجأه الامر اتاه بغتة والقارب طالب الماء وقيل هو الذي يكون بينه وبين الماء ليلة والامر الامن وحوزها اعقبها وقد وصى بامرين هما عمود الاسلام وبهما يقوم احدهما ان لا يشركوا بالله شيئا وهو التوحيد الخالص والشهادة به اول مطلوب بلسان الشريعة كما سبق بيانه والثاني الاهتمام بامر النبي صلى الله عليه وآله والمحافظة على سنته وقد علمت ان من سنته وجوب اتباع كل ما جاء به والمحافظة عليه فاذن المحافظة على كتاب الله من الواجبات المأمور بها بالالتزام وظاهر ان قامة هذين الامرين مستلزم للخلو عن الذم ولفظ العمود مستعار لهما ملاحظة لشبههما بعمودي البيت في كونهما سببين لقيام الاسلام وعليهما مداره كالبيت على عمده وخلاكم ذم كالمثل يقال افعل كذا وخلاك ذم اي خلا عنك ذم وقد سقط عنك اللوم ثم نعى نفسه اليهم واشار الى وجه العبرة بحاله من ذكر تبدلها وتغيرها في الازمان الثلاثة ففي الماضي كان صاحبهم الذي يرجونه للقوة والشجاعة وقهر الاعداء وعليه مدار امور الدنيا والدين وفي الحاضر صار عبرة اي محل عبرة فحذف المضاف او معتبرا فاطلق اسم المتعلق مجازا وفي المستقبل مفارقهم ثم اردف ذلك ببيان امره مع قاتله على تقدير بقائه وفنائه وتشبيه ان يكون في الكلام تقديم وتأخير والتقدير فانا ولي دمي ورتبه والى بدمي فان شئت اقتص وان شئت عفوت فان اعف فالعفو قربة وان افن فالفناء ميعادي فان شئتم فاقتلوا قاتلي وان شئتم ان تعفوا فالعفو لكم حسنة فاعفوا لكنه ذكر شيء بقتله وفنائه ثم عقبهما بذكر حكمها مفترقين واقتصر لانه في معرض الندب الى العفو ترغيبا فيه ثم اقسم انه ما اتاه من بغتة الموت وارد كرهه ولا طالع انكره وصدقه في ذلك ظاهر فانه كان سيد الاولياء بعد سيد الانبياء ومن خواص اولياء الله شدة محبة الله والشوق البالغ الى ما اعد لاوليائه في جنات عدن ومن كان كذلك كيف يكره وارد الموت الذي هو باب وصوله الى محابه واشرف مطالبه التي قطع وقته في السعي لها وهي المطالب الحقة الباقية وكيف ينكره وهو دائم الترصد والاشتغال والذكر له ثم شبه نفسه في هجوم الموت عليه ووصوله بسببه الى ما اعد له من الخيرات الباقية بالقارب الذي ورد الماء ووجه التشبيه استقراره بتلك الخيرات ووقوفه تماما استتمها له بسببها آفات الدنيا وشدائد الموت كما يستسهل القارب عند وروده الماء ما كان يجده من شدة العطش وتعب الطريق

في وصيّة له بما يعمل في أمواله

وفيها إيماء إلى تشبيه ما لك المفاوز بالماء وكذلك تشبيه نفسه بالطالب الواجد لما يطلب ووجه التشبيه كونه فرحا بما ظفر به من مطالب الآخرة كما يطيب نفس الطالب للشيء بإدراك وجدانه وظاهرات الطيب للنفس وبهجتها بما تصيبه من مطالبها بما يتفاوت المطالب في العزة والنفاسة ولما كانت المطالب الأخروية أهم المطالب وأعظمها قدرا وأعزها وجودا وجب أن يكون تبهج نفسه بها وفرحه بما أصاب منها أتم كل بهجة بمطلوب ثم اقتبس الآية في سياق الاستشعار بوجدان مطلوبه تنبيها على أن مطلوبه من الدنيا لم يكن إلا ما عند الله لكونه خيرا للأولياء الأبرار من كل مطلوب بطلب وبالله التوفيق **ومن وصيّة له عليه السلام** بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفّين هذا ما أمر به عبد الله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين في ماله ابتغاء وجه الله ليولجه الجنّة ويعطيه الأمنة منها وإنّه يقوم بذلك الحسن بن عليّ يأكل منه بالمعروف وينفق منه في المعروف فإن حدث بحسن حدث وحسين حيّ قام بالأمر بعده وأصدره مصدره وإنّ لابني فاطمة من صدقة عليّ مثل الّذي لبني عليّ وإنّما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله وقربة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وتكريما لحرمته وتشريفا لوصلته ويشترط على الّذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله وينفق من ثمره حيث أمر به وهدي له وأن لا يبيع من نخيل هذه القرى وديّة حتّى تشكل أرضها غراسا ومن كان من إمائي اللاتي أطوف عليهنّ لها ولد أو هي حامل فتمسك لها ولدها وهي من حظّه فإن مات ولدها وهي حيّة فهي عتيقة قد أفرج عنها الرقّ وحرّرها العتق قال السيّد ره قوله وأن لا يبيع من نخلها وديّة فإنّ الوديّة الفسيلة وجمعها وديّ وقوله حتّى تشكل أرضها غراسا فهو من أفصح الكلام والمراد به أنّ الأرض يكثر فيها غراس النخل حتّى يراها الناظر على غير الصفة التي عرفها بها فيشكل عليه أمرها ويظنّها غيرها **أقول** روينا هذه الوصيّة بروايات مختلفة بالزيادة والنقصان وقد حذف السيّد منها فصولا ولنوردها برواية يغلب على الظنّ صدقها عن عبد الرحمن بن الحجّاج قال بعث إليّ بهذه الوصيّة أبو إبراهيم هذا ما أوصى به وقضى في ماله عبد الله عليّ ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنّة ويصرفني به عن النار يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه أنّ ما كان لي من مال بينبع من مال يعرف لي فيها وما حولها صدقة ورقيقها غير أبي رباح وأبي نيزر وجبير عتقاء ليس لأحد عليهم سبيل فهم موالي يعملون في المال خمس حجج وفيه نفقتهم ورزقهم ورزق أهاليهم ومع ذلك ما كان لي بوادي القرى كلّه مال بني فاطمة ورقيقها صدقة وما كان لي بديمة وأهلها صدقة غير أنّ رقيقها لهم مثل ما كتبت لأصحابهم وما كان لي بأذينة وأهلها صدقة والفقير كما قد علمتم صدقة في سبيل الله وأنّ الذي كتبت من أموالي هذه صدقة واجبة بتلة حيّا أنا أو ميّتا ينفق في كلّ نفقة ابتغي بها وجه الله في سبيل الله ووجهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطّلب والقريب والبعيد وأنّه يقوم بذلك الحسن بن عليّ يأكل منه بالمعروف وينفقه حيث يريد الله في كلّ حلال لا حرج عليه فيه وإن أراد أن يبيع نصيبا من المال فيقضي به الدين فليفعل إن شاء لا حرج عليه فيه وإن شاء جعله سرى الملك وإنّ ولد عليّ ومواليهم وأموالهم إلى الحسن بن عليّ وإن كانت دار الحسن غير دار الصدقة فبدا له أن يبيعها فليبعها إن شاء لا حرج عليه فيه فإن باع فإنّه يقسمها ثلاثة أثلاث فيجعل ثلثا في سبيل الله ويجعل ثلثا في بني هاشم وبني المطّلب ويجعل الثلث في آل أبي طالب وأنّه يضعهم حيث يريد الله ثمّ يتّصل بقوله وإن حدث بحسن حدث وحسين حيّ فإنّه إلى حسين بن عليّ وإنّ حسينا يفعل فيه مثل الذي أمرت به حسنا له مثل الذي كتبت للحسن وعليه مثل الذي على الحسن ثمّ يتّصل بقوله وإنّ الذي لبني فاطمة إلى قوله وتشريفا لوصلته ثمّ يقول وإن حدث بحسن وحسين حدث فإنّ الآخر منهما أن ينظر في بني عليّ فإن وجد فيهم من يرضى بهديه وإسلامه وأمانته فإنّه يجعله إليه إن شاء وإن لم ير فيهم بعض الذي يريد فإنّه يجعله في بني أبي فاطمة ويجعله إلى من يرضى بهديه وإسلامه وأمانته فإنّه منهم وأنّه شرط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله وينفق من ثمره حيث أمره الله من سبيل الله ووجوهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطّلب والقريب البعيد وأنّه لا يبيع من أولاد نخل هذه القرى الحاجرة ثمّ يقول ليس لأحد عليها سبيل هذا ما قضى عليّ في أمواله هذه يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله والدار الآخرة لا يباع منه شيء ولا يوهب ولا يورث والله المستعان على كلّ حال ولا يحلّ لامرئ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يغيّر شيئا ممّا أوصيت به في مالي ولا يخالف فيه أمري من قريب ولا بعيد وشهد هذا أبو سمر بن أبرهة وصعصعة بن صوحان وسعيد بن قيس وهيّاج بن أبي الهيّاج وكتب عليّ بن أبي طالب بيده لعشر خلون من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين ثمّ يتّصل بقوله ومن كان من إمائي إلى آخرها وأكثر هذه الوصيّة واضح عن الشرح غير أنّ فيها نكتا الأولى جواز الوصيّة والوقف على هذا الوجه وتعليم الناس كيفيّة ذلك الثانية قوله يأكل منه بالمعروف أي على وجه الاقتصاد الذي يحلّ له من غير إسراف وتبذير ولا بخل وتقتير وينفق منه في المعروف أي في وجوه البرّ المتعارفة غير المنكرة في الدين الثالثة قوله فإن حدث بحسن حدث كناية عن الموت والأمر يحتمل أن يريد به أمره بما أمره به وقيامه بتنفيذه ولعزاوه في موارده ويحتمل أن يريد به جنس الأمور التي أمر بالتصرّف فيها وبها الرابعة الضمير في قوله بعده للحسن وفي أصدره للأمر الذي يقوم به فأمّا الضمير الذي في مصدره فيحتمل وجهين أحدهما عوده إلى الحسن وتقديره وأصدر الحسين الأمر كإصدار الحسن له وقضى في المال كقضائه والمصدر بمعنى الإصدار كقوله والله أنبتكم من الأرض

نباتا في

ومن وصية وصى بها في باب الصدقات

بناتا اى بناتا ويحتمل ان يكون المصدر محل الاصدار اى واصدره في محل اصداره آلتنا ويحتمل ان يعود الى الامر الذى وصى به ويكون المعنى وضع كلتى موضعه الخاصة فقوله ان يترك المال على اصوله كناية عن عدم اخراجه ببيع او هبة او بوجه من وجوه التمليكات قوله وان لا يبيع من اولاد نخل هذه القرى ودية حتى يشكل ارضها غراسا والحكمة في ذلك وجهان احدهما ان الارض قبل ان تشكل غراسا بما يموت فيها ما يحتاج الى الاخلاف فينبغي ان لا يباع من فسيلها شيء حتى يكمل غراسا ويثبت بحيث لا يحتاج الى شيء الثاني ان النخل قبل ان يشكل ارضها تكون بعد غير مستحكمة الجذع ولا مشتدة فلو قلع فسيلها من تحتها اضعفت حملها ولا تكاد تنجب فاما اذا قويت واشتدت لم يكن عليها بقلع فسيلها كبير مضرة وذلك حين يشكل ارضها ويكامل غراسها ويلتبس على الناظر حسب ما فسره السيد ره الثانية كنى بالطواف على اماتوهن نكاحهن وكن يومئذ سبع عشرة امة من امهات الاولاد احياء معهن اولادهن فمنهن حبالى ومنهن من لا ولد لها فقضى فيهن ان حدث به حادث الموت ان من كانت منهن ليس لها ولد ولا حبلى فهي عتيق لوجه الله لا سبيل لاحد عليها ومن كانت منهن لها ولد او هي حبلى فتمسك على ولدها وهي من حظه اى تلزمه وتحسب ثمنها من حصته وتعتق عليه فان مات ولدها وهي حية فهي عتيق لا سبيل لاحد عليها وقضاؤه ع بكون ام الولد الحي محسوبة من حظ ولدها وتعتق من ثمن امها مع بعد موته بنا على مذهبه في بقاء ام الولد على الرق بعد موت سيدها المستولد وبجواز بيعها وهو مذهب الامامية وقول قديم للشافعي وفي الجديد انها تعتق بموت سيدها المستولد ولا يجوز بيعها وعليه اتفاق فقهاء الجمهور حتى لو بيعت وقضى قاض بجواز بيعها فالمختار من مذهب الشافعي انه ينقض قضاؤه وبالله التوفيق

ومن وصية له ع كَانَ يَكْتُبُهَا لِمَنْ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا مِنْهَا جُمَلاً لِيُعْلَمَ بِهَا أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُقِيمُ عِمَادَ الْحَقِّ وَيَشْرَعُ أَمْثِلَةَ الْعَدْلِ فِي صَغِيرِ الْأُمُورِ وَكَبِيرِهَا وَدَقِيقِهَا وَجَلِيلِهَا انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَالِهِ فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ وَلَا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ ثُمَّ تَقُولُ عِبَادَ اللَّهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ لَا فَلَا تُرَاجِعْهُ وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلَا عَنِيفٍ بِهِ وَلَا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلَا تُفْزِعَنَّهَا وَلَا تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا وَاصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعَرَّضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعَرَّضَنَّ لِمَا اخْتَارَ فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ ثُمَّ اخْلِطْهُمَا ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلاً حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْداً وَلَا هَرِمَةً وَلَا مَكْسُورَةً وَلَا مَهْلُوسَةً وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ وَلَا تُوَكِّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحاً شَفِيقاً وَأَمِيناً حَفِيظاً غَيْرَ مُعَنِّفٍ وَلَا مُجْحِفٍ وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُتْعِبٍ ثُمَّ احْدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا وَلَا يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بِوَلَدِهَا وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا وَلْيُرَفِّهْ عَلَى اللَّاغِبِ وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ وَالظَّالِعِ وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ وَالْأَعْشَابِ حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بُدَّناً مُنْقِيَاتٍ غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ **اقول** روعه افزعه ولا تخدج التحية اى لا تنقصها وروى تخدج بالتحية من اخدجت الناقة اذا القت ولدها وانعم له اى قال نعم والعسف الاخذ بشدة وعلى غير وجه والارهاق تكليف العسر والماشية الغنم والبقر والعنيف الذى لا رفق له وصدعت المال صدعين قسمته قسمين والعود المسن من الابل وهو الذى جاوز في السن البازل والهرمة العالية السن والمكسورة التى انكسرت احدى قوائمها والمهلوسة التى بها الهلاس وهو السل والعوار بالفتح العيب وقد يضم والمجحف الذى يسوق المال سوقا عنيفا يذهب بلحمه والملغب المتعب واللغوب الاعياء وحدر اليه بكذا اى امره وحال بين الشيئين حجز والمصر حلب كل ما في الضرع من اللبن والتمصر حلب بقايا اللبن فيه والترفيه الاراحة والاستيناء الرفق والنقب البعير الذى نقب خفه اى رق والغدر جمع غدير الماء والنطاف المياه القليلة والاعشاب جمع عشب وهو النبات والبدن السمان الواحد بادن والمنقيات التى صارت من سمنها ذات نقى وهو مخ العظام وشحم العين والمقصود كل عظم ذى مخ وهذه الوصية مشتملة على تعليم عامل جباية الصدقات قوانين العدل في اخذها من اهلها وصدرها وامره له على الشفقة عليهم والرفق بهم واعلم ان الرفق بالرعية وان كان من اهم المطالب للشارع ع لاستلزامه تالف قلوبهم واجتماعها عليه وعلى ما جاء به من الحق الا انه ههنا اهم والحاجة اليه اشد وذلك ان الغرض هنا اخذ بعض ما هو اعز المطالب عند الناس من ايديهم وهو

ومن عهد له الى بعض عماله في امر الصدقات

المال ومشاركتهم فيه فخلطتهم بهم مما اقرب الى النفار مما يدعون اليه من تسليم التكاليف وهم الى المداراة والرفق اشد حاجة فلذلك اكدها
وصيته العامل بالرفق بهم والمساهلة معهم حفظا لقلوبهم وفي هذه الوصية مواضع الاول امره بالانطلاق معتمدا على تقوى الله عز وجل وحده لا شريك له
في تقواه غيره ولا موجه نيته فيما انطلاقه الى سواه لان حركته هذه حركة دينية من جملة العبادات فيجب توجيهها اليه بالاخلاص الثاني
لا يفزع مسلما كما هو عادة الولاة الظالمين وان لا تجتاز عليه كارها اي لا تجتاز شيئا من ابله او ماشيته وهو كاره لاجتياز ذلك
ولا يجتازن بالجيم اي لا يمرن على ارض انسان ومواشيه وهو كاره لم يؤذن له عليها ولا بها وانتصب كارها على الحال من الضمير المجرور
الثالث امره اذا نزل بقبيلة ان ينزل بمائهم لان من عادة العرب ان تكون مياههم بارزة عن بيوتهم ولئلا تخالط بيوتهم لما
في ذلك من المشقة عليهم والتكلف له الرابع قوله ثم امض عليهم الى قوله ولا تسوءن صاحبها فيها تاديب له بما ينبغي ان يفعله
في حقهم مما يستلزم المصلحة تعليم الاسباب الشفقة عليهم من الافعال كالسكينة والوقار والقيام فيهم ومن الاقوال كالسلام
واداء الرسالة واحوال الاقوال كاتمام التحية والرفق في القول ومن التروك كان لا يخيف المسلم ولا يتوعده ولا يعسفه ولا يرهقه
عسرا ولا يدخل ابله وماشيته من غير اذنه ولا يدخلها دخول متسلط ولا جبار ولا عنيف وان لا ينفر بهيمة ولا يفزعها ولا يسوء
صاحبها فيها بضرب ونحوه لما في ذلك كله من اذى صاحبها وتنفير قلبه المضاد للمطلوب بالتشريع الخامس نبه على علة نهيه عن دخولها
بغير اذن صاحبها بان اكثرها له والكلام في قوة صغرى قياس ضمير من الشكل الاول يستلزم حسن هذا النهي وتقدير كبراه وكل
من كان اكثر المال له فهو اولى بالتصرف والحكم في المال فيلزم ان لا يصح تصرف غيره فيه ودخوله الا باذنه السادس قوله واصدع
المال الى قوله من ماله تعليم لكيفية استخراج الصدقة فلنثني في الابل والماشية وهو ان يفرق الابل والماشية عند اختلاطها
فرقتين ثم يخيره فان اختار قسما فلا يتعرض فيه وليس له ان يتبع نفسه فيه بل ينظر الاخر وكذلك يقسم الصدع ابدا في نصفين ولا يزال
يفعل كذلك حتى ينتهي باحد الصدعين الى مقدار الواجب من حق الله تعالى في ذلك المال او فوقه بقليل فيوخذ منه مقدار الواجب
او دونه بيسير فيتمم وتجعل لرب المال اختيار احد الصدعين وان قال اقلني استقاله ممن اخذ ذلك القسمة تسكينا للقلب وجبرا من نقص
ماله السابع نهاه ان ياخذ في مال الله ما كان باحد الصفات المذكورة كالعود والهرمة والمكسورة والمسلولة والمعيبة بكيا ذو عوار تحفظا
مراعاة لحق الله تعالى وجبر الحال مصارفه وهم الاصناف الثمانية الذين عدهم الله تعالى في كتابه الكريم من الفقراء والمساكين وغيرهم
قال قطب الدين الراوندي ره الظاهر من كلامه انه كان يامر باخراج كل واحد من هذه الاصناف المعينة من المال قبل ان يصدع بصدعين
الثامن امره ان لا يامن عليها ويوكل بحفظها وسوقها الا من تثق بدينه وامانته واثقا من نفسه بحفظه حتى يسلمه الى وليهم
يعني نفسه عليه السلام ويكون ناصحا اي لله ورسوله شفيقا اي على ما يقوم عليه وامينا حفيظا عليه غير ضعيف ولا مجحف ولا متعب لها وذلك
من الامور اللازمة في حفظ الواجب في حق الله تعالى التاسع امره ان يحمل اليه ما يجتمع معه ولا يؤخره لامرين احدهما الحاجة الى صرفه في
مصارفه الثاني الخوف من تلفه باحد اسباب التلف قبل الانتفاع به العاشر انه عاد الى الوصية بحال البهائم وهو ان يامر امينه
عند تسليم المال ان لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يحلب جميع لبنها لان الامرين يضران بالولد ولا يجهدنها ركوبا ويخصصها به
دون صواحباتها لان ذلك مما يضر بها وان يعدل بينها في ذلك مما يقل معه ضرر الركوب وهو ايضا من الشفقة الطبيعية وكذلك الترفيه
على اللاغب والتاني بالناقب والظالع وكذلك ان يوردها ما تمر به من الماء والكلاء وان يروحها في ساعات الرواح للغاية التي
ذكرها وهو ان ياتي بها الحال السمن وللراحة وانما قال لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه وان كان ذلك معلوما من حاله عليه السلام لانه
مبالغ في الوصية بحالها وبما يتوهم بعض الاوهام الفاسدة ان ذلك الغرض يختص به يخالف الكتاب والسنة ثم رغبه في ذلك بكونه
اعظم للاجر عند الله واقرب لهداه ورشده لطريق الله وهو ظاهر اما انه اعظم للاجر فلكونه اكثر مشقة واكثر الثواب تابع لاكثرية
المشقة واما انه اقرب لرشده فلسلوكه في ذلك على اثره عليه السلام واقتدائه بهداه الذي لم يكن فيه جائرا وبالله التوفيق **ومن عهد له عليه السلام**
الى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة آمره بتقوى الله تعالى في سرائر امره وخفيات عمله حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه
وآمره ان لا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف الى غيره فيما اسر ومن لم يختلف سره وعلانيته وفعله ومقالته فقد
ادى الامانة واخلص العبادة وآمره ان لا يجبههم ولا يعضههم ولا يرغب عنهم تفضلا بالامارة عليهم فانهم الاخوان
في الدين والاعوان على استخراج الحقوق وان لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا وحقا معلوما وشركاء اهل مسكنة
وضعفاء ذوي فاقة وانا موفوك حقك فوفهم حقوقهم والا فانك من اكثر الناس يوم القيامة خصوما وبؤسا لمن خصمه
عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل ومن استهان بالامانة ورتع في الخيانة ولم
ينزه نفسه ودينه عنها فقد احل بنفسه في الدنيا وهو في الآخرة اذل واخزى وان اعظم الخيانة خيانة الامة وافظع
الغش غش الائمة والسلام اقول يقال جبهته بالمكروه اذا استقبلته به وعضهته عضها رميته بالبهتان والكذب [illegible]

عهد له الى بعض عماله في باب الصدقات

الشدة والقطع الشدة وقد امره باوامر بعضها يتعلق باصلاح حق الله تعالى وبعضها يتعلق باحوال الرعية والشفقة عليهم لغاية نظام حالهم
وتدبير امورهم فالذي يتعلق بحق الله فمنها امران احدهما ان يتقيه فيما يسر من اموره ويخفى من اعماله وهي التقوى الحقة المنتفع بها وقوله حيث اشارة
الى موضع اسرار العمل واخفاء الامور والتي بقوله لا شهيد غيره ولا وكيل دونه في معرض الوعد له والتخويف باطلاعه تعالى على سرائر العباد وخفايا
اعمالهم وتوليه لها دون غيره وتنبيه بكونه هو الشهيد دون غيره على عظمة مع الرقيب اعني ان يحكم بما لوهم مكم من ان السرائر والامور الخفية
لا يطلع عليها غيره من هي لله الثاني ان يوافق في طاعته لله تعالى بين ما اظهره وما ابطنه ويخلص اعماله الظاهرة من الرياء والسمعة وذلك قوله
وامره ان لا يعمل الى قوله فيما اسر وما في قوله فيما بمعنى الذي ويحتمل ان تكون مصدرية وعنى بما اظهر اي للناس من طاعة الله وقوله ومن لم
يختلف الى قوله العبادة ترغيب له فيما امره به من عدم اختلاف السريرة والعلانية والفعل والقول بكون ذلك مستلزما للاخلاص في عبادته
ولاداء امانته التي كلفها عباده على السنة رسله وائمة دينه فيكون ذلك مستلزما لثواب الله والامن من سخطه واما ما يتعلق باحوال
الرعية والشفقة عليهم فمنه ما يتعلق بعمال ارباب الاموال التي تتعلق عليهم الصدقة ومنه ما يتعلق بارباب الصدقة المستحقين لها اما
الاول فان لا يلقاهم بمكروه ولا يرميهم ببهتان ولا يرغب بان لا ينقبض عنهم ويترفع عليهم تفضيلا لنفسه بالامارة والمنصب تفضيلا على
المفضول له وقوله فانهم الاخوان الى قوله الحقوق اشارة الى احتجاج بقياس ضمير من الشكل الاول يستلزم حسن الانتهاء عما امر بالانتهاء
عنه وهو يرميهم والمذكور في قوة صغرى وتقدير الكبرى وكل من كان اخا في الدين وعونا على استخراج الحقوق فيجب ان لا يفعل في حقه
شيء مما امرت بالانتهاء عنه واما انهم الاعوان على استخراج الحقوق فلان الحقوق المطلوبة منهم انما تحصل بواسطتهم وحصولها منهم
انما تتم بالشفقة عليهم وان لا يفعل معهم شيء مما نهى عنه فان كل تلك الامور مما ينفر طباعهم ويشتت نظام شملهم ومنه يكون قلة
مال الصدقة فرط المشقة عليهم ويحتمل ان يدخل في هؤلاء الجند ايضا واما ما يتعلق بالمستحقين للصدقة فان يوفيهم حقوقهم منها
واشار الى الحجة على وجوب ذلك عليه بقوله وان لك الى قوله وانا موفوك حقك وهو في قوة صغرى ضمير من الشكل الاول و
تقدير كبراه وكل من كان له نصيب مفروض وحق معلوم في شيء وله شركاء فيه بصفة الفقر والمسكنة وهو مستوف لحقه منه فواجب عليه
ان يوفي شركاءه حقوقهم اما الصغرى فظاهرة واما الكبرى فاشار الى بيانها بقياس آخر من الشكل الاول مركب من متصلتين فاشار
الى الصغرى بقوله والا الى قوله الى يوم القيامة ونبه على الكبرى بقوله وبؤسى الى قوله وابن السبيل وهي في قوتها اذ الاصناف المذكورون
من مستحقي الصدقة هم الخصوم وهم اكثر الناس وكان الاوسط محذوفا وضا تقدير القياس وان لا توفهم حقهم فانك من خصومه اكثر
الناس اي الفقراء والمساكين وسائر الاصناف يوم القيامة وكل من كان خصومه اكثر الناس وهم الاصناف المذكورة عند الله وهو يوم القيامة فبؤسا له
عند الله يوم القيامة وينتج متصلة مركبة من مقدم الصغرى وتالي الكبرى وهي ان لا توفهم حقوقهم فبؤسا لك وهو في معرض التهديد والتنفير عن
ظلمهم والاستبداد عليهم بشيء من الصدقة وشركا عطف على قوله حقا معلوما واهل المسكنة صفة له وبؤسا نصب على المصدر واما الاصناف
المستحقون للصدقات فهم الثمانية المعدودة في القرآن الكريم بقوله انما الصدقات للفقراء الى قوله وابن السبيل فاما الفقير فقال ابن عباس
وجماعة من المفسرين انه المتعفف الذي لا يسأل والمسكين هو الذي يسأل وعن الاصمعي ان الفقير هو الذي له ما يأكل والمسكين هو
الذي لا شيء له واما العاملون عليها فهم السعاة في جباية الصدقات ويعطيهم الامام منها بقدر اجور امثالهم واما المؤلفة قلوبهم
فكانوا قوما من اشراف العرب يتألفهم رسول الله صلى الله عليه وآله في مبدأ الاسلام ويعطيهم سهما من الزكوة ليدفعوا عنه قومهم و
يعينوه على العدو كالعباس بن مرداس وعيينة بن الحصين وغيرهما ثم استغنى المسلمون عن ذلك عند قوتهم واما في الرقاب اي في فك
الرقاب فقال ابن عباس يريد المكاتبين وكانوا يعطون سهما ليعتقوا به واما الغارمون فهم الذين لزمتهم الديون في غير معصية و
لا اسراف واما في سبيل الله فهم الغزاة ولم يعطوه واما ابن السبيل فهو المنقطع به في السفر ويعطى من الصدقة وان كان غنيا في بلده وقد
ذكر ههنا في معرض ايجاب الشفقة والرحمة لحسنة وهم الفقراء والمساكين ويدخل فيهم السائلون وغيرهم المدفوعون ويشبه ان يريد
بهم العاملين عليها وسماهم مدفوعين باعتبار انهم يدفعون لجباية الصدقات او لانهم اذا اتوا الى من لا زكوة عليه فسألوه هل
عليه زكوة ام لا دفعهم عن نفسه وذكرهم هنا بهذا الوصف لكونه وصفا في ... وكونهم في معرض الامر بالشفقة عليهم قال بعض
الشارحين اراد بهم الفقراء والسائلين لكونهم يدفعون عند السؤال ثم الغارم وابن السبيل وانما ذكر هؤلاء الخمسة او الاربعة لكونهم
اضعف حالا من الباقين وقوله ومن استهان الى قوله واخزى يشبه ان يكون كبرى قياس ضمير احتج به في معرض الوعيد والتحذير من
الخيانة على لزوم الذل والخزي له في الدارين على تقدير ان لا يوفيهم حقوقهم وتقدير القياس وان لا توفيهم حقوقهم تكن مستهينا
بالامانة راتعا في الخيانة غير منزه نفسك ودينك عنها وكل من كان كذلك فقد احل بنفسه في الدنيا الذل وهو في الآخرة اذل
واخزى وروي اخل بنفسه اي ترك ما ينبغي لها وروي احل نفسه اي اباحها والاول اعلى هاتين الروايتين ... في الدنيا
والخيانة اعم من الغش وهي رذيلة المفرط من فضيلة الامانة والغش رذيلة تقابل فضيلة النصيحة وهما اختلفان تحت رذيلة الفجور

عهد له الى محمد بن ابى بكر

وقوله وان اعظم الخيانة الى اخره شبه على عظم الخيانة هاهنا انها كانت خيانة كلية عامة الضرر لاكثر المسلمين ومستلزمة لغش الامام الذي هو
افضل الناس واولاهم بالنصيحة فاذا كانت مطلق الخيانة ولو في حق اقل الخلق واحقر الاشياء منهيا عنها ويستحق العقاب الاخروي عليها فبالحري
مثل هذه الخيانة العظيمة وكل ذلك في معرض الوعيد والتنفير عن الخيانة والاستهانة بالامانة وبالله التوفيق **ومن عهد له**
الى محمد بن ابي بكر رضي الله عنه لما قلده مصر فاخفض لهم جناحك والن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة
حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم وان الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من اعمالكم
والكبيرة والظاهرة والمستورة فان يعذب فانتم اظلم وان يعف فهو اكرم واعلموا عباد الله ان المتقين ذهبوا بعاجل
الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا اهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم اهل الدنيا في آخرتهم سكنوا الدنيا بافضل ما سكنت واكلوها
بافضل ما اكلت فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون واخذوا منها ما اخذه الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا عنها بالزاد
المبلغ والمتجر الرابح اصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم وتيقنوا انهم جيران الله غدا في آخرتهم لا ترد لهم دعوة ولا ينقص
لهم نصيب من لذة فاحذروا عباد الله الموت وقربه واعدوا له عدته فانه ياتي بامر عظيم وخطب جليل بخير لا يكون
معه شر ابدا او شر لا يكون معه خير ابدا فمن اقرب الى الجنة من عاملها ومن اقرب الى النار من عاملها وانتم طرداء الموت
ان اقمتم له اخذكم وان فررتم منه ادرككم وهو الزم لكم من ظلكم الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم
واحذروا نارا قعرها بعيد وحرها شديد وعذابها جديد دار ليس فيها رحمة ولا تسمع فيها دعوة ولا تفرج فيها كربة
وان استطعتم ان يشتد خوفكم من الله وان يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما فان العبد انما يكون حسن ظنه بربه على قدر
خوفه من ربه وان احسن الناس ظنا بالله اشدهم خوفا لله واعلم يا محمد بن ابي بكر اني قد وليتك اعظم اجنادي
في نفسي اهل مصر فانت محقوق ان تخالف على نفسك وان تنافح عن دينك ولو لم يكن لك الا ساعة من الدهر ولا تسخط
الله برضا احد من خلقه فان في الله سبحانه خلفا من غيره وليس من الله خلف في غيره صل الصلاة لوقتها الموقت لها
ولا تعجل وقتها لفراغ ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال واعلم ان كل شيء من عملك تبع لصلاتك **اقول** قلده الامر جعله
في عنقه كالقلادة واللفظ مستعار وحظي من كذا اي صار له منه حظوة وهي المنزلة والحظ الوافر والجبار البالغ في التكبر والطرداء
جمع طريد وهو ما يطرد من صيد والخلف العوض وهذا الفصل من العهد ملتقط من كلام طويل ومداره على امور الاول وصيته
محمد رضي الله عنه بمكارم الاخلاق في حق رعيته وذكر امورا احدها امره بخفض الجناح قيل واصله ان الطائر يمد جناحيه ويخفضهما
يجمع فراخه تحتهما اما للشفقة عليهم فاستعمل كناية عن التواضع الكائن عن الرحمة والشفقة كما قال تعالى واخفض جناحك
لمن اتبعك من المؤمنين وقد بينا ان التواضع ملكة تحت فضيلة العفة الثاني امره بالان جانبه كناية عن الرفق في الاقوال والافعال
وعدم الغلظة عليهم والجفاء في حقهم في كل الاحوال وهو قريب من التواضع ومن لوازمه الثالث امره ان يبسط لهم وجهه وهو
كناية عن لقائهم بالبشاشة والطلاقة من غير تقطيب وعبوس وهو من لوازم التواضع ايضا الرابع ان يواسي بينهم في النظر واللحظة
وهي اخف من النظرة وهو كناية عن الاستقصاء في العدل بينهم في جليل الامور وحقيرها وقليلها وكثيرها وقوله حتى لا يطمع
الى قوله عليهم بيان لوجه الحكمة في امره بالمساواة بينهم في اللحظة والنظرة على حقارتهما فان قلت فلم خص العظماء بالطمع
في الحيف والضعفاء بالياس من العدل قلت لان العادة ان الولاة والامراء انما يخصصون بالنظرة والاقبال والبشاشة الاغنياء
والعظماء دون الضعفاء وذلك التخصيص مستلزم لطمعهم ان يحاف لهم والاعراض عن الضعفاء مستلزم للياس من العدل في حقهم
والضمير في قوله عليهم يرجع الى العظماء الثاني الوعيد للعباد بسؤال الله لهم عن صغير اعمالهم وكبيرها وظاهرها ومستورها والاعلام
بانهم مظنة عذاب لسبب انهم عصبة والبادي اظلم قال الراوندي رحمه الله المراد بالظلم الظالم قلت ويحتمل ان يكون قد سمى ما يجازيهم به
ظلما لمجاورة المسماة به الظلم في الكمية والصورة كما سمي في القصاص اعتداء في قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ثم نسب
اليه فعلهم بصيغة افعل التفضيل باعتبار كونهم بدءوا بالمعصية وكان الاعلام بانه تعالى مظنة الكرم بالعفو عنهم الثالث اعلامهم
بما ينبغي لهم من استعمال الدنيا والتنبيه على كيفية استعمالها الواجب بوصف المتقين فيها بالقصد واعمالهم وهي ما اخبر عنه بقوله ذهبوا
بعاجل الدنيا الى قوله ولا ينقص لهم من لذة وخلاصة حالهم المذكورة انهم اكثر فائدة من اهل الدنيا اذ حصلوا من اللذة في دنياهم
على افضل ما يحصل لاهلها من لذاتهم بها مع زيادة الفوز الاكبر في الآخرة بما وعد فيها المتقون واعلم ان الذي يشير اليه من عاجل
الدنيا في حق المتقين الذين شاركوا فيها وحظوا به منها بما حظي به المترفون واخذه الجبابرة المتكبرون هو ما حصلوا عليه
من لذات الدنيا المباحة لهم بقدر ضرورتهم وحاجتهم كما روي عنه في صفتهم بلفظ اخر شاركوا اهل الدنيا في دنياهم ولم
يشاركهم اهل الدنيا في آخرتهم اباحهم الله من الدنيا ما كفاهم وبه اغناهم قال الله عز اسمه قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده

حين

قربه

نصيب

اهلها

والطيبات من الرزق

والطيبات من الرزق الاية سكنوا من الدنيا بافضل ما سكنت واكلوها بافضل ما اكلت شاركوا اهل الدنيا فى دنياهم فاكلوا معهم من طيبات
ما ياكلون وشربوا من طيبات ما يشربون ولبسوا من افضل ما يلبسون وتزوجوا من افضل ما يتزوجون وركبوا من افضل ما يركبون اصابوا
لذة الدنيا مع اهل الدنيا وهم فيها جيران الله يتمنون عليه فيعطيهم ما يتمنون لا يرد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيبا من لذة فاما وجه
كونهم اكلوها على افضل ما اكلت وسكنوها بافضل ما سكنت فلانهم استعملوها على الوجه الذى ينبغى لهم وقد امروا باستعمالها
عليه وظاهر ان ذلك الوجه افضل الوجوه واما انهم شاركوا اهل الدنيا فى طيباتها فظاهر فنقول ان لذاتهم بما استعملوا منها اتم
واكمل وذلك ان كلما استعملوه منها من ماكول ومشروب ومنكوح ومركوب انما كان عند الحاجة والضرورة اليه وقد علمت ان
الحاجة الى الملذ كلما كانت اشد واقوى كانت اللذة به عند حصوله اتم واعلى من ذلك من الامور الوجدانية فيثبت اذن انهم حصلوا
منها بما لم يحظ به المترفون واخذوا منها اخذة الجبابرة المتكبرين مع ما فضلوا به من الحصول على تحصيل الاخرة الذى لم يشاركهم
اهل الدنيا فيه كقوله تعالى من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الاخرة من نصيب واما الزاد المبلغ الى منازل الغربة وحضرة الجلال
فهو التقوى الذى تضمنه ابر كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وقد علمت معنى كونه زادا غير مرة واستعار للتقوى والعمل
لفظ المتجر باعتبار كون الغاية المقصودة منها استعاضة ثواب الله المشبه بالثمن ورشح بذكر المربح اى المكسب بالربح وذلك باعتبار
زيادة فضل ثواب الله فى الاخرة على ما بذله العبد من نفسه من العمل وقوله اصابوا لذة زهد الدنيا اشارة الى بعض ما يجدونه
من اللذات فى الدنيا وهو لذة الزهد اذ كان لهم بطرح الدنيا عن اعناق نفوسهم ووصولهم بسببه الى ما وصلوا اليه من الكمالات
العالية ابتهاجات عظيمة اجل واعلى مما يجده المترفون والمتكبرون من لذة بغيرها وهم الذين يحق لهم ان يتكبروا على المتكبرين اذ كان
الكمال الذى به تكبر المتكبرين امرا خياليا ضعيفا بالقياس الى الكمال الحق الذى حصل عليه هؤلاء وقوله وتيقنوا انهم جيران
الله غدا اى يوم القيمة وهو اشارة الى جهة فرحهم بجوار الله والتذاذهم به مضافا الى ما اصابوه من لذة زهد الدنيا وتلك الجهة
هى ما حصلوا عليه من اليقين بالله والوصول التام اليه بعد مفارقة الابدان وذلك معنى جواره وقوله لا ترد لهم دعوة اشارة الى
بعض فضائلهم التى انفردوا بها ايضا المترتبة على كمال نفوسهم وكرامتهم عند الله اللازمة عن لزوم طاعته وهو كونهم مجابى الدعوة
مع ما شاركوا غيرهم فيه من تمام اللذة فى الدنيا وانفردوا به من تمامها فى الاخرة الرابع تحذيرهم من الموت وقربه وتنبيههم على
غايته من ذلك التحذير وهو ان يعدوا له عدته التى يلقى بها ولا يكون كثيرا ضره وقد علمت ان التقوى والعمل الصالح واكد الامر
بالاعداد له بالتعبير عنه باعظم ما ياتى به من الامر والخطب الجليل واشار الى ان ذلك الامر قد يكون خيرا خالصا دائما وقد يكون
شرا خالصا وانما لاستناد التوفيق وتنوعه الى كمال العبد المستلزم لتحصيل ذلك الخير ولا نقصه ذلك الشر ثم نبه على ان ذلك الخير الذى
ياتى به الموت هو الجنة وذلك الشر هو النار وان المقرب الى كل منهما والمستلزم للحصول عليه هو العمل له بقوله فمن اقرب الى قوله
عاملها ثم نبه بقوله وانتم الى قوله خلقكم على ان هذا الامر المستعقب لاحدى هاتين الغايتين العظيمتين وهو الموت لابد من لقائه لنا فى
الامر عليهم بالاستعداد له واستعار لهم لفظ الطريد ملاحظة لشبههم بما يطرد من صيد ونحوه ولشبهه بالفارس المجد فى الطلب الذى
لا بد من ادراكه الطريدة وقال الزموا لكل امرئ من ظله اذ كان ظل المرء قد ينفك عنه حيث لا ضوء والموت امر لازم لا بد منه وقوله
الموت معقود بنواصيكم كناية عن لزومه وكونه لا بد منه ايضا اى مشدود مربوط بنواصيكم وذلك الربط اشارة الى حكم القضاء
الالهى به وكونه ضروريا للحيوان وانما خص النواصى لانها اشرف ما فى الانسان والازم لها اهلاكه واقدر على ضبطه ونحوه قوله
تعالى فيؤخذ بالنواصى والاقدام واستعار لفظ الطى لتقضى احوال الدنيا وايامها التى يقطعها الانسان وقتا فوقتا ملاحظة لتشبيه
احوالها بما يطوى من بساط ونحوه وظاهر ان ذلك الطى من خلفهم خلفا خياليا بالنسبة الى ما يستقبلونه من احوالها بوجوه هممهم ثم
لما كرر ذكر الموت واكد لزومه بطى الدنيا رجع الى التحذير من غايته وهى النار ووصفها باوصاف ليشتد الحذر منها وهى بعد
قعرها وقد نبه عليه بما روى ان النبى صلى الله عليه وآله سمع هدة فقال لاصحابه هذا حجر القى من شفير جهنم فهو يهوى فيها منذ سبعين خريفا
والان حين وصل الى قعرها وكان ذلك اشارة الى منافق مات فى ذلك الوقت وعمره سبعون سنة وقد اشرنا الى ذلك من قبل و
شدة حرها كقوله تعالى قل نار جهنم اشد حرا وجدة عذابها كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
وكونها ليست بدار رحمة ولا يسمع لها دعوة لقوله تعالى ربنا اخرجنا منها الاية الى قوله ولا تكلمون وكونها لا تفرج فيها كربة لقوله تعالى
جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وقوله ونادوا يا مالك الى قوله ماكثون الخامس قوله وان استطعتم الى قوله فافعلوا امر
لهم بالجمع بين شدة الخوف من الله وحسن الظن به وهما بابان عظيمان من ابواب الجنة كما علمته فيما سلف ثم اشار الى انهما متلازمان
بقوله فان العبد الى قوله بالله اى ان مقدار حسن ظن العبد بربه مطابق وملازم لمقدار خوفه منه وان زيادته مع زيادته و
نقصانه مع نقصانه واعلم انه لم يجعل احدهما علة للاخر بل هما معلولا علة واحدة مساويا لها وهى معرفة الله ثم كانت معرفته تقتضى

لهم م

الكل م

فى عذاب جهـ م

خوفا م

في تتمة عهده الى محمد بن ابي بكر

مقوله بحسب الشدة والضعف كان حسن الظن به ورجاؤه وشدة الخوف منه ايضا تماما تشتد ويضعف بحسب قوة المعرفة وضعفها الا ان
كل واحد منها يستند الى صنف من المعرفة واعتبار خاص يكون هو سببا اما الاقرب اما في حسن الظن والرجاء فان يلحظ العبد من
رب ويعتبر جميع اسباب نعمه على خلقه حتى اذا علم لطايفها في حقهم مما هو ضروري لهم كالات الغذاء وما هم اليه محتاج كالاظفار وما
هو زينة كتقوس الحاجبين واختلاف الوان العينين وبالجملة ما ليس بضروري علم ان العناية الالهية اذا لم تقصر عن غاية في
امثال هذه الدقايق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم الزوايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم الى الهلاك الابدي
بل اذا اراد اعتبار واعجب من هذا الباب علم تعالى لما هيا الاكثر الخلق اسباب السعادة في الدنيا حتى كان الغالب على اكثرهم الخير والسلامة سنة
الله التي قد خلت في عباده علم ان الغالب في امر الاخرة ذلك ايضا لان مدبر الدنيا والاخرة واحد وهو اللطيف بعباده وهو الغفور
الرحيم وح يكون هذه الملاحظات والاعتبارات مستلزمة لحسن الظن وباعثة على الرجاء ومن هذه الاعتبارات النظر في حكمة
الشريعة وسببها وفي مصالح الدنيا ووجه الرحمة على العباد بها وبالجملة ان يعتبر صفات الرحمة واللطف واما في الخوف فان من
اسبابه ان يعرف الله تعالى وصفات جلاله وعظمته وتعاليه وسطوته واستغنائه وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع و
كذا سائر اعتبارات الصفات التي يقتضي العنف وايقاع المكاره كالسخط والغضب وكذلك لذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء وقال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله وبحسب شدة المعرفة بتلك الاعتبارات يكون حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر ذلك على البدن
فيحصل النحول والصفار والغشية والزعقة والرعدة وعلى الجوارح فيكفها عن المعاصي ويقيدها بالطاعات استدراكا لما فرط
فرط منه وفي الصفات فيقمع الشهوات ويكدر اللذات والاحتراق في القلب بالخوف يحصل له ذبول وذلة فيفارقه معها كثير
من الرذايل كالكبر والحسد والحقد والبخل وغيرها ثم ان الجمع بينهما يستلزم كثيرا من الفضايل وذلك ان معرفة الله تعالى واليقين
به اذا حصل فيه الخوف من عقابه والرجاء لثوابه الضروريين وهما يعيدان ان الصبر اذا حفت الجنة بالمكاره فلا صبر على تحملها الا بقوة
الرضا وحفت النار بالشهوات فلا صبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال عليه السلام من اشتاق الى الجنة سلى عن الشهوات
من اشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله ودوام الفكر فيه وهي مؤدية الى كمال
المعرفة المؤدية الى الانس المؤدي الى المحبة المستلزمة لمقام الرضا والتوكل اذ من ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته
ولما ثبت بتمامه لو لا علة واحدة ثبت انهما مثلا زمانين وليسا متضادين وان ظن ذلك في ظاهر الامر بل ربما غلب احدهما على
الاخر بحسب غلبة اسبابه فيشتغل القلب به ويغفل عن الاخر فيظن انه يعانده ويباينه ولذلك اتى عليه السلام هيهنا بان المقتضية للشك
في استطاعتهم الجمع بينهما ثم نبهه على احسانه اليه بتوليته اعظم اجناده لينبهه على التذكير بتلك النعمة فامره بان يوصيه بالستة
بنهيه على ما ينبغي له وهو اولى به وذلك ان يخالف على نفسه الامارة فيما تامره به من السوء والفحشاء وسائر مناهي الله الى ما يحكم به العقل
والشرع من طاعته وان ينافح عن دينه ويجاهد الانس والجن عنه ولو لم يكن له من الدهر الا ساعة فينبغي ان لا يشغلها الا بالجهاد
عن دينه وان لا يسخط الله برضا احد من خلقه اي لئلا يخبر احدا من خلق الله فيما يسخط الله وقوله فان في الله الى قوله في غيره تنبيه
على وجوب مراعاة رضاه تعالى دون غيره بقياس ضمير من الاول المذكور في قوة صغرى وتقدير الكبرى وكلما كان في الله
خلف عن غيره وليس في غيره خلف منه فالواجب اتباع رضاه وان لا يسخط برضا غيره ثم امره ان يصلي الصلوة لوقتها المؤقت لها اي
المعين واللام للتخصيص والتعليل وان لا يقدمها على وقتها لفراغ في ذلك الوقت ولا يؤخرها عن وقتها لشغله عنها بغيرها فانها
اهم من كل شغل واولى ثم اعلمه ان كل شيء من الاعمال الصالحة تبع للصلوة والمراد ان الانسان اذا حافظ على صلوته واتى بها في
في اوقاتها يوشك ان يكون على غيرها اولى بالمحافظة واذا تساهل فيها فهو في غيرها اكثر تساهلا وذلك لانها عمود الدين
وافضل العبادات كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن افضل الاعمال فقال الصلوة لاول وقتها وقال صلى الله عليه وسلم اول
ما يحاسب به العبد الصلوة فمن تمت صلوته سهل عليه غيرها من العبادات ومن نقصت صلوته فانه يحاسب عليها وعلى غيرها
واعلم انه ذكر امر الصلوة في هذا العهد بكلام طويل اهمله السيد رحمه الله وفيه بيان حال الصلوة ونوافلها واوقاتها فقال وانظر الى صلوتك

من صلى بهم تمت صلوته ولهم مثل اجورهم ولا تنقص من

كيف هي فانك امام لقومك ان تتمها او تخففها فليس من امام يصلي بقوم يكون في صلوته نقصان الا كان عليه لا ينقص ذلك
من اجورهم شيئا وانظر الى الوضوء فانه من تمام الصلوة فتمضمض ثلثا واستنشق ثلثا واغسل وجهك ثم يدك اليمنى ثم اليسرى
ثم امسح رأسك ورجليك فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ذلك واعلم ان الوضوء نصف الايمان ثم ارتقب وقت الصلوة فصلها
لوقتها ولا تعجل بها قبله لفراغ ولا تؤخرها عنه لشغل فان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اوقات الصلوة فقال صلى الله عليه وسلم اتاني جبرئيل
فاراني وقت صلوة الظهر حين زالت الشمس وكانت على حاجبه الايمن ثم اراني وقت العصر وكان ظل كل شيء مثله ثم صلى المغرب
حين غربت الشمس ثم صلى العشاء الاخرة حين غاب الشفق ثم صلى الصبح فاغلس بها والنجوم مشتبكة فصل لهذه الاوقات

والزم السنة المعروفة والطريق الواضح ثم انظر ركوعك وسجودك فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان اتم الناس صلوته واخفهم عملا فيها واعلم ان كل شيء
من عملك تبع لصلوتك فمن ضيع الصلوة فانه لغيرها اضيع اسال الله الذي يرى ولا يرى وهو بالمنظر الاعلى ان يجعلنا واياك ممن يحب
ان يرضى حتى يعيننا واياك على شكره وذكره وحسن عبادته واداء حقه وعلى كل شيء اختاره لنا في ديننا ودنيانا واخرتنا **ومن**
هذا العهد ايضا فانه لا سواء امام الهدى وامام الردى وولي النبي وعدو النبي ولقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله
اني لا اخاف على امتي مؤمنا ولا مشركا اما المؤمن فيمنعه الله بايمانه واما المشرك فيقمعه الله بشركه ولكني اخاف عليكم
كل منافق الجنان عالم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون **اقول** هذا الفصل متصل بقوله واخرنا من فصل
الصلوة وقوله وانتم يا اهل مصر فليصدق قولكم فعلكم وسركم علانيتكم ولا تخالف السنتكم قلوبكم انه لا يستوي الى قوله تنكرون
ثم متصل به الجاحظ في كتابه اعلم ان افضل العفة الورع في دين الله والعمل بطاعته واني اوصيك بتقوى الله في سر امرك وعلانيتك
وعلى اي حال كنت عليه الدنيا دار بلاء ودار فناء والاخرة دار الجزاء ودار البقاء فاعمل لما يبقى واعدل عما يفنى ولا تنس
نصيبك من الدنيا اني اوصيك بسبع هي جوامع الاسلام اخش الله عز وجل في الناس ولا تخش الناس في الله وخير العمل
ما صدقه القول ولا تقض في امر واحد بقضائين مختلفين فيختلف امرك وتزيغ عن الحق واحب لعامة رعيتك ما تحب لنفسك
واهل بيتك واكره لهم ما تكره لنفسك واهل بيتك فان ذلك اوجب للحجة واصلح للرعية وخض الغمرات الى الحق ولا تخف
في الله لومة لائم وانصح المرء اذا استشارك واجعل نفسك اسوة لقريب المسلمين وبعيدهم جعل الله مودتنا في الدين وحلانا
واياكم حلية المتقين وابقى لكم حتى يجعلنا بها اخوانا على سرر متقابلين احسنوا اهل مصر موازرة اميركم واثبتوا على طاعتكم
تردوا حوض نبيكم صلى الله عليه وآله اعاننا الله واياكم على ما يرضيه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والقمع القهر والاذلال
واعلم انما امرهم بترك النفاق وبموافقة الفعل الجميل للقول الجميل لشدة حرصهم الى ذلك وجذبهم اليه بالفرق بينه وبين غيره
من الائمة فاشار بامام الهدى وولي النبي الى نفسه وبامام الردى وعدو النبي الى معوية واسند الخبر المشهور الى النبي صلى الله عليه وآله و
اراد بمنافق الجنان عالم اللسان من تبره واضرابه بكل ذلك ليفيؤا الى طاعته وينفروا عن خصمه واما سر الخبر فظاهر فان المؤمن
لا بمانه لايخاف منه على المسلمين واما المشرك فان الله يقمعه ويذله بشركه ما دام مشركا متظاهرا بالشرك لظهور الاسلام وغلبة
المسلمين وانفاذهم على مجاهدته ومعاداته وعدم الاصغاء الى ما يقول وانما يخاف عليهم المنافق الذي من شانه اسرار الكفر و
اظهار الاسلام وتعلم احكامه ومخالطة اهله فهو يقول بلسانه ما يقولون ويفعل ما ينكرون ووجه المخافة منه ان مخالطته لاهل
الاسلام مع اظهاره له يكون سببا لاصغائهم اليه ومجالستهم له والاغترار بما يدعيه من اصلاحه وصدقه وعلمه اللساني وقدرته
على تشبيه الضلالة وتمويهها بالاقوال المزخرفة فيكون سببا لانفعال كثير من عوام المسلمين وفتنتهم عن الدين وقوله ان افضل العفة
الورع فالورع هو لزوم الاعمال الجميلة وهو ملكة تحت فضيلة العفة وظاهر انها اجمع الفضائل التي تحت العفة فيكون افضل
من كل منها وقوله واخش الله في الناس اي خف منه فيما تفعله بهم من شر تقصده به وقوله ولا تخش الناس في الله اي لا تخف احدا
منهم ولا تراقبه فيما يفعله من طاعة الله فتعدل عن طاعته خوفا منهم وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام الى معوية**
جوابا وهو من محاسن الكتب اما بعد فقد اتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لدينه
وتأييده اياه بمن ايده من اصحابه فلقد خبا لنا الدهر منك عجبا اذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا
فكنت في ذلك كناقل التمر الى هجر او داعي مسدده الى النضال وزعمت ان افضل الناس فلان وفلان فذكرت امرا ان
تم اعتزلك كله وان نقص لم يلحقك ثلمه وما انت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس وما للطلقاء وابناء الطلقاء
والتمييز بين المهاجرين الاولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم هيهات لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها
من عليه الحكم لها الا تربع ايها الانسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتاخر حيث اخرك القدر فما عليك
غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر وانك لذهاب في التيه رواغ عن القصد الا ترى غير مخبر لك لكن بنعمة الله احدث
ان قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل حتى اذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء وخصه
رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلوته عليه اولا ترى ان قوما قطعت ايديهم في سبيل الله ولكل فضل
حتى اذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء
نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها اذان السامعين فدع عنك من مالت به الرمية فانا صنائع
ربنا والناس بعد صنائع لنا لم يمنعنا قديم عزنا ولا عادي طولنا على قومك ان خلطناكم بانفسنا فنكحنا وانكحنا
فعل الاكفاء ولستم هناك وانى يكون ذلك ومنا النبي ومنكم المكذب ومنا اسد الله ومنكم اسد الاحلاف ومنا سيدا

من كتاب له الى معاوية

شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب في كثير مما لنا وعليكم فإسلامنا ما قد سمع وجاهليتكم لا تدفع وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله تعالى وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين فنحن مرة أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله فلجوا عليهم فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها وقلت إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع ولعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت وأن تفضح فافتضحت وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في دينه ولا مرتابا بيقينه وهذه حجتي إلى غيرك قصدها ولكني أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله أمن بذل له نصرته فاستقعده واستكفه أم من استنصره فتراخى عنه وبث المنون إليه حتى أتى قدره عليه كلا والله لقد علم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا وما كنت لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثا فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له فرب ملوم لا ذنب له وقد يستفيد الظنة المتنصح وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف فلقد أضحكت بعد استعبار متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين وبالسيوف مخوفين فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد وأنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم متسربلين سرابيل الموت أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم قد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك وما هي من الظالمين ببعيد **أقول**

هذا الكتاب ملتقط من كتاب ذكر السيد منه فصلا سابقا وهو قوله فأراد قومنا إهلاك نبينا وقد ذكرنا كتاب معوية الذي هو وهذا الكتاب جواب له وذكرنا الكتاب له بأسره هناك وإن كان فيه اختلاف ألفاظ يسيرة مع الروايات وخبأت الشيء سترته وطفق مثل أخذ وجعل وهجر مدينة من بلاد البحرين والنضال المراماة والمسدد الذي يقوم غيره لأمر ويهديه إليه واعتزالك تباعدك عنك والثلم الكسر والطليق من أطلق بعد الأسر والربع الوقوف والظلع الغمز والذرع بسط اليد والتيه الضلال والجائر المائل والرواغ كثير الميل عن القصد والجمة الكثيرة ومج الماء من فيه ألقاه والرمية الصيد يرمى والصنيعة الحسنة والفلج الفوز والشكاة الشكاية وظاهر زائل والمخشوش الذي جعل في أنفه خشاش وهو خشبة تدخل في أنف البعير ليقاد بها والغضاضة الذلة والمتفضح اعترض وأعدى أشد عداوة والمعوقين المثبطين والظنة التهمة والمتنصح المبالغ في النصيحة والاستعبار البكاء وألفيت كذا وجدته والنكول التأخر جبنا والإرقال ضرب من السير السريع والجحفل الجيش العظيم والساطع المرتفع والقتام الغبار والسرابيل القمصان والنصال السيوف وقد أجاب ع عن كل فصل من كتاب معوية بفصل والكتاب يجمع ما اختار السيد ره من الكتب وفيه نكت الأولى أنه استعار لفظ الخبئ لما ستره الدهر في وجود معوية من العجب ثم كسر العجب فقال إذ طفقت إلى قوله النضال ووجه العجب هنا أنه أخبر أهل بيت النبي بحال النبي وما أنعم الله به عليه من اصطفائه له وتأييده بأصحابه مع علمهم البالغ بحاله وكونهم أولى بالأخبار عنها وضرب له في ذلك مثلين أحدهما قوله كناقل التمر إلى هجر وأصل هذا المثل أن رجلا قدم من هجر إلى البصرة بمال اشترى به شيئا للربح فلم يجد فيها أكسد من التمر فاشترى بماله تمرا وحمله إلى هجر وادخره في البيوت ينتظر به السعر فلم يزدد إلا رخصا حتى فسد جميعه وتلف ماله فضرب مثلا لمن يحمل الشيء إلى معدنه لينتفع به فيه ووجه مطابقة المثل هنا أن معوية حمل الخبر بما أخبر به إلى معدنه الذي هو أولى به منه كحامل التمر إلى معدنه وهجر معروفة بكثرة التمر حتى أنه ربما بيع خمسين جلة بدينار ووزن الجلة مائة رطل فذلك خمسة آلاف رطل ولم يسمع مثل ذلك في بلد آخر وهجر اسم قد يذكر لقصد الموضع ولذلك صرفها هنا كما حيث يقول شعر وخطها الخط إرقال قلص أو إبل لا بادما والهجر هجر الثاني أنه شبهه بداعي مسدده إلى النضال ووجه التشبيه هنا أيضا حمل الخبر إلى من هو أولى به منه كما يدعو الإنسان مسدده وأستاذه في الرمي إلى المراماة ومسدده أولى بأن يدعوه إلى ذلك الثالثة أن معوية لما افتخر حال الصحابة وذكر الأفضل فالأفضل منهم معرضا بأفضليتهم عليه لعدم مشاركتهم له في الفضل أجابه بأن ذلك التفضيل والترتيب أمر إن تم كان ثم فهو بمعزل عنك وليس لك نصيب ولا شركة في درجاتهم ومراتبهم وسابقتهم في الإسلام فيكون خوضك فيه خوضا فيما لا يعنيك وإن نقص فليس عليك من نقصانه عار ولا يلحقك منه وهن فخوضك فيه إذا فضول وقوله وما أنت وما للطلقاء استفهام على سبيل الاستحقار والإنكار عليه أن يخوض على صغر شأنه وحقارته في هذه الأمور الكبار والمنقول أن أبا سفيان كان من الطلقاء فكان معوية فهو طليق

من كتاب كتبه الى معاوية

وابن الطليق وقوله هيهات استبعاد لاهليته لمثل هذا الحكم وترتيب طبقات المهاجرين في الفضل ثم ضرب له في حكمه بذلك مثلين احدهما
قوله لقد حن قدح ليس منها واصله ان احد قداح الميسر اذا كان ليس من جوهر باقي القداح ثم اجاله المفيض خرج له صوت يخالف اصواتها
فيعرف به انه ليس من جملتها فضرب مثلا لمن يمدح قوما ويطريهم ويفتخر بهم مع انه ليس منهم وتمثل به عمر حين قال الوليد بن عقبة بن ابي
معيط اقتل من دون قريش فقال عمر حن قدح ليس منها الثاني قوله وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها يضرب لمن يحكم على قوم وفيهم وهو
من اراذلهم وليس الحكم باهل بل هم اولى منه اذ شان الاشراف ان يكونوا حكاما والمراد ان معوية ليس من القوم الذين يحكم بتفضيل
بعضهم على بعض في شيء وليس هؤلاء الحكم فيهم انما الله وقوله الا تربع ايها الانسان على ظلعك استفهام على سبيل التنبيه له على قصوره
عن درجة السابقين والتقريع له على ادعائه لها اي انه يترفق بنفسك ولا يكلفها عنتا ويقف بها عن مجاراة اهل الفضل حال الظلع
واستعار لفظ الظلع لقصوره ووجه المشابهة قصوره عن لحوق رتبة السابقين في الفضل كقصور الظالع عن شأو الطليع وكذلك قوله
وتعرف قصور ذرعك وقصور ذرعه كناية عن قصور قوته وعجزه عن تناول تلك المرتبة وحيث اخرك القدر اشارة الى مرتبته النازلة
التي جرى القدر بها ان تكون نازلة عن مراتب السابقين وقد امره بالتأخر فيها او الوقوف عندها تقريعا وتوبيخا بها وقوله فما عليك
الى قوله الظافر في قوة احتجاج على وجوب تأخره بحيث اخره القدر بقياس ضمير من الشكل الاول والمذكور في قوة صغراه وتقديرها
غلبة المغلوب في هذا الامر الكبير ليس عليك منه شيء وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك يجب تأخره عنه واعتزاله اياه والا كان
سفيها بدخوله فيما لا يعنيه الرابعة قوله وانك لذهاب في التيه اي كثير الذهاب والتوغل في الضلال عن معرفة الحق كثير العدول عن القصد
والصراط المستقيم في حقنا وعن الفرق بيننا وبينكم ومعرفة فضلنا عليكم ورذائلكم ثم نبهه على وجه الفرق بينهم وبين من عداهم من
المهاجرين والانصار بذكر افضلية بيته الذين انفردوا بها دونهم في الحيوة وبعد الممات فقرر ان لكل من اصحابه فضلا ثم اثبت
الافضلية لبيته بالقياس اليهم وذلك قوله الا ترى الى قوله الجناحين فمن ذلك افضليتهم في الشهادة وشهيدهم الذي اشار اليه
عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واشار الى وجه افضليته بالنسبة الى ساير الشهداء من وجهين احدهما قولي وهو تسميته رسول الله ص
سيد الشهداء والثاني فعلي وهو ان رسول الله صلى الله عليه وآله خصه بسبعين تكبيرة عند صلوته عليه في اربع عشرة صلوة وذلك انه كان كلما كبر
عليه خمسا حضرت جماعة اخرى من الملائكة فصلى بهم عليه ومن ذلك من خصائص حمزة رضي الله عنه وشرف بني هاشم في حيوتهم وموتهم
ومنه افضليتهم انما فعل بعضهم من التمثيل به كما فعل باخيه جعفر بن ابي طالب من قطع يديه فسماه رسول الله ص بذلك الاعتبار ذا الجناحين
والطيار في الجنة ومن المنقول عن علي ع من الشعر فيه والفخر الى معوية وجعفر الذي يضحي ويمسي يطير مع الملائكة ابن امي وقد ذكرنا مقتلهما
وفضائلهما من قبل ثم اشار الى فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذانهم وانما ترك تعديدها وذكرها في معرض الفخر بها للنهي
الله سبحانه عن تزكية لنفسه والذاكر يعني نفسه وانما نكره ولم يأت بالالف واللام ولم ينسبه الى نفسه لان في ذلك صريح الدلالة على تزكيته
لنفسه واستعار لفظ المج لكراهية النفس ما تكرر سماعه واعراضها عنه فانها تصير كالقاذفة له من الاذن كما يقذف الماج الماء وقوله فدع لبعض صح
عنك من مالت به الرمية اي فدع عنك خطاب الاعراض للمقاصد الفاسدة ولا تلتفت الى ما يقولون في حقنا كعمرو بن العاص ويحتمل ان
تكون الاشارة اليه بعينه على طريقة قولهم اياك اعني فاسمعي يا جارة واستعار لفظ الرمية وكنى بها عن الامور التي تقصدها النفوس من
مقصودها ونسب الميل اليها لانها هي الجاذبة للانسان والمايلة الحاملة له على الفعل ثم قوله فانا صنايع ربنا الى قوله لنا تنبيه من وجه
آخر على فضيلتهم من جهة اختصاص الله سبحانه اياهم بالنعمة الجليلة وهي نعمة الرسالة وما يستلزمه من الشرف والفضل حتى كان
الناس عيالا لهم فيها اذ كانت تلك النعمة ولوازمها انما وصلت الى الناس بواسطتهم ومنهم واكرم بها فضيلة وشرفا على ساير الخلق وهذا
الشبه في قوة صغرى من الشكل الاول في معرض الافتخار والاحتجاج على انه لا ينبغي لاحد ان يعارضهم في شرف او يتأخر عنهم ويبلغهم
في فضيلة وتقدير الكبرى وكل من كان يصنعه انه صنيعة ربه بلا واسطة والناس بعد صنايع له بواسطته فلا ينبغي لاحد من
الناس ان يعارضه في فضل او يجاريه في شرف وتجوز بلفظ الصنايع في الموضعين اطلاقا لاسم المقبول على القابل والحال على المحل
ثم كثر ذلك المجاز فيقال فلان صنيعة فلان اذا اختصه لموضع نعمته كقوله تعالى واصطنعتك لنفسي وقوله لم يمنعنا الى قوله فلسنا
في معرض الافتخار ايضا وعادي منسوب الى عاد قوم هود والنسبة اليه كناية عن القدم ووجه الامتنان هو انهم لم يمنعوا لفضلهم
من خلطهم اياهم بانفسهم في مناكحتهم وفعل الاكفاء منصوب على المصدر عن فعل مضمر وقوله هناك كناية عن مرتبة الاكفاء في
النكاح اي ولستم اهلا لتلك المرتبة والواو في ولستم للحال والعامل خالطناكم ثم اشار الى بيان ما ادعاه من نفي كونهم اهلا لمماثلتهم
بالمقابلة بين حال بني هاشم وحال بني امية ليظهر من تلك المقابلة رذيلة كل واحد ممن ذكر من بني امية بازاء فضيلة كل واحد ممن
ذكر من بني هاشم ويظهر فضائل الافراد ورذائلهم يتبين نسبة البيتين في الشرف والخسة فذكر النبي ص وبازائه المكذب له من بني امية
وهو ابو جهل بن هشام واليه الاشارة بقوله تعالى وذرني والمكذبين الآية قيل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا عشرة وهم ابو جهل وعتبة

من كتاب له الى معاوية

وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بنيه وعتبة ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحرث والحرث بن عامر وابي بن خلف وزمعة بن الاسود
فذكر النبي صلى الله عليه وآله بفضيلة هي النبوة وذكر ابا جهل بن هشام برذيلة هي تكذيبه ثم اسد الله وهو حمزة بن عبد المطلب سماه رسول الله ص
بذلك لشجاعته وذبه عن دين الله وقابله باسد الاحلاف وهو اسد بن عبد العزى والاحلاف هم عبد مناف وزهرة واسد وتيم و
الحرث بن فهر وسموا الاحلاف لان بني قصي ارادوا ان ينتزعوا بعض ما كان بايدي بني عبد الدار من اللواء والندوة والحجابة والرفادة
وهي كل شيء كان ترضخه قصي على قريش لطعام الحاج في كل سنة ولم يكن لهم الا السقاية فتحالفوا على حربهم واعدوا للقتال ثم رجعوا
عن ذلك ناكصين واقروا ما كان بايديهم ثم سيدا شباب اهل الجنة وهما الحسن والحسين عليهما السلام وقابلهما بصبية النار فقيل هم
صبية عقبة بن ابي معيط حيث قال له الملك ولهم النار وقيل هم ولد مروان بن الحكم الذين صاروا اهل النار عند البلوغ وكانوا صبية
حين اخبر بذلك ثم خير نساء العالمين وهي فاطمة عليها السلام وقابلها منهم بحمالة الحطب وهي ام جميل بنت حرب عمة معوية كانت تحمل حزم
الشوك فتنثرها بالليل في طريق رسول الله ص ليعقره وعن قتادة انها كانت تمشي بالنميمة بين الناس فتلقي بينهم العداوة وتهيج
نارها كما توقد النار بالحطب فاستعير لفظ الحطب لتلك النميمة للمشابهة المذكورة ومنه قولهم فلان يحطب على فلان اذا كان يغري
به وقوله في كثير الى قوله وعليكم وهذا الذي ذكرناه من فضايلنا ومذامكم قليل في كثير مما لنا من الفضايل وعليكم من الرذايل
ش قال عليكم من ... بل لان الامور ثمراتها وما تستلزمه وثمرة الرذايل على الشخص مضرتها وتبعاتها وقوله فاسلامنا الى قوله لا يدفع
اشارة الى ان شرف بيته على غيره لا يختص به في الاسلام فقط فان شرف بني هاشم في الجاهلية ايضا مشهور ومكارم اخلاقهم لا يدفعها
دافع وقد نبهنا على ذلك في المقدمات وكما نقل عن جعفر بن ابي طالب لما اسلم قال له النبي ص ان الله شكر لك ثلث خصال في الجاهلية
فما هي قال يا رسول الله ص ما زنيت قط لاني قلت في نفسي ان ما لا يرضاه العاقل لنفسه لا ينبغي ان يرضاه لغيره تكرما ولا كذبت
كذبة قط تأثما ولا شربت الخمر قط لاني رأيت انها تذهب العقول وقوله وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا اي يوجب لنا صريح حكمه ويجمع
لنا ما شذ عنا من هذا الامر وسلبناه وهو شروع في الاحتجاج على اولويته من غيره بهذا الامر من الخلفاء ومن يطمع في الخلافة ومن
ذلك من وجوه احدها قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وتقرير الاستدلال انه عليه السلام من اخص اولي الارحام بالرسول ص
وكل من كان كذلك فهو اولى به وبالقيام مقامه مع كمال استعداده لذلك اما الصغرى فظاهرة واما الكبرى فللآية الثاني قوله تعالى
ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه الآية وتقرير الاستدلال انه ع كان اقرب الخلق الى اتباع رسول الله ص واولى من امن به وصدقه
وافضل من اخذ عنه الحكمة وفصل الخطاب كما بيناه وكل من كان كذلك فهو اولى بخلافته والقيام مقامه فيما جاء به الاية فظهر انه
انه ع اولى برسول الله ص وبمنصبه تارة من جهة قرابته وتارة من جهة طاعته واتباعه الثالث قوله ولما احتج المهاجرون الى قوله دعواهم وهو الزام لهم
وصورته ان الانصار لما طلبوا الامامة لانفسهم وقالوا للمهاجرين منا امير ومنكم امير احتج المهاجرون عليهم برسول الله ص وانهم من
شجرته التي اشار الى كون الائمة منها بما رووه عنه من قوله الائمة من قريش فسلموا لهم ذلك وفلجوا عليهم فلا يخلو ذلك الفلج
ان يكون بكونهم اقرب الى النبي ص من الانصار او بغير ذلك فان كان الاول فاهل بيته اولى بذلك الحق لانهم اقرب الى النبي ص من هؤلاء وهم
ثمرة تلك الشجرة وغاياتها وان كان بغيره فحجة الانصار قائمة ودعواهم للامامة باقية اذ لم يكن ما رووه من الخبر لهم الا من جهة
كونهم من قريش الموجب لقربهم وبعد الانصار عنه وقد عرض ان حجة الاقربية غير معتبرة هنا السادس جوابه عما ادعاه بزعمه من حسده
للخلفاء وبغيه عليهم وتقرير الجواب انه لا يخلو اما ان تكون هذه الدعوى صادقة او كاذبة فان كانت صادقة كما زعمت فليست
جنايتي عليك حتى يكون عذري عنها اليك بل تلك فضول منك وخوض فيما لا يعنيك واكد ذلك بالمثل والبيت لابي ذويب
واولها وعيرها الواشون اني احبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها يضرب لمن ينكر امرا ليس منه في شيء ولا يلزمه منه انكاره
السابع جوابه عما ادعاه توبيخا له وغضا من منصبه وهو قوده الى البيعة للخلفاء قبله كما يقاد الجمل المخشوش قهرا وكرها واذلالا وهو
وجه التشبيه فقلب تلك الدعوى وبين ان ذلك ليس مما له مذمة ولا فضيحة بل علي مدحها واشار الى كونها مدحا ما ليست ذما
بقوله وما على المسلم الى قوله بنفسه ووجه ذلك انه ع لما كان ثابتا على اليقين التام في علومه متبرئا عن الريب والشبهة في دينه فكان
اذ ذلك هو الكمال الحق والفضل المبين الذي لا نقصان معه لم يكن عليه غضاضة في ظلم غيره له ولم يلحقه بذلك نقصان ولا ذم بل كان
اقترانه بالثبات على الدين الخالص مع الاجماع على ظلمه فضيلة تخصه فيكون ذكرها مستلزما للمدحة العظيمة وكذلك ليس في ذكرها
فضيحة عليه اذ الفضيحة هي اظهار عيب الانسان ونقصه وحيث لا عيب فلا فضيحة واما انها فضيحة لمعوية فلظهور نقصانه في عدم
الفرق بين ما يمدح المرء به ويذم وقوله وهذه حجتي الى قوله ذكرها اي ان حجتي هذه على كوني مظلوما في اخذ البيعة لغيري ليست
انت المقصود بها اذ لست في هذا الامر في شيء فتخاطب فيه بل المقصود بها غيرك واراد الذين ظلموا ولكنما ذكرت لك منها بقدر ما دعت
الحاجة اليه وسنح لي ان اذكره في جوابك الثامن جوابه عما ادعاه عليه في امر عثمان من التسبب في قتله وذلك قوله فلك ان تجاب عن هذه

لغيره

لهم

لرحمك

كتب له كتبه الى اهل البصرة

رجال منه مع انكاره عليه ما سبق من الكلام فان فيه ارشادا عظيما لوضع الكلام مواضعه وتنبيها على انه لا يجوز ان يخوض الانسان فيما لا يعنيه وقوله
وجعل منه لكونه من بني امية وحاصل جوابه انه عكس عليه ما ادعاه وبين انه هو الذي كان عدوه وعدوا له فانه عم كان ناصره ومعرض
نفسه للذب عنه فاستفهم عن ايهما كان اعدى عليه واهدى لمقاتله اي لوجوه قتله ومواضعه من الاراء والحيل استفهام توبيخ له
واراد بقوله امن بذل نصرته الى قوله فاستقعده واستكفه نفسه عليه السلم وذلك ان عثمان كان متهما له عم بالدخول في امره فلما اشتد عليه
الحصار بعث اليه وعرض نصرته فقال لا احتاج الى نصرتك لكن اقعد عني وكف شرك وذكر نفسه بصفة بذل النصرة ليظهر خروجه عما
نسب اليه من دمه وهو في قوة صغرى قياس ضمير تقديرها اني بذلت له نصرتي وتقدير كبراه فكل من بذل لغيره نصرته فليس من
شانه ان يتهم بخذلانه وينسب الى المشاركة في دمه واشار الى معوية في دمه بقوله ام من استنصره فتراخى عنه وبث المنون اليه
وذلك انه بعث حال حصاره الى الشام مستصرخا بمعوية فلم يزل يعده ويتراخى عنه لطمعه في الامر الى ان قتل وذكر القدر ونسبة القتل
اليه هيهنا مناسب لتبريه من دمه والكلام ايضا في قوة صغرى قياس ضمير احتج به على ان معوية هو الساعي في قتله وتقديرها انك
ممن استنصره واستعان به فتراخى وقعد عنه وبث المنون اليه وعزوه عنه وثبط عن نصرته واشار الى ذلك بقوله لقد علم الله الاية وقوله ان
رد دعواه عن نفسه بقوله كلا اي كلا لم اكن انا اعدى عليه ولا اهدى لمقاتله منك وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فهو
اولى بالنسبة الى دمه والسعي في قتله والاية نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يثبطون اصحاب رسول الله صلعم عن القتال وقوله وما
كنت اعتذر اشارة الى ما عساه كان سببا لتوهم كثير من الجهال انه دخل في دمه وهو انكاره عليه ما كان نقمه الناس عليه من احداثه ثم
اخذ شرعها انها مثل وبيان ان ذلك الذنب انما يعتذر عنه لانه كان ارشادا له وهداية فان يكن ذلك هو الذي توهمه ذنبا اليه
فلا اعتذر عليه فرب ملوم لا ذنب له وانا ذلك الملوم اذ لم يكن ما فعلته ذنبا وقد يستفيد الظنة المتنصح وانا ذلك المتنصح اذ لم يكن
قصدي الا اصلاح ذات البين بقدر الاستطاعة وقوله فرب ملوم لا ذنب له مثل لاكثم بن صيفي ويضرب لمن قد ظهر للناس منه
امر انكروه عليه وهم لا يعرفون حجته وعذره فيه وكذلك قوله وقد يستفيد الظنة المتنصح يضرب مثلا لمن يبالغ في النصيحة حتى يتهم
انه غاش وصدر البيت وكم سقت في اثاركم من نصيحة وقد يستفيد الظنة المتنصح العاشر جوابه عن وعيده له بالحرب التي كنى
بالسيف عنها فقوله فلقد اضحكت بعد استعبار كناية عن ان وعيده له من ابلغ الاشياء المستلزمة لابلغ عجب اذ كان الضحك
بعد البكاء انما يكون للتعجب البالغ عن ريب وهو كالمثل في معرض الاستهزاء به وقيل معناه لقد اضحكت من سمع منك هذا تعجبا بعد
بكائه على الدين لتصرفك فيه وقوله متى الفيت الخ استفهام له عن وقت وجدانه لبني عبد المطلب بصفة النكول عن الحرب
والخوف من السيف استفهام انكار لوقت وجدانهم كذلك في معرض التنزيه لهم عن الجبن والفشل وقوله فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل مثل
يضرب للوعيد بالحرب واصله ان حمل بن بدر رجل من قشير اغير على ابله في الجاهلية في حرب داحس والغبراء فاستنقذها وقال لبث قليلا
يلحق الهيجا حمل ما احسن الموت اذا الموت نزل وقيل اصله ان مالك بن زهير توعد حمل بن بدر فقال حمل لبث قليلا يلحق الهيجا حمل البيت
فارسل مثلا ثم انه قتل مالكا فظفر اخوه قيس بن زهير به وباخيه حذيفة فقتلهما وقال شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة
قد شفاني وقوله فسيطلبك من تطلب الخ شروع في المقابلة بالوعيد بالمسير اليه بالجيش العظيم ووصفه باوصاف
تزلزلا وكان العدو من شدة الزحام وسطوع القتام الى اخره وشدة ومسربلين نصب على الحال وسرابيل مفعول به للمسربلين وسربال
الموت كناية اما عن الدروع والعدة التي يلقون بها الموت ويخوضون في غمراته واما عن ملابسهم من الثياب والهيئات والاحوال
التي وطنوا انفسهم على القتل فيها كالاكفان لهم وانما كان احب اللقاء اليهم لقاء ربهم لكمال يقينهم بما هم عليه من الدين الحق وتيقنهم بالوعد
الالهي الصادق والذرية البدرية التي صحبتهم اشارة الى ولد من كان من المسلمين مع النبي صلعم يوم بدر وقد ذكرنا ان اخاه المقتول
حنظلة بن ابي سفيان وخاله الوليد بن عتبة وجده عتبة بن ربيعة ابو هند ام معوية وكنى بالظالمين في الاية عن معوية واصحابه
وجميع ما ذكره من اوصاف الجحفل وما صحبه من الذرية البدرية والسيوف الهاشمية للتذكير بمواقعها ممن وقعت به من اهله
ووعيد ان يصيبه منها ما اصابهم من ابلغ ما يعد به لتحطيب الانفعال والخوف وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى اهل
البصرة وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه فعفوت عن مجرمكم ورفعت السيف عن مدبركم وقبلت
من مقبلكم فان خطت بكم الامور المردية وسفه الاراء الجائرة الى منابذتي وخلافي فها انا ذا قد قربت جيادي ورحلت
ركابي ولئن الجأتموني الى المسير اليكم لاوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل اليها الا كلعقة لاعق اني لعارف لذي الطاعة
منكم فضله ولذي النصيحة حقه غير متجاوز متهما الى بري ولا ناكثا الى وفي **اقول** غبيت عن الشيء وغبيته اذا لم تفطن له
والمراد به اهلكم والجائرة المنحرفة عن سواء الصواب والمنابذة المخالفة والمراد انه ما تعهد والتسعير وقد ندب في هذا الفصل بوضع ذنوبهم
وتقريرها عليهم ليحسن عفوه عنها اذ هو والمواخذة واستعار لفظ الحبل لسعتهم اياه ولفظ الانتشار لتكثيرهم ووجه الاستعارة الاولى كون

كتاب له كتبه الى معاوية

ايبعثوهم جامعا لهم ناظرا لامورهم ومتمسكا به وصل الى رضاء الله كالحبل لشاطئ البحر ووجه الشبه ظاهر وقوله ما لم تغبوا عنه
اي علمتم بما فعلوه وتعهدتم لعله لينا كد عليهم الحجة ثم اشار الى ذنوبهم اسبقها بذكر امور فقابلها بها كرما وهي العفو عن مجرمهم
ورفع السيف عن مدبرهم وقبوله من اقبل اليه منهم والرضا عنهم ثم اردف ذلك بوعيدهم بكونه مستعدا لقتالهم وايقاعه بهم وخصه
بشيئين صغرهما وقعة الجمل ان لو عادوا الى الفتنة واستعار لفظ الخطوط لسوق الامور المهلكة وسفه الآراء الجائرة بهم الى منابذته
ومحاربته ثانيا ووجه المشابهة تاديها بهم الى خلافه كتادي القدم بصاحبها الى غايته وتقدير الشرط فان عادتم الى خلافي فها انا
مستعد لكم وكنى بتقريب جياده وترحيل ركابه عن كونه مستعدا للكرة عليهم وحملها شال ذنب الرحال على ظهورها ويكفي ذلك
في وعيدهم على خلافه لان تجرد خلافهم عليه لا يستلزم وجوب ايقاع اوقعه بهم لاحتمال ان يرجعوا ويتوبوا وعيده ايضا بهم
على الاستعداد لحربهم والايقاع بهم فلذلك جعل الشرطين وعيده بالايقاع بهم ان الجأوه الى المسير اليهم ومحاربتهم بذلك لانه
يعلم ان الامر لا يستقيم الا بالايقاع بهم فجمله ضرورة حفظ الدين على ذلك وقوله في وصف تلك الوقعة لا يكون يوم الجمل الى قوله
لاعق كناية عن غاية شدة ايقاعه بهم ووجه تشبيه وقعة الجمل بالنسبة اليها باللعقة هو الحقارة والصغر ثم لما توعدهم بما يخشى
من الوعيد ردفه بما يرجى منه من ذكر اعترافه بفضل ذي الطاعة وبحق ذي النصيحة منهم واشعره متجاوزا منهما بعقوبته الى بريء ولا
ناكثا بعهده الى وفي بر لئلا اشتد عليهم وطالما تيئسوا من رحمته فيشتد نفارهم منه ويكون ذلك داعية فسادهم **ومن**

كتاب له عم الى معوية فاتق الله فيما لديك وانظر في حقه عليك وارجع الى معرفة ما لا تعذر بجهالته فان للطاعة
اعلاما واضحة وسبلا نيرة ومحجة نهجة وغاية مطلوبة يردها الاكياس ويخالفها الانكاس من نكب عنها جار
عن الحق وخبط في التيه وغير الله نعمته واحل به نقمته فنفسك نفسك فقد بين الله لك سبيلك وحيث تناهت
بك امورك فقد اجريت الى غاية خسر ومحلة كفر وان نفسك قد اولجتك شرا واقحمتك غيا واوردتك المهالك
واوعرت عليك المسالك **اقول** هذا الكتاب اما بعد فقد بلغني كتابك تذكر مشاغبتي وتستقبح موازرتي وتزعمني
متجبرا وعن حق الله مقصرا فسبحان الله كيف تستجيز الغيبة وتستحسن العضيهة اني لم اشاغب الا في امر بمعروف او نهي عن منكر ولم اتجبر
الا على مارق او ملحد او منافق ولم آخذ في ذلك الا بقول الله سبحانه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم واما التقصير في حق الله فمعاذ
الله جل ثناؤه من عطل الحقوق المؤكدة وركن الى الاهواء المبتدعة واخلد الى الضلالة المحيرة ومن العجب ان تصف يا معوية
الاحسان وتخالف البرهان وتنكث الوثائق التي هي لله عز وجل طلبة وعلى عباده حجة مع نبذ الاسلام وتضييع الاحكام وطمس
الاعلام والجري في الهوى والتهوس في الردى ثم يتصل بقوله فاتق الله الفصل المذكور ومن هذا الكتاب ايضا وان للناس جماعة يد الله
عليها وغضب الله على من خالفها فنفسك نفسك قبل حلول رمسك فان الى الله الرجعى والى الحشر المهطع وسيبهضك كربه
ويحل بك غمه في يوم لا يغني النادم ندمه ولا يقبل من المعتذر عذره يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون والعضيهة الافك
والبهتان والطمس اخفاء الاثر والمحجة الواضحة وطلبة بكسر اللام المطلوب والاكياس العقلاء والانكاس
جمع نكس وهو الدني من الرجال ونكب عدل والخبط المشي على غير استقامة والعجب الحسرة والاقحام الدخول في الامر بشدة و
الوعر الشديد والمهطع المسرع ثم بعد الامر بتقوى الله والفصل موعظة فاشار عليه بتقوى الله فيما لديه من مال المسلمين وفيما من
ينظر في حقه عليه واما نعمته فيقابلها بالشكر والطاعة وان يرجع الى معرفة ما لا عذر له ان يجهله من وجوب طاعة الله ورسوله ومن
الامام الحق وقوله فان للطاعة الى قوله وصحة اي طاعة الله واستعار لفظ الاعلام لما يدل على الطريق الى الله من الكتاب والسنة والقوانين
العقلية ومن جملتها ائمة الحق والهدى فانهم اصل تلك الاعلام وحاملوها وعنى بالسبل النيرة والمحجة النهجة الطرق الى الله الدالة
عليها باعلامها المذكورة وبالغاية المطلوبة من الحق الخالق وصولهم الى حضرة قدس الله طاهرين مجردين عن الهيئات البدنية الدنية
مشبهين بالكمالات الالهية والعناية به واعلم ان الطاعة اسم لقصد تلك الاعلام وسلوك تلك المحجة فلذلك اسند اليها الغاية والضمير في
قوله يردها ويخالفها وعنها يرجع الى المحجة والاعلام لواضحة عليها وظاهرات العقلاء هم الذين يختارون ورود تلك المحجة وقصد اعلامها
وان الانكاس هم المخالفون عنها فيعدلون عن صراط الله الحق ويخبطون في تيه الجهل فيغير الله بذلك نعمته عليهم ويبدلهم
بها نقمته في دار الجزاء ثم لما اشار عليه بما سبق ووضع له سبل السلامة وما يلزم مخالفها من تغيير نعمة الله وحلول نقمته امره ان
يحفظ نفسه بسلوك تلك السبل عما يلزم مخالفتها والعدول عنها من الامور المذكورة ثم اعلم بان الله بين له سبيله واراد سبيل
طاعته المأمور بسلوكها وعوقب تقرير فيا من خبرنا تسكل الاول وجب عليه سلوك تلك السبيل وتقدير الكبرى وكل من
بين الله له سبيله التي اوجب عليه سلوكها فقد وجب عليه حفظ نفسه بسلوكها وقوله وحيث تناهت بك امورك تخسيك
سائقا فيك اليه ثم فسر ذلك الحيث الذي ينتهي امره بالوقوف عنده وهو غاية الخسر الى غاية المسالك المحرمة والتي هي منزلة من

٣٠٣ الجزو

وصيته لابنه الحسن ع

الكفر والخبر انه قد اجمع ابها وكفى بها غاية شر واجرائها الى تلك الغاية كناية عن سعيه وعمله ما يستلزم وصوله اليها يقال اجرى
فلان الى غاية كذا اى قصدها بفعله وما اوصله من اجراء الخيل للسباق ولفظ الخيل مستعار لنفسه الى رضوان الله والكمال
الموصلة اليه وانما جعل تلك الغاية التي اجرى اليها متروك ذكره لان الغايات الشريرة لها منهي عن قصدها من مناسك الكتاب و
مقاماتهم ممن سلك اليها فقد قصدها وطلبها اختيارا فقد الحق بمنازل الكفر ومحاله وقوله وان نفسك قد اولجتك شرا
اى دخلتك في شر الدنيا والاخرة واراد نفسه الامارة بالسوء بما سولت له من معصية الله وبما اقتحم امام الحق وبهوى قد
اوطتك اى لفتك في الوصل وهو مستعار لما وقع فيه من المعصية وكالاختلاط عن الجهل والحمتك
غيا اى دخلتك في الغي والضلال واوردتك المهالك اى الموارد المهلكة من الشبهات
والمعاصي واوعرت عليك المسالك اى مسالك الهدى وطرق الخيرات لان النفس الامارة
بالسوء اذا اعتادت الانسان سبيل الضلالة وسهلت عليه سلوكها
بوسوستها وتحسينها للغايات الباطلة لزم بسبب ذلك البعد عن
طرق الهدى ومسالك الخير واستصعاب سلوكها والله
التوفيق والعصمة وبه الحول والقوة والعون
والله الحمد بتم المجلد الرابع من كتاب
مصباح السالكين لنهج البلاغة
بعون الله وحسن توفيقه
ويتلوه في المجلد الخامس
ان شاء الله وصيته
له عليه السلام لابنه الحسن
عليهما السلام وكتب العبد الفقير الى رحمة
حسين ابن الحاج ميرزا محمد الخوانساري

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن وصية له عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام كتبها اليه بحاضرين عند انصرافه من صفين **اقول** روى جعفر بن بابويه
القمي رحمه الله ان هذه الوصية كتبها عليه السلام الى ابنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه وهي من افصح الكلام واجمعه واشتماله على فنون الحكمة ولطايفها وكل (اجمعه)
عبارة تجذب بها الى سبيل الله وحاضرين اسم موضع بالشام وفيها فصول **الفصل الاول** قوله من الوالد الفان المقر
للزمان المدبر العمر المستسلم للدهر الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى الظاعن عنها غدا الى المولود المؤمل ما لا يدرك
السالك سبيل من قد هلك غرض الاسقام ورهينة الايام ورمية المصائب وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا و
اسير الموت وحليف الهموم وقرين الاحزان ونصب الافات وصريع الشهوات وخليفة الاموات **اقول** الرهينة ما يرهن
والرمية الهدف والتاء لنقل الاسم من الوصفية الى الاسمية والصرعة والحليف الحالف والنصب الشيء المنصوب وهذا الفصل كالعنوان
للوصية وقد ذكر لنفسه اوصافا سبعة ولولده اربعة عشر في معرض الوعظ والتنفير عن الدنيا والركون اليها وضاعف الاوصاف
لولده لانه المقصود بالوصية والموعظة فالاول من الفان واللفظ هنا مجاز تسمية له باسم غايته ووقف على النقوص بحذف الياء
المراعاة القرينة الثانية وقد علمت جوازه الثاني المقر للزمان اى بالغلبة والقهر المعترف بالعجز في يد تصريفاته كالمقدر خصمه

في وصيته لابنه الحسن ع

نا باسو بقر الاقران لما ان الثالث المدبر للعمر وهذا لك مما كان عليه السلم قد حذف على السبتين الرابع المستسلم للدهر وهو ابلغ من المقر للزمان الخامس الذام
للدنيا ولعل عليه السلم لما فرغ منها ومنقرا بذكر معايبها السادس الساكن مساكن الموتى وهو تنفير عن الركون الى الدنيا والمقام بها بذكر كونها
مساكن الموتى انه كان نفس مساكنهم يوشك ان يلحق بمنازلهم ونفر بحبا التنبيه من قوله تعم وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم الاية
السابع الظاعن عنها غدا وهو تذكير بالمفارقة وعد كناية عن قربها ولفظ الظاعن مستعار له وانما وصاف المولود فالاول المومل ما لا يدرك
وفيه تنفير عن طول الامل انكان ينسي الاخرة وجعل وجه التنفير تامله ما لا يدرك وظاهر ان الانسان ما دام في هذه الدار موجه امله نحو
مطالبها كما اشار اليه سيد المرسلين صلعم يشيب ابن ادم ويشب فيه خصلتان الحرص والامل وذلك يستلزم انقضا مدته دون بلوغها الثاني
السالك سبيل من قد هلك وسبيلهم سفرهم من الدنيا الى الاخرة وقطعهم لمنازل الاعمار واضافها الى من هلك تذكيرا بالموت الثالث
غرض الاسقام واستعار لفظ الغرض له باعتبار كونه مرميا بسهام الامراض كالغرض الرابع رهينة الايام واستعار له لفظ الرهينة باعتبار
ان وجوده مربوطا بالاوقات وداخل في حكمها كما يرتبط الرهن بيد مرتهنه الخامس ورمية المصائب هو كقوله غرض الاسقام السادس
وعبد الدنيا ولفظ العبد مستعار بان طالب الدنيا منقاد بطبيعته اليها وعامل لها كما ينقاد العبد لسيده ويعمل له السابع وتاجر
الغرور اي تجارته لها غرور وغفلة عن المكاسب الحقيقية الباقية ولفظ التاجر مستعار له باعتبار تبديله ماله واعماله في شراء الدنيا على
وهم انها هي المطالب الحقة المربحة الثامن وغريم المنايا ولفظ الغريم مستعار له باعتبار طلب الموت له كالمتقاضي بالرحيل كما يتقاضى
الغريم التاسع استعار له لفظ الاسير باعتبار انقياده للموت وعدم تمكينه من الخلاص العاشر وحليف الهموم الحادي عشر وقرين الاحزان
واستعار لفظي الحليف والقرين له باعتبار عدم انفكاكه عن الهموم والاحزان كما لا ينفك الحليف والقرين عن حليفه وقرينه الثاني
عشر ونصب الافات كقوله ورمية المصائب الثالث عشر وصريع الشهوات ولفظ الصريع مستعار له باعتبار كونه مغلوبا بالشهوات مقهورا
لها كالقتيل الرابع عشر وخليفة الاموات وفيه تنفير عن الدنيا بتذكير الموت لان خليفة الاموات في معرض اللحوق بهم ونحوه قول
بعض الحكماء ان امرءا ليس بينه وبين ادم الا اب ميت لمعرق النسب في الموت **الفصل الثاني** قوله اما بعد فان فيما تبينت من ادبار الدنيا
عني وجموح الدهر علي واقبال الاخرة الي ما يزعني عن ذكر من سواي والاهتمام بما ورائي غير اني حيث تفرد بي دون هموم الناس
هم نفسي فصدفني رأيي وصرفني عن هواي وصرح لي محض امري فافضى بي الى جد لا يكون فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب
ووجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كان شيئا لو اصابك اصابني وكان الموت لو اتاك اتاني فعناني من امرك ما يعنيني من
امر نفسي فكتبت اليك كتابي هذا مستظهرا به ان انا بقيت لك او فنيت **اقول** جمح الفرس اذا غلب صاحبه فلم يملكه ويزعني يمنعني والمحض
الخالص وافضى اي انتهى والتبين المزج والخلط وقابل في لفظه بين الاقبال والادبار والاخرة والدنيا وقد اشرنا الى معنى ادبار الدنيا
واقبال الاخرة في قوله الا وان الدنيا قد ادبرت واستعار لفظ الجموح للدهر باعتبار عدم تمكنه من ضبطه في تغيراته وتصريفاته الخارجة
عن اختياره كالجموح من الخيل وما الاولى بمعنى الذي ويحتمل ان تكون مصدرية وعلى المعنى الاول يكون من للتبيين وعلى الثاني
للابتداء لغاية وما الثانية بمعنى الذي ومحلها الرفع بالابتداء وفيما تبينت خبره ومستظهرا حال ومدار الفصل على اعلامه اياه انه في
معرض الرحيل وان ذلك الوقت هو وقت الاهتمام بحال نفسه وبحاله لتنزله منزلة نفسه وانه شديد الاهتمام بحاله ليكون ذلك
ادعى لقبول وصيته وهو كالتوطئة والتمهيد لها ثم اعلمه انه فيما تبين له من الامور المذكورة قرب رحيله الى الله وذلك هو الذي وزعه
ومنعه عن ذكر ما سواه والاهتمام بما وراءه من المصالح المتعلقة بصلاح الخلق ونظام العالم اذ كان ذلك هو وقت التضييق على الانسان
فيما هو اهم عليه من الاستكمال بالفضائل والاستعداد للقاء الله دون ما سبق من اوقات الشبيبة واستقبال العمر لاتساعها لصلاح
حال الغير والاشتغال بالامور الكبار حتى وانه حين حيث تبين له ذلك وتفرد به هم نفسه دون غيرها وصدفه رأيه بكشفه لها بان ينبغي ان
يكون اشتغاله بمن امر نفسه ووجوب العمل لها فيما بينهما وصرفه عن هواه فيما يخرج عنها اذ كان اجود الاراء واصدقها في الامر عند
شدة الاهتمام به وصرح له خالص امره وما ينبغي له وانتهى به الى جد وصدق خالصين من شائبة اللعب والكذب ثم جعله بعضا منه وهو
كناية عن شدة اتصاله به وقربه منه ومحبته له كما قال وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض بل وجده كله اي عبارة عن كله اذ كان
هو الخليفة له والقائم مقامه ووارث علمه وفضائله وتدل على شدة قربه منه وانه بمنزلة نفسه بذكر الغايتين في قوله حتى الى قوله
اتاني ووجه التشبيه بين ما يصيبه وبين ذلك الشيء وان لم يصبه شدة تالمه به واعلم ان ذلك الوجدان وان كان طبعا
كما يحصل للوالد في امر ولده لكنه مما لزم المتفطن له في اخر العمر عند تذكر انقطاع الدنيا لما في طبعه من محبة بقاء الذكر الجميل
والحرص على دوام الخير والاثار الصالحة في العالم ولذلك جعله لازما لتفرده هم نفسه به وصدق رأيه في النصيحة وروى محض
مرفوعا على الفاعلية ومنصوبا باسقاط حرف الجر والتقدير عن محض امري ثم نبه على ان من لوازم وجدانه له كلا وجدانه من امره
عناه واهمه ما يهمه من امر نفسه فكتب اليه هذه الوصية ليكون له ظهرا ومستندا يرجع اليه العمل بها في حالتي بقائه له وفنائه عنه

اركان

اذ كان ما اشتملت عليه هذه الوصية من الحكم والآداب ومكارم الاخلاق وتعريف سلوك سبيل الله ما راض به نفسه في مدة عمره اقتفاء لآثار
الرسول ص واقتداء به فاقتضت عنايته به ان يحث على العمل بها والله التوفيق **وافضل السلام** قوله فانّي اوصيك بتقوى الله اي
بنيّ ولزوم امره وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله واي سبب اوثق من سبب بينك وبين الله ان انت اخذت به احي قلبك
بالموعظة وامته بالزهادة وقوّه باليقين ونوّره بالحكمة وذلّله بذكر الموت وقرّره بالفناء وبصّره فجائع الدنيا وحذّره
صولة الدهر وفحش تقلّب الليالي والايام واعرض عليه اخبار الماضين وذكّره بما اصاب من كان قبلك من الاولين وسر في
ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعمّا انتقلوا واين حلّوا ونزلوا فانّك تجدهم قد انتقلوا عن الاحبّة وحلّوا دار الغربة
وكانّك عن قليل قد صرت كاحدهم فاصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لم تكلّف
وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته فانّ الكفّ عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال وأمر بالمعروف تكن من اهله
وانكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك وجاهد في الله حقّ جهاده ولا تأخذك في الله لومة لائم وخض
الغمرات الى الحقّ حيث كان وتفقّه في الدين وعوّد نفسك التصبّر على المكروه ونعم الخلق التصبّر والجئ نفسك في الامور
كلّها الى الهك فانّك تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز واخلص في المسئلة لربّك فانّ بيده العطاء والحرمان واكثر الاستخارة
وتفهّم وصيّتي ولا تذهبنّ عنك صفحا فانّ خير القول ما نفع واعلم انّه لا خير في علم لا ينفع ولا ينتفع بعلم لا يحقّ تعلّمه

اقول الغمرات الشدائد والمثوى محلّ الثواء والاقامة وهذا حين افتتح ما يريد ان يوصي به واشتمل هذا الفصل من ذلك على امور
احدها تقوى الله وقد علمت حقيقتها فيما سلف وتنبيه ان يكون المراد هنا الخوف منه ثمّ الثاني لزوم امره وهو من لوازم تقوى
الثالث عمارة قلبه بذكره واستعار لفظ العمارة لتكميل قلبه بذكر الله واكثاره منه لانّه روح العبادات وكمال النفس كما انّ العمارة
كمال الدار وهو داخل في لزوم ذكره لقوله تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون الرابع الاعتصام بحبله واستعار لفظ الحبل لما يوصل اليه من دينه
فيكون التمسّك به سببا للنجاة كالحبل والمراد بالاعتصام الامتناع بالتمسّك به من عذاب الله ثمّ استفهم عن سبب اوثق منه استفهام انكار
وتعجّب من ربّما ظنّه وهو داخل في لزوم امره لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا الخامس امره ان يحيى قلبه بالموعظة واستعار وصف الاحياء له
باعتبار تكميله لنفسه بالعلم والاعتبار الحاصل من الموعظة كما يكمل المرء بالحيوة السادس قوله احي قلبك وبين قوله امته السابع ان
يقويه باليقين اي من ضعف التحمّل للصعود الى افق عليين والنهوض الى مقام الابرار ولمّا كان اليقين ذو خير استعداد وقوّة في العلم
ناسب ان يجعله تقوية للقلب الثامن وان ينوّره بالحكمة واستعار لفظ التنوير بالحكمة لها باعتبار انّ ذلك سبب هداية لسبيل
الله في ظلمات الجهل كما مرّ وقد عرفت الحكمة واقسامها التاسع ان يذلّله بذكر الموت وذلك لانّ كثرة اخطاره بالبال يستلزم
الخوف ويكسر القلب عن جماحه في ميدان الشهوات ويذلّل من عزّة الكبر وهزة العجب وحمية الغضب العاشر ان يقرّره بالفناء اي
يحمله على الاقرار به بان يذكره له ليتاكّد علمه به الحادي عشر ان يبصّره فجائع الدنيا اي يحمله على النظر بعين البصيرة والاعتبار برزايا
الدنيا وآفاتها الثاني عشر ان يحذّره صولة الدهر وفحش تقلّب الليالي والايام ولفظ الصولة مستعار له ملاحظة لشبهه بالسبع
في شدّته وما يكون بسببه من الاذى الثالث عشر ان يعرض عليه اخبار الماضين ويذكّره ما اصابهم لينظر فيما فعلوا وعمّا انتقلوا
من الآثار العظيمة والملك الجسيم ويحصل من ذلك عبرة ويقايس حاله بحالهم ويستقرب لحاقه بهم ومصيره كاحدهم فيما صاروا اليه
ووجه التشبيه قرب حاله من حال احدهم واليه الاشارة بقوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا الآية الرابع عشر ان يصلح مثواه وهو
الدار الآخرة بلزوم الاعمال الصالحة ولا يبيع آخرته وما وعد فيها من الخيرات الباقية بما وجده في دنياه من اللذات الوهمية الفانية و
لفظ البيع مستعار الخامس عشر ان يترك القول فيما لا يعرف فانّ القول بغير علم يستلزم رذيلتي الكذب والجهل ويلحق به الذمّ ونحوه قول
الرسول ص لبعض اصحابه كيف بك اذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم واماناتهم وصاروا هكذا وشبّك بين اصابعه فقال
فقلت مرني يا رسول الله ص فقال خذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخويصة نفسك وكذلك قوله والخطاب فيما لم تكلّف كقوله ع
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه السادس عشر ان يمسك عن طريق اذا خاف ضلالته والمراد التوقف عند الشبهات وعدم التسرّع
الى سلوك طريق يشكّ في تاديته الى الحقّ فانّ توقفه وتثبّته عند طلب الحقّ الى ان يتضح له طريقه خير له من التعسّف وركوب
مجاهل الضلال به من الطرق السابع عشر ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فعلا وقولا ويباين من فعله بقدر امكانه وهو من فروض
الكفاية وعليهما مدار نظام العالم ولذلك كان القرآن الكريم والسنّة النبويّة مشحونين بهما واسند رغبه الى ذلك بقوله تكن من اهله
لانّهم اولياء الله الابرار المرغوب في الكون منهم الثامن عشر ان يجاهد في الله اعداء دينه الجهاد الحقّ واضافة حقّ الى جهاده اضافة
الصفة الى الموصوف لانّ الصفة من باب لام التاسع عشر ان لا يأخذه في الله لومة لائم وهو كناية عن نهيه عن التقصير في طاعة الله
ان كان من لوازم التقصير الخوف لوم اللائمين العشرون ان يخوض الغمرات الى الحقّ حيث كان ولفظ الخوض مستعار لمعاناة الشدائد

في وصيته الى ابنه الحسن

والعشرون فيها الطلب للحق الحادي والعشرون ان يتفقه في الدين ويتعلم الاحكام الشرعية ومباديها الثاني والعشرون ان يعود نفسه الصبر على المكروه وقد علمت ان احتمال المكروه فضيلة تحت الشجاعة وهو من مكارم الاخلاق الثالث والعشرون ان يلجئ نفسه في اموره كلها الى الهه و هو امر بالتوكل على الله والانابة اليه في كل مرغوب ومرهوب وقد علمت حقيقة التوكل وما يستلزمه واسند رجحانه الى ذلك بقوله فانك تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز واستعار لفظ الكهف له تعالى باعتبار ان من توكل عليه كفاه ومنعه مما يخاف كما يمنع الكهف من يلتجئ اليه الرابع والعشرون ان يخلص في دعائه ومسئلته لربه اذ كان ذلك من شرائط الاجابة واسند رجحانه الى الاخلاص بقوله فان بيده العطاء والحرمان المستلزم للانجذاب اليه والاعراض عن غيره والفاآت الثلث فيه وفي قوله فانك وقوله فان بيده جواب الاوامر الثلثة الخامس والعشرون ان يكثر الاستخارة اي الطلب الى الله تعالى ان يختار له فيما يأتي ويذر السادس والعشرون ان يتفهم وصيته ولا يعرض عنها وكنى عن الاعراض بها بالذهاب صفحا اي منصرفا على الحال ولا تذهبن معرضا واسند رجحان الاتباع لها بقوله فان خير القول ما نفع والتقدير فان وصيتي نافعة وما نفع فهو خير القول فاذن وصيتي خير القول ثم نبه بقوله و اعلم الى قوله تعلمه على ان من العلوم ما لا خير فيه لئلا يتشوق الى معرفته فيصده ذلك عن سلوك سبيل الله والعلم المؤدي اليه وذلك هي العلوم التي نهت الشريعة عن تعلمها كالسحر والكهانة والنجوم والنيرنجات ونحوها مما لا يكون سبيلا الى المقاصد الحقيقية التي سيقصد بالكلام واعلم ان كل علم لا يحق تعلمه اي لا ينبغي في الشريعة تعلمه وجوبا ولا ندبا فهو علم لا ينتفع به في طريق الاخرة فلا خير فيه لان الخير الحقيقي هو المنفعة الباقية عند الله فما لا منفعة فيه لا خير فيه ولذلك استعاذ الرسول صلى الله عليه وآله منه فقال واعوذ بك من علم لا ينفع فينتج ان كل علم لا يحق تعلمه فلا خير فيه وبالله التوفيق

الفصل الرابع

قوله اي بني اني لما رأيتني قد بلغت سنا ورأيتني ازداد وهنا بادرت بوصيتي اليك واوردت خصالا منها قبل ان يعجل بي اجلي دون ان افضي اليك بما في نفسي وان انقص في رأيي كما نقصت في جسمي او يسبقني اليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا فتكون كالصعب النفور وانما قلب الحدث كالارض الخالية ما القي فيها من شيء قبلته فبادرتك بالادب قبل ان يقسو قلبك ويشتغل لبك لتستقبل بجد رأيك من الامر ما قد كفاك اهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كفيت مؤونة الطلب وعوفيت من علاج التجربة فاتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه واستبان لك ما ربما اظلم علينا منه اي بني اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كاحدهم بل كأني بما انتهى الي من امورهم قد عمرت مع اولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل امر نخيله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ورأيت حيث عناني من امرك ما يعني الوالد الشفيق واجمعت عليه من ادبك ان يكون ذلك وانت مقبل العمر ومقتبل الدهر ذو نية سليمة ونفس صافية وان ابتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله وشرائع الاسلام واحكامه وحلاله وحرامه لا اجاوز ذلك بك الى غيره ثم اشفقت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من اهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم فكان احكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له احب الي من اسلامك الى امر لا آمن عليك فيه الهلكة ورجوت ان يوفقك الله فيه لرشدك وان يهديك لقصدك فعهدت اليك وصيتي هذه واعلم يا بني ان احب ما انت آخذ به الي من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك والاخذ بما مضى عليه الاولون من آبائك والصالحون من اهل بيتك فانهم لم يدعوا ان نظروا لانفسهم كما انت ناظر وفكروا كما انت مفكر ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فان ابت نفسك ان تقبل ذلك دون ان تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعلو الخصومات وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة عليه بالهك والرغبة اليه في توفيقك وترك كل شائبة اولجتك في شبهة او اسلمتك الى ضلالة فاذا ايقنت ان قد صفا قلبك فخشع وتم رأيك واجتمع وكان همك في ذلك هما واحدا فانظر فيما فسرت لك وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط العشواء وتتورط الظلماء وليس طالب الدين من خبط ولا من خلط والامساك عن ذلك امثل فتفهم يا بني وصيتي واعلم ان مالك الموت هو مالك الحياة وان الخالق هو المميت وان المفني هو المعيد وان المبتلي هو المعافي وان الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد او ما شاء مما لا تعلم فان اشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به فانك اول ما خلقت جاهلا ثم علمت وما اكثر ما تجهل من الامر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك وليكن له تعبدك واليه رغبتك ومنه شفقتك واعلم يا بني ان احدا لم ينبئ عن الله سبحانه كما انبأ عنه

[illegible]

نبينا

نبيّنا صلى الله عليه وآله فامض بين يديه والى النجاة قائدا فانى لم آلك نصيحة وانك لن تبلغ فى النظر لنفسك وان اجتهدت
مبلغ نظرى لك **اقول** الوهن الضعف والمبادرة المسارعة والسابقة والتقحم ضل والبغية الطلبة والتوخى القصد
وجمعت همتك العزم واستعمله الى كذا خابت بنيته وبقيته وهو مثل قرب الى الجبر وفى هذا الفصل مقاصد الاول انه اشار
الى بعض العلل الحاملة له على هذه الوصية وهى كونه قد بلغ سنا عاليا واخذ ازديادا فى الضعف وذلك انه كان قد جاوز
الستين ثم لازم من تلك خوفه لاجل الخصال المذكورة فبادره بها سابقا اليه وخصّ الا مفعول به وقدم من تلك الخصال الشى
الاولى ان يعجل به اجله الى الآخرة قبل ان يوصل اليه ما فى نفسه من الحكمة الثانية ان ينقص فى رأيه وذلك ان القوى النفسانية
تضعف عند علو السن لضعف الارواح الحاملة لها فينقص بسبب ذلك تصرف العقل وتحصيله للآراء والمصالح الثالثة ان
يسبقه اليه بعض غلبات الهوى فان الصبى اذا لم يؤخذ بالآداب فى حداثته ولم ترض قواه لطاعة العقل وموافقته كاد بصدد
ان يميل به القوى الحيوانية الى مشتهياتها وينجذب فى ايام هواه الى الاستعمال لها فيفتنه ويصرفه عن الوجهة الحقيقية وما ينبغى
له فيكون ح كالصعب النفور من الابل ووجه التشبيه انه يعسر حمله على الحق وجذبه اليه كما يعسر قود الجمل الصعب النفور بحسب
المنفعة ثم نبه على وجوب المبادرة اليه بالادب وزرعه فى قلبه بتمثيل صغرى فقوله وانما قلب الحدث الى قوله قبلته واشار
الى وجه التشبيه بقوله وما القى فيها من شئ قبلته وذلك ان قلب الحدث لما كان خاليا من الانتقاش بالعقائد وغيرها
مع كونه قابلا لما يلقى اليه من خير او شر فينتقش به اشبه الارض الخالية من النبات والزرع القابلة لما يلقى فيها من البذر وتقدير
الكبرى وكل قلب كان كذلك فيجب ان يسبق اليه بتسديد الآداب وغرس الحكمة فلذلك بادره بالادب قبل ان يقسو قلبه عن
الانقياد للحق والاشتغال بالامور الباطلة ثم اشار الى علة الاخرى من العلل الغائية لمبادرته بالادب وهى ان يستقبل بجد
رأيه وقوة فكره ما قد كفاه اهل التجارب بغيته من العلوم وعوفى عنه من علاج التجربة ومعاناتها فاتاه من ذلك العلم التجربى
ما كان اهل التجربة يأتونه ويطلبونه واستبان له ما ربما اظلم عليهم منه وفرق بين من يأتيه العلم صفوا ويلقى اليه بينا واضحا
وقد كفى فيه مؤنة الاكتساب وبين من سعى اليه وشقى فى تحصيله وخاض اليه غمرات الشكوك وظلمات الشبهات وكل ذلك
من الامور المقنعة له فى قبول الوصية والعمل بما اشتملت عليه من الحكم والآداب لان اهل التجارب اذا كانوا قد جدّوا فى تحصيله مع
ما وجدوه من المشقة فلان يجد هو ويقبله خالصا من الكلفة اولى المقصود الثانى اشار الى فضيلة نفسه واستكمالها
بالعلوم ثم الى كونه فى غاية العناية والشفقة والتفقد عليه والى ما رآه اصلح فى تعليمه اياه من العلوم الى غير ذلك وغايته من
الجميع استدراجه لقبول قوله كما علمت من غرض الخطيب فى ذكر فضيلته وما يستدرج به الانفعال عما يريد ان يقنع به من الآراء وغيرها فنبه
على فضيلته بقوله اى بنى الى قوله مجهوله وقوله وان لم اكن فى قوة جواب اعتراض مقدر كان قائلا قال له فكيف حصلت العلوم والتجارب

عن ر

الامور مع حاجة التجربة الى عمر طويل يشاهد فيه الانسان تغيرات الامور وتقلبات الدهور فقال انى وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلى
شاهدت الحوادث لكنى نظرت فى اعمالهم وفكرت فى اخبارهم المأثورة وسرت فى آثارهم سيرا محسوسا ومعقولا حتى عدت كاحدهم فى تجارب
امورهم وقوله فعرفت عطف على قوله فسرت وقوله ذلك اشارة الى ما انتهى اليه من امورهم وكنى بالصفو عن الخير. والكدر عن الشر اى
فعرفت خير امورهم من شرها ونفعها من ضررها واستخلصت لك من كل امر جليله وهو خيره وما ينفع منه عند الشبه من العلوم والعبر
النوافع وروى نخيلته اى خالصه وقصدت لك جميله اى الامر الحسن منه دون قبيحه وصرفت عنك مجهوله اى ما اشتبه عليك
امره والتبس الحق فيه وقوله ورأيت حيث عنانى الى آخره اشارة الى كمال عنايته وشفقته عليه ووجوه اختياره له ما هو الاولى
به من العلوم واجمعت عطف على عنيت وان يكون فى محل النصب على انه مفعول اجمعت وتكون هنا تامة والواو فى قوله وانت للحال
وان ابتدأتك عطف على ان يكون والمفعول الثانى لرأيت محذوف تقديره انفع واصلح وتقدير الكلام ورأيت حيث عنانى من امرك
ما يعنى الوالد الشفيق من امر ولده من النظر فى مصالحه والاهتمام باحواله وما صممت عزمى عليه من تأديبك ان يكون ذلك التأديب
حال اقبال عمرك حال كونك ذا نية سليمة من الامراض النفسانية والاخلاق الذميمة وكونك ذا نفس صافية من كدر الباطل وان
ابتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله وما يشتمل عليه من شرائع الاسلام اى قوانينه واحكامه وحلاله وحرامه واقتصر بك على ذلك كما
اقتصر عليه كثير من السلف وقوله ثم اشفقت عطف على رأيت اى كنت رأيت ان اقتصر بك على ذلك ولا اتجاوز بك الى غيره من العلوم
العقلية ثم خفت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من اهوائهم وآرائهم مثل ما التبس عليهم اى التباسا مثل الالتباس
عليهم فكان احكام ذلك اى ما اختلف الناس فيه على ما كرهت له من تنبيهك له احب الى من اسلامك الى امر لا آمن عليك فيه
الهلكة فى الدين وذلك الامر هو ما اختلف الناس فيه من المسائل العقلية الالهية التى يكثر التباس الحق فيها بالباطل وتكثر فيها
الشبهات المغلطة وهى مظنة الغلط والانحراف بها عن سبيل الحق الى سبيل الهلاك واحكام ذلك الامر بيان وجه البرهان فيه وكيفيته

في وصيته ع الى ابنه الحسن ع

الخالص من شبهة الباطل ومزاحمته وقوله ورجوت ان يوفقك عطف على اشفقت والفقرة المجرورة بقي يعود الى ما اختلف الناس فيه
المقصود الثالث الاشارة الى بيان ما هو الاحب اليه ان يأخذ به من وصيته والارشاد الى كيفية اخذه وما ينبغي ان يبدأ قبل الشروع
من الاستعانة بالله والرغبة اليه في التوفيق الى غير ذلك من الآداب التي يتم بها الاستعداد للبحث والتعلم فمن الاحب اليه تقوى الله
التي هي الزاد المبلغ اليه ثم الاقتصار على ما افترضه الله عليه من النظر في ظواهر الادلة دون التوغل في الفكر وخوض الشبهات فالم
يكلف به خلاف ما مضى عليه الصالحون من اهل بيته كحمزة وجعفر والعباس وعبيدة بن الحرث وغيرهم من بني هاشم وقوله فانهم لم
الى قوله لم يكلفوا ترغيب له في الاخذ بما اخذوهم وتنفير له عن التوغل والتعمق بضمير صغراه ما ذكر وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك
فينبغي الاقتداء به في الاخذ بما عرف والامساك عما لم يكلف وقوله فان ابت الى اخره بيان للكيفية التي ينبغي ان يكون عليها
طلبه للعلوم العقلية والتدقيق فيها ان ابت نفسه الاقتصار على ما افترضه الله عليها فليكن طلبك لما انت طالبه من ذلك على
وجوه احدها التفهم للمقاصد والتعلم للحق والطلب له لا على وجه التعلم بعلم الشبهات والتورط فيها والمشاغبة بها فان ذلك مما يصد عن
تعلم الحق ويمنع من قبوله الثاني ان يبدء قبل نظره في ذلك الطلب بالاستعانة بالله والرغبة اليه في توفيقه لاصابة طريق الحق والتو
لهم في توفيقه لاصابة طريق الحق والوصول اليه الثالث ان يترك كل شائبة ولجة في شبهة كالعادات في نصرة المذاهب الباطلة
بحسب اتباع الهوى والآراء التي يطلب بها الرياسات فان النفس اذا كانت فيها شائبة من محبة لامر ما لم تبتغ لها طريق الحق بل كانت
الى الانحراف في طرق الضلال والاشتباه انسب وبالمطالب الباطلة اقرب تلك الطرق عرفت عنده لمكان تلك الشائبة فينبغي للسالك
ان يجرد عن نفسه كل شبهة تعود الى ضلاله ولفظ الاسلام مستعار لاهماله وعدم جدته بما يتورط فيه من الامور المضلة ثم قال
فاذا ايقنت اي فاذا احرزت نفسك للطلب والنظر بما ذكرت لك وتحققت ان قد صفا قلبك من كل شائبة في النظر فخشع
من خشية الله ان يؤاخذك بتركه ثم رأيك وعزمك عليه فاجتمع متفرقه حتى لا يبقى الى غيره التفات وكان همك فيه هما واحدا لانه تم
الى غيره فانظر فيما فسرت لك وتبينت عليه من المسائل العقلية الالهية كما سيأتي وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظر
وفكرها عن الشواغل المنافية للعلم وطلبه ونظرت فاعلم انك في خوضك وطلبك له انما تخبط خبط عشواء وتتورط الظلماء وكل
من كان كذلك فليس هذا الطلب الذي له من اصوله وحذف المضاف الى العشواء واقام المضاف اليه مقامه واستعار وصف الخبط له
باعتبار انه طالب العلم من غير استكمال شرائط الطلب على غير وجهه فهو متعسف سالك على غير طريق المطلوب كالناقة العشواء وكذلك لفظ
الظلماء للشبه باعتبار ان الذهن لا يهتدي فيها فيما الطالب للحق كالماشي في الظلماء المقصود الرابع امره بتفهم وصيته وتنبيهه على جملة من صفات
الله وافعاله التي قد يتوهم التضاد والتنافي في اسنادها الى مبدء واحد واشار الى انها ليست متضادة وان مبدأها واحد فاما
الصفات فهو ان القادر على الموت هو من له ان يميت هو القادر على الحيوة ولذلك يحيي باعتبار ان اسباب الموت والحيوة ينتهي اليه وكذلك
الخالق هو المميت فان فاعل الخلق هو مفيد الموت الذي ينتهي اليه اسبابهما والفرق بينهما بالاعتبار الا شاذ ومعقول ثم يجري ويميت
ثم كرر وربنا باكم الاولين فيحيي ويميت باعتبار اثر الفاعل الاول وباعتبار اثر الرب المطلق هو المالك الاول لهما وكذلك المعنى هو المبتلى
والمبلي هو المعافي باعتبار انتهاء اسباب الفناء والاعادة والابتلاء والمعافاة اليه وقد علمت ان كل هذه الامور اعتبارات عقلية تلحق
معقولية الواجب سبحانه بالقياس الى مخلوقاته وتارة كما استقصيناه في الخطبة الاولى واما الافعال فهو انه تعالى خالق الدنيا لم يكن
خلقها ليستقر بوجودها الا على ما اختبرها الله عليه من افاضة ما بعد نعمة في حق بعض العبيد من مال وصحة ونحوهما والابتلاء بما بعد
بلاء من الفقر والمرض ونحوهما وان كانت النعم ايضا ابتلاء كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ثم لزوم الجزاء في المعاد للنفوس
المبتلين والمنعم عليهم بحسب طاعتهم ومعصيتهم في النعمة والابتلاء وكذلك خلقه لها على ما شاء مما لا يعلم وجه الحكمة فيه واعلم انه قد ثبت
في اصول الحكمة ان المقصود من العناية الالهية بالذات انما هو الخير والشر داخل في الوجود بكفاية بالعرض من حيث انه لا يمكن
نزع الخير وتجريده عنها ولما كان الخير غالبا في الوجود وكانت الشرور امورا لازمة قليلة لم يمكن ترك الخير الكثير لاجلها لان ترك الخير
الكثير لاجل الشر القليل شر كثير في الجود وذلك معنى قوله ع وان الدنيا لم يكن ليستقر الا على ما جعلها الله عليه مما عددناه مما يعلم كونه
خيرا او شرا او لا يعلمها الله اي لم يمكن خلقها الا على ما فيها من خير مراد بالذات وشر مراد بالعرض ولزوم الجزاء على السيئة وعقاب النفوس
في المعاد عليها من الشرور اللازمة لما حصلت عليه من الهيئات البدنية والملكات الرديئة في الدنيا كما يعلم ذلك من موضعه وقوله فان
اشكل الى اخره اي فان اشكل عليك شيء من اسرار القدر وخفي عليك وجه الحكمة فيه فلا تتوهم خلوه من حكمة بل احمله على جهالتك
به فانك اول ما خلقت جاهلا ثم علمت كما قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا الاية ونصب قبل على الظرف وجاهلا
على الحال وروي اول مرفوعا بالابتداء وجاهل بالرفع خبرا له ثم نبهه على كثرة ما يجهله من الامور ثم يدركه فيما بعد ليعلم
فالابد ان يخفى الحكمة فيه من ذلك القبيل ثم امره بالاعتصام بالله والالتجاء اليه في اموره وان يجعل له تعبده واليه رغبته ومنه شفقته

اما

والحكمة

لانه ثم

لانه نعم اعرف موجود بذلك وذكره بالامور المذكورة المفصلة لما مر للاشارة الى فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله على سائر الانبياء لزيادة علمه فى ايضاح الخبر عن الله تعالى وبيان المطالب الحقيقية التى اشتمل عليها الكتاب العزيز من اسرار التوحيد والقضاء والقدر وامر المعاد فان احدا من الانبياء السابقين عليهم السلام لم يفصح عن هذه الامور كافصاحه ولذلك كانت هداية هذه الامة على يده اتم واكمل من هداية سائر الامم السابقة عما جاءت به انبياؤها وكانت عيون بصائرهم ابسط انوارا واكثر انتشارا وغاية ذكر فضيلته هنا ان يرضى به ابنه دليلا له على طريق النجاة فى الآخرة واستعار له لفظ الرائد باعتبار انه قد اخبر بما فى الآخرة من الثواب المقيم التابع لاتباعه فيه وبشر به امته كما يخبر الرائد اهله بوجود الكلاء والماء ورغد ارتياده ثم ارشد بعد ذلك ببيان انه لم يزل ناصحا له وانه لم يبلغ نظره لنفسه وان اجتهد فى ذلك مبلغ نظره له ليتاكد الاستماع لما يامره ويشير عليه فيما يراه له ونصب نصيحته على التمييز. **الفصل الخامس** قوله واعلم يا بنى انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله وصفاته ولكنه اله واحد كما وصف نفسه لا يضاده فى ملكه احد ولا يزول ابدا ولم يزل اول قبل الاشياء بلا اولية وآخر بعد الاشياء بلا نهاية عظم عن ان تثبت ربوبيته باحاطة قلب او بصر فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغى لمثلك ان يفعله فى صغر خطره وقلة مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته الى ربه فى طلب طاعته والرهبة من عقوبته والشفقة من سخطه فانه لم يامرك الا بحسن ولم ينهك الا عن قبيح. **اقول** اشار فى هذا الفصل الى الحجة على وحدانية الصانع سبحانه وعلى جملة من صفاته ثم الى ما ينبغى ان يفعله من ملاحظة عظمته من الصفات المذكورة فاذن ههنا ابحاث **البحث الاول** الحجة على وحدة الصانع وهى شرطية متصلة مقدمها قوله لو كان لربك شريك وتاليها لاتتك رسله الى قوله ولعرفت افعاله وصفاته ويستنتج منها استثناء نقيض اقسام التالى لينتج نقيض المقدم بيان الملازمة انه لو كان له شريك لكان شريكه الها مستجمعا لجميع شرائط الالهية والا لم يصلح للشركة لكن من لوازم الالهية امور احدها الحكمة فى وجوب بعثة الرسل الى الخلق ووصولهم اليه لما علمت من برهان وجوب البعثة فى موضعه الثانى يلزم ان يكون له آثار ملكه وسلطانه وصفات افعاله ظاهرة مشاهدة الثالث ان يعرف افعاله وصفات ذاته لكن هذه اللوازم كلها باطلة اما الاول فلانه لم ياتنا رسول ذو معجزة يدلنا على الثانى ويخبرنا عنه واما الثانى فهو ان آثار الملك والسلطان نعظمه الملك واحكامه انما يدل على حكيم قادر فاما على التعدد فلا واما الثالث فلان مجرد الافعال التى نشاهدها انما يدل على فاعل فاما على التعدد فلا وكذلك صفات الالهية المكتسبة بواسطة الافعال من العلم والقدرة والارادة وغيرها انما يدل على صانع موصوف بها فاما على صانعين او اكثر فلا فاذن القول بان لربنا شريكا قول باطل لا برهان عليه كما قال تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به الآية وقوله اله واحد كما وصف نفسه من لوازم النتيجة لانه اذا بطل القول بثانى الاله ثبت انه اله واحد كما وصف هو نفسه بقوله قل هو الله احد وهو الله الواحد القهار وانه لا يضاده فى ملكه احد اى يعانده فى افعاله وينازعه فى ملكه كما هو عادة الملوك واعلم ان هذه الحجة اقناعية كما هو غاية الخطيب من الخطابة وليست برهانية لانه ان اريد فى الشرطيات وجود الثانى حيث لزم وجود آثار وافعال وصفات تخصه ويعلم اختصاصه بها فالملازمة ممنوعة لان الالهين سواء كانا متفقى الحقيقة او مختلفى الحقيقة لا يلزم ان يختلف افعالهما ولوازمهما بالنوع ويختص كل منهما بلازم خاص وفعل خاص كما يوجد للآخر بل جاز ان يتفقا فى اللوازم والآثار وان اريد ان وجوده يستلزم ان يعرف آثار وافعال ولوازم لا يخصه بل جاز ان يشاركه فيها الاله الآخر فهذا مسلم لكن لا يمكن الاستدلال ببطلان التالى ههنا وهو ظاهر لانا نرى آثار ملك وافعال ولوازم وصفات لا تدل على احديته فاعلها والموصوف بها ولا على تثنيته وانما يدل على مطلق فاعل وملزوم ما فلا يمكن بطلانها ورفعها ولان رفعها يستلزم رفع وجود الاله المطلق لاستلزام عدم اللازم عدم الملزوم لا رفع التالى خاصة **البحث الثانى** كونه تعالى لا يزال ابدا وانه لم يزل وهو اشارة الى دوام وجوده وثباته ازلا وابدا وبرهانه انه تعالى واجب الوجود وكل واجب الوجود لذاته فهو دائم الوجود وثابته ازلا وابدا اما الصغرى فقد مر برهانها واما الكبرى فلانه لو جاز عليه الزوال والعدم لما كان واجب الوجود لذاته وهذا التالى يستلزم فساد المقدم فاذن هو دائم الوجود ازلا وابدا **البحث الثالث** كونه اولا قبل الاشياء بلا اولية لوجوده وكونه آخرا بعد الاشياء بلا نهاية لوجوده اما الاول فلانه لو كان لوجوده اولية لكان مسبوقا بالعدم فكان محدثا فكان ممكنا هف واما الثانى فلانه لو كانت آخريته منقطعة بنهاية لكان ملحوقا بالعدم فلم يكن واجب الوجود لذاته هف **البحث الرابع** كونه اعظم ان تثبت ربوبيته باحاطة قلب وبصر اى هو اعظم ان يطلع احد بقلبه وبصره على كمال صفات ربوبيته والاعتبارات المعتبرة فيها ووجه الشبه فى ذلك انك علمت ان صفة الربوبية وسائر صفات الالهية باعتبار الخارج نفس حقيقته تعالى وباعتبار العقل امور يعتبرها العقول لذاته بالقياس الى مخلوقاته وآثاره وعلى الوجهين فهو اعظم ان تثبت ربوبيته باحاطة قلب وبصر اما فى الخارج فلان صفة ربوبيته هى نفس ذاته فكانت احاطة العلم بها موقوفة على احاطته بكنه ذاته وقد علمت انها بريئة عن وجوه التركيب فيمتنع الاحاطة

في وصيته الى ابنه الحسن ع

بها الغير فيها واما في العقل فلان اعتبار صفة ربوبيته واحاطة القول بها موقوف على الاحاطة بجميع اعتبارات صفات الكمال ونعوت الجلال
اذ اعتبار ربوبيته المطلقة يستلزم لاعتبار الحيثية المطلقة المستلزمة لاعتبار جميع صفات الالهية وقد علمت ان تلك الاعتبارات
غير متناهية فهي اعظم ان يحيط بها عقل بشري فضلا ان يتعلق بها [illegible] وذلك بصري **البحث الخامس** اعلم انه لما نبهه على عظمة الله
سبحانه وكمال ذاته في الاعتبارات المذكورة امره ان يفعل كما ينبغي ان يفعله من هو مثله في النقصان بالنسبة الى عظمة الله سبحانه من تطبيعه
حق طاعته وخشيته بكمال عبادته كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وعظمة [illegible] النقصان البشري حالة في كل منها بالقياس الى كمال
ذاته ثم صغر منزلته بالنسبة الى عظمته تعالى وقلة مقدرته وكثرة عجزه واشتداد حاجته الى كمال قدرته وكذلك عظم حاجته الى ربه
في كل حال من طلب نفعه وعلاوته للطاعة والرهبة من عقوبته والاشفاق من [illegible] كل ذلك بالنسبة الى غناه المطلق في
كل شيء عن كل شيء وقوله فانه الى قوله قبيح تنبيه اجمالي على وجوب طاعته في كل ما امر به ونهى عنه وجذب الى فعل كل ما امر
به بكونه حسنا والى الانتهاء عن كل شيء نهى عنه بكونه قبيحا وقد علمت ان الغاية من بعثة الرسل ووضع الشرائع والسنن هي نظام
احوال الخلق في معاشهم ومعادهم فلابد ان في كل امر ونهي من سر وحكمة توجب حسن المأمور به وقبح المنهي عنه وهذا الكلام
وشبهه تعلقت المعتزلة بمسئلة الحسن والقبح العقليين وبالله التوفيق **البحث السادس** يا بني اني قد انبأتك عن
الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها وانبأتك عن الآخرة وما اعد لاهلها فيها وضربت لك فيهما الامثال لتعتبر بها
وتحذو عليها انما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فأموا منزلا خصيبا وجنابا مريعا فاحتملوا
وعثاء الطريق وفراق الصديق وخشونة السفر وجشوبة المطعم ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم فليس يجدون لشيء
من ذلك الما ولا يرون نفقة فيه مغرما ولا شيء احب اليهم مما قربهم من منزلهم وادناهم من محلهم ومثل من اغتر بها
كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب فليس شيء اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه
الى ما يهجمون عليه ويصيرون اليه يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره
له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم واحسن كما تحب ان يحسن اليك واستقبح لنفسك ما تستقبح من غيرك وارض
من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب ان يقال لك واعلم ان الاعجاب
ضد الصواب وآفة الالباب فاسع في كدحك ولا تكن خازنا لغيرك واذا انت هديت لقصدك فكن اخشع ما تكون
لربك **اقول** الجديب ضد الخصيب والسفر المسافرون واموا قصدوا والجناب الفناء والمنزل والمريع ذو الكلاء والخصب ووعثاء
السفر مشقته وجشوبة المطعم غلظه وهجم وقع بغتة والكدح الكسب في الفصل مطلوبان احدهما التنبيه على حال الدنيا والآخرة
وذكره بما خبره بعضهما من سرعة زوال الدنيا وانتقالها وبقاء الآخرة وما اعد لاهلها فيهما من السعادة الباقية التي
اشتمل على تعديد انواعها الكتاب العزيز والسنة الكريمة وضرب لطالبيهما مثلين ليكون ممن اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة
فالمثل الاول مثل من خبر الدنيا وعرف زوالها وانتقالها وخير الآخرة وبقائها وما اعد فيها لاهلها ومثله بقوم سفر نبا
فارقوا منزلا جديبا الى منزل خصيب ووجه مطابقة هذا المثل ان النفوس البشرية لما كانت في عالم المجردات وكانت الحكمة
في هبوطها الى هذا العالم ومقارنتها لهذه الهياكل الجسمانية الكثيفة في دار الغربة ومحل الوحشة من عالمها هو ان تحصل
بواسطتها الكمالات العقلية التي انما تمكن لها بواسطتها ثم ترجع الاستكمال بها الى عالمها الاعلى طاهرة عن علائق هذه الهياكل
وهيئاتها الرديئة كما اخذ عليها في العهد القديم كانت كل نفس حفظت عهد ربها وبقيت على صراطه المستقيم فهي في المدة المقدرة
لها ناظرة بعين الاعتبار الى ان الدنيا كالمنزل الجديب خال عن المطاعم الحقيقية والمشارب العذبة الهنيئة فهو كذلك غير صالح
للاستيطان والاقامة وان عالم الآخرة كالمنزل الخصيب والجناب المريع من وصل اليه مستقيما على اوامر الله ونواهيه فاز بالمقاصد
السنية واللذات الباقية فكانت ابدا في طريق السفر في منازل طريق الله والاستعداد للوصول الى حضرته الشريفة محتملة
لمشقة ذلك السفر من معاناة الجوع والظماء ومقاساة السهر وقصد الى سعة الدار ومنزل القرار لا تجد من ذلك الما ولا تعد ما
تنفقه من المال والعمر فيه مغرما ولا شيء احب اليها من وسيلة تقربها الى تلك المنزل الذي قصدته والجناب الذي قصدته فاشبهت
نحو ذلك من وصل الى منزل جديب نبا بهم علم ان امامه منزلا خصيبا فاقتضى رأيه الحسن ان يحتمل وعثاء السفر ومشقته ليحصل
على الراحة الكبرى واما المثل الثاني فهو مثل اهل الدنيا الذين قادتهم نفوسهم الامارة بالسوء اليها فغفلوا فيها عما ورائها
ونسوا عهد ربهم واعرضوا عما ذكروا به من آياته وشبههم بقوم كانوا في منزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب فالمنزل الخصيب
في هذا المثل هو الدنيا لانها محل سعادة اهلها ونعيمهم والمنزل الجديب هو الآخرة اذ لم يكونوا قد استعدوا لدرك
السعادة فيها ووجه تشبيههم بالقوم هو ما ذكره من انه ليس شيء اكره اليهم الى الآخرة اي ليس شيء اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة

ما هم فيه

الجزء

ما هم فيه من الدنيا الى ما يجبون عليه تقتحم من الاموال ويصيرون اليه من مقاساة السلاسل والاغلال لكما انه ليس شيء اكره الى العقول من عقاب منزل خصيب كالمواقيف منزل جديب يجبون عليه والى هذين المثلين اشارة الرسول صلعم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر المطلوب الثاني الوصية باصلاح معاملته مع الخلق فاشار عليه ان يجعل نفسه ميزانا بينه وبين غيره ووجه استعارة لفظ الميزان له انه يكون ذا عدل بين نفسه وبين الناس كالميزان ثم شرح وجوه العدل والتسوية التي امر ان يكون ميزانا باعتبارها فمنها امور ثبوتية ومنها امور سلبية فالاول ان يحب لغيره ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها وفي الحديث المرفوع لا يكمل ايمان عبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه وسر الحديث ان ذلك من كمال فضيلة العدالة التي هي من كمال الايمان الثاني ان لا يظلم كما لا يحب ان يظلم فيسلم من رذيلتي الظلم والانظلام الثالث ان يحسن الى غيره كما يحب ان يحسن اليه والاحسان فضيلة تحت العفة الرابع ان يستقبح من نفسه ما يستقبح من غيره فينزجر عن جميع مناهي الله وهو من لوازم المروة ولذلك قال الاحنف وقد سئل عن المروة هي ان تستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك الخامس ان يرضى من الناس ما يرضاه لهم من نفسه اي كل ما رضي ان يفعله بهم من خير او شر ان فعله فينبغي ان يرضى بمثله منهم وفيه تنبيه على انه لا يجوز ان يفعل الشر لعدم الرضا وهو الرضا منهم به السادس ان لا يقول ما لا يعلم وان قل ما يعلم وانما قال وان قل ما يعلم لان قصور العلم قد يكون داعية لبعض الناس الى ان يقول بغير علم لئلا ينسب الى الجهل فيضل ويضل كما قال تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير الاية السابع ان لا يقول لاحد ما لا يحب ان يقال له كالمواجهة بالعيوب والالقاب المكروهة وكل كلام موذ الثامن نبهه على وجوب ترك الاعجاب بانه ضد الصواب وهو سلوك طريق الله باستجماع مكارم الاخلاق وكان الاعجاب من رذائل الاخلاق كان مضادا للصواب مضادة الرذيلة للفضيلة وبانه آفة للعقول فهو من اكبر امراض العقل وآفاته المهلكة ولذلك اشار اليه الرسول صلعم ثلث مهلكات الى ان قال واعجاب المرء بنفسه التاسع ان يسعى في كدحه اي فيما ينبغي له من كسب الطاعات وقيل اراد بالكدح ما اكتسبه من المال وما ينبغي فيه انفاقه في سبيل الله العاشر ان يكون عند هداية الله اياه لرشده اخشع ما يكون لربه وذلك ان الهداية هي العلم بالطريق الى الله تعالى في جميع ما عدده من مكارم الاخلاق والعلم بالطريق الموصلة اليه حين سلوكها يستلزم ملاحظة جلاله وعظمته وهناك يكون الخشوع الحق والخشية له تعالى لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء **الفصل السابع** قوله واعلم ان امامك

والخشية له

طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة وانه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياد وقدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك واذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيمة فيوافيك به غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله اياه واكثر من تزويده وانت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك واعلم ان امامك عقبة كؤودا المخف فيها احسن حالا من المثقل والمبطئ عليها اقبح حالا من المسرع وان مهبطك بها لا محالة على جنة او على نار فارتد لنفسك قبل نزولك ووطئ المنزل قبل حلولك فليس بعد الموت مستعتب ولا الى الدنيا منصرف واعلم ان الذي بيده خزائن السموات والارض قد اذن لك في الدعاء وتكفل لك بالاجابة وامرك ان تسأله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه بالجئك الى من يشفع لك اليه ولم يمنعك ان اسأت من التوبة ولم يعيرك بالانابة ولم يعاجلك بالنقمة ولم يفضحك حيث الفضيحة ولم يشدد عليك في قبول الانابة ولم يناقشك بالجريمة ولم يؤيسك من الرحمة بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشرا وفتح لك باب المتاب وباب الاستعتاب فاذا ناديته سمع نداءك واذا ناجيته علم نجواك فافضيت اليه بحاجتك وابثثته ذات نفسك وشكوت اليه همومك واستكشفته كروبك واستعنته على امورك وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره من زيادة الاعمار وصحة الابدان وسعة الارزاق ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما اذن لك فيه من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء ابواب نعمه واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطنك ابطاء اجابته فان العطية على قدر النية وربما اخرت عنك الاجابة ليكون ذلك اعظم لاجر السائل واجزل لعطاء الآمل وربما سألت الشيء فلم تؤتاه واوتيت خيرا منه عاجلا او آجلا او صرف عنك لما هو خير لك فلرب امر قد طلبته فيه هلاك دينك لو اوتيته فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله وينفى عنك وباله فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له **اقول** الارتياد الطلب والطوق والطاقة ما يتسع له قدرتك والوبال الهلاك وكؤود شاقة المصعد والنزوع عن الذنب الخروج منه والافضاء الوصول والبث النشر والكشف والشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر والقنوط اليأس والاستعتاب طلب العتبى وهي الرجوع الى الرضا وفي الفصل مطالب احدها الوصية بالسعي في تحصيل الكمالات النفسانية الباقية والثاني طرح الرذائل المنقصة فنبهه على الاول بان امامه اي سفره

في وصيّته لابنه الحسن ع

الى الله طريقا طويلا شديدا وظاهر ان الطريق التي يكون كذلك لا بد لسالكه من حسن طلب القصد فيه الى مطلوبه ومن قدر مبلغ له من
الزاد واستعار لفظ الطريق لما يسير فيه الانسان من احوال الدنيا ويعبر منها الى الاخرة واشار بطولها وشدتها الى عسر النجاة
فيها والسلامة من خطرها اذ كان مرذلك انما يكون بلزوم القصد والثبات على سنن العدل والاستقامة على حاق الوسط
من مكارم الاخلاق اذ علمت ان لكل من القوة الشهوية والغضبية حدا يجب وقوف الانسان عنده وهو العدل
بين الزيادة في الحد والقصور عنها اذ هو محفوف بطرفي تفريط وافراط قلّ ما يسلم الانسان من الوقوع في احدهما وهما طريقا جهنم
فبالحري ان يكون طريقا هذا شأنه قد يحصل الانسان منها الى غاية الاعلى بعد بعيد ولا يحصل منها على خير الا بجهد جهيد و
استعار لفظ الزاد للتقوى والكمالات التي هي بلاغ الانسان في تلك الطريق الى الله تعالى وبه يكون النجاة فيها والخلاص من
مهالكها ونبه على الثاني بقوله مع خفة الظهر الى قوله وبالا عليك واستعار لفظ الخفة لتقليل اكتساب الآثام وحملها
على النفس ولفظ الحمل لاكتسابها ووجه الاستعارة الاولى ان مقلل الآثام سريع القطع لتلك الطريق قريب الى النجاة فيها من مخاوفها
كما قال ع تخففوا تلحقوا وكما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وآله نجا المخفون ووجه الثانية ان مكتسب الآثام يثقل بها ويبطئ عن لحوق المخفين
ويهلك بها في طريقه وكثرة تخلّفه تابعة لكثرة اكتسابه كما يكون حال المثقل في الطريق البعيدة ولفظ الظهر ترشيح المطلوب
الثالث التنبيه على وجوب انفاق المال في وجوه الصدقة والبر لمن يحتاج اليه من اهل الفاقة وذلك قوله واذا وجدت الى قوله
عسرتك ووجه بر واعده ان لك بامرين احدهما كون ذلك زادا يحمله ذو الفاقة الى يوم القيمة ويلقاه به هناك في موضع الحاجة
اليه واستعار لفظ الزاد هنا لما يحصل من فضيلة السخاء والكرم بالانفاق ووجه الاستعارة كونه سببا لسلامة النفس من الهلاك
في طريق الاخرة ووسيلة الى السعادة الباقية كالزاد الخاص للمسافر في طريقه والمبلغ له الى مطالبه واستعار الصدقة فليه و
الحامل لزاد المال الزاد باعتبار انه سبب لحصول الفضيلة بتلك الصدقة وفي وصول ثوابها الى المتصدق يوم القيمة فوجه انه لتلك الفضيلة
وظهورها في صحيفة الاعمال للمتصدق يوم القيمة هو المشار اليه بالوفاء بها غدا ثم امره ان يغتنم ذا الفاقة عند وجدانه وان يحمله
ذلك الزاد ويكثر من تزويده وتحميله للزاد حال من هو قادر على تحصيله وجذب الى فعله بان اشار الى الصدقة بقوله فلعلك
تطلبه فلا تجده لان الوسيلة الى امر عظيم اذا كان في معرض ان يطلب فلا يوجد ثم وجدت في وقت من الواجب ان يغتنم تحصيلها ولا
يهمل الثاني كون تصدقه على ذي الفاقة قرضا للمتصدق في حال غناه بالمال يقضى له يوم عسرته وفقره واستعار وصف المستقرض
هنا لله باعتبار انه هو المجازي بالثواب من انفق ماله في طاعته والاشارة اليه بقوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا
كثيرة ونبه بكون القرض في حال الغناء والقضاء في حال العسرة ليكون القضاء افضل فيرغب في القرض لغاية الربح المطلوب الرابع التنبيه
على شدة طريق الاخرة وعلى وجوب الاستعداد لها بالخفة من حمل الآثام والسرعة فيها قبل انقضاء الايام واستعار لفظ العقبة
لما فيها من الصعود والارتقاء في درجات الكمال بالفضائل عن مهابط الرذائل ووصفها بشدة الصعود باعتبار ما في ذلك الارتقاء
من التعسر وكثرة الموانع وجذب الى الاستعداد بامور ثلثة احدها كون المخف فيها احسن حالا من المثقل وهو ظاهر كما قدمناه الثاني
كون المبطئ فيها اقبح من المسرع وهو ايضا كذلك اذ كان المبطئ فيها واقفا في احد طرفي الافراط والتفريط مشغولا بما يلهيه ملتفتا عما يعنيه
حتى اذا تصرم اجله بقي في مهاوي الهلاك اسيرا او على ما فاته من سرعة السير حسيرا الثالث ذكر الغاية التي منها وهي الجنة والنار وانه
لا بد من نازلها وهبوطها بسالكها على احدهما وهو ظاهر ايضا فان خوض الانسان في احوال الدنيا والتصرف فيها الى غاية انقطاعها
ووصول الاخرة اما ان يكون على وجه القصد ولزوم سمت القبلة الحقيقية وتجنب طريقي الافراط والتفريط وبذلك يكون
هبوط تلك الطريق وهبوطها بسالكها على الجنة واما ان يكون على وجه الاعراض والانحراف عن ذلك القصد والتعريج في
تلك الطريق عن مناهج الله وابواب محارمه وبذلك يكون هبوطها بسالكها على النار وتسمية الهبوط اليها مجاز باعتبار ان نسبتها
الى احدى الغايتين كالهابط بالشيء الموصل الى المراد ثم امره ان يرتاد لنفسه ويطلب ما يكون سببا للخلاص فيها ويحسن حاله قبل نزوله
احد المنزلين الذين هما غايتاها ليكون هبوطها به على الجنة وان يوطئ المنزل الذي يريد سكناه بالاستعداد له وروي يوطن
بالنون اي يتخذه وطنا المطلوب الخامس التنبيه على الدعاء والترغيب فيه وسره دوام ملاحظة جلال الله والانقطاع اليه اذ هو مبدأ
كل محبوب ومعطي كل مطلوب ورغب في ذلك بامور احدها ان بيده تعالى خزائن السموات والارض وهو في قوة صغرى ضميرها تقديره
كبراه وكل من كان كذلك كان احق بالرغبة اليه من كل احد الثاني انه تعالى اذن في الدعاء وتكفل بالاجابة فقال ادعوني استجب لكم
وتقدير الكبرى فكالاول الثالث انه امر الخلق ان يسألوه ليعطيهم في قوله تعالى واسئلوا الله من فضله وكذلك ان يطلبوا منه الرحمة
ليرحمهم وذلك ان افاضة الرزق والرحمة وكل فضل منه وانما يوجد بعد الاستعداد له بالاخلاص في الطلب والاسترحام وغيره كما علم
في مظانه وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فواجب ان يسأل ويسترحم الرابع انه لم يجعل بينه وبين الراغب اليه حاجبا ولا بوابا

لتقدسه سبحانه عن الجسمية والجهة وصفات المحدثات بل تجلى في كل شيء لكل من فتح عين بصيرته ووجهها الى مطالعة كبريائه وعظمته وتعيد
الكبرى وكل من كان كذلك فهو اولى من ان يسئل ويسترحم الخامس تمم بالجملة اي من يشفع اليه لان التشفيع انما يحتاج اليه عند تعذر المطلوب
من جهة المرغوب اليه اما لبخله او لحاجته او جهله باستحقاق الطالب والباري تعالى لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما يتوقف فيضه على استعداد
الطالب له ولم يحوج سبحانه الراغبين اليه مع قدرته الى التشفع اذ مكنهم من الاستعداد لنيل مطلوباتهم منه وهيأ لهم اسبابها وفتح
لهم ابواب رحمته فان عرضت لهم حاجة الى تشفيع فليس ذلك عن ضرورته والجاءه الى ذلك السادس انه لم يمنعه ان اساء من التوبة
بل امر بها ووعد عليها فقال يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم الجنة وقال بعد
ان عدد الكبائر وتوعد عليها الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الاية السابع انه لم يعاجله
بالنقمة مع اطلاعه عليه حين معصيته ولم يفضحه في مقام الذي تعرض فيه للفضيحة بل امهله على ظلمه واسبل عليه ستر كرمه وحلمه
الثامن انه لم يشدد عليه في قبول الانابة والرجوع اليه كما يفعله الملوك في حق من اساء واطلب الا قال الزوم ينافسه بجريمته وذنبه
فيستقصي في حسابه بل سهل عليه في ذلك وقبل توبته متى شاء لانه تعالى لا مضرة عليه باساءة مسيء ولا نفع يصل اليه من انابة منيب
اذ هو الغني المطلق التاسع انه لم يؤيسه من الرحمة حيث قال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية العاشر
انه جعل نزوعه عن ذنبه وتوبته منه حسنة حيث قال بعد ذكر التوبة فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وحسب
سيئته واحدة وحسنته عشرا حيث قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها الحادي عشر كونه
فتح له باب المتاب حيث قال غافر الذنب وقابل التوب هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وباب الاستعتاب
حيث امره وارشده الى طلب الرضا عنه بعد توبته الثاني عشر كونه اذا ناداه سمع نداءه لقوله تعالى ان ربي لسميع الدعاء واذا ناجاه
علم نجواه لقوله تعالى يعلم السر واخفى فاوصل اليه حاجته وانشاء همه وطلب منه اعانته على اموره ونشر له ما كان في نفسه من مهماته
سروانشاء هم
وسأله كشف كربه فوهب له من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره من زيادة الاعمار وصحة الابدان وسعة الارزاق الثالث
عشر انه جعل في يديه مفاتيح خزائنه بما اذن له من مسئلته واستعار لفظ المفاتيح للادعية باعتبار انها اسباب لتحصيل التعهد و
كمال الرحمة متى شاء استفتح بها ابواب خزائنها وكذا استعار لفظ الابواب لاسباب جزئيات النعم الواصلة الى العبد وخزائن
نعمه هي خزائن السموات والارض اذ لكل منه وسيلة ويحتمل ان يشير بها الى المعقول من سماحة جوده وما يجود به قدرته من الخيرات
الممكنة واستعار وصف الاستمطار لطلب نعم الله ثم ملاحظة لشبهها بالمطر في كونهما سببين للحيوة وصلاح الحال في الدنيا
ويشبه طالبها بالمستمطر ورشح بذكر السحائب تقديرا لكبرى في كل واحد من هذه الصغريات وكل من كان كذلك فهو احق بان
يرغب اليه ويتوجه بالطلب نحوه واعلم انه لما رغب في الدعاء بهذه الجواذب نبهه على ان الاجابة في الدعاء قد تبطئ ويتاخر
عند ما يصلح اسبابا لتاخرها ليلحظها عند تاخرها فلا يقنط منها احدها ان العطية على قدر النية اي ان الاجابة موقوفة على
الاستعداد باخلاص النية فاذا تاخرت الاجابة فلعل تاخرها لان النية لم تكن خالصة الثاني انها ربما اخرت ليعلم الله ثم ان
تاخيرها من اسباب استعداد السائل والمؤمل لاستعداد اعلى لعطاء ما هو اعلى واشرف مما سأل فيعطاه عند كمال استعداده
لانه على قدر اهل العزم تأتي العزائم ويقرب الكلام بحسب المعاني الثالث ان المطلوب قد لا يكون فيه مصلحة للعبد لاشتماله على
مفسدة في دينه لو اعطي اياه كالغنى والجاه مثلا وسائر المطالب الدنيوية الخالصة فالمجيب لله سؤاله فيه بل يعطيه خيرا منه
اما في عاجل دنياه او في اجل آخرته ويصرف ذلك عنه لما هو مصلحة له وخيرة ثم ختم ذلك بتعريفه مواقع مسألته وما ينبغي
ان يسأله اياه وهو ما يبقى له جماله وينفي عنه وباله من التوفيق لاسباب السعادة الباقية وجميل الاحدوثة والعقبات دون ما

الفصل الثامن

قوله واعلم انك انما خلقت للآخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحيوة وانك في منزل
قلعة ودار بلغة وطريق الى الآخرة وانك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ولا بد انه مدركه فكن منه على حذر
ان يدركك وانت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك فاذا انت قد
اهلكت نفسك يا بني اكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت اليه واجعله امامك حيث تراه حتى ياتيك وقد
اخذت منه حذرك وشددت له ازرك ولا ياتيك بغتة فيبهرك واياك ان تغتر بما ترى من اخلاد اهل الدنيا
اليها وتكالبهم عليها فقد نباك الله عنها ونعت لك نفسها وتكشفت لك عن مساويها فانما اهلها كلاب عاوية وسباع
ضارية يهر بعضها بعضا ياكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة واخرى مهملة قد اضلت عقولها
وركبت مجهولها سروح عاهة بواد وعث ليس لها راع يقيمها ولا مسيم يسيمها سلكت بهم الدنيا طريق العمى واخذت
بابصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها وغرقوا في نعمتها واتخذوها ربا فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها

في وصيته لابنه الحسن

رويداً يسفر الظلام كأن قد وردت الأظعان يوشك من أسرع أن يلحق أقول منزل قلعة لا يصلح للاستيطان والبلغة ما يتبلغ به من العيش والأزر القوة وبعد جهدها غايته أقصاه وأصل الجمّ تراجع النفس عن التعب وأخلد إلى كذا استند إليه والتكالب التواثب المساوي المعايب الضراوة تعوّد الصيد والجرأة عليه والمعقّلة الموثقة والمجهول والمجهل المفازة التي لا أعلام فيها والوادي الوعث لا يثبت به خف ولا حافر لكثرة سهولته والمسيم الراعي وقد نبّه في هذا الفصل على أمور أحدها أن العلة الغائية من خلقه ووجوده هي الآخرة دون الدنيا والموت والفناء دون الحياة والبقاء فهذه الأمور علل عرضية من وجود الإنسان لكونها من ضروريات وجوده وأما العلة الحقيقية الأولى فهي من وجوده فهي استكماله ووصوله إلى حضرة ربه طاهراً عن علائق الدنيا وذكره هذه الغايات التي يجزم بالوصول إليها ليعمل لها ولما بعد الموت ويقل الحرص على الدنيا وعمارتها والركون إلى البقاء فيها لكونها أموراً عرضية زائلة الثاني نبّه بكون الدنيا منزل قلعة على أنها منزل عبور لم يخلق للاستيطان والإقامة وبكونها دار بلغة على أنها إنما خلقت ليتبلغ منها الإنسان بالبلاغ للوصول إلى الآخرة ورادّاً لكونها طريقاً إليها الثالث نبّه على أنه طريد الموت واستعار له لفظ الطريد ملاحظة لشبهه بالصيد بطلب السبع وغيره ثم وصف الموت بكونه لا ينجو منه هاربه ولا بد أنه مدركه تحذيراً منه وحثاً بالحال على الاستعداد له وطلب عثرة المغا وقد لأهواله وشدائده ولذلك قال فكن منه على حذر إلى قوله نفسك أي بقاؤك على الحال السيئة تحدثت نفسك فيها بالتوبة إلى أن يحول بينك ويجوز عطف على يحول بينك وإذا المفاجأة الرابع أمره بالإكثار من ذكر الموت وما يهجم عليه فإن ذلك يستلزم العبرة والانزجار والأخذ في الأهبة والاستعداد له ولما بعده ولذلك قال حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك وشددت له أزرك أي ما بك إلا الذي استعددت بها ولا يأتيك بغتة فيبهتك وقوله ولا يأتيك عطف على قوله حتى يأتيك والواو في قوله وقد للحال وكذلك بغتة حال ويبهرك منصوب بإضمار أن بعد الفاء في جواب النفي الخامس نهاه أن يغتر باستناد أهل الدنيا إليها وتواثبهم عليها ونبّهه على أنه لا ينبغي له ذلك الاغترار بقياسات منبّه وقوله فقد نبّأك الله إلى قوله عنها هو صغرى القياس الأول كقوله تعالى وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو في مواضع كثيرة من كتابه العزيز وقوله إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الآية وأمثاله وقوله ونعت لك نفسها صغرى القياس الثاني وروى ونعت ذكرى وكشفت بمعنى أن الله وصفها له ومعنى نعيها لنفسها وصفها بلسان حالها الدنية ونبّأ أنها محل الهموم والغموم والأعراض والأمراض ودار كل بلاء ومنزل كل فتنة وقوله وإنما أهلها إلى آخره صغرى القياس الثالث وتقدير الكبرى في القياس الأول وكل من أخبر الله تعالى عنه بذلك فلا ينبغي أن يغتر به وتقديرها في الثاني وكل من وصف نفسه كذلك فلا ينبغي أن يغتر به وتقديرها في الثالث وكل من كان كذلك فلا ينبغي أن يغتر بفعله واعلم أنه أشار في هذين المثلين إلى قسمة أهل الدنيا أولاً بقسمين بحسب اعتبار قوتي الغضبية والشهوية واتباعهم لها أي فمنهم من اتبع قوته الغضبية وأعطاها مقتضاها ومنهم من اتبع قوته الشهوية واسترسل في قيادها وغفل عما خلق لأجله وضرب المثل للأولين بالكلاب العاوية والسباع الضارية وأشار إلى وجه مطابقة المثل بقوله يهر إلى قوله صغيرها ووصف الهرير مستعار لتنازعهم عليها وكذلك لفظ الأكل لغلبة بعضهم على بعض وضرب للآخرين مثل النعم باعتبار غفلتهم عما يراد بهم كالبهائم ثم قسم هؤلاء إلى قسمين معقلة ومهملة واستعار لفظ المعقلة للذين تمسكوا بظواهر الشريعة والإمام العادل فقيدهم بالدين عن الاسترسال في اتباع الشهوات والانهماك فيها ولكن لم يعقلوا أسرار الشريعة فهم كالنعم التي عقلها راعيها وأشار بالمهملة إلى الذين استرسلوا في اتباع شهواتهم وخرجوا عن طاعة إمامهم ولم يتعبدوا بأوامره فهم كالبهائم المرسلة وأشار إلى وجه المشابهة بقوله التي أضلت عقولها إلى آخره ويحتمل أن يريد بعقولها جمع عقال فأشبع الضمة وقلبها واواً مناسبة لقوله مجهولها ويحتمل أن يريد به جمع عقل وهو الحجا أي أنها ضيعت من تلقاء أنفسها وهو أمامها ووجه مطابقة هذا المثل لهم في عدم انتفاعهم بعقولهم وركوبهم لأهوائهم الفاسدة وشروعهم في مشتهياتهم الدنيوية مكتسبين للرذائل والعاهات النفسانية ليس لهم إمام يقيمهم على طاعة الله في طرق الهدى إلى مكارم الأخلاق فقد أشبهوا النعم المهملة التي أضلت عقلها وركبت المفازة فهي سروح مترددة متحيرة بواد وعث ليس لها راع يرعاها ويقيمها إلى المرعى وروى سروح عاهة أي فهي سارحة عن آفة قد خرجت بها عن الانتفاع والرواية الأولى أقرب إلى الصواب وأراد بطرق العمى طرق الجهل ومسالك الباطل التي لا يهتدى فيها الشيء كما لا يهتدي الأعمى للطريق ونبه لسلوكهم إياها باعتبار أنها سبب لغرورهم وغفلتهم عما وراءهم وكذلك أخذها بأبصارهم أي بأبصار عقولهم عن منار الهدى وهي آيات الله ومنازل الطريق إليه وأشار بتيههم في حيرتها إلى ضلالهم عن طرق الحق واستعار لفظ الغرق باعتبار استيلائها على عقولهم وتملكها لهم كما يستولي الماء على الغريق واتخاذهم لها رباً باعتبار أخذهم لها فلعبت بهم إذ كانوا عبيداً لها ولعبوا بها إذ اشتغلوا بها غير منتفعين وضيعوا أما الأولى بهم فعله ونسوا ما وراءها مما خلقوا لأجله.

الفصل التاسع قوله واعلم يا بنيّ أنّ من كانت مطيّته الليل والنهار فإنّه يسار به وإن كان واقفاً ويقطع المسافة

وإن كان مقيماً وادعاً واعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك ولن تعدو أجلك وأنك في سبيل من كان قبلك فخفض في الطلب وأجمل في المكتسب فإنه رب طلب قد جر إلى حرب وليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم وأكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً وما خير خير لا يوجد إلا بشر ويسر لا ينال إلا بعسر وإياك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فإنك مدرك قسمك وآخذ سهمك وإن اليسير من الله سبحانه أكرم وأعظم من الكثير من خلقه وإن كان كل منه وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء وحفظ ما في يديك أحب إلي من طلب ما في يد غيرك ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور والمرء أحفظ لسره ورب ساع فيما يضره من أكثر أهجر ومن تفكر أبصر قارن أهل الخير تكن منهم وباين أهل الشر تبن عنهم بئس الطعام الحرام وظلم الضعيف أفحش الظلم إذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً ربما كان الدواء داء والداء دواء وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح وإياك والاتكال على المنى فإنها بضائع النوكى والعقل حفظ التجارب وخير ما جربت ما وعظك بادر الفرصة قبل أن تكون غصة ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب ومن الفساد إضاعة الزاد ومفسدة المعاد ولكل أمر عاقبة سوف يأتيك ما قدر لك التاجر مخاطر ورب يسير أنمى من كثير لا خير في معين مهين ولا في صديق ظنين ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه وإياك أن تجمح بك مطية اللجاج احمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصلة وعند صدوده على اللطف والمقاربة وعند جموده على البذل وعند تباعده على الدنو وعند شدته على اللين وعند جرمه على العذر حتى كأنك له عبد وكأنه ذو نعمة عليك وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه أو أن تفعله بغير أهله لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة وتجرع الغيظ فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألذ مغبة ولن لمن غالظك فإنه يوشك أن يلين لك وخذ على عدوك بالفضل فإنه أحلى الظفرين وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا ذلك له يوماً ما ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه ولا تضيعن حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك ولا ترغبن فيمن زهد فيك ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته ولا يكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فإنه يسعى في مضرته ونفعك وليس جزاء من سرك أن تسوءه **أقول** سدده تجاوزه والتخفيض التسهيل على النفس في الطلب والحرب سلب المال والإجمال في الطلب التسهيل فيه حتى يكون جميلاً والوجيف سرعة السير والمناهل المعاطش والحرفة الضيق في الرزق والحرمان والهجر الرجل إذا الفحش في منطقه والرفق اللين وضده الخرق والنوكى الحمقى جمع أنوك والفرصة وقت الإمكان والظنين المتهم والصرم القطع ومحض النصيحة أخلصها والمغبة العاقبة وقد اشتمل هذا الفصل على الوصية بلطائف من الحكم العلمية ومكارم الأخلاق التي يستلزمها تنظيم أمر المعاش والمعاد وصدره بالتنبيه على ضرورة الموت ليبني عليه ما يريد أن يوصيه به من مفردات الحكم وذلك التنبيه بأمرين أحدهما أن الإنسان في مدة عمره مسافر إلى الآخرة وإن لم يكن السفر ليس على مطايا محسوسة ولا في طرق محسوسة بل المطية فيه الليل والنهار واستعار لفظ المطية لهما باعتبار أنهما أجزاء اعتبارية للزمان يعقب بعضها بعضاً وينقضي بانقضائها الزمان فينتقل الشخص بحسبها في منازل مدة المضروبة المقدرة له منه إلى أن تنقضي مدته ويتم سفره إلى الآخرة كما ينتقل في منازل الطرق المحسوسة إلى أن يتم سفره فيها وكذلك لفظ المسافة مستعار لمدة العمر وتبر ولذلك كان سير الزمان به سيراً اعتبارياً وإن كان واقفاً وقوفاً متعارفاً ويقطع مسافة أجله راكباً للمطايا وإن كان وادعاً قاراً الثاني أمره أن يعلم يقيناً أنه لن يبلغ أمله وذلك أن الإنسان أبداً في توجيه أمله في المطالب كلما حصل مطلوب منها أو أشد ووجه أمله فيه وجهه إلى مطلوب آخر وإن اختلفت المطالب فالأمل أبداً متوجه إلى مطلوب ما ليس مدركاً في الحال والأحال الرجي ذلك على الوجدان فإذن ليس كل مدرك وكذا لا يمكن أن يتجاوز الإنسان أجله المضروب له وإلا لما كان أجلاً له وهذان الأمران في قوة صغريين لقياسين ضميرين من الشكل الأول وتقدير كبرى الأول وكل من يسير به كذلك فيوشك أن ينقطع مدته ويصل إلى الآخرة وتقدير كبرى الثاني وكل من لا يبلغ أمله ولا يتجاوز أجله وهو سالك طريق من كان مثله فيوشك أن يلحق بهم ولما نبه على ضرورة مفارقة الدنيا والوصول إلى الآخرة رتب على ذلك الوصية بالحكم المذكورة وذكر منها جملة الأولى أن يخفض في طلب الدنيا ولا يحرص عليها بل يجمل طلبه لها بقدر حاجته إليها الثاني أن يفعل الجميل فيما يكتسبه منها وذلك أن يضع كل شيء منه موضعه فيمسك منه قدر ضرورته وينفق فاضله في وجوه البر ومصارف القربة

في وصيته لابنه الحسن ع

ويحتمل ان يريد بالمكتسب الاكتساب فاطلق باسم المفعول على المصدر مجازا ويحتمل قول الرسول صلى الله عليه وآله ان روح القدس نفث في روعي ان لن
يموت نفس حتى يستكمل رزقها فاجملوا في الطلب قوله فرب طلب الى قوله بمحروم تنفير عن الخوض في الطلب بامور ثلاثة احدها انه قد
يجر الى الحرب كما نقل انه شوهد في وقتنا ان تاجرا كان رأس ماله سبعة عشر دينارا فسافر بها الى الهند مرارا حتى بلغت سبعة
عشر الفا فعزم على ترك السفر والاكتفاء بما رزقه الله فسولت له نفسه الامارة بالسوء في العود وجذبته لذة الزيادة فعاود
السفر فلم يلبث ان خرج عليه السراق في البحر فاخذوا جميع ما كان معه فرجع وقد حرب ماله وذلك ثمرة الحرص المذموم و
هو في تقدير صغرى ضمير وتقدير كبراه وكل ما جر الى الحرب فلا ينبغي ان يحرص عليه الثاني قوله وليس كل طالب بمرزوق
[…] تنبيه على ان الطلب على الحرمان في بعض الطالبين حتى يقيس نفسه عليه فلا يحرص في الطلب الثالث قوله
ولا كل مجمل بمحروم تنبيه على مثل الحركة تنبه فيه على ان الاجمال علة للرزق في بعض الناس ليقيس نفسه عليه فيجمل في
الطلب الرابع ان يكرم نفسه عن كل دنية وان استلزمت وصوله الى ما يرغب فيه ويتمناه منها وذلك كان يكون بمثابة
او بعد ليصل الى المال ونحوه والاكرام لها عن ذلك يستلزم فضائل كالسخاء والمروة وكبر الهمة والنبل والحلم عن ذلة
البخل و[…] وصغر الهمة يستلزم مفارقة الدنايا فاكرامها والفرار عنها يستلزم الامر بالحصول على فضائلها ونفره عن مفارقة
الدنية بقوله فانك الى قوله عوضا اي ان ما تبذله من نفسك من فضيلة وتفقده من الصالحات بالرذيلة لا […] عند الله وعند
لك اهل الفضائل من خلقه شيء وان جل ولا يكون عنه عوض وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما لا يحصل له عوض من الدنيا
دنيا ولا ينبغي ان يبذل فهو مفارقة للدنايا الخامس ان لا يكون عبد غيره اي لا يجعل لغيره عليه فضل احسان يبذله
اياه فيستعبده ويستوجب بذلك على نفسه خدمته والاستعباد له فيذكره عن الله وقوله وقد جعلك الله حرا في قوة صغرى ضمير
تقدير كبراه وكل من جعله الله حرا فلا ينبغي ان يجعل نفسه عبدا لغيره وكذلك قوله وما خير خير الى قوله الا بعسر سهلهما في معرض الاستنكار
اي لا خير في خير لا يوجد الا بشر ولا يسر لا ينال الا بعسر وكنى بذلك الخير واليسر عما يطلب في مفارقة الدنايا ويصير الانسان
بسببه عبدا لغيره كالمال ونحوه وبالشر والعسر عما يلزمه من بذل ماء الوجه في السؤال والذل وغيرهما من الدنايا وهو ايضا
في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما لا خير فيه فلا ينبغي ان يطلب بتعبد للغير من اجله السادس حذره من الطمع واستعار
لفظ المطايا للقوى الامارة بالسوء كالوهمية والخيالية والشهوية والغضبية ووجه المشابهة كونها حاملة للنفس العاقلة وموصلة
لها الى المشتهيات وما يطمع فيه من متاع الدنيا كالمطايا الموصلة لراكبها الى اغراضه وكذلك وصفها بالوجيف لسرعة انقيادها
معها الى المطامع الرديئة وقوله فتوردك مناهل الهلكة فاستعار لفظ المناهل لموارد الهلاك الاخروي كمنازل جهنم وطبقاتها
ووجه المشابهة كونها موارد وشراب اهل النار المهلك كما قال تعالى فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم والفاء في
جواب النهي للازم للتحذير المذكور وهو في قوة متصلة هي صغرى ضمير تقديرها فانك ان اوجفت بك مطايا الطمع اوردتك
مناهل الهلكة وتقدير الكبرى وكل مطية كذلك فيجب ركوبها السابع نهاه ان يجعل بينه وبين الله واسطة في وصول نعمته
اليه ان استطاع ذلك وهو نهي عن مسألة الغير والتعرض لنواله بل ينتظر منه من رزق الله له ويرضى له من غير سؤال ذي نعمة يكون
فيه بذل ماء الوجه والذلة والمنة ان اعطي وبذله والحرمان والذل ان حرم وعبد في ذلك بضمير […] احدهما قوله فانك مدرك
ان يجعل قسمك واخذ سهمك اي من رزق الله وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا ينبغي ان يجعل بينه وبين الله واسطة يطلب منه رزقه الثاني
قوله وان اليسير الى قوله وان كان كل منه اي من جهة تجد حصوله منها وهي الجهة التي امر الله بطلب الرزق منها وان كان يسيرا اكرم عنده
واشرف من الكثير من غير تلك الجهة كسؤال الغير والتعرض له وتقدير الكبرى وكل ما كان اعظم فينبغي ان يكون هو المطلوب وقوله وان
كان كل منه اي وان كان الرزق من الخلق ايضا من الله الا انه ينبغي ان يوجه الرغبة اليه ابتداء دون غيره اذ هو مبدأ الكل وعلة
الجميع واسناده الثامن قوله وتلافيك الى قوله منطقك […] على ترجيح وجوب الصمت وتغليبه على كثرة الكلام بضمير هذه صغراه و
تقرير […] ما فرط من الصمت وان استلزم الخطأ كالسكوت عما ينبغي ان يقال من حكمة او ما يترتب عليه بعض المصالح الا انه يمكن
استدراكه غالبا بما ينبغي من القول واما فارط القول فان الخطأ فيه قد لا يمكن استدراكه وان امكن فعلى غاية من العسر فلذلك
كان تلافي فارط الصمت بالقول اسهل من تدارك فارط القول ولقوة الخطأ في القول اكثر الناس في ذم الاكثار ومدح الصمت
والمنطق هنا يحتمل ان يريد به المصدر فيكون من لبيان الجنس او محل النطق فيكون لابتداء الغاية وتقدير كبرى الضمير وكل
ما كان ايسر فهو اولى بك ينتج ان تلافي فارط الصمت اولى بك وذلك مستلزم لرجحان الصمت التاسع نبهه على حفظ ما
في يده من المال الحفظ الذي ينبغي وهو الواسطة بين التبذير والبخل والكلام في قوة صغرى ضمير […] وتقدير كبراه وكل ما
كان احب الي من طلب ما في يدي غيرك فهو اولى بك العاشر نبهه على فضيلة قطع الطمع واليأس عما في ايدي الناس

بضمير

بضمير بينهما صغراه قوله ومرارة اليأس إلى قوله الناس وتقدير كبراه وكل ما كان خيرا فهو أولى أن يلزمه ويكرم النفس به وأطلق لفظ المرارة
على الألم الذي تجده النفس بسبب اليأس من المطالب إطلاقا لاسم السبب على المسبب وكونه خيرا لما يستلزمه من إكرام النفس عن ذل السؤال
ومذلة الطلب منه وإليه أشار الشاعر بقوله وإن كان طعم اليأس مرا فإنه ألذ وأحلى من سؤال الأراذل الحادي عشر نبهه على وجوب
الصبر في ضيق الرزق والحرمان إذا كان مع فضيلة العفة وأن لزومه أولى من طلب الغنى المستلزم للفجور بضمير أيضا صغراه ما ذكر مما
وتقدير كبراه وكل ما كان خيرا من الغنى مع الفجور فلزومه أولى من طلب ذلك الغنى مع الفجور فلزومه أولى من طلب ذلك الغنى
مع الفجور فلزومه أولى من طلب ذلك الغنى وإنما كان كذلك لاستلزام تلك الحرفة الفضيلة واستلزام ذلك الغنى الرذيلة وقد علمت
أن العفة فضيلة القوة الشهوية وأنها بين رذيلتي تفريط يسمى خمود الشهوة وإفراط يسمى فجورا الثاني عشر نبهه على أنه لا يجوز
إفشاء سره بتمثيله أصله المرء والفرع هو والحكم كونه أحفظ لسره والعلة كونه أكثر عناية بنفسه من غيره الثالث عشر نبهه
بطريق التمثيل أيضا على التحرز في السعي والتثبت في ارتياد المصالح بقوله رب ساع فيما يضره فالأصل هو الساعي والفرع هو
المخاطب والعلة هي السعي والحكم هو المضرة الرابع عشر نبهه على وجوب ترك الإكثار في القول بتمثيل أيضا أصله المكثر وفرعه
المخاطب وعلته الإكثار وحكمه الهجر والغرض أن يعتبر بنفسه في خوضها بالمكثر في لزوم الهجر له فيترك الإكثار لما يلزمه من الهجر ويلحق
الذم به الخامس عشر نبهه على فضيلة التفكر في الأمور بقوله من تفكر أبصر أي أدرك بعين بصيرته حقائق الأمور وعواقبها السادس
عشر أمره بمقارنة أهل الخير بضمير دل على صغراه بقوله تكن منهم وتقديرها أن مقارنتهم تستلزم الكون منهم وتقدير الكبرى
وكل ما استلزم الكون منهم فواجب أن يفعل السابع عشر وكذلك أمره بمباينة أهل الشر ومفارقتهم لما تستلزمه المباينة لهم من
عدم العداد في جملتهم في الدنيا والآخرة وعين الحجة كالذي قبله الثامن عشر نبهه على قبح اكل الحرام لغاية اجتنابه بضمير
صغراه ما ذكر وإنما كان أقبح الظلم لكون الضعيف في محل الرحمة فظلمه لا يصدر إلا عن قلب قاس ونفس بعيدة من الرقة والرحمة
والعدل ولا أثر مقابل من الضعيف ممن قدر لما يعذر فكان أبعد عن العدل وتقدير كبراه وكل ما كان أفحش الظلم كان أولى
أصناف الظلم بالترك والاجتناب العشرون نبهه على أن الرفق في بعض المواضع كالخرق في كونه مخلا بالمصلحة غالبا ومفوتا للغرض
كان استعمال الخرق في ذلك الموضع كاستعمال الرفق في استلزامه للمصلحة وحصول الغرض غالبا فكان أدخل من الرفق في ذلك
الموضع ولفظ الخرق في الأول والرفق الثاني مستعاران للرفق الأول والخرق الثاني لما ذكرناه من المشابهة وإلى هذا المعنى أشار
أبو الطيب ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى الحادي والعشرون نبهه على أن بعض
ما فيه مصلحة ظاهرة قد يشتمل على مفسدة بقوله ربما كان الدواء داء وعلى أن بعض ما هو مفسدة في الظاهر قد يستلزم مصلحة
بقوله والداء دواء ولفظ الدواء مستعار للمصلحة ولفظ الداء للمفسدة ووجه الاستعارة أن المصلحة من شأنها نظام
حال الإنسان ومن شأن المفسدة فساده كالدواء والداء وإلى هذا المعنى أشار المتنبي فربما صحت الأجساد بالعلل الثاني و
العشرون نبهه على أنه لا ينبغي أن يعرض عن مشورة من علم بأمر هو مظنة مصلحة وإن كان من شأنه أنه غير ناصح له بل ينظر في رأيه ومشورته فربما
كان نصيحة وكذلك لا ينبغي أن يركن إلى قول من يعتقده ناصحا مطلقا إذ من الجائز أن يغشه الثالث والعشرون نهاه عن الاتكال على
المنى وتقرير عنها بضمير صغراه قوله إنها بضائع النوكى واستعار لفظ البضائع لها باعتبار أن الأحمق يحصل منها لذة خيالية من
الأمور المتمناة هي ثمرتها كما يحصل عن البضاعة الربح وأضافها إلى النوكى لعدم الفائدة في المنى كعدم الربح عن بضائع النوكى
الرابع والعشرون رسم العقل بأنه حفظ التجارب والإشارة إلى العقل العملي وهو القوة التي للنفس بحسب حاجتها إلى تدبير البدن
الموضوع لتصرفاتها وتكميله وهي التي بها تستنبط الآراء المصلحية مما يجب أن يفعل من الأمور إذ كان الشروع في العمل الاختياري
المختص بالإنسان إنما يتأتى بإدراك ما ينبغي أن يعمل في كل باب وهو إدراك رأي كلي أو جزئي يستنبط من مقدمات بعضها جزئية
محسوسة وبعضها كلية أولية أو تجربية أو ذائعة أو ظنية يحكم بها العقل النظري من غير أن يختص بجزئي دون غيره والعقل
العملي يستعين بالنظري في ذلك ثم ينتقل منه باستعمال مقدمات جزئية إلى أن ينتقل إلى الرأي الجزئي الحاصل فيعمل بحسبه و
يحصل بعمله مقاصده في معاشه ومعاده وإرادته لهذا العقل أظهر لأنه المتعارف ولأنه في معرض الأمر بتحصيل مكارم الأخلاق
التي هي كمال هذه القوة وحفظ التجارب إشارة إلى ضبط هذه العلوم المنتزعة من مشاهدات متكررة من الأمور جزئية تكرر
فيفيد حكما كليا ككون السقمونيا مثلا من شأنها الإسهال وعرفا العقل بذلك لكونه من خواصه وكالأثر الخامس والعشرون
نبهه على أنه ينبغي أن يقتصر من التجارب على ما وعظه أي من شأنه أن يفيده موعظة واعتبارا إلا النظر في حال من تكرر ظلمه
فأسرع عقوبة الله إليه أو يكون تكرر ذمه فأدركه المقت بضمير صغراه ما ذكر وتقديرها ما وعظك فهو خير التجارب وتقدير
الكبرى وخير التجارب أولى بأن يتبع من ما وعظك من التجارب أولى بك ونحوه قول أفلاطون إذا لم تعظك التجربة لم تجرب بل أنت

في وصيته لابنه الحسن

مبادرة كما كنت السادس والعشرون أمره بانتهاز الفرصة فيما ينبغي أن يفعل وتنفيره عن تركها بما يستلزمه من الأسف والغصة وأطلق
اسم الغصة على الفرصة مجازاً تسمية للشيء باسم ما يؤول إليه السابع والعشرون نبّه على ما ينبغي من ترك الأسف على ما يفوت من المطالب
بضمير صغراه ما في قوة هذا السلب من الإيجاب تقديره بعض المطالب لا يصيب طالبه وتقدير الكبرى وكل من لا يصيب مطلوبه
فلا ينبغي أن يأسف على فواته ليقدر السامع نفسه أنه من ذلك البعض فلا يأسف على فائت وكذلك قوله ولا كل غائب يؤوب
الثامن والعشرون نبّه على لزوم التقوى بضمير تقدير صغراه أن من أعظم الزاد ومفسدته المعاد من الفساد وتقدير الكبرى وكل ما كان من
الفساد وجب تركه ولفظ الزاد مستعار للتقوى كما سبق التاسع والعشرون نبّه على وجوب النظر في عواقب الأمور واختيار أحسنها بضمير
ذكر ما هو في قوة صغراه وتقدير صغراها كل أمر له عاقبة فاقتصاره وتقدير كبراه وكل ما له عاقبة كذلك فينبغي أن يلمح ليفعل ما يؤول
إليها أو يجتنب الثلاثون نبّه على وجوب ترك الحرص وكذا الغش في طلب المال ونحوه بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه وكل ما سوف يأتيك
فينبغي أن لا تحرص في طلبه الحادي والثلاثون نبّه على وجوب الاحتراز في المعاملات كالبيع والشراء ونحوه بضمير صغراه ما ذكر ووجه
كون التاجر مخاطراً أنه لما كان محباً للمال ومتوجهاً إلى اكتسابه وكان حال البيع في مظنة أن يحيف فيأخذ راجحاً ويعطي ناقصاً
مع أن تكليفه لزوم العدل والاستقامة على سواء الصراط فلا جرم كان على خطر من وقوعه في طرفي التفريط والتقصير عن سواء
السبيل وتقدير الكبرى والمخاطر يجب أن يحترز في فعله المخاطر فيه الثاني والثلاثون لما نبّه على وجوب الاحتراز في التجارة و
التحفظ من الظلم وكان ذلك الظلم إنما هو لغرض كثرة المال نبّه في هذه الكلمة على أن من المال اليسير ما هو أنمى من الكثير ليقتصر
عليه والمراد اليسير الحلال فإنه أنمى للعاقل من الكثير الحرام في الآخرة لاستلزامه زيادة الثواب وهي في قوة صغرى ضمير تقديره
اليسير الحلال أنمى من الكثير الحرام وتقدير الكبرى وكل ما كان أنمى من الكثير الحرام فيجب أن يقتصر عليه الثالث والثلاثون نبّه
على ترك الاستعانة في المهمات بالمتهم من الناس بضمير تقدير صغراه الكبرى وكل من كان كذلك فالأولى اجتناب الاستعانة به
والخير المنتفي ضده هو النافع في الاستعانة به ومعلوم أنه ينتفي عنه المنافع ببغضه والتهوين في مهمات الأمور وعليه تهاون
لأن ذلك يستلزم تهمته ويتعقبه المفارقة ونحوه قولهم إذا نكبت بغيره كان حجة لله عليه الرابع والثلاثون نبّه على مجانبة
الصديق المتهم بضمير تقدير صغراه كالتي قبلها والمراد أنه لا خير فيه لصديقه إذ كان من حيثية الباطن مظنة الشر له الخامس والثلاثون
أمره أن يصبر على ما تقتضيه الدهر ولا يتسخط منه ذلك ولئن كان دون رضاه إذ كان ذلك هو الممكن في الطبيعة وما يعطي المادة و
استعار لفظ القعود للزمان الذي تليه فيه ويدفع ويسهل فيه بعض مهماته ووجه المشابهة أن ذلك الزمان يمكنه من بعض مهماته وحوائجه
وطلبه لا يمكن فيه وما لم يعد تحصيله من المطالب بما يستلزم تعبه وامتناع ما كان ممكناً فيه كان القعود من شأنه أن يمكن من ظهره
واقتعاده وهو بمعرض أن ينفر براكبه إذا استزاده وشدد عليه ولفظ الذلة مستعار ليكون الزمان والمكان المطلوب فيه و
المراد بما هلكة الجريان معه بقدر مقتضاه من دون تشديد وتسخط عليه فإن ذلك يستلزم تعب النفس من غير فائدة وإلى مثله
أشار القائل إذا الدهر أعطاك العنان فسر به رويداً ولا تعنف فيصبح شامساً السادس والثلاثون نهاه أن يخاطر بما يملكه رجاء
أكثر منه إذ كان في مظنة أن لا يعود وقد يكون ذلك يضيع الأصل ويحمل ذلك على كون الإنسان يلقي ما في يده للغرض المذكور مع شكه
في سلامته أما مع ظن السلامة فلا خطر ونحوه قولهم من طلب الفضل حرم الأصل السابع والثلاثون حذره من اللجاج فطلب
الأمر عند تعسره ونفره عنه بأن استعار له لفظ المطية الجموح ووجه المشابهة كونه يؤدي بصاحبه إلى غاية ليست بمحمودة كالجموح من
المطايا الثامن والثلاثون أمره أن يلزم نفسه ويحملها في حق صديقه الحق على أن يقابله ويجازيه بضد ما يقابله من الفضائل كالقطيعة
بالصلة وما يراه ذكر ليعود إلى الغني وبعدم المودة وحذره أن يضع ذلك في غير موضعه أو يفعله بغير أهله من اللئام لأن ذلك
وضع الشيء في غير موضعه وهو خروج عن العقل وقد علمت أن الأمور المذكورة من لوازم الصداقة الحقة وإلى نحوه أشار الشاعر
بقوله وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جداً فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً
وإن زجروا طيراً بنحس تمر بي زجرت لهم طيراً يمر بهم سعداً ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا التاسع
والثلاثون نهاه أن يتخذ عدو صديقه صديقاً ونبّه على قبح ذلك بضمير استثنائي تقديره فإنك إن فعلت ذلك عاديت
صديقك وتستدل هنا بنفي اللازم على نفي ملزومه أي لكن معاداة الصديق قبيحة منهي عنها فاتخاذ عدوه صديقاً كذلك ووجه الملازمة
أن مصادقة عدو الصديق يستلزم نفرة الصديق ممن يصادق عدوه لتنفره عن عدوه ولأن مصادقة عدوه توهم مشاركة العدو
وموافقته في جميع أحواله ومن جملة أحواله عداوة وهي ترى أن توهم الموافقة على عداوته موجب للنفرة والمجانبة وإليه أشار
بن كرز القائل تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك إن الرأي عنك لعازب الأربعون أن يخلص نصيحة لأخيه في جميع أحواله
سواء كانت النصيحة حسنة أو قبيحة أي مستقبحة في نظر المنصوح ضارة له في العاجل باعتبار استحيائه وانفعاله من المواجهة بها

ونحوه قول

في وصيته لابنه الحسن

ونحوه قوله تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم بعد ها بالتنبيه اليهم سيئة الحادي والاربعون امره بتحمل كظم الغيظ و
قد رسمت بانها الامساك عن المبادرة الى قضاء وطر الغضب فيمن يجني عليه جناية يصل مكروهها اليه وقد يرادف الحلم والكرم والصفح
والتثبت والعفو والتجاوز والاحتمال وربما فرق بعضهم بين هذه المفهومات واستعار وصف التجرع للتصبر على غصص الالم الموجود
منه ملاحظة لما بينه وبين دواء ترتب على تحمله من الحلاوة ولفظ الحلاوة واللذة ضمير صغراه قوله فاني لم ار الحلاوة واستعار لفظ الحلاوة والمساغ لما يلزمه
من العاقبة وبعد التشاغب والاشتياق لما منه من اللذة والضمير في قوله منها يعود الى ما دل عليه قوله تجرع من المصدر وتقدير الكبرى و
كل ما لا ابرى من التجرع احلى منه فينبغي ان يتجرع وبين العابد بن ومن وصيته لابنه الباقر يا بني عليك بتجرع الغيظ من الرجال فان اباك
لا يسره بنصيبه من تجرع الغيظ من الرجال حمر النعم الثاني والاربعون امره بان يلين لمن غالظه وخاشنه ونبه على حسن ذلك
بضمير صغراه قوله فانه يوشك ان يلين لك اي بسبب لينك له حال غلظته وتقدير كبراه كل من قارب ان يلين لك بسبب لينك
له فالاولى بك ان تلين له ونحوه قولهم اذا عز اخوك فهن واصله قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم الثالث والاربعون امره بان ياخذ على عدوه بالفضل من عوارفه ونبهه على الحسن باستلزامه احد الظفرين فان الظفر
سببين احدهما الرهبة بالقوة والغلبة وهو الاظهر الثاني الرغبة بالافضال عليه بحيث يسترقه به ويدخل في الطاعة بسببه وقوله
فانه احد الظفرين صغرى ضمير وتقدير الكبرى وكل ما صدق عليه انه احد الظفرين فينبغي ان يفعل الرابع والاربعون امره ان اراد
مقاطعة اخيه ان يبقي له من نفسه بقية من صداقته ولا يفارقه مفارقة كلية ونبه على ذلك بضمير اشار الى صغراه بقوله يرجع اليها
اي فانه يرجع اليها لو بدا له الرجوع وتقدير الكبرى وكل ما يرجع به فواجب له بقيته له ونحوه قولهم احبب حبيبك هونا ما عسى
ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقولهم اذا هويت فلا تكن غاليا واذا تركت
فلا تكن قاليا الخامس والاربعون ان يصدق من ظن به خيرا في ظنه وذلك التصديق بفعل ما ظنه فيه من الخير كان يظن به الجود
ويفضل عليه السادس والاربعون نهى ان يفعل باهله شرا وتقريره بضمير تقديره صغراه فان اهلك يكونون اشقى الخلق بك لذلك
لملازمتهم وقربهم منهم وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو مذموم السابع والاربعون انه لا يضيع حق اخ له اعتمادا على ما بينهما من
الاخوة ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانه الى قوله حقه والمعنى ان من اضعت حقه لا بد ان يفارقك لتضييعك حقه فلا يكون
اخا لك وتقدير كبراه وكل اخ يفارقك لتضييع حقه فلا ينبغي ان تضيع حقه لتسلم لك مودته واخوته ونحوه قولهم اضاعة
الحقوق داعية العقوق الثامن والاربعون نهاه عن الرغبة فيمن زهد فيه واراد بمن زهد فيه من ليس للصنيعة موضعا ولا للمودة
اهلا وليس باخ قديم والا لناقض ما قبله وما بعده من الامر بصلة من قطعه والدنو ممن تباعد عنه والاحسان الى من اساء اليه
اشار الى وجوب ذلك بالتنفير من نقيضه بضمير صغراه شرطية متصلة تقديرها فانك لا تفعل ذلك لكن اخوك اقوى على فعل الاساءة
منك الى فعل الاحسان وبيان الملازمة ان الاساءة والشر لهما صوارف كثيرة تصرف عنه والاحسان وفعل الخير له بواعث كثيرة تبعث
عليه فاذا لم تفعل الاحسان مع كثرة البواعث عليه واساء اخوك مع كثرة صوارفه عن الاساءة كان هو اقوى على الاساءة منك على الاحسان
وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو عاجز مذموم التاسع والاربعون نهاه عن استعظام ظلم الظالمين في حقه وهو تنبيه على ذلك بضمير صغراه قوله فانه
يسعى في مضرته ونفعك اي انه يسعى في ظلمه بما يستلزم مضرته في الاخرة بما توعد الله به الظالمين ونفعك بما وعد الله به الصابرين على
بلائهم وتقدير الكبرى وكل من سعى في مضرته ونفعك فلا ينبغي ان يكبر عليك فينبغي ان تحتمل الجاري في حقك الخمسون تنبيهه على وجوب
مقابلة الاحسان بمثله دون الكفران بقوله ليس جزاء من سرك ان تسوءه وهو في قوة صغرى ضمير تقديرها من سرك فليس جزاؤه ان
تسوءه وتقدير كبراه وكل من لم يكن جزاؤه ذلك فينبغي ان لا تسوءه وقيل ان هذه الكلمة من تمام التي قبلها والتقدير لا يكبرن عليك ظلم
من ظلمك فتقابله بسوء فانه يسعى في مضرته ونفعك وكل من كان كذلك فليس جزاؤه ان تقابله بالاساءة

الفصل العاشر

قوله واعلم يا بني ان الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان انت لم تاته اتاك ما اقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء
عند الغنى ان لك من دنياك ما اصلحت به مثواك وان جزعت على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك استدل على ما لم
يكن بما قد كان فان الامور اشباه ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة الا اذا بالغت في ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لا تتعظ
الا بالضرب اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين من ترك القصد جار والصاحب مناسب والصديق من صدق
غيبه والهوى شريك العمى رب بعيد اقرب من قريب وقريب ابعد من بعيد والغريب من لم يكن له حبيب من تعدى الحق ضاق مذهبه
ومن اقتصر على قدره كان ابقى له واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه ومن لم يبالك فهو عدوك قد يكون
الياس ادراكا اذا كان الطمع هلاكا ليس كل عورة تظهر ولا كل فرصة تصاب وربما اخطا البصير قصده واصاب الاعمى رشده
اخر الشر فانك اذا شئت تعجلته وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل من امن الزمان خانه ومن اعظمه اهانه ليس كل من رمى

في وصيته لابنه الحسن ع

اصاب اذا تغير السلطان تغير الزمان سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار اياك ان تذكر من الكلام ما كان مضحكا وان حكيت ذلك
عن غيرك واياك ومشاورة النساء فان رايهن الى افن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من ابصارهن بحجابك اياهن فان شدة
الحجاب ابقى عليهن وليس خروجهن باشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن وان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل ولا تملك
المرأة من امرها ما جاوز نفسها فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها ان تشفع لغيرها واياك
والتغاير في غير موضع غيرة فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم والبريئة الى الريب واجعل لكل انسان من خدمك عملا
تاخذه به فانه احرى ان لا يتواكلوا في خدمتك واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير واصلك الذي اليه تصير ويدك
التي بها تصول استودع الله دينك ودنياك واسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة انه عز وجل

اقول المثوى المقام ودمثت لانت وعزائم الصبر ما جزمت به منه ولزمته والعورة هنا الاسم من اعور الصيد اذا امكنك من نفسه
واعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب والافن الضعف والقهرمان لفظ فارسي معرب وفي الفصل تنبيهات على لطائف من الحكمة و
مكارم الاخلاق الاولى انه قسم مطلق الرزق الى قسمين مطلوب وطالب واراد بالرزق المطلوب ما لم يجر في القضاء الالهي كونه رزقا له و
بالطالب ما علم الله انه رزقه وانه لا بد من وصوله اليه وترك بيان احكام القسمين للعلم بها والتقدير فاما الذي تطلبه ولا بد ان
يكون القضاء الالهي لم يجر به وكل ما لا بد لك فينبغي ان لا تحرص عليه واما الذي يطلبك فانه لا محالة ياتيك وان لم تاته وهو صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل ما كان اتيانه لا محالة فينبغي ان لا تحرص في طلبه الثانية تنبيه على فضيلة عزة النفس عند الحاجة وعلى مواصلة
الاخوان في الغنى بالتعجب من قبح ضديهما وهما الخضوع في الحاجة والجفاء في الغنى للتنفير عنهما فكانه قال ما اقبحهما وهي في قوة ضمير
تقدير صغراه ان الذل في الحاجة وجفاء الاخوان في الغنى قبيحان جدا وتقدير كبراه وكلما كان كذلك وجب اجتنابه الثالثة تنبيه على
بذل المال في وجوه البر والقربات لغاية اصلاح الاخرة بقوله انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك واراد بالمثوى ما يملك نفعه دائما ولك
حصره بانما لانه الفعل والمنتفع به على الحقيقة والذي يبقى ثمرته لاستلزام بذله له تحصيل الملكات الفاضلة المستلزمة للثواب
الدائم والنعيم المقيم في الاخرة وهو صغرى ضمير تقدير هنا ما اصلحت به مثواك من دنياك هو الذي يبقى لك منها وتقدير الكبرى
وكل ما هو الباقي لك منها فينبغي ان تحصر عنايتك فيه ويحتمل ان تكون هذه الكلمة تنبيها على ما قبلها من المواصلة في الغنى لغاية
اصلاح المثوى بالمال المنبه عليه فيها الرابعة تنبيه على ترك الاسف والجزع على ما يخرج من يده من المال بقياس شرطي وذلك
قوله فان جزعت الى قوله اليك وبيان الملازمة ان الذي يخرج من يده كالذي لم يصل اليه في ان كل واحد ليس برزق له وليس مما قضى الله له به
وتقدير الاستثناء لكن الجزع هناك قبيح وغير متحقق فينبغي ان لا يحصل الجزع ههنا الخامسة امره ان يستدل بقياس ما لم يكن اي
يحدث من امور الدنيا واحوالها وتغيراتها على ما كان وحدث منها وذلك ان يقيس نفسه وما رغب فيه من متاع الدنيا على ما
سبق من اهلها ومتاعها فيجد مثله ويحكم بحكم له وهو التغير والزوال فيستلزم ذلك الاعتبار والرغبة عن الدنيا ومتاعها ونبه
على امكان ذلك بضمير صغراه قوله فان الامور اشباه وتقدير الكبرى وكل ما هو متشابه فيمكن قياس بعضه على البعض وكان يقال
اذا اردت ان تنظر الدنيا بعدك فانظرها بعد غيرك السادسة تحذيره ان يكون ممن لا ينفعه التعنيف فيما يقع به من الرذائل الا اذا بالغ
في النصيحة والتوبيخ في ايلامه واذاه وروي بالغت باسناد الخطاب اي في ايلامه بالقول وغيره وضرب له العاقل مثلا في اتعاظه بالادب
تذكيره ما يستحق بنفسه عليه فيتعظ بالادب والبهائم مثلا في عدم اتعاظها وتذكيرها الا بالضرب ليعتبر نفسه بالقياس اليهما
وقد رفعها الله عن العقل فيجب ان ينزه نفسه عن ان لا يفهمها فلا يحتاج الى الايلام بقول او فعل وكان يقال اللئيم كالعبد والعبد كالبهيمة
عنها ضربها السابعة ان يبعد عن نفسه ما يرد عليها من الهموم والغموم ومصائب الدنيا بالصبر الجازم الثابت عن حسن اليقين بالله فعزم
وباسرار حكمته وقضائه وقدره وذلك ان يعلم يقينا ان كل امر صدر عن الله وابتلى به عباده من ضيق رزق او سعة وكل امر مرهوب او مرغوب
فعلى وفق الحكمة والمصلحة بالذات وما عرض في ذلك مما يعد شرا فامر عرضي لا يمكن نزع الخير المقصود منه فان ذلك اذا كان متيقنا استعدت
النفس بعلمه للصبر وصفا وقد الهوى في الغم والجزع ونحوه والغرض من الكلمة الامر بالصبر وهي في قوة صغرى ضمير تقدير صغراها ان عزائم الصبر
وحسن اليقين بالله يستلزمان طرح واردات الهموم وبعدها عن النفس وتقدير الكبرى وكل ما استلزم ذلك فينبغي ان تستعد به وتستكمل
به نفسك الثامنة تنبيه على لزوم القصد والعدل في افعاله واقواله بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه ومن جار هلك التاسعة على حفظ
الصاحب الحق والرغبة فيه بضمير ذكر صغراه واستعار له لفظ النسيب باعتبار مودته وحسن معاضدته كالنسيب وتقدير كبراه والمناسب ينبغي
ان يحوطه ويصطنع عنده العاشرة عرف الصديق الحق بعلامة ليعرف بها ويصادق واراد بصدقه في غيبه صدقه في غيبه كما
معه وما غاب من باطنه عن غيره الحادية عشر تنبيه على مجانبة الهوى والميول الطبيعية بضمير صغراه قوله الهوى شريك العمى وجعله
كونه شريكا له استلزامه للضلال وترك القصد كالعمى وتقدير الكبرى وكل ما هو شريك العمى فينبغي ان يجتنب ونحوه قولهم حبك

الشيء

في وصيته لابنه الحسن ع

للشئ ويعمي ويصم الثانية عشرة تنبيه على ان في البعداء من هو اقرب وانفع من النسيب وفي الاقرباء من هو ابعد من البعيد وهو ظاهر والى المعنى الثاني
اشار القرآن الكريم بقوله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الثالثة عشرة تنبيه على ان الحقيق باسم الغريب هو من لم يكن له
حبيب اي محب يحبه واليه اشار القائل اسرة المرء والداه وفيما بين حضنيهما الحيوة تطيب فاذا وليا عن المرء يوما فهو في الناس اجنبي
غريب وذلك باعتبار محبة الوالدين له الرابعة عشرة تنبيه على لزوم الحق بما يلزم بفيضه وهو تعديه وتجاوزه الى الباطل من ضيق
المذهب وعادة السالك وذلك ان طريق الحق واضح مامور باتباعه وقد نصبت عليه اعلام الهداية اما طريق الجهالة الباطل فهي
ضيقة وعرة على سالكها فيها من التحير والخبط وعدم الهداية الى المصلحة والمنفعة مع كونها ممنوعة من سلوكها طريق الحق من حاد عنها اخذوا
عليه مذهبه وضيقوا عليه مسلكه حتى يعود الى طريق الحق وهو صغرى ضمير تقدير كبراه كما مر في قوله من ترك القصد جار الخامسة
عشرة تنبيه على وجوب الاقتصار على قدره وهو مقداره ومحله في خلق الله واقتصاره عليه مبني على معرفته وهو ان يعلم الفطرة التي
فطر الانسان عليها من الضعف والجور والنقص ويعلم انه كذلك فيمنع نفسه عن الترفع عن ابناء نوعه والاستطالة على احد منهم بفضل
قوة او اعجاب بقيته حسب انية او نشابه ويقتصر على ما دون ذلك من التواضع ولين الجانب والاعتراف بما جبل عليه من العجز والنقص
وهو في قوة صغرى ضمير تقديرها من اقتصر على قدره كان اقتصاره ابقى له وذلك ان المتطاول الى قدر غيره والمتجاوز لقدره
في مظنة ان يهلك لقصد الناس اياه بالمكاره والتنكير قبل من جهل قدره قبل نفسه والاقتصار على القدر يستلزم عدم هذه الامور
فكان ابقى على صاحبه واسلم وتقدير الكبرى وكل من كان اقتصاره على قدره ابقى له فواجب ان يقتصر عليه السادسة عشرة تنبيه
على لزوم سبب بينه وبين الله تعالى وهو كل ما قرب اليه من علم وقول وعمل ولفظ السبب مستعار لذلك باعتبار ايصاله الى الله والقرب
منه كالحبل الذي يتوصل به الى المقصود ولذلك اوثق الاسباب لثباتها دائما ونجاة المتمسك به في الدنيا والآخرة والكلمة صغرى
ضمير تقديرها السبب بينك وبين الله تعالى اوثق الاسباب المأخوذ بها وتقدير الكبرى فكل ما كان كذلك فينبغي ان يتمسك به ونحوه
قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها السابعة عشرة تنبيه على مجانبة من لا يبالي به
بضمير ذكر صغراه وتقديرها من لا يبالي بك وقت حاجتك اليه وقد ربما تعول عليه فهو عدو لك ولفظ العدو مستعار له باعتبار ان
عدم المبالاة من لوازم العدو وتقدير الكبرى وكل عدو فينبغي مجانبته الثامنة عشرة تنبيه على ان اليأس من بعض المطالب لذي فاقة
يكون سببا للسلامة من الهلاك والورطات والنجاة منه وذلك عندما يكون الطمع في ذلك المطلوب مستلزما للهلاك كالطمع في نيل
ملك ونحوه التاسعة عشرة تنبيه بقوله ليس كل عورة الى قوله رشده على ان من الامور المكتومة والفرص ما يغفل الطالب البصير عن وجه
طلبه فلا يصيبه ولا يهتدي له ويظفر به الاعمى واستعار لفظ البصير للعاقل الذكي والاعمى للجاهل الغبي وغرض الكلمة التسلية عن
الاسف والجزع على ما يفوت من المطالب بعد امكانها العشرون الامر بتاخير الشر وعدم الاستعجال فيه وتنبه عليه بضمير ذكر صغراه ومعناها
انك قادر على تعجيله اي وقت شئت وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فينبغي ان لا يعجل فيه اذ لا يفوتك ونحوه من الكلمة الحكمية قولهم
ابدا بالحسنة قبل السيئة فلست بمستطيع الحسنة في كل وقت وانت على الاساءة متى شئت قادر الحادية والعشرون تنبيه على وجوب
قطيعة الجاهل بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه وكل ما يعدل صلة العاقل فينبغي ان يرغب فيها ويفعلها وانما كانت تعدلها باعتبار
استلزامها للمنفعة ومنفعة قطيعة الجاهل بالقياس الى ما في صحبته من المضرة الثانية والعشرون تنبيه على وجوب الحذر من الزمان
ودوام ملاحظة تغيراته والاستعداد لها وهو اثر مثل من يوثق بها بالاعمال الصالحة واستعار له لفظ الخيانة باعتبار تغيره عند الغفلة
والامن منه والركون اليه فهو في ذلك كالصديق الخائن والكلمة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من خانه الزمان فينبغي ان يكون منه
على حذر وفي الحكمة من امن الزمان ضيع ثغرا مخوفا الثالثة والعشرون تنبيه بقوله من اعظمه اهانه على وجوب ترك اعظامه ولم يرد
الزمان المجرد بل من حيث هو مشتمل على خيرات الدنيا ولذاتها ومعد لطيب العيش بالصحة والشباب والامن ونحوها وهو بذلك
الاعتبار يكرم ويستعظم فيقال في العرف زمان طيب وزمان عظيم واما استلزام ذلك الاهانة من يستعظمه فلان اعظامه له استكرام
استنامة اليه واشتغال بما فيه من اللذات الدنيوية فيغفل بسبب محبتها عن الاستعداد لما وراءه ثم ان الزمان مكر عليه بنقص طباعه
فيفرق بينه وبين ما كان يعتز به من مال وجاه او رجال فيصبح حقيرا بعد ان كان خطيرا او صغيرا بعد ان كان كبيرا او قليلا بعد ان
كان كثيرا والكلمة في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من اهانه الزمان فينبغي له ان يستهين به ولا يعظمه الرابعة والعشرون قوله
ليس كل من رمى اصاب وقد سبق مثله في قوله ليس كل طالب يصيب وغرضه التنبيه على ما ينبغي من ترك الاسف على ما يفوت من المطالب
والتسلي عن خطأ في طلبها وتوبيخ الغير وتبكيته بانه ليس باهل لتلك المطلوب وان لم يعقوما اخرين والى نحوه اشار ابو الطيب ما كل من
طلب المعالي نافذا فيها ولا كل الرجال فحولا الخامسة والعشرون تنبيه على ان تغير السلطان في عدله وجوره ونحوه في رعيته من العدل
الى الجور يستلزم تغير الزمان عليهم اذ يغير من الاعداد للعدل الى الاعداد للجور وروي ان كسرى انوشيروان جمع عمال السواد وبيده

من كتاب كتبه الى معاوية

درة بقبلتها اى شئ اضر بارتفاع الاعمال والعجب الى محتشمين اجابني بما في نفسي جعلت هذه الدرة في فيه فقال كل منهم قولا من احتباس المطر
والجراد واختلاف الهواء فقال لوزيره قل انت فاني اظن عقلك يعادل عقول الرعية ويزيد عليها فقال انما يضر بارتفاعها تغير راى
السلطان في رعيته واضمار الحيف لهم والجور عليهم فقال لله ابوك لهذا العقل اهلك الملوك لما اهلوك له ودفع اليه الدرة
فجعلها في فيه السادس والعشرون امره بالسؤال عن الرفيق اذا اراد سلوك طريق وعن الجار اذا اراد سكنى دار لغاية ان يجتنبه ان كان شريرا
ويرافقه ان كان خيرا فان الرفيق اما رحيق واما حريق وكذلك عن الجار عند ارادة سكنى الدار للغاية المذكورة وروى هذا
الكلام مرفوعا السابع والعشرون حذره ان يذكر من الكلام ما كان مضحكا سواء كان عن نفسه او عن غيره لما يستلزم ذلك
من الهوان وقلة الهيبة في النفوس الثامن والعشرون وصاه في النساء بامور احدها الحذر من مشاورتهن ونبه على وجوب
الحذر بضمير صغراه قوله فان رايهن الى قوله وهن وذلك لنقصان عقولهن وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فينبغي ان
يحذر من استشارته لما ان ضعف الراى مظنة الخطأ وعدم اصابة وجه المصلحة فيما يستشار فيه الثاني ان يكفف عليهن
من ابصارهن بحجابه اياهن وهو من افصح الكنايات عن الحجب ومن زائدة ويحتمل ان يكون للتبعيض ونبه على وجوه حجبهن
بضمير صغراه قوله فان شدة الحجاب ابقى عليهن اى ابقى للستر والعفة من الخروج والتبرج وادوم لحفظهن وتقدير الكبرى
كل ما كان كذلك وجب فعله الثالث نبه على انه لا يجوز ان يرخص في ادخال من لا يوثق به عليهن وهو اعم من الرجال والنساء
والكلام في قوة صغرى ضمير دل به على ذلك المنع وتقديرها ان ادخال من لا يوثق به عليهن اما مساو لخروجهن في المفسدة
او اشد وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فلا يجوز الترخيص فيه وانما كان اشد في بعض الصور لان دخول من لا يوثق به
عليهن امكن لمحاورتهن والحديث معهن فيما يراد من الفساد الرابع امره ان يحسم اسباب المعرفة بينهن وبين غيره لكون معرفتهن بانسان
لغيره مظنة المفسدة وقرينة الحال تخرج غيره الى الاولاد كالولد والمحرم وانما شرط في ذلك الاستطاعة لانه قد لا يمكن الا
دفع معرفتهن لغيره مطلقا الخامس نهاه ان يملك المراة من امرها ما خرج عن حد نفسها من ماكول وملبوس ونحوه وما جاوز ذلك
كالشفاعات ونبه على عدم صلوحها بضمير صغراه قوله فان المراة ريحانة وليست بقهرمانة واستعار لها لفظ الريحانة باعتبار
كونها محلا للذة والاستمتاع بها ولعل تخصيص الريحانة بالاستعارة لان شان نساء العرب استعمال الطيب كثيرا وكنى بكونها
غير قهرمانة عن كونها لم تخلق لتكون حاكمة مسلطة بل من شانها ان تكون محكوما عليها وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا
ينبغي ان يجاوز بها امر نفسه وتمكن من التصرف في امر غيره السادس وكذلك نهيه ان يجاوز بكرامتها نفسها اى لا تكرمها بكرامة تتعدى
صلاح نفسها وهو كقوله ولا يملك المراة الى اخره السابع وكذلك نهيه ان يطمعها في الشفاعة لغيرها لان ذلك تجاوز بها الحد
نفسها وقد نبه على انها لا تليق باهل لذلك لما هي عليه من نقصان الغريزة وضعف الراي الثامن نهاه عن التغاير في غير موضع
الغيرة ونبه على ما في ذلك من المفسدة بضمير صغراه قوله فان ذلك الى قوله السقم وكنى بالصحيحة عن البريئة من الخيانة وانما
بالسقم عنها وانما كان كذلك لان المراة حين يراها من المنافسة تستقبح ذلك وتستكره المواجهة وتستشعر خوف الفضيحة والعقاب
فاذا نسبت الى ذلك مع براءتها منه عظم عليها في اول الامر فاذا تكرر ذلك من الرجل هان عليها امره وصار لومه لها في قوة الاغراء
لها بذلك وقد علمت ما في الطباع الحيوانية من الحرص على الامر الممنوع منه فكانت الغيرة في غير موضعها والاتهام بسبب التخييل
الفاسد داعيا الى المعيل امرا داعيا الى قوله وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك اجتنب فعله التاسع والعشرون امره ان يجعل لكل انسان
من خدمه شغلا يختص به ويأخذه بفعله ويواخذه على تركه وذلك من الحكمة المنزلية ونبه على سر ذلك بضمير صغراه قوله فانه
احرى الى قوله خدمتك وذلك انهم اذا اشتركوا في التكليف بفعل واحد يقوم به كل واحد منهم فالغالب عليهم ان يتكل كل واحد
منهم في شغله الى الاخر فيستلزم ذلك ان لا يفعل قال كسرى انوشيروان لولده شيرويه وانظر الى كتابك فمن كان منهم ذا ضياع
قد احسن عمارتها فوله الخراج ومن كان منهم ذا عبيد فوله الجند ومن كان منهم ذا سرارى قد احسن القيام عليهن فوله النفقات
والقهرمة وهكذا فاصنع في خدم دارك ولا تجعل امرك فوضى بين خدمك فيفسد عليك ملكك الثلاثون امره باكرام عشيرته
ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانهم الى قوله تصول واستعار لهم لفظ الجناح باعتبار كونهم سببا لنهوضه وقوته على الحركة الى
المطالب كجناح الطائر ورشح بذكر الطيران وكذلك لفظ اليد باعتبار كونهم محل صولته على العدو وتقدير الكبرى وكل من كان
كذلك وجب عليك اكرامه ثم ختم الوصية بوداعه واستودع الله دينه ودنياه وسؤاله خير القضاء له في عاجله واجله
والدار يريد دنياه واخرته حسب ارادته وبحسب مشيته ولفظ الاستيداع مجاز في طلب الحفظ من الله لما استودعه اياه وبالله التوفيق
والعصمة **ومن كتاب له عليه السلم الى معوية** فارديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك والقيتهم في موج
بحرك تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم الشبهات فجازوا عن وجهتهم ونكصوا على اعقابهم وتولوا على ادبارهم وعولوا

على احسابهم

على أحسابهم إلا من فاء من أهل البصائر فإنهم فارقوك بعد معرفتك وهربوا إلى الله من موازرتك إذ حملتهم على الصعب وعدلت
بهم عن القصد فاتق الله يا معوية في نفسك وجاذب الشيطان قيادك فإن الدنيا والآخرة قريبة منك والسلام **أقول** أول هذا
الكتاب من عبد الله أمير المؤمنين إلى معوية بن أبي سفيان أما بعد فإن الدنيا دار تجارة وربحها الآخرة فالسعيد من كانت بضاعته
فيها الأعمال الصالحة ومن رأى الدنيا بعينها وقدرها وإني لأعظك مع علمي بسابق العلم فيك مما لا مرد له دون نفاده ولكن الله
تعالى أخذ على العلماء أن يردوا الأمانة وأن ينصحوا الغوي والرشيد فاتق الله ولا تكن ممن لا يرجو لله وقارا ومن حقت عليه كلمة
العذاب فإن الله بالمرصاد وإن دنياك ستدبر عنك وستعود حسرة عليك فانتبه من الغي والضلال على كبر سنك وفناء
عمرك فإن حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذي لا يصلح من جانب إلا فسد من آخر ثم يتصل به وقد أرديت أفضل والمهيل المتداعي
في التمزق ومنه رمل مهيل أي ينهال ويسيل وأرديت والجيل الصنف وروي جبلا وهو الخلق وجاروا عدلوا والوجهة
القصد والنكوص الرجوع وعولوا على كذا اعتمدوا عليه وفاء رجع والموازرة المعاونة وفي الكتاب مقاصد الأول موعظته و
تذكيره بحال الدنيا وكونها دار تجارة والغاية من التجارة فيها أما ربح الآخرة بصلاح البضاعة وهي الأعمال وأما خسران الآخرة
بفسادها الثاني تنبيهه على أن يرى الدنيا بعينها أي يعرفها بحقيقتها أو يراها بالعين التي بها تعرف وهي عين البصيرة ويعلم
ما هي عليه من التغير والزوال وأنها خلقت لغيرها ليقدرها بقدرها ويجعلها في نظره لما خلقت له الثالث تنبيهه على أن الله
تعالى علم الأول من نفاده فيه فإن ما علم الله تعالى وقوعه لا بد من وقوعه وإنما وعظه امتثالا لأمر الله ووفاء بعهده على العلماء
أن يؤدوا أمانته ويبلغوا أحكامه إلى خلقه وأن ينصحوا ضالهم ورشيدهم الرابع أمره بتقوى الله ونهاه أن يكون ممن لا يرجو لله
وقارا أي لا يتوقع لله عظمة فيعبده ويطيعه والوقار الاسم من التوقير وهو التعظيم وقيل الرجاء هنا بمعنى الخوف فيكون
مجازا إطلاقا لاسم أحد الضدين على الآخر وأن يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب وقوله فإن الله بالمرصاد تنبيه له على اطلاعه
عليه وعلمه بما يفعل ليرتدع عن معصيته الخامس تنبيهه على إدبار الدنيا وعودها حسرة عليه يوم القيمة ففقدها مع عشقه
لها وعدم ممسكه في الآخرة بعصم النجاة وفناء ذاتها السادس أمره بالانتباه من رقدة الجهل في الضلال على حال كبر سنه
وفناء عمره فإن تلك الحال أولى الأحوال بالانتباه منها وتنبيه على أنه غير قابل للإصلاح في ذلك السن بعد استحكام جهله
وتمكن الهيئات البدنية من جوهر نفسه وتشبيهه له فهو كالثوب الخلق لا يمكن إصلاحه بالخياطة بل كلما خيط من جانب تمزق
من آخر السابع أخذه في معرض التوبيخ على ما فعل بأهل الشام من خديعتهم وإلقائهم في موج بحره ولما كان ضلال الجهل عن دين
الله وجهله بما ينبغي هو سببا عندهم تشبيها له بالبحر واستعار لفظ البحر لجهله لأحواله وآرائه في طلب الدنيا والانحراف عن طريق الله باعتبار
كثرتها وبعد غايتها ولفظ الموج للشبه التي ألقاها إليهم وغرقهم بها فيما يريد من الأغراض الباطلة ومشابهتها الموج في
تلاعبها بأذهانهم واضطراب أحوالهم بسببها لهم وكذلك استعار لفظ الظلمات لما حجب أيضا بصائرهم عن إدراك الحق من تلك الشبهات
ولفظ الغشيان لطريانها على قلوبهم وحجبها لها ومحل تغشاهم نصب على الحال وكذلك لفظ التلاطم لتلعب تلك الشبهات بعقولهم
وقوله فجاروا عطف على ألقيتهم وأراد أنهم عدلوا عن الحق بسبب ما ألقاه إليهم من الشبه واعتمدوا في قتالهم على أحسابهم حمية الجاهلية
في الذب عن أصولهم ومفاخرهم دون مراعاة الدين والذب عنه إلا من رجع إلى الحق من أهل العقول فإنهم عرفوك وما أنت عليه من
الضلال فارقوك وهربوا إلى الله من موازرتك فيما تريده من هدم الدين حين حملتهم على الأمور الصعبة الهادمة له وعدلت بهم عن
قصد الحق وقد كان استغوى العرب بشبهة قتل عثمان والطلب بدمه فلما عرف عقلاؤهم والمتمسكون بالدين منهم أن ذلك خدعة منه
لإرادة الملك فارقوه واعتزلوه وقوله على أعقابهم وعلى أدبارهم ترشيح لاستعارة لفظي النكوص والتولي من المحسوسين للمعقولين و
الاستعارة هنا من الجبل الذي خدعهم ولفظ الصعب مستعار لما حملهم عليه من الأمور المستصعبة في الدين باعتبار أن ركوبهم لها
يستلزم عدولهم عن صراط الله ووقوعهم في مهاوي الهلاك كما يستلزم ركوب الجمل الصعب النفور العدول براكبه عن الطريق ووقوعه
في المهالك وكذلك لفظ القصد مستعار للطريق المعقول إلى الحق من الطريق المحسوس ثم كرر عليه الأمر بتقوى الله وأن يجاذب الشيطان قياده
واستعار لفظ المجاذبة للممانعة المعقولة ولفظ القياد لما يقوده به من الآراء الباطلة وكواذب الآمال وممانعة الشيطان لذلك
القياد تكذيب النفس الأمارة فيما يوسوس به من تلك الآراء وقوله فإن الدنيا إلى الآخرة تنبيه له على وجوب قطع الآمال التي توجب
لانقطاع الدنيا وعلى العمل للآخرة لقربها وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبرى الأول وكل ما كان منقطعا زائلا وجب قطع
الأمل فيه لانقطاعه ومجاذبة الشيطان في جوهره وتقدير كبرى الثاني وكل ما كان قريبا فينبغي أن يستعد لوصوله والعمل
وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة أما بعد فإن عيني بالمغرب كتب إلي يعلمني
أنه وجه إلى الموسم أناس من أهل الشام العمي القلوب الصم الأسماع الكمه الأبصار الذين يلبسون الحق بالباطل

ويطيعون

منقطعة عنك

بقدرها

أهلكت

ومن كتاب كتبه إلى قثم بن العباس

ويطيعون المخلوق في معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درّها بالدين ويشترون عاجلها بآجل الأبرار المتقين ولن يفوز بالخير
إلا عامله ولا يجزى جزاء الشر إلا فاعله فأقم على ما في يديك قيام الحازم الصليب والناصح اللبيب التابع لسلطانه المطيع
لإمامه وإياك وما يعتذر منه ولا تكن عند النعماء بطرا ولا عند البأساء فشلا **أقول** هو قثم بن العباس بن عبد المطلب
ولم يزل واليا لعلي عليه السلام على مكة حتى قتل عليه السلام واستشهد بسمرقند في زمن معاوية وسبب هذا الكتاب أن معاوية كان قد بعث إلى مكة
في موسم الحج واجتماع العرب بها دعاة يدعون إلى طاعته ويثبطون العرب من نصرة علي عليه السلام ويلقون في أنفسهم أنه إما قاتل عثمان أو
خاذل له وعلى التقديرين فلا يصلح للإمامة وينشرون محاسن معاوية بزعمهم وأخلاقه وسيرته في العطاء فكتب عليه السلام هذا الكتاب إلى عامله
بمكة ينبهه على ذلك ليجتهد فيما يقتضيه السياسة وقيل إن الذين بعثهم السرايا التي كان يبعثها للغارة على أعمال علي عليه السلام والعين
الجاسوس والموسم مجمع الحاج والأكمه الأعمى خلقة والبطر شدة المرح وكثرة النشاط والبأساء الشدة بنى على فعلاء لا أفعل
له لأنه اسم غير صفة والفشل الجبن والضعف وحاصل الكتاب إعلامه أولا بما كتب إليه عينه بالمغرب أراد الشام لأنها من البلاد
المغربية وقد كان له عليه السلام في البلاد جواسيس يخبرونه بما يتجدد من الأمور عند معاوية ولمعاوية عنده كذلك كما جرت عادة الملوك بمثله
ثم وصف أهل الشام بأوصاف يستلزم البعد عن الله لغرض التنفير عنهم أحدها شمول الغفلة لهم عن كل وجه مما خلقوا لأجله
واستعار لقلوبهم لفظ العمى باعتبار عدم عقليتهم للحق وإدراكهم لما ينبغي من طريق الآخرة كالأعمى الذي لا يدرك الأعمى وقصده ولفظ الصم
لأسماعهم والكمه لأبصارهم باعتبار عدم انتفاعهم من جهة الأسماع بالمواعظ والتذاكير ومن جهة الأبصار بتحصيل العبرة بها من آثار
الله سبحانه كما لا ينتفع بذلك فاقد هذه الآلات الثاني كونهم يلبسون الحق بالباطل أي يخلطونه ويموهون فيه والمراد أنهم يعلمون
أنه على الحق وأن معاوية على الباطل فيكتمون ذلك ويغطونه بشبهة قتل عثمان والطلب بدمه إلى غير ذلك من أباطيلهم وروي
يلبسون الحق بالباطل أي كانوا يلبسون حقا بحق كأنهم الباطل الثالث كونهم يطيعون المخلوق أي معاوية في معصية الخالق الرابع كونهم يحتلبون
الدنيا درّها بالدين واستعار لفظ الدرّ لمتاع الدنيا وطيباتها ولفظ الاحتلاب لاستخراج متاعها بوجوه الطلب عن مظانه ملاحظا تشبيهها
بالناقة فدرّها منصوب بدلا من الدنيا وإنما كان ذلك بالدين لأن إظهارهم شعاره وتمسكهم بظواهره بغرض تحصيل الدنيا وأخذهم
ما لا يستحقونه منها فإن محاربتهم له عليه السلام إنما كانت بزعمهم لأجل الأخذ بثار الخليفة عثمان وإنكار المنكر على قاتليه وخاذليه ولذلك تمكنوا
من تألف قلوب العرب وأكثر جهال المسلمين على حربه عليه السلام وأخذ البلاد الخامس شراؤهم عاجل الدنيا بآجل الأبرار وثواب الآخرة ولفظ
الشراء مستعار لاستعاضتهم ذلك العاجل من ذلك الآجل ولما كان ذلك في شعار الإسلام هو الخسران المبين ذكره في معرض ذمهم ثم
ذكر في مقام الوعد والوعيد لهم اختصاص الفوز بالخير بمن عمل الخير ترغيبا فيه والمجازاة بالشر في فاعله تنفيرا عنه ثم ختم بأمره وتحذيره
أما أمره فبأن يقيم على ما في يديه من العمل مقام من هو أهل لذلك وهو الحازم المتثبت في رأيه الصليب في طاعة الله الناصح اللبيب له ولولي أمره
التابع لسلطانه المطيع لإمامه وأما تحذيره فمما يعتذر منه وهو كل أمر عدّ في الشرع معصية وتقصيرا عن أداء حقه وبرز
الكلمات ثم من تحذيره من البطر في النعمة والفشل والضعف عند البأساء والشدة لكون ذلك من معد الزوال للنعمة وحلول النقمة والبطر
رذيلة تستلزم رذيلتي الكبر والعجب ويقابل فضيلة التواضع والفشل رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة وبالله التوفيق **ومن**

كتاب له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجّده من عزله بالأشتر عن مصر ثم توفي الأشتر في توجهه إلى مصر قبل
وصوله إليها أما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك وإني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهد ولا ازديادا
لك في الجد ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لولّيتك ما هو أيسر عليك مؤونة وأعجب إليك ولاية إن الرجل الذي
كنت ولّيته أمر مصر كان رجلا لنا ناصحا وعلى عدونا شديدا ناقما فرحمه الله فلقد استكمل أيامه ولاقى حمامه
ونحن عنه راضون أولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له فأصحر لعدوك وامض على بصيرتك وشمّر لحرب من حاربك وادع
إلى سبيل ربك وأكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهمّك ويعنك على ما نزل بك والسلام **أقول** السبب أن محمد بن أبي بكر كان قد ضعف
عن لقاء العدو ولم يكن في أصحاب علي عليه السلام أقوى بأسا في الحرب من الأشتر رحمه الله وكان معاوية بعد وقائع صفين قد تجرد للغارة على أطراف
بلاد المسلمين وقد كانت مصر جعلت طعمة لعمرو بن العاص وعلم عليه السلام أنها لا تحفظ إلا بالأشتر فكتب له العهد الذي يأتي ذكره وتوجه إليها
فبلغه أن محمدا تألم من ذلك ثم إن الأشتر مات قبل وصوله إليها فكتب عليه السلام إلى محمد هذا الكتاب وهو يؤذن بإقراره على عمله واسترضائه
ويعرّفه وجه عذره في تولية الأشتر لعمله وأنه لم يكن ذلك لموجدة عليه ولا تقصير منه والموجدة ما يجده الإنسان من الغضب والتألم
عند التسريح والإرسال وأصحر له أي اخرج له إلى الصحراء والبصيرة هنا الحجة والهدى في الدين وحاصل الفصل أمور الأول قوله فقد بلغني
إلى قوله عملك كالاعتراف له بما يشبه الإساءة في حقه ليرتب عليه ما يشبه الاعتذار إليه الثاني قوله وإني لم أفعل ذلك إلى قوله
ناقما اعتذار فيما يشبه العذر بنفي عنه التقصير والاستبطاء في الجهاد ونحوه مما عساه يتوهمه سببا لعزله ثم وعده على تقدير تمام عزله بولاية

كتاب كتبه الى عبد الله بن العباس والى عقيل

امره وسهل عليه كلفة واحتمال والكناية لتسكين القلب عن مصر بالترغيب فيما هو خير منها ثم اشار الى وجه بعثه الاشتر في مصر وذلك
الثناء عليه بما اجتمع له من الخصال الحميدة المذكورة وهي كونه لاماما ناصحا وعلى عدوه شديدا ناقما اى منكرا وعنيه بمحمد انه كان
له الامر الاول الا انه في الثاني ضعيف الثالث قوله فرحم الله فلانا قوله الثواب له اعلاما بانه مات وهو عنه راض لئلا يظهر منه شر انتهز
الرابع قوله فاصحر الى عدوه امره بالاستعداد للعدو وامره بالاصحار لاشعاره بالقوة دون الاستتار في المدينة المشعر بالضعف
ان يمضي بحاربته على بصيرته في الحق واستبصار فيه وكني بوصف التشمير عن الاستعداد للحرب وان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة
والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن وان يكثر الاستعانة بالله فان الرغبة اليه والاستعانة والمجادلة بالتي هي احسن
وان يكثر الاستعانة بالله فان الرغبة اليه والاستعانة به بعد لافاضة النصر وكفاية ما اهمه من امر العدو ومعونته على ما نزل من الشدائد
وبالله التوفيق والعصمة **ومن كتاب له عليه السلام** الى عبد الله بن عباس رضه بعد مقتل محمد بن ابي بكر بمصر اما بعد فان مصر قد افتتحت ومحمد بن
ابي بكر رحمه الله قد استشهد فعند الله نحتسبه ولدا ناصحا وعاملا كادحا وسيفا قاطعا وركنا دافعا وقد كنت حثثت الناس على
لحاقه وامرتهم بغياثه قبل الوقعة ودعوتهم سرا وجهرا وعودا وبدءا فمنهم الآتي كارها ومنهم المعتل كاذبا ومنهم القاعد خاذلا
اسأل الله سبحانه ان يجعل لي منهم فرجا عاجلا فوالله لولا طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنية لاحببت
ان لا ابقى مع هؤلاء يوما واحدا ولا التقي بهم ابدا **اقول** احتسبت كذا عند الله اى طلبت به الحسبة بكسر الحاء وهي الاجر واستشهد انه
القتل في سبيل الله واستشهد كانه استحضر الى الله ومدار الكتاب على امور احدها اعلامه بفتح مصر وقتل محمد بن ابي بكر ليتأسى في الم هذه
المصيبة ومدحه في معرض التفجع عليه والتوجع له وولدا وعاملا وركنا احوال وتسميته ولدا مجازا باعتبار تربيته في حجره كالولد وذلك
انه كان ربيبا له وامه اسماء بنت عميس الخثعمية كانت تحت جعفر بن ابي طالب فهاجرت معه الى الحبشة ولما قتل جعفر تزوجها ابو بكر فولدت
له محمدا هذا فلما توفي عنها تزوجها علي عليه السلام فولدت له يحيى بن علي واستعار لفظ السيف باعتبار كونه يقطع به العدو ويصال به عليه ورشح
بذكر القاطع وكذلك لفظ الركن باعتبار كونه يستند اليه في الحوادث فيدفع به ورشح بقوله دافعا الثاني اعلامه بحاله مع الناس في
التشكي منهم وانه قد حثهم على لحاقه واغاثته فلم يسمعوا واشار الى وجه تقصير كل منهم وقد كان حاله عليه السلام مع الناس كحال رسول الله صلعم مع
قومه فالآتون كارهين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون والمعتلون كذبا كالذين قالوا لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم
انهم لكاذبون ومن تامل حالهما وسيرتهما الى ان مضيا تحقق وجه الشبه بينهما في اكثر الاحوال وهذه القسمة لهم بحسب ما وجدهم الرابع سؤاله
لله تعالى ان يجعل له منهم الفرج وهو في معرض التشكي منهم ايضا الاشارة الى وجه عذره في المقام بينهم على هذه الحال وهو طلبه للشهادة وتوطينه
نفسه على الموت عند لقاء العدو ولولا ذلك لفارقهم وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** في ذكر جيش انفذه الى بعض الاعداء
وهو جواب كتاب كتبه اليه فسرحت اليه جيشا كثيفا من المسلمين فلما بلغه ذلك شمر هاربا ونكص نادما فلحقوه ببعض الطريق
وقد طفلت الشمس للاياب فاقتتلوا شيئا كلا ولا فما كان الا كموقف ساعة حتى نجا جريضا بعد ما اخذ منه بالمخنق ولم
يبق منه غير الرمق فلأيا بلأي ما نجا فدع عنك قريشا وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق وجماحهم في التيه
فانهم قد اجمعوا على حربي كاجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبلي فجزت قريشا عني الجوازي فقد قطعوا رحمي
وسلبوني سلطان ابن امي واما ما سألت عنه من رأيي في القتال فان رأيي قتال المحلين حتى القى الله لا يزيدني كثرة
الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة ولا تحسبن ابن ابيك ولو اسلمه الناس متضرعا متخشعا ولا مقرا للضيم واهنا
ولا سلس الزمام للقائد ولا وطئ الظهر للراكب المتقعد ولكنه كما قال اخو بني سليم فان تسأليني كيف انت فانني صبور
على ريب الزمان صليب يعز علي ان ترى بي كآبة فيشمت عاد او يساء حبيب **اقول** طفلت الشمس بالتشديد اذا مالت
للغروب وآبت لغة في غابت والجريض المغموم الذي يبتلع ريقه على هم وحزن بالجهد ويكاد يموت لذلك والمخنق بالتشديد هو من العنق
الخنق بكسر النون والرمق بقية النفس واللأي الشدة والعسر والاجماع تصميم العزم والجوازي جمع جازية وهي النفوس تجزي عما
والمحلين من نقض البيعة يقال لمن نقض عهده وبيعته محل ولمن حفظه محرم والمتقعد الراكب لاقتعاده الظهر بغير وحاصل الفصل اعلام
قوله فسرحت الى قوله ما نجا حكاية حال عدو وقد اغار على بعض اعماله فنفذ اليه جيشا من المسلمين فهرب حين علم توجههم نحوه ثم لحقه
قليلا ثم افلت منهم على شدة وعسر من الخلاص ولفظة طفلت افصح العبارات عما ذكره وهاربا ونادما وجريضا احوال وقوله كلا ولا تشبيه
بالقليل السريع الفناء وذلك لان لا ولا لفظان قصيرتان سريعا الانقطاع قليلان في المسموع من المخاطبين فشبه بهما ما كان من قتال ذلك
العدو والجيش الذي نفذه ونحوه قول ابن هاني المغربي واسرع في العين من لحظة واقصر في السمع من لا ولا وروى نصب مصدر ايضا ان
ذلك القتال الا كموقف ساعة وروي كلا ولا بالرفع مصدر والعامل محذوف وما مصدرية في موضع الفاعل والتقدير فلأي
لأيا نجاته اى عسرا بطأ وقوله بلأي كأنه لأي يا مفسرها بلأي الثاني قوله فدع الى قوله ابن امي كالجواب لكلام ذكر فيه قريشا ومن انضم اليهم

الى عقيل بن
ابي طالب
اخوه

كتاب كتبه الى معوية

الى معوية فامره عليه السلام بالاضراب عن ذكرهم على سبيل الغضب منهم والواو في قوله وتركاضهم يشبه ان يكون بمعنى مع ويحتمل ان تكون بمعنى مع ويحتمل ان تكون عاطفة واستعار لهم لفظ التركاض باعتبار خبطهم وانفاقهم في الضلال عن سبيل الله وخوضهم في الباطل بسرعة منهم من غير توقف وكذلك لفظ التجوال ولفظ الجماح باعتبار كثرة خلافهم للحق وحركاتهم في تيه الجهل والخروج عن طريق العدل كالفرس يجمح ويجول وقوله فانهم الى قوله صلعم في قوة صغرى ضمير نبه على انه لا خير فيهم وانه يجب الاعراض عنهم وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فينبغي تركه والاعراض عنه لانه لا خير فيه واما حقيقة الصغرى فظاهرة لان قريشا صمم عزمهم على حرب من بويع بغضا له وحسدا وحقدا عليه بما نقموا على شقاقه كما كانت حالهم في بدو الاسلام مع رسول الله صلعم لم يفتر في الحال الان في شيء من ذلك وقوله فجزت قريشا عني الجوازي دعاء عليهم بان يجازوا بمثل فعلهم به من قطيعة الرحم وسلبه سلطان الاسلام والخلافة التي هو اولى بها وهي تجري مجرى المثل وقوله فقد قطعوا رحمي كالتعليل لحسن الدعاء عليهم وهو في قوة صغرى ضمير ايضا وتقدير كبراه وكل من فعل ذلك فهو حقيق بالدعاء عليه واراد بابن امه رسول الله صلعم لانهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عائذ بن مخزوم ام عبد الله وابي طالب لم يقل ابن ابي لان غير ابي طالب من الاعمام يشركه في النسب الى عبد المطلب وقيل اراد ان امه فاطمة بنت اسد كانت تربي رسول الله صلعم صغيرا فكانه ابو طالب بينهما في كالام له فاطلق عليه البنوة لها مجازا الثالثة قوله واما ما سالت عنه الى اخره فهو تفسير لسؤاله والجواب عنه وفيه تنبيه على فضيلته من وجوه الاول قوته في الدين على من استحل حرمة الله ونقض عهدا من عهوده الثاني شجاعته التي لا يزيده معها كثرة الناس حوله عزة ولا تفرقهم عنه وحشة ولا يوحيه معها بالصفات المذكورة من الجبن والعجز والانقياد للعدو ونكثه معها كالقائل والشعر منسوب الى العباس بن مرداس السلمي وهو في قوة تمثيل اصله القائل وفرعه هو ع وعلته ما ذكرنا من الاوصاف وحكم كونه شجاعا يجب الحذر من صولته وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى معوية فسبحان الله ما اشد لزومك للاهواء المبتدعة والحيرة المتبعة مع تضييع الحقائق واطراح الوثائق التي هي لله طلبة وعلى عباده حجة فاما اكثارك الحجاج في عثمن وقتلته فانك انما نصرت عثمان حيث كان النصر لك وخذلته حيث كان النصر له **اقول** اول هذا الكتاب اما بعد فان الدنيا حلوة خضرة ذات زينة وبهجة لم يصب اليها احد الا شغلته بفتنتها عما هو انفع له منها وبالاخرة امرنا وعليها حثثنا فدع يا معوية ما يفنى واعمل لما يبقى واحذر الموت الذي اليه مصيرك والحساب الذي اليه عاقبتك واعلم ان الله اذا اراد بعبد خيرا حال بينه وبين ما يكره ووفقه لطاعته واذا اراد بعبد شرا اغراه بالدنيا وانساه الاخرة وبسط له امله وعاقه عما فيه صلاحه وقد وصلني كتابك فوجدتك ترمي غير غرضك وتنشد غير ضالتك وتخبط في عماية وتتيه في ضلالة وتعتصم بغير حجة وتلوذ باضعف شبهة فاما سؤالك الى المتاركة والاقرار لك على الشام فلو كنت فاعلا لذلك اليوم لفعلته امس واما قولك ان عمر ولاكها فقد عزل من كان ولاه صاحبه وعزل عثمن من كان عمر ولاه ولم ينصب للناس امام الا ليرى من صلاح الامة ما قد كان ظهر لمن كان قبله او خفي عنهم غيبه والامر يحدث بعده الامر ولكل وال راى واجتهاد ثم يتصل بقوله سبحان الله الفصل الى اخره والفصل مشتمل على امرين احدهما التعجب من شدة لزومه للاهواء التي مبتدعها والتحير فيها عن قصد الحق وذلك انه في كل وقت يوقع شبهة ويبتدع رايا يغوي به اصحابه ويحيرهم فتارة انهم بذلك ان عليا ع لا يصلح للامامة فتارة يقول انه قتل عثمن وتارة يزعم انه خذله وتارة انه قتل الصحابة وفرق كلمة الجماعة وتارة ضرب عنه بالعطاء ونظر في مال المسلمين على غير الوجه الشرعي وتارة يعترف بكونه صالحا للامامة ويطلب اليه الاقرار له على الشام الى غير ذلك مما يبتدعه في الدين من الاباطيل ويتبع الحيرة فيها مع تضييعه لحقائق الامور التي ينبغي ان يعتقدها من كونه ع الاحق بهذا الامر واطراحه لوثائق الله وعهوده المطلوبة المرضية له وهي على عباده حجة يوم القيمة كما قال تعالى واذ اخذ ربك الاية الثاني جوابه عن خطابه بدم عثمن وفخره بنصرته وتبكيته له بخذلانه اياه وقوله فانك الى اخره في قوة صغرى ضمير بيانها ان معوية لما استصرخه عثمن تثاقل عنه وهو في ذلك يعده حتى اذا اشتد به الحصار بعث اليه يزيد بن اسد القسري وقال له اذا اتيت ذي خشب فاقم بها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فانا الشاهد وانت الغائب قال فاقام بذي خشب حتى قتل عثمن فاستقدمه معوية فعاد الى الشام بالجيش الذي كان معه فكان نصره له حيث بعث لنصرته انما كان على سبيل التعذير والتقاعد عنه ليقتل فيدعو هو الى نفسه فكان ذلك النصر في الحقيقة لمعوية اذ كان فعله ذلك سببا لقتله وانتصاره هو على مطلوبه من هذا الامر وكان خذلانه له حيث كان محتاجا الى النصر وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس له ان يفخر بنصرته وينسب غيره الى خذلانه وبالله التوفيق **ومن كتاب له ع** الى اهل مصر لما ولى عليهم الاشتر رحمه الله من عبد الله علي امير المؤمنين الى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في ارضه وذهب بحقه فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم والظاعن فلا معروف يستراح اليه ولا منكر يتناهى عنه اما بعد فقد بعثت اليكم عبدا من عباد الله لا ينام ايام الخوف ولا ينكل

ج ٣٠٤

عن الاعداء ساعات الروع اشد على الفجار من حريق النار وهو مالك بن الحارث اخو مذحج فاسمعوا له واطيعوا امره فيما طابق
الحق فانه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة ولا نابي الضريبة فان امركم ان تنفروا فانفروا وان امركم ان تقيموا فاقيموا
فانه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم الا عن امري وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدة شكيمته على عدوكم
اقول الشزر البين من القطع والنكول الرجوع والظبة بالتخفيف حد السيف ونبا السيف اذا لم يقطع السيف ولا احجم
التاخر وفلان شديد الشكيمة اذا كان ابيا قوي النفس واصل الشكيمة الحديدة المعترضة في فم الفرس وفي الكتاب مقاصد
الاول قوله من عبد الله الى قوله هي عند صورة عنوانه ووصف اهل مصر بالغضب لله استجلابا لطباعهم واشارة الى انكارهم
للاحداث التي نسبت الى عثمن وسيرهم لذلك الى المدينة غضبا لحد ودين الله ان تعطل فان قلت فيلزم ان يكون ع راضيا بقتل
عثمن اذ مدح قاتله على المسير بقتله قلت لا يلزم ذلك لجواز ان يكون سيرهم انما كان للنكير عليه دون غرض قتله فمدحهم على ذلك
النكير لانه جهة مدح واما قاتلوه والذين تسوروا عليه الدار وكانوا قوما قليلين ولعله لم يكن فيهم من اهل مصر الا الاثنان
وليس في كلامه ع ما يقتضي مدح اولئك باعيانهم كونهم قتلوه واستعار لفظ السرادق لما عم من الجور البر والفاجر والمقيم والمسافر
كالسرادق الحاوي لاهله وقابل بين المعروف والمنكر ولم يرد نفي المنكر بل نفي صفة الثناء هي عند الثاني قوله اما بعد الى
قوله اخو بني مذحج صدر الكتاب بعلمهم فيه بعثا لاشتر اجمالا ووصفه باوصاف يستلزم رغبتهم فيه وهي كونه لا ينام
ايام الخوف عن علو همته وتعلمها بان حين الخوف مبدأ تدبير الحرب الاستعداد للقاء العدو وبكونه لا ينكل عن الاعداء عن شجاعته وشدة
شدة باسه واكد ذلك بوصف كونه اشد على الفجار من حريق النار وهو وصف صادق مع المبالغة فيه اذ كان لقاؤه واللقاء يستلزم
غلبة ظنونهم بالهلاك معه وعدم السلامة ولما كانت وجوه التحرز توسطهم في الفرار من النار واطفائها ثم ذكره بعد تعديد صفاته
الحميدة وهو ابلغ لان الغرض الاهم وصفه لا ذكره فقط ومذحج بفتح الميم كمسجد ابو قبيلة من اليمن وهو مذحج بن جابر بن مالك بن
نهلان بن سبا والنخع قبيلة من هذه القبيلة والاشتر نخعي الثالث امرهم بالمقصود وهو السمع له والطاعة لامره لا مطلقا بل فيما طابق
الحق ويوافقه من الاوامر واشار الى حسن امتثال امره بضميمة صغراه قوله فانه سيف الى قوله الضريبة واستعار لفظ السيف باعتبار
كونه يصال به على العدو ويهلكه كالسيف ورشح بذكر الظبة وكنى بكونه غير كليلها وغير نابي الضريبة عن كونه ماضيا في الحوادث
غير واقف فيها ولا راجع عنها والاضافة الى الضريبة اضافة اسم الفاعل الى المفعول اي ولا نابيا عن الضريبة وتقدير الكبرى
وكل من كان كذلك فيجب ان يقدم ويمتثل امره فيما يشير به من الحرب وغيرها الرابع امرهم ان يكون تقدمهم الى الحرب واحجامهم عنها
على وفق امره ونبه على ذلك بضميمة صغراه قوله فانه الى قوله امري وكنى بذلك عن كونه لا يأمر في الحرب وغيرها بامر الا وهو في موضعه
لان اوامره ع كانت كذلك فمن كان على وفقها فاوامره ايضا كذلك ولم يرد ع انه كل ما يأمر به مالك في الامور الكلية والجزئية عامة
من امره ع بالتعيين والتفصيل بل المراد انه قد علمه بقواعد كلية للسياسات وتدابير المدن والحروب عدة لذلك بحيث يمكنه
ان يجتهد فيها ويستخرج جزئياتها الخامس اعلامهم انه قد آثرهم به على نفسه مع حاجته اليه في الراي والتدبير في معرض الامتنان
عليهم بذلك ليشكروه واشار الى علة ايثاره لهم به وهي كونه ناصحا لهم قوي النفس شديد الوطأة على عدوهم وكنى بشدة الشكيمة
عن ذلك فاما مصلحته ع في ذلك الايثار فهو استقامة الامر له بصلاح حالهم وبالله التوفيق **ومن كتاب له ع** الى عمرو بن
العاص فانك قد جعلت دينك تبعا لدنيا امرئ ظاهر غيه مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فاتبعت اثره
وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ الى مخالبه وينتظر ما يلقى اليه من فضل فريسته فاذهبت دنياك وآخرتك ولو بالحق
اخذت ادركت ما طلبت فان يمكني الله منك ومن ابن ابي سفيان اجزكما بما قدمتما وان تعجزا وتبقيا فما امامكما شر لكما والسلام
اقول قد ذكر هذا الكتاب برواية تزيد على هذه واوله من عبد الله علي امير المؤمنين الى الابتر ابن الابتر عمرو بن العاص شانئ محمد
وآل محمد في الجاهلية والاسلام سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانك تركت مروتك لامرئ فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه
الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعا كما وافق شن طبقه فسلبك دينك وامانتك ودنياك وآخرتك وكان علم الله بالغا فيك فصرت
كالذئب يتبع الضرغام اذا ما الليل دجى يلتمس ان يداوسه وكيف تنجو من القدر ولو بالحق طلبت ادركت ما رجوت وقد رشد من كان
قائده فان يمكني الله منك ومن ابن آكلة الاكباد الحقتكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله ص وان تعجزا او تبقيا بعدي فالله
حسبكما وكفى بانتقامه انتقاما وبعقابه عقابا ومدار الكتاب على توبيخ عمرو بمتابعته لمعوية في الباطل وتنفيره عما هو عليه ووعيده ثم
على ذلك ووبخه بجعله دينه تبعا لدنيا معوية لانه صرفه في مصالحه بحسب ما يقتضيه حصوله عليه من دنياه كما اشرنا اليه وقيل من نعمة
دينه في مظاهرته على حربه وطلبه مصر ثم ذم معوية باوصاف منفرة لغاية التنفير عنه احدها كونه ظاهرا غيه وضلاله بعدوله عن
طريق الله اوضح ان يوضح الثاني كونه مهتوكا ستره ومن المشهور عنه انه كان هاتكا لستر دين الله عنه فانه كان كثير الخلاعة واللهو

الحق

صاحب سمار وجلساء لهو ومناع وشرب وسماع وقد كان يتستر بذلك في زمان عمر خوفاً منه إلا أنه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في آنية الذهب والفضة فأما في أيام عثمان فكان شديد الانهماك وأما في أيام علي ع فكان أوقر حيث خرج على علي ع لحاجته إلى استغواء الناس بظاهر الدين لئلا يشين الكريم بمجلسه وذلك لأن الكريم هو الذي يضبط نفسه ويتنزه عما يشين العرض من الرذائل وقد كان مجلس معاوية مشحوناً ببني أمية وندمائهم ومجالسة الكريم لهم يستلزم نسبته إليهم وتحاقره بهم وذلك مشين لعرضه ومفتح لذكره والرابع كونه يسفه الحليم بخلطته وذلك لأنه كان وأبناؤه وبنو أمية يشتم بني هاشم ويقدح فيهم والتعرض بذكر الإسلام والطعن عليه وإن أظهروا الانتماء إليه وذلك مما يستفز الحليم ويسفه رأيه في الثبات عند سماع طعنهم وسماعه منهم وكونه باتباعه لأثره ممن هو له فيما يفعله وأشار بقوله وطلبت فضله إلى غرض اتباعه وشبه اتباعه له باتباع الكلب للأسد تحقيراً له وتنفيراً ونبهه على وجه الشبه بقوله يلوذ إلى قوله فريسته وأراد أن اتباعه له على وجه الذلة والحقارة ودناءة الهمة للطمع فيما يعطيه من فضل ماله وانتظار ذلك منه كاتباع الكلب للأسد وفي مثل هذا التشبيه مبالغ لعمرو في تنفيره لو كان له كرم ثم نبهه على لازم اتباعه له بقوله فأذهبت دنياك وآخرتك وأراد بدنياه ما كان يعيش به من الرزق والعطاء الحلال على وجه مليء بما في طيب نفس وأمن من الحروب التي لقيها بصفين والأهوال التي شاهدها في موافقته لمعاوية وذلك هي الدنيا الحقة إذ الدنيا إنما يراد اللذة بها والاستمتاع وذلك مما لم يحصل عليه عمرو وأما ذهاب آخرته فظاهر وقوله ولو بالحق أخذت إلى قوله طلبت جذب له إلى لزوم الحق وترغيب فيه بذكر لازمه وهو إدراك ما طلب من دنيا وآخرة وظاهر أن لزوم الحق يوصل إلى دنيا كاملة وآخرة بالمعالي كاملة وقوله فإن يمكن الله إلى آخره وعيد بعذاب واقع على تقدير كل واحد من النقيضين وذلك العذاب إما بواسطة في الدنيا بتقدير تمكين الله منهما وهو إجزاؤه لهما بما قدما من معصية الله وإما من الله في الآخرة على تقدير أن يعجزاه وينجوا بعد ذلك وهو عذاب النار ونبه عليه بقوله فما أمامكما شر لكما كقوله تعالى ولعذاب الآخرة أشد وأبقى واستعار لفظ الأمام للآخرة باعتبار استقبال النفوس لها وتوجهها نحوها وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله أما بعد فإني كنت أشركتك في أمانتي وجعلتك شعاري وبطانتي ولم يكن في أهلي رجل أوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي وأداء الأمانة إلي فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو قد حرب وأمانة الناس قد خزيت وهذه الأمة قد فنكت وشغرت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين وخنته مع الخائنين فلا ابن عمك آسيت ولا الأمانة أديت وكأنك لم تكن الله تريد بجهادك وكأنك لم تكن على بينة من ربك وكأنك إنما كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم وتنوي غرتهم عن فيئهم فلما أمكنتك الشدة في خيانة الأمة أسرعت الكرة وعاجلت الوثبة فاختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من أخذه كأنك لا أبا لغيرك حدرت إلى أهلك تراثك من أبيك وأمك فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد أوما تخاف نقاش الحساب أيها المعدود كان عندنا من ذوي الألباب كيف تسيغ شراباً وطعاماً وأنت تعلم أنك تأكل حراماً وتشرب حراماً وتبتاع الإماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال وأحرز بهم هذه البلاد فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرن إلى الله فيك ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار ووالله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق وأزيح الباطل عن مظلمتهما وأقسم بالله رب العالمين ما يسرني أن ما أخذته من أموالهم حلال لي أتركه ميراثاً لمن بعدي فضح رويداً فكأنك قد بلغت المدى ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة ويتمنى المضيع فيه الرجعة ولات حين مناص

أزيل خ ل

أقول المشهور أن هذا الكتاب إلى عبد الله بن عباس حين كان والياً على البصرة وألفاظ الكتاب تنبه على ذلك كقوله قلبت لابن عمك ظهر المجن وقوله فلا ابن عمك آسيت وكذلك ما روي أن ابن عباس كتب إليه جواباً عن هذا الكتاب أما بعد فقد أتاني كتابك تعظم علي ما أصبت من بيت مال البصرة ولعمري إن حقي في بيت المال لأكثر مما أخذت والسلام فكتب إليه أما بعد فإن من العجب تزيين لك نفسك أن لك في بيت المال من الحق أكثر مما لرجل من المسلمين فقد أفلحت إن كان تمنيك الباطل وادعاؤك ما لا يكون ينجيك من المأثم ويحل لك المحارم لأنت المهتدي السعيد إذن وقد بلغني أنك اتخذت مكة وطناً وضربت بها عطناً تشتري بها مولدات مكة والمدينة والطائف تختارهن على عينك وتعطي فيهن مال غيرك فارجع هداك الله إلى رشدك وتب إلى الله ربك واخرج إلى المسلمين من أموالهم فعما قليل تفارق من ألفت وتترك ما جمعت وتغيب في صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد قد فارقت الأحباب وسكنت التراب وواجهت غنياً عما خلفت فقيراً إلى ما قدمت والسلام

ج ٣ ع

من كتاب له الى بعض عماله

وانكر قوم ذلك وقالوا ان عبد الله بن عباس لم يفارق عليا عليه السلام قط ولا يجوز ان يقول في حقه ما قال وقال القطب الراوندي يكون المكتوب
اليه هو عبيد الله فاما حمله على ذلك اشبه به وهو اليق واعلم ان هذين القولين لا مستند لهما اما الاول فمجرد استبعاد ان يفعل ابن
عباس ما نسب اليه ومعلوم ان ابن عباس لم يكن معصوما وعلي عليه السلام لم يكن ليراقب في الحق احدا ولو كان اعز اولاده كما تمثل بالحسن والحسين
في ذلك فكيف بابن عمه بل يجب ان يكون الغلظة على الاقرباء في هذا الامر اشد ثم ان غلظته عليه وعتابه له لا يوجب مفارقته
اياه لانه عليه السلام كان اذا فعل احد من اصحابه ما يستحق به المؤاخذة اخذه به سواء كان عزيزا او ذليلا قريبا منه او بعيدا فاذا استوفى
حق الله منه او تاب اليه مما فعل عاد في حقه الى ما كان عليه كما قال العزيز عندي ذليل حتى اخذ الحق منه والذليل عندي عزيز حتى
اخذ الحق له فلا يلزم اذن من غلظته على ابن عباس وعتابه اياه بما يكرهه مفارقته له وشقاقه على ما بينهما من المحبة الوكيدة والقرابة
واما القول الثاني فان عبيد الله كان عاملا له عليه السلام باليمن ولم ينقل عنه مثل ذلك ولنرجع الى المتن فنقول الشعار ما يلي الجسد من
الثياب وبطانة الرجل خاصته وكلب الزمان شدته وحرب العدو اشتد غضبه والفتك القتل على غرة وشغرت تفرقت والمجن
الترس والازل خفيف الوركين والهوادة المصالحة والمصانعة ونفج رويدا كلمة يقال لمن يؤمر بالتؤدة واصلها الرجل يطعم ابله ضحى
ويسيرها مسيرا لينا فلا يشبعها فيقال له ضح رويدا والمناص المهرب والمحاص والمنوص المهرب والمخلص وفي هذا الكتاب مقاصد الاول قد
انه ذكر باحسانه اليه في معرض التشكي عليه من وجوه الاول اشراكه اياه في امانته التي ائتمنه الله عليها وهي الامارة والرعية والقيام
باصلاح امورهم في معاشهم ومعادهم الثاني جعله من خاصته وملازميه واستعار له بذلك لفظ الشعار لما بينهما من شدة الملازمة
للجسد الثالث كونه اوثق اهله في نفسه وادنى هاهنا لمواساته ومؤازرته واداء الامانة اليه الفصل الثاني انه بعد تذكيره باحسانه
اليه ذكر مقابلته بذلك بالاساءة اليه في مفارقته اياه وخذلانه وخيانته لما اخذ بيده من الامانة عند رؤيته شدة الزمان
عليه وقيام العدو في وجهه وتفرق كلمة الامة عن الحق لينبه على مقابلة الاحسان بالكفران لتحسن توبيخه على ذلك وتوبيخه فيه ثم وبخه
وارداه مفارقته له في الطريقين ولزوم حق الامانة وقوله قلبت لابن عمك ظهر المجن يضرب مثلا لمن يكون مع اخيه فيتغير عليه و
يصير خصما له واصله ان الرجل اذا كان سلما لاخيه يكون بطن ترسه اليه فاذا فارقه وصار حربا له يقلب له ظهر ترسه ليدفع به
عن نفسه ما يلقاه من شره فجعل ذلك كناية عن العداوة وبعد الصداقة وضرب مثلا لمن فعل ذلك الثالث الاخذ في تعنيفه و
توبيخه وحكاية حاله في خيانته في معرض التوبيخ وذلك قوله فلا ابن عمك الى قوله هذه البلاد وشبهه بمن لم يرد الله بجهاده بل
الدنيا ومن لم يكن على بينة من ربه بل هو جاهل به وبوعده ووعيده ووجه الشبه مشاركته لطالبي غير الله والجاهلين به في طلب غيره
والاعراض عنه وكنى بشبهه بمن لم يكن له غرض من عبادة الا الخدع عن المسلمين عن دنياهم واشار الى وجه الشبه فلما امكنتك الشدة
الى قوله الكسيرة اي فكان غرضك الذي يكيد غيره عن شيء ان يترصد الفرصة في اخذه وينتهزها اذا وجدها فكذلك انت حين اسرعت
بالوثوب على الخيانة وشبه اختطافه لما اخذه من المال باختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكسيرة ووجه الشبه سرعة اخذه له
وخفته عليه في ذلك وخص الذئب الازل لان خفة الوركين يعين على سرعة الوثبة والاختطاف ودامية المعزى الكسيرة لانها امكن للاختطاف
لعدم الممانعة ثم اخبره في معرض التوبيخ انه حمله الى وطنه مكة وكنى بكونه رحيب الصدر اما عن سروره وفرحه به او عن كثرة ما حمل
لان من العادة اذا اراد الانسان حمل شيء في صدره وباعه ووعى منه ما امكنه حمله ونصب رحيب على الحال واضافة رحيب في
تقدير الانفصال ثم شبهه في معرض التوبيخ والتقريع في حمله بمن حمل تراثا الى اهله من والده وامه واستفهم على سبيل التعجب عن حاله ثم نكر
عليه على غرور احسابهما عن ايمانه بالمعاد وخوفه من مناقشة الله في الحساب ونبهه على انه كان معدودا في نظره من ذوي
العقول وادخله في حيز كان يشبهه على انه لم ينو عنده كل الذي عن كيفية اساغته للشراب والطعام مع علمه ان ما ياكله ويشربه وينكحه
من هذا المال حرام لكونه من اموال المسلمين اليتامى منهم والمساكين الذي افاء الله عليهم ليحرز به عباده وبلاده استفهام انكار وتقريع بذكر معصيته لله
الفصل الرابع امره بعد التوبيخ الطويل بتقوى الله ورد اموال المسلمين عليهم وتوعده ان لم يفعل ثم امكن الله منه ان يعذر الى الله فيه اي
يبلغ اليه بالعذر بعقوبته وقتله وذكر الضرب بالسيف الموصوف بالصفة المذكورة اغلاظا في الوعيد ومبالغة في الزجر الفصل الخامس قسمه ان لو
على عليه السلام وكرامتهما عليه لو فعلا كفعله من الخيانة لم يراقبهما في ذلك حتى ياخذ الحق منهما ويزيح الباطل عن مظلمتهما من مال او غيره ومراده
ان غيرهم بطريق الاولى في عدم المراقبة ثم اقسم القسم البار انه ما يسره ان يكون ما اخذه ابن عباس من اموال المسلمين حلالا له يخلفه
ميراثا لمن بعده لما علمت ان جمع المال وادخاره سبب العذاب في الاخرة كما قال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الاية وفيه اشارة الى
كالتعليل في شدة انكاره عليه والثاني تحقير ما اخذه وبيان انه لو كان اخذه على وجه حلال فلا يصلح للقنية فكيف به وهو حرام و
ليتركه ويحذره ثم امره بالمهلة الساعة على سبيل التهديد بقرب الوصول الى الغاية التي هي الموت والوقوف على عرض اعماله
عليه بالمحل الذي ينادي فيه الظالم بالحسرة ويتمنى فيه المضيع لامر الله والعمل الصالح الرجعة الى الدنيا حين لات مناص لهم تمام

والمجاهدين

المحل هو عرصة القيمة وذكر النداء بالحسرة حين لا يجد لبناء كذا التخويف والتهديد بتعداد الامور المنفرة واما قوله ولات حين مناص
شبهوا لات بليس واضمروا فيها اسم الفاعل ولا تستعمل لات الا مع حين وقد جاءت حين مرفوعة بانها اسم لات وقيل ان التا زائدة كما
في ثمت وربت وقد مر ذلك قبل **ومن كتاب له عليه السلام** الى عمر بن ابي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمن
بن عجلان الزرقي مكانه اما بعد فاني قد وليت النعمن بن عجلان الزرقي على البحرين ونزعت يدك بلا ذم لك ولا تثريب عليك فلقد احسنت
الولاية واديت الامانة فاقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا ماثوم فقد اردت المسير الى ظلمة اهل الشام واحببت ان تشهد معي فانك
ممن استظهر به على جهاد العدو واقامة عمود الدين ان شاء الله **اقول** عمر هذا هو ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وامه ام سلمة وابوه ابو سلمة بن
عبد الاسد بن هلال بن عمر بن مخزوم واما النعمن بن عجلان فمن سادات الانصار من بني زريق والتثريب التعنيف واستقصاء اللوم والظنين المتهم
والاستظهار بفلان اتخاذه ظهيرا ومدار الكتاب على اعلام عمر ابي سلمة بانفاذ النعمن عوضا منه ثم اعلامه بان ذلك لم يكن عن ذنب
صدر منه يستحق به الذم والعزل وانه شاكر له بكونه احسن الولاية وادى امانته ثم اعلامه بغرضه من عزله واستدعائه وهو الاستظهار
به على عدوه كل ذلك ليطمئن قلبه ويقال ان الولاية عن طيب نفس ونبهه على وجه رغبته في حضوره بقوله فانك الى اخره وهو في قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل من استظهر به على العدو واقامة عمود الدين فواجب ان ارغب في حضوره واستشهد معي ولفظ العمود مستعار للاصول
التي يحفظها وقيامها يقوم كالعمود للبيت وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على
اردشير خره بلغني عنك امر ان كنت فعلته فقد اسخطت الهك واغضبت امامك تقسم في المسلمين الذي حازته
رماحهم وخيولهم واريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك من اعراب قومك فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقا
لتجدن بك علي هوانا ولتخفن عندي ميزانا فلا تستهن بحق ربك ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الاخسرين اعمالا
الا وان حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء يردون عندي عليه ويصدرون عنه والسلام
اقول اعتامك اختارك من بين الناس وقد اعلمه بما بلغه من الامر اجمالا ونبهه على اسخاط الله بذلك واشعر انه امر مكروه بما
يلزمه وهو سخط الله وغضب امامه ونبه بقوله ان كنت فعلته على عدم تحققه لذلك ثم بين له ذلك وهو عطاؤه مال المسلمين
لمن اختاره وبينا من اعراب قومه ووصف ذلك المال بكونه حيازة رماحهم وخيولهم وعليه اريقت دماؤهم ليتاكد في النفوس
ويتبين وجه استحقاقهم له وتقبيح ذلك منه كما قبح فتشبه في غيرهم ثم اقسم قسما اكيدا في معرض الوعيد انه كان ذلك منه حقا ان يجد
به هوانا وخفة زنة عنده ويخف وزنه في اعتباره وكنى به عن صغر منزلته وميزانا نصب على التمييز ثم نهاه عن استهانته بحق ربه وعن
اصلاح دنياه بمحق دينه تنبيها على عظمة الله ووجوب المحافظة على طاعته ونبهه على ما يلزم من ذلك من دخوله في زمرة الاخسرين اعمالا
الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ثم نبهه على قبح ما فعل من تخصيص قومه بذلك المال بقوله الا وان
ان الى قوله سواء وهو في قوة صغرى ضمير وقوله يردون اليه ويصدرون عنه تاكيد لتساويهم في الاستحقاق وانهم
كالشريعة المشتركة وتقدير كبراه وكل حق سواء بين المسلمين فلا يجوز تخصيص بعضهم به وقد ذكرنا حال مصقلة من قبل وبالله التوفيق
ومن كتاب له عليه السلام الى زياد بن ابيه وقد بلغه ان معوية كتب اليه يريد خديعته باستلحاقه وقد عرفت ان معوية
كتب اليك يستزل لبك ويستفل غربك فاحذره فانما هو الشيطان ياتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن
شماله ليقتحم غفلته ويستلب غرته وقد كان من ابي سفيان في زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث النفس ونزغة من
نزغات الشيطان لا يثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث والمتعلق بها كالواغل المدفع والنوط المذبذب فلما قرأ زياد
الكتاب قال شهد بها ورب الكعبة ولم تزل في نفسه حتى ادعاه معوية قوله ع كالواغل المدفع الواغل هو الذي يهجم
على الشرب ليشرب معهم وليس منهم فلا يزال مدفعا محاجزا والنوط المذبذب هو ما يناط برحل الراكب من قعب او قدح
او ما اشبه ذلك فهو ابدا يتقلقل اذا حث ظهره واستعجل سيره **اقول** زياد هذا هو دعي ابي سفيان ويقال له زياد بن عبيد
فمن الناس من يقول عبيد بن فلان الثقفي والاكثرون على ان عبيدا كان عبدا وانه بقي الى ايام زياد فابتاعه واعتقه واما ادعاء ابي سفيان له
فروي انه تكلم يوما بحضرة عمر فاعجب الحاضرين كلامه فقال عمرو بن العاص لله لو كان ابوه قرشيا لساق العرب بعصاه فقال اما والله
انه لقرشي ولو عرفته لعرفت انه من خير اهلك فقال ومن ابوه فقال انا والله وضعته في رحم امه فقال فهلا تستلحقه فقال اخاف هذا
العير الجالس ان يخرق على اهابي يعني عمر ولما ولي علي ع الخلافة ولى زيادا فارس فضبطها ضبطا صالحا وحماها فكتب اليه معوية يخدعه
باستلحاقه من امير المؤمنين معوية بن ابي سفيان اما بعد فان المرء ربما طرحه الهوى في مطارح العطب وانك للمرء المضروب
به المثل قاطع الرحم وواصل العدو وحملك سوء ظنك بي وبغضك لي على ان عققت قرابتي وقطعت رحمي وثبت نسبي وحقي
كانك لست اخي وليس صخر بن حرب اباك وابي وشتان بيني وبينك اطلب بدم ابن ابي العاص وانت تقاتلني ولكن ادركك عرق

الرخاوة

الرجفاوة من قبل الشتاء فكنت كناركد بيضها بالعراء وملحقة بيض اخرى جناحها وقد رايتني اعطف عليك الا واتخذ لك سبعيك
وان اصل رحمك وابتغي الثواب في امرك واعلم يا المغيرة انك لو خضت البحر في طاعة القوم تضرب بالسيف حتى ينقطع متنه لما ازددت
منهم الا بعدا فان بني عبد شمس ابغض الى بني هاشم من الشفرة الى الثور الصريع وقد اوثق للذبح فارجع رحمك الله الى اصلك وصل
قومك ولا تكن كالموصول يطير بريش غيره فقد اصبحت ضال النسب ولعمري ما فعل ذلك بك الا اللجاج فدعه عنك فقد اصبحت
على بينة من امرك ووضوح من حجتك فان احببت جانبي ووثقت بي فامره بامره وان كرهت جانبي ولم تثق بقولي ففعل
جميل لا علي ولا لي والسلام وحمل الكتاب مع المغيرة بن شعبة اليه وكان ذلك سبب قياده على الحسن بعد علي ع وانضمامه الى معوية
ولما بلغ عليا ع ذلك كتب اليه اما بعد فاني وليتك ما وليتك وانا اراك لذلك اهلا وقد عرفت ان معوية الى اخر الكتاب ولنرجع
الى المتن فنقول غرب السيف حده والاستفلال طلب الفل وهو ثلم الحد ومدار الكتاب على اعلامه بما علمه من كتاب معوية اليه ثم تنبيهه
على مقصده من ذلك الكتاب وهو ان يستزل عقله ويشغله عما هو عليه من الرأي الصحيح في نصرة الحق وولاية علي ع ومكسر حده
في ذلك واستعار لفظ الغرب لعقله ورايه ولفظ الاستفلال لطلب صرفه عن ذلك الرأي الصالح ملاحظة لشبهه بالسيف ثم
حذره منه بقوله فانما هو الشيطان باغتياله ووسوسته وصده عن الحق على وجه الشبه بقوله يأتي الانسان الى قوله شماله ع و
كقوله تعالى لآتينهم من بين ايديهم الى قوله شمائلهم اي انه يأتي الانسان من كل جهة كما يأتي الشيطان وخص الجهات الاربع
لانها الجهات التي يعتاد الاتيان منها وقال بعض المفسرين من بين ايديهم يطمعهم في العفو ويغريهم بالعصيان ومن خلفهم يذكرهم
مخلفيهم ويحسن لهم جمع المال وتركه لهم وعن ايمانهم يحسن لهم الرياسة والثناء وعن شمائلهم اللهو واللذات وعن شقيق قال ما
من صباح الا ويقعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرأ اني لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى واما من خلفي فيخوفني الضيعة على من خلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما
من قبل يميني فيأتيني من جهة الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم و
بين ما يشتهون ثم نبهه على وجه فساد حيلة معوية وذلك ان معوية انما اراد استغفاله باستلحاقه فذكر اياه انه اخا فنبهه ع
على ان ذلك الاستلحاق انما تم بصحة استلحاق ابي سفيان له اخا ولم يصح تلك الدعوى وانما كان قوله انا كذا وكذا فلتة
من حديث النفس ونفح منه من غير ثبت ولا روية واقراره بالزنا في قوله انا وضعته في رحم امه وذلك نزغة من نزغات الشيطان
القاها على لسانه فلا يثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث لقوله ع الولد للفراش وللعاهر الحجر ثم شبهه المتعلق في نسبه بهذه الفلتة
والنزغة بالواغل المدفع ووجه الشبه كونه لا يزال مدفعا وبالنوط المذبذب ووجه الشبه اضطراب امره وعدم لحوقه بنسب
معين واستقراره كما يضطرب النوط ولا يستقر وبالله التوفيق **ومن كتاب له ع** الى عثمن بن حنيف الانصاري عامله على
البصرة وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم من اهلها فمضى اليها اما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني ان رجلا من فتية اهل
البصرة دعاك الى مأدبة فاسرعت اليها وكرثت عليك الجفان بثريدها فاكرعتها ثم عطفت على اللحم فاكلته اكل
يتيم قرم ونهشت عظمه نهش ضبع هرم تستطاب لك الالوان وتنقل اليك الجفان ما ظننت انك تجيب الى طعام قوم
عائلهم مجفو وغنيهم مدعو فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما ايقنت بطيب وجوهه
فنل منه الا وان لكل مأموم اماما يقتدي به ويستضيء بنور علمه الا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه
الا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا ولا ادخرت
من غنائمها وفرا ولا اعددت لبالي ثوبي طمرا بلى كانت في ايدينا فدك من كل ما اظلته السماء فشحت عليها نفوس
قوم وسخت عنها نفوس آخرين ونعم الحكم الله وما اصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته
آثارها وتغيب اخبارها وحفرة لو زيد في فسحتها واوسعت يدا حافرها لاضغطها الحجر والمدر وسد فرجها التراب
المتراكم وانما هي نفسي اروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الاكبر وتثبت على جوانب المزلق ولو شئت لاهتديت الطريق
الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخير
الاطعمة ولعل بالحجاز او باليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع او ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى واكباد
حرى او اكون كما قال القائل شعر وحسبك داء ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد ااقنع من نفسي بان يقال
امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر او اكون اسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات كالبهيمة
المربوطة همها علفها او المرسلة شغلها تقممها تكترش من اعلافها وتلهو عما يراد بها او اترك سدى او اهمل عابثا او
اجر حبل الضلالة او اعتسف طريق المتاهة وكاني بقائلكم يقول اذا كان هذا قوت ابن ابي طالب فقد قعد به الضعف

قوم م

وتثبت م

في تتمة كتابه ع الى عثمان بن حنيف

عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان الا وان الشجرة البرية اصلب عودا والروائع الخضرة ارق جلودا والنابتات العذية اقوى
وقودا وابطأ خمودا وانا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالصنو من الصنو والذراع من العضد والله لو تظاهرت العرب على
قتالي لما وليت عنها ولو امكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها وساجهد في ان اطهر الارض من هذا الشخص المعكوس
والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد اليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك قد انسللت من مخالبك و
افلت من حبائلك واجتنبت الذهاب في مداحضك اين القرون الذين غررتهم بمداعبك اين الامم الذين فتنتهم
بزخارفك ها هم رهائن القبور ومضامين اللحود والله لو كنت شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقمت عليك حدود الله في
عباد غررتهم بالاماني وامم القيتهم في المهاوي وملوك اسلمتهم الى التلف واوردتهم موارد البلاء اذ لا ورد ولا
صدر هيهات من وطئ دحضك زلق ومن ركب لججك غرق ومن ازور عن حبائلك وفق والسالم منك لا يبالي ان ضاق
به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه اعزبي عني فوالله لا اذل لك فتستذليني ولا اسلس لك فتقوديني و
ايم الله يمينا استثني فيها بمشية الله لاروضن نفسي رياضة تهش معها الى القرص اذا قدرت عليه مطعوما
وتقنع بالملح مادوما ولادعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها اتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك
وتشبع الربيضة من عشبها فتربض وياكل علي من زاده فيهجع قرت اذا عينه اذا اقتدى بعد السنين المتطاولة
بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية طوبى لنفس ادت الى ربها فرضها وعركت بجنبها بؤسها وهجرت في الليل غمضها
حتى اذا غلب الكرى عليها افترشت ارضها وتوسدت كفها في معشر اسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت عن مضاجعهم
جنوبهم وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم فاتق الله يا ابن حنيف ولتكفف اقراصك



ليكون من النار خلاصك **اقول** المأدبة بضم الدال الطعام يدعى اليه والعائل الفقير والقضم الاكل باطراف الفم والطمر
الثوب الخلق والوفر المال الكثير والمغرم الغرم وفدك اسم قرية كانت لرسول الله ص والجدث القبر واضغطها ضيقها والقمح
الحنطة والنسائج جمع نسيجة بمعنى منسوجة والجشع اشد الحرص على الطعام والبطان عظيم البطن لكثرة الاكل وغرثى جائعة
والبطنة الكظة وهي الامتلاء من الطعام والتقمم تتبع القمامة وهي الكناسة وتكترش تملأ كرشها والسدى المهمل والروائع الاشجار
التي تروع بنضارتها والعذية التي لا يسقيها الا ماء المطر والمركوس المردود مقلوبا كالمنكوس والمداحض المزالق وازور اخذ
جانبا واعزبي ابعدي يقال عزب الرجل بالفتح اذا بعد وسلس الرجل يسلس بكسر اللام في المستقبل سهل قياده والرياضة التاديب
والتعويد والربيضة الجماعة الرابضة من الغنم وتجافت اي نبت وارتفعت والهمهمة الصوت الخفي ونحا الكتاب مقاصد الاول
اشارة الى ما بلغه عنه وهو اجابته الى المأدبة مسرعا تستطاب له الالوان وتنقل اليه الجفان واعلم انه ع لغرض ذلك مقرا له
بحسن توبيخه وذلك من قوله اما بعد الى قوله الجفان الثاني اشار الى وجه المعاتبة والخطيئة في ذلك بقوله وما ظننت انك
تجيب الى كذا اي كان ظني فيك من الورع ان تنزه نفسك عن الاجابة الى طعام قوم لا يلتفتون الى فقرائهم ويقصرون الدعوة
والكرامة على اغنيائهم وامرائهم ووجه الخطاء في اجابته الى هؤلاء ان تخصيصهم الاغنياء دون الفقراء بالكرامة والدعوة دليل
واضح على انهم انما يريدون بذلك الدنيا والسمعة والرياء دون وجه الله تعالى ومن كان كذلك فاجابته موافقة له على ذلك ورضى بفعله
وذلك خطاء كبير خصوصا من امراء الدين المتمكنين من انكار المنكرات الثالث امره ان يحترز فيما يتفق له ان يقع فيه من ذلك بالنظر
الى ما يحضر من الطعام فما وجد فيه شبهة حرام ولم يتحقق حاله فليتركه وما تيقن حله وطيب وجوه اكتسابه وبراءته عن الشبهة فينال
منه وكنى عنه بالقضم تحقيرا له وتقليلا لما يتناول منه تحسينا لادب الاولى ان التنزه عن هذه المباح افضل له من تناوله الرابع نبهه
بعد ذلك بقوله الا وان الى قوله علم على ان له اماما يجب ان يقتدي به وهو تمثيل في قوة قياس كامل حذفت صغراه واصل
التمثيل مطلق الامام والماموم وعلته كونهما اماما وماموما وفرعه هو ع وعامله وحكمه وجوب الاقتداء وتقدير القياس انك
ماموم لامام وكل ماموم لامام فيجب عليه ان يقتدي بامامه ينتج انه يجب عليك ان تقتدي بامامك وتستضيء بنور علمه الخامس
اعلمه بعد ذلك بالبينة على ما يجب ان يقتدي به فيه من حال امامه في دنياه وهو اكتفاؤه من ملبوسها بطمريه ومن
مطعومها بما يسد به فورة جوعه من قرصيه غير ملتفت فيها بالنسبة الى زينته فان طمريه كانا سحق عمامة ومدرعة قد استحيا من
رافعها ولا مكترث فيما طعمه بلذة وطيب فان قرصيه كانا من شعير غير منخول واحد بالغداة وواحد بالعشي السادس نبه عن ضعفهم
على ان رياضته تلك لا تستطاع لهم فانها قوة مشروطة باستعداد لم يصلوا اليه ثم امرهم اذ كانت الحال كذلك ان يقصروا في معونته
على انفسهم ورياضتها بالورع واراد به هنا الكف عن المحارم ثم بالاجتهاد في الطاعة ويحتمل ان يريد بالورع لزوم الاعمال الجميلة
ثم الاجتهاد فيها السابع نبه بالقسم البار على تمام عبائه بعرض لبعض الاذهان الفاسدة في حقه ع ان زهده في الدنيا مشوب

بريا

في تتمة كتابه الى عثمن بن حنيف

بريه و يحشرون وزراءه بحيث يهاجيها وادخارها لخصوصها وهو امام الوقت وخليفة الارض يحدد انواع ما افاءه الله على المسلمين منها ام فهم
انه لم يوجد منه الا نوره وشبهه في الفلز والحفلة بعنوان الاثاث الدبرة وحينئذ الان صنعها بالحرير وشغلوا بالم يقال فوق
بالغ في وصف حقارة دنياهم عنده فاخبر انها في نظره واعتباره اهون من عفصة مرة وظاهر ان من كان كذلك كيف يتصور محبته للدنيا
وعلى هذا التأمل انه لما قال فيما اشتمل عليه من الدنيا ولا حزت من ارضها شبرا استثنى من ذلك فدك بقوله بلى قد كانت
لنا فدك من كل ما اظلته السماء وذكرها في معرض حكاية بحاله وحال القوم معه على سبيل الشكوى للظلم من اخذها منهم الى الله
سبحانه وتسليم الامر له والرضا بكونه حكما واعلم ان فدك كانت خاصة لرسول الله صلعم وذلك انه لما فرغ من امر خيبر قذف الله في
قلوب اهل فدك الرعب فبعثوا الى النبي صلعم يصالحونه على النصف فقبل ذلك منهم فكانت له خاصة اذ لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب
ويروى انه صالحهم على كلها ثم المشهور بين الشيعة والمتفق عليه عندهم ان رسول الله صلعم اعطاها فاطمة عم ورووا ذلك من طرق مختلفة
منها عن ابي سعيد الخدري قال لما انزلت وآت ذا القربى حقه اعطى رسول الله صلعم فاطمة فدك فلما تولى ابو بكر الخلافة عزم
على اخذها منها فارسلت اليه تطالبه بميراثها من رسول الله صلعم وتقول انه اعطاني فدكا في حيوته واستشهدت على ذلك
عليا عم وام ايمن فشهدا لها بها فاجابها عن الميراث بخبر رواه هو نحن معاشر الانبياء لا نورث فما تركناه فهو صدقة وعن دعوى
فدك انها لم تكن للنبي صلعم وانما كانت مالا للمسلمين في يده يحمل به الرجال وينفقه في سبيل الله وانا اليه كما كان يليه فلما بلغها ذلك
لاثت خمارها واقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ في ذيولها حتى دخلت عليه وهو في حشد من المهاجرين والانصار فضربت بينها
وبينهم قبطية ثم انت انة اجهش لها القوم بالبكاء ثم امهلت طويلا حتى سكنوا من فورتهم وقالت ابتدئ بحمد من هو اولى بالحمد
والطول والمجد الحمد لله على ما انعم وله الشكر بما الهم ثم خطبت خطبة طويلة قالت في اخرها فاتقوا الله حق تقاته واطيعوه فيما امركم
فانما يخشى الله من عباده العلماء واحمدوا الله الذي بعظمته ونوره يبتغي من في السموات ومن في الارض اليه الوسيلة ونحن وسيلته
في خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه ونحن حجته في غيبه ونحن ورثة انبيائه ثم قالت انا فاطمة بنت محمد اقول عودا على بدء وما اقول
ذلك سرفا ولا شططا فاسمعوا باسماع واعية وقلوب راعية ثم قالت لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤف رحيم فان تعزوه تجدوه ابي دون ابائكم واخا ابن عمي دون رجالكم ثم قالت ثم انتم تزعمون ان لا ارث لنا افحكم الجاهلية تبغون
ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون ايها معشر المسلمين ابتز ارث ابيه الله ان ترث يا ابن ابي قحافة اباك ولا ارث ابي لقد جئت
شيئا فريا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون
ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم قال ثم التفتت الى قبر ابيها فتمثلت بقول هند
بنت اثاثة قد كان بعدك انباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب ابدت رجال لنا نجوى صدورهم لما قضيت وحالت
دونك الكتب تجهمتنا رجال واستخف بنا اذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب قال فلم ير الناس اكثر باكيا ولا باكية منهم يومئذ
ثم عدلت الى مسجد الانصار وقالت يا معشر الانصار واعضاد الملة وحضنة الاسلام ما هذه الفترة عن نصرتي والونية عن معونتي والغمزة
في حقي والسنة عن ظلامتي اما قال رسول الله صلعم المرء يحفظ في ولده سرعان ما احدثتم وعجلان ما اتيتم الان مات رسول الله صلعم امتم
دينه ها ان موته لعمري خطب جليل استوسع وهيه واستبهم فتقه وفقد راتقه واظلمت الارض له وخشعت الجبال واكدت الامال
اضيع بعده الحريم وهتكت الحرمة واذيلت المصونة وتلك نازلة اعلن بها كتاب الله قبل موته وانبأكم بها قبل وفاته فقال وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ايها بني
قيلة اهتضم تراث ابيه وانتم بمرأى ومسمع تبلغكم الدعوة ويشملكم الصوت وفيكم العدة والعدد ولكم الدار والجنن وانتم نخبة
الله التي انتجب وخيرته التي اختار لنا اهل البيت باديتم العرب وناهضتم الامور وكافحتم البهم حتى دارت بكم رحى الاسلام ودر حلبه وخبت نيران الحرب
وسكنت فورة الشرك وهدأت دعوة الهرج واستوثق نظام الدين افتأخرتم بعد الاقدام ونكصتم بعد الشدة وجبنتم بعد الشجاعة
عن قوم نكثوا ايمانهم من بعد ايمانهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا وقد ارى ان قد اخلدتم
الى الخفض وركنتم الى الدعة وجحدتم الذي وعيتم ودسعتم الذي سوغتم وان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد الا وقد
قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم وخور القناة وضعف اليقين فدونكموها فاحتقبوها مدبرة الظهر ناقبة الخف باقية
العار موسومة بشنار الابد موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فبعين الله ما تعملون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب
ينقلبون ثم رجعت الى بيتها واقسمت ان لا تكلم ابا بكر ولتدعون الله عليه ولم تزل كذلك حتى حضرتها الوفاة فاوصت ان لا يصلي عليها
فصلى عليها العباس ودفنت ليلا ويروى انه لما سمع كلامها حمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال يا خيرة النساء وابنة خير
الاباء والله ما عدوت رأي رسول الله صلعم ولا عملت الا بامره وان الرائد لا يكذب اهله قد قلت فابلغت واغلظت فاهجرت فغفر الله

من تتمة كتابه الى عثمان بن حنيف

لنا وله اما بعد فقد دفعناه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وابنيه وخذوه الى علي عليه السلام واما ما سوى ذلك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انا معاشر
الانبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا ارضا ولا عقارا ولا دارا ولكنا نورث الايمان والحكمة والعلم والسنة وقد عملت بما امرني
ونصحت فقالت ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد وهبها لي قال فمن يشهد بذلك فجاء علي بن ابي طالب عليه السلام وام ايمن فشهدا لها بذلك فجاء عمر بن
الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقسمها فقال ابو بكر صدقت يا ابنة رسول الله وصدق علي وصدقت
ام ايمن وصدق عمر وصدق عبد الرحمن وذلك ان لك ما لابيك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ من فدك قوتكم ويقسم الباقي ويحمل
منه في سبيل الله ولك على الله ان اصنع بها كما كان يصنع فرضيت بذلك واخذت العهد عليه به وكان يأخذ غلتها فيدفع اليهم
منها ما يكفيهم ثم فعلت الخلفاء بعده كذلك الى ان ولي معوية فاقطع مروان ثلثها بعد الحسن عليه السلام ثم خلصت له في خلافته وتداولها
اولاده الى ان انتهت الى عمر بن عبد العزيز فردها في خلافته على اولاد فاطمة عليها السلام قالت الشيعة فكانت اول ظلامة ردها وقالت السنة
بل استخلصها في ملكه ثم وهبها لهم ثم اخذت منهم بعده الى ان انقضت دولة بني امية فردها عليهم ابو العباس السفاح ثم قبضها المنصور
فردها ابنه المهدي ثم قبضها ولداه موسى وهرون فلم يزل في ايدي بني العباس الى زمن المامون فردها اليهم وبقيت الى عهد المتوكل
فاقطعها عبد الله بن عمر البازيار وروى انه كان فيها احدى عشرة نخلة غرسها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده فكانت بنو فاطمة يهدون ثمرها
الى الحاج فيصلونهم عن ذلك بمال جليل فبعث البازيار رجلا فصرمها وعاد الى البصرة ففلج وفي هذه القصة خبط كثير بين الشيعة ومخالفيهم
ونكل بين الفريقين كلام طويل فلنرجع الى المتن فنقول اشار بالنفوس التي شحت بها الى ابي بكر وعمر واتباعهما وبالنفوس التي سخت بها الى
وجوه بني هاشم ومن مال معهم ثم اخذ استفهاما عما يصنع بفدك وغيرها من القينات الدنيوية استفهام انكار توبيخ جاذبا لنفسه اليها وسلبه
عنها وجذبا له عن الدنيا الى الاعمال الصالحة بذكر غاية النفوس منها وهي صيرورتها الى الجدث ولوازم تلك الغاية من انقطاع الاثار
عنه والاخبار فيها وسائر ما عدده من صفات الجدث وانما عدد هذه الامور لان الاوهام تنفر عنها وتخشع القلوب لذكرها فتفزع
الى الله تعالى ويجذب الى الاعمال الصالحة التي بها الخلاص من اهوال الموت وما بعده والواو في قوله والنفس للحال والعامل فيها ما نبه
على ان فدك وغيرها من قينات الدنيا لا حاجة اليها اشار الى حصر حاجته وشأنه بنفسه وهي رياضتها بالتقوى والضمير هو في قوله
فانما هي للكون والتقدير وانما همي وحاجتي رياضة نفسي بالتقوى واعلم ان رياضة النفس نهيها عن هواها وامرها بطاعة
مولاها وهي ماخوذة من رياضة البهيمة وهي منعها عن الاقدام على حركات غير صالحة لصاحبها ولا موافقة لمراده وتمرينها على ما يوافق
مراده من الحركات والقوة الحيوانية التي هي مبدأ الادراكات والافاعيل الحيوانية في الانسان اذا لم يكن لها طاعة القوة العاقلة ملكة
كانت بمنزلة بهيمة لم ترض فهي تتبع الشهوة تارة والغضب اخرى وغالب احوالها ان تخرج في حركاتها عن العدل الى احد طرفي الافراط والتفريط
بحسب الدواعي المختلفة المتخيلة والمتوهمة وتستخدم القوة العاقلة في تحصيل مراداتها فتكون هي امارة والعاقلة مؤتمرة لها اما اذا
راضتها القوة العاقلة ومنعتها عن التخيلات والتوهمات والاحساسات والافاعيل المثيرة للشهوة والغضب ومرنتها على ما يقتضيه
العقل العملي وادبتها على طاعته بحيث تأتمر بامرها وتنتهي بنهيها كانت لعقلية مطمئنة لا تنفعل عن الافعال المختلفة المبادي وكانت باقي
القوى مؤتمرة مسالمة لها اذا عرفت ذلك فنقول لما كان الغرض الاقصى من الرياضة انما هو نيل الكمال الحقيقي وكان ذلك موقوفا
على الاستعداد له وكان حصول ذلك الاستعداد موقوفا على زوال الموانع الخارجية والداخلية كان للرياضة اغراض ثلثة
احدها حذف كل محبوب ومرغوب عدا الحق الاول سبحانه عن مرصد الاختيار وهي الموانع الخارجية والثاني تطويع
النفس الامارة للنفس المطمئنة لتنجذب التخيل والتوهم عن الجانب السفلي الى العلوي ويتبعهما سائر القوى فيزول الدواعي الحيوانية
المذكورة وهي الموانع الداخلية الثالث تلطيف السر وتوجيهه الى الجنبة العالية الالهية لتلقي السوانح وتهيئته لقبولها ويعين على الغرض
الاول الزهد الحقيقي وهو الاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها بالقلب وعلى الثاني العبادة المشفوعة بالفكر في ملكوت السموات و
الارض وما خلق الله من شيء وعظمة الخالق سبحانه والاعمال الصالحة المنوية لوجهه خالصا وعبر بالتقوى التي يروض بها نفسه عن هذه
الامور المعينة والاسباب المعدة ونبه على غرضه الاقصى من الرياضة وهو الكمال الحقيقي واللذة بذكر بعض لوازمه وهي ان يأتي نفسه امنة
من الفزع يوم الخوف الاكبر وهو يوم القيمة وان يثبت على جوانب المزلق وهو الصراط المستقيم فلا تميل به الدواعي المختلفة عنه الى ابواب
جهنم ومهاوي الهلاك واستعار لفظ المزلق لما ان ذلك اقدام العقول في الطريق الى الله وجذب الميول الشهوية والغضبية عنها الى الرذائل
الموبقة ثم نبه على ان زهده في الدنيا واقتصاره منها على الطمرين والقرصين وترك ما سوى ذلك ليس عن عجزه عن تحصيل طيبات
مطعوماتها وملبوساتها وانه لو شاء لاهتدى الى تحصيل تلك الطيبات ولباب القمح ومصفى العسل لان الهريسة والعسل من اشهر
الطيبات بمكة والحجاز وانما تركه مع القدرة عليه رياضة لنفسه واعدادا لها لتحصيل الكمالات الباقية واستثنى هنا نقيض المقدم
وهو عدم غلبة هواه لعقله وعدم قود جشعه الى تخير الاطعمة ونبه عن ذلك لعدم بقوله هيهات فان ما استعد وقوعه من نفسه

في تتمة كتابه الى عثمان بن حنيف

وانكره نفسه نفاه عنها وحكم ببعده منه واما ان ذلك العدم هو نقيض الملزوم بعينه فلان الملزوم هنا هو المشبه لتخير الطيبات وغلبة الخوف
للعصوف على مقتضى رأيه في تركيبها الذي نزه منها وقود الشهوة له الى الموافقة على استعمالها والمستثنى هيهنا هو عدم ذلك بعينه واما جواز استثناء
نقيض المقدم فلان مستثنية الملك شرط مساو لتخير الطيبات والاهتداء اليها وكان عدمه مستلزما لعدم مشروطه واكثر استعمال لو في لغة
العرب على ضمان الملزوم ملزوم للازم او شرط مساو له وبستثنى نقيض الملزوم والواو في قوله ولعل الحال اى هيهات ان يغلبني هواي الى
تخير الاطعمة حال ما يحتمل ان يكون بالحجاز واليمامة من هو بصفة كذا وقوله او ابيت عطف على يقودني والحق فيما استبعده من نفسه هو
الواو في قوله وحولي للحال والعامل ابيت وكذلك قوله او ان اكون عطف على ابيت وهما لازمان من لوازم نتيجة القياس الاستثنائي
فان عدم ارادته تخير الطيبات لما استلزم هنا عدم تناولها والاستمتاع بها استلزم ذلك ان لا يبيت مبطانا وحوله اكباد جائعة ببيتة د
وان لا يحفره غار بذلك والبيت تمثيل غرضه التنفير عن العار اللازم عن الاستمتاع بالطيبات مع وجود ذوي الحاجة الى يسيرها طعاما
و نبه على حسن هذه اللوازم بما قارن نقايضها من الاحوال المذكورة والبيت لحاتم بن عبد الله الطائي من قطعة اولها ايا ابنة
عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست آكله وحدي قصيا بعيدا
او قريبا فانني اخاف مذمات الاحاديث من بعدي كفى بك عارا ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد واني لعبد الضيف
ما دام ثاويا وما في الا تلك شيمة العبد ويروى حسبك داء واطلق عليه اسم الداء باعتبار انه رذيلة يشقى بها صاحبها وقوله او ابيت وقوله
او اكون مرفوعين والوجه فيه ان لا يكون او حرف عطف بل تكون الهمزة للاستفهام والواو بعدها متحركة كالتي في قوله افاصفيكم ربكم
بالبنين ويكون استفهام انكار تبيانا منه بطلانها ولكونه كما قال القائل وكذلك الاستفهام في قوله اقنع من نفسي في معرض الانكار برضاء
نفسه بان يدعى امير المؤمنين ولا يشاركهم في مكاره الدهر وخشونة المطعم والواو في قوله ولا للحال واو اكون عطف على اشاركهم في حكم
النفي الحادي عشر نبه على بعض العلل الحاملة له على ترك الطيبات والزهد في الدنيا وهو كونه لم يخلق ليشغله اكل الطيبات عما اريد منه
وذلك في قوله فما خلقت الى قوله المتاهة ونفر عن الاشتغال باكل الطيبات بذكر ما يلزم المشتغل بذلك من مشابهة البهيمة واشار
الى وجه الشبه بقوله همها علفها الى قوله يراد بها وذلك ان المشتغل بها ان كان غنيا اشبه البهيمة المعلوفة في اهتمامه بما يعلفه
مرتفعا منه الحاضر وان كان فقيرا كان اهتمامه بما يكتسبه ويتقمم من حطام الدنيا ثم شغله وبما اكترسه مع غفلته عما يراد منه كالسائبة
التي همها الاكتراش تقممه من الكناسات مع غفلتها عما يفعل لها صاحبها ويراد بها من ذبح واستخدام واستعار لفظ الحبل وجره وكنى
بذلك عن الاهمال والارسال كما ترسل البهيمة الثاني عشر اشار الى ما عساه يعرض للاذهان الضعيفة من الشبهة وهي اعتقاد
ضعفه عن قتال الاقران بسبب تلك القوة التزهد وذلك بقوله وكاني الى قوله الشجعان ثم نبه على الجواب عن ذلك من خمسة اوجه الاول
التمثيل بالشجرة البرية وقياس نفسه عليها في القوة فالاصل هو الشجرة البرية والفرع هو والمشترك الجامع بينهما هو قلة الغذاء وخشونة
المطعم كقلة غذاء الشجرة البرية وسوء عيشها والحكم عن ذلك هو صلابة اغصانه وقوته كصلابة عود الشجرة البرية وقوتها وذلك دافع
للشبهة المذكورة الثاني تمثيل خصومه واقرانه كحضوره بالروائع الخضرة وهي الاصل في هذا التمثيل والفرع هو خصومه واقرانه والمشترك
بينهما هو الخضرة والنضارة الحاصلة عن الترفع ولين المطعم والحكم اللازم عن ذلك هو رقة الجلود ولينها والضعف عن المقاومة وقلة الصبر
على المنازلة الميل الى الدعة والرفاهية والغرض ان يعلم كون اقرانه اضعف منه فيندفع الشبهة الثالث تمثيله بالنابتات العذية
وهو كتمثيله بالشجرة البرية والحكم هنا هو كونه اقوى على سعير نار الحرب واصبر على وقدها وابطأ خمودا منها كالنابتات العذية
في النار الرابع تمثيله نفسه من رسول الله صلى الله عليه وآله بالضوء من الضوء واصل هذا التمثيل هو الضوء من الضوء وفرعه نسبة نفسه من رسول الله
والعلة الجامعة هي كون علومه وكمالاته النفسانية المستمرة مستفادة ومقتبسة من مصباح علم النبوة وكمالاتها كالمعلول من العلة و
المصباح من الشعلة الخامس تمثيله منه صلى الله عليه وآله بالذراع من العضد فالاصل فيه الذراع مع نسبته الى العضد والفرع هو مع منسوبا الى رسول الله
والعلة الجامعة هي قربه منه وقوته به وكونه ظهيرا له ووسيلة الى حصول مقصوده من تمام الدين وكماله وكون الرسول له اصلا في ذلك
كقرب الذراع من العضد وكون العضد اصلا له وكون الذراع وسيلة الى التصرف والبطش بالعضد والحكم في هذين التمثيلين واحد
وهو كونه لا يضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان ووجه لزوم هذا الحكم عن المشترك الاول انه لما كانت علومه اليقينية
وبصيرته في الدين يناسب بصيرة رسول الله صلى الله عليه وآله اذ اعظم امر شجعة يقوى بها على قتال الاقران حمية للدين وكذلك عن المشترك الثاني ثم لما كان به
اثبت ذلك الحكم ونفى عنه الضعف المتوهم فيه اكد ذلك بالقسم البار انه لو تظاهرت العرب على قتاله لما ولى عنها ولو امكنت الفرصة من رقابها
يسارع اليها اي حين القتال واستحقاقهم للقتل بعداوتهم الدين وقبح العفو عنهم ملاحظة لتشبهه برسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك في مبداء
الاسلام فانه لم يكن ليضع العفو الا في موضعه وروي انه قتل في يوم واحد الفا انسان صبرا في مقام واحد لما رأى في ذلك من مصلحة من دم
الدين الثالث عشر توعد ان يجتهد في تطهير الارض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس واراد معاوية وانما قال شخصا وجسما

في كتابه الى عثمان بن حنيف

ترجيحاً لجانب البدن على النفس باعتبار عنايته بكمال بدنه دون كمال نفسه فكأنه جسم وشخص فقط واشار بكونه معكوساً الى انه قاعد عن الجنبة العالية
وانتكاسه عن تلقي الكمالات الروحانية الى الجنبة السافلة وانتكاسه في الدنيا وانعكاس وجه عقله الى تحصيلها لذاتها والاعتناء بجمعها
فان غرض الحكمة الالهية من خلق الانسان ان يترقى في مدارج الكمال بعد حفظ فطرته الاصلية عن الدنس برذائل الاخلاق فاذا جذبته
دواعي النفس الامارة الى الدنيا وعزمه بجمعها حتى التفت اليها لم يزل يحط في دركات محبتها وبحسب ذلك يكون انتكاسه عن مراتب الكمال
وانتكاسه في الرذائل ومهاوي الضلال وتقيده فيها بالسلاسل والاغلال وقوله حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد استعار لفظ المدرة
لمعونته وحب الحصيد للمؤمنين ووجه المشابهة انه لا يخلص المؤمنين من وجود معونته بينهم ليزكوا ايمانهم ويستصفيهم اذ كان وجوده فيهم
سبباً عظيماً لفساد عقائدهم وهلاك دينهم كما يفعل اهل البيادر من تصفية الغلات واخراج ما يشوبها ويفسدها من المدر وغيره وذكر
الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد كان الزراع يجتهدون في اخراج المدر والحجر والشوك ونحوه من بين الزرع كيلا يفسد منابته فيفسد
ثمرته وفيه نظر لانه لا معنى لاخراج الطين من الزرع ولان لفظ حب الحصيد لا يفهم منه ذلك الرابع عشر تمثل الدنيا بصورة من يعقل
خاطبها بخطاب العقلاء ليكون ذلك اوقع في النفوس لغرابته ثم امرها بالتنحي والبعد عنه كالمطلق لها وحبلك على غاربك كناية
عن الطلاق تمثيل واصله ان الناقة اذا اريد اهمالها للرعي وضع حبلها على غاربها فضرب مثلاً لكل من اهمل واطلق عن الحكم ثم جعلها
ذات مخالب استعارة ملاحظاً كناية عن كونها كالاسد في جذبها للانسان بما فيها من الشهوات والقيان الى الهلاك الابدي كما يجر
الاسد فريسته وكذا جعلها ذات حبائل وكنى بهذا الوصف المستعار عن كونها تصيد قلوب الرجال بشهواتها الوهمية ونبه على الحبائل
الصائد واستعار لفظ مداحضها لشهواتها وملذاتها ايضاً باعتبار كونها مزالق اقدام العقول عن طريق الله ومصارع لها وعبر بجميع ذلك
عن ذمه لها وابعاده اياها عن نفسه ثم اخذ في سؤالها عن القوم الذين غرتهم بمداعبها والامم الذين فتنتهم بزخارفها سؤالاً على
سبيل التوبيخ لها والذم على فعلها بذلك ثم في معرض التنفير عنها وهو من قبيل تجاهل العارف واستعار لها لفظ المداعب جمع مدعبة
بمعنى دعابة ووجه المشابهة انها عند صفائها لذاتها للخلق واغترارهم بها ثم كرها عليهم بعد ذلك بالغم الحديد شبيه من يمزح مع غيره و
ينبسط معه بالاقوال والافعال اللينة ليغترهم ثم ياتيهم بعد ذلك بالامر يسوءه او يقتله وانما نسب الغرور اليها لكونها سبباً مادياً له
وفي نسخة الرضي رحمه الله غريتهم بالياء ووجهه انها حدثت من اشباع الكسرة الخامس عشر اشار الى غايتهم التي صاروا اليها وهي
كونهم رهائن القبور ومضامين اللحود ونبه في ذلك على ان غرورهم وفتنتهم بما لم يخلصهم من هذه الغاية كل ذلك لغرض التنفير عنها
وهذا للتنبيه واستعار لفظ الرهائن لهم باعتبار كونهم موثقين في القبور باعمالهم كالرهن ويحتمل ان يكون حقيقة ويكون رهينة
بمعنى راهنة وهي الثابتة المقيمة بقبورها السادس عشر اقسم انها لو كانت شخصاً مرئياً وقالباً حسياً لاقام عليها حدود الله في عباد غرتهم
بالاماني واوردتهم موارد البلاء حيث لا ورد ولا صدر اي ان تلك الموارد ليس من شأنها ان يكون اليها ورود وعنها صدر ثم لما
كان في هذا الخطاب كالمعلم لها انه قد اطلع على خداعها وغرورها قال كلا ليس لها من نفسه هيهات اي بعد غرورك به
البيان ثم نبه على بعض العلل الحاملة على التبعد عنها والمنفرة عن غرورها وهي ما يلزم وطء دحضها من الزلق وركوب لججها من الغرق
والازورار عن حبائلها من التوفيق للسلامة وما يلزم التشاغل منها من عدم مبالاته بضيق مناخه وكل مناخ اناخ به من فقر و
ومرض وبلاء بعد السلامة منها فهو صحيح ربح بالقياس الى ما يستلزم التنعم في سعتها والجري في ميادين شهواتها من العذاب
الاليم في الآخرة وهي عنده في القصر وعدم الالتفات اليها كيوم حان انسلاخه والفاظ المداحض واللجج والحبائل مستعار لشهواتها
فالاول باعتبار كون شهواتها مظنة ان يخبت فيخرج الانسان عند تناولها الى الاستكثار منها وتجاوز القدر المعتدل الى الحرام
فتزل قدم نفسه عن صراط الله فيقع في مهاوي الهلاك والمآثم والثاني باعتبار ان مطالبها والامال فيها غير متناهية ومن توغل
المشتغل بها والمنهمك في الدنيا ان يغرق نفسه في بحر لا ساحل له منها فينقطع عن قبول رحمة الله الى الهلاك الابدي كالملقي نفسه
في اللجة الثالث باعتبار ان الانسان اذا اعتز بها وحصل في محبته مشتبها بها عاقته عن النهوض والخلاص الى جناب الله ومنعته ان يطير
بجناحي قوته العقلية في حضرة قدس الله ومنازل اوليائه الابرار كما تعوق حبائل الصائد جناح الطائر ولفظ الوطء والركوب والزلق
والغرق ترشيح ثم كرر الامر لها بالبعد عنه واقسم انه لا يذل لها فتذله ولا يسلس لها قياده فتقوده ونبه بذلك على انها لا يذل لها الا
من اذل نفسه وعبدها لها ولا يملك قياده الا من سلس لها قياده وهو ظاهر اذ الانسان ما دام قامعاً لقوته الحيوانية مصرفاً لها
بزمام عقله فانه من المحال ان تذله الدنيا وتستعبده اهلها مهما اتبع شهوته فيما تمثل اليه فانها تذله اشد اذلال وتستعبده
اقوى استعباد كما قال ع عبد الشهوة اذل من عبد الرق واستعار وصف السلاس لعدم التأتي للتسهيل في متابعة النفس لعدم للنفس
الامارة وعدم التشدد في ضبطها باستعمال التغافل عن متابعتها السابع عشر اقسم ليروضن نفسه عزم عليه وهو تصدره من رياضة
نفسه ووصف تلك الرياضة في قوتها باستلزام امرين احدهما كون نفسه تهش معها الى القرص وتقنع به اذا قدرت عليه مطعوماً

نفسه

ويقمع بالملح ما دونها وتلك هي اضعف القوة الشهوية ولما كانت اكبر جند وللنفس واكثر انفسا لحقوق سنتها حضها بالذكر وقوة العزم ويحتمل ان يريد بانه اضعف جميع القوى انما وصفها بكون النفس تهش معها الى المقر كان ضبط الشهوة اعظم من ضبط سائر القوى واصعب وكانت الاشارة الى ضبطها الى الحد المذكور ابلغ في وصف الرياضة بالشدة واستثنى في يمينه بمشية الله وبالقوله نعم لا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ونبهها على استناد جميع الامور في سلسلة الحاجة الى الله تعم الثاني كونه مدمع مقلته في تلك الرياضة كعين ماء نضب ماؤها ووجه الشبه ان يفنى دموعها ويستفرغها بالبكاء شوقا الى الملأ الاعلى وما عند اولياء الله من السعادة الابدية وخوفا من حرمانها ومن كان في مقام الغربة ومحل الوحشة كيف لا يشتاق الى وطنه الاصلي ومقام انسه الاولى ومطعمها ومأواه ومشربه وسائر احواله ثم اخذ في تمثيل نفسه بالسائمة والربيضة على تقدير ان يرضى بمثل حالهما وقابلتهما من الدنيا في معرض الانكار لذلك الرضا من نفسه والاصل في ذلك التمثيل البهيمة والفرع هو والمشترك الجامع هو الرعي والشبع هو البرك والنوم والرابض ولما كان الاصل المقيس عليه في غاية من الخسة والقياس الى الانسان الكامل استلزم ذلك التشبيه بما فوقه لنفرة عما يستلزم التشبيه من الصفات وقوله قرت اذن عينه اخبار في معرض الانكار والاستهزاء باللذة كقوله تم ذق انك انت العزيز الكريم الثامن عشر تنبيه على ان النفس اذا كانت بالصفات المذكورة فلها اصحاب طوبى ويجمع في تلك الصفات اكثر مكارم الاخلاق فالاولى القيام بواجب طاعة الله وما افترض عليها قوله وعركت بجنبها بؤسها كناية عن الصبر على نزول المصائب يقال عرك فلان بجنبه الاذى اذا اغضى عمن يؤذيه وصبر على فعله به ويلزم ذلك عدة فضائل كالحلم والكرم والعفو والصفح والتجاوز وكظم الغيظ واحتمال المكروه والعفة ونحوها الثالث ان تهجر بالليل غمضها فهو كناية عن احياء ليلها بعبادة ربها واشتغالها بذكره حتى اذا غلب النوم عليها افترشت ارضها وتوسدت كفها اي لم يكن لها كلفة في تهيئة فراش وطيب وساد بل كانت بريئة عن كل كلفة عرية عن كل فتنة منزهة عن كل زهو وقوله في معشر يصلح تعلقه بكل من افعال النفس المذكورة اي فعلت هذه الافعال في جملة معشر من شأنهم كذا وعرفهم بصفات اربع احدها كونهم اسهر عيونهم خوف معادهم الثاني وتجافت جنوبهم عن مضاجعهم وهو كناية عن اشتغالهم ليلا بعبادة ربهم كقوله تعم تتجافى جنوبهم عن المضاجع الثالث وهمهمت بذكر ربهم شفاههم كقوله تعم يدعون ربهم خوفا وطمعا الرابع وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم وهو لازم عن الثلاثة الاولى او ثمرتها واستعار لفظ التقشع لانمحاء ذنوبهم ووجه الاستعارة ان الذنوب الهيئات البدنية في تسويدها الالواح النفوس وتغطيتها وحجبها اياها عن قبول انوار الله تشبه السحاب المتراكم الحاجب لوجه الارض عن قبول نور الشمس المسعد لها بها للنبات وغيره فاستعار لزوالها وامحائها من الواح النفوس لفظ التقشع كل ذلك للترغيب في طاعة الله والجذب بها الى الدخول في زمرة اولياء الله وبالله التوفيق

ومن كتاب له عم الى بعض عماله

أما بعد فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين وأقمع به نخوة الأثيم وأسد به لهاة الثغر المخوف فاستعن بالله على ما أهمك واخلط الشدة بضغث من اللين وارفق ما كان الرفق أرفق واعتزم بالشدة حين لا تغني عنك إلا الشدة واخفض للرعية جناحك وألن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك ولا ييأس الضعفاء من عدلك

أقول النخوة الكبر والاثيم الآثم والضغث النصيب من الشيء يختلط بغيره واصله القبضة من الحشيش المختلط من رطبه ويابسه واقمعه كذا اي ازمه واخذ به وقد استماله اولا باموره ثلاثة اعلمه بها من نفسه واعدّه لها قوله وانه ممن يستظهر به على اقامة الدين ويقمع به نخوة الاثيم ويسد به الثغر المخوف واستعار لفظ اللهاة لما عساه ينفتح من مفاسد الثغر ويحتاج الى سده بالعسكر والسلاح ملاحظة لتشبيهه بالاسد الفاتح فاه للافتراس ثم اردف ذلك بما امره به من مكارم الاخلاق اولها ان يستعين بالله على ما اهمه من اموره فانه الفزع اليه والاستعانة به افضل ما اعان على حصول المهمات الثاني ان يمزج الشدة بضرب من اللين ويضع كلا منهما موضعه فيرفق ويلين ما كان الرفق اولى واوفق ويأخذ بالشدة حين لا يغني الا الشدة الثالث ان يخفض جناحه لرعيته وهو كناية عن التواضع الرابع ان يبسط لهم وجهه وهو كناية عن لقائهم بالبشاشة والبشر وترك العبوس والتقطيب الخامس ان يلين لهم جانبه وهو كناية عن المساهلة معهم وعدم التشدد السادس ان يواسي بينهم في اللحظة والنظرة والاشارة والتحية لتتم بذلك فضيلة العدل بين الرعية لئلا يطمع عظماؤهم في حيفه على الضعيف فيتسلط عليه ولا ييأس الضعيف من عدله على القوي فيضعف نفسه ويكل عما هو بصدده من الاعمال الصالحة وبالله التوفيق

بالشدة

عليهم

ومن وصية له عليه السلام

للحسن والحسين عم لما ضربه ابن ملجم لعنه الله **أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما وقولا بالحق واعملا للأجر وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم فإني سمعت جدكما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم والله الله في جيرانكم**

منها

في وصيته للحسن والحسين ع

فإنهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم والله الله في الصلوة
فإنها عمود دينكم والله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم
وألسنتكم في سبيل الله وعليكم بالتواصل والتباذل وإياكم والتدابر والتقاطع لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر فيولى عليكم أشراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ثم قال عليه السلام يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء
المسلمين خوضا تقولون قتل أمير المؤمنين ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة
ولا تمثلوا بالرجل فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور **أقول** بغت كذا
ابغته واغباب افواههم ان يطعموهم يوما ويتركوهم يوما والمناظرة والمحافظة والمراقبة والتدابر التقاطع والتعادي والمثلة التنكيل
وقد اوصاهما بامور اولها تقوى الله التي هي راس كل خير الثاني الزهد في الدنيا وان لا يبغياها وان ادتهما اي اقبلت عليهما
بما يعجبهما خيرها واستعار لفظ البغية لها باعتبار سهولتها عليهما من توافق اسباب خيرها لهما فهي بذلك كالطالبة لهما
الثالث ان لا ياسفا على ما قبض وغيب عنهما من خيراتها وهو من لوازم الزهد الحقيقي فيها الرابع ان لا يقولا الا الحق وهو ما ينبغي قوله
من اوامر الله ونواهيه وان لا يعملا الا للاجر الاخرة اي يكون اقوالهما واعمالهما مقصورة على هذين الخامس ان يكونا للظالم خصما و
للمظلوم عونا وذلك من لوازم قول الحق والعمل له اذ من كان على خلق العدل فلا بد ان يجانب الظلم المتطرف الى طرف الجور ويجا
ذبه الى فضيلة العدل فيكون خصما للظالم عونا للمظلوم ثم عاد فأكد الوصية بهما مع جميع ولده واهله ومن بلغه كتابه من عباد الله بتقوى
مكررا لها ومردفا بامرين احدهما صلاح ذات البين وذات كناية عن الحالة الموجبة للبين والافتراق وقيل هي الحالة التي بين
الرجلين والقبيلتين والرجل واهله امر باصلاح ما بينهما من فساد وقيل يحتمل ان يريد بالبين هنا الوصل وبالذات النفس اي
اصلحوا نفس وصلكم من فساد يقع فيه وقيل ان ذات هنا مقحمة زائدة ونحوه قوله تعالى فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وصلاح ذات
البين من لوازم الالفة والمحبة في الله وهي فضيلة تحت العفة ورغب في ذلك بما رواه سماعا عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله صلاح ذات
البين افضل من عامة الصلوة والصيام ووجه الافضلية هنا انك علمت فيما سلف ان اهم المطالب للشارع صلى الله عليه وآله جمع الخلق على سلوك
سبيل الله وانتظامهم في سلك دينه ولن يتم ذلك مع تنازعهم وتنافر طباعهم وثوران الفتنة بينهم فكان صلاح ذات البين مما
لا يتم اهم مطالب الشارع الا به وهذا المعنى غير موجود في الصلوة والصيام لامكان المطلوب المذكور بدونهما فتحققت افضليته
من هذه الجهة والخبر في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فواجب ان يفعل الثاني حذره من الله تعالى في الايتام ونهى
عن اغبابهم وكنى هنا باغباب افواههم انه لو مظنة جوعهم ثم عن اضاعتهم واستلزم ذلك الامر ببرهم والاحسان اليهم وهو
فضيلة تحت العفة الثالث الوصية في الجيران والتحذير من الله فيهم ونبه على حفظ قلوبهم واكرامهم بوصية الرسول صلى الله عليه وآله في حقهم وجعلهم
نفس الوصية تأكيدا للمحافظة عليهم كالمحافظة على وصية رسول الله والمجاز من باب اطلاق اسم المتعلق وقوله ما زال الى قوله سيورثهم
تنبيه للوصية المذكورة وهي ايضا في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من اوصى النبي في حقه كذلك فواجب ان يحفظ الرابع الوصية
بما اشتمل عليه القرآن الكريم من القوانين والقواعد والتحذير من الله سبحانه في تركه والنهي عن ان يسبقهم الى العمل به غيرهم لاستلزا
م ذلك [illegible] الخامس الوصية بامر الصلوة والتحذير من الله في امرها ونبه على فضيلتها بضمير صغراه قوله فانها عمود
الدين وهو غني عما رويناه من الحديث قبل وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فواجب ان يقام الدين باقامته السادس الوصية
ببيت ربهم والنهي عن تركه زيارة وعمارة مدة العمر وقد سبق سره ونبه على فضيلة اخرى له توجب ملازمته وهو ما يستلزم من عدم
مناظرة الله لتاركيه وترك محافظته عليهم ومراقبته لان من لا يحفظ الله في بيته وبر امته في مراعاة جانبه لم يحفظه الله ولم
يراقبه ويحتمل ان يريد لم يناظركم الاعداء ولم يراقبوكم اذ في الاجتماع الى بيت الله والمحافظة عليه عزا بالله واعتصاما به توجب مراقبة
الخلق للمعتصمين به وانفعال القلوب عنهم وعن كثرتهم ومناظرتهم السابع الوصية بالجهاد في سبيل الله بالمال والنفس واللسان
والتحذير من الله في تركه وهو ما علمت فضيلته الثامن الوصية بالتواصل والتباذل اي يتبذل كل منهم النصرة لصاحبه في سبيل الله
التاسع التحذير من التقاطع والتدابر وسره ظاهر العاشر النهي عن ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر المستلزم للامر بهما ونفر عن ذلك
الترك بما يستلزمه بعده من تولي الاشرار عليهم وعدم استجابة دعاء الداعين منهم ووجه استلزامه لذلك ان ترك الاجتماع على الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر يستلزم ثوران المنكر وقلة المعروف من طباع الاشرار وبعده لاستيلائهم وغلبتهم وولاية اهلها وذلك يستلزم
كثرة الشر والاشرار وقلة الصالحين وضعفهم عن استنزال رحمة الله ثم بادعيتهم فيدعون فلا يستجاب لهم ثم عقب ذلك بوصية
اهل بيته من بني عبد المطلب بما يخصه من امر دمه والوصية بامور احدها نهاهم عن اثارة الفتنة بسبب قتله فقال لا الفينكم
تخوضون دماء المسلمين خوضا وكنى عن كثرة القتل وقوله تقولون قتل امير المؤمنين حكاية ما جرت به العادة ان يقوله طالب

من كتاب له عليه السلام الى معوية وغيره

الثالث حين هياجه اظهار العذر والسبب الحامل له على اثارة الفتنة الثاني نهاهم ان يقتلوا الا قاتله اذ ذلك هو مقتضى العدل
الثالث نبههم بقوله انظروا الى قوله هذا على انه لا يجوز قتله بمجرد ضربته ان لم يحصل الموت بسببها الا ان يعلم ان الموت
كان بسببها الرابع امرهم ان يضربوه ضربة بضربة وذلك مقتضى عدله ع ايضا الخامس نهى عن المثلة به معللا بما رواه سماعا عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وذلك لان في المثلة تعديا للواجب وتشفيا للقلب وشفاء الغيظ وكل ذلك رذائل يجب الانتهاء عنها وهو في قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل ما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عنه فواجب ان لا يفعل وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى معوية وان البغي والزور
يذيعان بالمرء في دينه ودنياه ويبديان خلله عند من يعيبه وقد علمت انك غير مدرك ما قضي فواته وقد رام اقوام امرا بغير
الحق فتاولوا على الله فاكذبهم فاحذر يوما يغتبط فيه من احمد عاقبة عمله ويندم من امكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه وقد دعوتنا
الى حكم القرآن ولست من اهله ولسنا اياك اجبنا ولكنا اجبنا القرآن في حكمه **اقول** هذا الفصل من كتاب له اليه بعد التحكيم ومسألت
معوية بما حكم به الحكمان ويحتمل ان يكون عند اجابته الى التحكيم والوتغ بالتحريك الهلاك واوتغ فلان دينه بالاثم اهلكه وافسده
وفي نسخة الرضي يذيعان اي يظهران والغبطة السرور والغبطة تمني مثل حال الغير وصدر الفصل بذكر الظلم والكذب بالتنفير
عنهما بما يلزمهما من اهلاك دين المرء ودنياه ويبديان خلله وعيبه لمن يعيبه اما دينه فلكونهما رذيلتين مضادتين للعدل والعفة
ومجانبتين للايمان والدين واما في دنياه فلان اعظم مطالب الدنيا للعقلاء الذكر الجميل وانما يحصل بظهور مكارم الاخلاق
دون رذائلها واراد بما فيه فوائد ما جعله معوية شبهة له في محاربته وهو الطلب بدم عثمن وهو في قوة صغرى ضمير احتج به على وجوب
ترك المسافة وتقدير كبراه وكل من كان كك فيجب عليه ان يترك ذلك الطلب ثم اعلمه بحال من طلب امرا بالباطل وتاول على الله
والاشارة الى اصحاب الجمل حيث كانوا طالبين بالامر والملك فتاولوا على الله اي على سلطان الله وهو الخلافة الحقة فخلعوا الحق وجعلوا
بينهم عليها تاويلا وهو الطلب بدم عثمن ونحوه من الشبه الباطلة فاكذبهم الله سبحانه عليهم برد مقتضى شبههم والاكذاب كما يكون
بالقول كك يكون بالفعل وعاقبة الطلب الرد وكك اذ معنا وقد طلب قوم امر هذه الامة فتاولوا القرآن كقوله ثم اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم فهم واولي الامر بضبطه من الامراء ولما الامر فتحكمين على الله فاكذبهم الله بكونهم قالين بغاة ولا يكون اولي الامر من قبل
الله كك ثم حذره يوم القيمة ووصفها له على ما فيه من سرور الذين حمدوا العاقبة اعمالهم بما حصلوا عليه من السعادة الباقية والاغتباط
عندهم لهم وبين مثل مراتبهم وندم من امكن الشيطان من قياده فقصد كيف شاء ولم يجاذبه واستعار لفظ التمكين من القياد ملاحظا وجهه
النفس الامارة وعرض المحذر بان لا يكون ممن يسوم من طالبي هذا الامر بالتاويل على الله وقوله دعوتنا الى آخره صورة سؤاله و
الجواب عنه وكونه ليس من اهله اذ لم يكن صالحا للامامة كما سنوبها بقدر امره وحيث لم يكن اهلا لان يجاب الى الرضى بالتحكيم علمه بذلك
وانما اجاب القرآن الى حكمه وذلك في قوله تعالى في حق الزوجين وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهلها الاية فجعل ع هذا
اصلا فقاس عليه بطريق الاولى حال الامة عند وقوع الشقاق بينهم وبعين ذلك احتج ابن عباس رض على الخوارج حين انكروا
التحكيم فقالوا كيف يجوز لعلي ع ان يحكم في دين الله الرجال فقال لهم ان ذلك ليس امرا على انما هو امر من الله تعالى في كتابه
اذ يقول في حق الزوجين وان خفتم الاية افترون ان الله تعالى امر بذلك في حق الرجل وامرأته مراعاة لمصلحتهما ولا يامر بذلك في حق
الامة رعيا لمصلحتهم فرجع كثير منهم الى قوله ع وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى غيره اما بعد فان الدنيا مشغلة عن
غيرها ولم يصب صاحبها منها شيئا الا فتحت له حرصا عليها ولهجا بها ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها
ومن وراء ذلك فراق ما جمع ونقض ما ابرم ولو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي والسلام **اقول** اللهج الحرص الشديد وصدر
الكتاب بالتنبيه على معايب الدنيا ليقل الرغبة فيها وذكر منها امور الاول كونها مشغلة عن غيرها اي عن الاخرة وهو ظاهر تمام الثاني
كونها لم يصب صاحبها منها شيئا الا كان ذلك معدا للحرص عليها واللهج بها واليه الاشارة بقوله ص لو كان لابن آدم واديين من ذهب لابتغى
لهما ثالثا ولا يملا جوف ابن آدم الا التراب الثالث كونها لا يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها وذلك من لوازم القسم
الثاني فان حصول بعضها لما كان معدا للفقر اليها لم يستغن طالبها ابدا منها ثم ردف ذلك بذكر امور للتنفير عنها ايضا
استعقابها لفراق ما جمع منها الثاني نقض ما احكم من امورها ثم نبه على وجوب الاعتبار بما مضى من العمر ومن احوال الدنيا والقرون
الماضية لغاية حفظ ما بقي من العمر ان يضيع في الباطل وحفظ ما ينبغي من السعادة الاخروية بالسعي في تحصيلها وبالله التوفيق **ومن
كتاب له عليه السلام** الى امرائه على الجيوش من عبد الله علي امير المؤمنين الى اصحاب المسالح اما بعد فان حقا على الوالي ان لا يغيره
على رعيته فضل ناله ولا طول خص به وان يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده وعطفا على اخوانه الا وان
لكم عندي ان لا احتجز دونكم سرا الا في حرب ولا اطوي دونكم امرا الا في حكم ولا اؤخر لكم حقا عن محله ولا اقف دون
مقطعه وان تكونوا عندي في الحق سواء فاذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة وان لا تنكصوا عن دعوة

من كتاب له الى بعض عماله على الخراج

ولا تفرّطوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحقّ، فإن أنتم لم تستقيموا لي على ذلك لم يكن أحدٌ أهون عليّ ممّن اعوجّ منكم ثمّ أعظم له العقوبة، ولا يجد عندي فيها رخصة، فخذوا هذا من أمرائكم، وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم، والسلام. أقول: تخيّر: أصنع، والنكوص: الرجوع على الأعقاب، العزم: الشدّة. واعلم أنّه قدّم فيها ما يجب على الوالي المطلق أو عيّنه بوجه كلّي كما هو عادة الخطيب ثمّ ثنّى ببيان ما يجب عليه لهم بتفصيل لذلك الكلّي، ثمّ ما يجب عليهم له، ثمّ أمرهم بلزوم ما وجب عليهم. أمّا الأوّل فقوله أمّا بعد فحقّ على الوالي وأشار فيه إلى أمرين: أحدهما أن لا يغيّره عنهم ما اختصّ به من الفضل والطول، لأنّ تغيّره عنهم خروج عن شرائط الولاية. الثاني أن يزيده ذلك الذي تعمّم من الله دنوًّا من عباده وعطفًا على إخوانه، لأنّ ذلك من تمام شكر النعمة. وأمّا الثاني فاشترط على نفسه لهم خمسة أمور: أحدها أن لا يحتجز دونهم سرًّا في الأمور المصلحيّة إلّا في الحرب، ويحتمل أن يستثني منه أمرين: أحدهما أنّ أكثرهم ربّما لا يختار الحرب فلو توقّف على المشورة فيه لما استقام أمرها، ولذلك كان كثيرًا ما يحملهم على الجهاد ويتضجّر من تثاقلهم عنه وهم له كارهون كما سبق. الثاني أن يكتم ذلك خوفًا من انتشاره إلى العدوّ فيكون سببًا لاستعداده وتأهّبه للحرب، ولذلك كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا أراد سفرًا إلى الحرب ورّى بغيره، كما روي أنّه نوى غزاة بدر فكتب للسريّة كتابًا وأمرهم أن يخرجوا من المدينة إلى صوب مكّة يومين أو ثلاثة ثمّ ينظروا في الكتاب ويعملوا بما فيه، فلمّا ساروا ذلك القدر نظروا فيه فإذا هو يأمرهم فيه بالخروج إلى نخلة محمود وأن يفعلوا كذا وكذا، ففعلوا، وخرج النبيّ صلّى الله عليه وآله خلفهم إلى بدر، فكان الظفر لهم، ولو أعلمهم حين أمرهم بالخروج أنّه يسير إلى قريش لانتشر ذلك إلى قريش وكان استعدادهم أقوى، وجاز أن يكون ذلك أيضًا مانعًا لبعض الصحابة عن النهوض خوفًا من أهل مكّة وشوكتهم. الثاني أنّه لا يطوي دونهم أمرًا إلّا في حكم استثناه، ولفظ الطيّ لكتمان الأمر، أي لا يخفي عنكم أمرًا إلّا أن يكون حكمًا من أحكام الله فإنّه ينفرد دونكم من غير افتقار ومشاورة فيه كالحدود ونحوها. الثالث أن لا يؤخّر لهم حقًّا عن محلّه كالعطاء وسائر الحقوق التي تقتضيها، ولا يقف به دون مقطعه كالأحكام المتعلّقة بالمتخاصمين المحتاجة إلى الفصل. الرابع أن يسوّي بينهم في الحقّ. والأوّلان مقتضى فضيلة الحكمة، والثالث والرابع مقتضى فضيلة العدل. وأمّا الأمر الثالث ممّا تستحقّه عليهم فبدأ بوجوب حقّ الله تعالى أوّلًا إذ كانت قضائه بنصبه لهم إمامًا وتعليمهم ما ذكره أتمّ منّه نعمة عليهم، ثمّ ثنّى بما يجب له، وذكر أمورًا: أحدها بذل طاعته إذ لا حجّة لهم عليه يكون سببًا لعصيانهم. الثاني أن لا ينكصوا عن دعوته له إذا دعاهم، وهو من تمام الطاعة. الثالث أن لا يفتّروا في حين التفريط في مصالح يراها أو يبدلها لهم. الرابع أن يخوضوا الغمرات ويركبوا الشدائد في نصرة الحقّ وطلبه، ثمّ أردف ذلك بالوعيد لهم إن لم يستقيموا له على ما وجب له عليهم ممّا عدّده، وتوعّد بأمرين: أحدهما هوانه للمعوجّ منهم عن طاعته عليه وسقوط منزلته. والثاني إعظام العقوبة له وعدم الرخصة فيها عنده. ولمّا بيّن لهم ما وجب عليهم أمرهم أن يأخذوا ذلك البيان والنصح منه ومن سائر أمراء العدل ويعطوهم من أنفسهم ما يصلح الله به أمورهم من الطاعة وفعل ما أمرهم به، وبالله التوفيق.

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله على الخراج: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى أصحاب الخراج، أمّا بعد فإنّ من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدّم لنفسه ما يحرزها، واعلموا أنّ ما كلّفتم يسير وأنّ ثوابه كثير، ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه، فأنصفوا الناس من أنفسكم، واصبروا لحوائجهم، فإنّكم خزّان الرعيّة، ووكلاء الأمّة، وسفراء الأئمّة، ولا تحسموا أحدًا عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعنّ للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابّة يعتملون عليها، ولا عبدًا، ولا تضربنّ أحدًا سوطًا لمكان درهم، ولا تمسّنّ مال أحد من الناس مصلّ ولا معاهد، إلّا أن تجدوا فرسًا أو سلاحًا يعدى به على أهل الإسلام، فإنّه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكة عليه، ولا تدّخروا أنفسكم نصيحة، ولا الجند حسن سيرة، ولا الرعيّة معونة، ولا دين الله قوّة، وأبلوا في سبيله ما استوجب عليكم، فإنّ الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا، وأن ننصره بما بلغت قوّتنا، ولا قوّة إلّا بالله. **أقول**: السفير: الرسول، وحسمته: منعته، أي قطعته، والشوكة: القوّة والحدّة، ومعرّتها أي خطيئته. وصدّر الكتاب بقضيّة كلّيّة وهو أنّ من لم يحذر ما يصير إليه من العواقب المخوفة لم يقدّم لنفسه استعدادًا يحرزها منها، فإنّ الإنسان إنّما يستعدّ للأمر المرغوب والمرهوب إذا رغب فيه أو خافه، وهي في معرض التوبيخ على ترك الحذر من تقديم الطاعة وما يستعدّ به الإنسان ويحرز نفسه من عذاب الله. ثمّ أعلمهم بكون التكليف لهم يسيرًا تسهيلًا له، وكون ثوابه كثيرًا ترغيبًا فيه، وهو في قوّة صغرى ضمير يرغّبهم في القيام بالأمور المكلّف بها، وتقدير كبراه: وكلّ ما كان كذلك وجب القيام به والاجتهاد فيه. ثمّ أردفه بالتنبيه على وجوب ترك البغي والظلم بما يلزم فعله من العقاب الأليم وتركه من الثواب العظيم الذي لا عذر في ترك طلبه لو لم يكن في فعله عقاب، والمعنى أنّه لو لم يكن فيه عقاب يخاف فيترك لأجله لكان في تركه ثواب يجب لأجله، فكيف وفي فعله العقاب الأليم، فبالأولى أن يجب تركه، وهو من أفصح الكلام، والغرض التحذير من الوقوع في رذيلة الظلم. ثمّ أردف ذلك بأوامر ونواهٍ، فمن الأوامر أمران: أحدهما إنصاف الرعيّة من أنفسهم وميولها. الثاني أن يصبروا لحوائجهم لينتظم أمر مصالحهم، وعلّل ذلك بكونهم خزّان الرعيّة ووكلاءهم على بيت مالهم وسفراء أئمّتهم إليهم، وهو في قوّة صغرى ضمير تقدير كبراه: وكلّ من كان كذلك فعليه الإنصاف والصبر على حوائجهم. ومن النواهي ستّة: أحدها أن لا يحسموا

احد ولا يجبهوه فيستحيي من حاجته الثاني لا يمنع احدا عن حاجته ويحبسوا دونها الثالث ان يحوجوا احدا في طلب الخراج الى بيع ما يضطر اليه من كسوة او دابة ينتفع بها في عمل ولا عبيد الخامس ان لا يأخذوا من مال احد من اهل القبلة او المعاهدين من اهل الكتاب شيئا الا ان يكون فرسا او سلاحا يعدى به على المسلمين واهل الاسلام فانه يجب اخذه من ايدي اعدائهم لئلا يكون شوكة عليهم ومعونة السادس ان لا يدخروا انفسهم اي عن انفسهم نصيحة بل ينصح بعضهم لبعض ولا عن الجند حسن سيرة ولا عن الرعية معونة ولا عن دين الله قوة ثم امرهم ان يبلوا في سبيله ويعطوا ما استوجب عليهم من شكر نعمه وطاعته ثم قال وجوب ذلك بقوله فان الله الى آخره ومونّي قوة صغرى ضميرها والمعنى انه تعجيل شكره بجهدنا ونصرته بما بلغت قوتنا صنيعة عندنا اذ كان شكره ونصرته من اعظم نعمه علينا كما سبق وقبل راد لان نشكره وتقدير الكبرى وكل من اصطنع عندنا وجب علينا شكره وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** كتبه الى امراء البلاد في معنى الصلوة فصلّوا بالناس الظهر حين تفيء الشمس مثل مربض العنز وصلّوا بهم العصر والشمس بيضاء حيّة في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان وصلّوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاج وصلّوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق الى ثلث الليل وصلّوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه وصلّوا بهم صلوة اضعفهم ولا تكونوا فتانين **اقول** بين في هذا الكتاب اوقات الصلوة الاول وقت الظهر وحده بوقت فيء الشمس اي رجوعها وميلها الى المغرب ثم نبه بتقديره بمربض العنز وهو اول وقت الظهر وذلك مما يختلف باختلاف البلاد الثاني وقت العصر وقدره ببقاء الشمس بيضاء لم تصفر للمغيب وحيّة واستعار لفظ الحيوة لظهورها على الارض كالحي المشاهد وفي عضو من النهار اي جزء من القسمة والقطعة منه ثم قدر ذلك العضو بمقدار ان يسار فيه فرسخان الثالث وقت المغرب وعرفه بامرين احدهما حين يفطر الصائم وذلك عند سقوط القرص الثاني حين يدفع الحاج ويفيض من عرفات والمشهورة ها بين العلامتين وتلازمهما مع المخاطبين عرفه بهما الرابع وقت العشاء الآخرة عرفه بتواري الشفق وذلك من ناحية المغرب وحد آخره بثلث الليل وانما حد آخر هذا الوقت دون اوقات ساير الفرايض لان الفرايض بين آخر كل وقت منها بيان اول وقت الاخرى ولما كان آخر وقت العشاء الآخرة لا يتصل الا بالليل الخالي عن الفرايض واما آخر وقت الصبح فمحدود بطلوع الشمس بظاهر الخامس وقت صلوة الغداة وحده بحين يعرف الرجل وجه صاحبه وذلك حين طلوع الفجر الثاني وهو الحمرة المعترضة من ناحية المشرق والعلامة التي ذكرها اوضح لساير الناس ثم اوصاهم بفعل وترك اما الفعل فان يصلوا بالناس صلوة اضعفهم وهو ان لا يطيلوا في القراءة في الفرايض كقراءة البقرة والسور الطوال فان ذلك لا يستطيع القيام به كل الناس فيؤدي ذلك الى المشقة وعجز بعضهم عن اداء الفريضة في الجماعة وهو مستلزم لمنعهم في الدين واما الترك فان لا يكونوا فتانين باطالة الصلوة ووجه الفتنة هنا انهم يكونون صارفين للناس عن الائتمام والمساعد على الجماعة باطالتها المستلزمة لتخلف العاجزين والضعفاء والله اعلم **ومن عهد له عليه السلام** كتبه للاشتر النخعي رح على مصر واعمالها حين اضطرب امر اميرها محمد بن ابي بكر رض وهو اطول عهد كتبه واجمعه للمحاسن **اقول** هو مالك بن الحارث الاشتر النخعي من اليمن وكان من اكابر اصحابه ذوي النجدة والشجاعة الذين عليهم عمدته في الحروب روي ان الطرماح لما دخل على معوية قال له قل لابن ابي طالب اني جمعت من العساكر بعدد حب جاورس الكوفة وها انا قاصده فقال له الطرماح ان لعلي ديكا اشتر يلتقط جميع ذلك فانكسر معوية من قوله وفي العهد فصول **الفصل الاول** قوله بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما امر به عبد الله علي امير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر في عهده اليه حين ولاه مصر جبوة خراجها وجهاد عدوها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها امره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ما امر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد احد الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من اعزه وامره ان يكسر نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا ما رحم الله **اقول** نبه على جمعها وصدّر هذا العهد بذكر امور هي غرض الولاية وبها يكون نظام الامر فمنها ما يعود الى منفعة الوالي وهو جبوة الخراج ومنها ما يعود الى الرعية وهي جهاد عدوهم واستصلاحهم بالسياسة وحسن الرعي ومنها ما يعود اليهما وهو عمارة البلاد ولواحقها ثم امره باوامر يعود الى اصلاح نفسه اولا احدها تقوى الله وخشيته وقد سبق بيان كونها اصلا لكل فضيلة الثاني اتباع اوامره في كتابه من فرائضه وسننه ورغب في ذلك بقوله لا يسعد الى قوله واضاعتها وقد مر بيان ذلك الثالث ان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه في جهاد اعدائه وانكار المنكرات ورغب في ذلك بقوله وقد تكفل الى قوله اعزه كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم الرابع ان يكسر من نفسه عند الشهوات وهو امر بفضيلة العفة الخامس ان يكفها ويزعها عند الجمحات وهو امر بفضيلة الصبر عن اتباع الهوى وهو فضيلة تحت العفة وحذر من النفس بقوله فان النفس الى آخره وهو من قوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء الآية وما يجعلني من وهي نصب على الاستثناء اي الا نفس رحمها الله **الفصل الثاني** في اوامره ووصاياه بالاعمال الصالحة المتعلقة باحوال الولاية وتدبير المال والمدينة وذلك قوله ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون

من عهد له الى مالك الحرث الاشتر

من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطإ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يدي لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة ولا تقولن إني مؤمر آمر فأطاع فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فإن ذلك يطامن إليك من طماحك ويكف عنك من غربك ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك إياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فإنك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان لله حربا حتى ينزع ويتوب وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم فإن الله يسمع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره للإنصاف وأسأل بالإلحاف وأقل شكرا عند الإعطاء وأبطأ عذرا عند المنع وأضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة وإنما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة فليكن صغوك لهم وميلك معهم وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعايب الناس فإن في الناس عيوبا الوالي أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك أطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يضح لك ولا تعجلن إلى تصديق ساع فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الأمور ولا حريصا يزين لك الشره بالجور فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فإنهم أعوان الأثمة وإخوان الظلمة وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على إثمه أولئك أخف عليك مؤونة وأحسن لك معونة وأحنى عليك عطفا وأقل لغيرك إلفا فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن وال برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك

أقول الضاري المعتاد للصيد الحريص عليه والصفح الإعراض عن الذنب والتبجح بسكون الجيم الفرح والسرور والبادرة الحدة والمندوحة السعة والإدغال الإفساد في الأصل والنهك الضعف والإبهة العظمة والمخيلة الكبر ويطامن يسكن وطماح النفس جماحها وطموح البصر ارتفاعه وغرب الفرس حدته وأول جريه والمساماة مفاعلة من السمو والجبروت الكبر العظيم وأدحض حجته أبطلها وينزع يرجع والجحف يذهب

والاجحاف

الى مالك الحرث الاشتر

والالحاف شدة السؤال وملمات الدهر نوازله من خطوبه وجماع المسلمين جمعهم والصغوة الميل والشنآن البغض والوتر الحقد والتغابي
التجاهل والتغافل وبطانة الرجل خاصته والاصار الآثام وحفلاتك اى جلساتك في المحافل والمجامع والاطراء المدح البالغ والزهو
الكبر والتدريب التعويد والمنافسة المحادثة واعلم ان مدار هذا الفصل لما كان على امره بالعمل الصالح في البلاد والعباد نبهه اولا على
بعض العلل الغائية من ذلك وهو الذكر الجميل في العقبى والكون من الصالحين بعمله وذلك بقوله انى قد وجهتك الى قوله
يقول فيهم وهو في قوة صغرى ضمير تقديرها انك موجه الى بلاد حالها كذا وكذا وحال الناس في فعلك بها كذا وتقدير
الكبرى وكل من وجه الى بلاد كذلك وكان الناس ينظرون من امره مثل ما كان ينظر فيه من امر الولاة ويقولون فيه مثل ما
كان يقول فيهم فيجب عليه ان يكون احب الامور اليه العمل الصالح ليحصل منه الذكر الجميل بين الناس الدال على كون المذكور
عند الله من الصالحين ونبه على تلك الكلية بقوله وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده
وفي نسبة اجراء القول الى الله ترغيب عظيم في تحصيل الذكر الجميل ثم اعقب ذلك بامره ان يجعل العمل الصالح احب الذخائر
اليه واستعار لفظ الذخيرة باعتبار ان يحصله في الدنيا لغاية الانتفاع به في العقبى كالذخيرة ولما امره بالعمل الصالح
اجمالا شرع في تفصيله وذكر انواعا احدها ان يملك هواه في شهوته وغضبه فلا يتبعهما ويشح بنفسه عما لا يحل له من
المحرمات وقوله فان الشح الى قوله كرهت تفسير لذلك الشح بما يلازمه وهو الانصاف والوقوف على حد العدل في المحبوب
فلا يقوده شهوته الى حد الافراط فيقع في رذيلة الفجور وفي دفع المكروه فلا يقوده غضبه الى طرف الافراط من فضيلة
العدل فيقع في رذيلة الظلم والتهور وظاهر ان ذلك شح بالنفس وبخل بها عن القائها في مهاوي الهلاك الثاني ان يشعر قلبه الرحمة
للرعية والمحبة والتلطف بهم وهي فضائل تحت ملكة العفة اى اجعل هذه الفضائل شعار القلب ولفظا الشعار والسبع
مستعاران واشار الى وجه استعارة السبع بقوله تغتنم اكلهم الثالث انه يعفو ويصفح عنهم وهو فضيلة تحت الشجاعة وقوله
فانهم الى قوله في الخلق بيان لسببين من اسباب الرحمة لهم واللطف بهم وقوله يفرط منهم الزلل الى قوله والخطاء تفسير للعلة
وهي السبب الثاني والكلام في قوة صغرى ضمير تحسن العفو والصفح واراد بالعلل التي تعرض لهم الامور المشغلة الصارفة
لهم عما ينبغي من اجراء اوامر الوالي على وجوهها وقوله ويؤتى على ايديهم كناية عن كونهم غير معصومين بل هم ممن يؤتون من قبل
العمد والخطأ ويأتي على ايديهم اوامر الولاة والمؤاخذات فيما يقع منهم من عمد وخطأ وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك
فينبغي ان يرحم ويشمل بالمحبة واللطف به ويقابل خطاؤه بالعفو والصفح وفي امره باعطاء العفو مثل الذي يحب ان يعطيه الله من
عفوه اتم ترغيب في العفو واقوى جاذب اليه وكذلك قوله فانك فوقهم الى قوله وابتلاك بهم تخويف من الله في معرض الامر
بالعفو واللطف وهو صغرى ضمير اخر في ذلك الرابع نهاه ان ينصب نفسه لحرب الله وكنى بحربه عن التغلظ على عباده وظلمهم
ومبادرته بعقوبتهم بالمعصية وقوله فانه لا يدي لك الى قوله ورحمته صغرى ضمير نبه به على انه لا يجوز ظلم عباد الله ومحاربته
كنى بعدم اليدين عن عدم القدرة يقال ما لي بهذا الامر يدان اذا كان مما لا يطاق وحذفت النون من يدين للمضاف وقيل
لكثرة الاستعمال وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا يجوز ان ينصب لحرب الله بظلم عباده الخامس نهاه عن الندم على العفو وعن
التبجح بعقوبة الغير والتسرع الى الغضب الذي يجد عنه مندوحة فان ذلك كله من لوازم اعطاء القوة الغضبية قيادها [illegible]
انها شيطان تقود الى اثارة الشر السادس نهاه ان يأمر بما لا ينبغي الامر به ويخالف الدين ونهى عن ما عساه يعرض في النفس من وجوب
طاعة الخلق لامره فان عليهم ان يسمعوا ويطيعوا ان يأمر فان ذلك مفسد للقلب والدين واشار الى ذلك الفساد بقوله فان ادغال
الى قوله الغير وهو من وجوه ثلثة احدها انه ادغال في القلب وصرف له عن دين الله وهو معنى افساده الثاني ان ذلك منهكة
للدين واضعاف له الثالث انه مقرب من الغير لكون الظلم من اقوى الاسباب المعدة باجتماع همم الخلق على زواله ولذلك اشار بقوله
نعم ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم والكلام في قوة ثلث صغريات لثلثة ضماير وتقدير الكبريات فيها وكل ما كان
كذلك فلا يجوز ان يكابر السابع ارشده الى دواء الابهة والكبر الذي عساه يعرض له من سلطانه وولايته وذلك ان ينظر الى
عظمة الله فوقه وقدرته على ما لا يملكه من نفسه ولا يستطيع جلبا لها او دفعا عنها فان ذلك يسكن داء الكبر الذي
يحدث له فيطيعه ويكسر حدة غضبه ويرد اليه ما شرد من قوته الغضبية من عقله فيعرف عند ذلك حاله وهذه ايضا صغريات تليت
لثلثة ضماير نبه فيها على وجوب فعل ما ارشده اليه من الدواء وتقدير الكبريات فيه وكلما كان كذلك فيجب عليك فعله الثامن حذره
عن التعظيم والتجبر ونفره عن ذلك بكونهما مساماة لله وتشبها به وبان التكبر يستلزم ان يذل الله صاحبه ويهينه وتقدير الضمائر
فانك ان تجبرت واختلت يذلك الله ويهينك وهو في قوة صغرى ضمير وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب ان يحذر
من الله بترك التجبر التاسع امره بانصاف الله وانصاف الناس من نفسه واهل هواه من رعيته فانصاف الله العمل باوامره والانتهاء

عن زواجره منها بلا بد لك فيه وانصاف الناس العدل فيهم والخروج اليهم من حقوقهم اللازمة لنفسه ولاهل خاصته والخروج عن حقوق
ذلك الانصاف بعينا من قبضول صغرى الاول وقوله فانك الا تفعل تظلم اى تظلم عباد الله وكبراه ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه
دون عباده وتقدير نتيجته فانك ان لا تفعل كان الله خصمك دون عباده وهى صغرى لقياس اخر كبراه قوله ومن خاصمه الله
الى قوله ويتوب وتقدير نتيجته فانك ان لا تفعل ادحض الله حجتك عند مخاصمته وكنت له حربا الى ان تنزع وتتوب من ظلمك
وقوله وليس شىء الى قوله على ظلم تنبيه لازم اخر لعدم الانصاف والاقامة على الظلم وهو كونه ادعى الى تغيير نعم الله وتعجيل
نقمته من كل شىء وقوله فان الله الى قوله بالمرصاد بيان للزوم اللازم المذكور وذلك ان الله سبحانه اذا كان يسمع دعوة
المظلوم ويطلع على فعل الظالم فانه يسرع الى تغيير نعمته اذا استعدت لذلك العاشر ان يكون احب الامور اليه اقربها
الى ما فى الوسط من طرفى الافراط والتفريط وهو الحق واعمها للعدل واجمعها لرضاء الرعية فان العدل قد يوقع على
وجه لا يعم العامة بل يقع فيه رضاء الخاصة ونبه على لزوم العدل العام للرعية وحفظ قلوب العامة وطلب رضاهم
بوجهين احدهما ان سخط العامة لكثرتهم لا يفى به رضاء الخاصة لقلتهم بل يجحف به ولا ينفع رضاهم عند سخط العامة
وذلك يؤدى الى وهن الدين وضعفه واما سخط الخاصة فانه مغتفر ومستور عند رضاء العامة فكان رضاهم اولى
الثانى انه وصف الخاصة بصفات مذمومة توجب قلة الاهتمام بهم بالنسبة الى العامة بصفات محمودة توجب العناية بهم
اما صفات الخاصة فاحدها كونهم اثقل مؤنة على الوالى فى الرخاء لتكلفه لهم ما لا يتكلفه لغيرهم الثانى كونهم اقل معونة
له فى البلاء لمحبتهم الدنيا وعزة جانبهم الثالث كونهم اكره للانصاف لزيادة اطماعهم فى الدنيا على العامة الرابع كونهم
اسال بالالحاف لانهم عند الحاجة الى السؤال اشد جرأة على الوالى واطمع فى الاجابة الخامس كونهم اقل شكرا عند الاعطاء
لاعتقادهم زيادة فضلهم على العامة وانهم احق بما يعطونه واعتقادهم حاجة الوالى اليهم وتخوفه منهم السادس كونهم ابطأ
عذرا للوالى ان منعهم اى انهم اقل مسامحة له ان اعتذر اليهم فى امر لاعتقادهم فضيلة انفسهم وكونهم واجبى قضاء الحقوق
السابع كونهم اضعف صبرا عند ملمات الدهر لتعودهم الترفه وجزعهم على ما فى ايديهم من الدنيا واما صفات العامة فاحدها
كونهم عمود الدين واستعار لهم لفظ العمود باعتبار قيام الدين بهم كقيام البيت بعموده الثانى كونهم جماع المسلمين لكونهم الاغلب
والاكثر والسواد الاعظم الثالث كونهم العدة للاعداء لكثرتهم ايضا ولانهم كانوا اهل الحرب فى ذلك الزمان وهذه الصفات
للفريقين تستلزم وجوب حفظ قلوب العامة وتقديمه على حفظ قلوب الخاصة ولذلك امره ان يكون صغوه وميله الى العامة
الحادى عشر امره بان يكون ابعد رعيته منه وابغضهم اليه اطلبهم لمعايب الناس ونبهه على وجوب ذلك بقوله فان فى الناس
عيوبا الى قوله سترها واذا كان الوالى احق من سترها الزمه ان لا يكشف عما غاب عنه منها وذلك يمنع اهل النميمة وابعادهم وانما يلزمه ما
يجب عليه وهو تطهير الخلق مما ظهر له من ذنوبهم دون ما غاب عنه واكد ذلك بالامر بستره العورة من الغير بقدر الاستطاعة فان
كل عيب عورة ونبه على الرغبة فى ذلك بما يستلزمه من اعداده لستر الله منه ما يحب ان يستره هو على رعيته من الذنوب والعيوب
الثانى عشر امره بنزع الحقد وعقد ما عقده فى قلبه منه لكونه من رذائل القوة الغضبية وان يقطع اسبابه من قبول السعاية واهل النميمة
الثالث عشر ان يتغافل عن كل امر لا يتضح له ولا يقوم به برهان ونهاه ان يعجل الى تصديق من سعى به ونبه على ذلك بضمير صغراه
قوله فان الساعى الى قوله الناصحين ووجه غشه كونه مثيرا للاحقاد والضغائن بين الناس ومذيع الفاحشة والفساد فى الارض
وتقدير كبراه وكل من كان غاشا وجب ان لا يلتفت اليه الرابع عشر نهاه ان يدخل فى مشورته ثلثة البخيل والجبان والحريص
ونبه على وجه المفسدة فى استشارة كل واحد من الثلثة بضمير صغرى الاول قوله يعدل بك الى قوله الفقر وذلك ان البخيل لا يشير
الا بما يراه مصلحة عنده وهو البخل فما يستلزمه من التخويف بالفقر وهو يعدل بالمستشير عن الفضل وصغرى الثانى قوله
يضعفك عن الامور لان الجبان لا يوجب حفظ النفس والتخويف من العدو وهو المصلحة التى يراها وكل ذلك مضعف عن الحرب
ومقاومة العدو وصغرى الثالث قوله يزين لك الشره بالجور وذلك ان المصلحة عنده جمع المال وحفظه وهو مستلزم للجور عن فضيلة
العدل والقصد وتقدير الكبرى فى الثلثة وكل من كان كذلك فلا يجوز استشارته ثم نفر عن الثلثة بضمير اخر نبه بصغراه على
مبدأ رذائلهم الثلث وهى البخل والجبن والحرص لتعرف فتجتنب وتنفر عن اهلها فذكر انها غرائز اى اخلاق متفرقة تجمعها النفس
عن اصل واحد ينتهى اليه وهو سوء الظن بالله وبيان ذلك ان مبدأ سوء الظن بالله عدم معرفته فان الجاهل به لا يعرفه من
حيث ما هو جواد فياض بالخيرات لمن استعد لها عنده فيسوء ظنه به وبانه لا يخلف عليه عوض ما يبذل له فيمنعه ذلك خوف
الفقر عن البذل فلزمه رذيلة البخل وكذلك الجبان جاهل به من جهة لطفه بعباده وعنايته بوجودهم وغير عالم بسر قدره فيسوء ظنه
بانه لا يحفظه من التلف ويتصور الهلاك فيمنعه ذلك عن الاقدام فى الحرب تخوفا فيلزمه رذيلة الجبن وكذلك الحريص

في التنبيه على طبقات الناس

٣٠٥ ج

بجهله تعالى من الوجهين المذكورين فيسوء ظنه به ويعتقد أنه إذا لم يحرص الحرص المذموم لم يوصل إليه تعالى ما يصلح حاله مما ينبغي ويقدر ويحرص عليه فيبعثه ذلك على الحرص فكذلك النفس فكانت هذه الأخلاق الثلاثة المذمومة راجعة إلى ما ذكره. الخامس عشر لما كان من الأعمال القبائح اتخاذ الأشرار الوزراء والأعوان نبهه على من لا ينبغي استصلاحه لذلك ليجتنبه وعلى من ينبغي ليعتمد فمن لا ينبغي هو من كان للأشرار من الولاة قبله وزيرا ومشاركا لهم في الآثام فنهاه عن اتخاذه بطانة وخاصة له ونفره عنهم بضمير صغراه قوله فإنهم إلى قوله الظلمة وتقدير كبراه فكل من كان كذلك فلا تتخذه بطانة وقوله من لما رأيتهم ممن هو خير الخلف من الأشرار هم الذين ينبغي أن يستعان بهم بيان لوصف خيرتهم بالنسبة إلى الأشرار وهو أن يكون لهم مثل آرائهم ونفاذهم في الأمور وليس عليهم مثل آصارهم ولم يعاونوا ظالما على ظلمه ثم رغب في اتخاذهم أعوانا بضمير صغراه قوله أولئك أخف إلى قوله إلفا أما أنهم أخف مؤونة فلأن لهم وراءهم من أنفسهم عما لا ينبغي لهم من مال وحال فلا يحتاج إلى إرضائهم لهم أو ردعهم عما لا ينبغي الحرص بتكلفة بخلاف الأشرار وأما معونتهم فيما لا ينبغي وبحسب قربهم إلى الحق ومجانبتهم للأشرار كانوا أحسن معونة وأثبت عنده قلوبا وأشد حنوا عليه وعطفا وأقل لغيره إلفا وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي أن يتخذ عونا ووزيرا لذلك قال فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ميز من ينبغي أن يكون أقرب هؤلاء إليه وأقوامهم في الاعتماد عليه بأوصاف أخص أحدها أن يكون أقولهم بمر الحق له الثاني أن يكون أقلهم مساعدة له فيما يكون منه ويقع من الأمور التي يكرهها الله لأوليائه وانتصب قوله واقعا على الحال أي في حال وقوع ذلك لقول مر والتضجر وقلة المساعدة حيث وقع من هواك سواء كان في هوى عظيم أو يسير أو حيث وقع هواك أي سواء كان ما هواه عظيما أو يسيرا ويحتمل أن يريد وأضاف ذلك إلى الموضع من هواك ومحبتك حيث وقع أي يجب أن يكون له من هواك موقعا ثم أمره في اعتبارهم واجتبائهم بأوامر أحدها أن يلازم أهل الورع منهم والأعمال الجميلة وأهل الصدق فهما فضيلتان تحت العفة الثاني أن يروضهم ويؤدبهم بالنهي عن الإطراء له أي يزيدوا له سرورا بقول الباطل ينسبونه إليه فعل ما لم يفعله فيتداخلونه في ذم قوله ولهم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ونفره عن كثرة الإطراء بضمير صغراه قوله فإن كثرة الإطراء إلى قوله العزة واستلزام الإطراء والزهو بين المذكورين ظ وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فيجب اجتنابه الثالث نهاه أن يكون المحسن والمسيء عنده بمنزلة سواء ونفره عن ذلك ببيان وجه المفسدة في ضمير صغراه قوله فإن ذلك إلى قوله الإساءة وسره أن أكثر فعل الإحسان إنما يكون طلبا للمجازاة بمثله خصوصا من الولاة وطلبا للزيادة والترتب على الغير وزيادة الذكر الجميل مع أنواع من الكلفة في ذلك فإذا رأى المحسن مساواة منزلة المسيء كان تكلفه ذلك صارفا عن الإحسان وداعيا إلى الراحة من تكلفه وكذلك أكثر التاركين للإساءة إنما يتركون خوفا من الولاة وإشفاقا من نقصان الرتبة عن النظر فإذا رأى المسيء مساواة مرتبته مع مرتبة المحسنين كان التقصير أولى وتقدير الكبرى وكل ما كان فيه تزهيد للإحسان وتدريب على الإساءة فينبغي أن يجتنب ثم أكد ذلك بأمره أن يلزم كلا من أهل الإحسان والإساءة بما ألزم به نفسه من الاستعداد بالإحسان والإساءة لهما فيلزم المحسن منزلة الإحسان ويلزم المسيء منزلة الإساءة السادس عشر نبهه على الإحسان إلى رعيته وتخفيف المؤونات عنهم وترك استكراههم على ما ليس لهم قبلهم بما يستلزم ذلك من حسن ظنه بهم المستلزم لقطع النصب عنه من قبلهم والأنس إليهم وذلك أن الوالي إذا أحسن إلى رعيته قويت رغبتهم فيه وأقبلوا بطباعهم على محبته وطاعته وذلك يستلزم حسن ظنه بهم فلا يحتاج معهم إلى كلفة في جميع أهوائهم والاحتراس من شرورهم وأكد ذلك بقوله وإن أحق من حسن به إلى قوله عنده السابع عشر نهاه أن ينقض سنة صالحة عمل بها السلف الصالح من صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت الرعية وذلك مفسدة ظاهرة في الدين الثامن عشر نهاه أن يحدث سنة تضر بشيء من ماضي السنن وأشار إلى وجه الفساد فيها بضمير صغراه قوله فيكون إلى قوله منها ويعود إلى السنن التي دخل عليها الضرر فيكون الأجر لمن سن السنة الماضية التي أضرت بها المحدثات الحادثة والوزر عليك بما نقضت منها وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فينبغي أن يجتنب وينفر عنه التاسع عشر أمره أن يكثر مدارسة العلماء أي بأحكام الشريعة وقوانين الدين ومنافثة الحكماء أي العارفين بالله وأسراره في عباده وبلاده العاملين بالقوانين الحكمية العملية الجزئية والاعتبارية وتصفح أنواع الأخبار في تثبيت القواعد والقوانين التي يصلح عليها أمر البلاد وإقامة ما استقام به الناس قبله وبالله التوفيق

الفصل الثالث في التنبيه على طبقات الناس الذين ينتظم بهم أمر المدينة وذكر كل على حدة وطبقته التي يقتضي الحكمة النبوية وضعه فيها والإشارة إلى تعلق كل طبقة بالأخرى بحيث لا صلاح لبعضهم إلا بالبعض وبذلك يكون قوام المدينة ثم بالإشارة إلى من ينبغي من كل صنف وطبقة يكون أهلا لتلك المرتبة والوصية في كل بما يليق به وذلك قوله واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الإنصاف والرفق ومنها أهل الجزية من أهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار وأهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله سهمه ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله عهدا منه عندنا محفوظا فالجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن وليس يقوم الرعية إلا بهم ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج يقوون

مثل م — لمنزلته م — هم م — فتنة فسنة — والخراج م

في تنبيهه على طبقات الناس في انتظام الامور

به جهاد عدوهم ويعتمدون فيما اصلحهم ويكونون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال
والكتاب لما يحكمون به من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار و
ذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بايديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم ثم
الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه فول
من جنودك انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولامامك انقاهم جيبا وافضلهم حلما ممن يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذر ويرأف
بالضعفاء وينبو عن الاقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثم الصق بذوي الاحساب واهل البيوتات الصالحة والسوابق
الحسنة واهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من امورهم ما يتفقد الوالدان
من ولدهما ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به ولا تحقرن لطفا تعاهدتهم به وان قل فانه داعية لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن
بك ولا تدع تفقد لطيف امورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه وليكن
آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف اهليهم حتى يكون
همهم هما واحدا في جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة امورهم وقلة استثقال دولهم
وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح في آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن
افعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل ان شاء الله ثم اعرف لكل امرئ منهم ما ابلى ولا تضمن بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه
ولا يدعونك شرف امرئ الى ان تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امرئ الى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيما واردد الى الله
ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الامور فقد قال الله سبحانه لقوم احب ارشادهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول فالرد الى الله الاخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول الاخذ
بسنته الجامعة غير المفرقة ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في
الزلة ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بادنى فهم دون اقصاه اوقفهم في الشبهات وآخذهم
بالحجج واقلهم تبرما بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور واصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء
واولئك قليل ثم اكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع
فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظرا بليغا فان هذا الدين قد كان اسيرا في ايدي
الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا ثم انظر في امور عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة واثرة فانهما جماع من شعب الجور
والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقا واصح اعراضا واقل
في المطامع اشرافا وابلغ في عواقب الامور نظرا ثم اسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول
ما تحت ايديهم وحجة عليهم ان خالفوا امرك او ثلموا امانتك ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك في السر
لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الاعوان فان احد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه
عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة في بدنه واخذته بما اصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة
ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم
الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا
بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم امره الا قليلا فان شكوا علة او ثقلا او انقطاع شرب او بالة
او احالة ارض اغتمرها غرق او اجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو ان يصلح به امرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فانه
ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل
قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عولت
فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة انفسهم به فان العمران محتمل ما حملته وانما يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها لاشراف
انفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر ثم انظر في حال كتابك فول على امورك خيرهم واخصص رسائلك التي
تدخل فيها مكايدك واسرارك باجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ
ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما ياخذ لك ويعطي منك ولا يضعف
عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الامور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره
اجهل ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن

خدمتهم

ج ٥ ص

في تنبيهه على ترتيب طبقات الناس في باب النظم

حق حقك ليس وراءه ذلك من النصيحة والأمانة شيء ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثرا وأعرفهم
بالأمانة وجها فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأسا منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت
عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيرا المقيم منهم
والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك
وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها فإنهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد أمورهم
بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات
وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل
وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به وعاقبه في غير إسراف ثم الله الله في الطبقة
السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا واحفظ لله ما
استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى
وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر فإنك لا تعذر بتضييع التافه لإحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا
تصعر خدك لهم وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع
فليرفع إليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم وكل فأعذر
إلى الله في تأدية حقه إليه وتعهد أهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل و
الحق كله ثقيل وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم **أقول** المباعد جمع مبعد [مصدر]
والمرافق المنافع ونظام الأمر ملاكه والخلوف المتخلفون جمع خلف بالفتح والحيطة الشفقة ويتعلق ... والمحك اللجاج والحصر العي
والتبرم التضجر والازدهاء افتعال من الزهو وهو الكبر والإطراء كثرة المدح والاغتيال الأخذ على غرة والمحاباة المعاطاة والمفاعلة
فيها والأثرة الاستبداد والجماع المجمع والتوخي القصد والحدوة الحث والشرب النصيب من الماء والبالة القليل من الماء يبل به الأرض
أحالت الأرض غيرتها عما كانت عليه من الاستواء فلم يجب ريها ولا أثمر نخلها والإجمام الإراحة ومعتمدا قاصدا والإعواز الفقر و
استنام إلى كذا سكن إليه والمترفق طالب الرفق من التجارة والمطارح جمع مطرح وهي الأرض البعيدة والبائقة الداهية والغائلة الشر و
الاحتكار حبس المنافع عن الناس عند الحاجة إليها والبؤسى الشدة والقانع السائل والمعتر الذي يتعرض للعطاء من غير سؤال و
الصوافي جمع صافية وهي أرض الغنيمة والتافه الحقير وتقتحمه العيون تزدريه وأعذر في الأمر [تقحمه]
صار ذا عذر فيه واعلم أن في الفصل أبحاثا الأول أنه قسم أهل المدينة إلى سبع طبقات وحكم بأنه لا يصلح بعضها إلا ببعض على ما
بينه وقوله من أهل الذمة ومسلمة الناس تفصيل للأهل الأولى فأهل الذمة تفسير لأهل الجزية ومسلمة الناس تفسير لأهل الخراج ويجوز
أن يكون تفسيرا لأهل الجزية والخراج لأن للإمام أن يقبل أرض الخراج من سائر المسلمين وأهل الذمة وقوله والسهم الذي سماه الله
لكل منهم الاستحقاق لكل من ذوي الاستحقاق في كتابه إجمالا من الصدقات كالفقراء والمساكين وعمال الخراج والصدقة وفصله
في سنة نبيه صلى الله عليه وآله وحده الذي وضع الله عليه عهدا منه عند أهل بيت نبيه هو مرتبته ومنزلته من أهل المدينة الذي لا يقوم
إلا بهم فإن للجند مثلا منزلة وحدا محدودا لا يجوز له تعديه وفريضته وفرضه عنده والعمل بما يلزم تلك المرتبة وكذلك الكتاب والعمال
والقضاة وغيرهم فإن لكل منهم حدا يقف عنده وفريضة يلزمها عليها عهد من الله محفوظ عند نبيه وأهل بيته وقد اشتملت عليها
الشريعة البحث الثاني أنه نبه بقوله فالجنود بإذن الله إلى قوله معونتهم على أن لكل من الأصناف المذكورة تعلقا بالآخر بحيث لا
يقوم الآخر والحاجة إليه ضرورية ومجموعهم يقوم صورة المدينة فبدأ بالجنود لأنهم الأصل وذكر وجه الحاجة إليهم أربعة أوصاف
أحدها كونهم حصون الرعية واستعار لهم لفظ الحصون باعتبار حفظهم للرعية وحياطتهم لهم كالحصن الثاني أنهم زين الولاة فإن الوالي
بلا جند كآحاد الرعية لا يبالى به ولا يطاع له أمر والمفسدة فيه ظاهرة الثالث كونهم عز الدين وأطلق لفظ العز عليهم إطلاقا لاسم
اللازم على ملزومه إذ كان العز الذي لازما لوجودهم الرابع استعار لفظ الأمن لهم باعتبار لزوم الأمن لوجود الجند في الطرق ونحوها
والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فليس تقوم الرعية إلا به وقوله وليس تقوم الرعية إلا بهم نتيجة القياس
المذكور وقال بإذن الله تنبيها على أنه أراد جنود الحق الذين هم مقتضى الحكمة لإطلاق الجنود الثاني أهل الخراج ومن يؤخذ منهم
وأشار إلى وجه استلزام الحاجة إلى الجند الحاجة إليهم بقوله ثم لا قوام للجنود إلى قوله حاجتهم فقوله لا قوام إلى قوله الخراج
دعوى وقوله الذين يقوون إلى قوله حاجتهم في قوة صغرى ضمير بينه بعلتها وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا قوام للجند
إلا به فينتج لا قوام للجند إلا بما يخرج الله لهم من الخراج ولما كان الخراج إنما يحصل من جباة من الرعية ولا يقوم الجند إلا بهم ثبت

في باب انتظام الامور واصلاحها

العقد والعمال والكتاب جميعهم لان وجه الحاجة اليهم واحد واشار اليه بقوله لما يحكمون به الى قوله وعوامها فانهم مثل الوالي والرعية
على ما يجمعهم من الامور ويحفظ كلا منهم وعلى ايديهم تكون احكام العقود وجمع المنافع وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك
فحاجة الجند والرعية اليهم ثابتة الرابع التجار وذوو الصناعات واشار الى ان قوام الاصناف السابقة الاربعة بهم ونبه على ذلك بقوله فيما
يجتمعون عليه من مرافقهم فان كل ما يفعله التجار من جلب الامتعة وبيعها وشرائها ويقيمونه من الاسواق بذلك وما يفعله الصناع من الترفق
بايديهم مما لا يحصل من غيرهم الانتفاع به هي مرافق ومنافع للرعية في مقام حاجتهم ومصلحتهم وهو في قوة صغرى ضمير كبراه ما سبق الخامس
الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة ونبه على وجه الحاجة اليهم بقوله الذين يحق رفدهم ومعونتهم وبيان ذلك ان رفد هؤلاء و
معونتهم يستلزم اجتماع هممهم وتوافر دواعيهم لرافدهم ومعينهم وبهم تستنزل الرحمة وتستدر البركة من الله ثم لاهل الدنيا وبه
الثواب الاخروي فكانت الحاجة اليهم راجعة لذلك ولما اشار الى وجه الحاجة الى جميعهم قال وفي الله لكل سعة اي في جود الله وعنايته
ليعتمد على الله في تدبير امورهم اذ هو نعم العناية الاولى وقال ولكل على الوالي حق بقدر وما يصلحه ليعلم ان مراعاة كل منهم واجبة
عليه فيشتمل عليها بالله التوفيق البحث الثالث في امره باستصلاح كل صنف باوصاف يجب ان يكون عليها ونصبه في مقامه فالصنف
الاول الجند واشار الى تعيين من يصلح لهذه المرتبة باوصاف وامر ونهاه فيهم باوامر ونواهي اما الاوصاف فاحدها من كان انصح
في نفسه لله ولرسوله ولامامه جيبا اي اكثرهم امانة في العمل باوامر الله ورسوله واما نقاء الجيب كناية عن الامين الثاني افضلهم
حلما ثم وصف ذلك الافضل فقال ممن يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذر فيقبله اذا وجده ويرءف بالضعفاء فلا يتسلط عليهم
وينبو على الاقوياء اي يعلوا عليهم ويجتنب الميل اليهم على من دونهم ممن لا يثيره العنف اي لا يكون له عنف فيهيجه كقوله ولا
اري لغضب بها فينحجر وقيل لا يهيجه العنف ولا يزعجه اذا فعل ولا يقعد به الضعف عن اقامة حدود الله واخذ الحقوق من
الظالمين اي لا يكون له ضعف فيقعده عن ذلك الثالث من كان من اهل الاحساب والبيوتات الصالحة والسوابق الحسنة
من الافعال والاقوال الخيرية الرابع من يكون من اهل النجدة والشجاعة الخامس من يكون من اهل السخاء والسماحة واما الاوامر
فاحدها ان يولي من الجند من كان بهذه الصفات الثاني ان يلصق بمن ذكر منهم اي يلزمهم في هذه المرتبة ورغب فيهم بقوله
فانهم الى قوله العرف وصفهم بكونهم جماع الكرم وشعبا من العرف اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان الجميع من الكرم وهو الفضائل
المذكورة لان النجدة والامانة والسخاء والسماحة فضائل تحت العفة والحلم والنجدة فضيلتان تحت الشجاعة ويحتمل ان يكون
الضمير في قوله فانهم عائد الى الفضائل المذكورة كقوله نعم فانهم عدد ولم يشر الى الاصنام الثالث ان يتفقد من امورهم وصالحهم
ما يتفقده الوالدان وهو كناية عن نهاية الشفقة عليهم الرابع نهاه ان يعظم في نفسه شيء يقويهم به من مال او يقع فيدعوه الى التقاصر في حقهم
الخامس وان لا يحقر لطفا يتعاهدهم به فيحمله احتقاره على تركه والحق لا ولو تيسر فعله وان قل بقوله فانه داعية الى قوله الظن بك ونبه
كبرى هذا الضمير وكلما كان كذلك فالاولى بك فعله السادس نهاه ان يدع تفقد الصغير من امورهم اعتمادا على تفقد عظيمها ونبه
لاولوية فعله بقوله فان لليسير الى قوله موقعا يستغنون عنه والمعنى فان موضع اليسير ينتفع به فيستغنى فيه عن الجسيم وتقدير كبرى
هذا الضمير وكلما كان له موقعا ينتفع به فالاولى فعله في موضعه لينتفع به السابع امره ان يكون اثر رؤوس جنده عنده من كان
بالصفات المذكورة وهو الذي يواسي من تحت يده من الجند فيما يحصل له من المعونة ويفضل عليهم مما في يده بما يسعهم ويسع
من ورائهم من ضعفاء اهليهم وخلوفهم حتى يكون بذلك همهم واحدا فيكونوا بمنزلة رجل واحد في جهاد العدو ثم رغب في العطف
عليهم بما يستلزمه من عطف قلوبهم وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان مستلزما لعطف قلوبهم ففعله واجب
ومصلحة وايضا لما كانت محبتهم من اهم المطالب بين انها لا تتم الا بامور ثلثة احدها حيطتهم ومحافظتهم على ولاة امورهم الثاني
قلة استثقال دولهم الثالث ان يتركوا استبطاء انقطاع مدة دولهم وذلك في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وما لا يتم اهم المطالب
الا به كان من اهم المطالب الثامن امره ان يفسح لهم في آمالهم ويجمل لهم من نفسه طمعا ان يفسح به اما لهم فيه لان ذلك مما لا يتم الامور الثلثة
الا به ولذلك رتب هذا الامر عليها بالفاء التاسع امره ان يواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذوو البلاء منهم ونبه
لوجوب ذلك بقوله فان كثرة الذكر الى قوله ان شاء الله وهو ظاهر والتقدير في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك كان واجبا
العاشر امره ان يعرف لكل امرء منهم ما ابلى ولا ينسبه الى غيره لانه يهز الشجاع ويحرض الجبان الحادي عشر نهاه ان يضم بلاء امرء الى غيره
الثاني عشر وان يقصر به دون غاية بلائه فيذكر بعضه او يحقره الثالث عشر ان يدعوه شرف امرء الى ان يعظم صغير
بلائه او ضعته الى ان يستصغر كثير بلائه فان كل ذلك داعية الكسل والفتور عن الجهاد الرابع عشر امره ان يرد الى الله ورسوله
ما يضلعه من الخطوب ويشتبه عليه من الامور محتجا بالاية ثم فسر الرد الى الله بالاخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول بالاخذ بسنته
ووصف السنة بكونها جامعة غير مفرقة لان مدارها على وجوب الالفة واجتماع الخلق على طاعة الله وسلوك سبيله الصنف الثاني قضاة

سبيله ثم

العدل

في بيان اوصاف العمال

العدل وعينهم لما وصفنا وامره فيهم بامور اما الصفات فاوجبها ان يكون افضل رعيته في نفسه ويميز ذلك الافضل بصفات احدها ان يكون
ممن لا تضيق به الامور ومجاريها حين تورد عليه الثاني وممن لا تمحكه الخصوم اي لا تغلبه على الحق باللجاج وقيل ذلك كناية عن كونه ممن
يرضيه الخصوم فلا يلاحه ويقبل ما يقول الثالث ان لا يتمادى في زلته اذا زل فان الرجوع الى الحق خير من التمادي في الضلال
الرابع ان لا يحصر من الرجوع الى الحق اذا عرفه كما يفعله قضاة السوء حفظا للجاه وخوفا من شناعة الغلط الخامس ان لا تشرف
نفسه على طمع فان الطمع في الناس داعية الحاجة اليهم والميل عن الحق السادس ان لا يكتفي بادنى فهم دون اقصاه لان ذلك
مظنة الغلط السابع ان يكون اوقف الناس عند الشبهات لانها مظنة الوقوع في الخطا ثم التامل واخذهم بالحجج التاسع اقلهم
تبرما بمراجعة الخصم لما يستلزمه التبرم من تضييع الحقوق العاشر وكذلك اصبرهم على تكشف الامور الحادي عشر اصرمهم
عند اتضاح الحق فان في التاخير فات الثاني عشر ممن لا يحدث له كثرة المدح كبرا الثالث عشر ممن لا يستميله الى غير الحق
اغراء به ثم حكم بقلة من يجتمع فيه هذه الصفات تنبيها على انه لما هو اولى دون ان يكون شرطا في القضاء واما الاوامر
فاحدها ان يختار من كان بالصفات المذكورة الثاني ان يكثر تعاهد قضائه ليقطع طمعه في الانحراف عن الحق لو خطر بباله
الثالث ان تفسح له في البذل ما يزيح علته وهو كناية عما يكفيه ويقل معه حاجته الى الناس فلا يميل اليهم وما يحتمل ان يكون
بدلا من البذل وان يكون مفعولا لفعل محذوف دل عليه البذل كانه قال فيبذل له ما يزيح علته وان يكون مفعولا لفعل
اي يوسع له ما يكفيه من المال ويحتمل ان يكون في معنى مصدر تفسح اي يفسح له فسحا يزيح علته الرابع ان تعطيه من المنزلة عنده
ما لا يطمع فيه معها غيره من خاصتك ليامن من بذلك غيلة الاعداء وتقدير كبرى هذا الضمير فهكذا وكل ما كان كذلك فواجب بذله
للقاضي الخامس ان ينظر في اختيار من كان بهذه الصفات وفيما امره بنظرا بالغا ليعمل بما قضاه وعلل ذلك بقوله فان هذا
الدين الى قوله الدنيا واستعار لفظ الاسير باعتبار تصريفهم له كالاسير والكلام صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك وجب
النظر في اختيار من يعمل بالحق ويخرجه من اسر الاشرار وبالله التوفيق الصنف الثالث العمال وميزهم ايضا باوصاف وامره فيهم
بامور مصلحية اما الاوصاف فاحدها ان يكون العامل من اهل التجربة للاعمال والولايات ليعمل على علم بقواعدها ويرجع بذلك
لانه الاصل الاكبر للعمل الثاني ان يكون من اهل الحياء فلا ينبغي في الانفعال الى حد الاستخذاء وهو طرف التفريط فيضيع
به الحقوق والمصالح ولا يجاوزه الى حد الوقاحة فيقع في طرف الافراط وما يلزم من الجفاوة ونفرة القلوب عنه الثالث ان يكون
من اهل البيوتات الصالحة والقدم السابقة في الاسلام وهو كناية عن البيوت المتقدمة في الدين والخير ولهم في ذلك اصل
معروف واشار الى وجه الحكمة في توليته من كان بهذه الصفات الثلث بقوله فانهم الى قوله نظرا وذلك لان الحياء وصلاح البيوت
والتقدم في الاسلام يفيدهم كرم الاخلاق والمحافظة على الاعراض من المطامع وقلة الاشراف والتطلع الى المطامع الدنية
والتجربة يفيدهم بلاغة النظر في عواقب الامور والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو اولى ان يقصد
بالتولية والعمل واما الاوامر فاولها ان ينظر في امورهم فيستعملهم بعد التجربة والاختبار ولا يوليهم محاباة واثرة كان يعطوه
شيئا على التولية او يعولهم ويستاثر بذلك دون من شاوره فيه فانهما اي المحاباة والاثرة كما هو مصرح به في بعض النسخ عوض الضمير
جماع من شعب الجور والخيانة اما الجور فالخروج بهما عن واجب العدل الماثور به شرعا واما الخيانة فلان المتحري في اختيارهم
من الدين وهو امانة في يد الناس كما ضبطهم فكان ضبطهم من دون ذلك بمجرد المحاباة والاثرة خروجا عن الامانة ونوعا
من الخيانة ونبه بهما ان يقصد بالعمل من كان بالصفات المذكورة للعمل المذكورة الثالث ان يسبغ عليهم الارزاق ونبه
المصلحة في ذلك من ثلثة اوجه احدها ان عمومهم بالارزاق يكون قوة لهم على استصلاح انفسهم الذي لا بد منه الثاني انه
غنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم من مال المسلمين الثالث انه يكون حجة له عليهم ان خالفوا امره او ثلموا امانته واستعار لفظ
الثلم للخيانة والوجوه الثلثة صغريات ضماير تقدير كبرياتها وكلما كان كذلك كان فعله مصلحة واجبة الرابع ان يتفقد اعمالهم
ويبعث العيون والجواسيس من اهل الصدق والوفاء عليهم واشار الى وجه المصلحة في ذلك بقوله فان تعاهدك في السر لامورهم
بالرعية فان تعهده لامورهم مع علمهم بذلك منه يبعثهم على اداء الامانة فيها ولزوم الاعمال وعلى الرفق بالرعية والمذكور صغرى
ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك كان يجب فعله الخامس ان يتحفظ من خيانة الاعوان من العمال وارشده بقوله فان احد منهم بسط
الى قوله التهمة الى ما يجمع من اداء بهم واقامة سنة الله فيهم واستعار لفظ التقليد لنسبة التهمة اليه ملاحظة لشبهها بما يقلد به
من الشعار المحسوس واللفظ في غاية الفصاحة وهذه العقوبة مقدرة بحسب الجرم ورأي الامام ومن ارتضاه الصنف الرابع
اهل الخراج وامره فيهم بامور احدها ان يتفقد امر خراجهم ويفعل فيه ما يصلح اهله بما سنشرحه ثم اشار الى وجه المصلحة
فيه بضمير صغراه قوله فان صلاحه الى قوله الا بهم وبينه بقوله لا صلاح لمن سواهم الا بهم على حصر صلاح الغير فيهم تاكيدا

لتقليدهم

في كيفية اعمال العمال

وتقدير الكبرى وكل من كان للاصلاح للناس لا بد فيجب مراعاة اموره وتفقد احواله ثم بين الصغرى بقوله لان الناس كلهم عيال على
الله وهو متعلق بذلك قوله الثاني ان يكون نظره في عمارة الارض ابلغ من نظره في طلب الخراج واستجلابه وبينه على وجه
الحكمة فيه بقوله لان ذلك اي الخراج لا يدرك الا بالعمارة وهو في قوة صغرى ضمير ثم بينها بقوله ومن طلب الى قوله قليلا
وهو اشارة الى ما يلزم نقيض المدعى وهي مفاسد ثلاث احدها اخراب البلاد لعدم العمارة والثاني اهلاك العباد لتكليفهم ما
ليس في وسعهم والثالث عدم استقامة امر الطالب للخراج والوالي على اهله وهو لازم عن الاولين وتقدير الكبرى وكل ما لا
يدرك الا بالعمارة وجب ان يكون النظر فيها ابلغ من النظر فيه فينتج ان النظر في العمارة يجب ان يكون ابلغ من النظر في الخراج الثالث
امره ان يخفف عنهم من خراجهم ما يرجو ان يصلح به امرهم على تقدير ان يشكو من حالهما ما يلحقهم من قبل ارضهم من ثقل خراج
او علة سماوية او انقطاع شرب كان لهم من الماء او تغير ارض وفسادها بسبب غرق او عطش ثم نهاه ان يستثقل ما يخفف
عنهم به واشار الى وجه الحكمة فيه بقوله فانه ذخر الى قوله العدل فيهم ومعناه ظاهر ومعتمدا نصب على الحال والعامل خففت وفضل
نصب بالمفعول عن معتمدا وقوله والثقة عطف على المفعول المذكور ونبه على وجه المصلحة في اعتماد فضل قوتهم بادخارهم والثقة
منهم بما عودتهم من عدلك بقوله فربما حدث الى قوله انفسهم به وتقدير الكلام خفف عنهم معتمدا فضل قوتهم فان ذلك يستلزم
احتمالهم لما عساه يحدث من الامور فيحتملوه اذا عولت عليهم فيه بطيب نفس وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك
فواجب ان يخفف عنهم ويعتمد فضل قوتهم وفي قوله فان العمران محتمل ما حملته بيان الصغرى لان التخفيف عنهم يستلزم
عمران ارضهم وهو يستلزم احتمالهم لما يرد عليهم من حوادث الامور ثم نبه بقوله وانما يؤتى خراب الارض الى قوله اهلها على سبب
الخراب ثم بقوله وانما يعوز الى قوله العبر على ذلك السبب وهو مركب من ثلثة اجزاء احدها اشراف نفوس الولاة على الجمع والثاني
سوء ظنهم بحدهم انه لا يبقى في العمل والثالث عدم انتفاعهم بما يعتبر من التفاتهم اليها وظاهر ان هذه الامور اذا اجتمعت في
الوالي استلزمت جمعه للمال واستقصاه على الرعية واستلزم ذلك اعوازهم وفقرهم فاستلزم ذلك خراب ارضهم وتعطيل
عمارتها الصنف الخامس الكتاب امره فيهم بان يولي امر اهلها ان يولي اموره خيرهم وتفسير الخير هنا هو من كان نفيا فيما يراد
منه من مصالح العمل ثم تاخى ان يخص رسائله واسراره ومكايده بالجمع لصالح الاخلاق وقد علمت اصولها عفة وهي العلم بوجوه
الاراء المصلحية والتهدي الى وضع كل شيء موضعه ثم العفة والنجاة غدوا العدالة مع ما تحت الاربعة من الفضائل الخلقية ثم فسر
بعض الفضائل التي عساها ان يخفى وذكر منها خمسا احدها عدم البطر وهي فضيلة تلزم الشكر وهو فضيلة تحت العفة ونفي
عن صاحب البطر بقوله فتجرى الى قوله ملاء وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من يجرى عليك كذلك فغير صالح لكونه
امرك الثانية الفطنة والذكاء فيما هو بصدده من الامور المذكورة وكنى عن ذلك بقوله ممن لا يقصر به الغفلة الى قوله منك
الذكاء فضيلة تحت الحكمة الثالثة ان لا يكون ممن يضعف عقدا يعقده لك من الامور بل يجعله محكما والثاني ان لا يعجز
عن اطلاق ما عقد عليك خصومك من الامور بالحيلة والخديعة وهذان لازمان لاصالة الراي وهو فضيلة تحت الحكمة
الخامسة ان لا يجهل قدر نفسه في الامور فيرفعها الى فوق محلها ومرتبتها وهي فضيلة تحت الحكمة الخلقية ايضا ونبه على
اجتناب الجاهل بذلك بقوله فان الجاهل الى قوله اجهل وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك يجب اجتنابه الثالث
نهاه ان يكون اختياره للعمال لفراسته وسكونا وحسن ظن باحدهم واشار الى وجه المفسدة في ذلك بقوله فان الرجال
الى قوله شيء والمعنى ان الرجال قد يتصنعون لفراستهم ويتعرضون لان يتفرس فيهم الولاة خيرا فيتوهم بذلك مع انه ليس وراء ذلك
النصح من النصيحة والامانة شيء وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان لا يعتمد على اختياره بحسب الفراسة
الرابع امره ان يعتمد اختيارهم كذلك امره ان يختبرهم بولايتهم لمن كان قبله من الصالحين ارشادا الى وجه الاختيار ويعتمد
الى من كان بالصفات المذكورة وهو ان يكون احسن اثرا في العامة واعرفهم بوجه الامانة في الدين وعينه في ذلك تخبير
صغراه قوله فان ذلك الى قوله امره وتقدير كبراه وكلما كان كذلك وجب فعله الخامس امره ان يجعل لراس كل امر من اموره راسا
من الكتاب الموصوفين بكونهم مناسبا له بحيث لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها فيتشتت عن ضبطه ويقصر
ونبه السادس نهاه ان يتغافل عما يكون في كتابه من عيب ونبهه على ذلك بقوله ومهما الى قوله الزمته وهو صغرى ضمير
تقدير فان كل ما يتغافل عنه من ذلك تلزم به وتقدير كبراه وكل ما تلزم به فلا يجوز ان يتغافل عنه الصنف السادس التجار
وذوو الصناعات وامره فيهم باوامر اولها ان يستوصي بهم الثاني ان يوصي بهم كذلك باصنافهم المقيم منهم والمضطرب
في تجارته بماله والمترفق بيده وهم اهل الصنائع واشار الى وجه الحكمة في الوصية بهم والعناية بحالهم من وجهين
احدهما منفعتهم وذلك قوله فانهم الى قوله عليها والضمير في قوله مواضعها وعليها يعود الى المنافع وحيث اي ومن كان لا

بحيث الناس

ولا يجتمع الناس لمواضع تلك المنافع منه ولا يجترئون عليها فيه وكذلك الحيث كالبحار والجبال ونحوها الثاني انه لا معتز فيهم وذلك
قوله فانهم الى قوله غائلته وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب الاستيصاء بهم والوصية بالخير في حقهم الثالث ان يتفقد
امورهم بحضرته وفي حواشي بلاده ما عساه يعرض لهم من المظالم والموانع ليزيلها عنهم الرابع ان يعلمه انهم من المعايب المعدودة في
الضيق الفاحش والشح والضيق هنا البخل ثم الاحتكار للمنافع التي تعم نفعها وهي الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن والملح ثم
التحكم في البياعات وهو عبارة عن البيع على حكمه بالهوى المطلق من غير نظر الى ثمن المثل فان ذلك حد العدول عن العدل الى
رذيلة الجور ثم نبه على وجه المفسدة اللازمة لتلك المعايب بقوله وذلك الى قوله الولاة اما انه مضرة فظ واما انه عيب على
الولاة فلان قانون العدل بايديهم فاذا اهملوا بترك ردع هؤلاء عن طرق الجور توجهت اللائمة نحوهم والعيب عليهم وهو صغرى ضمير
تقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب انكاره ومنعه الخامس لما بين له وجه المفسدة في تلك المعايب امره بمنع الاحتكار واحتج بمنع
الرسول ص السادس امره ان يكون البيع سهلا سمحا وان يكون بموازين عدل واسعار لا يجحف بالبايع فيذهب اصل مبيعه ولا بالمشتري
فيذهب رأس ماله السابع امره بايقاع النكال على من احتكر بعد نهيه عن ذلك لان بيعا فيه من غير اسراف الصنف السابع الطبقة
السفلى وميزهم باوصاف وامره فيهم باوامر ونواهي اما تميزهم فالعاجزون عن الحيلة والاكتساب المساكين والمحتاجون واهل البؤسى
والزمنى وهؤلاء كلهم وان دخل بعضهم في بعض الا انه عددهم بحسب عدد صفاتهم لمزيد العناية بهم كيلا يبقى فرد من احدهم
متناول فيه واما الاوامر فاحدها انه حذره الله فيهم واشار الى وجه الحكمة في ذلك التحذير بقوله فان منهم قانعا ومعترا وهو
صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب ان يحذر الله فيه ويحفظ لهما استحفظ من حقه فيه الثاني ان يجعل لهم قسما من
بيت ماله ومن صوافي الاسلام في كل بلد واضاف بيت المال اليه واراد الذي يليه ونبه على ذلك بقوله فان للاقصى الى قوله
حقه وتقدير كبرى هذا الضمير وكل من كان كذلك وجب ان يحسن الرعاية في حقه بالاداء اليه الثالث نهاه ان يشغله عنهم بطر ونهى
عن الاشتغال عنهم بقوله فانك لا تعذر الى قوله المهم واراد بالتافه القليل من امورهم واحوالهم وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل
من لا يعذر بذلك فلا يجوز له التشاغل عنه الرابع نهاه ان يشخص همه عنهم اي يرفعه حتى لا يهتم بهم الخامس نهاه ان يصعر خده لهم
وهو كناية عن التكبر عليهم السادس امره ان يتفقد امور من لا يمكنه الوصول اليه منهم لتحقيره وحقارته في عيون الاعوان والجند
وان يفرغ لهؤلاء ثقته من اهل الخشية والتواضع ويضعه لهم ليرفع اليه امورهم السابع ان يعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم يلقاه
اي يعمل في حقهم ما امره الله به بحيث يعذره الله اي يكون ذا عذر عنده اذا سأله عن فعله بهم ونبه على وجه الحكمة في مزيد العناية بهم بقوله
فان هؤلاء الى قوله غيرهم الثامن كذا الامر بالاعذار الى الله في تأدية حق كل واحد من المذكورين اليه التاسع امره ان يتعهد الايتام وذوي
الرقة في السن اي الذين بلغوا في الشيخوخة الى ان رق جلدهم وضعف حالهم عن النهوض فلا حيلة لهم ومن لا ينصب نفسه للسؤال مع
حاجته وفقره ثم اشار الى ثقل التكليف بمجموع الاوامر السابقة بقوله وذلك على الولاة ثقيل وبقوله والحق كله ثقيل توطينا
لنفسه على ذلك ثم رغب فيه بقوله وقد يخففه الله الى قوله لهم فنسب تخفيفه الى الله ليرغب اليه فيه ويحببه على فعله واستسهاله الذين
صفاتهم الصابرين وهم الذين طلبوا العاقبة من بلاء الله في الآخرة فاستسهلوا ما صعب من التكاليف الدنيوية بالقياس اليه ووثقوا
بصدق موعود الله لهم في دار القرار وبالله التوفيق

الفصل الرابع في اوامر ونواهي مصلحية واداب خلقية وسياسية

بعضها عامة وبعضها خاصة يتعلق بعماله وبخاصته وبطانته وبنفسه واحوال عبادته الى غير ذلك وهو قوله واجعل لذوي الحاجات
منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك
وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع فاني سمعت رسول الله ص يقول في غير موطن لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من
القوي غير متعتع ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح عنك الضيق والانف يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته واعط
ما اعطيت هنيئا وامنع في اجمال واعذار ثم امور من امورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ومنها
اصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك
وبين الله افضل تلك المواقيت واجزل تلك الاقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية وليكن في خاصة ما تخلص
لله به دينك اقامة فرائضه التي هي له خاصة فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ما تقربت به الى الله من ذلك كاملا غير مثلوم
ولا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ فاذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيعا فان في الناس من به العلة وله
الحاجة وقد سألت رسول الله ص حين وجهني الى اليمن كيف اصلي بهم فقال صل بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما واما
بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم
علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وانما الوالي بشر لا يعرف ما توارى

غير متعتع

منهم عنهم

في بيان آداب خلقية

عنه الناس به من الامور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما انت احد رجلين اما امرؤ سخت نفسك في البذل
في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كريم تسديه او مبتلى بالمنع فما اسرع كف الناس عن مسألتك اذا ايسوا من بذلك مع
ان اكثر حاجات الناس اليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف في معاملة ثم ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار
وتطاول وقلة انصاف في معاملة فاحسم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ولا يطمعن منك
في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب او عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا
والآخرة والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخواصك حيث وقع وابتغ
عاقبته بما يثقل عليك منه فان مغبة ذلك محمودة وان ظنت الرعية بك حيفا فاصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك فان
في ذلك اعذارا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك لله فيه رضا فان في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك
وامنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن وان
عقدت بينك وبين عدوك عقدة او البسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت
فانه ليس من فرائض الله سبحانه شيء الناس اشد عليه اجتماعا مع تفرق اهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم
ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك
فانه لا يجترئ على الله الا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته امنا افضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى منعته و
يستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد
والتوثقة ولا يدعونك ضيق امر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق امر ترجو انفراجه وفضل عاقبته
خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك فيه من الله طلبة فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك اياك والدماء وسفكها بغير
حلها فانه ليس شيء ادعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا احرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ
بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله
وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن وان ابتليت بخطأ وافرط عليك سوطك او يدك
بعقوبة فان في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن ان تؤدي الى اولياء المقتول حقهم واياك والاعجاب
بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من احسان المحسنين واياك
والمن على رعيتك باحسانك او التزيد فيما كان من فعلك او ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فان المن يبطل الاحسان والتزيد
يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس فان الله سبحانه يقول كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
اياك والعجلة بالامور قبل اوانها والتساقط فيها عند امكانها او اللجاجة فيها اذا تنكرت او الوهن عنها اذا استوضحت فضع كل امر
موضعه واوقع كل عمل موقعه واياك والاستئثار بما الناس فيه اسوة والتغابي عما يعنى به مما قد وضح للعيون فانه مأخوذ منك
لغيرك وعما قليل تنكشف عنك اغطية الامور وينتصف منك للمظلوم املك حمية انفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك
واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك
بذكر المعاد الى ربك والواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة فاضلة او اثر عن نبينا محمد صلى الله عليه
وآله او فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا واستوثقت
به من الحجة لنفسي عليك لكي لا يكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها **اقول** الشرط قوم يعلمون انفسهم بعلامة الخدمة
يعرفون بها والخرق ضد الرفق والانف الانفة وهي خصلة تلازم الكبر والاكناف الجوانب والاسداء الاعطاء والحامة القرابة والعقدة
الضيعة والعقدة ايضا المكان كثير الشجر والنخل واعتقد الضيعة اقتناها والمغبة العاقبة واصحر اي اظهر والاعذار اقامة العذر واستوبلوا
الامر استثقلوه والوبال الوخم يقال استوبلت البلد استوخمته فلم يوافق ساكنها وخاس بالعهد نقضه والختل الخداع وافضاه
بسطه واستفاض الماء سال والادغال الافساد والدغل الفساد والمدالسة مفاعلة من الدلس في البيع وغيره كالخداع ولحن
القول كالتورية والتعريض من الامر والوكزة الضربة والدفعة وقيل هي جمع اليد على الذقن والفرصة النوبة والممكن من الامر وسورة
الرجل سطوته وحدة بأسه وغرب اللسان حدته والبادرة سرعة السطوة والتغابي التغافل عن الامور التي تم تفصيلها فاحدها ان تجعل
لذوي الحاجات نصيبا من نفسه يفرغ لهم فيه بدنه عن كل شاغل ويجلس لهم مجلسا عاما في الاسبوع او يومين او نحوه حسبما يمكن
الثاني ان يتواضع فيه لله ويعتبر في التواضع بنسبته الى الله باعتبار انه اكبر من شانه ان يكون له التواضع الثالث
ان يقعد عنهم جنده واعوانه وابان وجه المصلحة في ذلك بقوله حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع واشار الى علة وجوبه بقوله فاني

في اوامر ونواهي مصلحية

معنا الى قوله القوى ووجه الدليل من هذا الخبر انه دل بالمطابقة على حيد الامة التى لا ينتصف فيها من القوى بعدم طهارتها
المستلزم لعذابها الاخروى وبالالتزام على وجوب ان يكون فيها ذلك ثم لما كانت الامور المامور بها مما لا يتم تلك الواجب الا بها كانت
باسرها واجبة الرابع امور تلزمه مباشرتها وان عمت مصلحتها وامور مستبدة بعدها فى خبرها اى وهنا تلك الامور ومحوه منها اجابة
عماله بما يعى الصليب فى الجواب فقد يعجز الكتاب عن كثير من ذلك ومنها اصدار حوائج الناس التى يضيق منها صدور اعوانه
عند ورودها عليه ولا ينبغى له ان يكلها اليهم فان غايتهم اغراضهم لها اذا افضيت ان يكون على غير الوجه المرضى الخامس ان يمضى
لكل يوم عمله ونبه على ذلك بقوله فان لكل يوم ما فيه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه واذا كان لكل يوم ما فيه وجب ان يقضى
فيه السادس ان يجعل لنفسه فى معاملته لله تلك المواقيت اى الاوقات المفروضة للصلاة واجزل اقسام الاوقات الموقتة
فافضلها ابعدها عن الشواغل الدنيوية واقربها الى الخلوة مع الله سبحانه ونبه بقوله وان كانت الى قوله الرعية على انها اصلح الاوقات
اخلصها لله السابع ان يكون فى خاصة ما يخلصه لله من دينه اقامة فرايضه فيخصها بمزيد عناية منه ومراعاة الثامن ان يعطى
الله من بدنه فى ليله ونهاره اى طاعة وعبادة مجهودة والمفعول الثانى للعلم بمراد القرينة كون الليل والنهار محلين للافعال
والقرينة ذكر البدن التاسع ان يوفى ما يتقرب به الى الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص وبالغا احوال وما نصب على المصدرية
بقوله بالغا من بدنك ما بلغ من القوة على الطاعة العاشر من الاداب الراجعة الى حال الامامة بالناس فى الصلاة ان يكون
متوسطا فى صلوته بين الطول المنفر للناس بتطويله وبين القصر المضيع لاركان الصلاة وفضيلتها واحتج لنفى التثقيل والتطويل
بالمعقول والمنقول اما المعقول فضمير صغراه قوله فان فى الناس الى قوله الحاجة وتقدير كبراه وكل من كان فيه من ذكر
فيجب ان يرفق به ويخفف عنه واما المنقول فما رواه عن رسول الله صلعم من الخبر ووجه التشبيه بصلاة الاضعف التخفيف
الصلاة بعد حفظ اركانها وواجباتها الحادى عشر من الاداب المصلحية لتدبير المدينة النهى عن طول الاحتجاب عن الرعية
ورغب فى الانتهاء عنه من وجوه احدها انه نوع من انواع الضيق على الرعية اذ كانت مشاهدتهم للوالى الى تفرج عنهم ما يكربهم
من الامور المهمة لهم الثانى انه قلة علم بالامور اى يلزمه ذلك فاطلق اسم اللازم على ملزومه واكد ذلك بقوله والاحتجاب
عنهم يقطع عنهم اى من الولاة علم ما احتجبوا دونه من امور الرعية ثم اشار الى ما يلزم عدم علمهم من المفاسد وهو ان يصغر كبير
الامور عندهم كان يظلم بعض حاشية الامير فيصغر الاعوان جريمته عنده فيصغر وكان يعظم صغيرها لو وقع من ضعيف صغير
ذنب فى حق كبير وكان يقبح عندهم الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل ويلبس به وذلك قوله فيصغر الى قوله بالباطل
ثم نبه على وجه لزوم قطع العلم بالامور لطول الاحتجاب بقوله وانما الوالى بشر الى قوله الصدق والكذب والتقدير انه بشر
والبشر من خاصته انه لا يعرف ذلك الا بعلامة وليس على الحق علامات يعرف بها ضروب صدق القول من كذبه الثالث انه
رغب فى الانتهاء عنه بضمير صغراه شرطية منفصلة وهى قوله وانما انت الى قوله بذلك وتلخيصها انك اما ان تكون مطبوعا
على السخاء بالبذل فى الحق او مبتلى بالمنع منه وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا يجوز له الاحتجاب بيان الكبرى اما ان كان
سخيا ببذل الحق فانه عند الطلب منه اما ان يعطى حقا يجب عليه او يفعل فعل الكرماء وذلك لا يجوز الاحتجاب منه واما ان
كان مبتلى بالمنع فان الناس يسرعون الكف عن مسئلته اذا ايسوا من بذله وح لا معنى للاحتجاب عنهم الرابع قوله مع ان اكثر الى قوله معاملة
وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان اكثر حاجات الناس اليه مما لا مؤونة عليه فيه من الامور المذكورة فلا معنى لاحتجابه
عنهم الثانى عشر من الامور المصلحية المتعلقة بخاصته ان يحسم مؤونتهم عن الرعية فقوله بقطع اسباب المؤونة ارشاد الى سبب قطعها
واشار الى وجه ذلك بذكر ما فيهم من الاستيثار على الرعية بالمنافع والتطاول عليهم بالاذى وقلة الانصاف وهو فى قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب قطع مؤونته عنهم والاحوال التى امر بقطع اسبابها هى وجوه المؤونة المذكورة من الاستيثار
والتطاول وقلة الانصاف وقوله ولا تقطعن الى قوله مشتركة تفصيل لوجوه قطع الاسباب المذكورة فان اقطاع احدهم قطيعة
وطمعه فى اقتناء ضيعة تضر بمن يليها من الناس فى شرب ماء او عمل مشترك يحمل مؤونته على الناس كعمارة ونحوها هى اسباب الاحوال
المذكورة من وجوه المؤونة وقطع تلك الاحوال بقطع اسبابها ثم نفره عن اسباب المؤونة على الناس بما يلزم تلك الاسباب من المفسدة
فى حقه وهى كون مهنأ ذلك لهم دونه وعيبه عليه فى الدنيا والاخرة وهو فى قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان مهنأه
للغير وعيبه عليك فلا يجوز فعله الثالث عشر ان يلزم الحق من يلزمه الحق من القريب والبعيد ويكون فى ذلك الالزام صابرا لما
عساه يلحق اقاربه من مر الحق محتسبا له اى مدخله فى حساب ما يتقرب به الى الله تعالى ويعده خالصا لوجهه واوقع ذلك الالزام
من قرابته وخواصه حيث وقع وقوعه بمقتضى الشريعة والواو فى قوله وكن للحال وانما ايضا حال والعامل فيه قوله والزم الرابع عشر
ان يبتغى عاقبة ذلك الالزام بما يثقل عليه من فعله بخاصته كانه يستفيض بفعله ما يلزمه فى العاقبة من عيب الدنيا

في بيان اوامر ونواهي مصلحية

وعذاب الآخرة ورغب في ذلك بقوله فان مغبته ذلك محمودة وهي ثلث لفائده وما يلزمها من السعادة الباقية وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كانت مغبته محمودة وجبت ارادته : الخامس عشر امره على تقدير ان ظن الرعية فيه حيفا ان يظهر لهم عذره فيما ظنوا فيه الحيف ويعدل عنه ظنونهم باظهاره ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله فان الى تقويمهم على الحق اي فان في اظهار عذرك لهم ان نفسه رياضة ويبلغ بها حاجته من تقويمهم على الحق من معرفتهم ان ضلك حق لا حيف فيه وتقدير كبراه وكل ما كان كك فينبغي فعله السادس عشر نهاه ان يدفع صلحا دعاه اليه عدوه اذا كان صلحا يرضى الله ونبه على وجوه المصلحة فيه بضمير صغراه قوله فان في الصلح الى قوله لبلادك وهي ثلث مصالح ظاهرة اللزوم لصلح العدو وتقدير كبراه وكلما كان فيه المصالح فواجب قبوله السابع عشر امره في تحذيره من العدو بعد صلحه وامره ان ياخذ بالحزم وتهمة في الصلح حسن ظنه عما ينشأ عن صلحه ونبه على وجوب ذلك الحذر بضمير صغراه قوله فان العدو ربما قارب ليتغفل اي قارب بالصلح وصلحه ليطلب غفلته فيظفر به وله في ذلك شواهد التجربة وحسبنا المغولين للعلم بهما وتقدير كبراه وكل من كان كك فواجب ان يحذر منه الثامن عشر امره على تقدير ان يعقد بينه وبين عدوه عهدا ان يحوطه بالوفاء ويرعى ذمته بالامانة ويجعل نفسه جنة دون ما اعطى منهما اما الحفظ اي يحفظ ذلك بنفسه ولو ادى الى ضررها واستعار لفظ اللبس لادخاله في امانه لذ ملاحظة لشبهها بالقميص ونحوه وكذلك لفظ الجنة لنفسه ملاحظة لشبهها في الحفظ بالترس ونحوه ورغب في ذلك بوجهين اشتمل عليهما قوله فانه الى قوله العدو احدهما ان الناس اشد اجتماعا على ذلك من عزم من فرائض الله الواجبة عليهم مع تفرق اهوائهم وتشتت ارائهم الثاني ان المشركين لزموا ذلك فيما بينهم واستثقلوا الغدر لما فيه من سوء العاقبة والمذكوران صغريا ضمير تقدير الكبرى فيهما وكلما كان كك فيجب لزومه والمحافظة عليه ثم اكد ذلك بالنهي عن الغدر في العهد ونقض الذمة وخداع العدو ونبه على شناعة الغدر ونفر عن ذلك بوجهين احدهما قوله فانه الى قوله الاشقي وهو صغرى ضمير الجبيها فان الجرئ على الله شقي وتقدير كبراه وناقض العهد والمداغل فيه مجترئ على الله ينتج من الرابع فالشقي هو ناقض والمداغل فيه ويجوز ان يكون تقدير الصغرى فان ذلك جراءة على الله يستلزم الشقاوة وتقدير الكبرى وكلما كان كك وجب اجتنابه لينتج من الاول المطلوب الثاني قوله وقد جعل الى قوله جواره ولمنا اي ماءمنا واستعار لفظ الحريم للعهد ورشح بذكر السكون الى منعته والاستفاضة الى جواره ونبه بذلك على وجه الاستعارة وهو الاطمينان اليه والامن من الفتنة بسببه فاشبه الحريم المانع والكلام صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كك فلا يجوز نقضه والادغال التاسع عشر نهاه ان يعقد عقدا يجوز فيه العلل اي الاحداث المفسدة وهو كناية عن امره باحكام ما يعقده من الامور العشرون نهاه ان يعتمد على لحن القول في الايمان والعهود بعد ان يؤكدها ويتوثق من غيره فيها او يتوثق غيره منه فيها ومثال لحن القول ما ادعاه طلحة والزبير من التجوز والتورية في بيعتهما له عليه السلام اي لا تعتمد على ذلك من نفسك ولا تلتفت اليه من غيرك لو ادعاه الحادي والعشرون نهاه ان يدعوه ضيق امر لزمه فيه عهد الله الى ان يطلب ابطاله بغير حق ورغب في الصبر عليه بقوله فان صبرك الى قوله اخرتك وهو صغرى ضمير واراد بتبعته ما يتبعه من العقوبة وبالطلبة ما يطالب به يوم القيمة من لزوم العهد واحاطتها به كناية عن لزومها له ووصف الطلبة بقوله لا يستقبل في الاخرة الا الامور الخيرية من احاطت به طلبة من الله فلا خير له في الاخرة يستقبله وروي تستقيل بالياء اي لا يكون لك من تلك الطلبة والتبعة اقالة في الدنيا ولا في الاخرة الثاني والعشرون حذره من الدخول في الدماء وسفكها بغير حق وهو كناية عن القتل ونفر عنه بوجهين احدها قوله فانه الى قوله حقها وهو صغرى ضمير تقديرها فان سفك الدماء بغير حق ادعى الاشياء لحلول نقمة الله واعظمها في الخوف لتبعته واولاها بزوال النعمة وانقطاع مدة الدولة والغرض انها اقوى المعدات للامور الثلثة لما يستلزمه من تطابق هم الخلق ودعائهم على زوال القاتل واستنزال غضب الله عليه لكون القتل اعظم المصائب المنفور عنها وتقدير الكبرى وكلما كان كك فيجب ان يجتنب رذيلة الثاني قوله والله سبحانه الى قوله القيمة ونبه بابتدائه تعالى بالحكم بين العباد في القتل على انه اعظم عنده تعالى من سائر الكبائر وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما ابتدأ الله بالحكم فيه فيجب الحذر عنه واجتناب ما يكره منه الثالث والعشرون نهاه ان يقوي سلطانه وملكه بسفك الدم الحرام ونفر عنه بقوله فان ذلك الى قوله وينقله وهي صغرى ضمير بيان ما سبق فان سفك الدم الحرام لما استلزم الامور الثلثة المذكورة كان لذلك مضعفا للسلطان ومزيلا له وتقدير الكبرى وكلما كان كك وجب اجتنابه الرابع والعشرون نهاه عن قتل العمد حراما ونفر عنه بامرين احدهما انه لا عذر فيه عند الله ولا عنده الثاني ان فيه قود البدن وهما صغريا ضمير تقدير الكبرى فيهما وكل ما كان كك وجب اجتنابه الخامس والعشرون نهاه ان يرتكب سفوط الكبر عند ان يبتلى بقتل خطاء او افراط سوط او يده عليه في عقوبته فيما خلا عن الملك والكبر على اولياء المقتول فلا

في بيان اوامر ونواهي مصلحية

ج ٣

يؤدي اليهم حقهم ونبه تعالى بقوله الى قوله ثقلته على ان الضرب باليد المشي وكذا قد يكون فيه القتل وهو مظنة السادس والعشرون حذره الاعجاب بنفسه والثقة بما يعجبه منها وحب الاطراء والاخير ان سببا لدوام الاعجاب ومادة له ونفر عن الثلثة بقوله فان ذلك الى قوله المحسن وفي نفسه متعلق باوثق وقوله ليمحق احسان المحسن يحتمل وجهين احدهما انه لما كان الاعجاب من المهلكات لم ينفع معه احسان المحسن فاذا تمكن الشيطان من الفرصة وهي الاعجاب للانسان وارتكبه محق له ما يكون من الاحسان الثاني ان المعجب بنفسه لا يرى لاحد عنده احسانا فيكون اعجابه ماحقا الاحسان من احسن اليه ولما كان سبب الاعجاب هو الشيطان كان الماحق لاحسان المحسن ايضا هو الشيطان فلذلك نسبه اليه والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان اوثق فرص الشيطان في نفسه وجب الاحتراز منه السابع والعشرون حذره من رذائل ثلاث احدها المن على الرعية باحسانه اليهم الثانية التزيد فيما فعله من حقهم وهو ان ينسب الى نفسه من الاحسان اليهم ازيد مما فعل الثالث ان يخلف موعوده لهم ثم نفر عن المن بقوله فان المن يبطل الاحسان وذلك اشارة الى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وعن التزيد بقوله فان التزيد يذهب بنور الحق واراد بالحق هنا الاحسان اليهم او الصدق ونحن ذكره في موضع يحتاج اليه فان على ذلك نورا عقليا ترتاح له النفوس وتلتذ به ولما كان التزيد نوعا من الكذب وهو رذيلة عظيمة لا جرم كان مما يذهب بنور ذلك الحق ويطفيه فلا يكون له وقع في نفوس الخلق ونفر عن الخلف بقوله الخلف يوجب المقت عند الله والناس اما عند الناس فظاهر واما عند الله فلقوله تعالى كبر مقتا عند الله الاية والثلثة صغريات ضماير تقدير كبراها وكلما كان كذلك وجب اجتنابه الثامن والعشرون حذره من ايقاع الامور على احد طرفي التفريط والافراط فطرف الافراط في الطلب العجلة قبل اوانها او التساقط فيها عند امكانها وتعين وجوه ماخذها وعدم انضاحها وتسهلها وطرف التفريط التسقط فيها والقعود عنها اذا امكنت وهو يقابل التعجل فيها او الضعف عنها اذا استوضحت وهو يقابل اللجاجة فيها عند تنكرها واستلزم النهي عن هذين الطرفين الامر بايقاعها على نقطة العدل وهي الحد الاوسط من الطرفين وموضعها الحق على ذلك قال فيضع كل امر موضعه واوقع كل عمل موقعه التاسع والعشرون حذره من الاستيثار بما يجب تساوي الناس فيه كالذي يختص من مال المسلمين ونحوه والثلثون وعن التغافل عما يجب تعلم العناية به من حقوق الناس الماخوذة ظلما مما قد وضح للعيون اهمالك ونفر عن ذلك بقوله فانه ماخوذ للمظلوم واراد ما يستاثر به من حقوق الناس ويتغافل عنها وما في قوله عما اي الذي واراد بالقليل مدة الحيوة الدنيا واشار باغطية الامور الى الهيئات البدنية الحاجبة لحقايق الامور عن ان يدركها بصر بصيرته وقد علمت ان انكشاف تلك الاغطية عند طرح البدن فحينئذ يشاهد ما اعد له من خير او شر كما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية الحادي والثلثون امره ان يملك حمية انفه اي انفته مما يقع من الامور المكروهة وسورة حده وحدة لسانه وملكه لهذه الامور انما يكون بالاحتراس عن تعدي قوته الغضبية وقوفها في تعلقها على حاق الوسط بحيث لا يعبر فيها الى حد الافراط فيقع في رذيلة التهور ويلزمه في ذلك ان يذللها الثاني والثلثون امره بالاحتراس من تلك الامور وارشده الى اسبابه وهو كف البادرة وتاخير السطوة الى حين سكون الغضب ليحصل له بذلك الاختيار في الفعل والترك الذي فيه مصلحة واشار الى وجه احكام تلك الاسباب بقوله ولن تحكم ذلك الى قوله عليه السلام وذلك ان كثرة الهم عن ذكر المعاد والفكر في امور الاخرة ماح للرغبة في الامور الدنيوية التي هي المهيجات وثوران الغضب الثالث والثلثون اوجب عليه امرين فيهما اجماع ما اوصاه به في هذا العهد احدهما ان يتذكر ما مضى لمن تقدم من الحكومات العادلة للولاة قبله او من الاثار المنقولة عن نبينا صلى الله عليه وآله او من فرائض الله فيقتدي بما شاهد من عمله فيها الثاني ان يجتهد لنفسه في اتباع ما عهد اليه في عهده هذا واستوثق به من الحجة لنفسه عليه وهي الموعظة والتذكير والانذار له لكيلا يكون له علة يحتج بها عند تسرع نفسه الى هواها كما قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ومن هذا العهد وهو اخره وانا اسئل الله تعالى بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء في العباد وجميل الاثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة انا اليه راغبون والسلم على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم تسليما كثيرا **اقول** ختم هذا العهد بسؤال الله ان يوفقهما لما فيه رضاه واتم عليه ان اجابة سؤاله برحمته التي وسعت كل شيء وبقدرته العظيمة على اعطاء كل رغبة وكونهما سببين لاجابة السائلين ثم فصل ما سأله مما فيه رضا الله وهي امور احدها الاقامة على العذر الواضح الى الله والى الخلق فان قلت العذر انما يكون عن ذنب فمن اقام على طاعة الله كيف يكون فعله عذرا قلت يحتمل ان يكون العذر اسما من الاعذار الى الله وهو المبالغة في الاتيان باوامره فكانه قال من الاقامة على المبالغة اليه في اداء اوامره الثاني حسن الثناء في العباد وجميل الاثر وهو ما يؤثر من الافعال الحميدة في البلاد وذلك مما ساله الانبياء كابرهيم واجعل لي لسان صدق في الاخرين قيل هو الذكر الجميل في الناس الثالث ان يتم نعمته عليهما الرابع تضعيف كرامته لهما الخامس الخاتمة الحسنة بالسعادة وما يوصل اليها من الشهادة ونبه بقوله انا اليه راغبون على صدق نيتهما في سؤاله ثم ختم

ومن كتاب له الى طلحة والزبير

ومن كتاب له عم الى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي ذكره هذا الكتاب ابو جعفر الاسكافي في كتاب المقامات اما بعد فقد علمتما وان كتمتما اني لم ارد الناس حتى ارادوني ولم ابايعهم حتى بايعوني وانكما ممن ارادني وبايعني وان العامة لم تبايعني لسلطان غاصب ولا لعرض حاضر فان كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا الى الله من قريب وان كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل باظهاركما الطاعة واسراركما المعصية ولعمري ما كنتما باحق المهاجرين بالتقية والكتمان وان دفعكما هذا الامر من قبل ان تدخلا فيه كان اوسع عليكما من خروجكما منه بعد اقراركما به وقد زعمتما اني قتلت عثمان فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من اهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل فارجعا ايها الشيخان عن رأيكما فان الآن اعظم امركما العار من قبل ان يجتمع العار والنار والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله

اقول خزاعة قبيلة من الازد وقيل الاسكافي منسوب الى اسكاف رستاق كبير بين النهروان والبصرة وكتاب المقامات الذي صنفه الشيخ المذكور في مناقب امير المؤمنين عم وقد احتج عليهما في نكث بيعته بحجتين احديهما قوله اما بعد الى قوله حاضر وهو في قوة صغرى لقياس ضمير تقديرها وكل من علمتما من حاله ذلك فليس لكما ان تنكثا بيعته وتخرجا عليه وقوله وان كتمتما اذ ادعيتما البيعة واراد كثير من الناس وزعمها انما حملهما عليها كرها الحجة الثانية قوله فان كنتما الى قوله اقراركما به وهي شرطي منفصل تقديرها انه لا يخلو ان تكونا بايعتماني طائعين او كارهين والاول هو المطلوب يلزمكما ارتكاب المعصية والرجوع الى الله بالتوبة الى الله من قريب من قبل استحكام المعصية في نفسيكما والثاني باطل من ثلثة اوجه احدها انه يلزمكما النفاق حيث اظهرتما الطاعة واضمرتما المعصية فجعلتما بذلك السبيل عليكما الى القول والفعل الثاني انكما ما كنتما بالتقية والكتمان لمعصيتكما احق من المهاجرين وذلك لانكما كنتما اقوى الجماعة واعظمهم شانا فكان غيركما من المهاجرين اولى منهما بالتقية عند البيعة وبكتمها بعدها الثالث ان دفعهما البيعة قبل الدخول فيها اوسع لعذرهما من خروجهما منها بعد اقرارهما وهذه الاوجه الثلثة صغريات ضمير تقدير الكبرى في الاول وكل ما جعلتماه لي عليكما به السبيل فحجة عليكما فعله وليس لكما ان تدعياه وفي الثاني وكل من لا يكون احق من المهاجرين بدعواه فليس له ان يدعيها لم يدعوه وفي الثالث وكلما كان اوسع لعذرهما فليس لهما العدول الى ما هو اضيق وقوله وقد زعمتما اني قتلت عثمان اشارة الى شبهتهما المشهورة في خروجهما عليه وقوله فبيني الى قوله احتمل جوابها اي نحاكم انا الى من تخلف عن نصرتي ونصرتكما من اهل المدينة ثم يلزم كل منا من الاثم والعقوبة بقدر ما احتمل من الاثم والبغي ثم بعد ان قام الحجة عليهما امرهما بالرجوع عن رايهما الفاسد في نقضهما البيعة ورغب في الرجوع عن ذلك بقوله فان الآن الى اخره وهو في قوة صغرى ضمير تقديره كبراه والعار اسهل من اجتماع العار والنار في الآخرة واراد العار والعقد والآن ظرفا منتصب باعظم الذي هو اسم ان ويجوز ان يكون هو اسمها واعظم مبتدأ خبره العار والجملة خبران والعائد الى اسمها محذوف تقديره فان الآن اعظم امركما فيه العار

ومن كتاب له عم الى معوية اما بعد فان الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها وابتلى فيها اهلها ليعلم ايهم احسن عملا ولسنا للدنيا خلقنا ولا بالسعي فيها امرنا وانما وضعنا فيها لنبتلى بها وقد ابتلاني الله بك وابتلاك بي فجعل احدنا حجة على الآخر فعدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن وطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني وعصبته انت واهل الشام بي وألب عالمكم جاهلكم وقائمكم قاعدكم فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك واصرف الى الآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك واحذر ان يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الاصل وتقطع الدابر فاني اولي لك بالله الية غير فاجرة لئن جمعتني واياك جوامع الاقدار لا ازال بباحتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين

اقول عصبه علقه به والتاليب التحريض والقارعة الداهية والدابر الناخر من النسل والالية اليمين فقوله اما بعد الى قوله لنبتلى بها اشارة الى غرض الدنيا وغايتها بالنسبة لذلك وقد عمله واراد بالسعي فيها الذي لم يؤمر به اكتسابها لها دون غيره مما يكون بالضرورة فان ذلك مأمور به كقوله تعم فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وقوله وقد ابتلاني الى قوله الآخر تعيين لبعض اغراضها وقد علمت كيفية ابتلائه لخلقه فيما قبل ووجه ابتلائه عم بمعوية عصيانه ومحاربته اياه حتى لو قصر في مقاومته ولم يتم في دفعه كان ملوما وكان معوية حجة الله عليه ووجه ابتلائه معوية به دعوته له الى الحق وتحذيره اياه من عواقب المعصية حتى اذا لم يجب داعي الله لحقه الذم والعقاب وكان عم هو حجة الله عليه وذلك معنى قوله فجعل احدنا حجة على الآخر وقوله فعدوت الى قوله قاعدكم اشارة الى بعض وجوه ابتلائه عم به ومعنى ذلك انه طلب الحجة عليه الدنيا وجعل المسبب الى ذلك تاويل القرآن كقوله تعم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وغيره من الآيات الدالة على وجوب القصاص فتاولها بادخال نفسه فيها وطلب القصاص لعثمن وانما كان دخوله في ذلك بالتاويل لان الخطاب خاص بمن قتل وقتل منه ومعوية بمعزل عن ذلك اذ لم يكن من اولياء دم عثمن ففسر الآية بالعموم ليدخل فيها والذي لم يجنه يده ولسانه هو ما نسبوه اليه وألب بعضهم بعضا عليه فيه وهو قتل عثمن واراد التب عليكم بجاهلكم وهلكم مبروقا بكم الى حربي قاعدكم ثم لما نبهه على غاية الدنيا وجعل الله سبحانه كلا منهما حجة على الآخر ليعلم ايهم احسن عملا رجع الى

موعظته

موعظته وتحذيره فامره بتقوى الله في نفسه ان يهلكها بعصيانه ونخالفة امره وان ينازع الشيطان قياده واستعار لفظ القياد للهوى الطبيعية ووجه الاستعارة كونها زمام الانسان الى المعصية اذا سلمها بيد الشيطان وانما جعلها في الذات لو نفسه ومنازعته للشيطان فيها وهيه لنفسه الامارة عن طرف الافراط الى حاق الوسط في الشهوة والغضب بان يصرفها الى الاخرة وجهة اى جهة وجعله سطر الاخرة مطالعا ما اعد فيها من خير وشر وسعادة وشقاوة بعين بصيرته ليعمل لها وقوله من طرقنا وطرقنا صغرى ضمير تنبيه على وجوب صرف وجهه الى الاخرة وتقدير كبراه وكلما كان طريقا للانسان فواجب ان يصرف اليها وجهه طريقا مجازا عن غاية الطريق اطلاقا لاسم ذى الغاية عليها ثم حذره من الله ان يصيبه بداهية يصيب اصله ويقطع نسله وارادتها ما نهاه من نقض عهده وحرب اهله وبلده اقسم على تقديرها ان يجمع خواص الاقدار ان لا يزال بنا مشيره فيها حتى يحكم الله بينهما وفي ذلك غليظ الوعيد بعذاب شديد

ومن كلام له عليه السلام وصى به شريح بن هاني لما جعله على مقدمته الى الشام اتق الله في كل صباح ومساء وخف على نفسك الدنيا الغرور ولا تأمنها على حال واعلم انك ان لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروه سمت بك الاهواء الى كثير من الضرر فكن لنفسك مانعا رادعا ولنزوتك عند الحفيظة واقما قامعا **اقول** قد ذكرنا طرفا من حال النفاذه لشريح من هاني مع زياد بن النضر على مقدمته بالشام في اثنى عشر الفا والنزوة الوثبة والحفيظة الغضب والواقم الذي يرد الشيء اقبح الرد وقهره اى رده بعنف والقهر والوقم القهر والاذلال كلها قمع وقد امره بتقوى الله دائما ولما كانت مستلزمة الاعمال الجميلة اردف ذلك بتفصيلها وهي ان يخاف على نفسه الدنيا ونسبها الغرور لانها سبب ما ذكره وان لا يامنها على حال لما يستلزم ذلك من الغفلة عن الاخرة ثم اعلمه انه ان لم يردع نفسه الامارة بالسوء الا انها الى كثير من مشتهياتها التي يخاف مكروهها فانها تقيد بها عند حد فالشهوات تهاى بالنفس المستقيم لم يزل بهواها وبيوقها حتى توردها موارد الهلكة ثم اكد وصيته بها وتنهاها عند نزواتها وتوثبها في الغضب فقد عرفت ان اهمالها مبدأ كل شر يلحق في الدنيا والاخرة

ومن كتاب له عليه السلام الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة اما بعد فاني خرجت من حيي هذا اما ظالما واما مظلوما واما باغيا واما مبغيا عليه وانا اذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر الي فان كنت محسنا اعانني وان كنت مسيئا استعتبني **اقول** غرض الكتاب اعلام اهل الكوفة بخروجه من المدينة لقتال اهل البصرة واستنفارهم اليه وقد تقدم مثل ذلك وحيه قبيلته وقوله اما ظالما الى قوله عليه من باب تجاهل العارف ولان القضية لم تكن بعد ظهرت لاهل الكوفة وغيرهم ليعرفوا هل هو مظلوم او غيره ولذلك ذكرهم الله لينفروا اليه فيحكموا بينه وبين خصومه فيعينوه او يطلبوا منه العتبى وهي الرجوع واذكر متعديا الى مفعول اول هو المذكور والثاني هو المذكر به وهو الله تعالى وقد قدمه لكونه هو المقصود من التذكير وبما شددته معنى الا وتخففه هي ما زائدة دخل عليها لام التاكيد اى لتنفرن الي وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام كتبه الى اهل الامصار يقتص فيه ما جرى بينه وبين اهل صفين وكان بدء امرنا انا التقينا والقوم من اهل الشام والظاهر ان ربنا واحد ونبينا واحد ودعوتنا في الاسلام واحدة لا نستزيدهم في الايمان بالله والتصديق برسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يستزيدوننا الامر واحد الا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء فقلنا تعالوا نداو ما لا يدرك اليوم باطفاء النائرة وتسكين العامة حتى يشتد الامر ويستجمع فنقوى على وضع الحق في مواضعه فقالوا بل نداويه بالمكابرة فابوا حتى جنحت الحرب وركدت ووقدت نيرانها وحمشت فلما ضرستنا واياهم ووضعت مخالبها فينا وفيهم اجابوا عند ذلك الى الذي دعوناهم اليه فاجبناهم الى ما دعوا وسارعناهم الى ما طلبوا حتى استبانت عليهم الحجة وانقطعت منهم المعذرة فمن تم على ذلك منهم فهو الذي انقذه الله من الهلكة ومن لج وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قلبه وصارت دائرة السوء على راسه كما قال الله تعالى اركسهم بما كسبوا **اقول** وبدء الامر اوله ويروى بداى فعيل بمعنى مبتدأ في النائرة العداوة وجنحت مالت وركدت ثبتت وحمشت اشتدت ورويت بالشين المعجمة اى التهبت غضبا وانتقد مخلصهم التمادي في الشيء الاقامة عليه وطلب لغاية منه واركس رد الشيء مقلوبا والله اركسهم اى ردهم الى عقوبة كفرهم والرين التغطية والدائرة الظفر بهم يقال عليهم الدائرة ويؤكد شنعها بالاضافة الى السوء والفصل من حكاية حاله مع اهل الشام وحالهم والقوم عطف على الضمير في التقينا وفي قوله والظاهر ايما الى تهمته لهم بضد ذلك كما صرح به عمار في صفين فانه كان يقول والله ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر فلما وجدوا عليه اعوانا اظهروه والواو للحال وقوله لا نستزيدهم اى لا نطلب منهم زيادة في الايمان لتمامه منهم في الظاهر وقد بين في حكاية الحال الاتحاد الذي بينهم في الامور المذكورة التي لا يجوز الاختلاف معها ليظهر الحجة ويستثني من ذلك ما وقع الاختلاف فيه وهي الشبهة بدم عثمان والجواب عنها اجمالا ثم حكى وجه الرأي الاصلح في نظام امر الاسلام وسلامة اهله وشوره عليهم واباؤهم عن قبوله الى الغاية المذكورة والباء في قوله باطفاء النائرة متعلق بقوله نداو وما لا يدرك اى ما لا يمكن تلافيه

من كلام له الى الاسود قطبة

عند وقوع الحرب وبسببه لتعين القتل وهلاك المسلمين قوله فقالوا اخواننا واهل دعوتنا استقالونا تحكاية قولهم بلسان حالهم حين طلبوا الصلح
طام امر الذين بالرجوع عما هم عليه فكانوا وافاروا على الحرب بعد يجوز بالمسم الجنوح الا فالاسم المضاف على المضاف اليه استعار
لفظ النيران لحركات الحرب لمشابهتها في استلزام الاذى لطالب الشر ورشح بذكر الوقود وكذلك لفظ الحسن والنصرانين وموضع المجاهد
ثم حكى لما ثم ورجوعهم الى رايه الذى رآه ثم رفعوا المصاحف على الرماح كانوا يقولون
لا صابة تا معاشر المسلمين نحن اخوانكم في الدين الله الله في البنات والنساء كما حكيناه اولا وذلك على ما كان يذكرونه
من حفظ دماء المسلمين وذريتهم واما اجابته الى ما دعوا فاجابته الى تحكيم كتاب الله حين دعوا اليه وظهور الحجة عليهم برجوعهم
الى غير ما كان يدعوهم اليه من حقن الدماء وفي ذلك انقطاع عذرهم في المطالبة بدم عثمان اذ كان سكوتهم عن دم عثمان
لا حق لهم فيه اسهل من سفك دماء سبعين الفا من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وقوله فمن تم على ذلك اى على
الرضا والصلح وتحكيم كتاب الله وهم اكثر اهل الشام واكثر اصحابه والذين لجوا في التمادى هم الخوارج الذين لجوا في الحرب
واعتزلوه بسبب التحكيم كانت قلوبهم في اغشية من الشبهات الباطلة حتى صارت دائرة السوء على رؤسهم فقتلوا الا قليلا

ومن كتاب له عليه السلام الى الاسود بن قطبة صاحب جند حلوان اما بعد فان الوالى اذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا
من العدل فليكن امر الناس عندك في الحق سواء فانه ليس في الجور عوض من العدل فاجتنب ما تنكر امثاله
وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجيا ثوابه ومتخوفا عقابه واعلم ان الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها
فيها قط ساعة الا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة وانه لن يغنيك عن الحق شيء ابدا ومن الحق عليك حفظ
نفسك والاحتساب على الرعية بجهدك فان الذى يصل اليك من ذلك افضل من الذى يصل بك والسلام

اقول في الفصل لطائف احدها انه نبهه على وجوب ترك تنويع الاهوية والاعراض عن اتباع مختلفاتها بما
يستلزمه من المفسدة وهى الامتناع عن كثير من العدل ووجه الاستلزام ظاهر لان اتباع الاهوية المختلفة يوجب الانحراف عن
حاق الوسط في المطالب ولما نبهه على مفسدة الجور امره ببسط العدل والتسوية بين الخلق في الحق ثم نبه على فضيلة بضمير
صغراه قوله فانه ليس في الجور عوض من العدل وتقدير الكبرى وكل ما لم يكن في الجور عوض عنه
فيجب لزومه واتباعه الثانية انه لما كان اتباع مختلف الاهوية مما ينكر مثله عند وقوعه في حقه وحق من يلزمه امره كالاذى
اللاحق له مثلا امره باجتناب ذلك وان لا يقع منه في حق غيره ما يكره وقوع مثله في حقه والعبارة وافية بهذا المعنى والغرض النفع
عند الثالثة امره بعد ذلك ان يبذل نفسه فيما افترض الله عليه حال رجائه لثوابه وخوفه من عقابه لكونهما داعى العمل
الرابعة نبهه على ان الدنيا دار ابتلاء بالعمل كما قال تعالى الذى خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا ولما كان العمل
فيها سببا للاستعداد للسعادة الباقية لاجرم كان الفراغ من العمل تركا للسبب اذ لا يحصل يوم القيمة الا به فكان من لوازم فراغه
منه في الدنيا الحسرة عليه يوم القيمة الخامسة نبهه على ضرورة الحاجة الى عمل الحق بانه لا يغنيه عنه شيء غيره لان كل ما عدا الحق
باطل والباطل سبب للفقر في الاخرة فلا يغنيه عن الحق السادسة نبهه على ان من الحقوق الواجبة عليه حفظ نفسه اى من زلة
القدم عن الصراط المستقيم والوقوع في سواء الجحيم ثم الاحتساب على رعيته بجهده وطاقته والاخذ على ايديهم في الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر وقدم حفظ النفس لانه الاهم ونبه على وجوب الامرين بقوله فان الذى يصل اليك من ذلك واراد ان الذى يصل الى نفسك
من الكمالات والثواب اللازم عنها في الاخرة بسبب لزومك للامرين المذكورين افضل مما يصل بعدك واحسانك الى الخلق من النفع
ودفع الضرر وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى العمال الذين يطأ عملهم الجيش من عبد الله على امير المؤمنين
الى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمال البلاد اما بعد فانى قد سيرت جنودا هى مارة بكم ان شاء الله وقد او
صيتهم بما يجب لله عليهم من كف الاذى وصرف الشذى وانا ابرأ اليكم والى ذمتكم من معرة الجيش الا من جوعة
المضطر لا يجد عنها مذهبا الى شبعه فنكلوا من تناول منهم ظلما عن ظلمهم وكفوا ايدى سفهائكم عن مضادتهم و
التعرض لهم فيما استثنيناه منهم وانا بين اظهر الجيش فارفعوا الى مظالمكم وما عراكم مما يغلبكم من امرهم ولا
تطيقون دفعه الا بالله وبى اغيره بمعونة الله تعالى ان شاء الله **اقول** الشذى الاذى ومعرة الجيش المضرة الواصلة منه
عرة ومعرة اى ساءه ونكل ينكل بالضم جبن ونكلوا وجبنوا وعراه الامر غشيه وحاصل الكتاب اعلام من على طريق الجيش من
الجباة وعمال البلاد وتسييره عليهم لينتبهوا ولا يحجزوا منه ثم وصيته الجيش بما ينبغى لهم ويجب لله عليهم من كف الاذى عمن
يمرون به لئلا يخافوا عدوهم عند رؤيتهم وينابذوا بهم ثم اعلامهم انه برىء اليهم والى ذمتهم اى اهل ذمتهم من اساءة الجيش فانه
يسلم بره من ذلك الا معرة جوعة المضطر التى لا يجد عنها الى شبعه مذهبا وتقدير الكلام فانى ابرأ اليكم من معرة الجيش

العدل
فيها
عليهم
سفهائكم
فارفعوا

الا من معرة

الأمن معره جوعه المضطر منهم فأقام المصاف ليصف الصفّا أو طلقه بجانب الطلاع الاسم السبب على السبب ثم أمرهم أن يجوعوا ويجتنبوا من تناول من الجيش شيئا عن ظلم وبعد ضوء الدفع الممكن لهم لئلا يكون سخطهم خلاب الاعمال ثم أن يكفوا أيدي سفهائهم عن ... والتعرض لهم فيما يستثنيناه من العزم الضرورية لئلا يثور بذلك الفتنة بينهم وبين الجيش ثم أعلمهم أنه بين أظهر الجيش كناية عن كونه مرجع أمرهم لير فعوا إليه مظالمهم وما غشيهم من أمر يغلب عليهم من الجيش لا يطيقون دفعه إلا بالله وبه ويغيره بمعونة الله وخشية

ومن كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا للغارة: أما بعد فإن تضييع المرء ما ولي وتكلفه ما كفي لعجز حاضر ورأي متبر، وإن تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك التي وليناك ليس بها من يمنعها ولا يرد الجيش عنها لرأي شعاع، فقد صرت جسرا لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ولا ساد ثغرة ولا كاسر شوكة ولا مغن عن أهل مصره ولا مجز عن أميره والسلام.

أقول: المتبر: الهالك والفاسد. والشعاع: المتفرق. وقوله: أما بعد إلى قوله: متبر، صدر الكتاب علم أن فيه إجمالا كالجزء من أجزاء المخطبة يريد أن يوبخه عليه من تعاطيه أمرا مع إهماله ما هو أهم منه، ثم ذكر غرضه من الكتاب مفصلا بقوله: وأن تعاطيك إلى قوله: شعاع، ثم نفره عن ذلك الرأي بما فيه من المفاسد، وأتى بالأولى منها كونه جسرا، واستعار لفظ الجسر له باعتبار عبور العدو عليه إلى غرضه وهو حين هو ما يتصح مجازا باعتبار خلو مسالحه عن العسكر الذي يحمي بها العدو، وهو كالجاسر عليهم. الثاني: كونه غير شديد المنكب، وكنى بذلك عن ضعفه. وكذلك كونه غير مهيب الجانب. الثالث: كونه غير ساد ثغرة. الرابع: ولا كاسر شوكة عدوه. والخامس: ولا مغن عن أهل مصره في دفع عدوهم. السادس: ولا مجز عن أميره فيما يريده منه.

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر رحمه الله لما ولاه إمارتها: أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله نذيرا للعالمين ومهيمنا على المرسلين، فلما مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنهم منحوه عني من بعده، فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلما أو هدما تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه. ومن هذا الكتاب: إني والله لو لقيتهم واحدا وهم طلاع الأرض كلها ما باليت ولا استوحشت، وإني من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي، وإني إلى لقاء الله لمشتاق وحسن ثوابه لمنتظر راج، ولكنني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا وعباده خولا والصالحين حربا والفاسقين حزبا، فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام وجلد حدا في الإسلام، وإن منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ، فلولا ذلك ما أكثرت تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم إذ أبيتم وونيتم. ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقصت وإلى أمصاركم قد افتتحت وإلى ممالككم تزوى وإلى بلادكم تغزى، انفروا رحمكم الله إلى قتال عدوكم ولا تثاقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف وتبوؤوا بالذل ويكون نصيبكم الأخس، وإن أخا الحرب الأرق ومن نام لم ينم عنه والسلام.

أقول: المهيمن: الشاهد. والروع: القلب. والانثيال: الانصباب. وزاح: ذهب. وزهق: زال واضمحل. وتنهنه: سكن. وطلاع الأرض: ملؤها. وآسى: أحزن. والدول: أن يكون مرة لهذا ومرة لهذا. والخول: العبيد. والرضخ: الرشوة وأصله العطاء. والتأليب: التحريض. والتأنيب: اللوم. والوني: الفتور. وتزوى: تقبض. وتبوؤوا: ترجعوا. والخسف: النقيصة. وقصد بالاقتصاص حال النبي صلى الله عليه وآله باعتبار كونه نذيرا للعالمين بعقاب الله وشاهدا على المرسلين بكونهم مبعوثين ومصدقا لهم في ذلك ثم اقتصاص حال المسلمين بعده في تنازع أمر الخلافة منه وجاء به إلى شرح حاله في معرض الشكاية منه من أخذ أمر الخلافة عنه مع كونه أحق بها وانصبابهم على بيعة فلان وهو كناية عن أبي بكر وإمساك يده عن القيام في ذلك والطلب للأمر إلى غاية ارتداد الناس في زمن أبي بكر عن الإسلام وطمعهم في محو الدين ثم شرح حاله من الخوف على الإسلام وأهله أن ينثلم أو ينهدم فيكون المصيبة عليه في هدم الدين أعظم من فوت الولاية القصيرة الأمد التي غاية ما فيها إصلاح فروع الدين ومثلها في سرعة زوالها بزوال السراب وتقشع السحاب ووجه التشبيه سرعة الزوال وكونها لا أصل لثباتها كالإثبات لحقيقة السراب ووجود السحاب وقدم ذكر الارتداد لغرض بيان نهوضه في الإسلام وأداء ذلك عقيبه باقتصاص حال نهوضه في تلك الأحداث التي وقعت من العرب إلى غاية زهوق الباطل واستقرار الدين وانتشاره ثم أقسم أنه لو لقيهم وحده وهم ملء الأرض بكثرتهم لم يستوحش منهم لأمرين: أحدهما علمه اليقين بأنهم على الضلال الدائم

من كلام له الى ابي موسى الاشعري

على الحد الثاني اشتياقه الى لقاء ربه وانتظاره ورجاؤه لثوابه وهما يجريان مجرى صغرى ضمير من قياس صغراهما وكل من كان كذلك فلا يبالي بهم
ليستوحش منهم وقوله لكن يجري مجرى جواب سؤال مقدر كانه قيل فاذا كنت تعلم انك والله على الحق وانهم على الضلال فلم تحزن من فعلهم
فكانه قال اني لا احزن من لقائهم وحربهم ولكن احزن لان يلي امر هذه الامة سفهاؤها وفجارها الى قوله حزبا وعنى بالسفهاء بني امية واشياعهم
ثم نبه على انهم مظنة ان يفعلوا ذلك لو ولوا هذا الامر بقوله فان منهم الى قوله الرضائخ والذي شرب فيكم الحرام اشارة الى المغيرة
بن شعبة الشارب الخمر في عهد عمر حين كان واليا من قبله على الكوفة فصلى بالناس سكران وزاد في الركعات وقاء الخمر فشهد واوجلد
الحد وكذلك عتبة بن ابي سفيان جلده خالد بن عبد الله بالطائف والذي لم يسلم حتى رضخت له الرضائخ قيل هو ابو سفيان
وابنه معوية وذلك انهما كانا من المؤلفة قلوبهم الذين يستمالون الى الدين رضخا وعدوه بالعطاء وقيل هو عمرو بن العاص والمشهور
عنه مثل ذلك لما حكاه عنه من اشتراطه على معوية طعمة مصر في مساعدته بصفين كما مر ذكره ثم نبههم على ان ما ذكره من الاسى
هو السبب لتأليبهم وتحريضهم على الجهاد ولولا ذلك لتركهم اذ ابوا وضعفوا ثم نبههم على فعل عدوهم بهم وما انتقص من اطرافهم ومصارهم
وعزوهم ليستثير بذلك حمية طباعهم ولذلك امرهم بعده بالنفور الى قتال عدوهم ونهاهم عن التثاقل في ذلك ونفرهم عنه بما
يلزمه من الاقرار بالخسف والبوء الى الذل وخسة النصيب ثم نبههم على ان لا يكون اهل الحرب هو الارق وكنى به عن كبير الهمة
اذ كان من لوازمه ونفرهم عن ضعف الهمة والتواني في الجهاد بما يلزم ذلك من طمع العدو فيهم وسكونهم عنه والرقة عن مقاومته

ومن كتاب له عليه السلام الى ابي موسى الاشعري وهو عامله على الكوفة وقد بلغه تثبيطه الناس عن الخروج اليه لما ندبهم
لحرب اصحاب الجمل من عبد الله علي امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس اما بعد فقد بلغني عنك قول هو لك وعليك فاذا
قدم رسولي عليك فارفع ذيلك واشدد مئزرك واخرج من جحرك واندب من معك فان حققت فانفذ وان
تفشلت فابعد وايم الله لتؤتين من حيث انت ولا تترك حتى يخلط زبدك بخاثرك وذائبك بجامدك وحتى تعجل عن
قعدتك وتحذر من امامك كحذرك من خلفك وما هي بالهوينا التي ترجو ولكنها الداهية الكبرى يركب جملها ويذلل صعبها
ويسهل جبلها فاعقل عقلك واملك امرك وخذ نصيبك وحظك فان كرهت فتنح الى غير رحب ولا في نجاة فبالحري لتكفين
وانت نائم حتى لا يقال اين فلان والله انه لحق مع محق وما ابالي ما صنع الملحدون **اقول** روي عن ابي موسى انه كان حين مسير
علي عليه السلام الى البصرة واستنفاره لاهل الكوفة الى نصرته يثبط الناس عنه ويقول انها فتنة فلا يجوز القيام فيها ويروي عن النبي عليه السلام اخبارا
يتضمن وجوب القعود عن الفتنة والاعتزال فيها فكتب اليه مع ابنه الحسن هذا الكتاب والقول الذي بلغه عنه هو نهي الناس وتثبيطهم عن
النهوض اليه وذلك قول هو له باعتبار ظاهر الدين وصيانة عن الخوض في الفتن وهو عليه من وجوه الاول انه كان همه بذلك ان لم يقصد بذلك
الا قعود الناس عنه وهو منذ ذلك وهو حق لان الدين في الحقيقة وهو عائد عليه بمضرة العقوبة منه عليه السلام ومن الله في الاخرة الثاني
انه لما كان عليه السلام على الحق في حربه كان تثبيط ابي موسى عنه جهلا بحاله وما يجب من نصرته والقول بالجهل عائد على قائله بالمضرة الثالث
انه في ذلك القول مناقض لغرضه لانه نهى عن الدخول مع الناس ومشاركتهم في زمن الفتنة وروى خبرا يقتضي انه يجب القعود عنها
مع انه كان اميرا يتهافت على الولاية وذلك مناقض فكان عليه لا له ثم امره عند قدوم رسوله عليه باوامر على سبيل الوعيد والتهديد
احدها ان يرفع ذيله ويشد مئزره وهما كنايتان عن الاستعداد للقيام بواجبه والمسارعة اليه الثاني ان يخرج من جحره واراد
خروجه من الكوفة واستعار له لفظ الجحر ملاحظة لتشبيهه بالثعلب ونحوه الثالث ان يندب اي يبعث من معه من العسكر ويدعوهم الى
الخروج وقوله فان حققت اي عرفت حقيقة امري واني على الحق فانفذ اي فامض فيما امرتك به وان تفشلت اي جبنت وضعفت عن هذا الامر
ومعرفته فابعد عنا ثم توعده على تقديره وقعوده وانهم ليأتينه بالمكان الذي هو فيه ولا يترك حتى يخلط زبده بخاثره وذائبه بجامده و
هما مثلان كنى بهما عن خلط احواله الصافية بالتكدير بركوبه بذلته وسروره بغمه وسهولة امره بصعوبته وحتى تعجل عن قعدته وهي هيئة
قعوده واراد غاية الاعجال وحتى يكون حذره من امامه كحذره من خلفه وهو كناية عن غاية الخوف وانما جعل الحذر من الخلف اصلا
في التشبيه لكون الانسان من ورائه اشد خوفا وقيل اراد حتى تخاف من الدنيا كما تخاف من الاخرة وقوله وما هي بالهوينا اي وما
القصة المهولة لك بالهينة السهلة التي ترجوان تكون فيها على اختيارك ولكنها الداهية الكبرى من دواهي الدهر ومصائبه وقوله
يركب جملها اي يركب فيها ويذلل صعبها اي يسهل الامور الصعاب فيها وهو كناية عن شدتها وصعوبتها ثم اردف وعيده و
تحذيره بنصيحته وامره باوامر احدها ان يعقل عقله وعقله يحتمل النصب على المصدر وهو امر له ان يراجع عقله ويتنبه لهذه الحال
العظيمة دون هواه وقيل هو مفعول به اي اضبط عقلك واحبسه على معرفة الحق من الباطل ولا تفرقه فيما لا ينبغي الثاني ان يملك
امره اي شانه وطريقته ويتصرف فيها على قانون العدل والحق دون الباطل الثالث ان ياخذ نصيبه وحظه من طاعته والقيام بامره في
نصرته والذب عن دين الله وقيل اراد خذ ما قسم لك من الحظ ولا تتجاوزه الى ما ليس لك ثم اردف ذلك بامره بالتنحي عن الولاية على تقدير

كراهته لما ذكر وعدم امتثاله لما امر وقوله فبالحري لنكفين اي فما احقر ان يكون هذه المؤنة وانت نائم عن طاعة الله حتى لا ينفذ
بها لعنك لعدم المبالاة بما ثم اقسم انه لحق اي الامر المعهود الذي وصله من جرير بالبيعة مع محق اي صاحب حقوق لما به مقام من لا يكترث
بما صنع الملحدون في دين الله من مخالفته لمعرفته على الحق دونهم **ومن كتاب له عليه السلام** الى معوية جوابا عن كتاب منه اما بعد فانا
كنا نحن وانتم على ما ذكرت من الالفة والجماعة ففرق بيننا وبينكم امس انا آمنا وكفرتم واليوم انا استقمنا وفتنتم وما اسلم
مسلمكم الا كرها وبعد ان كان انف الاسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وآله حزبا وذكرت اني قتلت طلحة والزبير وشردت
بعائشة ونزلت بين المصرين وذلك امر غبت عنه فلا عليك ولا العذر فيه اليك وذكرت انك زائري في المهاجرين و
الانصار وقد انقطعت الهجرة يوم اسر اخوك فان كان فيك عجل فاسترفه فاني ان ازرك فذلك جدير ان يكون الله انما بعثني
للنقمة منك وان تزرني فكما قال اخو بني اسد مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين اغوار وجلمود وعندي
السيف الذي اعضضته بجدك وخالك واخيك في مقام واحد فانك والله ما علمت الاغلف القلب المقارب العقل والاولى
ان يقال لك انك رقيت سلما اطلعك مطلع سوء عليك لا لك لانك نشدت غير ضالتك ورعيت غير سائمتك
وطلبت امرا لست من اهله ولا في معدنه فما ابعد قولك من فعلك وقريب ما اشبهت من اعمام واخوال حملتهم الشقاوة
وتمني الباطل على الجحود بمحمد صلى الله عليه وآله فصرعوا مصارعهم حيث علمت لم يدفعوا عظيما ولم يمنعوا حريما بوقع سيوف ما خلا
منها الوغى ولم تماشها الهوينا وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على
كتاب الله واما تلك التي تريد فانها خدعة الصبي عن اللبن في اول الفصال والسلام على اهله **اقول** انف الاسلام اوله
التشريد الابعاد واسترفه اي نفس عنك من الرفاهية وهي السعة والاغوار المنخفضة من الارض واعضضت السيف بفلان اي جعلته يعض
به وهو من المقلوب لان المضروب هو الذي يعض بالسيف اي لا يكاد ينتزعه ويروى بالضاد المعجمة اي جعلته غاضا لهم والزمته والمقارب
بالكسر الذي ليس بالتام وقد كان معوية كتب اليه يذكره ما كانوا عليه قديما من الالفة والجماعة وينسب اليه بعد ذلك قتل طلحة والزبير
والتشريد بعائشة ويتوعده بالحرب ويطلب منه قتلة عثمان فاجابه عن كل من ذلك بجواب اما الاول فسلم له دعواه من الالفة
بينهم وهو الالفة والجماعة قبل الاسلام ولكنه ذكر الفارق بوجوه من وجوه الفرق ما انهم في اول الاسلام آمن في جملة من اهل بيته و
معوية واهل بيته كانوا كفارا والثاني انهم واهل بيته بعد الاسلام كانوا مستقيمين على الدين ومعوية واهل بيته مفتونين
بفتنتهم الثالث ان اهل بيته اسلم طوعا ومسلم اهل معوية لم يسلم الا كرها بعد ان اشتد الاسلام وصار للرسول حزب قوي من اشراف
العرب واستعار لفظ انف الاسلام لهم باعتبار كونهم اعز اهله وممن اسلم كرها ابو سفيان وذلك انه لما اتى رسول الله صلى الله عليه وآله الى مكة في غزوة
الفتح اتى ليلا فنزل بالبطحاء وما حولها فخرج العباس بن عبد المطلب على بغلة رسول الله يدور حول مكة في طلب من يبعثه الى قريش
ليخرجوا الى رسول الله ويعتذروا اليه فلقي ابا سفيان فقال له كن ردفي لنمضي الى رسول الله وتاخذ الامان لك منه فلما
دخل على رسول الله عرض عليه الاسلام فابى فقال عمر ائذن لي يا رسول الله لاضرب عنقه وكان العباس يحامي عنه فقال انه رفيقي
يا رسول الله انه يسلم غدا فلما جاء الغد دخل به على رسول الله فابى فقال له العباس في السر يا ابا سفيان اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله وان لم يكن ذلك في قلبك فانه يامر الان بقتلك ان لم تقل فشهد الشهادتين على كره لخوف القتل وقد راى اكثر من عشرة
آلاف رجل حول رسول الله قد تحزبوا معه واجمعوا اليه فذلك معنى قوله اما بعد الى قوله حزبا الثاني ما ادعاه عليه من قتل طلحة
والزبير وتشريده بعائشة والنزول بين المصرين البصرة والكوفة فاجاب عنه بقوله وذلك الى قوله اليك وهو في قوة ضمير تقدير كبراه
وكل من غاب عن امر ولم يكن فيه مدخل فليس تكليفه عليه ولا العذر من التقصير والتفريط فيه اليه الثالث ما توعده به من زيارته في
المهاجرين والانصار فاجاب بوجهين احدهما انه اوهم في كلامه انه من المهاجرين فاكذبه بقوله وقد انقطعت الهجرة يوم اسر اخوك الى حين
الفتح وذلك ان معوية واباه وجماعة من اهله انما اظهروا الاسلام بعد الفتح وقد قال صلى الله عليه وآله لا هجرة بعد الفتح فلا يصدق
عليهم اذن اسم المهاجرين ويوم اسر اخوه هو اخذ العباس لابي سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وآله غير مختار وعرضه على القتل اسره ويروى يوم اسر اخوك
وقد كان اسر اخوه عمرو بن ابي سفيان يوم بدر وعلى هذه الرواية يكون الكلام في معرض التذكرة له بما هو من شانه وشان اهله ان يوسروا و
يقتلوا فكيف يدعون مع ذلك الهجرة فان الهجرة بهذه الاسباب منقطعة عنهم ولا يكون يوم اسر ظرفا للانقطاع الهجرة لان الهجرة انما انقطعت
بعد الفتح الثاني مقابلة وعيده بوعيد مثله وهو قوله فان كان الى قوله مقام واحد واراد ان كنت مستعجلا في مسيرك الي فاطلب
الرفاهية على نفسك في ذلك فانك انما تستعجل الى ما يضرك ونبه على ذلك بقوله فاني الى قوله واحد في قوة صغرى ضمير
التمثيل بالبيت انه شبه استقبال معوية وجنده باستقبالهم رياح الصيف وشبه نفسه برياح الصيف وجعل رجاله واسلحته
كونهم يضربون وجوههم في الحرب بالسيوف والرماح كما تضرب رياح الصيف وجوه مستقبليها بالحصباء وقد بينا انه قتل جد معوية

ومن كتاب له الى معوية

ومعوية وخاله الوليد بن عتبة وأخاه حنظلة بن أبي سفيان وتفضيل الكبرى وكل من كان كذلك فمن الواجب أن يجهد رهطه وكلا بنو عبد مناف
وقتال وقوله وانك والله ما علمت الى قوله الهوينا توبيخ مشوب بتهديد وما في قوله وما علمت موصولة واستعار لفظ الاغلف لقلبه ووجه
الاستعارة انه محجوب بالهيئات البدنية وأغشية الباطل عن قبول الحق وفهمه فكانه في غلاف منها ووصف القارب بصفة الاختيار
الباطل ثم اعلمه على سبيل التوبيخ بما الاولى أن يقال في حاله واستعار لفظ السلم للأحوال التي ركبها والمنزلة التي طلبها ورشح بذكر الارتقاء
والاطلاع والمطلع مصدر ويجوز أن يكون اسم الموضع وأجمع البحث قوله بقوله لانك الى قوله معدن واستعار لفظ الضالة للشام لمرتبته
التي ينبغي له أن يطلبها ويقف عندها وما هو غيرها هو امر الخلافة اذ ليس من اهلها ورشح بذكر النشيد والرعي ثم تعجب من بعد
ما بين قوله وفعله وذلك أن مدار قوله في الكتاب على طلب قتلة عثمن وانكار المنكر كالارغاء ومدار فعله وحركاته على التغلب في الملك
والبغي على الامام العادل وشتان ما هما ثم حكم بقرب شبهه باعمامه واخواله وما مصدرية والمصدر مبتدأ خبره قريب فمن اهل
الشقاوة من جهة عمه وشبهه لنده الخطيب من جهة خؤولته الوليد بن عتبة وانما أنكر الأعمام والأخوال لأنه لم يكن له أعمام وأخوال كثيرون
والجمع المنكر جاز أن يعبر به مجازا عن الواحد والاثنين للمبالغة مجازا في معرض التشنيع ولا كذلك الجمع المعرف وأشار الى وجه الشبه
بقوله حملتهم الى قوله الهوينا وموضع قوله حملتهم الجر صفة للأخوال وأراد الشقاوة المكتوبة عليهم في الدنيا والآخرة التي استعدوا لها بجحود
محمد صلعم وتمني الباطل هو ما كانوا يتمنونه ويبذلون أنفسهم وأموالهم فيه من قهر الرسول صلعم وإطفاء نور النبوة وإقامة أمر الشرك وقوله
بوقع متعلق بقوله فصرعوا وما خلا دفعوا بسيوف ولفظ الماشاة مستعار والمراد أن تلك السيوف لم تحجم ضربها وقعها هوان ولا
سهولة ولم يجر معها وروي لم ماسها بالسين المهملة من الماشاة اى لم تماطلها بشيء من ذلك الرابع طلبه لقتلة عثمن واجابه بقوله
فادخل الحاجرة واراد بما دخل فيه الناس من الطاعة والبيعة وصدق الجواب ظ لانه لابد للمتحاكمين من حاكم وهو ع يومئذ
الحاكم الحق فليس لمعوية أن يطلب منه أن يقوم امثلهم المهاجرون والانصار اليه فلو يقتلهم من غير محاكمة بل يجب أن يدخل
في طاعته ويجري عليه الاحكام يحاكم القوم اليه فاماله واما عليه وقوله واما تلك التي تريد اى الخدعة عن الشام لغرض افراده
على امارتها وجه مشابهتها بخدعة الصبي ضعفها وظهور كونها خدعة لكل احد وانما قال ع السلام لاهله لان معوية لم يكن
في نظره من اهله وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** ايضا اليه اما بعد فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان
الامور فلقد سلكت مدارج اسلافك بادعائك الاباطيل واقتحامك غرور المين والاكاذيب وبانتحالك ما قد علا
عنك وابتزازك لما اختزن دونك فرارا من الحق وجحودا لما هو ألزم لك من لحمك ودمك مما قد وعاه سمعك وملئ
به صدرك فماذا بعد الحق الا الضلال وبعد البيان الا اللبس فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها فان الفتنة طال
ما أغدفت جلابيبها وأغشت الابصار ظلمتها وقد أتاني منك كتاب ذو أفانين من القول ضعفت قواها عن السلم
واساطير لم يحكها منك علم ولا حلم اصبحت منها كالخائض في الدهاس والخابط في الديماس وترقيت الى مرقبة بعيدة
المرام نازحة الاعلام تقصر دونها الانوق ويحاذى بها العيوق وحاشى لله ان تلي للمسلمين بعدي صدرا او وردا او اجري لك
على احد منهم عقدا او عهدا فمن الان فتدارك نفسك وانظر لها فانك ان فرطت حتى ينهد اليك عباد الله ارتجت
عليك الامور ومنعت امرا هو منك اليوم مقبول والسلام **اقول** المدارج المسالك والمذاهب جمع مدرجة والاقتحام
الدخول في الشيء بشدة من غير رويّة وانتحال الكلام ادعاؤه لنفسه والابتزاز الاستلاب واغدفت المرأة جلبابها ارسلته على وجهها
والافانين التخاليط والتنويع والسلم الصلح والاساطير الاباطيل جمع اسطورة بالضم واسطارة بالكسر والدهاس المكان السهل
اللين دون الرمل والديماس المكان شديد الظلمة كالسرب ونحوه والمرقبة موضع مشرف يرتفع عليه الراصد والانوق الرخمة و
العيوق نجم معروف وينهد ينهض وارتجت اغلقت والكتاب جواب ايضا فقوله اما بعد الى قوله الامور تنبيه له على وجوب الاتعاظ
والانزجار عن دعوى ما ليس له والمراد انه قد حضر وقت انتفاعك من عيان الامور ومشاهدتها بلمحها الباصر ولفظ
اللمح مستعار لمعرفة الامور الواضحة بخفة وسرعة وكذلك عيان الامور اى انفسها وحقائقها التي هي موارد اللمح والاعتبار ووصفه
بالباصر مبالغة في الابصار كقولهم ليل اليل وقوله فقد سلكت الى قوله اللبس اشارة الى جامعه الى التشبيه المذكور وهو سلوكه طرائق
اسلافه بالامور الاربعة المذكورة فادعاؤه الاباطيل ادعاؤه ما ليس له بحق من قتل دم عثمن وطلحة والزبير وغير ذلك واقتحامه لغرور
الاكاذيب دخوله في الضلال عن سوء عاقبتها والاكاذيب في دعاويه الظاهرة وما قد علا عنه هو امر الخلافة وما اختزن دونه فانه
هو مال المسلمين وبلادهم التي تغلب عليها وأراد انه اختزن بالاستحقاق من الله وفرارا وجحودا مصدران سدا مسد الحال وما
هو الزم له من لحمه ودمه هو ما قد وعاه سمعه عن رسول الله صلعم وامتلأ به صدره علما في مواطن كغدير خم وغيره وهو وجوب
طاعته وانما كان الزم له من لحمه ودمه لانهما دائما في التغير والتبدل ووجوب طاعته امر لازم لنفسه لا يجوز تغيره وتبدله ونحوه

البيّن

من كتاب له الى عبد الله بن عباس

بلفظ المصدر في القلب اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق واشار بالايسر الى ان الحق الذي عليه في اللبس وراه ملتبس عداه الا الضلال واهله
لان الحق حد من تجاوزه وقع في احد طرفي الافراط والتفريط وكذلك اللبس بعد البيان الذي يتبين للشاك في امره الا الالتباس ثم
حذره الشبهة واشتمالها على لبستها والشبهة كشبهة دم عثمان ولفظ اللبسة مستعار للداخلين فيها ملاحظة لشبهها بالقميص
ونحوه وعلل تحذيره اياه ووجوب ما عوقدونها بقوله فان الفتنة الى قوله ظلمتها وهو صغرى ضمير واستعار لفظ الجلابيب
لامورها المغطية لبصائر اهلها عن الحق كالاسباب المرخاة عند ارسال جلبابها على وجوهها كذلك استعار لفظ الظلمة باعتبار التباس
الامور فيها وعدم الاهتداء الى الحق كالظلمة التي لا يهتدى فيها وشبه بذكر الاعدائي والاغشاء ثم شرع في قوله وقد اتاني كتاب من
بلغه ولما كان مداره على اللفظ والمعنى اشار الى ذم اللفظ بانه ذو افانين من القول اي انه اقوال ملفقة لا يناسب بعضها بعضا
وقوله ضعفت قواها عن السلم اي ليس لها قوة ان توجب صلحا واشار الى ذم المعنى بانه اباطيل غير محكمة النسج لا من جهة العلم اذ
علم له ولا من جهة الحلم لان الكتاب كان فيه خشونة ونفور وذلك ينافي الحلم وينافي غرضه من الصلح ولفظ الحوك مستعار
لسبك الكلام وقوله اصبح منها صفة لاساطير وحصر شبهه بالخائض والخابط لضلاله وعدم هدايته الى وجه الحق كالذي
هنيك خاطب الدهاس وخابط الديماس فيهما ثم شرع في جوابه وكان معقوده تبكيتا بان ينص عليه بالجهالة بعد ترقيه
فوق قدره وكلامه على طلب امر ليس من اهله بقوله وترقيت الى قوله العيوق ولفظ المرقبة مستعار لامر الخلافة ورشح بلفظ النزهة
والاروى الاعصم الذي يغير مسدها الانوق من شان المرقبة الشاهقة وانما خص الانوق لانها تقصد الاماكن العالية الصعبة من رؤس
الجبال فيبيض وكارها ثم صرفه عن المطلوب بتنبيه انه مستبعد ان يلي من بعده المسلمين صدرا او وردا او دخولا في امر من امورهم او
ان يجري على احد منهم له عقدا او عهدا والعقد كالنكاح والبيوع والاجارة والعهد كالبيعة والامان واليمين والذمة
اي لا يمكنه من ذلك وما انبه من المطلوب امره بتدارك نفسه بالنظر لها فيما هو مصلحتها من طاعته وتوعده على تقصيره في
ذلك بما يلزم من تقصيره من نهوض عباد الله اليه وانغلاق الامور عليه ومنعه العذر الذي هو منه الآن مقبول وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن عباس ره وقد مضى هذا الكتاب فيما تقدم بخلاف هذه الرواية اما بعد فان
العبد ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه فلا يكن افضل ما نلت في نفسك
من دنياك بلوغ لذة او شفاء غيظ ولكن ليكن اطفاء باطل واحياء حق وليكن سرورك بما قدمت
واسفك على ما خلفت وهمك فيما بعد الموت **اقول** قد سبق شرحه الا كلمات يسيرة فمنها انه نبهه على لزوم فضيلتي
العفة والحلم بالنهي عن ان يجعل بلوغ لذته من دنياه او شفاء غيظه اللذين هما طرفا الافراط والتفريط من الفضيلتين المذكورتين
افضل ما نال منها في نفسه ثم نبهه على ما ينبغي ان يكون افضل في نفسه من دنياه وهو اطفاء الباطل واحياء الحق واطلاع الطالب
تنبيه على وجه استعمال قوتي الشهوة والغضب وهو ان يكون الغرض من فعلها دفع الضرر ويفيد الحاجة ومنها انه امره في الرواية الاولى
ان يكون فرحه بما نال من آخرته وامره هنا ان يكون سروره بما قدم لنفسه من زاد التقوى وهو امر بعمل الآخرة وامره في الرواية
الاولى ان يكون اسفه على ما فات من آخرته وامره هنا ان يكون اسفه على ما خلفه اي تركه من العمل وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام الى قثم بن العباس ره وهو عامله على مكة اما بعد فاقم للناس الحج وذكرهم بايام الله واجلس لهم العصرين
فافت المستفتي وعلم الجاهل وذاكر العالم ولا يكن لك الى الناس سفير الا لسانك ولا حاجب الا وجهك ولا تحجبن
ذا حاجة عن لقائك بها فانها ان ذيدت عن ابوابك في اول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها وانظر الى ما اجتمع
عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيبا به مواضع الفاقة والخلات وما فضل
عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا ومر اهل مكة ان لا ياخذوا من ساكن اجرا فان الله سبحانه يقول سواء
العاكف فيه والباد فالعاكف المقيم به والبادي الذي يحج اليه من غير اهله وفقنا الله واياكم لمحابه والسلام **اقول**
ذيد دفع والخلة الحاجة وفيه مقاصد احدها امره باقامة الحج للناس وامامته لقيام باعماله وتعليم الجاهلين كيفيته
وحثهم عليه الثاني ان يذكرهم بايام الله اي عقوباته التي وقعت بمن سلف من المستحقين لها كي يحذروا بطاعته من امثالها
وعبر عنها بالايام مجازا اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق الثالث ان يجلس لهم العصرين اي الغداة والعشي لكونهما اطيب الاوقات
بالحجاز واشار الى اعظم فوائد جلوسه للوافدين وهي فائدة العلم وحصره وجوه حاجة اهلها اليها وامره بسد تلك الوجوه
بيان انحصار الناس اما غير عالم او عالم وغير العالم اما مقلد او متعلم طالب والعالم اما هو او غيره فهذه اقسام اربعة فوجه
حاجة القسم الاول وهو الجاهل المقلد ان يستفتي فامره ان يفتيه ووجه حاجة الثاني وهو المتعلم الجاهل ان يتعلم فامره
ان يعلمه ووجه حاجته مع الرابع وهو العالم ان يذاكره فامره بالمذاكرة له الرابع نهاه ان يجعل له الى الناس سفيرا غير

على المتعلق
بعضا
هنالكم
المفاقة

من كلام له الى سلمان الفارسي وغيره

عنه الا انه لا وجه له لان ذلك مظنة الكبر والجهل باحوال الناس التي يجب على الوالي الاحاطة بها بقدر الامكان ... (والحاجب)

... بعد هذا خبر كان الخامس نهاه ان يحتجب نفسه بحاجبه مؤكدا لما سبق ورغبه في ملاقات ذي الحاجة بضمير صغراه قوله فانها الى قوله (احدا عين)

قضائها اي لم تحمد فيما بعد وان قضيتها له وقد بين الكبرى وكل امر كان كذلك فلا ينبغي ان يحتجب صاحبه عن لقائك به ...

نوائب في اول وروده السادس امره ان يقسم المال بين المسلمين ... فلا تعرج ... الابد ومصيبا حال واضاف ... السابع امره ... عن اخذ الاجرة ممن تسكن بيوتهم ...

لذلك بالاية ... وهي صغرى ضمير ... وكلما قال ... ثم ختم بالدعاء لنفسه وله ان

يوفقهما لمحابه وهو ولي التوفيق لذلك **ومن كتاب له عليه السلام** الى سلمان الفارسي رحمة الله عليه قبل ايام خلافته

اما بعد فانما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها وضع

عنك همومها لما ايقنت به من فراقها وكن آنس ما تكون بها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمأن فيها

الى سرور اشخصته عنه الى محذور **اقول** اشخصته ازعجته ومدار الفصل على الموعظة وذم الدنيا ...

وضرب لها مثلا وذكر من وجوه التشبيه من جانب الممثل به امرين احدهما لين المس ويماثله من جانب الدنيا الرفاهية العيش

ولذاته والثاني قتل سمها ويماثله من الدنيا هلاك المتمكن في لذاتها يوم القيامة ثم امره في مقام تزهيده باوامر احدها

ان يعرض عما يعجبه منها وعلل وجوب اعراضه بقوله لقلة ما يصحبك منها وهي صغرى ضمير تقديرها ما يصحبك

منها قليل وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغي ان يعرض عنه الثاني ان يضع عنه هموم طلبها وعلل وجوب ذلك بضمير صغراه

قوله لما ايقنت من فراقها اي لانك متيقن لفراقها وتقدير كبراه وكلما تيقنت فراقه فواجب ان تضع همك عن طلبه الثالث

ان يكون آنس ما يكون بها احذر ما يكون منها وما مصدرية والنصب على الحال واحذر خبر كان اي في حال كونك آنس

بها كن احذر ما يكون منها والغرض ان يحذر منها بقدر الانس بها وعلل وجوب الحذر منها بقوله فان صاحبها الى

آخره وهو صغرى ضمير تقديرها فانها كلما اطمأن صاحبها فيها الى امر ... وتقدير كبراه وكلما كان كذلك يجب ان يحذر صاحبه

منه ولا يانس اليه فينتج فالدنيا يجب ان يحذر صاحبها منها **ومن كتاب له عليه السلام** الى الحارث الهمداني وتمسك بحبل القرآن و

استنصحه واحل حلاله وحرم حرامه وصدق بما سلف من الحق واعتبر بما مضى من الدنيا لما بقي منها فان بعضها يشبه

بعضا وآخرها لاحق باولها وكلها حائل مفارق وعظم اسم الله ان تذكره الا على حق واكثر ذكر الموت وما بعد الموت

ولا تتمن الموت الا بشرط وثيق واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكره لعامة المسلمين واحذر كل عمل يعمل

به في السر ويستحيى منه في العلانية واحذر كل عمل اذا سئل عنه صاحبه انكره او اعتذر منه ولا تجعل عرضك غرضا

لنبال القول ولا تحدث الناس بكل ما سمعت فكفى بذلك كذبا ولا ترد على الناس كل ما حدثوك به فكفى بذلك جهلا

واكظم الغيظ واحلم عند الغضب وتجاوز عند المقدرة واصفح مع الدولة تكن لك العاقبة واستصلح كل نعمة انعمها

الله عليك ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك ولير عليك اثر ما انعم الله به عليك واعلم ان افضل المؤمنين افضلهم

تقدمة من نفسه واهله وماله فانك ما تقدم من خير يبق لك ذخره وما تؤخره يكن لغيرك خيره واحذر صحابة من يفيل رايه

وينكر عمله فان الصاحب معتبر بصاحبه واسكن الامصار العظام فانها جماع المسلمين واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة الاعوان (الجفاء)

على طاعة الله واقصر رايك على ما يعنيك واياك ومقاعد الاسواق فانها محاضر الشيطان ومعاريض الفتن واكثر ان تنظر

الى من فضلت عليه فان ذلك من ابواب الشكر ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة الا فاصلا في سبيل الله او في امر تعذر

به واطع الله في جميع امورك فان طاعة الله فاضلة على ما سواها وخادع نفسك في العبادة وارفق بها ولا تقهرها وخذ عفوها (جميع - هامش)

ونشاطها الا ما كان مكتوبا عليك من الفريضة فانه لا بد من قضائها وتعاهدها عند محلها واياك ان ينزل بك الموت

وانت آبق من ربك في طلب الدنيا واياك ومصاحبة الفساق فان الشر بالشر ملحق ووقر الله واحبب احباءه واحذر الغضب

فانه جند عظيم من جنود ابليس **اقول** هذا الفصل من كتاب طويل اليه وقد امره فيه باوامر ونهاه عن نواه مدارها على تعليم مكارم

الاخلاق ومحاسن الآداب احدها ان يتمسك بحبل القرآن ولفظ الحبل مستعار كما سبق واراد لزوم العمل به الثاني ان يستنصحه اي

يتخذه ناصحا له بحيث يقبل امره ومشورته لانه يهدي الى الحق والى صراط مستقيم الثالث ان يحل حلاله ويحرم حرامه وذلك ان يعتقد ما

فيه من الحلال والحرام حلالا او حراما ويقف عند اعتقاده ويعمل بمقتضاه الرابع ان يصدق بما سلف من الحق مما حكاه القرآن الكريم من

احوال القرون الماضية واحوال الانبياء مع اممهم ليحصل منه الاعتبار الخامس ان يعتبر بما مضى من الدنيا بما بقي منها ويقيسه به فيجعل ما مضى اصلا

وما بقي فرعا ... والقدر المشترك بينهما ... وكونها مظنة التغير والزوال فيحكم في الفرع بحكم الاصل من وجوب الزوال وقد نبه على

المشترك

من كلام له الى الحرث الهمداني

الجزو ٢

المشاركة بقوله فان بعضها اشبه بعضا وعلى ما يلزم ذلك من الفزع بقوله واخرها لاحق باولها وكلها حائل اى زائل مفارق السادس ان يعظم اسم الله ويكبره ان يذكره خالفا الا على حق السابع ان يكثر ذكر الموت وما بعده فان في ذكرهما اعظم واعظ واشد زاجر عن الدنيا الثامن نهاه ان يتمنى الموت الا بشرط وثيق من نفسه ويطمئن لنيه في طاعة الله ولا يثقاة ان عنيه بدون ذلك سفه وحمق التاسع امره ان يحذر كل عمل يرضاه لنفسه ويكره للمسلمين وهو في المعنى نهى عن الاستيثار عليهم بالخيرات وهو كقوله ودا الناس ما تريد لنفسك واكره لهم ما تكره لها العاشر ان يحذر ما يعمله في السر ويستحى منه في العلانية والاشارة الى معاصى الله ومفارقة الدنايا من المباحات وكذلك كل عمل من شانه ان ينكره اذا سئل عنه ويعتذر منه الحادى عشر ان يحفظ عرضه ونهاه ان يجعله عرضا وتستعار لفظ الغرض والنبال لما يرمى به من القول وقد بين وجه الاستعارة الثانى عشر ان يحدث الناس بكل ما سمع على وجه ان يقول كان كذا وكذا دون ان يقول سمعت ما لنا يقول كذا فان بينهما فرقا ولذلك قال وكفى بذلك كذبا لا احتمال ان يكون ما سمع في نفس الامر كذبا فيكون قد كذب في قوله كان كذا وقوله سمعت كذا لا يكون كذبا الا على وجه خفى الثالث عشر ان يرد كل ما يحدث به الناس ويفيد له التكذيب لا الانكار لاحتمال ان يكون حقا فيحصل من انكاره جهل الحق وقوله فكفى في الوصفين صغرى ضمير تقدير كبرى الاول وكلما كفى به كذبا فينبغى ان لا يحدث به وتقدير كبرى الثاني وكلما كفى به جهلا وجب ان لا يرد الرابع عشر ان يكظم الغيظ والحلم والتجاوز والصفح وهى فضايل تحت ملكة العفة وشرطها بوجود الغضب والقدرة والدولة لتسمى حلما وتجاوزا وصفحا والا لم يصدق عليها الاسم وقوله تكن لك العاقبة اى العاقبة الحسنة من ذلك وهى صغرى ضمير تقدير كبرها فان فاعل هذه الخصال يكون له العاقبة وتقدير الكبرى وكلما كانت له العاقبة الحسنة منها فيجب فعلها الخامس عشر ان يستصلح كل نعمة انعم الله عليه بها ومدار الشكر السادس عشر ان لا يضيع من نعم الله نعمة اى بالقصور من الشكر والغفلة عنه السابع عشر ان يظهر اثر نعمة الله تعم عليه بحيث يراها الناس فظهور اثرها عليه واظهارها على نفسه وذويه وصرف فاضلها الى اهل الاستحقاق واعلم بدليل وجوب ذلك من تعيين احدهم قوله ان افضل المؤمنين افضلهم تقدمة اى صدقة تقدمها من نفسه وقوله وانفعا له واموالهم ومن اهله كذلك وهو حث له ان يجعل نفسه من افضل المؤمنين بالقدمة الثانى قوله وانك الى قوله خيره اى ما تقدمه وتوخره من المال وتخلفه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما ازاقدمته كان لك ذخرا واذا اخرته كان لغيرك خيره فواجب عليك تقديمه الثامن عشر ان يحذر مصاحبة من يفيل رايه وينكر عمله لسوء وعلل ذلك بالحذر بقوله فان الى قوله بصاحبه اى فانك تنسب فعلك الى فعله ولان الطبع مع الصحبة اطوع للفعل منه للقول فلو صحبه لتشابه فعله فعله التاسع عشر ان يسكن الامصار العظام والغرض الجمعية على دين الله كقوله صلى الله عليه وآله عليكم بالسواد الاعظم ولذلك علل بكونها جماع المسلمين اى مجمعهم واطلق اسم الصلة على المكان مجازا وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغى ان يختص بالسكنى العشرون ان يجتنب منازل الغفلة والجفاء والاعلى على طاعة الله الحادى والعشرون ان يقصر رايه على ما يعنيه فان فيه شغلا عما لا يعنيه فيجاوزه اليه سفه الثانى والعشرون ان يحذر مقاعد الاسواق واشار الى وجه المفسدة بقوله فانها الى قوله الفتن ومعنى كونها محاضر الشيطان كونها مجمع الشهوات ومحل الخصومات التى مبدؤها الشيطان ومعاريض جمع معرض وهو محل عروض الفتن والكلام صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا يجوز العقود فيه الثالث والعشرون ان يكثر نظره الى من هو دونه ممن فضل عليه فانه التميز وعلل ذلك بقوله فان الى قوله الشكر ووجه كونه بابا للشكر انه يكون سببا للالتفات الى نعمته وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان من ابواب الشكر فواجب ملازمته الرابع والعشرون ان لا يسافر في يوم الجمعة الا ان يكون في جهاد او عذر واضح وسره ان صلوة الجمعة عظيمة في الدين وهو محل التناهى والعبادة فموضعه للتسفر وضع للشئ في غير موضعه الخامس والعشرون ان يطيع الله في جميع اموره ورغب فيها بضمير صغراه قوله فان الى قوله سواها وتقدير كبراه وكلما فضل ما سواه فالاولى لزومه وايثاره على ما سواه السادس والعشرون ان يخادع نفسه في العبادة فانه لما كان من شان النفس اتباع الهوى وموافقة الطبيعة مثال الخرق ان تخادع عن ما لوقها الى غيره تارة بان يذكر الوعد وتارة الوعيد تارة الطبيعة ومثال الخرق ان تخادع عن ما لوفها الى غيره تارة بان يذكر الوعيد وتارة بالاستشهاد بمن هو دونها ممن شمر في عبادة الله وتارة باللوم لها على التفريط في جنب الله فاذا سلك بها فينبغى ان يكون بالرفق من غير قهرها على العبادة لكون ذلك داعية الملال والانقطاع كما اشار اليه سيد المرسلين ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى بل تاخذ منها عفوها ونشاطها في العبادة الا الفريضة فانه لا يجوز المساهلة فيها السابع والعشرون حذره ان ينزل به الموت حال ما هو ابق من ربه واستعار له الاباق باعتبار خروجه عن امره ونهيه عن طلب الدنيا الثامن والعشرون ان يحذر صحبة الفساق وفرع عن ذلك بضمير صغراه قوله فان الشر بالشر ملحق اى فانه يصيرك شريكهم لان القرين بالقرين يقتدى وتقدير كبراه وكلما صيرك شريكهم فلا يجوز فعله التاسع والعشرون ان يجمع بين توقير الله وتعظيمه وبين محبة احبائه واوليائه وهما اصلان متلازمان الثلثون ان يحذر الغضب وفرع عنه بقوله فانه الى الجنود ومعنى كونه جندا له لانه من اعظم ما يدخل به على الانسان فيهلكه ويصير في تصريفه كالملك الداخل بالجند العظيم على المدينة

منها م

فمنه م

فيه م

من كتاب له الى سهل بن حنيف وغيره

وهو صغرى ضمير تقديره وكبراه وكل ... وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى سهل بن حنيف الانصاري
وهو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية أما بعد فقد بلغني أن رجالا ممن قبلك يتسللون الى معاوية فلا تأسف
على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم فكفى لهم غيا ولك منهم شافيا فرارهم من الهدى والحق وإيضاعهم الى العمى
والجهل وإنما هم أهل الدنيا مقبلون عليها ومهطعون اليها قد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه وعلموا أن الناس عندنا
في الحق أسوة فهربوا الى الأثرة فبعدا لهم وسحقا إنهم والله لم ينفروا من جور ولم يلحقوا بعدل وإنا لنطمع في هذا الأمر أن يذلل
الله لنا صعبه ويسهل لنا حزنه إن شاء الله والسلام عليك **أقول** التسلل الذهاب واحدا بعد واحد والإيضاع الإسراع وكذا الإهطاع
الأثرة الاستبداد وقوله أما بعد الى قوله معاوية إعلام له بحالهم وقوله فلا تأسف الى قوله مددهم تسلية له عما فاته من عددهم ومددهم
وقوله فكفى الى قوله بعدل السند راجع عن الأسف الى فرارهم بذكر معايبهم ضمير صغراه الأول منهما قوله فكفى الى قوله والجهل وتقدير كبراه
وكل من كان كذلك فلا يجوز الأسف عليه وفرارهم فاعل كفى وغيا وشافيا تمييز وصغرى الثاني قوله وإنما هم أهل الدنيا أي كان شأنهم ذلك
وعرفوا العدل عندنا وعلموا استواء الناس عندنا في الحق فهربوا الى الاستبداد والاستبداد عند معاوية وتقدير كبراه وكل من كان
بهذه الحال فلا يجوز الأسف عليه ولذلك دعا عليهم بالبعد والسحق وهما مصدران وضعا للدعاء ثم أقسم أنهم لم ينفروا من جور منه
ولم يلحقوا بعدل من معاوية لينبه على صدره لأحوالهم التي هربوا لأجلها ثم وعده بما يطمع فيه من الله تعالى من تذليل ما صعب من أمر الخلافة لهم
وتسهيل حزنه بمشيئته سبحانه **ومن كتاب له عليه السلام** الى المنذر بن الجارود العبدي وقد كان استعمله على بعض النواحي فخان
الأمانة أما بعد فإن صلاح أبيك غرني منك وظننت أنك تتبع هديه وتسلك سبيله فإذا أنت فيما رقي الي عنك لا تدع لهواك
انقيادا ولا تبقي لآخرتك عتادا تعمر دنياك بخراب آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ولئن كان ما بلغني عنك حقا لجمل أهلك
وشسع نعلك خير منك ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يسد به ثغر أو ينفذ به أمر أو يعلى له قدر أو يشرك في أمانة أو
يؤمن على خيانة فأقبل الي حين يصل اليك كتابي هذا إن شاء الله قال السيد رحمه الله والمنذر بن الجارود هذا هو الذي قال فيه
أمير المؤمنين عليه السلام إنه لنظار في عطفيه مختال في برديه تفال في شراكيه يعني أنه ينفض التراب من شراكيه اذا أصابهما الغبار **أقول**
العتاد العدة والشسع سير بين الإصبعين في النعل العربي ومدار الفصل على توبيخه بخيانته فذكر سبب غروره وهو قياسه في الصلاح
على أبيه الجارود العبدي في أنه يتبع ما كان عليه من الهدى ثم ذكر ما رقي اليه عنه من القوادح وهي أربعة أو خمسة أحدها انقياده لهواه في كل
ما يقوده اليه الثاني إعراضه عما يفيده لآخرته من صالح الأعمال الثالث كونه يعمر دنياه بما يستلزم خراب آخرته من تناول الحرام الرابع
كونه يصل عشيرته بما يقطع دينه من ذلك وداعي التعجيز في هذين ثم أخذ في توبيخه والحكم بنقصانه وحقارته عن ما نسب اليه و
ذلك بتفضيل جمل أهله وشسع نعله عليه وجمل الأهل مما يمثل به في الهوان وأصله فيما قيل أن الجمل يكون لأب القبيلة فيصير
لهم ثم فيركب كل منهم ويصرفه في حاجته فهو ذليل حقير بينهم ثم حكم في معرض توبيخه من كان بصفته أنه لا يصلح لولاية عمل من أعمال الوالي وعي
في القرائن الأربع السجع المتوازي فالعدد بإزاء الأمر والخيانة بإزاء الأمانة وإنما قال ويشرك في أمانة لأن الخلفاء أمناء الله في بلاده
فمن ولوه من قبلهم فقد أشركوه في أمانتهم وقوله أو يؤمن على خيانة أي حال خيانته لأن كلمة على تفيد الحال ثم بعد توبيخه استقدمه عليه
عن الله والذي حكاه السيد رحمه الله من وصف أمير المؤمنين عليه السلام له فكناية عن تكبره والنفل في التراب نفخ الغبار عنه والكناية مناسبة للكتاب
لاشتمالها على العجب وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى عبد الله بن العباس رحمه الله أما بعد فإنك لست بسابق أجلك ولا
مرزوق ما ليس لك واعلم بأن الدهر يومان يوم لك ويوم عليك وأن الدنيا دار دول فما كان منها لك أتاك على ضعفك وما كان
منها عليك لم تدفعه بقوتك **أقول** الفصل موعظة ونبهه فيها على أمور أحدها أنه لا يسبق أجله وذلك أن الأجل هو الوقت
الذي علم الله أن زيدا يموت فيه لم يمكن أن يموت زيد دونه لأن ذلك يستلزم انقلاب علم الله جهلا وأنه محال الثانية ولا مرزوق ما ليس
له أي ما علم الله أنه ليس رزقا له فمحال أن يرزقه لما بيناه الثالثة ليعلم أن الدهر يومان يوم له وهو اليوم الذي له فيه المنافع كاللذة
وكالأمنيات ويوم عليه وهو ما يكون عليه فيه المضرة كالألم وما يستلزمه وذلك معنى كون الدنيا دار دول كما قال تعالى وتلك الأيام نداولها
بين الناس الرابعة أعلمه أن ما كان له من خير الدنيا أتاه على ضعفه فإن كان أمرا كليا ليعلم الله سبحانه بأنه يصل اليه وكذلك ما كان عليه
من شرها لم يتمكن من دفعه وإن كان قويا وذكر الضعف والقوة ليعلم استناد الأمور والأرزاق الى الله تعالى حكيم هو معطيها ومسبب
أسبابها وناظم وجودها ومقسم آجالها ومعطي كل منها ما استعد له من خير أو شر فقد يحصل الضعيف الحيوان ويرزق رزقا واسعا
ويكون ضعفه من الأسباب المعدة لسعة رزقه وبالعكس قد يحصل له القوة فتكون من أسباب الحرمان والله من ورائهم محيط وهو الرزاق ذو
القوة المتين **ومن كتاب له عليه السلام** الى معاوية أما بعد فإني على التردد في جوابك والاستماع الى كتابك لموهن رأيي ومخطئ
فراستي وإنك إذ تحاولني الأمور وتراجعني السطور كالمستثقل النائم تكذبه أحلامه والمتحير القائم يبهظه مقامه ...

لا يدري

اله ما يأتي

في حلف له كتبه بين اليمن وربيعة

المسطور كالمستثقل النائم تكذبه احلامه او المتحير القائم يبهظه مقامه لا يدري اله ما يأتي ام عليه ولست به غير انه بك شبيه واقسم بالله لولا بعض الاستبقاء لوصلت اليك مني قوارع تقرع العظم وتهلس اللحم واعلم ان الشيطان قد ثبطك عن ان تراجع احسن امورك وتأذن لمقال نصيحتك **اقول** موهن مضعف ويبهظه اثقله والقوارع الشدائد وهلس اللحم ذهب به ويحبه ونقره منه النهس وثبطه عن كذا شغله ومدار الفصل على منافرته وتوبيخه فقوله اما بعد فقد آن اي ضعف رأيي وقرب منك لغلبة ظني ان مكاتبتك وجوابك لا فائدة فيه ثم شبهه في محاولته امر الشام وما يحتاج عمرو عنك من حبل امر الخلافة فيه وبعده ومرجعيته المسطور اي الكتب في ذلك بالمستثقل في النوم العريق فيه وانتصب المسطور بحذف الجار مثلي اولئا واشار الى وجه الشبه بقوله تكذبه احلامه واراد ان تخيلاته واما يتمنى وصول هذا الامر اليه تخيلات كاذبة صادرة عن جهل غالب كالاحلام الكاذبة للمستغرق في نومه اذا استيقظ لم يجد منها شيئا وكذلك شبهه بالمتحير القائم واشار الى وجه الشبه بقوله يبهظه الى قوله عليه وبيانه ان معاوية متحير في هذا الامر في تحصيله متهور في طلبه مع جهله بعاقبة سعيه هل هي خير او شر كالقائم المتحير في الامر يتعب بطول مقامه ولا يعرف غاية من قيامه ثم لم يرض له بذلك التشبيه بل زاد مبالغة في غفلته ونومه في مرقد طبيعته وحيرته فقال ولست به اي لست نفس هذا الشبيه بل يكون مواصلا لك في الشبه غير انه بك شبيه اي انك اصل له في ذلك الشبه ثم اقسم لولا بعض الاستبقاء اي على الامور المصلحية لوصلت اليه منه قوارع واراد بها الحروب وكنى عن شدتها بكونها تقرع العظم وتهلس اللحم ثم اعلمه بمعرض توبيخه ان الشيطان قد ثبطه عن مراجعة احسن اموره وهو الدخول في طاعته وترك الفتنة وان يأذن اي يصغي انه لمقال نصيحته وهو جذب له اليهما بتنبيه تركه لهما الى تثبيط الشيطان وبالله التوفيق

ومن حلف له عليه السلام كتبه بين اليمن وربيعة نقل من خط هشام بن الكلبي هذا ما اجتمع عليه اهل اليمن حاضرها وباديها وربيعة حاضرها وباديها انهم على كتاب الله يدعون اليه ويأمرون به ولا يشترون به ثمنا قليلا ولا يرضون به بدلا وانهم يد واحدة على من خالف ذلك وتركه انصار بعضهم لبعض دعوتهم واحدة لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستذلال قوم قوما ولا لمسبة قوم قوما على ذلك شاهدهم وغائبهم وحليمهم وجاهلهم ثم ان عليهم بذلك عهد الله وميثاقه ان عهد الله كان مسؤولا وكتب علي بن ابي طالب **اقول** الحلف العهد وبيته نكث الاولى قوله هذا مبتدأ وما موصوله وهي صفة المبتدأ او خبره انهم ويجوز ان يكون هذا مبتدأ خبره ما اجتمع عليه ويكون قوله انهم تفسيرا لهذا كانه قال اما الذي اجتمعوا عليه فقيل على انهم على كتاب الله اي اجتمعوا على ذلك فخبر انهم وعلى كتاب الله ويدعون حال والعامل متعلق الجار وحاضرها وباديها من اهل اليمن وكذلك من ربيعة الثانية كونهم لا يشترون به ثمنا كناية عن ان وضعهم للعمل به لنا الكثرة قوله وانهم يد واحدة اي متعاونون على من خالفه فاطلق اسم اليد على التعاون مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب وانصار خبر ثان لان وبعضهم فاعل ويجوز ان يكون بعضهم مبتدأ خبره انصار الرابعة قوله ولا لمسبة قوم قوما اي لا ينقضون عهدهم لكون القبيلة الاخرى استذلت قومهم او سبتهم وروى لمشية قوم قوما اي كلامهم وفي رواية كتب علي بن ابو طالب وهي المشهورة عنه ووجهها انه جعل هذه الكنية علما بمنزلة واحدة لا يتغير اعرابها

ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية من المدينة في اول ما بويع له بالخلافة ذكره الواقدي في كتاب الجمل من عبد الله علي امير المؤمنين الى معاوية بن ابي سفيان اما بعد فقد علمت اعذاري فيكم واعراضي عنكم حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له والحديث طويل والكلام كثير وقد ادبر من ادبر واقبل من اقبل فبايع من قبلك واقبل الي في وفد من اصحابك **اقول** الوفد الوارد على الملك واعذاري اعذاره فيهم الى الله اي اظهار عذره وذلك باجتهاده في نصيحة عثمان اولا ونصرته ثانيا واعراضه عنهم بعد يأسه من قبول عثمان لنصيحته وعجزه عن نصرته والدفع عنه حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له من قتله ثم قال والحديث طويل والكلام كثير في امره ومن قتله وقوله وقد ادبر الى قوله اقبل يحتمل ان يكون اخبارا له بان بعض الناس ادبر عنه كطلحة والزبير ومن تابعهما وبعضهم اقبل عليه ويحتمل ان يكون انشاء اي فقد دخل في الادبار من ادبر عني ودخل في الاقبال من اقبل علي ثم امره ان يبايع له من قبله من الجماعة ويقبل اليه ويحتمل ان يكون الضمير في قوله فيكم وعنكم خطابا لمعاوية وسائر المسلمين على سبيل العتب والشكوى اي قد علمت اني اعذرت فيكم حيث لم اعاجل مسيئكم بالعقوبة واعرضت عنكم حتى كان ما كان من خروج طلحة والزبير ومن تابعهم ما لا بد من وقوعه منهم ولا دفع له والحديث في شانهم طويل والكلام في شبههم كثير وقد ادبر من ادبر اي هؤلاء الخارجون واقبل من اقبل وتمام الكلام بحاله والله اعلم

ومن كتاب له عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه اياه على البصرة سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك واياك والغضب فانه طيرة من الشيطان واعلم ان ما قربك من الله يباعدك من النار وما باعدك من الله يقربك من النار **اقول** الطيرة فعلة من الطيران ويستعمل في الخفة وما لا ثبات له وروي طيرة من التطير وهو التشأم وقد امره هنا بامور احدها ان يسع الناس بوجهه وكنى بذلك عن البشر والطلاقة وبمجلسه وهو كناية عن التواضع وبحكمه وكنى به عن العدل لان الحكم العدل يسع كل احد والجور يضيق لا يحمله الكل الثاني تحذيره من الغضب وقوله فضيلة المبالغة بالحلم وتعقبه بقوله فانه

ظهوره من الشيطان اى خفة ينشأ من الشيطان لو اتمّ ما يتشأم الناس بصاحبه ويكرهه ونسبه الى الشيطان لينفر عنه واراد الغضب المذموم
وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فواجب ان يجتنب ثم رغب فيما يقربه من الله بما يستلزمه من كونه مباعداً له من النار و
نفّره عما يبعده من الله بما يستلزمه من كونه مقرباً له الى النار وهما صغريا ضميرين تقدير كبرى الاول منهما وكل ما باعدك من النار
فواجب اخذه وتقدير كبرى الثاني وكل ما يقربك من النار فواجب ان يجتنب وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلام**
لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج لا تخاصمهم بالقرآن فان القرآن حمّال ذو وجوه تقول ويقولون
ولكن حاججهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصاً **أقول** المحيص المعدل وقد نهاه ان يحاجهم بالقرآن ونبهه على ذلك
بضمير صغراه قوله فان القرآن الى قوله ويقولون اى ان الايات التي يمكنه الاحتجاج بها غير ناصة في المطلوب بل لها الفاظ وتاويلات
محتملة يمكنهم ان يتعلقوا بها عند المجادلة وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فلا يتم الغرض به في مخاصمتهم ثم امره ان يحاجهم
بالسنة ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانهم لا يجدون عنها معدلاً لكونها ناصة في المطلوب كقوله ص حربك يا علي حربي
ونحوه وتقدير الكبرى وكل ما لم يجدوا عنه معدلاً فالاولى محاجتهم به وقد اشرنا من قبل الى مجادلة ابن عباس **ومن كتاب**
له عليه السلام اجاب به ابا موسى الاشعري عن كتاب كتبه اليه من المكان الذي اقعدوا فيه للحكومة وذكر هذا الكتاب
سعيد بن يحيى الاموي في كتاب المغازي اما بعد فان الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم فمالوا مع الدنيا و
نطقوا بالهوى واني نزلت من هذا الامر منزلاً معجباً اجتمع به اقوام اعجبتهم انفسهم فاني اداوي منهم قرحاً اخاف ان
يعود علقاً وليس رجل فاعلم احرص على جماعة امة محمد صلى الله عليه وآله والفتها مني ابتغي بذلك حسن الثواب و
كرم المآب وسأفي بالذي وأيت على نفسي وان تغيرت عن صالح ما فارقتني عليه فان الشقي من حرم نفع ما اوتي
من العقل والتجربة واني لأعبد ان يقول قائل بباطل او ان افسد امراً قد اصلحه الله فدع ما لا تعرف فان شرار
الناس طائرون اليك باقاويل السوء **أقول** العلق الدم الغليظ ووأيت وعدت وعبد استنكف واغضب وقوله فان
الناس الى قوله حظهم اى الحظ الذي ينبغي لهم من الدين والهدى وقوله فمالوا الى قوله الهوى بيان لانواع تغيرهم وقوله واني
نزلت من هذا الامر اى امر الخلافة منزلاً معجباً وهو الحال التي انتهى اليها امر اصحابه وصارت محل التعجب منها وكيف صار محكوماً
لهم في قبول الحكومة والرضى بالصلح وغيره وقوله اجتمع به اقوام صفة منزل اى ان هذا المنزل الذي انا فيه من هذا الامر قد اجتمع
معي وشاركوني فيه اقوام اعجبتهم انفسهم وآراؤهم فافسدوا على الامر فانا اداوي منهم قرحاً واستعار لفظ القرح لما افسدوا من حاله
باجتماعهم على التحكيم ولفظ المداواة لاجتهاده في اصلاحهم ورد آرائهم وكذلك استعار لفظ العلق لما يخاف من تفاقم امرهم في حاله
انه ليس رجل احرص منه على الفة جماعة محمد ص للغرض المذكور وقوله فاعلم اعتراض حسن بين ليس وخبرها ورجل يفيد العموم وان
كان مفرداً نكرة لكونه في سياق النفي على ما بين في اصول الفقه ثم اخبره انه سيفي بما وعد على نفسه من شرط الصلح على ما وقع عليه
وتوعده بلزوم الشقاوة ان تغير عن صالح ما فارقه عليه من وجوب الحكم بكتاب الله وعدم اتباع الهوى والاغترار بقرار من
الاشرار بقوله فان الشقي من حرم نفع ما اوتي من العقل والتجربة بذلك الى انه ان خدع او تغير عما راه فقد حرم نفع عقله
وسابقة تجربته فلزمه الشقاوة ثم نبهه على انه انف من قول الباطل وان يفسد امراً اصلحه الله به وهو امر الدين ليحذر من غضبه
بلزوم الحق والصدق وتحفظ جانب الله في حقه واكد ذلك بقوله فدع ما لا تعرف اى من الحكم في هذه القضية بالشبهة وقوله فان
شرار الناس الى آخره اراد عمرو بن العاص ونحوه فيما كان يسرع بالقائه اليه من الوساوس والشبه الكاذبة التي هي اقاويل السوء
ومن كتاب له عليه السلام لما استخلف الى امراء الاجناد اما بعد فانما اهلك من كان قبلكم انهم منعوا الناس الحق
فاشتروه واخذوهم بالباطل فاقتدوه **أقول** نفرهم عن منع الحق اهله ومعاملتهم للناس بالباطل بذكر ان ذلك هو سبب هلاك
من كان قبلهم من الامم وقوله فاشتروه اى فباعوه وتعوضوا عنه بالباطل لما منعوا منه كقوله ثم وشروه بثمن بخس وكذلك قوله واخذوهم بالباطل اى حملوا
غيرهم عليه فانهم معهم بالباطل فاقتدوه اى اقتدوا بالباطل فيهديهم اقتدوه وبالله التوفيق تم باب الكتب والوصايا والعهود والحمد لله وحده

باب المختار من حكم امير المؤمنين عليه السلام ومواعظه ويدخل في ذلك المختار من اجوبة مسائله والكلام القصير

الخارج في سائر اغراضه قال عليه السلام كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب **أقول** ابن اللبون ولد الناقة
اذا استكمل سنتين ودخل في الثالثة لان امه على الاغلب قد وضعت ولداً غيره فهي ذات لبن وقد امر اصحابه في زمن الفتنة بالتشبه
بابن اللبون واشار الى وجه الشبه بقوله لا ظهر الى آخره واراد ان يكون في زمانها خامل الذكر ضعيفاً غير مستكثر من المال كيلا يطمع
في معاونة الظالمين بنفسه ولا بماله ولا ينتفع به في الفتنة كابن اللبون لا ينتفع بظهره ولا لبنه وظهر مستند الحكم محذوف تقديره

له وبركب

باب المختار من حكم امير المؤمنين ع

له ويركب عطفه على الجملة ودنيء منصوباً باضمار ان في جواب النفي وكذا قوله فيجلب **قال ع** احدى وعشرين كلمة من ادب
والحث على مكارم الاخلاق وهي قوله ازرى بنفسه من استشعر الطمع وهو تنفير عن الطمع المضاد لفضيلة القناعة بذكر ما يستلزم
من التهاون بالنفس والازراء بها وذلك ان الطمع بما في ايدي الناس يستلزم الحاجة اليهم والخضوع لهم وهو يستلزم الهوان عليهم
وسقوط المنزلة واستعار وصف الاستشعار ملاحظة الطمع ومباشرته للقلب كالشعار للجسد الثانية قوله ورضي بالذل من كشف
ضره وهو ايضا تنفير للانسان عن شكاية فقره وضره للناس بذكر ما يلزم ذلك من الذلة والرضى بها الثالثة وهانت عليه نفسه
من امر عليها لسانه وهو تنفير للانسان عن الاكثار في القول من غير تدبر وبغير رجوع لعقله بما يلزم ذلك من هوان نفسه عليه لما
في الدنيا فلان فلتات القول قد يكون سببا للهلاك واليه اشار القائل احفظ لسانك ايها الانسان لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الاقران واما في الآخرة فلقوله صلى الله عليه وآله وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا
حصائد السنتهم ولا هوان لنفس الانسان عليه اعظم من هلاكها واستعار وصف التامير لتسليط اللسان على ما يؤدي بالنفس
من غير مراجعتها فكانها صارت محكومة له الرابعة قوله والبخل عار وذلك لانه رذيلة التفريط من فضيلة الكرم وبقدر حمد الانسان
على الكرم يكون ذمه وتعييره برذيلة البخل الخامسة والجبن منقصة لانه رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة التي هي احد من الكمالات
النفسانية كان الجبن رذيلة ومنقصة السادسة والفقر يخرس الفطن عن حجته وذلك لكونه مذلة وله في النفس وقع عظيم باستشعار
والفتور والانفعال عن الغير وسبب كل ذلك تصور العجز وتوهم القصور بسبب عدم المال عن مقاومة الخصم فيحصل الخوف من الكلام
والحق وان كان صاحبه فطنا واستعار لذلك وصف الخرس ملاحظة لشبهه بالساكت السابعة والمقل غريب في بلدته اي الفقير
واستعار له لفظ الغريب باعتبار عدم التفات الناس اليه وقلة الاعوان والاخوان له لا قل له فهو كالغريب الذي لا يعرف
الثامنة والعجز آفة والعجز هنا مهمل يحتمل العجز البدني وهو عدم القدرة على التصرفات البدنية عما من شانه ان يقدر ويحتمل العجز
النفساني وهو عدم القدرة على مقاومة الهوى ودفعه والاول آفة بدنية ونقصان فيه والثاني آفة في العقل ونقصان فيه التاسعة
والصبر شجاعة الصبر فضيلة تحت العفة ترسم بانها مقاومة الهوى لئلا ينقاد الى قبائح اللذات وهو جهاد مع النفس الامارة
يستلزم فضيلة الشجاعة فلذلك حمل اللازم على ملزومه العاشرة والزهد ثروة وهو فضيلة تحت العفة ويرسم باعراض النفس
عن متاع الدنيا وطيباتها ولما كانت الثروة في العرف عبارة عن الغنى بالمال وكثرته استعار لفظها للزهد لشبهه بها في
استلزامهما الغنى وعدم الحاجة الحادية عشرة والورع جنة وحقيقة الورع لزوم الاعمال الجميلة فلذلك استعار له لفظ الجنة لشبهها
في الوقاية من عذاب سخط الآخرة ومن كثير اصابات النفس بتوبيخ كما تحفظ بالترس وغيره من المصالح الثانية عشرة ونعم القرين الرضا
وقد علمت ان الرضا بقضاء الله وما نزل به القدر باب عظيم من ابواب الجنة وغاية من الكمالات الفاضلة وظاهر انه نعم القرين في
الدنيا والآخرة الثالثة عشرة والعلم وراثة كريمة وهو فضيلة النفس العاقلة وهو اشرف الكمالات الانسانية وبحسب ذلك كان عدّه في كريمه
من العلماء بل كان اكرم موروث ومكتسب واراد الوراثة اللغوية كقوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب اي في العلم
والحكمة الرابعة عشرة والآداب حلل مجددة واراد الآداب الشرعية ومكارم الاخلاق واستعار لها لفظ الحلل المجددة باعتبار دوام
زينة الانسان بها وتجدد بهائه وحسنه ونفاسته على استمرار الزمان بلزومها واستخراج محاسنها كالحلل الجدد الابراد
تجدد على لابسها الخامسة عشرة والفكر مرآة صافية الفكر قد يراد به القوة المفكرة وقد يراد به حركة هذه القوة ولما كانت حركة
كانت وقد يراد به معنى آخر وعلى هذا القوة نفسها واستعار لها لفظ المرآة باعتبار انها اذا وجهت نحو تحصيل المطالب المعقولة
بالقصد يقتنص امورا كلية وتنتقل بها كما يتمثل في المرآة صور ما يحاذى بها السادسة عشرة وصدر العاقل صندوق سره استعار
ملاحظة لفظ صندوق الصدر باعتبار حفظه كما يحفظ الصندوق ما فيه وهو في المعنى امر للانسان بكتمان سره وعبر عن ذلك
بذكر العاقل فكانه قال العاقل من جعل صدره صندوق سره وحفظه السابعة عشرة البشاشة حبالة المودة واستعار لها لفظ
الحبالة باعتبار اقتناص الانسان بها الناس واستمالتهم الى صداقته ومحبته كحبالة الصائد التي يقتنص بها الطير الثامنة
عشرة الاحتمال قبر العيوب اراد احتمال المكروه والاذى من الاخوان وسائر الناس وهو فضيلة عظيمة تحت الشجاعة واستعار له
لفظ قبر العيوب باعتبار ستره لمعايب صاحبه عند الناس كما يستر القبر ما فيه من جيفة الميت قال السيد ره وروي انه قال في
العبارة عن هذا المعنى ايضا المسالمة خبأ العيوب قال المؤلف الخباء واحد الاخبية بيت من وبر او صوف ولا يكون من شعر ويكون
على عمودين او ثلاثة وما فوق ذلك فهو بيت والمسالمة فضيلة تحت العفة استعار لها لفظ الخباء باعتبار انها فضيلة تخفيف
المحبة وتستلزم سكوت الناس عن المعايب وسترها كالخباء وبين استلزامها ستر العيوب باستلزام نقيضها وهو المخاصمة
وعدم المسالمة لتوثب الطباع على ذكر المعايب وابرازها الغرض الاهانة والتبكيت التاسعة عشرة ومن رضي عن نفسه كثر الساخط

في مواعظ ونصائح

عليه منهم التي تأتي لذة الاعتقاد كان نفسه بزعمها فوق قدرها والحاسد يعتقد ويتكبر المفضل له والناظر عليه قد شرب ور
الضد فهو دواء منجح استعار لفظ الدواء النافع للصدقة لمشابهتها الدواء اما في الدنيا فلقوله صلعم داووا مرضاكم بالصدقة وذلك
لانها تستجلب الهمم وتطابق القلوب على محبة المتصدق والرغبة الى الله تعالى في رفع المكاره عنه لبقائه فيكون ذلك سبب
الشفاء كالدواء واما في الاخرة فلانها سبب لدفع المكاره الاخروية كما سبق بيانه لجاذبة تكفير وقوله واعمال العباد نصب اعينهم في
اي ظاهرة فانها في اعينهم وشرح ذلك ما علمته من كون النفوس ما دامت في الدنيا فهي منتقشة بملكات الخير والشر لكنها في اغشية من
الهيئات البدنية تحجب عن ادراك الامور كما هي فاذا زالت تلك الاغشية بالمفارقة انكشفت لها الامور فادركت ما عملت
من خير وما استعدت له من شر كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وكما قال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا الاية **وقال عليه السلم** اعجبوا لهذا الانسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس من خرم نبه على لطف خلق الانسان
ببعض اسرار حكمة الله فيه وغايته من ذلك الاستدلال على حكمة صانعه وعظمته وذكر اربعة من محال النظر والاعتبار وهي البصر
والكلام والسمع والتنفس وخصها بالذكر لكونها مع ضعفها اصول يتوقف وجود الانسان على شرفه وعلو رتبته في المخلوقات الا انها
ليكون ذلك محل التعجب والاعتبار لطف الصانع الحكيم واراد بالشحم الذي ينظر به الرطوبة المسماة في عرف الاطباء بالبيضية والرطوبة الجليدية
فان العين مركبة من سبع طبقات وثلث رطوبات كل منها يختص في عرفهم باسم وعنى باللحم اللسان فانه لحم ابيض رخو تلتف به عروق صغار
فيها دم ولذلك يتبين احمر ويحته عروق وشرايانات واعصاب كثيرة ويحته فوهتان يسيل منهما اللعاب يسميهما الحاكم عند ذي رخو موضوع في
اصله يسمى مولد اللعاب وبهما تبين المرطوبين بنجى اللسان وما حوله الندى والطبيعية واراد بالعظم الذي يسمع به العظم المسمى الحجري فهو عظم
صلب فيه مجرى الاذن كثير التعاريج والعطفات يتركب الى ان يلقى العصب الناشئ من الدماغ التي هي مجرى الروح الحامل للقوة السامعة و
اراد بالخرم ثقب الانف وفي هذه وامثالها من بدن الانسان وسائر الحيوان عبرة لمن اعتبر وكمال شهادة بوجود الصانع الحكيم لها ومن نظر في
تشريح بدن الانسان حضر شواهد من الحكمة الالهية يحار فيها لبه ويدهش فيها عقله وقرأ الصادق فقوله تم وخلق الانسان ضعيفا
ثم قال وكيف لا يكون ضعيفا وهو ينظر بشحم ويسمع بعظم وينطق بلحم وقد ادعى في الفراتين الاربع التجع المتوازي **وقال عليه السلم**
اذا اقبلت الدنيا على قوم اعارتهم محاسن غيرهم واذا ادبرت عنهم سلبتهم محاسن انفسهم يريد ان الدنيا اذا اقبلت بجاهها و
مالها على قوم بحسب توافق اسباب السعادة الدنيوية لهم استلزم اقبال الناس عليهم وتقربهم اليهم بكل ممكن لميلهم الى الدنيا ومحبتهم لها و
حسنوا في اعينهم فاستعاروا لهم الاوصاف الجميلة التي كانت في غيرهم وان لم يكونوا في نفس الامر كذلك حتى يصفوا بالعلم الجاهل وبالكرم المبذر و
بالشجاعة المتهور وبالظرف ولطف الاخلاق الماجن وربما كان اقبال الدنيا عليهم ايضا سببا لاستعدادهم لتحصيل الكمالات النفسانية و
الملكات الفاضلة التي كانت محاسن غيرهم قبلهم وان كانوا قبل ذلك غير اهل لشيء منها ويحتمل ان يريد بالمحاسن محاسن الدنيا من مركوب
وابهة وحسن زي وتصرف وذلك ظ وكونها عارية باعتبار عدم دوامها وكذلك اذا ادبرت عنهم بحسب توافق اسباب الشقاوة فيها نفروا عنه
الناس حتى يكون احدهم ذا فضيلة في نفسه فيجحدها الناس ويصفونه بضدها فان زهد في الدنيا نسبوه الى الرياء وان تعفف واحسن
احاله نسبوه الى الجهل والعجز والجبن وان شجع نسبوه الى التهور والجنون وهو معنى سلبها لمحاسن انفسهم وربما استعد ذو الفضيلة منهم بعد
تركها لها واطلاق بضدها حتى تسلب عنه الفضيلة بالكلية **وقال عليه السلم** خالطوا الناس مخالطة ان متم معها بكوا عليكم
وان عشتم حنوا اليكم نبه بذلك على حسن المعاشرة للناس ومعاملتهم بمكارم الاخلاق وكنى عن ذلك بقوله ان متم الى اخره اذ من لوازم
حسن المعاشرة للخلق المحبة التي هي حنو ودوام ود والبكاء عليه بعد وفاته والحنوه الشوقية في موضع نصب صفة لمخالطة **وقال ع**
اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وهو تنبيه على فضيلة العفو وجذب اليه بكونه شكرا للقدرة اي لا بد
للشكر عليها وذلك ان القدرة على العدو نعمة من الله تعالى يجب شكرها والاعراض عنه هو المشكور له ويلزم ملكة المروة وفتور الغضب ويتبع ذلك
العفو فاما مقام الشكر للنعمة بينهما فلما كان الشكر واجبا كان العفو لازما **وقال ع** اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان
واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم الاخوان جمع اخو كخرب وخربان واراد الاصدقاء الصادقين وفي الكلمة حث على مكارم الاخلاق لان
الاخوان لا يكتسبون الا بها وانما جعل العاجز عن تحصيلهم اعجز الناس لان ذلك لا يحتاج الى غلاب قوة بدنية ولا نوال ذكره عقلية
انما يفتقر الى كرم الاخلاق وحسن المعاشرة وملاقات بالبشر والطلاقة وهي امور طبيعية في اكثر الناس ومن اهون الاشياء عليهم فكان
العاجز عنها اعجز الناس عما هو مقدور لهم وانما جعل من ظفر بهم ثم ضيعهم اعجز لان المكتسب لا بد له من كلفة ما في اكتسابهم واما الحافظ
فهو غير محتاج الى ذلك القدر من الكلفة فكان سبب حفظ الاخوان اسهل من سبب تحصيلهم فكان المضيع لحفظهم عجز عن اكتسابهم
عجزه عن حفظ الامر الاسهل فان قلت فقد قال ان المضيع لهم اعجز من اعجز الناس فلا يكون اعجز الناس هنا قلت لفظا لناس
لفظ مطلق وانما يلزم التناقض لو كان للعموم **وقال ع** اذا وصلت اليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر ينبه على

وجوب الشكر

في مواعظه ونصايحه واعلام الناظر بقرائن علمه

محجوب الشكر على النعمة لغرض دوامها ونفره عن قلته فيها يستلزم من كونه سببا لما يستقبل منها واستعار لفظ التنفير ملاحظة لشبهها بالإبل المتفرقة اذا سقط اوله اتصل باخره وفيه ايماء الى ان دوام الشكر مستلزم لدوامها وكثرتها كقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم **وقال عليه السلام**
من ضيعه الاقرب اتيح له الابعد اى قدر والمراد ان الله سبحانه جعل لكل شئ سببا بحسب صعوبه ولما كانت منافع الانسان وضرورته في الاغلب يقوم بها من كان اقرب اليه من اهله وعشيرته وكان يجب في الحكمة ان لا يكون لله نفع له من جهتهم لاجرم انهم اذا ضيعوه واهملوه لابد ان يقيض الله له من يقوم بمصالحه ومعاونته من الاباعد **وقال عليه السلام** ما كل مفتون يعاتب اسباب الفتنة قد تكون في الدين وقد تكون في الدنيا وقد تكون فيهما وعلى التقديرات فقد يلحق الانسان بسببه من جهل بسيط او مركب وقد يلحقه باسباب قدرية خارجية ومعاونة وغير معاونة والذى يعاتب على فتنته من هؤلاء من كانت اسباب فتنته منه او بعضها كوقوع الفتنة لصاحب العشق ونحوه هذا اذا حملنا اللفظ على ظاهره ويحتمل ان يريد ليس كل مفتون ينفع معه العتاب **وقال عليه السلام** تذل الامور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير
استعار لذل الامور لطاعتها للقدر وجريانها على وفق القضاء ولما كان الانسان جاهلا باسرار القدر جاز ان يكون من غايات مقادير الامور للقدر كون ما يعتقده الانسان الجاهل مصلحة ويفعله لتدبير المنفعة سببا للحتف وهلاكه وفيه ايماء الى وجوب اسناد الامور الى الله وعدم التوكل على التدبير والانقطاع اليه وسئل عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود فقال انما قال ذلك والدين قل فاما الان وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فامرؤ وما اختار وانطاق شقة طويلة عريضة تجر على الارض اذا لبست
وجران البعير صدره وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في اول الاسلام يامر اهل الشيب من المسلمين بتغيير شيبهم ويبين لهم انه كان يعيرهم عن تركه بكونه تشبها باليهود ولانهم لم يكونوا يفعلون ذلك فكانوا يخضبون بالسواد وقيل بالحناء والغرض ان ينظر اليهم الكفار ويتبين القوة والشبيبة فيفعلون عنهم ولا يطمعون فيهم فسئل عليه السلام عن ذلك فنبه على زمن خلافته بجعله من المباح دون المندوب واشار الى ان تلك السنة انما كانت حيث كان المسلمون قليلين فاما الان وقد كثروا وضعف الكفار فهو مباح وكنى عن ذلك بقوله فامرؤ وما اختار واستعار لفظ النطاق له تجلد وما انتشر منه ولفظ الضرب بالجران لثباته واستقراره وملاحظة لشبهه بالبعير الثابت وقوله فامرؤ مبتداء وما اختار عطف عليه وما مصدرية وخبر المبتداء محذوف تقديره مقرونان كقولهم كل امرئ وضيعته والله التوفيق **وقال عليه السلام** في الذين اعتزلوا

معه خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل منهم عبد الله بن عمر وجماعة من القراء وغيرهم كابي موسى الاشعري والاحنف بن قيس في حرب صفين ويشبه ان يكون هذا اشارة الى توسطهم في الضلال وجريهم مجرى العدل وكانه قال انهم وان خذلوا الحق معنا لم ينصروا الباطل مع خصومنا
وقال عليه السلام من جرى في عنان امله عثر باجله وهو تنفير عن تطويل الامل بذكر قطعه بالاجل واستعار لفظ العنان له ملاحظة لشبهه بالفرس ولفظ الجري للاندفاع في الامل والعمل بحسب طوله ولفظ العثار للامتناع عن ذلك الجري بما يعرض من الاجل وقواطعه كعثار العادي بما يعرض له من حجر ونحوه **وقال عليه السلام** اقيلوا ذوي المروات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويد الله بيده يرفعه وعثب افالة ذوي المروات عثراتهم التي يتفق وقوعها اذا وا[illegible] لما يلحقهم التذكر عليه ونحوه ويذكرون بالله بانه يرفعهم واستعار لفظ العثرات لما يقع منهم خطا ومن غير تثبت ولفظ اليد لعناية الله وقدرته وكنى عن تعلقها به وبذلك حاله بكون يده بيده يرفعه وذلك ان المروة فضيلة عظيمة يستجلب بها الخلق وقلوبهم ومساعدتهم بحسب ذلك يكون استعداد العاثر من ذوي المروات لعناية الله ورفعه من عثرته **وقال عليه السلام** قرنت
الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان والفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير اراد بالهيبة الخوف من المقابل وظاهر ان ذلك يستلزم عدم مقاومته ومساواته والظفر بالمطلوب لعدم الانبساط في القول معه وهو معنى اقترانها بالخيبة وكذلك الحياء بالحرمان لاستلزام الحياء ترك الطلب والتعرض له وهو تنفير عن الهيبة والحياء المذمومين ثم امر بانتهاز فرص الخير اى المبادرة الى فعله عند حصول وقت امكانه ورغب في ذلك بقياس صغراه قوله الفرصة تمر مر السحاب اى انها سريعة الزوال وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فواجب ان يبادر اليه وينتهز وقت امكانه **وقال عليه السلام** لنا حق فان اعطيناه والا ركبنا اعجاز الابل وان طال السرى قال السيد وهذا من لطيف الكلام وفصيحه ومعناه انا ان لم نعط حقنا كنا اذلاء وذلك ان الرديف يركب عجز البعير كالعبد والاسير ومن يجري مجراهما وقال الازهري في تهذيب اللغة
قال القتيبي اعجاز الابل ماخيرها جمع عجز وهو مركب شاق قال ومعناه ان منعناه ركبنا مركب المشقة وصبرنا عليه وان طال ولم نضجر منه مخلين بحقنا ثم قال الازهري لم يرد عليه السلام ركوب المشقة ولكنه ضرب اعجاز الابل مثلا لتاخره عن حقه في تقدم الامامة وتقدم غيره عليه واراد ان منعنا حقنا منها واخرنا عن ذلك صبرنا على الاثرة فيها وان طالت الايام والسرى سير الليل واقول الذي ذكره السيد احتمال حسن وهو مختار وبيانه ان ركوب الاعجاز مظنة للذل والمشقة وتاخر المنزلة ويحتمل ان يكون كلها مرادة له ولم يرد الازهري بين المثل والكناية فان ركوب الاعجاز كناية عن الامور المذكورة ولذلك طول السرى كناية عن طول المشقة لانه مظنتها وملزومها ويحتمل ان يكون كناية بالمثل **وقال عليه السلام** من ابطا به عمله لم يسرع به حسبه اى من لم يكن له عمل صالح حسن تاخر

بسبب ذلك عن معالي الرتب التي تبوء بها الاولياء لم يبرع به حسبه وشرف بيته اليها ان كان ذا حسب وكنى ببطء عمله عن عدم وصوله

في اعلاء المؤمنين طريق علمهم

المغرم هدم ما يوصله اليه من ركنا العمل الاسراع في مقابلة البطوء وجعل **وقال ع** من كفارات الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفيس
عن المكروب الملهوف المظلوم بتبعيث والتنفيس المجروح من الم الذي ياخذ بنفسه وجعلها من كفارات الذنوب العظام لكونها فضيلة
عظيمة تستلزم فضائل كالرحمة والعدل والسخاء والمروة وغيرها وظاهر ان حصول هذه الملكات في النفس مما يستلزم ستر الذنوب ومحوها
ومنافاة ملكات السوء التي بعثتها بالسيئات والذنوب كما سبقت الاشارة اليه **وقال ع** يا ابن آدم اذا رأيت ربك سبحانه
يتابع عليك نعمه وانت تعصيه فاحذره او نقل الانسان عن معصية الله حال ما يغمره عليه بحذره منه وذلك لانه كان قد
شكرها بعد المزيد منها كان كفرانها وقابلها بالمعصية لعدم الشكر مستلزم لعدم الاستعداد للمزيد ومعد للانتقاص ونزول النقمة
كما قال تعالى ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وهو محل الحذر منه والواو في قوله وانت للحال **وقال ع** ما اضمر احد شيئا
الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه الفلتة الامر يقع من غير روية وصفحة الوجه بشرته ولما كان الانسان انما يضمر في نفسه
امرا مهما عنده من عداوة او بغض او محبة الى غير ذلك وكان الوجود الشائي عبارة عن الوجود النفساني وظهر انه لم يمكن المرء
ان يحفظ ما اضمره بالكلية لان مراعات ذلك الحفظ انما يكون للعقل بحسب ما يراه من المصلحة والعقل قد يشتغل بالتصرف في مهم
اخر فيغفل عن ضبط ما اضمره فينفلت الخيال بسر من سر العقل فليحضر في فلتات القول من غير روية وكذلك لما كان للشهوات ولاحق
النفسانية مبادي للآثار الظاهرة كصفرة الوجل وحمرة الخجل لم ينفك بعض الامور المضمرة عن ظهور ما يعرفه به من الآثار في صفحات
الوجه والعين وشاهد ذلك التجربة **وقال عليه السلام** امش بدائك ما مشى بك اي مع دائك ما امشى بك اي ما دام المرض يحتملك
ويعجزك فلا تنفعل عنه ولا تنعاجز به ولكن في صورة الاصحا وقيل فيه ايماء الى ما امر به من كتمان المرض كما قال الرسول ص من كتم
البركتان الصدقة والمرض والمصيبة وربما كانت فائدة ذلك كونه نوع تجلد والتجلد معاونة للطبيعة وتقوية لها على المرض ومن
المرض ما يحتمل الحركات البدنية وتستعار لفظ المرض وصفا لما يشبه باعتبار انه لا يلزم ما الارض والفراش فهو كالحامل له وقال
به **وقال عليه السلام** افضل الزهد اخفاء الزهد متوسط ومنخفي وهو الزهد الحقيقي المنتفع به كما قال ص ان الله لا ينظر الى صوركم
ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم فلذلك كان افضل والمراد الزهد الخفي فاضاف الصفة الى الموصوف وقدمها لانها اهم ولان الزهد الظاهر
يكاد لا ينفك عن رياء وسمعة فكان مفضولا **وقال ع** اذا كنت في ادبار والموت في اقبال فما اسرع الملتقى
وهو جذب باقبال الموت والغاية التي تستعد له ولما يبدع بالاعمال الصالحة والادبار والاقبال امران اعتباريان لان الانسان باعتبار
اجزاء مدته وفنائها فادبار وبحسب ذلك يكون اعتبار فنائه تحسبهما يكون سرعة التقائهما والملتقى مصدر **وقال ع**
الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتى كانه قد غفر حذر من سخط الله بسبب معصيته لطول امهاله وستره الى الغايات المذكورة وقوله فوالله
الى آخره صغرى ضمير تقديره كبراه وكل من ستر على عبده الى الغاية المذكورة فواجب ان يحذر غضبه ويجتنب معصيته ويرجع الى طاعته
التي هي الغاية من عنايته بستره **وسئل عليه السلام** عن الايمان فقال الايمان على اربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد
فالصبر منها على اربع شعب على الشوق والشفق والزهد والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار
اجتنب المحرمات ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات واليقين منها على اربع شعب
على تبصرة الفطنة وتاول الحكمة وموعظة العبرة وسنة الاولين فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف
العبرة ومن عرف العبرة فكانما كان في الاولين والعدل منها على اربع شعب على غائص الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة
الحلم فمن فهم علم غور العلم ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط في الامور وعاش في الناس حميدا والجهاد
منها على اربع شعب على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين فمن امر بالمعروف
شد ظهور المؤمنين ومن نهى عن المنكر ارغم انوف المنافقين ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ومن شنئ الفاسقين
وغضب لله غضب الله له وارضاه يوم القيامة والكفر على اربع دعائم على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق فمن تعمق لم ينب
الى الحق ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة
ومن شاق وعرت عليه طرقه واعضل عليه امره وضاق عليه مخرجه والشك على اربع شعب على التماري والهول والتردد
والاستسلام فمن جعل المراء ديدنا لم يصبح ليله ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ومن تردد في الريب وطئته سنابك
الشياطين ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما قال السيد وبعد هذا كلام طويل تركنا ذكره خوف الاطالة و
الخروج عن الغرض المقصود في هذا الكتاب **اقول** الدعائم عمد البيت والشعب الغصن والتبصر التعرف والتاول التفسير بالاثر
التوزع والشنآن البغض والتعمق في معنى الكلام والعضل الشديد والتماري المماراة والهول الفزع والديدن العادة و
السنابك جمع سنبك وهو طرف حافر الفرس واعلم ان هذا الفصل من لطائف الحكمة ومداره على شرح قواعد الايمان والاشارة

في ارشاد الناظر نحو علمه

ج ٢٠١

الى فروع تلك القواعد ثم الى ثمرات تلك الفروع ولما كان الكفر مضادا للايمان والشك مقابلا له مقابلة العدم الملكة
اشار الى دعائم الكفر وشعب الشك لتتبين بها الايمان اذ بضدها تتبين الاشياء اما الايمان فاعلم ان المراد بالايمان الكامل
وذلك له اصل وله كمالات بها يتم اصله فاصله هو التصديق بوجود الصانع تعالى وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال
وبما نزلت به كتبه وبلغته رسله كالامور المهمة هي الاقوال الطائفية ومكارم الاخلاق والعبادات ثم ان هذا الاصل ومتمماته هو
كمال النفس الانسانية لانها ذات قوتين علمية وعملية وكمالها بكمال هاتين القوتين فاصل الايمان هو كمال القوة العلمية
منها ومتمماته وهي مكارم الاخلاق والعبادات هي كمال القوة العملية اذا عرفت هذا فنقول لما كانت اصول الفضائل الخلقية هي — العملية م
كمال الايمان اربعا هي الحكمة والعفة والشجاعة والعدل اشار اليها واستعار لها لفظ الدعائم باعتبار ان الايمان الكامل
يقوم في الوجود الا بها كدعائم البيت فعبر عن الحكمة باليقين والحكمة منها علمية وهي استكمال القوة النظرية بتصور الامور
التصديق بالحقائق النظرية والعملية بقدر الطاقة البشرية ولا شك ان حكمة حتى يصير هذا الكمال حاصلا لها باليقين البرهاني
ومنها عملية وهي استكمال النفس بملكة العلم بوجوه الفضائل النفسانية الخلقية وكيفية اكتسابها ووجوه الرذائل النفسانية
وكيفية الاحتراز عنها واجتنابها وظاهر ان العلم الذي صار ملكة هو اليقين وعبر عن العفة بالصبر والعفة هي الامساك
عن التسرع في فنون الشهوات المحسوسة وعدم الانقياد للشهوة وقهرها وتصريفها بحسب الرأي ومقتضى الحكمة المذكورة وهو — الصحيح صح
انما عبر عنها بالصبر لانها لازم من لوازمه اذ هو ضبط النفس وقهرها عن الانقياد لقبائح اللذات وقيل هو ضبط
النفس عن ان يقهرها الم مكروه ينزل بها ويلزم في العقل احتماله او يغلبها حب مشتهى يتوق اليه الانسان ويلزمه في حكم
العقل اجتنابه حتى لا يتناوله على غير وجهه وظاهر ان ذلك يلازم العفة وكذلك عبر عن الشجاعة بالجهاد لاستلزامه
اياها اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم والشجاعة هي ملكة الاقدام الواجب على الامور التي يحتاج الانسان ان يعرض نفسه لاحتمال
المكروه والآلام الواصلة اليه منها واما العدل فهو ملكة فاضلة ينشأ عن الفضائل الثلث المشهورة وتلزمها وقد علمت فيما
سلف ان كل واحدة من هذه الفضائل محتوشة برذيلتين هما طرفا الافراط والتفريط منها ومقابلة برذيلة هي ضدها
واما شعب هذه الدعائم فاعلم انه جعل لكل دعامة منها اربع شعب من الفضائل تتشعب منها ويتفرع عليها هي كالفروع لها
والاغصان اما شعب الصبر الذي هو عبارة عن ملكة العفة فاحدها الشوق الى الجنة وتحبيب الخيرات الباقية الثاني الشفق وهو الخوف
من النار وما يؤدي اليها الثالث الزهد في الدنيا وهو الاعراض بالقلب عن متاعها وطيباتها الرابع ترقب الموت وهذه الاربع
فضائل منبعثة عن ملكة العفة لان كلا منها يستلزمها واما شعب اليقين فاحدها تبصرة الفطنة واعمالها والفطنة هي سرعة
هجوم النفس على حقائق ما تورده الحواس عليها الثاني تأول الحكمة وهو تفسيرها واكتساب حقائق براهينها واستخراج وجوه الفضائل
ومكارم الاخلاق من مظانها ككلام مأثور او عبرة يعتبر بها الثالث موعظة العبرة وهو ان يحصل من اعتبار العبرة على اتعاظ وانزجار
الرابع ان يلحظ سنة الاولين حتى يصير كانه فيهم وهذه الاربع هي فضائل تحت الحكمة كالفروع لها وبعضها كالفروع للبعض
واما شعب العدل فاحدها غوص الفهم اي الفهم الغائص فاضاف الصفة الى الموصوف وقدمها للاهتمام بها ورسم هذه
الفضيلة انها قوة ادراك المعنى المشار اليه بلفظ او كتابة او اشارة ونحوها الثاني غور العلم واقصاه وهو العلم بالشئ
كما هو بحقيقته وكنهه الثالث نور الحكم اي يكون الاحكام الصادرة عنه نيرة واضحة لا لبس فيها ولا شبهة الرابع ملكة الحلم
وعبر عنها بالرسوخ لان شأن الملكة ذلك والحلم هو الامساك عن المبادرة الى قضاء وطر الغضب فيمن يجني عليه جناية يصل
مكروهها اليه واعلم ان فضيلتي جودة الفهم وغور العلم وان كانتا داخلتين تحت الحكمة وكذلك فضيلة الحلم داخلة تحت ملكة
الشجاعة الا ان العدل لما كان فضيلة موجودة في الاصول الثلثة كانت في الحقيقة هي وفروعها للعدل بيانه ان الفضائل — شعبا م
كلها ملكات متوسطة بين طرفي الافراط والتفريط وتوسطها ذلك هو معنى كونها عدلا فهو اذا سرها شعب له وجزئيات تحته
واما شعب الشجاعة المعبر عنها بالجهاد فاحدها الامر بالمعروف والثاني النهي عن المنكر والثالث الصدق في المواطن المكروهة
ووجود الشجاعة في هذه الشعب الثلث ظاهر والرابع شنآن الفاسقين وظاهر ان بغضهم مستلزم لعداوتهم في الله وثوران
القوة الغضبية في سبيله لجهادهم وهو مستلزم للشجاعة واما ثمرات هذه الفضائل فاشار اليها للترغيب في ثمراتها فثمرات شعب
العفة وهي اربع احدها ثمرة الشوق الى الجنة وهو السلو عن الشهوات وظاهر كونه ثمرة له اذ السالك الى الله ما لم يتوق الى ما عنده من
لم يكن له صارف عن الشهوات الحاضرة مع توفر الدواعي اليها فلم يسل عنها الثانية ثمرة الخوف من النار وهو اجتناب المحرمات
الثالث ثمرة الزهد وهي الاستهانة بالمصيبات لان غايتها وعامتها انما يلحق بسبب فقد محبوب من الامور الدنيوية فمن لم يعرض
عنها بقلبه كانت المصيبة بها هينة عنده الرابعة ثمرة ترقب الموت وهي المسارعة في الخيرات والعمل له ولما بعده واما ثمرات اليقين

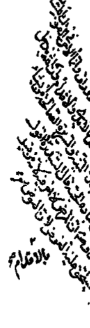
في ارشاد الناس طرق علمهم وسلوكهم

فان بعض شعبه ثمرة لبعض فان تبيين الحكمة وتعلّمها ثمرات الاعمال الفطنة والفكرة ومعرفة العبرة ومواقع الاعتبار بالماضين والاستدلال
بذلك على صانع حكيم ثمرة لتبيين وجوه الحكمة وكيفية الاعتبار واما ثمرات العدل فجعل ذلك يكون فتلك تجودة الفهم وغوص
مستلزم للوقوف على غور العلم والوقوف على غامض العلم مستلزم للوقوف على شرايع الحكم العادل والصدق بعينها بين الخلائق
من القضاء الحق واما ثمرة الحلم فعدم وقوع الحليم في طرف التفريط والتقصير عن هذه الفضيلة وهو رذيلة الجبن وان يعيش
في الناس محمودا بفضيلته واما ثمرات الجهاد فاحدها ثمرة الامر بالمعروف وهو شدّ ظهور المؤمنين ومعاونتهم على اقامة
الفضيلة الثانية ثمرة النهي عن المنكر وهي ارغام انوف المنافقين واذلالهم بالقهر عن ارتكاب المنكرات واظهار الرذيلة الثالثة
ثمرة الصدق في المواطن المكروهة وهي قضاء الواجب من امر الله في دفع اعدائه والذب عن الحريم والرابعة ثمرة بغض الفاسقين
والغضب لله وهي غضب الله لمن ابغضهم وارضاؤه يوم القيامة بذكر امته واما الكفر فهو اما بجحد الصانع او انكار احد رسله
عليهم او ما علم مجيئه به فثمرته ما اضل هو ما ذكره وكمالات ومثمرات هي الرذائل الاربع التي جعلها دعائم له وهي الرذائل
من الاصول الاربعة للفضائل الخلقية فاحدها التعمق وهو الغلو في طلب الحق والتفتيش عنه بالجهل والخروج الى حد الافراط
وهو رذيلة الجور من فضيلة العدل ويعمد الجهل ببطلان طلب الحق ونفر عن هذه الرذيلة بذكر ثمرتها وهو عدم الانابة الى الحق
والرجوع اليه لكون تلك الرذيلة صارت ملكة للنازع وهو رذيلة الافراط من فضيلة العلم ويسمى جربزة ويعمد
الجهل المركب ولذلك نفر عنه بما يلزمه ويصير وقته من دوام العمى عن الحق الثالثة الزيغ ويشبه ان يكون رذيلة الافراط من فضيلة
العفة وهو الميل عن حاق الوسط منها الى رذيلة الفجور ويعمد الجهل ولذلك يلزمه فرح الحسنة وحسن السيئة وسكر الضلالة
واستعار لفظ السكر لغفلة الجهل باعتبار ما يلزمهما من سوء التصرف وعدم وضع الاشياء مواضعها ويحتمل ان يكون اشارة الى
رذيلة التفريط من فضيلة الحكمة المسماة غباوة الرابعة الشقاق وهو رذيلة الافراط من فضيلة الشجاعة المسماة تهورا فهو مستلزم
له ويلزمها توعر المسالك على صاحبها وضيق مخرجه من الامور لان ضده سهولة المسالك واتساع المداخل والمخارج في
الامور وهو مسالمة الناس والتجاوز عما يقع منهم والحلم عنهم واحتمال مكروههم واما الشك فعبارة عن التردد في اعتقاد احد طرفي
النقيض ويقابل اليقين كما سبق وذكر له اربع شعب احدها التماري في ظاهرات مبدا المراء الشك ونفر من اتخاذه ملكة وعادة
بكونه لا يصبح له وذلك كناية عن عدم وضوح الحق له عن ظلمة ليل الشك والجهل الثاني الهول لان الشك في الامور يستلزم
عدم العلم بما فيها من صلاح او فساد وذلك يستلزم الفزع والخوف من الاقدام عليها وثمرتها النكوص والرجوع على الاعقاب
الثالث التردد فيها اي الانتقال من حالة الى حالة ومن شك في امر الى شك في اخر من غير ثقة بشيء وذلك دأب من يعود
التشكك في الامور ونفر عن ذلك بما يلزمه مما يطأه من سنابك الشياطين وهو ملك الوهم والخيال لارض قلبه حتى
يكون سلطان العقل بمعزل عن الجزم بما من شانه الجزم به الرابعة الاستسلام لهلكة الدنيا والاخرة ولزومه عن الشك لان الشاك في
الامور الدنيوية والاخروية المتوقف لذلك غير عامل لشيء منها ولا مهتم باسبابها بحيث لك يكون استسلامه لما يرد منها عليه وترديه
هلكة فيها الاستسلام لهلكة وبالله التوفيق **وقال عم** فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه وانما كان كذلك لان العلة
اقوى من معلولها فكان اقوى من خيريته وشريته وتاثيرهما مما صدر عنه من خير او شر **وقال عم** كن سمحا ولا تكن
مبذرا وكن مقدرا ولا تكن مقترا وهو امر بفضيلة السماحة والكرم ونهي عن الكون على طرفي الافراط والتفريط منها فطرف
الافراط التبذير وطرف التفريط هو التقتير **وقال عليه السلام** اشرف الغنى ترك المنى جمع منية بمعنى التمني ولما كان
ذلك رذيلة عن رذايل كالشره والحرص وغيرهما واقلها انها اشتغال عما يعني بما لا فائدة فيه رغب في تركها بان فسره اشرف
الغنى حتى جعله هو هو وذلك ان ترك المنى يستلزم القناعة واستلزامها للغنى النفساني وعدم الحاجة **وقال عليه السلام**
من اسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون لما كان من شان الطبع النفرة عن الاذى وبغض المؤذي وعداوته كان
من شانه في غالب الحق تقبيح ذكره بما يمكن من قول صادق او كاذب ومحل الغرض ان يوافقهم السامعون على بغضه واذاه
وقال عم من اطال الامل اساء العمل لما كان طول الامل في الدنيا مستلزما للاقبال عليها والانهماك في العمل لها
والغفلة عن الاخرة كان ذلك عملا سيئا بالنسبة الى الاخرة **وقال عليه السلام** وقد لقيه عند مسيره الى الشام دهاقين الانبار
فترجلوا له واشتدوا بين يديه ما هذا الذي صنعتموه فقالوا خلق منا نعظم به امراءنا فقال عم والله ما ينتفع بهذا
امراؤكم وانكم لتشقون على انفسكم في دنياكم وتشقون به في اخرتكم وما اخسر المشقة وراءها العقاب واربح الدعة معها الامان
من النار اشتدوا عدوا بين يديه الشقاء في الاخرة بذلك لانه تعظيم لغير الله وحاصله تنفيرهم عما اعتادوه ومعه
بغيره صغر له تودد والله الى قولها ونبه على الكبرى بقوله وما اخسر المشقة وراءها العقاب فقد بيرها وكلما كان مشقة على

النفس

النفس ويتبعها العقاب في الآخرة فهو أشد الخسارة وجذبهم إلى ترك ذلك بما يلزمه من لذة عدم الرفض في الدنيا مع الأمان من أثمها فكأنه قال فينبغي أن يتركوا ذلك التكلف فإنه وحده أحد مع الأمان من أثمه وكلما كان كذلك فهو أعظم الأرباح وإنما يلزمهم الشقاء في بذلك في الآخرة لكونه تعظيماً لغير الله بما لا ينبغي إلا لله وقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام يا بني احفظ عني أربعاً وأربعاً لا يضرك ما عملت معهن إن أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم الحسب حسن الخلق يا بني إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وإياك ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه وإياك ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عنك القريب أقول قال أربعاً وأربعاً لأن الأربع الأول من باب واحد وهو اكتساب الفضائل الخلقية النفسانية والأربع الثانية من باب المعاملة مع الخلق وقيل لأن الأولى من باب الإثبات والثانية من باب النفي أما الأربع الأولى فالعقل وأراد المرتبة الثانية من مراتب العقل النظري المسمى عقلاً بالملكة وهو أن يحصل لنفسه من العلوم البديهية والحسية والتجربية قوة أن يتوصل بها إلى العلوم النظرية وغاية ذلك أن يحصل على ما بعد هذه المرتبة في مراتب العقل ورغب فيه بكونه أغنى الغنى وذلك لأنه به يحصل الدنيا والآخرة فهو أعظم أسباب الغنى وفيه الغنى الثانية الحمق وهو رذيلة الغباوة وطرف التفريط من العقل المذكور ونفر عنه بكونه أكبر الفقر لأنه سبب الفقر من الكمالات خصوصاً النفسانية التي بها الغنى التام فكان أكبر الفقر الثالثة العجب وهو رذيلة الكبر في مقابلة التواضع ونفر عنها بكونها أوحش الوحشة ولكونها أقوى أسباب الوحشة ونفرة الأنيس لأن تواضع المتواضع لما استلزم أنس الخلق به وشدة ميلهم إليه كان ضده مستلزماً لنفرتهم وتوحشهم التام منه الرابعة حسن الخلق ورغب فيه بكونه أكرم الحسب لكونه أشرف الكمالات الباقية وهذه المنفرات والمرغبات صغريات ضمائر وأما الأربع الثانية فالأولى الحذر من مصادقة الأحمق ونفر عنها بما يلزمه حمقه من وضع المضرة موضع المنفعة عند إرادته لها لعدم الفرق بينهما الثانية الحذر من مصادقة البخيل ونفر عنها بما يستلزم بخله من قعوده عن صاحبه عند الحاجة وأحوج حال من الضمير في عنك الثالثة الحذر من مصادقة الفاجر والفجور رذيلة الإفراط من فضيلة العفة ونفر عنه بما يلزم فجوره من قلة وفائه وبيعه بالتافه وهو القليل من المال الرابعة الحذر من مصادقة الكذاب ونفر عنه بتشبيهه بالسراب وأشار إلى وجه الشبه بقوله يقرب إلى آخره وبيانه أن الكذاب يوهم حقيقة ما يقوله فيسهل الأمور العسرة البعيدة ويجعلها قريبة المتناول ويبعد الأمور السهلة القريبة ويجعلها بعيدة المتناول بحسب أغراضه وكذبه مع أنه ليس كذلك في نفس الأمر كالسراب الذي يظن ماء وليس به والتنفيرات الأربع المذكورة بقوله فإنه صغريات ضمائر تقدير كبرياتها وكلما كان كذلك فيجب أن يحذر صحبته ويجتنب مصادقته وبالله التوفيق و

قال عليه السلام لا قربة بالنوافل إذا أضرت بالفرائض أقول الإضرار بالفرائض بنقيض بعضها أو كلها وشرائطها وقد يفعل الإنسان ذلك لتعبه من الاشتغال بالنافلة ولما يريد أن يستقبله منها ولا قربة فيها لما يستلزم من ترك الواجب المستلزم للمعصية والعقاب وهما ينافيان القربة وقال عليه السلام لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه قال السيد رحمه الله وهذا من المعاني العجيبة الشريفة والمراد به أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة والأحمق تسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره ومماخضة رأيه فكأن لسان العاقل تابع لقلبه وكأن قلب الأحمق تابع للسانه وقد روي عنه عليه السلام هذا الكلام بلفظ آخر وهو قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه وأقول استعار لفظ الوراء في الموضعين لما يعقل من تأخر لفظ العاقل عن رويته ومن تأخر روية الأحمق وفكره فيما يقول عن بوادر مقاله عن عدم مراجعة لعقله والمعنى ما أشار إليه السيد رحمه الله وعلى الرواية الأخرى فالمراد أن ما يتصوره الأحمق هو في فيه أي يبرز على لسانه من غير فكر وأما نطق العاقل مخزون في عقله لا يخرج إلا عن رويته وصادقه ولفظ القلب في الأول مجاز فيما يبرز من تصوراته في ألفاظه ولفظ اللسان مجاز في ألفاظه الذهنية وقال عليه السلام لبعض أصحابه في علة اعتلها جعل الله ما كان من شكواك حطاً لسيئاتك فإن المرض لا أجر فيه ولكنه يحط السيئات ويحتها يستحق على ما كان في مقابلته فعل الله تعالى بالعبد من الآلام والأمراض وما يجري مجرى ذلك والأجر والثواب يستحقان على ما كان في مقابلة فعل العبد فبينهما فرق قد بينه عليه السلام كما يقتضيه علمه الثاقب ورأيه الصائب وأقول دعاؤه لصاحبه بما هو ممكن وهو حط السيئات بسبب المرض ولم يرجح له الأجر عليه معللاً ذلك بقوله فإن المرض لا أجر فيه والسر فيه أن الأجر والثواب إنما يستحق بالأفعال المعدة لكمال أشار إليه بقوله وإنما الأجر في القول إلى قوله الأقدام وكني عن القيام بالعبادة وكل ما يكون كالفعل من عدميات الملكات كالصوم ونحوه على فاعليتها مقبل فأما المرض فليس هو بفعل العبد ولا عدم فعل من شأنه أن يفعله فأما حطه للسيئات فباعتبار أمرين أحدهما أن المريض ينكسر شهوته وغضبه اللذين هما مبدأ الذنوب والمعاصي ومادتها والثاني أن من شأن المرض أن يرجع الإنسان فيه إلى ربه بالتوبة والندم على المعصية والعزم على ترك مثلها كما قال تعالى وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً الآية



في ارشاد الناس طريق علمهم وسلوكهم

فما كان من السيئات حالات غير متمكنة من جوهر النفس فانه يسرع زوالها منها وما صار ملكة فربما يزول على طول المرض ودوام الانابة الى
الله نعم واستعار لزوالها لفظ الحت وشبهه في قوة الزوال والمفارقة بحت الاوراق ثم تبرع بقوله ولكن الله الى اخره على ان العبد اذا
احتسب المشقة في مرضه لله بصدق نية مع صالح سريرة فقد يكون ثمة سعد الافاضة الاجر والثواب عليه ودخوله الجنة وهو داخل تحت
اعداد الملكات المقربة وتنبيه القربة الى الله وكلام السيد ره مقتضى مذهب المعتزلة **وقال عم** في ذكر خباب بن الارت يرحم الله خبابا
فلقد اسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله خباب بالخاء
المعجمة والباء المشددة كان من المهاجرين ومن اخيار الصحابة ومات بعد انصرافه من صفين بالكوفة وهو اول من قبر بها وقد مدحه باوصاف ثلثة
من اوصاف الصالحين احدها اسلامه عن رغبة وهو الاسلام المنتفع به الثاني مهاجرته الى رسول الله ص طائعا وهي الهجرة التامة عن رغبة
في الله ورسوله الثالث كونه عاش مجاهدا اما مع رسول الله ص فللكفار واما في نصرته ع فللبغاة والخوارج والناكثين وقوله طوبى الى اخره
في معرض مدح خباب بشارة له بها اذا كان كذلك وطوبى فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا للضمة قبلها وقيل هي شجرة في الجنة وعقب بها في ذكر المعاد والحساب
المستلزم للعمل لها والقناعة بالكفاف المستلزمة لقلة الشره والرضا عن الله في قضائه وقدره والقناعة فضيلة تحت العفة والرضا فضيلة تحت العدل **وقال ع** لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني ما ابغضني ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على ان يحبني ما احبني
وذلك انه قضي فانقضى على لسان النبي الامي عليه السلام انه قال لا يحبك الا مؤمن تقي ولا يبغضك الا منافق شقي
الخيشوم اصل الانف والجمات جمع جمة وهو مجتمع الماء من الارض ولما كان الايمان الحق يوجب الاتحاد وصدق المحبة في الله بين المؤمنين
لا جرم لم يجتمع معها البغض ولما كان النفاق منافيا للايمان كان منافيا لما يلزمه من المحبة في الله فلا يجتمع معه ولو بذل له جمل المال
للمنافق واستعار لفظ الجمات لمجامع اموال الدنيا ملاحظة لمشابهة المعقول نعم قد يحصل بسبب ذلك محبة عرضية فانية بفناء مادتها
من بذل المال ونحوه وليس الكلام في ذلك النوع من المحبة وذلك سر قوله ص لا يبغضك الى اخره واحاله ع ذلك على ما قضي فانقضى
اي قدر على لسان النبي ص **وقال عليه السلام** سيئة تسوءك خير عند الله من حسنة تعجبك اراد بالسيئة التي تسوءه كذنب
يصدر عنه فيندم عليه ويحزن لفعله وبالحسنة التي تعجبه كصلوة او صدقة يعجب بها اعجابا فانما كانت السيئة خيرا عند الله
من هذه الحسنة فلان الندم التائب للسيئة ماح لها والحسنة المستعقبة للعجب محبط لها اذ هو سيئة ورذيلة تسود
لوح النفس فكانت السيئة اولى فكانت خيرا عند الله **وقال عليه السلام** قدر الرجل على قدر همته وصدقه على قدر مروته و
شجاعته على قدر انفته وعفته على قدر غيرته اشار الى امور اربعة وجعلها مبادي لامور اربعة احدها الهمة وجعلها سببا لقدر
الرجل وقدره وهو مقداره في انفس الناس من رفعته ونباهته وتجليله او خسته واحتقاره وهو من لوازم علو همته او دناءتها فعلو الهمة هو ان لا
يقتصر على ادنى غاية من الامور التي يرتد بها فضيلة وشرفا حتى يسمو الى ما وراءها مما هو اعظم قدرا واجل خطرا ويلزم ذلك نبله وتعظيمه
ومدحه وصغرها ان يقتصر على محقرات الامور وخسائسها ويقصر عن علياتها وبحسب تلك يكون صغره وحقره وقلة قدره الثاني جعل
سببا الصدق المروة والمروة فضيلة يتعاطى معها الانسان الافعال الجميلة واجتناب ما يعود اليه بالنقص وان كان مباحا فلا جرم
يلزمه الصدق في مقاله فقوة هذه الفضيلة وضعفها يكون قوة لازمها وضعفها الثالث جعل الانفة سببا للشجاعة والانفة
حمية الانف وثوران الغضب لما يتخيل من مكروه يعرض واستنكار له واستنكاف من وقوعه ولكونه سببا للشجاعة والاقدام على الامور وبحسبها
تكون قوة الاقدام وضعفه الرابع جعل الغيرة سببا للعفة والغيرة نفرة طبيعية تكون من الانسان عن تخيل مشاركة الغير في امر محبوب له او
معتقد لوجوب حفظه وبحسب شدة ذلك الاعتقاد والتخيل وضعفها وتصور وقوع مثل ذلك الفعل في نفسه وحرمه فلا يكون اشنع
من مشاركة الغير ويتوقف عن اتباع الشهوة في مشاركة الناس في الامور المحبوبة لهم كزوجة ونحوها وهو معنى العفة **وقال عليه السلام** الظفر
بالحزم والحزم باجالة الرأي والرأي بتحصين الاسرار الحزم ان يقدم العمل في الحوادث الواقعة في باب الامكان قبل وقوعها بما هو اقرب
الى السلامة وابعد من الغرور واجالة الرأي اعماله وتحصين الاسرار كتمانها وحفظها واشار الى المبدأ القريب للظفر وهو الحزم والى البعيد
منها وهو كتمان السر والى الاوسط منها وهو اجالة الرأي فاما سببية كتمان السر للرأي الصحيح فلان اظهار السر فيما يراد من الرأي في حرب
وغيرها مما يستلزم ظهور العدو على ذلك والعمل فيما يبطله ويفسده وذلك من فساد الرأي واما سببية اجالة الرأي في اختيار الطريق
الحزم فلانه لولا ملاحظة ان يكون العمل المتقدم في الحوادث المستقبلة غير موافق فلا يحصل الحزم واما ان الحزم سبب للظفر فظاهر **وقال ع**
احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع اراد بالكريم شريف النفس ذا الهمة العلية وجوعه كناية عن شدة حاجته وذلك مستلزم
لثوران حميته وغضبه عند عدم التفات الناس اليه وحمل نفسه على المبالغة في طلب ما يحصل عليهم به ويتسلط بواسطته على قهرهم
ومكافاتهم كان لولا تبرعهم عليهم ونحوها فلذلك وجب الحذر منه والاحتراز من صولته بالالتفات اليه وملاحظة حاجته وارفاقه بما يدفعها وشبع
اللئيم كناية عن غناه وعدم حاجته وذلك يستلزم استمراره على مقتضى طباعه من اللؤم وشبعه مؤكد لذلك فانه اذا جاع ربما كان سببا لتغير اخلاقه

وتجويدها

في بيان الاخلاق وكيفية سلوك الناس

ويجوز ان يكون المراد ان الموت اسهل من سؤال اللئام اذ كان اذى منه والمرض واستمرار لوثه للتشبع من كلام الناس على مقتضى طباعهم من اللوم مستلزم للاذى من كان يحب بقائه ومن يحتاج اليه من الناس وفنى

الواجب دون ان يجد وصوله وتحسيم اسباب شعبه عند التمكن من ذلك وقال عليه السلم قلوب الرجال وحشية فمن تألفها

اقبلت عليه جعل عم الوحشة هنا اصلية وذلك باعتبار كون الالفة مكتسبة والوحشة عدم الالفة عما من شأنه ان يألف

والمعونة وقال عليه السلم عيبك مستور ما اسعدك جدك سعادة الجد عبارة عن حسن البخت وتوافق اسباب المصلحة

في حق الانسان ومن مصالحه ستر العيوب والرذائل ويحسب دوام ذلك يدوم سترها وقال عم اولى الناس بالعفو اقدرهم

على العقوبة لما كانت فضيلة العفو انما تطلق في العرف على من قدر على العقوبة ولم يعاقب وكان العفو والقدرة مقولين بالاشد

والاضعف لا جرم كانت اولوية العفو بالعفو واولوية القدرة واشدها اي من كان اشد قدرة على العقوبة وعفا كان اولى

بان يسمى عفوا وقال عليه السلم السخاء ما كان ابتداء فاما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم الاستنكاف والسخاء

عبارة عن ملكة بذل المال لمن يستحقه بقدر ما ينبغي ابتداء عن طيب نفس وحسن المواساة لذوي الحاجة منه وبهذا الرسم يتبين

ان ما كان من البذل عن مسألة فخارج عن رسم السخاء وذكر له سببين احدهما الحياء من السائل ومن الناس فيتكلف البذل لذلك

الثاني الاستنكاف مما يقصد من السائل من لجاج او مسبة بالبخل ونحوه وقال عم اربع كلمات احدها لا غنى كالعقل

وما سبق ان الغنى الحق والمتروك لا غنى مثله الثانية ولا فقر كالجهل وذلك لما عرفت ان اكبر الفقر الحمق والمراد بالجهل هنا مقابل

العقل بالملكة وهو الحمق او ما يلزمه الثالثة ولا ميراث كالادب والادب هو التحلي بمكارم الاخلاق وهو افضل من كل موروث

من مال وقنية واراد الموت والاظهير كالمشاورة لما كانت المشاورة ينتج في غالب الاحوال الرأي الصحيح فيما يراد من الامور والرأي

الصحيح انفع في التدبير من القوة وكثرة العدد كما قال ابو الطيب الرأي قبل شجاعة الشجعان البيت لاجرم لم يكن كالمشاورة التي هي

مظنته ما يساويها في المعونة على المنفعة من الامور التي يستظهر بها ويستعان وقال عم الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما

تحب التعدد في الصبر هنا تعدد وضعي لان حقيقته في الموضعين واحدة على ما عرفت حقيقته وقال الغنى في الغربة وطن والفقر في

الوطن غربة استعار لفظ الوطن للغنى في الغربة باعتبار انه يسكن اليه ويؤنس فلا يرى اثر الغربة على الانسان معه واستعار لفظ الغربة

للفقر في الوطن باعتبار ضيق الخلق معهما وتغير الامور فيهما وقال عليه السلم القناعة مال لا ينفد القناعة هي ضبط قوة النفس

عن الاشتغال بما يخرج عن مقدار الكفاية وبلغ الحاجة من المعاش والاقوات وعدم ما يتنافس من ذلك عند الغير واستعار

لها لفظ بوصف عدم النفاد باعتبار دوام الخفض معها كالمال الموصوف وقال عليه السلم المال مادة الشهوات اي منه يكون استمدادها

وزيادتها والمادة هي الزيادة وفي الكلمة تنفير عن الاستكثار من المال لما يلزم من امداد الشهوة وتقويتها على مقتضى العقل وقال عم

من حذرك كمن بشرك اراد من حذرك من الامر كمن بشرك بالنجاة منه ووجه الشبه وهو ترغيب في الاقبال على المحذر واستماع تحذيره

لغرض النجاة بتشبيهه بالمبشر وقال عم اللسان سبع ان خلي عنه عقر استعار لفظ السبع للسان باعتبار انه اذا ترك عن

ضبط العقل ان ينطق بما فيه هلاك صاحبه كالسبع اذا لم يحفظ وقال عم المرأة عقرب حلوة اللبسة للعقرب لسعها واستعار

للمرأة لفظ العقرب بالوصف المذكور باعتبارات من شأنها الاذى لكن اذاها مشوب بما فيها من اللذة بها فلا يحس به وهو كاذى

مجرب المشوب بلذة في زيادة حكه وقال عم الشفيع جناح الطالب استعار له لفظ الجناح باعتبار كونه وسيلة الى المطلوب كجناح

الطائر وقال عم اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام ووجه التشبيه قوله يسار بهم وهم نيام وذلك ان الدنيا الاهلها طريق هم

ينهلسا يرون الى الآخرة وحال ما هم في غفلة عن نهايتهم والعمل لها حق يوافوها فاشبهوا الركب الذين يسير بهم وهم نيام حتى توافوا منازلهم

وقال عليه السلم فقد الاحبة غربة استعار لفظ الغربة لفقد الاحبة باعتبار ما يلزمهما من الوحشة وعدم الانس وقال عم

فوت الحاجة اهون من طلبها الى غير اهلها ام اللئام كي هو محل ثواب النعم وسائطها الاصول وانما كانت اهون لان فوتها يستلزم غما واحدا

كاما طلبها الى غير اهلها فانها الاحصل فانما فيستلزم غم فوتها ثم ثقل الاستنكاف والندم من رفعها اليهم ثم غم نيل الحاجة الى اللئام ولزام

عسم كما قال الموت احلى من سؤال اللئام ثم غم وندم لها وهي غموم ان تعد وكذا ان قضيت كان فيها غم ثقل الاستنكاف ثم نيل الحاجة اليهم فكان فوتها

اهون على كل حال وهذه الكلمة تجذب الى فضيلتي القناعة وعلو الهمة وقال عم لا تستح من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه اراد

تأديبه ويقويه اقل منه اي احقر في الاعتبار وذلك ان الحرمان هو عدم العطاء عما من شأنه ان يعطى وليس كذلك العدم من باب الكم المتصف بالقلة

والكثرة ونفرّ عن الحياء من اعطاء القليل بضميمه صغره وقوله فان الحرمان اقل منه وتقديره كبراه وكلما كان الحرمان اقل فينبغي ان يستحيى منه بل

فالحرمان الذي هو اقل منه وقال عم العفاف زينة الفقر العفاف العفة وقد علمت انها فضيلة القوة الشهوية والفقير

اذا ضبط شهوته بزمام عقله عن ميولها الطبيعية كملت نفسه بفضيلة العفة وزان فقره بفضيلته في اعين الغير واذا اهملها واسلس

مدها تقحمت به في موارد القبح وقادته الى الهلع والحرص والحسد والملق والكذب ونحوها فحصل بسببها في صورة وقال عم اذا لم يكن

فاما

فيغير اهلها م

في كيفية سلوك الناس ومعاشرتهم

ما ترتبت فلا تسأل كيف كنت اي اذا فاتك مرهلب من الامر فلا تبال باي حال كنت عليه في ذلك الامر ومعناه ومقصود هذه الكلمة النهي عن الاهتمام
والاسف على ما لم يقع من الامور المطلوبة وذلك ان الاسف على فوات المراد يستلزم غما واما وهو مضرة عاجلة لا يثمر فائدة فارتكابها
سفه وقال عليه السلام لا ترى الجاهل الا مفرطا او مفرطا الجهل اما بسيط وهو طرف التفريط من فضيلة الحكمة واما مركب
وهو طرف الافراط منها وذلك ان الجاهل جهلا مركبا قد بالغ في طلب الحق وحصل من اجتهاده على شبهة ظنها عين حقيقة من ادركه
مع جزمه بانها برهان اصاب به الحق وقد يتعدى هذا الطرف بجزيئه فكان ابدا على احد الوجهين وبحسب جهله يكون حاله في افعاله
واقواله على احد طرفي الافراط والتفريط وقال عليه السلام اذا تم العقل نقص الكلام تمام العقل يستلزم كمال قوته على ضبط القوى
البدنية وتصريفها بمقتضى الاراء المحمودة الصالحة ووزن ما يبرز الى الوجود الخارجي منها من الاقوال والافعال بميزان الاعتبار وفي
ذلك من الكلفة والشرائط ما يستلزم نقصان الكلام بحذف ما لا يوزن ولا يعتبر من الاقوال وقال عليه السلام الدهر يخلق الابدان
ويجدد الامال ويقرب المنية ويباعد الامنية من ظفر به نصب ومن فاته تعب اخلاقه للابدان اعداده لضعفها وفسادها
بمروره وما يلحق اجزاءه وعضو من الحرارة الغريبة التاعب المستولية البدن وتجديده للامال بحسب العزم الحاصل بالبقاء والصحة وبر كثر
ما يعرض ذلك للمشايخ فان طول اعمارهم وتجاربهم لما يعرض منهم من الحاجة والفقر يغريهم بالحرص على الجمع ومد الامل في تحصيل لذة
وتقريبه المنية بحسب اخلاقه للابدان وتبعيده للامنية بحسب تقريبه للمنية ومن ظفر به اي بما تأمر واعداده لما يرتجيه من متاع
الدنيا نصب بها وشقي بضبطها وحفظها ومن فاته ذلك منه تعب في تحصيلها وشقي بعدمها وراعى في القرينتين الاوليين السجع
المتوازن وفي المتوسطين السجع المطرف وفي الاخيرتين السجع المتوازي وقال عليه السلام من نصب نفسه للناس اماما فليبدأ
ان يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ومؤدبها احق بالاجلال من
مؤدب الناس ومعلمهم اشار الى اداب ائمة العلم ومكارم الاخلاق فالاول وجوب على الامام البداءة بتعليم نفسه اي رياضتها بما يعلم
من الاداب ليكون افعاله واقواله موافقة لعلمه وذلك لان الناس اقرب الى الاقتداء بما يشاهدونه من الافعال والاحوال منهم
بالاقوال فقط خصوصا مع مشاهدتهم لمخالفتها بالافعال فان ذلك يكون سببا لسوء الاعتقاد في الاقوال المخالفة للفعل والجرأة
على مخالفتها ما شهرتها وان كانت نطق الصدق والى مثل ذلك اشار القائل لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
الثاني ارشده الى البداءة في التعليم بالسيرة وحميد الافعال لما بيناه ان انطباع الناس هذه الافعال اطوع واسرع انفعالا منها
ثم يتابعها بعد ذلك بالاقوال ثم رغب في تأديب النفس بكون مؤدب نفسه احق بالتعظيم والاجلال من مؤدب غيره وذلك
لان مؤدب نفسه بالفضيلة وكون تأديبه لغيره فرعا على تأديب النفس والاصل اشرف واحق بالتعظيم من الفرع وهو في قوة صغرى ضمير
تقدير كبراه وكل من كان بالاجلال وجب عليه ان يبدأ بما الاجلة كان احق بالتعظيم من غيره وقال عليه السلام نفس المرء خطاه
الى اجله استعار للنفس لفظ الخطا باعتبار انها على التعاقب والتقضي فهو مقرب من الغاية التي هي الاجل كالخطا المتعاقبة الموصلة
للانسان الى غايته من طريقه وقال عليه السلام كل معدود منقض وكل متوقع آت والكلمتان من المشهورات الخطابية في
معرض الموعظة والاولى اشارة الى انفاس الدنيا وحركاتهم والثانية تخويف بما يتوقع من الموت وتوابعه وقال عليه السلام
ان الامور اذا اشتبهت اعتبر آخرها باولها اي اذا التبست في مباديها معرفة وجه مصلحتها وتفصيل الدخول فيها فيبنى على ذلك
آخرها واستدل على انه كذلك انتهى الصبر بحسب التوقف عنها وعدم التعسف فيها ومن خبر ضرار بن ضمرة الضبائي عند دخوله على معوية
ومسئلته له عن امير المؤمنين قال فاشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه قابض على
لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا يا دنيا اليك عني ابي تعرضت ام الي تشوقت لا حان حينك هيهات غري
غيري لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها فعيشك قصير وخطرك يسير وأملك حقير آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر
وعظيم المورد اقول كان هذا الرجل من اصحابه فدخل على معوية بعد موته فقال صف لي عليا فقال او تعفيني من ذلك فقال لا والله
لتفعلن فتكلم بهذا الفصل فبكى معوية حتى اخضلت لحيته والضباب بطن من حرب بن مالك بن الضرين كنانة والسدول جمع سدل
وهو ما اسبل على الهودج والتململ التقلقل من الالم والغم والسليم الملسوع والولة اشد الحزن وقد نظر الى الدنيا بصورة امرأة
تزينت وتعرضت لوصوله اليها مع كونها مكروهة اليه فخاطبها بهذا الخطاب واليك من اسماء الافعال اي تنحي ومعنى متعلق بما فيه
من معنى الفعل واستفهام عن تعرضها او تشوقها اليه استفهام استنكار لذلك منها واستبعاد واستفهاما الموافقة ايا ما على
ما زهد ولا حان حينك اي لا قرب وقتك اي وقت انفذ اعتراك وهو دعاء عليها وقوله هيهات اي بعد ما تطلبين مني ثم امرها بغرور
غيره وهو كناية عن انه لا طمع لها في ذلك منه لانه اراد منها غروره وغيره وهذا كما يقول لمن يخدعه وقد اطلع على ذلك منه اخدع
غيري اي ان خداعك لا يدخل علي ثم خاطبها خطاب الزوجة المكروهة منه فراقها فاخبرها بعدم حاجته اليها ثم انشاء طلاقها ثلاثا

تحصل

من كلام له للشامي في جواب سؤاله

فصل النبيين بها مؤكدا لذلك بقوله لا رجعة فيها وهو كناية عن تمام كراهيتها وأكد لطلاقها البائنة التي لا رجعة فيها التي هي مظنة الحسن وابتها
ثم أشار إلى المخاوف التي لأجلها كرهها وطلقها وهي خطر العبور إلى مدنة الحنو فيها وشبه الخطر أي قلة زادها وبعد ما بها في نظره ثم حصاره
ما يؤمل منها وشرّ تأثيره من أمور أحدها قلة الزاد في السفر إلى الشقة وقد علمت أنه التقوى والأعمال الصالحة وهكذا شأن العارفين
في استقصار أعمالهم الثاني طول الطريق إلى الله ولا يبقى في الاعتبار أطول مما الانتهاء هي الثالث بعد السفر وذلك لبعد غايته وعدم
تناهيها الرابع عظم المورد وأول منازله الموت ثم البرزخ ثم موقف القيامة الكبرى والله المستعان ومشوه المفجع هو القبر
ومن كلام له عليه السلام للشامي لما سأله أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر بعد كلام طويل هذا مختاره ويحك
لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حاتما ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد إن الله
سبحانه أمر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا وأعطى على القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع
مكرها ولم يرسل الأنبياء لعبا ولم ينزل الكتب للعباد عبثا ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين
كفروا فويل للذين كفروا من النار **أقول** روي أن السائل لما قال له أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره
قال عليه السلام والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا إلا بقضاء وقدر فقال السائل عند الله أحتسب عنائي أي أرجو
من الأجر شيئا فقال مه أيها الشيخ لقد أعظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم
مكرهين ولا إليها مضطرين فقال الشيخ وكيف والقضاء والقدر ساقانا فقال ويحك لعلك الفصل الآن بعد قوله والوعيد قوله لأمر
النهي ولم تأت لائمة من الله لمذنب ولا محمدة لمحسن تلك مقالة عبدة الأوثان وجنود الشياطين وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب.
وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها إلا أن الله تعالى أمر تخييرا إلى آخره فقال الشيخ فما القضاء والقدر اللذان ما سرنا إلا بهما فقال هو الأمر والحكم ثم قرأ قوله
الله تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه فنهض الشيخ مسرورا وهو يقول أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا جزاك ربك عنا فيه إحسانا والويح كلمة ترحم والحاتم الواجب وتقرير سؤال السائل أنه إن كان
مسيرنا بقضاء من الله وقدره لم يكن لنا في تعبنا ثواب لأن القضاء قد يراد به في اللغة الخلق وما خلقه الله تعالى في العبد فلا اختيار له
فيه وما لا اختيار له فيه فلا ثواب فيه وقوله ويحك إلى قوله والوعيد بيان للمنافاة وهو ما لعله يظنه من تفسير القضاء والقدر بمعنى العلم
الملزوم والإيجاد الواجب على وفقه وقوله إن الله سبحانه أمر عباده تخييرا إشارة إلى تفسير القضاء بالأمر كما صرح به في جواب السائل عن معناه مستشهدا
في تفسيره بالأمر والحكم بقوله تعالى وقضى ربك الآية ومعلوم أن أمر الله وتخييره لا ينافي اختيار العبد في فعله وهذا الجواب إقناعي بحسب فهم السائل
وربما فسر القضاء بأنه عبارة عن إبداع الأول تعالى لجميع صور الموجودات الكلية والجزئية التي لا نهاية لها من حيث هي معقولة في العالم العقلي
ثم لما كان إيجاد ما يتعلق منها بالمادة في مادته وإخراجها ما فيها من قبول تلك الصور من القوة إلى الفعل لا يمكن إلا على سبيل التعاقب لامتناع
قبول المادة للصور الكثيرة دفعة وقد تم بلطيف حكمته وجود الزمان المديد لخروج تلك الصورة من القوة إلى الفعل واحدا بعد واحد
كان القدر عبارة عن ذلك الإيجاد لتلك الأمور وتفصيلها واحدا بعد واحد كما قال تعالى وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر
معلوم واعلم أنه على هذا التفسير يمكن تقرير الجواب عن السؤال المذكور أيضا وذلك أن القضاء بالمعنى المذكور لا ينافي اختيار العبد وحسن
تكليفه وثوابه وعقابه لأن معنى الاختيار هو علم العبد بأن له قوة صالحة للفعل والترك الممكنين منه متساويا إذا انضم إليها الميل
إلى الفعل المسمى إرادة فعل أو النفرة المسماة كراهة ترك وذلك أمر لا ينافي علم الله تعالى بما يقع أو لا يقع من الطرفين وإن حصل عنه وجوب
فهو خارج عرضي ثم إن التكليف لم يرد على حسب ما في علم الله تعالى بل له مبدآن أحدهما فاعلي وهو حكمته تعالى وعنايته بإيجاد الموجودات على
أحكم وجه وإتقانه وسوق ما هو ناقص منها من مبدأ ما إلى كماله شوقا ملائما لها والثاني قابلي وهو كون العبد بالصفة المذكورة
من الاختيار ولذلك ذكر من لوازم الاختيار والتكليف المقصود من الحكمة الغائية أمورا عشرة أحدها أمره لعباده تخييرا ونهيهم مصدر
[illegible] الثاني نهيهم تحذيرا والتحذير معقول له الثالث تكليفهم اليسير ليسهل عليهم العمل فيرغبوا فيه الرابع عدم تكليفهم
العسير لغرض أن يكون لحال الاختيار فلا يحرجون بالعسير إلى تكليف ما لا يطاق كما أشار إليه تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر الخامس إعطاؤه يريد له
على القليل كثيرا في العمل وذلك من لوازم اختيارهم أيضا السادس أنه تعالى لم يعص حال كونه مغلوبا عليهم إذ هو القاهر فوق عباده بل لأنه
خلى بينهم وبين أفعالهم وهيأهم لها وذلك من لوازم اختيارهم السابع أنه لم يطع مكرها أي لم يكن طاعة مطيعهم له عن إكراه منه تعالى لهم عليها
وذلك من لوازم اختيارهم الثامن ولم يرسل الأنبياء لعبا بل ليكونوا مبشرين ومنذرين لمن أطاع بالجنة ولمن عصى بالنار وذلك من لوازم
الاختيار التاسع ولم ينزل الكتب للعباد عبثا بل لتعرف لوازمه ووجوه تكليفهم وأحكام أفعالهم التي أمروا أن يكونوا عليها وبيان حدودها والنهي
أمرهم بالوقوف عندها وكل ذلك من لوازم اختيارهم العاشر ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلا بل على وجوه من الحكمة منها أن
يحصل لعباده بها وبسببهم من الفكر في آياتها اعتبارا فينتبهوا من ذلك للطيف حكمته ويستدلوا على كمال عظمته كما قال تعالى إن في خلق

في المواعظ والنصائح وارشاد الناس

السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الآيات ونفرهم اعتقاد غيرذلك بانه ظن الذين كفروا الا ابر اضناس
وقال ع خذ الحكمة انى كانت فان الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تخرج فتسكن الى صواحبها في صدر المؤمن
امر بتعلم الحكمة اين وجدت ولو من المنافقين ورغب عن عشائهم بحسنها من بعض المواضع ان ياخذها من كل موضع وجدها بضمير
صعراه قوله فان الحكمة الى اخره وكنى بتلجلجها او اختلاجها على الروايتين عن اضطرابها وعدم ثباتها في صدر المنافق وكونه ليس مظنة لها
غير مستقرة فيه الى ان يخرج الى مظنتها وهي صدر المؤمن فتسكن الى صواحبها من الحكم فيه وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فيجب على
المؤمن اخذه الى مظنته واخراجه من غير مظنته **وقال ع** في مثل ذلك الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من اهل النفاق استعار لفظ
الضالة للحكمة بالنسبة الى المؤمن باعتبار انها مطلوبة الذي يبحث عنه وينشده كما ينشد الضالة صاحبها **وقال ع** قيمة كل امرئ ما يحسنه
غرض هذه الكلمة الترغيب في اعلى ما يكتسب من الكمالات النفسانية والصناعات ونحوها وقيمة المرء مقداره في اعتبار المعتبرين ومحله في
نفوسهم من استحقاق تعظيم وتبجيل او احتقار واستخفاف وظاهر ان ذلك تابع لما يحسنه المرء ويكتسبه من الكمالات المذكورة فاعلا
هم قيمة وارفعهم منزلة في نفوس الناس اعظمهم كمالا وانقصهم دونهم احسنهم فيما هو عليه من حرفة او صناعة وذلك بحسب اعتبار
عقول الناس للكمالات وتواتيها **وقال ع** اوصيكم بخمس لو ضربتم اليها آباط الابل لكانت لذلك اهلا لا يرجون
احد منكم الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستحين احد اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم ولا يستحين احد اذا لم يعلم
الشيء ان يتعلمه وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في ايمان لا
صبر معه كنى بضرب آباط الابل عن الرحلة في طلبها وذلك ان الراكب للجمل يضرب باطيه بكعبيه فاحد الخمس الرجاء له دون
غيره ومن لوازم ذلك خلاص العمل له ودوام طاعته الثانية ان يخاف ذنبه دون غيره وذلك ان اعظم مخوف هو عقاب الله
ولما كان انما يلحق العبد بواسطة ذنبه فالاولى ان يجعل الخوف من الذنب دون غيره وهو يجذب الى الهرب عنه مدة الخوف
منه الثالثة عدم استحياء من لا يعلم الشيء من قول لا اعلم فان الاستحياء من ذلك القول يستلزم القول بغير علم وهو ضلال وجهل يستلزم
اضلال الغير وتجهيله وفيه هلاك الاخرة قال صلعم من افتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والارض وقد يكون سببا للهلاك الدنيوي
ايضا الرابعة عدم استحياء من لا يعلم الشيء من تعلمه لما في استحياء الجاهل عن التعلم من بقائه على جهله ونقصانه وهلاك الاخرة
الخامسة فضيلة الصبر وامر بالتزامها لان كل الفضائل لا يخلو عنها واقل ذلك الصبر على اكتسابها ثم على البقاء عليها وعن
الخروج عنها ولذلك شبهها من الايمان بالرأس من الجسد ووجه التشبيه ان الصبر لما كان موجودا في كل الفضائل التي مجموعها
هو الايمان فلا يقوم الا به اشبه الرأس من الجسد في عدم قيامه بدونه ثم اكد التشبيه والمناسبة بينهما بقوله لا خير في جسد الى اخره
وقوله فان الصبر صغرى ضمير نبه عليها فيه وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فواجب اقتناؤه واخذه **وقال ع** لرجل افرط في الثناء
عليه وكان له متهما انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك فقوله انا فوق ما تقول جواب افراطه في المدح وقوله وفوق ما
في نفسك جواب لما في نفسه مما اتهمه به من عدم فضيلته **وقال ع** بقية السيف ابقى عددا واكثر ولدا لا ادري ذلك الا للعناية
الالهية ببقاء النوع وحفظه واقامته وما خلا من قتل ممن بقي والله اعلم **وقال ع** من ترك قول لا ادري اصيبت مقاتله
ترك هذا القول كناية عن القول واصابة المقاتل كناية عن الهلاك الحاصل بسبب القول بالجهل لما فيه من الضلال والاضلال
وربما يكون سببا لهلاك الدنيا والاخرة **وقال ع** رأي الشيخ احب الي من جلد الغلام وروي من مشهد الغلام جلده قوته وقد مر ان الرأي
مقدم على القوة والشجاعة لاصالة منفعته وانما خص الرأي بالشيخ والجلد بالغلام لان كلا منهما مظنة ما خصه به فان الشيخ
مظنة الرأي الصحيح لكثرة تجارب الشيخ وممارسته للامور والغلام مظنة القوة والجلد وعلى الرواية الاخرى فمشهده حضوره
والمعنى ظاهر **وقال ع** عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار القنوط الياس من الرحمة ولما كان الاستغفار باخلاص سبب للرحمة
كما نبه القرآن الكريم كان استبعاد القنوط معه محل التعجب وحكى عنه ابو جعفر محمد بن علي الباقر انه صلى الله عليه وآله قال
كان في الارض امانان من عذاب الله فرفع احدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به اما الامان الذي رفع فهو رسول الله ص واما
الامان الباقي فالاستغفار قال جل ذكره وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال السيد وهذا
من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط كون وجود الرسول بين الامة ورجوعها الى الله في رحمة منه وكون الاستغفار المخلص
معدين لنزول رحمة الله ودفع عذابه مما يشهد به العقل والنقل وقد اكد ذلك بصادق الشاهد السمعي كما اشرنا **وقال ع**
ثلث كلمات احديها من اصلح ما بينه وبين الله اصلح الله ما بينه وبين الناس الثانية ومن اصلح امر آخرته اصلح الله له امر دنياه الثالثة
ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ فاصلاح ما بينه وبين الله بتقواه المستلزم لرضاه ولما كان من تقواه
اصلاح قوتي الشهوة والغضب اللذين هما سببا الفساد بين الناس ولزوم العدل فيهما كان من لوازم ذلك الاصلاح اصلاح

الجزء

ما بينه وبين الناس وكل ذلك من لوازم اصلاح امر الآخرة وعدم مجانبة الناس بيانهم والكف عن الشر فيما بينه وبينهم منها وذلك مع مسالمتهم ومعاملتهم بمكارم الاخلاق التي هي من اصلاح امر الآخرة مستلزم اصلاحهم وميلهم اليه من كل ذلك وانقيادهم عليه بالنفع والعون وكف الاذى ويجب في ذلك ان يكون صالح دنياه والا فالدنيا المطلوبة لمن اصلح امر آخرته سهل التحصيل منها ما يحتاج اليه على الاقتصاد وذلك امر قد تكفلت العناية الالهية بسوقه واصلاحهم مدة الحيوة الدنيا واما الثالثة فلان واعظ النفس باعث على تقوى الله ولزوم العدل في قوتي الشهوة والغضب اللتين هما سببا الشر المستلزم للهلاك في الدارين وذلك مستلزم لحفظ الله فيهما

وقال ع الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله كون هو كل الفقيه عن تمامه اى الفقيه الكامل في فقهه وذلك ان فقه وضع الكتاب العزيز علم ان غرضه الاول جذب الناس الى الله في سبيل مخصوصة بوجوه من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والبشارة والنذارة وغيرها من ضروب تقرر ان لا يقنط الناس من رحمة الله بآيات وعيده ونذارته ولا يؤيسهم بذلك من روحه لما يلزم الياس من الاغراق في المعصية واتباع الهوى الحاضر الذي لا يرجى من نفع النفس عند من في الآخرة ولذلك قال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وان لا يؤمنهم من مكر الله بالجزم بآيات وعده وبشارته لما يستلزم السكون الى ذلك والاعتماد عليه من الانهماك في المعاصي والمناهي واتباع الهوى ولذلك قال تعالى أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون بل يكون تارة باعثا ومعظا ومجذبا الى الله مقاصد سنته ووضع شريعته

وقال ع اوضع العلم ما وقف على اللسان وارفعه ما ظهر على الجوارح والاركان كنى بالاول عن العلم الذي لا عمل معه وظهوره ووقف على اللسان فقط وهو انقص رتبة العلم واراد بالثاني العلم المقرون بالعمل فان الاعمال الصالحة لما كانت من ثمرات العلم بالله وما هو اهله كان العلم فيها ظاهرا على جوارح العبد واركانه لظهور العلة في معلولها وذلك هو العلم المنتفع في الآخرة

وقال ع ان هذه القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكم النفوس قد يقع لها انصراف عن العلم الواحد وملال النظر فيه بسبب مشابهة بعض اجزائه لبعض فاذا طالعت النفس على بعضه فانس بما لم تعلم منه على ما غلب ولم يكن الباقي عندها من الغريب لتلتذ به وتقدم على النظر فيه ولما كان ذلك الملال والانصراف عن مجهولها امر بطلب طرائف الحكمة واراد لطائفها وغرائبها المعجبة للنفس اللذيذة لها لتكون ابدا في اكتساب الحكمة والتذاذ باستفادتها من بعض غرائبها الى بعض واراد بالحكمة الحكمة العملية وامثالها اوامرها منها

وقال ع لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة لانه ليس احد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن فان الله سبحانه يقول واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة قال عليه السلام ومعنى ذلك انه سبحانه يختبرهم بالاموال والاولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن لتظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب لان بعضهم يحب الذكور ويكره الاناث وبعضهم يحب تثمير المال ويكره انثلام الحال قال السيد وهذا من غريب ما سمع منه من التفسير حاصل الكلام ان الفتنة اعم من الفتنة المستعاذ منها لصدقها على المال والبنين باعتبار ابتلاء الله تعالى عباده واختباره لهم بهما وهما غير مستعاذ منهما اذا راعى العبد فيهما امر الله ولزم طاعته واما الفتنة المستعاذ منها فهي التي تستلزم الوقوع فيها الضلال عن سبيل الله كالخروج في المال عن واجب العدل وصرفه في امداد الشهوات واتباع الهوى

وقال ع عن الخير ما هو فقال ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك وان يعظم حلمك وان تباهي الناس بعبادة ربك فان احسنت حمدت الله وان اسأت استغفرت الله ولا خير في الدنيا الا لرجلين رجل اذنب ذنوبا فهو يتداركها بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات ولا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل ما يتقبل اول الخير في العرف العامي هو كثرة المال والقنيات الدنيوية وفي عرف السالكين الى الله هو السعادة الاخروية وما يكون وسيلة اليها من الكمالات النفسانية وربما قصد تنبيه من توهم من ذلك وقد نهى عن ان يكون الاول خيرا وذلك لفنائه ومفارقته لما عسى ان يلحق بسببه من الشر في الآخرة وعين الثاني وعدد منه كمال القوى الانسانية فكثرة العلم كمال القوة النظرية للنفس العاقلة وعظم الحلم من كمال القوة العملية وهو فضيلة القوة الغضبية ومباهاة الناس بعبادة ربه اى المفاخرة بها بالكثرة والاخلاص وحمد الله على توفيقه للحسنة واستغفاره للسيئة وذلك من فضائل القوة الشهوية وكمال القوة العملية ثم حصر خير الدنيا في امرين وذلك لان الانسان اما ان يشتغل بمحو السيئات واعدامها ويتدارك فارط ذنوبه ويعدل نفسه بذلك لاكتساب الحسنات او يشتغل بايجاد الحسنات فيها ولا واسطة من الخير المكتسب في هذين الامرين ثم حكم بعدم قلة العمل المقرون بتقوى الله منهما بذلك على ان تدارك الذنوب بمحوها والمسارعة في الخيرات مستلزم للتقوى وانما كان غير قليل لانه مقبول عند الله والمقبول عنده مستلزم لثواب العظيم وذلك ترغيب في الامرين المذكورين

وقال ع ان اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤوا به ثم تلا عليه السلام قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا الآية ثم قال عليه السلام ان ولي محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته وان عدو

والترهيب

على انفسهم

او فقه

الملال م

سئل ع

في ارشاد الناس طريق سلوكهم وعملهم

محمد من عصى الله وإن قربت قرابته ولما كان الغرض من الأنبياء عليهم السلام جذب الخلق إلى الله بطاعته فكل من كان أبلغ في الطاعة كان أشد موافقة لهم وأقرب إلى قلوبهم وأقوى نسبة إليهم ولما لم يمكن طاعتهم إلا بالعلم بما جاؤوا به كان أعلم الناس بذلك أقربهم إليهم وأولى بهم وبرهان ذلك الآية المذكورة وذكر حال الأنبياء ليعلم مراده الإجمالي ثم خصص الذكر بمحمد صلى الله عليه كما هو عادة الخطيب والمراد بالولي هنا الأولى وأشار إلى أن طاعة الله علة للولاية وإن بعدت لحمته ومعصيته علة للعداوة وإن بعدت قرابة المطيع أو قربت قرابة العاصي ليعلم أن الطاعة والمعصية علتان مستقلتان للأولوية والعداوة له فيحصل الترغيب في الطاعة والتنفير عن المعصية **وقال ع** وقد سمع رجلا من الحرورية يتهجد ويقرأ القرآن فقال نوم على يقين خير من صلاة في شك والحرورية فرقة من الخوارج نسبوا إلى حروراء وهي قرية بالنهروان وإن كان أول اجتماعهم بها والتهجد السهر في العبادة ولما كان كذلك كان نوم العالم على يقين منه بما ينبغي لنفسه وعلم ما بين يديه مما ينبغي له من عبادة والجاهل على شك فيما ينبغي لنفسه من أصول العبادة مما لا ينبغي فيه من إتعاب البدن من غير فائدة فكان الأول أولى وخيرا من الثاني وأراد ما هم عليه من الشك في إمامة إمام الوقت الذي هو مبدأ تعليم العبادات وكيفيتها والعلم بركن من أركان الدين فإن الشك فيه يستلزم عدم الاستفادة منه والشك في كثير مما يحتاج إليه فيه كعلم التوحيد وأسرار العبادات وكيفية السلوك إلى الله تعالى بطاعته **وقال ع** اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل عقل الرعاية ضبطه بالفهم ورعاية العلم وعقل الرواية ضبط ألفاظها وسماعها دون تفهم المعنى ورغب في ذلك بضميمه صغراه قوله فإن رواة العلم الخ وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغي أن يعقل عقل رعاية لتكثر رعاته لتكثر رعاته وسمع رجلا يقول إنا لله وإنا إليه راجعون فقال إن قولنا إنا لله إقرار على أنفسنا بالملك وقولنا وإنا إليه راجعون إقرار على أنفسنا بالهلك والكلمة تفسيرها ظاهر ومدحه قوم في وجهه فقال ع اللهم إنك أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون واغفر لنا ما لا يعلمون هذا كسر لنفسه ع في مقابلة المدح الموجب للعجب ثم سأل الله أن يجعله خيرا مما يظنون ثم خيرا وأن يغفر له ما لا يعلمون من عيوبه فإن قلت إنه معصوم فكيف يصدر عنه عيب يطلب مغفرته قلت غاية ما أسلف أن عيب مثله ع وما يسمى ذنبا في حقه إنما هو من باب ترك الأولى وليس هو من الذنوب المتعارفة التي عصم عنها **وقال ع** لا يستقيم قضاء الحوائج إلا بثلاث باستصغارها لتعظم وباستكتامها لتظهر وبتعجيلها لتهنأ اشترط في استقامة قضاء الحوائج أي كونها على ما ينبغي من العدل ثلث شرائط أحدها استصغار قاضي الحاجة لها ليعرف بالسماحة وكبر النفس فيعظم عطاؤه وثانيها أن يكتمها فإن صاحب الناس أدعى إلى إظهار ما استكتم وأكثر حاثا به من غيره الثالثة تعجيلها لتهنأ أي لتكون هنيئة يقال هنئ الطعام يهنأ وذلك أن الإبطاء بقضاء الحاجة ينغصها على طالبها فتكون لذلك مشوبة بتكدير بطؤها **وقال** يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه إلا الماحل ولا يظرف فيه إلا الفاجر ولا يضعف فيه إلا المنصف يعدون الصدقة فيه غرما وصلة الرحم منا والعبادة استطالة على الناس فعند ذلك يكون السلطان بمشورة الإماء وإمارة الصبيان وتدبير الخصيان وأقول الماحل الساعي بالنميمة إلى السلطان وأصل المحل الكيد والمكر ودوي الماجن وهو المتكلم بما يشتهي من الباطل والهزل والاستهزاء والعزم الذين يريدان ذلك الزمان لسوء أهله وبعدهم عن الدين وقوانين الشريعة يجعل فيه الرذائل مكان الفضائل ويستعمل ما لا ينبغي مكان ما ينبغي فيقرب الملوك السعاة النمام بالباطل مكان أصحاب الفضائل ومن ينبغي تقريبه ويعد الفاجر وهو صاحب رذيلة الإفراط في قوة الشهوة صاحب فضيلة الظرف فيحكم كأنه ضعيفا عاجزا ويحتمل أن يريد بقوله يضعف أي يستضعفه عقله لتركه الظلم كأنه تارك حق ينبغي له أخذه ويعد فيه الصدقة التي ينبغي أداؤها بغير طلبا للثواب غرما كأداء الدين في الثقل وكذلك يعد صلة الرحم منا وفيه إبطال للفضيلة المذكورة لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ويستطال بالعبادة على الناس ويترفع بها ربها كالمان عليهم بذلك ثم جعل من علامات ذلك الزمان كون السلطان والملك يدبر بمشورة الإماء وإمارة الصبيان وتدبير الخصيان وهي علامات زماننا وقبله بمدة ورئي ع وعليه إزار خلق مرقوع فقيل له في ذلك فقال يخشع له القلب وتذل له النفس ويقتدي به المؤمنون ذكر في لبس ذلك الخلق ثلث مقاصد خشوع القلب خضوع النفس العاقلة وانكسارها عن الفقر وذلة النفس انكسار النفس الأمارة بالسوء عنه واقتداء المؤمنين بذلك للتصيب الأولين **وقال ع** إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن أحب الدنيا وتولاها أبغض الآخرة وعاداها وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما كلما قرب من واحد بعد من الآخر وهما بعد ضرتان استعار لفظ العدو لهما باعتبار ما بينهما من البعد لطالبهما وكونهما سبيلين مختلفين ومن لوازم ما بينهما من العداوة والاختلاف كون المحب لأحدهما مبغضا للأخرى ثم شبههما بالمشرق والمغرب ووجه التشبيه تباينهما واختلاف جهتيهما وشبه الطالب لهما بالماشي بينهما ووجه التشبيه قوله كلما قرب إلى الآخرة فإن الطالب للدنيا بقدر توجهه في طلبها يكون غفلته عن الآخرة وانقطاعه عنها وكلما أمعن في تحصيلها ازداد غفلة وبعدا عن الآخرة وبالعكس كالماشي إلى أحد جهتي المشرق والمغرب ثم شبههما بعد ذلك بالضرتين

ووجه التشبيه

وعجبه الشيء ايضا ان القرب من احدهما يستلزم البعد عن الاخرى كالزوج ذي الضرتين وعن نوف البكالي قال رأيت امير المؤمنين ع
ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر الى النجوم فقال يا نوف اراقد انت ام رامق فقلت بل رامق يا امير المؤمنين قال يا نوف طوبى
للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة اولئك قوم اتخذوا الارض بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا والقرآن شعارا والدعاء
دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح يا نوف ان داود ع قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال انها ساعة لا يدعو فيها عبد
الا استجيب له الا ان يكون عشارا او شرطيا او صاحب عرطبة وهو الطنبور او صاحب كوبة وهو الطبل وقد قيل ان العرطبة الطبل والكوبة الطنبور
اقول البكالي بكسر الباء منسوب الى بكال قوم من اليمن والرامق الناظر والعريف نقيب الشرطية وكان من وجوه ع في ذلك الوقت
لما نقله عن داود ع ولانه محل الفراغ للاعتبار والفكر في خلق السموات ونبههما ثم عرف الزاهدين في الدنيا بستة اوصاف لغرض الاقتداء
بهم احدها اتخاذهم الارض بساطا الثاني وترابها فراشا الثالث وماءها طيبا وذلك من لوازم زهدهم في متاعها وتركهم عن
طيب نفس بذلك الرابع اتخاذهم القرآن شعارا الخامس الدعاء دثارا واستعار لفظ الشعار للقرآن باعتبار ملازمتهم له ودرسه
وتفهم مقاصده كالشعار الملازم للجسد ولفظ الدثار للدعاء باعتبار احترازهم به من عذاب الله ولشدائد الدنيا كالاحتراس
بالدثار عن البرد ونحوه السادس قرضهم للدنيا اي قطعها عنهم بالسرعة بل فصح قرضهم منها كما فعله المسيح من هذه الاوصاف وكان قيامه
عليه السلام في النصف الاخير من الليل وانما كان مظنة الاجابة لخلو النفس فيه عن الاشتغال بشواغل النهار المحسوسة وتوفرها
بعد النوم على الالتفات الى حضرة الملأ الاعلى واستعدادها لقبول السوانح الالهية وانما استثنى المذكورين لملازمتهم المعصية
التي تحجب نفوسهم عن قبول رحمة الله **وقال** ع ان الله افترض عليكم فرايض فلا تضيعوها وحد لكم حدودا فلا تعتدوها
ونهاكم عن اشياء فلا تنتهكوها وسكت لكم عن اشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها اقول فرايض الله واجباته وحدوده نهايات
ما اباحه من نعمته ورخص فيه والاشياء المنهي عنها ما جاز حدوده من المحرمات والرذائل وما سكت عنه كتكليف نفاة نوع علم لا نفع له في الآخرة فانه
لم يكلف عمدا نسيانا لانه تقدس عن ذلك بل لعدم فايدته الاخروية واستلزام الاشتغال به ترك الاشتغال بعلم نافع فيلزم منه الضرر
وقال لا يترك الناس شيئا من امر دينهم لاستصلاح دنياهم الا فتح الله عليهم ما هو اضر منه لما كانت مطالب الناس في الدنيا
اذا فتح باب الطلب لها غير متناهية لكون كل مطلوب يحصل معدا لطلب الزيادة فيه والاستكثار منه وتحصيل شرائطه ولوازمه كان
بعد الانسان عن الله بعدد قربه من الدنيا وبعدد امله فيها كان كل امر يستصلح به الدنيا الا ما هاد دينا معدا لفتح باب من ابواب طلبها
واصلاحها وهو اضر من الاول لكونه اشد ابعادا لانه ابعادا عن الله **وقال** ع رب عالم قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه اراد العالم
بما لا ينفع فيه من العلوم كعلم السحر والنيرنجات بل كعلم النحو وغيره من العلوم العقلية مثلا من جهل شرايع الاسلام فافتى بغير علم او تعدى
حدا او ارتكب منهيا فكان ذلك سبب هلاكه في الدنيا والآخرة او كعلم ما لا نفع فيه في الآخرة استلزم ترك علم مهم فيها فكان سبب
هلاكه مع عدم انتفاعه بخلاصه بما علم **وقال** ع لقد علق بنياط هذا الانسان بضعة هي اعجب ما فيه وهو القلب وله مواد من الحكمة
واضداد من خلافها فان سنح له الرجاء اذله الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف وان عرض له
الغضب اشتد به الغيظ وان اسعده الرضا نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحذر وان اتسع له الامن استلبته الغرة وان
اصابته مصيبة فضحه الجزع وان افاد مالا اطغاه الغنى وان عضته الفاقة شغله البلاء وان جهده الجوع قعد به الضعف وان
افرط به الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد **اقول** النياط عرق علق به القلب فالذي اخذه على عزة و
اراد بالمواد من الحكمة الفضايل الخلقية فانها باسرها من الحكمة وهي العلم بما ينبغي ان يفعل وهو الاصلح في كل باب وهي مواد كمال القلب
اشار باضدادها الى الرذائل المضادة للفضايل وهي التي اطراف التفريط والافراط منها فالاولى الطمع وهي رذيلة الافراط من
الرجاء وتفرعها بما يلزمها من الذلة للمطموع فيه وبما يلزم اشتداد الطمع من الحرص المهلك الثانية اليأس وهو رذيلة التفريط
من الرجاء وتفرعها بما يلزمها من شدة الاسف القاتل الثالثة رذيلة الافراط من الغضب وهي اشتداد الغيظ المسمى طيشا والوسط من الغضب
فضيلة الشجاعة وكظم الغيظ الرابعة ترك التحفظ ونسيانه وهو رذيلة الافراط من رضا الانسان بما يحصل عليه من دنياه الخامسة رذيلة
الافراط من عروض الخوف وهي الاشتغال بالحذر ربما ينبغي عمله وفضله والذي ينبغي فيه الاخذ بالحزم وترك الافراط في الخوف والعمل لما
المخوف السادسة رذيلة التفريط في عروض ضده وهو الامن وهي استلاب الغرة لعقل الآمن حتى لا يفكر في مصلحته وحفظ ما هو عليه
من الامن السابعة رذيلة التفريط من فضيلة الصبر على المصيبة وهي الجزع وتفرعه بما يلزمه من الافتضاح به الثامنة رذيلة الافراط من
حصول المال وهو الطغيان بكثرته والغنى منه والطغيان بها وذلك التاسعة رذيلة التفريط من الصبر على الجوع وذكر لازمها وهو قعود الضعف
به عما ينبغي وتفريعها عنها العاشرة رذيلة افراط الشبع من فضيلة القصد فيه وما يلزم ذلك الرذيلة من جهد البطنة وتفرعها بما يلازمها
ثم ختم ذلك بالتعبير من طرف الافراط والتفريط فيها اجمالا بما يلزم التفريط من مضرة القلب وبعده الفضيلة ويلزم الافراط فيها من افساده

في مواعظ الارشاد الثامن

مجرد حبه عنها وبالله التوفيق **وقال ع** نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالي واليها يرجع الغالي النمرقة الوسادة الصغيرة واستعار لفظها له
ولاهل بيته بصفة الوسطى اعتبارا لكونهم ائمة الحق ومستند الخلق في تدبير معاشهم ومعادهم على وفق العدل المتوسط بين طرفي الافراط و
التفريط ومن حق الامام الحق المتوسط في الامور ان يلحق به التالي له المقصر اعني المفرط وان يرجع اليه الغالي اي المفرط المتجاوز لحد العدل **وقال ع**
لا يقيم امر الله سبحانه الا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع المصانعة المصالحة برشوة ونحوها والمضارعة مفاعلة من الضرع وهو الذل
كان كلا منهما يضرع للآخر وظاهر ان مصانعة الغير يستلزم طلب رضاه وذلك يمنع من اقامة حدود الله وامره في حقه وكذلك المضارعة واتباع
المطامع من الغير فانهما يستلزمان ترك مواجهته بما يشق عليه من اوامر الله وحدوده **وقال ع** وقد توفي سهل بن حنيف الانصاري بالكوفة
بعد مرجعه معه من صفين وكان من احب الناس اليه لو احبني جبل لتهافت قال السيد ومعنى ذلك ان المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب
اليه ولا يفعل ذلك الا بالاتقياء الابرار والمصطفين الاخيار وهذا مثل قوله ع من احبنا اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا وقد يؤول ذلك
على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره اقول تهافت سقط قطعة قطعة وذلك مبالغة في كثرة ما يلحقه ويحيط به من المصائب والابتلاء وقوله من احبنا
فليستعد للفقر جلبابا اي هيئ له ذلك والجلباب مستعار لتوطين النفس على الفقر والصبر عليه ووجه الاستعارة كونهما ساترين للمستعد بهما
من عوارض الفقر وظهوره في سوء الخلق وضبط الصدر والتحير الذي ربما يؤدي الى الكفر كما قيل كاد الفقر ان يكون كفرا ولما كانت محبتهم عليهم السلام بصدق
تستلزم متابعتهم والاقتداء بهم والاستعداد ... ومن شعارهم الفقر ورفض الدنيا والصبر على ذلك وجب ان يكون كل محب لهم مستشعرا
للفقر ومستعدا له جلبابا من توطين النفس عليه والصبر وقد ذكر ابن قتيبة هذا المعنى بعبارة اخرى فقال من احبنا فليقتصر على التقلل من الدنيا
والتقنع فيها قال وشبه الصبر على الفقر بالجلباب لانه يستر الفقر كما يستر الجلباب البدن قال ويشهد بصحة هذا التاويل ما روي انه عليه السلام
راى قوما على بابه فقال يا قنبر من هؤلاء فقال شيعتك يا امير المؤمنين فقال ما لي لا ارى فيهم سيماء الشيعة قال خمص البطون من الطوى يبس
الشفاه من الظماء عمش العيون من البكاء وقال ابو عبيد انه لم يرد الفقر في الدنيا الا ترى ان فيمن يحبهم مثل ما في سائر الناس من الغنى وانما اراد الفقر
يوم القيمة واخرج الكلام مخرج الوعظ والنصيحة والحث على الطاعة فكانه اراد من احبنا فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من الثواب والتقرب الى
الله تعالى والزلفة عنده قال السيد المرتضى ره والوجهان جميعا حسنان وان كان قول ابن قتيبة احسن فذلك معنى قول السيد رض وقد يؤول
ذلك على معنى آخر وذكر القطب الراوندي احتمالا ركيكا لا يصلح حمل هذا الكلام عليه فلا نطول بذكره **وقال ع** سبع عشرة كلمة احدها لا مال اعود
من العقل ولا وحدة اوحش من العجب ولا عقل كالتدبير اي اعود بالنفع على صاحبه واستعار لفظ المال للعقل باعتبار ان به غنى النفس
وهو راس مالها الذي به يكتسب الارباح الباقية والكمالات المسعدة كالمال الذي به الكمال الظاهر ولما كان بين المالين من التفاوت ما شرف
علمت لا جرم لم يكن مال اعود منه والنفع الثانية ولا وحدة اوحش من العجب وجعل الوحدة من جنس العجب باعتبار ما يستلزمه من الوحشة
الموحشة وقد سبق بيان استلزام العجب لها الثالثة ولا عقل كالتدبير اراد بالعقل تصرف العقل العملي فاطلق عليه اسمه مجازا اطلاقا لاسم
السبب على المسبب وظاهر ان جملة تصرفاته التدبير واستخراج الآراء المصلحية في الامور ولما كان المقصود منه التدبير لا جرم لم يكن له تصرف
يشبهه فلا عقل مثله الرابعة ولا كرم كالتقوى والمفهوم من الكرم بذل ما ينبغي لمن ينبغي له ولما كان تقوى الله عبارة عن خشيته وكان من لوازمها
الزهد في الدنيا والاعراض عن متاعها كان ذلك في الحقيقة بذلا لجميعها واذا كان بذل بعضها يسمى كرما فبذلها باسرها اولى
ينبغي ان يكون كرما لا يشبهه كرم كما قال ع فيما سبق في وصفها ... جملتها الخامسة ولا قرين كحسن الخلق لما كان
الاحلاق الحسنة وظاهر انه ... قرينا اشرف منها لان غاية سائر القرناء ان ينتفع من صحبهم حسن الخلق بنفسه الذي هو الغاية
قرينا اشرف من ذي الغاية التي ... لا يحصل منه فلا قرين اذن يشبهه السادسة ولا ميراث كالادب وقد مر بيانه عن قرب السابعة ولا قائد
كالتوفيق اي الى المطالب لما كان التوفيق عبارة عن توافق الاسباب للشيء وشرائطه حتى يكون بمجموعها مستلزمة لحصوله لا جرم لم يكن المرء قائد
الى مطالبه كالتوفيق في سرعة وصوله اليها الثامنة ولا تجارة كالعمل الصالح استعار لفظ التجارة له باعتبار كونه مستلزما للخير كالتجارة المستلزمة
للربح ولما كان شرف التجارة بشرف ربحها وربحها فكلما كان الربح اشرف كانت التجارة اشرف ولما كان ربح هذه التجارة الثواب الدائم الاخروي
الذي لا ربح اعظم منه لم يكن تجارة كالعمل الصالح مما يشبهها من التجارات التاسعة ولا ربح كالثواب وهو ظاهر العاشرة ولا ورع كالوقوف
عند الشبهة قد يفسر الورع بانه الوقوف عن المناهي والمحرمات ولما كان الوقوف عما اشتبه من الامور ... الزهد في الحرام هو المامور به والثواب
دون غيره من اصناف الزهد كان افضل فضيلة الواجب على المندوب الثانية عشرة ولا علم كالتفكر اي كالعلم الحاصل عن التفكر وذلك
بالقياس الى ما يدعى علما من حفظ المنقولات كالاحاديث والسير ونحوها والى العلوم الحاصلة عن الحواس لان العلم الفكري كلي وهو اشرف
وحكم الشارع والخطيب كثير واراد التفكر فيما ينبغي من خلق السموات والارض وما خلق الله من شيء وتحصيل العبرة منه واطلق اسم التفكر على العلم
الحاصل عنه اطلاقا لاسم السبب على المسبب ويحتمل ان يريد العلم بكيفية التفكر والقوانين التي تعصم مراعاتها الفكر من الضلال الثالثة
عشرة ولا عبادة كاداء الفرائض لكونها واجبة والواجب اشرف من غيره الرابعة عشرة ولا ايمان كالحياء والصبر اي لا ايمان كايمان كمل

بالحياء

ضيق صح

وما سيماء الشيعة قال

ومحبتهم حسن الخلق وكون منه

... الورع ... الشبهة ...

بالحياء والصبر وذلك لشرفهما في الفضيلتين كما سبق واطلقهما على الايمان مجازا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه لجامعة ... ولا حسب
كالتواضع لما كان الحسب ما يعد من المآثر والفضائل كان التواضع شرف ما يعد بالقياس الى كثير منها لما يستلزم من الحوادث كما سبق
بيانه انه اشرف الحسب ولا شرف كالعلم اى كشرف العلم فاطلق اسم الملزوم على لازمه مجازا وظاهر ان العلم اشرف الكمالات ولا شرف كشرفه الثنا
عشر ولا مظاهرة اوثق من مشاورة اى اقوى وقد مر بيانا سبق قوله ولا ظهير كالمشورة واعلم ان الحكم في كثير من هذه الكمالات اكثرها
الترغيب في العقل والتدبير والتقوى وحسن الخلق والادب والتوفيق والرغبة الى الله تعالى والعمل الصالح والثواب والوقوف عند الشبهة
والزهد في الحرام والفكر والمحافظة على الفرائض وافشاء الحياء والصبر والتواضع والعلم والمشورة في الامور **وقال ع اذا استولى**
الصلاح على الزمان واهله ثم اساء رجل الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم واذا استولى الفساد على الزمان واهله
ثم احسن رجل الظن برجل فقد غرر قد مر ان الزمان من جملة الاسباب المعدة لتوافق اسباب صلاح الخلق في معاشهم ومعادهم
فيسمى زمان الصلاح والخير كما هو من جملة الاسباب المعدة لعدم ذلك فيقال هذا الزمان زمان فاسد والاول هو الزمان
الذي استولى الصلاح عليه وعلى اهله وحسبك لك يكون مظنة فعل الخير وان يحسن الظن باهله فمن اساء الظن في احد منهم لم يظهر
منه ما يجرى به عند الناس من فعل رذيلة فقد وضع اساءة ظنه في غير موضعها وهو خروج عن العدل وظلم وكذلك الثاني
هو الزمان الذي استولى الفساد عليه وعلى اهله ويحسب لك يكون مظنة فعل الشر وسوء الظن باهله فمن احسن الظن في احد منهم فقد
غرر اى وقع نفسه في الغرر والغفلة عن حاله **وقيل له يا امير المؤمنين كيف تجدك فقال كيف يكون حال من يفنى ببقائه**
ويسقم بصحته ويؤتى من مأمنه اجاب بصورة حاله على طريق الموعظة والتشكي ولما كان البقاء عبارة عن استمرار زمان الوجود و
استمرار الزمان وتعاقب اجزائه مقربا للاجل كان بقاؤه سببا في فنائه وكذلك لما كان من غايات الصحة السقم كان صحته سببا في
سقمه واما كونه يؤتى من مأمنه فيشبه ان يكون المأمن هنا مصدرا والمراد ان الداخل على المرء ونزول ما يكره به من الموت واهوال
الاخرة هو امنه في الدنيا وسكونه اليها وغفلته عما وراءها مما لا بد منه ويحتمل ان يكون المأمن محل الامن وهو الدنيا ومعنى كونه
يؤتى من مأمنه اى ان ما يدخل عليه من الادواء التي فيها هلاكه والمصائب التي تلحقه هو من احوال الدنيا التي هي مأمنه وعوارضها
التي يعرض له منها حال امنه فيه بحيث لا يمكنه الاحتراز منه **وقال ع كم من مستدرج بالاحسان اليه ومغرور بالستر عليه و**
مفتون بحسن القول فيه وما ابتلى الله احدا بمثل الاملاء له المستدرج المأخوذ على غرة والاملاء الامهال وتأخير المدة
وقد ذكر من الامور التي ابتلى الله بها عباده اربعة احدها الاحسان الى العبد بضروب النعم الثاني ستر المعصية عليه الثالث
حسن القول فيه وثناء الخلق عليه الرابع تأخير مدته وامهاله ولما كانت غاية الابتلاء بهذه الامور التي كلها نعم في الحقيقة اما
شكرها وكفرها كما قال تعالى ليبلوني ءأشكر ام اكفر وكان الشكر هو الغاية الخيرية المطلوبة لذاته نبه المبتلى بالنعمة الاولى على
شكرها بان كثيرا ما يستدرج بها فينبغي ان لا يغفل عنها ونبه المبتلى بالثانية على انها كثيرا ما يكون سببا للغرة بالله والامن من
مكره فيهما من المغلطين ونبه الثالث يكون فتنة فقد يكون سببا للفتنة وصرفه عن شكر الله وارتكابه لرذيلة العجب بنفسه ونبه الرابع
يكون نعمة اعظم ما يبتلى به من النعم **وقال ع هلك في رجلان محب غال ومبغض قال** لما كانت محبة اولياء الله فضيلة نفسانية
كان طرفا التفريط والتقصير منها الى غاية مقابلتها بالبغض وطرف الافراط الى غاية الغلو وتجاوز ما ينبغي رذيلتين يستلزمان هلاك
صاحبيهما في الاخرة اما رذيلة التفريط فلان بغض اولياء الله مستلزم لعداوتهم ومن عادى وليا من اولياء الله فقد عادى الله وكان
من الهالكين واما رذيلة الغلو والافراط فلان الغلاة اخرجوه عن حد البشرية الى سماء الالهية وهو صريح الكفر المستلزم للهلاك
وقال ع اضاعة الفرصة غصة اى ان تضييع الامر وقت امكانه من نفسه يستلزم الاسف والحزن على تفويته وهو يستعقب ... عن تضييع
الفرصة بالمرة **وقال ع مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها والسم الناقع في جوفها يهوي اليها الغر الجاهل ويحذرها ذو اللب العاقل**
مثل الدنيا بالحية ووجه التمثيل قوله لين مسها الى اخره وذلك ان الدنيا لذيذة المس وسهلة في عين الناظر اليها مع ان
فيما يشتهيه منها وبينا ولذا الشقاوة الاخروية والعذاب الاليم فيهوى اليها الجاهل غافلا عما فيها من سوء العاقبة ويحذرها العاقل كما
ان الحية لين مسها حسن منظرها يهوى اليها الجاهل سوارا من ذهب او فضة ويهوي اليها الغر لما فيها من سم ويحذرها من يعرفها **وسئل عن قريش**
فقال ع اما بنو مخزوم فريحانة قريش نحب حديث رجالهم والنكاح في نسائهم واما بنو عبد شمس فابعدها رايا وامنعها لما وراء
ظهورها واما نحن فابذل لما في ايدينا واسمح عند الموت بنفوسنا وهم اكثر وامكر وانكر ونحن افصح وانصح واصبح بنو مخزوم بطن
من قريش وهو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب ومنهم ابو جهل بن هشام بن المغيرة وال المغيرة كان المخزوم ريح
طيبة كالخزامى ولونا كلونه والولد يشبه الوالد غالبا ولذلك كانت هذه البطن تسمى ريحانة قريش وكانت المغيرة بن عبد الله
بن عمر بن مخزوم تسمى بذلك وقيل لانه كان في رجالهم كيس لذلك يحب الحديث اليهم وفي نسائهم لطف وتصنع وتحبب الى رجال

متهام

العارف هم

في ارشاد الناس كيفية علمهم وحكمهم

ولذلك يحب نكاحهم واما بنو عبد شمس بن عبد مناف فمنهم ربيعة وابناه شيبة وعتبة والاعياص حرب بن امية وابنه ابو سفيان واسيد بن عتاب ومروان بن الحكم ووصف هذا البطن ببعد الرأي وهو كناية عن جودة الفكر لان بعيد الرأي اذا كان يرى الصواب من بعيد القوة رأيه ثم بكونها امنع لما وراء ظهورها وهو كناية عن الحمية ثم وصف بنيه وهم بنو هاشم بكونهم ابذل لما في ايديهم اي اسخى ثم بكونهم اسمح عند الموت بنفوسهم اي اشجع ثم فضلهم وصفهم بفضيلة خارجية ورذيلتين ووصف بني هاشم بفضائل ثلث بدنيين ونفسانية والفضيلة فيهم هي كثرة العدد ورذيلتان كونهم امكر اي اكثر حيلة وخداعا وكونهم انكر اي اكثر نكرا والنكر المنكر واما فضائل بني هاشم فكونهم افصح وكونهم اصبح اي احسن وجوها واجمل وهما فضيلتان تتعلق بالبدن ويحتمل ان يريد بالاصبح كونهم الطف للناس والطلاقة والبشر بهم وذلك فضيلة نفسانية ثم كونهم انصح والنصيحة لمن ينبغي نصيحته فضيلة نفسانية تحت العفة **وقال ع** شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى اجره شتان اي افترق بينهما والاول العمل للدنيا وتبعته هو ما يتبعه من الشقاوة الاخروية والثاني عمل للآخرة وظاهر بينهما من فاعيلهما وتبع جنازة فسمع رجلا يضحك فقال ع كان الموت فيها على غيرنا كتب وكان الحق فيها على غيرنا وجب وكان الذي نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم اجداثهم ونأكل تراثهم كانا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة ورمينا بكل جائحة طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت خليقته وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم ينسب الى بدعة قال السيد ومن الناس من ينسب هذا الكلام الى النبي ص الاحوال الفقود والجائحة الداهية المستاصلة وغرض الفصل التنفير عن وضع الضحك في غير موضعه والتذكير بامر الآخرة وذكر تشبيهات ثلث احدها تشبيه الموت بالمكتوب على غير الاحياء والثاني تشبيه ما نشاهد من الاموات بالسافرين الذين يعودون عن قريب ووجه التشبيه في الثالثة قلة اهتمام الناس بالموت والتفاتهم الى اداء واجب حق الله عليهم وعدم اعتبارهم بمن يموت وقوله نبوئهم الى قوله جائحة من تمام وجه التشبيه فان الفاعل مثل هذا الفعل بالاموات كان من قساوة قلبه وعدم اتعاظه لم يكتب عليه ما كتب عليهم من الموت وقوله طوبى الى آخره عن في اقتناء الفضائل المذكورة بان له طوبى وهي الحقيقة الحالة الشريفة التي لاولياء الله في الآخرة من طيب الحال واللذة الباقية وذكر ثمان فضائل احدها ذلة النفس لله عن ملاحظة حاجتها وفقرها اليه ونظرها الى معادها الثانية طيب الكسب باخذه من وجوهه التي ينبغي الثالثة صلاح السريرة لله واخلاص الباطن من فساد النيات في المعاملات مع الخلق الرابعة حسن الخلق واقتناء فضائله الخامسة انفاق الفاضل عن الحاجة من المال فيما ينبغي من وجوه القربات الى الله وهي فضيلة السخاء السادسة امساك الفضل من الكلام ما زاد منه فيما لا ينبغي وهو السكوت في موضعه السابعة ما يسع الشرع من الناس وهو العدل او لازمه الثامنة لزوم سنة الله ورسوله وعدم الخروج عنها الى ما يبتدع في الدين ولا ينبغي **وقال ع** غيرة الرجل ايمان وغيرة المرأة كفر اما الاول فلان غيرة الرجل تستلزم سخطه لما سخط الله من اشتراك رجلين في امرأة وسخط ما سخط الله موافق لرضاه ومؤيد لنهيه وذلك ايمان واما الثاني فلان المرأة تغير بها في تحريم ما احل الله وهو اشتراك مرأتين فما زاد في رجل واحد وتقابله بالرد والانكار وتحريم ما احل الله وسخط ما رضيه رد عليه وهو لا محالة كفر **وقال ع** لانسبن الاسلام نسبة لم ينسبها احد قبلي الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل الصالح هذا قياس مفصول مركب من قياسات طويت نتائجها ونتيجة القياس الاول ان الاسلام هو اليقين والثاني انه التصديق والثالث انه الاقرار والرابع انه الاداء والخامس انه العمل اما المقدمة الاولى فلان الاسلام هو الدخول في الطاعة ويلزمه التسليم وهو عدم النزاع في ذلك وصدق اللازم على ملزومه واما الثانية فلان التسليم الحق انما يكون عن تيقن استحقاق المطاع للتسليم له فكان اليقين بذلك من لوازم التسليم لله فصدق عليه صدق اللازم على ملزومه الثالثة فلان اليقين باستحقاقه للطاعة والتسليم مستلزم للتصديق بما جاء به على لسان رسول الله ص من وجوب طاعته فصدق على اليقين بذلك تصديق له واما الرابعة فلان التصديق لله في وجوب طاعته اقرار بصدق الله واما الخامسة فلان الاقرار والاعتراف بوجوب امر يستلزم اداء اللفظ المعترف به او بما كان اقراره اداء الازما واما السادسة وهو ان الاداء هو العمل فلان اداء ما اعترف به من الطاعة ويؤول حاصل هذا الترتيب الى نتاج ان الاسلام هو العمل لله بمقتضى اوامره وهو تفسير بما هو من خواصه كما سبق بيانه **وقال ع** عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي اياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء وعجبت للمتكبر الذي كان بالامس نطفة ويكون غدا جيفة وعجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى من يموت وعجبت لمن انكر النشأة الاخرى وهو يرى النشأة الاولى وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء فجعل من ابتدائهم محل التعجب الزهو الاغنم عن رذائلهم الاول البخيل ومحل التعجب منه ثلثة امور احدها انه انما يبخل خوف الفقر في العاقبة لو انفق المال وتفقيره بعدم انتفاعه به في الحال صورة فقر حاضر فكان بذلك مستعجلا للفقر الذي هرب منه الى البخل الثاني انه طالب للغنى بجمعه ببخله ابدا سبب لتفوته الحاضر

تنبيه على تشبيهات ثلث وجه التشبيه في الاحوال للاول والاخرين ... (marginal note, partly illegible)

(marginal note) ... التعجب من رذائلهم الاول البخيل

المنافي لغناه و المغبون له ما يستفيده بسبب الغنى هو الممنوع للغنى الثالث انه يعيش في الدنيا عيش الفقراء لعدم انتفاعه بماله ويحاسب في الاخرة حساب الاغنياء لمساركته اياهم في جمع المال ومحبته اللذين هما مبدء الحساب فكأنه منهم هذا الاعتبار الثاني المتكبر ومنبه على وجه التعجب منه بذكر مبدء كونه وهو كونه نطفة في غاية الحقارة والتنفر المنافي لكبره وغاياته وهو كونه جيفة في نهاية القذارة وجمعه بين هذين الامرين وبين التكبر من اعجب العجب الثالث الشاك في الله وهو يرى خلقه وذلك جمع بين الشك في وجوده وبين رؤيته ظاهرا في وجود مخلوقاته وعجائب مصنوعاته وهو محل العجب الرابع الناسي للموت مع رؤيته لمن يموت وظاهر نسيان الموت مع رؤيته دائما محل التعجب الخامس منكر النشأة الاخرى واعادة الابدان بعد عدمها وظاهر ان انكاره لذلك مع اعترافه بالنشأة الاولى وهي الوجود الاول للمخلوق من العدم الصرف محل التعجب لان الاخرى اهون كما قال تعالى وهو اهون عليه السادس عامر الدنيا مع كونها فانية زائلة مع تركه لعمارة الاخرة الباقية في البقاء فهذا محل التعجب من هؤلاء والاشارة الى وجوه تنفير الخلق عن الامور المذكورة

معرض التعجب

و قال ع من قصر في العمل ابتلي بالهم ولا حاجة لله فيمن ليس لله في نفسه وماله نصيب المقصر في العمل يكون غالب احواله متوفرا على الدنيا مفرطا في طلبها وجمعها وبقدر التوفر عليها يكون شدة الهم في جمعها وتحصيلها اولا ثم في ضبطها والخوف على فواتها ثانيا وفي الخبر المشهور خذ من الدنيا ما شئت وخذ من الهم ضعفه ففهم عن النقيصة في الاعمال البدنية والمالية بقوله ولا حاجة لله الى آخره وكنى بعدم حاجته عن اعراضه عنه وعدم النظر اليه بعين الرحمة لعدم استعداده لذلك وقال عليه السلام توقوا البرد في اوله وتلقوه في آخره فانه يفعل في الابدان كفعله في الاشجار اوله يحرق وآخره يورق اشار الى وجه الامر بتوقيه في اوله وهو ان التحرز فيه لان الصيف والخريف يشتركان في اليبس فاذا صدر البرد ورد على ابدان اشتعل بحرارة الصيف ويبسه فتخلخل وتفتح المسام والجفاف فاشتد انفعال البدن عنه واسرع تاثيره في قهر الحرارة الغريزية فيقوى عن ذلك في البدن قوتا البرد واليبس اللتان هما طبيعة الموت فيكون بذلك يبس الاشجار واحتراق الاوراق وانحسارها وضمور الابدان وضعفها واما امره بالتقائه في آخره وهو اواخر الشتاء واول زمان الربيع فلان الشتاء والربيع يشتركان في الرطوبة ويفترقان في ان الشتاء بارد والربيع حار فالبرد المتاخر اذا امتزج بحرارة الربيع وانكسرت سورته بها لم يكن له بعد ذلك نكاية في الابدان فتقوى بذلك الحرارة الغريزية بها وتنتعش فكان من اعتدالها بالبرد مع الرطوبة استعداد المزاج هو طبيعة الحيوة وكان منه النمو وقوة الابدان وبروز الاوراق والثمار وقوله فانه الى آخره صغرى ضمير تنبيه على نوع حجته ونتيجته كبراه وكل ما كان كذلك فانه يجب توقيه في اوله وتلقيه في آخره وقوله اوله يحرق والخوه يورق بيان لوجه التشبيه و قال ع عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك هذا امر يجده العارفون بالله فان من عرف عظمة الله وجلاله ولحظ جميع المخلوقات بالقياس اليه حتى علم ما لها من ذواتها وهو الامكان والحاجة وعدم استحقاق الوجود الا منه فعلم انها في جنب عظمته عدم ولا احقر من العدم ومقدار صغر المخلوق في اعتبار العارف بحسب رتبته في عرفانه وقيل لبعض العارفين فلان زاهد فقال فيماذا فقيل في الدنيا فقال الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة فكيف يعتبر الزهد فيها والزهد انما يكون في شيء والدنيا عندي لا شيء و قال ع وقد رجع من صفين فاشرف على القبور بظاهر الكوفة يا اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور المظلمة يا اهل التربة يا اهل الغربة يا اهل الوحدة يا اهل الوحشة انتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق اما الدور فقد سكنت واما الازواج فقد نكحت واما الاموال فقد قسمت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم التفت عليه السلام الى اصحابه فقال اما لو اذن لهم في الكلام لاخبروكم ان خير الزاد التقوى الفرط الذي يتقدم الواردة فيهيء لهم الارسان والدلاء وخاطبهم عليه السلام بخطاب من يسمع اقامة لحالهم المعهودة مقام اشخاصهم الحاضرة والديار الموحشة والمحال المقفرة القبور وغرض الفصل ترقيق القلوب القاسية وتنبيه النفوس الغافلة عن غاية الدنيا ومنافعها لغاية العمل فيها كما ينبغي ولما كان الحق هو ان خير الزاد التقوى كما نطق به القرآن الكريم وكان ذلك مما شاهده المنقولون في جزائهم شقوة والفجار في حرمانهم بعد الاجرام لو اذن لهم في الجواب واطلقوا النطق لكان جوابهم ما عرفوا من الحق و قال ع وقد سمع رجلا يذم الدنيا ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها المخدوع باباطيلها اتغتر بالدنيا ثم تذمها انت المتجرم عليها ام هي المتجرمة عليك متى استهوتك ام متى غرتك ابمصارع آبائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء غداة لا يغني عنهم دواؤك ولا ينفعهم بكاؤك لم ينفع احدهم اشفاقك ولم تسعف فيه بطلبتك ولم تدفع عنه بقوتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر اولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها فمثلت لهم ببلائها البلاء وشوقتهم بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيبا وترهيبا وتخويفا وتحذيرا فذمها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون يوم القيامة ذكرتهم الدنيا فتذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا اقول التجرم

وحدثتهم

في مواعظ مشتملة على ترك الدنيا والتوغل فيها

المذمّم جريمته واستهوتك فطلبت هويك لها وهوا الدنيا ومثلت صورته وقواها الذام الى فعل غرتك توبيخ له على الاغترار بها وذمها
مع ذلك وكذب في عوامانها هي فى انه المجرمة عليه واستفهامه عن وقت استهوائها له استفهام منكر لذلك موبخ عليه واكد ذلك باستفهام
انه ذلك المغرور لمنها باي شئ كان امن مصارع الاباء بمصاجع الامهات وذلك على وجه الاستهزاء منه والتنبيه له على ما يوجب النفرة
منها وعدم الاغترار بها من سوء صنيعها باهلها حتى كانها قاصدة لذلك للتنبيه والتنفير عنها وقوله كم علّلت الى قوله مصرعك
صغرى ضمير دال على ما ادعاه لها من كونها منبهة من الغفلة وليس قصدها الغرور وتقديرها انه من صدقت الدنيا نفسك
اكثرت تعليله وتمريضه من اهلك طالبا له الشفاء ومستوصفا له الاطباء فلم ينفعه ذلك منك وقد مثلت بصرعه مصرعك
نفد يرالكبرى وكل من مثل لك ذلك وصوّره لك فليس من اهل التلبيس عليك والغرور لك بل من نصحائك ومنبهيك فقلت
ثم لما نفى عنها الذم اخذ في مدحها وذكرها اوصافا ثمانية احدها انها دار صدق لمن صدقها اي فيما اخبر به بلسان حالها من فنائها
وزوالها وقصد بقيامه اغترار بذلك منها واهله الثانى ودار عافية لمن فهم عنها ما اخبرت عنها من فطانتها حتى اخبر ومن
افاتها وعوفي من عذاب الله بها الثالث ودار غنى لمن تزود فيها التقوى زاد السفر الى الله فظاهرات التقوى وعن بها في الاخرة
اعظم غنى المتقين الرابع ودار موعظة لمن اعتبر بها فعلم وصفها وغايتها الخامس كونها مسجد احباء الله من رسله واوليائه السادس كونها
مصلى ملائكة الله الارضية الذين سجدوا لادم السابع كونها مهبط وحي الله الثامن كونها متجر اولياء الله الذين اكتسبوا فيها رحمته
ورحمته وربحوا جنته ثم استفهم بعد هذه المدائح عمن يذمها منكرا عليه مبينا الاحوال الخرعة لها بيانا في ذمها اي فمن ذا يذمها وهذا
الصفات المذكورة وهي على هذه الاحوال وذكر منها ستة احدها كونها اذنت اهلها واعلمهم بفراقها والواو في قوله وقد للحال الثانى
ونادت بفراقها الثالث ونعت نفسها كل ذلك بلسان حالها من التغير والانتقال المؤذن بالزوال الرابع كونها مثلت لهم ببلائها البلاء
في الاخرة الخامس وشوقتهم بسرورها الى السرور في الجنة وانما كان كذلك لان كل ما في هذا العالم فهو صورة ومثال لما في عالم الغيب
وشبح منه يعتبر به ويقاس اليه ولولا ذلك لانسد طريق الترقي الى الحضرة الالهية وتعذر الوقوف على شيء من اسرارها فالسالكون
الى الله لما شاهد والبلاء الاخرة من بلاء الدنيا عملوا للخلاص منه ولما شاهدوا السرور من سرور الدنيا وعلموا ان بينهما فرقا
عظيما وان الاشرف لا يحصل الا برفض الاخس فاقتصروا على الصالح منها في الغائب بالتنافس السادس تراحها بعافية وابتكارها
بفجيعة وهو كناية عن سرعة انتقال احوالها وتبدل اطوارها من نعماء الى شدة ومن صحة الى سقم ونسبة هذه الافعال اليها لانها سببية
ما في ذلك ولما نسب اليها الافعال الاختيارية جعل لها منها غايات وهي ترغيب الناس الى الله وترهيبهم منها ثم اشار الى سبب ذمها من ذمها
وهو ندامة المفرطين في اتخاذ زاد التقوى الى الاخرة منها فنسبوا ذلك التفريط الى غرورها لهم وهو باطل كما بيّنه ثم الى سبب مدحها من
مدحها وهو ثلثة احدها التذكرها لهم بزوالها ان ورائها غاية باقية يجب العمل لها فذكروا ما ذكرتهم وعملوا الثانى حدثتهم بذلك
حتى صدقوا الثالث وعظتهم بعبرها حتى اتعظوا **و قال ع** ان لله ملكا ينادي في كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب واجمعوا
للفناء ذلك النداء على وفق ما علم من القضاء الالهي في طبيعة الدنيا وغاياتها والامور الثلثة وهو الموت والفناء والخراب غايات
طبيعية واللام فيها هي المسماة بلام العاقبة **و قال ع** الدنيا دار ممر والناس فيها رجلان رجل باع نفسه فاوبقها ورجل
ابتاع نفسه فاعتقها اوبقها اهلكها وكون الدنيا دار ممر باعتبار انها طريق الى الاخرة التي هي دار المقر واستعار لفظ
البيع للبائع نفسه باعتبار تسليمها الى الهلاك الاخروي واعتياضه عنها ما اصاب من اللذة الدنيوية وكذلك لفظ الابتياع للمشتري
نفسه باعتبار انقاذها من ذلك الهلاك ببذل ما قدر عليه من حاضر اللذات والاعراض عنه وحصر المكلفين في الرجلين الذكور
ظاهر **و قال ع** لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ اخاه في ثلث في نكبته وغيبته ووفاته جعل الصديق الصديق خاصة
يعرف بها وهو ان يحفظ صديقه في الامور الثلثة وحفظه بالقيام مقامه فيما ينبغي فعله في صلاح حاله بقدر الامكان **و قال**
من اعطى اربعا لم يحرم اربعا من اعطى الدعاء لم يحرم الاجابة ومن اعطى التوبة لم يحرم القبول ومن اعطى الاستغفار لم يحرم المغفرة ومن
اعطى الشكر لم يحرم الزيادة وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه قال الله في الدعاء ادعوني استجب لكم وفي الاستغفار ومن يعمل سوءا
او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال في الشكر لئن شكرتم لازيدنكم وقال في التوبة انما التوبة على الله للذين يعملون
السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما اقول الامور الاربعة الاولى انما كانت باخلاص كل
منها سببا في اعداد النفس لقبول صورة ما لرحمة الالهية من الاجابة والتوبة لقبولها واسقاط ثمرة المعصية والاستغفار
للمغفرة والشكر للزيادة والشواهد الالهية ناطقة بذلك على وفق مقتضى العقل **و قال ع** الصلوة قربان كل تقي والحج جهاد
كل ضعيف ولكل شيء زكوة وزكوة البدن الصيام وجهاد المراة حسن التبعل التبعل معاشرة البعل وصحبته والكلام اشارة الى بعض
اسرار هذه العبادات فمن اسرار الصلوة كونها قربانا الى الله فهم وقد علمت انها اعظم ما يتقرب به المتقون من العبادات ومن

في كلامه لكميل بن زياد النخعي

اسرار الحج كونه جهادا في سبيل الله لما فيه من مشقة السفر جهادا هذه الطبيعة ومقاومة النفس الامارة بالسوء مع قوتها ثم نبه عليه

الاطلاع على اسرار الحج وفوايد تروع ما في كيفيته من الافعال التي يتعجب منها الجاهلون وانما خص الضعيف بذلك لان جهاد الاكثر

للقوي جهادا اخر هو المشهور ومن اسرار الصوم كونه زكوة للبدن لما فيه من تنقيص قوته وكسر شهوته لطاعة الله وللثواب الاخروي

كما ان الزكوة تنقيص في المال مستلزم لزيادة الثواب الاخرة ومن اسرار التبعل حسن معاشرة البعل وطاعته في طاعة الله ومحبته لكسر

كسر النفس الامارة للمرأة وانقيادها في صراط الله وقال ع استنزلوا الرزق بالصدقة وفي الكلمة فايدتان احديهما الترغيب في

الصدقة وجذب اليها بكونها سببا لاستنزال الرزق وقد قررت الصدقة بباب عظيم لذلك معد لحصوله ومن وجوه اعدادها كونها نفعا

متعديا يستلزم تالف قلوب اهل الله والصالحين من عباده واجتماع هممهم على دعاء الله لصلاح حال المتصدق الثانية التنبيه على

الاسباب لما عند عليها وعلى ان البذل في كثر الخلق ليجتنب فيسهل معه البذل وهو الثقة بالله واليقين بالخلف منه كما نطق به وعده تعالى

ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم الاية وقال ع تنزل المعونة على قدر المؤونة المؤونة التعب والشدة وهي مفعلة

من الاين والمراد ان الشدة والثقل للعيال ونحوهم معد لاستنزال معونة الله برزقه وقوته على القيام بلوازمهم ودفع المؤونة عنهم وقال ع

ما عال امرؤ اقتصد العيلة الفقر والاقتصاد الانفاق بقدر الحاجة المتعارفة وذلك معد لعدم الحاجة لان قدر الحاجة من المال الذي

قد تكفل الله بادراره مدة البقاء وهو ما لابد للمقتصد منه وقال ع قلة العيال احد اليسارين والتودد نصف العقل والهم

نصف الهرم اما الاول فلان الغنى المتعارف يكون بحصول المال والمال اعتباران احدهما حصوله والثاني عدم انفاقه مع حصوله ايسار وعدم

انفاقه على العيال بقلتهم يساران واطلق اليسار على قلة العيال مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب اما الثاني فلان العقل العملي ولفظه

مجاز في تصرفاته اطلاقا لاسم السبب على المسبب من جملة تصرفاته في التدبير التودد الى الخلق ولما كان الانسان محتاجا في اصلاح معاشه

الى غيره وكانت معاملته لهم في ذلك اما على سبيل التودد وما يلزمه من جميل المعاشرة وحسن الصحبة والمسامحة والترغيب واما على وجه

القهر والغلبة والترهيب لا جرم كان التودد وما يلزمه نصف العقل اي نصف تصرفه في تدبير امر معاشه واما الثالث فلان الهرم اما طبيعي

واما لسبب من خارج وهو الهم والحزن والخوف المستلزم له فهو اذن قسيم للسبب الطبيعي وقسم من اسباب الهرم كالنصف له فاستعار لفظ

النصف واراد والهم نصف سبب الهرم وقال ع ينزل الصبر على قدر المصيبة ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط اجره ان

الله سبحانه جعل للانسان قوة استعداد لان يصبر بقدر مصيبته من ثم استعداده افيض عليه ذلك بقدر من الصبر ومن قصر

في الاستعداد لحصول هذه الفضيلة وارتكب ضدها وهو الجزع حبط اجره وهو ثوابه على الصبر وكنى عن الجزع بما يلزمه في العادة من

ضرب اليد على الفخذين وقيل بل يحبط ثوابه السابق لان شدة الجزع يستلزم كراهية قضاء الله وسخطه وعدم الالتفات الى

ما وعد به من ثواب الصابرين وهو معد لمحو الحسنات من لوح النفس وسقوط ما يلزمها من ثواب الاخرة وقال ع كم من صايم ليس له من صيامه

الا الجوع والعطش وكم من قايم ليس له من قيامه الا السهر والعناء حبذا نوم الاكياس وافطارهم اراد بذلك من اخل بشرايط صيامه

وقيامه بان على تحصيل الاجزاء واعظم شرايطهما توجيههما الى المعبود الحق وكثير مخلل العبادة وفسادها من كثير من الخلق انما

يكون للجهل بهذا الشرط وكنى بالقيام عن الصلوة وانما مدح نوم الاكياس لان الكيس هو الذي يستعمل ذكوه وفطنته في طرق الخير وعلى الوجه المرغوب

للشارع ويضع كل شيء موضعه ومن كان كذلك كان نومه وافطاره وجميع تصرفاته في عباداته موضعه ووضعها من رضاء الله ومحبته وقال

وقال ع سوسوا ايمانكم بالصدقة وحصنوا اموالكم بالزكوة وادفعوا امواج البلاء بالدعاء سوسوا اي املكوا وذلك ان الصدقة

من الايمان التام ملكه وحفظه لا يكون بدونها واما تحصين المال بالزكوة فلان منعها انما يكون عن البخل وشدة الحرص وذلك باعث

لمستحقها على ذم مع الخلق الى التسبب في اداءه فكان مانعها متعرضا بذلك لتلف ماله وباداءها محصنا له واستعار لفظ الامواج للحوادث

المتواترة وقد مرت ان الدعاء باخلاص مما يعد النفس للاجابة بالمطلوب وغرضه الحث على الصدقة والزكوة والدعاء وقال ع لكميل بن زياد

النخعي ره قال كميل اخذ بيدي امير المؤمنين ع فاخرجني الى الجبان فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال يا كميل ان هذه القلوب

اوعية فخيرها اوعاها احفظ عني ما اقول لك الناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق

يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس

المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وصنيع المال يزول بزواله يا كميل بن زياد معرفة العلم دين يدان به يكسب

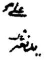
الانسان الطاعة في حيوته وجميل الاحدوثة بعد وفاته والعلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل بن زياد هلك خزان الاموال

وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة ها ان ههنا لعلما جما و

اشار بيده الى صدره لو اصبت له حملة بلى اصيب لقنا غير مأمون عليه مستعملا آلة الدين للدنيا مستظهرا بنعم الله

على عباده وبحججه على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في احنائه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة الا لا ذا

فى كلام له لكميل بن زياد النخعى

ولا ذا ولا ذاك او منهوما باللذة سلس القياد للشهوة او مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء اقرب شيء شبها بهما الانعام السائمة
كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا واما خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله
وبيناته وكم ذا واين اولئك والله الاقلون عددا والاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها
في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه
الجاهلون وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه آه آه شوقا الى
رؤيتهم انصرف اذا شئت **اقول** الجبان الصحراء والصعداء نوع من التنفس يصعده المتلهف والحزين والهمج ذباب صغير كالبعوض و
الرعاع الاحداث والعوام والنعق صوت الراعي بغنمه والاحناء الجوانب والمنهوم باللذة الشره فيها الحريص عليها والمغرم بالجمع شديد المحبة
له وفي الفصل نكت احدها انه عليه السلام نبهه للفهم عنه بقوله ان هذه القلوب الى قوله لذلك الثانية قسم الناس الى
ثلثة اصناف ووجه القسمة ان الناس اما عالم او ليس والثاني اما طالب للعلم او ليس ثم وصف كلا من الاقسام الثلثة بصفة او صفات
فالاول العالم ووصفه بالرباني نسبة الى الرب تعالى على غير قياس اي العالم علم ربوبيته وهو العارف بالله ثم زيدت الالف والنون
للمبالغة في النسبة قال الله تعالى كونوا ربانيين وقيل هو ابن الرب لانهم يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها وقيل لانهم يربون
العلم اي يقومون باصلاحه الثاني المتعلم ووصفه بكونه على سبيل النجاة ولما كان العلم سببا للنجاة في الآخرة وكان المتعلم في طريق
تحصيله كان على سبيل النجاة ليصل اليها بالعلم الذي هو غايته المطلوبة الثالث العوام ووصفهم باوصاف احدها استعار لهم لفظ
الهمج باعتبار حقارتهم الثاني وصفهم بالرعاع والحداثة لكونهما مظنتي الجهل الثالث كونهم اتباع كل ناعق ملاحظة لشبههم بالغنم في
الغفلة والغباوة الرابع كنى بكونهم يميلون مع كل ريح عن ضعفهم عن التماسك في مذهب واحد والثبات عليه الخامس كونهم لم يستضيئوا
بنور العلم وهو كونهم على ظلمة الجهل السادس ولم يلجأوا الى ركن وثيق واستعار الركن الوثيق للاعتقادات الحقة البرهانية التي يعتمد عليها
في دفع مكاره الآخرة الثالثة في مدح العلم وتفضيله على المال من وجوه احدها ان العلم يحرس صاحبه من مكاره الدنيا والآخرة والمال
يحرسه صاحبه والفرق بين ما يكون حارسا لصاحبه وبين ما يحتاج صاحبه الى حراسته في الفضيلة واضح الثاني ان العلم يزكو
ويزيد بالانفاق وافادته للطالبين لتذكر العالم بتعليمه وتذكره لما غفل عنه واستنباطه ما لم يكن عنده والمال تنقصه النفقة والاخراج
منه الثالث صنيع المال وهو الاحسان يزول بزوال المال والاحسان بالعلم باق ببقائه وصنيع فعيل بمعنى مفعول الرابع كون معرفة
العلم اي تحصيله دينا يدان به وقد علمت كونه الاصل في الدين الخامس كونه يكسب الانسان طاعة الخلق له في حياته وجميل الاحدوثة
بعد وفاته وهما من فضائله الخارجية السادس كونه حاكما على المال محكوما عليه اي متصرفا فيه في جمعه وانفاقه انما يكون على وفق
العلم بوجوه تحصيله ومصارفه السابع مزاحمته فضيلته على المال لكون خزان المال هالكين في الآخرة محكوم عليهم بذلك في الدنيا
وان صدق عليهم انهم احياء كما قال تعالى الذين يكنزونها لذهاب الفضيلة الاخروية والعلماء باقون ابدا وان فقدت اعيانهم من
الدنيا فصورهم في القلوب مشاهدة موجودة الرابعة اشار بعد تقرير كمال هذه الفضيلة الى ان في صدره منها شيئا كثيرا
وانما يمنعه عن اظهاره عدم وجدان من يحمله عنه وها للتنبيه وجواب لو محذوف تقديره لاظهرته الخامسة استنبش عن بجده
ونبه على عدم صلاحيتهم لحمل ما عنده من العلم واشار الى اربعة اصناف منهم ووجه القسمة ان غير اهل العلم من الناس اما طالبون
له او غير طالبين والطالبون اما قادرون على القيام بالحجة او غير قادرين وغير الطالبين له هم المشغولون بغيره عنه فاشتغالهم
اما بالانهماك في لذاتهم وسهولة الانقياد لشهواتهم واما بمحبة جمع المال وادخاره فالاول هو الخبيث الموصوف برذيلة الجربزة و

اشار اليه بقوله بلى اصيب لقنا الى قوله اوليائه واشار الى وجوه عدم صلاحيته لحمله احدها كونه غير مأمون عليه اي هو مظنة
ان يدعو الى غير اهله ويضعه في غير موضعه والضمير في قوله عليه للعلم الثاني كونه مستعملا آلة الدين وهو العلم في الدنيا و
استعماله فيها كالتكسب به مستظهرا بنعم الله وهي العلم على عباده كالتفوق عليهم ومغالبتهم واستعمال حجج الله وما علمه منها في مقابلة
اوليائه وتلبيس الحق بالباطل واما الثاني ممن لا يصلح لحمله فهو المقلد واشار اليه بقوله او منقادا الى قوله شبهة ومنقادا
عطف على لقنا واراد بالانقياد للحق الايمان به وتسليمه على سبيل الجملة واشار الى كونه غير صالح لحمله من وجهين احدهما كونه لا
بصيرة له في جوانب العلم وتفاصيله الثاني كونه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة لكن عارض من شبهة وذلك لعدم
العلم وثباته في نفسه بالبرهان والحجة الواضحة وقوله الا لا ذا ولا ذاك اي من حملة العلم الثالث هو المشار اليه بقوله او منهوما
الى قوله للشهوة والرابع هو المشار اليه او مغرما بالادخار واشتغلهما في معرض الذم لهما بوصفين احدهما كونهما ليسا من رعاة الدين
في شيء اي لا تعلق لهما بالدين والفصل الثاني كونهما اقرب شبها بهما الانعام السائمة باعتبار غفلتهما عن الدين وثمرته في الآخرة
وقوله كذلك اي بتقارب تلك الاحوال من عدم من يصلح لحمل العلم ووجدان من لا يصلح له موت العلم بموت حامليه الا ان التشبيه

في ارشاد الناس لتحصيل الاخلاق

بينه مقدار الاحوال وعرف مخاطبه نفسه من يكون من اهله بوصفه ثم استدرك بقوله اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة
اما ظاهرا او مستترا مغمورا في الناس واراد بالظاهر من يتمكن من اظهار العلم والعمل به من اولياء الله وخلفائه او لياءه في موضع من الارض
وبالخائف المغمور الذي من لم يتمكن من ذلك فان الشيعة هذا تفريع منه بوجوب الامامة بين الناس كالذين سبقوا الى الاحسان
ووصلوا الى المحل الاعلى من ولده الائمة الاحد عشر وانما ان يكون خائفا مستورا لكثرة اعدائه وقلة المخلص من اوليائه كالحجة المنتظر السلام
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله وكيف ذا استبطأ المدة عند صاحب الامر وتبرم من امتداد دولة اعدائه وقوله اين ثم استفهام
لعدم ائمة الدين ولذلك بينه بقوله اولئك والله الاقلون عددا وذكر في معرض مدحهم اوصافا احدها الاقلون عددا الاعظمون
قدرا عند الله الثاني انهم يحفظ حججه وبيناته المشتمل عليها دينه حتى يودعوها امثالهم ويزرعوها في قلوب اشباههم بعدهم الثالث
كونهم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة اي فاجاهم ودخل على عقولهم بغتة لان علومهم لدنية حدسية وقبل ذلك على القلوب الخ
هجمت بهم عقولهم على حقيقة العلم الرابع وباشروا روح اليقين اي وجدوه الثالثة الخامس واستلانوا ما استوعر منه المترفون من الامور
الشاقة كخشونة المطعم وخشونة المضجع والملبس ومصابرة الصيام والسهر وذلك في جنب ما وجدوه من لذة اليقين وحلاوة العرفان
هين لين عندهم السادس وانسوا بما استوحش منه الجاهلون وهو الاحوال التي الفوها مما ذكرنا فان الجاهل لجهله بثمرتها ينفر منها
ويستوحش من اهلها السابع وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى فاشتغلوا بما شاهدوه من حضرة الربوبية ومحبة
الملأ الاعلى من الملائكة ولما ميزهم بالاوصاف المذكورة اشار في معرض مدحهم ايضا الى ان هؤلاء لما اشتملوا عليه من هذه الاوصاف
هم خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه ثم تأوه شوقا الى رؤيتهم وآه كلمة توجع اصلها اوه والفصل من افصح ما نقل الخ **وقال ع**
المرء مخبوء تحت لسانه اي حال مستورة في عدم نطقه فمن نطق انكشاف للعلم به وتحت لسانه كناية عن سكوته وذلك ان مقداره
بمقدار عقله ومقدار عقله يعرف من مقدار كلامه لما لا يشتمل عليه فاذا تكلم بكلام الحكماء ظهر كونه حكيما او بكلام السفهاء عرف كونه
منهم وما بين المرتبتين بالنسبة **وقال ع** هلك امرؤ لم يعرف قدره وذلك ان قدره هو مقداره في نفس الامر ومنزلته من الفضيلة
ومن لم يعرف منزلته اوشك ان يتجاوزها فيهلك من لم يعرف محله من العلم اوشك ان يرفع برفوق محله او يفتي بما لا يعرف الاعتقاد كما لو يقع
في الهلاك الاخروي ودنياه بما يتبعه هلاك دنياه ولزمه من تجاوزه فلعب السنة الناس وايديهم به وهلاك بذلك **وقال ع** لرجل سأله
ان يعظه لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويرجي التوبة بطول الامل يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين
ان اعطي منها لم يشبع وان منع منها لم يقنع يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي يحب الصالحين
ولا يعمل عملهم ويبغض المذنبين وهو احدهم يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له ان سقم ظل نادما وان صح
امن لاهيا يعجب بنفسه اذا عوفي ويقنط اذا ابتلي ان اصابه بلاء دعا مضطرا وان ناله رخاء اعرض مغترا تغلبه نفسه على
ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن يخاف على غيره بادنى من ذنبه ويرجو لنفسه باكثر من عمله ان استغنى بطر وفتن وان افتقر
قنط ووهن يقصر اذا عمل ويبالغ اذا سأل ان عرضت له شهوة اسلف المعصية وسوف التوبة وان عرته محنة انفرج عن
شرائط الملة يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ فهو بالقول مدل ومن العمل مقل ينافس فيما يفنى ويسامح
فيما يبقى يرى الغنم مغرما والغرم مغنما يخشى الموت ولا يبادر الفوت يستعظم من معصية غيره ما يستقل اكثر منه من نفسه
ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن اللهو مع الاغنياء احب اليه من الذكر
مع الفقراء يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره يرشد غيره ويغوي نفسه فهو يطاع ويعصي ويستوفي ولا يوفي
ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه قال السيد ره ولو لم يكن في هذا الكتاب الا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة
وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر متفكر **وقال** يرجيها يؤخرها ويروي يرجيها بالياء المعجمة اي يدفعها والقنوط اليأس
وعرته عرضت له ويدل اي واثق وحاصل الفصل نهي طالب الموعظة عن اربع وثلثين رذيلة احدها رجاء الآخرة وثوابها بغير عمل
فان ذلك مني على الله وقد علمت ان المني بضائع النوكى الثانية ترجيه التوبة وارجاؤها بطول الامل فان ذلك يستلزم البقاء
على المعصية والعذاب بها في الآخرة الثالثة ان يجمع بين قول الزاهدين في الدنيا وعمل الراغبين فيها وهو خداع لله وعمله فيها
عمل الراغبين يستلزم ان يصيبه ما اصابهم من عذاب الآخرة بها الرابعة ان لا يشبع مما اعطي منها وذلك رذيلة الشره والحرص الخامسة
ان لا يقنع ان منع وذلك رذيلة التفريط في فضيلة القناعة السادسة ان يجمع بين العجز عن شكر ما اوتي من نعم الله وبين طلب الزيادة
من فاضلها وهو جمع بين رذيلة التفريط من فضيلة الشكر وبين رذيلة الحرص السابعة ان يجمع بين نهيه عن المعاصي وعدم تناهيه
عنها وهو نفاق وخداع الثامنة ان يأمرها بالبصر عن فعله وهو كالذي قبله التاسعة ان يحب الصالحين ويقصر عن عملهم وتقصيره
كالنقص على محبته لهم العاشرة ان يبغض المذنبين وهو احدهم فيكون فعله كالنقض على بغضه لهم الحادية عشرة ان يكره الموت لكثرة

في مواعظ مشتملة على تحصيل الأخلاق الحسنة

ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له من كثرة الذنوب فاقامته على ذنوبه كالنقض على كراهيته للموت لاجلها مع ما يلزمها من العذاب الاخروي
الثانية عشر ان يجمع بين ندمه حال سقمه على تفريطه في جنب الله وبين لهوه في لذته حال صحته وهو ايضا كالمتناقض الثالثة عشر
ان يعجب بنفسه حين عافيته فان العجب من المهلكات الرابعة عشر ان يقنط اذا ما ابتلاه ربه وييأس من رحمته وذلك كما قال تعالى انه
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون الخامسة عشر ان يجمع بين دعائه الله باضطرار اليه عند نزول البلاء به وبين الاعراض عنه
والاغترار بالدنيا عند اصابته الرخاء فان الاول رذيلة افراط والثاني رذيلة تفريط السادسة عشر ان يجمع بين الانقهار
لنفسه والانقياد لها الى ما يظنه فائدة من الامور الدنيوية وبين عدم قهرها وغلبها الى ما يستيقنه من ثواب الآخرة وعذابها
فلا يلزمها العمل لذلك فان ذلك عند العقل سفه وجنون السابعة عشر ان يجمع بين الخوف على غيره من ذنوب هي اقل من
ذنوبه وبين الرجاء لنفسه ثوابا اكثر مما يستحق على عمله فان الحق من ذلك ان يخاف على غيره لا كثر من ذنوبه ويعمل لذلك الخوف
الثامنة عشر ان يبطر ويفتن ان اصاب غنى فان ذلك فجور التاسعة عشر ان يقنط ويضعف ان افتقر وهو رذيلة تقصير وتفريط
العشرون ان يقصر في العمل الحادية والعشرون ان يبالغ اذا سأل وهو رذيلة الالحاف في السؤال الثانية والعشرون ان يقدم
المعصية ان عرضت شهوته ويسوف التوبة منها الثالثة والعشرون ان ينفرج عن شرائط الملة عند نزول المحنة به اي يخرج بفضيلة
الصبر على المصيبة الذي هو شرط الملة ويتركها الرابعة والعشرون ان يجمع بين وصف العبرة وبين عدم الاعتبار الخامسة والعشرون
ويبالغ في الموعظة حال ما لا يتعظ فان ذلك يدخله في مقت الله تعالى لقوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون السادسة
والعشرون ان يجمع بين المنافسة فيما يفنى وهو الدنيا والمسامحة فيما يبقى وهو ثواب الآخرة وهو جهل وسفه السابعة والعشرون ان
يرى الغنم مغرما كالانفاق في سبيل الله والغرم مغنما كالانفاق في معصيته وهو عكس مقتضى العقل الثامنة والعشرون ان
يجمع بين خشية الموت وعدم مبادرته بالاعمال الصالحة المستلزمة للخلاص من اهواله وما بعده التاسعة والعشرون ان يستعظم
من معصية غيره ما يستقل اكثر منه من نفسه ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره ويلزم من ذلك ان يكون طاعنا على الناس
في افعالهم ومداهنا لنفسه في فعلها الثلاثون ان يكون اللهو مع الاغنياء احب اليه من ذكر الله مع الفقراء وذلك لفرط محبة الدنيا
الحادية والثلاثون ان يحكم لنفسه على غيره فيما يشتهيه وان كان باطلا ولا يحكم عليها لغيره في حق وهو ظلم الثانية والثلاثون
ان يجمع بين ارشاد غيره بالهادي من القول وبين اغواء نفسه بفعله اي يعمل عمل الغاوين ويلزم من ذلك ان يطيعه غيره و
يعصي الله الثالثة والثلاثون ان يستوفي ما له على غيره ولا يوفي ما عليه من غيره من حق الله او حق خلقه الرابعة والثلاثون
ان يجمع بين خشية الخلق في غير الله اي في امر ليس لله وبين عدم خشية الله في خلقه ويلزم الاول ان يرضيهم بما يسخط الله
ويلزم الثاني ان يسخط الله بما يسخط خلقه واكثر هذه مشتملة من علم الفصاحة على التقابل والتضاد وورد النجم على الصدق وقال ع
لكل امرئ عاقبة حلوة او مرة واشار الى غايته من حركاته الخيرية والشرية فغاية الخيرية الجنة ولذاتها وهي العاقبة الحلوة
وغاية الشرية النار وعذابها وهي العاقبة المرة واستعار لفظي الحلوة والمرة للذيذ والمكروه وقال ع لكل مقبل عاقبة
حلوة او مرة ادبار وما ادبر كان لم يكن واراد المقبل من لذات الدنيا في معرض التزهيد والمقبل من شدائدها في معرض
تهوينها وتسهيلها وكان من اخوات ان مخففة واسمها محذوف وقال ع لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان
فالصبور كثير الصبر ونبه بما يلزم من الظفر وان تأخر وذلك عند كمال استعداد الصبور بالصبر وقال ع الراضي
بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كل داخل في باطل اثمان اثم العمل به واثم الرضا به ووجه التشبيه اشتراكهم في الرضا
به المستلزم للميل اليه ومناسبته لطبعه ونفره من الدخول في الباطل بما يلزمه من الاثمين اما اثم العمل فظ واما اثم الرضا فلان
الرضا بالباطل يستلزم محبته وهي رذيلة واثم وقال ع اعتصموا بالذمم في اوتادها فالذمم العهود والعقود والايمان واستعار
لفظ الاوتاد لشرائط العهود واسباب احكامها كانها اوتاد حافظة لها واراد اعتصموا من سخط الله وعذابه بحفظ الذمم في اوتادها
فكان العصمة يكون في اسباب حفظها وفي متعلق باعتصموا وقد استعصموا وقال ع عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته
به الله تعالى وقيل هو ايجاب لطاعة من يجب طاعته من ائمة الحق الذين يجب العلم بحقيقة امامتهم ولا يعذر الناس في الجهل بهم لتعلم
قوانين الدين واحكامه منهم وقال ع قد بصرتم ان ابصرتم وقد هديتم ان اهتديتم واسمعتم ان استمعتم اي قد بصرتم سبل
الرشاد وهديتم اليها واسمعتم الدلالة عليها ان كان لكم استعداد ان تبصروها وتسمعوا وتهتدوا اليها وقدم ... وقال ع
عاتب اخاك بالاحسان اليه واردد شره بالانعام عليه اي اجعل مكان عتابه بالقول والفعل الاحسان اليه والانعام عليه
فانهما انفع في عطف جانبه اليك ودفع شره عنك والعتاب مستعار للاحسان لاستلزامهما رجوع المعاتب وقال ع من
وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من اساء به الظن لانه هو السبب في اساءة الظن به ولا لوم على من اساء به الظن

لان ظنه ذلك مستند الى امارة من شأنها توليد الظن وقال ع ثلث كلمات احديها من ملك استأثر اى استبد واراد بالملوك
من شأنهم الاستبداد بالامور المرغوب فيها والانفراد بذلك لتسلطهم وعدم المنازع لهم والامارة باسوئهم وهى كالمثل يضرب
لمن غلب على امر فاختص به ومنع غيره الثانية ومن استبد برأيه هلك لان انفراد الانسان برأيه وعدم قبوله للنصيحة واستشارته
فى الحرب ونحوها مظنة الخطا فيه المستلزم للهلاك فكانه قال من استبد برأيه فهو فى مظنة الهلاك فاقام الهلاك مقام مظنته
مجازا اطلاقا لما بالفعل على ما بالقوة الثالثة ومن شاور الرجال شاركها فى عقولها وذلك انه يستنتج منها الراى الاصلح ليعمل به
فكان عقول الرجال باسرها حاصلة له لانتفاعه بثمرتها وهو ترغيب فى الاستشارة وقال ع من كتم سره كانت الخيرة بيده وهو ترغيب
فى كتمان السر اى كان مختارا فى اذاعته وكتمانه بخلاف من اذاع سره فانه لا يتمكن بعد ذلك من كتمانه وقال ع الفقر الموت الاكبر
استعار لفظ الموت بوصف الاكبر اما كونه موتا فلانقطاع الفقير عن مشتهياته ومطلوباته التى هى مادة الحيوة وبالمرة لفقدها واما
انه اكبر فلتعاقب الالام على الفقير مدة حيوته واما الم الموت ففى وقت واحد وهو مبالغة فى شدته وقال من قضى حق من لا
يقضى حقه فقد عبده اراد قضاء الحق بين الاخوان وانما كان كذلك لان قضاء الغير عنه لحق من لا يقضى حقه لا يكون لرجاء
نفع منه ولا دفع مضرة المرء بل يكون عملا له لانه هو او خوفا منه او طمعا فيه وذلك صورة عبادته وقال ع لا طاعة لمخلوق
فى معصية الخالق وذلك كالوضوء بالماء والصلوة فى الدار المغصوبة ويحمل النفى هنا على نفى جواز الطاعة كما هو المنقول عنه وعن اهل
بيته عليهم السلم وعند الشافعى قد يصح الطاعة وان نفى نقصانها وقال ع لا يعاب المرء بتأخير حقه انما يعاب من اخذ ما ليس له لتأخير
الحق قد يكون واجبا لمن هو له وقد يكون مندوبا واقله ان يكون مباحا ولا حرج فى ارتكاب المباح واما اخذ ما ليس له فظلم وهو من
اقبح الرذائل التى يعاب بها المرء وقال ع الاعجاب يمنع من الازدياد اعجاب المرء بفضيلة من الفضائل كعلم او عبادة كشجاعة و
قنية انما يكون عن تصور كماله فيها واعتقاده انه قد بلغ منها الغاية والاعتقاد يبعده عن طلب الزيادة منها وقال ع الامر
قريب والاصطحاب قليل اراد امر الله وهو الموت والاصطحاب فى الدنيا وقال ع قد اضاء الصبح لذى عينين هو تمثيل واستعار لفظ
الصبح لسبيل الله ووصف الضياء لوضوحها وظهورها بوصف الشارع ودلالته عليها ويحتمل ان يكون ذلك تمام وصف سبق
منه للحق كان سائلا سأله عن امر فخرجه له مرة او مرارا وهو يشك فيه فقال له هذا القول اى قد وضح لك الحق ان كنت بصيرا
وقال ع ترك الذنب اهون من طلب التوبة اذ الترك لا كلفة فيه لكونه عدما وطلب التوبة من الله يحتاج الى استعداد
شديد يصلح معه العبد لقبولها منه وافاضة العفو عليه وقال ع كم من اكلة منعت اكلات وهو يجرى مجرى المثل يضرب
لمن يفعل فعلا يكون سببا لحرمانه مما كان يناله من خير سابق واصله ان الرجل يتناول من الطعام فيتخم ويمرض فيحتاج الى الحمية و
الامتناع من الاكل ومعناه من يعاشر ملكا ويبعد بالانبساط ثم يفرط فى انبساطه عليه فيكون ذلك سببا لبعده عنه
وزوال سعادته منه وقال ع الناس اعداء ما جهلوا الجهل بالشئ مستلزم لعدم تصور منفعة العلم به وفضل العالم به وذلك
على اعتقاده لا فائدة فى تعلمه فيستلزم ذلك مجانبته له ثم يتأكد تلك المجانبة والبعد بكون العلم اشرف فضيلة يفتخر بها اهله
على الجهال ويكون لهم بها الحكم عليهم وانتقاصهم وحطهم عن درجة الاعتبار مع اعتقاد الجهال الكمال لهم ايضا ان تلك مجانبتهم للعلم و
فيشتد لذلك م
اهله وعداوتهم لهذه الفضيلة وقال ع من استقبل وجوه الاراء عرف مواقع الخطاء لا شك ان المتصفح لوجوه الاراء
والمفكر فيها اصوبها لابد ان يعرف مواضع الخطاء فى الامور ومظانها وهو ترغيب فى الاستشارة والفكر فى استصلاح الاعمال قبل
الوقوع فيها وقال ع من احد سنان الغضب لله قوى على قتل اشداء الباطل لما كان نعم هو العزيز المطلق كان استناد
قوة الغضب والحمية له الى عزته وصولة الغاضب اعتزازا به اشد بكثير من صولته بدون ذلك الاستناد وبحسب ذلك القوة بعزة الله
يكون ضعفها بالاستناد الى الباطل المضاد له ولذلك ما قهر اولياء الله على قلتهم فى مبدا الاسلام اعداءه على كثرتهم و
الى هو عليه السلم قلع باب خيبر على شدته وقتل جبابرة العرب واستعار لفظ السنان لحدة الغضب باعتبار استلزامهما النكاية
فى العدو ع بذكر الحد وقال ع اذا هبت امرا فقع فيه فان شدة توقيه اعظم مما تخاف منه ان للنفوس فيما يتوقع مكروهه
ادفعا لا كثيرا وكرا عظيما فى كيفية دفعه والخلاص منه فذلك اصعب بكثير من الوقوع فيه لطول زمان الخوف هناك ربما كان
يتوقع الامر المخوف ورعب فى الوقوع فيه بضميره صغرا وقولها فان الحوه ونفدير كبرا وكلما كان اعظم مما يخاف من الشئ فينبغى ان يبادر
عند الى الوقوع منه ينتج ان شدة توقيه ينبغى ان يعدل عنها الى الوقوع فيه وقال ع آلة الرياسة سعة الصدر سعة الصدر
فضيلة تحت الشجاعة وهى ان لا يدع الانسان قوة التحمل عند ورود الاحداث المهمة عليه واعتلائها ولا يحار ولا يدهش فيها
بل يتحملها ويستعمل الواجب فى معناها وقد يسمى ذلك رحب الذراع وهى من اعظم لوازم الرياسة الحقة التى ينبغى لها اذ الرياسة
مظنة ورود الاحداث المهمة والخطوب العظيمة واحوال الخلق المختلفة فمن لم يكن محتملا لهذه الامور وسيع الصدر بها فلا بد

في باب تحصيل الآداب والأخلاق الحسنة

ان يتجاوز منها ويدهش فيما يرد عليه منها فيعجز عن تدبيرها ويلزم ذلك فساد نظامه وزوال رياسته وقال ازجر المسيء بثواب
المحسن تصور المسيء جزاء المحسن باحسانه يدعوه الى الاحسان والرجوع عن الاساءة فكان ذلك ابلغ في زجره اي بالاحسان كالزجر للمسيء
ثم استلزامهما انه اعود وازجار فاستعير له الزجر لها وقال احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك اغلب
ما ينشأ الشر في صدر العدو بحسب ما يتخيله من عدوه ومن اضمار الشر له وظن ذلك منه وذلك التخيل والظن لا بد
عن امارة من حركات عدوه وفلتات لسانه بالقول وتحفظه له من عداوته واضمار الشر له فايما في صدره فاذا محا ما اضمر له
من العداوة والشر انتفت امارات ذلك من لسانه ووجهه وبحسب ذلك ينقص تخيل العداوة ويضعف سوء ظن العدو به ولا يزال يتاكد
بعكس تلك الامارات وبامارات خالية او مقابلة لها يظهر منه الى ان يمحو ذلك الظن في حقه واستعار لفظ الحصد لازالة الشر تشبيها له
بالزرع في زيادته وتنميته تلك الامارات من عدوه وتواترها ونقصانه وعدمه بعدمها وقال ع اللجاجة تسل الرأي اي تاخذه
وتذهب به لان الانسان قد يطلب والرأي الحق هو التأني في طلبه والتثبت فيه فيحمله طبعه على اللجاجة فيه حتى يكون ذلك سببا
لفواته واستعار لفظ السل له ونسبته الى اللجاجة مجاز باعتبار انها هي العلة له فكانها اخذته وغيبته وقال ع الطمع رق مؤبد
استعار لفظ الرق للطمع باعتبار ما يستلزم من التعبد للمطموع فيه والخضوع له كالرق ونسبه باعتبار دوام التعبد بسببه فان
الطامع دائم العبودية لمن يطمع فيه ما دام طامعا وهو في ذلك كالدائم من الرق وقال ع ثمرة الحزم السلامة وثمرة التفريط
الندامة التفريط اضاعة الحزم في الامور ولما عرفت ان الحزم عبارة عن تقديم العمل للحوادث الممكنة المستقبلة بما هو اقرب الى
السلامة وابعد من الغرور لاجرم كان ذلك مظنة السلامة ومنها كانت اضاعته والتفريط في العمل لما يستقبل من الحوادث مظنة
الوقوع فيها وعدم السلامة من بلائها وهو مستلزم للندامة على التفريط فيها فكانت الندامة من ثمراته وقال لا خير في الصمت
عن الحكم كما انه لا خير في القول بالجهل الصمت عن النطق بالحكمة طرف تفريط من فضيلة القول والنطق عن الجهل رذيلة مضادة لها
والحق العدل وهو النطق بالحكمة وهو الفضيلة النطقية وقال ما اختلفت دعوتان الا كانت احداهما ضلالة لان الاختلاف الحقيقي
انما يكون بين النقيضين ولما كانت الدعوة اما الى الحق وهو سلوك سبيل الله او الى غيره وكان كل ما عدا الحق مما يدعى اليه فهو ضلال
عن الحق وعدول عن سبيل الله لاجرم لم يختلف دعوتان الا كانت احداهما حقا والاخرى ضلالة وهو مستلزم للضلال وهذا يستلزم
بطلان كون كل مجتهد مصيبا ومذهبه المنقول عنه ع ان الحق واحد وفي جهة واحدة والمصيب له واحد وقال ما شككت في الحق مذ
اريته من كان له استعداد درك الحق كمثله ع واستاذ كرسول الله ص في اعداده وترتيبه وطول صحبته لمثل ذلك الاستاد كصحبته فحال
ان يعرض له شك في امر يراه بعد ما نبهه من الحق وقال ع ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضل بي اما كذبه وضلاله
فلتربيته من حين الطفولية بالصدق ومكارم الاخلاق حتى صار ذلك ملكة مانعة له في الكذب والضلال وتعصمه منهما واما كونه
لم يكذب فيما اخبر به من الحوادث المستقبلة والعلوم الغيبية ولم يضل به فلكون مخبره معصوما وهو الرسول ص والعصمة منافية للامرين
ومستلزمة لهداية الدول وعالم تبعه وقال ع للظالم البادي غدا بكفه عضة اي خبر بان البادي بالظلم ومجازيه بالظلم بمثله وكني
بغد عن يوم القيمة وبعض كفه عن ندامته على تفريطه في جنب الله كقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه والغرض التنفير عن الظلم وقال ع الرحيل وشيك اي قريب واراد الرحيل الى الاخرة في معرض الوعظ والتخويف بالموت وقال ع من ابدى صفحته للحق
هلك اي من تجرد لنصرة الحق في مقابلة كل احد هلك عند جهلة الناس لضعف الحق عندهم وغلبة حب الباطل على نفوسهم
وكنى بابداء صفحته عن اظهار نفسه ونصبها لذلك وقد مر بيانه وقال ع من لم ينجه الصبر اهلكه الجزع قد تكون المصيبة
عظيمة تستلزم المهلك بسببها ويجب ان يقابل الجزع فيها بصبر ينجي من الهلاك والتقدير من لم يصبر على المصيبة لينجو فيجزع هلك ويحتمل
ان يريد الهلاك الاخروي اي لم ينجه فضيلة الصبر هلك برذيلة الجزع وهو تنفير عن الجزع وحث على الصبر وقال ع واعجباه اتكون
الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة وروي عنه ع شعر في هذا المعنى فان كنت بالشورى ملكت امورهم فكيف بهذا والمشيرون
غيب وان كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك اولى بالنبي واقرب وروي هذا القول عنه قبل بيعة عثمان وهو صورة جواب ما كان يتمسك به
من تعليل استحقاق عثمان الخلافة تارة بالشورى وتارة بانه من اصحاب رسول الله ص وتقريره ان استحقاقه للخلافة اما ان يكون
معللا بالشورى او بصحبة رسول الله ص فان كان الاول فكيف يملك عثمان امور الناس بالشورى واكثر من ينبغي الاستشارة منهم لم يكونوا
حاضرين وذلك معنى اشارته بقوله فان كنت بالشورى تمام البيت وان كان الثاني فكيف يملك امورهم بالصحبة وهو موجود من له الصحبة
والقرابة معا بل يكون هذا اولى وان كان الثالث فغيره اولى منه بالنبي واقرب اليه وعنى نفسه في الوجهين وقوله فكيف بهذا اي
فكيف يملكه بهذا وقال انما المرء في الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا ونهب تبادره المصائب ومع كل جرعة شرق وفي كل اكلة غصص ولا ينال
العبد نعمة الا بفراق اخرى ولا يستقبل يوما من عمره الا بفراق آخر من اجله فنحن اعوان المنون وانفسنا نصب الحتوف فمن اين نرجو البقاء

وهذا قليل

وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفا الا اسرعا الكرة في هدم ما بنيا وتفريق ما جمعا الاستعمال الرتبي وهذا افضل لطيف من لطيف
وقد اشتمل على ثمان كلمات الاولى استعمال لفظ الغرض للانسان باعتبار رميه بسهام المنايا واسبابها من الامراض
والاعراض المهلكة ووصفها بالانتضال لذلك لترى كأن المنايا هي الرامية الثانية استعمال لفظ النهب بمعنى المنهوب باعتبار سرعة
المصائب الى اخذه الثالثة كنى عن تنغيص لذات الدنيا بما يشوبها ويخالطها من الاعراض والامراض بقوله مع كل جرعة الى قوله غصص
الرابعة كون العبد لا ينال نعمة الا بفراق اخرى اذ النعمة الحقة هي اللذة وما يكون وسيلة اليها نعمة بواسطتها وظاهر ان النفس في
الدنيا لا يمكن ان تحصل على لذتين دفعة بل ما لم تنتقل عن لذة اولى وتتوجه نحو اللذة الحادثة لا يحصل لها الالتذاذ بها الخامسة
ولا يستقبل يوما من عمره الا بفراق آخر من اجله لان طبيعة الزمان التقضي والسيلان السادسة كوننا اعوان المنون بالفناء ان
كل نفس وحركة من الانسان فهي مقربة له الى اجله فكأنه ساع نحو اجله ومساعد عليه السابعة كون نفوسنا نصب الحتوف ونصب
بمعنى منصوبة كالغرض الثامنة الاستفهام عن جهة رجاء البقاء استفهام انكار لوجودها مع وجود الزمان الذي من شأنه انه لم يرفع شيئا
شرفا ويجمع لامر شملا الا اسرع العود في هدم ما رفع وتفريق ما جمع اي عقد الثاني كما اعقد الاول وقال يا ابن آدم ما كسبت فوق
قوتك فانت فيه خازن لغيرك اراد اكتساب الزيادة على القوت والمؤنة بقدر الحاجة وادخاره غير نافع للمدخر اذ من ضرورته
مفارقته ما ادخره ووصوله الى الوارث وغيره فهو اذن يشبه الخازن فاستعار لفظه له وهو تنفير عن البخل بالفضل من المال عن قدر
الحاجة وقال ان للقلوب شهوة واقبالا وادبارا فأتوها من قبل شهوتها واقبالها فان القلب اذا اكره عمي اراد بالاقبال
الميل وبالادبار النفرة عن ملال ونحوه وامر باعمال النفوس فيما ينبغي اعمالها فيه من فكر ونظر وحملها على ذلك حين ميلها اليه واقبالها
عليه لان ذلك نشاط في القوى النفسانية ومعاونة وتوانا للنفس ونفرة عن حملها عليه مع النفرة عنه والكراهية لديه لينهي عنها
قوله فان القلب اذا اكره عمي اي ان اكراه النفس على الفكر في الشيء حين نفرتها عنه عن ملال او ضعف قوة ونحوه يبعدها اكراهه
له وتفرقه ويقوم لها بذلك مانع من الوهم والخيال عن ادراك ما تفكر فيه فلا يدركه وان كان واضحا حتى يكون كالاعمى ولذلك
استعار له وصف الاعمى وتنفير بكراه وكما كان عاما في اكراهه على الشيء فلا يجوز كراهته وقال متى اشفي غيظي اذا غضبت
احين اعجز عن الانتقام فيقال لي لو صبرت ام حين اقدر عليه فيقال لي لو عفوت استفهم عن وقت جواز شفاء الغيظ
استفهام انكار لوجوده في معرض التنفير عن هذه الرذيلة ونفرتها بقوله احين الى آخره وذلك انه اما حين العجز عن الانتقام
او حين القدرة عليه وشفاء الغيظ في الاول لا يجوز لانه يكون بالسب والشتم والتعدي وتقطيع العرض ونحوه وذلك يستلزم تذلل
الخلق وتعييبهم وقولهم في الحث على فضيلة الصبر لو صبرت لكان اولى وفي الثاني ايضا لا يجوز لاستلزام الشروع في العقوبة لائمة
الخلق والعذل وعن فضيلة العدل العفو التي هي اولى وتعذل الناس عليها لو عفوت لان العقوبات ولي وقال وقد مر
بقذر على مزبلة هذا ما بخل به الباخلون وفي خبر آخر انه قال هذا ما كنتم تتنافسون عليه بالامس اشار اليه
بذلك لانه غاية ما بخل به الباخلون وما فيه الناس فيه من المال والطعام فانه للغاية مقام فيما لغاية وقال لم يذهب
من مالك ما وعظك اي انفقه الذي يذهب من مالك على طريق امتحان الله وابتلائك بامر يذهب به فيحصل لك به
بذهابه موعظة لا يعد مالا ذاهبا كأنه باق لبقاء منفعته وثمرته وهي الموعظة وقال لما سمع قول الخوارج لا حكم
الا لله كلمة حق يراد بها باطل وقد مر تفسيره وقال في صفة الغوغاء وهم العوام هم الذين اذا اجتمعوا ضروا واذا تفرقوا
نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم فقال يرجع اصحاب المهن الى مهنتهم فينتفع الناس بهم كرجوع
البناء الى بنائه والنساج الى منسجه والخباز الى مخبزه المهنة الحرفة والصناعة والفضلة وقال وقد اتي بجان معه غوغاء
فقال لا مرحبا بوجوه لا ترى الا عند كل سوءة اي لا ترى مجتمعة اذ العوام لا تجتمع غالبا الا في مثل ذلك فكلام الخطيب على الاغلب الاعم
والسوءة فعلة من السوء وقال ان مع كل انسان ملكين يحفظانه فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه وان الاجل جنة حصينة
اي اذا جاء القدر بموته على وفق القضاء الالهي وهو كقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت الاية واستعار لفظ الجنة
بوصف الحصينة للاجل وقد بينا ذلك في قوله وان علي من الله جنة حصينة وقال له طلحة والزبير نبايعك على انا شركاؤك في هذا
الامر فقال لا ولكنكما شريكان في القوة والاستعانة وعونان على العجز والاود الاود الاعوجاج وقوله عونان على العجز والاود اي دفع
ما يعرض منهما او [illegible] وجودهما لان كلمة على تفيد الحال وقال ايها الناس اتقوا الله الذي ان قلتم سمع وان اضمرتم علم
وبادروا الموت الذي ان هربتم ادرككم وان اقمتم اخذكم وان نسيتموه ذكركم والمعنى ظ رغب في تقوى الله والخشية منه باعتبار
سمعه لما يقول العبد وعلمه بضميره حذف المفعولين للعلم بهما اي سمع مقالكم وعلم ضميركم ورغب في مبادرة الموت وسابقته بالاعمال

بدل مضرتهم

بل م

علموا اذا تفرقوا لم يعرفوا وقيل بل قال هم الذين اذا اجتمعوا غلبوا

في تحصيل الآداب والأخلاق الحسنة

الصالحة الى حفظ النفوس بها من عذاب الآخرة وهول الموت وتنفيرهم منه لسابق العطايا دونهم بكونه لا ينجو منه احد واستعار الورود وصف الاتيان
لفظ الذكر في مقابلة النسيان ملاحظة لشبهه بالقاصد له عن علم به وقال عليه السلام لا يزهدنك في المعروف من لا يشكره لك فقد
يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه وقد تدرك من شكر الشاكر اكثر مما اضاع الكافر والله يحب المحسنين نهى عن الزهد في العرف
بسبب عدم شكر المحسن اليه لدو رغب فيه بضميرين صغرى الاول قوله فقد يشكرك عليه الى قوله منه وذلك لمحبة الناس الرفقاء
والمحسنين وتقدير كبراه وكلما يشكرك عليه من لم يستمتع بشيء منه فواجب ان تفعله وصغرى الثانية قوله والله يحب المحسنين اي المحسنا
وتقدير كبراه وكل من يحبه الله لفعل فواجب ان يدخل الفاعل في زمرتهم ويتقرب الى الله بمثل فعله وقال عليه السلام كل وعاء يضيق بما جعل فيه الا وعاء
العلم فانه يتسع به الاوعية المحسوسة لما كانت متناهية الاتساع فمن شأنها ان يضيق بما يجعل فيها واوعية العلم معقولة وهي النفوس
وقوة ادراك العلوم فيها غير متناهية وكل مرتبة من ادراكها تعد لما بعدها الحجة انها تهيئة فالواجب ان يتسع بالعلم ويزيد بزيادته وقال
اول عوض الحليم من حلمه ان الناس انصاره على الجاهل ويحتمل ان يريد من عدم حلمه اذ العوض يكون عن شيء فائت كالطيش ونحوه
مما فات ومنه ترغيب في هذه الفضيلة بما يلزمه من نصرة الناس لصاحبها على الجاهل عند سفهه عليه وقال ان لم تكن حليما
فتحلم فانه قل من تشبه بقوم الا واوشك ان يكون منهم امر بتعلم هذه الفضيلة فان مبادئ الملكات الخلقية حالات مكتسبة عن التعلم
ورغب في تعلمها بضمير صغراه قوله فانه قل الى آخره والضمير اثر ضمير الشأن وتقدير الكبرى وكل من اوشك ان يكون من اهل الحلم بتعلمه
له فواجب ان يتعلم وقال عليه السلام كلمات احديها من حاسب نفسه ربح لان المحاسب لنفسه على اعمالها يعلم خيرها من شرها فيعمل الخير و
يحترز من الشر المستلزم للخسارة الثانية ومن غفل عنها خسر وذلك ان قربها من اللذات الحاضرة يستلزم ميلها اليها ما لم يجذبها
بالجواذب الالهية من الزواجر والمواعظ المذكرة فالغفلة عن جذبها وتنبيهها من مراقد الطبيعة بتذكير وعد الله ووعيده يستلزم
اهمالها للاعمال الصالحة التي يلزمها ربح السعادة الاخروية والحصول على تركها ذلك هو الخسران الثالثة ومن خاف امن من عذاب الله عمل
الخلاص منه ليأمن الرابعة ومن اعتبر ابصر من نظر مواقع العبر بعين الفكر والاعتبار ابصر الطريق الى الحق ومن ابصر فهم
المقصود منها العبر ومن فهم ذلك حصل له العلم النافع الحق وقال عليه السلام لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على
ولدها وتلا عقيب ذلك قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين الضروس الناقة السيئة
الخلق تعض حالبها ليبقى لبنها لولدها وذلك لفرط شفقتها عليه واستعار لفظ الشماس للدنيا باعتبار امتناعها المعتبر منها ما لحظه لشبهها
بالفرس الذي يمنع ظهره ان يركب شبه عطفها بعد ذلك عليهم واعدادها لتمكنهم من الحكم فيها بعطف الضروس على ولدها ووجه الشبه شدة
العطف والاستشهاد بالاية ظاهر وقال عليه السلام اتقوا الله تقية من شمر تجريدا وجد تشميرا واكمش في مهل وبادر عن وجل ونظر في
كرة الموئل وعاقبة المصدر ومغبة المرجع اكمش اسرع والمهل الامهال والكرة الرجعة والموئل المرجع والعقبة العاقبة وامر بتقوى الله
كتقية من شمر عن ساق الجد في طاعة الله وجرد نفسه لرياضتها تشميرا وسارع بالاعمال الصالحة ما دام في مهلة الحيوة وبادر مغفرته وعجل
من ثمرات سيئاته وفكر في عوده الى الجناب الاول الذي منه بدا وهو حضرة الربوبية وكذلك عاقبة المصدر الذي عنه صدر في ابتداء كونه
والى معبود ومغبة المرجع من خير الحصول عليه او شر لعل الخلاص منه وقال عليه السلام ثلث عشرة كلمة احديها الجود حارس الاعراض واستعار لفظ
الحارس باعتبار ان الجود يحفظ عرض صاحبه من السب كالحارس الثانية والحلم فدام السفيه والفدام ما يشد به المجوسي فمه واستعار لفظه
للحلم باعتبار ان الحليم اذا قابل السفيه بحلمه عن عفو نثبه سكت عنه واقلع عن سفهه في حقه فاشبه الفدام له الثالثة والعفو زكاة الظفر
استعار لفظ الزكوة للعفو باعتبار انه فضيلة تستلزم زيادة الثواب في الآخرة ويحظى في ذلك شبه الظفر بالمال الواجبة زكوته وهو ترغيب
في العفو الرابعة والسلو عوضك ممن غدر وهو امر للانسان بالسلو عن الهم بسبب غدر من يطلب وفاه ورغب فيه بكونه عوضا منه ونعم
العوض الخامسة والاستشارة عين الهداية لانه طلب صلح الآراء في الامر وهي مستلزمة للهداية فانها وتجلل عينها تاكيدا لقوة
استلزامها لها السادسة وقد خاطر من استغنى برايه اي شرف على الهلاك من استبد برايه لان ذلك مظنة الخطاء المستلزم للهلاك
وقد مر شرحه السابعة والصبر يناضل الحدثان استعار لفظ المناضلة للصبر باعتبار دفعه الهلاك عن الجزع في المصائب الثامنة والجزع من اعوان
الزمان معد للهم والفناء والجزع بعد لذلك فكان معينا له التاسعة واشرف الغنى ترك المنى لان اشرف الغنى غنى النفس بكمالاتها
النفسانية من الحكمة ومكارم الاخلاق وهو مستلزم لترك المنى والامال اذ اجتماعهما مع المنى المستلزم للحيوانية واشتغال النفس بالاماني
عما ينبغي ولا افراط في تحصيل الدنيا مع كثير من اهل الرذائل كالحرص والحسد والشره ونحوها فيلزم من ذلك اجتماع الضدين الفضيلة
والرذيلة العاشرة وكم من عقل اسير تحت هوى امير العقل اما ان يقوى على قهر النفس الامارة ويصرفها حسب ما يراه او يقاومها كما
لمنازع لها منزم له عنه وعليه او يكون مقهورا او مغلوبا لها والاول هو العقل المطيع له القوى بامره ويحفظ الثاني من يخرج واما
الثالث فهو العاصي بانقياده لهواه كالاسير له وهو القسم في عالم الانسان لحصول اللذات الحسية دون العقلية فلذلك اخبر عنه

بحكم العادة

بكم الحادية عشرة من التوفيق حفظ التجربة اي لزومها ومداومتها لغاية الانتفاع بها وظاهر ان ذلك من توفيق الله تعالى بتسهيله الاسباب بها وتقديره لتوافقها
في حق العبد الثانية عشرة المودة قرابة مستفادة لان القرابة اسم من القرب وهو اما ان يكون اصليا كقرب النسب او مستفادا مكتسبا كقرب
الصداقة والمودة الثالثة عشرة لا تأمنن ملولا لان الملول يصرفه ملاله عن الثبات على العهد فلا يوثق بعهده وكتمان السر خوفا من الخرم
اذ لا تأمن ان لا يبوح على ذلك من ذلك وقال عجب المرء بنفسه احد حساد عقله استعار لفظ الحاسد باعتبار ان المعجب يمنع العقل
من ازدياد الفضيلة والاستكثار منها كما يؤثر الحاسد بحسده في حال المحسود منتقصه وقال ع اغض على القذى والالم لم ترض
ابدا الاغضاء على القذى كناية عن كظم الغيظ واحتمال المكروه وهو فضيلة تحت الشجاعة ولما كانت طبيعة الدنيا مجبولة بالمكاره
لم يخل الانسان في اكثر احواله من ورودها عليه فما لم يقابلها بالاحتمال بل بالتسخط والغضب والتبرم بها لم يزل ساخطا طالبا
يغضبه الله ودوام الامور والمكاره عليه وقال ع من لان عوده كثفت اغصانه استعار لفظ العود للطبيعة وكنى بلينه عن التواضع
كما استعار لفظ الاغصان للاعوان والاتباع وكنى بكثافتها عن اجتماعهم عليه وكثرتهم وقوته بهم والمراد ان من كانت له فضيلة
التواضع ولين الجانب كثرت اعوانه واتباعه وقوي باجتماعهم عليه وقال ع الخلاف يهدم الرأي واصله ان رأي الجماعة
يجتمع على امر تكون المصلحة فيه فيقع من بعضهم خلاف فيه فيهدم ما اجمعوا عليه ورأوه من المصلحة كما رأى ع هو وجماعة من اصحابه
عند رفع اهل الشام المصاحف صبيحة ليلة الهرير من تمام القتال وهو المصلحة فهدم ذلك الرأي من خالف فيه من اصحابه حتى وقع
بذلك ما وقع وقال ع من نال استطال اي من نال ما يوجب الاستطالة من جاه وسلطان ومال استطال بسبب تلك الذي كان له
مظنة ان يستطيل على غيره بما ناله فاقام ما بالقوة مقام ما بالفعل وهي صادقة بالفعل مع ان كلام الخطيب مطلق يصدق في وقوعه
والكلمة تجري مجرى المثل وقال ع في تقلب الاحوال علم جواهر الرجال اي تقلب احوال الدنيا على المرء كفقره بعد غناه وبالعكس
وكثرة الشدائد به يعلم العلم التجربي باحواله الباطنة من خير وشر وجلادة وضعف وفضيلة ورذيلة ونحوه ما قيل الولايات
مضامير الرجال وقال ع حسد الصديق من سقم المودة المودة الخالصة تستلزم ان يريد الانسان لمن يوده ما يريد لنفسه ويكره
له ما يكرهها والحسد ينافي ذلك لاستلزامه ارادة زوال الخير عن المحسود فمودة الحاسد اذن مدخولة غير صحيحة وهو المراد بسقمها
وقال ع اكثر مصارع العقول تحت بروق الاطماع العقل من شأنه الذي ينبغي له ان يقاوم النفس الامارة ويكسرها ويصرفها
بحسب آرائه الصالحة ومن شأن النفس مخادعة العقل وغروره بزينة الحيوة الدنيا وقيناتها واطماعه بها فالعقول الضعيفة غير
المؤيدة من الله اكثر ما تنخدع وتنصرع في حروبها للنفوس الامارة اذ لاح لها مطمع وهوى من الدنيا فاستعار لفظ المصارع للعقول
ملاحظة لقهرها عن النفوس وانفعالها فاشبهت في الذلة والانقياد لها ومنقهر عن اخذه مصرع من الحرب كما استعار
لفظ البروق لما لاح من تصور المطموع فيه وكثيرا ما اشتبه العلوم والخواطر الذهنية بالبرق في اللطف وصفائه وسرعة حركته وانما قال
تحت لان المصارع من شأنها ان تكون تحت وقال ع ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن اي من كان عندك ثقة معروفا بالامانة فحكمك عليه
بالخيانة من ظن خروج عن العدل وهو رذيلة الجور وقال بئس الزاد الى المعاد العدوان على العباد لان الظلم رذيلة عظيمة
متعدية الاذى مستلزمة للشقاء الاشقى فهي بئس الزاد ولفظ الزاد مستعار باعتبار حمل هذه الرذيلة في جوهر النفس الى الاخرة كالزاد
وقال ع من اشرف افعال الكريم غفلته عما يعلم اي تغافله واغضاؤه عما يعلم من معايب الناس ومن هفواتهم لاستلزام ذلك نصا
كاحتمال المكروه والحلم والعفو والصفح وكلها فضائل يلزم الكرم لا تنفك عنه لردعه امساك الانسان عن المبادرة الى قضاء وطر الغضب فيمن
يغضبه وما استلزم هذه الفضائل فهو من اشرف الافعال وقال ع من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه استعار لفظ الثوب
لما يشتمل الانسان من الحياء ورشح بذكر الكسوة والمراد ان فضيلة الحياء تستلزم ترك المعايب فلا يرى في صاحبه وان ارتكب عيبا
من الرذائل على غاية من التستر به والاجتهاد في اخفائه وهو مظنة ان لا يراه الناس وقال ع بكثرة الصمت تكون الهيبة وبالنصفة يكثر
المتواصلون وبالافضال تعظم الاقدار وبالتواضع تتم النعمة وباحتمال المؤن يجب السؤدد وبالسيرة العادلة يقهر المناوي وبالحلم
عن السفيه تكثر الانصار عليه اشارة الى سبع فضائل وترغيب في كل منها بما يستلزمه من الخير احدها كثرة الصمت وما يلزمها كون
الصامت مهابا في اعين الناس لان الصمت من توابع العقل غالبا ومهابة اهل العقل ظاهرة فان عرفت كثرة صمت الصامت عن عقل كانت
مهابته اوكد وان لم تعرف حاله كانت لتجويز ان تكون عن كمال عقله وقد يعرف انه نقصان في غريزته وعيه في الكلام ويحترم ذلك
لعدم اختلاط في القول الثانية النصفة وهي فضيلة العدل ورغب فيها بما يلزمها من كثرة المواصلين لان فضيلة الانصاف مستلزمة
للمحبة وقطع الانفة كما قال ابو الطيب ولم تزل قلة الانصاف قاطعة بين الرجال وان كانوا ذوي رحم الثالثة الافضال على
الخلق بما يحتاجون اليه ويلزمه علو الاقدار وعظمها لتعيين الحاجة الى المتفضل ومحبته الرابعة التواضع ويلزمه تمام النعمة بكثرة
الاعوان واهل المودة لان فضيلة التواضع نعمة وما يلزمها كالتمام لها الخامسة احتمال المؤن ويلزم السؤدد لان احتمال مؤن الخلق

في إرشاد الناس لتحصيل الأخلاق

يستلزمه فضيلة سعة الصدر واحتمال المكروه وبسبب تلك تحصل مطالب الخلق من التحمل عنه هشوته وشيء من كدر المقابلة ورده
ونحوها فيكثر مستعبدهم له ويقوى امره وسوده فهم السادسة السيرة العادلة وثمرتها قهر الشانئ في المنافاة المعاداة وذلك لان العدل
لا يجد لصاحب السيرة العادلة عيبا يستظهر به عليه ويبغي به في فساد امره فيبقى مقهورا مأمورا السابع الحلم عن السفيه ويلزمه كثرة
الانصار عليه وقد قررناه **وقال ع** العجب لغفلة الحساد عن سلامة الاجساد لان الغالب ان الحسد انما يكون بالغنى والجاه
وساير مقتنيات الدنيا فتحرك الحساد الحسد بعقد الحسد مع كونها اكبر نعم الدنيا محل التعجب والفرق ان تلك النعم مشاهدة يغفل الغفلة
عنها وينفرد المحسود بها واكثر الترفع على الحسد الحاسد يكون بها فاما نعمة الصحة فمغفول لكثرة الغفلة عنها ومشتركة **وقال ع**
الطامع في وثاق الذل استعار لفظ الوثاق للذل المقيد له في طاعة المطموع فيه وقد تقدم مثله في قوله الطمع رق مؤبد **وقال ع**
الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان وهي لسان الجسد ولوازم الايمان الكامل **وقال ع**
من اصبح على الدنيا حزينا فقد اصبح لقضاء الله ساخطا ومن اصبح يشكو مصيبة نزلت به فانما اصبح يشكو ربه ومن اتى
غنيا فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه ومن قرأ القرآن فمات ثم دخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا ومن لهج
قلبه بحب الدنيا التاط منها بثلث هم لا يغبه وحرص لا يتركه وامل لا يدركه ذكر اشارة الى خمس خصال نفر عن كل منها بما
يلزمه من الشواهد بها الحزن على فايت الدنيا ويلزمه سخط العبد لان فوت ذلك كان نقصا منه وسخط قضائه ثم كفر الثانية
شكوى المصيبة ويلزمها الشكوى من الله لان الله هو المبتلي بها الثالثة التواضع للغني باعتبار غناه ويلزمه ذهاب ثلثي دين المتواضع ووجه ذلك
ان مدار الدين على كمال النفس لان النفس منه بالحكمة وكمال القوة الشهوية بالعفة وقوة الغضب بالشجاعة ولما كان التواضع للغني من جهة غناه
يستلزم زيادة محبة الدنيا والخروج عن فضيلة الشهوة الى طلب الفجور حتى كانه عابد لغير الله ويستلزم الخروج عن الحكمة التي مقتضاها
وضع كل شيء موضعه وهي فضيلة النفس الناطقة كان خارجا عن فضيلتي هاتين القوتين وهما ثلثا الدين الثاني ان مدار الدين
على الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان ومن شأن المتواضع للغني لغناه اشتغال لسانه بمدحه وشكره واشتغال جوارحه
بخدمته عن طاعة الله والقيام بشكره فهو مهمل لثلثي دينه وقيل ان التواضع للغني لغناه يستلزم حب الدنيا وحبها رأس كل خطيئة
فاستعمل لفظ الثلثين في معنى الاكثر مجازا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه الرابعة كون قراءة القرآن مع دخول النار مستلزما لكون
القارئ ممن كان يتخذ آيات الله هزوا وذلك ان قراءة القرآن مع الاخلاص والعمل بمقتضاه يستلزم دخول الجنة وعدم دخولها
ودخول النار يستلزم عدم الاخلاص في قراءة القرآن وعدم العمل به فيكون في قراءته كالمستهزئ بآيات الله اذ شأن المستهزئ
ان يقول ما لا يعتقده ولا يعمل به فاستعار له لفظ المستهزئ الخامسة ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط اي لصق واختلط منها بثلثة
ووجه لزوم الثلثة الحرص والولوع بها لان حبها يستلزم الجد في طلبها وجمعها ولما كان حصولها مشروطا باسباب مقدورة
للعباد واسباب غير مقدورة والمقدورة منها قد لا يكون مقدورة للطالب وان كانت لكنها تكون متعسرة متوقفة على اسباب
كثيرة او عسرة لا جرم يلزمه الحزن غالبا في تحصيلها والهم الذي لا يغبه اي لا يتبعه يوما ويوما لا وهو ثم في حفظها وخوف فوتها



والحرص على استخراجها من وجوهها وطول الامل في وجوه مكاسبها وارباحها وتجاراتها وعماراتها ونبه على طوله بقوله لا يدركه
ونفره عنه بذلك **وقال** كفى بالقناعة ملكا وبحسن الخلق نعيما استعار لفظ الملك للقناعة لان غاية الملك الغناء عن
الخلق والترفع عليهم بذلك والالتذاذ والقناعة مستلزمة لهذه الغايات وكذلك استعار لفظ النعيم لحسن الخلق باعتبار
استلزامها للالتذاذ وسئل عن قوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة قال هي القناعة وفسرها بلازمها وهو الحيوة الطيبة **وقال**
شاركوا الذي قد اقبل عليه الرزق فانه اخلق للغنى واجدر باقبال الحظ اخلق واجدر اي اولى ولما كان اقبال الرزق
بتوافق اسبابه في حق من اقبل عليه كانت مشاركته مظنة اقبال الرزق عليه واقبال الرزق عليه بمشاركته ورغب فيها بصغرى ضمير
قوله فانه الى آخره والضمير في قوله فانه يعود الى المقبل عليه شاركوا من المصدر وتقدير كبراه وكلما كان كذلك ففعله مصلحة **وقال**
في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى العدل الانصاف والاحسان التفضل وهو تعريف لفظي اوضح منه
عند السائل **وقال ع** من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة وذلك اشارة الى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
وقوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم واستعار لفظ اليد في الموضعين للنعمة والعطاء وكنى بالطول والقصر عن الكثرة والقلة
وقال ع لابنه الحسن لا تدعون احدا الى مبارزة وان دعيت اليها فاجب فان الداعي باغ والباغي مصروع نفره عن الدعوة الى
المبارزة بقياس كامل من الشكل الاول وهو قوله فان الداعي الى قوله مصروع وبيانه ان الدعاء الى المبارزة خروج عن فضيلة
الشجاعة الى طرف الافراط منها وهو التهور وهو بغي وعدوان لانه خروج عن فضيلة العدل في القوة الغضبية واما ان الباغي
مصروع ففي غالب الاحوال لاستعداده ببغيه للتلف لان المبارزة واجبة في الطبيعة **وقال** خيار خصال النساء شرار خصال

الرجال الزهو والجبن والبخل فاذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها واذا كانت المرأة بخيلة حفظت مالها ومال بعلها واذا كانت
المرأة جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها الاخلاق الثلثة المذكورة رذائل للرجال وهي فضائل للنساء وبيان كونها فضائل
هو ما ذكره عم والمزهوة المتكبرة ولا يبنى الفعل من الزهو الا للمفعول يقال زهي الرجل فهو مزهو وزهيت المرأة فهي مزهوة والفرق الخوف
وقيل له عم صف لنا العاقل فقال هو الذي يضع الشيء مواضعه فقيل فصف لنا الجاهل فقال قد فعلت يعني عم ان الجاهل هو الذي
لا يضع الشيء مواضعه فكان ترك صفته صفة له اذ كان بخلاف وصف العاقل عرف العاقل بخاصته من خواصه ولما كان الجاهل
عديم ملكة العاقل كان تعريفه بما يقابل خاصة العاقل تعريفا بالمناسب وهو خاصة من خواص الجاهل وقال عم والله
لدنياكم هذه اهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم عراق جمع عرق وهو جمع غريب كتؤام وتوم وهو العظم الذي يحت
عنه اللحم وذلك مبالغة في هون الدنيا وحقارتها في عينه ونفرته عنها لان العرق لا خير فيه فاذا ما كان يكون من خنزير ثم يكون
في يد مجذوم بلغت النفرة منه الغاية وقال عم ان قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وان قوما عبدوا الله
رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الاحرار قسم عم عبادة العابدين بحسب اغراضها الى
ثلثة وهي عبادة الرغبة وعبادة الرهبة وعبادة الشكر وجعل الاولى عبادة التجار باعتبار انهم يستعيضون منها ثواب الاخرة
ويطلبونه بها فهم في حكم التجار المكتسبين للارباح والثانية عبادة العبيد في الدنيا لان خدمتهم لساداتهم اكثر ما تكون رهبة
والثالثة عبادة ما تستحق وهم الذين يعبدون الله لا للرغبة ولا للرهبة بل لانه مستحق العبادة وهي عبادة العارفين وقد اشار
اليها عم في موضع اخر فقال ما عبدتك خوفا من عقابك ولا طمعا في ثوابك بل وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك وقال عم
المرأة شر كلها وشر ما فيها انه لا بد منها اراد ان احوالها كلها شر على الرجل اما من جهة مؤنتها فظ واما من جهة لذتها وتمتعه
بها فلاستلزام ذلك للبعد عن الله تع والاشتغال عن طاعته واسباب الشرور وان كانت عرضية ولما كان كونها لا بد منها
اعني وجوب الحاجة اليها في طبيعة الوجود البدني هو السبب في تحمل الرجل للمرأة ووقوعه في شرورها وجب ان يكون ذلك الاعتبار اعني
الشرور المتعلقة بها لان السبب اقوى من المسبب وقال عم من اطاع التواني ضيع الحقوق ومن اطاع الواشي ضيع الصديق
الانقياد في سلك التواني عن الحقوق المطلوبة يخرجها عن وقت الفرصة لحصولها وذلك يستلزم تضييعها وتفويتها وكذلك الواشي
مظنة السعي بالفساد بين المتصادقين وقطاعته فيما يقول مظنة وقوع الوحشة بينهما وتضييع كل منهما لصاحبه وقال عم الحجر الغصب
في الدار رهن على خرابها استعار لفظ الرهن للحجر المغصوب في دار الظالم باعتبار كونه سببا لخرابها كما ان الرهن سببا لاداء ما عليه
من المال وهو كناية عن مطلق استلزام الظلم لهلاك الظالم وخراب ما بنيه بظلم وان تأخر امده وقد عرفت كون الظلم معدا لذلك ونحو
قول الرسول ص اتقوا الحرام في البنيان فانه اساس الخراب وقال يوم المظلوم على الظالم اشد من يوم الظالم على المظلوم واراد بيوم
المظلوم يوم القيمة وخصصه به لانه يوم انصافه وانتقامه وكذلك تخصيص يوم الظالم بوقت ظلمه لانه في الدنيا وقال اتق الله بعض التقى
وان قل واجعل بينك وبين الله سترا وان رق امر بالتقوى لانها الزاد الى الله ولما كان الاستكثار منها مستلزما للقرب منه وسرعة
الوصول في الطريق الصعبة الطويلة واستعار لفظ الستر لحدود الله الساترة من عذابه ولعله اراد يجعلها بينه وبين الله اي يحفظ حدوده
ولا يهتكها فيقع في مهاوي الهلاك فلفظ الستر شدة الحفاظ على حدود الله وعدم [illegible] شيئا من المباحات خوفا الوقوع في الحرام وذلك
باستيفاء الامور الجائزة من المباحات والمكروهات وقال عم اذا ازدحم الجواب خفي الصواب اي اذا سئل عن مسالة فاجاب جماعة
كل بما يخطر له في المسالة او تخص بعد [illegible] من الاجوبة خفي الصواب فيها لالتباس الحق من تلك الاجوبة واكثر ما يكون ذلك في المسائل
الاجتهادية ولذلك [illegible] كثرة وقال عم ان لله في كل نعمة حقا فمن اداه زاده منها ومن قصر عنه خاطر بزوال نعمته حق الله في النعمة
شكرها الواجب واما استلزام ادائه للمزيد منها وكون التقصير مظنة زوالها فلقوله تع لئن شكرتم لازيدنكم الاية وعنه الشكر
ونفره عن الكفر ان بذكر كون ذلك حقا لله وعدة ترهيبا وترغيبا وقال عم اذا كثرت المقدرة قلت الشهوة لان قليل القدرة
على ما يشتهيه لا يزال مستشعر الخوف من فواته عند حصوله فيكون ذلك الخوف معاقبا للذته فلا يزال في قلبه دافعة نفسانية
تحمله على مشتهاه وتبعث شهوته عليه اما اذا تمت قدرته عليه فانه يأمن من فوته ويحسب ذلك تضعف انبعاث الشهوة فيقل الحاج
عليه وشهوته له وقال عم احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود استعار لفظ النفار والشرود لزوال النعم ملاحظة لشبهها
بالنعم وحذر منه حثا على تقييدها بالشكر ونبه على وجوب ذلك الحذر بقوله فما كل الخ وهو صغرى ضمير تقديرها الشارد
جاز ان لا يرد وتقدير كبراه وكلما جاز ان لا يرد لم يجز تنفيره وقال عم الكرم اعطف من الرحم اي اشد عطفا ويفهم منه احد
معنيين الاول ان الكريم بكرمه اعطف على المنعم عليه من ذي الرحم على ذي رحمه لان عاطفة الكريم طبع وعاطفة ذي الرحم قد
يكون تكلفا وقد لا يكون اصلا والثاني ان الكرم يستلزم عاطفة الخلق على الكريم ومحبتهم له اشد من عاطفة ذي الرحم على رحمه

مواضعه

في احاديث متفرقة مشتملة على المواعظ

وقال ع من ظن بك خيرا فصدق ظنه اي اعمل ما ظنه فيك من خير وتصديق الظن مطابقة الواقع الذي ظن ووعد له بوقوعه وذلك حث على فعل الخير **وقال ع** افضل الاعمال ما اكرهت نفسك عليه اقول انه من الاعمال الصالحة وافضلها انفعها واكثرها استلزاما للثواب وانما كان كذلك لان فائدة الاعمال الصالحة تطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة ورياضتها بحيث تصير مقهورة للعقل واكراه النفس على الامر يكون لشدته عليها فكلما كان اشد كان اقوى في رياضتها وانفع في تطويعها وكسرها فيجب لذلك ان يكون اكثر منفعة فكان افضل ونحوه من الحديث قوله صلعم افضل الاعمال احمزها بالزاي المعجمة اي اشقها **وقال ع** عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحل العقود ونقض الهمم اقول وجه الاستدلال ان الانسان قد يعزم على امر ويعقد همته على فعله بحسب ما يتصوره من المنفعة الداعية اليه ثم عن قريب ينحل ذلك العزم وينفسخ ذلك العقد لزوال ذلك الداعي وبخاطر معارض له اذا عرفت ذلك فنقول تلك التغيرات والخواطر المتعاقبة المرجحة لفعل الامر المعزوم عليه امور ممكنة محتاجة في طرفي وجودها وعدمها الى المرجح والمؤثر فمرجحها ان كان من العبد كان الكلام فيه كالكلام في الاول ولزم الدور او التسلسل وهما محالان فلابد من الانتهاء الى الله تعالى مقلب القلوب والابصار وذلك هو المطلوب **وقال ع** مرارة الدنيا حلاوة الاخرة وحلاوة الدنيا مرارة الاخرة اي مستلزمة لها واستعار لفظي الحلاوة والمرارة للذة والالم وظاهر ان الام الدنيا اللازمة عن ترك لذاتها وعدم الالتذاذ بها طلبا للاخرة وشوقا الى ثوابها مستلزمة لحلاوة الاخرة ولذاتها وكذلك الابتهاج بلذات الدنيا يستلزم الغفلة عن الاخرة وترك العمل لذلك مستلزم لعذابها ومستعقب لشقاوتها **وقال ع** فرض الله الايمان تطهيرا من الشرك والصلوة تنزيها عن الكبر والزكوة تسبيبا للرزق والصيام ابتلاء لاخلاص الخلق والحج تقوية للدين والجهاد عزا للاسلام والامر بالمعروف مصلحة للعوام والنهي عن المنكر ردعا للسفهاء وصلة الرحم منماة للعدد والقصاص حقنا للدماء واقامة الحدود اعظاما للمحارم وترك شرب الخمر تحصينا للعقل ومجانبة السرقة ايجابا للعفة وترك الزنا تحصينا للنسب وترك اللواط تكثيرا للنسل والشهادات استظهارا على المجاحدات وترك الكذب تشريفا للصدق والسلام امانا من المخاوف والامامة نظاما للامة والطاعة تعظيما للامامة اقول اشار الى فرائض الله ونبه على عللها الغائية في الحكمة ليكون اوقع لذكرها في النفوس وذكر منها تسعة عشر فريضة الاولى بدأ بالايمان لانه الاصل لجميع الفرائض والسنن وجعل من غرضه التطهير عن الشرك ولما كان للتطهير من الشرك غاية مطلوبة للشارع هي كمال النفس بمعرفة الله نعم كان التطهير غاية غرضه من الايمان الثانية الصلوة ولما كان وضعها لتطويع النفس الامارة التي هي مبدأ الكبر للنفس المطمئنة ورياضتها وقهرها لاجرم كان من غاياتها تنزيه الانسان عن الكبر الثالثة الزكوة وذكر من غايات فرضها كونها سببا للرزق اذ كان منها رزق الفقراء والمساكين ومعينتها الشرعية كما سلف الرابعة الصيام ولما كان من الشدائد الشاقة على الابدان حسن بان غايته كونه ابتلاء من الله لاخلاص خلقه وان كانت هذه غاية من كل العبادات الخامسة الحج وانما جعل غايته كونه تقوية للدين لانه عبادة تستلزم اجتماع اكثر اهل الملة في مجمع واحد على غاية من التذلل والخضوع والانقياد لله ومشاهدة كل من الخلق الحاضرين لذلك الجمع العظيم من الملوك وغيرهم فيتمكن في قلبه قوة الدين وعظمته دون سائر العبادات السادسة الجهاد وكون غايته عز الاسلام وقوته ظاهر السابعة الامر بالمعروف وغايته اصلاح العوام في معاشهم ومعادهم وخص العوام لانهم اغلب الخلق ولان من عداهم هم العلماء والولاة الامرون بالمعروف الفاعلون له الثامنة النهي عن المنكر وكون غايته ردع السفهاء ظاهر لان السفيه ما لم يكن له رادع من سلطان الدين يكثر فساده ومناداته لمصلحة العالم التاسعة صلة الارحام ومن غاياتها كونها منماة للعدد اي عدد اولي الرحم اذ زيادة عددهم باتفاقهم واجتماعهم وصلة الرحم سبب لذلك العاشرة القصاص وغايته حقن الدماء والكف عن سفكها لخوف المكافاة كقوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقولهم القتل انفى للقتل الحادية عشرة اقامة حدود الله وغايتها اعظام حرمات محارم الله كي لا تنتهك وتحرف الناس عن قصد السبيل فيضيع غرض الشارع من وضع الدين الثانية عشرة ترك شرب الخمر وغايته تحصين العقل عن مخامرتها واشتغاله عما خلق له من طلب الاستكمال لكمال الحكمة الثالثة عشرة مجانبة السرقة وغايتها ايجاب العفة اذ السرقة ينشأ عن كمال طاعة الشهوة والعبور فيها الى حد الافراط والفجور فكان من غايات تحريمها وقوف من في طباعه ذلك على حد العفة الرابعة عشرة ترك الزنا ومن غاياته حفظ الانساب وما يتبعها من المواريث فان الزنا يوجب اختلاط الانساب وضياع الاموال التي هي قوام الخلق في الدنيا وقد سبق سره الخامسة عشرة ترك اللواط وغايته تكثير النسل وتوفير ما دبر على حاله لغاية كثرة النوع وبقائه السادسة عشرة الشهادات وغايتها الاستظهار على مجاحدة خصمك لئلا يضيع لولم يكن بينهما شاهد السابعة عشرة ترك الكذب ومن غاياته تشريف الصدق وتعظيمه بتحريم ضده لما فيه مصلحة العالم عليه ونظام امور الخلق به وقد سبق بيان مفاسد الكذب الموجبة لتحريمه الثامنة عشرة الاسلام ومن غاياته الامن من مخاوف الدنيا لصولة الاسلام على سائر الاديان ومن مخاوف الاخرة وهو ظاهر وروي السلم ولما كان سببا

لتؤديا الى الخلق كان امنا من مخاوفهم الثامنة عشر الامامة وغاية فرضها كونها نظاما للامة لانقياد الخلق حتى كان لهم رئيس منبسط اليد
قوي الشوكة يردع الظالم عن ظلمه ويأخذ للمظلوم بحقه كان بذلك صلاح احوالهم ونظام امورهم في معاشهم ومعادهم ولولا ذلك لما
لم يكن مثل ذلك لم يتيسر التاسعة عشر طاعة الامام وغاية فرضها تعظيم امامة الامام لغاية امتثال الخلق لقوله والامتثال لامره
الاشارة الى سر كثير من هذه الفرائض مفصلة **وقال** ع احلفوا الظالم اذا اردتم يمينه بانه بريء من حول الله وقوته فانه اذا
حلف بها كاذبا عوجل واذا حلف بالله الذي لا اله الا هو لم يعاجل لانه قد وحد الله سبحانه فكم يرى المجتهد تأكيد اليمين بمثل
ما ذكره لغاية نكول الكاذب عنها واداء الحق وذلك ان نفس الكاذب ينفعل من مثل هذا اللفظ لعلمه بظلمه وتوهمه تصديق الله تعالى ومطابقته
لقوله بفعل الدعوة بزوال اليمين المعتادة فيستعد بذلك لما حلف به العقوبة وقد كان واشيا سعى بالصادق ع الى المنصور فاستحضره وقال
ان فلانا ذكر عنك كذا وكذا فقال ع لم يكن ذلك مني فوالى الساعي الا كونه فحلفه الصادق بالبراءة من حول الله وقوته ان كان كاذبا فحلف
فما انقطع كلامه حتى اصيب بالفالج فقطع لم يجر برجله ونجا الصادق منه **وقال** ع يا ابن آدم كن وصي نفسك واعمل في مالك ما تؤثر ان
يعمل فيه من بعدك اي كما توصي من بعدك ان يوضع مالك موضع القربات وانتفاع اهلك به فكن انت ذلك الوصي وضعه في تلك المواضع
في حياتك فهو احسن على بذل المال ونجحه **وقال** ع الحدة ضرب من الجنون لان صاحبها يندم فان لم يندم فجنونه مستحكم
لما كان الجنون حالة تحصل عندها عرض للانسان بسبب خروج القوى النفسانية عن قبول تصرف العقل الى طرفي الافراط والتفريط
وكانت الحدة خروج قوة الغضب عن ضبط العقل لها على قانون العدل الى طرف الافراط كانت قسما من الجنون ويفصل الحدة بالرجوع في الغضب
الى طاعة العقل **وقال** ع صحة الجسد من قلة الحسد وذلك ان الحسد قد يكون ايضا بالصحة كما يكون بغيرها منفعل منها وذلك هو الحسد البالغ
فكانت صحة الجسد دليلا على قلة الحسد لازمة ابي بها **وقال** ع لكميل بن زياد النخعي يا كميل مر اهلك ان يروحوا في كسب
المكارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذي وسع سمعه الاصوات ما من احد اودع قلبا سرورا الا وخلق الله له من ذلك
السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل الادلاج السير بالليل و
النائبة المصيبة واراد ان ادخال السرور على قلب ذي الحاجة بقضائها يجعله الله سببا يلطف به لقاضي الحاجة ويقيه بها من مصيبة
تعرض له ويشبه ان يكون ذلك اللطف هو اخلاص ذي الحاجة ومتعلقيه في امداده ومعونته بدعاء الله له وشكره وثنائه واستمالة قلوب
الخلق بذلك له وكل ذلك لطف يعده الله لوقايته له وطرد المصائب عنه وشبه جري ذلك اللطف الى دفع المكروه عنه بجري الماء في انحداره
ووجه الشبه سرعة الاعداد للدفع والحفظ لانه من امر الله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وكذلك دفع ذلك اللطف للنائبة بطرد غريبة الابل
ووجه الشبه شدة الطرد والابعاد وباقي الفصل ظاهر **وقال** ع اذا املقتم فتاجروا الله بالصدقة الاملاق الفقر وقد مر ان
الصدقة تعد للمزيد من فضل الله فامر الفقراء ان يتصدقوا بما عساه يقع في ايديهم ولو بشق تمرة ليستعدوا بذلك لافاضة فضل
الله ورغبهم في ذلك بذكر التجارة وهو استعارة لاستفاضتهم ما يحصل مما يبذل والفقراء اولى باستجلاب الرزق بالصدقة من الاغنياء
لانفعال القلوب لهم ورقتها عليهم ولما يسبق الى اذهان الخلق ان ذلك منهم عن اخلاص دون الاغنياء **وقال** ع الوفاء لاهل الغدر
غدر عند الله والغدر باهل الغدر وفاء عند الله نعم وذلك ان من عهد الله في دينه الغدر بعدم الوفاء لهم اذا غدروا لقوله
تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين قيل نزلت في يهود بني قينقاع وكان بينهم وبين الرسول ص
عهد فعزموا على نقضه فاخبره الله تعالى بذلك وامره بحربهم ومجازاتهم بنقض عهدهم فكان الوفاء لهم غدرا بعهد الله والغدر بهم اذا
غدروا وفاء بعهد الله **قال السيد** ره **فصل** نذكر فيه شيئا من اختيار غريب كلامه المحتاج الى التفسير في حديثه
عليه السلام فاذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه فيجتمعون اليه كما يجتمع قزع الخريف **قال السيد** واليعسوب الدين
السيد العظيم المالك لامور الناس يومئذ والقزع قطع الغيم التي لا ماء فيها **اقول** اومى بقوله ذلك الى علامات ذكرها
في آخر الزمان لظهور صاحب الامر واستعار له لفظ اليعسوب وهو في الاصل امير النحل ملاحظة لشبهه به واما ضربه بذنبه فقيل فيه
اقوال احدها ان الضرب هو السير في الارض وذنبه استعارة في اعوانه واتباعه والثاني الاستعارة الثانية كان ضرب النحل
بذنبه لسعه كنى بذلك عن نصب سيوفه وسهامه في اعدائه لقتلهم واذاهم الثالث انه كناية عن ثوراته وغضبه لدين الله ملاحظة
لشبهه بالنحل حال صولته وغضبه وهذا الوجه اشبه الثلاثة وشبه اجتماع المؤمنين واهل طاعة الله باجتماع قطع الغيم المتفرقة
ووجه الشبه سرعة الاجتماع لان قزع الخريف سريع التآلف **وفي حديثه** ع هذا الخطيب الشحشح **قال السيد** يريد الماهر بالخطبة
الماضي فيها وكل ماض في كلام او سير فهو شحشح والشحشح في غير هذا الموضع البخيل الممسك يروى انه رأى خطيبا يخطب
فقال ما هذا الخطيب الشحشح اي الماهر في خطبته **وفي حديثه** ع ان للخصومة قحما **قال السيد** يريد بالقحم المهالك لانها تقحم

في مواعظ ونصائح وارشاد الناس

باصحابها في المهالك والمتالف في الاكثر ومن ذلك تقحم الاعراب وهو ان تصيبهم السنة فتتعرق اموالهم فذلك تقحمها فيهم وقيل فيه وجه

اخر وهو انها تقحمهم بلاد الريف اي تحوجهم الى دخول بلاد الحضر عند محول البادية واقول يروى تقحم وكل اخاه في خصومته وقال ان لها

لقحما وان الشيطان يحضرها واقحم المهالك وذلك انها مظنة ثوران الفتنة العصبية والخروج عن حد العدل فيها الى رذيلة الافراط

التي هي مظنة الهلاك وفي حديثه ع فاذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة اولى ويروى نص الحقائق قال السيد والنص منتهى الاشيا

ومبلغ اقصاها كالنص في السير لانه اقصى ما يقدر عليه الدابة وتقول نصصت الرجل عن الامر اذا استقصيت مسألته عنه لتستخرج

ما عنده فيه فنص الحقاق يريد به الادراك لانه منتهى الصغر والوقت الذي يخرج منه الصغير الى حد الكبير وهو من افصح الكنايات عن

هذا الامر واغربها يقول فاذا بلغ النساء ذلك فالعصبة اولى بالمراة من امها اذا كانوا محرما مثل الاخوة والاعمام وبتزويجها

ان ارادوا ذلك والحقاق محاقة الام للعصبة في المراة وهو الجدال والخصومة وقول كل واحد للاخر انا احق منك بهذا

ويقال منه حاققته حقاقا مثل جادلته جدالا وقد قيل ان نص الحقاق بلوغ العقل وهو الادراك لانه ع انما اراد

منتهى الامر الذي تجب به الحقوق والاحكام ومن رواه نص الحقائق فانما اراد جمع حقيقة هذا معنى ما ذكره ابو عبيد

القسم بن سلام والذي عندي ان المراد بنص الحقاق ههنا بلوغ المراة الى الحد الذي يجوز فيه تزويجها وتصرفها في حقوقها

تشبيها بالحقاق من الابل وهي جمع حقة وحق وهو الذي استكمل ثلث سنين ودخل في الرابعة وعند ذلك يبلغ الى

الحد الذي يتمكن فيه من ركوب ظهره ونصه في سيره والحقائق ايضا جمع حقة فالروايتان جميعا ترجعان الى معنى واحد

وهذا اشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور اولا واقول الذي ذكره السيد انسب الى كلام العرب كما قال عيرات نص الحقاق استعارة

تحمله التشبيه والعصبة بنو الرجل وقرابته لابيه سموا بذلك لانهم عصبوا به وعطفوا عليه وقيل يحتمل ان يراد بالنص الارتفاع

يقال نصصت الظبية راسها اذا رفعته ومنه منصة العروس لارتفاعها عليها ويكون قد استعار لفظ الحقاق لابتداء الصغيرة اذا نهدت

وارتفعت تشبيها بالحقة صورة اي اذا بلغن حال ارتفاع ثديهن كانت العصبة اولى بهن من الام لانه وقت ادراكهن وعلامة صلاحيتهن

للتزويج وفي حديثه ع ان الايمان يبدو لمظة في القلب كلما ازداد الايمان ازدادت اللمظة واللمظة مثل النكتة او نحوها من البياض

ومنه قيل فرس المظ اذا كان بجحفلته شيء من البياض واقول الزيادة الايمان وهو التصديق بوجود الصانع ع اول ما يكون في النفس

يكون حاله لا يزال يتاكد بالبراهين والاعمال الصالحة الى ان يصير ملكة تامة ولفظ اللمظة استعارة لما يبدو من نور الايمان في النفس

اول كونه ملاحظة لشبهه بالظلام من البياض والنكتة من نور الشمس ونصب لمظة على التمييز والحال وقال وفي حديثه ع ان الرجل اذا

كان له الدين الظنون يجب عليه ان يزكيه لما مضى اذا قبضه قال السيد فالظنون هو الذي لا يعلم صاحبه ايقبضه من

الذي هو عليه ام لا فكانه الذي يظن به مرة يرجوه ومرة لا يرجوه وهذا من

افصح الكلام وكذلك كل امر تطلبه ولا تدري على اي شيء انت منه فهو ظنون وعلى ذلك قول الاعشى ما يجعل الجد الظنون

الذي جنب صوب اللجب الماطر مثل الفراتي اذا ما طما يقذف بالبوصي والماهر فالجد البئر والظنون التي لا يعلم هل فيها

ماء ام لا واقول يعني اذا كان لك مثلا عشرون دينارا دينا على رجل وقد اخذ منها شيئا كما هو من غير ان تعرف فيها وان تظن

ان استرد منها شيئا ردها اليك فاذا مضى لها احد عشر شهرا واستهل هلال الثاني عشر وجبت زكاتها عليك والجد في قول

الاعشى هو السحاب الصوت ذو الرعد واراد بالفراتي الفرات والياء للتاكيد كقولهم والدهر بالانسان دواري اي دوار ويحتمل

ان يريد نهر الفراتي والبوصي ضرب من صغار السفن والماهر السابح ومراده انه لا يقاس البئر التي يشك هل فيها ماء ام لا لبعده

بالفرات اذا ما طما وهو كالمثل لعدم مساواة البخيل للكريم وفي حديثه ع انه شيع جيشا يغزيه فقال اعزبوا عن النساء ما استطعتم

قال السيد ره ومعناه اصدفوا عن ذكر النساء وذكر القلوب بهن وامتنعوا من المقاربة لهن لان ذلك يفت في عضد الحمية ويقدح

في معاقد العزيمة ويكسر عن العدو ويلفت عن الابعاد في الغزو وكل من امتنع من شيء فقد اعزب عنه والعازب والعزوب الممتنع

من الاكل والشرب قوله يفت في عضد الحمية كناية عن كسرها وفي حديثه ع كالياسر الفالج ينتظر اول فوزة من قداحه قال السيد

الياسرون هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور والفالج القاهر الغالب يقال قد فلج عليهم وفلجهم قال الراجز لما رايت فالجا قد فلجا

اقول قد ترشح صدر قوله اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر وفي حديثه ع كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول

الله فلم يكن احد منا اقرب الى العدو منه قال السيد ومعنى ذلك انه اذا عظم الخوف من العدو واشتد عضاض الحرب

فزع المسلمون الى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا احمر الباس كناية عن شدة الامر وقد قيل في ذلك اقوال احسنها

انه شبه حمي الحرب بالنار التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها ومما يقوي ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وقد راى

مجتلد الناس يوم حنين وهي حرب هوازن الان حمي الوطيس والوطيس مستوقد النار فشبه صلى الله عليه وآله ما استحر

لا تشبيه ان كانت الاستعارة

قال السيد ره

من جلاده

ج ٣٠٩

كلام له ع حين بلغه اغارة اصحاب معوية

من جلاد القوم واحتدام النار وشدة التهابها وافول سنعا وضعف حرارة الباس لشدة شمول الحطة لشبهه بالنار الموقدة وقد تمثل
ذلك في بعض كتبه ع **وقال ع** لما بلغه اغارة اصحاب معوية على الانبار فخرج بنفسه ماشيا حتى اتى النخيلة فادركه
الناس وقالوا يا امير المؤمنين نحن نكفيكهم فقال ع والله ما تكفونني انفسكم فكيف تكفونني غيركم ان كانت الرعايا
قبلي لتشكو حيف رعاتها واني اليوم لاشكو حيف رعيتي كانني المقود وهم القادة او الموزوع وهم الوزعة فلما قال
هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب تقدم اليه رجلان من اصحابه فقال احدهما اني لا املك
الا نفسي واخي فمرنا بامرك يا امير المؤمنين ننفذ له فقال واين تقعان مما اريد وقيل ان الحارث بن حوط اتاه عليه السلم
فقال اتراني اظن اصحاب الجمل كانوا على ضلالة فقال عليه السلم يا حارث انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت
انك لم تعرف الحق فتعرف اهله ولم تعرف الباطل فتعرف من اتاه فقال الحارث فاني اعتزل مع سعد بن مالك و
عبد الله بن عمر فقال عليه السلم ان سعدا وعبد الله لم ينصرا الحق ولم يخذلا الباطل قوله اتراني استفهام انكار لرويته كذلك
ورجم حارث وقيل في قوله انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك اي نظرت في اعمال الناكثين من اصحاب الجمل المتمسكين بظاهر
الاسلام الذين هم دونك في المرتبة لبغيهم على امام الحق فاغتررت بشبهتهم واقتديت بهم ولم تنظر الى من هو فوقك
وهو امامك الواجب الطاعة ومن معه من المهاجرين والانصار ولا سمعت حكمهم بكون خصومهم على الباطل فكان ذلك
حيرتك ويحتمل ان يكون نظره تحته كناية عن نظره الى الباطل وتحيره في شبهتهم المكتسبة عن محبة الدنيا التي هي الجهة السفلى
ونظره فوقه كناية عن نظره الى الحق وتلقيه من الله وقوله انك الى اخره تفصيل لسبب حيرته وهو عدم معرفة الحق والباطل المستلزم
لجهله باهلهما واوقع فيهما الجزم باتباع الحق واجتناب الباطل وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه كل من كان كذلك فمع الحيرة
والضلال وسعد بن مالك هو سعد بن ابي وقاص فانه لما قتل عثمن اشترى غنما واشتغل الى الباديه وكان يتعيش بالاغنام
حتى مات ولم يشهد بيعة علي ع واما عبد الله بن عمر فالتجا الى اخته حفصة زوجة النبي ص بعد ما بايع لامير المؤمنين ع ولكن لم يشهد معه
حرب الجمل وقال قد اغرتني العبادة عن الغزو شدة والحارث فلست مع علي ولا مع اعدائه فاما قوله في جوابه ان سعدا الى اخره فهو صغرى
ضمير نبه فيه على انه لا يجوز له متابعتهما في الاعتزال وهي من المخيلات المنفرة التي في صورة الذم وان كانت صادقة وتقدير الكبرى
وكل من كان كذلك فلا يجوز متابعته **وقال ع** صاحب السلطان كراكب الاسد يغبط بموقعه وهو اعلم بموضعه اي يتمنى موضعه
وهو يعلم انه في غاية من المخاطرة بالنفس والتغرير بها وذلك هو وجه الشبه براكب الاسد **وقال ع** احسنوا في عقب غيركم
تحفظوا في عقبكم العقب من يخلف الانسان من الولد وولد الولد وانما كان كذلك لان المجازاة واجبة في الطبيعة ولان الذكر الجميل
بذلك يعطف الناس على عقب المحسن من بعده **وقال ع** ان كلام الحكماء اذا كان صوابا كان دواء واذا كان خطاء كان داء
وذلك لقوة اعتقاد الخلق فيهم ورشدهم فتوهم لما يقولونه فان كان حقا كان دواء من الجهل وان كان باطلا اوجب للخلق داء الجهل
ولذلك قيل زلة العالم زلة العالم وسأله رجل ان يعرفه الايمان فقال اذا كان غد فاتني حتى اخبرك على اسماع الناس فان نسيت
مقالتي حفظها عليك غيرك فان الكلام كالشاردة ينقفها هذا ويخطئها هذا وقد ذكرنا ما اجابه فيما تقدم من هذا الباب وهو قوله
الايمان على اربع شعب حيث تشبيه الكلام بالشاردة من الابل قوله ينقفها اي يجدها في ضلالها الى اخره والفضل ظ **وقال ع**
يا ابن ادم لا تحمل هم يومك الذي لم يأتك على يومك الذي قد اتاك فانه ان يك من عمرك يأت الله فيه برزقك اي ينبغي
ان يكون الاهتمام بحاجة كل يوم مخصوصا بذلك اليوم والكلمة صغرى ضمير نبه بها على ترك الاهتمام بما لم يات من الايام وتقدير
الكبرى وكلما كان كذلك فلا ينبغي الاهتمام له **وقال ع** احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك
هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما فايده هذه الكلمة الامر بالاعتدال في المحبة والبغض وعدم الافراط فيهما لما في الافراط
من المفسدة والهون السكينة والوقار وهو صفة مصدر محذوف اي حبا هينا معتدلا وما في الموضعين يفيد شيئا مما في الهون
واليوم وان الغرض منه مقدار دون الافراط ووقت من الاوقات وان لم يكن معينا ونبه على سر ذلك بقوله عسى في الموضعين وهما
صغرى ضميرين اما مفسدة افراط المحبة فلاستلزامه اطلاع المحب المحبوب على اسراره وتوقيفه على احواله فربما انقلب بعد ذلك عدوا
له فيكون اقدر على هلاكه من غيره من الاعداء وكذلك مفسدة افراط البغض وهو عدم الابقاء على المبغوض وذلك يستلزم دوام
المعاداة فالاعتدال في ذلك ادعى الى لا تدريجا حاد العدو والى الصداقة فكان البغض قد ابقى للصداقة موضعا وتقدير كبرى الاول
وكل حبيب جاز ان يكون عدوا في وقت ما فينبغي ان لا يفرط في محبته وتقدير كبرى الثاني وكل عدو جاز ان يكون صديقا يوما
ما فينبغي ان لا يفرط في بغضه **وقال ع** الناس في الدنيا للدنيا قد شغلته دنياه عن اخرته يخشى على من يخلفه الفقر
ويأمنه على نفسه فيفني عمره في منفعة غيره وعامل عمل في الدنيا لما بعدها فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل فاحرز الحظين

اقول لعل الفصل قد مر شرحها في الخطب م

فتعرف اهله وفي نسخة م

كلام له مشتمل على المواعظ والنصايح

معاً فملك الدارين جميعاً فاصبح وجيهاً عند الله لا يسأل الله حاجة فيمنعه لما كان العمل في هذه الحيوة لا بد منه فعل العاقل اما لها
او لغيرها وغيرها هو الاخرة فاذن الناس عاملان واشار الى الاول في معرض ذمه بقوله قد شغلته دنياه الى قوله غيره ومعنى ذلك
انه يشتغل بتحصيل الدنيا خوف الفقر على ولده من بعده فيفني عمره في منفعة غيره تحصيلها لغيره ولا يخشى الفقر الاكبر في الاخرة من الخيرات
الباقية عليه على نفسه وذلك ضلال مبين واشار الى الثاني في معرض مدحه وتاملوا بقوله فجاءه الذي له من الدنيا الى المكتوب
له في اللوح المحفوظ من رزق ونحوه وقوله بغير عمل اي للدنيا لان العمل بقدر الضرورة منها ليس عملاً لها بل للاخرة
وهو مقصود من الدنيا بالعرض ومن لك يحرز حظيه من الدنيا والاخرة ويكون في الدنيا ملكاً بغناه وفي الاخرة بثمرة اعماله
ووجيهاً عند الله وعلو منزلته في استعداده بطاعته مستلزم لقبول دعوته واجابتها فيما سأل وروي انه ذكر عند عمر بن
الخطاب في ايامه حلى الكعبة وكثرته فقال قوم لو اخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان اعظم للاجر وما تصنع الكعبة بالحلي فهم
عمر بذلك وسأل عنه امير المؤمنين ع فقال ان القرآن انزل على النبي ص والاموال اربعة اموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض
والفيء فقسمه على مستحقيه والخمس فوضعه الله حيث وضعه والصدقات فجعلها حيث جعلها وكان حلي الكعبة فيها يومئذ فتركه
الله على حاله ولم يتركه نسياناً ولم يخف عليه مكاناً فاقره حيث اقره الله ورسوله فقال عمر لولاك لافتضحنا وترك الحلي بحاله القصة
مشهورة وخلاصته محتجة مضمر يشار الى صغراه وتقديرها ان حلي الكعبة قد اقره الله ورسوله من غير نسيان له ولا احتمال
مكانه ومع غرضه لجميع الاموال وتقدير الكبرى وكلما اقره الله ورسوله على حاله وجب ابقاؤه فيما اقراره ولذلك ابر ضميره
النتيجة وهو قوله فاقره الله ورسوله ونسياناً نصب على الحال ومكاناً على التمييز وروي انه ع رفع اليه رجلان سرقا من مال الله
احدهما عبد من مال الله والاخر من عرض الناس فقال ع اما هذا فهو مال الله فلا حد عليه مال الله اكل بعضه بعضاً واما الاخر فعليه
الحد فقطع يده عرض الناس سائرهم وعامتهم واحتج للعبد بضمير صغراه له فهو مال الله اكل بعضه بعضاً وتقدير كبراه وكلما
كان كذلك فلا قطع عليه واما المقطوع فانه قد كان سرق نصاباً من مال الغنيمة من جزء ولم يكن له نصيب منها واما ان كان له
نصيب فان كان المسروق فوق نصيبه نصاباً قطع والا فلا وقال ع لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيرت اشياء
المداحض المزالق واستواء قدميه كناية عن ثباته وتمكنه من اجراء الاحكام الشرعية على وجوهها في المسائل الاجتهادية المشكلة
التي يخفى حكم الشرع فيها على غيره وذلك انه في خلافته لم يتمكن من تغيير شيء من احكام الخلفاء قبله وكان له في بعضها راي
غير ما راوه واستعار لتلك المسائل لفظ المداحض باعتبار انها مزالق اقدام العقول ومزالها واومى بقوله لغيرت اشياء
الى ما كان يرى فساده من احكام غيره في تلك المسائل وان اقدام عقولهم قد زلقت فيها عن سواء الصراط وقال اعلموا علماً
يقيناً ان الله لم يجعل للعبد وان عظمت حيلته واشتدت طلبته وقويت مكيدته اكثر مما سمي له في الذكر الحكيم
ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته وبين ان يبلغ ما سمي له في الذكر الحكيم والعارف لهذا العامل به اعظم
الناس راحة في منفعة والتارك له الشاك فيه اعظم الناس شغلاً في مضرة ورب منعم عليه مستدرج بالنعمى ورب
مبتلى مصنوع له بالبلوى فزد ايها المستمع في شكرك وقصر من عجلتك وقف عند منتهى رزقك في هذا الفصل
لطائف لما قام البرهان على ان ما علم الله تعالى وجوده فهو واجب الوقوع وما علم عدمه فهو ممتنع الوقوع لا جرم لم يكن لكل من القوي والضعيف
من الرزق ونحوه الا ما علم الله تعالى وصوله اليه بقلم القضاء الالهي في الذكر الحكيم واللوح المحفوظ فلم يبلغ عظم الحيلة وقوة المكيدة بحيلته
اكثر مما سمي له ولا قصر الضعيف بضعفه عن بلوغ ما سمي له ولاجل ثبوت ذلك بالبرهان امرهم بتيقنه وعلمه والعمل بمقتضاه
صغراه قوله فالعارف الى قوله في منفعة اما راحته فلعلمه ان ما كتب له لا بد ان يصل اليه فيترك لذلك شدة الاهتمام به والكدح
له ولما كانت راحة قلبه وبدنه كانت اعظم الراحات ولما كانت مع منفعته بما يصل اليه تأكد نفعها وكذلك نفر عن الشك في
ذلك وترك العمل به بقوله والتارك لهذا الشاك فيه الى اخره وهو ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا ينبغي له الشك فيه و
تركه واما انه كان اعظم الناس شغلاً لانه يشغل قلبه وبدنه بما لا فائدة فيه فيلزمه مضرة في الضرر فان قلت فهذا ينافي الامر بالدعاء
وبالسعي في طلب الرزق كقوله تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ونحوه قلت قد بينا انه لا ينافي وذكرنا سر الدعاء و
فائدته وحاصله انه قد يكون الدعاء سبباً لوجود الرزق في علم الله تعالى وجوده بواسطة سببه لا تنافي بينهما الثانية نبه اهل النعمة
والغنى واهل البلاء على وجوب شكر الله تعالى على حاليهما اما اهل النعمة فنبههم بان نعمتهم قد يكون استدراجاً لهم ليشكروا الله
عليها كيلا يستدرجهم بها واما اهل البلوى فنبههم بان بلواهم قد يكون صنعاً من الله في حقهم ليعدهم بها لثواب الجزيل فيجب
عليهم شكر ذلك الصنع والفقرتان صغريا ضميرين تقدير الاولى منهما بعض المنعم عليه مستدرج بالنعمى وتقدير الكبرى
وكل مستدرج بالنعمى يجب عليه ان يحترز بشكر نعمة الله عليه من الاستدراج بها وكذلك تقدير الثانية وبعض المبتلى مصنوع

له بالبلوى

۹ بج
ج

كلمات المشتملة على المواعظ والنصائح

له بالبلوى وتقديم الكبرى وكل مصنوع اليه يجب عليه شكر صنع الله في حقه ولذلك امر المستمعين مع زيادة الشكر مع ان فيهم المنعم
عليهم والمبتلى ثم امر المقصرين عن العمل في طلب الزيادة والوقوف دون حد الافراط منه على حد العدل وقال لا تجعلوا علمكم جهلا
ويقينكم شكا اذا علمتم فاعملوا واذا تيقنتم فاقدموا نهاهم ان يجعلوا علمهم بما امر علمه من احوال الآخرة جهلا اى في قوة الجهل ويقينهم (علمهم م)
شكا اى في قوة الشك وعبر بذلك عن تركهم العمل على وفق ما علموه وتيقنوه ولذلك امرهم بالعمل على وفق علمهم والاقدام عليه على وفق
يقينهم **وقال عم** ان الطمع مورد غير مصدر وضامن غير وفي وربما شرق شارب الماء قبل ريه وكلما عظم قدر الشيء المتنافس
فيه عظمت الرزية لفقده والاماني تعمي اعين البصائر والحظ ياتي من لا ياتيه نفره عن الطمع في الدنيا والحرص في طلبها وعيبها
واقتناءها بوجوه الاول ضمير صغراه قوله ان الطمع الى قوله وفي اى يورد الطامع موارد الهلكة ولا يصدره عنها واستعار لفظ
الضامن غير الوفي باعتبار انه يرغب في الطلب يدعو اليه مع انه قد يكون كاذبا كمن يضمن شيئا ويخلف فيه وتقدير كبراه وكلما
كان كذلك فلا ينبغي ان يتبع ويؤتى به الثاني قوله وربما الى قوله ريه وهو تنبيه على انه لا يجوز الاسترسال في طلب الدنيا بضمير كنى
عن صغراه بذلك وتقديرها ان المسترسل في طلبها قد يخترم ويقطع دون بلوغ آماله منها وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا ينبغي له
الاسترسال في طلبها الثالث نفره عن المنافسة فيما عظم قدره من متاعها بضمير صغراه قوله وكلما الى قوله لفقده والرزية المصيبة وتقدير الكبرى
وكلما عظمت الرزية لفقده فلا ينبغي اقتناؤه اذ كان من ضرورته فناؤه الرابع نفره عن الاماني بضمير صغراه قوله والاماني تعمي اعين البصائر (فقده م)
وذلك انها تشغل الفكر بما لا يعني عن طلب ما يعني من الكمالات العقلية واستعار لفظ الاعين للافكار باعتبار ادراكها وتقدير الكبرى
وكلما كان كذلك وجب اجتنابها الخامس نبه على انه لا يستطلب الحظ من الدنيا بقوله والحظ ياتي من لا ياتيه اى الحظ لمن كان له حظ يصل اليه وان
لم يسع في طلبه وهو في قوة صغرى ضمير وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا حاجة الى طلبه واتيانه **وقال عم** اللهم اني اعوذ بك ان تحسن
في لامعة العيون علانيتي وتقبح فيما ابطن لك سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي بجميع ما انت مطلع عليه مني فابدي للناس
حسن ظاهري وافضي اليك بسوء عملي تقربا الى عبادك وتباعدا من مرضاتك فضي اصل واستعاذ بالله ان يجتمع له حسن الظاهر
في عيون الناس مع قبح الباطن عند الله بالرياء والتصنع بالزهادة والعبادة الظاهرة لغاية طلب الدنيا ولامعة العيون اضافة للصفة
الى الموصوف اى العيون اللامعة ومحافظا حال وتقربا وتباعدا مصدران سدا مسد الحال ويجوز نصبهما على المفعول **وقال عم**
لا والذي امسينا منه في غبر ليلة دهماء تكشر عن يوم اغر ما كان كذا وكذا غبر الليل بقاياه والدهماء السوداء والتكشر التبسم
بحيث تبدو الاسنان والاغر الواضح ولفظ التكشر مستعار لليلة باعتبار اسفارها عن ضوء يومها فهي كالضاحكة واليمين في غاية
الفصاحة وعن مثلها ينفعل الحالف والسامع **وقال عم** قليل تدوم عليه ارجى من كثير مملول واراده من الاعمال فان القليل الدائم
اكثر من الكثير المملول المنقطع واقوى اعداد للنفس فكان انفع في الآخرة **وقال عم** اذا اضرت النوافل بالفرائض فارفضوها اى اذا
اخلت ببعض شرائط الفرائض وجب تركها وقد مر تفسيره مستوفى **وقال عم** من تذكر بعد السفر استعد واراد السفر بعد
طريق الآخرة يلزمه الاستعداد لها بالتقوى **وقال عم** ليست الروية مع الابصار فقد تكذب العيون اهلها ولا يغش العقل من انتصحه
هذا تنبيه على وجوب اعمال الفكر فيما ينبغي وان العقل هو مستند الحواس هو الناقد والناصح الشفيق الذي لا يغش من استنصحه واستعار لفظ (البصير م)
الاستنصاح لمراجعته واعماله بصدق وتوجهه الى استخراج الآراء الصالحة ولفظ الغش لكذبه اى لا يكذب من انتصحه وجعله رائدا له
واما الحواس فقد تكذب اهلها واعلم ان البصر وغيره من الحواس لظاهره لا حكم له وانما الحكم ببعض المحسوسات على بعض حكم العقل بواسطة
الخيال والوهم وكلما عرض في تلك الاحكام من الغلط فهو من اغلاط الوهم على ما تبين في موضعه فيكون قوله وقد تكذب العيون اهلها
اى قد يكذب بالاحكام الوهمية على مدركات العيون كالحكم بكون القطرة النازلة خطا مستقيما والشعلة التي تدار بسرعة كالدائرة ونحوه
وقال عم بينكم وبين الموعظة حجاب من الغرة استعار لفظ الحجاب لما يعرض للنفوس من الهيئات البدنية المغفلة عن النظر في العبر وقبول
الموعظة والانتفاع بها **وقال عم** جاهلكم مزداد اى من الاثم مسوف اى بالتوبة **وقال عم** قطع العلم عذر المتعللين اى العلم بالله
وما بلغه الرسول صلعم من البشارة والنذارة فان ذلك قاطع لعذر من عسى يقول انا كنا عن هذا غافلين كما قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين
الآية **وقال عم** كل معاجل يسأل الانظار وكل مؤجل يتعلل بالتسويف وهو توبيخ على ترك العمل الصالح والتوصل **وقال عم** (للمعاجل م)
ما قال الناس لشيء طوبى له الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء اى ما استحسن الناس من الدنيا شيئا الا وفي قوة الدهر اعداده لفساده و
اهلاكه وما لا بد من خروج ما فيه بالقوة الى الفعل **وقال عم** وقد سئل عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكوه وبحر عميق
فلا تلجوه وسر الله فلا تتكلفوه **اقول** السؤال عن ماهيته وكيفيته ووقوع الافعال بحسبه هذه المسألة من مسائل العلم الالهي وفيها خبط (القدر م)
عظيم بين الحكماء والمتكلمين وقد نبهنا على ما هو الحق فيها فيما سبق لصعوبتها كان الخوض فيها مظنة الضلال والتيه في بحر لا ساحل
له فلذلك نفرهم عن الخوض فيها بضمائر ثلاثة احدها انها طريق مظلم وتقدير الكبرى وكل طريق مظلم فلا يجوز سلوكه وينبه بقوله فلا تسلكوه (فيها م)

كلمات له على المواعظ والنصائح

واستعار لفظ الظلمة له باعتبار كونه كثير الشبهات لا يهتدى فيه للحق الثاني انه بحر عميق واستعار لفظ البحر ووصفه بالعمق له باعتبار غرق الافكار
فيه وتقدير كبراه وكل بحر عميق فلا يجوز ولوجه ونتيجته قوله فلا تلجوه الثالث انه سر الله وقد خفي عليكم ومنع من الخوض فيه وتقدير
كبراه وكلما كان كذلك فلا يجوز تكلف الخوض فيه و... ومعناه كل غامض من غوامض العلم لا يجوز كشفه الا من اولياء الله وافراد العلماء فهو
من اسرار الله وقال عليه السلام اذا ارذل الله عبدا حظر عليه العلم والادب حظر العلم اعداده لغيره وشهوات اسبابه بحيث يصرف عنه فلا
يكون له استعداد وظاهر ان الجهل من اشد الرذائل واصعبها داء وهو طرف التفريط من فضيلة العلم والادب كما سبقت الاشارة اليه غير مرة
وقال عليه السلام كان لي فيما مضى أخ في الله وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه وكان خارجا عن سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا
يجد ولا يكثر اذا وجد وكان اكثر دهره صامتا فان قال بذ القائلين ونقع غليل السائلين وكان ضعيفا مستضعفا فان جاء
الجد فهو ليث غاد وصل واد لا يدلي بحجة حتى يأتي قاضيا وكان لا يلوم احدا على ما يجد العذر في مثله حتى يسمع اعتذاره
وكان لا يشكو وجعا الا عند برئه وكان يفعل ما يقول ولا يقول ما لا يفعل وكان اذا غلب على الكلام لم يغلب على
السكوت وكان على ان يسمع احرص منه على ان يتكلم وكان اذا بدهه امران نظر ايهما اقرب الى الهوى فخالفه فعليكم بهذه
الاخلاق فالزموها وتنافسوا فيها فان لم تستطيعوها فاعلموا ان اخذ القليل خير من ترك الكثير **اقول** ذكر هذا الفصل
ابن المقفع في ادبه ونسبه الى الحسن بن علي عليه السلام ونقع الغليل سكن العطش وادلى بحجته ارسلها واحتج بها وبدأ الامر اتاه من غير تأهب
له والمشار اليه قيل هو ابو ذر الغفاري وقيل هو عثمان بن مظعون وقد وصفه باثني عشر فضيلة احدها انه كان يستصغر الدنيا و
ينظر اليها بعين الاحتقار وظاهر ان ذلك يستلزم عظمه في عيون اهل الله الثانية انه كان خارجا عن سلطان بطنه وهو كناية عن خروجه من اسر
شهوته وخلاصه من رذيلة الفجور الى فضيلة العفة فكف شهوته عما لا يجد يستلزم عدم رذيلة الحرص والحسد ونحوهما وعدم اكثاره مما يجد
يستلزم نزاهته عن رذيلة الشره والنهم ونحوهما الثالثة فضيلة العدل في الكلام والسكوت اي انه ينطق بالحكمة في موضعها واما غلبته
السكوت عليه فلقوة عقله كما قال عليه السلام فيما قبل اذا تم العقل نقص الكلام الرابعة انه كان ضعيفا مستضعفا اي فقيرا منظورا اليه
بعين الذلة والفقر وذلك من لوازم فضيلة التواضع الخامسة فضيلة الشجاعة عند الجد في الحرب والغضب لله وكنى عن ذلك بقوله
فان جاء الجد الى قوله واد واستعار لفظ الليث باعتبار سطوته وصولته ولفظ الصل باعتبار بأسه ونكايته في العدو والمثل يضرب
بحية الوادي في الشجاعة والنكاية والسم السادسة انه لا يدلي بحجته حتى يجد قاضيا وهو من فضيلة العدل في وضع الاشياء مواضعها السابعة
كونه لا يلوم احدا على امر يحتمل العذر الا بعد سماع الاعتذار فان كان هناك عذر قبله وذلك من لوازم العدل والانصاف وفضيلة الثبات
واحتمال المكروه الثامنة كونه لا يشكو ما ينزل به من الامراض لتسليمه لاحكام الله ورضاه بها بل لعله يحكيها بعد برئه على سبيل الاخبار دون
الشكاية وانه كان يكتم مرضه كيلا يتكلف الناس زيارته فيشق عليهم ذلك التاسعة كان يطابق فعله قوله ويتنزه عن الكذب والخلف العاشرة
كان يترك المماراة والمجادلة والمغالبة في الاقوال ويعدل الى السكوت اذا غولب في القول وذلك عن فضيلة الصبر وقوة القوة الغضبية الحادية
عشرة وكان احرص على الاستماع منه على الكلام ترجيحا لجانب الاستفادة على الافادة والاول اهم من الثاني وذلك من فضيلة الحكمة
الثانية عشرة وكان اذا خطر بباله امران ولم يعرف خيرهما فيقيد فكره في ايهما امثل مثلا كالتزويج وعدمه فكر في ايهما اقرب الى الهوى وقبل
الشهوة كالتزويج فخالفه الى تركه ولما كان غرضه الفضل ان يقتدي السامعون بالفضائل المذكورة امرهم بلزومها والتنافس فيها
او في بعضها ان لم يمكن الكل ورغب في ذلك بقوله فاعلموا الى آخره وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان خيرا فينبغي لزومه والتنافس
فيه **وقال** عليه السلام لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب ان لا يعصى شكرا لنعمه لما كان شكر النعمة بالاقوال والافعال الطاعة
لها واجبا عقلا وجب ترك المعصية التي هي لازم للطاعة الواجبة لان لازم الواجب واجب ومقتضى الكلمة انه لو لم يتوعد الله على معصيته
لكان يجب تركها شكرا له اي لاجل شكره فكيف وقد توعد مع ذلك عليها فبالاولى ان يجب تركها **وقال** عليه السلام وقد عزى الاشعث
بن قيس عن ابن له يا اشعث ان تحزن على ابنك فقد استحقت ذلك منك الرحم وان تصبر ففي الله من كل مصيبة خلف يا اشعث ان
صبرت جرى عليك القدر وانت مأجور وان جزعت جرى عليك القدر وانت مأزور سرك وهو بلاء وفتنة وحزنك و
هو ثواب ورحمة اسند رحمه عليه السلام اولا تحسين الحزن وانه في موضعه باعتبار ان الرحم تستحق من ذي رحمه ذلك ثم عقبه بما يدل
على قبح الجزع والحزن وان الصبر به اولى وذلك من وجوه احدها قوله وان تصبر الى قوله خلف وهي متصلة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما
كان في الله خلف عنه فالصبر عنده اولى وانتيجته ان تصبر على مصيبتك فالصبر عليها اولى الثاني قوله ان صبرت الى قوله وانت مأجور اي على
صبرك وهو صغرى ضمير ايضا تقدير كبراه وكل من جرى عليه القدر وهو مأجور على صبره فالصبر به اولى الثالث تنفيره عن الجزع بقوله
وان جزعت الى قوله مأزور اي على جزعه واصله موزور وانما قال مأزور لمناسبة القرينة الاولى وهو ضمير ايضا تقدير كبراه وكل من جرى عليه القدر
فهو مأزور على جزعه دخل النار الرابع قوله سرك وهو بلاء وفتنة وهو تنفير عن افراط السرور به ووجه كونه بلاء ان الافراط في محبته

الحكمة العلم موقع السكوت والكلام ومن فضيلته

معصيته

عن ابن له

ابنك

كذلك

كلمات المشتملة على المواعظ والنصايح

يستلزم رذايل خلقية كالجبن عمّا ينبغي من الجهاد خوف مفارقته وكالبخل خوف فقره ونظرا الى عاقبته وكالحزن في امر ضه او عرضه كما قال
صلى الله عليه وآله الولد مجبنة مبخلة محزنة وكل ذلك بعضه يستلزم رذيلة العقوق وقطع الرحم وصرف المال عمّن هو اخص به منه فالحرى
ان يبتلي الله الوالد بولده ويطلب منه الوقوف على حد العدل في حقه والوقوف قوله وهو الخال وهو صغرى ضمير تقدير كبراه
وكلما كان كذلك فينبغي ان لا يأسف على ما فات من الشرور الخامسة قوله وحزنك الخ تنفير عن الحزن عليه بما يلزم تركه من الصبر على
المصيبة من ثواب الله وحمده وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك وهو ثواب نعمه فينبغي ان يصبر عن الحزن عليه **وقال ع**
على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة دفن انّ الصبر لجميل الا عنك وانّ الجزع لقبيح الا عليك وانّ المصاب بك لجليل
وانّه قبلك وبعدك لجلل الجلل الحقير والامر الهين والامر العظيم وهو من الاضداد وانما كان الصبر غير جميل في المصيبة به والجزع
عليه غير قبيح لانه ص اصل الدين وانه ذو هنه فالجزع في المصيبة به يستلزم دوام تذكره المستلزم لدوام ذكر اخلاقه وسنته وسيرته
فكان غير قبيح من هذا الوجه ولان المصيبة به مصيبة عظيمة وهو اعظم فلذلك فينبغي الجزع عليه واما الصبر فانه يؤول الى السلو والنسيان
والغفلة عنه فكان غير جميل من هذا الوجه وقد يعرض للفضيلة القبح من بعض الاعتبارات وللرذيلة الحسن من بعض الاعتبارات المصاب
به اعظم مصاب باحد من الناس ان كل مصاب باحد من قبله او بعده فهو سهل هين بالنسبة اليه وقيل ان المصائب من قبله وبعده عظيم
للمسلمين لعدم [illegible] من رعيته كل ذلك لاختلال امورهم وامر الدين بفقده والاول اظهر **وقال ع** لا تصحب المائق فانه يزيّن لك فعله
ويودّ ان تكون مثله المائق الاحمق ونفر عنه بضمير صغراه قوله فانه الخ وذلك لانه لجهله يعتقد كمال نفسه وحسن افعاله ووجوب
الاقتداء بها فهو يزينها ويحب لمن ان يكون مثله فيها ويدعوه الى ذلك وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا تجوز صحبته **وقال ع**
وقد سئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس وهو جواب واضح مقنع وغرض الخطابة الاقناع فاما تحقيق
ما بينهما باعتبار مساحة الارض والفلك فامر يرجع الى العلم المبسوط ولعله انما عدل عن الجواب بشيء من ذلك لاستبعاد فهم السائل
له ولا يقول انه ما كان يعلم ذلك **وقال ع** اصدقاؤك ثلثة واعداؤك ثلثة فاصدقاؤك صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك
واعداؤك ثلثة عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك واعلم ان الحكم بان صديق الصديق صديق وعدو العدو صديق من القضايا المظنونة
لاحتمال كون الصديق غير عالم بان صديقه صديقا وكون العدو غير عالم بان لعدوه عدوا واحتمال ان يبادر بمصادقته وكذلك الحكم
بان عدو الصديق وصديق العدو عدو مع وجود الاحتمال المذكور **وقال ع** لرجل يسعى على عدو له بما فيه اضرار بنفسه انما انت كا
لطاعن نفسه ليقتل ردفه ووجه التشبيه وضده الاذى غيره بما يستلزم اذى غيره نفسه **وقال ع** ما اكثر العبر واقل الاعتبار
اراد العبر محال الاعتبار وهو في معرض التوبيخ للناس على ترك الاعتبار **وقال ع** من بالغ في الخصومة اثم ومن قصّر فيها ظلم ولا يستطيع
ان يتقي الله من خاصم نفر عن طرفي الافراط والتفريط في المجادلة والمخاصمة بما يلزم رذيلة الافراط فيها وهو الظلم من الاثم وطرف التفريط
فيها من رذيلة الانظلام واشار الى صعوبة الوقوف فيها على حد العدل بقوله ولا يستطيع الخ وهو كالتنفير عن اصل الخصام
لما انها مظنة الرذايل **وقال ع** ما اهمّني ذنب امهلت بعده حتى اصلّي ركعتين اي لم احزن من ذنب امهلني الله بعده الى ان اصلي
ركعتين وذلك لان الصلوة مكفّرة الذنب فاذا امهل الى ان يصليهما لم يحزن بسببه وسئل ع كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم فقال كما يرزقهم
على كثرتهم فقيل كيف يحاسبهم ولا يرونه فقال كما يرزقهم ولا يرونه شبه كيفية محاسبته للخلق على كثرتهم بكيفية رزقه لهم على كثرتهم وجعل هذا اصلا
في التشبيه لظهوره وعلم السائل به وكذلك تشبيه كيفية محاسبته لهم مع عدم رؤيتهم له بكيفية رزقه لهم من غير رؤيته ووجه التشبيه في الموضعين
امكان ذلك منه مع شمول قدرته وعدم حاجته في شيء الى شيء **وقال ع** رسولك ترجمان عقلك وكتابك ابلغ ما ينطق
عنك استعار للرسول لفظ الترجمان للعقل باعتبار انه يعبر عنه واما ان الكتاب ابلغ من ينطق عن صاحبه فلضبطه مراده وعدم
لسان الرسول لانه ربما يورد الرسالة على وجهها سهوا او لغرض فيقع الخلل بسببه لانه ربما كان فيها هلاك المرسل **وقال ع** ما المبتلى
الذي قد اشتد به البلاء باحوج الى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء اي انهما سواء في الحاجة الى دعاء الله فحاجته
الى الخلاص من بلائه وهذا لبقاء عافيته وامنه من خوف البلاء وهو حث لاهل العافية على دعاء الله لغرض الاستدامة لها ودوا
مها **وقال ع** الناس ابناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب امه هو توبيخ للناس على حب الدنيا ولفظ الابناء مستعار
لهم باعتبار تولدهم منها وميلهم اليها بالطبع وقوله ولا يلام الى اخره لومهم وهذا كما تقول لمن توجه مثلا على اللوم ان طبيعتك اللوم
ولا لوم عليك فيما جبلت عليه **وقال ع** ان المسكين رسول الله فمن منعه فقد منع الله ومن اعطاه فقد اعطى الله رغب في اعطاء
المسكين بضمير صغراه ما ذكر واستعار له لفظ رسول الله باعتبار طلبه وبامر الله وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فيجب اعطاؤه وارضاؤه
وقال ع ما زنى غيور قط اي لم يزن وذلك لان الغيور الحق اذا هم بالزنا تخيل مثل ذلك في نفسه من الغير فيعارض ذلك له واحتبسه نفسه
وقال ع كفى بالاجل حارسا استعار لفظ الحارس باعتبار الانسان لا يهلك ما دام اجله كالحارس **وقال ع** ينام الرجل على الثكل

كلمات له متضمنة ارشاد الناس

والابناء على الحرب قال السيد معنى ذلك تحضيره على قتل الاولاد وتحريضه على سلب الاموال وانما كان ذلك
وان كان المال والولد محبوبين للطبع في استخلاص الدار لانهما هم المغرور يستعدون للكل **وقال ع** مودة الاباء قرابة بين الابناء
والقرابة احوج الى المودة الى القرابة استعار لفظ القرابة للمودة المتاكدة بين الابناء فهي كالقرابة واخبر بها عن مودة الاباء
اخبارا بالملازم عن ملزومه اذ كانت صداقة الاباء والمودة بينهم يستلزم تاكدها بين الابناء وشدة اتصالهم ثم اشار الى تفضيل
المودة على القرابة بكون القرابة اكثر احتياجا الى المودة في الانتفاع بها بين الخلق والمودة اكثر استغناء عن القرابة في الانتفاع بها
وقال ع اتقوا ظنون المؤمنين فان الله جعل الحق على ألسنتهم اي من لا يكاد يخطئ لصفاء نفسه وكمال استعداده للفكر
الصحيح القريب من الحدس والانتقاش بنور الحق كما قال ع اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله فيفيض الله سبحانه صورة ذلك
الحق على لسانه فينطق به وقوله فان الحجة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان يتقى ظنه وهو تنبيه لمن عساه
ينوي شرا للرجوع عنه خوفا من ظنون المؤمنين **وقال ع** لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما في يد الله اوثق منه بما في يده
صدق الايمان بالشيء تحققه وكماله ومن كماله حسن الرجاء لله والتوكل عليه حتى يكون اوثق بما في يد الله منه بما في يده وذلك
لتيقن وصول رزقه من الله وجزمه بتلك الاقوى من جزمه وعدم توقفه بما في يده لجواز تلفه وعدم ثباته وهي مرتبة عالية من مراتب
التوكل **وقال ع** لانس بن مالك وقد كان بعثه الى طلحة والزبير لما جاء الى البصرة يذكرهما شيئا سمعه من رسول
الله صلى الله عليه وآله في معناهما فلوى عن ذلك فرجع اليه عليه السلام فقال اني انسيت ذلك الامر فقال ان كنت
كاذبا فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة يعني البرص فاصاب انسا هذا الداء فيما بعد من وجهه فكان لا
يرى الا متبرقعا اقول ما كان بعثه اليهما ليذكرهما به هو ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لطلحة والزبير انكما ستقاتلان
عليا وانتما له ظالمان فلما بعثه الكفر من صرفه ولوى وابى عن ذلك فرجع فدعا عليه واستجيبت دعوته وبيضاء في محل النصب
من الضمير في بها **وقال ع** ان للقلوب اقبالا وادبارا فاذا اقبلت فاحملوها على النوافل واذا ادبرت فاقتصروا بها
على الفرائض وقد مر معنى اقبالها وادبارها وخص اقبالها بالنوافل لاتساعها بينها وللفرائض وقت الادبار **وقال ع** وفي القرآن
نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم فنبأ ما قبلهم اخبار القرون الماضية وخبر ما بعدهم ذكر احوال الموت والقيامة و
الوعد والوعيد وحكم ما بينهم بيان الاحكام الخمسة المتعلقة بافعالهم وهو في معرض مدح القرآن والحث على قراءته وفهمه **وقال ع** ردوا الحجر من حيث جاء فان الشر لا يدفعه الا الشر فالحجر كناية عن الشر ورده من حيث جاء كناية عن مقابلة الشر بمثله و
رغب في ذلك بضمير صغراه قوله فان الشر الخ وتقدير الكبرى وكل ما لا يقطع الا بالشر فواجب ان يقطع به وليس هذا امرا عاما
لامره ع بالحلم في مواضع كثيرة **وقال ع** لكاتبه عبيد الله بن ابي رافع الق دواتك واطل جلفة قلمك وفرج بين السطور
وقرمط بين الحروف فان ذلك اجدر بصباحة الخط كان ابو رافع مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله والقاء الدواة وليقها اصلاحها
بالمداد وجلفة القلم سنانه والقرمطة بين الحروف تقريب بعضها من بعض والصباحة الحسن وفائدة القيد الاول ظاهرة
وفائدة الثاني ان الجلفة الطويلة تقبل مدادا اكثر فيستمر القلم في كتابة كلمات كثيرة على نهج واحد من غير تقطيع بين المداد
بخلاف الجلفة القصيرة فان مدادها اقل والمقاطع بين مداداتها اكثر فيكثر التفاوت بين الكلمات في اول كل مدة وآخرها
بعدها وفائدة الثالث ظهور الفصل بين السطور وتميز بعضها عن بعض وفائدة الرابع كون الكلمة حسن الهيئة والحسن لها
اقرب ضبطا ولعل بعض هذه القيود كلها شرط في حسن الخط ليس بشرط في حسن بعض اجناس الخط المحدث بعده ورغب في ذلك
بقوله فان ذلك اي فان هذه الشرائط وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان اولى بصباحة الخط ففعله اولى **وقال**
انا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار قال السيد ومعنى ذلك ان المؤمنين يتبعوني والفجار يتبعون المال كما يتبع
النحل يعسوبها وهو رئيسها اقول استعار لنفسه لفظ اليعسوب ووجه المشابهة ما ذكره السيد ره **وقال له** بعض اليهود ما دفنتم
نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال له انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت ارجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم آلهة فقال
انكم قوم تجهلون اراد انا لم نختلف في نبوته وانما وقع خلافنا عنه اي بسبب اشياء بعض ما جاء عنه من كتاب وسنة
على من لا يعلم ذلك منا واما انتم فقد اخذتم في ان لكم صانعا ام لا حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها وذلك يستلزم الشك منكم
في نبوة نبيكم بالاولى **وقيل له** ع باي شيء غلبت الاقران فقال ما لقيت احدا الا اعانني على نفسه قال السيد ره يومي عليه السلام
الى تمكن هيبته في القلوب اراد ان سابق هيبته وتخيل الاقران ما جرت به عادته من الظفر بامثالهم وقتلهم يوجب لنفوسهم
انفعالا وضعفا عن مقاومته وذلك مما يعينه عليهم **وقال ع** لابنه محمد ره يا بني اني اخاف عليك الفقر
فاستعذ بالله منه فانه منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت امر بالاستعاذة من الفقر لما فيه من المكاره الثلاثة اما كونه

منقصة

جواب لسائل مسئلة عن معضلة

منقصة للدين فللاشتغال بهم وتحصيل قوام البدن عن العبادة وكونه مدهشة للعقل اى محل دهشة العقل وحيرته وضيق الصدر بها وكل كونها عند مقت الخالق لصاحبها وعيب الاستعاذة منه بضمير صغراه قوله فان الفقر الى آخره وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب الاستعاذة بالله منه **وقال** لسائل سأله عن معضلة سل تفقها ولا تسأل تعنتا فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم وان العالم المتعسف شبيه بالجاهل المتعنت المعضلة المسئلة المشكلة والتعنت طلب الامر الشاق على من يطلب منه والتعسف الاخذ على غير الطريق وقد كان ع فهم من سائله ان غرضه الامتحان فاعرض عن جوابه الى تأديبه وارشاده الى ما ينبغي من وضع السؤال وغرضه وهو التفقه دون التعسف لحصول الفائدة بالسؤال وغرضه وهو التفقه دون التعنت لحصول الفائدة بالسؤال الاول وتفقها وتعنتا مفعولان له او مصدران سدا مسد الحال ورغب في السؤال على وجه التعلم بضمير صغراه قوله فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم ووجه الشبه اشتراكهما في طلب العلم وقصده وتقدير الكبرى وكل من كان شبيها بالعالم فينبغي ان يسلك مسلكه ثم نفر عن سلوك غير الطريق الحق في السؤال والعدول به الى غير المقصود الاصلي بضمير ثان صغراه قوله فان العالم الى قوله بالجاهل ووجه التشبيه كون ذلك العالم يضع سؤاله في غير موضعه ويطلب ما لا ينبغي كالجاهل بوضع الاسولة ومواقعها وتقدير الكبرى وكل من كان شبيها بالجاهل فينبغي ان يجتنب طريقه لتخلص من هذا التشبيه **وقال** ع لعبد الله بن العباس ره وقد اشار عليه بشيء لم يوافق رأيه لك ان تشير علي وارى فاذا عصيتك فاطعني روي انه اشار عليه عند انصرافه من مكة حاجا وقد بايعه الناس فقال يا امير المؤمنين ان هذا امر عظيم يخاف غوائله فاكتب لطلحة بولاية البصرة وللزبير بولاية الكوفة واكتب الى معوية وذكره القرابة والصلة واقره على ولاية الشام حتى يثبت امرك على سننك وطاعتك فاذا تركه على حاله وان لم تفعل فادعه الى بيعتك ابدا لم تغيره ولا تحوج مجار الفتنة فقال ع معاذ الله ان افسد ديني بدنيا غيري ولك يا ابن عباس ان تشير وحسن مفعول له اى للعلم برأي انظر في وجه المصلحة واوجب طاعته نفسه لانه الامام ولانه افضل رايا فاذا راى المصلحة في شيء غير رأيه وروي انه لما ورد الكوفة قادما من صفين مر بالشباميين فسمع بكاء النساء على قتلى صفين وخرج اليه حرب بن شرحبيل الشبامي وكان من وجوه قومه فقال له اتغلبكم نساؤكم على ما اسمع الا تنهونهن عن هذا الرنين واقبل يمشي معه وهو ع راكب فقال له ارجع فان مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن شبام بكسر الشين حي من العرب وقوله ما هذا والاستفهام للانكار دخل على التعجب وقد علمت ما في الجزع من الرذيلة فلذلك نهى عنه ولانه يجبن الرجل ويثبطهم عن الحرب وهو في محل الحاجة ونفره عن المشي معه بضمير صغراه قوله فان مشي مثلك الى اخره وتقدير الكبرى وكلما كان فتنة ومذلة وجب تركه **وقال** ع وقد مر بقتلى الخوارج يوم النهروان بؤسا لكم لقد ضركم من غركم فقيل له من غرهم يا امير المؤمنين فقال الشيطان المضل والانفس الامارة بالسوء غرتهم بالاماني وفسحت لهم بالمعاصي ووعدتهم الاظهار فاقتحمت بهم النار البؤس الشدة ويعنيهم من نفسه بما ضرهم وغرهم بالشيطان المضل والانفس الامارة بالسوء ان الشيطان قد يراد به النفس الامارة وان العطف انما يقتضي التغاير في العبارة والاماني التي غرتهم بها هي اما في الغلبة والقهر ومنيهم لهم في المعاصي ترخيصها لهم وتوسيعها لهم فيها وكذلك ما وعدتهم به من اظهارها لهم على من غالبهم وظاهر ان ذلك مستلزم لدخول النار ولفظ الاقتحام مستعار لسرعة ادخالها لهم النار **وقال** ع اتقوا معاصي الله في الخلوات فان الشاهد هو الحاكم امر بالخشية من معاصي الله ونفر عنها بضمير صغراه قوله فان الشاهد هو الحاكم وتقدير كبراه وكل من كان الشاهد عليه هو حاكم وجب عليه ان يتقيه **وقال** ع لما بلغه قتل محمد بن ابي بكر رض ان حزننا على قدر سرورهم به الا انهم نقصوا بغيضا ونقصنا حبيبا قد بينا فيما سلف مكانه منه ع وقوله فان حزننا عليه على قدر سرورهم به اى بمقدار ما دار بينهما سبق في الشدة واشار الى الفرق بين الحزنين بان نقصانه منهم ونقصانه منه وذلك في معرض التألم لفقده **وقال** العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة اعذر اليه اتاه بالعذر واعذار الله اليه امهاله له اياه المدة المذكورة التي هي مظنة تحصيل الزاد ليوم المعاد فان ما بعد الستين يضعف فيه القوى النفسانية والبدنية فتكل عن العمل فمن قصر الى تلك الغاية فقد توجه اللوم عليه وانقطعت حجته بالاعذار اليه **وقال** ما ظفر من ظفر الاثم به والغالب بالشر مغلوب هو تنفير عن الظلم والبغي وذلك ان الظافر بالحق هو من قهر خصمه على وجه العدل فمن لا يكون كذلك يلزمه الاثم ويقهره عند الله الاثم فيكون مغلوبا بظلمه وهو في صورة غالب واستعار وصف الظفر للاثم في ربقة الاسلام الاثم واحاطته به **وقال** ع ان الله سبحانه فرض في اموال الاغنياء اقوات الفقراء فما جاع فقير الا بما منع غني والله تعالى جده سائلهم عن ذلك اراد بذلك الفرض الزكوة وظاهر ان جوع الفقير انما يكون بمنع الغني من القوت او ما هو وسيلة اليه ورهب الاغنياء بقوله والله سائلهم عن ذلك وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من سائله الله فينبغي ان يهتم بسؤاله **وقال** الاستغناء عن العذر اعز من الصدق به اراد ان ترك ما يحتاج فيه الى العذر فيستغنى بتركه عن العذر اعز عليك وانفع لك من ان تاتيه ويكون لك فيه عذر صادق ويحتمل ان يريد بقوله اعز اى اكثر عزة لك اذ الاتيان بما يعتذر منه يحتاج الى ذلة ومهانة **وقال** ع ان اقل ما يلزمكم لله ان لا تستعينوا بنعمه على معاصيه وذلك ان العدل ان تستعينوا بنعمه

كلمات مشتملة على المواعظ

بقية على طاعته فان لم تفعل ذلك فلا اقل من ان تستعمل في الامور المباحة دون الاستعانة بها على معصيته فان ذلك مما يعد لسخطه وقال
ان الله سبحانه جعل الطاعة غنيمة الاكياس عند تفريط العجزة طاعته ثم غنيمة الاكياس باعتبار استلزامها للنعيم المقيم في الآخرة
وسبب الغنيمة حقيقتهم والاكياس هم الذين استعملوا فطنهم وحركاتهم في تحصيل ما ينبغي من علم وعمل وخصهم الله سبحانه بهذه الغنيمة عند
تفريط العجزة وهم المقصرون عما ينبغي لهم وهو في معرض ذمهم على التقصير بالغ المتسبب للعجز **وقال ع** السلطان وزعة الله في ارضه
الوزعة الوازع وهو الرادع المانع اي ان الله تعالى وضعه في ارضه ليمنع به ما يريد منعه واراد السلطان العادل **وقال ع** في
صفة المؤمن المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه اوسع شيء صدرا واذل شيء نفسا يكره الرفعة ويشنأ السمعة طويل غمه بعيد
همه كثير صمته مشغول وقته صبور شكور مغمور بفكرته ضنين بخلته سهل الخليقة لين العريكة اصلب من الصلد وهو اذل من العبد [illegible]
وذكر في معرض الترغيب والمدح ستة عشر وصفا احدها ان بشره في وجهه وذلك من تمام فضيلة التواضع ولين الجانب الثاني
وحزنه في قلبه وذلك من خشية الله ونظره الى ما عسى فرط في جنب الله الثالث وسع صدره وقد علمت ان سعة الصدر فضيلة
للقوة الغضبية وقد يعبر عنها برحب الذراع اذا به مستكمل لهذه الفضيلة الرابع وانه اذل شيء نفسا اي لتواضعه لله ونظره بنفسه الى
محلها ومقدارها من الحاجة الى الله وصدوره نفسا [illegible] الخامس كراهيته للرفعة لانها مبدأ الرذائل كالعجب والكبر وكذلك بغضه
للسمعة احترازا من تلك الرذائل السادس طول غمه لنظره دائما الى ما بين يديه من الموت وما بعده السابع وبحسب ذلك كان بعد همته
وعلوها عن دنايا الدنيا ونظره الى المطلوب الاكمل من السعادة الاخروية الثامن كثرة صمته وذلك لكمال عقله فهو لا ينطق
الا بما يحتاج اليه مما فيه حكمة وصلاح التاسع قد شغل وقته بعبادة ربه العاشر كونه شكورا اي كثير الشكر لله الحادي عشر صبورا اي على
بلاء الله الثاني عشر مغمور بفكرته في ملكوت السماوات والارض واستنباط آيات الله وعبره منها الثالث عشر ضنين بخلته لتوضعه
موضع الخلة واهلها الذين هم اخوان الصدق في الله وهم قليلون فلا يضعها كيف اتفق ومع كل من طلب مودته وخلته ويحتمل
[illegible] انه اذا خال احدا ظن بخلته ان يضيعها او يهمل خليله وروي بفتح الخاء الخلة الحاجة اي اذا عرضت له حاجة ضن بها ان
يسأل احدا فيها الرابع عشر سهل الخليقة اي لا جفاوة في طباعه ولا خشونة الخامس عشر لين العريكة وهو كناية عن سهولة انقياده
[illegible] منه واصل العريكة من الاديم يكون لينا عند العرك من الدباغ سهلا على ما يغير السادس عشر نفسه اصلب من الصلد بشجاعته
وثباته في طاعة الله وهو اذل من العبد لتواضعه ومعرفته بقدره عند قدرة باريه والواو للحال **وقال ع** لو رأى العبد الاجل
ومسيره لابغض الامل وغروره استعار لفظ المسير للاجل وهو زمان الحيوة باعتبار تقضي اجزائه وانتهائه بقطعها كما يقطع الانسان
اجزاء المسافة وينتهي الى غايته بقطعها ويحتمل ان يريد بالاجل غاية الحيوة واستعار لفظ المسير لدنوها المعقول منه واراد انه
لو كان الاجل بصورة [illegible] محسوس فشاهد العبد سيره الى الموت وعلم غايته لقطع امله الدنيوية ولم يغتر بها **وقال ع** لكل
امرئ في ماله شريكان الوارث والحوادث [illegible] عن ادخار المال [illegible] كالشريكين المكروهين **وقال ع** الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر شبه من يدعو
الله ولا عمل له بالرامي بغير وتر ووجه الشبه عدم امكان الانتفاع ونحوه قول الرسول ص احمق الناس من ترك العمل وتمنى على الله **وقال**
العلم علمان مطبوع ومسموع ولا ينفع المسموع اذا لم يكن المطبوع اراد بالمطبوع العقل بالملكة وهو الاستعداد بالعلوم الضرورية
للانتقال منها الى العلوم المكتسبة والمسموع ما يسمع من العلماء فان من لا يكون له ذلك الاستعداد لا ينتفع بما يسمعه من العلوم ولا يتمكن من
اكتسابها وقيل اراد بالمطبوع ما يعلم من الاصول بطبيعة العقل كالتوحيد والعدل وبالمسموع العلوم الشرعية التي هي فروع العقلية
اذ لا ينتفع بفرع من دون اصله **وقال** صواب الرأي بالدول يقبل باقبالها ويذهب بذهابها اي ان الدولة مستلزمة لصواب الرأي اذ كان
من تمام السعادة المفيضة للدولة يلزمها رأي صواب يكون به تدبيرها وتلك السعادة والدولة معدة لاختيار اصلح الآراء وما يؤدي
اليه فهو يقبل باقبالها لاعدادها له ويذهب بذهابها يذهب الرأي الصواب وان عد في الظن صوابا **وقال ع** العفاف زينة الفقر و
الشكر زينة الغنى العفة فضيلة القوة الشهوية وكونها للانسان مع الفقر اجمل لانها تقيد الفقير بها وتحببه في قلوب الخلق
وتكسبه المدح والثناء منهم ويظهر اثرها عليه بخلاف [illegible] فقدها الفقير خسر الدنيا والآخرة وكذلك الشكر من فضائل القوة الشهوية
ايضا ويقبح بالغني مقابلة نعم الله بالكفران فزينة غناه وتمامه اذن شكره له **وقال ع** يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور على
المظلوم يوم العدل يوم القيامة ويوم الجور وقت الظلم وقد تقدم بيانه **وقال ع** الاقاويل محفوظة والسرائر مبلوة وكل نفس
بما كسبت رهينة والناس منقوصون مدخولون الا من عصم الله سائلهم متعنت ومجيبهم متكلف يكاد افضلهم رأيا يرده
عن فضل رأيه الرضى والسخط ويكاد اصلبهم عودا تنكأه اللحظة وتستحيله الكلمة الواحدة معاشر الناس اتقوا الله فكم
من مؤمل ما لا يبلغه وبان ما لا يسكنه وجامع ما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه اصابه حراما واحتمل
به آثاما فباء بوزره وقدم على ربه آسفا لاهفا مدخول ومدخل اي في عقله دخل وعلة وتنكأه اي تؤثر فيه وتستحيله تغيره و

كلمات المشتملة على الموعظة والنصيحة

يثقله ويجمع به ويحصل عليه والالهيات المعتبرة المفصلة في معرض الوعظ فيه للسامعين واعلم ان قوائم محفوظة وسرائرهم مختبرة بما كلفوا
به من طاعة الله والسرائر ما اضمرت القلوب من العقائد والنيات وغيرها وعن معاذ بن جبل قال سألت النبي صلعم عن قوله تعالى يوم تبلى
السرائر ما هذه السرائر التي تبلى يوم القيمة فقال سرائركم هي اعمالكم من الصلوة والصيام والزكوة والوضوء والغسل من الجنابة وكل
مفروض لان الاعمال كلها سرائر خفية فان شاء قال صليت ولم يصل وان شاء قال توضأت ولم يتوضأ واستعار لفظ الرهينة
للنفس باعتبار وثوقها في الاسر بما كسبت من الشر كما يوثق الرهن بما عليه من مال ورد اللفظ من القران المجيد وغرضه من ذلك التنبيه على
العدل في القول واضمار الخير واكتساب الاعمال الصالحة ثم نبه على ما فيهم من النقصان الطبيعي المحتاج الى التكميل المكتسب ووصف
سائلهم بان سؤاله خارج عما ينبغي لان غرضه به الامتحان دون التعلم ومجيبهم بالتكليف في جوابه لقلة علمه وافضلهم رايا بان يكاد
ان يرده عن فضل رايه ما يعرض له من رضى او سخط له ويرجع عنه وذلك كما نشاهده في الصلحاء واصلبهم عودا اى اشدهم
في الله واقوامهم في طاعته يوثر فيه اللحظ اى من ينظر اليه نظر الهيبة وتستحيله الكلمة الواحدة منه فيتغير عن الحق ويجوز ان يريد
اللحظة والكلمة مما فيه من حب الدنيا ولذاتها ثم امرهم بتقوى الله ونفرهم عن تتبع الامل حيث نبه الى المغتر بكثرة من يؤمل ما لا
يبلغه ويبني ما لا يسكنه ويجمع ما لا ياتي من تركه مع احتمال ان يكون من باطل جمعه او من حق منعه اهله فاصابه حراما وحمل ثقل وزره
وقدم به على ربه حزينا متحسرا على ما فرط في جنب الله قد خسر الدنيا بموته والاخرة بتفريطه في اكتساب خيرها وذلك هو الخسران
المبين **وقال عم** من العصمة تعذر المعاصي من اسباب العصمة وذلك ان الانسان يتعود بتركها حين لا يجدها حتى يصير ذلك
ملكة له وذلك هو المراد بالعصمة **وقال عم** ماء وجهك جامد يقطره السؤال فانظر عند من تقطره استعار لفظ ماء الوجه للحيا وبوده على
الوجه الذى يذهب من وجه السائل بسؤاله وشبهه بكرا الجمود والتقطير ويحتمل ان يكون كناية عما يعرض من العرق عند خجل السائل بسؤاله
واستحيائه وغرضه الكلمة وضع السؤال موضعه من اهل المروة والبيوتات ودوى وجهك ماء جامد فيكون استعارة الماء في الوجه
باعتبار انه مما يذاب ويقطر كالماء الجامد **وقال عم** الثناء باكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عي او حسد
فالملق هو التلطف الشديد بالقول والافراط في المدح وتنفير عن طرفي الافراط والتفريط في الثناء فالافراط بما يلزمه من رذيلة
الملق والتفريط بما يلزمه من العي عن المدح او الحسد بالفضيلة الممدوح عليها **وقال عم** اشد الذنوب ما استهان به صاحبه
وذلك ان استهانته به يستلزم اهماله كرفيه واستكثاره منه وعدم الاقلاع عنه حتى يصير ملكة بخلاف ما يستصغره من الذنوب
وقال عم اثنتا عشرة كلمة احدها من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره لان اشتغاله بعيب غيره انما يكون عن غفلة في معرض الافتخار عليه بالبراءة
من ذلك العيب فاذا نظر الى مثله من نفسه شغله اعتباره ذلك النقصان فيها عن الاشتغال بنقصان غيره والتطهير الثانية ومن رضي
برزق الله لم يحزن على ما فاته وذلك ان الحزن على الفائت مستلزم لعدم القناعة والرضى بالحاصل من الرزق فعدم ذلك اللازم مستلزم
لعدم ملزومه وهو الحزن على الفائت الثالثة ومن سل سيف البغي قتل به وهو كناية عن الظلم وظاهر ان الظلم سبب لهلاك الظالم
قد سبق بيانه مرارا الرابعة ومن كابد الامور عطب اى من قاساها بنفسه استعد بها للهلاك الخامسة ومن اقتحم اللجج غرق استعار
لفظ اللجج للامور العظام كالحروب ونحوها ورشح بلفظ الغرق للهلاك السادسة ومن دخل مداخل السوء اتهم لانها مظنة التهمة
دخولها من الامارات الموجبة للظن كمعاشرة الفساق ونحوه السابعة ومن كثر كلامه كثر خطاؤه لانه قد مر ان كمال العقل مستلزم
لقلة الكلام فيكون كثرة الكلام مستلزما لنقصان العقل المستلزم لكثرة الخطاء في القول عن غيره ويثبت الثامنة ومن كثر خطاؤه
قل حياؤه لانك علمت ان الحياء هو انحصار النفس عن الارتداع عن الامور التي يقبح تعاطيها والاقدام عليها لملاحظة ما ينتج منها من
قبح الاحدوثة والاقدام على الخطاء بكثرة الكلام ينافي الارتداع عن تلك الامور وهو من جملتها التاسعة ومن قل حياؤه قل ورعه
لان الورع هو لزوم الاعمال الجميلة والوقوف على حدودها دون الرذائل والحياء منها فقلة الحياء مستلزم لقلة الورع وكثرة
وربما امر الورع بالوقوف عن المحارم وظاهر قلة الحياء ايضا مظنة للاقدام على المحارم فكانت مظنة لقلة الورع فاقام المظنة مقام
المظنة الثانية وحكم بها العاشرة ومن قل ورعه مات قلبه اى لما كانت الفضيلة هي حيوة القلب استعار لعدمها او قلتها فيه لفظ الموت
باعتبار عدم انتفاعه بها كخروج الميت عن الانتفاع بالحيوة الحادية عشرة ومن مات قلبه دخل النار لان المزحزح له عنها الى الجنة
هو استكماله بالفضيلة فاذا فقدها فالنار موعده والكلام في صورة قياس مفصول النتيجة ان من كثر كلامه دخل النار وهو تنفير
عن كثرة الكلام الثانية عشرة ومن نظر في عيوب الناس فانكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الاحمق بعينه ووجه الحمق ان كونه منكرا لها
من غيره يستلزم كون الراى الحق ان لا يفعلها ورضاه بها لنفسه مخالفة للراى الحق له وخروج عن المصلحة لنفسه وذلك حمق وسيصلح
قال في الفضل والالف واللام في الحمق يفيد حصره في المشار اليه وذلك اكده بعينه الثالثة عشرة ومن اكثر من ذكر الموت رضي
من الدنيا باليسير لان الغرض من طلب الكثير منها الاستمتاع والالتذاذ به وذكر الموت كاسر لذلك الالتذاذ ومبغض له الرابعة عشرة

في صفات الظالم وعلاماته

ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وذلك ان العالم بذلك يرتب قياسا هكذا الكلام عمل من الاعمال مواخذ على ما لا يعني
منها فينتج ان الكلام مواخذ على ما لا يعني منه وذلك يوجب الاقتصار على ما يعني منه **وقال** ع للظالم من الرجال ثلاث علامات
يظلم من فوقه بالمعصية ومن دونه بالغلبة ويظاهر القوم الظلمة فظلمه لمن فوقه عصيان الله وبغيه بمحل دونه العادل والثانية
مستلزمة للاولى والثالثة مستلزمة للاولين **وقال** ع عند تناهي الشدة تكون الفرجة وعند تضايق حلق البلاء
يكون الرخاء تناهي الشدة مستلزم للخلاص منها وهو المراد بالفرجة وكذا تضايق حلق هو وقت الفزع الى الله والرجاء المحق
له وذلك معد للفرج منه واستعار لفظ الحلق للامور الشديدة المحيطة بالانسان لا يجد عنها محيصا ملاحظة لشبهها بالحلقة في الاحاطة
والخرام **وقال** ع لبعض اصحابه لا تجعلن اكثر شغلك باهلك وولدك فان يكن اهلك وولدك اولياء الله فان الله لا يضيع
اولياءه وان يكونوا اعداء الله فما همك وشغلك باعداء الله نهى عن كثرة الاشتغال بالاهل والولد المصرف ذلك عن طاعة الله
وتنبيه على عدم جوازه بما هو في قوة قياس شرطي منفصل تقديره ان اهلك لا يخلوا اما ان يكونوا من اولياء الله او اعدائه وعلى
التقديرين لا يجوز الاشتغال بهم اما الاولياء فلان الله تعالى يكفيهم مؤونتهم فلا حاجة بهم الى اهتمام غيره واما اعداؤه فلا يجوز الاهتمام
بحالهم وما في قوله فما همك استفهام على سبيل التقريع والتوبيخ **وقال** ع اكبر العيب ان تعيب ما فيك مثله فذلك ان ذلك
جمع وهو اكبر العيوب وهنأ بحضرته رجل رجلا بغلام ولد له فقال له ليهنئك الفارس فقال ع لا تقل ذلك ولكن قل شكرت الواهب
وبورك لك في الموهوب وبلغ اشده ورزقت بره وهذا ارشاد منه للتهنئة بالولد فيها اربع فوائد احدها انه تذكير للوالد بشكر
الله والفائدة الثانية استنزال البركة منه للدعاء وفيما وهبه له الثالثة الدعاء للموهوب بالبقاء والاستكمال وهو كمال القوة
لغاية الانتفاع به الرابعة الدعاء بثمرته والانتفاع به وهي ان يرزق بره ونفعه وبنى رجل من عماله بناء فخما فقال اطلعت الورق رؤوسها
ان البناء ليصف لك الغنى كنى بالغنى العظيم وكنى بطلوع الورق رؤوسها عن ظهور اثرها في البناء ملاحظة لشبهها بالحيوان في ظهوره
وكذا استعار لفظ الوصف ونسبه الى البناء باعتبار انه ينبئ عن الغنى كما ينبئ الوصف عن موصوفه وقيل له لو سد على رجل
باب بيته وترك فيه من اين كان يأتيه رزقه فقال من حيث يأتيه اجله قاس الرزق على الاجل لاشتراكهما في سبب واحد وهو
قدرة الصانع تعم واشار الى ذلك بقوله من حيث وعزى قوما عن ميت مات لهم فقال ان هذا الامر ليس بكم بدأ ولا اليكم انتهى وقد
كان صاحبكم هذا يسافر فعدوه في بعض سفره فان قدم عليكم والا قدمتم عليه وعدوه اي افترضوا انه كذلك والتعزية نصيحة للعباد
جزيلة النفع مفيدة للاقناع والسلو **وقال** ع ايها الناس ليركم الله من النعمة وجلين كما يراكم من النقمة فرقين انه من وسع عليه في ذات
يده فلم ير ذلك استدراجا فقد ضيع مأمولا الاستدراج الاخذ على غرة وامر بالوجل من نعم الله حال فاضتها خوف الاستدراج بها كما
يخاف من النقمة وذلك ان النعمة بلاء يجب مقابلته بالشكر كما ان النقمة بلاء يجب مقابلتها بالصبر والغرض الحث على فضيلتي الشكر والصبر
وحذر من الركون الى النعمة والغفلة فيها عن الله بقوله انه الى قوله امن مخوفا وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من امن مخوفا فهو مغرور
وكذلك حذر الفقير ان يغفل عن كون فقره بلاء واختبارا او يعده كلما بما يلزم ذلك من تضييع المال وذلك انه يستعد باعتقاد انه
اختبار من الله للصبر عليه ويؤمل منه نعم الاجر الجزيل في الاخرة واذا لم يعتقد ذلك بطل استعداده به فضيع مأموله منه **وقال**
يا اسرى الرغبة اقصروا فان المعرج على الدنيا لا يروعه منها الا صريف انياب الحدثان ايها الناس تولوا من انفسكم تأديبها
واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها الضراوة الجرأة على الصيد والولوع به والضراية بالفتح الغدر والضراية بالكسر مصدر ضري به
لنفخ وردت بها الرواية واستعار لفظ الاسرى لمن ملكته رغبته في الدنيا وحبها وامرهم بالاقصار عن الافراط في طلبها والنفرة
عن التعريج والانعطاف عليها بقوله فان المعرج الى قوله الحدثان واستعار لفظ الصريف والانياب ملاحظة لشبهه الموت عند قدومه
بالبعير الهائج ثم امر الناس ان يتولوا من انفسهم تأديبها ورياضتها والوقوف بها على حد العدل من الحركات والافعال وان يعدلوا
عن جريانها واقدامها على الانهماك في المشتهيات وقد عرفت معنى الرياضة **وقال** ع لا تظنن بكلمة خرجت من احد سوءا وانت تجد
لها في الخير محتملا اي ما امكنك حمل كلام الغير محملا وتأويلا فلا تظنن به سوءا فان النفوس السليمة اقرب الى الله من غيرها والواو للحال **و**
قال اذا كانت لك الى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على النبي ص ثم سل حاجتك فان الله اكرم من ان يسأل حاجتين
فيقضي احديهما ويمنع الاخرى امر بتقديم سؤال الصلاة على النبي ص في طلب الحاجة للاستعداد به ورغب فيه بقوله فان الله سبحانه
الى اخره اي ان المسئلة الاولى مجابة من الله بالاتفاق فيجب من كرمه اجابة الثانية وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان اكرم من ذلك
فينبغي ان يسأل المسئلتين ليقضي الحاجة **وقال** ع من ضن بعرضه فليدع المراء وذلك انه داعية ثوران القوة الغضبية من الجانبين
وسبب المشاتمة والمسابة **وقال** ع من الخرق المعاجلة قبل الامكان والاناة بعد الفرصة الخرق الحمق ومعاجلة طلب الحاجة
والاسراع اليها قبل وقت امكانها افراط في طلبها والاناة فيها اذا امكنت تفريط فيه وهما مذمومان وصاحبهما واضع للطلب في غير موضعه

وبموضع

وهو حمق

في ذم الدنيا ومدح تاركها

وموجود ونقصان في عقل وجوه التدبير والحق التعديل وهو وضع الطلب في دون مكانه الفرض **وقال** لا تسئل عما لا يكون
ففي الذي قد كان لك شغل امره السلوك عن ما لا يكون من زيادة رزق ونحوه من المطالب الدنيوية بما قد كان ووقع من المطالب التي اعطيها الانسان
ورغب فيما امر به من السلوك وقوله ففي الذي الى آخره اي ففي ذلك شغل لك عما لم يقع من غيره واراد التشغل بضبط ما في يدك من النعمة وما ينبغي
من الاشتغال بشكرها واستعمالها في طاعة الله وهو وضع مضير تقديره كذا وكلما كان كذلك فينبغي ان تشتغل به عما وراءه ولا تطلب الزيادة
عليه **وقال** ثلث كلمات احديها الفكر مرآة صافية واستعار لها لفظ المرآة باعتبار انه يرى به المعقولات كما يرى الاشباح في المرآة
وقد سبق بيانه الثانية استعار لفظ المنذر الناصح للاعتبار وذلك لتذكيره بالآخرة وبعثه على الانزجار والاتعاظ عن المناهي كالمنذر الناصح
الثالثة اشار الى ان تجنب المرء لما يكرهه لغيره من الرذائل المهلكة ادب كاف له ونفره عنه بكونه مكروها للغير فرغب في تجنبه بكونه ادبا كافيا
للنفس **وقال ع** العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل اراد انه مقرون به في الوضع
الذي ينبغي بمقتضى الحكمة الالهية وذلك انه تعالى جعل للنفس العاقلة قوتين علمية وعملية وجعل كمالها باستكمال هاتين القوتين
بالعلم والعمل ولا كمال لها بالعلم دون اقترانه بالعمل وقوله فمن علم عمل اي من علم ما ينبغي لزمه في الحكمة ان يعمل بمقتضى العلم وكان ذلك
داعيا له الى العمل مستلزما لوجوده منه ويحتمل ان يكون قوله عمل خبرا في معنى الامر اي فمن علم فليعمل وقوله والعلم يهتف بالعمل الى آخره
فانه هتف التداوي لمرم المنادي واستعار لفظ الهتف من طلب العلم للعمل الذي ينبغي له ووجد به الطبيع له فكانه يصيح به ويدعوه
الى مقارنته ليكون منهما كمال الانسان ومعنى قوله فان اجابه والا ارتحل ان العلم الذي ينبغي انما فائدة العلم التاكد به وحق بصيرة العلم كانه
برهان على عالم الحس في صورة العقل مثلا اذا علم الانسان وجود الصانع وما ينبغي من طاعته ثم قرن ذلك بعبادته استلزمت تلك العبادة
واخطار ذكره لا يصير منسيا له في وقت فاما اذا ترك العمل لله فلا بد ان تشتغل نفسه عن ذكره وينقطع ملاحظته له حتى يكون ذلك سببا
لنسيانه والغفلة عنه واستعار لفظ الارتحال وزوال العلم باعتبار عدم استعداد النفس وصلاحيتها كالراحل عن وطن ما يصلح للاستيطان
ويحتمل ان يريد بالارتحال عدم المنفعة مجازا اطلاقا لاسم ذي الغاية على غايته اذ كانت الغاية من الارتحال عدم المنفعة بالمرتحل **وقال ع** متاع الدنيا
حطام موبئ فتجنبوا مرعاه قلعتها احظى من طمأنينتها وبلغتها ازكى من ثروتها حكم على مكثر بها بالفاقة واعين من غني عنها
بالراحة من راقه زبرجها اعقبت ناظريه كمها ومن استشعر الشغف بها ملأت ضميره اشجانا لهن
رقص على سويداء قلبه هم يحزنه حتى يؤخذ بكظمه فيلقى بالفضاء منقطعا ابهراه هينا على الله فناؤه وعلى الاخوان القاؤه
وانما ينظر المؤمن الى الدنيا بعين الاعتبار ويقتات منها ببطن الاضطرار ويسمع فيها باذن المقت والابغاض ان قيل اثرى قيل
اكدى وان فرح له بالبقاء حزن له بالفناء هذا ولم يأتهم يوم فيه يبلسون اقول القلعة الرحلة والحظوة المنفعة وراقه اعجبه والكمه
العمى خلقة والاشجان العوارض المهمة والرقص الغليان والاضطراب والابهران عرقان متعلقان بالقلب واكدى قل خيره والابلاس
الوجوم وفي الفصل فوائد ثمان احديها انه نفر عن الدنيا بامور احدها ان حطامها موبئ اي مهلك واستعار لفظ الحطام لمتاعها باعتبار
سرعة زواله وقلة الانتفاع به كما قال ع انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الآية وكونه موبئا استلزم اقتنائه والاعتناء بجمعه
للهلاك في الآخرة ولذلك امر بتجنب مرعاه اي محل رعيه وهو الدنيا الثاني قلعتها وعدم القرار بها انفع من الطمأنينة اليها لما
يستلزمه من الشقاوة في الآخرة بحبها والسكون اليها في الآخرة الثالث ان الاقتصار على البلغة من العيش فيها ازكى من الثروة بها لما
يستلزمه الثروة بها من الشقاء الاخروي فالاقتصار على قدر البلغة فهو منها اطهر واسلم من غوائلها الرابع حكم بالفاقة على مكثرها
اما فيها فلان كل زيادة منها موجبة للحاجة الى اخرى فلذلك كان اكثر الناس حاجة فيها الملوك ثم من دونهم على اختلاف درجاتهم
فيها واما في الآخرة فلفقر المكثر فيها المشتغل بها من ملكات الخير والفضائل الخامس ان من غني عنها بزهده فيها اعين من الله بالراحة
منها السادس ان من اعجبته زينتها اي محبته زينتها فانصب اليها عمى عما فيها من العبر وعما وراءها من احوال الآخرة واستعار لفظ الكمه
للعمول من عمى البصيرة عن الاعتبار لان ذلك اشد من العمى كما قال ع فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور السابع ان
من اتخذ محبتها شعارا امتلأ قلبه هموما وغموما واحزانا على ما لم يحصل منها بطلبه وعلى ما فات منها بالاسف عليه واستعار لفظ الرقص
لتعاقب تلك الاحزان والهموم واضطرابها في قلبه الى غاية الاخذ بكظمه وكنى به عن الموت وبالقائه بالفضاء عن دفنه ومنقطعا وهينا حالان
والفائدة الثانية انه ارشد الى صفات المؤمن في صحبة الدنيا احديها انه انما ينظر اليها بعين الاعتبار ليحصل منها عبرة وذلك هو
التخلق لاجله الثانية ويقتات منها ببطن الاضطرار وكنى به عن كونه لا يتناول منها الا البلغة وسد الرمق الثالثة ويسمع فيها باذن
المقت والابغاض وكنى به عن بغضه لها فهو لا يسمع ما تمدح به بل معايبها وقوله ان قيل اثرى الى قوله الفناء اراد ان الانسان فيها متعس
اللذة مكدر العيشة بينا هو مثر اذ لحقه الاكداء والفقر ويفرح ببقاء حبيب اذ لحقه الحزن عليه وهذا الكلام الاخير الفائدة الاولى في صفة
حال الانسان في الدنيا ومن تمام وصف المؤمن فيها اعتراض وقوله هذا ولم يأتهم اي هذا البلاء ولم يأت الناس يوم القيمة الذي اشد فهو له

٤ الجزء

٢ منه دوام ملاحظته تعالى بإيمان الحق

١ اليأس

كلام لجابر بن عبد الله الانصاري

بأسوء فيه من الرجعة **وقال** إن الله سبحانه وضع الثواب على طاعته والعقاب على معصيته ذيادة لعباده عن نقمته وحياشة
لهم إلى جنته الذيادة الدفع والمنع واشار الى غاية الحكمة الالهية من وضع الثواب والعقاب وهما ذيادة عباده عن نقمته وحياشتهم الى جنته
وقال ع يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلا رسمه ومن الاسلام إلا اسمه مساجدهم يومئذ عامرة من البناء خراب
من الهدى سكانها وعمارها شر اهل الارض منهم تخرج الفتنة واليهم تأوي الخطيئة يردون من شذ عنها فيها ويسوقون
من تأخر عنها اليها يقول الله عز وجل فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة أترك الحليم فيها حيران وقد فعل ونحن نستقيل
الله عثرة الغفلة رسم القرآن اثره وهو تلاوته وكتابته ولا يبقى الا اسم الاسلام دون العمل وسكان المساجد وعمارها قراء السوء وائمة
الضلال الذين وصفهم ع في صدر الكتاب بقوله ان ابغض الخلائق الى الله رجلان ويقول في فصل آخر انما الاختلاف الناس
في الفتيا الى من ... الى آخره الاوليك ولعلهم شر اهل الارض لكونهم مبدأ الفتنة في الدين واليهم ترجع خطايا الخلق
او انهم يقصدون بعضهم بأخذ ... كان ذلك فقد استعد للفتنة التي يحار فيها الحليم ويبين العقل ... والحكيم وانا سائل من الله
ثم انا ان نعتره الغفلة يحجب ... فذا ... فلك السؤال اللهم اقلنا من عثرة الغفلة ... قل ما اعتدل به المنبر الا قال امام الخطبة
ايها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا ترك سدى فيلغو وما دنياه التي تحسنت له بخلف من الآخرة التي قبحها سوء
النظر عنده وما المغرور الذي ظفر من الدنيا باعلى همته كالآخر الذي ظفر من الآخرة بادنى سهمته ... قول السكي المهمل والسهم النصيب
ولما كان تقوى الله والتزود بها اليه هو المطلوب من خلق الانسان لا جرم صدر الامر بها غالبا خطبته ع ونبه على ذلك المطلوب وان
الغاية منه **وقال** ... الدنيا ... تخشنت له بخلف من غايتها وان قبحها سوء نظرها وعمرها ... وعلى انه لا مناسبة
بين من ظفر من الدنيا باعلى مطالبه منها وبين من ظفر من الآخرة بادنى نصيب لشرف متاع الآخرة فكيف من يظفر منها باعلى
مطالبه ونفرها طالب الدنيا والمدعي للظفر بها لكونه مغرورا **وقال** ع لا شرف أعلى من الاسلام
لاستلزامه شرف الدنيا والآخرة الثانية ولا عز أعز من التقوى لان التقوى تستلزم جميع مكارم الاخلاق الجامعة لعز الدنيا
والآخرة فكان عزها اكبر عزا من غيرها الثالثة ولا معقل أحصن من الورع واستعار له لفظ المعقل باعتبار تحصن الانسان
به من عذاب الله لما كان عبارة عن لزوم الاعمال الجميلة فلا معقل احصن منه الرابعة ولا شفيع أنجح من التوبة وذلك لاستلزامها
العفو عن جريمة التائب قطعا دون سائر الشفعاء ... ولفظ الشفيع مستعار لها الخامسة ولا كنز أغنى من القناعة وفضيلة
مستلزمة لسكون نفس الانسان ورضاها بما قسم له وغناه عما وراءه ولا شيء من سائر الكنوز لأبناء الدنيا كذلك ولفظ الكنز مستعار
لها السادسة ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت وهو قريب مما قبله السابعة ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم
الراحة ... وتبوأ خفض الدعة ... السكون مباءة ومرجعا الثامنة والرغبة
مفتاح النصب ومطية التعب استعار لفظ المفتاح ... الدنيا لفظ المفتاح باعتبار ... للتعب على الراغب وكذلك لفظ المطية ...
استلزامها كالمطية المتعب لكونها التاسعة والحرص والكبر والحسد دواع الى التقحم في الذنوب ... الدخول فيه ... فالحرص على الدنيا داع
الى الظلم والكذب والفجور والجبن والبخل ونحوها من الرذائل والكبر داع الى ... الانصاف وعدم التواضع والعجب والتهور وعدم الاحتمال
ونحوها والحسد داع الى الظلم والفساد في الارض وغيرها من الآثام العاشرة والشر جامع لمساوي العيوب الشر كلي كالجنس لسائر
العيوب ... اذ كل منها يصدق عليه انه شر مخصوص وهو المعنى بكونه لشرها معا لها **وقال** ع لجابر بن عبد الله الانصاري
يا جابر قوام الدنيا بأربعة عالم مستعمل علمه وجاهل لا يستنكف أن يتعلم وجواد لا يبخل بمعروفه وفقير لا يبيع آخرته بدنياه
فاذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم واذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه يا جابر من كثرت نعم الله
عليه كثرت حوائج الناس اليه فمن قام لله فيها بما يجب عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال
الدنيا انما تقوم بالمال ثم بالعلم لوضعه في مواضعه ومعرفة وجوه اكتسابه التي ينبغي او لا ينبغي من حلال وحرام وهو علم الفقه و
اصوله وتفسير كتاب الله وسنة رسوله اللذين منهما تعلم الاحكام ثم ما يلزم ذلك من علم العربية ونحوه ولما كان العلم لا بد له
من حامل والمال لا بد له من مالك وجب ان يكون من شرط الاول ان يعمل بعلمه ومن شرط الثاني ان يستعمل ماله في مصارفه التي ينبغي
والا لم يكن لهما فائدة ولا قامت بهما احوال الخلق التي هي الدنيا ولما كان الموت ضروريا للعلماء وغيرهم ووجب في قيام الدنيا
وبقاء نظامها ان يدوم العلم في قرن من الناس بعد قرن وجب ان يكون هناك جهال لا يستنكفون عن تعلمه ليكونوا خلفا للبعض
الى البعض في قوام الدنيا ضرورة ولم يجز في نظامها ان يستغني كل عن كل لاسباب معلومة وغير معلومة وجب ان يكون هناك
من لا مال له ليحصل الانتفاع بغيره فيما هو بصدده من شح له من الاعمال الضرورية بالجود عليه فان قوام الدنيا لا يحصل بدون
الا به وانما شرط في الفقير ان لا يبيع آخرته بدنياه لان بائع آخرته بدنياه ظالم خارج عن العدل فلا يقوم به الدنيا ولا يصلح

هو الآخرة ص

وذلك لكونها ام

والكذب

تتمة كلام لجابر بن عبد الله

لعمارتها ثم لما بين ما به قوام الدنيا اشار الى ما يلزم من ضد ذلك من الفساد بتغيرها عنه بقوله فاذا ضيع العالم علمه ... الى قوله فى بناه فان تضييع العلم يستلزم عدم الانتفاع به واستنكاف الجاهل عن تعلمه لسوء اعتقاده فى تعلمه اهله لما يراه من تضييعهم له وعدم عملهم على وفقه فيبقى على الجهل بمنفعته وبخل الغنى بمعروفه مستلزم لعدم المنفعة بالمال وما يلزم ذلك من شدة حاجة الفقير وبيع اخرته بدنياه فيلزم من الفساد التام فى مصلحة المعاش والمعاد ثم اشار الى ما يلزم من كثرة نعمة الله على العبد من كثرة حوائج الخلق اليه ليوضح له وجوب الشكر عليها والقيام بما يجب لله فيها من الاحسان الى المحتاجين اليه وعن ذلك بما يلزمه من تعريض النعمة للدوام والمزيد وتعرضه عن تضييع ذلك بما يلزمه من تعريضها للزوال والفناء وروى ابن جرير الطبرى فى تاريخه عن عبد الرحمن بن ابى ليلى الفقيه وكان ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الاشعث انه كان فيما يحضض به الناس على الجهاد انى سمعت امير المؤمنين على بن ابى طالب عم يقول يوم لقينا اهل الشام ايها المؤمنون انه من راى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن انكره بلسانه فقد اجر وهو افضل من صاحبه ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذى اصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور فى قلبه اليقين لما كان انكار المنكر واجبا على كل مكلف بحسب مكنته وكان لمكنته طرفان ادنى وهو الانكار بالقلب اذ مكانه من كل احد وطرف اعلى وهو الانكار باليد وهو الغاية ووسط وهو الانكار باللسان كانت درجاته فى استحقاق الاجر مترتبة على درجات انكاره وانما اختص المنكر بقلبه بالسلامة والبراءة اى من عذاب الله لانه لم يحمل اثما وانما لم يذكر اجرا وان كان كل واجب يثاب عليه لان غاية انكار المنكر هو الانكار والقلب ليس له فى ذلك تاثير فى دفع المنكر فكانه لم يفعل ما يستحق به اجرا وانما قال لتكون كلمة الله هى العليا لانه ان لم يكن ذلك مقصود المنكر بل كان مقصوده مثلا الرياء او الغلبة لا يكون قد اصاب سبيل الهدى واستعار لفظ النور لوضوح الحق فى قلبه وجلائه من شبه الباطل وفى كلام له عم يجرى هذا المجرى فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك مستكمل لخصال الخير ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذى ضيع اشرف الخصلتين من الثلث وتمسك بواحدة ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الاحياء وما اعمال البر كلها والجهاد فى سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الا كنفثة فى بحر لجى وان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق وافضل من ذلك كلمة حق عند امام جائر اقول انه عم جرى فى هذه القسمة على غير هذا الوجه فيكون الناس على اقسام ستة وهى المنكر بقلبه فقط او بلسانه فقط او بيده فقط او بقلبه ولسانه او بقلبه ويده او بلسانه ويده واعلم ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر متلازمان لان المعروف والمنكر قد يكونان نقيضين او في قوتهما فيكون النهى عن المنكر مستلزما للامر بالمعروف والامر بالمعروف مستلزما للنهى عن المنكر واسمهما معا لخصال الخير اذ لان كل خصلة منه معروف فالامر بالمعروف معظم امره بها وترك كل واحدة من خصال الخير منكر فانكاره يستلزم الامر بها ولما كانت هذه الانواع الثلثة من انكار المنكر فضائل تحت فضيلة العدل وجب عدها من خصال الخير ولما كانت مستلزمة لسائر الفضائل كما اشرنا اليه وجب ان يكون المنكر للمنكر بها مستكملا لجميع خصال الخير وان يكون التارك له بيده مضيعا لخصلة ومتمسكا بخصلتين والتارك بيده ولسانه مضيعا لاشرف الخصلتين من الثلث وانما كانتا اشرف لكونهما يستلزمان دفع المنكر او بعضه غالبا بخلاف الثالثة ووجب ان يستحق تارك الثلث اسم الميت فى حياته لخلوه عن جميع الفضائل ولفظ الميت استعارة وقوله وما اعمال البر الى قوله لجى تعظيم لهاتين الفضيلتين وتشبيه اعمال البر كلها بالنسبة اليهما بالنفثة فى البحر اللجى ووجه الشبه ان كل خصلة من اعمال البر جزء فى النسبة اليهما كالنفثة بالنسبة الى البحر وهو الخير منهما وقوله فان الامر الى قوله من رزق صغرى ضمير حذف كبراه وتقديرها الكبرى وكلما لا يقرب من اجل ولا ينقص من رزق فلا ينبغى ان يجاهد بتركه ثم اشار الى افضل اقسامهما وهو كلمة العدل عند الامام الجائر لغرض رده عن جوره وعن ابى جحيفة قال سمعت امير المؤمنين عم يقول ان اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفا ولم ينكر منكرا قلب فجعل اعلاه اسفله الجهاد باليد واللسان والقلب هو انكار المنكر بها وانما كان باليد اول مغلوب عليه لان الغرض الاول للعدو ازالة سلطان اليد ومنعها فاذا تمكن من ذلك كان زوال سلطان اللسان سهلا فان قلت فلم قال ثم بقلوبكم ومعلوم ان القلب لا يطلع عليه العدو ولا يتمكن من ازالة الجهاد به قلنا وادانهم اذا غلبوا على الجهاد باليد واللسان وطالت المدة عليهم الفوا المنكر وتكرر على سمعهم وابصارهم وقلوبهم فلم يبق لانكاره وهو معنى غلبتهم عليه وقوله فمن لم يعرف بقلبه الى اخره نفر عن ترك الخصلتين بما يلزم من قلب اعلى التارك اسفله واستعار لفظ القلب للانتكاس فى مهاوى الرذايل ودركات الجحيم وانما خص انكار القلب بذلك لامكانه فى كل وقت وخلوه عن المضادات المخوفة التى

على الوجه الطبيعي المعتاد وذلك لان العادة جارية بان ينكر الانسان اولا بقلبه ثم بلسانه ثم بيده اذا تمكن وقدم ههنا القسمة

تعرض فى الانكار باليد واللسان وقال عم ان الحق ثقيل مرئ وان الباطل خفيف وبئ استعار للحق وصفى الثقل والمرئ باعتبار صعوبته على من يكون عليه وثقله منه وللباطل وصف الخفة باعتبار سهولته على اهله ولفظ الوبئ باعتبار

واسفله اعلاه

عليهم

في الرزق واقسامه وما يزيد وينقصه

استلزامه لأهل الكهف في الآخرة **وقال** لا تأمنن على خير هذه الأمة عذاب الله لقوله سبحانه فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون
ولا تيأسن لشر هذه الأمة من روح الله لقوله تعالى إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون أدب السامع بهذين الأدبين
محتجا بعموم الآيتين ولفظ المكر مستعار لإمهال الله ثم أخذه فهو في صورة المكر والخداع والمراد ظ **وقال ع** البخل جامع لمساوي
العيوب وهو زمام يقاد به إلى كل سوء البخل رذيلة التفريط من فضيلة السخاء وهي مستلزمة للجهل لأن البخيل عزيزا لم يضع
المال موضعه والعجز لعجزه عن تحصيله ومحبته للدنيا الى طرف الإفراط فيها والجبن لأن من بخل بماله فهو بنفسه ابخل و
للانظلام والظلم لقصوره عن فضيلة العدل لحماية ثم الحرص والحسد والشره ودناءة الهمة والكذب والغدر والخيانة وقطع
الرحم وعدم المواساة وكل طرف ولم يربط لفضيلة من الفضائل من توابع البخل ولواحقه وهي مساوي العيوب التي لم يجامعه
لها وانه زمام الى كل منها واستعار له لفظ الزمام باعتبار انه يدعو الى هذه المساوي ويقود اليها كالزمام **وقال ع** الرزق رزقان
رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك فلا تحمل هم سنتك على هم يومك كفاك كل يوم ما فيه فإن تكن السنة
من عمرك فإن الله تعالى جده سيؤتيك في كل غد جديد ما قسم لك وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهم
بما ليس لك ولن يسبقك إلى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك ما قد قدر لك قال السيد رضي الله عنه
وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم من هذا الباب الا انه هيهنا اوضح واشرح فلذلك كررناه على القاعدة المقررة في اول الكتاب
واقول قد مضى تفسير اكثر هذا الكلام وغرضه التنفير عن الاهتمام بالدنيا والاشتغال بما يرجى منها عن ذكر الله وطاعته
ونهاه ان يحمل هم السنة على هم اليوم فيجتمع عليه احزان متضاعفة يكفي واحد منها شغلا واحتج لذلك بضمير صغرى
الاول قوله فان تكن السنة وتقديرها ان سنتك التي تهتم لها اما ان يكون من عمرك او ليس وتقدير الكبرى وكلما كان
على هذين التقديرين فلا ينبغي الاهتمام بها اما على التقدير الاول فان الله يؤتيك في كل يوم منها ما قسم لك لا محالة وما
لا بد منه لا يجوز الاهتمام به واما على التقدير الثاني فلانه ليس من العقل ان يهتم المرء بما ليس له وصغرى الثاني قوله
ولن يسبقك الى قوله قدر لك تقديرها ان رزقك لن يسبقك اليه طالب وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فلا ينبغي ان يهتم به
وقال ع رب مستقبل يوما ليس بمستدبره ومغبوط في اول ليله قامت بواكيه في آخره وغرض الكلمة التنبيه من رقدة
الغفلة على الموت لغاية العمل لما بعده والمغبوط ظ **وقال ع** الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به فاذا تكلمت به صرت
في وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة الوثاق الحبل وامر بخزن
اللسان عما لا ينبغي من القول وفي غير موضعه وشبه خزنه بخزن الذهب ووجه الشبه شدة الخزن ونهى عن قول ما لا ينبغي بضمير
صغرى احدهما قوله الكلام الى قوله وثاقه وتقدير الكبرى وكل كلام كان كذلك فلا ينبغي ان يتكلم منه الا بما ينبغي ولفظ الوثاق مستعار
وصغرى الثاني قوله فرب كلمة سلبت نعمة وتقدير الكبرى وكل كلمة كذلك يجب الاحتراز منها بقلة القول والتثبت فيه **وقال**
ولا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم فان الله سبحانه قد فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة
نهى عن قول ما لا يعلم لانه كذب او محتمل للكذب ولانه قول بالجهل فيجب الاحتراز منه وانما النهي عن قول كل ما يعلم لجواز ان
يكون منه مضرا لنفسه او لغيره كافشاء سر فيستلزم اذاه او اذى من اسر اليه ونفر عن ذلك بقوله فان الله الى آخره وهو صغرى ضمير
المراد بتلك الفرائض ما افترضها الله على كل جارحة ومما اوجبه على اللسان مثلا من قول ما ينبغي في موضعه وكف ما يتعلق بالعين من النظر الى ما لا
ينبغي ونحو ذلك في ساير الجوارح وتقدير الكبرى وكل من فرض الله على جوارحه فرائض كذلك يحتج بها عليه يوم القيامة في تركها و
العمل بها فيجب عليه المحافظة عليها **وقال ع** احذر ان يراك الله عند معصيته ويفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين واذا قويت فاقو
حذره من الامرين بما يلزمه من دخوله في زمرة الخاسرين لثواب الله يوم القيامة ثم امر بالقوة على طاعة الله لتتم الاستعداد بها لرحمته وبالضعف
عن معصيته لتضعف الاستعداد بها عن قبول سخط الله ونقمته **وقال ع** ثلث كلمات لحدها الركون الى الدنيا مع ما يعاين منها جهل
اي بما يستحق ان يركن اليه مما لا ينبغي الركون اليه والتقصير في حسن العمل اذا وثقت بالثواب عليه غبن اي مستلزم للغبن وهو ترك ما هو خير
من الثواب الكبير في مقابلة العمل اليسير وفيه ايماء الى ان سبب التقصير في حسن العمل عدم الوثوق بالثواب الموعود في الآخرة الثالثة
والطمأنينة الى كل احد قبل الاختبار عجز اي عن البحث عمن ينبغي السكون اليه وعن وضعه موضعه ونفر عن الركون الى الدنيا بما يلزمه
من الجهل وعن التقصير في حسن العمل بما يلزمه من الغبن وعن الطمأنينة الى كل احد بما يلزمها من العجز **وقال ع** من هوان الدنيا
على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها نفر عن الدنيا بذكر هوانها على الله من الوجهين المذكورين **وقال ع** من
طلب شيئا ناله او بعضه كمن طلب شيئا وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج وظاهر ان الطلب معد لحصول المطلوب فان تم
الاستعداد ناله بالكل والا فبقدر نقصان الاستعداد يكون نقصان المطلوب **وقال ع** ما خير بخير بعده النار وما شر بشر

في ساعات المؤمن ومواعظ اخرى

بعده الجنة وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار عافية فنبّه على ان ما يعود الى النار وان عظم في الدنيا خير ولذة فاستحق اسم الشر
تحقيرا له وتنفيرا عنه بما يلزمه من غايته التى هى النهاية فى الشر وهى النار وكل ما يعود الى الجنة من الطاعات الشاقة وان عدّ فى الدنيا
شرا والما استحق اسم الخير ترغيبا فيه بما يلزمه من غايته التى هى دخول الجنة والمقايسة والمرجح بعد اثبات خيريهما وشريهما بعد الجنة شر
وقوله وكل نعيم دون الجنة محقور تفسير للاول وقوله وكل بلاء دون النار عافية تفسير للثانى والدعا فيه تشبيه **وقال** عليه السلام الا وان
من البلاء الفاقة واشد من الفاقة مرض البدن واشد من مرض البدن مرض القلب الا وان من النعم سعة المال وافضل من سعة المال صحة البدن وافضل من صحة
البدن تقوى القلب اشار الى درجات البلاء وتفاوتها بالشدة والضعف والى ما يقابلها من درجات النعم وتفاوتها كذلك وانما كان
مرض القلب بالرذائل اشد من مرض البدن لاستلزامه فوات الآخرة وفوات كل السعادات وهو الموت الذى لا حيوة معه وبحسب ذلك كان تقوى
القلب واستكماله بالفضائل افضل من صحة البدن لاستلزامه السعادة الباقية والحيوة الابدية **وقال** عليه السلام للمؤمن ثلث ساعات
فساعة يناجى فيها ربه وساعة يرمّ فيها معاشه وساعة يخلّى بين نفسه وبين لذتها فيما يحلّ ويجمل وليس للعاقل ان يكون
شاخصا الا فى ثلث مرمّة لمعاش او خطوة فى معاد او لذة فى غير محرّم اقول رمّ المعاش اصلاحه والشاخص الذاهب عن بلده و
قسم زمان المؤمن العاقل الى ثلثة اقسام بحسب ما ينبغى له بمقتضى الحكمة العملية والرأى الحق فقسم يتوفر فيه على عبادة الله ومناجاته وهذا
القسم هو المطلوب الاول وقسم يصلح فيه ما لابد منه فى تحصيل القسم الاول من معاشه وقسم يخلّى فيه بين نفسه وبين ملاذها المباحة التى
يجمل ويحسن دون المحرمة والمباحة المستهجنة فهذه اقسام مراتب الاول اذ لا يمكن بدونهما وقوله وليس للعاقل الى آخره اى ليس له
بحسب مقتضى العقل ان يستعمل نفسه الا فى الامور الثلثة **وقال** عليه السلام ازهد فى الدنيا يبصّرك الله عوراتها ولا تغفل فلست
بمغفول عنك لما كانت محبة الدنيا مستلزمة لاستار عيوبها عن ادراك محبها كما قيل حبك الشئ يعمى ويصم كان بغضها والزهد فيها
لازما لذلك الستر كاشفا لما يخفى من عيوبها وعوراتها فامر بالزهد فيها للغاية المذكورة المنفرة عنها ثم نهى عن الغفلة فيها عما ورائها ثم
... وقوله فلست بمغفول عنك وتقدير الكبرى وكل من ليس بمغفول عنه فلا ينبغى ان يغفل عما يراد به **وقال** عليه السلام تكلموا تعرفوا فان المرء
مخبوء تحت لسانه وقد مر تفسير هذه الكلمة لكن جعلها هنا صغرى ضمير حذف كبراه ... الكلام عند الحاجة لغاية ان يعرف المتكلم وتقدير
الكبرى وكل من كان مخبوءا تحت لسانه فينبغى ان يظهر نفسه فى كلامه ثم تكلّمه ليعرف **وقال** عليه السلام خذ من الدنيا ما اتاك وتولّ عما
تولّى عنك فان انت لم تفعل فاجمل فى الطلب امره بالقناعة اولا بما تيسر من الدنيا الذى يمكن منها وقوى عليها وبالاجمال فى الطلب
لمن لا يتمكن منها والاجمال فى طلب الدنيا طلبها برفق من الوجه الذى ينبغى وعلى الوجه الذى ينبغى **وقال** عليه السلام رب قول انفذ من صول
اى قد يبلغ الانسان بالقول ما لا يبلغه بالشدة والصولة فيكون القول انفذ فى غرضه ويصلح مثلا يضرب للرفق واللين الذى يبلغ به
ما لا يبلغ بالعنف وروى ... انفذ اشد والمعنى رب قول يقوله الانسان فيكون ضرره عليه اشد من صولة عدوه او رب قول يقوله ...
كقذف ... يكون اشد عليه من صولة العدو والمعنيان منقولان عن ابن ادم ... **وقال** عليه السلام كل مقتصر عليه كاف اراد لا يقتصر الانسان
الا على مقدار ... يدفع الضرورة والحاجة بعد ذلك كاف ومع المانع ... الى الامر بالاقتصار على التيسير من الدنيا **وقال**
كلمات اربعا احدها المنية ولا الدنية فالمنية مبتدأ دل على خبره معمولة ولا الدنية اى سهل من الدنية ويحتمل ان يكون التقدير نحمل
المنية ولا نحمل الدنية وهى الخسيسة من الامور تكسب طلب الدنيا وكثير من الكرام يختار الموت على ذلك والثانية التقلل ولا التوسل
اى القناعة بالقليل من العيش ولا التبلغ بكثير من التوسل الى اهل الدنيا فى طلبها الثالثة ومن لم يعط قاعدا لم يعط قائما كنى بالقعود عن
الطلب السهل وبالقيام عن الطلب الصعب ... اى من لم يرزق بالطلب السهل لم ينفعه الشديد ... وهذه الحكم كما هو حكم الخطيب
حث به على الاجمال فى الطلب الرابعة والدهر يومان يوم لك ويوم عليك فاذا كان لك فلا تبطر واذا كان عليك فاصبر فاليوم الذى
هو زمان الضيق والابتلاء يجب فيه الصبر للاستعداد به لقبول نعمة الله كما قال وبشّر الصابرين الآية **وقال** عليه السلام مقاربة الناس فى اخلاقهم
امن من غوائلهم اقول انما يلزم الحقد وذلك ان مباعدة الناس فى اخلاقهم يستلزم منافرتهم وعداوتهم واحقادهم فالعداوة والبغضاء الى
المقاربة والمشاكلة لاخلاقهم يستلزم الامن من ذلك منهم **وقال** عليه السلام لبعض مخاطبيه وقد تكلم فى حضرته بكلام يستصغر عن مثله لقد
طرت شكيرا وهدرت سقبا فالشكير هو الفرخ قبل النهوض واستعار لفظ الشكير والسقب باعتبار صغره ... تكلمه فى حضرته ووصف
الطيران والهدير له باعتبار نهوضه الى ذلك الكلام الذى هو فوق محله وليس اهلا له كما ان الطيران ليس من شأن الشكير ولا الهدير
من شأن السقب **وقال** عليه السلام من اومأ الى متفاوت خذلته الحيل المتفاوت كالامور المتضادة او التى يتعذر الجمع منها فى العرف
والعادة واستعار وصف الخذلان للحيل باعتبار انها لا تواتيه ولا تمكنه فى الجمع بين ما يريد من تلك الامور **وقال** عليه السلام وقد سئل
عن معنى قولهم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لا نملك مع الله شيئا ولا نملك الا ما ملكنا فمتى ملكنا ما هو املك به منا كلفنا ومتى اخذه
منا وضع تكليفه عنا برهان قوله انا لا نملك مع الله شيئا قوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا الآية

في بيان صفات الأغنياء وحالهم وسلوكهم

ان التكليف تابع لما ملكنا اياه من الجوارح والقوى والعقل وسائر متعلقات التكليف وعند اخذه لشيء منها لتضع التكليف المتعلق
به منا وسئل عليه السلام عن معنى الكلمة فقال لا حول على ترك المعاصي ولا قوة على فعل الطاعات الا بالله وقال عليه السلام لعمار بن ياسر و
قد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاما دعه يا عمار فانه لن يأخذ من الدين الا ما قاربه من الدنيا وعلى عمد لبس على نفسه ليجعل الشبهات
عاذرا لسقطاته اراد انه لا يعمل من الدين الا بما يستلزم دنيا تقرب بينهما كعدل او صدقة تستلزم منفعة دنيوية دون ما ليس كذلك
وهو شيء ضمير نفسه بخاطئيته كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان يعرض عن مراجعته ومكالمته وقال عليه السلام ما احسن تواضع الاغنياء
للفقراء طلبا لما عند الله واحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء اتكالا على الله بتيه الفقراء على الاغنياء اصعب عليهم واشق
من تواضع الاغنياء لهم لكان يتسعهم يستدعي كمال التوكل على الله وهو يوجب غاية الترفع لمن ملك فلذلك كان افضل واحسن
لقوله عليه السلام افضل الاعمال احمزها وقال عليه السلام ما استودع الله امرأ عقلا الا ليستنقذه به يوما ما من بلاء الدنيا بالحيلة او من بلاء
الآخرة بالتلطف وقال عليه السلام من صارع الحق صرعه استعار لفظ المصارعة لمقاومته وبذلك ان الله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله
والصالحين من عباده اعوان الحق ولا مقاوم لهم وقال عليه السلام القلب مصحف البصر اراد بالقلب النفس والذهن واستعار له لفظ
المصحف باعتبار ان كل ما يتصور في الذهن ربما النقش فكذا ان يتصور حروف العبارة عنه في لوح الخيال والحس البصري مشاهد
من عبارات وبينهما ان القلب لذلك كالمصحف الذي يشاهد فيه الحروف والالفاظ ويقرأ منه بالبصر فلذلك صار الى التصرف
وقال عليه السلام التقى رئيس الاخلاق استعار لفظ الرئيس للتقوى باعتبار ما فضيلته في استلزام امر رضوان الله وحصول السعادة التي
لا شيء من الاخلاق بانفراده يستلزم ذلك وقال عليه السلام لا تجعلن ذرب لسانك على من انطقك وبلاغة قولك على من سددك
ذرب اللسان حدته وهو ادب يجري مجرى المثل يضرب لمن يحصل من انسان علما او فائدة فيستعين بها عليه كان ينقل عنه على من علمه
الفصاحة وقال عليه السلام كفاك ادبا لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك واراد بما يكرهه من غيره الرذائل فانها مكروهة الى كل
احد من غيره ومن نفسه ايضا اذا عقل انها رذيلة وكذلك اذا عرفها انف منها الا ان بعض الرذائل قد يخفى على من هي فيه فلا يتصور
قبحها من نفسه او انه من يتصور ذلك لكن يحمله عليها احاطة الحزم من شهوة او غضب لما كان اجتناب الرذائل يستلزم الوقوف
على فضيلة العدل في كل شيء لا جرم كان اجتنابها ادبا كافيا لمن يجتنبها وقال عليه السلام من صبر صبر الاحرار والا سلا سلو الاغمار وفي
خبر آخر قال عليه السلام للاشعث بن قيس معزيا ان صبرت صبر الاكارم والا سلوت سلو البهائم والاغمار الجهال الجمع غمر وجذب الى فضيلة
الصبر في المصائب ما يناسبها من الحرية الاحرار والاكارم وانما الزمه بعدمه من الغاية وهي السلو المشبه لسلو الغافلين او البهائم والا ان
الاوان لا تصبر وقال عليه السلام في صفة الدنيا تغر وتضر وتمر ان الله لم يرضها ثوابا لاوليائه ولا عقابا لاعدائه وان اهل الدنيا
كركب بيناهم حلوا اذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا تغرهم بثلثة ضمائر احدها الدنيا تضر اي تجذبها وتغر اي بزينتها اي
بغرورها ومن طيبتها ان ذلك استعار لها وصف الامر باعتبار ما يستلزم فراقها من الم الجزع والحزن كالمرارة وتمر بفتح التاء
اي تذهب الثاني قوله ان الله الى قوله لاعدائه اذ لو رضيها لذلك لاعطاها اولياءه وحرمها اعداءه الثالث قوله ان اهل
الدنيا الى قوله وتقديره صغرى لتركيب كركب من شأنه كذا ووجه الشبه بالركب الذي شأنه ذلك سرعة
رحالهم الى الآخرة كسرعة ارتحال الركب وتقدير الكبرى في الضميرين الاولين وكلما كان كذلك فينبغي ان يجتنب ولا يحرص على طلبه
وتقديرها في الثالث وكلما كان كذلك فينبغي ان يستعد فيه للرحيل والتزود وقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام لا تخلفن وراءك شيئا
من الدنيا فانك تخلفه لاحد رجلين اما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به واما رجل عمل فيه بمعصية الله فكنت عونا له على معصيته
وليس احد هذين حقيقا ان تؤثره على نفسك ذبره عليه السلام بالنهي عن ادخال ونفره عن ذلك بضمير صغراه قوله فانك الخ وقوله بما شقيت به اي
شقاء الدنيا بجمعه وشقاء الآخرة بادخاره لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله الآية وتقدير الكبرى
وكل من يخلف مالا لاحد هذين وليس احدهما حقيقا ان يؤثره على نفسه فلا يجوز ان يخلفه له وروي هذا الكلام على وجه آخر وهو اما
بعد فان الذي في يديك من الدنيا قد كان له اهل قبلك وهو صائر الى اهل بعدك وانما انت جامع لاحد رجلين رجل عمل فيما جمعته
بطاعة الله فسعد بما شقيت به او رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له وليس احد هذين اهلا ان تؤثره على نفسك ولا تحمل له
على ظهرك فارج لمن قد مضى رحمة الله ولمن بقي رزق الله وقال عليه السلام في هذه الرواية ينفر عن الدنيا بضميرين احدهما قوله فان الذي
في يديك الى بعدك وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فليس لك ان تحبه وتعتمد عليه الثاني وانما انت الى قوله ظهرك وكبراه ما مر في الرواية
الاولى واستعار لفظ الحمل لاكتساب الآثام بجمع المال ورشح بذكر الظهر ثم ارشده الى ما هو خير من المال لمن مضى وهو رجاء رحمة الله
ولمن بقي وهو رجاء رزق الله له وهو عود لكل حي وقال عليه السلام لقائل قال بحضرته استغفر الله ثكلتك امك اتدري ما الاستغفار ان للاستغفار
درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان اولها الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك العود اليه ابدا والثالث ان تؤدي الى المخلوقين

يا بني

رجلين اما

الى قوله لك

في بيان الصفات الحسنة والقبيحة

حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل أملس ليس عليك تبعة والرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي
نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته
حلاوة المعصية فعند ذلك تقول أستغفر الله أقول ظاهر كلامه يقتضي أن اسم الاستغفار الحق الذي تنتهي العليين ويستحقها صاحبها
بروائح على مجموع المعاني الستة التي أشار إليها وذكرها الغرض حقيقة منها ويكون إرادة هذا المعنى من لفظ الاستغفار عرفا جديدا شرعيا
إذ مفهومه اللغوي هو طلب المغفرة إلا أنه لما كان طلبها مشروطا بحصول المعاني المذكورة أطلق لفظ المشروط على الشرط واستعمله فيه
ويحتمل أن لا يكون غرضه تفسير ماهية الاستغفار بل الإشارة إلى شرائطه التي لا ينبغي إيقاعه من دونها وهي المعاني الستة ويكون
معنى قوله أتدري ما الاستغفار أي الاستغفار التام الشرائط وأعرض عن ماهيته للعلم بها وأشار إلى تمامه من الشرائط وقصد بل
الإشارة إلى الصدق في لفظه على شرائطه تأكيدا أنه لا يتم بدونها حتى كأن مجموعها نفس حقيقة الاستغفار واستعار لفظ الأملس
لنقاء الصحيفة من الآثام وقال ع الحلم عشيرة استعار لفظ العشيرة للحلم باعتبار أنه يحمي صاحبه من مناوئيه ويذب عنه كما تحميه عشيرته
وقال ع مسكين ابن آدم مكتوم الأجل مكنون العلل محفوظ العمل تؤلمه البقة وتقتله الشرقة وتنتنه العرقة فذكر كونه مسكينا وبين
ذلك بضمير عدد فيه وجوه المسكنة والضعف صغراه قوله مكتوم الأجل إلخ وهي ظاهرة وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو
مسكين ومسكين خبر المبتدأ قدم عليه لأن ذكره أهم وحذف تنوينه تخفيفا وغرض الكلام كسر النفوس عن سورة الكبر والعجب والتحرز
أمثالها عن الرذائل وروي أنه كان جالسا في أصحابه إذ مرت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم فقال ع إن أبصار هذه الفحول
طوامح وإن ذلك سبب هبابها فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلمس أهله فإنما هي امرأة كامرأة فقال له رجل من الخوارج قاتله الله كافرا ما
أفقهه فوثب إليه القوم ليقتلوه فقال ع رويدا إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب الرمق النظر وطموح البصر ارتفاعه والهبيب والهباب هو
التيس عند هياجه وطلبه للسفاد واستعار لهم الفحول ولفظ الهباب لطلبهم للنكاح وأرشدهم إلى الخلاص من فتنة النظر بالاشتغال بالأهل
ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله فإنما هي امرأة كامرأة أي فإنما أهل الرجل امرأة تشبه المرأة المرئية وتقدير الكبرى وكل من تشبهها
عوض منها وإنما أطلق الخارجي لفظ الكافر عليه لأنه عند الخوارج مخطئ وكل خطيئة عندهم كفر وقوله إنما هو سب بسب يقتضي فضيلة
العدل أو العفو وقال ع كفاك من عقلك ما أوضح لك سبيل غيك من رشدك الغرض بيان العقل المعطى هو ما ذكره ع وكفى به وقال ع افعلوا
الخير ولا تحقروا منه شيئا فإن صغيره كبير وقليله كثير ولا يقولن أحدكم إن أحدا أولى بفعل الخير مني فيكون والله كذلك إن للخير
والشر أهلا فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله أمر بفعل الخير ونهى عن احتقار شيء منه وإن قل ورغب فيه بضمير صغراه قوله فإن صغيره
كبير وقليله كثير أي في الثواب وبالنسبة إلى من يحتاج إليه ثم نهى أن يقول أحد إن غيره أولى بفعل الخير منه وهو كناية
عن ترك المرء الخير اعتمادا على أن غيره بفعله أولى وقوله فيكون والله كذلك لأن ترك ذلك القول من القائل استثارات للخير يكون باعثا لمن
توهم فيه فعل ذلك الخير وتنبيه عليه وقصد بقوله فيظن فيه ففعله له فيكون أولى به منه وقوله إن للخير والشر أهلا إلخ ترغيب في الخير
وتنفير عن الشر بذكر أن كلا منهما أهلا يكفي فيدان تركهم من ليس أهله ويكون الساعون في أهل الخير بفعله وبترك الشر لا أهله وقال
ع من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين
الناس فصلاح باطن الإنسان وسره بالأخلاق الفاضلة مستلزم صلاح أقواله وأفعاله الظاهرة لأنها كالثمرات للباطن
وكان عمل الإنسان لدينه وإقامته حدود الله سبب لصلاح حاله في معاشه ومقتضى لعواطف الخلق عليه لاشتغاله بالله عن محارمهم في
الدنيا وفي معناه الكلمة الثالثة فإن إخلاص العبودية لله وإصلاح معاملته قاطع عن محبة الدنيا والحرص عليها الذي هو سبب الفساد بين الناس وكان
ودفعه وقال ع الحلم غطاء ساتر والعقل حسام قاطع فاستر خلل خلقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك استعار لفظ الغطاء للحلم باعتبار معد الرفع لفساده
أنه يستر سورة الغضب ويمنع ما يصدر عنه من الأفعال [illegible] ورشح بذكر الستر وكذلك استعار لفظ الحسام للعقل باعتبار قمعه لقوى
النفس الأمارة وأفراطها ورشح بذكر القاطع ولذلك أمر بمقاتلة هواه به وقال ع إن لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فيقرها في أيديهم
ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منهم ثم حولها إلى غيرهم أي من عباد الله من يكون مقصودا للعناية الإلهية بأن خصه بالنعمة عليه وإقرارها
في يديه وصول النفع إلى الغير ويكون ذلك شرطا فيها فإذا لم يوجد ذلك بعثت تلك النعمة بارتفاع شرطها إلى غيرهم وغرض
الكلمة الحث على النفع المتعدي بتحويل كل عاقل أنعم الله عليه بنعمة كذلك وقال ع لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين العافية والغنى بينا
تراه معافى إذ سقم وبينا تراه غنيا إذ افتقر نهى عن الوثوق بالخصلتين المذكورتين لكونهما مع ما يقابلهما من السقم والفقر أمورا
غير مقدورة للعبد ولا معلومة الأسباب في معرض التعاقب فالوثوق بما كان كذلك فلا ينبغي أن يثق بالخصلتين المذكورتين وقال ع
من شكى الحاجة إلى مؤمن فكأنما شكاها إلى الله ومن شكاها إلى كافر فكأنما شكى الله شكاية المؤمن إلى المؤمن شكاية في موضعها
إذ كانت ثمرة الشكاية المعاونة على دفع الأمر المشكو منه والمؤمن شأنه ذلك بخلاف الشكاية إلى الكافر ورغب في الفعل بتشبيهها

في بيان الرزق وبيان حسرات القيمة

بالشكاية الى الله ووضع الشكايات المؤمن كالمصدق لله فاذا اشكى المؤمن اليه امرا فشكاية رجاله وسيله الى الله في شكواه فاشبه
الشكوى اليه وهو عز الثانية نشبيهها بشكوى الله وزجر الشكايات الكافر عند والله فمن شكى اليه امرا فكانما شكى من الله الى عدوه
وقال في بعض الاعياد انما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو يوم عيد لا يعصى
الله فيه فهو عيد غرض من الكلمة الجذب الى عبادة الله وطاعته وكسر النفوس عن الفرح بما لم يأذن الله فيه بضيف سواء كان زمانا
او مكانا او غيرهما فلما كان العيد عبارة عن يوم يعتبر فيه الناس ويفرح فيه فكل يوم لا يعصى الله فيه فهو اولى بالفرح والسرور فيه
وان يسمى عيدا في عرف اولياء الله والطالبين لما عنده اقول ان اعظم الحسرات يوم القيمة حسرة رجل كسب مالا في غير طاعة
الله فورثه رجلا فانفقه في طاعة الله سبحانه فدخل به الجنة ودخل الاول به النار اقول غرض الكلمة الجذب عن الكسب الحرام وقال
المال والتنفير عنه بما ذكر وقوله اعظم الحسرات لا يقتضي ان يكون كل ما هو اعظمها لا تمكن سبب ذلك حسرة عظيمة لعدم منفعته بالمال
في الدنيا وعذابه في الاخرة ومشاهدته لانتفاع الغير به هناك اقول ان اخسر الناس صفقة واخيبهم سعيا رجل
اخلق بدنه في طلب ماله ولم تساعده المقادير على ارادته فخرج من الدنيا بحسرته وقدم على الاخرة بتبعته استعاره
الاخسرية صفقة الذي ذكرنا باعتبار اضاعة الدنيا والاخرة ومع علمه بوافقر العذر لذي حصول ما اراد بتوفيره وظاهره الشر
من الخير ونعته ما لحقه من عقوبات الاثام المكتسبة لمن يحصل اقول الرزق رزقان طالب ومطلوب فمن طلب الدنيا طلبه
الموت حتى يخرجه عنها ومن طلب الاخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي رزقه منها استعار للرزق وصف الطالب باعتبار انه لابد من
وصوله فهو كالطالب له ونفر عن طلب الدنيا بما يلزمها من العلة الفكرة وهي الموت فكانه طالب لها لغاية اخراجه من الدنيا
بسبب طلبه لها ورغب في طلب الاخرة بما يلزمه من طلب الدنيا واهلها لمن انقطع عنها حتى يصل اليه رزقه منها وهو محمود وقد نقينا
فيما سلف نحوا من الناس على من ينقطع عنهم وقال ان اولياء الله الذين نظروا الى باطن الدنيا اذ نظر الناس الى ظاهرها
واشتغلوا باجلها اذا اشتغل الناس بعاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم وراوا استكثار غيرهم
منها استقلالا ودركهم لها فوتا اعداء ما سالم الناس وسلم ما عادى الناس بهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا لا يرون
مرجوا فوق ما يرجون ولا مخوفا فوق ما يخافون اقول ميز اولياء الله بصفات عشر احديها انهم نظروا الى باطن الدنيا اي حقيقتها
وغرض الحكمة الالهية من وجودها فعملوا فيها على حسب علمهم اذ نظر الناس الى ظاهرها من زينتها وقنياتها الثانية واشتغلوا
باجلها وهو ما جعله الله نصب عينهم غرضا مقصودا منها ثمرة للاستعداد بها وهو ثواب الله وعقوبته اذا اشتغل غيرهم بعاجلها
وحاضر لذاتها الثالثة فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وهو نفوسهم الامارة بالسوء التي يخشى من غلبتها واستيلائها على
العقل موته وهلاكه في الاخرة ويحتمل ان يريد بما اماتوه منها قنياتها استعارة فكانهم لما رفضوها ولم يلتفتوا اليها قد اماتوها ولم
يبق لها حيوة عندهم الرابعة وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم وهو زينتها وقنياتها لما ذكرها بالموت منها ومن في الموضعين
للتبعيض الخامسة وراوا استكثار غيرهم منها استقلالا ودركهم لها فوتا السادسة اعداء ما سالم الناس من الدنيا وسلم ما عادى الناس وهي الاخرة
الثامنة بهم علم الكتاب وحفظهم اياه وتفهيمهم له وافادتهم بسره وبه علموا الا ستنارتهم به عند الناس التاسعة وبهم قام الكتاب اي صار
احكامه قائمة في الخلق معمولا بها وبه قاموا اي بامره ونواهيه وبما ينبغي ان يدبروا به فيما هم في معاشهم ومعادهم العاشرة
لا يرجون مرجوا فوق ما يرجون من ثواب الله ولا يخافون مخوفا فوق ما يخافون من عذاب الله والحجب عنه وذلك لعلمهم بالمرجو
المخوف هناك اقول اذكروا انقطاع اللذات اي بالموت وبقاء التبعات الجرائم والغرض التنفير عن الدنيا وقال اخبر تقله
ومن الناس من يروي هذا الكلام عن النبي ص ومما يقوي انه من كلام امير المؤمنين ما حكاه ثعلب قال حدثنا ابن الاعرابي قال قال
المامون لولا ان عليا قال اخبر تقله لقلت اقله تخبر قلت بالفتح ابغض والهاء فيه للسكت وهو امر من معنى الخبر يجري مجرى
المثل والمعنى من خبرت بالطبع قليته والحكم اكثري لكثرة ما عليه الناس من خبث السريرة ونقابل الاخلاق وما نقل عن المامون
من العكس يريد به اظهار البغض للشخص ليكشف عن باطنه لانه اما ان يقابل بمثل ذلك او يترك فيعرف خيره من شره وينقل
عن ابي بكر الاصفهاني قال لولا اني لا اعترض على السلف من الجهال والشرف لقلت اقل ثم اخبر حتى لا يكون الانسان مضعفا
لاضعافي غيره ومنعه نفسه وقال ما كان الله ليفتح على عبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة اشار الى استلزام امور ثلثة
وهي الشكر للمزيد والدعاء للاجابة والتوبة للمغفرة من فتح الله له باب من هذه الملزومات ما عدله والهمه اياه وجب في جوده
ان يفتح له باب لازمه ويفيضه عليه اذ لا بخل في جوده ولا منع في سلطانه ووصف فتح الباب مستعار لتيسير الله تعالى العبد لذلك
واعداده له وسئل ايما افضل العدل او الجود فقال العدل يضع الامور مواضعها والجود يخرجها عن جهتها والعدل سائس
عام والجود عارض خاص فالعدل اشرفهما وافضلهما اشار الى افضلية العدل بضميري صغرى الاول قوله العدل الى قوله جهتها بدل

او حاد

الناس

لم يعتمله

فداه بعليه قاله

او صعد

فی صفات الحسنة والقبیحة

ان طبيعة الجود تقتضي من صاحبها اخراج كل ما يملكه عن مواضعه في مواضع حاجة التي هي اولى به وهي تقتضي الكمال الثاني في قوله والعدل الى قوله
واستعار له لفظ السائس باعتبار انه نظام العالم والجود هنا خاص بمن يفضل الله من بعض الناس بقدر الكرم فيهما وكل امر
كان كذلك فالعدل اشرفهما وافضلهما وقوله فالعدل اه كهو التنبيه وقال ع الناس اعداء ما جهلوا وقد مرّ بيانه وقال ع الزهد كله
بين كلمتين من القرآن قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد
اخذ الزهد بطرفيه الامران المذكوران في الآية غايتان من الزهد والاعراض عن الدنيا في قوة خاصة مركبة تلزم الزهد وتترتب عليها
لترغيبها وكونها بقوله فقد اخذ الزهد بطرفيه عن استكمال حقيقة الزهد بكمال الابتهاج بظاهرات وجود الخاصة المذكورة مستكثر
للاعراض عن الدنيا وطيبا لها والقلب هو الزهد الحقيقي وقال ع الولايات مضامير الرجال اراد بالمضامير هاهنا معرفة جودة الرجال
وهي الاماكن التي يعرف فيها الخيل السباق واستعار لفظها للولايات باعتبار انها مظان ظهور جودة الوالي من حسنه وسياسته كما
ان المضامير للخيل كذلك وقال ع ما انقض النوم لعزائم اليوم اقول ما هاهنا للتعجب وهذه الكلمة تجري مجرى المثل يضرب لمن يعزم
على امر فيغفل عنه او ينام فيه ويتراخى عنه ليلة حتى ينتقض عزمه عنه واعلم ان الانسان قد ينوي السفر مثلا او الحركة بقطعة من
الليل ليتوفر في نهاره على سيره فيغلبه النوم الى الصبح فيفوت وقت عزمه فينقض ما كان عزمه عليه في يومه وقال ع ليس بلد باحق بك
من بلد خير البلاد ما حملك اقول ما حملك اي ما وجدت فيه رفقا بحالك وصلاح معاشك فامكنك الاقامة واستعار لفظ
الحمل له باعتبار حمل مؤنته من الحط لشبهه بالحمل ونحوه والى ذلك وقريب منه ما قال ابو الطيب وحب البلاد اخبثها بدل وكل علي
مقرب الحراني في قوله اعز بلاد الاذى والهون ممتنع ما بين حر وبين الدار من نسب وقال ع وقد جاءه نعي الاشتر مالك وما
مالك لو كان جبلا لكان فندا لا يرتقيه الحافر ولا يوفي عليه الطائر قال الشارح والفند المنفرد من الجبال ومالك مبتدأ او فاعل
اي مات مالك وما استفهامية في معرض التعجب من مالك وقوته في الدين وقال ع قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه لذلك
من الامور التي ينبغي ان تفعل وانما كان كذلك لان الدوام على القليل منها يفيد النفس ملكة الطاعة والخير ويصير لها خلقا بخلاف الكثير
المملول منه ونحوه قول الرسول ص ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وقد فرّ هذا الكلام بعينه
وقال ع اذا كان في رجل خلة رائقة فانتظروا اخواتها والرائقة المعجبة اي اذا كان في الانسان خلق فاضل فان طبعه مظنة ان
يكون فيه جملة من الاخلاق الفاضلة المناسبة لذلك الخلق يتوقع وينتظر منه كمن يكون من شأنه الصدق فانه ينتظر الوفاء وحسن
الصحبة وبالعكس وكمن يكون من شأنه العفة فانه يتوقع منه الكرم والمسامحة والبذل والصداقة والمحبة ونحوها وكمن يكون شجاعا
فانه يتوقع منه عظم الهمة والحلم والثبات وكذلك من كان فيه ضد ذلك من الرذائل وقال ع لغالب بن صعصعة ابي الفرزدق في كلام دار بينهما ما
فعلت ابلك الكثيرة فقال ذعذعتها الحقوق يا امير المؤمنين فقال ع ذلك احمد سبلها الكلام الذي دار بينهما ان غالبا دخل على علي ع وهو شيخ
كبير ومعه ابنه همام الفرزدق وهو غلام يومئذ فقال له ع من الشيخ فقال انا غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال ما فعلت
ابلك قال ذعذعتها الحقوق واذهبتها الحمالات والنوائب فقال ذاك احمد سبلها من هذا الغلام فقال هذا ابني همام وهو يقول الشعر والنثر
وكلام العرب ويوشك ان يكون شاعرا مجيدا فقال اقرأه القرآن فهو خير له فكان الفرزدق بعد يروي هذا الحديث ويقول ما زالت
كلمته في نفسي حتى قيد نفسه بقيد وآلى ان لا يفكه حتى يحفظ القرآن فما فكه حتى حفظه وذعذعتها بالذال المعجمة مكررة فرقتها وقال ع من اتجر
بغير فقه فقد ارتطم في الربا ارتطم في الوحل ونحوه وقع فيه فلم يمكنه الخلاص وهو وصف مستعار لغير الفقيه باعتبار انه لا يمكنه من الخلاص من
الربا وذلك لكثرة اشتباه مسائل الربا بمسائل البيع حتى يعرف تبيينها الا اكابر الفقهاء مع وقوع الخلاف الشديد بينهم فيها كبيع لحم البقر بالغنم
متفاضلا يجوزه ابو حنيفة لانهما جنسان مختلفان ويمنع منه الشافعي الى غيرها من المسائل وقال ع من عظم صغار المصائب ابتلاه الله
بكبارها وانما لزم ذلك لاستعداده ويتضجره وتسخطه من قضاء الله لزيادة البلاء ولو قد حمد الله على بلائه لاستعد بذلك لدفعه وقال ع
من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته وذلك لكونهما عدوان فاكرام احدهما يستلزم اهانة الاخر فمن كرمت عليه نفسه لزم حفظها
وحمايتها من عذاب الله وذلك مستلزم لهوان شهوته عليه وعدم اعانتها لانها يقتضي ضد ذلك وقال ع ما مزح امرؤ مزحة الا مج من عقله مجة
وذلك لان العقل يقتضي حسبا بالعرض الباقي على حد لا توقر معه صاحبه ولا يستخف به والمزاح الذي لا ينبغي يقتضي ضد ذلك فهو مستلزم
لمجانبة العقل وتركه فاستعار لفظ المج بما يطرحه الانسان من عقله في مزاحه ومزاحاته فكانه قد مجه كما يمج الماء من فيه ولطفه وقال ع زهدك
في راغب فيك نقصان حظ ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس اما الاول فلانه من تمام الحظ كثرة الاخوان والاعوان على صلاح امر المعاش
والمعاد فالزهد فيهم يستلزم نقصان الحظ ولان مجازاة الرغبة بمثلها فضيلة من تمام الحظ التفاتا ضدها يستلزم نقصانه واما الثاني
فاستلزام الرغبة في الزاهد فيك الذل والخضوع له طلبا لكمال صغر الهمة والزهد في الراغب فيك والرغبة فيمن يزهد وقال
ما لابن آدم والفخر اوله نطفة وآخره جيفة استفهم متعجبا من تجاوز جمع بين الانسان والفخر وتنبيه على عدم المناسبة بينهما بضمير غراه وقوله

في علائم الايمان وخواصه

وقال ع الغنى والفقر بعد العرض على الله كانه منسوبا على الفقر بينه وبين الفقر ... فلا مناسبة بينه وبين [illegible] وكل من كذلك ويعقد بدار الكبرى الى الاخرة
اراد الغنى الحقيقي بالثواب والفقر بعد ... في الاخرة وسئل عليه السلام عن اشعر الشعراء فقال ان القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عند قصبتها
فان كان ولا بد فالملك الضليل يريد امرأ القيس لانهم لم يقولوا الشعر على منهاج واحد حتى يعلم فضل بعضهم بل كان لكل منهم فن
يجيد فيها ... واحد يجيد في الرغبة واخر في الرهبة واخر في النشاط والطرب ولذلك قيل اشعر الشعراء امرؤ القيس
اذا ركب والاعشى اذا رغب والنابغة اذا رهب واستعار لفظ الحلبة وهي القطعة من الخيل تجمع للسباق للطريقة الواحدة ورشح بذكر
الاجراء والغاية وقصبتها وذلك ان عادة العرب ان يضعوا قصبة في اخر المدى من سبق اليها واخذها فاز بالسبق والغلب قوله فان كان
ولا بد اي من الحكم وانما حكم له بذلك باعتبار جودة شعره اكثرها لانه ... كما روي في رواية اخرى ان ابا الاسود سأله عن اشعر
العرب فقال لو رفعت للقوم غاية فجروا اليها علمنا من السابق منهم ولكن ان يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة وهو الملك الضليل وسمي ضليلا
لكثرة ضلاله ... وقيل لانه ... وقيل لانه كان كثير التهتك ... في شعره ... قال امرؤ القيس
... قال لبيد ... شعرا ... فقال الملك الضليل ... ثم من قال الفتى القتيل يعني طرفة ... ثم من فقال الشيخ ابو عقيل يعني نفسه وقال ع
الا حر يدع هذه اللماظة لاهلها انه ليس لانفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها اللماظة بفتح اللام ما يبقى في الفم من الطعام واستعارها
لمتاع الدنيا باعتبار قلتها وحقارتها ودعا الى تركها ثم جذب عنها بتفخيم ... وقوله فانه الى قوله الجنة وهو كقوله تعالى ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ... فلا تبيعوها الا به
وقال ع علامة الايمان ان تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك وان لا يكون في حديثك فضل عن عملك وان تتقي الله
في حديث غيرك اشار من علامات الايمان الى ثلاث احدها ان تؤثر الصدق الضار على الكذب النافع محبة للفضيلة وكراهة للرذيلة
الثانية ان لا يكون في حديثه فضل وزيادة عن علمه وهو العدل في القول والاحتراز من رذيلة الكذب الثالثة ان تتقي الله في حديث غيره
فلا تخوض في عرضه بغيبة او سماع منها وقيل اراد ان يحتاط في الرواية عن غيره في حديثه كما هو وقال ع يغلب المقدار على التقدير حتى
يكون الآفة في التدبير المقدار القدر ولما كان الانسان جاهلا باسرار القدر كان بناء تقديره وتدبيره لنفسه لاعتقاده مستلزما
للمصلحة ان يكون من اسباب مفسدته وهلاكه وقد مر مثل ذلك وقال ع الحلم والاناة توأمان ينتجهما علو الهمة استعار لفظ ... للفضيلتين
لفظ التوأمين باعتبار استلزام علو الهمة وصدورهما عنها ... يحتقر كل ذنب ... فيحلم ... الى
... وقال ع الغيبة جهد العاجز اكثر ما يصدر الغيبة عن الاعداء والحساد الذين يعجزون عن بلوغ اغراضهم ... فيعدلون الى اظهار ... اعدائهم لما يجدون فيه ... ونفرتها ... الى العجز وانها غاية جهده ... النقصان
ولا ... وقال ع رب مفتون بحسن القول فيه ... اي رب مصرف عن تحصيل الفضيلة وبالطاعة ... بالمدح
والاطراء كمن يمدح بكثرة العبادة مثلا ... ذلك ... على ذلك ... قال السيد رضي ... هذا حين انتهى الغاية بنا الى قطع
المختار من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب حامدين لله سبحانه على ما من به من توفيقنا لضم ما انتشر من اطرافه وتقريب ما بعد من اقطاره ...
العزم كما شرطنا اولا على تفضيل اوراق من البياض في اخر كل باب من الابواب ليكون لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد وما عسى ان يظهر
لنا بعد الغموض ويقع الينا بعد الشذوذ وما توفيقنا الا بالله عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل واقول انه ... في ...
كلامه الى هذه الغاية ... ثم كتب على عهد زيادة من محاسن الكلمات اما باختيار ... من كان بحضرة من اهل العلم
الزيادة ... وقال ع الدنيا
خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها ... خلقت ... لذات ثواب الله في الاخرة لا ... الجاهلون وقال ع ان لبني
امية مرودا يجرون فيه ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثم كادتهم الضباع لغلبتهم والمرود هنا مفعل من الارواد وهو الامهال والانظار وهذا
من افصح الكلام واغربه فكانه شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه ... فقد اختلفوا انتقض نظامهم ... اقول استعار لفظ
المرود لمدة دولتهم ... هو ما ذكره السيد والكلام ... فان دولتهم لم تزل على الاستحكام الى حين اختلافهم وذلك
... الوليد بن يزيد فخرج عليه يزيد بن الوليد فقتله ... ونبغ دعاة بني العباس بخراسان واقبل مروان بن محمد من الجزيرة يطلب الخلافة
فخلع ابراهيم بن الوليد وقتل قوما من بني امية واضطرب امر دولتهم وكان زوالها على يد ابي مسلم وكان في بدو امره اضعف خلق الله ...
... ذلك تصديق قوله ثم كادتهم الضباع ولفظ الضباع قد يستعار للاراذل والضعفاء ... كما ...
في مدح ... والله ... الاسلام ... والسلاطة ... والسلطة ...
... في الطعن ... الاسلام ...

علي الوهم الاشتغال بالتدبير هو لنفسه

في مواعظ شافية ونصائح كافية

ووجه التشبيه ما اشتبه به من حسن رعايته الى حين كماله وقال عليه السلام العين وكاء السه قال السيد هذه من الاستعارات العجيبة كأنه شبه السه
بالوعاء والعين بالوكاء فاذا اطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء قال وهذا القول في الاشهر الاظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله وقد رواه قوم لامير المؤمنين
وذكر ذلك المبرد في كتاب المقتضب باب اللفظ بالحروف وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية
واقول انه استعار لفظ الوكاء وهو رباط القربة للعين باعتبار حفظ الانسان في يقظته لنفسه من ان يخرج منه ريح ونحوها كما
يحفظ الوكاء ما يوكى به وفي ذلك ملاحظة تشبيه السه بالوكاء كالقربة ومن تمام الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا نامت العينان استطلق
الوكاء وقال عليه السلام في كلام له ووليهم وال فاقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه اقول المنقول ان الوالي هو عمر بن الخطاب من خطبة طويلة له
في ايام خلافته يذكر فيها قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله واختصاصه به وافضائه باسراره اليه الى ان قال فيها فاختار المسلمون بعده بآرائهم رجلا
منهم فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف وحد كانا فيه ووليهم بعده وال فاقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه على عسف
وعجز كانا فيه ثم استخلفوا ثالثا لم يملك من نفسه شيئا غلب عليه اهله فقادوه الى اهوائهم كما تقود الوليدة البعير المخطوم فلم يزل الامر
بينه وبين الناس يبعد تارة ويقرب اخرى حتى نزوا عليه فقتلوه ثم جاؤوا الي مدّ الدبا يريدون بيعتي في كلام طويل والجران مقدم
عنق البعير يضرب به الارض كناية بالوصف المستعار عن استقراره وتمكنه كما يتمكن البعير البارك من الارض وقال عليه السلام يأتي على الناس زمان
عضوض يعض الموسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله سبحانه ولا تنسوا الفضل بينكم تنهد فيه الاشرار وتستذل فيه الاخيار
ويبايع المضطرون وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيع المضطرين تنهد اي ترتفع وتعلو وذكر الزمان بصفات احدها استعار لفظ العضوض
باعتبار شدته واذاه كالعضوض من الحيوان ويقول للمبالغة والثاني نسبة عض الموسر فيه على ما في يديه وهو كناية عن بخله بما يملك
ونبه على صدق قوله ولم يؤمر بذلك بقوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم فانه يفيد الندب الى بذل الفضل من المال وذلك ينافي
الامر بالبخل الثالثة انه تعلو فيه الاشرار وتستذل الاخيار الرابعة ويبايع فيه المضطرون ما يكرهه الائمة الجور ونبه على نهي
ذلك بنهي الرسول صلى الله عليه وآله وقال عليه السلام يهلك فيّ رجلان محب مطر وباهت مفتر وهذا مثل قوله يهلك فيّ رجلان محب غال ومبغض قال فالمحب المطري
بكثرة المدح كالغلاة هم في طرف الافراط والذي يبهته ويفتري عليه بانه كافر ونحوه كالخوارج هم في طرف التفريط وكلاهما رذيلتان
خارجتان عن فضيلة العدل فيه وقد علمت ان الرذائل مهاوي الهلاك الاخروي وقد سبق مثله وسئل عليه السلام عن التوحيد والعدل فقال
التوحيد ان لا تتوهمه والعدل ان لا تتهمه وهاتان الكلمتان في غاية الشرف وعليهما مدار العلم الالهي الكلمة الاولى اصل كلمة
بني عليها التوحيد والتنزيه وقد بينا مفهومها في اول الخطبة الاولى من الكتاب وجملة القول فيها ههنا انه لما كان الوهم انما
يدرك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوس لا بذاته ينبغي له ذلك وضابطها قوة المخيلة حتى تصوره وتحفه بالصور المحسوسة
وكان الباري تعالى منزها بمقتضى العقل المبرهن عن المحسوسات وما يتعلق بها لا جرم لم يجز توجه الوهم في تصوره ثم يجري عليه الحق
احكامها اذ لا يكون في حقه الا كاذبا لاتصافها بكونه محسوسا او متعلقا بالمحسوس الذي من شأنه الكثرة والتركيب المنافيان للوحدة
المطلقة فيكون قد عرفنا التوحيد بخاصة من خواصه وهي كونه رسما سلبيا واما الكلمة الثانية فالمراد من العدل اعتقاد جواز العدل
في جميع افعاله تعالى واقواله ومن لوازم ذلك الحاصل ان لا يتهمه العبد بانه يجبره على القبيح ثم يعاقبه عليه او انه يكلفه ما لا
يطيقه ونحو ذلك من مسائل اصول الدين التي اعتمد فيها المعتزلة على ظواهر كلامه عليه السلام وقال عليه السلام لا خير في الصمت عن الحكم كما انه لا
خير في القول بالجهل الصمت عن ذكر الحكمة تفريط من فضيلة القول والقول بالجهل رذيلة افراط فلا خير فيهما بل فيما يتوسطهما من
القول بالحكمة وقال عليه السلام في دعاء استسقى به اللهم اسقنا ذلل السحاب دون صعابها قال السيد هذا من الكلام العجيب الفصاحة وذلك انه شبه
السحاب ذوات الرعود والبوارق والرياح والصواعق بالابل الصعاب التي تقمص برحالها وتتوقص بركبانها وشبه السحاب الخالية
من تلك الروائع بالابل الذلل التي تحتلب طيعة وتقتعد مسمحة واقول ان لفظي الذلل والصعاب مستعاران للسحاب لمكان المشابهة
التي ذكرها السيد وتتوقص بمركبها اي تنزو بهم نزوا المقارب والمعانب للخطوب والزوابع الامور الهائلة وقيل له عليه السلام يا امير المؤمنين
لو غيرت شيبك فقال الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة يعني وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال عليه السلام منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب
دنيا النهم بالفتح افراط الشهوة في الطعام ولفظه مستعار لشدة طلب التعلم وحرصه على العلم وطلب صاحب الدنيا وكنى بذلك عن
عدم الشبع بهما والكلمة مروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله منهومان لا يشبعان منهوم بالمال ومنهوم بالعلم وقال عليه السلام القناعة مال لا ينفد وقد
نقل بعضهم هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله واستعار لفظ المال للقناعة بوصف عدم النفاد باعتبار انها الغنى الدائم كالمال الباقي ابدا
وقال لزياد بن ابيه وقد استخلفه لعبد الله بن عباس على فارس واعمالها في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقديم الخراج استعمل
العدل واحذر العسف والحيف فان العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو الى السيف امره باستعمال العدل وحذره من حيف الناس وعسفهم
وحملهم على المكاره ونفره عن ذلك بضميمة صغراه قوله فان العسف الى آخره اي يعود بجلاء المعسوف بهم عن اوطانهم وظاهر ان الظلم معد لذلك

والكلام م

على وجادها م

عن الحكمة م

يا امير المؤمنين م

في مراتب الذنوب شدةً وضعفاً

قوله ع اشد الذنوب ما استخف بها صاحبه اقول ذلك لان كلما كان كذلك فيجب اجتنابه وتقدير الكبرى او القيام السيئة على الظالم من غيره يدوم طلبه لا يستتبها الله اياه حتى يصير ملكة وخلقا لا ينفك عنه بخلاف ما يستصعبه فانه يوشك ان يقلع عنه قبل استحكامه وغلبة طبيعته وقال ع لما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لما كان التعلم على الجاهل فرض ولا يمكن الا بمعلم عالم كان وجوب التعلم على الجاهل مستلزما لوجوب التعليم على العالم وفي الخبر المرفوع من تعلم علما فكتمه الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار وروى معاذ بن جبل عن الرسول ص انه قال تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لاهله قربة معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والمؤنس في الوحشة والمحدث في الخلوة والجليس في الوحدة والصاحب في الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والزين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء وقال ع شر الاخوان من تكلف له اي من احوج الى التكلف له وذلك ان الاخوة الصادقة تستلزم الانبساط بين الاخوين وترك التكلف من بعضهم لبعض فكان عدم هذا اللازم ووجود التكلف مستلزما لعدم ملزومه وهو صدق الاخاء ومن لا يكون اخ صدق فهو شر الاخوان والكلمة في قوة صغرى ضمير نبه بها على اجتناب الاخ كذلك وتقدير الكبرى وكلما احوج الى التكلف له فهو شر الاخوان وتقدير الكبرى ومن كان شر الاخوان لزم مجانبته وقال ع اذا احتشم المؤمن اخاه فقد فارقه يقال احشمه واحتشمه يعني اغضبه وقيل اخجله والكلام صغرى ضمير نبه بها على تجنب الاخ لاخيه وذلك انه لما نشأ الغضب على المغضب يوجب نفرته وحكا انشره وهو من دواعي مفارقته وموجباتها وتقدير الكبرى وما هو في قوة الكبرى ومفارقة الاخ لا يجوز فاحتشامه لا يجوز وبالله التوفيق والعصمة قال

الشارح رحمه وهذا آخر ما وجدناه من اختيار السيد الرضي رحمه من كلام مولانا امير المؤمنين ع واذا وفقني الله تعالى لاتمام شرحه فله الحمد سبحانه على ما اهلني له من منحه الجزيلة وافاضه علي من نعمه الجليلة ومن المطلوب اليه تعالى ان يجعل ما كتبته حجة لي على انه المنان بنعم الفضل والاحسان

وكتب عبد الله الملتجي الى رحمته

المستعيذ من ذنوبه

بعفوه وكرمه

ميثم

علي بن ميثم

البحراني في منتصف ليلة السبت

سادس شهر الله المبارك رمضان عمت بركته

من سنة سبع وسبعين وستمائة والحمد لله كما هو اهله

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله الطاهرين الاكرمين وسلم تسليما

الحمد لله الهادي الى السداد وجاعل الانبياء والائمة ادلاء الرشاد وذرائع العباد الى رب العباد والاولياء شفعاء يوم التناد اما بعد فان كتاب شرح النهج [illegible] للعالم الرباني والفاضل [illegible] والحكيم [illegible] المتكلمين وزبدة الفقهاء والمحدثين كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني من الكتب المصنفة في شرح [illegible] الدلائل وحل المسائل [illegible] وتوضيح الغوامض وكشف [illegible] الاشارات فلا [illegible] فائدة توفيق الله تعالى [illegible] الفضل [illegible] الماجد [illegible] المعظم الاكرم الاعظم مولانا [illegible] وسعد هذه النسخة [illegible] الحاج ميرزا محمد [illegible] كتابته وحسن اسلوبه [illegible] الاشعار والاجلال [illegible] والحمد لله اولا وآخرا وقد وقع الفراغ من كتابته في يوم [illegible] شهر صفر المظفر من شهور سنة ١٢٧٦